

ع

الجلد الاول من تفسير اللباب لابن الخازن

سـ ٢٢

مفتي سابق ابو عبد الله افندي وعيالي

الجزء الأول من تفسير القرآن العظيم

تأليف الإمام العالم العلامة الشيخ الفهامة علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذى خلق الاشيا فقدرها تقديرا وصور شكل
الانسان فاحسنه تصويرا ومنحه بالعقل وجعله سميعا بصيرا
وشرفه بما عرفه من العلم ونور قلبه تنويرا وهداه الى معرفته فنالها
نعمة وفضلا كبيرا واطلق لسانه فاذعن بشكره تحميدا وتهليلا وتكبيرا
وارسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى كافة الخلق بشيرا ونذيرا وانزل
عليه كتابا منيرا واودعه حكمة وحكما وترغيبا وتحذيرا والهم حفاظه
تلاوته وتحبيرا وجعله برهانا واضحا وصوابا لاعجا وفرقه
توفيرا فى الصدور محفوظا وبالالسنة متلوا وفى المصحف مسطورا
يهدى للتى هى اقوم ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان
لهم اجرا كبيرا وجعل كل بليغ من الاتيان بسورة مثله حسيرا قل
لين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا **احمده** على تواتر انعامه كثيرا
واتوكل عليه مفوضا امرى اليه ومستخيرا **واشهد** ان لا اله الا
الله وحده لا شريك له شهادة يغدو قلب قايلها مطمينا مستنيرا
واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذى كساه من فضله عزا ومهابة
وتوقيرا صلى الله عليه وعلى اله واصحابه كما اذهب عنهم الرجس
وطهرهم تطهيرا **وبعد** فان الله جل ذكره وتقدس امره ارسل

رسوله

رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
رحمة للعالمين وبشيرا للمومنين ونذيرا للمخالفين اكمل به تبيان النبوة
وختم به ديوان الرسالة واتم به مكارم الاخلاق ونشر فضله فى الافاق
وانزل عليه نورا واهدى به من الضلالة وانقذ به من الجهالة وحكم
بالفوز والفلاح لمن اتبعه وبالخسار لمن اعرض عنه بعد ما سمعه عجز
الخلايق عن معارضته حين تحداهم على ان ياتوا بسورة من مثله فى مقابلته
ثم سهل على عباده المومنين مع اعجازه تلاوته ويسر على الالسن قراءته
امر فيه وزجر وبشر وانذر وذكر المواعظ ليتذكر واضرب فيه الامثال
ليتدبر وقص فيه اخبار الماضين ليعتبر ودل فيه على ايات التوحيد
ليتفكر ثم لم يرض منا بسرد حروفه دون حفظ حدوده ولا باقامة كلماته
دون العمل بمحكماته ولا بتلاوته دون تدبر اياته فى قراءته ولا بدراسته
دون علم حقايقه وتفهم دقايقه ولا حصول لهذه المقاصد الا بدراية
تفسيره واحكامه ومعرفة حلاله وحرامه واسباب نزوله واقسامه
والوقوف على ناسخه ومنسوخه فى خاصه وعامه فانه ارسخ العلوم
اصلا واسبغها فرعا واصلا واكرمها نتاجا وانورها سراجا فلا شرف
الا وهو السبيل اليه ولا خير الا وهو الدال عليه **وقد** قيض الله تعالى
له رجالا موفقين وبالحق ناطقين حتى صنفوا فى ساير علومه المصنفات
وجمعوا ساير فنونه المتفرقات على قدر فهمهم ومبلغ علمهم نظرا للخلق
واقتداء بالسلف فشكر الله سعيهم ورحم كافتهم ولما كان
كتاب معالم التنزيل الذى صنفه الشيخ الجليل والحبر النبيل
الامام العالم الكامل محيى السنة قدوة الامة وامام الايمة مفتى الفرق
ناصر الحديث ظهير الدين ابو محمد الحسين بن مسعود البغوى قدس الله
روحه ونور ضريحه من اجل المصنفات فى علم التفسير واعلاها وانبلها
واسناها جامعا للصحيح من الاقاويل عاريا عن الشبه والتصحيف
والتبديل محلا بالاحاديث النبوية مطرزا بالاحكام الشرعية
موشى بالقصص الغريبة واخبار الماضين العجيبة مرصعا باحسن
الاشارات مخرجا باوضح العبارات مفرغا فى قالب الجمال بافصح مقال
فرحم الله تعالى مصنفه واجزل ثوابه وجعل الجنة متقلبه ومآبه
ولما كان هذا الكتاب كما وصفت احببت ان انتخب من غرر
فوايده ودرر زوايده وزواهر نصوصه وجواهر فصوصه مختصرا
جامعا لمعانى التفسير ولباب التنزيل والتعبير حاويا لخلاصة منقوله
متضمنا لنكته واصوله مع فوايد نقلتها وزوايد لخصتها من كتب
التفاسير المصنفة فى ساير علومه المؤلفة ولم اجعل لنفسى تصرفا

سوى النقل والانتخاب • مجتنبا حد التطويل والانتهاب • وحذفت منه
الاسناد لانه اقرب الى تحصيل المراد • فما اوردت فيه من الاحاديث النبوية
والاخبار المصطفوية • على تفسير اية او بيان حكم فان الكتاب يطلب بيانه
من السنه وعليهما مدار الشرح واحكام الدين عزيته الى مخرجه • وبينت اسم
ناقله • وجعلت عوض كل اسم حرفا يعرف به ليهون على الطالب طلبه فما
كان من صحيح ابى عبد الله محمد بن اسمعيل البخارى فعلامته قبل ذكر اسم
الصحابى الراوى للحديث خ ولما كان من صحيح ابى الحسين مسلم بن الحجاج
النيسابورى فعلامته م وما كان مما اتفقا عليه فعلامته ق وما كان
من كتب السنن كسنن ابى داود والترمذى والنسائى فانى اذكر اسمه بغير
علامة وما لم اجده فى هذه الكتب ووجدت البغوى قد اخرجه بسند
له انفرد به قلت روى البغوى باسناد الثعلبى بسنده وما رواه
البغوى باسناد الثعلبى قلت روى البغوى باسناد الثعلبى وما
كان فيه من احاديث زايدة والفاظ متغيرة فاعتمده فانى اجتهدت فى
تصحيح ما اخرجته من الكتب المعتبرة عند العلما كالجمع بين الصحيحين
للحميدى وكتاب جامع الاصول لابن الاثير الجزرى • ثم انى عوضت عن
حذف الاسناد شرح غريب الحديث وما يتعلق به ليكون اكمل
فايدة فى هذا الكتاب • واسهل على الطلاب • ومتعته بابلغ ما قدرت
عليه من الايجاز وحسن الترتيب مع التسهيل والتقريب وينبغى
لكل مولف كتابا فى فن قد سبق اليه ان لا يخلوا كتابه من خمس فوايد
استنباط شى كان معضلا • او جمعه ان كان متفرقا • او شرحه ان كان
غامضا او حسن نظم وتاليف او اسقاط حشو وتطويل • وارجوا ان لا
يخلوا هذا الكتاب عن هذه الخصال التى ذكرت وسميته لباب
التاويل • فى معانى التنزيل والله تعالى اسال التوفيق لاتمام ما
قصدت • واليه ارغب فى تيسير ما اردت • وان يجعله خالصا لوجهه
الكريم وان يتقبله منى انه هو السميع العليم • وهو حسبى ونعم الوكيل
عليه توكلت واليه انيب وقبل ان اشرع فى الكلام على التفسير
اقدم تقدمة تتضمن ثلاثة فصول الفصل الاول فى فضل القران
وتلاوته وتعليمه م عن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوما فينا خطيبا بما يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله
واثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال اما بعد الا ايها الناس انما انا بشر
يوشك ان ياتينى رسول ربى فاجيب وانى تارك فيكم ثقلين اولهما
كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به
فحث على كتاب الله ورغب فيه • ثم قال واهل بيتى اذكركم الله فى اهل

بيتى

بيتى اذكركم الله فى اهل بيتى زاد فى رواية كتاب الله فيه الهدى والنور
من استمسك به واخذ به كان على الهدى ومن اخطاه ضل • وفى رواية
الترمذى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى تارك
فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى • احدهما اعظم من الاخر وهو كتاب
الله حبل ممدود من السما الى الارض وعترتى اهل بيتى لن يفترقا حتى
يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهما م عن عمر بن الخطاب قال
اما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يرفع بهذا الكتاب
اقواما ويضل به اخرين د عن الحارث الاعور قال مررت فى المسجد فاذا
الناس يخوضون فى الاحاديث فدخلت على على فقلت يا امير المومنين
الا ترى الناس قد خاضوا فى الاحاديث قال او قد فعلوها قلت نعم
قال اما انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا انها
ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه
نبا ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس
بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره اضله
الله • وهو حبل الله المتين • وهو الذكر الحكيم • وهو الصراط المستقيم
وهو الذى لا تزيغ به الاهوا ولا تلتبس به الالسنة ولا تشبع منه
العلما ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضى عجايبه هو الذى لم تنته الجن
اذ سمعته حين قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدى الى الرشد فامنا به
من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعى اليه هدى
الى صراط مستقيم خذها اليك يا اعور اخرجه الترمذى وقال حديث
غريب واسناده مجهول وفى الحارث مقال قوله هو الفصل اى
الفاصل بين الحق والباطل ليس بالهزل اى هو جد كله ليس فيه
شى من الهزل والجبار فى صفة الادمى هو المسلط العاتى المتكبر على
الناس قصمه الله اى اهلكه قوله هو حبل الله المتين الحبل يرد على
وجوه • منها العهد • ومنها الامان فاذا اعتصم به الانسان اداه الله
تعالى الى جواره • والذكر الشرف • والحكيم المحكم العارى عن الاختلاف
والاضطراب • والصراط المستقيم الطريق الواضح ومعنى لا تزيغ به
الاهوا اى لا يميل عن الحق عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل الذى ليس فى جوفه شى من القران كالبيت
الخراب اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح خ عن عثمان عن النبى
صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القران وعلمه ق عن عايشة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقران مع السفرة
الكرام البررة والذى يقرا القران وهو يتتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران

قوله الماهر يعني الحاذق الكامل الحفظ الجيد التلاوة مع السفرة
جمع سافر وهو الرسول من الملايكة سمي بذلك لانه يسفر برسالات
الله الى انبيائه • وقيل السفرة الكتبة من الملايكة والبررة
المطيعون لله تعالى فيما يامره ومعنى كونه مع الملايكة ان له منازل
في الجنة يكون رفيقا لهم • وقوله يتتعتع فيه اى يتردد في تلاوته
لضعف حفظه له اجران يعني اجر بسبب القراءة واجر بسبب تعبه
فيها والمشقة التي تحصل له فيها وليس معناه ان له اجرا اكثر من
الماهر بل الماهر افضل منه واكثر اجرا **ق** عن ابي موسى الاشعري ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المومن الذي يقرا القران كمثل
الاترجة طعمها طيب وريحها طيب • ومثل المومن الذي لا يقراء
القران كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها • ومثل الفاجر الذي
يقرا القران كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها • ومثل الفاجر الذي
لا يقراء القران كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها فيه دليل على
فضيلة حفاظ القران واستحباب ضرب الامثال لايضاح المقاصد
عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قراء
حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم
حرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن صحيح غريب وقد رفعه بعضهم عن ابن مسعود ووقفه
بعضهم عليه • عن ابن عباس قال قال رجل يا رسول الله اى الاعمال
احب الى الله تعالى قال الحامل المرتحل قال وما الحامل المرتحل قال
الذي يضرب من اول القران الى اخره كلما حل ارتحل اخرجه الترمذي
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقال لصاحب القران اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك
عند الله اخر اية تقراها اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجيء القران يوم القيمة
فيقول يا رب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يا رب ارض عنه
فيرضى عنه فيقال اقراء وارق ويزداد بكل اية حسنة اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن عن سهل بن معاذ الجهني عن ابيه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قراء القران وعمل به البس
والداه يوم القيمة تاجا ضوءه احسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا
لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذه اخرجه ابو داود عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا القران
فاستظهره فاحل حلاله وحرم حرامه ادخله الله به الجنة وشفعه

في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت لهم اخرجه الترمذي وقال حديث
غريب وليس له اسناد صحيح **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقران يجهر به معنى اذن الله
في اللغة استمع ولانه يحمله على الاصغا فانه يستحيل على الله تعالى بل هو
كناية عن تقريبه قارى القران واجزال ثوابه وذلك لان سماع الله لا
يختلف فوجب تاويل الحديث • وقوله يتغنى بالقران اى يحسن صوته
به ويكون ذلك مع تحزين وترقيق في القراءة • وقيل معناه يستغني به
عن الناس والقول الاول اولى ويدل عليه سياق الحديث وهو قوله
يجهر به عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليس منا من لم يتغن بالقران **الفصل الثاني** في وعيد
من قال في القران برايه بغير علم ووعيد من اوتي القران فنسيه ولم يتعاهده
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قال في القران بغير علم فليتبوا مقعده من النار • وفي رواية من قال في
القران برايه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن **قوله** فليتبوا معناه
فليتخذ له مباءة اي منزلا من النار عن جندب بن عبد الله قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قال في كتاب الله عز وجل برايه فاصاب فقد
اخطأ اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث غريب • وسئل ابو
بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن قوله تعالى وفاكهة وابا فقال
اى سما تظلني واى ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله بغير علم قال العلما
النهي عن القول في القران بالراى انما ورد في حق من يتناول القران على
مراد نفسه وما هو تابع لهواه وهذا لا يخلوا اما ان يكون عن علم او لا
فان كان عن علم كمن يحتج ببعض ايات القران على تصحيح بدعته وهو يعلم
ان المراد من الاية غير ذلك لكن غرضه ان يلبس على خصمه بما يقوى حجته
على بدعته كما يستعمله الباطنية والخوارج وغيرهم من اهل البدع في
المقاصد الفاسدة فيغروا بذلك الناس وان كان القول في القران بغير
علم لكن عن جهل وذلك ان تكون الاية محتملة لوجه فيفسدها بغير ما
تحتمله من المعاني والوجوه فهذان القسمان مذمومان وكلاهما داخل
في النهي والوعيد الوارد في ذلك فاما التاويل وهو صرف الاية على
طريق الاستنباط الى معنى يليق بها محتمل لما قبلها وما بعدها وغير
مخالف للكتاب والسنة فقد رخص فيه اهل العلم فان الصحابة رضي
الله عنهم قد فسروا القران واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كلما
قالوه سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم ولكن على قدر ما فهموا من
القران تكلموا في معانيه وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس

فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فكان اكثر ما نقل عنه التفسير
والله تعالى اعلم **ق** عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم تعاهدوا القران فو الذي نفس محمد بيده
لهو اشد تفلتا من الابل في عقلها **ق** عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال مثل صاحب القران كمثل صاحب الابل
المعقلة ان تعاهد عليها امسكها وان اطلقها ذهبت الابل المعقلة
التي حبست بالعقال وهذا مثل ضربه لصاحب القران ففيه الحث
على تعاهده بكثرة التلاوة والتكرار لئلا ينسى **ق** عن عبد الله بن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس ما لاحدهم
ان يقول نسيت اية كيت وكيت بل هو نسي استذكروا القران فانه
اشد تفصيا من صدور الرجال من النعم من عقلها • وفي رواية لا يقول
احدكم نسيت اية كذا وكذا بل هو نسي **قوله** بئس ما لاحدهم اي
بئست الحالة حالة من نسي القران ثم غفل عنه حتى نسيه **قوله**
لا يقول احدكم نسيت اية كذا وكذا معناه انما اكره نسبة النسيان
الى النفس لاجل ان الله تعالى هو المقدر للاشيا كلها وهو الذي
انساه اياه وقيل اصل النسيان الترك فكره ان يقول تركت القران
او قصدت الى نسيانه وقوله بل نسي هو بضم النون وتشديد السين
وفتح اليا اي عوقب بالنسيان على ذنب صدر منه او لسوء تعهده
القران • وقوله اشد تفصيا اي خروجا من صدور الرجال وفي
معناه تفلتا من الابل في عقلها اي تخلصا من العقال وهو الحبل
الذي يربط به عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من امرئ يقرا القران ثم ينساه الا لقي الله
يوم القيمة اجذم اخرجه ابو داود الاجذم قيل هو مقطوع اليد
وقيل هو مقطوع الحجة وقيل هو الذي به جذام • عن انس بن مالك
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرضت علي
اجور امتي فلم ار فيها ذنبا اعظم من سورة في القران او اية اوتيها رجل
ثم نسيها اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث غريب **ق**
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا تسافروا بالقران الى ارض العدو مخافة ان يناله
بسوء اراد بالقران المصحف ولا يجوز حمله الى ارض العدو وهي بلاد
الكفار للنهي الوارد ولو كتب كتابا فيه اية من القران فلا باس بذلك
لان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى هرقل ملك الروم قل يا اهل
الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم • عن عمران بن حصين انه

مر

مر على رجل يقرا ثم سال فاسترجع ثم قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول من قرا القران فليسال الله به فانه سيجي اقوام يقرون
القران يسالون به الناس اخرجه الترمذي وقال ليس اسناده بالقوي •
عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الجاهر بالقران كالجاهر بالصدقة والمسر بالقران كالمسر بالصدقة
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

الفصل الثالث

في جمع القران وترتيب نزوله وفي كون نزوله على سبعة احرف عن زيد
ابن ثابت قال بعث الي ابو بكر لمقتل اهل اليمامة وعنده عمر فقال ابو
بكر ان عمر اتاني فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقرا القران واني
اخشى ان يستحر القتل بالقرا في المواطن فيذهب من القران كثير واني ارى
ان تامر بجمع القران قال قلت لعمر كيف افعل شيا لم يفعله رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال عمر والله خير فلم يزل يراجعني في ذلك حتى
شرح صدري للذي شرح له صدر عمر ورايت في ذلك الذي راى عمر فقال
ابو بكر فانك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فتتبع القران فاجمعه قال زيد فوالله لو كلفني نقل جبل من
الجبال كان اثقل علي مما امرني به من جمع القران فقلت كيف تفعلان شيا
لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر هو والله خير فلم يزل
ابو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر ابي بكر وعمر
ورايت ذلك رايا قال فتتبعت القران اجمعه من الرقاع والعسب واللخاف
وصدور الرجال حتى وجدت اخر التوبة سورة مع خزيمة او مع ابي خزيمة
الانصاري فلم اجدها مع احد غيره لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه
خاتمة براءة فالحقتها في سورتها قال فكانت الصحف عند ابي بكر حياته حتى
توفاه الله ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر قال بعض
الرواة اللخاف يعني الخزف **خ** عن انس ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان
يغازي اهل الشام في فتح ارمينية واذربيجان مع اهل العراق فافزع حذيفة
اختلافهم في القراة فقال حذيفة لعثمان يا امير المومنين ادرك هذه الامة
قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فارسل عثمان الى
حفصة ان ارسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك فارسلت
بها اليه فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن
ابن الحارث بن هشام رضي الله عنهم فنسخوها في المصاحف • وقال عثمان
للرهط القرشيين اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شي من القران فاكتبوه
بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى نسخوا الصحف في المصاحف ورد
عثمان الصحف الى حفصة وارسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا وامر بما سوى

ذلك من القران في كل صحيفة او مصحف ان يحرق • قال ابن شهاب واخبرني
خارجة بن زيد انه سمع زيد بن ثابت يقول فقدت اية من سورة الاحزاب
فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصاري من المؤمنين رجال صدقوا ما
عاهدوا الله عليه فالحقناها في سورتها في المصحف • قال في رواية اليمان
مع خزيمة بن ثابت الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته
بشهادة رجلين زاد في رواية قال ابن شهاب اختلفوا يومئذ في التابوت
فقال زيد التابوه • وقال عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص
رفع اختلافهم الى عثمان فقال اكتبوه التابوت فانه بلسان قريش شرح
غريب الالفاظ الاحاديث وما يتعلق بها **قوله** بعث الي ابو بكر لمقتل
اهل اليمامة اي لاوان قتلهم واراد به الوقعة التي كانت باليمامة في زمن
ابي بكر الصديق وهي واقعة الردة مع اصحاب الردة فقتل فيها خلق كثير
من قراء القران واليمامة مدينة باليمن على يومين من الطايف وهي على
اربعة ايام من مكة ولها عماير وهي في عداد ارض نجد **قوله** استحر
القتل اي كثر ويسند المكروه الى الحر والمحبوب الى البرد وشرح الصدر
سعته وقبوله الخير **قوله** فتتبعت القران اجمعه من الرقاع جمع رقعة
وهي ما يكتب فيها والعسب بضم العين والسين المهملتين جمع عسيب وهي
جريد النخل وسعفه واللخاف حجارة بيض رقاق واحدتها لخفة **قوله**
يغازي اهل الشام في فتح ارمينية بكسر الهمزة وتخفيف اليا لا غير سميت
بارمين بن المطي بن لومين بن يافث بن نوح وهو اول من نزل بها سميت به
واذربيجان بفتح الهمزة وسكون الذال وغير ذلك في ضبطها • وقال
ابن جني فيها خمس موانع من الصرف التعريف والتانيث والعجمة والتركيب
والالف والنون وهو موضع من بلاد العجم يشتمل على بلاد كثيرة **قوله**
حتى وجدت اخر سورة التوبة مع خزيمة او ابي خزيمة ابن ثابت الانصاري
وفي الحديث الاخر فقدت اخر سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها
مع خزيمة بن ثابت الانصاري من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه الاية فاعلم ان المذكور في الحديث الاول غير المذكور في الحديث
الثاني وهما قضيتان • فاما المذكور في الحديث الاول فهو ابو خزيمة
ابن اوس بن زيد بن اصرم بن ثعلبة بن عمرو بن مالك بن النجار الانصاري
شهد بدرا وما بعدها • وتوفي في خلافة عثمان وهو الذي وجدت عنده
اخر سورة التوبة كذا ذكره ابن عبد البر • واما المذكور في الحديث الثاني
فهو ابو عمارة خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة الخطمي
الاوسي الانصاري يعرف بذي الشهادتين شهد بدرا وما بعدها
وقتل يوم صفين مع علي بن ابي طالب **قوله** فقدت اية من سورة الاحزاب

الى

الى قوله فوجدناها مع خزيمة معناه انه كان يتطلب نسخ القران من الاصل
الذي كتب بامر النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه فلم يجد تلك الاية
الا مع خزيمة وليس فيه اثبات القران بقول الواحد لان زيدا كان قد سمعها
من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صرح به الحديث فقد كنت اسمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا بها وتتبعه الرجال كان للاستظهار
لا لاستحداث علم بان القران العظيم كان محفوظا عند زيد وغيره من الصحابة
فقد ثبت في الصحيح عن انس قال جمع القران على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم اربعة كلهم من الانصار ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وابو زيد
وزيد يعني ابن ثابت قلت لانس من ابو زيد قال احد عمومتي اخرجاه
في الصحيحين اسم ابي زيد سعد بن عبيد • واخرج الترمذي من حديث
ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا القران من اربعة
من ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى ابي حذيفة
قال حديث حسن صحيح وتقدم حديث زيد بن ثابت وفيه انه استحر
القتل بقرا القران فثبت بمجموع هذه الاحاديث ان القران كان على
هذا التاليف والجمع في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما
ترك جمعه في مصحف واحد لان النسخ كان يرد على بعضه ويرفع الشيء
بعد الشيء من التلاوة كما كان ينسخ بعض احكامه فلم يجمع في مصحف واحد
ثم لو رفع بعض تلاوته ادى ذلك الى اختلاف واختلاط امر الدين
فحفظ الله كتابه في القلوب الى انقضاء زمن النسخ • ثم وفق لجمعه
الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وثبت بالدليل الصحيح ان الصحابة انما
جمعوا القران بين الدفتين كما انزل الله عز وجل على رسوله صلى الله
عليه وسلم من غير ان زادوا فيه او نقصوا منه شيا والذي حملهم على
جمعه ما جا بيانه في الحديث وهو انه كان مفرقا في العسب واللخاف
وصدور الرجال فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته ففزعوا الى خليفة
رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم ابو بكر فدعوه الى جمعه فراى في
ذلك رايهم فامر بجمعه في موضع واحد باتفاق من جميعهم فكتبوه كما سمعوه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير ان قدموا او اخروا شيا ووضعوا
له ترتيبا لم ياخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم • وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يلقن اصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القران
على الترتيب الذي هو الان في مصاحفنا بتوقيف جبريل عليه السلام اياه
على ذلك واعلامه عند نزول كل اية ان هذه الاية تكتب عقيب اية كذا
في سورة كذا فثبت ان سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في
ترتيبه فان القران مكتوب في اللوح المحفوظ على النحو الذي هو في مصاحفنا

الآية وقد صح في حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض
القران على جبريل في كل عام مرة في رمضان وانه عرضه في العام الذي
توفي فيه مرتين • ويقال ان زيد بن ثابت شهد العرضة الاخيرة التي
عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل وهي العرضة التي نسخ
فيها ما نسخ وبقي ما بقي ولهذا اقام ابو بكر ثابت في كتابة الصحف
والزمه بها لانه قرى على النبي صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفي فيه
مرتين فكان جمع القران سببا لبقائه في الامة رحمة من الله تعالى
لعباده وتحقيقا لوعده في حفظه على ما قال تعالى • انا نحن نزلنا الذكر
وانا له لحافظون • واعلم ان الله تعالى انزل القران المجيد في اللوح
المحفوظ جملة واحدة في سما الدنيا في شهر رمضان في ليلة القدر ثم
كان ينزله مفرقا على لسان جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله
عليه وسلم مدة رسالته نجوما في رسالته نجوما عند الحاجة وحدوث
ما يحدث على ما يشا الله تعالى وترتيب نزول القران غير ترتيبه في
التلاوة والمصحف **فاما ترتيب** نزوله على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاول ما نزل من القران بمكة اقرا باسم ربك الذي خلق • ثم ن والقلم
ثم يا ايها المزمل • ثم المدثر • ثم تبت يدى ابى لهب • ثم اذا الشمس كورت
ثم سبح اسم ربك الاعلا • ثم والليل اذا يغشى • ثم والفجر • ثم والضحى •
ثم الم نشرح • ثم العصر • ثم والعاديات • ثم انا اعطيناك الكوثر •
ثم ارايت • ثم الكافرون • ثم الفيل • ثم الاخلاص • ثم والنجم • ثم عبس
ثم القدر • ثم البروج • ثم التين • ثم قريش • ثم القارعة • ثم القيمة •
ثم الهمزة • ثم المرسلات • ثم ق • ثم البلد • ثم الطارق • ثم اقتربت •
ثم ص • ثم الاعراف • ثم الجن • ثم يس • ثم الفرقان • ثم فاطر • ثم مريم •
ثم طه • ثم الواقعة • ثم الشعرا • ثم النمل • ثم القصص • ثم بني اسرايل •
ثم يونس • ثم هود • ثم يوسف • ثم الحجر • ثم الانعام • ثم الصافات ••
ثم لقمان • ثم سبا • ثم الزمر • ثم المومن • ثم السجدة • ثم شورى • ثم
الزخرف • ثم الدخان • ثم الجاثية • ثم الاحقاف • ثم الذاريات • ثم
الغاشية • ثم الكهف • ثم النحل • ثم نوح • ثم ابراهيم • ثم الانبيا •
ثم المومنون • ثم تنزيل السجدة • ثم الطور • ثم الملك • ثم الحاقة •
ثم سال سايل • ثم النبا • ثم النازعات • ثم الانفطار • ثم الانشقاق
ثم الروم • ثم العنكبوت **واختلفوا** في اخر ما نزل بمكة فقال ابن عباس
العنكبوت • وقال الضحاك وعطا المومنون • وقال مجاهد التطفيف •
فهذا ترتيب ما نزل من القران بمكة فذلك ثلاثة وثمانون سورة على
ما استقرت عليه روايات الثقاة **واما نزوله بالمدينة** فاحد وثلاثون

سورة

سورة **فاول** ما نزل بالمدينة سورة البقرة • ثم الانفال • ثم آل عمران •
ثم الاحزاب • ثم الممتحنة • ثم النسا • ثم الزلزلة • ثم الحديد • ثم القتال
ثم الرعد • ثم الرحمن • ثم هل اتى • ثم الطلاق • ثم البينة • ثم الحشر •
ثم الفلق • ثم الناس • ثم النصر • ثم النور • ثم الحج • ثم المنافقون • ثم
المجادلة • ثم الحجرات • ثم التحريم • ثم الصف • ثم الجمعة • ثم التغابن •
ثم الفتح • ثم التوبة • ثم المائدة • ومنهم من يقدم المايدة على التوبة
فهذا ترتيب ما نزل من القران بالمدينة **واختلفوا** في سورة الفاتحة
فقيل نزلت بمكة وقيل نزلت بالمدينة وسنذكر ذلك في مواضعها ان شا
الله تعالى **فصل في كون القران نزل على سبعة احرف وما قيل
في ذلك ق** عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام
يقرا سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراته
فاذا هو يقرا على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكدت اساوره في الصلاة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من اقراك
هذه السورة التي سمعتك تقروها قال اقرانيها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اقرانيها على
غير ما قرات فانطلقت به اقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله اني سمعت هذا يقرا سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرا يا هشام فقرا عليه القراة
التي سمعته يقروها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت
ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرا يا عمر فقرات بقراتي التي اقراني
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ان القران انزل على
سبعة احرف فاقرؤا ما تيسر منه **قوله** فكدت اساوره في الصلوة او
اثبه واقاتله وهو في الصلوة والتربص التثبت **قوله** فلببته بردائه
هو بتشديد البا الاولى ومعناه اخذت بمجامع ردائه في عنقه وجذبته
ماخوذ من اللبة وفيه بيان ما كانوا عليه من الاعتنا بالقران والذب
عنه والمحافظة على لفظه كما سمعوه من غير عدول الى ما تجوزه العربية
واما امر النبي صلى الله عليه وسلم عمر بارساله فلانه لم يثبت عنده ما
يقتضي تعزيره ولان عمر انما نسبه الى مخالفته في القراة والنبي صلى الله
عليه وسلم كان يعلم من جواز القراة وجوها ما لا يعلمه عمر ولانه اذا قرا
وهو ملبب لا يتمكن من حضور القلب وتحقيق القراة ما يمكن المطلق **قوله**
ان هذا القران انزل على سبعة احرف فاقروا ما تيسر منه قال العلما سبب
انزاله على سبعة احرف التخفيف والتسهيل • واختلفوا في المراد بسبعة
احرف فقيل هو توسعة وتسهيل ولم يقصد به الحصر • وقال الاكثرون

العدد في سبعة احرف ثم قيل هي في سبع من المعاني كالوعد والوعيد
والمحكم والمتشابه والحلال والحرام والقصص والامثال والامر
والنهي وقيل هي في صورة التلاوة وكيفية النطق بكلمات القران من ادغام
واظهار وتفخيم وترقيق ومد وقصر وامالة لان العرب كانت مختلفة
اللغات في هذه الوجوه فيسر الله تعالى عليهم ليقرا كل انسان بما يوافق
لغته ويسهل على لسانه وقال ابو عبيدة هي سبع لغات من لغات العرب
تميمها ومضرها وهي افصح لغات للعرب واعلاها وقيل هي لغة قريش
وهوازن وهذيل واهل اليمن وقيل السبعة كلها لمضر وحدها وهي
متفرقة في القران العزيز غير مجتمعة في كلمة واحدة وقيل هي مجتمعة
في بعض الكلمات كقوله تعالى وعبد الطاغوت ونرتع ونلعب وباعد
بين اسفارنا وبعذاب بئيس وقيل هي سبع قراءات وهو الصحيح الموافق
للحديث لان هذه السبعة ظهرت واستفاضت عن النبي صلى الله عليه
وسلم وضبطها عنه الصحابة واثبتها عثمان والجماعة في المصاحف واخبروا
بصحتها وحذفوا عنها ما لم يثبت متواترا وان هذه الاحرف تختلف
معانيها تارة والفاظها اخرى وليست متضادة ولا متنافية فاما من
قال ان المراد بالاحرف سبعة معان مختلفة كالاحكام والامثال والقصص
فخطا محض لان النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى جواز القراءة بكل واحد
من الحروف وابدال حرف بحرف وقد تقرر اجماع المسلمين انه يحرم ابدال
اية امثال باية احكام وقول من قال المراد خواتيم الاي فيجعل مكان
غفور رحيم سميع عليم فاسد ايضا وخطا للاجماع على انه لا يجوز تغيير
نظم القران والله اعلم **ق** عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اقراني جبريل على حرف فراجعته فزادني فلم ازل
استزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة احرف معنى الحديث لم ازل اطلب
من جبريل ان يطلب من الله عز وجل فيزيده حتى انتهى الى السبعة **م**
عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال كنت في المسجد فدخل رجل يصلي
فقرا قراءة انكرتها عليه ثم دخل اخر فقرا قراءة سوى قراءة صاحبه فلما
قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
ان هذا قرا قراءة انكرتها عليه ودخل اخر فقرا سوى قراءة صاحبه فامرهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرءا فحسن النبي صلى الله عليه وسلم
شانهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية فلما راى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غشيني ضرب على صدري ففضت
عرقا وكانما انظر الى الله عز وجل فرقا فقال لي يا ابي ارسل الي ان اقرا
على حرف واحد فرددت اليه ان هون على امتي فرد في الثانية ان اقرأه على

سبعة احرف ولك بكل ردة رددتها مسئلة تسالنيها فقلت اللهم اغفر
لامتي اللهم اغفر لامتي واخرت الثالثة ليوم يرغب الي الناس كلهم حتى
ابراهيم **قوله** فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية
معناه وسوس لي الشيطان تكذيبا للنبوة اشد مما كنت عليه في الجاهلية
لانه كان في الجاهلية غافلا او متشككا فوسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب
وقيل معناه انه اعترته حيرة ودهشة ونزغ الشيطان في قلبه تكذيبا
لم يعتقده وهذه الخواطر اذا لم يستمر عليها الانسان لا يؤاخذ بها **قوله**
ضرب في صدري ففضت عرقا قال القاضي عياض ضربه صلى الله عليه
وسلم تثبيتا له حين راه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم **قوله**
وكانما انظر الى الله تعالى فرقا الفرق بالتحريك الخوف والخشية والمعنى
انه غشيه من الهيبة والخوف والعظمة حين ضرب ما ازال عنه ذلك
الخاطر **قوله** ولك بكل ردة رددتها مسالة تسالنيها معناه مسئلة مجابة
قطعا واما باقي الدعوات فمرجوة الاجابة وليست قطعية الاجابة والله
اعلم **روي** البغوي بسنده عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان القران نزل على سبعة احرف لكل اية منه **ويروي** بكل حرف
منه ظهر وبطن ولكل حد مطلع وقيل معناه الظهر ما حدث عن اقوام
انهم عصوا فعوقبوا فهو في الظاهر خبر وفي الباطن عظة وقيل الظهر
التلاوة باللسان كما انزل والبطن التدبر والتفهم والتفكر بالقلب
فالتلاوة باللسان تكون بالتعظيم والتلقين والتدبر والتفهم يكون
بصدق النية وتعظيم الحرمة واخلاص العمل وطيب المطعم من الحلال
المحض **قوله** ولكل حد مطلع معناه فمصعد يصعد اليه من معرفة
علمه وقيل المطلع الفهم وقد يفتح الله تعالى على المتدبر والمتفكر في القران
العزيز من التاويل والمعاني ما لا يفتحه على غيره وفوق كل ذي علم عليم
والله اعلم

فصل في معنى التفسير والتاويل

فاما التفسير
فاصله في اللغة من الفسر وهو كشف ما غطي وهو بيان المعاني المعقولة
فكل ما يعرف به الشيء ومعناه فهو تفسير وقد يقال فيما يختص بمفردات
الالفاظ وغريبها تفسير وقيل هو من التفسرة وهو الدليل الذي ينظر
فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف عن معنى
الاية وشانها وقصتها واما التاويل فاشتقاقه من الاول وهو
الرجوع الى الاصل يقال اولته فال اي صرفته فانصرف وهو رد الشيء
الى الغاية والمراد منه بيان غايته المقصودة منه فالتاويل بيان المعاني
والوجوه المستنبطة الموافقة للفظ الاية والفرق بين التفسير
والتاويل ان التفسير يتوقف على النقل المسموع والتاويل يتوقف على

النهم الصحيح والله اعلم **القول في الاستعاذة ولفظها المختار**
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لموافقة قوله تعالى فاذا قرات القران
فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ومعنى اعوذ بالله التجي الى الله اليه
وامتنع به مما اخشاه من عاذ يعوذ والشيطان اصله من شطن اى
تباعد من الرحمة • وقيل من شاط يشيط اذا هلك واحترق غضبا ٥
والشيطان اسم لكل عادم عات من الجن والانس وشيطان الجن مخلوق من
قوة النار فلذلك فيه القوة الغضبية الرجيم فعيل بمعنى فاعل اى يرجم
بالوسوسة والشر • وقيل بمعنى مفعول اى مرجوم بالشهب عند استراق
السمع • وقيل مرجوم بالعذاب • وقيل مرجوم بمعنى مطرود عن الرحمة
وعن الخيرات وعن منازل الملاء الاعلى **واما حكم الاستعاذة** ففيه
مسايل **المسئلة الاولى** اتفق الجمهور ان الاستعاذة سنة في الصلاة
فلو تركها لم تبطل صلاته سوا تركها عمدا او سهوا • ويستحب لقارى
القران خارج الصلاة ان يتعوذ ايضا وحكي عن عطا وجوبها سوا كانت
في الصلاة او غيرها • وقال ابن سيرين اذا تعوذ الرجل في عمره مرة
واحدة كفى في اسقاط الوجوب • وقيل الوجوب ظاهر قوله تعالى فاستعذ
والامر للوجوب وان النبي صلى الله عليه وسلم واظب على التعوذ فيكون
واجبا ودليل الجمهور ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم الاعرابي
الاستعاذة في جملة اعمال الصلاة وتاخير البيان عن وقته غير جايز
واجيب عن قوله تعالى فاستعذ بان معناه عند جماهير العلما
اذا اردت القراة فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا معناه
اذا اردتم القيام الى الصلاة **واجيب** عن مواظبة النبي صلى الله عليه
عليه وسلم واظب على اشيا كثيرة من افعال الصلاة ليست بواجبة
كتكبيرات الانتقالات والتسبيحات في الصلاة فكان التعوذ مثلها
المسئلة الثانية وقت الاستعاذة قبل القراة عند الجمهور سواء
في الصلاة او خارجها وحكي عن النخعي انه بعد القراة وهو قول داود
واحد الروايتين عن ابن سيرين حجة الجمهور ما روى عن ابي سعيد
الخدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة بالليل
كبر ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا
اله غيرك ثم يقول الله اكبر كبيرا • ثم يقول اعوذ بالله السميع العليم
من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه اخرجه الترمذي وقال
هذا الحديث اشهر حديث في الباب وقد تكلم في بعض رجاله • وقال
احمد لا يصح • ولابي داود والنسائي عن ابي سعيد نحوه • وعن جبير بن
مطعم انه راى النبي صلى الله عليه وسلم قال ولا ادري اى صلاة هي قال

الله اكبر كبيرا الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة
واصيلا ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه
قال نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة اخرجه ابو داود • وقيل
الجنون لان من جن فقد مات • وقيل همزه هو الذي يوسوسه في الصلوة
ونفخه هو الذي يلقيه من الشبه في الصلاة ليقطع عليه صلاته • واحتج
مخالف الجمهور بظاهر قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ واجيب
عنه بما تقدم • وقال مالك لا يتعوذ في المكتوبة ويتعوذ في قيام رمضان
بعد القراة لنا ما تقدم من الادلة **المسئلة الثالثة** المختار من
لفظ الاستعاذة عند الشافعي اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبه قال
ابو حنيفة لموافقة قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم •
ولحديث جبير بن مطعم وقال احمد الاولى ان يقول اعوذ بالله السميع
العليم من الشيطان الرجيم جمعا بين هذه الاية وبين قوله تعالى
فاستعذ بالله انه هو السميع العليم • وقال الثوري والاوزاعي الاولى
ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم وبالجملة
فالاستعاذة تطهر القلب عن كل شي يشغل عن الله تعالى من لطايف الاستعاذة
ان قوله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اقرار من العبد بالعجز والضعف
واعتراف من العبد لقدرة الباري عز وجل وانه الغني القادر عن دفع
جميع المضرات والافات واعتراف العبد ايضا بان الشيطان عدو مبين
ففي الاستعاذة التجا الى الله تعالى القادر على دفع وسوسة الشيطان
الغوي الفاجر وانه لا يقدر على دفعه عن العبد الا الله تعالى والله اعلم •
تفسير سورة الفاتحة وهي سبع ايات بالاتفاق وسبع وعشرون
كلمة ومائة واربعون حرفا واختلف العلما في نزولها • فقيل نزلت بمكة
وهو قول اكثر العلما • وقيل نزلت بالمدينة وهو قول مجاهد • وقيل
نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة وسبب ذلك التنبيه على
شرفها وفضلها ولها عدة اسما وكثرة الاسما تدل على شرف المسمى
وفضله **فالاول** ذلك فاتحة الكتاب سميت بذلك لانها افتتح القران
وبها تفتتح كتابة المصاحف وبها تفتتح الصلاة **الثاني** سورة الحمد سميت
بذلك لافتتاحها بالحمد لله **الثالث** ام القران وام الكتاب سميت بذلك
لانها اصل القران وام كل شي اصله • وقيل هي امام لما يتلوها من السور
الرابع السبع المثاني سميت بذلك لانها تثنى في الصلاة ويقرا بها
في كل ركعة • وقيل لان الله تعالى استثناها لهذه الامة ودخرها لهم
لم ينزلها على غيرهم • وقيل لانها انزلت مرتين **الخامس** الواقية سميت
بذلك لانها لا تنقسم في القراة في الصلاة كما ينقسم في غيرها من السور •

السادس الكافية سميت بذلك لانها تكفي عن غيرها في الصلاة و لا
يكفي عنها غيرها **فصل في ذكر فضلها** خ عن ابي سعيد بن المعلا
قال كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم
اجبه ثم اتيته فقلت يا رسول الله اني كنت اصلي فقال الم يقل الله
استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم قال لي الا اعلمك سورة هي اعظم
السور في القران قبل ان تخرج من المسجد ثم اخذ بيدي فلما اراد ان
يخرج قلت له الم تقل لاعلمنك سورة هي اعظم سورة في القران قال
الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته
رواه مالك في الموطا عنه • وقيل فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم نادى
الى ابن كعب وهو يصلي وذكر نحوه وفيه حتى تعلم سورة ما انزل في التوراة
ولا في الانجيل ولا في الزبور مثلها ورواه الترمذي عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابي وهو يصلي وذكر نحو
رواية الموطا • وقال فيه حديث صحيح حسن عن ابي بن كعب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله في التوراة والانجيل مثل
ام القران وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي ولعبدي
ما سال اخرجه الترمذي والنسائي عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ام القران وام الكتاب والسبع المثاني اخرجه
ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح **م** عن ابن عباس قال
بينا جبريل قاعد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من
فوقه فرفع راسه فقال هذا باب من السما فتح اليوم ولم يفتح قط الا
اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا
اليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب
وخواتيم سورة البقرة ان تقرا بحرف الا اعطيته **قوله** سمع نقيضا
هو بالقاف والضاد المعجمة اي صوتا كصوت فتح الباب **م** عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرا فيها
بام القران فهي خداج هي خداج غير تمام قال فقلت يا ابا
هريرة انا احيانا نكون وراء الامام فغمز ذراعي وقال اقرا بها في
نفسك يا فارسي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
قال الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين
فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سال فاذا قال الحمد لله رب
العالمين قال الله حمدني عبدي • واذا قال الرحمن الرحيم قال اثنى علي
عبدي • واذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي وقال مرة
فوض الي عبدي • واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني

وبين

وبين عبدي ولعبدي ما سال • واذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط
الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي
ولعبدي ما سال **قوله** فهي خداج اي ناقصة فغمز ذراعي اي كبس
ساعدي بيده **قوله** قسمت الصلاة اي اراد بالصلاة هنا القراءة لانه
فسرها بها ولان القراءة جزء من اجزائها **قوله** نصفين حقيقة هذه
القسمة التي جعلها بينه وبين عبده راجعة الى المعنى لا الى اللفظ لان
هذه السورة من جهة المعنى نصفها ثنا ونصفها مسئلة ودعا وقسم
الثنا انتهى عند قوله تعالى اياك نعبد وقوله واياك نستعين من قسم
الدعا ولهذا قال هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال **قوله**
تعالى حمدني عبدي ومجدني اي اثنى علي لان الحمد هو الثنا بجميل الفعال
والتمجيد الثنا بصفات الجلال • وقيل التمجيد التعظيم **قوله** وقوله
ربما فوض الى عبدي وجه مطابقة هذا لقوله مالك يوم الدين يقال
فلان فوض امره الى فلان اذا رده اليه وعول فيه عليه • وفي الحديث
دليل على وجوب قراءة الفاتحة وانها متعينة وهو مذهب الشافعي
وجماعة وستاتي هذه المسئلة ان شا الله تعالى بعد ذكر تفسير الفاتحة
والله اعلم **بسم الله الرحمن الرحيم** البا في بسم
الله حرف خافض يخفض ما بعده مثل من وعن والمتعلق به مضمر محذوف
لدلالة الكلام عليه تقديره ابدا بسم الله او بسم الله ابدا او اقرا وانما
طولت البا في بسم الله واسقطت الالف طلبا للخفة • وقيل لما اسقطوا
الالف ردوا طوله على البا ليدل طولها على الالف المحذوفة واثبت
الالف في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لقلة استعماله • وقيل
انما طولوا البا لانهم ارادوا ان يستفتحوا كتاب الله بحرف معظم • وقيل
البا حرف منخفض الصورة فلما اتصلت بسم الله ارتفعت واستعليت •
وقيل ان عمر بن عبد العزيز كان يقول لكتابه طولوا البا من بسم الله
واظهروا السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله عز وجل والاسم هو
المسمى عينه وذاته قال الله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ثم نادى
الاسم فقال يا يحيى وقال سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك وهذا القول
ليس بقوي والصحيح ان المختار ان الاسم غير المسمى وغير التسمية
فالاسم ما تعرف به ذات الشي وذلك لان الاسم هو الاصوات المقطعة
والحروف المؤلفة الدالة على ذات ذلك الشي المسمى به فثبت بهذا
ان الاسم غير المسمى وايضا قد تكون الاسما كثيرة والمسمى واحد كقوله
تعالى ولله الاسما الحسنى فادعوه بها وقد يكون الاسم واحدا
والمسميات به كثيرة كالاسما المشتركة وذلك يوجب المغايرة وايضا

فقوله فادعوه بها امران بدعا الله تعالى باسمائه فالاسم آلة الدعا
والمدعو هو الله تعالى فالمغايرة حاصلة بين ذات المدعو وبين اللفظ
المدعو به **واجيب** عن قوله فقال انا نبشرك بغلام اسمه يحيى
بان المراد ذات الشخص المعبر عنه بيحيى لا نفس الاسم **واجيب**
عن قوله تعالى فسبح ربك وتبارك اسم ربك بان معنى هذه الالفاظ
الاسم الى الله تعالى واضافة الشى الى نفسه محال • وقيل كما يجب تنزيه
ذاته سبحانه وتعالى عن النقص فكذلك يجب تنزه اسمايه وكون الاسم
غير التسمية هو ان التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف
ذات الشئ فالاسم عباره عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر
واختلفوا في اشتقاق الاسم فقال البصريون من السمو وهو العلو
فاسم الشى باعلاه حتى ظهر به وعلا عليه فكانه على معناه وصار
علما وقال الكوفيون من السمة وهى العلامة فكان علامة لمسماه
وحجة البصريين لو كان اشتقاقه من السمة تصغيره وسيم وجمعه اوسام
واجمعوا على ان تصغيره سمى وجمعه اسما واسامى **الله** هو اسم علم خاص
لله تعالى تفرد به البارى سبحانه وتعالى ليس بمشتق ولا يشركه فيه
احد وهو الصحيح المختار دليله قوله تعالى هل تعلم له سميا يعنى لا يقال
لغير الله • وقيل هو مشتق من اله ياله الاهه مثل عبد الرجل يعبد
عبادة دليله ويذرك والهتك اى وعبادتك ومعناه المستحق للعبادة
دون غيره • وقيل من الوله اي الفزع لان الخلق يولهون اليه اى يفزعون
اليه فى حوايجهم • قال بعضهم ولهت اليكم فى بلايا تنوبنى • فالفيتكم فيها
كرايم محتد • وقيل اصله اله يقال الهت الى فلان اى سكنت اليه فكان
الخلق يسكنون اليه ويطمينون لذكره • وقيل اصله ولاه فابدلت الواو
همزة سمى بذلك لان كل مخلوق واله نحوه اما بالتحير او بالارادة ومن
هذا قيل الله محبوب كل الاشيا يدل عليه وان من شى الا يسبح بحمده
ومن خصايص هذا الاسم انك اذا حذفت منه شيا بقى الباقى يدل
عليه فان حذفت الالف بقى لله وان حذفت اللام واثبت الالف
بقى اله وان حذفتهما بقى له وان حذفت الالف واللامين معا بقى هو
والواو عوض عن الضمة • وذهب بعضهم الى ان هذا الاسم هو الاسم
الاعظم لانه يدل على الذات وباقى الاسما تدل على الصفات **الرحمن**
الرحيم قال ابن عباس وهما اسمان رفيقان احدهما ارق من الاخر وقيل
هما بمعنى مثل ندمان ونديم ومعناهما ذو الرحمة وانما جمع بينهما للتاكيد
وقيل ذكر احدهما بعد الاخر تطميعا لقلوب الراغبين اليه وقيل الرحمن
فيه معنى العموم والرحيم فيه الخصوص فالرحمن بمعنى الرزاق فى الدنيا

وهو على العموم لكافة الخلق المومن والكافر والرحيم بمعنى العفو والكافى
للمومنين فى الاخرة فهو على الخصوص ولذلك قيل رحمن الدنيا ورحيم
الاخرة ورحمه الله اي ارادة الخير والاحسان لاهله • وقيل هى ترك
عقوبة من يستحق العقاب واسدا الخير والاحسان الى من لا يستحق فهو
على الاول صفة ذات وعلى الثانى صفة فعل • وقيل الرحمن يكشف
الكروب • والرحيم يغفر الذنوب • وقيل الرحمن بتبيين الطريق والرحيم
بالعصمة والتوفيق **فصل فى حكم البسملة** وفيه مسئلتان
الاولى فى كون البسملة وغيرها من الفاتحة من السور سوى سورة براءة
اختلف العلما فى ذلك فذهب الشافعى وجماعة من العلما الى انها اية من
الفاتحة ومن كل سورة ذكرت فى اولها سوى سورة براءة وهو قول ابن
عباس وابن عمر وابى هريرة وسعيد بن جبير وعطا وابن المبارك واحمد
فى احد الروايتين عنه واسحاق • ونقل البيهقى هذا القول عن على بن
ابى طالب والزهرى والثورى ومحمد بن كعب • وذهب الاوزاعى ومالك
وابو حنيفة ان البسملة ليست اية من الفاتحة زاد ابو داود ولا من غيرها
من السور مع القطع بانها من الفاتحة • واما حجة من منع كون البسملة
اية من الفاتحة ومن غيرها حديث انس المشهور المخرج فى الصحيحين
وحديث عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة
والتكبير والقراة بالحمد لله رب العالمين والواو لان اول ما نزل به
جبريل اقرا باسم ربك الذى خلق ولم يذكر البسملة فى اولها فدل على
انها ليست منها فالواو لان محل القراة لا يثبت الا بالتواتر والاستفاضة
ولان الصحابة اجمعوا على عدد كثير من السور • منها سورة الملك
ثلاثون اية وثلاث الكوثر ثلاث ايات وسورة الاخلاص اربع ايات
فلو كانت البسملة منها لكانت خمسة • واما حجة من ذهب الى
اثباتها فى اوايل السور من جهة النقل فقد صح عن ام سلمة ان النبى
صلى الله عليه وسلم قرا البسملة فى اول الفاتحة فى الصلاة وعدها اية
منها **وعن ابن عباس** فى قوله ولقد اتيناك سبعا من المثانى والقران
العظيم قال هى فاتحة الكتاب قال فاين السابعة قال بسم الله الرحمن الرحيم
اخرجهما ابن خزيمة **وروى** عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم
كان لا يعلم فصل السورة • وفى رواية انقضا السورة حتى ينزل عليه •
بسم الله الرحمن الرحيم اخرجه ابو داود والحاكم ابو عبد الله فى مستدركه
وقال فيه انه صحيح على شرط الشيخين **وروى** الدارقطنى عن ابى
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قراتم الحمد لله
فاقروا بسم الله الرحمن الرحيم فانها ام القران وام الكتاب والسبع المثانى

وبسم الله الرحمن الرحيم احدا اياتها قال الدارقطني في اسناده رجال كلهم
ثقاة وروي موقوفا **وروى** الدارقطني عن ام سلمة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يقرا بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين
الى اخرها قطعها اية اية وعدها عد الاعراب وعد بسم الله الرحمن الرحيم
اية ولم يعد عليهم **واخرج** مسلم في افراده عن انس قال بينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا اذ اغفا اغفوة ثم رفع راسه متبسما
فقلنا ما اضحكك يا رسول الله قال انزلت علي انفا سورة فقرا بسم الله
الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر الحديث قال البيهقي احسن ما احتج
به اصحابنا في ان بسم الله الرحمن الرحيم من القران وانها من فواتح
السور سوى سورة براءة ما روينا في جمع الصحابة كتاب الله عز وجل
في المصاحف وانهم كتبوا فيها بسم الله الرحمن الرحيم على راس كل سورة
سوى سورة براءة فكيف يتوهم متوهم انهم كتبوا فيها مائة وثلاثة
عشر اية ليست من القران • قال وقد علمنا بالروايات الصحيحة عن
ابن عباس انه كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم اية من الفاتحة **وروى**
الشافعي بسنده عن ابن عمر انه كان لا يدع بسم الله الرحمن الرحيم لام القران
والسورة التي بعدها زاد غيره عنه انه كان يقول لما كتب في المصحف لم
لم تقرا **وروى** الشافعي عن ابن عباس انه كان يفعله ويقول انتزع
الشيطان منهم خير اية في القران • وفي افراد البخاري من حديث انس
انه سئل كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت
مدا ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم يمد الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم
فقد ثبت بهذه الادلة الصحيحة الواضحة ان البسملة من الفاتحة
ومن كل موضع ذكرت فيه • وايضا فاجمعوا الصحابة على اثباتها في
المصاحف وانهم طلبوا بكتابة المصاحف تجريد كلام الله عز وجل المنزل
على محمد صلى الله عليه وسلم قرانا وتدوينه من ان يزيدوا فيه وينقصوا
منه ولهذا لم يكتبوا فيه لفظة امين وان كان قد ورد انه كان يقولها
بعد الفاتحة فلو لم تكن البسملة من القران في اول السور لما كتبوها
وكان حكمها حكم امين **المسالة الثانية** في حكم الجهر بالبسملة والاسرار
اذا ثبت بما تقدم من الادلة ان البسملة اية من الفاتحة ومن غيرها
من السور فيجهر بها مع الفاتحة في الصلاة الجهرية وليس بها مع
الفاتحة في الصلاة السرية • وممن قال بالجهر من الصحابة ابو
هريرة وابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومن التابعين ومن بعدهم
سعيد بن جبير وابو قلابة والزهري وعكرمة وعطا وطاووس ومجاهد
وعلي بن الحسين وسالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي وابن سيرين

وابن

وابن المنكدر ونافع مولى ابن عمر وزيد بن اسلم ومكحول بن عبد العزيز
وعمرو بن دينار ومسلم بن خالد واليه ذهب الشافعي واحد قولي ابن
وهب صاحب مالك • **ويحكى** ايضا عن ابن المبارك وابي ثور •
وممن ذهب الى الاسرار بها من الصحابة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن
مسعود وعمار بن ياسر وابن مغفل وغيرهم ومن التابعين فمن بعدهم
الحسن والشعبي وابراهيم النخعي وقتادة والاعمش والثوري واليه
ذهب مالك وابو حنيفة واحمد وغيرهم **اما حجة** من قال بالجهر
فقد روي جماعة من الصحابة • منهم ابو هريرة وابن عباس وانس وعلي
ابن ابي طالب وسمرة بن جندب وام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم جهر
بالبسملة • فمنهم من صرح بذلك • ومنهم من فهم ذلك من عبارته ولم
يرد في صريح الاسرار بها عن النبي صلى الله عليه وسلم الا روايتان
احدهما ضعيفة وهي رواية عبد الله بن مغفل والاخرى عن انس وهي
في الصحيح وهي معللة بما اوجب سقوط الاحتجاج بها **وروى** نعيم
ابن عبد الله المجمر قال صليت وراء ابي هريرة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم
ثم قرا بام القران وذكر الحديث وفيه ثم يقول اذا سلم اني لاشبهكم
صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه النسائي وابن خزيمة في
صحيحه وقال اما بالجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فقد ثبت وصح عن النبي
صلى الله عليه وسلم **وروى** الدارقطني بسنده عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرا وهو يؤم الناس افتتح ببسم الله
الرحمن الرحيم اخرجه الدارقطني ليس في رواته مجروح واخرجه الحاكم
ابو عبد الله وقال اسناده صحيح وليس له علة • وفي رواية عن ابن عباس
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن
الرحيم اخرجه الدارقطني • وقال صحيح ليس في اسناده مجروح واخرجه
الترمذي وقال ليس اسناده كذلك • قال الشيخ ابو شامة اي لا يماثل
اسناده ما في الصحيح ولكن اذا انضم الى ما تقدم من الادلة رجح على ما في
الصحيح **وعن انس** قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة
ببسم الله الرحمن الرحيم اخرجه الدارقطني وقال اسناده صحيح وفيه عن
محمد بن ابي السري العسقلاني قال صليت خلف المعتمر بن سليمان ما لا
احصي صلاة الصبح والمغرب فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة
وبعدها • وسمعت المعتمر يقول ما الوي ان اقتدي بصلاة انس بن مالك
وقال انس بن مالك ما الوي ان اقتدي بصلاة رسول الله صلى الله عليه
وسلم اخرجه الدارقطني وقال كلهم ثقات واخرجه الحاكم ابو عبد الله وقال
رواة هذا الحديث عن اخرهم كلهم ثقات **قلت** وفي الباب احاديث

وادلة وايرادات واجوبة من الجانبين يطول ذكرها وفي هذا القدر
كفاية وبالله التوفيق قوله عز وجل **الحمد لله** لفظة خبر
كانه سبحانه وتعالى يخبر ان المستحق للحمد هو الله تعالى ومعناه الامر
اى قولوا الحمد لله وفيه تعليم الخلق كيف يحمدونه والحمد والمدح اخوان •
وقيل بينهما فرق وهو ان المدح قد يكون للاحسان وبعده والحمد لا
يكون الا بعد الاحسان • وقيل المدح قد يكون منهيا عنه واما الحمد فمامور
به والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى الثنا بجميل الافعال
تقول حمدت الرجل على علمه وكرمه والشكر لا يكون الا على النعمة
فالحمد اعم من الشكر اذ لا تقول شكرت فلانا على علمه فكل حامد شاكر
وليس كل شاكر حامد • وقيل الحمد باللسان قولا والشكر بالاركان فعلا
والحمد ضد الذم واللام فى لله لام الاستحقاق كقوله الدار لزيد يعنى
انه المستحق للحمد لانه المحسن المتفضل على كافة الخلق على الاطلاق •
رب العالمين بمعنى المالك كما يقال رب الدار ورب الشى اى مالكه
ويكون بمعنى التربية والاصلاح يقال رب فلان الضيعة يربها
اذا اصلحها فالله تعالى مالك العالمين ومربيهم ومصلحهم ولا يقال
الرب للمخلوق معرفا بل يقال رب الشى مضافا والعالمين جمع عالم
لا واحد له من لفظه وهو اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل
فيه جميع الخلق • وقال ابن عباس هم الجن والانس لانهم المكلفون ۞
بالخطاب • وقيل العالم اسم لذوى العلم من الملايكة والجن والانس
ولا يقال للبهايم عالم لانها لا تعقل • واختلف فى مبلغ عددهم • فقيل
لله الف عالم ستماية عالم فى البحر واربعماية فى البر وقيل ثمانون الف
عالم اربعون الفا فى البر ومثلهم فى البحر • وقيل ثمانية عشر الف عالم
الدنيا منها عالم واحد وما العمران فى الخراب الا كفسطاط فى صحرا
الفسطاط الخيمة واشتقاق العالم من العلم • وقيل من العلامة وانما
سمى بذلك لانه دال على الخالق سبحانه وتعالى **الرحمن الرحيم** فالرحمن
هو المنعم بما لا يتصور صدور تلك النعمة من العباد والرحيم هو المنعم
بما يتصور صدور تلك النعمة من العباد فلا يقال لغير الله رحمن
ويقال لغيره من العباد رحيم • فان **قلت** قد سمى مسيلمة الكذاب
برحمن اليمامة وهو قول شاعرهم • وانت غيث الورى ما زلت رحمانا
قلت هو من باب تعنتهم فى كفرهم ومبالغتهم فى مدح صاحبهم فلا
يلتفت الى قولهم هذا • فان قلت قد ذكر الرحمن الرحيم فى البسملة
فما فايدة تكريره هنا مرة ثانية قلت ليعلم ان العناية بالرحمة
اكثر من غيرها من الامور وان الحاجة اليها اكثر فنبه سبحانه وتعالى

بتكرير

بتكرير الرحمة على كثرتها وانه هو المتفضل على خلقه قوله تعالى **مالك
يوم الدين** يعنى انه تعالى صاحب ذلك اليوم الذى يكون فيه الجزا
والملك هو المتصرف بالامر والنهى • وقيل هو القادر على اختراع الاعيان
من العدم الى الوجود ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى وقيل ملك
اوسع من مالك لانه يقال مالك العبد والدابة ولا يقال ملك هذه
الاشيا ولانه لا يكون ملكا للشى الا وهو يملكه وقد يكون مالكا للشى ولا
يملكه • وقيل مالك اولى لان كل ملك مالك وليس كل مالك ملك •
وقيل هما بمعنى واحد فرهين وفارهين • قال ابن عباس مالك يوم
الدين قاضى يوم الحساب • وقيل الدين الجزا يقع على الخير والشر يقال
كما تدين تدان وقيل هو يوم لا ينفع فيه الا الدين • وقيل الدين القهر
يقال دنته فدان اى قهرته فذل • فان قلت لم خص يوم الدين
بالذكر مع كونه مالكا للايام كلها • قلت لان ملك الاملاك يوميذ
زايله فلا ملك ولا امر يوميذ الا لله تعالى كما قال تعالى الملك يوميذ
الحق للرحمن وقال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقد يسمى فى دار
الدنيا احاد الناس بالملك وذلك على المجاز لا على الحقيقة قوله
تعالى **اياك نعبد** رجع من الخبر الى الخطاب وفايدة ذلك من اول
السورة الى هنا ثنا والثنا فى الغيبة اولى من قوله اياك نعبد دعا
والخطاب فى الدعا اولى • وقيل فيه ضمير اى قولوا اياك نعبد والمعنى
اياك نخص بالعبادة ونوحدك ونطيعك خاضعين لك والعبادة
اقصى غاية الخضوع والتذلل وسمى العبد عبدا لذلته وانقياده •
وقيل العبادة عبارة عن الفعل الذى يودى به الغرض لتعظيم الله تعالى
فقول العبد اياك نعبد معناه لا اعبد احدا سواك والعبادة غاية
التذلل من العبد ونهاية التعظيم للرب سبحانه لانه العظيم المستحق
للعبادة ولا تستعمل العبادة الا فى الخضوع لله تعالى لانه مولى اعظم
النعم وهى ايجاد العبد من العدم الى الوجود ثم هداه الى دينه فكان
العبد حقيقا بالخضوع والتذلل له **واياك نستعين** اى منك نطلب
المعونة على عبادتك وعلى جميع امورنا **فان قلت** الاستعانة
على العمل انما تكون قبل الشروع فيه فلم اخر الاستعانة على العبادة
وما الحكمة فيه **قلت** ذكروا فيه وجوها • احدها ان هذا يلزم من يجعل
الاستطاعة قبل الفعل ونحن بحمد الله نجعل التوفيق والاستطاعة مع
الفعل فلا فرق بين التقديم والتاخير • الثانى ان الاستعانة نوع تعبد
فكانه ذكر جملة العبادة اولا ثم ذكرها هو فى تفاصيلها ثانيا • الثالث
كان العبد يقول شرعت فى العبادة فانا استعين بك على اتمامها فلا يمنعنى

من اتمامها مانع • الرابع انه لما قال العبد اذا قال اياك نعبد حصل له
العجز وذلك منزلة عظيمة فيحصل بسبب ذلك العجب فاردف ذلك
بقوله واياك نستعين فيزول ذلك العجب الحاصل بسبب تلك العبادة
اهدنا الصراط المستقيم اى ارشدنا وقيل ثبتنا وهو كما تقول للقايم
قم حتى اعود اليك ومعناه دم على ما انت عليه وهذا الدعا من المومنين
مع كونهم على الهداية بمعنى سوال التثبت وطلب مزيد الهداية لان
الالطاف والهدايات من الله لا تتناهى وهذا مذهب اهل السنة
والصراط الطريق قال جرير امير المومنين ان يكونوا على صراط اذا اعوج
الرد الى مستقيم اى على طريقة حسنة قال ابن عباس هو دين الاسلام
وقيل هو القران وروى ذلك مرفوعا وقيل السنة والجماعة وقيل
معناه اهدنا صراط المستحقين للجنة **صراط الذين انعمت عليهم**
هذا بدل من الاول اى الذى مننت عليهم بالهداية والتوفيق
وهم الانبيا والمومنون الذين ذكرهم الله فى قوله اولئك الذين انعم
الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين • وقال
ابن عباس هم قوم موسى وعيسى الذين لم يغيروا ولم يبدلوا • وقيل
هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واهل بيته **غير المغضوب عليهم**
يعنى غير صراط الذين غضبت عليهم والغضب فى الاصل هو ثوران دم
القلب ارادة الانتقام • ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا
الغضب فانه جمرة تتوقد فى قلب ابن ادم الم تروا الى انتفاخ اوداجه
وحمرة عينيه واذا وصف الله به فالمراد منه الانتقام فقط دون غيره
وهو انتقامه من العصاة وغضب الله لا يلحق عصاة المومنين وانما
يلحق الكافرين **ولا الضالين** اى وغير الضالين عن الهدى واصل
الضلال الغيبوبة والهلاك يقال ضل الما فى اللبن اذا غاب فيه
وهلك • وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى
عن عدى بن حاتم عن النبى صلى الله عليه وسلم اليهود مغضوب عليهم
والنصارى ضلال اخرجه الترمذى وذلك لان الله تعالى حكم على
اليهود بالغضب فقال من لعنه الله وغضب عليه وحكم على النصارى
بالضلال فقال ولا تتبعوا اهوا قوم قد ضلوا من قبل • وقيل غير
المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة والله اعلم •

فصل فى امين وحكم الفاتحة وفيه مسيلتان • الاولى
السنة للقارى بعد فراغه من الفاتحة ان يقول امين مفصولا عنها
بسكتة وهو مخفف وفيه لغتان المد والقصر قال فى المد ويرحم الله
عبدا قال امين وقال فى القصر امين وزاد الله ما بيننا بعدا ومعنى

امين

امين اللهم اسمع واستجب وقال ابن عباس معناه كذلك يكون • وقيل
هو اسم من اسما الله تعالى • وقيل هو خاتم الله على عباده يدفع به عنهم
الاثام **ق** عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا
امن الامام فامنوا فان من وافق تامينه تامين الامام غفر له ما تقدم
من ذنبه • قال ابن شهاب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول امين • وفى رواية للبخارى ان الامام اذا قرا غير المغضوب عليهم
ولا الضالين فقولوا امين فان الملايكة تقول امين فان من وافق تامينه
تامين الملايكة غفر له ما تقدم من ذنبه **قوله** لمن وافق تامينه
تامين الملايكة معناه وافقهم فى وقت التامين فامن مع تامينهم وقيل
وافقهم فى الصفة والخشوع والاخلاص والقول الاول هو الصحيح •
واختلفوا فى هولا الملايكة • فقيل هم الحفظة • وقيل غيرهم من الملايكة
قوله غفر له ما تقدم من ذنبه يعنى تغفر له الذنوب الصغاير
دون الكباير • وقول ابن شهاب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول امين معناه صيغة تامينه صلى الله عليه وسلم **المسالة
الثانية** فى حكم الفاتحة اختلف العلما فى وجوب قراة الفاتحة فذهب
مالك والشافعى واحمد وجمهور العلما الى وجوب الفاتحة وانها
متعينة فى الصلاة ولا تجزى الا بها واحتجوا بما روى عبادة بن الصامت
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يقرا فيها بفاتحة
الكتاب اخرجاه فى الصحيحين • وبحديث ابى هريرة من صلى صلاة لم
يقرا فيها بفاتحة الكتاب فهى خداج ثلاثا غير تمام الحديث وقد تقدم
فى فضل سورة الفاتحة • وذهب ابو حنيفة الى ان الفاتحة لا تتعين
على المصلى بل الواجب عليه قراة اية من القران طويلة او ثلاث ايات
قصار واحتج بقوله تعالى فاقروا ما تيسر منه • وبقوله صلى الله
عليه وسلم فى حديث الاعرابى المسئ صلاته ثم اقرا ما تيسر معك من
القران اخرجاه فى الصحيحين دليل الجمهور ما تقدم من الاحاديث
فان قيل المراد من الحديث لا صلاة كاملة **قلت** هذا خلاف
ظاهر لفظ الحديث وما يدل عليه حديث ابى هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تجزى صلاة لمن لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب
اخرجه الدارقطنى وقال اسناده صحيح وعنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم امره ان يخرج فينادى لا صلاة الا بفاتحة الكتاب فما زاد
اخرجه ابو داود • **واجيب** عن حديث الاعرابى بانه محمول على
الفاتحة فانها متيسرة او على ما زاد على الفاتحة او على العاجز عن قراة
الفاتحة والله اعلم **تفسير سورة البقرة** قال ابن عباس

هي اول ما نزل بالمدينة قيل سوى اية وهي قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فانها نزلت يوم النحر بمكة في حجة الوداع • وهي مايتان وست وقيل سبع وثمانون اية وستة الاف ومائة واحدى وعشرون كلمة وخمسة وعشرون الف حرف

فصل في فضلهما

م عن ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقروا القران فانه ياتي يوم القيامة شفيعا لاصحابه اقرؤا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما ياتيان يوم القيمة كانهما غمامتان او غيابتان اوكانهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما اقروا البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة • قال معاوية وابن سلام بلغني ان البطلة السحرة **قوله** اقروا الزهراوين سميتا بذلك لنورهما يقال لكل مستنير زاهر **قوله** كانهما غمامتان او غيابتان قال اهل اللغة الغمامة والغيابة كل شي اظل الانسان فوق راسه من سحابة وغيرها والمعنى ان ثوابهما ياتي كغمامتين **قوله** فرقان من طير صواف الفرق الجماعة من الطير والصواف جمع صافة وهي التي تصف اجنحتها عند الطيران المحاجة المجادلة والمخاصمة واظهار الحجة والبطلة السحرة كما جا في الحديث مبينا يقال ابطل اذا جا بالباطل • وفي الحديث دليل على جواز قول سورة البقرة وسورة ال عمران • وكذا باقي السور والصواب هو الاول وبه قال الجمهور لورود النص به • عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم مقابر ان الشيطان ينفر من البيت الذي تقرا فيه سورة البقرة • وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شي سنام وان سنام القران سورة البقرة وفيها اية هي سيدة آي القران اية الكرسي اخرجه الترمذي وقال حديث غريب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **الم** قيل ان حروف الهجا في اوايل السور من المتشابه الذي استاثر الله بعلمه وهي سر الله في القران فنحن نومن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله تعالى وفايدة ذكرها طلب الايمان بها قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه في كل كتاب سر وسر الله في القران اوايل السور • وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوه هذا الكتاب حروف التهجي واورد على هذا القول بانه لا يجوز ان يخاطب الله عباده بما لا يعلمون • **واجيب** عنه بانه يجوز ان يكلف عباده بما لا يعقل معناه كرمي الجمار فانه لا يعقل معناه والحكمة فيه هو كمال الانقياد والطاعة فكذلك هذه الحروف يجب الايمان بها ولا يلزم البحث عنها • وقال اخرون من اهل العلم هي

معروفة المعاني • ثم اختلفوا فيها فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من اسما الله تعالى فالالف مفتاح اسمه الله • واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد • وقيل الالف الا الله • واللام لطفه • والميم ملكه ويويد هذا ان العرب تذكر حرفا من كلمة تريد كلها قال الراجز

• قلت لها قفي فقالت قاف • لا تحسبي انا نسينا الايجاف •

قولها قاف اي وقفت فاكتفت بجزء الكلمة عن كلها والايجاف الاسراع في السير • قال ابن عباس الم انا الله اعلم • وقيل هي اسما الله مقطعة لو علم الناس تاليفها لعلموا اسم الله الاعظم • الا ترى انك تقول الر وحم • ون • فيكون مجموعها الرحمن وكذلك سايرها ولذلك من يهتدي تاليفها جميعا • وقيل اسما السور وبه قال جماعة من المحققين • وقال ابن عباس هي اقسام • وقيل اقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لانها مباني كتبه المنزلة واسمايه الحسنى وصفاته العليا وانما اقتصر على بعضها وان كان المراد كلها فهو كما تقول قرات الحمد لله وتريد انك قرات السورة بكمالها فانه تعالى اقسم بهذه الحروف ان هذا الكتاب هو الكتاب المثبت في اللوح المحفوظ • وقيل ان الله تعالى لما تحداهم بقوله فاتوا بسورة من مثله بعشر سور من مثله فعجزوا عنه انزل هذه الاحرف ومعناه ان القران ليس هو الا من هذه الاحرف وانتم قادرون عليها فكان يجب ان ياتوا بمثله فلما عجزتم عنه دل ذلك على انه من عند الله لا من عند البشر • وقيل انهم اعرضوا عن سماع القران فاراد الله صلاح بعضهم انزل هذه الاحرف فكانوا اذا سمعوها قالوا كالمتعجبين اسمعوا الى ما يجي به محمد صلى الله عليه فاذا اصغوا اليه وسمعوه رسخ في قلوبهم فكان ذلك سببا لايمانهم • وقيل ان الله تعالى حير عقول الخلق في ابتدا خطابه ليعلموا ان لا سبيل لاحد الى معرفة خطابه الا باعترافهم بالعجز عن معرفة كنه حقيقة خطابه • **واعلم** ان مجموع الاحرف المنزلة في اول السور اربعة عشر حرفا في تسع وعشرين سورة وهي الالف واللام • والميم • والصاد • والرا • والظا • والها • واليا • والعين • والطا • والسين • والحا • والقاف • والنون • وهي نصف حروف المعجم وسياتي الكلام على باقيها في مواضعها ان شا الله تعالى

وقوله تعالى **ذلك الكتاب** اي هذا الكتاب هو القران وقيل فيه اضمار والمعنى هذا الكتاب الذي وعدتك به وكان الله قد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم بتنزل عليه كتابا لا يمحوه الما ولا يخلق على كثرة الرد • فلما انزل القران قال هذا ذلك الكتاب الذي وعدتك به • وقيل ان الله وعد بني اسرايل ان ينزل كتابا ويرسل رسولا من

بنى اسماعيل فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وبها
من اليهود خلق كثير انزل الله هذه الاية • الم ذلك الكتاب اى هذا
الكتاب الذى وعدت به على لسان موسى ان انزله على النبى الذى من
ولد اسماعيل والكتاب مصدر بمعنى المكتوب واصله الضم والجمع ومنه
يقال للجند كتيبة لاجتماعها فسمى الكتاب كتابا لانه يجمع الحروف بعضها
الى بعض والكتاب اسم من اسما القران **لا ريب فيه** اى لا شك فيه انه
من عند الله وانه الحق والصدق • وقيل هو خبر بمعنى النهى اى لا ترتابوا
فيه **فان قلت** قد ارتاب به قوم فما معنى لا ريب فيه **قلت**
معناه انه فى نفسه حق وصدق فمن حقق النظر عرف حقيقة ذلك
هدى للمتقين الهدى عبارة عن الدلالة • وقيل هى دلالة تلطف
وقيل الهداية الارشاد والمعنى هو هدى للمتقين • وقيل هو هاد لا
ريب فى هدايته والمتقى اسم فاعل من وقاه فاتقى والتقوى جعل النفس
فى وقاية مما يخاف • وقيل التقوى فى عرف الشرع حفظ النفس مما
يوثم وذلك بترك المحظور وبعض المناجاة • قال ابن عباس المتقى
من يتقى الشرك والكباير والفواحش وهو ماخوذ من الاتقا واصله
الحجز بين الشيئين يقال اتقى بترسه اذا جعله حاجزا بينه وبين ما
يقصده • وفى الحديث كنا اذا اشتد الباس اتقينا برسول الله صلى
الله عليه وسلم معناه انا كنا اذا اشتد الحرب جعلنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم حاجزا بينه وبين النار • وقيل المتقى هو من لا يرى
نفسه خيرا من اخر • وقيل التقوى ترك ما حرم الله واد اما افترض
وقيل التقوى ترك الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة
وقيل التقوى ان لا يراك مولاك حيث نهاك • وقيل التقوى
الاقتدا بالنبى صلى الله عليه وسلم واصحابه • وفى الحديث جماع التقوى
فى قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية • وقيل المتقى
هو الذى يترك ما لا باس به وخص المتقين بالذكر تشريفا لهم لان
مقام التقوى مقام شريف عزيز لانهم هم المنتفعون بالهداية ولو لم
يكن للمتقين فضل الا قوله هدى للمتقين لكفاهم **فان قلت**
كيف قال هدى للمتقين والمتقون هم المهتدون **قلت** هو كقولك
للعزيز الكريم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة له الى ما هو ثابت
فيه كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم **الذين يومنون بالغيب**
اى يصدقون بالغيب واصل الايمان فى اللغة التصديق قال تعالى
وما انت بمومن لنا اى بمصدق فاذا فسر الانسان بهذا فانه لا يزيد
ولا ينقص لان التصديق لا يتجزى حتى يتصور كماله مرة ونقصانه

اخرى

اخرى والايمان فى لسان الشرع عبارة عن التصديق بالقلب والاقرار
باللسان والعمل بالاركان واذا فسر بهذا فانه يزيد وينقص وهو مذهب
اهل السنة من اهل الحديث وغيرهم • وفايدة هذا الخلاف تظهر فى مسئلة
وهى ان المصدق بقلبه اذا لم يجمع الى تصديق العمل بموجب الايمان من
الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك من اركان الدين هل يسمى
مومنا ام لا فيه خلاف والمختار عند اهل السنة انه لا يسمى مومنا
لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مومن
فنفى عنه اسم الايمان او كمال الايمان وانكر اكثر المتكلمين زيادة
الايمان ونقصانه وقيل متى قبل الزيادة والنقص كان ذلك شكا
وكفرا • وقال المحققون من متكلمى اهل السنة ان نفس التصديق
لا يزيد ولا ينقص والايمان الشرعى يزيد وينقص بزيادة الاعمال
ونقصانها وبهذا امكن الجمع بين ظواهر نصوص الكتاب والسنة وقد
جات بزيادة الايمان ونقصانه واصله من اللغة • وقال بعض
المحققين ان نفس التصديق قد يزيد وينقص بكثرة النظر فى الادلة
والبراهين وقلة امعان النظر فى ذلك ولهذا يكون ايمان الصديقين
اقوى واثبت من ايمان غيرهم لانهم لا تعتريهم شبهة فى ايمانهم ولا
تزلزل • واما غيرهم من احاد الناس فليس كذلك اذ لا يشك
عاقل ان نفس تصديق ابى بكر رضى الله عنه لا يساويه تصديق
غيره من احاد الامة • وقيل انما سمى الاقرار والعمل ايمانا لوجه
المناسبة لانه من شرايعه • والدليل على ان الاعمال من الايمان
ما روى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله وسلم الايمان
بضع وسبعون شعبة افضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة
الاذى عن الطريق • والحيا شعبة من الايمان اخرجاه فى الصحيحين
البضع بكسر البا ما بين الثلاثة الى العشرة والشعبة القطعة من
الشى واماطة الاذى عن الطريق هو عزل الحجر والشوك ونحو ذلك
عنه والحيا بالمد هو انقباض النفس عن فعل القبيح • وانما جعل
من الايمان وهو اكتساب لان المستحى ينزجر باستحيايه عن المعاصى
فصار من الايمان • وقيل الايمان ماخوذ من الامن فسمى المومن
مومنا لانه يومن نفسه من عذاب الله • والاسلام هو الانقياد
والخضوع فكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمان اذ لم يكن معه
تصديق • وذلك ان الرجل قد يكون مستسلما فى الظاهر غير مصدق
فى الباطن **ق** عن ابى هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوما بارزا للناس فاتاه رجل فقال يا رسول الله ما الايمان قال

ان تومن بالله وملايكته وكتابه ولقايه ورسله وتومن بالبعث الاخر
قال يا رسول الله ما الاسلام • قال ان تعبد الله لا تشرك به شيا
وتقيم الصلاة المكتوبة وتودى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان •
قال يا رسول الله متى الساعة قال ما المسوول عنها باعلم من السايل
ولكن ساحدثك عن اشراطها اذا ولدت الامة ربتها فذاك من
اشراطها واذا كانت العراة الحفاة روس الناس فذاك من اشراطها
واذا تطاول رعا البهم فى البنيان فذاك من اشراطها فى خمس لا يعلمهن
الا الله • ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم
الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام الى قوله عليم خبير •
قال ثم ادبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا على
هذا الرجل فاخذوا ليردوه فلم يروا شيا • فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هذا جبريل جا ليعلم الناس دينهم • وفى افراد مسلم
من حديث عمر بن الخطاب نحو هذا الحديث وبمعناه وقد تقدم
الكلام على معنى الايمان والاسلام وهى اشيا تتعلق بمعنى الحديث
فقوله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا اى ظاهرا
وقوله وتومن بالله ولقايه وتومن بالبعث الاخر هو بكسر الخاء
وقيل فى الجمع بين قوله وتومن بلقا الله وبالبعث فان اللقا يحصل
بمجرد الانتقال الى الدار الاخرة وهو الموت والبعث هو بعده
عند قيام الساعة وفى تقييده بالاخر وجه اخر وهو ان خروجه
الى الدنيا بعث من الارحام وخروجه من القبر الى الاخرة بعث
اخر قوله ما الاحسان هو هنا الاخلاص فى العمل وهو شرط فى
صحة الايمان والاسلام لان من اتى بلفظ الشهادة واتى بالعمل
من غير اخلاص لم يكن محسنا • وقيل اراد بالاحسان المراقبة
وحسن الطاعة فان من راقب الله حسن عمله وهو المراد بقوله
فان لم تكن تراه فانه يراك واشراط الساعة علاماتها التى تظهر
قبلها • قوله اذا ولدت الامة ربها يعنى سيدها والمعنى ان الرجل
تكون له الامة فتلد له ولدا فيكون ذلك الولد ابنها وسيدها
ورعا البهم بكسر الرا وفتح البا واسكان الها من البهم وهى الصغار من
اولاد الضان والمعنى انه يبسط المال على اهل البادية واشباههم
حتى يتباهون فى البنا ويسودون الناس فذلك من اشراط الساعة
والله اعلم قوله تعالى بالغيب الغيب مصدر وضع موضع الاسم
فقيل للغايب غيب وهو ما كان مغيبا عن العيون • قال ابن عباس
الغيب هنا كلما امرت بالايمان به مما غاب عن بصرك من الملايكة •

ما الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال يا رسول الله

والبعث

والبعث والجنة والنار والصراط والميزان وقيل الغيب هنا هو الله
تعالى وقيل القران • وقيل بالاخرة • وقيل بالوحى • وقيل بالقدر •
وقال عبد الرحمن بن يزيد كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا
اصحاب محمد وما سبقونا به فقال عبد الله بن مسعود ان امر محمد
صلى الله عليه وسلم كان بينا لمن راه والذى لا اله غيره ما امن احد
افضل من ايمان بغيب ثم قرا الم ذلك الكتاب لا ريب فيه الى قوله
واوليك هم المفلحون **ويقيمون الصلاة** اى يداومون عليها فى
مواقيتها بحدودها واتمام اركانها وحفظها من ان يقع فيها خلل
فى فرايضها وسننها وادابها والمراد به الصلوات الخمس والصلاة
فى اللغة الدعا والرحمة ومنه وصل عليهم اى ادع لهم واصله من
صليت العود اذا لينته فكان المصلى يلين ويخشع وفى الشرع اسم
لافعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود وتمام النية
ومما رزقناهم اعطيناهم من الرزق وهو اسم لما ينتفع به من مال
وولد واصله الحظ والنصيب **ينفقون** اى يخرجون ويتصدقون
فى طاعة الله تعالى وسبيله ويدخل فيه انفاق الواجب كالزكاة
والنذور والانفاق على النفس وعلى من تجب نفقته عليه والانفاق
فى الجهاد اذا وجب عليه الانفاق وفى المندوب وهو صدقة التطوع
ومواساة الاخوان وهذه كلها مما يمدح بها وادخل من التى للتبعيض
صيانة لهم وكفا عن السرف والتبذير والنهى عنهما فى الانفاق •
والذين يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك اى يصدقون
بالقران المنزل عليك وبالكتب المنزلة على الانبيا من قبل كالتوراة
والانجيل والزبور وصحف الانبيا كلها فيجب الايمان بذلك كله
وبالاخرة يعنى وبالدار الاخرة سميت اخرة لتاخرها عن الدنيا
وكونها بعدها **هم يوقنون** من الايقان وهو العلم والمعنى يستيقنون
ويعلمون انها كاينة **اوليك** اى الذين هذه صفتهم **على هدى من
ربهم** اى على رشاد ونور من ربهم وقيل على استقامة **واوليك هم
المفلحون** اى الناجون الفايزون نجوا من النار وفازوا بالجنة والمفلح
الظافر بالمطلوب الذى انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه
ويكون الفلاح بمعنى البقا قال الشاعر •

• لو كان حى مدرك الفلاح • ادركه ملاعب الرماح •

يريد البقا فيكون المعنى اوليك الباقون فى النعيم المقيم والفلاح والظفر
وادراك البغية من السعادة والعز والبقا والغنى واصل الفلاح
الشق كما قيل ان الحديد بالحديد يفلح • اى يقطع فعلى هذا يكون المعنى

اوليك هم المقطوع لهم بالخير فى الدنيا والاخرة • واعلم ان الله عز وجل
صدر هذه السورة باربع ايات انزلها فى المومنين وايتين انزلها فى
الكافرين وثلاثة عشر اية انزلها فى المنافقين • فاما التى فى الكفار
فقوله تعالى **ان الذين كفروا** اى جحدوا وانكروا واصل الكفر فى اللغة
الستر والتغطية • ومنه سمى الليل كافرا لانه يستر الاشيا بظلمته قال
الشاعر • فى ليلة كفر النجوم غمامها • اى سترها • والكفر على اربعة اضرب
كفر انكار وهو ان لا يعرف الله اصلا ككفر فرعون وهو قوله ما علمت لكم
من اله غيرى وكفر جحود وهو ان يعرف الله بقلبه ويقر بلسانه ولا
يدين ككفر امية بن الصلت وابى طالب حيث يقول فى شعره •

• ولقد علمت بان دين محمد • من خير اديان البرية دينا •
• لولا الملامة او حذار مسبة • لوجدتنى سمحا بذاك مبينا •

وكفر نفاق وهو ان يقر بلسانه ولا يعتقد صحة ذلك بقلبه فجميع هذه
الانواع كفر وحاصله ان من جحد الله وانكر وحدانيته او انكر شيا
مما انزله على رسوله او انكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم او احدا من
الرسل فهو كافر فان مات على ذلك فهو فى النار خالدا فيها ولا يغفر له
نزلت فى مشركى العرب • وقيل فى اليهود **سواء عليهم** اى متساو لديهم
ءانذرتهم اى خوفتهم وحذرتهم والانذار اعلام من تخويف فكل منذر معلم
وليس كل معلم منذر **ام لم تنذرهم لا يومنون** اى لا يصدقون وهذه
الاية فى اقوام حقت عليهم كلمة العذاب فى سابق علم الله الازلى انهم
لا يومنون • ثم ذكر سبب تركهم الايمان فقال تعالى **ختم الله على قلوبهم**
اى طبع الله عليها فلا تعى خيرا ولا تفهمه واصل الختم حقيقة الاستيثاق من
الشى لكيلا يخرج منه ما حصل فيه ولا يدخله ما خرج منه ومنه ختم الكتاب
قال اهل السنة حكم الله على قلوبهم بالكفر لما سبق فى علمه الازلى
فيهم وانما خص القلب بالختم لانه محل الفهم والعلم **وعلى سمعهم** اى وختم
على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به لانها تمجه وتنبو
عن الاصغا اليه كانها مستوثق منها بالختم ايضا وذكر السمع بلفظ
التوحيد ومعناه الجمع قيل انما وحده لانه مصدر والمصدر لا يثنى
ولا يجمع **وعلى ابصارهم غشاوة** هذا ابتدا كلام والغشاوة الغطا
ومنه غاشية السرج اى وجعل على ابصارهم غشاوة فلا يرون الحق
وهى غطا التعامى عن ايات الله ودلايل توحيده **ولهم عذاب عظيم**
يعنى فى الاخرة وقيل الاسر والقتل فى الدنيا والعذاب الدايم
فى العقبى وحقيقة العذاب هو كل ما يولم الانسان ويغمه
ويشق عليه • وقيل هو الايجاع الشديد • وقيل هو ما يمنع الانسان من

مراده • ومنه الما العذب لانه يمنع العطش والعظيم ضد الحقير **قوله
عز وجل** **ومن الناس من يقول امنا بالله** نزلت فى المنافقين عبد الله
ابن ابى بن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس واصحابهم وذلك انهم
اظهروا كلمة الاسلام ليسلموا بها من النبى صلى الله عليه وسلم
واصحابه واسروا الكفر واعتقدوه واكثرهم من اليهود وصفة المنافق
ان يعترف بلسانه بالايمان ويقر به وينكره بقلبه ويصبح على كل
حال ويمسى على غيرها والناس جمع انسان سمى به لانه عهد اليه
فنسى قال الشاعر • وسميت انسانا لانك ناسى • وقيل سمى انسانا
لانه يستانس بمثله **وباليوم الاخر** اى وامنا باليوم الاخر وهو يوم
القيامة سمى بذلك لانه ياتى بعد الدنيا وهو اخر الايام المحدودة
المعدودة وما بعده فلا حد له ولا اخر قال الله تعالى ردا على
المنافقين **وما هم بمومنين** نفى عنهم الايمان بالكلية **يخادعون الله
والذين امنوا** اى يخالفون الله والخديعة الحيلة والمكر واصله فى
اللغة الاخفا والمخادع يظهر ضد ما يضمر فهو بمنزلة النفاق وهو
خادعهم اى يظهر لهم نعيم الدنيا ويعجله لهم بخلاف ما يغيب لهم
من عذاب الاخرة **فان قلت** المخادعة مفاعلة وانما تجى
فى الفعل المشترك والله تعالى منزه عن المشاركة **قلت**
المفاعلة قد ترد على وجه المشاركة تقول عافاك الله وطارقت
النعل وعاقبت اللص والمخادعة هنا عبارة عن فعل الواحد والله
تعالى عز ان يكون منه خداع • **فان قلت** كيف يخادع الله
والله يعلم الضماير والاسرار فمخادعة الله ممتنعة فكيف يقال يخادعون
الله • **قلت** ان الله تعالى ذكر نفسه واراد به رسوله صلى الله
عليه وسلم وذلك تفخيم لامره وتعظيم لشانه • وقيل اراد به المنافقين
اذا خادعوا المومنين فكانهم خادعوا الله تعالى وذلك انهم ظنوا
ان النبى صلى الله عليه وسلم والمومنين لم يعلموا احوالهم ولتجرى عليهم
احكام المسلمين فى الظاهر وهم فى خلافه فى الباطن **وما يخادعون الا
انفسهم** اى ان الله تعالى يجازيهم على ذلك ويعاقبهم عليه فلا يكونون
فى الحقيقة الا خادعين انفسهم • وقيل ان وبال ذلك الخداع راجع
اليهم لان الله يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فيفتضحون
فى الدنيا ويستوجبون العقاب فى العقبى والنفس ذات الشى
وحقيقته • وقيل للدم نفس لانه قوة البدن **وما يشعرون** اى
لا يعلمون ان وبال خداعهم راجع عليهم **فى قلوبهم مرض** اى شك
ونفاق واصل المرض الضعف والخروج عن الاعتدال الخاص بالانسان

وسمى الشك فى الدين والنفاق مرضا لانه يضعف الدين كالمرض يضعف
البدن **فزادهم الله مرضا** يعنى ان الايات كانت تنزل تترا اية بعد
اية فكل ما كفروا باية ازدادوا بذلك كفرا ونفاقا **ولهم عذاب اليم**
اى مولم يخلص وجعه الى قلوبهم **بما كانوا يكذبون** اى بتكذيبهم الله
ورسوله فى السر وقرى بالتخفيف اى يكذبهم اذ قالوا امنا وهم غير
مومنين **واذا قيل لهم** يعنى المنافقين • وقيل اليهود والمعنى اذا قال
لهم المومنون **لا تفسدوا فى الارض** اى بالكفر وتعويق الناس عن الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران **قالوا انما نحن مصلحون** يعنى يقولونه
كذبا **الا** كلمة تنبيه ينبه بها المخاطب **انهم هم المفسدون** يعنى فى الارض
بالكفر وهو اشد الفساد **ولكن لا يشعرون** وذلك لانهم يظنون ان
ما هم عليه من النفاق وابطال الكفر صلاح وهو عين الفساد • وقيل
لا يشعرون ما اعد الله لهم من العذاب **واذا قيل لهم** يعنى المنافقين
وقيل اليهود **امنوا كما آمن الناس** يعنى المهاجرين والانصار • وقيل
عبد الله بن سلام واصحابه من مومنى اهل الكتاب والمعنى اخلصوا فى
ايمانكم كما اخلص هولاء فى ايمانهم لان المنافقين كانوا يظهرون الايمان
قالوا انومن كما امن السفها اي الجهال • **فان قلت** كيف يصح النفاق
مع المجاهرة بقولهم انومن كما امن السفها • **قلت** كانوا يظهرون هذا
القول فيما بينهم لا عند المومنين فاخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم
والمومنين بذلك ورد الله ذلك عليهم بقوله **الا انهم هم السفهاء**
ولكن لا يعلمون • **واذا لقوا الذين امنوا** يعنى هولا المنافقين اذا لقوا
المهاجرين والانصار **قالوا امنا** كايمانكم **واذا خلوا** اي رجعوا وقيل هو
من الخلوة **الى** قيل بمعنى البا بشياطينهم وقيل بمعنى مع **شياطينهم** والمراد
بشياطينهم روسائهم وكهنتهم • قال ابن عباس وهم خمسة نفر كعب
ابن الاشرف من اليهود بالمدينة وابو بردة فى بنى اسلم وعبد الدار فى
جهينة وعوف بن عامر فى بنى اسد وعبد الله بن السود بالشام ولا يكون
كاهن الا ومعه شيطان تابع له وقيل هم روساوهم الذين شابهوا الشياطين
فى تمردهم **قالوا انا معكم** اى على دينكم **انما نحن مستهزون** اى بمحمد
صلى الله عليه وسلم واصحابه بما نظهر لهم من الاسلام لنامن من شرهم
ونقف على سرهم وناخذ من غنايمهم وصدقاتهم • قال ابن عباس نزلت
هذه الاية فى عبد الله بن ابى واصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم
فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
عبد الله بن ابى لاصحابه انظروا كيف ارد هولا السفها عنكم فذهب
فاخذ بيد ابى بكر الصديق فقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ

الاسلام وثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار الباذل نفسه
وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم • ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا
بسيد بنى عدى بن كعب الفاروق القوى فى دين الله الباذل نفسه
وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم • ثم اخذ بيد على فقال مرحبا
بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بنى هاشم ما خلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له على اتق الله يا عبد الله ولا
تنافق فان المنافق شر خليقة الله تعالى فقال مهلا يا ابا الحسن انى
لا اقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم • ثم تفرقوا
فقال عبد الله لاصحابه كيف رايتمونى فعلت فاثنوا عليه خيرا • **الله
يستهزئ بهم** اى يجازيهم جزا استهزائهم بالمومنين فسمى الجزا باسمه
لانه فى مقابلته • قال ابن عباس يفتح لهم باب الجنة فاذا انتهوا
اليه سد عنهم وردوا الى النار **ويمدهم** اى يتركهم ويمهلهم والمد والامدا
واحد واصله الزيادة واكثر ما ياتى المد فى الشر والامداد فى الخير •
فى طغيانهم اى فى ضلالتهم واصل الطغيان مجاوزة الحد **يعمهون** اى
يترددون فى الضلالة متحيرون **اوليك** يعنى المنافقين **الذين
اشتروا الضلالة بالهدى** اى استبدلوا الكفر بالايمان انما اخرجه
بلفظ الشرا والتجارة توسعا على سبيل الاستعارة لان الشرا فيه بذل
واخذ اخر • **فان قلت** كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما
كانوا على هدى • **قلت** جعلوا لتمكنهم منه كانه فى ايديهم فاذا تركوه
الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوه به والضلالة الجور عن القصد
وفقد الاهتدا **فما ربحت تجارتهم** اى ما ربحوا فى تجارتهم والربح
الفضل عن راس المال واضاف الربح الى التجارة لان الربح فيها يكون
وما كانوا مهتدين اى مصيبين فى تجارتهم لان راس المال هو الايمان
فلما اضاعوه واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى • وقيل وما
كانوا مهتدين فى ضلالتهم قوله عز وجل **مثلهم كمثل الذى
استوقد نارا** المثل عبارة عن قول يشبه ذلك القول قولا اخر
بينهما مشابهة ليبين احدهما الاخر ويصوره ولهذا ضرب الله تعالى
الامثال فى كتابه وهو احد اقسام القران السبعة ولما ذكر الله تعالى
حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب المثل زيادة فى الكشف والبيان
لانه يوثر فى القلوب ما لا يوثره وصف الشى فى نفسه ولان المثل
تشبيه الشى الخفى بالجلى فيتاكد الوقوف على ماهيته وذلك هو
النهاية فى الايضاح وشرطه ان يكون قولا فيه غرابة من بعض الوجوه
كمثل الذى استوقد نارا لينتفع بها **فلما اضاءت** يعنى النار **ما حوله**

يعنى حول المستوقد **ذهب الله بنورهم** فان **قلت** كيف وحد اولا
ثم جمع ثانيا **قلت** يجوز وضع الذى موضع الذين كقوله وخضتم
كالذى خاضوا ۰ وقيل انما شبه قصتهم بقصة المستوقد ۰ وقيل
معناه ومثل واحد منهم كمثل الذى استوقد نارا **وتركهم فى ظلمات
لا يبصرون** قال ابن عباس نزلت فى المنافقين يقول مثلهم فى نفاقهم
كمثل رجل اوقد نارا فى ليلة مظلمة فى مغارة فاستدفى ورأى ما حوله
فاتقى مما يخاف فبينا هو كذلك اذ طفئت ناره فبقى فى ظلمة حايرا متخوفا
فكذلك حال المنافقين اظهروا كلمة الايمان فامنوا بها على انفسهم
واموالهم واولادهم وناكحوا المسلمين وقاسموهم فى الغنايم فذلك
نورهم فلما ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف ۰ وقيل ذهاب نورهم
فى القبر او على الصراط **فان قلت** فما وجه تشبيه الايمان بالنور
والكفر بالظلمة **قلت** وجه تشبيه الايمان بالنور ان النور ابلغ
الاشيا فى الهداية الى المحجة القصوى والى الطريق المستقيم وازالة
الحيرة ۰ وكذلك الايمان هو الطريق الواضح الى الله تعالى والى جنانه
وشبه الكفر بالظلمة لان الضال عن الطريق المسلوكة فى الظلمة لا
يزداد الا حيرة ۰ وكذلك الكفر لا يزداد صاحبه فى الاخرة الا حيرة
وفى ضرب المثل للمنافقين بالنار ثلاث حكم ۰ احدها ان المستضى
بالنار يستضى بنور غيره فاذا ذهب ذلك بقى هو فى ظلمة فكانهم لما
اقروا بالايمان من غير اعتقاد قلوبهم فكان ايمانهم كالمستعار ۰ الثانية
ان النار تحتاج فى دوامها الى مادة الحطب لتدوم فكذلك الايمان
يحتاج الى مادة الاعتقاد ۰ الثالثة ان الظلمة الحادثة بعد الضوء
اشد على الانسان من ظلمة لم يجد قبلها ضيا فشبه حالهم بذلك ثم
وصفهم الله تعالى فقال **صم** اى عن سماع الحق لانهم لا يقبلونه واذا لم
يقبلوه فكانهم لم يسمعوه **بكم** اى خرس عن الحق فهم لا يقولونه **عمى**
اى لا بصاير لهم يميزون بها بين الحق والباطل ومن لا بصيرة له كمن لا
بصر له فهوا عمى كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن سماع الحق
اذانهم وابوا ان تنطق به السنتهم وان ينظروا اليه بعيونهم جعلوا
كمن تعطلت حواسه وذهب ادراكه قال الشاعر ۰

۰ صموا اذا سمعوا خيرا ذكرت به ۰ وان ذكرت بسوء كلهم اذن ۰

فهم لا يرجعون اى عن ضلالتهم **قوله تعالى او كصيب** او كاصحاب
صيب وهو المطر وكل ما نزل من الاعلا الى الاسفل فهو صيب **من السما**
اى من السحاب لان كل ما علاك فاظلك فهو سما ومنه قيل لسقف
البيت سما وقيل من السما بعينها ۰ وانما ذكر الله تعالى السما وان كان

المطر لا ينزل الا منها ليرد على من زعم ان المطر ينعقد من ابخرة الارض وابطل
مذهب الحكما بقوله من السما ليعلم ان المطر ليس من ابخرة الارض كما ذهب
الحكما **فيه** اى الصيب **ظلمات** جمع ظلمة **ورعد** هو الصوت الذى يسمع
من السحاب **وبرق** يعنى النار التى تخرج منه قال ابن عباس الرعد
اسم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان سوط من نور يزجر به
السحاب ۰ **وقيل** الرعد اسم ملك يزجر السحاب اذا تبددت جمعها
وضمها فاذا اشتد غضبه يخرج من فيه النار فهى كالبرق والصواعق
وقيل الرعد تسبيح الملك وقيل اسمه **يجعلون اصابعهم فى اذانهم
من الصواعق** جمع صاعقة وهى الصيحة التى يموت من يسمعها او يغشى
عليه ۰ وقيل الصاعقة قطعة من العذاب ينزلها الله على من يشاء عن
ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد
والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك ۰
وعافنا قبل ذلك اخرجه الترمذى وقال حديث غريب **حذر الموت**
اى مخافة الهلاك **والله محيط بالكافرين** اى عالم بهم وقيل يجمعهم
ويعذبهم **يكاد البرق** اى يقرب يقال كاد يفعل ولم يفعل **يخطف
ابصارهم** اى يختلسها والخطف استلاب الشى بسرعة **كلما** اى متى
ما جا **اضا لهم** يعنى البرق **مشوا فيه** اى فى اضائته ونوره **واذا اظلم
عليهم قاموا** اى وقفوا متحيرين وهذا مثل ضربه الله تعالى للمنافقين
ووجه التمثيل ان الله عز وجل شبههم فى كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا
فى مفازة ليلة مظلمة اصابهم مطر فيه ظلمات وهى ظلمة الليل وظلمة
المطر وظلمة السحاب من صفة تلك الظلمات ان السارى لا يمكنه
المشى فيها ورعد من صفته ان يضم سامعوه اصابعهم الى اذانهم من
هوله وبرق من صفته ان يخطف ابصارهم ويعميها من شدته فهذا
مثل ضربه الله تعالى للقران وصنع الكافرين والمنافقين معه فالمطر
هو القران لانه حياة القلوب كما ان المطر حياة الارض والظلمات
ما فى القران من ذكر الكفر والشرك والنفاق والرعد ما خوفوا به
من الوعيد وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعد
وذكر الجنة والنار فالكافرون والمنافقون يسدون اذانهم عند قراة
القران وسماعه مخافة ان تميل قلوبهم اليه لان الايمان به عندهم كفر
والكفر موت ۰ وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للاسلام فالمطر
هو الاسلام والظلمات ما فيه من البلا والمحن والرعد ما فيه من ذكر
الوعيد والمخاوف فى الاخرة والبرق ما فيه من الوعد يجعلون اصابعهم
فى اذانهم يعنى المنافقين اذا راوا فى الاسلام بلا وشدة هربوا حذرا

من الهلاك والله محيط بالكافرين يعنى لاينفعهم الهرب لان من ورايهم
يجمعهم ويعذبهم يكاد البرق يعنى دلايل الاسلام تزعجهم الى النظر لولا
ما سبق لهم من الشقاوة كلما اضا لهم يعنى المنافقين واضاته لهم هو
تركهم بلا ابتلا ولا امتحان مشوا فيه يعنى على المسالمة باظهار كلمة
الايمان • وقيل كلما نالوا غنيمة وراحة فى الاسلام ثبتوا وقالوا انا معكم
واذا اظلم عليهم قاموا يعنى اذا راوا شدة وبلا تاخروا او ولو شاء الله
لذهب بسمعهم اى بصوت الرعد وابصارهم بوميض البرق وقيل
لذهب باسماعهم وابصارهم الظاهرة كما اذهب اسماعهم وابصارهم الباطنة
ان الله على كل شى قدير اى الفاعل لما يشا لا منازع له فيه قوله
عز وجل يا ايها الناس قال ابن عباس يا ايها الناس خطاب لاهل
مكة ويا ايها الذين امنوا خطاب لاهل المدينة وهو هنا خطاب عام
لساير المكلفين اعبدوا ربكم قال ابن عباس وحدوا ربكم وكلما
ورد فى القران من العبادة فمعناه التوحيد واصل العبودية التذلل
والعبادة غاية التذلل ولا يستحقها الا من له غاية الافضال والانعام
وهو الله تعالى الذى خلقكم اى ابتدع خلقكم من غير مثال سبق والذين
من قبلكم اى وخلق الذين من قبلكم لعلكم لعل وعسى حرفا ترج وهما من
الله واجب تتقون اى لكى تنجوا من العذاب وقيل معناه تكونوا على
رجا التقوى بان تصيروا فى ستر ووقاية من عذاب الله وحكم الله من
ورايكم يفعل ما يشا ويحكم ما يريد الذى جعل لكم الارض فراشا
اى خلق الارض بساطا ووطا مذللة ولم يجعلها حزنة لا يمكن القرار
عليها والخزف ما خلط من الارض والسما بناء اى سقفا مرفوعا قيل
اذا تامل الانسان التفكر فى العالم وجده كالبيت المعمور فيه كلما
يحتاج اليه فالسما مرفوعة كالسقف والارض مفروشة كالبساط
والنجوم كالمصابيح والانسان كمالك البيت وفيه ضروب النبات المهيئة
لمنافعه واصناف الحيوان مصروفة فى مصالحه فيجب على الانسان المسخر
له هذه الاشيا شكر الله تعالى عليها وانزل من السماء يعنى السحاب ما
يعنى المطر فاخرج به اى بذلك الما من الثمرات يعنى من الوان الثمرات
واصناف النبات رزقا لكم اى وعلفا لدوابكم فلا تجعلوا لله اندادا
يعنى امثالا تعبدونهم كعبادته والند المثل وانتم تعلمون يعنى انكم
بعقولكم تعلمون ان هذه الاشيا والامثال لا يصح جعلها اندادا لله ٥
وانه واحد خالق لجميع الاشيا وانه لا شك له ولا ضد له قوله تعالى
وان كنتم فى ريب اى ان كنتم فى شك لان الله علم انهم شاكون مما نزلنا
على عبدنا اى محمد صلى الله عليه وسلم لما تقرر اثبات الربوبية لله سبحانه

وتعالى وانه الواحد الخالق وانه لا ضد له ولا ند اتبعه باقامة الحجة على
اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يرحض الشبهة فى كون القران
معجزة وانه من عند الله تعالى لا من عند نفسه كما يدعون فيه وقوله
على عبدنا اضافة تشريف لمحمد صلى الله عليه وسلم وان القران منزل
عليه من عند الله سبحانه وتعالى فاتوا اى امر تعجيز بسورة والسورة
قطعة من القران معلومة الاول والاخر وقيل السورة اسم للمنزلة
الرفيعة ومنه سور البلدة لارتفاعه سميت سورة لان القارى ينال
بها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القران من مثله
اى مثل هذا القران • وقيل الضمير فى مثله راجع الى عبدنا يعنى من مثل
محمد صلى الله عليه وسلم اى لم يحسن الكتابة ولم يجالس العلما ولم ياخذ
العلم من احد ورد الضمير الى القران اوجه واولى • ويدل عليه ان ذلك
مطابق لساير الايات الواردة فى التحدى وانما وقع الكلام فى المنزل
الا ترى ان المعنى وان ارتبتم فى القران منزل من عند الله فاتوا بسورة
مما يماثله ويجانسه ولو كان الضمير مردودا الى محمد صلى الله عليه وسلم
ويدل عليه كون القران معجزا ما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة
فى طرفى الايجاز والاطالة فتارة ياتى بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها
باللفظ الوجيز ولا يخل بالمقصود الاول وانه خارق اساليبه اساليب
الكلام واوزانه اوزان الاشعار والخطب والرسايل • ولهذا تحدت العرب
به فعجزوا عنه وتحيروا فيه واعترفوا بفضله وهم معدن البلاغة
وفرسان الفصاحة ولهم النظم والنثر من الاشعار والخطب والرسايل
حتى قال الوليد المغيرة فى وصف القران والله ان له حلاوة وان عليه
لطلاوة وان اصله لمغدق وان اعلاه لمثمر وادعوا شهداكم من دون
الله اى استعينوا بالهتكم التى تعبدونها من دون الله والمعنى ان
كان الامر كما تقولون انها تستحق العبادة فاجعلوا الاستعانة بها
فى دفع ما نزل بكم من امر محمد صلى الله عليه وسلم والا فاعلموا انكم
مبطلون فى دعوتكم انها الهة • وقيل معناه وادعوا ناسا يشهدون
لكم ان كنتم صادقين ان محمدا صلى الله عليه وسلم يقوله من تلقاء
نفسه فان لم تفعلوا اى فيما مضى ولن تفعلوا فيما بقى وهذه الاية
دلت على عجزهم وانهم لم ياتوا بمثله ولا بمثل شى منه وذلك ان النفوس
الابية اذا قرعت بمثل هذا التقريع استفرغت الوسع بالاتيان
بمثل القران وبمثل سورة منه ولو قدروا على لاتوا به وحيث لم
ياتوا بشى ظهرت المعجزة للنبى صلى الله عليه وسلم وبان عجزهم وهم
اهل الفصاحة والبلاغة والقران من جنس كلامهم وكانوا حراصا

فى الطغانوره وَابطال امره ثم مع هذا الحرص الشديد لم توجد ٥
المعَارضة من احدهم ورضوا بسبى الذرارى واخذ الاموال والقتل
واذا ظهر عجزهم عن المعَارضة مع صدق رسول الله صلى الله عليه
وسلم واذا كان الامر كذلك وجب ترك العناد وَهو قوله فاتقوا
النار اى فامنوا واتقوا بالايمان النار التى وقودها اى حطبها
الناسُ وَالحجارة قال ابن عبَاس يعنى حجارة الكبريت لانها اكثر
التهابا وَقيل جمع الحجارة وفيه دَليل عَلى عظم تلك النار وَقوتها
وَقيل اراد بها الاصنام لان اكثر اصنامهم كانت من حجارة وانما
قرن الناس مع الحجارة لانهم كانوا يعبدونها معتقدين فيها انها
تنفعهم وتشفع لهم فيها فجعلها الله عذابهم فى نار جهنم اعدت اى
هُيئت للكافرين قوله عزوجل وَبشر الذين امنوا اى اخبر المومنين
وَهذا امر للنبى صَلى الله عَليه وسلم والبشارة ايراد الخبر السّار على
سَامع يستبشر به وَيظهر السّرور فى بشرة وَجهه ثم كثر حتى وضع
موضع الخير والشر وَمنه قوله وبشرهم بعذاب اليم وَلكن هو فى السّرور
والخير اغلب وَعملوا الصَّالحات اى الفعلات الصالحات وهى الطاعات
قيل العمل الصّالح مَا كان عَليه اربع اشيا • العلم • والنية • والصبر •
والاخلاص • وقال عثمان بن عفان وَعملوا الصّالحات اى اخلصوا
الاعمال يعنى من الريَا ان لهم جَنات جمع جنة وهى البستان الذى
فيه اشجار مثمرة سميت جنة لاجتنانها وتسترها بالاشجار والاوراق
وَقيل الجنة مَا فيه نخل والفردوس مَا فيه كرم تجرى من تحتها اى
من تحت اشجارها ومسَاكنها الانهار اى تجرى المياه فى الانهار لان
الانهار لا تجرى وَقيل معناه تجرى بامرهم وفى الحديث انها انهار
تجرى فى غير اخدود اى فى غير شق وَالخد الشق كلما رزقوا اى
اطعموا منها اى من الجنة من ثمرة رزقا اى طعَاما قالوا هذا الذى
رزقنا من قبل اى فى الدنيا وَقيل ثمار الجنة متشابهة فى اللون
مختلفة فى الطعم فاذا رزقوا ثمرة بعد اخرى ظنوا انها الاولى
وَاتوا به اى بالرزق متشابهًا قال ابن عَباس مختلفا فى المطعوم
وَقيل يشبه بعضه بعضا فى الجودة لا رداءة فيها وَقيل يشبه ثمار
الدنيا م عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل
الجنة ياكلون ويشربون ولا يبولون وَلا يتغوطون ولا يتمخطون
ولا يبزقون يلهمون الحمدَ والتسبيح كما يلهمون النفس طعَامهم جشا ورشح
كرشح المسك وفى رواية ورشحهم المسك • قوله يلهمون التسبيح اى
يجرى على السنتهم كما يجرى النفس فلا يشغلهم عن شى كما ان النفس

لا يشغل عن شى • قوله طعَامهم جشا يعنى ان فضول طعَامهم يخرج
فى الجشا وهو تنفس المعدة والرشح العرق وقوله تعالى وَلهُم فيهَا
اى فى الجنان ازواج من الحوُر العين مُطهرة يعنى من البول والغايط
والحيض والولد وسَاير الاقذار وقيل هن عجايزكم الغمص العمش طهرت
من قذارات الدنيا وَقيل طهرت من مسَاوى الاخلاق قيل فى الجنة
جماع مَاشيت وَلا ولد وَهم فيهَا خالدُون اى لا يخرجُون منهَا وَلا
يموتون والخلد الدايم الذى لا انقطاع له ق عن ابى هريرة رضى الله
عنه قال قال رَسول الله صَلى الله عليه وَسَلم اول زمرة يدخلون
الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على اثر كوكب
درى فى السّما اضاءة لا يبزقون ولا يتمخطون ولا يبولون امشاطهم
الذهب وَرشحهم المسك وَمجامرهم الالوة الالنجوج عود الطيب
ازواجهم الحور العين على خلق رجل واحد على صورة ابيهم ادم ستون
ذراعا فى السّما • وَفى رواية لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سُوقهما
من ورا اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم رَجل واحد
يسبحُون الله بكرة وَعشيا ق عن ابى موسى الاشعرى ان النبى صَلى
الله عليه وَسلم قال ان للمؤمن فى الجنة لخيمة من لولوة واحدَة
مجوفة طولها فى السّما ستون ميلا للموٴمن فيها اهلون يطوف عَليهم
الموٴمن فلا يرى بعضهم بَعضا • عن ابى هريرة قال قلت يرسول الله
مم خلق الله الخلق قال من الما قلت الجنة مَا بناوها قال لبنة فضة
وَلبنة ذهَب وبلاطهَا المسك الاذفر وحصباؤها اللولؤ واليَاقوت
وَتربتها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يباس ويخلد ولا يموت ولا تبلى
ثيابهم ولا يفنى شبابهم اخرجه الترمذى وَقال حسن ليس اسناده
بذلك القوى • عَن عبادة بن الصّامت ان رسُول الله صلى الله عَليه
وسَلم قال ان فى الجنة مائة درجة مَا بين كل درجتين كما بين السّماء
والارض والفردوس اعلاهَا درجة ومنها تفجر انهار الجنة الاربعَة
ومن فوقها يكون العَرش فاذا سالتم الله فاسالوه الفردوس اخرجه
الترمذى م عن انس ان رسُول الله صَلى الله عَليه وَسلم قال ان فى الجنة
لسُوقا ياتونها كل جمعَة فتهب ريح الشمال فيحثوا فى وجُوههم وثيابهم
فيزدادوا حسنا وَجمالا فيرجعوُن الى اهليهم وقد ازدادوا حسُنا وجمالا
فيقول لهم اهلوهم وَالله لقد ازددتم بعدنا حُسنا • عن عَلى ان
رسول الله صَلى الله عَليه وسَلم قال ان فى الجنة لمجتمعًا للحور العين
يرفعن باصوَات لم تسمع الخلايق مثلها يقلن نحن الخالدَات فلا نبيد
ونحن الناعمات فلا نباس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا

وكذا له اخرجه الترمذى وقال حديث غريب **قوله تعالى**
ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها سبب
نزول هذه الاية ان الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت
وذكر النحل والنمل قالت اليهود ماذا اراد الله بذكر هذه الاشيا
الخسيسة • وقيل قال المشركون انا لا نعبد الها يذكر هذه الاشيا
وذلك لان اليهود والكفار كانوا متفقين على ايذا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالوا ذلك فانزل الله تعالى ان الله لا يستحيى
الحيا تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف ما يعاب به ويذم
عليه • وقيل هو انقباض النفس عن القبايح هذا اصله فى وصف
الانسان والله تعالى منزه عن ذلك كله فاذا وصف الله تعالى
به يكون معناه الترك وذلك لان لكل فعل بداية ونهاية
فبداية الحيا هو التغير الذى يلحق الانسان من خوف ان ينسب
اليه ذلك الفعل القبيح ونهايته ترك ذلك الفعل القبيح فاذا
ورد وصف الحيا فى حق الله تعالى فليس المراد منه بدايته وهو
التغير والخوف بل المراد منه ترك الفعل الذى هو نهاية الحيا فى
حق الله تعالى فليس المراد منه بداية فيكون معنى ان الله لا يستحى
ان يضرب مثلا اى لا يترك المثل لقول الكفار واليهود ما قيل ما
صلة فيكون المعنى ان يضرب مثلا ما بعوضة وقيل ليس هى بصلة
بل هى للابهام والنكرة والبعوض صغار البق وهو من عجيب خلق
الله تعالى فانه فى غاية الصغر وله خرطوم مجوف وهو مع صغره
يغوص خرطومه فى جلد الفيل والجاموس والجمل فيبلغ منه الغاية
حتى الجمل يموت من قرصته فما فوقها يعنى الذباب والعنكبوت
وما هو اعظم منها فى الجثة • وقيل معناه فما دونها واصغر منها وهذا
القول اشبه بالاية لان الغرض بيان ان الله تعالى لا يمتنع من
التمثيل بالشى الصغير الحقير • وقد ضرب النبى صلى الله عليه وسلم
مثلا للدنيا بجناح البعوضة وهو اصغر منها وقد ضربت العرب
المثل بالمحقرات فقيل هو احقر من ذرة واجمع من نملة واطيش من
ذبابة والح من ذبابة فاما الذين امنوا يعنى بمحمد صلى الله عليه
وسلم والقران فيعلمون انه يعنى ضرب المثل الحق يعنى الصدق من
ربهم الثابت الذى لا يجوز انكاره لان ضرب المثل من الامور المستحسنة
فى العقل وعند العرب واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله
بهذا مثلا اى بهذا المثل يضل به كثيرا اى من الكفار وذلك انهم
يكذبونه فيزدادون به ضلالا ويهدى به كثيرا يعنى المومنين

يصدقونه ويعلمون انه حق وما يضل به الا الفاسقين يعنى الكافرين
وقيل المنافقين وقيل اليهود والفسق الخروج عن طاعة الله تعالى
وطاعة رسوله ثم وصفهم فقال تعالى الذين ينقضون اى يخالفون
ويتركون واصل النقض الفسخ وفك المركب عهد الله اى امر الله
واصل العهد حفظ الشى ومراعاته حالا بعد حال من بعد ميثاقه
اى من بعد عقده وتوكيده وفى معنى هذا العهد اقوال • احدها
انه الذى اخذه عليهم يوم الميثاق وهو قوله الست بربكم قالوا بلى •
الثانى المراد به الذى اخذه على احبار اليهود فى التوراة ان يومنوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم ويبينوا نعته وصفته • الثالث المراد به
الكفار والمنافقين الذين نقضوا عهد الله تعالى واحكمه
بما انزله فى كتابه من الايات الدالة على توحيده ويقطعون ما امر
الله به ان يوصل يعنى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وجميع الرسل
فامنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود • وقيل اراد به قطع الارحام
التى امر الله بوصلها ويفسدون فى الارض يعنى بالمعاصى وتعويق
الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران اوليك هم
الخاسرون اى المغبونون واصل الخسار النقص ثم قال تعالى لمشركى
العرب على وجه التعجب لكن فيه تبكيت وتعنيف لهم كيف تكفرون
بالله يعنى بعد نصب الدلايل ووضع البراهين الدالة على وحدانيته
ثم ذكر الدليل فقال تعالى وكنتم امواتا يعنى نطفا فى اصلاب ابايكم
فاحياكم يعنى فى الارحام والدنيا ثم يميتكم اى عند انقضا اجالكم
ثم يحييكم يعنى بعد الموت للبعث ثم اليه ترجعون اى تردون
فى الاخرة فيجزيكم باعمالكم **قوله تعالى** هو الذى خلق لكم ما فى
الارض جميعا يعنى من المعادن والنبات والحيوان والجبال والبحار
والمعنى كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم ما فى الارض جميعا لتنتفعوا
به فى مصالح الدين والدنيا اما مصالح الدين فهو الاعتبار والتفكر
فى عجايب مخلوقات الله تعالى الدالة على وحدانيته واما مصالح
الدنيا فهو الانتفاع بما خلق فيها ثم استوى الى السما اى قصد واقبل
خلقها وقيل عمد وقال ابن عباس ارتفع وفى رواية عنه صعد قال
الازهرى معناه صعد امره وكذا ذكره صاحب المحكم وذلك ان الله
تعالى خلق الارض اولا ثم عمد الى خلق السما **فان قلت** كيف
الجمع بين هذا وبين قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها **قلت**
الدحو البسط فيحتمل ان الله تعالى خلق جرم الارض ولم يبسطها ثم
خلق السما وبسط جرم الارض بعد ذلك • **فان قلت** هذا مشكل

ايضا لان قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا يقتضي ان ذلك لا
يكون الا بعد الدحول • قلت يحتمل انه ليس هنا ترتيب وانما هو
على سبيل تعديد النعم كقول الرجل لمن يذكره ما انعم الله عليه الم اعطك
الم ارفع قدرك الم ادفع عنك ولعل بعض هذه النعم مقدمة على بعض
والله اعلم فسواهن سبع سموات خلقهن سبع سموات مستويات
لا صدع فيها ولا فطور وسياتي ذكر خلق الارض والسما عند قوله
قل اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين في سورة حم
السجدة ان شا الله تعالى وهو بكل شئ عليم يعني يعلم الجزئيات كما
يعلم الكليات قوله تعالى واذ قال ربك اي واذكر يا محمد اذ قال
ربك وكلما ورد في هذا القران من النحو فهذا سبيله وقيل اذ زايدة
والاول اوجه للملايكة جمع ملك واصله مالك وهي الرسالة واراد
بالملايكة الذين كانوا في الارض وذلك ان الله تعالى خلق الارض
والسما وخلق الملايكة والجن فاسكن الملايكة السما واسكن الجن
الارض فعبدوا دهرا طويلا ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فافسدوا
واقتتلوا فبعث الله اليهم جندا من الملايكة يقال لهم الجان ورأسهم
ابليس وهم خزان الجنان فهبطوا الى الارض وطردوا الجن الى جزاير
البحور وشعوب الجبال وسكنوا هم الارض وخفف الله عنهم العبادة
واعطى الله ابليس ملك الارض وملك سما الدنيا وخزانة الجنة
وكان ابليس رئيسهم ومرشدهم واكثرهم علما وكان يعبد الله
تارة في الارض وتارة في السما وتارة في الجنة فدخله العجب وقال في
نفسه ما اعطاني الله هذا الملك الا لاني اكرم الملايكة عليه فقال
له ولجنده اني جاعل في الارض خليفة اي خالق خليفة يعني بدلا
منكم ورافعكم الي فكرهوا ذلك لانهم كانوا اهون الملايكة عبادة
والمراد بالخليفة هنا آدم عليه الصلاة والسلام لانه خلف الجن وجا
بعدهم وقيل لانه يخلفه غيره والصحيح انه انما سمي خليفة لانه
خليفة الله في ارضه لاقامة حدوده وتنفيذ قضاياه قالوا اتجعل
فيها من يفسد فيها اي بالمعاصي ويسفك الدما اي بغير حق كما
فعل بنو الجان • فان قلت من اين عرفوا ذلك حين قالوا
هذا القول • قلت يحتمل ان يكونوا عرفوا ذلك باخبار الله
اياه او قاسوا الشاهد على الغايب • وقيل انهم لما راوا ادم خلق
من اخلاط مركبة علموا انه يكون فيه الحقد والغضب ومنهما
يتولد الفساد وسفك الدما فلهذا قالوا • وقيل لما خلق الله النار
خافت الملايكة وقالوا لمن خلقت هذه النار قال لمن عصاني فلما قال

اني جاعل في الارض خليفة قالوا ذلك فان قلت الملايكة
معصومون فكيف وقع منهم هذا الاعتراض قلت ذهب بعضهم
الى انهم غير معصومين واستدلوا على ذلك بوجوه • منها قوله اتجعل
فيها من يفسد فيها ومن ذهب الى عصمتهم اجاب عنها عنه بان هذا السؤال
انما وقع على سبيل التعجب لا على سبيل الانكار والاعتراض فانهم
تعجبوا من كمال حكم الله تعالى واحاطة علمه بما خفي عليهم ولهذا
اجابهم بقوله اني اعلم ما لا تعلمون • وقيل ان العبد المخلص في حب
سيده يكره ان يكون له عبد اخر يعصيه فكان سؤالهم
على وجه المبالغة في اعظام الله عز وجل ونحن نسبح بحمدك اي نقول
سبحان الله وبحمده وهي صلاة الخلق وعليها يرزقون م عن ابي ذر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اي الكلام افضل قال ما اصطفى
الله لملايكته او لعباده سبحان الله وبحمده قال ابن عباس كلما جا في
القران من التسبيح فالمراد منه الصلاة فيكون المعنى ونحن نصلي لك •
وقيل اصل التسبيح تنزيه الله عما لا يليق بجلاله فيكون المعنى ونحن
ننزهك عن كل سوء ونقيصة ومعناه نحمدك حامدين لك وملتبسين
بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك ونقدس
لك اصل التقديس التطهير اي نطهرك عن النقايص وكل سوء ونصفك
بما يليق بعزك وجلالك من العلو والعظمة واللام صلة • وقيل
معناه نطهر انفسنا لطاعتك وعبادتك قال اني اعلم ما لا تعلمون
قيل انه جواب لقول الملايكة اتجعل فيها فقال تعالى اعلم من وجوه
المصلحة والحكمة ما لا تعلمون • وقيل اعلم ان فيهم من يعبدني ويطيعني
وهم الانبيا والاوليا والصالحون ومن يعصيني منكم وهو ابليس •
وقيل اعلم انهم يذنبون ويستغفرون فاغفر لهم

فصل في ماهية الملايكة وقصة خلق ادم عليه السلام

قيل ان الملايكة اجسام لطيفة هوائية خلقوا من النور تقدر ان تتشكل
باشكال مختلفة مسكنهم السموات • عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السما
وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته
لله ساجدا اخرجه الترمذي بزيادة وقال حديث حسن غريب •
واما صفة خلق ادم عليه الصلاة والسلام فقال وهب بن
منبه لما اراد الله تعالى ان يخلق ادم اوحى الله تعالى الى الارض اني خالق
منك خليقة منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني فمن اطاعني ادخلته
الجنة ومن عصاني ادخلته النار قالت الارض اتخلق مني خلقا يكون للنار

قال نعم فبكت الارض فانفجرت منها العيون الى يوم القيمة فبعث الله
اليها جبريل ليأتيه بقبضة منها من احمرها واسودها وطيبها وخبيثها
فلما اتاها ليقبض منها قالت اعوذ بعزة الله الذى ارسلك ان لا
تاخذ منى شيا فرجع جبريل الى مكانه وقال يا رب استعاذت بك
منى فكرهت ان اقدم عليها فقال الله تعالى لميكايل انطلق فاتنى
بقبضة منها فلما اتاها ليقبض منها قالت له مثل ما قالت لجبريل فرجع
الى ربه فقال ما قالت فقال لعزرايل انطلق فاتنى بقبضة من الارض
فلما اتاها قالت له الارض اعوذ بعزة الله الذى ارسلك ان لا تاخذ
منى شيا فقال وانا اعوذ بعزة الله ان اعصى له امرا وقبض منها
قبضة من جميع بقاعها من عذبها وملحها وحلوها ومرها وطيبها
وخبيثها وصعد بها الى السما فساله ربه عز وجل وهو اعلم بما صنع
فاخبره بما قالت له الارض وبما رده عليها فقال الله وعزتى وجلالى
لاخلقن مما جيت به خلقا ولاسلطنك على قبض ارواحهم لقلة رحمتك
ثم جعل الله تلك القبضة نصفها فى الجنة ونصفها فى النار ثم تركها
ما شا الله ثم اخرجها فعجنها طينا لازبا مدة ثم حما مسنونا مدة
ثم صلصالا ثم جعلها جسدا والقاه على باب الجنة فكانت الملايكة
يعجبون من صفة صورته لانهم لم يكونوا راوا مثله وكان ابليس يمر
عليه ويقول لامر ما خلق هذا ونظر اليه فاذا هو اجوف فقال هذا
خلق لا يتمالك وقال يوما للملايكة ان فضل هذا عليكم ما تصنعون
قالوا نطيع ربنا ولا نعصيه فقال ابليس فى نفسه لان فضل على
لاعصينه ولين فضلت عليه لاهلكنه فلما اراد الله تعالى ان ينفخ فيه
الروح امرها ان تدخل فى جسد ادم فنظرت فرات مدخلا ضيقا
فقالت يا رب كيف ادخل هذا الجسد قال الله عز وجل لها ادخليه
كرها وستخرجى منه كرها فدخلت فى يافوخه فوصلت الى عينيه فجعل
ينظر الى ساير جسده طينا فسارت الى ان وصلت منخريه فعطس
فلما بلغت لسانه قال الحمد لله رب العالمين وهى اول كلمة قالها
فناداه الله تعالى يرحمك ربك يا ابا محمد ولقد خلقناك ولما بلغت
الروح الى الركبتين هم ليقوم فلم يقدر قال الله تعالى خلق الانسان
من عجل فلما بلغت الى الساقين والقدمين استوى قايما بشرا سويا
ودما وعظاما وعروقا وعصبا وكسى لباسا من ظفر يزداد جسده جمالا
وحسنا كل يوم وجعل فى جسده تسعة ابواب سبعة فى راسه وهى
الاذنان يسمع بهما والعينان يبصر بهما والمنخران يشم بهما والفم فيه
اللسان يتكلم به والاسنان يطحن بها ما ياكله ويجد لذة المطعومات بها

وما بين من اسفل جسده وهما القبل والدبر يخرج منهما ثقل طعامه
وشرابه وجعل عقله فى دماغه وفكره وصرامته فى قلبه وشرهه فى
كليته وغضبه فى كبده ورغبته فى رئته وضحكه فى طحاله وفرحه وحزنه
فى وجهه فسبحان من جعله يسمع بعظم ويبصر بشحم وينطق بلحم ويعرف
بدم وركب فيه الشهوة وعجزه بالحياق عن ابى هريرة قال خلق الله ادم
عليه الصلاة والسلام وطوله ستون ذراعا ثم قال له اذهب فسلم
على اوليك نفر من الملايكة فاستمع ما يحيونك فانها تحيتك وتحية
ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه
ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة ادم قال فلم يزل الخلق ينقص
حتى الان م عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
صور الله ادم تركه ما شا الله ان يتركه فجعل ابليس يطيف به ينظر
ما هو فلما راه اجوف علم انه لا يتمالك • عن ابى موسى قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى خلق ادم من
قبضة قبضها من جميع الارض فجا بنو ادم على قدر الارض منهم الاحمر
والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب
اخرجه الترمذى وابو داود **قوله عز وجل** وعلم ادم الاسما
كلها سمى ادم لانه خلق من اديم الارض وقيل لانه كان ادم اللون
وكنيته ابو محمد • وقيل ابو البشر • ولما خلق الله تعالى ادم وتم خلقه
علمه اسما الاشيا وذلك ان الملايكة قالوا ليخلق ربنا ما يشا فلن
يخلق خلقا اكرم عليه منا وان كان فنحن اعلم منه لانا خلقنا قبله
وراينا ما لم يره فاظهر الله فضل ادم عليهم بالعلم وفيه دليل لمذهب
اهل السنة ان الانبيا افضل من الملايكة وان كانوا رسلا • قال
ابن عباس علمه اسم كل شى حتى القصعة والقصيعة • وقيل خلق الله
كل شى من الحيوان والجماد وغير ذلك وعلم ادم اسماها كلها فقال
يا ادم هذا بعير وهذا فرس وهذه شاة حتى اتى على اخرها وقيل
علم ادم اسما الملايكة • وقيل اسما ذريته وقيل علمه اللغات كلها
ثم عرضهم يعنى تلك الاشخاص وانما قال عرضهم ولم يقل عرضها
لان المسميات اذا جمعت من يعقل ومن لا يعقل عبر عنه بلفظ من
يعقل لتغليب العقلا لهم كما يعبر عن الذكور والاناث بلفظ الذكور
على الملايكة فقال يعنى تعجيزا لهم انبيونى اى اخبرونى باسما هولا
يعنى تلك الاشخاص ان كنتم صادقين اى انى لم اخلق خلقا الا كنتم
افضل منهم واعلم قالوا يعنى الملايكة سبحانك تنزيها لك وذلك
لما ظهر عجزهم لا علم لنا الا ما علمتنا اى انك اجل من ان نحيط بشى من

علمك الاما علمتنا انك انت العزيز اى بخلقك وهو من اسماء
الصفات التامة وهو المحيط بكل المعلومات الحكيم فى امرك وله
معنيان احدهما انه القاضى العدل الثانى المحكم للامور كيلا يتطرق
اليها الفساد قال يعنى الله تعالى يا ادم انبئهم باسمائهم
وذلك لما ظهر عجز الملايكة فسمى كل شى باسمه وذكر وجه الحكمة التى
خلق لها فلما انباهم باسمائهم قال يعنى الله تعالى الم اقل لكم
يعنى يا ملايكتى انى اعلم غيب السموات والارض يعنى ما كان
وما سيكون وذلك انه سبحانه وتعالى علم احوال ادم قبل ان يخلقه
فلهذا قال واعلم ما تبدون يعنى قول الملايكة اتجعل فيها وما كنتم
تكتمون يعنى قولكم لن يخلق الله خلقا اكرم عليه منا وقال ابن
عباس اعلم ما تبدون من الطاعة وما تكتمون يعنى ابليس من
المعصية قوله عز وجل واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم
قيل هذا الخطاب للملايكة الذين كانوا سكان الارض والاصح انه
خطاب مع جميع الملايكة بدليل قوله فسجد الملايكة كلهم اجمعون
الا ابليس فسجدوا يعنى الملايكة وفى هذا السجود قولان اصحهما
انه كان لادم على الحقيقة ولم يكن فيه وضع الجبهة على الارض
وانما هو الانحنا وكان سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة كسجود
اخوة يوسف له فى قوله وخروا له سجدا فلما جا الاسلام ابطل ذلك
بالسلام وفى سجود الملايكة لادم معنى الطاعة لله تعالى والامتثال
امره والقول الثانى ان ادم كان كالقبلة وكان السجود لله
تعالى كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة والصلاة لله وفى هذه
الاية دليل لمذهب اهل السنة فى تفضيل الانبيا على الملايكة
الا ابليس سمى به لانه ابلس من رحمة الله اى ييئس وكان اسمه عزازيل
وبالعربية الحارث فلما عصى غير اسمه فسمى ابليس وغيرت صورته
قال ابن عباس كان ابليس من الملايكة بدليل انه استثناه منهم
وقيل انه من الجن لانه خلق من النار والملايكة خلقوا من النور
ولانه اصل الجن كما ان ادم اصل الانس والاول اصح لان الخطاب
مع الملايكة فهو داخل فيهم ثم استثناه منهم ابى اى امتنع من
السجود فلم يسجد واستكبر اى تكبر وتعظم عن السجود لادم وكان
من الكافرين اى فى علم الله تعالى وانه وجبت له النار لسابق
علم الله تعالى بشقاوته م عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا قرا ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان
يبكى يقول ياويلة وفى رواية ياويلتاه امر ابن ادم بالسجود فسجد

فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلى النار • قوله عز وجل
وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة اى اتخذها ماوى ومنزلا
وليس معناه الاستقرار لانه خلق لعمارة الارض ولما اسكن الله
ادم فى الجنة بقى وحده ليس معه من يستانس به ويجالسه القى
الله عليه النوم ثم اخذ ضلعا من اضلاع شقه الايسر وهو الاقصر
فخلق منه زوجته حوى ووضع مكان الضلع لحما من غير ان يحس
ادم ولم يجد المًا ولو وجد المًا ما عطف رجل على امراة قط وسميت
حوى لانها خلقت من حى فلما استيقظ ادم من نومه راها
جالسة كاحسن ما خلق الله فقال لها من انت قالت انا زوجتك
حوى قال ولماذا خلقت قالت لتسكن الى واسكن اليك • واختلفوا فى
الجنة التى امر ادم بسكناها فقيل انها جنة كانت فى الارض بدليل انه
لو كانت الجنة التى هى دار الجزا والثواب لما خرج منها • واجاب
صاحب هذا القول عن قوله تعالى اهبطا بان المراد من الهبوط التحول
والانتقال فهو كقوله تعالى اهبطوا مصرا والقول الصحيح انها الجنة
التى هى دار الجزا والثواب • وقيل كلا القولين ممكن فلا وجه للقطع
وكلا منها رغدا اى واسعا كثيرا حيث شيتما اى كيف شيتما ومتى
شيتما واين شيتما والمقصود منه الاطلاق فى الاكل من الجنة بلا منع
الا ما نهى عنه وهو قوله عز وجل ولا تقربا هذه الشجرة يعنى
للاكل قيل انما وقع هذا النهى على جنس من الشجر وقيل على شجرة
مخصوصة • قال ابن عباس هى السنبلة وقيل الكرمة • وقيل هى شجرة
التين وقيل شجرة العلم • وقيل الكافور • وقيل ليس فى ظاهر الكلام
ما يدل على التعيين اذ لا حاجة اليه لانه ليس المقصود تعرف
عين تلك الشجرة وما لا يكون مقصودا لا يجب بيانه فتكونا من
الظالمين يعنى ان اكلتما من هذه الشجرة ظلمتما انفسكما فمن جوز ارتكاب
الذنوب على الانبيا قال ظلم نفسه بالمعصية واصل الظلم وضع الشى فى
غير محله وموضعه ومن لم يجوز ذلك على الانبيا حمل الظلم على انه فعل
ما كان الاولى ما كان بفعله • وقيل يحمل على انه فعل هذا قبل النبوة
فان قلت هل يجوز وصف الانبيا بالظلم او بظلم انفسهم •
قلت لا يجوز ان يطلق عليهم ذلك لما فيه من الذم • قوله
عز وجل فازلهما الشيطان عنها اى استزل ادم وحوى ودعاهما
الى الزلة وهى الخطية وسياتى الكلام ان شا الله تعالى على عصمة
الانبيا والجواب عن ما صدر منهم عند قوله عز وجل وعصى ادم ربه
فغوى فى سورة طه فاخرجهما مما كانا فيه يعنى من النعيم وذلك

ان ابليس اراد ان يدخل الجنة ليوسوس لادم وحوى فمنعه الخزنة
فاتى الحية وكانت صديقة لابليس وكانت من احسن الدواب لها اربع
قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة فسالها ان تدخله الجنة في
فيها فادخلته ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون • وقيل انما اغواهما على
باب الجنة لانهما كانا يخرجان منها وكان ابليس بقرب الباب فوسوس
لهما وذلك ان ادم لما دخل الجنة وراى ما فيها من النعيم قال لو ان
خلدا فاغتنم ذلك الشيطان منه واتاه من قبل الخلد وقيل لما دخل
الجنة وقف على ادم وحوى وهما لا يعلمان فبكى وناح نياحة احزنتهما
وهو اول من ناح فقالا له ما يبكيك قال ابكي عليكما لانكما تموتان
فتفارقان ما انتما فيه من النعمة فوقع ذلك في انفسهما واغتما ومضى
ابليس ثم اتاهما بعد ذلك وقال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد
فابى ان يقبل منه فقاسمهما بالله انه لهما لمن الناصحين فاغتروا وما
ظنا ان احدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حوى الى اكل الشجرة ثم
ناولت ادم فاكل منها • قال ابراهيم بن ادهم اورثتنا تلك الاكلة
حزنا طويلا • قال ابن عباس قال الله تعالى يا ادم الم يكن ما اتخذتك
من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى يا رب وعزتك ولكن ما ظننت
ان احدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال
العيش فيها الا نكدا فاهبط من الجنة وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث
فحرث وزرع وسقى حتى اذا بلغ واشتد حصده ثم درسه ثم ذراه ثم
طحنه ثم عجنه وخبزه ثم اكله فلم يبلعه حتى بلغ منه الجهد • وفي رواية
عن ابن عباس ان ادم لما اكل من الشجرة التي نهي عنها قال الله تعالى يا ادم
ما حملك على ما صنعت قال يا رب زينته لي حوى قال فاني اعقبتها ان لا
تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها وادميتها في الشهر مرتين فرنت حوى عند
ذلك فقيل عليك الرنة وعلى بناتك والرنة الصوت فلما اكلا من الشجرة
تهافتت عنهما ثيابهما وبدت سواتهما واخرجا من الجنة فذلك قوله
عز وجل **وقلنا اهبطوا** اي انزلوا الى الارض يعني ادم وحوى وابليس
والحية فهبط ادم بسرنديب من ارض الهند على جبل يقال له لوذ واهبطت
حوى بجدة وابليس بالابلة من اعمال البصرة والحية باصبهان **بعضكم
لبعض عدو** يعني العداوة التي بين المؤمنين من ذرية ادم وبين
ابليس واليه الاشارة بقوله عز وجل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا
والعداوة التي بين ذرية ادم والحية • عن ابن عباس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من ترك الحيات مخافة طلبهن فليس منا ما
سالمناهن منذ حاربناهن اخرجه ابو داود وله عن ابن مسعود ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا الحيات كلهن فمن خاف من
ثارهن فليس مني • وفي رواية اقتلوا الكبار كلها الا الجان الابيض الذي
كانه قضيب فضة • عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان بالمدينة جنا قد اسلموا فاذا رايتم منهم شيا فاذنوه
ثلاثة ايام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانه شيطان • وفي رواية
ان لهذه البيوت عوامر فاذا رايتم منها شيا فحرجوا عليها ثلاثا
فان ذهب والا فاقتلوه فانه كافر **ولكم في الارض مستقر** اي موضع
قرار **ومتاع** وبلغة ومستمتع **الى حين** اي الى وقت انقضاء اجالكم •
قوله عز وجل فتلقى ادم اي فتلقن والتلقي هو قبول عن فطنة
وفهم وقيل هو التعليم **من ربه كلمات** اي كانت سبب توبته وقيل ان
تلك الكلمات هي قوله ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل قال لا اله الا انت
سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمني انك انت
ارحم الراحمين • وقيل قال ادم يا رب ارايت ما اتيت اشيء ابتدعته
من تلقاء نفسي ام شيء قدرته علي قبل ان تخلقني قال بل شيء قدرته عليك
قبل ان اخلقك قال يا رب فكما قدرته علي فاغفر لي • وقيل ان الله تعالى
امر ادم بالحج وعلمه اركانه فطاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ربوة حمراء
ثم صلى ركعتين ثم استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سري
وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سولي وتعلم ما في
نفسي فاغفر لي ذنوبي فاوحى الله اليه يا ادم قد غفرت لك ذنوبك
وقيل ان ادم لما اهبط الى الارض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع راسه الى
السماء حياء من الله تعالى • **وقيل** هي ثلاثة اشياء الحياء والدعاء والبكاء
قال ابن عباس بكى ادم وحوى على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتا سنة
ولم ياكلا ولم يشربا اربعين يوما • وقيل لو ان دموع اهل الارض جمعت
لكانت دموع داود اكثر منها حيث اصاب الخطيئة ولو ان دموع داود
ودموع اهل الارض جمعت لكانت دموع ادم اكثر حيث اخرجه من الجنة
فتاب عليه اي فتجاوز عنه وغفر له واصل التوبة من تاب يتوب اذا رجع
فكان التائب رجع عن ذلك الذنب الذي كان عليه ولا تتحقق التوبة
الا بثلاثة امور علم وحال وعمل • اما العلم فهو ان يعلم العبد ضرر الذنب
وانه حجاب عن الله تعالى فاذا حصل هذا العلم تالم القلب فعند ذلك
يحصل الندم وهو الحال فيترك العبد الذنب ويعزم في المستقبل ان لا
يعود اليه وهو العمل فاذا تحققت هذه الثلاثة امور حصلت التوبة
وسياتي بسط هذه عند قوله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا في سورة
التحريم ان شاء الله تعالى **انه هو التواب** اي الرجاع على عباده بقبول التوبة

والتواب في وصف الله سبحانه وتعالى المبالغة في قبول توبة عباده
الرحيم اى بخلقه وصف سبحانه وتعالى نفسه مع كونه توابا بانه رحيم
قلنا اهبطوا منها جميعا يعني هولا الاربعة وقيل ان الهبوط الاول
من الجنة الى سما الدنيا والهبوط الثاني من سما الدنيا الى الارض وفيه
ضعف لانه قال في الهبوط الاول ولكم في الارض مستقر فدل على
انه كان من الجنة الى الارض والاصح انه كان للتاكيد فاما ياتينكم مني
هدى فيه تنبيه على عظم نعم الله على ادم وحوى كانه قال وان اهبطتكم
من الجنة الى الارض فقد انعمت عليكم بهدايتي التي تؤديكم الى الجنة
مرة اخرى على الدوام الذي لا ينقطع • وقيل المخاطب هم ذرية ادم
يعني يا ذرية ادم اما ياتينكم مني رشدا وبيان او شريعة • وقيل
كتاب ورسول فمن اتبع هداى فلا خوف عليهم يعني فيما يستقبلهم
ولا هم يحزنون اى على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
في الاخرة والذين كفروا اى جحدوا وكذبوا باياتنا اى بالقران
اوليك اصحاب النار اى يوم القيمة هم فيها خالدون اى لا يخرجون
منها ولا يموتون فيها قوله عز وجل يا بني اسرائيل اتفق
المفسرون على ان اسرايل هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم صلى الله
عليهم وسلم اجمعين • ومعنى اسرايل عبد الله وقيل صفوة الله
والمعنى يا اولاد يعقوب اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اى اشكروا
نعمتي وانما عبر عنه بالذكر لان من ذكر النعمة فقد شكرها ومن جحدها
فقد كفرها وقيل الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان وحد النعمة
لانها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير ومعناه ان
المضرة المحضة لا تكون نعمة ولو فعل الانسان منفعة وقصد نفسه
بها لا تسمى نعمة اذا لم يقصد بها الغير • ثم ان النعم ثلاثة نعمة
تفرد بها الله تعالى وهي الايجاد الانسان ورزقه • ونعمة وصلت
الى الانسان بواسطة الغير لكن الله مكنه من ذلك فالمنعم بها في
الحقيقة هو الله تعالى • ونعمة حصلت للانسان بسبب الطاعة
وهي ايضا من الله تعالى فالله هو المنعم المطلق في الحقيقة لان اصول
النعم كلها منه • واما النعم المختصة ببني اسرايل فكثير لان قوله
اذكروا نعمتي لفظها واحد ومعناها الجمع فمن النعم ان الله انقذهم
من فرعون وفرق البحر لهم واغراق فرعون وتظليلهم الغمام وانزال المن
والسلوى في التيه عليهم وانزال التورية في نعم غير هذا كثيرة فان قلت
اذا فسرت النعمة بهذا انما كانت على المخاطبين بها بل كانت على ابايهم
فكيف تكون نعمة عليهم حتى يذكروها • قلت انما ذكر المخاطبين بها

لان

لان فخر الابا فخر الابنا اذا اتفقوا ان الله انعم على ابايهم بهذه النعم
فقد وجب عليهم ذكرها وشكرها • وقيل ان هذه النعم هي ادراك
المخاطبين بها زمن محمد صلى الله عليه وسلم وذكرها الايمان به
واوفوا بعهدي اى امتثلوا امري اوف بعهدكم اى بالقبول والثواب
واصل العهد حفظ الشي ومراعاته حالا بعد حال ومنه سمي الموثق
الذي يلزم مراعاته عهدا • وقيل اراد بالعهد جميع ما امر الله به من
غير تخصيص ببعض التكليف دون بعض • وقيل اراد به ما ذكر في سورة
المايدة وهو قوله ولقد اخذنا ميثاق بني اسرايل وبعثنا منهم اثنى
عشر نقيبا الى قوله لاكفرن عنكم سياتكم فلهذا قوله اوف بعهدكم
وقيل هو قوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما
اتيناكم بقوة يعني شريعة التورية • وقيل هو قوله واذ اخذنا ميثاق
بني اسرايل لا تعبدون الا الله • وقيل اراد بهذا العهد ما اثبته في كتب
الانبيا المتقدمة من وصف محمد صلى الله عليه وسلم وانه مبعوث
في اخر الزمان وذلك ان الله عهد الى بني اسرايل على لسان موسى عليه
السلام اني باعث من بني اسماعيل نبيا اميا فمن تبعه وصدق
الذي ياتي به غفرت له ذنبه وادخلته الجنة وجعلت له اجرين اثنين
وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس
يعني امر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته واياي فارهبون اى
خافون في نقضكم العهد وامنوا بما انزلت يعني بالقران مصدقا لما
معكم يعني ان القران موافق لما في التورية من التوحيد والنبوة
والاخبار ونعت النبي صلى الله عليه وسلم فالايمان بمحمد صلى الله
عليه وسلم والقران تصديقا للنبوة للتورية فيها الاشارة الى نعت
النبي صلى الله عليه وسلم وانه نبي مبعوث فمن امن به فقد امن بما
في التورية ومن كذبه وكفر به فقد كذب التورية وكفر بها ولا تكونوا
اول كافر به الخطاب لليهود نزلت في كعب بن الاشرف ورؤسا اليهود
والمعنى فلا تكونوا يا معشر اليهود اول من كفر به • فان قلت
كيف جعلوا اول من كفر به وقد سبقهم الى الكفر به مشركوا العرب من
اهل مكة وغيرهم • قلت هذا التعريض بهم والمعنى كان يجب
ان تكونوا اول من امن به لانكم تعرفون صفته ونعته بخلاف غيركم
وكنتم تستفتحون به على الكفار فلما بعث كان امر اليهود بالعكس
وقيل معناه ولا تكونوا اول كافر به من اليهود فيتبعكم غيركم
على ذلك فتبوؤا باثمكم واثم غيركم ممن تبعكم على ذلك ولا تشتروا
اى ولا تستبدلوا باياتي اى ببيان صفته صلى الله عليه وسلم التي في

التوراة **ثمنا قليلا** اى عوضا يسيرا من الدنيا لان الدنيا بالنسبة الى
الاخرة كالشئ اليسير بالنسبة الى جميعها فهو قليل القليل فلهذا قال
الله تعالى ولا تشتروا باياتى ثمنا قليلا وذلك ان كعب بن الاشرف
ورؤساء اليهود وعلماوهم كانوا يصيبون الماكل من سفلتهم وجهالهم
وكانوا ياخذون منهم فى كل سنة شيئا معلوما من زرعهم وثمارهم ونقودهم
وضروعهم فخافوا ان يبينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ويتبعوه
ان تفوتهم تلك الماكل فغيروا نعته وكتموا اسمه واختاروا الدنيا على
الاخرة واصروا الكفر **واياى فاتقون** اى تخافون فى امر محمد صلى الله
عليه وسلم والتقوى قريب من معنى الرهبة والفرق بينهما ان الرهبة
خوف مع حزن واضطراب والتقوى جعل النفس فى وقاية مما يخاف •
قوله عز وجل **ولا تلبسوا الحق بالباطل** اى ولا تكتموا فى التوراة
كالبس فيها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذى كتبتم وقيل معناه ولا
تخلطوا الحق الذى انزلت عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم فى
التوراة بالباطل الذى تكتبونه بايديكم من تغير صفته • وقيل لا تخلطوا
صفة محمد صلى الله عليه وسلم التى هى الحق بالباطل اى بصفة الدجال
وذلك لانه لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسده اليهود
وقالوا ليس هو الذى ننتظره وانما هو المسيح بن داود يعنى الدجال وكذبوا
فيما قالوا **وتكتموا الحق وانتم تعلمون** يعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم
نبي مرسل وفيه تنبيه لساير الخلق وتحذير من مثله فصار هذا الخطاب
وان كان خاصا فى الصورة فانه عام فى المعنى فعلى كل احد ان لا يلبس
الحق بالباطل ولا يكتم الحق لما فيه من الضرر والفساد وفيه دلالة ايضا
على ان العالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه **واقيموا الصلاة**
يعنى الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها وجميع اركانها **واتوا الزكاة**
اى ادوا الزكاة المفروضة عليكم فى اموالكم **واركعوا مع الراكعين** اى صلوا
مع المصلين يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه وعبر عن الصلاة
بالركوع لانه ركن من اركانها وهذا خطاب لليهود لان صلاتهم ليس
فيها ركوع فكانه قال لهم صلوا صلاة ذات ركوع فلهذا المعنى اعاده بقوله
واقيموا الصلاة لان الاول خطاب الكافة والثانى خطاب قوم مخصوصين
وهم اليهود وقيل حث على اقامة الصلاة فى الجماعة فكانه قال صلوا مع
المصلين فى الجماعة قوله عز وجل **اتامرون الناس بالبر** الاستفهام
فيه للتقرير مع التقريع والتعجب من حالهم والبر اسم جامع لجميع اعمال الخير
والطاعات نزلت هذه الاية فى علماء اليهود وذلك ان الرجل منهم كان
يقول لقريبه وحليفه من المسلمين اذا ساله عن امر محمد صلى الله عليه

وسلم

وسلم اثبت على دينه فان امره حق وقوله صدق • وقيل ان جماعة من
اليهود قالوا لمشركى العرب ان رسولا سيظهر منكم ويدعوكم الى الحق كانوا
يرغبونهم فى اتباعه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا
به فبكتهم الله ووبخهم بذلك حيث انهم كانوا يامرون الناس بالطاعة
والصلاة والزكاة وانواع البر ولا يفعلونه فوبخهم الله بذلك •
وتنسون انفسكم اى وتعدلون عما لها فيه نفع والنسيان عبارة
عن السهو الحادث بعد حصول العلم والمعنى اتتركون انفسكم ولا
تتبعون محمدا صلى الله عليه وسلم **وانتم تتلون الكتاب** يعنى تقرؤون
التوراة وتدرسونها وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته
وفيها ايضا الحث على الافعال الحسنة والاعراض عن الافعال
القبيحة والاثم **افلا تعقلون** يعنى انه الحق فتتبعونه والعقل قوة
تهيئ قبول العلم ويقال للعلم الذى يستفيده الانسان بتلك القوة
عقل ومنه قول على بن ابى طالب العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع
مطبوع اذا لم يكن مسموع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع واصل
العقل الامساك فانه ماخوذ من عقال الدابة كعقل البعير بالعقال
ليمنعه من الشرود فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود
والافعال القبيحة ومعنى الاية ان المقصود من الامر بالمعروف
والنهى عن المنكر هو ارشاد الغير الى تحصيل المصلحة وتحذيره عما
يوقعه فى المفسدة والاحسان الى النفس اولى من الاحسان الى الغير
وذلك لان الانسان اذا وعظ غيره ولم يتعظ هو فكانه اتى بفعل
متناقض لا يقبله العقل فلهذا قال افلا تعقلون • وقيل ان من وعظ
الناس يجتهد ان تنفذ موعظته الى القلوب فاذا خالف قوله فعله
فكان ذلك سبب تنفير القلوب عن قبول موعظته ق عن اسامة بن
زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالرجل
يوم القيمة فيلقى فى النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها كما يدور
الحمار فى الرحا فيجتمع اليه اهل النار فيقولون يا فلان ما لك الم تكن
تامر الناس بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت امر بالمعروف
ولا اتيه وانهى عن المنكر واتيه • قوله فتندلق اى تخرج اقتاب بطنه
اى امعاء بطنه واحدها قتب • وروى البغوى بسنده عن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسرى بى رجالا تقرض
شفاههم بمقاريض من نار قلت من هولاء يا جبريل قال هولاء خطباء
امتك يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم وهم يتلون الكتاب
افلا يعقلون قيل مثل الذى يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضئ

للناس ويحرق نفسه • وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه • ومن وعظ
بفعله نفذت سهامه • وقال بعضهم •
• ابدا بنفسك فانهها عن غيها • فاذا انتهت عنه فانت حكيم •
• فهناك يسمع ما تقول ويقتدى • بالقول منك وينفع التعليم •
قوله عز وجل واستعينوا بالصبر والصلاة قيل ان المخاطبين
بهذا هم المؤمنون لان من ينكر الصلاة والصبر على دين محمد صلى الله
عليه وسلم لا يقال له استعن بالصبر والصلاة فلا جرم وجوب صرفه
الى من صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وامن به • وقيل يحتمل ان
يكون الخطاب لبنى اسرايل لان صرف الخطاب الى غيرهم تفكيك
نظم القران ولان اليهود لم ينكروا اصل الصلاة والصبر لكن صلاتهم
غير صلاة المؤمنين فعلى هذا القول ان الله تعالى لما امرهم بالايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم والتزام شريعته وترك الرياسة وحب
الجاه والمال فقال لهم استعينوا بالصبر اى بحبس النفس عن اللذات
وان ضممتم الى ذلك الصلاة هان عليكم ترك ما انتم فيه من حب
الرياسة والجاه والمال وعلى القول الاول يكون معنى الاية
واستعينوا على حوايجكم الى الله • وقيل على ما يشغلكم من انواع
البلاء • وقيل على طلب الاخرة بالصبر وهو حبس النفس عن اللذات
وترك المعاصى • وقيل بالصبر على اداء الفرايض • وقيل الصبر هو
الصوم لان فيه حبس النفس عن المفطرات وساير اللذات وفيه
انكسار النفس والصلاة اى اجمعوا بين الصبر والصلاة • وقيل
معناه واستعينوا بالصبر على الصلاة وعلى ما يجب فيها من تصحيح
النية واحضار القلب ومراعاة الاركان والاداب مع الخشوع
والخشية فان من اشتغل بالصلاة ترك ما سواها • وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا احزنه امر فزع الى الصلاة اى اذا اهمه امر
لجا الى الصلاة • وعن ابن عباس انه نعى له اخوه قثم وهو فى سفره
فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما السجود ثم قام
الى راحلته وهو يقول استعينوا بالصبر والصلاة وانها يعنى
الصلاة وقيل الاستعانة لكبيرة اى ثقيلة الا على الخاشعين
يعنى المومنين وقيل الخايفين وقيل المطيعين المتواضعين لله واصل
الخشوع السكون فالخاشع ساكن الى الطاعة وقيل الخشوع الضراعة
واكثر ما يستعمل فى الجوارح وانما كانت الصلاة ثقيلة على غير الخاشعين
لان من لم يرجوا لها ثوابا ولا يخاف على تركها عقابا فهى ثقيلة عليه
والخاشع الذى يرجوا لها ثوابا ويخاف على تركها العقاب فهى سهلة

ضممتم

عليه

عليه الذين يظنون اى يستيقنون وقيل يعلمون انهم ملاقوا ربهم
يعنى فى الاخرة وفيه دليل على ثبوت روية الله تعالى فى الاخرة وانهم
اليه راجعون يعنى بعد الموت فيجزيهم باعمالهم قوله عز وجل
يا بنى اسرايل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم انما اعاد هذا الكلام مرة
اخرى توكيدا للحجة عليهم وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله عليه
وسلم وانى فضلتكم على العالمين يعنى على عالمى زمانكم وهذا التفضيل
وان كان فى حق الابا ولكن يحصل به الشرف للابنا واتقوا يوما اى
واخشوا عذاب يوم لا تجزى اى لا تقضى نفس عن نفس شيا يعنى حقا
لزمها وقيل معناه لا تنوب نفس عن نفس يوم القيمة ولا ترد عنها
شيا مما اصابها بل يفر المرء من اخيه وامه وابيه ولا تقبل منها
شفاعة اى فى ذلك اليوم والمعنى لا تقبل الشفاعة اذا كانت
النفس كافرة وذلك ان اليهود قالوا يشفع لنا اباونا فرد الله
عليهم ذلك بقوله ولا تقبل منها شفاعة وقيل ان طاعة المطيع
لا تقضى عن العاصى ما كان واجبا عليه • وقيل معناه ان النفس
الكافرة لو جات بشفيع لا يقبل منها ولا يوخذ منها عدل اى
فدية وهو مماثلة الشى بالشى ولا هم ينصرون اى لا يمنعون من
العذاب قوله تعالى واذ نجيناكم اى اذكروا اذ خلصنا اسلافكم
واجدادكم فاعدها نعمة ومنة عليهم لانهم نجوا بنجاة اسلافهم من آل
فرعون اى من اتباعه واهل دينه وفرعون اسم علم لمن كان يملك
مصر من القبط ومن العماليق • وكان اسمه الوليد بن مصعب بن
الريان وعمر اكثر من اربعماية سنة يسومونكم اى يكلفونكم ويذيقونكم
سوء العذاب اى اشد العذاب واسواه وقيل يصرفونكم فى العذاب
مرة كذا ومرة كذا • وذلك ان فرعون جعل بنى اسرايل خدما وخولا
وصنفهم فى الاعمال اصنافا صنف يبنون ويزرعون وصنف يخدمون
ومن لم يكن فى عمل وضع عليه الجزية • وقال ابن وهب كانوا اصنافا
فى اعمال فرعون فذوا القوة يسلخون السوارى من الجبال حتى تقرحت
ايديهم واعناقهم ودبرت ظهورهم من قطعها ونقلها وصنف ينقلون
الحجارة والطين يبنون له القصور وطايفة نجارون وحدادون
والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج يعنى الخدمة ضريبة يودونها كل
يوم فمن غربت عليه الشمس قبل ان يودى ضريبته غلت يده شهرا
والنسا يغزلون الكتان وينسجونه • وقيل تفسير يسومونكم سوء
العذاب ما بعده وهو قوله تعالى يذبحون ابناكم ويستحيون نساكم
اى يتركوهن احيا وذلك ان فرعون راى فى منامه كان نارا اقبلت

من بيت المقدس واحاطت بمصر واحرقت كل قبطي ولم تتعرض لبني
اسرايل وهاله ذلك وسال الكهنة عن رؤياه فقال يولد غلام يكون
على يديه هلاكك وزوال ملكك فامر فرعون بقتل كل غلام يولد
في بني اسرايل ووكل بالقوابل فكن يفعلن ذلك حتى قتل في طلب
موسى اثني عشر الفا واسرع الموت في مشيخة بني اسرايل فدخل
روسا القبط على فرعون وقالوا ان الموت قد وقع ببني اسرايل
فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فامر
فرعون ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هارون في السنة التي
لا يذبح فيها وولد موسى في السنة التي يذبح فيها **وفي ذلكم بلاء من**
ربكم عظيم اي اختبار وامتحان والبلا يطلق على النعمة العظيمة
وعلى المحنة الشديدة ليختبر الله العبد على النعمة بالشكر وعلى
الشدة بالصبر فان حمل قوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم على صنع فرعون
كان من البلا والمحنة وان حمل على الانجا كان من النعمة **قوله**
عز وجل **واذ فرقنا بكم البحر** اي فصلنا بعضه من بعض وجعلنا
فيه مسالك بسبب دخولكم البحر وسمي بحرا لاتساعه **ذكر سياق**
القصة وذلك لما دنى هلاك فرعون امر الله عز وجل موسى
ان يسري ببني اسرايل من مصر بالليل فامر موسى قومه ان يسرجوا
في بيوتهم السرج الى الصبح وان يستعيروا حلي القبط لتبقى لهم او
ليتبعوهم لاجل المال واخرج الله كل ولد زنا من القبط من بني
اسرايل الى بني اسرايل وكل ولد زنا من القبط الى القبط حتى يرجع
كل ولد الى ابيه والقى الله الموت على القبط فمات كل بكر لهم
فاشتغلوا بدفنهم • وقيل بلغ ذلك فرعون فقال لا اخرج في طلبهم
حتى يصيح الديك فما صاح تلك الليلة ديك وخرج موسى في بني
اسرايل وهم ستماية الف وعشرون الفا لا يعدون ابن عشرين سنة
لصغره ولا ابن ستين سنة لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب
اثنان وسبعون انسانا ما بين رجل وامراة • فلما ارادوا السير
ضرب عليهم التيه فلم يدروا اين ذهبوا فدعا موسى مشيخة بني اسرايل
وسالهم عن ذلك فقال ان موسى لما حضره اخذ على اخوته عهدا ان لا
يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك انسد علينا الطريق فسالهم
عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادي انشد الله كل من يعلم
اين قبر يوسف الا اخبرني به ومن لم يعلم صمت اذناه عن سماع قولي
فكان يمر بالرجل وهو ينادي فلا يسمع صوته حتى سمعته عجوز منهم
فقالت له ارايتك ان دللتك على قبره اتعطيني كل ما اسالك فابي

عليها

عليها وقال حتى اسال ربي فامره ان يعطيها سؤلها فقالت اني عجوز
لا استطيع المشي فاحملني معك واخرجني من مصر هذا في الدنيا واما
في الاخرة فاسالك ان لا تترك غرفة من غرف الجنة الا نزلتها معك
قال نعم قالت انه في النيل في جوف الما فادعوا الله ان يحسر عنه الماء
فدعا الله يحسر عنه الما ودعا الله ان يوخر عنه طلوع الفجر حتى يفرغ من
امر يوسف ثم حفر موسى ذلك الموضع فاستخرجه وهو في صندوق من
مرمر وحمله معه حتى دفنه بالشام فعند ذلك فتح لهم الطريق فسار
موسى ببني اسرايل هو في ساقتهم وهارون في مقدمتهم ثم خرج فرعون
في طلبهم في الف الف وسبعماية الف وكان فيهم سبعون الفا من
دهم الخيل سوى ساير الشيات • **وقيل** كان معهم ماية الف
حصان وكان فرعون في الدهم وكان على مقدمة عسكره هامان
وكان فرعون في سبعة الاف الف وكان بين يديه ماية الف ناشب
ومائة الف حراب ومائة الف معهم الاعمدة وسار بنوا اسرايل حتى
وصلوا البحر والما في غاية الزيادة ونظروا حتى اشرقت الشمس فاذا هم
بفرعون في جنوده فبقوا متحيرين وقالوا يا موسى اين ما وعدتنا به
فكيف نصنع هذا فرعون خلفنا ان ادركنا قتلنا والبحر امامنا ان
دخلناه غرقنا فاوحى الله اليه ان كنه فضربه وقال انفلق يا ابا خالد
فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم فظهر فيه اثني عشر طريقا لكل
سبط منهم طريق وارتفع الما بين كل طريقين كالجبل وارسل الله الريح
والشمس على قعر البحر حتى صارت يبسا وخاضت بنوا اسرايل البحر
كل سبط في طريق عن جوانبهم الما كالجبال الضخم لا يرى بعضهم بعضا
فخافوا وقال كل سبط منهم قد هلك اخواننا فاوحى الله الى جبال
الما ان تشبكي فصار الما كالشباك يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم
كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم
البحر **فانجيناكم** يعني من فرعون **واغرقنا آل فرعون** وذلك ان فرعون
لما وصل الى البحر فراه منفلقا قال لقومه انظروا الى البحر كيف انفلق من
هيبتي حتى ادرك عبيدي الذين ابقوا مني ادخلوا البحر فهاب قومه
ان يدخلوا وقيل قالوا له ان كنت ربا فادخل البحر كما دخل موسى
وكان فرعون على حصان ادهم ولم يكن في خيل فرعون فرس انثى فجاء
جبريل عليه السلام على فرس انثى وديق فتقدمه وخاض البحر فلما شم
ادهم فرعون ريحها اقتحم البحر في اثرها ولم يملك فرعون من امره شيا
واقتحمت الخيول خلفه في البحر وجا ميكائيل خلفهم يسوقهم وهو على فرس
ويقول الحقوا باصحابكم حتى صاروا كلهم في البحر وخرج جبريل من البحر وهم

اولهم بالخروج امر الله البحران ياخذهم فالتطم عليهم وغرقهم اجمعين وكان
بين طرفى البحراربع فراسخ وهو بحر القلزم وهو على طرف من بحر فارس
وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف وكان اغراق فرعون بمراى
من بنى اسرايل فذلك قوله **وانتم تنظرون** يعنى الى هلاكهم وقيل
الى مصارعهم وقيل ان البحر قذفهم حتى نظروا اليهم ووافق ذلك يوم
عاشورا فصام موسى ذلك اليوم شكرا لله تعالى **قوله عز وجل**
واذ وعدنا من المواعدة وهو من الله الامر ومن موسى القبول وذلك
ان الله وعده لمجى الميقات **موسى** اسم عبرى معرب فموسى بالعربية
الماوسى وهو الشجر سمى موسى لانه اخذ من الما والشجر ثم قلبت الشين
سينا فسمى موسى **اربعين ليلة** اى انقضا اربعين ليلة ثلاثين من
ذى القعدة وعشر من ذى الحجة وقرن التاريخ بالليل دون النهار لان
الاشهر العربية وضعت على سير القمر وقيل لان الظلمة اقدم من الضوء
ذكر القصة فى ذلك قال العلما لما انجى الله بنى اسرايل من البحر
واغرق عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها وعد الله
موسى ان ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه انى ذاهب الى ميقات
ربى لاتيكم منه بكتاب فيه بيان ما تاتون وما تذرون ووعدهم
اربعين ليلة واستخلف عليهم اخاه هارون فلما جا الوعد اتاه جبريل
عليه السلام على فرس يقال له فرس الحياة لا يصيب شيئا الا حيى
ليذهب بموسى الى ميقات ربه فراه السامرى وكان صايغا اسمه
ميخا • وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر • وقيل كان من اهل باجرا
وقيل كرمان • وقيل من بنى اسرايل من قبيلة يقال لها السامرة
وكان منافقا يظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فلما راى
جبريل على ذلك الفرس وراى موضع قدم الفرس يخضر فى الحال
فقال فى نفسه ان لهذا شانا • وقيل راى جبريل حين دخل البحر
قدام فرعون فقبض قبضة من تراب فرسه والقى فى روعه انه اذا
القى فى شى حيى فلما ذهب موسى الى الطور ومكث على الطور اربعين
ليلة وانزل الله عليه التوراة فى الالواح وكانت الالواح من زبرجد
وقربه نجيا واسمعه صرير الاقلام • وقيل انه بقى اربعين ليلة له لم
يحدث فيها حدثا حتى هبط من الطور وكانت بنوا اسرايل قد
استعاروا حليا كثيرا من القبط حين ارادوا الخروج من مصر بعلة
عرس لهم فلما هلك فرعون وقومه بقى ذلك الحلى فى ايديهم فلما
فصل موسى قال لهم السامرى ان الحلى الذى استعرتموها من القبط
غنيمة لا تحل لكم فاحفروا حفيرة وادفنوها فيها حتى يرجع موسى ويرى

فيها رايه • وقيل ان هارون امرهم بذلك فلما اجتمعت الحلى اخذها
السامرى وصاغها عجلا فى ثلاثة ايام ثم القى فيها القبضة التى اخذها
من تراب فرس جبريل عليه السلام فصار عجلا من ذهب مرصعا
بالجواهر وخار خورة • وقيل كان يخور ويمشى فقال لهم السامرى هذا
الهكم واله موسى فنسى اى فتركه هاهنا وخرج يطلبه وكانت بنوا
اسرايل قد اخلفوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى
عشرون يوما ولم يرجع موسى وقعوا فى الفتنة • وقيل كان موسى
وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة فكانت فتنتهم فى تلك
العشرة فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ظنوا انه قد مات
وراوا العجل وسمعوا قول السامرى عكف عليه ثمانية الاف رجل
يعبدونه • وقيل عبده كلهم الا هارون مع اثنى عشر الف رجل
وهذا اصح فذلك **قوله عز وجل ثم اتخذتم العجل** يعنى الها
من بعده اى من بعد موسى **وانتم ظالمون** اى وانتم ضارون لانفسكم
بالمعصية حين وضعتم العبادة فى غير موضعها **ثم عفونا عنكم** اى
محونا ذنوبكم وتجاوزنا عنكم **من بعد ذلك** اى من بعد عبادتكم العجل
لعلكم تشكرون اى لكى تشكروا عفوى عنكم وحسن صنيعى اليكم واصل
الشكر هو تصور النعمة واظهارها وبضاده الكفر وهو نسيان النعمة
وتسترها والشكر على ثلاثة اضرب شكر النعمة وهو تصور النعمة •
وشكر اللسان وهو الثنا على النعمة • وشكر بساير الجوارح وهو مكافاة
النعمة بقدر استحقاقها • وقيل الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح فى
السر والعلانية • وقيل حقيقة الشكر العجز عن الشكر • وحكى
ان موسى عليه الصلاة والسلام قال الهى انعمت على النعم السوابغ
وامرتنى بالشكر وانما شكرى اياك نعمة منك فاوحى الله تعالى اليه
يا موسى تعلمت العلم الذى لا فوقه علم حسبى من عبدى ان يعلم ما به
من نعمة فهى منى • وقال داود عليه الصلاة والسلام سبحان من
جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرا كما جعل اعترافه بالعجز عن
اعترافه معرفة • قال الفضيل شكر كل نعمة ان لا يعصى الله بعدها
بتلك النعمة • وقيل شكر النعمة ذكرها • وقيل شكر النعمة ان لا يراها
البتة ويرى المنعم • وقيل الشكر لمن فوقك بالطاعة والثنا ولنظيرك
بالمكافاة ولمن دونك بالاحسان والافضال **قوله عز وجل**
واذ اتينا موسى الكتاب يعنى التوراة **والفرقان** قيل هو نعت الكتاب
والواو زايدة والمعنى الكتاب المفرق بين الحلال والحرام والكفر
والايمان • وقيل الفرقان هو النصر على الاعدا والواو اصلية **لعلكم**

تهتدون يعني بالتوراة واذ قال موسى لقومه يعني الذين عبدوا
العجل يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل يعني الها تعبدونه
فكانهم قالوا ايش نصنع قال فتوبوا الى بارئكم اى ارجعوا الى خالقكم
بالتوبة قالوا كيف نتوب قال فاقتلوا انفسكم يعني ليقتل البرئ
منكم المجرم • فان قلت التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح
والعزم على ان لا يعود اليه وهذا مغاير للقتل فكيف يجوز تفسير
التوبة بالقتل • قلت ليس المراد تفسير التوبة بالقتل بل
بيان ان توبتهم لا تتم بالقتل وانما كان ذلك لان الله اوحى الى
موسى عليه السلام ان توبة المرتد لا تتم الا بالقتل • فان قلت
التائب من الردة لا يقتل فكيف استحقوا القتل وقد تابوا من الردة
قلت ذلك مما تختلف فيه الشرايع فلعل شرع موسى كان
يقتضي ان يقتل التائب من الردة اما عاما في حق الكل وخاصا
في حق الذي عبدوا العجل ذلكم خير لكم عند بارئكم يعني القتل وتحمل
هذه الشدة لان الموت لا بد منه فلما امرهم موسى بالقتل قالوا نصبر
لامر الله تعالى فجلسوا محتبين من الحبوة وهو ضم الساق الى البطن
بثوب وقيل لهم من حل حبوته او مد طرفه الى قاتله او اتقاه بيد
او رجل فهو ملعونة مردودة توبته واصلت القوم الخناجر والسيوف
واقبلوا عليهم فكان الرجل يرى ابنه واباه واخاه وقريبه وصديقه
وجاره فيرق له فما يمكنهم المضي لامر الله تعالى قالوا يا موسى كيف
نفعل فارسل الله تعالى عليهم سحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضا
فكانوا يقتلون الى المسا فلما كثر القتل دعا موسى وهارون الله
وبكيا وتضرعا الى الله وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية فكشف
الله السحابة عنهم وامرهم ان يكفوا عن القتل فتكشفت عن الوف من
القتلى • قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان عدد القتلى سبعين
الفا فاشتد ذلك على موسى فاوحى الله اليه اما يرضيك ان ادخل
القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقي مكفرا عنه
ذنوبه فذلك قوله عز وجل فتاب عليكم اى فعلتم ما امرتم به
فتجاوز عنكم انه هو التواب اى الرجاع بالمغفرة القابل للتوبة الرحيم
بخلقه قوله عز وجل واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك اي لن
نصدقك حتى نرى الله جهرة اي عيانا وذلك ان الله عز وجل
امر موسى ان ياتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة
العجل فاختار موسى من قومه سبعين رجلا من خيارهم وقال لهم
صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا وخرج بهم موسى الى طور سينا

لميقات

لميقات ربه فقالوا لموسى اطلب لنا ان نسمع كلام ربنا قال افعل فلما
دنا من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشى الجبل كله فدخل موسى في
الغمام وقال للقوم ادنوا حتى دخلوا تحت الغمام وخروا سجدا وكان
موسى اذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع احد ان ينظر
اليه فضرب دونهم الحجاب وسمعوه يكلم موسى يامره وينهاه واسمعهم
الله تعالى اني انا الله لا اله الا انا ذو بكة اخرجتكم من ارض مصر بيد
شديدة فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسى وانكشف الغمام
اقبل اليهم فلما فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة توكيد للرؤيا
لئلا يتوهم متوهم ان المراد بالروية العلم فاخذتكم الصاعقة قيل
هي الموت وقيل ضعف لان قوله وانتم تنظرون يرده اذ لو كان المراد
منها الموت لامتنع كونهم ناظرين اليها • وقيل ان الصاعقة هي سبب
الموت • واختلفوا في ذلك السبب فقيل ان نارا نزلت من السماء
فاحرقتهم • وقيل جاءت صيحة من السماء • وقيل ارسل جموعا من
الملائكة فسمعوا بحسهم فخروا صعقين وانتم تنظرون اى ينظر بعضكم
الى بعض كيف ياخذه الموت فلما هلكوا جعل موسى يبكي ويتضرع
ويقول الهي ماذا اقول لبني اسرائيل اذا اتيتهم وقد هلك خيارهم
لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا فلم
يزل يناشد ربه حتى احياهم الله رجلا بعد رجل بعدما ماتوا
يوما وليلة ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون فذلك قوله
عز وجل ثم بعثناكم اى احييناكم من بعد موتكم اى لتستوفوا
بقية اجالكم وارزاقكم ولو انهم كانوا قد ماتوا لانقضاء اجالهم لم
يبعثوا الى يوم القيمة لعلكم تشكرون قوله عز وجل وظللنا
عليكم الغمام يعني في التيه تقيكم حر الشمس وذلك انه لم يكن لهم
في التيه شي يسترهم من الشمس وجعل لهم عمودا من نور يضيء لهم بالليل
اذا لم يكن قمر وانزلنا عليكم المن والسلوى في التيه والاكثرون على
ان المن هو الترنجبين وقيل هو شي كالصمغ يقع على الشجر طعمه كالشهد
وقال وهب هو الخبز الرقاق واصل المن هو ما يمن الله به من غير
تعب ق عن سعيد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الكماة من المن وماؤها شفا للعين • ومعنى الحديث ان الكماة شي
انبته الله من غير سقي احد ولا مونة وهو بمنزلة المن الذي كان ينزل
على بني اسرائيل • وقوله وماؤها شفا للعين معناه انه يخلط مع
الادوية فينتفع به لا انه يقطر ماؤها بحتا في العين • وقيل ان تقطيره
في العين ينفع لكن لوجع مخصوص وليس يوافق كل وجع في العين وكان

هذا المن ينزل على اشجارهم في التيه في كل ليلة من وقت السحر الى طلوع
الشمس كالثلج لكل انسان صاع قالوا يا موسى قد قتلنا هذا المن
بحلاوته فادع لنا ربك ان يطعمنا اللحم فارسل الله عليهم السلوى
وهو طاير يشبه السمانا وقيل هو السمانا بعينه فكان الرجل ياخذ
ما يكفيه يوما وليلة فاذا كان يوم الجمعة ياخذ ما يكفيه ليومين
لانه لم يكن ينزل يوم السبت شى كلوا اى وقلنا لهم كلوا من طيبات
اى حلالات ما رزقناكم ولا تدخروا الغد فخالفوا وادخروا فدود وفسد
فقطع الله عنهم ذلك • وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لولا بنوا اسرايل لم يخبث الطعام ولم يخنز
اللحم ولولا حوى لم تخن انثى زوجها الدهر • قوله لم يخنز اللحم لم ينتن ولم
يتغير وما ظلمونا اى وما بخسوا حقنا ولكن كانوا انفسهم يظلمون
يعنى باخذهم اكثر مما حد لهم فاستحقوا بذلك عذابى وقطع مادة
الرزق الذى كان ينزل عليهم بلا مونة ولا تعب فى الدنيا ولا حساب
فى العقبى قوله عز وجل واذ قلنا ادخلوا هذه القرية
سميت قرية لاجتماع الناس فيها قال ابن عباس هى اريحا قرية الجبارين
وقيل كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة وراسهم عوج بن
عنق فعلى هذا يكون القايل يوشع بن نون لانه هو الذى فتح اريحا
بعد موسى لان موسى مات فى التيه وقيل هى بيت المقدس وعلى
هذا فيكون القايل موسى والمعنى اذا خرجتم بعد مضى الاربعين
سنة ادخلوا بيت المقدس فكلوا منها حيث شيتم رغدا اى موسعا عليكم
وادخلوا الباب فمن قال ان القرية اريحا قال ادخلوا من اى باب كان
من ابوابها وكان لها سبعة ابواب ومن قال ان القرية هى بيت المقدس
قال هو باب حطة سجدا منحنين خضعا متواضعين كالراكعين ولم يرد
به نفس السجود وقولوا حطة اى حط عنا خطايانا فامروا بالاستغفار
وقال ابن عباس قولوا لا اله الا الله لانها تحط الذنوب والخطايا
على تقدير مسيلتنا حطة نغفر لكم خطاياكم اى نسترها عليكم من الغفر
وهى الستر لان المغفرة ستر الذنوب وسنزيد المحسنين يعنى ثوابا
فبدل اى فغير الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم اى قولا قولا قالوا
غير ما قيل لهم وذلك انهم بدلوا قول الحطة بالحنطة فقالوا بلسانهم
حنطانا حمرانا اى حنطة حمرا وذلك استخفافا منهم بامر
الله تعالى وقيل طوطى لهم الباب ليخفضوا روسهم فابوا ذلك ودخلوا
زحفا على استاههم فخالفوا فى الفعل كما خالفوا فى القول وبدلوه ف
عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لبنى اسرايل

ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على استاههم
وقالوا حبة فى شعرة فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السما يعنى عذابا
من السما قيل ارسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم فى ساعة واحدة
سبعون الفا بما كانوا يفسقون اى يعصون ويخرجون عن امر الله تعالى
قوله عز وجل واذ استسقى موسى لقومه اى طلب السقيا لقومه
وذلك انهم عطشوا فى التيه فسالوا موسى ان يستسقى لهم ففعل فاوحى
الله كما قال مبينا فقلنا اضرب بعصاك وكان العصا من اس الجنة
طولها عشرة اذرع على طول موسى عليه السلام ولها شعبتان تتقدان
فى الظلمة نورا واسمها عليق وقيل نبعة حملها ادم من الجنة فتوارثها
الانبيا حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى الحجر قال وهب لم
يكن حجرا معينا بل كان موسى يضرب اى حجر كان فينفجر عيونا لكل
سبط عين وكانوا اثنى عشر سبطا • وقيل كان حجرا معينا بدليل انه
عرفه بالالف واللام • قال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا قدر
راس الرجل وكان موسى عليه السلام يضعه فى مخلاه فاذا احتاجوا
الى الما وضعه وضربه بعصاه • وقيل كان للحجر اربعة وجوه فى كل
وجه ثلاثة اعين لكل سبط عين وقيل كان من الرخام وقيل كان من
الكدان وهى الحجارة اللينة • وقيل هو الحجر الذى وضع موسى عليه ثوبه
ليغتسل ففر به فاتاه جبريل وقال ان الله يامرك ان ترفع هذا الحجر
فلى فيه قدرة ولك فيه معجزة فوضعه فى مخلاة فلما سالوه السقيا
قيل اضرب بعصاك الحجر فكان اذا احتاجوا الى الما وضعه وضربه
بعصاه فتنفجر منه عيون لكل سبط عين تسيل اليهم فى جدول وكان
اذا اراد حمله ضربه بعصاه فيذهب الما وييبس الحجر فذلك قوله تعالى
فانفجرت منه اثنتى عشرة عينا يعنى على عدد اسباط بنى اسرايل والمعنى
فضربه فانفجرت قال المفسرون انفجرت وانبجست اى عرقت وانفجرت
سالت قد علم كل اناس مشربهم اى موضع شربهم لا يدخل سبط على غيره
كلوا واشربوا اى وقلنا لهم كلوا واشربوا من رزق الله يعنى المن
والسلوى والما فهذا كله من رزق الله كان ياتيهم بلا مشقة ولا كلفة
ولا تعثوا فى الارض مفسدين العيث اشد الفساد فى هذه الاية معجزة
عظيمة لموسى عليه الصلاة والسلام حيث انفجر من الما الصغير ما روى منه
الجمع الكثير ومعجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اعظم لانه انفجر الما
من بين اصبعيه فروى منه الجم الغفير لان انفجار الما من الدم واللحم
اعظم من انفجاره من الحجر قوله عز وجل واذ قلتم يا موسى لن نصبر
على طعام واحد وذلك انهم سيموا من المن والسلوى وملوه فاشتهوا

غيره لان المواظبة على الطعام الواحد يكون سببا لنقصان الشهوة ٥
فان قلت هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد قلت
ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان فى مائدة الرجل عدة
الوان يداوم عليها كل يوم لا يبدلها كانت بمنزلة الطعام الواحد فادع
لنا ربك اى فاسال لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها
وفومها قال ابن عباس الفوم الخبز وقيل هو الحنطة وقيل هو الثوم
وعدسها وبصلها انما طلبوا هذه الانواع لانها تعين على تقوية
الشهوة او لانهم ملوا من البقا فى التيه فسالوا هذه الاطعمة التى لا
توجد الا فى البلاد وكان غرضهم الوصول الى البلاد لا تلك الاطعمة
قال يعنى موسى اتستبدلون الذى هو ادنى اى الذى هو اخس واردى
وهو الذى طلبوه بالذى هو خير يعنى بالذى هو اشرف وافضل
وهو ما هم فيه اهبطوا مصرا يعنى فان ابيتم الا ذلك فانزلوا مصرا من
الامصار وقيل بل هو مصر البلد الذى كانوا فيه ودخول التنوين
عليه كدخوله على نوح ولوط والقول هو الاول فان لكم ما سالتم يعنى
من نبات الارض وضربت عليهم الذلة اى جعلت الذلة محيطة بهم
مشتملة عليهم والزموا الذل والهوان وقيل الذلة الجزية وزى اليهود
وفيه بعد لانه لم يكن ضربت عليهم الجزية بعد والمسكنة اى الفقر
والفاقة وسمى الفقير مسكينا لان الفقر اسكنه واقعده عن الحركة
فترى اليهود وان كانوا اغنيا مياسير كانهم فقرا فلا ترى احدا من
اهل الملل اذل ولا احرص على المال من اليهود وباوا اى رجعوا ولا
يقال با الا بشر بغضب من الله وغضب الله ارادة الانتقام ممن عصاه
ذلك اى الغضب بانهم كانوا يكفرون بايات الله اى بصفة محمد صلى
الله عليه وسلم واية الرجم التى فى التوراة ويكفرون بالانجيل ويقتلون
النبيين النبى معناه المخبر من انبا ينبى وقيل هو بمعنى الرفيع ماخوذ
من النبوة وهو المكان المرتفع بغير الحق اى بغير جرم فان قلت
قتل الانبيا لا يكون الا بغير حق فما فايدة ذكره قلت ذكره
وصفا للقتل والقتل يوصف تارة بالحق وهو ما امر الله به وتارة
بغير الحق وهو قتل العدوان فهو كقوله قل رب احكم بالحق فالحق وصف
للحكم لا ان حكمه ينقسم الى حق وجور يروى ان اليهود قتلت سبعين
نبيا فى اول النهار وقامت سوق فضلها فى اخره وقتلوا زكريا ويحيى
وشعيبا وغيرهم من الانبيا ذلك بما عصوا اى ذلك القتل والكفر
بما عصوا امرى وكانوا يعتدون اى يتجاوزون امرى فيرتكبون محارمى
قوله عز وجل ان الذين امنوا والذين هادوا يعنى اليهود سموا

بذلك

بذلك لقولهم هدنا اليك اى ملنا اليك وقيل هادوا اى تابوا عن عبادة
العجل وقيل انهم مالوا عن دين الاسلام ودين موسى عليه السلام ٥
والنصارى سموا بذلك لقول الحواريين نحن انصار الله وقيل لاعتزائهم
الى قرية يقال لها ناصره وكان المسيح ينزلها والصابئين اصله من صبا
اذا خرج من دين الى دين اخر سموا بذلك لخروجهم من الدين قال عمرو ابن
عباس هم قوم بين اليهود والنصارى يحلقون اوساط روسهم وقيل هم
قوم يقرون بالله ويقرون الزبور ويعبدون الملايكة ويصلون الى
الكعبة اخذوا من كل دين شيا والاقرب انهم قوم يعبدون الكواكب
وذلك انهم يعتقدون ان الله تعالى خلق هذا العالم وجعل الكواكب
مدبرة له فيجب على البشر عبادتها وتعظيمها وانها هى التى تعقب الله
تعالى ولما ذكر هذه الوظايف قال من امن بالله واليوم الاخر فان قلت
كيف قال فى اول الاية ان الذين امنوا وقال فى اخرها من امن بالله
فما فايدة التعميم اولا ثم التخصيص اخرا قلت اختلف العلما فى حكم الاية
فلهم فيه طريقان احدهما انه اراد ان الذين امنوا على التحقيق ثم اختلفوا
فيهم فقيل هم الذين امنوا فى زمن الفترة وهم طلاب الدين مثل حبيب
النجار وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وبحيرا الراهب وابوذر الغفارى
وسلمان الفارسى فمنهم من ادرك النبى صلى الله عليه وسلم والذى
كانوا على الدين الباطل المبدل من اليهود والنصارى والصابيين
من امن منهم بالله واليوم الاخر وبمحمد صلى الله عليه وسلم فلهم اجرهم
عند ربهم وقيل هم المومنون من الامم الماضية ٥ وقيل هم المومنون من
هذه الامة والذين هادوا يعنى الذين كانوا على دين موسى ولم يبدلوا
والنصارى الذين كانوا على دين عيسى ولم يغيروا والصابيين يعنى
فى زمن استقامة امرهم من امن منهم ومات وهو مومن لان حقيقة
الايمان تكون بالوفاة ٥ واما الطريقة الثانية فقالوا ان المذكورين
بالايمان فى اول الاية انما هو على طريق المجاز دون الحقيقة وهم الذين
امنوا بالانبيا الماضيين ولم يومنوا به وقيل هم المنافقون الذين امنوا
بالسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم واليهود والنصارى والصابيين فكانه
تعالى قال هولا المطلوبون كل من امن منهم الايمان الحقيقى صار مومنا
عند الله ٥ وقيل ان المراد من قوله ان الذين امنوا يعنى بمحمد صلى الله
عليه وسلم فى الحقيقة حين الماضى وثبتوا على ذلك فى المستقبل وهو
المراد من قوله تعالى من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا اى فى ايمانه
فلهم اجرهم عند ربهم اى جزا اعمالهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون اى فى
الاخرة قوله عز وجل واذ اخذنا ميثاقكم اي عهدكم يا معشر اليهود

ورفعنا فوقكم الطور يعنى الجبل العظيم قال ابن عباس امر الله جبلا من
جبال فلسطين فانقلع من اصله حتى قام على روسهم وسبب ذلك ان الله
تعالى لما انزل التوراة على موسى وامرهم ان يعملوا باحكامها فابوا ان
يقبلوها لما فيها من الاصار يعنى الاثقال والتكاليف الشاقة امر الله
تعالى جبريل عليه السلام ان يقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان قدره فرسخا
فى فرسخ فرفعه فوق روسهم قدر قامة كالظلة وقيل لهم ان لم تقبلوا
ما فى التوراة والا ارسلت هذا الجبل عليكم خذوا اى وقلنا لهم خذوا
ما اتيناكم اى ما اعطيناكم بقوة اى بجد واجتهاد واذكروا ما فيه اى ادرسوا
ما فيه لعلكم تتقون اى لكى تنجوا من الهلاك فى الدنيا والعذاب فى العقبى
والا رضخت روسكم بهذا الجبل فلما راوا ذلك نازلا بهم قبلوا وسجدوا
وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصار ذلك سنة فى سجود اليهود
ولا يسجدون الا على انصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع عنا
العذاب ثم توليتم اى اعرضتم من بعد ذلك اى من بعد ما قبلتم
التوراة فلولا فضل الله عليكم ورحمته اى بالامهال لكنتم من الخاسرين
اى المغبونين بذهاب الدنيا والعذاب فى العقبى قوله عز وجل
ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم اى جاوزوا الحد فى السبت يقال سبتت
اليهود لانهم يعظمونه ويقطعون فيه اعمالهم واصل السبت القطع
ذكر الاشارة فى القصة قال العلما بالاخبار انهم كانوا فى زمن داود عليه
السلام بقرية بارض ايلة وحرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت
فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت فى البحر الا اجتمع هناك
حتى لا يرى الما من كثرتها فاذا مضى يوم السبت تفرقت الحيتان
ولزمن قعر البحر فذلك قوله تعالى اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا
ويوم لا يسبتون لا تاتيهم ثم ان الشيطان وسوس اليهم وقال انما نهيتم
عن اخذها يوم السبت ولم تنهوا عن اخذها فى غيره فعمد رجال منهم
فحفروا حياضا كبارا حول البحر وشرعوا منه اليها انهارا فاذا كان عشية
الجمعة فتحوا تلك الانهار فيقبل الموج من البحر بالحيتان الى تلك الحياض
فيقعن فيها ولا يقدرن على الخروج منها لعمقها فاذا كان يوم الاحد
اخذوها وقيل انهم كانوا ينصبون الشخوص والحبايل يوم الجمعة ويخرجونها
يوم الاحد ففعلوا ذلك زمانا ولم تنزل بهم عقوبة فتجروا على السبت
وقالوا ما نرى السبت الا قد احل لنا فاخذوا وملحوا واكلوا وباعوا
واثروا فلما فعلوا ذلك صار اهل القرية ثلاثة اصناف وكان نحو سبعين
الفا صنف امسك عن الصيد ونهى عن الاصطياد وصنف امسك ولم
ينهوا وصنف انهمكوا فى الذنب وهتكوا الحرمة وكان الصنف الناهون

اثنى عشر الفا فلما ابى المجرمون قبول نصحهم قالوا والله لا نساكنكم فى قرية
واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار فعبروا على ذلك سنين ثم لعنهم داود
وغضب الله عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من
بابهم ولم يخرج من المجرمين احد ولم يفتحوا الباب فلما ابطاوا تسوروا
عليهم الجدار فاذا هم جميعا قردة لهم اذناب وهم يتعاوون • وقيل صار
الشباب قردة والشيوخ خنازير فمكثوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يمكث
مسخ فوق ثلاث ولم يتوالدوا قال الله عز وجل فقلنا لهم كونوا قردة
خاسئين امر تحويل وتكوين ومعنى خاسئين مبعدين مطرودين وقيل
فيه تقديم وتاخير معناه كونوا خاسئين قردة ولم يقل خاسيات
فجعلناها يعنى عقوبتهم بالمسخ نكالا اى عقوبة وعبرة لمن بعدهم
وقيل جعلنا عقوبة اصحاب السبت عبرة لما بين يديها من القرى التى
كانت عامرة فى الحال وما خلفها اى ما يحدث بعدها من القرى ليتعظوا
بذلك قوله عز وجل وموعظة للمتقين اى المؤمنين من امة محمد
صلى الله عليه وسلم واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا
بقرة البقرة واحدة البقر وهى الانثى واصلها البقر وهو الشق سميت
بذلك لانها تشق الارض للحراثة • ذكر الاشارة الى القصة
فى ذلك قال علما السير والاخبار انه كان فى زمن بنى اسرايل رجل غنى
وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه
وحمله الى قرية اخرى والقاه على بابها ثم اصبح يطلب ثاره وجاء
بناس الى موسى يدعى عليهم بالقتل فجحدوا واشتبه امر القتل على
موسى صلى الله عليه وسلم فسالوا موسى ان يدع الله ليبين لهم ما
اشكل عليهم فسال موسى ربه فى ذلك فامره بذبح بقرة وامره ان
يضربه ببعضها فقال لهم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا
هزوا اى نحن نسالك امر القتل وانت تستهزئ بنا وتامرنا بذبح بقرة
وانما قال ذلك لبعد ما بين الامرين فى الظاهر ولم يعلموا ما وجه الحكمة
فيه قال يعنى موسى اعوذ بالله اى امتنع بالله ان اكون من الجاهلين
اى المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين بالجواب لا على وفق السوال
فلما علموا ان ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوه اياها ولو
انهم عمدوا الى اى بقرة كانت فذبحوها اجزات عنهم فشدد الله عليهم
وكان ذلك حكمة لله عز وجل وذلك انه كان رجل صالح فى بنى اسرايل
وله ابن طفل وله عجلة فاتى بها غيضة وقال اللهم انى استودعك هذه
العجلة لابنى حتى يكبر ومات ذلك الرجل وسارت العجلة فى الغيضة
عوانا وكانت تهرب من الناس فلما كبر ذلك الطفل وكان بارا بامه

وكان يقسم ثلاثة اجزا يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند راس امه ثلثا
فاذا اصبح انطلق فيحتطب ويأتي به السوق فيبيعه بما شا الله فيتصدق
بثلثه وياكل ثلثه ويعطي امه ثلثه فقالت له امه يوما يا بني ان اباك
ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق وادعو اله ابراهيم
واسمعيل ان يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يخيل اليك
ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها
وصفرتها فاتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال اعزم
عليك باله ابراهيم واسمعيل واسحاق فاقبلت البقرة حتى وقفت
بين يديه فقبض على قرنها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى
وقالت ايها الفتى البار بامه اركبني فانه اهون عليك فقال الفتى
امي لم تامرني بذلك فقالت البقرة والله لو ركبتني لم كنت تقدر
علي ابدا فانطلق فانك لو امرت الجبل ان يقلع من اصله لانقلع
لبرك امك فسار الفتى بها الى امه فقالت له امه انك رجل فقير
ولا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق
فبع البقرة فقال بكم ابيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتي
وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الفتى الى السوق وبعث
الله ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بامه وهو اعلم
فقال له الملك بكم هذه البقرة قال بثلاثة دنانير واشترط عليك
رضى امي فقال له الملك ستة دنانير ولا تستامر امك فقال الفتى
لو اعطيتني وزنها ذهبا لم اخذه الا برضى امي فرجع بها الى السوق
واتى الملك فقال له استامرت امك فقال الفتى نعم انها امرتني ان لا
انقصها من ستة على رضاها فقال الملك اني اعطيك اثني عشر دينارا
ولا تستامرها فابى الفتى ورجع الى امه فاخبرها بذلك فقالت له
امه ان الذي ياتيك ملك في صورة ادمي ليجربك فاذا اتاك فقل له
اتامرنا ان نبيع هذه البقرة ام لا ففعل فقال له الملك اذهب الى
امك فقل لها امسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك
لقتيل يقتل في بني اسرايل فلا تبيعها الا بملء مسكها ذهبا والمسك
الجلد فامسكها وقدر الله على بني اسرآيل ذبح البقرة بعينها مكافاة
لذلك الفتى على بره بامه فضلا من الله تعالى ورحمة فذلك
قوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي ما سنها قال
يعني موسى انه يقول يعني الله عز وجل انها بقرة لا فارض ولا بكر اي
لا كبيرة ولا صغيرة والفارض المسنة التي لم تلد والبكر الفتية التي لم
تلد عوان اي نصف بين ذلك اي بين المسنين فافعلوا ما تؤمرون

اى

اي من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما
لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها قال ابن عباس شديدة
الصفرة وقيل لونها صاف وقيل الصفراء السوداء والاول اصح لانه يقال
اصفر فاقع واسود حالك تسر الناظرين اي يعجبهم حسنها وصفاء لونها
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي سائمة ام عاملة ان البقر تشابه
علينا اي التبس واشتبه امرها علينا وانا ان شاء الله لمهتدون اي الى
وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لو لم يستثنوا لما
بينت لهم اخر الدهر قال انه يقول انها بقرة لا ذلول اي ليست مذللة
بالعمل تثير الارض اي تقلبها للزراعة ولا تسقي الحرث اي ليست بثانية
والثانية هي التي تسقي الما من البير لسقي الارض مسلمة اي بريئة من
العيوب لا شية فيها اي لا لون فيها غير لونها قالوا الآن جئت بالحق
اي بالبيان التام الذي لا اشكال فيه فطلبوها فلم يجدوا بقرة بكمال
وصفها الا بقرة ذلك الفتى فاشتروها منه بملء مسكها ذهبا فذبحوها
وما كادوا يفعلون اي وما قاربوا ان يفعلوا ما امروا به قيل لغلاء ثمنها
وقيل لخوف الفضيحة وقيل لعزة وجودها بهذه الاوصاف جميعا ٥
قوله عز وجل واذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة بذلك لوجود القتل
فيهم فادارأتم فيها قال ابن عباس اي اختلفتم واختصمتم من الدرا وهو
الدفع لان المتخاصمين يدفع بعضهم بعضا والله مخرج ما كنتم تكتمون اي
مظهر ما كتمتم من امر القتل لا محالة ولا يتركه مكتوما فقلنا اضربوه
يعني القتيل ببعضها اي ببعض البقرة قال ابن عباس ضربوه بالعظم
الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن وقيل ضربوه بلسانها وقيل بعجب
الذنب وقيل بفخذها اليمين والاقرب انهم كانوا مخيرين في ذلك البعض
وانهم اذا ضربوه باي جزء منها اجزا وحصل المقصود وانه ليس في القران
ما يدل على ذلك البعض ما هو وذلك يقتضي التخيير وفي الاية اضمار
تقديره فضربوه فحيي وقام باذن الله تعالى واوداجه تشخب دما وقال
قتلني فلان يعني ابن عمه ثم سقط ميتا فحرم قاتله الميراث وفي الخبر ما ورث
قاتل بعد صاحب البقرة كذلك اي كما احيى الله عاميل صاحب البقرة يحيي
الله الموتى يعني يوم القيمة ويريكم اياته لعلكم تعقلون اي تمنعون
انفسكم عن المعاصي ٥ **فان قلت** كان حق هذه القصة ان يقدم
ذكر القتيل اولا ثم ذكر ذبح البقرة بعد ذلك فما وجه ترتيب هذه القصة
على هذا الترتيب **قلت** وجهه ان الله تعالى لما ذكر من قصص بني
اسرايل وما وجد من خباثاتهم تقريعا لهم على ذلك وما وجد فيهم
من الايات العظيمة وهاتان القصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع

من التفريع وان كانتا متصلتين متحدتين من نفس الامر فالاولى لتقريعهم على تلك المسارعة الى امتثال الامر وما يتبعه والثانية لتقريعهم على قتل النفس المحرمة فلو قدم قصة القتيل على قصة الذبح لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض الى تثنية التقريع فلهذا قدم ذكر الذبح اولا ثم عقبه بذكر القتل **فان قلت** ما فايدة ضرب القتيل ببعض البقرة والله تعالى قادر على ان يحييه ابتدا من غير ضرب بشى **قلت** الفايدة فيه ان تكون الحجة اوكد وعن الحيلة ابعد لاحتمال ان يتوهم متوهم ان موسى انما احياه بضرب من السحر والحيلة فاذا احيي القتيل عندما ضرب ببعض البقرة انتفت الشبهة وعلم ان ذلك من عند الله تعالى وبامره كان ذلك **فان قلت** هلا امروا بذبح غير البقرة **قلت** الكلام في غير البقرة لو امروا به كالكلام في البقرة ثم في ذبح البقرة فوايد • منها التقرب بالقربان على ما كانت العادة جارية عندهم • ومنها ان هذا القربان كان عندهم من اعظم القرابين ومنها تحمل المشقة العظيمة في تحصيلها بتلك القيمة • ومنها حصول ذلك المال العظيم الذي اخذه صاحبها من ثمنها

فصل

في حكم هذه المسئلة في شريعة الاسلام اذا وقعت وذلك انه اذا وجد قتيل في موضع ولا يعرف قاتله فان كان ثم لوث على انسان ادعي به واللوث ان يغلب على المدعى الظن صدق المدعي بان اجتمع جماعة في بيت او صحرا ثم تفرقوا على قتيل فيغلب على الظن ان القاتل فيهم او وجد قتيل في محلة او قرية وكلهم اعدا القتيل لا يخالطهم غيرهم فيغلب على الظن انهم قتلوه فان ادعى الولي على بعضهم حلف خمسين يمينا على من يدعي عليه وان كان الاوليا جماعة توزع الايمان عليهم فاذا حلفوا اخذوا الدية من عاقلة المدعى عليه ان ادعوا قتل خطا وان ادعوا قتل عمدا فمن مال المدعى عليه ان ادعوا قتل خطا ولا قود عليه في قول الاكثرين • وذهب عمر بن عبد العزيز الى وجوب القود وبه قال مالك واحمد فان لم يكن ثم لوث فالقول قول المدعى عليه لان الاصل براة ذمته من القتل • وهل يحلف يمينا واحدة ام خمسين يمينا فيه قولان احدهما انه يحلف يمينا واحدة كما في ساير الدعاوى • والثاني يحلف خمسين يمينا تغليظا لامر القتيل • وعند ابي حنيفة لا حكم للوث ولا يبدا بيمين المدعي بل اذا وجد قتيل في محلة يختار الامام خمسين رجلا من صلحا اهلها فيحلفهم انهم ما قتلوه ولا يعرفوا له قاتلا فان حلفوا والا اخذوا الدية من سكانها • والدليل على ان البداية بيمين المدعي عند وجود اللوث ما روي عن سهل بن ابي حثمة قال انطلق عبد الله

ابن سهل ومحيصة بن مسعود الى خيبر وهي يومئذ صلح فتفرقا فاتى محيصة الى عبد الله بن سهل وهو يتشحط في دمه قتيلا فدفنه ثم قدم المدينة فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحيصة وحويصة ابنا مسعود الى النبي صلى الله عليه وسلم فذهب عبد الرحمن ليتكلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر كبر وهو احدث القوم سنا فسكت فتكلما فقال اتحلفون وتستحقون قاتلكم او قال صاحبكم فقالوا كيف نحلف ولم نشهد ولم نر قال فتبريكم يهود بايمان خمسين منهم قالوا كيف ناخذ بايمان قوم كفار فعقله النبي صلى الله عليه وسلم من عنده • وفي رواية يقسم خمسون منكم على رجل منهم فيدفع برمته وذكر نحوه وفي وزاد في رواية فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبطل دمه فوداه بماية من ابل الصدقة اخرجاه في الصحيحين • **وجه** الدليل من هذا الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا بايمان المدعين لتقوى جانبهم باللوث لان اليمين ابدا تكون من تقوى جانبه وعند عدم اللوث يكون من جانب المدعى عليه من حيث ان الاصل براة ذمته فكان القول قوله مع يمينه والله اعلم **ثم قست قلوبكم** اي يبست وجفت وقساوة القلب انتزاع الرحمة منه • وقيل معناه غلظت واسودت **من بعد ذلك** اي من بعد ظهور الدلالات التي جاءها موسى • وقيل هي اشارة الى احيا القتيل بعد ضربه ببعض البقرة **فهي** يعني القلوب في الغلظ والشدة **كالحجارة** اي كالشي الصلب الذي لا تخلخل فيه **او اشد قسوة** وقيل او بمعنى بل وقيل بمعنى الواو اي واشد قسوة **فان قلت** لم شبه قلوبهم بالحجارة ولم يشبهها بالحديد وهو اشد من الحجارة واصلب **قلت** لان الحديد قابل للين بالنار وقد لان لداود عليه السلام والحجارة ليست قابلة للين فلا تلين قط ثم فضل الحجارة على القلب القاسي فقال **وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار** قيل اراد به جميع الحجارة وقيل اراد به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى لسقي الاسباط والتفجر التفتح بالسعة والكثرة **وان منها لما يشقق فيخرج منه الما** يعني العيون الصغار التي هي دون الانهار **وان منها لما يهبط من خشية الله** اي ينزل من اعلا الجبل الى اسفله وخشيتها عبارة عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع عن ما يريد منها وقلوبكم يا معشر اليهود لا تلين ولا تخشع **فان قلت** الحجر جماد لا يفهم ولا يعقل فكيف يخشى **قلت** ان الله تعالى قادر على افهام الحجر والجماد فتعقل وتخشى بالهامه لها ومذهب اهل السنة ان لله تعالى في الجمادات والحيوانات علما وحكمة

لا يقف عليه غيره فلها صلاة وتسبيح وخشية يدل عليه قوله وان من
شيء الا يسبح بحمده • وقال تعالى والطير صافات كل قد علم صلاته
وتسبيحه فيجب على المرء الايمان به ويكل علمه الى الله تعالى م عن
جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعرف
حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث وانى لاعرفه الآن • عن علي قال
كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا الى بعض نواحيها
فما استقبله شجر ولا جبل الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب خ عن جابر بن عبد الله قال
كان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جذع في قبلته يقوم
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته فلما وضع المنبر
سمعنا للجذع مثل اصوات العشار حتى نزل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فوضع يده عليه • وفي رواية صاحت النخلة صياح الصبي
فنزل النبي صلى الله عليه وسلم حتى اخذها فضمها اليه فجعلت تان
انين الصبي الذي يسكت حتى استقرت قال بكت على ما كانت تسمع
من الذكر قال مجاهد ما يتنزل من اعلى الى اسفل الا من خشية الله
وذلك يشهد لما قلنا وما الله بغافل عما تعملون فيه وعيد وتهديد
والمعنى ان الله بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لاعمالهم حتى
يجازيهم بها في الاخرة قوله عز وجل افتطمعون خطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم لانه هو الداعي الى الايمان واعاد ذكره بلفظ الجمع
تعظيما له وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لانهم
كانوا يدعونهم الى الايمان ايضا ومعنى افتطمعون افترجون ان يؤمنوا
لكم اي يصدقكم اليهود بما تخبرونهم • وقيل معناه افتطمعون ان يؤمنوا
لكم مع انهم لم يؤمنوا بموسى عليه الصلاة والسلام وكان هو السبب
في خلاصهم من الذل وظهور المعجزات على يده وقد كان فريق منهم
يسمعون كلام الله قيل المراد بالفريق هم الذين كانوا مع موسى يوم
الميقات وهم الذين سمعوا كلام الله تعالى وقيل المراد بهم الذين كانوا
في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الاقرب لان الضمير راجع اليهم
في افتطمعون ان يؤمنوا لكم فعلى هذا يكون معنى يسمعون كلام الله
تعالى يعني التوراة لانه يصح ان يقال لمن يسمع التوراة يسمع كلام الله
ثم يحرفونه اي يغيرون كلام الله ويبدلونه فمن فسر الفريق الذين
يسمعون كلام الله بالفريق الذي كانوا مع موسى صلى الله عليه وسلم
استدل بقول ابن عباس انها نزلت في السبعين الذين اختارهم
موسى لميقات ربه وذلك لانهم لما رجعوا الى قومهم بعد ان سمعوا

كلام

كلام الله اما الصادقون منهم فانهم ادوا كما سمعوا وقالت طايفة منهم سمعنا
الله يقول في اخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا فافعلوا وان شئتم فلا
تفعلوا فكان هذا تحريفهم ومن فسر الفريق الذين يسمعون كلام الله
بالذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال وكان تحريفهم وتبديلهم
صفة النبي صلى الله عليه وسلم واية الرجم في التوراة من بعد ما عقلوه
اي علموا صحة كلام الله ومراده فيه ثم مع ذلك خالفوه وهم يعلمون
اي فساد مخالفته ويعلمون ايضا انهم كاذبون قوله عز وجل
واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا نزلت في اليهود كانوا في زمن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس ان منافقي اليهود كانوا اذا لقوا
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا امنا بالذي امنتم به
وان صاحبكم صادق • وقوله حق وانا نجد نعته وصفته في كتابنا
واذا خلا بعضهم الى بعض يعني كعب بن الاشرف وكعب بن اسد
ووهب بن يهودا ورؤسا اليهود لاموا منافقي اليهود على ذلك قالوا
اتحدثونهم بما فتح الله عليكم يعني قضى الله عليكم في كتابكم من صفة
محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وقوله صدق ليحاجوكم به اي
ليخاصموكم به اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحتجوا عليكم بقولكم
فيقولون لكم قد اقررتم انه نبي حق في كتابكم الا تتبعوه وذلك ان
اليهود قالوا لاهل المدينة حتى شاوروهم في اتباع محمد صلى الله
عليه وسلم امنوا به فانه نبي حق ثم لام بعضهم بعضا وقالوا اتحدثونهم
بما فتح الله عليكم لتكون لهم الحجة عليكم عند ربكم اي في الدنيا والاخرة
وقيل هو قول يهود بني قريظة بعضهم لبعض حين قال لهم النبي صلى
الله عليه وسلم يا اخوان القردة والخنازير قالوا من اخبر محمدا بهذا
ما اخرج الا منكم • وقيل ان اليهود اخبروا بما عذبهم الله به من
الجنايات فقال بعضهم لبعض اتحدثونهم بما قضى الله عليكم من
العذاب ليروا الكرامة لانفسهم عليكم عند الله افلا تعقلون
اي ان ذلك لا يليق بما انتم عليه اولا يعلمون يعني اليهود ان الله
يعلم ما يسرون اي ما يخفون وما يعلنون اي ما يبدون وما يظهرون
قوله عز وجل ومنهم اي من اليهود اميون اي لا يحسنون الكتابة
ولا القراءة جمع امي وهو المنسوب الى امه كانه باق على ما انفصل
من الام لم يتعلم كتابة ولا قراءة لا يعلمون الكتاب الا اماني جمع
امنية وهي التلاوة ومنه قول الشاعر •
تمنى كتاب الله اول ليلة • تمنى داود الزبور على رسل •
اي تلى كتاب الله وقال ابن عباس معناه غير عارفين بمعاني كتاب الله

تعالى • وقيل الاماني الاحاديث الكاذبة المختلقة وهي الاشيا الذى
كتبها علماوهم من عند انفسهم واضافوا الى الله تعالى من تغير نعت
النبى صلى الله عليه وسلم وصفته وغير ذلك • وقيل هو من التمنى
وهو قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة وغير ذلك مما تمنوه
فعلى هذا يكون المعنى لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون اشيا لا تحصل
لهم وان هم الا يظنون اى ليسوا على يقين فويل الويل كلمة تقولها
العرب لكل من وقع فى هلكة واصلها فى اللغة العذاب والهلاك
وقال ابن عباس الويل شدة العذاب • وعن ابى سعيد الخدرى
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الويل واد فى جهنم يهوى
فيه الكافر اربعون خريفا قبل ان يبلغ قعره اخرجه الترمذى وقال
حديث غريب الخريف سنة للذين يكتبون الكتاب بايديهم تاكيد
للكتابة لانه يحتمل ان يامر غيره بان يكتب فقال بايديهم لنفى هذه
الشبهة والمراد بالذين يكتبون الكتاب اليهود وذلك ان روسا
اليهود خافوا ذهاب ماكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبى صلى
الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا فى تعويق سفلتهم عن الايمان
به فعمدوا الى صفته فى التوراة فغيروها وكانت صفته فيها حسن
الوجه حسن الشعر اكحل العينين ربعة فغيروا ذلك وكتبوا مكانه
طوال ازرق العينين سبط الشعر فكان اذا سالهم سفلتهم عن ذلك قروا
عليهم ما كتبوه ثم يقولون هذا من عند الله يعنى هذه الصفة التى
كتبوها فاذا نظروا الى النبى صلى الله عليه وسلم والى تلك الصفة
فيجدونه مخالفا لها فيكذبونه ويقولون انه ليس به ليشتروا به
اى بما كتبوا ثمنا قليلا اى الماكل والرشى التى كانوا ياخذونها من
سفلتهم قال الله تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما
يكسبون **قوله عز وجل** وقالوا اى اليهود لن تمسنا اى لن
تصيبنا النار الا اياما معدودة اى قدرا مقدرا ثم يزول عنا العذاب
قال ابن عباس قالت اليهود مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانا نعذب
بكل الف سنة يوما ثم ينقطع عنا العذاب بعد سبعة ايام وقيل
انهم عنوا بالايام الاربعين يوما التى عبدوا فيها العجل • وقيل
ان اليهود زعموا ان الله تعالى عتب عليهم فى امر فاقسم ليعذبنا اربعين
يوما تحلة القسم فقال الله تعالى ردا عليهم وتكذيبا لهم قل اى يا محمد
قل لليهود اتخذتم عند الله عهدا اى موثقا ان لا يعذبكم الا هذه المدة
فلن يخلف الله عهده اى وعده ام تقولون على الله ما لا تعلمون بلى
اثبات لما بعد حرف النفى وهو قوله لن تمسنا النار والمعنى بل تمسكم النار

ابدا

ابدا من كسب سيئة السيئة اسم يتناول جميع المعاصى كبيرة كان او صغيرة
والسيئة هنا الشرك فى قول ابن عباس واحاطت به خطيئته اى احدقت
به من جميع جوانبه قال ابن عباس هى الشرك يموت عليه صاحبه • وقيل
احاطت به اى اهلكته خطيئته واحبطت به طاعته فعلى مذهب اهل
السنة يتعين تفسير السيئة والخطيئة فى هذه الاية بالكفر والشرك
لقوله تعالى فاوليك اصحاب النار هم فيها خالدون فان الخلود فى النار
هو للكفار والمشركين والذين امنوا وعملوا الصالحات **فان قلت**
العمل الصالح خارج عن اسم الايمان لانه تعالى قال والذين امنوا وعملوا
الصالحات فلو دل الايمان على العمل الصالح لكان ذكر العمل الصالح
بعد الايمان تكرارا **قلت** اجاب بعضهم بان الايمان وان كان تدخل
فيه جميع الاعمال الصالحة الا ان قوله امن لا يفيد الا انه فعل فعلا واحدا
من فعل الايمان فلهذا حسن ان يقول والذين امنوا وعملوا الصالحات
وقيل ان قوله امنوا يفيد الماضى وعملوا الصالحات يفيد المستقبل
فكانه تعالى قال امنوا اولا ثم داوموا عليه آخرا ويدخل فيه جميع الاعمال
الصالحة اوليك اصحاب الجنة هم فيها خالدون **قوله عز وجل** واذ
اخذنا ميثاق بنى اسرايل يعنى فى التورية والميثاق العهد الشديد
لا تعبدون الا الله امر الله تعالى بعبادته فيدخل تحته النهى عن
عبادة غيره لان الله تعالى هو المستحق للعبادة لا غيره وبالوالدين
احسانا اى برا بهما ورحمة لهما ونزولا عند امرهما فيما لا يخالف امر الله
تعالى ويوصل اليهما ما يحتاجان اليه ولا يوذيهما البتة وان كانا
كافرين بل يجب عليه الاحسان اليهما ومن الاحسان اليهما ان يدعوهما
الى الايمان بالرفق واللين وكذا ان كانا فاسقين يامرهما بالمعروف
بالرفق واللين من غير عنف وانما عطف بر الوالدين على الامر بعبادته
لان شكر المنعم واجب ولله على عبده اعظم النعم لانه هو الذى خلقه
واوجده بعد العدم فيجب تقديم شكره على شكر غيره ثم قال ان
للوالدين على الولد نعمة عظيمة لانهما السبب فى كون الولد ووجوده
ثم ان لهما عليه حق التربية ايضا فيجب شكرهما ثانيا وذى القربى
اى القرابة لان حق القرابة تابع لحق الوالدين والاحسان اليهم انما
هو بواسطة الوالدين فلهذا حسن عطف القرابة على الوالدين
واليتامى جمع يتيم وهو الذى مات ابوه وهو طفل صغير فاذا بلغ
الحلم زال عنه اليتم ويجب رعاية حقوق اليتيم لثلاثة امور لصغره
ويتمه وخلوه عمن يقوم بمصلحته اذ لا يقدر هو ان ينتفع بنفسه ولا
يقوم بحوايجه والمساكين جمع مسكين وسياتى بيانه ان شا الله تعالى

وانما اخرت درجة المساكين عن اليتامى لانه قد يمكن ان ينتفع بنفسه
وينفع غيره بالخدمة وقولوا للناس حسنا فيه وجهان احدهما انه
خطاب للحاضرين من اليهود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فلهذا
عدل عن الغيبة الى الحضور والمعنى قولوا حقا وصدقا في شان محمد
صلى الله عليه وسلم فمن سالكم عنه فاصدقوه وبينوا صفته ولا
تكتموه قاله ابن عباس ٥ الوجه الثاني ان المخاطبين به هم الذين كانوا في
زمن موسى عليه السلام واخذ عليهم الميثاق وانما عدل عن الغيبة
الى الحضور على طريق الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين
بهم وقيل فيه حذف تقديره وقلنا لهم في الميثاق وقولوا للناس حسنا
ومعناه مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر وقيل هو اللين في القول
والعشرة وحسن الخلق واقيموا الصلاة واتوا الزكاة ولما امرهم الله
تعالى بهذه التكاليف الثمانية فتكون لهم المنزلة عنده بما التزموا به
اخبر عنهم انهم وفوا بذلك بقوله تعالى ثم توليتم اى اعرضتم عن العهد
الا قليلا منكم يعني من الذين امنوا منهم كعبد الله بن سلام واصحابه
فانهم وفوا بالعهد وانتم معرضون اى كاعراض ابائكم قوله عز وجل
واذ اخذنا ميثاقكم هو خطاب لمن كان في زمن النبي صلى الله عليه
وسلم من اليهود وقيل هو خطاب لابائهم وفيه تقريع لهم لا تسفكون
اى لا تريقون دماءكم اى لا يسفك بعضكم دم بعض وقيل معناه
لا تسفكوا دماء غيركم فيسفك دماءكم فكانكم انتم سفكتم دماء انفسكم
ولا تخرجون انفسكم من دياركم اى لا يخرج بعضكم بعضا من داره
وقيل لا تفعلوا شيئا فتخرجوا بسببه من دياركم ثم اقررتم اى بهذا
انه حق وانتم تشهدون يعني انتم يا معشر اليهود اليوم تشهدون على
ذلك ثم انتم هؤلاء يعني يا هؤلاء اليهود تقتلون انفسكم اى يقتل بعضكم
بعضا وتخرجون فريقا منكم من ديارهم اى يخرج بعضكم بعضا من
ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان اى تتعاونون عليهم
بالمعصية والظلم وان ياتوكم اسارى جمع اسير تفدوهم وهو محرم
عليكم اخراجهم اى بالمال وهو استنقاذهم بالشراء وقرئ تفادوهم
اى تبادلوهم وهو مفاداة الاسير بالاسير ومعنى الاية ان الله تعالى
اخذ على بني اسرايل في التوراة ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج
بعضهم بعضا من ديارهم وايما عبد او امة من بني اسرايل وجدتموه
فاشتروه بما قام من ثمنه واعتقوه وكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير
حلفاء الخزرج وكان بين الاوس والخزرج حروب فكانت بنو النضير
تقاتل مع حلفائهم واذا غلب احد الفريقين جمعوا له مالا يفدونه به

فعيرتهم

فعيرتهم العرب وقالوا كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم قالوا انما امرنا ان
نفديهم فقالوا كيف تقاتلونهم فقالوا انا نستحي ان يذل حلفاؤنا فعيرهم
الله تعالى فقال ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وفي الاية تقديم وتاخير
تقديره وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم
والعدوان وهو محرم عليكم اخراجهم وان ياتوكم اسارى تفدوهم فكان
الله تعالى اخذ عليهم اربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك
المظاهرة مع اعدائهم وفك اسراهم فاعرضوا عن الكل الا الفداء
قال الله عز وجل افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض
معناه ان وجدتموهم في يد غيركم فديتموهم وانتم تقتلونهم بايديكم فكان ايمانهم
الفداء وكفرهم قتل بعضهم بعضا فذمهم على مناقضة افعالهم لا على
الفداء لانهم اتوا ببعض ما وجب عليهم وتركوا البعض فما جزاء من
يفعل ذلك منكم يعني يا معشر اليهود الا خزي في الحياة الدنيا
اى عذاب وهوان فكان خزي بني قريظة القتل والسبي وخزي
بني النضير الاجلاء والنفي من منازلهم الى اريحا واذرعات من ارض
الشام ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب يعني عذاب النار
وما الله بغافل عما تعملون فيه وعد وتهديد عظيم اولئك الذين
اشتروا اى استبدلوا الحياة الدنيا بالاخرة لان الجمع بين لذات الدنيا
والاخرة غير ممكن فمن اشتغل بتحصيل لذات الدنيا فاتته لذات الاخرة
فلا يخفف عنهم العذاب اى فلا يهون عليهم ولا هم ينصرون اى ولا
يمنعون من عذاب الله تعالى قوله عز وجل ولقد اتينا اى اعطينا
موسى الكتاب يعني التوراة جملة واحدة وقفينا اى واتبعنا من
التقفية وهو ان يقفو اثر الاخر من بعده اى من بعد موسى بالرسل
يعني رسولا بعد رسول وكانت الرسل من بعد موسى الى زمن عيسى
عليهما السلام متواترة يظهر بعضهم في اثر بعض والشريعة واحدة
قيل ان الرسل بعد موسى يوشع بن نون واشمويل وداود وسليمان
وارميا وحزقيل والياس ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وكانوا
يحكمون بشريعة موسى الى ان بعث الله عيسى عليه السلام فجاءهم
بشريعة جديدة وغير بعض احكام التوراة فذلك قوله تعالى
واتينا عيسى ابن مريم البينات اى الدلالات الواضحات وهي
المعجزات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وقيل هي الانجيل واسم
عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل هو علم لها
كزيد من الرجال وايدناه اى وقويناه بروح القدس قيل اراد بالروح
الذي نفخ فيه والقدس هو الله تعالى [illegible] واضاف روح عيسى اليه

تشريفا وتكريما وتخصيصا له كما تقول عبد الله وامة الله وناقة الله
وقيل هو الانجيل لانه حياة القلوب سماه روحا كما سمى القران روحا
وقيل هو جبريل ووصفه بالقدس وهو الطهارة لانه لم يقترف
ذنبا قط • وقيل القدس هو الله تعالى والروح جبريل كما تقول
عبد الله سمى جبريل روحا للطافته لانه روحانى خلق من النور
وقيل سمى روحا لمكانه من الوحى الذى هو سبب حياة القلوب ٥
وحمل روح القدس هنا على جبريل اولى لانه تعالى قال وايدناه
اى قويناه بجبريل وذلك انه امر ان يكون مع عيسى ويسير معه
حيث سار فلم يفارقه حتى صعد به الى السما فلما سمعت اليهود
بذكر عيسى قالوا يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم عملت ولا كما تقص علينا
من اخبار الرسل فعلت فاتنا بما اتى به عيسى ان كنت صادقا
افكلما جاكم يعنى يا معشر اليهود رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم
اى تعظمتم عن الايمان به ففريقا كذبتم يعنى مثل عيسى ومحمد صلى الله
عليه وسلم وفريقا تقتلون يعنى مثل زكريا ويحيى وساير من قتلوه
وذلك ان اليهود كانوا اذا جاهم رسول بما لا يهوون كذبوه فان
تهياء لهم قتلوه قتلوه وانما كانوا كذلك لارادتهم الدنيا وطلب
الرياسة وقالوا يعنى اليهود قلوبنا غلف جمع اغلف وهو الذى
عليه غشاوة فلا يعى ولا يفقه قال ابن عباس غلف بضم اللام جمع
غلاف والمعنى ان قلوبنا اوعية للعلم فلا تحتاج الى علمك وقيل
اوعية من الوعى لا تسمع حديثا الا وعته الا حديثك فانها لا
تعيه ولا تعقله ولو كان خيرا لفهمته ووعته قال الله تعالى
بل لعنهم الله بكفرهم اى طردهم وابعدهم من كل خير وسبب كفرهم انهم
اعترفوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم انكروه وجحدوه قال الله
تعالى فقليلا ما يومنون اى لم يومن منهم الا قليل لان من امن من المشركين
كان اكثر منهم **قوله عز وجل** ولما جاهم كتاب من عند الله يعنى
القران مصدق لما معهم يعنى التورية وهو التصديق فى صحة نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم لان نبوته وصفته ثابتة فى التوراة وكانوا يعنى
اليهود من قبل اى من قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم يستفتحون
اى يستنصرون به على الذين كفروا يعنى مشركى العرب وذلك انهم كانوا
اذا حزبهم امر ودهمهم عدو يقولون اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى اخر
الزمان الذى نجد صفته فى التوراة فكانوا ينصرون وكانوا يقولون
لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم
معه قتل عاد وثمود وارم فلما جاهم ما عرفوا كفروا به اى الذى عرفوه

وقال ابن عباس هو اسم الله الاعظم
الذى كان يحيى عيسى به الموتى

يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم عرفوا نعته وصفته وانه من غير بنى
اسرايل كفروا به اى جحدوه وانكروه بغيا وحسدا فلعنة الله على
الكافرين بيس ما اشتروا به انفسهم اى بيس شيا اشتروا به انفسهم
حين استبدلوا الباطل بالحق واشتروا يعنى باعوا والمعنى بيس ما باعوا
به حظ انفسهم ان يكفروا بما انزل الله يعنى القران بغيا اى حسدا
ان ينزل الله من فضله يعنى الكتاب والنبوة على من يشا من عباده
يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم فباوا اى فرجعوا بغضب على غضب
اى مع غضب قال ابن عباس الغضب الاول بتضييعهم التوراة وتبديلهم
والثانى بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاول بكفرهم بعيسى
والانجيل والثانى بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران وقيل الاول
بعبادتهم العجل والثانى بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وللكافرين
يعنى الجاحدين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم
عذاب مهين اى يهانون فيه واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله يعنى
بالقران وقيل بكل ما انزل الله قالوا نومن بما انزل علينا يعنى
التوراة وما انزل على انبيائهم ويكفرون بما وراه اى بما سواه من
الكتب وقيل بما بعده يعنى الانجيل والقران وهو الحق يعنى القران
مصدقا لما معهم يعنى التوراة قل يا محمد قل فلم تقتلون انبياء الله
من قبل انما اضاف القتل للمخاطبين من اليهود وان كان سلفهم قتلوا
لانهم رضوا بفعلهم قيل اذا عملت المعصية فى الارض فمن كرهها
وانكرها برى منها وان رضيها كان من اهلها ان كنتم مومنين
اى بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتل الانبيا **قوله عز وجل**
ولقد جاكم موسى بالبينات اى بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة
ثم اتخذتم العجل من بعده اى من بعد موسى لما ذهب الى الميقات وانتم
ظالمون انما كرره تبكيتا لهم وتاكيدا للحجة عليهم واذ اخذنا ميثاقكم
ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا اى استجيبوا
واطيعوا اى فيما امرتم به قالوا سمعنا يعنى قولك وعصينا يعنى
امرك وقيل انهم لم يقولوا بالسنتهم ولكن لما سمعوه وتلقوه تلقوه
بالعصيان فنسب اليهم ذلك واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم
اى تداخل حبه فى قلوبهم والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ فى
الثوب **وقيل** ان موسى امران يبرد العجل ويذره فى النهر
وامرهم ان يشربوا منه فمن بقى فى قلبه شى من حب العجل ظهر سحالة
الذهب على شاربه قل بيس ما يامركم به ايمانكم اى بان تعبدوا
العجل والمعنى بيس الايمان ايمان يامر بعبادة العجل ان كنتم مومنين

اى بزعمكم وذلك انهم قالوا نؤمن بما انزل علينا فكذبهم الله تعالى بذلك
فى قوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون
الناس وذلك ان اليهود ادعوا دعاوى باطلة منها قولهم لن يدخل
الجنة الا من كان هودا وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه فكذبهم الله
والزمهم الحجة فقال قل يا محمد لليهود ان كانت لكم الدار الاخرة يعنى
الجنة خالصة اى خاصة لكم دون الناس فتمنوا الموت اى اطلبوه
واسالوه لان من علم ان الجنة ماواه واهلها له حن لها ولا سبيل الى
دخولها الا بعد الموت فاستعجلوه بالتمنى ان كنتم صادقين اى فى
قولكم ودعواكم • وروى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه وما بقى على وجه
الارض يهودى الا مات قال الله تعالى ولن يتمنوه ابدا بما قدمت
ايديهم اى لعلمهم انهم فى دعواهم كاذبون بما قدمت ايديهم يعنى من الاعمال
السيئة وانما اضاف العمل الى اليد لان اكثر جنايات الانسان من يده
والله عليم بالظالمين فيه تخويف وتهديد لهم وانما خصهم بالظلم لانه
اعم من الكفر لان كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافر فلهذا كان اعم وكانوا
اولا به ولتجدنهم اللام للقسم والنون للتوكيد تقديره والله لتجدنهم
يا محمد يعنى اليهود احرص الناس على حياة اى حياة متطاولة والحرص
اشد الطلب ومن الذين اشركوا قيل هو متصل بما قبله ومعطوف عليه
والمعنى واحرص من الذين اشركوا فان قلت الذين اشركوا
قد دخلوا تحت الناس فى قوله احرص الناس فلم افردهم بالذكر •
قلت افردهم بالذكر لشدة حرصهم وفيه توبيخ عظيم لليهود
لان الذين لا يؤمنون بالمعاد ولا يعرفون الا الحياة الدنيا لا يستغرب
حرصهم عليها فاذا زاد عليهم فى الحرص من له كتاب وهو مقر بالبعث
والجزا كان حقيقا بالتوبيخ العظيم وقيل ان الواو واو استيناف
تقديره ومن الذين اشركوا ناس يود احدهم يود احدهم وهم
المجوس سموا بذلك لانهم يقولون بالنور والظلمة يود اى يتمنى
احدهم لو يعمر الف سنة اى تعمير الف سنة وانما خص الالف لانها
نهاية العقود ولانها تحية المجوس فيما بينهم يقولون بره هزار سال
اى عش الف سنة او الف نيروز او الف مهرجان فهذه تحيتهم والمعنى
ان اليهود احرص من المجوس الذين يقولون ذلك وما هو بمزحزحه
اى بمباعده من العذاب اى النار ان يعمر اى لو عمر طول عمره لا ينقذه
من العذاب والله بصير بما يعملون اى لا يخفى عليه خافية من احوالهم
قوله عز وجل قل من كان عدوا لجبريل قال ابن عباس سبب نزول

هذه

هذه الاية ان عبد الله بن صوريا حبر من احبار اليهود قالوا للنبى صلى
الله عليه وسلم اى ملك ياتيك من السما قال جبريل قال ذاك عدونا
ولو كان ميكايل لامنا بك ان جبريل ينزل بالعذاب والخسف والشدة
وانه عادانا مرارا واشد ذلك علينا ان الله انزل على نبينا ان بيت
المقدس سيخرب على يد رجل يقال له بخت نصر فلما كان وقته بعثنا من
يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فاخذه ليقتله فدفع عنه جبريل وقال
ان كان الله امره بهلاككم فلن تسلط عليه وان كان لم يكن هو فعلى اى
حق تقتله فلما كبر ذلك الغلام وقوى غزانا وخرب بيت المقدس
فلهذا نتخذه عدوا فانزل الله هذه الاية وقيل قالوا ان الله
امره ان يجعل النبوة فينا فجعلها فى غيرنا فاتخذناه عدوا • وقيل
ان عمر بن الخطاب كان له ارض باعلا المدينة وكان ممره اليها على
مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يوما ما فى
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم احب الينا منك وانا لنطمع فيك
فقال عمر والله ما اتيتكم لحبكم ولا اسالكم لانى شاك فى دينى وانما
ادخل عليكم لازداد بصيرة فى امر محمد صلى الله عليه وسلم وارى
اثاره فى كتابكم فقالوا من صاحب محمد الذى ياتيه من الملائكة
قال جبريل قالوا ذلك عدونا يطلع محمدا صلى الله عليه وسلم على
سرنا وهو صاحب عذاب وخسف وشدة وان ميكايل يجى بالخصب
والسلامة فقال لهم تعرفون جبريل وتنكرون محمدا قالوا نعم قال
فاخبرونى عن منزلة جبريل وميكايل من الله تعالى قالوا جبريل عن
يمينه وميكايل عن يساره وميكايل عدو لجبريل فقال عمر اشهد
انه من كان عدوا لاحدهما كان عدوا للاخر ومن كان عدوا لهما
كان عدوا لله ثم رجع عمر الى النبى صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل
قد سبقه بالوحى فقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الايات
وقال لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر والله لقد رايتنى بعد ذلك
فى دينى اصلب من الحجر والاقرب ان سبب هذه العداوة كون جبريل
كان ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم بالوحى لان قوله فانه نزله
على قلبك مشعر بذلك وقوله فانه نزله يعنى جبريل نزل بالقران
كناية عن غير مذكور على قلبك يا محمد وانما خص القلب بالذكر لانه
محل الحفظ باذن الله اى بامره مصدقا اى موافقا لما بين يديه اى
لما قبله من الكتب وهدى وبشرى للمؤمنين اى فى القران هداية
للمؤمنين الى الاعمال الصالحة التى يترتب عليها الثواب وبشرى
لهم بثوابها اذا اتوا بها من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل

وميكال لما بين في الاية الاولى اي من كان عدوا لجبريل لاجل انه
نزل بالقران على قلب محمد صلى الله عليه وسلم فبين في هذه الاية ان
كل من كان عدوا لاحد من هولاء فانه عدو لجميعهم وبين ان الله عدو
له بقوله فان الله عدو للكافرين فاما عداوتهم لله فانها لا تضره ولا
توثر وعداوته لهم تودبهم الى العذاب الاليم الذي لا ضرر اعظم
منه وقيل المراد من عداوتهم لله عداوتهم لاوليايه واهل
طاعته فهو كقوله انما جزا الذين يحاربون الله ورسوله اي يحاربون
اوليا الله واهل طاعته • وقوله وملايكته ورسله يعني من عادا
واحدا من هولاء فقد عادى جميعهم ومن كفر بواحد منهم فقد كفر
بجميعهم وجبرايل وميكايل انما خصهما بالذكر وان كانا داخلين
في جملة الملايكة لبيان شرفهما وفضلهما وعلو منزلتهما وقدم جبريل
على ميكايل لفضله عليه لان جبريل ينزل بالوحي الذي هو غذاء
الارواح وميكايل ينزل بالمطر الذي هو غذا الابدان وجبرايل
وميكايل اسمان اعجميان ومعناهما عبد الله وعبد الله لان جبر وميك
بالسريانية هو العبد وايل هو الله ولقد انزلنا اليك ايات بينات
قال ابن عباس هذا جواب لابن صوريا حيث قال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم يا محمد ما جيتنا بشي نعرفه وما انزل عليك من اية
بينة نتبعك بها فانزل الله هذه الايات ولقد انزلنا اليك ايات
بينات ومعنى بينات واضحات مفصلات بالحلال والحرام والحدود والاحكام
وما يكفر بها اي وما يجحد بهذه الايات الا الفاسقون اي الخارجون عن
طاعتنا وما امروا به اوكلما عاهدوا عهدا قال ابن عباس لما ذكرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخذ عليهم من العهود في محمد صلى الله
عليه وسلم ان يومنوا به قال مالك بن الصيف والله ما عهد الينا في محمد
عهدا فانزل الله هذه الاية اوكلما استفهام انكار عاهدوا عهدا هو قولهم
انه قد اظل زمان نبي مبعوث وانه في كتابنا وقيل انهم عاهدوا عهودا
كثيرة ونقضوها نبذه اي طرح العهد ونقضه فريق منهم يعني اليهود
بل اكثرهم لا يومنون يعني كفر فريق منهم بنقض العهد وكفر فريق
منهم بالجحد للحق ولما جاءهم رسول من عند الله يعني محمد صلى الله عليه
وسلم مصدق لما معهم يعني مصدق بصحة التوراة وبنبوة موسى عليه
الصلاة والسلام كان مجرد مبعثه مصدق للتوراة نبذ فريق من
الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم قيل اراد بالكتاب القران
وقيل التوراة وهو الاقرب لان النبذ لا يكون الا بعد التمسك ولم
يتمسكوا بالقران اما نبذهم التوراة فانهم كانوا يقرونها ولا يعملون بها

وقيل

وقيل انهم ادرجوا في الحرير وحلوها بالذهب ولم يعملوا بما فيها كانهم لا
يعلمون يعني انهم نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علم به ومعرفة وانما
حملهم على ذلك عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وهم علما اليهود الذين
كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكتموا امره وكان اوليك النفر
قليل قوله عز وجل واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني اليهود
نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين ومعنى تتلوا تقرا من
التلاوة وقيل معناه تفترى وتكذب على ملك سليمان وهو قولهم
ان سليمان ملك الناس بالسحر وقيل على ملك سليمان اي عهده
وزمانه وقصة ذلك ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجات على لسان
اصف بن برخيا سليمان الملك وكتبوا ودفنوه تحت كرسيه وذلك حين
نزع الله عنه الملك ولم يشعر بذلك وقيل ان بني اسرايل اشتغلوا
بتعليم السحر في زمانه فمنعهم سليمان من ذلك واخذ كتبه ودفنها
تحت سريره فلما مات استخرجها الشيطان وقال للناس انما ملككم
سليمان بهذا فتعلموه فاما صلحا بني اسرايل وعلماوهم فانكروا ذلك
وقال معاذ الله ان يكون هذا العلم من علم سليمان • واما السفلة
منهم فقالوا هذا هو علم سليمان واقبلوا على تعليمه وتركوا كتب انبيايهم
وفشت الملامة لسليمان فلم تزل هذه حالتهم الى ان بعث الله تعالى
محمدا صلى الله عليه وسلم وانزل عليه براة سليمان عليه السلام فقال
تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان
يعني بالسحر ولم يعمل به وفيه تنزيه سليمان عن السحر وذلك ان اليهود
انكروا نبوة سليمان وقالوا انما حصل له هذا الملك وسخرت الانس
والجن له بسبب السحر وقيل ان السحر من اليهود زعموا انهم اخذوا
السحر عن سليمان فبراه الله عن ذلك وقيل ان بعض احبار اليهود قال
الا تعجبون من محمد يزعم ان سليمان كان نبيا وما كان الا ساحرا فانزل
الله تعالى وما كفر سليمان يعني ان سليمان نبيا بينا في كونه ساحرا كافرا
ثم بين تعالى ان الذي براه منه لاحق بغيره فقال ولكن الشياطين كفروا
يعني ان الذين اتخذوا السحر لانفسهم هم الذين كفروا ثم بين سبب كفرهم
فقال تعالى يعلمون الناس السحر يعني ما كتب لهم الشياطين من كتب
السحر وقيل يحتمل ان يكون يعلمون يعني اليهود الذين عنوا بقوله
واتبعوا وسمي السحر سحرا لخفا سببه ولا يفعل الا في خفية وقيل معنى
السحر الازالة وصرف الشي عن وجهه تقول العرب ما سحرك عن كذا
اي ما صرفك عنه فكان الساحر لما ارى الباطل في صورة الحق فقد
سحر الشي عن وجهه اي صرفه هذا اصله من حيث اللغة واما حقيقته

فقد قيل انه عبارة عن التمويه والتخييل ومذهب اهل السنة ان له
وجودا وحقيقة العمل به كفر وذلك اذا اعتقد ان الكواكب هي الموثرة
في قلب الاعيان روي عن الشافعي انه قال السحر تخيل ويمرض وقد
يقتل حتى اوجب القصاص على من قتل به • وقيل ان السحر يوثر في قلب
الاعيان فيجعل الانسان على صورة الحمار والحمار على صورة الكلب وقد
يطير الساحر في الهوى وهذا القول ضعيف عند اهل السنة لانهم قالوا
ان الله تعالى هو الخالق الفاعل لهذه الاشيا عند عمل الساحر لذلك لا ان
الساحر هو الفاعل لها المؤثر فيها والاصح ان السحر يخيل ويوثر في
الابدان بالامراض والجنون والموت ويدل على ذلك ان للكلام تاثيرا
في الطباع فقد يسمع الانسان ما يكره فيحم وقد مات قوم سمعوه ن
فالسحر بمنزلة العلل في الابدان • واما حكمه فانه من الكبائر التي
نهي عنها ويحرم تعلمه لما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات • قيل يا رسول الله وما
هن قال الاشراك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق
واكل مال اليتيم والزنا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات
المؤمنات اخرجاه في الصحيحين فعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
السحر من الكبائر وثناه بالشرك وامرنا باجتنابه • وقوله الموبقات
يعني المهلكات • والسحر على قسمين احدهما يكفر صاحبه وهو ان يعتقد
ان القدرة لنفسه في ذلك وهو الموثر او يعتقد ان الكواكب هي الموثرة
الفعالة فاذا انتهى به السحر الى هذه الغاية صار كافرا بالله تعالى ويجب
قتله لما روي عن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حد
الساحر ضربه بالسيف اخرجه الترمذي • والقسم الثاني من السحر وهو
التخيل الذي يشاكله النيرنجات والشعبذة ولا يعتقد صاحبه لنفسه
فيه قدرة ولا ان الكواكب هي الموثرة ويعتقدون ان القدرة لله تعالى
وانه هو الموثر فهذا القدر لا يكفر صاحبه ولكنه معصية وهو من
الكبائر ويحرم فعله فان قتل بسحر قتل قصاصا • لما روي عن مالك انه
بلغه ان حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قتلت جارية لها سحرتها
وقد كانت دبرتها فامرت بها فقتلت اخرجه في الموطا قوله عز وجل
وما انزل على الملكين اي ويعلمون الذي انزل على الملكين والانزال
هنا بمعنى الالهام والتعليم اي ما الهما وعلما • وقرئ في الشاذ الملكين
بكسر اللام قال هما رجلان ساحران كانا ببابل وقيل علجان ووجهه ان
الملائكة لا يعلمون السحر والقراة المشهورة بفتح اللام فان قلت
كيف يجوز ان يضيق الله تعالى ذلك على الملائكة وكيف يجوز للملائكة

تعليم

تعليم السحر قلت قال ابن جرير الطبري ان الله تعالى عرف عباده جميع
ما امرهم به وجميع ما نهاهم عنه ثم امرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يامرون
به وينهون عنه ولو كان الامر على ذلك لما كان للامر والنهي معنى
مفهوم والسحر مما نهى عباده من بني ادم فغير منكر ان يكون الله تعالى
علمه الملكين الذين سماهما في تنزيله وجعلهما فتنة لعباده من بني ادم
كما اخبر عنهما انهما يقولان لمن جاء يتعلم ذلك منهما انما نحن فتنة فلا تكفر
ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن السحر وعن التفريق بين المرء وزوجه
فيتمحص المومن بتركه التعليم منهما ويخزى الكافر بتعلمه الكفر والسحر
ويكون الملكين اي تعليمهما ما علما من ذلك مطيعين لله تعالى اذا
كانا عن اذن الله تعالى لهما بتعليم ذلك وغير ضارهما سحر من سحر ممن
تعلم ذلك بعد نهيهما اياه عنه بقولهما انما نحن فتنة فلا تكفر اذ كانا
قد اديا ما امروا به وقال غيره انهما لا يتعمدان ذلك بل بصفات السحر
ويذكران بطلانه ويامران باجتنابه فالشقي من ترك نصحهما وتعلم
السحر من وصفهما والسعيد من قبل نصحهما وترك تعلم السحر منهما
وقيل ان الله تعالى امتحن الناس بهما في ذلك الزمان فالشقي من
تعلم السحر منهما فيكفر به والسعيد من تركه فيبقى له ايمانه ولله
تعالى ان يمتحن عباده بما شا كما امتحن بني اسرائيل بنهر طالوت بقوله
فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني ببابل قيل هي بابل
العراق بارض الكوفة سميت بذلك لتبلبل الالسنة بها عند سقوط
صرح نمرود وقيل انها بابل دنباوند والاول اصح واشهر هاروت
وماروت اسمان سريانيان وقصة الاية على ما ذكره ابن عباس وغيره
قالوا ان الملائكة لما راوا ما يصعد الى السما من اعمال بني ادم الخبيثة
في زمن ادريس عليه السلام فعيروهم وقالوا هولا الذين جعلتهم في
الارض واخترتهم وهم يعصونك فقال الله عز وجل لو انزلتكم الى الارض
وركبت فيكم ما ركبت فيهم لركبتم مثل ما ركبوا قالوا سبحانك ما كان
ينبغي لنا ان نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم
اهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلح الملائكة
واعبدهم وكان اسم هاروت عزا وماروت عزايا فغير اسمهما لما قارفا
الذنب وركب الله فيهما الشهوة واهبطهما الى الارض وامرهما ان يحكما
بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا
وشرب الخمر فكانا يقضيان بين الناس يومهما فاذا امسيا ذكرا اسم الله
الاعظم وصعدا الى السما فما مر عليهما شهر حتى افتتنا • وقيل افتتنا في اول
يوم وذلك انه اختصم اليهما امراة يقال لها الزهرة وكانت من اجمل

اهل فارس وقيل كانت ملكة فلما رايا ها اخذت بقلوبهما فقال احدهما
لصاحبه هل سقط فى نفسك مثل الذى سقط فى نفسى قال نعم
فراودوها عن نفسها فابت وانصرفت ثم عادت اليوم الثانى ففعلا
مثل ذلك فابت وقالت لا الا ان تعبدا هذا الصنم وتقتلا النفس
وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشيا فان الله تعالى قد نهانا عنها
فانصرفت ثم عادت فى اليوم الثالث ومعها قدح خمر وفى انفسهما
من الميل اليها ما فيها فراودوها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت
بالامس فقالا الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم واهون
الثلاثة شرب الخمر فشربا لما انتشيا وقعا بالمراة فزنيا بها فراهما
انسان فقتلاه خوف الفضيحة **وقيل** انهما سجدا للصنم وقيل
جاتهما امراة من احسن الناس تخاصم زوجها فقال احدهما للاخر
هل سقط فى نفسك مثل الذى سقط فى نفسى قال نعم قال هل لك
ان تقضى لها على زوجها فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من
العفو والرحمة فقتلاه ثم سالاها نفسها فقالت لا الا ان لها صنما
تعبده ان انتما صليتما معى عنده فعلت فقال احدهما لصاحبه مثل
القول الاول فرد عليه مثله فصليا معها عنده فمسخت شهابا • وقال
على بن ابى طالب قالت لهما لن تدركانى حتى تخبرانى بالذى تصعدان
به الى السما فقالا باسم الله الاكبر قالت فما انتما بمدركى حتى تعلمانى
اياه فقال احدهما للاخر علمها فقال انى اخاف الله فقال الاخر فاين
رحمة الله فعلماها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السما فمسخها الله كوكبا
فذهب بعضهم الى انها هى الزهرة بعينها وانكر اخرون ذلك وقالوا
ان الزهرة من الكواكب السيارة السبعة التى اقسم الله بها فقال فلا
اقسم بالخنس الجوار الكنس والذى فتنت هاروت وماروت كانت امراة
تسمى الزهرة لجمالها وحسنها فلما بغت مسخها الله تعالى شهابا قال
فلما امسى هاروت وماروت بعدما قارفا الذنب هما بالصعود الى
السما فلم تطاوعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا ادريس النبى
عليه السلام واخبراه بامرهما وسالاه ان يشفع لهما الى الله عز وجل
وقالا له رابنا يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع اهل الارض
فاشفع لنا الى ربك ففعل ذلك ادريس فخيرهما الله بين عذاب
الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا عذاب الدنيا اذ علما انه ينقطع فهما
ببابل يعذبان • قيل انهما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة وقيل
انهما منكوسان يضربان بسياط الحديد وقيل ان رجلا قصدهما ليتعلم
السحر فوجدهما معلقين بارجلهما مزرقة عيونهما مسودة جلودهما

ليس بين السنتهما وبين الما الا قدر اربع اصابع وهما يعذبان بالعطش
فلما راى ذلك هاله فقال لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قالا لا اله
الا الله قال رجل من الناس فقالا من اى امة انت قال من امة محمد
صلى الله عليه وسلم قالا وقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم
قالا الحمد لله واظهرا الاستبشار • فقال الرجل مم استبشاركما قالا انه نبى
الساعة وقد دنا انقضا عذابنا

فصل فى القول بعصمة الملايكة

اجمع المسلمون على ان الملايكة مؤمنون
فضلا واتفق ايمة المسلمين على ان حكم الرسل من الملايكة حكم النبيين
سوا فى العصمة فى باب البلاغ عن الله عز وجل وفى كل شى ثبت فيه
عصمة الانبيا فكذلك الملايكة وانهم مع الانبيا فى التبليغ اليهم
كالانبيا مع اممهم • ثم اختلفوا فى غير المرسلين من الملايكة فذهب
طايفة من المحققين وجمع المعتزلة الى عصمة جميع الملايكة عن
الذنوب والمعاصى واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية
وذهب طايفة الى ان غير المرسلين من الملايكة غير معصومين
واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية منها قصة هاروت وماروت
وما نقله اهل الاخبار والسير • ونقله ابن جرير الطبرى فى تفسيره
عن جماعة من الصحابة والتابعين فننقل قصة هاروت وماروت
بالفاظ متقاربة عن على بن ابى طالب وابن مسعود وكعب الاحبار
والسدى وربيع ومجاهد • **واجاب** من ذهب الى عصمة جميع
الملايكة عن قصة هاروت وماروت بان ما نقله المفسرون واهل
الاخبار فى ذلك لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك
شى وهذه الاخبار انما اخذت من اليهود وقد علم افتراوهم على الانبيا
والملايكة وقد ذكر الله عز وجل فى هذه الايات افترا اليهود
على سليمان اولا ثم عطف على ذلك قصة هاروت وماروت ثانيا
قالوا ومعنى الاية وما كفر سليمان يعنى بالسحر الذى افتعله عليه
الشياطين واتبعتهم فى ذلك اليهود فاخبر عن افترايهم وكذبهم •
وذكر ايضا **الجواب** عن هذه القصة وانها باطلة وجوها •
الاول ان فى القصة ان الله تعالى قال للملايكة لو ابتليتم بما ابتلت
به بنو ادم لعصيتمونى قالوا سبحانك ما ينبغى لنا ان نعصيك وفيه
رد على الله وذلك كفر وقد ثبت انهم كانوا معصومين قبل ذلك
فلا يقع هذا منهم • **الوجه** الثانى انهما خيرا بين عذاب الدنيا
وعذاب الاخرة وذلك فاسد لان الله تعالى لا يخير من اشرك وان
كان قد صحت توبتهما فلا عقوبة عليهما • **الوجه** الثالث ان المراة

لما تحرت كيف يعقل انها صعدت الى السما وصارت كوكبا وعظم الله
قدرها بحيث اقسم بها في قوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس فبان
هذه الوجوه ركة هذه القصة والله اعلم بصحة ذلك وسقمه والاول
تنزيه الملائكة عن كل ما لا يليق بمنصبهم **وقوله تعالى** وما
يعلمان من احد حتى يقولا يعني احدا حتى ينصحاه اولا ويقولا انما
نحن فتنة اي ابتلاء ومحنة فلا تكفر اي لا تتعلم السحر فتعمل به فتكفر
قيل يقولان انما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات فان ابى قبول نصحهما
وصمم على التعليم يقولان له ايت هذا الرماد فتبل عليه فاذا فعل
ذلك خرج منه نور ساطع في السما فذلك الايمان والمعرفة وينزل
شي اسود مثل شبه الدخان حتى يدخل مسامعه وذلك غضب الله
تعالى فيتعلمون منهما يعني من الملكين ما يفرقون به بين المرء
وزوجه اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين
كالتمويه والتخييل والنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله تعالى
عنده البغضا والنشوز والخلاف بين الزوجين ابتلاء من الله تعالى
لان السحر له تاثير في نفسه بدليل قوله وما هم يعني السحرة بضارين به
اي بالسحر من احد اي احدا الا باذن الله اي بعلمه وقضائه وتكوينه
فالساحر يسحر والله تعالى يقدر ويكون ذلك بقضا الله تعالى وقدرته
ومشيئته ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم يعني السحر لانهم يقصدون
به الشر ولقد علموا يعني اليهود لمن اشتراه اي اختار السحر ما له
في الاخرة من خلاق يعني ما له نصيب في الجنة ولبئس ما شروا به
انفسهم اي باعوا حظ انفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين
والحق لو كانوا يعلمون فان قلت كيف اثبت لهم العلم اولا في
قوله ولقد علموا على التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم اخرا في قوله لو كانوا
يعلمون قلت قد علموا ان من اشترى السحر ما له في الاخرة
من خلاق ثم مع هذا العلم خالفوا واشتغلوا بالسحر وتركوا العمل
بكتاب الله وما جاءت به الرسل عنادا منهم وبغيا وذلك على معرفة
منهم بما لمن فعل ذلك من العقاب فجعلهم حين لم يعملوا بعلمهم كانهم
منسلخين منه ولو انهم يعني اليهود امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران
واتقوا يعني اليهودية والسحر وما يؤثمهم لمثوبة من عند الله اي لكان ثواب
الله اياهم خير لهم يعني هذا الثواب لو كانوا يعلمون يعني ذلك يا ايها
الذين امنوا لا تقولوا راعنا سبب نزول هذه الاية ان المسلمين كانوا يقولون
راعنا يا رسول الله من المراعاة اي ارعنا سمعك وفرغه لكلامنا وكانت
هذه اللفظة سبا قبيحا بلغة اليهود ومعناها عندهم اسمع لا سمعت وقيل

من

من الرعونة اذا ارادوا ان يحمقوا انسانا قالوا راعنا يعني احمق فلما سمعت
اليهود هذه الكلمة فيما بينهم من المسلمين قالوا كنا نسب محمدا سرا فاعلنوا
به الان فكانوا ياتونه ويقولون راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم فسمعها
سعد بن معاذ رضي الله عنه ففطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لليهود
لئن سمعتها من احد منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن
عنقه فقالوا اولستم تقولونها فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا
تقولوا راعنا اي كيلا يجد اليهود بذلك سبيلا الى شتم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقولوا انظرنا اي انظر الينا وقيل معناه انتظرنا
وتان بنا وتمهل علينا واسمعوا اي ما تؤمرون به واطيعوا نهى الله تعالى
عباده المؤمنين ان يقولوا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم راعنا لئلا
يتطرق احد الى شتمه وامرهم بتوقيره وتعظيمه وان يتخيروا الخطاب له صلى الله
عليه وسلم من الالفاظ احسنها ومن المعاني ارقها وان يسالوه بتبجيل
وتعظيم ولين ولا يخاطبوه بما يسر اليهود وللكافرين يعني اليهود عذاب
اليم ما يود اي ما يحب الذين كفروا من اهل الكتاب يعني اليهود ولا
المشركين يعني عبدة الاوثان لان الكفر اسم جنس تحته نوعان اهل كتاب
وهم الذين بدلوا كتابهم وكذبوا الرسل وعبدة الاوثان ومن عبد غير الله
ان ينزل عليكم من خير من ربكم يعني ما انزل الله عز وجل على نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم من الوحي والنبوة وانما كرهت اليهود واتباعهم
من المشركين ذلك حسدا او بغيا منهم على المؤمنين وذلك ان المسلمين
قالوا لحلفائهم من اليهود امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قالوا ما هذا
الذي تدعوننا اليه بخير مما نحن فيه ولوددنا لو كان خيرا فانزل الله
هذه الاية تكذيبا لهم والله يختص برحمته من يشاء يعني انه تعالى
يختص بنبوته ورسالته من يشا من عباده ويتفضل بالايمان والهداية
على من احب من خلقه رحمة منه لهم والله ذو الفضل العظيم يعني ان كل
خير ناله عباده في دينهم ودنياهم فانه منه ابتدا وتفضلا عليهم من غير
استحقاق منهم ذلك بل له الفضل والمنة على خلقه **قوله عز وجل**
ما ننسخ من اية او ننسأها الاية وسبب نزولها ان المشركين قالوا
ان محمدا يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم
قولا ويرجع عنه غدا ما يقول الا من تلقا نفسه كما اخبر الله تعالى عنهم
بقوله واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر
وانزل ما ننسخ من اية فبين بهذه الاية وجه الحكمة في النسخ وانه من
عنده لا من عند محمد صلى الله عليه وسلم واصل النسخ في اللغة يكون
بمعنى النقل والتحويل ومنه نسخ الكتاب وهو ان ينقل من كتاب الى كتاب

اخرو ذلك لا يقتضى ازالة الصورة الاولى بل يقتضى اثبات مثله فى كتاب
آخر فعلى هذا المعنى يكون بعض القران منسوخا وبعضه ناسخا وهو
المراد من حكم هذه الاية وهو ازالة الحكم بحكم يعقبه

فصل في حكم النسخ

في حكم النسخ فى اصطلاح العلما عبارة عن رفع الحكم الشرعى بدليل
شرعى يتاخر عنه والنسخ جايز عقلا وواقع سمعا خلافا لليهود فان
منهم من لم ينكره عقلا لكنه منعه سمعا وشذت طايفة قليلة من المسلمين
فانكرت النسخ احتج الجمهور من المسلمين على جواز النسخ ووقوعه بان الدلايل
قد دلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لا تصح الا مع القول
بالنسخ وهو نسخ شرع من قبله فوجب القطع بالنسخ ولنا على اليهود
الزامات • منها ان الله تعالى حرم عليهم العمل فى السبت ولم يحرمه على
من كان قبلهم • ومنها انه جا فى التوراة ان الله تعالى قال لنوح عليه
السلام عند خروجه من الفلك انى جعلت كل دابة ماكولا لك ولذريتك
واطلقت ذلك لكم • ثم انه حرم على موسى عليه السلام كثيرا من الحيوانات
ومنها ان ادم عليه السلام كان يزوج الاخ للاخت وقد حرمه على
من بعده وعلى موسى عليه السلام • فثبت بهذا جواز النسخ وحيث
ثبت جواز النسخ فقد اختلفوا فيه على وجوه • احدها ان القران نسخ
جميع الشرايع والكتب القديمة كالتوراة والانجيل وغيرهما • الوجه
الثانى المراد من النسخ هو القران ونقله من اللوح المحفوظ الى سماء
الدنيا • الوجه الثالث وهو الصحيح الذى دل عليه جمهور العلما
ان المراد من النسخ هو رفع بعض الايات بدليل آخر يا تى بعده وهو
المراد بقوله تعالى ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها
لان الاية اذا اطلقت فالمراد بها ايات القران لانه هو المعهود مسئلة
قال الشافعى رضى الله عنه الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة واستدل
بهذه الاية وهو انه تعالى قال ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير
منها او مثلها وذلك انه يفيد انه هو الاتى والماتى به من جنس القران
وما كان من جنس القران فهو قران • وقوله نات بخير منها يفيد انه
هو المنفرد بالاتيان بذلك الخير وهو القران الذى هو كلام الله دون
السنة وان السنة لا تكون خيرا من القران ولا مثله • واحتج الجمهور
على جواز نسخ الكتاب بالسنة لان اية الوصية للاقربين منسوخة بقوله
صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث اجاب الشافعى بان هذا ضعيف
لان كون الميراث حقا للوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت ان اية
الميراث مانعة من الوصية • وتقرير هذا او بسطه معروف فى اصول
الفقه • ثم النسخ فى القران على وجوه احدها ما رفع حكمه وتلاوته

كما

كما روى عن ابى امامة بن سهل ان قوما من الصحابة قاموا ليلة ليقروا
سورة فلم يذكروا فيها بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا الى النبى صلى الله عليه
وسلم فاخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك السورة رفعت
بتلاوتها وحكمها اخرجه البغوى بغير سند • وقيل ان سورة الاحزاب
كانت مثل سورة البقرة فرفع بعضها تلاوة وحكما • الوجه الثانى
ما رفع تلاوته وبقى حكمه مثل اية الرجم • وروى عن ابن عباس قال قال
عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو جالس على منبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله بعث محمدا بالحق وانزل عليه الكتاب فكان فيما انزل
عليه اية الرجم فقراناها ووعيناها وعقلناها ورجم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فاخشى ان طال بالناس زمان
ان يقول قايل ما نجد الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة
انزلها الله وان الرجم فى كتاب الله حق على زنا اذا احصن من الرجال
والنسا اذا قامت البينة او كان الحبل والاعتراف اخرجه مسلم
وللبخارى نحوه • الوجه الثالث ما رفع حكمه وثبت خطه وتلاوته
وهو كثير فى القران مثل اية الوصية للاقربين نسخت باية الميراث
عند الشافعى وبالسنة عند غيره واية عدة الوفاة بالحول باية
اربعة اشهر وعشرا واية القتال وهى قوله ان يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين الاية نسخت بقوله الآن خفف الله عنكم وعلم ان
فيكم ضعفا الاية ومثل هذا كثير فى القران • واما معنى الاية فقوله
ما ننسخ من اية اى نرفعها ونرفع حكمها او ننسها قرئ بضم النون
وكسر السين ومعناه نثبتها على قلبك قال ابن عباس نتركها لا
ننسخها • وقيل معناه نامر بتركها • فعلى هذا يكون النسخ الاول
رفع الحكم واقامة غيره مقامه ولا ناسخا من غير اقامة غيره
مقامه وقرئ ننساها بفتح النون والسين وبالهمزة ومعناها
نوخرها فلا نتركها او نرفع تلاوتها ونوخر حكمها كاية الرجم
فعلى هذا يكون النسخ الاول بمعنى رفع التلاوة والحكم • قال
سعيد بن المسيب وعطا ما ننسخ من اية فهو ما نزل من القران
جعلاه من نسخت الكتاب اذا نقلته الى كتاب آخر وننساها اى
نوخرها ونتركها فى اللوح المحفوظ فلا نتركها نات بخير منها
اى بما هو انفع لكم واسهل عليكم واكثر لاجوركم وليس معناه ان اية
خير من اية لان كلام الله كله واحد او مثلها اى فى المنفعة والثواب
فما نسخ الى الايسر كان اسهل فى العمل كالذى كان على المومنين من
فرض قيام الليل ثم نسخ ذلك فكان خيرا لهم فى عاجلهم لسقوط

التعب والمشقة عليهم وما نسخ الى الاشق كان اكمل فى الثواب كالذى
كان عليهم من صيام ايام معدودات فى البينة فنسخ ذلك وفرض صيام
شهر رمضان فكان صوم شهر كامل فى سنة اثقل على الابدان واشق
من صيام ايام معدودات فكان ثوابه اكمل واكثر اما المثل فكنسخ
التوجه الى حيث امره الله **الم تعلم ان الله على كل شئ قدير**
على النسخ والتبديل والمعنى الم تعلم يا محمد انى قادر على تعويضك
مما نسخت من احكامى وغيرته من فرايضى التى كنت افترضتها
عليك ما اشاء مما هو خير لك ولعبادى المومنين وانفع لك ولهم
عاجلا واجلا **الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض** يعنى
انه تعالى هو المتصرف فى السموات والارض وله سلطانهما دون غيره
يحكم فيهما وفيما فيهما بما يشا من امر ونهى ونسخ وتبديل وهذا الخبر
وان كان خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم لكن فيه تكذيب لليهود
الذين انكروا النسخ وجحدوا نبوة عيسى ومحمد عليهم السلام فاخبرهم
الله ان له ملك السموات والارض وان الخلق كلهم عبيده وتحت
تصرفه ويحكم فيهم بما يشا وعليهم السمع والطاعة **وما لكم** يعنى
يا معاشر الكفار عند نزول العذاب **من دون الله** اى مما سوى الله
من ولي اى قريب وصديق وقيل من وال وهو المقيم بالامور **ولا
نصير** اى ناصر يمنعكم من العذاب وقيل فى معنى الاية وليس لكم
ايها المومنون بعد الله من قيم بامركم ولا نصير يوديكم ويقويكم
على اعدايكم قوله عز وجل **ام تريدون ان تسئلوا رسولكم**
نزلت فى اليهود وذلك انهم قالوا يا محمد ايتنا بكتاب من السما
جملة كما اتى موسى بالتوراة وقيل انهم سالوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا لن نومن لك حتى تاتى بالله والملايكة قبيلا
كما سئل قوم موسى فقالوا ارنا الله جهرة فانزل الله تعالى هذه
الاية والمعنى اتريدون ان تسئلوا رسولكم يعنى محمدا صلى الله عليه
وسلم **كما سئل موسى من قبل** وذلك ان موسى ساله قومه فقالوا
ارنا الله جهرة ففى الاية منعهم ونهيهم عن السوالات المقترحة
بعد ظهور الدلالات والمعجزات وثبوت الحجج والبراهين فى صحة نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم **ومن يتبدل** اى يستبدل **الكفر بالايمان
فقد ضل سواء السبيل** اى اخطا قصد الطريق وقيل ان قوله
ومن يتبدل الكفر بالايمان خطاب للمومنين واعلمهم ان اليهود
اهل غش وحسد وانهم يتمنون للمومنين المكاره فنهاهم الله تعالى
ان يقبلوا من اليهود شيا وينصحونهم به فى الظاهر واخبرهم ان من

ارتد عن دينه فقد اخطا قصد السبيل قوله عز وجل **ود كثير
من اهل الكتاب** نزلت هذه الاية فى نفر من اليهود وذلك انهم قالوا
لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد لو كنتم على الحق ما
هزمتم فارجعا الى ديننا فنحن اهدى سبيلا منكم فقال عمار كيف نقض
فيكم قالوا اشديد قال انى عاهدت ان لا اكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم
ما عشت قالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة اما انا فقد
رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا وبالقران اماما
وبالكعبة قبلة وبالمومنين اخوانا ثم انهما اتيا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخبراه بذلك فقال اصبتما الخير وافلحتما فانزل الله تعالى
ود اى تمنى كثير من اهل الكتاب يعنى اليهود **لو يردونكم** اى يا معشر
المومنين **من بعد ايمانكم كفارا** اى ترجعون الى ما كنتم عليه من الكفر
حسدا اى يحسدونكم حسدا واصل الحسد تمنى زوال النعمة عمن يستحقها
وربما يكون مع ذلك سعى فى ازالتها والحسد مذموم بما روى عن ابى
هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اياكم والحسد فان الحسد ياكل
الحسنات كما تاكل النار الحطب او قال العشب اخرجه ابو داود فاذا
انعم الله على عبده نعمة فتمنى اخر زوالها فهذا هو الحسد وهو حرام فان
استعان بتلك النعمة على الكفر والمعاصى فتمنى اخر زوالها فليس بحسد
ولا يحرم ذلك فانه لم يحسده على تلك النعمة من حيث انها نعمة بل من
حيث انه يتوصل بتلك النعمة الى الشر والفساد فكذلك وقوله
من عند انفسهم اى من تلقا انفسهم لم يامرهم الله بذلك **من بعد ما
تبين لهم الحق** يعنى فى التوراة ان قول محمد صلى الله عليه وسلم ودينه
حق لا يشكون فيه فكفروا به حسدا وبغيا **فاعفوا واصفحوا** اى فتجاوزوا
عما كان منهم من اساة وحسد وكان هذا الامر بالعفو والصفح قبل ان
يومر بالقتال **حتى ياتى الله بامره** اى بعذابه وهو القتل والسبى
لبنى قريظة والاجلا والنفى لبنى النضير قال ابن عباس هو امر
الله له بقتالهم فى قوله قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم
الاخر الاية **ان الله على كل شئ قدير** فيه وعيد وتهديد لهم **واقيموا الصلاة
واتوا الزكاة** لما امر الله المومنين بالعفو والصفح من اليهود امرهم
بما فيه صلاح انفسهم من اقامة الصلاة وايتا الزكاة الواجبتين ونبه
بذلك على ساير الواجبات ثم قال تعالى **وما تقدموا لانفسكم من خير**
اى من طاعة وعمل صالح وقيل اراد بالخير المال يعنى صدقة التطوع لان
الزكاة تقدم ذكرها **تجدوه عند الله** يعنى ثوابه واجره حتى التمرة واللقمة
مثل احد **ان الله بما تعملون بصير** اى لا يخفى عليه شى من قليل الاعمال

في كثيرها فقيه ترغيب في الطاعات واعمال البر وزجر عن المعاصي
قوله عز وجل وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا اى يهوديا
وقيل هو جمع هايد او نصارى وذلك ان اليهود قالوا لن يدخل الجنة
الا من كان يهوديا ولا دين الا دين اليهودية وقالت النصارى لن يدخل
الجنة الا من كان نصرانيا ولا دين الا دين النصرانية قيل نزلت في
وفد نجران وكانوا نصارى اجتمعوا مع اليهود في مجلس رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكذب بعضهم بعضا في دعواه قال الله تلك امانيهم
اى شهواتهم الباطلة التي تمنوها على الله بغير حق قل يعني يا محمد
هاتوا برهانكم اى حجتكم على دعواكم ان الجنة لا يدخلها الا من كان يهوديا
او نصرانيا دون غيرهم ان كنتم صادقين يعني فيما تدعون ثم قال تعالى
ردا عليهم بلى اى ليس الامر كما تزعمون ولكن من اسلم وجهه لله وهو
محسن فانه الذي يدخل الجنة وينعم فيها ومعنى اسلم وجهه لله اخلص
دينه لله وقيل اخلص عبادته لله وقيل خضع وتواضع لله لان اصل
الاسلام الاستسلام وهو الخضوع وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف
الاعضا واذا جاد الانسان بوضع وجهه على الارض بالسجود فقد
جاد بجميع اعضايه قال عمرو بن نفيل واسلمت وجهي لمن اسلمت له الارض
تحمل صخرا ولا ثقالا واسلمت وجهي لمن اسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا
يعني بذلك استسلمت لطاعة من استسلم لطاعته الارض والمزن وهو
محسن اى في عمله لله فله اجره عند ربه اى ثواب عمله ولا خوف عليهم
اى في الاخرة ولا هم يحزنون اى على ما فاتهم من الدنيا قوله عز وجل
وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست
اليهود على شئ نزلت في يهود المدينة ونصارى نجران وذلك ان وفد
نجران لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم اتاهم احبار اليهود ٥
وتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود للنصارى ما انتم
على شي من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لليهود
ما انتم على شي وكفروا بموسى والتوراة فانزل الله تعالى وقالت
اليهود ليست النصارى على شي وقالت النصارى ليست اليهود على
شي وهم يتلون الكتاب يعني كلا الفريقين يقرون الكتاب وليس في
كتابهم هذا الاختلاف فدل تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم لما فيه على
كفرهم وكونهم على الباطل وقيل ان الانجيل الذي تدين بصحته النصارى
يحقق ما في التوراة من نبوة موسى وما فرض الله فيها على بني اسرايل
من الفرايض وان التوراة التي تدين بصحتها اليهود تحقق نبوة عيسى
وما جا به من عند ربه من الاحكام ثم كلا الفريقين قالوا ما اخبر الله

عنهم

عنهم بقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شي وقالت النصارى
ليست اليهود على شي مع علم كل من الفريقين ببطلان ما قاله كذلك
قال الذين لا يعلمون يعني مشركي العرب قالوا في نبيهم محمد صلى الله
عليه وسلم واصحابه ليسوا على شي مثل قولهم يعني مثل قول اليهود
للنصارى والنصارى لليهود وقيل امم كانت قبل اليهود والنصارى
مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا في انبيايهم ليسوا
على شي فالله يحكم اى يقضي بينهم يوم القيامة يعني بين المحق والمبطل
فيما كانوا فيه يختلفون يعني من اهل الدين قوله عز وجل
ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه نزلت في خراب
بيت المقدس وذلك ان ططوس من الروم غزا بني اسرايل فقتل مقاتلتهم
وسبى ذراريهم وحرق التوراة وخرب بيت المقدس فلم يزل خرابا
حتى بناه المسلمون في زمن عمر بن الخطاب فانزل الله تعالى ومن
اظلم اى ومن اكفر واعتى ممن منع مساجد الله يعني بيت المقدس
ومحاريبه ان يذكر فيها اسمه اى يعبد ويصلى له فيها وسعى في خرابها
وقيل ان بخت نصر المجوسي من اهل بابل هو الذي غزا بني اسرايل وخرب
بيت المقدس واعانه على ذلك النصارى من اجل ان اليهود قتلوا
يحيى بن زكريا اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خايفين وذلك
ان بيت المقدس موضع حج النصارى وزيارتهم قال ابن عباس
لم يدخلها بعد عمارتها رومي الا خايفا ان علم به قتل وقيل
اخيفوا بالجزية والقتل فالجزية على الذمي والقتل على الحربي وقيل
خوفهم هو فتح مداينهم الثلاث قسطنطينية ورومية وعمورية
لهم في الدنيا خزي يعني الصغار والذل والقتل والسبي ولهم
في الاخرة عذاب عظيم يعني النار وقيل ان الاية نزلت في مشركي
مكة واراد بالمساجد المسجد الحرام وذلك انهم منعوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه ان يصلوا فيه في ابتدا الاسلام ومنعوهم
من حجه والصلاة فيه عام الحديبية واذا منعوا من يعمره بذكر الله
تعالى والصلاة فيه فقد سعوا في خرابه اولئك ما كان لهم ان يدخلوها
الا خايفين يعني مشركي مكة يقول الله تعالى افتحها عليكم ايها المسلمون
حتى تدخلوها وتكونوا اولى بها منهم ففتحها عليهم وامر النبي صلى الله
عليه وسلم ان ينادى في الموسم لما نزلت سورة براة الا لا يحجن البيت
بعد هذا العام مشرك فكان هذا اخوفهم وثبت في الشرع ان لا يمكن
مشرك من دخول الحرم • فان قلت كيف قيل مساجد الله وانما
وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو اما بيت المقدس او المسجد

المسجد الحرام فهذه الشروط معتبرة في وجوب دم التمتع ومتى فقد شي منها
لم يكن متمتعا ودم التمتع دم جبران عند الشافعي فلا يجوز ان ياكل منه
وقال ابو حنيفة هو دم نسك فيجوز ان ياكل منه وقوله **فمن لم يجد** يعني
الهدى **فصيام ثلاثة ايام في الحج** اى فعليه صيام ثلاثة ايام في وقت
اشتغاله بالحج قبل ان يصوم يوما قبل يوم التروية ويوم عرفة وقيل
بل المستحب ان يصوم في ايام الحج بحيث يكون يوم عرفة مفطرا فان لم يصم
قبل يوم النحر فقيل يصوم ايام التشريق وبه قال مالك واحمد وهو احد
قولي الشافعي وقيل يصوم بعد ايام التشريق وهو رواية عن احمد والقول
الاخر للشافعي **وسبعة اذا رجعتم** يعني وصوموا سبعة ايام اذا رجعتم
الى اوطانكم واهليكم قاله ابن عباس وبه قال الشافعي فلو صام قبل
الرجوع الى اهله لم يجزه عنده وقيل المراد من الرجوع هو الفراغ من
اعمال الحج وقيل الرجوع والاخذ في الرجوع فعلى هذا يجزه ان يصوم
سبعة ايام بعد الفراغ من اعمال الحج وقبل الرجوع الى اهله وبه قال
ابو حنيفة **تلك عشرة كاملة** يعني في الثواب والاجر وقيل كاملة في
قيامها مقام الهدى الا انه قد يحتمل ان يظن ظان ان الثلاثة قد قامت
مقام الهدى فاعلم الله ان العشر بكمالها هي القايمة مقام الهدى وقيل
فايدة التكرار التوكيد كقول الفرزدق • ثلاث واثنان فهن خمس •
وسادسة تميل الى سهام • لان القران انزل بلغة العرب والعرب تكرر الشي
تريد به التوكيد • وقيل فايدة ذلك الفذلكة في علم الحساب وهو ان
يعلم العدد مفصلا ثم يعلمه جملة ليحتلط به من جهتين فكذلك قوله
تعالى فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة
وقيل ان العرب لما كانوا لا يعلمون الحساب وكانوا يحتاجون الى زيادة
بيان وايضاح فلذلك قال عشرة كاملة وقيل لفظه خبر ومعناه امر
اى اكملوها ولا تنقصوها **ذلك** اى هذا الحكم الذي تقدم **لمن لم يكن
اهله حاضري المسجد الحرام** قيل حاضرو المسجد الحرام هم اهل عرفة
والرجيع وضجنان ونخلة • وقال الشافعي كل من كان وطنه من مكة
على اقل من مسافة القصر فهو من حاضري المسجد الحرام وقيل من هم
دون الميقات • وقال ابو حنيفة حاضري المسجد الحرام اهل الميقات
والمواقيت ذو الحليفة والجحفة وقرن ويلملم وذات عرق فمن كان من
اهل هذه المواضع فما دونها الى مكة فهو من حاضري المسجد الحرام وقيل
حاضري المسجد الحرام من تلزمه الجمعة فيه ومعنى الاية ان المشار اليه
في قوله ذلك يرجع الى اقرب مذكور وهو لزوم الهدى او بدله على المتمتع
وهو الافاقي فاما المكي اذا تمتع او قرن فلا هدى عليه ولا بدل له لانه لا

يجب

يجب عليه ان يحرم من الميقات فاقدامه على التمتع لا يوجب خللا في حجه
فلا يجب عليه الهدى ويدل على ذلك ما اخرجه البخاري تعليقا من
حديث عكرمة قال سيل ابن عباس عن متعة الحج فقال اهل المهاجرون
والانصار وازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ٥
واهللنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا
اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدى طفنا بالبيت وبالصفا والمروة واتينا
النسا ولبسنا الثياب وقال من قلد الهدى فانه لا يحل من شي حتى يبلغ
الهدى محله ثم امرنا عشية التروية ان نهل بالحج فاذا فرغنا من المناسك
جينا فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وقد تم حجنا وعلينا الهدى كما قال الله
تعالى فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام وسبعة اذا رجعتم
الى امصاركم والشاة تجزى فجمعوا بين النسكين في عام بين الحج والعمرة
فان الله انزله في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واباحه للناس
غير اهل مكة • قال الله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام
وفي الحديث زيادة • قال الحميدي قال ابو مسعود الدمشقي هذا حديث
عزيز ولم اجده الا عند مسلم بن الحجاج ولم يخرجه في صحيحه من اجل عكرمة
فانه لم يرو عنه في صحيحه • وعندي ان البخاري انما اخذه من مسلم وقوله
تعالى **واتقوا الله** اى فيما فرضه عليكم ونهاكم عنه في الحج وفي غيره •
واعلموا ان الله شديد العقاب يعني لمن خالف امره وتهاون بحدوده
وارتكب مناهيه **قوله عز وجل الحج اشهر معلومات** يعني اشهر الحج
معلومات وهي شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة الى طلوع الفجر
من يوم النحر قال عبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله وعبد الله بن الزبير
ومن التابعين الحسن وابن سيرين والشعبي وهو قول الشافعي والثوري
وابي ثور وحجة الشافعي ومن وافقه ان الحج يفوت بطلوع الفجر الثاني من
يوم النحر والعبادة لا تفوت مع بقا وقتها فدل على ان يوم النحر ليس من
اشهر الحج وايضا فان الاحرام بالحج فيه لا يجوز فدل على انه وما بعده ليس
من اشهر الحج • وقال ابن عباس اشهر الحج شوال وذو القعدة وعشر ايام من
ذي الحجة اخرها يوم النحر وبه قال ابن عمر وعروة بن الزبير وعطا وطاوس
والنخعي وقتادة ومكحول والضحاك والسدى وابو حنيفة واحمد بن حنبل
وهو احد الروايتين عن مالك وحجة هذا القول ان يوم النحر هو يوم الحج
الاكبر ولان فيه يقطع طواف الافاضة وهو تمام اركان الحج • وقيل ان اشهر
الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله وهو رواية عن ابن عمر وبه قال
الزهري وهي الرواية الاخرى عن مالك وحجة هذا القول ان الله تعالى
ذكر اشهر الحج بلفظ الجمع واقل الجمع المطلق ثلاث ولان اول شهر كان اوله

من اشهر الحج كان احزه كذلك فان قلت هنا اشكال وهو ان الله تعالى
قال قبل هذه الاية يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج فجعل
الاهلة كلها مواقيت قلت قوله هي مواقيت للناس والحج عام وهذه
الاية وهي قوله تعالى الحج اشهر معلومات خاص والخاص مقدم على العام •
وقيل ان الاية الاولى مجملة وهذه الاية مفسرة لها • فان قلت
انما قال اشهر الحج بلفظ الجمع • وعند الشافعي اشهر الحج شهران وعشر ليال
وعند ابي حنيفة وعشرة ايام فما وجه هذا قلت ان لفظ الجمع يشترك
فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما • وقيل انه نزل
بعض الشهر منزلة كله كما يقال رايتك سنة كذا وانما راه في ساعة منها
ولا اشكال فيه على القول الثالث وهي قول من قال ان اشهر الحج ثلاث
شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله فمن فرض فيهن الحج يعني فمن الزم
نفسه واوجب عليها فيهن الحج والمراد بهذا الفرض ما به يصير حاجا وهو
فعل يفعله ثم اختلفوا في ذلك الفعل فقال الشافعي ينعقد الاحرام بمجرد
النية من غير حاجة الى التلبية ووجهه ان فرض الحج عبارة عن النية فوجب
ان تكون النية كافية في انعقاد النية الحج • وقال ابو حنيفة لا يصح الشروع
في الاحرام بمجرد النية حتى ينضم اليه السنة التلبيه او سوق الهدى ووجهه
ان الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا بد من انضمام شي الى النية كالصلاة •
وفي الاية دليل على ان الاحرام بالحج لا ينعقد الا في اشهره وهو قول ابن عباس
واليه ذهب الشافعي واحمد واسحاق لان الله تعالى خصص هذه الاشهر بفرض
الحج فيها فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص وجه ولا فايدة وقال
مالك والثوري وابو حنيفة ينعقد احرامه بالحج في جميع شهور السنة •
ووجهه ان الاحرام الزام الحج فجاز تقديمه على الوقت كالنذر لان الله تعالى
جعل الاهلة كلها مواقيت للحج بقوله هي مواقيت للناس والحج وقد تقدم
الجواب عنه وقوله تعالى فلا رفث قال ابن عباس الرفث الجماع وفي رواية
عنه ان الرفث غشيان النسا والقبل والغمز وان يعرض لهن بالفحش من
الكلام فعلى هذا القول التلفظ به في غيبة النسا لا يكون رفثا قال حصين
ابن قيس اخذ ابن عباس بذنب بعيره يلويه وهو يحدو ويقول • •
وهن يمشين بنا هميسا • ان يصدق الطير ننك لميسا • فقلت اترفث وانت محرم
فقال الرفث ما قيل عند النسا وقوله لميسا هو اسم امراة • وقيل الرفث كلام
متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه • وقوله فلا رفث يحتمل ان يكون
نهيا عنه عن تعاطي الجماع وان يكون نهيا عن الحديث في ذلك لانه من دواعيه
وقيل الرفث هو الفحش والخنا والقول القبيح • وقيل الرفث اللغو من الكلام
ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث يومئذ

ولا يصخب ولا فسوق اصله الخروج عن الطاعة قال ابن عباس هو المعاصي
كلها وهو قول طاوس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والزهري والربيع
والقرطبي وقال ابن عمر هو ما نهي عنه المحرم في حال الاحرام من قتل الصيد
وتقليم الاظفار واخذ الشعر وما اشبه ذلك • وقيل هو السباب والتنابز
بالالقاب ق عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من حج ولم يرفث رجع كيوم ولدته امه ولا جدال في الحج قال ابن عباس
الجدال هو المرا وهو ان يماري الرجل صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه وقيل
هو قول الرجل الحج اليوم ويقول اخر الحج غدا وقيل هو ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال في حجة الوداع وقد احرموا بالحج اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا
من قلد الهدى قالوا كيف نجعلها عمرة وقد سمينا الحج فهذا كان جدالهم •
وقيل هو ما كانوا عليه اهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم
بمزدلفة • وكان بعضهم يحج في ذي القعدة وبعضهم في ذي الحجة وكل يقول
الصواب فيما فعلته فانزل الله لا جدال في الحج واخبر ان امر الحج قد استقر
على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا خلاف فيه بعده وذلك
معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم
خلق السموات والارض • وقيل معناه ولا شك في الحج انه في ذي الحجة
فابطل النسي • وقيل ظاهر الاية خبر ومعناه نهي اي لا ترفثوا ولا تفسقوا
ولا تجادلوا في الحج وانما نهى عن ذلك وامر باجتنابه بالحج وان كان اجتناب
ذلك في كل الاحوال والازمان واجب لان الرفث والفسوق والجدال في الحج
اسمج واقطع من غيره وما تفعلوا من خير يعلمه الله اي لا يخفى عليه شي من اعمالكم
وهو الذي يجازيكم عليها حث الله على فعل الخير عقيب النهي عن الشر وهو
ان يستعملوا مكان الرفث الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى
ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة • وقيل جعل فعل الخير عبارة عن
ربط الانفس عن الشر حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه • وقيل انما ذكر الخير
وان كان عالما بجميع افعال العباد من الخير والشر لفايدة وهو انه تعالى اذا
علم من العبد الخير ذكره واشهره واذا علم منه الشر ستره واخفاه فاذا كان
هذا فعله مع عبده في الدنيا فكيف يكون في العقبى وهو ارحم الراحمين واكرم
الاكرمين وتزودوا فان خير الزاد التقوى نزلت في ناس من اهل اليمن كانوا
يحجون للحج بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحج بيت ربنا افلا يطعمنا
فاذا قدموا مكة سالوا الناس وربما افضى بهم الحال الى النهب والغصب
فانزل الله وتزودوا ما تتبلغون به وتكفون به وجوهكم عن الناس واتقوا
ابرامهم والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى • وقيل في معنى الاية وتزودوا
من التقوى فان الانسان لا بد له من سفر الدنيا الى الاخرة لا بد فيه من زاد

الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا الراهب وقيل هم مؤمنوا اهل
الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم خاصة وقيل هم المومنون عامة **يتلونه حق تلاوته**
اى يقرؤونه كما انزل لا يغيرونه ولا يحرفونه ولا يبدلون ما فيه من
نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل معناه يتبعونه حق
اتباعه فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بحكمه ويومنون بمتشابهه
ويقفون عنده ويكلون علمه الى الله تعالى وقيل معناه تدبروه حق
تدبره وتفكروا فى معانيه وحقايقه واسراره **اوليك** يعنى الذين يتلونه
حق تلاوته **يومنون به** اى يصدقون به فان قلنا ان الاية فى اهل
الكتاب فيكون المعنى ان المؤمن بالتورية الذى يتلوها حق تلاوتها
هو المومن بمحمد صلى الله عليه وسلم لان فى التورية نعته وصفته وان قلنا
انها نزلت فى المومنين عامة فظاهر **ومن يكفر به** اى بمحمد بما فيه من
فرايض الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم **فاوليك هم الخاسرون** اى
خسروا انفسهم حين استبدلوا الكفر بالايمان **قوله عز وجل يا بنى
اسرايل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم** اى ايادى لديكم وصنعى بكم واستنقاذى
اياكم من ايدى عدوكم فى نعم كثيرة انعمت بها عليكم **وانى فضلتكم على
العالمين** اى واذكروا تفضيلى اياكم على عالمى زمانكم وفى هذه الاية
عظة لليهود الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكررها فى اول السورة وهنا للتوكيد وتذكير النعم **واتقوا يوما لا
تجزى نفس عن نفس شيا** وفى هذه الاية ترهيب لهم والمعنى يا معشر
بنى اسرايل المبدلين كتابى المحرفين له خافوا عذاب يوم لا يغنى فيه
نفس عن نفس شيا **ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة** اى
ولا يقبل منها فدية ولا يشفع لها شافع وهذا من العام الذى يراد
به الخاص كقوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ومعنى
الاية ولا تنفعها شفاعة اذا وجب عليها العذاب ولم تستحق سواه
وقيل انه رد على اليهود فى قولهم ان اباءنا يشفعون لنا **ولا هم ينصرون**
اى ولا ناصر لهم ينصرهم من الله اذا انتقم منهم **قوله عز وجل
واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات** ابراهيم اسم عجمى ومعناه اب رحيم وهو
ابراهيم بن تارخ وهو آزر بن ناحور بن ساروخ بن ارعوى بن فالغ
ابن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام وكان
مولد ابراهيم بالسوس من ارض الاهواز وقيل بكوثى وهى قرية من
سواد الكوفة وقيل بحران ولكن اباه نقله الى ارض بابل وهى ارض
نمرود الجبار وابراهيم عليه السلام تعترف بفضله جميع الطوايف

قديما وحديثا فاما اليهود والنصارى فانهم مقرون بفضله ويتشرفون
بالنسبة اليه وانهم من اولاده واما العرب فى الجاهلية فانهم ايضا يعترفون
بفضله ويتشرفون على غيرهم به لانهم من اولاده ومن ساكنى حرمه
وخدام بيته ولما جا الاسلام زاده الله شرفا وفضلا فحكى الله تعالى
عن ابراهيم امورا توجب على المشركين واليهود والنصارى قبول قول
محمد صلى الله عليه وسلم والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه لان ما
اوجبه الله على ابراهيم عليه السلام وهو من خصايص دين محمد صلى
الله عليه وسلم وفى ذلك حجة على اليهود والنصارى ومشركى العرب
فى وجوب الانقياد بمحمد صلى الله عليه وسلم والايمان وتصديقه واصل
الابتلا الامتحان والاختبار ليعرف حال الانسان وسمى التكليف بلاء لانه
يشق على الابدان وقيل ليختبر به حال الانسان فاذا قيل ابتلا فلان
بكذا يتضمن امرين احدهما يعرف حاله والوقوف على ما يجهل
من امره والثانى ظهور جودته ورداته وابتلا الله العباد ليس ليعلم
احوالهم والوقوف على ما يجهل منها لانه عالم بجميع الموجودات المعلومات
التى لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الازل الى الابد ولكن ليعلم
العباد احوالهم من ظهور جودة ورداة وعلى هذا ينزل قوله تعالى
واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات التى ابتلا الله بها ابراهيم عليه السلام
قال ابن عباس هى ثلاثون سهما هى شرايع الاسلام لم يبتلى بها احد
فاقامها كلها الا ابراهيم تكتب له البراة فقال وابراهيم الذى وفى
ومعنى هذا الكلام انه لم يقبل احد قبل ابراهيم فاما بعده فقد اتى
الانبيا بجميع ما امروا به من الدين خصوصا نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم فقد اتى بجميع ما امر به وهى عشرة مذكورة فى سورة براة فى قوله
التايبون العابدون الاية وعشرة فى سورة الاحزاب فى قوله ان المسلمين
والمسلمات الاية وعشرون فى سورة المومنين فى قوله قد افلح المؤمنون
الذين هم فى صلاتهم خاشعون الايات وهى مذكورة ايضا فى سورة سال
سايل وعن ابن عباس ايضا قال ابتلاه الله بعشرة ايضا من الفطرة خمس
فى الراس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الراس
وخمس فى الجسد تقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والختان
والاستنجا بالماء ق عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الفطرة خمس وفى رواية خمس من الفطرة قص الشارب
واعفا اللحية والسواك والاستنشاق بالما وقص الاظفار وغسل البراجم
ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الما قال مصعب ونسيت العاشرة
الا ان تكون المضمضة قال وكيع انتقاص الما يعنى الاستنجا قال العلما

الختان والاستحداد وقص الشارب
وتقليم الاظفار ونتف الابط صح
ثلاث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشر من الفطرة

الفطرة السنة وقيل الملة وقيل الطريقة وهذه الاشيا المذكورة في
الحديث وانها من الفطرة قيل كانت على ابراهيم عليه السلام فرضا ولنا
سنة واتفقت الامة على انها من الملة واما معانيها فقد قيل قص الشارب
واعفا اللحية فمخالفة للاعاجم فانهم كانوا يقصون لحاهم ويوفرون
شواربهم ويوفرونها معا وذلك عكس الجمال والنظافة واما السواك
والمضمضة والاستنشاق فلتنظيف الفم والانف من الطعام والقلح
والوسخ واما قص الاظفار فللجمال والزينة فانها اذا طالت قبح منظرها
واحتوى الوسخ فيها واما غسل البراجم وهي العقد التي في ظهور
الاصابع فانه يجتمع فيها الوسخ ويشين المنظر واما حلق العانة
ونتف الابط فللتنظيف عما يجتمع من الوسخ في الشعر واما الاستنجا
فلتنظيف ذلك المحل عن الاذى واما الختان فلتنظيف القلفة عما
يجتمع فيها من البول • واختلف العلماء في وجوبه فذهب الشافعي الى
ان الختان واجب لانه تنكشف له العورة ولا يباح ذلك الا في الواجب
وذهب غيره الى انه سنة واول من اختتن ابراهيم عليه السلام ولم يختتن
احد قبله ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اختتن ابراهيم بالقدوم يروى القدوم بالتخفيف والتشديد
فمن خفف ذهب الى انه اسم للالة التي يقطع بها ومن شدد قال انه
اسم موضع • عن يحيى بن سعيد انه سمع سعيد بن المسيب يقول كان
ابراهيم خليل الرحمن اول الناس ضيف الضيف واول الناس قص
شاربه واول الناس راى الشيب قال رب ما هذا قال الرب
تبارك وتعالى وقارا يا ابراهيم قال رب زدني وقارا اخرجه مالك
في الموطا • وقيل الكلمات انها مناسك الحج وقيل ابتلاه الله بسبعة
اشيا بالكوكب والقمر والشمس فاحسن النظر فيهن وبالنار والهجرة
وذبح ولده والختان فصبر عليها • وقيل ان الله اختبر ابراهيم بكلمات
اوحاها اليه وامره ان يعمل بهن فاتمهن اي اداهن حق التادية
وقام بموجبهن حق القيام وعمل بهن من غير تفريط وتوان ولم ينتقص
منهن شيا واختلفوا هل كان هذا الابتلا قبل النبوة او بعدها فقيل
كان قبل النبوة بدليل قوله في سياق الاية اني جاعلك للناس اماما
والسبب يتقدم على المسبب وقيل بل كان هذا الابتلا بعد النبوة
لان التكليف لا يعلم الا من جهة الوحي الالهي وذلك بعد النبوة
والصواب انه ان فسر الابتلا بالكوكب والقمر والشمس كان ذلك قبل
النبوة وانما فسر بما وجب عليه من شرايع الدين كان ذلك بعد النبوة
وقوله تعالى قال اني جاعلك للناس اماما اي يقتدى بك في الخير

ويأتمون

ويأتمون بسنتك وهديك والامام هو الذي يؤتم به قال ومن ذريتي
اي قال ابراهيم واجعل من ذريتي واولادي ايمة يقتدى بهم قال الله
لا ينال اي لا يصيب عهدي اي نبوتي وقيل الامامة الظالمين يعني
من ذريتك والمعنى لا ينال ما عهدت اليك من النبوة والامامة من
كان ظالما من ذريتك وولدك قوله عز وجل واذ جعلنا البيت
يعني البيت الحرام وهو الكعبة ويدخل فيه الحرم فان الله تعالى وصفه
بكونه امنا وهذا صفة جميع الحرم مثابة للناس اي مرجعا من ثاب يثوب
اذا رجع والمعنى يثوبون اليه من كل جانب يحجونه وامنا اي موضعا
ذا امن يامنون فيه من اذى المشركين فانهم كانوا لا يتعرضون لاهل مكة
ويقولون هم اهل الله وقال ابن عباس معاذا وملجا ق عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان هذا البلد
حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله تعالى الى يوم
القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها
ولا يختلى خلاه فقال العباس يا رسول الله يا رسول الله الا الاذخر
فانه لقينهم وبيوتهم فقال الا الاذخر معنى الحديث انه لا يحل لاحد ان
ينصب القتال والحرب في الحرم وانما احل ذلك لرسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم فتح مكة فقط ولا تحل لاحد بعده • قوله لا يعضد شوكه
اي لا يقطع شوك الحرم واراد به ما لا يوذي منه كالعوسج فلا باس
بقطعه ولا ينفر صيده اي لا يتعرض له بالاصطياد ولا يهاج قوله
ولا تلتقط لقطته الا من عرفها اي ينشدها والنشيد رفع الصوت ٥
بالتعريف واللقطة في جميع الارض لا تحل الا لمن يعرفها حولا فان جا
صاحبها اخذها والا انتفع بها الملتقط بشرط الضمان وحكم مكة في اللقطة
ان يعرفها على الدوام بخلاف غيرها من البلاد فانه محدود بسنة قوله
ولا يختلى خلاه الخلا مقصور على الرطب من النبات والذي يرعى وقيل
هو اليابس من الحشيش وخلاوه قطعه • وقوله لقينهم القين الحداد
وقوله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى قيل الحرم كله مقام ابراهيم
وقيل اراد بمقام ابراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة والمزدلفة والرمي وساير
المشاهد والصحيح ان مقام ابراهيم هو الحجر الذي يصلي فيه الايمة وذلك
الحجر الذي هو قام ابراهيم عليه عند بنا البيت وقيل كان اثر اصابع رجلي
ابراهيم عليه السلام فاندرس بكثرة المسح بالايدي وقيل انما امروا
بالصلاة عنده ولم يومروا بمسحه وتقبيله ق عن انس بن مالك قال
قال عمر وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام
ابراهيم فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى الحديث وكان بدو قصة

المقام على ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال ما اتخذت
النسا المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة
ثم جا بها ابراهيم وبابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت
عند دوحة فوق زمزم من اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس
بها ما فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقا فيه ماء
ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسمعيل فقالت يا ابراهيم اين تذهب
وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شي فقالت له ذلك
مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له الله امرك بهذا قال نعم قالت
اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية
حتى لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهولا الدعوات فرفع
يديه فقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ
يشكرون وجعلت ام اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الما
حتى اذا انفد ما في السقا عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى
او قال يتلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب
جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى
احدا فلم تر احدا فهبطت من الصفا حتى بلغت الوادي رفعت طرف
درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت
المروة فقامت عليها تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك
سبع مرات • قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك
سعي الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه
تريد نفسها ثم سمعت فسمعت ايضا فقالت يا من قد اسمعت غواث
فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى
ظهر الما فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء
في سقايها وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى
الله عليه وسلم يرحم الله ام اسمعيل لو تركت زمزم او قال لو لم
تغرف من الما لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت
ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ههنا بيتا لله يبنيه
هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله • وكان البيت مرتفعا
من الارض كالرابية ياتيه السيول فتاخذ عن يمينه وعن شماله
وكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم مقبلين من طريق كدا
فنزلوا في اسفل مكة فراوا طايرا عايفا فقالوا ان هذا الطاير ليدور
على ما لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ما فارسلوا جريا او جريين
فاذا هم بالما فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسمعيل عند الما فقالوا

لنا ان ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الما قالوا نعم قال ابن
عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك ام اسمعيل وهي تحب
الانس وارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا بها اهل ابيات
منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم حين شب فلما
فلما ادرك زوجوه امراة منهم وماتت ام اسمعيل فجا ابراهيم بعد
ما تزوج اسمعيل يطالع تركته فلم يجد اسمعيل فسال امراته عنه
فقالت خرج يبتغي لنا • وفي رواية ذهب يصيد لنا ثم سالها عن
عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة وشكت اليه
فقال اذا جا زوجك اقرى عليه السلام وقولي له يغير عتبة
بابه فلما جا اسمعيل كانه انس شيا فقال هل جاكم من احد قالت
نعم جانا شيخ كذا وكذا فسالنا عنك فاخبرته فسالني كيف عيشنا
فاخبرته انا في جهد وشدة فقال هل اوصاك بشي قالت نعم امرني
ان اقرا عليك السلام ويقول لك غير عتبة بابك قال ذلك ابي
وقد امرني ان افارقك الحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى
فلبث عنهم ابراهيم ما شا الله ان يلبث ثم اتاهم بعد فلم يجده فدخل
على امراته فسال عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف انتم وسالها
عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله عز وجل
فقال ما طعامكم قالت اللحم فقال ما شرابكم قالت الما • قال اللهم
بارك لهم في اللحم والما قال النبي صلى الله عليه وسلم ولو يكن يومئذ
حب ولو كان لهم حب دعا لهم فيه قال فهما لا يخلو عليهما احد بغير
مكة الا لم يوافقاه • وفي رواية فجا فقال اين اسمعيل فقالت امراته
ذهب يصيد فقالت امراته الا تنزل فتطعم وتشرب قال وما طعامكم
وشرابكم قالت طعامنا اللحم وشرابنا الما • قال اللهم بارك لهم في
طعامهم وشرابهم قال فقال ابو القسم بركة دعوة ابراهيم قال
فاذا جا زوجك فاقرى عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه
فلما جا اسمعيل قال هل اتاكم من احد قالت نعم اتانا شيخ حسن
الهيئة واثنت عليه فسالني عنك فاخبرته فسالني كيف عيشنا ه
فاخبرته انا بخير • قال فاوصاك بشي قالت نعم يقرى عليك السلام
ويامرك ان تثبت عتبة بابك فقال ذاك ابي وانت العتبة امرني
ان امسكك ثم لبث عنهم ما شا الله ثم جا بعد ذلك واسمعيل يبري
نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما راه قام اليه فصنعا كما يصنع
الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال يا اسمعيل ان الله امرني بامر قال
فاصنع ما امرك ربك قال وتعينني قال واعينك قال فان الله امرني

ان ابني بيتا ههنا واشار الى اكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك رفع
القواعد من البيت فجعل اسمعيل يأتي بالحجارة وابراهيم يبني حتى اذا
ارتفع البنا جا ابراهيم بهذا الحجر فوضعه له فقام ابراهيم عليه وهو
يبني واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت
السميع العليم • وفي رواية حتى اذا ارتفع البنا وضعف الشيخ عن
نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان ربنا
تقبل منا انك انت السميع العليم • وقيل ان امراة اسمعيل قالت
انزل اغسل راسك فلم ينزل فجاته بالمقام فوضعته عن شقه
الايمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق راسه الايمن ثم حولته
الى شقه الايسر فغسلت شق راسه الايسر فبقي اثر قدميه عليه •
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله
نورهما ولو لم يطمس نورهما لاضاءا ما بين المشرق والمغرب اخرجه
الترمذي وقال هذا يروى عن عمر موقوفا • واختلفوا في قوله
مصلى فمن فسر المقام بمشاهد الحج ومشاعره قال مصلى مدعى من
الصلاة التي هي الدعا • ومن فسر المقام بالحجر قال معناه واتخذوا من
مقام ابراهيم مصلى قبلة امروا بالصلاة عنده وهذا القول هو
الصحيح لان لفظ الصلاة اذا اطلق لا يعقل منه الا الصلاة
المعهودة ذات الركوع والسجود ولان مصلى الرجل هو الموضع
الذي يصلي فيه **وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل** اي امرناهما
والزمناهما واوحينا عليهما قيل انما سمي اسمعيل لان ابراهيم كان يدعو
الله ان يرزقه ولدا ويقول في دعايه اسمع يا ايل وايل بلسان
السريانية هو الله فلما رزق الولد سماه به **ان طهرا بيتي** يعني الكعبة
اضافه اليه تشريفا وتفضيلا وتخصيصا اي ابنياه على الطهارة
والتوحيد وقيل طهراه من ساير الاقذار والانجاس وقيل طهراه من
الشرك والاوثان وقول الزور **للطايفين** يعني الزايرين حوله •
والعاكفين يعني المقيمين به والمجاورين له **والركع السجود** جمع
راكع وساجد وهم المصلون وقيل الطايفين الغربا الواردين الى مكة
والعاكفين يعني اهل مكة المقيمين بها قيل ان الطواف للغربا افضل
والصلاة لاهل مكة بمكة افضل **قوله عز وجل** **واذ قال ابراهيم رب
اجعل هذا** اشارة الى مكة وقيل الى الحرم **بلدا امنا** اي ذا امن يامن فيه
اهله وانما دعا ابراهيم لهم بالامن لانه بلد ليس فيه زرع ولا ثمر فاذا لم
يكن امنا لم يجلب اليه شي من النواحي فيتعذر المقام به فاجاب الله

تعالى

تعالى دعا ابراهيم وجعله بلدا امنا فما قصده جبار الا قصمه الله تعالى كما
فعل باصحاب الفيل وغيرهم من الجبابرة **فان قلت** قد غزا مكة الحجاج
واخرب الكعبة **قلت** لم يكن قصده بذلك مكة ولا اهلها ولا اخراب
الكعبة وانما كان قصده خلع ابن الزبير من الخلافة ولم يتمكن من
ذلك الا بذلك فلما حصل قصده اعاد بنا الكعبة فبناها وشيدها
وعظم حرمتها واحسن الى اهلها • واختلفوا هل كانت مكة محرمة قبل
دعوة ابراهيم عليه السلام او حرمت بدعوته على قولين • احدهما
انها كانت محرمة قبل دعوته بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله
حرم مكة يوم خلق السموات والارض وقول ابراهيم عليه السلام اني
اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم فهذا يقتضي
ان مكة كانت محرمة قبل دعوة ابراهيم • والقول الثاني انما حرمت
بدعوة ابراهيم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حرم مكة
واني حرمت المدينة وهذا يقتضي ان مكة كانت قبل دعوة
ابراهيم حلالا كغيرها من البلاد وانما حرمت بدعوة ابراهيم ووجه
الجمع بين القولين وهو الصواب ان الله تعالى حرم مكة يوم خلقها
كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ان الله حرم مكة يوم خلق
السموات والارض ولكن لم يظهر ذلك التحريم على لسان احد من
انبيايه ورسله وانما كان تعالى يمنعها ممن ارادها بسوء ويدفع عنها
وعن اهلها الافات والعقوبات فلم يزل ذلك من امرها حتى بواها
الله تعالى ابراهيم واسكن بها اهله فحينيذ سال ابراهيم ربه عز وجل
ان يظهر تحريم مكة لعباده على لسانه فاجاب الله تعالى دعوته
والزم عباده بتحريم مكة فصارت مكة حراما بدعوة ابراهيم وافرض
على الخلق تحريمها والامتناع من استحلالها واستحلال صيدها
او شجرها فهذا وجه الجمع بين القولين وهو الصواب والله اعلم **وارزق
اهله من الثمرات** انما سال ابراهيم ذلك لان مكة لم يكن بها زرع ولا
ثمر فاستجاب الله تعالى له وجعل مكة حرما امنا يجبى اليه ثمرات
كل شي **من امن منهم بالله واليوم الاخر** يعني ارزق المومنين من
اهله خاصة وسبب هذا التخصيص ان ابراهيم عليه السلام لما
سال ربه عز وجل ان يجعل النبوة والامامة في ذريته فاجابه
الله بقوله لا ينال عهدي الظالمين فصار ذلك تاديبا له في المسالة
فلا جرم خص ههنا بدعايه المومنين دون الكافرين ثم اعلمه ان الرزق في
الدنيا يستوي فيه المومن والكافر بقوله **قال ومن كفر فامتعه** اي
سارزق الكافر ايضا **قليلا** اي في الدنيا الى منتهى اجله وذلك قليل

لانه ينقطع **ثم اضطره الى عذاب النار** اى الجيه واكرهه وادفعه الى
عذاب النار والمضطر هو الذى لا يملك لنفسه الامتناع مما اضطر
اليه **وبئس المصير** اى وبئس المكان الذى يصير اليه الكافر وهو
العذاب **قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت**
واسمعيل وكانت قصة بنا البيت على ما ذكره العلما واصحاب السير
ان الله خلق موضع البيت قبل ان يخلق الارض بالفى عام فكانت زبدة
بيضا على وجه الما فدحيت الارض من تحتها فلما اهبط ادم الى الارض
استوحش فشكى الى الله تعالى فانزل البيت المعمور وهو من ياقوتة
من يواقيت الجنة له بابان من زمرد اخضر شرقى وغربى فوضعه على
موضع البيت وقال يا ادم انى اهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف
حول عرشى وانزل الله عليه الحجر الاسود وكان ابيض فاسود من
مس الحيض فى الجاهلية فتوجه ادم من الهند ماشيا الى مكة
وارسل الله اليه ملكا يدله على البيت فحج ادم البيت واقام المناسك
فلما فرغ تلقته الملايكة وقالوا له بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت
قبلك بالفى عام • قال ابن عباس حج ادم اربعين حجة من الهند الى
مكة على رجليه فكان على ذلك الى ايام الطوفان فرفعه الله الى السما
الرابعة وهو البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم
لا يعودون اليه وبعث الله جبريل حتى خبى الحجر الاسود فى جبل ابى
قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمن ابراهيم
عليه السلام • ثم ان الله تعالى امر ابراهيم بعد ما ولد له اسمعيل
واسحاق ببناء بيتا يذكر فيه ويعبد فسال الله ان يبين له موضعه
فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت وهى ريح خجوج لها
راسان تشبه الحية والخجوج من الرياح وهى الشديدة السريعة
الهبوب وهى فتل المتلوية فى هبوبها وامر ابراهيم ان يبنى حيث تستقر
السكينة فتبعها ابراهيم حتى كانت موضع البيت فتطوقت عليه كتطوق
الحجفة • وقال ابن عباس بعث الله سبحانه وتعالى سحابة على قدر
الكعبة فجعلت تسير وابراهيم يمشى فى ظلها الى ان وقعت على موضع
البيت ونودى منها يا ابراهيم ابن على قدر ظلها لا تزيد ولا تنقص
وقيل ان الريح كنست ما حول الكعبة حتى ظهر له اساس البيت الاول
فذلك قوله تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت فبنى ابراهيم واسمعيل
البيت فكان ابراهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجارة فذلك قوله تعالى
واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل جمع قاعدة وهى اساس
البيت وقيل جدره من البيت • قال ابن عباس بنى ابراهيم البيت من خمسة

اجبل من طور سينا • وطور زيتا • ولبنان جبل بالشام • والجودى جبل
بالجزيرة • وبنى قواعده من حرا جبل بمكة • فلما انتهى ابراهيم الى موضع الحجر
الاسود قال لاسماعيل ايتنى بحجر حسن يكون للناس علما فاتاه بحجر
فقال ايتنى باحسن منه فمضى اسماعيل ليطلب حجرا احسن منه فصاح
ابو قبيس يا ابراهيم ان لك عندى وديعة فخذها فقذف الحجر الاسود
فاخذه ابراهيم فوضعه مكانه وقال ان الله تعالى امر ابراهيم واسمعيل
بسبعة املاك يعينونهما فى بنا البيت فلما فرغا من بنايه قالا **ربنا**
تقبل منا وفى الاية اضمار تقديره ويقولان ربنا تقبل منا اى ما عملنا
لك وتقبل طاعتنا اياك وعبادتنا لك **انك انت السميع** اى لدعاينا
العليم يعنى بنياتنا **قوله عز وجل ربنا واجعلنا مسلمين لك**
يعنى موحدين مخلصين خاشعين لك • فان **قلت** الاسلام اما
ان يكون به الدين والانقياد والاستسلام وقد كانا كذلك حالة
هذا الدعا فما فايدة هذا الطلب • **قلت** فيه وجهان • احدهما
ان الاسلام عرض قايم بالقلب وقد لا يبقى فقوله واجعلنا مسلمين
لك يعنى فى المستقبل وذلك لا ينافى حصوله فى الحال • **الوجه**
الثانى يحتمل ان يكون المراد منه طلب الزيادة فى الايمان فكانهما طلبا
زيادة اليقين والتصديق وذلك لا ينافى حصوله فى الحال **ومن ذريتنا**
اى اولادنا **امة** اى جماعة **مسلمة** اى خاضعة منقادة **لك** وانما ادخل
من التى هى للتبعيض لان الله تعالى اعلمهما بقوله لا ينال عهدى الظالمين
اى من ذريتهما الظالم فلهذا خص بعض الذرية بالدعا • فان **قلت**
لم خص ذريتهما بالدعا • **قلت** لانهم احق بالشفقة والنصيحة قال
الله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا ولان اولاد الانبيا اذا اصلحوا اصلح
الله بهم غيرهم الا ترى ان المتقدمين من العلما والكبرا اذا كانوا على
السداد فكيف يتسببون لسداد من وراهم وقيل اراد بالامة امة
محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله وابعث فيهم رسولا منهم **وارنا** اى
علمنا وبصرنا **مناسكنا** اى شرايع ديننا واعلام حجنا وقيل مناسكنا يعنى
مذابحنا والنسك الذبيحة وقيل متعبداتنا واصل النسك العبادة
فاجاب الله دعاهما وبعث جبريل فاراهما المناسك فى يوم عرفة فلما
بلغ عرفات قال عرفت يا ابراهيم قال ابراهيم نعم فسمى ذلك الوقت
عرفه والموضع عرفات **وتب علينا** اى تجاوز عنا **انك انت التواب**
اى المتجاوز عن عباده **الرحيم** بهم واحتجوا بقوله وتب علينا من جواز
الذنوب على الانبيا ووجهه ان التوبة لا تطلب من الله الا بعد
تقدم الذنب فلولا تقدم الذنب لم يكن لطلب التوبة وجه واجيب

عندبان العبد وان اجتهد في طاعة ربه عزوجل لا ينفك عن تقصير في
بعض الاوقات اما على سبيل السهو او ترك الاولى والافضل وكان
هذا الدعا لاجل ذلك وقيل يحتمل لما ان الله تعالى اعلم ابراهيم ان في
ذريته من هو ظالم فلاجرم سال ربه التوبة لاوليك الظلمة والمعنى
وتب على الظلمة من اولادنا حتى يرجعوا الى طاعتك فظاهر الكلام
الدعا لانفسهما والمراد به ذريتهما وقيل يحتمل انهما لما رفعا قواعد
البيت وكان ذلك البيت احرى الاماكن بالاجابة فدعوا الله بذلك
الدعا ليجعلا ذلك سنة وليقتدى من بعدهما بهما في ذلك الدعا
لان ذلك المكان هو موضع التنصل من الذنوب وسوال التوبة
والمغفرة من الله تعالى **قوله عزوجل** ربنا وابعث فيهم
رسولا منهم ربنا وابعث في الامة المسلمة والذرية وهم العرب من
ولد اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقوله رسولا منهم يعني ليدعوهم
الى الاسلام ويكمل الدين والشرع واذا كان الرسول منهم يعرفون
نسبه ومولده ومنشاؤه كان اقرب لقبول قوله ويكون اشفق عليهم
من غيره واجمع المفسرون على ان المراد بقوله رسولا منهم محمدا صلى الله
عليه وسلم لان ابراهيم عليه السلام انما دعا لذريته وهو بمكة ولم
يبعث من ذريته بمكة غير محمد صلى الله عليه وسلم فدل على ان المراد
به محمد صلى الله عليه وسلم • وروى البغوى باسناده عن العرباض
ابن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى عند الله
مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وساخبركم باول امرى
انا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا امي التي رات حين وضعتني
وقد خرج لها نور ساطع اضات لها منه قصور الشام • وقوله لمنجدل
في طينته معناه انه مطروح على وجه الارض صورة من طين لم تجر فيه
الروح واراد بدعوة ابراهيم قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فاستجاب
الله دعا ابراهيم وبعث محمد صلى الله عليه وسلم في اخر الزمان وانقذهم
به من الكفر والظلم واراد ببشارة عيسى عليه السلام قوله في سورة
الصف ومبشرا برسول ياتي من بعدى اسمه احمد يتلوا عليهم اى يقرا
عليهم اياتك يعني ما توحيه اليه من القران وهو الذى انزل على محمد
صلى الله عليه وسلم لان الذى كان يتلوا عليهم هو القران فوجب حمله
عليه ويعلمهم الكتاب يعني معاني الكتاب وحقايقه لان المقصود
الاعظم تعلم ما في القران من دلايل التوحيد والنبوة والاحكام
الشرعية فلما ذكر الله تعالى اولا امر التلاوة وهي حفظ القران
ودراسته ليبقى مصونا عن التحريف والتبديل ذكر بعده تعليم حقايقه

واسراره والحكمة اى ويعلمهم الحكمة وهي الاصابة في القول والعمل
ولا يسمى الرجل حكيما الا اذا اجتمع فيه الامران وقيل الحكمة التي تردع عن
الجهل والخطا وذلك انما يكون بما ذكرناه من الاصابة في القول والعمل
ووضع كل شي موضعه • وقيل الحكمة معرفة الاشيا بحقايقها واختلف
المفسرون في المراد في الحكمة ههنا فروى ابن وهب قال قلت لمالك ما الحكمة
قال المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له وقال قتادة الحكمة هي
السنة وذلك لان الله تعالى ذكر تلاوة الكتاب وتعليمه ثم عطف عليه
بالحكمة فوجب ان يكون المراد بها شيا اخر وليس ذلك الا السنة وقيل
الحكمة هو العلم باحكام الله التي لا تدرك علمها الا ببيان الرسول صلى
الله عليه وسلم والمعرفة بها منه • وقيل الحكمة هي الفصل بين الحق
والباطل • وقيل معرفة الاحكام والقضا • وقيل هي فهم القران •
والمعنى ويعلمهم ما في القران من الاحكام والحكمة ما فيه من المصالح
الدينية والاحكام الشرعية • وقيل كل كلمة وعظتك او دعتك الى
مكرمة او نهتك عن قبيح فهي حكمة ويزكيهم اى ويطهرهم من الشرك
وعبادة الاوثان وساير الارجاس والرذايل والنقايص • وقيل يزكيهم
من التزكية اى يشهد لهم يوم القيمة بالعدالة اذا شهد الانبيا بالبلاغ
ثم ختم ابراهيم بالدعا بالثنا على الله تعالى فقال انك انت العزيز
الحكيم قال ابن عباس العزيز الذى لا يوجد مثله وقيل هو الذى يقهر
ولا يقهر وقيل هو المنيع الذى لا تناله الايدى • وقيل العزيز القوى
والعزة القوة من قولهم ارض عزاز اى صلبة قوية الحكيم اى العالم
الذى لا تخفى عليه خافية • وقيل هو العالم بالاشيا واجادها على
غاية الاحكام **قوله عزوجل** ومن يرغب عن ملة ابراهيم
الا من سفه نفسه سبب نزول هذه الاية ان عبد الله بن سلام
دعا ابني اخيه الى الاسلام مهاجرا وسلمة وقال لهما قد علمتما ان الله
تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن امن
به فقد اهتدى ومن لم يومن به فهو ملعون واسلم سلمة وابى مهاجر
ان يسلم فانزل الله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم اى يترك دينه
وشريعته وفيه تعريض باليهود والنصارى ومشركي العرب لان اليهود
والنصارى يفتخرون بالانتساب الى ابراهيم والوصلة اليه لانهم من
بني اسرايل وهو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم والعرب يفتخرون به
لانهم من ولد اسمعيل بن ابراهيم واذا كان كذلك كان ابراهيم هو الذى
طلب بعثة هذا الرسول في اخر الزمان فمن رغب عن الايمان بهذا
الرسول الذى هو دعوة ابراهيم فقد رغب عن ملة ابراهيم ومعنى يرغب

عن ملة ابراهيم اي يترك دينه وشريعته يقال رغب في الشي اذا اراده
ورغب عنه اذا تركه الامن سفه نفسه قال ابن عباس خسر نفسه وقيل
اهلك نفسه • وقيل امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة وقيل
الجهل وضعف الراى فكل سفيه جاهل فكل من عبد الله فقد جهل نفسه
لانه لم يعرف بان الله خالقها • وقد جا من عرف نفسه فقد عرف الله
ربه بالعجز والقدرة والقوة والبقا • ويدل على هذا ان الله تعالى اوحى
الى داود عليه السلام اعرف نفسك واعرفني قال يارب فكيف اعرف
نفسي وكيف اعرفك قال اعرف نفسك بالعجز والضعف والفنا
واعرفني بالقوة والقدرة والبقا ولقد اصطفيناه اي اخترناه في
الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين يعني الفايزين وقيل مع الانبيا
في الجنة اذ قال له ربه اسلم اى استقم على الاسلام واثبت عليه لانه
كان مسلما لان الانبيا انما نشوا على الاسلام والتوحيد قال ابن
عباس ذلك حين خرج من السرب وذلك عند استدلاله بالكواكب
والشمس والقمر واطلاعه على امارات الحدوث فيها وافتقارها الى محدث
مدبر فلما عرف ذلك قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين اى
قال ابراهيم خضعت بالطاعة واخلصت العبادة لمالك الخلايق
ومدبرها ومحدثها وقيل معنى اسلم اخلص دينك وعبادتك لله واجعلها
سليمة وقيل الايمان من صفات القلب والاسلام من صفات
الجوارح وان ابراهيم كان مومنا بقلبه عارفا بالله فامره الله ان يعمل
بجوارحه • وقيل معناه اسلم نفسك الى الله تعالى وفوض امرك
اليه قال اسلمت اي فوضت امرى لرب العالمين • قال ابن عباس
وقد حقق ذلك حيث لم يستعن باحد من الملايكة حين القي في النار
قوله عز وجل ووصى بها ابراهيم بنيه يعني بكلمة الاخلاص
وهي لا اله الا الله وقيل هي الملة الحنيفية وكان لابراهيم ثمانية اولاد
اسمعيل وامه هاجر القبطية واسحق وامه سارة ومدين ومداين
ويفنان وزمران ويشق وشوح وامهم قطورا بنت يقطن الكنعنية
تزوجها ابراهيم حين وفاة سارة • فان قلت لم قال وصى بها
ابراهيم بنيه ولم يقل امرهم • قلت لان لفظ الوصية اوكد من لفظ
الامر لان الوصية انما تكون عند الخوف من الموت وفي ذلك الوقت
يكون احتياط الانسان لولده اشد واعظم وكانوا هم الى قبول وصيته
اقرب وانما خص بنيه بهذه الوصية لان شفقة الرجل على بنيه
اكثر من شفقته على غيرهم • وقيل لانهم كانوا ايمة يقتدى بهم فكان صلاحهم
صلاح لغيرهم ويعقوب اى وصى يعقوب بمثل ما وصى به ابراهيم وسمي

يعقوب لانه والعيص كانا توامين في بطن واحد فتقدم العيص وقت
الولادة في الخروج من بطن امه واخذ يعقوب على اثره واخذ بعقبه
قال ابن عباس وقيل سمي يعقوب لكثرة عقبه وكان له من الولد
اثني عشر وهم روبيل وشمعون ولاوى ويهودا وزبالون ويشحر
وداد ونفتالي وجاد واشر ويوسف وبنيامين ثم خاطب يعقوب بنيه
فقال يابني ان الله اصطفى لكم الدين اى اختار لكم دين الاسلام •
فلا تموتن الا وانتم مسلمون اى مومنون مخلصون والمعنى دوموا
على اسلامكم حتى ياتيكم الموت وانتم مسلمون لانه لا يعلم في اى وقت
ياتي الموت على الانسان وقيل في معنى وانتم مسلمون اى محسنون
الظن بالله عز وجل يدل عليه ما روى عن جابر قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة ايام يقول لا يموتن احدكم الا
وهو محسن الظن بربه اخرجاه في الصحيحين قوله عز وجل ام كنتم
شهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب
الموت اى حين احتضر وقرب من الموت نزلت في اليهود وذلك لانهم
لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه
باليهودية فانزل الله هذه الاية تكذيبا لهم والمعنى ان كنتم يا معشر
اليهود شهود على يعقوب اذ حضره الموت اى انكم لم تحضروا ذلك فلا
تدعوا على انبياى ورسلي الاباطيل وتنسبوهم الى اليهودية فاني
ما ابتعثت خليلي ابراهيم وولده واولادهم الا بدين الاسلام وبذلك
وصوا اولادهم وبه عهدوا اليهم ثم بين ما قال يعقوب لبنيه فقال
تعالى اذ قال يعني يعقوب لبنيه يعني اولاده الاثني عشر ما تعبدون
اي اي شي تعبدون من بعدى قيل ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى
يخيره بين الموت والحياة فلما خير يعقوب وكان قد راى اهل مصر
يعبدون الاوثان والنيران فقال انظروني حتى اسال ولدي
واوصيهم فامهله فجمع ولده وولد ولده وقال لهم قد حضر اجلي ما تعبدون
من بعدى قالوا نعبد الهك واله ابايك ابراهيم واسمعيل واسحق
انما قدم اسمعيل لانه كان اكبر من اسحق وادخله في جملة الابا وان كان
عما لهم لان العرب تسمي العم ابا والخالة اما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم عم الرجل صنو ابيه وقال في عمه العباس ردوا على ابي
الها واحدا ونحن له مسلمون اى مخلصون العبودية تلك اشارة
الى الامة المذكورة يعني ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب وولدهم
امة قد خلت اى مضت لسبيلها والمعنى يا معشر اليهود والنصارى
دعوا ذكر ابراهيم واسمعيل واسحق والمسلمين من اولادهم ولا

تقولوا فيهم ما ليس فيهم لها ما كسبت يعنى من العمل ولكم يعنى يا
معشر اليهود والنصارى ما كسبتم اى من العمل ولا تسئلون عما
كانوا يعملون يعنى كل فريق يسئل عن عمله لا عن عمل غيره قوله
عز وجل وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قال ابن
عباس نزلت فى روسا اليهود كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف
ووهب بن يهودا وابى ياسر بن اخطب وفى نصارى نجران السيد والعاقب
واصحابهما وذلك انهم خاصموا المومنين فى الدين فكل فريق منهم يزعم
انه احق بدين الله فقالت اليهود نبينا موسى افضل الانبيا وكتابنا
التوراة افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفروا بعيسى والانجيل
ومحمد والقران وقالت النصارى كذلك وقال كل واحد من الفريقين
للمومنين كونوا على ديننا فلا دين الا ذلك فانزل الله عز وجل قل
يعنى يا محمد بل ملة ابراهيم يعنى اذا كان لا بد من الاتباع فنتبع
ملة ابراهيم لانه مجمع على فضله حنيفا اصله من الحنف وهو ميل
واعوجاج يكون فى القدم • قال ابن عباس الحنيف المايل عن الاديان
كلها الى دين الاسلام قال الشاعر •
• ولكنا خلقنا اذ خلقنا • حنيفا ديننا عن كل دين •
والعرب تسمى كل من احتج او اختتن حنيفا تنبيها على انه على دين ابراهيم
وقيل الحنيفية الختان واقامة المناسك مسلما يعنى ان الحنيفية هى
دين الاسلام وهو دين ابراهيم عليه السلام وما كان من المشركين
يعنى ابراهيم وفيه تعريض باليهود والنصارى وغيرهم ممن يدعى اتباع
ملة ابراهيم وهو على الشرك ثم علم المومنين طريق الايمان فقال تعالى
قولوا امنا بالله يعنى قولوا ايها المومنون لهولا اليهود والنصارى
الذين قالوا لكم كونوا هودا او نصارى تهتدوا امنا بالله اى صدقنا
بالله وما انزل الينا يعنى القران وما انزل الى ابراهيم اى وامنا بما
انزل الى ابراهيم وهو عشر صحايف واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وهم اولاد يعقوب الاثنى عشر واحدهم سبط وكانوا
انبيا وقيل السبط هو ولد الولد وهو الحافد ومنه قيل للحسن والحسين
سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط فى بنى اسرايل ٥
كالقبايل فى العرب من بنى اسمعيل وكان فى الاسباط انبيا وما اوتى
موسى يعنى التوراة وعيسى يعنى الانجيل وما اوتى النبيون من
ربهم والمعنى امنا ايضا بالتوراة والانجيل والكتب التى اوتى جميع
النبيين وصدقنا ان ذلك كله حق وهدى ونور وان الجميع من عند
الله وان جميع ما ذكر الله من انبيايه كانوا على هدى وحق لا نفرق

بين

بين احد منهم اى لا نومن ببعض الانبيا ونكفر ببعض كما تبرات اليهود
عن عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم واقرت ببعض الانبيا وكما تبرات
النصارى من محمد صلى الله عليه وسلم واقرت ببعض بل نومن بكل
الانبيا وان جميعهم كانوا على هدى وحق ونحن له مسلمون اى ونحن لله
تعالى خاضعين بالطاعة مذعنون له بالعبودية خ عن ابى هريرة قال
كان اهل الكتاب يقرون التوراة بالعبرانية لاهل الاسلام فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا
امنا بالله وما انزل الينا الاية قوله عز وجل فان امنوا يعنى اليهود
والنصارى بمثل ما امنتم به اى بما امنتم ومثل صلة وهو كقوله ليس
كمثله شى • وقيل ان اتوا بايمان كايمانكم وتوحيد كتوحيدكم فقد اهتدوا
والمعنى ان حصلوا دينا اخر يساوى هذا الدين فى الصحة والسداد
استحال الاهتدا بغيره لان هذا الدين مبناه على التوحيد والاقرار
بكل الانبيا وما انزل اليهم • وقيل معناه فان امنوا بكتابكم كما
امنتم بكتابهم فقد اهتدوا وان تولوا اى اعرضوا فانما هم فى شقاق
اى فى خلاف ومنازعة وقيل فى عداوة ومحاربة وقيل فى ضلال
واصله من الشق كانه صار فى شق غير شق صاحبه بسبب عداوته
وقيل هو من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على
صاحبه ويوذيه فسيكفيكهم الله اى يكفيك الله يا محمد شر اليهود
والنصارى وهو ضمان من الله تعالى لاظهار رسول الله صلى الله
عليه وسلم لانه اذا تكفل بشى انجزه وهو اخبار بغيب ففيه معجزة
للنبى صلى الله عليه وسلم وقد انجز الله وعده بقتل بنى قريظة
وسبيهم واجلا بنى النضير وضرب الجزية على اليهود والنصارى
وهو السميع لاقوالهم العليم باحوالهم يسمع جميع ما ينطقون به
ويعلم ما يضمرون به من الحسد والغل وهو مجازيهم ومعاقبهم عليه
قوله عز وجل صبغة الله قال ابن عباس دين الله وانما سماه
صبغة لان اثر الدين يظهر فى المتدين كما يظهر اثر الصبغ على الثوب
وقيل فطرة الله • وقيل سنة الله • وقيل اراد به الختان لانه يصبغ
على المختتن بالدم وقال ابن عباس ان النصارى اذا ولد لاحدهم
مولود واتى عليه سبعة ايام غمسوه فى ما لهم اصفر يسمونه ما العمود
وصبغوه به ليطهروه به مكان الختان فاذا فعلوا ذلك به قالوا
الان صار نصرانيا حقا فاخبر الله ان دينه الاسلام لا ما تفعله
النصارى ومن احسن من الله صبغة اى دينا وقيل تطهيرا لانه
يطهر من اوساخ الكفر ونحن له عابدون اى مطيعون قل يعنى

ية •

يا محمد لليهود والنصارى الذين قالوا ان دينهم خيرا من دينكم وامروكم
باتباعهم اتحاجوننا فى الله اى اتخاصموننا وتجادلوننا فى دين الله
الذى امرنا ان نتدين به والمحاججة المجادلة لاظهار الحجة وذلك
انهم قالوا ان ديننا اقدم من دينكم وان الانبيا منا وعلى ديننا فنحن
اولى بالله منكم فامر الله المومنين ان يقولوا لهم اتحاجوننا فى الله
وهو ربنا وربكم اى ونحن وانتم فى الله سوا فانه ربنا وربكم ولنا
اعمالنا ولكم اعمالكم يعنى ان لكل احد جزا عمله ونحن له مخلصون اى
مخلصوا الطاعة والعبادة فيه وفيه توبيخ لليهود والنصارى
والمعنى وانتم به مشركون والاخلاص ان يخلص العبد دينه وعمله
لله تعالى فلا يشرك فى دينه ولا يرآئ بعمله قال الفضيل بن عياض
ترك العمل من اجل الناس ريا والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص
ان يعافيك الله منهما وهذه الاية منسوخة باية السيف قوله
عز وجل ام يقولون يعنى اليهود والنصارى ومعناه التوبيخ ان
ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى
يعنى اتزعمون ان ابراهيم وبنيه كانوا على دينكم وملتكم وانما حدثت
اليهودية والنصرانية بعدهم فثبت يا معشر اليهود والنصارى على
ابراهيم وبنيه قل يا محمد اانتم اعلم يعنى بدينهم ام الله اى الله اعلم
بذلك وقد اخبر ان ابراهيم وبنيه لم يكونوا على اليهودية والنصرانية
ولكن كانوا مسلمين حنفا ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وهى
علمهم بان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين وان محمدا احق بنعته وصفته
يجدون ذلك فى كتبهم وكتموه وجحدوه والمعنى ومن اظلم ممن كتم
شهادة جاته من عند الله فكتمها واخفاها وما الله بغافل عما
تعملون يعنى من كتمانكم الحق فيما الزمكم به فى كتابه من ان ابراهيم
وبنيه كانوا مسلمين حنفا وان الدين هو الاسلام لا اليهودية
والنصرانية والمعنى وما الله بغافل عن عملكم بل هو محصيه عليكم
ثم يعاقبكم عليه فى الاخرة تلك امة قد خلت يعنى ابراهيم وبنيه لها
ما كسبت اى جزا ما كسبت ولكم ما كسبتم اى جزا ما كسبتم ولا
تسئلون عما كانوا يعملون يعنى ان كل انسان انما يسال يوم القيمة
عن كسبه وعمله لا عن كسب غيره وعمله وفيه وعظ وزجر لليهود ولمن
يتكل على فضل الاباء وشرفهم اى لا تتكلوا على شرف الابا فكل يوخذ
بعمله وانما كررت هذه الاية لانه اذا اختلف مواطن الحجاج والمجادلة
حسن تكريره للتذكير به وتاكيده • وقيل انما كرره تنبيها لليهود لئلا
يغتروا بشرف ابائهم • قوله عز وجل سيقول السفها من الناس

اى الجهال من الناس والسفه خفة فى النفس لنقصان العقل فى
الامور الدينية والدنيوية ولا شك ان ذلك فى باب الدين اعظم لان العادل
فى الامر الواضح فى امر دنياه يعد سفيها فمن كان كذلك فى امر دينه كان
اولى بهذا الاسم فلا كافر الا وهو سفيه ولهذا امكن حمل هذا اللفظ على
اليهود والمشركين والمنافقين • فقيل نزلت هذه اليهود وذلك انهم
طعنوا فى تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة لانهم لا يرون النسخ
وقيل نزلت فى مشركى مكة وذلك انهم قالوا قد تردد على محمد امره
واشتاق مولده وقد توجه الى تحويل بلدكم فلعله يرجع الى دينكم وقيل
نزلت فى المنافقين وانما قالوا ذلك استهزاء بالاسلام • وقيل يحتمل
ان لفظ السفها للعموم فيدخل فيه جميع الكفار والمنافقين واليهود • وقيل
وقوع هذا الكلام من كلهم اذ لا فايدة فى التخصيص لان الاعدا يبالغون
فى الطعن والقدح فاذا وجدوا مقالا قالوا او مجالا اجالوا ما ولاهم يعنى
اى شى صرفهم عن قبلتهم التى كانوا عليها يعنى بيت المقدس والقبلة
هى الجهة التى يستقبلها الانسان وانما سميت قبلة لان المصلى يقابلها
وتقابله ولما قال السفها ذلك رد الله تعالى عليهم بقوله قل يا محمد
لله المشرق والمغرب يعنى له قطرى المشرق والمغرب وما بينهما ملكا فلا
يستحق شى اذ يكون لذاته قبلة لان الجهات كلها شى واحد وانما
تصير قبلة لان الله هو الذى جعلها قبلة وهو قوله يهدى من يشا
يعنى من عباده الى صراط مستقيم يعنى الى جهة الكعبة وقيل قبلة ابراهيم
عليه السلام قوله عز وجل وكذلك جعلناكم الكاف فى قوله
وكذلك كاف التشبيه جا المشبه به وفيه وجوه احدها انه معطوف
على ما تقدم من قوله فى حق ابراهيم ولقد اصطفيناه فى الدنيا وكذلك
جعلناكم امة وسطا الثالث قيل معناه كما جعلنا قبلتكم وسطا بين
المشرق والمغرب كذلك جعلناكم امة وسطا يعنى عدولا خيارا وخير
الامور اوسطها قال زهير

• هم وسط يرضى الانام بحكمهم • اذا نزلت احدى الليالى بمعظم •

وقيل متوسطة والمعنى اهل دين وسط بين الغلو والتقصير لانهما
مذمومان فى امر الدين لا كغلو النصارى فى عيسى ولا كتقصير اليهود
فى الدين وهو تحريفهم وتبديلهم • وسبب نزول هذه الاية ان رؤساء
اليهود قالوا لمعاذ بن جبل ما ترك محمد قبلتنا الا حسدا وان قبلتنا
قبلة الانبيا ولقد علم محمد انا اعدل الناس فقال معاذ انا على حق
وعدل فانزل الله هذه الاية • وروى ابو سعيد الخدرى عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال الا وان هذه الامة توفى سبعين امة هى اخرها وخيرها

واكرمها على الله تعالى وقوله تعالى **لتكونوا شهداء على الناس** يعني يوم
القيمة ان الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم وقيل ان محمدا صلى الله
عليه وسلم شهيد على من ترك الحق من الناس اجمعين **ويكون الرسول**
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **عليكم شهيدا** يعني عدلا مزكيا لكم
وذلك ان الله تعالى يجمع الاولين والاخرين في صعيد واحد ثم يقول
لكفار الامم الم ياتكم نذير فينكرون ويقولون ما جانا من نذير فيسال
الله الانبيا عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسالهم البينة وهو
اعلم بهم اقامة للحجة فيقولون امة محمد تشهد لنا فيوتى بامة محمد
عليه الصلاة والسلام فيشهدون لهم انهم بلغوا فتقول الامم الماضية
من اين علموا وانما كانوا بعدنا فيسال هذه الامة فيقولون
ارسلت الينا رسولا وانزلت علينا كتابا اخبرتنا فيه بتبليغ الرسل
وانت صادق فيما اخبرت ثم يوتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيساله
عن حال امته فيزكيهم ويشهد بصدقهم **خ** عن ابي سعيد الخدري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بنوح وامته يوم القيمة
فيقال له هل بلغت فيقول نعم اي رب فيسال امته هل بلغكم فيقولون
ما جانا من نذير فيقال لنوح من يشهد لك فيقول محمد وامته
فيجابكم فتشهدون • ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك ه
جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا زاد الترمذي وسطا قال عدلا **قوله عز وجل وما جعلنا**
القبلة التي كنت عليها اي وما جعلنا صرفك عن القبلة التي كنت
عليها وهي بيت المقدس وانما حذف ذكر الصرف اكتفا لدلالة اللفظ
عليه وقيل معناه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها وهي الكعبة
الا لنعلم من يتبع الرسول فان **قلت** ما معنى قوله الا لنعلم وهو
عالم بالاشيا كلها قبل كونها • **قلت** اراد به العلم الذي يتعلق به
الثواب والعقاب فانه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب انما يتعلق
بما يوجد والمعنى لنعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب
والعقاب • وقيل العلم هنا بمعنى الروية اي لنرى ونميز من يتبع
الرسول ممن ينقلب على عقبيه • وقيل معناه الا لنعلم رسلي وحزبي
واوليائي من المومنين من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه
وكان من شان العرب اضافة ما فعله الاتباع الى الكبير كقولهم
فتح عمر العراق وجبى خراجها وانما فعل ذلك اتباعه عن امره وقيل
انما قال لنعلم وهو بذلك عالم قبل كونه على وجه الرفق بعباده
ومعناه الا لتعلموا انتم اذ كنتم جهالا به قبل كونه فاضافة العلم الى

نفسه

نفسه رفقا بعباده المخاطبين • وقيل معناه لعلمنا كان الله تعالى سبق في
علمه ان تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة اخرين ومعنى من يتبع
الرسول اي يطيعه في امر القبلة وتحويلها **ممن ينقلب على عقبيه**
اي يرجع الى ما كان عليه من الكفر فيرتد • وفي الحديث لما تحولت القبلة
الى الكعبة ارتد قوم الى اليهودية وقالوا رجع محمد الى دين ابائه **وان**
كانت اي وقد كانت **لكبيرة** يعني تولية القبلة ثقيلة شاقة وقيل هي
التولية من بيت المقدس الى الكعبة وقيل الكبيرة هي القبلة التي وجهه
اليها قبل التحويل وهي بيت المقدس وانث الكبيرة لتانيث القبلة
وقيل لتانيث التولية **الا على الذين هدى الله** يعني الصادقين في
اتباع الرسول **وما كان الله ليضيع ايمانكم** يعني صلاتكم الى بيت المقدس
وذلك ان حيي بن اخطب واصحابه من اليهود قالوا للمسلمين اخبرونا
عن صلاتكم الى بيت المقدس ان كانت على هدى فقد تحولتم عنه وان كانت
على ضلالة فقد دنتم الله بها مدة ومن مات عليها فقد مات على
ضلالة فقال المسلمون انما الهدى فيما امر الله به والضلالة فيما
نهى الله عنه قالوا فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا وقد
مات قبل ان تحول القبلة الى الكعبة اسعد بن زرارة من بني النجار
والبرا بن معرور من بني سلمة وكانوا من النقبا ورجال اخرون ه
فانطلق عشايرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله
قد صرفك الله الى ملة ابراهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم
يصلون الى بيت المقدس فانزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم
يعني صلاتكم الى بيت المقدس **ان الله بالناس لروف رحيم** يعني لا يضيع
اجورهم والرافة اخص من الرحمة وارق • وقيل الرافة اشد من الرحمة •
وقيل الرافة الرحمة • وقيل في الفرق بين الرافة والرحمة ان الرافة
مبالغة في رحمة خاصة وهي دفع المكروه وازالة الضرر • واما الرحمة
فانها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه ايضا جميع الافضال
والانعام فذكر الله الرافة اولا بمعنى ان لا يضيع اعمالهم ثم ذكر الرحمة
ثانيا لانها اعم واشمل **قوله عز وجل قد نرى تقلب وجهك في السما**
سبب نزول هذه الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا يصلون
بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة احب ان يستقبل بيت المقدس
يتالف بذلك اليهود وقيل ان الله تعالى امره بذلك ليكون اقرب
الى تصديق اليهود اياه اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجدون من نعته
وصفته في التوراة فصلى الى بيت المقدس بعد الهجرة ستة عشر او سبعة
عشر شهرا وكان يحب ان يتوجه الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم وقيل

كان يحب ذلك من اجل ان اليهود قالوا يخالفنا محمد فى ديننا ويتبع قبلتنا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل وددت لو حولنى الله الى
الكعبة فانها قبلة ابى ابراهيم فقال جبريل عليه السلام انما انا عبد
مثلك وانت كريم على ربك فسل انت ربك فانك عند الله بمكان
ثم عرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى
السما رجا ان ينزل جبريل بما يجب من امر القبلة فانزل الله عز وجل
قد نرى تقلب وجهك فى السماء يعنى تردد وجهك وتصرف نظرك
الى السما الى جهة السماء وهذه الاية وان كانت متاخرة فى التلاوة
فهى متقدمة فى المعنى لانها راس القصة واول ما نسخ من احكام
الشرع امر القبلة فلنولينك اى فلنحولنك ولنصرفنك قبلة اى
ولنصرفنك عن بيت المقدس الى قبلة ترضاها اى تحبها وتميل اليها
فول وجهك شطر المسجد الحرام اى نحوه وتلقاه واراد به الكعبة ق
عن ابن عباس قال لما دخل النبى صلى الله عليه وسلم البيت دعا فى
نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه ولما خرج ركع ركعتين قبل
الكعبة وقال هذه القبلة يعنى ان امر القبلة قد استقر على هذا
البيت فلا ينسخ بعد اليوم فصلوا الى الكعبة ابدا فهى قبلتكم ق
عن البراء بن عازب ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اول ما قدم المدينة
نزل على اجداده او قال اخواله من الانصار وانه صلى قبل بيت
المقدس ستة عشر او سبعة عشر شهرا وكان يعجبه ان تكون قبلته
قبل البيت وانه صلى اول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم
فخرج رجل ممن صلى معه فمر على اهل مسجد وهم راكعون فقال اشهد
بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الكعبة
فداروا كما هم قبل البيت وكانت اليهود قد اعجبهم اذ ذلك يصلى قبل
بيت المقدس وهى قبلة اهل الكتاب فلما ولى وجهه قبل البيت انكروا
ذلك فقال البرا فى حديثه هذا وانه مات على القبلة قبل ان تحول
رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فانزل الله تعالى وما كان الله
ليضيع ايمانكم • واختلف العلما فى وقت تحويل القبلة فقال
الاكثرون كان فى يوم الاثنين بعد الزوال للنصف من رجب على
راس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة وقيل كان يوم الثلاثا لثمانية عشر شهرا • وقيل كانت
لستة عشر شهرا • وقيل لثلاثة عشر شهرا • وقيل نزلت ورسول الله
صلى الله عليه وسلم فى مسجد بنى سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من
صلاة الظهر فتحول فى الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان

النسا

النسا والنسا مكان الرجال فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين ووصل
الخبر الى اهل قبا فى صلاة الصبح ق عن ابن عمر قال بينما الناس بقبا
فى صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان النبى صلى الله عليه وسلم قد
انزل عليه الليلة قران وقد امر ان يستقبل القبلة فاستقبلوها ه
وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة وقوله تعالى وحيث
ما كنتم اى من بر او بحر شرق او غرب فولوا وجوهكم شطره اى نحو البيت
وتلقاه عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما بين المشرق
والمغرب قبلة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قيل اراد
بالمشرق مشرق الشتا فى اقصر يوم من السنة وبالمغرب مغرب الصيف
فى اطول يوم من السنة • فمن جعل مغرب الصيف فى هذا الوقت عن
يمينه ومشرق الشتا عن يساره كان مستقبلا للقبلة وهذا فى حق
اهل الشرق لان المشرق الشتوى جنوبى متباعد عن خط الاستوا
بمقدار الميل والمغرب الصيفى شمالى متباعد عن خط الاستوا والذى
بينهما فتوسطهما مكة والفرض لمن بمكة فى القبلة اصابة عين الكعبة
ولمن بعد من مكة اصابة الجهة ويعرف ذلك بدلايل القبلة وليس
هذا موضع ذكرها • ولما تحولت القبلة الى الكعبة قالت اليهود يا محمد
ما هو الا شى ابتدعته من تلقا نفسك فتارة تصلى الى بيت المقدس
وتارة الى الكعبة ولو ثبت الى قبلتنا لكنا نرجوا ان تكون صاحبنا الذى
ننتظره فانزل الله تعالى وان الذين اوتوا الكتاب يعنى اليهود
ليعلمون انه الحق من ربهم يعنى امر القبلة وتحويلها الى الكعبة ثم
هددهم فقال تعالى وما الله بغافل عما تعملون يعنى وما انا بساه عما
يفعل هولا اليهود فانا اجازيهم عليه فى الدنيا والاخرة وقرا تعملون
بالتا قال ابن عباس يريد انكم يا معشر اليهود تريدون مرضاتى وما انا
بغافل عن ثوابكم وجزائكم فانا اثيبكم على طاعتكم اجزل الثواب واجزيكم
احسن الجزا قوله تعالى ولين اتيت الذين اوتوا الكتاب يعنى
اليهود والنصارى بكل اية اى بكل معجزة وقيل بكل حجة وبرهان
وذلك بانهم قالوا ايتنا باية على ما تقول فانزل الله هذه الاية ما تبعوا
قبلتك يعنى الكعبة وما انت بتابع قبلتهم يعنى ان اليهود تصلى الى
بيت المقدس والنصارى الى الشرق وانت يا محمد تصلى الى الكعبة فكيف
يكون سبيل الى اتباع احدهم لا مع اختلاف جهاتها فالزم انت قبلتك
التى امرت بالصلاة اليها وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعنى وما
اليهود بتابعة قبلة النصارى ولا النصارى بتابعة قبلة اليهود لان
اليهود والنصارى لا يجتمعون على قبلة واحدة ولين اتبعت اهواءهم

يعني مرادهم ورضاهم لو رجعت الى قبلتهم من بعد ما جاءك من العلم
اى فى امر قبلتهم وقيل معناه من العلم بان اليهود والنصارى مقيمون
على باطل وعناد للحق انك اذا لمن الظالمين يعنى انك ان فعلت ذلك
لكنت بمنزلة من ظلم نفسه وضرها قيل هذا الخطاب للنبى صلى الله
عليه وسلم والمراد به الامة لانه صلى الله عليه وسلم لا يتبع اهواءهم
ابدا وقيل هو خطاب لدخامته فيكون ذلك على سبيل التذكير والتنبيه
قوله عز وجل الذين اتيناهم الكتاب يعنى علما اليهود والنصارى
وقيل اراد به مومنى اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه يعرفونه
اى يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم معرفة جليه بالوصف المعين
الذى يجدونه عندهم كما يعرفون ابناءهم اى لا يشكون فيه ولا يشتبه
عليهم كما لا تشتبه عليهم ابناءهم من ابناء غيرهم • وروى ان عمر بن الخطاب
قال لعبد الله بن سلام ان الله انزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف هذه المعرفة
فقال عبد الله يا عمر لقد عرفته حين رايته كما اعرف ابنى ومعرفتى بمحمد
صلى الله عليه وسلم اشد من معرفتى بابنى فقال عمر فكيف ذلك فقال
اشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حق من الله وقد نعته الله
فى كتابنا ولا ادرى ما تصنع النسا • فقبل عمر راس عبد الله وقال
وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت • وقيل الضمير فى يعرفونه يعود
الى امر القبلة والمعنى ان علما اليهود والنصارى يعرفون ان القبلة
التى صرفتك اليها هى قبلة ابراهيم وقبلة الانبيا قبلك كما يعرفون
ابناءهم لا يشكون فى ذلك وان فريقا منهم اى من علما اهل الكتاب
ليكتمون الحق يعنى صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل امر القبلة وهم
يعلمون يعنى ان كتمان الحق معصية • وقيل يعلمون ان صفة محمد صلى الله
عليه وسلم مكتوبة عندهم فى التوراة والانجيل وهم مع ذلك يكتمونه
الحق الذى يكتمونه هو الحق من ربك فلا تكونن من الممترين اى من
الشاكين فى ان الذى تقدم ذكرهم علموا صحة نبوتك وقيل ترجع الى
امر القبلة والمعنى ان بعضهم عاند وكتم الحق فلا تشك فى ذلك
فان قلت النبى صلى الله عليه وسلم لم يمتر ولم يشك فما معنى
هذا النهى • قلت هذا الخطاب وان كان للنبى صلى الله عليه وسلم
ولكن المراد غيره والمعنى فلا تشكون انتم ايها المومنون وقد تقدم
نظير هذا **قوله عز وجل** ولكل وجهة اى ولكل اهل ملة قبلة
والوجهة اسم للمتوجه اليه • وقيل الوجهة الهيئة والحالة فى
التوجه الى القبلة • وقيل فى قوله ولكل وجهة ان المراد به جميع

المسلمين

المسلمين اى ولكل اهل جهة من الافاق وجهة من الكعبة يصلون اليها
وقيل المراد بالوجهة المنهاج المشروع والمعنى ولكل قوم شريعة وطريقة
لان الشرايع مصالح للعباد فلهذا اختلفت الشرايع بحسب اختلاف
الزمان والاشخاص هو موليها اى يستقبلها والمعنى ان لكل اهل ملة
وجهة هو مولى وجهه اليها وقيل متوليها اى مختارها • وقيل ان هو
عايد على اسم الله تعالى والمعنى ان الله موليها اياه وقرى مولاها
اى مصروف اليها فاستبقوا الخيرات اى بادروا بالطاعات وقبول
الاوامر وفيه حث الى المبادرة الى الاولوية والافضلية فعلى هذا تكون
الاية دليلا لمذهب الشافعى فى ان الصلاة فى اول الوقت افضل ٥
فاستبقوا الخيرات لان ظاهر الامر للوجوب فان لم يتحقق الوجوب
فلا اقل من الندب اينما تكونوا يعنى وانتم واهل الكتاب يات بكم الله
جميعا يعنى يوم القيمة فهو وعد لاهل الطاعة بالثواب ووعيد لاهل
المعصية بالعقاب ان الله على كل شى قدير اى على الاعادة بعد الموت
والاثابة لاهل الطاعة والعقوبة لاهل المعصية لمستحق العقوبة
قوله عز وجل ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد
الحرام اى من اى موضع خرجت فى سفر وغيره فول وجهك يا محمد
قبل المسجد الحرام ونحوه وانه يعنى التوجه اليه للحق من ربك اى الحق
الذى لا شك فيه فحافظ عليه وما الله بغافل عما تعملون اى ليس
هو بساه عن اعمالكم ولكنه محصيها لكم وعليكم فيجازيكم بها يوم القيمة
ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم
فولوا وجوهكم شطره فان قلت هل فى هذا التكرار فايدة
قلت فيه فايدة عظيمة جليلة وهى ان هذه الواقعة اول الوقايع
التى ظهر النسخ فيها فى شرعنا فدعت الحاجة الى التكرار لاجل التاكيد
والتقرير وازالة الشبهة وايضاح البيان فحسن التكرار فيه لنقلهم
من جهة الى جهة لئلا يكون للناس عليكم حجة قيل اراد بالناس
اهل الكتاب وقيل هو على العموم وقيل هم قريش واليهود فاما قريش
فقال رجع محمد الى الكعبة لانه علم انها الحق وانها قبلة ابيه وسيرجع
الى ديننا كما رجع الى قبلتنا • وقالت اليهود لم ينصرف محمد عن بيت
المقدس مع علمه انه حق الا انه يعمل برايه فعلى هذا يكون الاستثنا
فى قوله الا الذين ظلموا متصلا صحيحا والمعنى لا حجة لاحد عليكم الا
مشركوا قريش واليهود فانهم يجادلونك بالباطل والظلم وانما سمى
الاحتجاج بالباطل حجة لان اشتقاقها من حجه اذا غلبه فكما يكون صحيحة
فكذلك تسمى حجة وتكون باطلة قال الله تعالى حجتهم داحضة عند

ربهم وقيل هذا الاستثنا منقطع عن الكلام الاول ومعناه لكن الذين
ظلموا انفسهم يجادلونك بالباطل قال النابغة •
• ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتايب •
اى لكن سيوفهم بهن فلول وليس بعيب • وقيل فى معنى الاية ان اليهود
عرفوا ان الكعبة قبلة ابراهيم ووجدوا فى التوراة ان محمدا سيحول اليها
فتكون حجتهم ان النبى الذى نجده فى كتابنا سيحول الى الكعبة ولم
تحول انت فلما حول الى الكعبة ذهب حجتهم الا الذين ظلموا منهم اى
الا ان يظلموا فيكتموا ما عرفوا من الحق فلا تخشوهم اى فلا تخافوهم
فى انصرافكم الى الكعبة فى تظاهرهم عليكم بالمجادلة الباطلة فانى وليكم
وناصركم اظهركم عليهم بالحجة والنصرة واخشونى اى احذروا عقابى
ان انتم عدلتم عما الزمتكم به وفرضته عليكم ولاتم نعمتى عليكم اى ولكن
اتم نعمتى عليكم بهدايتى اياكم الى قبلة ابراهيم لتتم لكم الملة الحنيفية
وقيل تمام النعمة الموت على الاسلام ثم دخول الجنة ولعلكم تهتدون
اى لكى تهتدوا من الضلالة ولعل وعسى من الله واجب قوله
عز وجل كما ارسلنا فيكم رسولا كاف التشبيه تحتاج الى شى ترجع اليه
فقيل ترجع الى ما قبلها ومعناه ولاتم نعمتى عليكم كما ارسلنا فيكم وقيل
ان ابراهيم قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم قال ربنا واجعلنا مسلمين
لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك فبعث الله فيهم رسولا وهو محمد
صلى الله عليه وسلم ووعده اجابة الدعوة الثانية بان يجعل فى
ذريته امة مسلمة والمعنى كما اجيبت دعوته ببعثة الرسول كذلك
اجيبت دعوته بان اهديكم لدينه واجعلكم مسلمين واتم نعمتى عليكم
ببيان شرايع الملة الحنيفية • وقيل ان الكاف متعلقة بما بعدها وهو
قوله فاذكرونى اذكركم والمعنى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم فاذكرونى
ووجه التشبيه ان النعمة بالذكر جارية مجرى النعمة بارسال الرسول
وان قلنا انها متعلقة بما قبلها كان وجه التشبيه ان النعمة فى امر القبلة
كالنعمة بالرسالة فيكم خطاب لاهل مكة والعرب وكذا قوله منكم
وفى ارساله رسولا منهم نعمة عظيمة لما فيه من الشرف لهم ولان المعروف
من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير فكان بعثة
الرسول منهم وفيهم اقرب الى قبول قوله والانقياد له والمعنى كما ارسلنا
فيكم رسولا منكم يا معشر العرب يتلوا عليكم اياتنا يعنى القران وذلك
من اعظم النعم لانه معجزة باقية على الدهر ويزكيكم اى ويطهركم من
دنس الشرك والذنوب وقيل يعلمكم ما اذا فعلتموه صرتم ازكيا مثل
محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ويعلمكم الكتاب يعنى احكام الكتاب

وهو

وهو القران وقيل ان التعليم غير التلاوة فليس والحكمة يعنى السنة
والفقه فى الدين ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون يعنى يعلمكم من اخبار
الامم الماضية والقرون الخالية وقصص الانبيا والخبر عن الحوادث
المستقبلة مما لم تكونوا تعلمون وذلك قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاذكرونى قيل الذكر يكون باللسان وهو ان يسبحه ويحمده ونحو ذلك
من الاذكار ويكون بالقلب وهو ان يتفكر فى عظمة الله وفى الدلايل على
وحدانيته ويكون بالجوارح وهو ان تكون مستغرقة فى الاعمال التى
امروا بها مثل الصلاة وساير الطاعات التى للجوارح فيها اصل •
اذكركم اى بالثواب والرضى عنكم قال ابن عباس اذكرونى بطاعتى
اذكركم بمعونتى • وقيل اذكرونى فى النعمة والرخا اذكركم فى الشدة
والبلا • وقال المعانى اذكرونى بالتوحيد والايمان اذكركم بالجنان
والرضوان • وقيل اذكرونى بالاخلاص اذكركم بالخلاص • اذكرونى
بالقلوب اذكركم بغفران الذنوب • اذكرونى بالدعا اذكركم بالعطا ق
عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل
انا عند ظن عبدى بى وانا معه اذا ذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته
فى نفسى • وان ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء خير منهم وان تقرب الى شبرا
تقربت اليه ذراعا • وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا وان اتانى
يمشى اتيته هرولة قوله عز وجل انا عند ظن عبدى بى قيل معناه
بالغفران اذا استغفر وبالقبول والاجابة اذا دعا وبالكفاية اذا طلب
الكفاية • وقيل المراد منه تحقيق الرجا وتاميل العفو وهذا اصح قوله
وانا معه حين يذكرنى يعنى بالرحمة والتوفيق والهداية والاعانة •
وقوله فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى النفس فى اللغة لها
معان • شهادات الشى والله تعالى ليس له ذات حقيقة • ومنها
الغيب فعلى هذا يكون المعنى فان ذكرنى خاليا ذكرته بالاثابة والمجازاة
مما لا يطلع عليه احد • قوله فان ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء خير منهم
الملاء اشراف الناس وعظماؤهم الذى يرجع الى رايهم وهذا مما استدل
به المعتزلة ومن وافقهم على تفضيل الملايكة على الانبياء • واجيب
عنه بان الذكر غالبا يكون فى جماعة لا نبى فيهم قوله وان تقرب
الى شبرا تقربت اليه ذراعا الخ • وهذا من احاديث الصفات ويستحيل
ارادة ظاهره فلا بد من التاويل • فعلى هذا يكون ذلك الشبر والذراع
والباع والمشى والهرولة استعارة ومجازا فيكون المراد بتقرب
العبد من الله تعالى القرب بالذكر والطاعة والعمل الصالح والمراد
بتقرب الله من العبد قرب نعمه والطافه وبره وكرمه واحسانه وتوفيقه

مواهبه ورحمته عليه والمعنى كلما ازداد بالطاعة والذكر زدت بالبر
والاحسان • وان اتانى يمشى فى طاعتى اتيته هرولة اى صببت عليه
الرحمة صبا وسبقته بها **ق** عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا مع عبدى
ما ذكرنى وتحركت بى شفتاه **ق** عن ابى موسى الاشعرى قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذى يذكر ربه والذى لا
يذكر كمثل الحى والميت **م** عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون الذين ذهب القرن
الذين كانوا فيه ولقوا وهم يذكرون الله تعالى ويقال تفرد الرجل
اذا تفقه واعتزل وقوله تعالى **واشكروا لي** يعنى بالطاعة **ولا تكفرون**
اى بالمعصية فمن اطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره قوله عز
وجل **يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلاة** انما خصهما
بالذكر لما فيهما من المعونة على العبادات اما الصبر فهو حبس النفس
على احتمال المكاره فى ذات الله وتوطينها على تحمل المشاق فى العبادات
وساير الطاعات وتجنب الجزع وتجنب المحظورات ومن الناس
من حمل الصبر على الصوم وفسره به • ومنهم من حمله على الجهاد •
واما الاستعانة بالصلاة فانها يجب ان تفعل على طريق الخضوع
والتذلل للمعبود والاخلاص له • وقيل استعينوا على طلب الاخرة
بالصبر على الفرايض وبالصلوات الخمس فى مواقيتها على تمحيص
الذنوب **ان الله مع الصابرين** اى بالعون والنصر **ولا تقولوا لمن
يقتل فى سبيل الله اموات** نزلت فيمن قتل ببدر من المسلمين وكانوا
اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وهم عبيدة بن الحارث بن عبد
المطلب وعمير بن ابى وقاص وذو الشمالين واسمه عمير بن عبيد عمرو
ابن العاص بن نضلة بن عمرو من خزاعة ثم بنى غبشان وعاقل بن
البكير من بنى سعد بن ليث بن كنانة ومهجع مولى لعمر بن الخطاب
وصفوان بن بيضا من بنى الحرث بن فهر من الانصار ثمانية وهم
سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر ويزيد بن الحرث بن مسحم
وعمير بن الحمام ورافع بن المعلى وحارثة بن سراقة وعوف ومعوذ
ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد وهما ابنا عفرا وهى امهما كان الناس
يقولون لمن قتل فى سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا
ولذاتها فانزل الله هذه الاية واخبر ان من قتل فى سبيل الله فانه
حى بقوله تعالى **بل احيا** وانما احياهم الله عز وجل فى الوقت لايصال
الثواب اليهم وعن الحسن ان الشهدا احيا عند الله تعرض ارزاقهم على

ارواحهم

ارواحهم ويصل اليهم الروح والريحان والفرح كما تعرض النار على آل
فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع ففيه دليل على ان المطيعين
لله يصل اليهم ثوابهم وهم فى قبورهم فى البرزخ وكذا العصاة يعذبون
فى قبورهم • فان **قلت** نحن نراهم موتى فما معنى قوله بل احيا
وما وجه النهى فى قوله ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات **قلت**
معناه ان لا تقولوا اموات بمنزلة غيرهم من الاموات بل هم احياء
تصل ارواحهم الى الجنان • كما ورد ان ارواح الشهدا فى حواصل طير
خضر تسرح فى الجنة فهم احيا من هذه الجهة وان كانوا امواتا من جهة
خروج الروح من اجسادهم • **وجواب** اخر وهو انهم احيا عند الله
تعالى فى عالم الغيب لانهم صاروا الى الاخرة فنحن لا نشاهدهم كذلك
ويدل على ذلك قوله تعالى **ولكن لا تشعرون** اى لا ترونهم احيا
فتعلموا ذلك حقيقة وانما تعلموا باخبارى اياكم به • **فان قلت**
اليس ساير المطيعين من المسلمين لله يصل اليهم من نعيم الجنة فى
قبورهم فلم خص الشهداء بالذكر • **قلت** انما خصهم لان الشهدا
فضلوا على غيرهم بمزيد النعيم وهو انهم يرزقون من مطاعم الجنة
ومآكلها وغيرهم ينعمون بما دون ذلك وجواب اخر وهو انه رد
لقول من قال ان من قتل فى سبيل الله قد مات وذهب عنه نعيم
الدنيا ولذاتها فاخبر الله تعالى بقوله بل احيا فانهم فى نعيم دايم •
قوله عز وجل **ولنبلونكم** اى ولنختبرنكم يا امة محمد واللام جواب
القسم تقديره والله لنبلونكم والابتلا لاظهار الطايع من العاصى
لا ليعلم شيا مما لم يكن عالما به فانه سبحانه وتعالى عالم بجميع الاشيا
قبل كونها وحدوثها **بشيء** انما قال بشى ولم يقل باشيا لئلا يوهم
ان اشيا تدل على ضروب من الخوف وكذا الباقى فلما قال بشى كان
التقدير بشى من الخوف وبشى من الجوع • وقيل معناه بشى قليل من
هذه الاشيا **من الخوف** قال ابن عباس يعنى خوف العدو والخوف
توقع مكروه يحصل منه الم فى القلب **والجوع** يعنى القحط وتعذر
حصول القوت **ونقص من الاموال** يعنى بالهلاك والخسران
والانفس اى ونقص من الانفس بالموت او القتل **والثمرات** يعنى الجوايح
فى الثمار وقيل قد يكون بالجدب ايضا وبترك العمل والعمارة فى الاشجار
وحكى عن الشافعى فى تفسير هذه الاية قال الخوف خوف الله
تعالى والجوع صيام شهر رمضان ونقص من الاموال يعنى اخراج
الزكاة والصدقات والانفس يعنى بالامراض والثمرات يعنى موت
الاولاد لان الولد ثمرة القلب • عن ابى موسى الاشعرى قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى
لملايكته اقبضتم ولد عبدى قالوا نعم قال اقبضتم ثمرة فواده قالوا
نعم قال فما قال قالوا حمدك واسترجع قال ابنوا له بيتا فى الجنة
وسموه بيت الحمد اخرجه الترمذى وقال حديث حسن **فان قلت**
فما الحكمة فى تقديم تعريف هذا الابتلا فى قوله ولنبلونكم **قلت**
فيه حكم منها ان العبد اذا علم انه مبتلى بشى فوطن نفسه على الصبر
فاذا نزل به ذلك لم يجزع • ومنها ان الكفار اذا شاهدوا المومنين
مقيمين على دينهم ثابتين عند نزول البلا صابرين له علموا بذلك
صحة الدين فيدعوهم الى متابعته والدخول فيه • ومنها ان الله
اخبر بهذا الابتلا قبل وقوعه فاذا وقع كان ذلك اخبارا عن غيب
فيكون معجزه للنبى صلى الله عليه وسلم • ومنها ان المنافقين
انما اظهروا الايمان طمعا فى المال وسعة الرزق من الغنايم فلما اخبر
الله انه مبتلى عباده فعند ذلك يميز المومن من المنافق والصادق
من الكاذب • ومنها ان الانسان فى حال الابتلا اشد اخلاصا
لله فى حال الرخا فاذا علم انه مبتلى دام على التضرع والابتهال
الى الله تعالى لينجيه مما عسى ان ينزل به من البلا ثم قال تعالى
وبشر الصابرين يعنى عند نزول البلا والمحن وبشر يا محمد الصابرين
على امتحانى بما امتحنهم به من الشدايد والمكاره ثم وصفهم بقوله
تعالى **الذين اذا اصابتهم مصيبة** اي نايبة وابتلا **قالوا انا لله**
يعنى عبيدا وملكا **وانا اليه راجعون** يعنى فى الاخرة **م** عن ام
سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد
تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرنى فى
مصيبتى واخلف لى خيرا منها قبل ما اعطيت احد اما اعطيت هذه
الامة يعنى الاسترجاع عند المصيبة ولو اعطيها احدا لاعطى يعقوب
عليه السلام الا تسمع الى قوله عند فقد يوسف يا اسفا على يوسف
وقيل فى قول العبد انا لله وانا اليه راجعون تفويض منه الى الله
وانه راض بكل ما نزل به من المصايب **اوليك** الموصوفون يعنى من
هذه صفتهم **عليهم صلوات من ربهم** قال ابن عباس اى مغفرة من
ربهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابى اوفى اى اغفر
لهم وارحمهم وانما جمع الصلوات لانه عنى مغفرة بعد مغفرة ورحمة
بعد رحمة **ورحمة** قال ابن عباس ونعمة والرحمة من الله انعامه وافضال
واحسان ومن الادميين رقة وتعطف • وقيل انما ذكر الرحمة بعد الصلاة
لان الصلاة من الله الرحمة لاتساع المعنى واتساع اللفظ وتفعل

ذلك

ذلك العرب كثيرا اذا اختلف واتفق المعنى • وقيل كررهما للتاكيد
اى عليهم رحمة بعد رحمة **واوليك هم المهتدون** يعنى الى الاسترجاع
وقيل الى الجنة الفايزون بالثواب وقيل المهتدون الى الحق والصواب
وقال عمر بن الخطاب نعم العدلان ونعمة العلاوة فالعدلان الصلاة والرحمة
والعلاوة الهداية **فصل فى ذكر احاديث وردت**
فى ثواب اهل البلا واجر الصابرين **خ** عن ابى هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه يعنى
يبتليه بالمصايب حتى ياجره على ذلك **ق** عن ابى سعيد الخدرى
وابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المومن من
نصب ولا وصب ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر
الله عنه خطاياه النصب التعب والاعيا والوصب المرض **ق** عن عبد الله
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصيبه
اذى من مرض فما سواه الا حط الله عنه من سياته كما تحط الشجرة
ورقها **ق** عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل المومن كمثل الزرع لا تزال الريح تفيئه ولا يزال المومن يصيبه
البلا ومثل المنافق مثل شجرة الارز لا تهتز حتى تحصد الارزة شجر
معروف بالشام وتعرف فى العراق بالصنوبر والصنوبر ثمرة الارزة
وقيل الارزة الثابتة فى الارض • عن انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبد خيرا عجل له العقوبة فى الدنيا
واذا اراد بعبد الشر امسك عنه حتى يوافى يوم القيمة • وبهذا
الاسناد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان عظم الجزاء مع عظم البلا
وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضى ومن سخط فله
السخط اخرجه الترمذى • وله عن جابر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يود اهل العافية يوم القيمة حين يعطى اهل البلا
الثواب لو ان جلودهم كانت قرضت فى الدنيا بالمقاريض • وله عن ابى
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزال البلا
بالمومن والمومنة فى نفسه وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة
وقال حديث حسن صحيح **خ** عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الله تعالى ما لعبدى المومن عندى جزا اذا قبضت
صفيه من اهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة • عن سعد بن ابى وقاص
قال قلت يا رسول الله اى الناس اشد بلاء قال الانبيا ثم الامثل
فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان دينه صلبا اشتد بلاوه
وان كان فى دينه رقة هون عليه فما يبرح البلا بالعبد حتى يتركه يمشى على

الارض وما عليه خطيئة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن **قوله**
عزوجل **ان الصفا والمروة من شعائر الله** الصفا جمع صفاة وهى الصخر
الصلبة الملسا وقيل الحجارة الصافية والمروة الحجر الرخو وجمعها مرو
ومروات وهذان اصلهما فى اللغة وانما عنى الله بهما الجبلين المعروفين
بمكة فى طرفى المسعى ولذلك دخل فيهما الالف واللام وشعاير الله
اعلام دينه واصلها من الاشعار وهو الاعلام واحدتها شعيرة وكل
ما كان معلما لقربات يتقرب به الى الله من صلاة ودعا وذبيحة فهو
شعيرة من شعاير الله ومشاعر الحج معالمه الظاهرة للحواس ويقال
شعاير الحق فالمطاف والموقف والمنحر كلها شعاير والمراد بالشعاير
هنا المناسك التى جعلها الله اعلاما لطاعته فالصفا والمروة منها
حيث يسعى بينهما **فمن حج البيت** اى قصد البيت هذا اصله فى اللغة
وفى الشرع عبارة عن افعال مخصوصة لاقامة المناسك **او اعتمر**
اى زار البيت والعمرة الزيارة فنى الحج والعمرة المشروعين قصد
وزيارة **فلا جناح عليه** اى فلا اثم عليه واصله من جنح اذا مال
عن القصد المستقيم **ان يطوف بهما** اى يدور بهما ويسعى بينهما
وسبب نزول هذه الاية انه كان على الصفا والمروة صنمان يقال
لهما اساف ونايلة فكان اساف على الصفا ونايلة على المروة
وكان اهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة فانزل الله هذه
الاية واذن فى السعى بينهما واخبر انه من الشعاير **ق** عن عاصم
ابن سليمان الاحول قال قلت لانس كنتم تكرهون السعى بين الصفا
والمروة فقال نعم لانها كانت من شعاير الجاهلية حتى انزل الله
ان الصفا والمروة من شعاير الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح
عليه ان يطوف بهما • وفى رواية كانت الانصار يكرهون ان
يطوفوا بين الصفا والمروة حتى نزلت ان الصفا والمروة من شعاير
الله **فصل** اختلف العلما فى حكم السعى بين الصفا
والمروة فى الحج والعمرة فذهب جماعة الى وجوبه وهو قول ابن
عمر وجابر وعايشة وبه قال الحسن واليه ذهب مالك والشافعى
وذهب قوم الى انه تطوع وهو قول ابن عباس وبه قال ابن
سيرين • وذهب الثورى وابو حنيفة انه ليس بركن وعلى من
تركه دم • وروى عن ابن الزبير ومجاهد وعطا ان من تركه فلا
شى عليه • واختلف الرواية عن احمد فى ذلك فروى عنه ان من
ترك السعى بين الصفا والمروة لم يجزه حجه • وروى عنه انه
لا شى فى تركه عمدا ولا سهوا ولا ينبغى ان يتركه ونقل الجمهور عنه

انه تطوع وسبب هذا الاختلاف ان قوله تعالى فلا جناح عليه
فيصدق عليه انه لا اثم فى فعله فدخل تحته الواجب والمندوب
والمباح فظاهر هذه الاية لا يدل على ان السعى بين الصفا والمروة
واجب وليس بواجب لان اللفظ الدال على هذا القدر المشترك
بين الاقسام الثلاثة لا دلالة فيه على خصوصية احدهما فاذا
لا بد من دليل خارج يدل على ان السعى واجب او غير واجب فحجة
الشافعى ومن وافقه فى ان السعى بين الصفا والمروة ركن من اركان
الحج والعمرة ما روى الشافعى بسنده عن صفية بنت شيبة قال اخبرتنى
بنت ابى تجراة واسمها حبيبة احد نساء بنى عبد الدار قالت دخلت
مع نسوة من قريش دار آل بنى حسين ننظر الى النبى صلى الله عليه
وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة فرايته يسعى وان ميزره ليدور
من شدة السعى حتى لا اقول انى لا ارى ركبته وسمعته يقول اسعوا
فان الله كتب عليكم السعى **ق** عن عروة بن الزبير قال قلت لعايشة
زوج النبى صلى الله عليه وسلم رايت قول الله ان الصفا والمروة
من شعاير الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما
فما ارى على احد شيا الا ان يطوف بهما فقالت عايشة لو كان كما
تقول كانت فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما انما نزلت هذه الاية
فى الانصار كانوا يهلون لمنات وكانت منات حذو قديد وكانوا
يتحرجون ان يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جا الاسلام سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ان الصفا
والمروة من شعاير الله الاية **م** عن جابر فى حديثه الطويل فى
صفة حجة الوداع قال ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من
الصفا قرا ان الصفا والمروة من شعاير الله ابدا بما بدا الله به
فبدا بالصفا الحديث • فاذا ثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم سعى
وجب علينا السعى • لقوله تعالى فاتبعوه • ولقوله صلى الله عليه
وسلم خذوا عنى مناسككم والامر للوجوب ومن المعانى ان السعى
اشواط شرعت فى بقعة من بقاع الحرم ونوى به احرام كامل فكان
ركنا كطواف الزيارة • واحتج ابو حنيفة ومن لا يرى وجوب
السعى بقوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما وهذا لا يقال فى الواجبات
ثم انه تعالى اكد ذلك بقوله تعالى ومن تطوع خيرا فبين انه تطوع
وليس بواجب • **واجيب** عن الاول بان قوله تعالى فلا جناح
عليه ليس فيه الا انه لا اثم على فعله وهذا القدر مشترك بين
الواجب وغيره كما تقدم وبيانه فلا يكون فيه دلالة على نفى الوجوب

وعن الثانى وهو التمسك بقوله **ومن تطوع خيرا** فضعيف لان هذا
لا يقتضى ان يكون المراد من هذا المتطوع هو الطواف المذكور اولا
بل يجوز ان يكون المقصود منه شى اخر يدل على ذلك قول الحسن ان
المراد بقوله ومن تطوع خيرا جميع الطاعات فى الدين يعنى فعل
فعلا زايدا على ما افترض عليه من صلاة وصدقة وصيام وحج وعمرة
وطواف وغير ذلك من انواع الطاعات • وقال مجاهد ومن تطوع
خيرا بالطواف بهما وهذا على قول من قال لا يرى الطواف بهما فرضا
وقيل معناه ومن تطوع خيرا فزاد فى الطواف بعد الواجب والقول
الاول للعموم **فان الله شاكر** اى مجازٍ على الطاعة **عليم** اى بنيته
وحقيقة الشاكر فى اللغة هو المظهر للانعام عليه والشكر هو تصور
النعمة واظهارها والله تعالى لا يوصف بذلك لانه لا يلحقه المنافع
والمضار فالشاكر فى صفة الله مجاز فاذا وصف به اريد به انه المجازى
على الطاعة بالثواب الا ان اللفظ خرج مخرج التلطف للعباد
مظاهرة فى الاحسان اليهم **قوله عز وجل ان الذين يكتمون
ما انزلنا من البينات والهدى** نزلت فى اليهود الذين كتموا صفة
محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم وغيرها من الاحكام التى كانت
فى التورية • وقيل ان الاية على العموم فيمن كتم شيا من امر الدين
لان اللفظ عام والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومن
قال بالقول الاول وانها فى اليهود قال ان الكتم لا يصح الا منهم
لانهم كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم • ومعنى الكتمان ترك
اظهار الشى مع الحاجة الى بيانه واظهاره فمن كتم شيا من امر الدين
فقد عظمت مصيبته **ق** عن ابى هريرة قال لولا ايتان انزلهما الله فى
كتابه ما حدثت شياء ابدا ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات
والهدى • وقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب
لتبيننه للناس ولا يكتمونه الى اخر الايتين وهل اظهار علوم
الدين فرض كفاية او فرض عين فيه خلاف والاصح انه اذا ظهر
للبعض بحيث يتمكن كل واحد من الوصول اليه لم يبق مكتوما
وقيل اذا سيل العالم عن شى يعلمه من امر الدين يجب عليه اظهاره
والا فلا **من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب** يعنى فى التورية من صفة
محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المراد بالناس علما بنى اسرايل
ومن قال ان المراد بالكتاب جميع ما انزل الله على انبيايه من الاحكام قال
المراد بالناس العلما كافة **اوليك** يعنى الذين يكتمون ما انزل الله من
البينات والهدى **يلعنهم الله** قال ابن عباس جميع الخلايق الا الانس

اولى •

اى يبعدهم من رحمته واصل اللعن فى اللغة الطرد والابعاد **ويلعنهم اللاعنون** •

والجن

والجن وذلك ان البهايم تقول انما منعنا القطر بمعاصى بنى ادم • وقيل
اللاعنون هم الجن والانس لانه وصفهم وصف من يعقل وقيل ما تلاعن
اثنان من المسلمين الا رجعت الى اليهود والنصارى الذين كتموا صفة
محمد صلى الله عليه وسلم ثم استثنى فقال تعالى **الا الذين تابوا** اى ندموا
على ما فعلوا فرجعوا من الكفر الى الاسلام **واصلحوا** يعنى الاعمال فيما
بينهم وبين الله تعالى **وبينوا** يعنى ما كتموا من العلم **فاوليك اتوب
عليهم** يعنى اتجاوز عنهم واقبل توبتهم **وانا التواب** اى المتجاوز عن عبادى
الرجاع بقلوبهم المنصرفة عنى الى **الرحيم** يعنى بهم بعد اقبالهم على
**قوله عز وجل ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اوليك عليهم
لعنة الله والملايكة والناس اجمعين** قيل هذا اللعن يكون يوم القيمة
يوتى بالكافر فيوقف فيلعنه الله ثم تلعنه الملايكة ثم يلعنه الناس
اجمعون • فان **قلت** الكافر لا يلعن نفسه ولا يلعنه اهل دينه
وملته فما معنى قوله والناس اجمعين • **قلت** فيه اوجه احدها انه
اراد بالناس من يعتقد يلعنه وهم المومنون • الثانى ان الكفار يلعن بعضهم
بعضا يوم القيمة • الثالث انهم يلعنون الظالمين والكفار من الظالمين
فيكون قد لعن نفسه **خالدين فيها** اى مقيمين فى اللعنة وقيل فى النار
وانما اضمرت لعظم شانها **لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون**
اى لا يمهلون ولا يوجلون وقيل لا ينظرون ليعتذروا وقيل لا ينظر
اليهم نظر رحمة **فصل** فيما يتعلق بهذه الاية من الحكم
قال العلما لا يجوز لعن كافر يعنى لان حاله عند الوفاة لا يعلم
فلعله يموت على الاسلام وقد شرط الله فى هذه الاية اطلاق
اللعنة على من مات على الكفر ويجوز لعن الكفار يدل عليه
قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم
فجملوها فباعوها • وذهب بعضهم الى جواز لعن الانسان يعنى من
الكفار بدليل جواز قتاله • واما العصاة من المومنين فلا يجوز لعنة
احدهم على التعيين • واما على الاطلاق فيجوز لما روى ان النبى صلى
الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة والحبل فتقطع
يده ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة
واكل الربا وموكله • ولعن من غير منار الارض ومن انتسب لغير ابيه
وكل هذه فى الصحيح • **قوله عز وجل والهكم اله واحد** سبب
نزول هذه الاية ان كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه
فانزل الله هذه الاية وسورة الاخلاص ومعنى الواحد الانفراد وحقيقة
الواحد هو الشى الذى لا يتبعض ولا ينقسم والواحد فى صفة الله انه

واحد لا نظير له وليس كمثله شي وقيل واحد في الهيته وربوبيته ليس له
شريك لان المشركين اشركوا معه الالهة فكذبهم الله تعالى بقوله والهكم
اله واحد لا شريك له في الهيته ولا نظير له في الربوبية والتوحيد هو
نفي الشرك والتقسيم والتشبيه فالله تعالى واحد في افعاله لا شريك
له يشاركه في مصنوعاته وواحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته
لا يشبهه شي من خلقه **لا اله الا هو** تقرير للوحدانية بنفي غيره من الالوهية
واثباتها له سبحانه وتعالى **الرحمن الرحيم** يعني انه المولى لجميع النعم
واصولها وفروعها فلا شي سواه اما نعمة واما منعم عليه وهو المنعم
على خلقه الرحيم بهم • عن اسما بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اسم الله الاعظم في هاتين الايتين والهكم اله واحد
لا اله الا هو الرحمن الرحيم • وفاتحة آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي
القيوم اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث صحيح • وقيل لما نزلت
هذه الاية قال المشركون ان محمدا يقول والهكم اله واحد فليأتنا باية
ان كان صادقا فانزل الله تعالى **ان في خلق السموات والارض** وعلمهم كيف
الاستدلال على وحدانية الصانع وردهم الى التفكر في اياته والنظر في
عجايب مصنوعاته واتقان افعاله في ذلك دليل على وحدانيته اذ لو
كان في الوجود صانعان في هذه الافعال لاستحال اتقانها على امر
واحد ولامتنع افعالهما على التساوي في صفة الكمال فثبت بذلك ان خالق
هذا العالم والمدبر له واحد قادر مختار فبين سبحانه وتعالى من عجايب
مخلوقاته ثمانية انواع • اولها قوله ان في خلق السموات والارض وانما
جمع السموات لانها اجناس مختلفة كل سما من جنس غير جنس الاخرى
ووحد الارض لانها جنس واحد وهو التراب والاية في السما هي سمكها
وارتفاعها بغير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم
والاية في الارض مدها وبسطها على الما • وما يرى فيها من الجبال
والبحار والمعادن والجواهر والانهار والاشجار والثمار • النوع الثاني
في قوله تعالى **واختلاف الليل والنهار** اي تعاقبهما والمجي والذهاب
وقيل اختلافهما في الطول والقصر والزيادة والنقصان والنور ٥
والظلمة وانما قدم الليل على النهار لان الظلمة اقدم والاية في الليل
والنهار انتظام احوال العباد بسبب طلب الكسب والمعيشة تكون
في النهار وطلب النوم والراحة يكون في الليل واختلاف الليل والنهار
انما هو لتحصيل مصالح العباد • النوع الثالث **والفلك التي تجري في
البحر** اي السفن واحده وجمعه سواء وسمي البحر بحرا لاتساعه وانبساطه
والاية في الفلك تسخيرها وجريانها على وجه الما وهي موقرة بالاثقال

والرجال

والرجال فلا ترسب وجريانها بالريح مقبلة ومدبرة وتسخير البحر لحمل الفلك
مع قوة سلطان الما وهيجان البحر فلا ينجي منه الا الله تعالى • النوع الرابع
قوله تعالى **بما ينفع الناس** يعني ركوبها والحمل عليها في التجارة وحمل الارباح
الاية في ذلك ان الله تعالى لو لم يقو قلوب من يركب هذه السفن لما تم
الغرض في تجاراتهم ومنافعهم وايضا فان الله تعالى خص كل قطر من
اقطار العالم بشي معين واحوج الكل الى الكل فصار ذلك سببا يدعوهم
الى اقتحام الاخطار في الاسفار من ركوب السفن وخوف البحر وغير ذلك
فالحامل ينتفع لانه يربح والمحمول اليه ينتفع بما حمل اليه • النوع الخامس
قوله تعالى **وما انزل الله من السما من ما** يعني المطر قيل اراد بالسما
السحاب سمي سما لان كل ما علاك واظلك فهو سما خلق الله الما في
السحاب ومنه ينزل الى الارض **فاحيى به** اي المطر **الارض بعد موتها**
اي بعد يبسها وجدبها سماه موتا مجازا لانها اذا لم تنبت شيا ولم يصبها
المطر فهي كالميتة والاية في انزال المطر واحيا الارض به لان الله تعالى
جعله سببا لاحيا الجميع من حيوان ونبات ونزوله عند الحاجة اليه
بمقدار المنفعة وعند الاستسقا والدعا وانزاله بمكان دون مكان
النوع السادس قوله تعالى **وبث** اي فرق **فيها** اي في الارض **من كل دابة**
قال ابن عباس يريد كل مودب على وجه الارض من جميع الخلق وغيرهم
والاية في ذلك ان جنس الانسان يرجع الى اصل واحد وهو ادم ثم ما
فيهم من الاختلاف في الصور والاشكال والالوان والالسنة والطبايع
والاخلاق والاوصاف الى غير ذلك ثم يقاس على بني ادم ساير الحيوان
النوع السابع قوله تعالى **وتصريف الرياح** يعني في مهابها قبولا
ودبورا وشمالا وجنوبا ونكبا وهو الريح الذي ياتي من غير مهب صحيح
فكل ريح تختلف مهابها تسمى نكبا وقيل تصريفها في احوال مهابها لينة
وعاصفة وحارة وباردة وسميت ريحا لانها تريح قال ابن عباس اعظم
جنود الله الريح • وقيل ما هبت ريح الا لشفا سقيم او ضده وقيل البشارة
في ثلاث رياح الصبا والشمال والجنوب والدبور هي الريح العقيم التي
اهلكت بها عاد فلا بشارة فيها والاية في الريح انها جسم لطيف لا يمسك
ولا يرى وهو مع ذلك في غاية تقلع الشجر والصخر وتخرب البنيان العظيم
وهو مع ذلك حياة الوجود فلو امسكت طرفة عين لمات كل ذي روح
ولنتن ما على وجه الارض • النوع الثامن **والسحاب المسخر بين السماء
والارض** اي الغيم المذلل سمي سحابا لسرعة سيره كانه يسحب والاية
في ذلك ان السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الاودية
العظيمة يبقى معلقا بين السما والارض ففي هذه الانواع الثمانية في هذه

الاية دلالة عظيمة على وجود الصانع القادر المختار وانه الواحد فى
ملكه فلا شريك له ولا نظير وهو المراد من قوله والهكم اله واحد لا اله الا
هو وقوله لايات اى فيما ذكر من دلايل مصنوعاته الدالة على وحدانيته
قيل انما جمع ايات لان فى كل واحد مما ذكر من هذه الانواع ايات كثيرة تدل
على ان لها خالقا مدبرا مختارا لقوم يعقلون اى ينظرون بعيون عقولهم
ويتفكرون بقلوبهم فيعلمون ان لهذه الاشيا خالقا ومدبرا وصانعا
قادرا على ما يريد قوله عز وجل ومن الناس يعنى المشركين من يتخذ
من دون الله اندادا يعنى اصناما يعبدونها والند المثل المنازع فعلى
هذا الاصنام اندادا بعضها لبعض وليست اندادا لله تعالى وتعالى الله
ان يكون له ندا ويكون له منازع وقيل الانداد الاكفا من الرجال وهم
روساوهم وكبراوهم الذين يطيعونهم فى معصية الله يحبونهم اى
يودونهم ويميلون اليهم والحب نقيض البغض واحببت فلانا اى جعلته
معرضا بان تحبه والمحبة الارادة كحب الله اى كحب المومنين الله تعالى
والمعنى يحبون الاصنام كما يحب المومنون لربهم عز وجل • وقيل معناه
يحبونهم كحب الله فيكون المعنى انهم يسوون بين الاصنام وبين الله فى
المحبة فمن قال بالقول الاول لم يثبت للكفار محبة الله تعالى ومن قال
بالقول الثانى اثبت للكفار محبة لله تعالى لكن جعلوا الاصنام شركا له
فى الحب والذين امنوا اشد حبا لله اى اثبت وادم على محبته لانهم لا يختارون
مع الله سواه والمشركون اذا اتخذوا صنما ثم راوا اخر احسن منه طرحوا
الاول واختاروا الثانى • وقيل ان الكفار يعدلون عن اصنامهم فى الشدايد
ويقبلون على الله تعالى كما اخبر عنهم فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله
مخلصين له الدين • والمومنون لا يعدلون عن الله تعالى فى السراء ولا
فى الضراء ولا فى الشدة ولا فى الرخا • وقيل ان المومنين يوحدون ربهم
والكفار يعبدون اصناما كثيرة فتنقص المحبة لصنم واحد • وقيل
انما قال والذين امنوا اشد حبا لله لان الله احبهم اولا فاحبوه ومن
شهد له المعبود بالمحبة كان محبته اتم وسياتى بسط الكلام فى معنى
المحبة عند قوله يحبهم ويحبونه ولو يرى الذين ظلموا قرى بالتا والمعنى
ولو ترى يا محمد الذين ظلموا يعنى اشركوا فى شدة العذاب لرايت امرا
عظيما وقرى باليا ومعناه لو يرى الذين ظلموا انفسهم عند روية العذاب
حتى يقذف بهم فى النار لعرفوا مضرة الكفر وان ما اتخذوه من الاصنام
لا ينفعهم اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا معناه لو راى الذين
يشركون فى الدنيا عذاب الاخرة لعلموا حين يرون العذاب ان القوة
ثابتة لله جميعا والمعنى انهم شاهدوا من قدرة الله تعالى ما تيقنوا ان

القوة

القوة لله جميعا وان الامر ليس ما كانوا عليه من الشرك والجحود وان الله
شديد العذاب قوله عز وجل اذ تبرا اى تنزه وتباعد الذين اتبعوا
من الذين اتبعوا اى القادة من مشركى الانس من الاتباع وذلك يوم
القيمة حين يجمع القادة والاتباع فيتبرا بعضهم من بعض عند نزول العذاب
بهم وعجزهم عن دفعه عن انفسهم فكيف عن غيرهم وقيل ان الشياطين •
يتبرون من الانس والقول هو الاول وتقطعت بهم الاسباب يعنى
التى كانت بينهم فى الدنيا يتواصلون بها من قرابة وصداقة • وقيل
الاعمال التى كانت بينهم يعملونها فى الدنيا • وقيل العهود والحلف التى
كانت بينهم يتوادون عليها • واصل السبب فى اللغة الحبل الذى يصعد
به النخل وسمى كلما يتوصل به الى شى من ذريعة او قرابة او مودة سببا
تشبيها بالحبل الذى يصعد به وقال الذين اتبعوا يعنى الاتباع لو ان
لنا كرة اى رجعة الى الدنيا فنتبرا منهم اى من المتبوعين كما تبروا منا
اليوم كذلك يريهم الله اى كما اراهم العذاب يريهم الله اعمالهم حسرات
عليهم لانهم ايقنوا بالهلاك والحسرة الغم على ما فاته وشدة الندم عليه
كانه انحسر عنه الجهل الذى حمله على ما ارتكبه والمعنى ان الله تعالى
يريهم السيات التى عملوها وارتكبوها فى الدنيا فيتحسرون لم عملوها
وقيل يريهم ما تركوا من الحسنات فيندمون على تضييعها وقيل يرفع
لهم منازلهم فى الجنة فيقال لهم تلك مساكنكم لو اطعتم الله ثم تقسم بين
المومنين فذلك حين يتحسرون ويندمون على ما فاتهم ولا ينفعهم الندم
وما هم بخارجين من النار قوله عز وجل يا ايها الناس كلوا مما فى
الارض حلالا طيبا نزلت فى ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبنى
مدلج فيما حرموا على انفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والسايبة
والحام والحلال المباح الذى احله الشرع وانحلت عقدة الحظر عنه ٥
واصله من الحل الذى هو نقيض العقد والطيب ما يستلذ والمسلم لا
يستطيب الا الحلال ويعاف الحرام وقيل الطيب هو الطاهر لان النجس
تكرهه النفس وتعافه ولا تتبعوا خطوات الشيطان اى لا تسلكوا
سبيله وقيل معناه لا تاتموا به ولا تتبعوا اثاره وزلاته والمعنى احذروا
ان تتعدوا ما احل الله اى ما يدعوكم اليه قيل هى النذور فى المعاصى
وقيل هى المحقرات من الذنوب • ثم بين علة هذا التحذير بقوله تعالى
انه لكم عدو مبين اى ظاهر العداوة وقد اظهر الله تعالى عداوته باية
السجود لادم ثم بين عداوته ما هى فقال تعالى انما يامركم بالسوء يعنى
بالاثم والسوء ما يسوء صاحبه ويحزنه والفحشاء يعنى بها المعاصى وما
قبح من قول او فعل قال ابن عباس السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب

فيه الحد وقيل الفحشا الزنا وقيل هو البخل وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
يعنى من تحريم الحرث والانعام ويتناول ذلك جميع المذاهب الفاسدة
التى لم ياذن فيها الله ولم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واعلم ان امر الشيطان ووسوسته عبارة عن هذه الخواطر الذى
يجدها الانسان فى قلبه وماهية هذه الخواطر حروف واصوات
منتظمة خفية تشبه الكلام فى الخارج ثم ان فاعل هذه الخواطر هو الله
تعالى وهو المحدث لها فى باطن الانسان واما الشيطان كالمعرض والله
هو المقدر له على ذلك وقدورد فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم
ان الشيطان يجرى فى ابن ادم مجرى الدم وانما قدر على ذلك لايصال
هذه الخواطر الى باطن الانسان قوله عز وجل واذا قيل لهم اتبعوا
ما انزل الله هذه قصة مستانفة والضمير فى لهم يعود الى غير مذكور
قال ابن عباس دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى الاسلام
فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا
فهم كانوا اخير امنا واعلم منا فانزل الله هذه الاية وقيل ان الاية متصلة
بما قبلها والضمير فى لهم يعود على قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله
اندادا وهم مشركوا العرب قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا يعنى عبادة
الاصنام • وقيل بل الضمير فى لهم يعود على قوله يايها الناس كلوا والمعنى
واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله يعنى فى تحليل ما حرموا على انفسهم
قالوا بل نتبع ما الفينا يعنى وجدنا عليه اباءنا من التحريم والتحليل
قال الله تعالى اولو كان اباؤهم يعنى الذين يتبعونهم لا يعقلون شيا
يعنى لا يعلمون شيا من امر الدين لفظه عام ومعناه خاص وذلك انهم
يعقلون امر الدنيا ولا يهتدون اى الى الصواب ثم ضرب لهم مثلا فقال
تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء •
النعيق صوت الداعى بالغنم ولا يقال نعق الا للراعى بالغنم وحدها
ومعنى الاية ومثلك يا محمد ومثل الكفار فى وعظهم ودعائهم الى الله كمثل
الداعى الذى ينعق بالغنم وهى لا تسمع الا صوتا فصار الداعى الى الله هو
الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة الداعى وصار الكفار بمنزلة الغنم
المنعوق بها ووجه المثل ان الغنم تسمع الصوت ولا تفطن للمراد كذلك
الكفار يسمعون صوت الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن لا ينتفعون به
وقيل معناه ومثل الذين كفروا فى قلة عقلهم وفهمهم عن الله ورسوله كمثل
المنعوق به خارج عن الناعق • وقيل معناه ومثل الذين كفروا فى دعائهم
الاصنام التى لا تفقه ولا تعقل كمثل الناعق بالغنم ولا ينتفع من النعقة
بشى غير انه عنا من الدعاء والندا فكذلك الكافر ليس له من دعاء

الاصنام وعبادتها الا العنا والبلاء • والفرق بين هذا القول والقول
الذى قبله ان المحذوف هنا هو المدعوا وهى الاصنام • وفى القول
الاول المحذوف هو الداعى وهو الرسول صلى الله عليه وسلم صم بكم عمى لما
شبههم بالبهايم زاد فى تبكيتهم فقال صم لانهم اذا سمعوا ودعاء الرسول
ولم ينتفعوا به صاروا بمنزلة الاصم الذى لا يسمع يقال لمن يسمع ولا يعقل
فانه اصم ابكم اى عن النطق بالحق عمى اى عن طريق الهدى فهم لا يعقلون
قيل المراد بالعقل الكسبى لان العقل الطبيعى كان حاصل فيهم قوله
عز وجل يايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم قيل ان الامر فى
قوله كلوا قد يكون للوجوب كالاكل لحفظ النفس ودفع الضرر عنها وقد
يكون للندب كالاكل مع الضيف وقد يكون للاباحة اذا خلا من هذه
العوارض والطيب هو الحلال م عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب ولا يقبل الا الطيب
وان الله امر المومنين بما امر به المرسلين فقال يايها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا • وقال يايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يده الى السما يا رب ومطعمه
حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فانى يستجاب لذلك
قوله اشعث اغبر هو البعيد العهد بالدهن والغسل والنظافة
وقيل الطيب المستلذ من الطعام فلعل قوما تنزهوا عن اكل المستلذ
من المطاعم فاباح الله تعالى لهم ذلك واشكروا الله يعنى على نعمه
ان كنتم اياه تعبدون اى اشكروا الله الذى رزقكم هذه النعم ان كنتم تخصونه
بالعبادة وتقرون انه الهكم لا غيره • وقيل ان كنتم عارفين بالله وبنعمه
فاشكروه عليها قوله عز وجل انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم
الخنزير لما امرنا الله تعالى فى هذه الاية التى تقدمت باكل الطيبات
التى هى الحلالات بين فى هذه الاية انواعا من المحرمات اما الميتة فكل
ما فارقته من غير ذكاة مما يذبح واما الدم فهو الجارى وكانت العرب
تجعل الدم فى المصارين ثم تشويه وتاكله فحرم الله الدم واما الخنزير
فانه اراد بلحمه جميع اجزايه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود لذاته
بالاكل وما اهل به لغير الله يعنى وما ذبح للاصنام والطواغيت واصل
الاهلال رفع الصوت وذلك انهم كانوا اذا ذبحوا رفعوا اصواتهم بذكر الهتهم
اذا ذبحوا لها فجرى ذلك مجرى امرهم وحالهم حتى قيل لكل ذابح مهل وان لم
يجهر بالتسمية فمن اضطر يعنى الى اكل الميتة واحوج اليها غير باغ اصل البغى
الفساد ولا عاد اصله من العدوان وهو الظلم ومجاوزة الحد فلا اثم عليه
اى فاكله فلا اثم عليه اى فلا حرج فى اكلها ان الله غفور رحيم اى لما اكله فى

حال الضرورة رحيم يعني حيث رخص العبادة في ذلك **فصل**
في حكم هذه الاية وفيه مسايل • الاولى في حكم الميتة اجتمعت الامة على
تحريم اكل الميتة وانها نجسة واستثنى الشرع منها السمك والجراد • اما
السمك فلقوله صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته
اخرجه الجماعة غير البخاري ومسلم • قال الترمذي فيه حديث صحيح •
واما الجراد فلما روى عن ابي اوفى قال غزونا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم سبع غزوات او ستا وكنا ناكل الجراد ونحن معه اخرجاه في
الصحيحين • واختلف في السمك الميت الطافي على الما فقال مالك
والشافعي لا باس به • وقال ابو حنيفة والصحابة والحسن بن صالح بن
حي انه مكروه • وروى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال ما طفى
من صيد البحر فلا تاكله • وعن ابن عباس وجابر بن عبد الله مثله وروى
عن ابي بكر الصديق وابي ايوب اباحته • واختلف في الجراد فقال ابو
حنيفة والشافعي لا باس باكل الجراد كله ما اخذته وما وجدته ميتا
وروى مالك ان ما وجد ميتا فلا يحل وما اخذ حيا يذكى ذكاة مثله
بان يقطع راسه ويشوى فان غفل عنه حتى يموت فلا يحل • المسئلة
الثانية في حكم الدم اتفق العلما على ان الدم حرام نجس لا يوكل ولا ينتفع به
وقال الشافعي تحرم جميع الدما سوا كان مسفوحا او غير مسفوح وقال
ابو حنيفة دم السمك ليس بحرام اذا ييبس ابيض واستثنى الشارع من الدم
الكبد والطحال • وروى الدارقطني عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه عن
عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احل لنا من الدم
دمان ومن الميتة ميتتان الحوت والجراد ومن الدم الكبد والطحال وفي
لفظ آخر احلت لنا ميتتان ودمان • فاما الميتتان فالجراد والحوت واما
الدمان فالطحال والكبد اخرجه ابن ماجة واحمد وعلي بن المديني عبد الرحمن
ابن زيد ضعيف واخوه عبد الله بن زيد قوي ثقة • وقد اخرج الدارقطني
هذا الحديث من رواية عبد الله بن زيد عن ابيه مرفوعا وضعف ابو بكر
ابن العزهذا الحديث • وقال يروى عن ابن عمر بما لا يصح سنده وقال
البيهقي يروى هذا الحديث عن ابن عمر موقوفا ومرفوعا الصحيح الموقوف
واختلف في تخصيص هذا العموم في الكبد والطحال فقال مالك لا ٥
تخصيص لان الكبد والطحال لحم ويشهد لذلك العيان الذي لا يفتقر
الى برهان • وقال الشافعي هما دمان ويشهد لهما الحديث فهو تخصيص من
العموم • المسئلة الثالثة في الخنزير اجتمعت الامة على ان الخنزير بجميع
اجزايه محرم وانما ذكر الله تعالى لحمه لان معظم الانتفاع متعلق به •
اختلفوا في نجاسته فقال جمهور العلما انه نجس وقال مالك انه طاهر

وكذا الكل حيوان عنده لان الطهارة هي الحياة للشافعي قولان في ولوغ الخنزير
الجديد انه كالكلب والقديم يكفي في ولوغه غسلة واحدة • والفرق
بينهما ان التغليظ في الكلب لان العرب كانت تالفه بخلاف الخنزير
وقيل ان التغليظ في الكلب تعبدي لا يعقل معناه فلا يتعدى الى غيره
المسئلة الرابعة في حكم قوله وما اهل به لغير الله من الناس من
زعم ان المراد بذلك ذبايح عبدة الاوثان الذي كانوا يذبحونها للاصنا
واجاز ذبحة النصارى اذا سمي عليها باسم المسيح وهو مذهب عطا
ومكحول والحسن والشعبي وسعيد بن المسيب لعموم قوله وطعام الذين
اوتوا الكتاب حل لكم • وقال مالك والشافعي وابو حنيفة لا يحل ذلك
والحجة فيه انهم اذا ذبحوا على اسم المسيح فقد اهلوا به لغير الله فوجب ان
يحرم • وروى عن علي بن ابي طالب انه قال اذا سمعتم اليهود والنصارى
يهلون لغير الله فلا تاكلوا واذا لم تسمعوهم فكلوا فان الله قد احل ٥
ذبايحهم وهو يعلم ما يقولون • المسئلة الخامسة في حكم المضطر المضطر
هو المكلف بالشي الملجي اليه المكره عليه والمراد بالمضطر في قوله فمن
اضطر اي خاف التلف حتى قيل من اضطر الى اكل الميتة فلم ياكل منها
حتى مات دخل النار • والمضطر على ثلاثة اقسام اما باكراه او بجوع في
مخمصة او بفقر لا يجد شيا البتة فان التحريم يرتفع مع وجود هذه الاقسام
بحكم الاستثنا في قوله فلا اثم عليه ويباح له الميتة فاما الاكراه فيبيح
ذلك الى زوال الاكراه • واما المخمصة فلا يخلوا ان تكون دايمة فلا خلاف
في جواز الشبع منها وان كانت نادرة فاختلف العلما فيه وللشافعي
قولان احدهما انه ياكل ما يسد الرمق وبه قال ابو حنيفة والثاني
ياكل قدر الشبع وبه قال مالك • المسئلة السادسة في قوله غير
باغ ولا عاد قال ابن عباس يعني غير باغ غير خارج على السلطان ولا
عاد اي متعد يعني العاصي بسفره ان ياكل الميتة اذا اضطر اليها ولا
يترخص برخص المسافر حتى يتوب وبه قال الشافعي لان اباحة الميتة
اعانة له على فساده وذهب قوم الى ان البغي والعدوان يرجعان الى الاكل
وبه قال ابو حنيفة واباح اكل الميتة للمضطر وان كان عاصيا وقيل
في معنى قوله غير باغ اي غير طالب الميتة وهو يجد غيرها ولا عاد اي
غير متعد ما احل له • وقيل غير مستحل لها ولا متزود منها • **قوله**
عز وجل ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب نزلت في روسا اليهود
وعلمايهم وذلك انهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والماكل وكانوا
يرجون ان النبي المبعوث منهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم من
غيرهم خافوا على ذهاب ماكلهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة رسول

مهم

الله صلى الله عليه وسلم فكتموها فانزل الله تعالى ان الذين يكتمون
ما انزل الله من الكتاب اى فى الكتاب من صفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونعته ووقت نبوته هذا قول المفسرين قال الامام
فخر الدين الرازى وعند المتكلمين هذا ممتنع لان التورية والانجيل قد
بلغا من الشهرة والتواتر الى حيث تعذر ذلك فيهما بل كانوا يكتمون
التاويل لانه قد كان منهم من يعرف الايات الدالة على نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم فكانوا يذكرون لها تاويلات باطلة ويصرفونها عن
محاملها الصحيحة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهذا هو
المراد بالكتمان فيصير المعنى ان الذين يكتمون معانى ما انزل الله
من الكتاب **ويشترون به** اى بالكتمان وقيل يعود الضمير الى ما انزل
الله من الكتاب **ثمنا قليلا** اى عوضا يسيرا وهى الماكل التى كانوا
ياخذوها من سفلتهم **اوليك ما ياكلون فى بطونهم الا النار** يعنى
ما يوديهم الى النار وهو الرشا والحرام فلما كان يفضى بهم ذلك الى
النار فكانهم اكلوها **ولا يكلمهم الله يوم القيمة** اى كلام رحمة وما
يسرهم بل يكلمهم بالتوبيخ وهو قوله اخسئوا فيها وقيل اراد به الغضب
يقال فلان لا يكلم فلانا اذا غضب عليه **ولا يزكيهم** اى ولا يطهرهم
من دنس الذنوب **ولهم عذاب اليم** اى وجيع يصل المه الى قلوبهم
اوليك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة
ومعناه انهم اختاروا الضلالة على الهدى واختاروا العذاب على
المغفرة لانهم كانوا عالمين بالحق لكن كتموه واخفوه وكان فى اظهاره
الهدى والمغفرة وفى كتمانه الضلالة والعذاب فلما اقدموا على اخفا
الحق وكتمانه كانوا بايعين الهدى بالضلالة والمغفرة بالعذاب
فما اصبرهم على النار اى ما الذى صبرهم واى شى جسرهم على النار
حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل فهو استفهام بمعنى التوبيخ وقيل انه
بمعنى التعجب من حالهم فى التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم
فلما اقدموا على ما يوجب النار مع علمهم بذلك صاروا كالراضين
بالعذاب والصابرين عليه تعجب من حالهم بقوله فما اصبرهم على النار
ذلك بان الله نزل الكتاب يعنى ذلك العذاب ان الله نزل الكتاب
بالحق فكفروا به وانكروه وقيل معناه فعلنا بهم ذلك لان الله نزل
الكتاب بالحق فحرفوه فعلى هذا يكون المراد بالكتاب التوراة **وان الذين**
اختلفوا فى الكتاب يعنى اختلفوا فى معانيه وتاويله فحرفوها وبدلوها
وقيل امنوا ببعض وكفروا ببعض **لفى شقاق** اى خلاف ومنازعة **بعيد**
يعنى عن الحق قوله عز وجل **ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق**

والمشرق

والمغرب هذا خطاب لاهل الكتاب لان النصارى تصلى قبل المشرق
واليهود قبل المغرب الى بيت المقدس وزعم كل طايفة ان البر فى ذلك فاخبر
الله تعالى ان البر ليس فيما زعموا ولكن فيما بينه فى هذه الاية قال ابن
عباس هو خطاب للمومنين وذلك ان الرجل كان فى ابتدا الاسلام اذا
اتى بالشهادتين وصلى الى اى جهة كانت ثم مات على ذلك له الجنة
فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الفرايض وصرفت
القبلة الى الكعبة انزل الله هذه الاية فقال تعالى ليس البر ان تولوا
وجوهكم اى فى صلاتكم قبل المشرق والمغرب ولا تعلموا ذلك **ولكن البر**
يعنى ما بينه لكم والبر اسم جامع لكل الطاعات واعمال الخير المقربة الى الله
الموجبة للثواب والمودية الى الجنة ثم بين خصال البر فقال تعالى
من امن بالله اى ولكن البر من امن بالله فالمراد بالبر هنا الايمان
بالله والتقوى من الله **واليوم الاخر** وانما ذكر الايمان باليوم الاخر
لان عبدة الاوثان كانوا ينكرون البعث بعد الموت **والملايكة**
اى ومن البر الايمان بالملايكة كلهم لان اليهود قالوا ان جبريل عدونا
والكتاب قيل اراد به القران وقيل جميع الكتب المنزلة لسياق ما بعده
وهو قوله **والنبيين** يعنى اجمع وانما خص الايمان بهذه الامور الخمسة
لانه يدخل تحت كل واحد منها اشيا كثيرة مما يلزم المومن ان يصدق بها
واتى المال على حبه يعنى من اعمال البر ايتا المال على حبه قيل ان الضمير
راجع الى المال **ق** عن ابى هريرة قال جا رجل الى النبى صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله اى الصدقة افضل اعظم اجرا قال ان تصدق وانت
صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل الغنا ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت
لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان كذا **قوله** حتى اذا بلغت
الحلقوم يعنى الروح وان لم يتقدم لها ذكر وقوله لفلان كذا هو كناية عن
الموصى له وقوله وقد كان لفلان كناية عن الوارث وقيل الضمير فى حبه
راجع الى الله تعالى اى واتى المال على حب الله وطلب مرضاته **ذوى**
القربى يعنى اهل قرابة المعطى وانما قدمهم لانهم احق بالاعطا عن سلمان
ابن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على المسلمين
صدقة وعلى ذوى الرحم ثنتان صدقة وصلة اخرجه النساى **ق** ان ميمونة
رضى الله عنها اعتقت وليدة ولم تستاذن النبى صلى الله عليه وسلم فلما
كان يومها الذى يدور عليها قالت اشعرت يا رسول الله انى اعتقت
وليدتى قال او فعلت قالت نعم قال اما انك لو اعطيتها اخوالك كان
اعظم لاجرك الوليدة الجارية **واليتامى** اليتيم هو الذى لا اب له مع الصغر
وقيل يقع على الصغير والبالغ اى واتى الفقرا من اليتامى **والمساكين**

جمع المسكين سمى بذلك لانه دايم السكون الى الناس لانه لاشى له وابن
السبيل يعنى المسافر المنقطع عن اهله سمى المسافر ابن السبيل لملازمته
الطريق وقيل هو الضعيف ينزل بالرجل لانه انما وصل اليه من السبيل
وهو الطريق والاول اشبه لان ابن السبيل اسم جامع يجعل للمسافر والسا
يعنى الطالبين المستطعمين عن على بن ابى طالب ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال للسايل حق ولو جا على فرس اخرجه مالك فى الموطا •
عن ام بجيد قال قلت يرسول الله ان المسكين ليقوم على بابى فلم اجد شيا
اعطيه اياه قال ان تجدى الا ظلفا محرقا فادفعيه اليه فى يده اخرجه
ابو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح • وفى رواية مالك فى الموطا
عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ردوا المسكين ولو بظلف
محرق • قوله ردوا المسكين لم يرد به رد الحرمان وانما اراد به ردوه بشى
تعطوه اياه ولو كان ظلفا وهو ظلف الشاة وفى كونه محرقا مبالغة فى قلة
ما يعطى وفى الرقاب يعنى المكاتبين وقيل هو فك النسمة وعتق الرقبة
وفك الاسارى واقام الصلاة يعنى المفروضة فى اوقاتها واتى الزكاة
يعنى الواجبة والموفون بعهدهم يعنى ما اخذه الله من العهود على
عباده بالقيام بحدوده والعمل بطاعته وقيل اراد بالعهد ما يجعله
الانسان على نفسه ابتداء من نذر وغيره • وقيل العهد الذى بينه وبين
الناس مثل الوفا بالمواعيد واداء الامانات اذا عاهدوا يعنى اذا وعدوا
انجزوا واذا انذروا اوفوا واذا حلفوا بروا فى ايمانهم واذا قالوا صدقوا فى
اقوالهم واذا ايتمنوا ادوا والصابرين فى الباساء اى فى الشدة والفقر
والفاقة والضراء يعنى المرض والزمانة وحين الباس يعنى القتال والحرب
فى سبيل الله وسمى الحرب باسا لما فيه من الشدة ق عن البرا قال كنا والله
اذا احمر الباس اى اشتد الحرب نتقى به اى بجعله وقاية لنا من العدو •
اولئك الذين صدقوا اى اهل هذه الاوصاف الذين صدقوا فى ايمانهم
واولئك هم المتقون قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كتب عليكم
القصاص فى القتلى نزلت فى حيين من احياء العرب وكان بينهم قتل
وحروب وجراحات كثيرة ولم ياخذ بعضهم من بعض حتى جا الاسلام وقيل
نزلت فى الاوس والخزرج وكان لاحد الحيين طول على الاخر فى الكثرة والشرف
وكانوا ينكحون نساهم بغير مهر واقسموا ليقتلن بالعبد منا بالحر منهم
وبالمراة منا الرجل منهم وبالرجل الرجلين منهم وجعلوا جراحاتهم ضعفى
جراحات اوليك فرفعوا امرهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله
هذه الاية وامره بالمساواة فرضوا واسلموا • وقيل انما نزلت هذه الاية
لازالة الاحكام التى كانت قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وذلك

ان

ان اليهود كانوا يوجبون القتل تارة ويوجبون اخذ الدية تارة وكانوا يعتدون
فى الحكمين فان وقع القتل على شريف قتلوا به عددا وياخذون دية الشريف
اضعاف دية الخسيس فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اوجب رعاية
العدل وسوى بين عباده فى حكم القصاص فرضا والولى مخير فيه بين
العفو والقصاص واخذ الدية قلت ان القصاص فرض على القاتل
للولى • وقيل اذا اردتم القصاص فقد فرض عليكم والقصاص المساواة
والمماثلة فى القتل والدية والجراح من قص الاثر اذا اتبعه فالمفعول به
يتبع ما فعل به فيفعل مثل ذلك فلو قتل رجل رجلا بعصا او خنقه او
شدخ راسه بحجر فمات فيقتل القاتل بمثل الذى قتل به وهو قول مالك
والشافعى واحد الروايتين عن احمد • وقيل يقتل بالسيف وهو قول ابى
حنيفة والرواية عن احمد الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى
ومعناه اذا تكافا الدمان من الاحرار المسلمين والاحرار من المعاهدين
والعبيد منهم فيقتل كل صنف اذا قتل بمثله الذكر بالذكر والانثى بالانثى
وبالذكر ولا يقتل مومن بكافر ولا حر بعبد ولا والد بولده ويقتل الذمى بالمسلم
والعبد بالحر والولد بالوالد هذا مذهب مالك والشافعى واحمد ويدل
عليه ما روى البخارى فى صحيحه عن ابى جحيفة قال سالت عليا هل عندكم
من النبى صلى الله عليه وسلم شى سوى القران قال والذى فلق الحبة وبرا
النسمة الا ان يوتى الله عبدا فهما فى القران وما فى هذه الصحيفة قلت
وما فى الصحيفة قال العقل وفك الاسير وان لا يقتل مومن بكافر وقد
اخرج عن مسلم عن على نحو هذا من غير رواية ابى جحيفة العقل هنا هو
الدية والعاقلة الجماعة من اوليا القاتل الذين يعقلون • عن ابن عباس
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقام الحدود فى المساجد
ولا يقتل الولد بالوالد اخرجه الترمذى • وذهب اصحاب الراى الى ان المسلم
يقتل بالذمى والحر بالعبد وهذه الاية مع الاحاديث حجة لمذهب الشافعى
ومن وافقه يقولون هى مفسرة لما ابهم فى قوله النفس بالنفس وان تلك
واردة لحكاية ما كتب على بنى اسرايل فى التورية وهذه الاية خطاب
للمسلمين • وذهب اصحاب الراى ان هذه منسوخة بقوله النفس بالنفس
وتقتل الجماعة بالواحد يدل عليه ما روى البخارى فى صحيحه عن ابن عمر
ان غلاما قتل غيلة فقال عمر لو اشترك فيه اهل صنعا لقتلتهم قال
البخارى وقال مغيرة بن حكيم عن ابيه ان اربعة قتلوا صبيا فقال عمر مثله
وروى مالك فى الموطا عن ابن المسيب ان عمر قتل نفرا خمسة او سبعة برجل
واحد قتلوه غيلة وقال لو تمالا عليه اهل صنعا لقتلتهم جميعا الغيلة ان
يقتل الرجل خديعة ومكرا من غير ان يعلم ما يراد به • وقوله لو تمالا عليه

اهل صنعا اى تعاونوا واجتمعوا عليه • وقوله تعالى فمن عفى له من اخيه
شى اى ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القتل القصاص فى قتل
العمد ورضى بالدية والعفو عنها او قبول الدية فى قتل العمد من اخيه اى
من دم اخيه واراد بالاخ ولى المقتول وانما قيل له اخ لانه لابسه من
قبل انه ولى الدم والمطالب به • وقيل انما ذكره بلفظ الاخوة ليعطف
احدهما على صاحبه بما هو ثابت بينهما من الجنسية واخوة الاسلام وفى
قوله شى دليل على ان بعض الاوليا اذا عفى سقط القود وثبتت الدية لان
شيا من الدم قد بطل فاتباع بالمعروف اى فيتبع الولى القاتل بالمعروف
فلا ياخذ اكثر من حقه ولا يعنفه واداء اليه باحسان اى على القاتل او
الدية الى ولى الدم من غير مماطلة امر كل واحد منهما بالاحسان فيما له
وعليه • وقيل فى تقدير الاية واذا عفى ولى الدم عن شى يتعلق بالقاتل
وهو وجوب القصاص فليتبع القاتل ذلك العفو بمعروف وليؤد ما وجب
عليه من الدية الى ولى الدم باحسان من غير مطل ولا مدافعة وفى الاية
دليل على ان القاتل لا يصير كافرا وان الفاسق مومن ووجه ذلك
من وجوه • الاول ان الله تعالى خاطبه بعد القتل بالايمان وسماه مومنا
بقوله يايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص فسماه مومنا حال ما وجب
عليه القصاص وانما وجب عليه بعد صدور القتل منه • وقيل العمد
والعدوان من الكباير بالاجماع فدل على ان صاحب الكبيرة مومن الوجه
الثانى انه تعالى اثبت الاخوة بين القاتل وولى الدم بقوله فمن عفى له
من اخيه شى واراد بالاخوة اخوة الايمان فلولا ان الايمان باق على
القاتل والعفو لا يليق الا على المومن لا على الكافر وقوله تعالى ذلك
تخفيف من ربكم ورحمة يعنى الذى ذكر من الحكم بشرع القصاص والعفو
عن القصاص واخذ الدية تخفيف من ربكم يعنى فى حقكم ورحمة وذلك لان
العفو واخذ الدية كان حراما على اليهود وكان القصاص حتما فى التورية
وكان فى شرع النصارى اخذ الدية ولم يكتب عليهم القصاص وقيل كان
عليهم العفو دون القصاص واخذ الدية فخير الله هذه الامة بين القصاص
او العفو واخذ الدية توسعة عليهم وتفضيلا لهم على غيرهم فمن اعتدى
بعد ذلك يعنى بعد هذا التخفيف فقتل الجانى بعد العفو او قبول الدية
فله عذاب اليم وهو ان يقتل قصاصا ولا يقبل منه دية ولا يعفى عنه •
وقيل المراد بالعذاب الاليم عذاب الاخرة قوله عز وجل ولكم فى
القصاص حياة اى بقا وذلك ان القاصد للقتل اذا علم انه اذا قتل قتل
ترك القتل وامتنع عنه فيكون فيه بقاوه وبقا من هم بقتله • وقيل ان نفس
القصاص سبب للحياة وذلك ان القاتل اذا اقتص منه ارتدع غيره ممن كان

يهم

لعلكم تتقون يعنى لعلكم تتقون عن القتل خوفا من القصاص م

يهم بالقتل واعلم ان هذا الحكم ليس مختصا بالقصاص الذى هو القتل
بل يدخل فيه جميع الجراح والشجاج وغير ذلك وذلك لان الجارح اذا علم
انه اذا جرح جرح لم يجرح فيصير ذلك سببا لبقا الجارح والمجروح وربما
افضت الجراحة الى الموت فيقتص من الجارح • وقيل فى معنى الاية ان
الحياة سلامته من قصاص الاخرة فانه اذا اقتص منه فى الدنيا لم يقتص
منه فى الاخرة وفى ذلك حياته واذا لم يقتص منه فى الدنيا اقتص منه فى
الاخرة ياولى الالباب اى ياذوى العقول الذين يعرفون الصواب لان
العاقل لا يريد اتلاف نفسه باتلاف غيره قوله عز وجل كتب عليكم
اى فرض واوجب عليكم اذا حضر احدكم الموت اى قرب ودنا منه وظهرت
عليه من العلل والامراض المخوفة وليس المراد منه معاينة الموت لان فى
ذلك الوقت يعجز عن الايصا ان ترك خيرا يعنى مالا وقيل يطلق على القليل
والكثير وهو قول الزهرى فتجب الوصية فى الكل وقيل ان لفظة الخير
لا تطلق الا على المال الكثير وهو قول الاكثرين • واختلفوا فى مقدار الكثير
الذى تقع فيه الوصية فقيل الف درهم فما زاد عليها • وقيل سبعماية فما
فوقها • وقيل ستون دينارا فما فوقها • وقيل من خمسماية الى الف وقيل
انه المال الكثير الفاضل عن العيال • وروى ان رجلا قال لعايشة انى
اريد ان اوصى قالت كم مالك قال ثلاثة الاف درهم قالت كم عيالك
قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وهذا شى يسير فاتركه لعيالك
الوصية اى الايصا والوصية التقدم الى الغير بما يعمل به • وقيل هو القول
المبين لما يستانف من العمل والقيام به بعد الموت للوالدين والاقربين
كانت الوصية فى ابتدا الاسلام فريضة للوالدين والاقربين على من مات
وله مال وسبب ذلك ان اهل الجاهلية كانوا يوصون للابعدين طلبا للفخر
والشرف والريا ويتركون الاقربين فقرا فاوجب الله تعالى الوصية للاقربين
ثم نسخت هذه الاية باية المواريث وبما روى عن عمرو بن خارجة قال كنت
اخذ بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فسمعته
يقول ان الله اعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث اخرجه النساى
والترمذى بنحوه • وذهب ابن عباس الى ان وجوبها صار منسوخا فى حق
من يرث وبقى فى حق من لا يرث من الوالدين والاقربين وهو قول الحسن
ومسروق وطاووس والضحاك ومسلم بن يسار • وحجة هولا ان الاية
دالة على وجوب الوصية للوالدين والاقربين ثم نسخ ذلك الوجوب فى
حق من يرث باية الميراث وبالحديث المتقدم فوجب ان تبقى الاية دالة
على وجوب الوصية للقريب الذى لا يرث • فعلى قول هولا النسخ يتناول
بعض احكام الاية • وذهب الاكثرون من المفسرين والعلما وفقها الحجاز

والعراق الى ان وجوبها صار منسوخا فى حق الكافة وهى مستحبة فى حق
من لا يرث ويدل على استحبابها ب الوصية والحث عليها ما روى عن ابن
عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرئ مسلم له شى
يوصى فيه • وفى رواية له شى يريد ان يوصى به ان يبيت ليلتين وفى رواية
ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله بن عمر
يقول ما مرت على ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ذلك الا ووصيتى مكتوبة عندي اخرجه الجماعة **قوله** ما حق
امرى الحق معناه على الوجوب والندب والحث فيحمل هنا على الحث فى الوصية
لانه لا يدرى متى ياتيه الموت فربما اتاه بغتة فيمنعه عن الوصية وقوله
تعالى **بالمعروف** اى بالعدل الذى لا وكس فيه ولا شطط فيزيد على الثلث
ولا يوصى للغنى ويدع الفقير **ق** عن سعد بن ابى وقاص قال جاءنى رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعودنى فى عام حجة الوداع من وجع اشتد بى
فقلت يا رسول الله انه قد بلغ بى من الوجع ما ترى وانا ذو مال ولا يرثنى
الا ابنة لى افاتصدق بثلث مالى قال لا قلت فالشطر يا رسول الله قال
لا قلت فالثلث قال والثلث كثير او قال كبير انك ان تذر ذريتك اغنيا
خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس العالة الفقراء • وقوله يتكففون الناس
التكفف المسالة من الناس كانه من الطلب بالاكف **ق** عن ابن عباس قال
فى الوصية لو ان الناس غضوا من الثلث الى الربع فان النبى صلى الله عليه
وسلم قال لسعد والثلث كثير • وقال على بن ابى طالب لان اوصى بالخمس
احب الى من ان اوصى بالربع وان اوصى بالربع احب الى من ان اوصى بالثلث
فمن اوصى بالثلث فلم يترك وقيل يوصى بالسدس او الخمس او الربع **حقا**
اى ثابتا ثبوت ندب لا ثبوت فرض ووجوب **على المتقين** اى على المومنين
الذين يتقون الشرك **فمن بدله** اى غير الوصية من الاولياء والاوصياء وذلك
التغيير يكون اما فى الكتابة او فى قسمة الحقوق او الشهود بان يكتموا الشهادة
او يغيروها وانما ذكر الكتابة فى بدله مع ان الوصية مونثة لان الوصية
بمعنى الايصاء كقوله فمن جاءه موعظة اى وعظ والتقدير فمن بدل قول
الميت او ما اوصى به **بعد ما سمعه** اى من الموصى وتحققه **فانما اثمه على
الذين يبدلونه** اى ان اثم ذلك التبديل لا يعود الا على المبدل والموصى
له بريان منه **ان الله سميع** يعنى لما اوصى به الموصى **عليم** يعنى بتبديل المبدل
فمن خاف اى علم وهو خطاب عام لجميع المسلمين **من موص جنفا** يعنى جورا
فى الوصية وعدولا عن الحق والجنف الميل **او اثما فاصلح بينهم** اى ظلما
وقيل الجنف الخطا فى الوصية والاثم العمد وقيل فى معنى الاية انه اذا حضر
رجل مريضا وهو يوصى فراه يميل اما بتقصير او اسراف او وضع الوصية

في

فى غير موضعها **فلا حرج** عليه ان يامره بالعدل فى وصيته وينهاه عن
الحيف والميل • وقيل انه اذا اخطا الميت فى وصيته او حاف متعمدا فلا حرج
على وليه او وصيه او ولى امور المسلمين ان يصلح بعد موته بين ورثته
وبين الموصى لهم ويرد الوصية الى العدل والحق **فلا اثم عليه** اى فلا
حرج عليه فى الصلح **ان الله غفور رحيم** اى لمن اصلح وصيته بعد الحيف
والميل عن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الرجل والمراة ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت
فيضاران فى الوصية فتجب لهما النار ثم قرا ابو هريرة من بعد وصية يوصى
بها او دين الى قوله ذلك الفوز العظيم اخرجه ابو داود والترمذى •
قوله فيضاران المضارة ايصال الضرر الى شخص ومعنى المضارة فى الوصية
ان لا تمضى او ينقص بعضها او يوصى لغير اهلها او يحيف فى الوصية ونحو
ذلك **قوله عز وجل** **يا ايها الذين امنوا كتب** اى فرض **عليكم الصيام**
والصوم فى اللغة الامساك يقال صام النهار اذا اعتدل وقام قائم
الظهيرة ومنه قوله تعالى انى نذرت للرحمن صوما اى صمتا لانه امساك
عن الكلام والصوم فى الشرع عبارة عن الامساك عن الاكل والشرب والجماع
فى وقت مخصوص وهو من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع النية **كما كتب
على الذين من قبلكم** يعنى الانبياء والامم من لدن ادم الى عهدكم والمعنى
ان الصوم عبادة قديمة اى فى الزمن الاول ما اخلى الله امة لم يفرضه
عليهم كما فرضه عليكم وذلك لان الصوم عبادة شاقة والشى الشاق
اذا عم سهل عمله • وقيل ان صيام شهر رمضان كان واجبا على النصارى
كما فرض علينا فصاموا رمضان زمنا فربما وقع الحر الشديد والبرد الشديد
وكان يشق ذلك عليهم فى اسفارهم ويضرهم فى معايشهم فاجتمع راى
علمائهم ورؤسائهم ان يجعلوه فى فصل من السنة معتدل بين الصيف والشتا
فجعلوه فى فصل الربيع ثم زادوا فيه عشرة ايام كفارة لما صنعوا وصاموا
اربعين يوما ثم بعد زمان اشتكى ملكهم فمه فجعل لله عليه ان برئ
من وجعه ان يزيد فى صومهم اسبوعا فبرى فزاد فيه اسبوعا ثم مات
ذلك الملك بعد زمان ووليهم ملك اخر فقال ما شان هذه الثلاثة
اتموها خمسين يوما فاتموه • وقيل اصابهم موتان فقال زيدوا فى صيامكم
فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده • وقيل ان النصارى فرض عليهم صوم رمضان
فصاموا قبله يوما وبعده يوما ثم لم يزالوا يزيدونه يوما بعد يوم
حتى بلغ خمسين فلذلك نهى عن صوم يوم الشك **لعلكم تتقون** يعنى
ما حرم عليكم فى صيامكم لان الصوم وصلة الى التقوى لما فيه من كسر النفس
وترك الشهوات من الاكل والجماع وغيرهما • وقيل معناه لعلكم تتقون

ما فعله النصارى من تغيير الصوم وقيل لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين
لان الصوم من شعارهم **اياما معدودات** اى مقدرات وقيل قليلات ●
قيل انه كان في ابتدا الاسلام صوم ثلاثة ايام من كل شهر واجبا وصوم يوم
عاشورا ثم نسخ ذلك بفريضة صوم شهر رمضان قال ابن عباس اول ما
نسخ بعد الهجرة امر القبلة ثم الصوم ق عن عايشة قالت كان يوم عاشورا
تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه
في الجاهلية فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم صامه المدينة وامر
بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشورا فمن شا صامه ومن شا تركه وقيل
ان المراد قوله اياما معدودات ايام شهر رمضان ووجهه ان الله تعالى قال
اولا كتب عليكم الصيام وهذا يحتمل صوم يوم او يومين ثم بينه بقوله معدودات
على انه اكثر من ذلك لكنها غير منحصرة بعد ثم بين حصرها بقوله شهر
رمضان فاذا امكن ذلك فلا وجه لحمل الايام المعدودات على غير رمضان
فتكون الاية غير منسوخة يقال ان فريضة رمضان نزلت في السنة الثانية
من الهجرة وذلك قبل غزوة بدر بشهر وايام فكانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع
عشرة خلت من رمضان على راس ثمانية عشر شهرا من الهجرة **فمن كان منكم**
مريضا او على سفر فعدة اى فافطر فعليه عدة **من ايام اخر** يعني غير ايام
مرضه وسفره **وعلى الذين يطيقونه** اى يطيقون الصوم واختلف العلما
في هذه الاية فذهب اكثرهم الى انها منسوخة وهو قول عمر بن الخطاب وسلمة
ابن الاكوع وغيرهما وذلك انهم كانوا في ابتدا الاسلام مخيرين بين ان ٥
يصوموا او بين ان يفطروا ويفدوا وانما خيرهم الله تعالى لئلا يشق عليهم
لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى
فمن شهد منكم الشهر فليصمه فصارت هذه الاية ناسخة للتخيير ق عن سلمة
ابن الاكوع قال لما نزلت هذه الاية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين
كان من اراد ان يفطر ويفتدى حتى نزلت هذه الاية التى بعدها فنسختها
وفي رواية حتى نزلت هذه الاية فمن شهد منكم الشهر فليصمه ● وقال قتادة
هي خاصة في حق الشيخ الكبير الذي لا يطيق الصوم ولكن يشق عليه رخص
ان يفطر ويفدى ثم نسخ ذلك ● وقال الحسن هذا في المريض الذي يقع عليه
اسم المرض وهو لا يستطيع الصوم خير بين الصيام وبين ان يفطر ويفدى
ثم نسخ ● وذهب جماعة منهم ابن عباس الى ان الاية محكمة غير منسوخة ومعناها
وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال الشباب ثم عجزوا عنه عند الكبر فعليهم
الفدية بدل الصوم وقرا ابن عباس وعلى الذين يطوقونه بضم اليا وفتح
الطا والواو المشددة المفتوحة عوض اليا ومعناها يكلفونه الصوم ●
خ عن عطا انه سمع ابن عباس يقرا وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين

قال

قال ابن عباس ليست بمنسوخة فهو الشيخ الكبير والمراة الكبيرة لا يستطيعا
ان يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا **فدية طعام مسكين** الفدية الجزا
وهو القدر الذي يبذله الانسان يقى به نفسه من تقصير وقع منه في عبادة
ونحوها ويجب على من افطر في رمضان ولم يقدر على القضا لكبر ان يطعم
مكان كل يوم مسكينا مدا من غالب قوت البلد وهذا قول فقها الحجاز
قال بعض فقها العراق عليه لكل مسكين نصف صاع عن كل يوم وقال
بعضهم نصف صاع من البر وصاعا من غيره ● وقال ابن عباس يعطي كل
مسكين عشاوه وسحوره **فمن تطوع خيرا فهو خير له** يعني زاد على مسكين
واحد فاطعم عن كل يوم مسكينين فاكثر وقيل فمن زاد على القدر الواجب
عليه فاطعم صاعا وعليه مد المد نصف صاع فهو خير له **وان تصوموا**
خير لكم قيل هو خطاب مع الذين يطيقونه فيكون المعنى وان تصوموا ايها
المطيقون وتحملون المشقة فهو خير لكم من الافطار والفدية وقيل هو خطاب
مع الكافة وهو الاصح لان اللفظ عام فرجوعه الى الكل اولى **ان كنتم تعلمون**
يعني ان الصوم خير لكم وقيل معناه اوصمتم علمتم ما في الصوم من المعاني المورثة
للخير والتقوى ● واعلم انه لا رخصة لاحد من المسلمين المكلفين في افطار
رمضان بغير عذر والاعذار المبيحة للفطر ثلاثة ● احدها السفر والمرض
والحيض والنفاس فهولاء اذا افطروا فعليهم القضا دون الكفارة ● الثاني
الحامل والمرضع اذا خافتا على ولديهما افطرتا وعليهما القضا والكفارة
واليه ذهب الشافعي وذهب اهل الراى الى انه لا فدية عليهما ● الثالث
الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة والمريض الذي لا يرجى برؤه فعليهم الكفارة
دون القضا **قوله عز وجل** **شهر رمضان** يعني وقت صيامكم شهر
رمضان سمي الشهر شهرا لشهرته وبيانه وقيل سمي الشهر شهرا باسم الهلال
واما رمضان فاشتقاقه من الرمضا وهي الحجارة المحماة في الشمس وقيل
انهم لما نقلوا اسما الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التى وقعت
فيها فوافق هذا الشهر ايام رمضان الحر فسموه به ● وقيل ان رمضان اسم
من اسما الله تعالى فيكون معناه شهر الله والاصح ان رمضان اسم لهذا
الشهر كشهر رجب وشهر شعبان وشهر رمضان **الذي انزل فيه القران**
لما خص الله شهر رمضان بهذه العبادة العظيمة بين سبب تخصيصه ٥
بانزال اعظم كتبه فيه والقران اسم لهذا الكتاب المنزل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم روي عن الشافعي انه كان يقول القران اسم وليس
بمهموز وليس هو من القراة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتورية والانجيل فعلى
هذا القول انه ليس بمشتق ● وذهب الاكثرون الى انه مشتق من القرء
وهو الجمع فسمى قرانا لانه يجمع السور والايات بعضها الى بعض ويجمع الاحكام

والقصص والامثال والايات الدالة على وحدانية الله تعالى قال ابن
عباس انزل القران جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر
رمضان فوضع في بيت العزة في سما الدنيا ثم نزل به جبريل على محمد صلى
الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة فذلك قوله فلا اقسم بمواقع
النجوم • وروى ابو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نزلت صحف
ابراهيم في ثلاث ليال مضين من رمضان وانزل زبور داود في ثمان عشرة
ليلة مضت من رمضان • وانزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم في الرابعة
والعشرين لست بقين بعدها • فعلى هذا يكون ابتدا نزول القران على محمد
صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان وهو قول ابن اسحاق وابي سليمان
الدمشقي وقيل في معنى الاية شهر رمضان الذي نزل بفرض صيامه القران
كما تقول نزلت هذه الاية في الصلاة والزكاة ونحو ذلك من الفرايض يروي
ذلك عن مجاهد والضحاك وهو اختيار الحسن بن الفضل هدى للناس
يعني من الضلال وبينات من الهدى والفرقان فان قلت هذا فيه اشكال
وهو انه يقال ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس •
قلت تعالى ذكره اولا انه هدى ثم الهدى على قسمين تارة يكون هديا جليا
وتارة لا يكون كذلك فكانه قال هو هدى في نفسه ثم قال هو المبين من
الهدى الفارق بين الحق والباطل • وقيل ان القران هدى في نفسه فكانه
قال ان القران هدى للناس على الاجمال وبينات من الهدى والفرقان على
التفصيل لان البينات هي الدلالات الواضحات التي تبين الحلال والحرام
والحدود والاحكام • ومعنى الفرقان الفارق بين الحق والباطل قوله
عز وجل فمن شهد منكم الشهر فليصمه اي من كان حاضرا مقيما غير مسافر
فادركه الشهر فليصمه والشهود الحضور وقيل هو محمول على العادة بمشاهدة
الشهر وهي روية الهلال ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم صوموا
لرويته وافطروا لرويته اخرجاه في الصحيحين ولا خلاف انه يصوم
رمضان من راي الهلال ومن اخبر به • واختلف العلما في وجه الخبر عنه
منهم من قال يجري فيه خبر الواحد قاله ابو ثور • ومنهم من اجراه مجرى الشهادة
في ساير الحقوق قاله مالك ومنهم من اجرى اوله مجرى الاخبار فقبل به
خبر الواحد واجرى اخره مجرى الشهادة فلا يقبل في اخره اقل من اثنين
قاله الشافعي وهذا للاحتياط في امر العبادة لدخولها وخروجها ومن
كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر انما كرره لان الله تعالى ذكر
في الاية الاولى تخيير المريض والمسافر والمقيم الصحيح ثم نسخ غير المقيم
الصحيح بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فلو اقتصر على هذا لاحتمل انه
يشمل النسخ الجميع فاعاد بعد ذكر الناسخ الرخصة للمريض والمسافر ليعلم

ان الحكم باق على ما كان عليه **فصل** في حكم الاية وفيه مسايل
الاولى اختلفوا في المرض المبيح للفطر على ثلاثة اقوال احدها وهو قول
اهل الظاهر اي مرض كان وهو ما يطلق عليه اسم المرض فله ان يفطر
تنزيلا للفظ المطلق على اقل احواله واليه ذهب الحسن وابن سيرين
القول الثاني وهو قول الاصم ان هذه الرخصة مختصة بالمريض الذي لو
صام لوقع في مشقة عظيمة تنزيلا للفظ المطلق على اكمل احواله • القول
الثالث وهو قول اكثر الفقها ان المرض المبيح للفطر هو الذي يودي الى
ضرر في النفس وزيادة علة غير محتملة كالمحموم اذا خاف انه لو صام
اشتدت حماه وصاحب وجع العين يخاف لو صام ان يشتد وجع عينه
فالمراد بالمرض ما يوثر في تعويقه • قال الشافعي اذا اجهده الصوم افطر
والا فهو كالصحيح • المسئلة الثانية الفطر في السفر مباح والصوم جايز
وبه قال عامة العلما • وقال ابن عباس وابو هريرة وبعض اهل الظاهر
لا يجوز الصوم في السفر ومن صام فعليه القضا • واحتجوا بقوله
صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر وحمله عامة العلما على
من اجهده الصوم في السفر فالاولى له الفطر • ويدل على ذلك ما روي
عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فراى زحاما
ورجلا قد ظلل عليه فقال ما هذا قالوا صايم قال ليس من البر الصيام
في السفر اخرجه البخاري وحجة الجمهور على جواز الصوم والفطر في السفر
ما روي عن انس قال سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان
فلم يعب الصايم على المفطر ولا المفطر على الصايم اخرجاه في الصحيحين •
المسئلة الثالثة اختلف العلما في قدر السفر المبيح للفطر فقال داود
الظاهري اي سفر كان ولو فرسخا • وقال الاوزاعي السفر المبيح للفطر مسيرة
يوم واحد • وقال الشافعي واحمد ومالك اقله مسيرة ستة عشر فرسخا
يومان • وقال ابو حنيفة واصحابه اقله مسيرة ثلاثة ايام • المسئلة
الرابعة اذا استهل الشهر وهو مقيم ثم انشا السفر في اثنايه جاز له
ان يفطر حالة السفر ويجوز له ان يصوم في بعض السفر وان يفطر في بعضه
ان احب يدل عليه ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم خرج الى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم افطر وافطر
الناس معه وكانوا ياخذون بالاحدث فالاحدث من امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين الكديد اسم موضع وهو على
ثمانية واربعين ميلا من مكة • المسئلة الخامسة اختلفوا في الافضل
فذهب الشافعي الى ان الصوم افضل من الفطر في السفر وبه قال مالك
وابو حنيفة • وقال احمد الفطر افضل من الصوم في السفر وقالت طايفة

من العلما هما سوا وافضل الامرين ايسرهما لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر
ولا يريد بكم العسر • المسئلة السادسة يبيح الفطر كل سفر مباح ليس
سفر معصية ولا يجوز للعاصي بسفره ان يترخص برخص الشرع وقوله
تعالى فعدة من ايام اخر فظاهر هذا انه يجوز قضا الصوم متفرقا وان
كان التتابع اولى وفيه ايضا وجوب القضا من غير تعيين لزمن القضا فيدل
على جواز التراخي في القضا ويدل عليه ايضا ما روى عن عايشة رضي
الله عنها قالت كان يكون على الصوم من رمضان فما استطيع ان اقضي
الا في شعبان ذلك من الشغل بالنبي صلى الله عليه وسلم اخرجاه في
الصحيحين يريد الله بكم اليسر اي التسهيل في هذه العبادة وهو اباحة
الفطر للمسافر والمريض ولا يريد بكم العسر اي وقد نفى عنكم الحرج في امر
امر الدين قيل ما خير رجل بين امرين الا فاختار ايسرهما الا كان ذلك
احب الى الله تعالى ولتكملوا العدة اي عددا الايام التي افطرتم فيها بعذر
السفر والمرض والحيض لتقضوا بعددها وقيل اراد عدة ايام الشهر ق
عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهر تسع وعشرون ليلة
فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاقدروا
له وفي رواية فاكملوا العدة ثلاثين ولتكبروا الله فيه قولان احدهما انه
يكبر ليلة العيد قال ابن عباس حق على المسلمين اذا راوا هلال شوال
ان يكبروا وقال الشافعي واجب اظهار التكبير في العيدين وبه قال
مالك واحمد وابو يوسف ومحمد • وقال ابو حنيفة لا يكبر في عيد الفطر
ويكبر في عيد الاضحى • حجة الشافعي ومن وافقه قوله تعالى ولتكملوا
العدة ولتكبروا الله على ما هداكم قالوا معناه ولتكملوا صوم رمضان ولتكبروا
الله على ما هداكم الى اخر هذه العبادة • القول الثاني في معنى قوله على
ما هداكم اي ولتعظموا الله شكرا على ما انعم عليكم ووفقكم للصيام بهذه
العبادة على ما هداكم اي ارشدكم الى طاعته والى ما يرضى به عنكم ولعلكم
تشكرون الله على نعمه

فصل

في فضل شهر رمضان وفضل
صيامه ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل رمضان
صفدت الشياطين وفتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار والصفد
الغل اي يشده بالاغلال ق عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام
رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه • قوله ايمانا واحتسابا
اي طلبا لوجه الله تعالى وثوابه وقيل ايمانا بانه فرض عليه واحتسابا
ثوابه عند الله • وقيل معناه نية وعزيمة وهو ان يصوم على التصديق
والرغبة في ثوابه طيبة بها نفسه غير كارهة ق عن ابي هريرة ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال كل عمل ابن ادم يضاعف الحسنة عشر امثالها الى سبعماية

ضعف

ضعف قال الله تعالى الا الصوم فانه لي وانا اجزي به يدع شهوته وطعامه
من اجلي للصايم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم
الصايم اطيب عند الله من ريح المسك زاد في رواية والصوم جنة فاذا
كان يوم صوم احدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب فان شاتمه احد او قاتله
فليقل اني صايم • قوله كل عمل ابن ادم له معناه ان له فيه حظ لاطلاع
الخلق عليه الا الصوم فانه لا يطلع عليه احد وا غاخص الصوم بقوله
تعالى وان كانت جميع الاعمال الصالحة له وهو يجزي عليها لان الصوم لا
يظهر من ابن ادم بقول ولا فعل حتى تكتبه الحفظة وهو من اعمال القلوب
بالنية ولا يطلع عليه احد الا الله تعالى يقول الله تعالى انا اتولى جزاه
على ما احب لا على حساب ولا كتاب له • وقوله وللصايم فرحتان فرحة
عند فطره اي بالطعام لما بلغ به الجوع لتاخذ النفس حاجتها منه •
وقيل فرحة بما وفق له من اتمام الصوم الموعود عليه بالثواب وهو
قوله وفرحة عند لقاء ربه لما يرى من جزيل ثوابه • ولخلوف بضم الخا
وفتحها الغثان وهو تغير طعم الفم وريحه لتاخير الطعام • ومعنى قوله
اطيب عند الله من ريح المسك هو الثنا على الصايم والرضا بفعله لئلا
يمتنع من المواظبة على الصوم الجالب للخلوف والمعنى ان خلوف فم الصايم
ابلغ عند الله في القبول من ريح المسك عند احدكم • قوله الصيام جنة
اي حصن من المعاصي لان الصوم يكسر الشهوة فلا يواقع المعاصي • قوله
فلا يرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الانسان من المراة وقيل هو التصريح
بذكر الجماع والصخب الضجر والجلبة والصياح ق عن سهل بن سعد قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة بابا يقال له الريان يدخل
منه الصايمون يوم القيمة يقال اين الصايمون فيقومون لا يدخل منه احد
غيرهم فاذا دخلوا اغلق فلم يدخل منه احد • وفي رواية ان في الجنة ثمانية
ابواب منها باب يسمى الريان لا يدخله الا الصايمون • عن ابي امامة
قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله مرني بامر
ينفعني الله به قال عليك بالصوم فانه لا مثل له • وفي رواية اي عمل
افضل فقال عليك بالصوم فانه لا عدل له اخرجه النسائي قوله
عز وجل واذا سالك عبادي عني فاني قريب قال ابن عباس قال
يهود المدينة يا محمد كيف يسمع ربنا دعانا وانت تزعم ان بيننا وبين السما
خمسماية عام وان غلظ كل سما مثل ذلك فنزلت هذه الاية • وقيل سال
بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اقريب منا فنناجيه ام
بعيد فنناديه • وقيل انهم سالوه في اي ساعة ندعوا ربنا فنزلت • وقيل
انهم قالوا الى ربنا فنزلت هذه الاية وهذا السؤال لا يخلوا اما ان يكون عن

ذات الله اوعن صفاته اوعن افعاله اما السوال عن ذات الله فهو سوال
عن القرب والبعد بحسب الذات • واما السوال عن صفاته تعالى فهو ان
يكون السايل سال هل يسمع ربنا دعانا اذا دعوناه • فقوله تعالى واذا
سالك عبادى عنى فيحتمل هذه الوجوه كلها • وقوله تعالى فانى قريب
فمعناه قريب بالعلم والحفظ لا يخفى على شئ وفيه اشارة الى سهولة
اجابته لمن دعاه وانجاح حاجة من ساله ق عن ابى موسى الاشعرى قال
لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبرا او قال توجه الى خيبر اشرف
الناس على واد فرفعوا اصواتهم بالتكبير الله اكبر لا اله الا الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس اربعوا على انفسكم اى ارفقوا
بها وقيل معناه امسكوا عن الجهر فانه قريب يسمع دعاكم **قوله تعالى**
اجيب دعوة الداعى اذا دعان اى اسمع دعا عبدى الداعى اذا دعان وقيل
الدعا عبارة عن التوحيد والثنا على الله تعالى كقول العبد يا الله لا اله
الا انت فقولك يا الله فيه دعا وقوله لا اله الا انت فيه توحيد وثنا على
الله تعالى فسمى هذا دعا بهذا الاعتبار وسمى قبوله اجابة لتجانس اللفظ
وفيه اشارة الى ان العبد يعلم ان له ربا باخلاص وتضرع اجاب الله دعوته
فان قلت انا نرى الداعى يبالغ فى الدعا والتضرع فلا يجاب له
فما وجه قوله اجيب دعوة الداعى • وقوله تعالى ادعونى استجب لكم
قلت ذكر العلما فيه اجوبة • احدها ان الاية مطلقة وقد وردت
اخرى مقيدة وهى قوله بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شا
والمطلق يحمل على المقيد • وثانيها ان معنى الدعا هو الطاعة ومعنى
الاجابة هو الثواب وذلك فى الاخرة • وثالثها ان معنى الايتين خاص
وان كان لفظهما عاما فيكون المعنى اجيب دعوة الداعى اذا وافق القضا
او اجيبه ان كانت الاجابة خيرا له او اجيبه اذا لم يسال اثما او محالا •
ورابعها ان معناها عام اى اسمع وهو معنى الاية المذكورة فى الاية واما
اعطا الامنية فليس بمذكور فالاجابة حاصلة عند وجود الدعوة وقد
يجيب السيد عبده ولا يعطيه سوله • وخامسها ان للدعا ادابا وشروطا
وهى اسباب الاجابة فمن استعملها واتى بها كان من اهل الاجابة ومن
اخطاها كان من اهل الاعتدا فلا يستحق الجواب والله تعالى اعلم فليستجيبوا
لى يعنى اذا دعوتهم الى الايمان والطاعة كما انى اجيبهم اذا دعونى لحوايجهم
والاجابة فى اللغة الطاعة فالاجابة من العبد الطاعة ومن الله الاثابة
والعطا وليومنوا بى لعلهم يرشدون اى لكى يهتدوا الى مصالح دينهم
ودنياهم **فصل فى الدعا** وادابه ق عن ابى هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سما الدنيا حين يبقى ثلث

الليل الاخير فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسالنى فاعطيه من
يستغفرنى فاغفر له هذا الحديث من احاديث الصفات وهو مذهبان
مشهوران للعلما احدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين انه
يجب الايمان به وبانه حق على ما يليق به ونكل علمه الى الله تعالى ورسوله
وان ظاهره المتعارف فى حقنا غير مراد ولا نتكلم فى تاويله مع اعتقادنا
تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات • والمذهب
الثانى مذهب اهل اكثر المتكلمين وجماعة من السلف انها تاول على ما
يليق به فعلى هذا انقل عن مالك وغيره ان معناه تنزل رحمته وامره
وملايكته • وقيل انه على الاستعارة ومعناه الاقبال على الداعين
بالاجابة واللطف • وفى الحديث الحث على الدعا والترغيب فيه عن
سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم حى كريم يستحى
من عبده اذا رفع اليه يديه ان يردهما صفرا خايبتين اخرجه ابو داود
والترمذى وقال حديث حسن غريب الصفر الخال يقال بيت صفر ليس
فيه متاع • عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما على الارض مسلم يدعو الله بدعوة الا اتاه الله اياها او صرف من السو
مثلها ما لم يدع باثم او قطيعة رحم فقال رجل من القوم اذا نكثر قال الله
اكثر اخرجه الترمذى • قوله الله اكثر معناه الله اكثر اجابة • عن ابى هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة
واعلموا ان الله لا يستجيب دعا من قلب غافل لاه اخرجه الترمذى
وقال حديث غريب • عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الدعا مخ العبادة • وله عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من فتح له باب الدعا فتحت له ابواب الرحمة وما يسال الله شيا احب اليه
من ان يسال العافية وان الدعا ينفع مما نزل ومما لم ينزل • وله عن سلمان
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرد القضا الا الدعا ولا يزيد
فى العمر الا البر • وله عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من لم يسال الله يغضب عليه ق ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول قد دعوت فلم يستجب لى
ولمسلم قال لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع باثم او قطيعة رحم ما لم
يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال يقول قد دعوت وقد دعوت
فلم يستجب لى فيستحسر عند ذلك ويدع الدعا • قوله يستحسر اى
يستنكف عن السوال واصله من حسر الطرف اذا كل وضعف ق عن ابى
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا احدكم فلا يقل اللهم
اغفر لى ان شيت اللهم ارحمنى ان شيت ولكن ليعزم مسيلته فان الله لا مكره

له زاد البخاری ارزقنی ان شیت لیعزم مسیلته فانه یفعل ما یشاء لا
مکره له لیعزم المسالة ای لا تکن فی دعایك ربك مترددا بل اعزم وجد
فی المسالة عن فضالة بن عبید قال سمع النبی صلی الله علیه وسلم رجلا
یدعوا فی صلاته فلم یصل علی النبی صلی الله علیه وسلم فقال النبی صلی
الله علیه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له او لغیره اذا صلی احدکم فلیبدا
بحمد الله والثنا علیه ثم لیصل علی النبی صلی الله علیه وسلم ثم لیدعوا
بما شا اخرجه الترمذی وقال حدیث صحیح **قوله عز وجل** احل لکم
لیلة الصیام الرفث الی نسایکم سبب نزول هذه الایة انه کان فی ابتدا
الامر بالصوم اذا افطر الرجل حل له الطعام والشراب والجماع الی ان
یصلی العشا الاخرة او یرقد قبلها فاذا صلی او رقد حرم علیه ذلك
کله الی اللیلة القابلة ثم ان عمر بن الخطاب واقع اهله بعد ما صلی
العشا فلما اغتسل اخذ یبکی ویلوم نفسه ثم اتی النبی صلی الله علیه
وسلم فقال یا رسول الله اعتذر الی الله والیك من هذه الخطیة انی
رجعت الی اهلی بعد ما صلیت العشا فوجدت رایحة طیبة فسولت
لی نفسی فجامعت اهلی فقال النبی صلی الله علیه وسلم ما کنت بذلك
جدیرا یا عمر فقام رجال فاعترفوا بمثل ذلك • فنزلت فی عمر واصحابه احل
لکم ای ابیح لکم لیلة اراد باللیلة لیالی الصیام الرفث الی نسایکم
الرفث کلام یستقبح ذکره من ذکر الجماع ودواعیه وهو هنا کنایة
عن الجماع قال ابن عباس تعالی حی کریم یکنی فما ذکره من المباشرة
والملامسة وغیر ذلك انما هو الجماع هن لباس لکم ای سکن لکم وانتم
لباس لهن ای سکن لهن قیل لا یسکن شی الی شی کسکون احد الزوجین
الی الاخر وسمی کل واحد من الزوجین لباسا لتجردهما عند النوم واجتماعهما
فی ثوب واحد عند النوم • وقیل اللباس اسم لما یواری فیکون کل واحد
منهما سترا لصاحبه عما لا یحل کما جا فی الحدیث من تزوج فقد احرز ثلثی
دینه علم الله انکم کنتم تختانون انفسکم قال ابن عباس یرید فیما
ایتمنکم علیه وخیانتهم انهم کانوا یباشرون لیالی الصوم والمعنی یظلمونها
بالمجامعة بعد العشا وهو الخیانة واصل الخیانة ان یوتمن الرجل علی
شی فلا یودی فیه الامانة ویقال للعاصی خاین لانه موتمن علی دینه
فتاب علیکم اقبتم فتاب علیکم وتجاوز عنکم وعفی عنکم ای محی ذنوبکم
خ عن البرا قال لما نزل صوم رمضان کانوا لا یقربون النسا رمضان
کله فکان رجال یخونون انفسهم فانزل الله علم الله انکم کنتم تختانون
انفسکم فتاب علیکم وعفی عنکم الایة قال ابن عباس فکان ذلك مما نفع
الله به الناس ورخص لهم ویسر فالان باشروهن ای جامعوهن فهو حلال

لکم

لکم فی لیالی الصوم وسمیت المجامعة مباشرة لتلاصق بشرة کل واحد
بصاحبه وابتغوا ما کتب الله لکم ای ما قضی فی اللوح المحفوظ یعنی
الولد وقیل وابتغوا الرخصة التی کتب الله لکم باباحة الاکل والشرب
والجماع فی اللوح المحفوظ وقیل اطلبوا لیلة القدر وکلوا واشربوا حتی
یتبین لکم الخیط الابیض من الخیط الاسود من الفجر نزلت فی صرمة بن قیس
الانصاری ویقال قیس بن صرمة وذلك انه ظل یعمل فی ارض له وهو صایم
فلما امسی رجع الی اهله بتمر وقال لاهله قدمی الطعام فارادت المراة
ان تطعمه شی سخنا فاخذت المراة تعمل له ذلك فلما فرغ فاذا هو قد نام
وقد اعیی من التعب فایقظته فکره ان یعصی الله ورسوله وابی ان
یاکل واصبح صایما مجهودا فلم ینتصف النهار حتی غشی علیه فلما افاق
اتی النبی صلی الله علیه وسلم فلما راه قال یا ابا قیس ما کذا امسیت طلیحا
ای مهزولا مجهودا ق عن البرا قال کان اصحاب محمد صلی الله علیه وسلم
اذا کان الرجل صایما فحضر الافطار فنام قبل ان یفطر لم یاکل لیلته ولا
یومه حتی یمسی وان قیس بن صرمة الانصاری کان صایما فلما حضر الافطار
اتی الی امراته فقال اعندك طعام قالت لا ولکن انطلق فاطلب لك
وکان یومه یعمل فغلبته عینه فجاته امراته فقالت خیبة لك فلما انتصف
النهار غشی علیه فذکر ذلك للنبی صلی الله علیه وسلم فنزلت هذه
الایة احل لکم لیلة الصیام الرفث الی نسایکم ففرحوا بها فرحا شدیدا
فنزلت وکلوا واشربوا حتی یتبین لکم الخیط الابیض من الخیط الاسود
بیاض النهار من سواد اللیل وسمیا خیطا لان کل واحد منهما یبدو ممتدا
فی الافق کالخیط قال الشاعر •

• فلما اضات لنا سدفه • ولاح من الصبح خیط انارا •

السدف اختلاط الظلام واسدف الفجر اضا ق عن سهل بن سعد قال لما
نزلت وکلوا واشربوا حتی یتبین لکم الخیط الابیض من الخیط الاسود
ولم ینزل من الفجر فکان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم فی رجله
الخیط الابیض والخیط الاسود ولا یزال یاکل حتی یتبین له رویتهما
فانزل الله عز وجل بعده من الفجر فعلموا انه انما یعنی اللیل والنهار
ق عن عدی بن حاتم لما نزلت حتی یتبین لکم الخیط الابیض من الخیط
الاسود عمدت الی عقال اسود وعقال ابیض فجعلتهما تحت وسادتی
وجعلت انظر فی اللیل فلا یستبین لی فغدوت علی رسول الله صلی الله
علیه وسلم فذکرت له ذلك فقال انما ذلك سواد اللیل وبیاض النهار
ق عن ابن عمر ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال ان بلالا یوذن
بلیل فکلوا واشربوا حتی یوذن ابن ام مکتوم قال وکان ابن ام مکتوم رجلا

اعمى لا ينادي حتى يقال له اصبحت اصبحت واعلم ان الفجر الذي يحرم به على
الصائم الطعام والشراب والجماع هو الفجر الصادق المستطير المنتشر في
الافق سريعا لا الفجر الكاذب المستطيل **فان قلت** كيف شبه
الصبح الصادق بالخيط والخيط مستطيل والصبح الصادق ليس
بمستطيل **قلت** ان القدر الذي يبدو من البياض هو اول الصبح
يكون دقيقا صغيرا ثم ينتشر فلهذا شبه بالخيط والفرق بين الفجر الصادق
والفجر الكاذب ان الفجر الكاذب يبدو في الافق فيرتفع سريعا مستطيلا
ثم يضمحل ويذهب ثم يبدو الفجر الصادق بعده منتشرا في الافق مستطيرا
م عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغرنكم
سحوركم اذان بلال ولا بياض الافق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا
وحكاه حماد بيديه قال يعني معترضا • وفي رواية الترمذي لا يمنعكم من
سحوركم اذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الافق
فاذا تحقق طلوع الفجر الثاني فهو الصادق حرم على الصائم الطعام
والشراب والجماع الى غروب الشمس وهو قوله تعالى ثم اتموا الصيام
الى الليل فاذا دخل الليل حصل الفطر ق عن عمر بن الخطاب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل من هاهنا وادبر
النهار من هاهنا وغربت الشمس فقد افطر الصائم وهل يلزم الصائم
ان يتناول عند غروب الشمس شيئا فيه وجهان •
احدهما نعم يلزم ذلك لنهيه صلى الله عليه وسلم عن الوصال والثاني
لا لانه قد حصل الفطر بمجرد دخول الليل سواء اكل او لم ياكل وتمسكت
الحنفية بهذه الاية في ان صوم النفل يجب اتمامه وقالوا لان قوله
تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل امر وهو للوجوب وهو يتناول كل
الصيام اجاب اصحاب الشافعي عنه بان هذا انما ورد في احكام صوم
الفرض فكان المراد منه صوم الفرض ويدل على اباحة الفطر من النفل
ما روي عن عائشة قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم
فقال هل عندكم شيء قلنا لا قال فاني اذا صائم ثم اتانا يوما اخر فقلنا
يا رسول الله اهدي لنا حيس قال ارنيه فلقد اصبحت صائما فاكل •
اخرجه مسلم الحيس هو خلط الاقط والتمر والسمن وقد يجعل عوض
الاقط دقيق او فتيت • وقيل هو التمر ينزع نواه ويخلط بالسويق ٥
والاول اعرف **قوله عز وجل** ولا تباشروهن وانتم عاكفون في
المساجد الاعتكاف هو الاقبال على الشيء والملازمة على سبيل التعظيم
وهو في الشرع عبارة عن الاقامة في المسجد على عبادة الله تعالى وسبب
نزول هذه الاية ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

كانوا

كانوا يعتكفون في المسجد فاذا عرض للرجل منهم حاجة الى اهله خرج اليها
وخلا بها ثم اغتسل ورجع الى المسجد فنهوا عن ذلك حتى يفرغوا من اعتكافهم
واعلم ان الله تعالى بين ان الجماع يحرم على الصائم بالنهار ويباح له في
الليل فيحتمل ان يكون حكم الاعتكاف كحكم الصوم فبين الله تعالى في هذه
الاية ان الجماع يحرم على المعتكف في النهار والليل حتى يخرج من اعتكافه

فصل في حكم الاعتكاف والاعتكاف سنة ولا يجوز في غير
المسجد وذلك لان المسجد يتميز عن ساير البقاع بالفضل لانه بني لاقامة
الطاعات والعبادات ثم اختلفوا فنقل عن علي انه لا يجوز الا في المسجد
الحرام لقوله وطهر بيتي للطائفين والعاكفين فخصه به • وقال عطا
لا يجوز الا في المسجد الحرام ومسجد المدينة • وقال حذيفة يجوز في هذين
المسجدين ومسجد بيت المقدس • وقال الزهري لا يصح الا في الجامع •
وقال ابو حنيفة لا يجوز الا في مسجد له امام ومؤذن • وقال الشافعي
ومالك واحمد يجوز في ساير المساجد لعموم قوله وانتم عاكفون في
المساجد الا ان المسجد الجامع افضل حتى لا يحتاج الى الخروج من معتكفه
لصلاة الجمعة ق عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف
العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف ازواجه
بعده ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف
العشر الاواخر من رمضان **فروع** الاول يجوز الاعتكاف بغير
صوم والافضل ان يصوم معه وقال ابو حنيفة الصوم شرط في الاعتكاف
ولا يصح الا به وحجة الشافعي ما روي عن ابن عمر قال يا رسول الله اني
نذرت في الجاهلية ان اعتكف ليلة في المسجد الحرام قال فاوف
بنذرك اخرجاه في الصحيحين ومعلوم انه لا يصح الصوم في الليل
الفرع الثاني لا يقدر للاعتكاف زمان عند الشافعي واقله لحظة
ولا حد لاكثره فلو نذر اعتكاف ساعة صح نذره ولو نذر ان يعتكف
مطلقا يخرج من نذره باعتكاف ساعة • قال الشافعي واحب ان
يعتكف يوما وانما قال ذلك للخروج عن الخلاف فان اقل زمن الاعتكاف
عند مالك وابي حنيفة يوم بشرط ان يدخل فيه قبل طلوع الفجر ويخرج منه
بعد طلوع الشمس • الفرع الثالث الجماع حرام في حال الاعتكاف
ويفسد به واما ما دون الجماع كالقبلة ونحوها فمكروه ولا يفسد به
عند اكثر العلماء وهو اظهر قولي الشافعي والثاني يبطل به وهو قول
مالك • وقيل ان انزل بطل اعتكافه وان لم ينزل فلا وهو قول ابي
حنيفة • واما الملامسة بغير شهوة فجائز ولا يفسد به الاعتكاف
لما روي عن عائشة انها كانت ترجل النبي صلى الله عليه وسلم وهي حائض

وهو معتكف في المسجد وهي في حجرتها يناولها رأسه زاد في رواية وكان
لا يدخل البيت الا لحاجة اذا كان معتكفا • وفي رواية وكان لا يدخل
الا لحاجة الانسان اخرجاه في الصحيحين الترجيل تسريح الشعر وقوله
الا لحاجة حوايج الانسان كثيرة والمراد منها هنا كل ما يضطر الانسان
اليه مما لا يجوز له فعله في المسجد وموضع معتكفه **وقوله تعالى**
تلك حدود الله يعني تلك الاحكام التي ذكرت في الصيام والاعتكاف
من تحريم الاكل والشرب والجماع حدود الله وقيل حدود الله فرايض
الله واصل الحد في اللغة المنع والحد الحاجز بين الشيئين الذي يمنع
اختلاط احدهما بالاخر وحد الشي الوصف المحيط بمعناه المميز له عن
غيره وقيل معنى حدود الله المقادير التي قدرها ومنع من مخالفتها
فلا تقربوها اي فلا تاتوها ولا تمسوها • فان **قلت** في الاية
اشكالان اما الاول فانه قال تلك حدود الله وهو اشارة الى ما
تقدم من الاحكام وبعضها فيه اباحة وبعضها فيه حظر فكيف قال
في الجميع فلا تقربوها • الاشكال الثاني وهو انه تعالى قال في هذه
الاية تلك حدود الله فلا تقربوها • وقال في اية اخرى تلك حدود
الله فلا تعتدوها • وفي اية اخرى ومن يعص الله ورسوله ويتعد
حدوده فكيف الجمع بين هذه الايات • **قلت** الجواب عن السوالين
من وجهين • اما الاشكال الاول فجوابه ان الاحكام التي تقدمت
فيما قبل وان كانت كثيرة الا ان اقربها الى هذه الاية قوله تعالى ولا
تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد وذلك يوجب تحريم الجماع
في حال الاعتكاف وقال قبلها ثم اتموا الصيام الى الليل وذلك
يوجب تحريم الاكل والشرب في النهار فلما كان اقرب الى هذه الاية جانب
التحريم قال تلك حدود الله فلا تقربوها • **والجواب** عن الاشكال
الثاني ان من كان في طاعة الله تعالى والعمل بفرايضه فهو متصرف
في حيز الحق فنهي ان يتعداه فيقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي
ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيز الحق والباطل لئلا يداني
الباطل فيقع فيه وقيل اراد بحدوده هنا محارمه ومناهيه لقوله
ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد ونحو هذا من التحريم فهي
حدود لا تقرب **كذلك** اي كما بين لكم ما امركم به ونهاكم عنه كذلك
يبين الله اياته اي معالم دينه واحكام شريعته **للناس** مثل هذا
البيان الشافي الوافي **لعلهم يتقون** اي لكي ينجوا مما حرم عليهم فينجوا
من العذاب **قوله عز وجل ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل**
نزلت في امرئ القيس بن عابس الكندي ادعى عليه ربيعة بن عبدان

الحضرمي

الحضرمي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في ارض فقال النبي صلى الله
عليه وسلم للحضرمي الك بينة قال لا قال لك يمينه فانطلق ليحلف فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان حلف على ماله لياكله ظلما ليلقين
الله وهو عنه معرض فانزل الله هذه الاية والمعنى لا ياكل بعضكم مال
بعض بالباطل اي من غير الوجه الذي اباحه الله له واصل الباطل الشي
الذاهب **فصل** اما حكم الاية فاكل المال بالباطل على وجوه •
الاول ان ياكله بطريق التعدي والنهب والغصب • الثاني ان ياكله
بطريق اللهو كالقمار واجرة المغني وثمن الخمر والملاهي ونحو ذلك الثالث
ان ياكله بطريق الرشوة في الحكم وشهادة الزور • الرابع الخيانة وذلك
في الوديعة والامانة ونحو ذلك وانما عبر عن اخذ المال بالاكل لانه المقصود
الاعظم ولهذا وقع في التعارف فلان ياكل اموال الناس بمعنى ياخذها
بغير حلها **وتدلوا بها الى الحكام** اي وتلقوا امور تلك الاموال التي فيها
الحكومة الى الحكام قال ابن عباس هذا الرجل يكون عليه مال وليس
عليه بينة فيجحد ويخاصم الى الحكام وهو يعلم ان الحق عليه وانه اثم بمنعه
وقيل هو ان يقيم شهادة الزور عند الحاكم وهو يعلم ذلك • وقيل معناه
ولا تاكلوا المال بالباطل وتنسبوه الى الحكام • وقيل لا تدل بمال اخيك
الى الحاكم وانت تعلم انك ظالم فان قضاه لا يحل حراما • وكان شريح
القاضي يقول اني لاقضي لك واني لاظنك ظالما ولكن لا يسعني ان اقضي
بما يحضرني من البينة وان قضاي لا يحل لك حراما **ق** عن ام سلمة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج اليهم
فقال انما انا بشر وانه ياتيني الخصم فلعل بعضهم يكون ابلغ من بعض
وفي رواية الحن بحجته من بعض واحسب انه صادق فاقضي له فمن
قضيت له بحق مسلم فانما هي قطعة من النار فليحملها او يذرها **قوله**
سمع جلبة خصم يعني اصوات خصم • قوله الحن بحجته يقال فلان الحن
بحجته من فلان اي اقوم بها منه واقدر عليها من اللحن بفتح الحا وهو
الفطنة **لتاكلوا فريقا** اي طايفة وقطعة **من اموال الناس بالاثم** يعني
الظلم وقال ابن عباس باليمين الكاذبة وقيل بشهادة الزور **وانتم**
تعلمون يعني انكم على الباطل **قوله عز وجل يسالونك** اي يا محمد
عن الاهلة نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاريين قالا
يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يمتلي نورا ثم لا
يزال ينقص حتى يعود دقيقا كما بدا ولا يكون على حالة واحدة فانزل
الله يسالونك عن الاهلة وكان هذا سوال منهم على وجه الفايدة
عن وجه الحكمة في تبين القمر حتى يراه الناس اول ليلة من الشهر **قل هي**

مواقيت للناس جمع ميقات والمعنى انا فعلنا ذلك لمصالح دينية
ودنيوية ليعلم الناس اوقات حجهم وصومهم وافطارهم ومحل ديونهم
واجايرهم وعدد النسا واوقات الحيض وغير ذلك من الاحكام المتعلقة
بالاهلة ولهذا الفرق بينه وبين الشمس التى هى دايمة على حالة
واحدة والحج اى وللحج وانما افرد الحج بالذكر وان كان داخلا فى جملة
العبادات لفايدة عظيمة وهى ان العرب فى الجاهلية كانت تحج بالعدد
وتبدل الشهور فابطل الله ذلك من فعلهم واخبر ان الحج مقصورا
على الاشهر التى عينها لفرض الحج بالاهلة وانه لا يجوز نقل الحج عن تلك
الاشهر التى عينها الله تعالى له كما كانت العرب تفعل بالنسى وليس
البر بان تاتوا البيوت من ظهورها • ق عن البرا قال نزلت هذه الاية
فينا وكانت الانصار اذا حجوا فجاوا لم يدخلوا من قبل ابواب البيوت
فجا رجل من الانصار فدخل من قبل بابه فكانه عير بذلك فنزلت
وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا
البيوت من ابوابها • وفى رواية كانوا اذا احرموا فى الجاهلية اتوا
البيت من ظهره فانزل الله هذه الاية • وقيل كان الناس فى الجاهلية
فى اول الاسلام اذا احرم الرجل منهم لم يدخل حايطا ولا دارا ولا
فسطاطا وان كان من اهل المدر نقب نقبا فى ظهر بيته منه يدخل او
يتخذ سلما يصعد منه • وان كان من اهل الوبر دخل وخرج من
خلف الخبا ولا يدخل ولا يخرج من الباب ويرون ذلك برا وكانت
الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة ومن دان بدينهم سموا حمسا لتشددهم
فى دينهم والحماسة الشدة وكانوا اذا احرموا لم يدخلوا بيتا البتة
ولم يستظلوا ابظل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حايطا
فدخل رجل من الانصار معه • وقيل كانت الحمس لا يبالون بذلك
ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ذات يوم بيتا فدخل على
اثره رجل من الانصار يقال له رفاعة بن التابوت من الباب وهو
محرم فانكروا عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم دخلت
من الباب وانت محرم فقال رايتك دخلت فدخلت على اثرك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انى احمسى فقال الرجل ان كنت
احمسيا فانا احمسى رضيت بهديك وسمتك ودينك فانزل الله
تعالى هذه الاية • وقال الزهرى كان ناس من الانصار اذا اهلوا
بالعمرة لم يحل بينهم وبين السما شى وكان الرجل يخرج مهلا بالعمرة
فتبدو له الحاجة بعدما خرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب
الحجرة من اجل سقف الباب ان يحول بينه وبين السما فيفتح الجدار من

ورايه

ورايه ثم يقوم فى حجرته فيامر بحاجته حتى بلغنا ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اهل زمن الحديبية بالعمرة فدخل حجرة فدخل رجل من الانصار
من بنى سلمة على اثره فقال النبى صلى الله عليه وسلم لم فعلت ذلك
قال لانى رايتك دخلت فقال عليه الصلاة والسلام انى احمسى فقال
الانصارى وانا احمسى يقول انا على دينك فانزل الله وليس البر بان
تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها
يعنى فى حال الاحرام وغيره واتقوا الله لعلكم تفلحون قوله عز
وجل وقاتلوا فى سبيل الله اي فى طاعة الله وطلب مرضاته ق
عن ابى موسى قال سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل
شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل ريا اى فى سبيل الله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل
الله الذين يقاتلونكم كان فى ابتدا الاسلام امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالكف عن قتال المشركين ثم لما هاجر الى المدينة امر بقتال
من قاتله منهم بهذه الاية قال الربيع بن انس هذه اول اية نزلت فى القتال
ثم امر الله بقتال المشركين كافة قاتلوا او لم يقاتلوا بقوله تعالى فاقتلوا
المشركين كافة وبقوله اقتلوهم حيث ثقفتموهم فصارت اية السيف
ناسخة لهذه الاية • وقيل انها محكمة ومعناها على هذا القول وقاتلوا فى
سبيل الله الذين عدوا انفسهم للقتال فاما من لم يعد نفسه للقتال
كالرهبان والشيوخ والزمنى والمكافيف والمجانين فلا تقاتلوهم لانهم لم
يقاتلونكم وهو قوله تعالى ولا تعتدوا قال ابن عباس ولا تقتلوا النساء
والصبيان والشيوخ والرهبان ولا من القى السلام م عن بريدة قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا امر اميرا على جيش او سرية اوصاه على خاصته
بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا بالله فى سبيل الله قاتلوا
من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا قوله
ولا تغلوا الغلول الخيانة وهو ما يخفيه احد الغزاة من الغنيمة • قوله
ولا تغدروا اي ولا تنقضوا العهد • وقيل فى معنى الاية لا تعتدوا اى لا تبدوهم
بالقتال فعلى هذا القول تكون الاية منسوخة باية القتال قال ابن عباس
لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان
يرجع فى قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام يطوف بالبيت فلما تجهز رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه لعمرة القضا خافوا ان لا تفى قريش بما قالوا
ويصدوهم عن البيت وكره المسلمون قتالهم فى الشهر الحرام وفى الحرم ورفع
عنهم الحرج والجناح فى ذلك وقال لا تعتدوا بابتدا القتال ان الله لا يحب
المعتدين قوله عز وجل واقتلوهم حيث ثقفتموهم اى حيث وجدتموهم

فى الحل والحرم وتحقيق القول فيه ان الله تعالى امر بالجهاد فى الاية الاولى
بشرط اقدام الكفار على القتال وفى هذه الاية امر بالجهاد منهم سوا قاتلوا
اولم يقاتلوا واستثنى منه المقاتلة عند المسجد الحرام واخرجوهم من حيث
اخرجوكم اى واخرجوهم من ديارهم كما اخرجوكم من دياركم والفتنة اشد من
القتل يعنى ان شركهم بالله اشد واعظم من قتلكم اياهم فى الحرم والاحرام وانما
سمى الشرك بالله فتنة لانه فساد فى الارض يودى الى الظلم وانما جعل اعظم
من القتل لان الشرك بالله ذنب يستحق صاحبه الخلود فى النار وليس القتل
كذلك فثبت ان الفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى
يقاتلوكم فيه اختلف العلما فى هذه الاية فذهب مجاهد وجماعة من العلما
الى انها محكمة وانه لا يحل ان يقاتل فى المسجد الحرام الا من قاتل فيه وهو قوله
فان قاتلوكم فاقتلوهم اى فقاتلوهم وثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه
وسلم انه قال ان مكة لا تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد بعدى وانما احلت
لى فى ساعة من نهار ثم عادت حراما الى يوم القيمة فثبت بهذا تحريم
القتال فى الحرم الا ان يقاتلوا فيقاتلوا ويكون دفعا لهم وذهب قتادة الى
انها منسوخة بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فامر بقتالهم
فى الحل والحرم • وقيل انها منسوخة بقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة •
كذلك جزا الكافرين فان انتهوا يعنى عن القتال وقيل عن الشرك والكفر
فان الله غفور يعنى لما سلف رحيم بعباده حيث لم يعاجلهم بالعقوبة
وقاتلوهم اى وقاتلوا المشركين حتى لا تكون فتنة اى شرك والمعنى وقاتلوهم
حتى يسلموا ولا يقبل من الوثنى الا الاسلام او القتل بخلاف الكتابى والفرق
بينهما ان اهل الكتاب معهم كتب منزلة وفيها شرايع واحكام يرجعون اليها
وان كانوا قد حرفوا وبدلوا فامهلهم الله تعالى بحرمة تلك الكتب من القتل
وامر با صغارهم واخذ الجزية منهم لينظروا فى كتبهم ويتدبروها فيقفوا
على الحق منها فيتبعوه كفعل مومنى اهل الكتاب الذين عرفوا الحق فاسلموا
واما عبدة الاصنام فلم يكن لهم كتاب يرجعون اليه ويرشدهم الى الحق
فكان امهالهم زيادة فى شركهم وكفرهم فابى الله عز وجل ان يرضى منهم الا
بالاسلام او القتل ويكون الدين لله اى الطاعة والعبادة لله وحده
فلا يعبدون من دونه شى فان انتهوا يعنى عن القتال وقيل عن الشرك
والكفر فلا عدوان اى فلا سبيل الا على الظالمين قال ابن عباس فعلى
القول الاول تكون الاية منسوخة باية السيف وعلى القول الاخر الاية محكمة
وقيل معناه فلا تظلموا الا الظالمين سمى جزا الظالمين ظلما فى سبيل المقابلة
وسمى الكافر ظالما لوضعه العبادة فى غير موضعها قوله عز وجل الشهر
الحرام بالشهر الحرام نزلت فى عمرة القضا وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم

خرج معتمرا فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة فصده المشركون عن البيت
بالحديبية فصالح اهل مكة على ان ينصرف عامه ذلك ويرجع من قابل
فيقضى عمرته فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع فى ذى
القعدة سنة سبع فقضى عمرته فذلك قوله تعالى الشهر الحرام يعنى ذا
القعدة الذى دخلتم فيه مكة وقضيتم عمرتكم بالشهر الحرام الذى صددتم فيه
عن البيت والحرمات جمع حرمة وانما جمعت لانه اراد حرمة الشهر وحرمة
البلد وحرمة الاحرام قصاص والقصاص المساواة والمماثلة وهو ان
يفعل بالفاعل مثل ما فعل والمعنى انهم لما منعوكم عن العمرة واضاعوا
هذه الحرمات سنة ست فقد وفقهم حتى قضيتموها على رغمهم فى سنة سبع
وقيل هذا فى القتال ومعناه فان بداوكم بالقتال فى الشهر الحرام فقاتلوهم
فيه فانه قصاص فمن اعتدى عليكم اى بالقتال فاعتدوا عليه اى فقاتلوه
بمثل ما اعتدى عليكم سمى الجزا باعتدا على سبيل المشاكلة واتقوا الله
واعلموا ان الله مع المتقين قوله عز وجل وانفقوا فى سبيل الله يعنى به
الجهاد وذلك ان الله تعالى لما امر بالجهاد والاشتغال يحتاج الى الانفاق
فامر به والانفاق هو صرف المال فى وجوه المصالح الدينية كالانفاق فى
الحج والعمرة وصلة الرحم والصدقة وفى الجهاد وتجهيز الغزاة وعلى النفس
والعيال وغير ذلك مما فيه قربة الى الله تعالى لان كل ذلك مما هو فى سبيل
الله لكن اطلاق هذه اللفظة ينصرف الى الجهاد دخ عن ابى هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا وتصديقا
بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيمة يعنى حسنات
عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق نفقة
فى سبيل الله كتب الله له سبعماية ضعف اخرجه الترمذى والنساى
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قيل البا زايدة ومعناه لا تلقوا ايديكم الى التهلكة
والمراد بالايدى الانفس والمعنى ولا تلقوا انفسكم الى التهلكة عبر بالايدى
عن الانفس وقيل البا على اصلها وفى الكلام حذف تقديره ولا تلقوا انفسكم
بايديكم الى التهلكة كما يقال فلان اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب فى هلاكها
وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه ومعنى
الاية النهى عن ترك الانفاق فى سبيل الله لانه سبب الاهلاك قال ابن عباس
انفق فى سبيل الله وان لم يكن لك الا سهم او مشقص ولا يقول احدكم لا اجد
شيا السهم هنا هو ما يرمى به والمشقص سهم فيه نصل عريض • وقيل كان
رجال يخرجون فى البعوث بغير نفقة فاما ان تنقطع بهم واما ان يكونوا
عالة فامرهم الله تعالى بالانفاق على انفسهم فى سبيل الله ومن لم يكن
عنده شى ينفق عليه فى الغزو فلا يخرج لئلا يلقى نفسه فى التهلكة وهوانه

يهلك من الجوع والعطش والمشي وقيل نزلت الاية في ترك الجهاد عن
ابي عمران واسمه اسلم قال كنا بمدينة الروم فاخرجوا الينا صفا عظيما من الروم
فخرج اليهم من المسلمين مثلهم او اكثر وعلى اهل مصر عقبة بن عامر وعلى
الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم
فصاح الناس سبحان الله يلقي بيديه الى التهلكة فقام ابو ايوب الانصاري
فقال ايها الناس انكم لتتاولون هذه الاية فينا معشر الانصار لما اعز الله
الانصار وكثر ناصروه فقال بعضهم لبعض سرا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اموالنا قد ضاعت وان الله قد اعز الاسلام وكثر ناصروه فلو اقمنا
في اموالنا فاصلحنا ما ضاع منها فانزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه
وسلم يرد علينا ما قلنا وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
وكانت التهلكة الاقامة على الاموال واصلاحها وتركنا الغزو فما زال
ابو ايوب شاخصا في سبيل الله حتى دفن بارض الروم • وقيل حديث
غريب صحيح • مات ابو ايوب في اخر غزوة غزاها بارض قسطنطينية
ودفن في اصل سورها فهم يتبركون بقبره ويستشفون به م عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يغزو لم يحدث
نفسه به مات على شعبة من النفاق • قال ابن المبارك فنرى ان ذلك
كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم • وقيل الالقا الى التهلكة هو ان
يقنط من رحمة الله وهو ان الرجل يصيب الذنب فيقول قد هلكت
ليس لي توبة فييأس من رحمة الله وينهمك على المعاصي فهو القنوط فنهى
الله عن ذلك • وقيل في معنى الاية انفقوا في سبيل الله ولا تلقوا
انا نخاف الفقر ان انفقنا فنهلك فهو ان يحملوا انفسهم هالكين بالانفاق
خ عن حذيفة قال انفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قال
نزلت في النفقة **واحسنوا** اي بالانفاق على من تلزمكم مونته ونفقته
وقيل واحسنوا في اداء فرايض الله تعالى **ان الله يحب المحسنين** اي يثيبهم
على احسانهم **قوله عز وجل** **واتموا الحج والعمرة لله** قال ابن عباس
هو ان يتمهما بمناسكهما وحدودهما وقيل سننهما وقيل اتمامهما ان تكون
النفقة حلالا وينتهي عما نهى الله عنه وقيل اتمامهما ان تخرج من اهلك
لهما لا لتجارة ولا لحاجة • وقيل اذا شرع فيهما وجب عليه الاتمام • •

فصل واتفقت الامة على وجوب الحج من استطاع اليه سبيلا
م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل في كل عام
يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وفي وجوب العمرة قولان للشافعي

اصحهما

اصحهما انها واجبة وهو قول ابن عمر وابن عباس والحسن وابن سيرين وعطا
وطاووس وسعيد بن جبير ومجاهد واليه ذهب احمد بن حنبل • والقول
الثاني انها سنة • ويروى ذلك عن ابن مسعود وجابر وابراهيم والشعبي •
واليه ذهب مالك وابو حنيفة حجة من اوجب العمرة • ما روي في حديث
الضبي بن سعيد انه قال لعمر بن الخطاب اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين
علي واني اهللت بهما فقال هديت لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم
اخرجه ابو داود والنسائي باطول من هذا • وجه الدليل انه اخبر عن
وجوبهما عليه وصوبه عمر وبين له انه مهتد بما راه في وجوبهما عليه لسنة
النبي صلى الله عليه وسلم • وروي عن ابن عباس انه كقرينتها في كتاب الله واتموا
الحج والعمرة لله • وعن ابن عمر قال الحج والعمرة فريضتان • وعنه ليس احد
من خلق الله الا وعليه حجة وعمرة واجبتان من استطاع الى ذلك سبيلا •
وعن ابن عباس واجبة كوجوب الحج • وعن ابن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب
كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب
الا الجنة اخرجه النسائي والترمذي وزاد وما مومن يظل يومه محرما الا
غابت الشمس بذنوبه وقال حديث صحيح • وجه الدليل انه امر بالمتابعة
بين الحج والعمرة والامر للوجوب ولانها قد نظمت مع الحج في الامر بالاتمام
فكانت واجبة كالحج وحجة من قال بانها سنة ما روي عن جابر قال سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمرة اواجبة هي قال لا وان تعتمروا
خير لكم اخرجه الترمذي • واجيب عنه بان هذا الحديث يرويه حجاج
ابن ارطاة وحجاج ليس ممن يقبل منه ما تفرد به لسوء حفظه وقلة مراعاته
لما يحدث به واجتمعت الامة على جواز اداء الحج والعمرة على ثلاثة انواع
افراد وتمتع وقران • وصورة الافراد ان يحج ثم بعد فراغه منه يعتمر من
ادنى الحل ويعتمر قبل اشهر الحج ويأتي باعمالها فاذا فرغ من اعمالها احرم
بالحج من مكة في تلك السنة وانما سمي تمتعا لانه يستمتع بمحظورات الاحرام
بعد التحلل من العمرة الى ان يحرم بالحج • وصورة القران ان يحرم بالحج والعمرة معا
في اشهر الحج فينويهما في قلبه وكذلك لو احرم بالحج في اشهر الحج ثم ادخل عليها
الحج قبل ان يفتتح الطواف فيصير قارنا • واختلفوا في الافضل فذهب مالك
والشافعي الى ان الافراد افضل ثم التمتع ثم القران • يدل عليه ما روي عن
عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افرد بالحج اخرجه
مسلم وله عن ابن عمر قال اهللنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج
مفردا وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل بالحج مفردا وله
عن جابر قال قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصرخ بالحج صراخا

وعن ابن عمر قال افصلوا بين حجتكم وعمرتكم فان ذلك اتم لحج احدكم واتم لعمرته
ان يعتمر في غير اشهر الحج اخرجه مالك في الموطا وذهب الثوري وابو حنيفة
الى ان القران افضل • يدل عليه ما روى عن انس قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة جميعا • وفي رواية سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لبيك عمرة وحجا اخرجاه في الصحيحين • وذهب
احمد بن حنبل واسحاق بن راهوية الى ان التمتع افضل يدل عليه ما روى عن
ابن عباس قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان
فاول من نهى عنهما معاوية اخرجه الترمذي ق عن ابن عمر قال تمتع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج واهدى فساق معه
الهدي من ذي الحليفة وبدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهل بالعمرة
ثم اهل بالحج وتمتع الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة الى الحج
وكان من الناس من يهدي ومنهم من لم يهد فلما قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكة قال للناس من كان منكم اهدى فانه لا يحل من شي حرم
عليه منه حتى يقضي حجه ومن لم يكن منكم اهدى فليطف بالبيت والصفا
والمروة وليقصر وليحلل ثم ليهل بالحج وليهد فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة
ايام في الحج وسبعة اذا رجع الى اهله وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين قدم مكة فاستلم الركن اول شي ثم خب ثلاثة اطواف من السبع ومشى
اربعة اطواف ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين ثم سلم
فانصرف فاتى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبعة اشواط ثم لم يحلل من
شي حرم منه ثم قضى حجه ونحر هديه يوم النحر وافاض وطاف بالبيت ثم حل من
شي حرم منه وفعل مثل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهدى
فساق الهدي من الناس اختلفت الروايات في حجة النبي صلى الله عليه وسلم
هل كان مفردا او متمتعا او قارنا وهي الثلاثة اقوال للعلما بحسب مذاهبهم
السابقة ورجحت كل طايفة نوعا وادعت ان حجة النبي صلى الله عليه وسلم
كذلك وطريق الجمع بين روايات الصحابة واختلافهم في حجته صلى الله عليه
وسلم انه كان اولا مفردا ثم انه صلى الله عليه وسلم احرم بالعمرة بعد ذلك
وادخلها على الحج فصار قارنا فمن روى انه كان مفردا فهو الاصل ومن روى
القران اعتمد اخر الامرين ومن روى التمتع اراد التمتع اللغوي وهو الانتفاع
والارتفاق وقد ارتفق بالقران كارتفاق التمتع وزيادة وهو الاقتصار
على فعل واحد وبهذا امكن الجمع بين الاحاديث المختلفة في حجة الوداع ه
وهو الصحيح • وذكر الشافعي في كتاب اختلاف الحديث كلاما موجزا في ذلك
فقال ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن
والمتمتع وكل كان ياخذ منه امر نسكه ويصدر عن تعليمه فاضيف الكل اليه على

معنى انه امر به واذن فيه ويجوز في لغة العرب اضافة الفعل الى الامر كما
تجوز اضافته الى فاعله كما يقال بنى فلان داره واريد به انه امر ببنايها
وكما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وانما امر برجمه واختار
الشافعي الافراد • واحتج في ترجيحه انه صح ذلك من رواية جابر وابن عمر
وابن عباس وعايشة وهولا لهم مزية في حجة الوداع على غيرهم فاما
جابر فهو احسن الصحابة سياقة لرواية حديث حجة الوداع فانه ذكرها
من حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى اخرها فهو اضبط
لها من غيره • واما ابن عمر فصح عنه انه كان اخذ بخطام ناقة النبي صلى الله
عليه وسلم في حجة الوداع وانما سمعه يلبي بالحج • واما ابن عباس فمحله
من العلم والفقه في الدين معروف مع كثرة بحثه عن احوال رسول الله
صلى الله عليه وسلم • واما عايشة فقربها من رسول الله صلى الله عليه
وسلم معروف واطلاعها على باطن امره وظاهره مع كثرة فقهها وعلمها
ومن دلايل ترجيح الافراد ان الخلفا الراشدين افردوا الحج بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وواظبوا عليه • واركان الحج خمسة الاحرام
والوقوف بعرفة والطواف والسعي بين الصفا والمروة وحلق الراس
او التقصير في اصح القولين • واركان العمرة اربعة الاحرام والطواف
والسعي والحلق او التقصير وبهذه الاركان تمام الحج والعمرة **قوله**
تعالى فان احصرتم اصل الحصر في اللغة الحبس والتضييق ثم اختلف اهل
اللغة في الحصر والاحصار فقيل اذا رد الرجل عن وجه يريده فقد احصر
واذا حبس فقد حصر وقال ابن عباس احصره المرض اذا منعه من السفر
او حاجة يريدها وحصره العدو اذا ضيق عليه • وقال الزجاج الرواية
عن اهل اللغة يقال للذي يمنعه الخوف او المرض احصر والمحبوس حصر
وقال ابن قتيبة في قوله فان احصرتم هو ان يعرض للرجل ما يحول بينه
وبين الحج من مرض او كسر او عدو يقال احصر فهو محصر فان حبس في دار او
سجن قيل حصر فهو محصور • وذهب قوم الى انهما بمعنى واحد • قال الزجاج
يقال للرجل في الحبس من حصرك هنا ومن احصرك • وقال احمد بن يحيى
اصل الحصر والاحصار الحبس وحصر في الحبس اقوى من احصر وقيل الاحصار
يقال في المنع الظاهر كالعدو والمنع الباطن كالمرض والحصر لا يقال الا في
المنع الباطن • وقوله فان احصرتم محمول على الامرين وبحسب اهل اللغة
في معناها اختلف الفقها في حكمها • فذهب قوم الى ان كل مانع من عدو او
مرض او ذهاب نفقة فانه يبيح له التحلل من احرامه وهو قول عطا ومجاهد
وقتادة ومذهب ابي حنيفة • ويدل عليه ما روى عن عكرمة قال حدثني
الحجاج بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل

وعليه حجة اخرى قال عكرمة فذكرت ذلك لابى هريرة وابن عباس فقالا لا
صدق اخرجه ابوداود والنسائى والترمذى وقال حديث حسن وذهب
قوم الى انه لا يباح له التحلل الا بحبس العدو وهو قول ابن عمر وابن عباس
وانس وبه قال مالك والليث والشافعى واحمد وقالوا الحصر والاحصار
بمعنى واحد واحتجوا بان نزول الاية كان فى قصة الحديبية فى سنة ست
وكان ذلك حبسا من جهة العدو لان كفار مكة منعوا النبى صلى الله عليه
وسلم واصحابه من الطواف بالبيت فنزلت هذه الاية فحل النبى صلى الله عليه
وسلم من عمرته ونحر هديه وقضاها من قابل • ويدل عليه ايضا سياق الاية
وهو قوله فاذا امنتم والامن لا يكون الا من خوف • وثبت عن ابن عباس
انه قال لا حصر الا حصر العدو فثبت بذلك ان المراد بالاحصار هو حصر العدو
واجيب عن حديث الحجاج بن عمرو بانه محمول على من شرط التحلل بالمرض
ونحوه حال الاحرام • ويدل على جواز الاشتراط فى الاحرام ما روى
عن ابن عباس ان ضباعة بنت الزبير اتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت
يا رسول الله انى اريد الحج افاشترط قال نعم قالت كيف اقول قال قولى لبيك
اللهم لبيك محلى من الارض حيث تحبسنى اخرجه الترمذى وقال حديث
حسن صحيح • ولغيره ان ضباعة بنت الزبير كانت وجعة فقال لها النبى صلى
الله عليه وسلم حجى واشترطى وقولى اللهم محلى حيث حبستنى فمذهب الشافعى
واحمد واسحاق اذا اشترط فى الحج فعرض له مرض او عذر ان يتحلل ويخرج من
احرامه ثم بعد الحصر يتحلل بذبح الهدى وحلق الراس وهو المراد من قوله
تعالى **فما استيسر من الهدى** ومعنى الهدى فان احصرتم دون تمام الحج او العمرة
فعليكم ما استيسر من الهدى والهدى ما يهدى الى البيت واعلاه بدنة •
واوسطه بقرة وادناه شاة • قال ابن عباس شاة لانه اقرب الى اليسر ومحل ذبح
هدى المحصر حيث احصر واليه ذهب الشافعى لان النبى صلى الله عليه وسلم ذبح
الهدى عام الحديبية بها • وذهب ابو حنيفة الى انه يقيم فى احرامه ويبعث
بهديه الى الحرم ويواعد من يذبحه هناك ثم يحل فى ذلك الوقت **ولا تحلقوا روسكم
حتى يبلغ الهدى محله** اى مكانه الذى يجب ان يذبح فيه وفيه قولان احدهما
انه الحرم وهو قول ابى حنيفة والقول الثانى محل ذبحه حيث احصر سواء كان فى
الحل او فى الحرم ومعنى محله حيث يحل ذبحه واكله وهو قول مالك والشافعى
واحمد ويدل عليه ما روى عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم معتمرين فحال كفار قريش دون البيت فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحلق راسه اخرجه البخارى **قوله عز وجل فمن كان منكم مريضا او به اذى من
راسه** معناه ولا تحلقوا روسكم فى حال الاحرام الا ان تضطروا الى حلقه لمرض او
اذى وهو القمل او الصداع **ففدية** فيه اضمار تقديره فحلق راسه فعليه فدية

نزلت

نزلت هذه الاية فى كعب بن عجرة **ق** عن كعب بن عجرة قال اتى على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وانا اوقد تحت قدرى والقمل يتناثر على وجهى فقال ايوذيك
هوام راسك قال قلت نعم قال فاحلق وصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين
او انسك نسيكة لا ادرى باى ذلك بدا • وفى رواية قال فى نزلت هذه الاية
فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او نسك
وذكر نحوه • وفى اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو بالحديبية
قبل ان يدخل مكة وهو محرم وذكره وفى اخرى ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال له ما كنت ارى ان الوجع بلغ منك ما ارى اتجد شاة قلت لا قال فصم
ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع قال كعب فنزلت
فى خاصة وهى عامة ومعنى قوله تعالى ففدية **من صيام** اى صوم ثلاثة
ايام **او صدقة** يعنى اطعام ثلاثة اصوع ستة مساكين لكل مسكين نصف
او نسك واحدتها نسيكة اى ذبيحة واعلاها بدنة واوسطها بقرة وادناها
شاة وهذه الفدية على التخيير ان شاء ذبح او صام او تصدق وكل هدى
او طعام يلزم المحرم فانه لمساكين الحرم الا هدى المحصر فانه يذبحه حيث
احصر واما الصوم فله ان يصوم حيث شاء قوله تعالى **فاذا امنتم** يعنى
من خوفكم وبراتم من مرضكم وقيل اذا امنتم من الاحصار **فمن تمتع بالعمرة
الى الحج** قال ابن الزبير معناه فمن احصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة
فخرج من احرامه بعمل عمرة فاستمتع باحلاله ذلك بتلك العمرة الى السنة
المستقبلة ثم حج فيكون متمتعا بذلك الاحلال الى احرامه الثانى فى العام المقبل
وقيل معناه فاذا امنتم وقد حللتم من احرامكم بعد الاحصار ولم تعتمروا فى
تلك السنة ثم اعتمرتم فى السنة القابلة فى اشهر الحج فاستمتعتم باهلالكم
الى الحج ثم احرمتم بالحج فعليكم ما استيسر من الهدى • وقال ابن عباس هو
الرجل يقدم معتمرا من افق من الافاق فى اشهر الحج فقضى عمرته واقام بمكة حلالا
حتى انشا منها الحج فحج من عامه ذلك فيكون مستمتعا بالاحلال من العمرة الى
احرامه بالحج ومعنى التمتع فى اللغة هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة
والتلذذ بما كان محظورا عليه فى حال الاحرام الى احرامه بالحج **فما استيسر
من الهدى** يعنى فعليه ما استيسر من الهدى وهو شاة يذبحها يوم
النحر فلو ذبح قبله بعد ما احرم بالحج اجزاه عند الشافعى كدم الحيوانات
ولا يجزيه ذبحه عند ابى حنيفة قبل يوم النحر كدم الاضحية ولوجوب
دم التمتع خمس شرايط • احدها ان يقدم العمرة على الحج الثانى ان يحرم
بالعمرة فى اشهر الحج • الثالث ان يحج بعد الفراغ من العمرة فى هذه
السنة • الرابع ان يحرم بالحج من مكة ولا يعود الى ميقات بلده فان
رجع الى الميقات واحرم منه لم يكن متمتعا • الخامس ان لا يكون من حاضرى

المسجد الحرام فهذه الشروط معتبرة فى وجوب دم التمتع ومتى فقد شى منها
لم يكن متمتعا ودم التمتع دم جبران عند الشافعى فلا يجوز ان ياكل منه
وقال ابو حنيفة هو دم نسك فيجوز ان ياكل منه وقوله **فمن لم يجد** يعنى
الهدى **فصيام ثلاثة ايام فى الحج** اى فعليه صيام ثلاثة ايام فى وقت
اشتغاله بالحج فقيل ان يصوم يوما قبل يوم التروية ويوم التروية ويوم عرفة وقيل
بل المستحب ان يصوم فى ايام الحج بحيث يكون يوم عرفة مفطرا فان لم يصم
قبل يوم النحر فقيل يصوم ايام التشريق وبه قال مالك واحمد وهو احد
قولى الشافعى وقيل يصوم بعد ايام التشريق وهو رواية عن احمد والقول
الاخر للشافعى **وسبعة اذا رجعتم** يعنى وصوموا سبعة ايام اذا رجعتم
الى اوطانكم واهليكم قاله ابن عباس وبه قال الشافعى فلو صام قبل
الرجوع الى اهله لم يجزه عنده وقيل المراد من الرجوع هو الفراغ من
اعمال الحج وقيل الرجوع والاخذ فى الرجوع فعلى هذا يجزه ان يصوم
سبعة ايام بعد الفراغ من اعمال الحج وقبل الرجوع الى اهله وبه قال
ابو حنيفة **تلك عشرة كاملة** يعنى فى الثواب والاجر وقيل كاملة فى
قيامها مقام الهدى الا انه قد يحتمل ان يظن ظان ان الثلاثة قد قامت
مقام الهدى فاعلم الله ان العشر بكمالها هى القايمة مقام الهدى وقيل
فايدة التكرار التوكيد كقول الفرزدق • ثلاث واثنان فهن خمس •
وسادسة تميل الى سهام • لان القران انزل بلغة العرب والعرب تكرر الشى
تريد به التوكيد • وقيل فايدة ذلك الفذلكة فى علم الحساب وهو ان
يعلم العدد مفصلا ثم يعلمه جملة ليحتاط به من جهتين فكذلك قوله
تعالى فصيام ثلاثة ايام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة
وقيل ان العرب لما كانوا لا يعلمون الحساب وكانوا يحتاجون الى زيادة
بيان وايضاح فلذلك قال عشرة كاملة وقيل لفظة خبر ومعناه امر
اى اكملوها ولا تنقصوها **ذلك** اى هذا الحكم الذى تقدم **لمن لم يكن
اهله حاضرى المسجد الحرام** قيل حاضرو المسجد الحرام هم اهل عرفة
والرجيع وضجنان ونخلة • وقال الشافعى كل من كان وطنه من مكة
على اقل من مسافة القصر فهو من حاضرى المسجد الحرام وقيل من هم
دون الميقات • وقال ابو حنيفة حاضرى المسجد الحرام اهل الميقات
والمواقيت ذو الحليفة والجحفة وقرن ويلملم وذات عرق فمن كان من
اهل هذه المواضع فما دونها الى مكة فهو من حاضرى المسجد الحرام وقيل
حاضرى المسجد الحرام من تلزمه الجمعة فيه ومعنى الاية ان المشار اليه
فى قوله ذلك يرجع الى اقرب مذكور وهو لزوم الهدى او بدله على المتمتع
وهو الافاقى فاما المكى اذا تمتع او قرن فلا هدى عليه ولا بدل له لانه لا

يجب

يجب عليه ان يحرم من الميقات فاقدامه على التمتع لا يوجب خللا فى حجه
فلا يجب عليه الهدى ويدل على ذلك ما اخرجه البخارى تعليقا من
حديث عكرمة قال سيل ابن عباس عن متعة الحج فقال اهل المهاجرون
والانصار وازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع •
واهللنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا
اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدى طفنا بالبيت وبالصفا والمروة واتينا
النسا ولبسنا الثياب وقال من قلد الهدى فانه لا يحل من شى حتى يبلغ
الهدى محله ثم امرنا عشية التروية ان نهل بالحج فاذا فرغنا من المناسك
جينا فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وقد تم حجنا وعلينا الهدى كما قال الله
تعالى فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام وسبعة اذا رجعتم
الى امصاركم والشاة تجزى فجمعوا بين النسكين فى عام بين الحج والعمرة
فان الله انزله فى كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واباحه للناس
غير اهل مكة • قال الله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام
وفى الحديث زيادة • قال الحميدى قال ابو مسعود الدمشقى هذا حديث
عزيز ولم اجده الا عند مسلم بن الحجاج ولم يخرجه فى صحيحه من اجل عكرمة
فانه لم يرو عنه فى صحيحه • وعندى ان البخارى انما اخذه من مسلم وقوله
تعالى **واتقوا الله** اى فيما فرضه عليكم ونهاكم عنه فى الحج وفى غيره •
واعلموا ان الله شديد العقاب يعنى لمن خالف امره وتهاون بحدوده
وارتكب مناهيه **قوله عز وجل** **الحج اشهر معلومات** يعنى اشهر الحج
معلومات وهى شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذى الحجة الى طلوع الفجر
من يوم النحر قال عبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله وعبد الله بن الزبير
ومن التابعين الحسن وابن سيرين والشعبى وهو قول الشافعى والثورى
وابى ثور وحجة الشافعى ومن وافقه ان الحج يفوت بطلوع الفجر الثانى من
يوم النحر والعبادة لا تفوت مع بقا وقتها فدل على ان يوم النحر ليس من
اشهر الحج وايضا فان الاحرام بالحج فيه لا يجوز فدل على انه وما بعده ليس
من اشهر الحج • وقال ابن عباس اشهر الحج شوال وذو القعدة وعشر ايام من
ذى الحجة اخرها يوم النحر وبه قال ابن عمر وعروة بن الزبير وعطا وطاوس
والنخعى وقتادة ومكحول والضحاك والسدى وابو حنيفة واحمد بن حنبل
وهو احد الروايتين عن مالك وحجة هذا القول ان يوم النحر هو يوم الحج
الاكبر ولان فيه يفعل طواف الافاضة وهو تمام اركان الحج • وقيل ان اشهر
الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله وهو رواية عن ابن عمر وبه قال
الزهرى وهى الرواية الاخرى عن مالك وحجة هذا القول ان الله تعالى
ذكر اشهر الحج بلفظ الجمع واقل الجمع المطلق ثلاث ولان اول شهر كان اوله

من اشهر الحج كان احزه كذلك فان قلت هنا اشكال وهو ان الله تعالى
قال قبل هذه الاية يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج فجعل
الاهلة كلها مواقيت قلت قوله هي مواقيت للناس والحج عام وهذه
الاية وهي قوله تعالى الحج اشهر معلومات خاص والخاص مقدم على العام •
وقيل ان الاية الاولى مجملة وهذه الاية مفسرة لها • فان قلت
انما قال اشهر الحج بلفظ الجمع • وعند الشافعي اشهر الحج شهران وعشر ليال
وعند ابي حنيفة وعشرة ايام فما وجه هذا قلت ان لفظ الجمع يشترك
فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما • وقيل انه نزل
بعض الشهر منزلة كله كما يقال رايتك سنة كذا او غاراه في ساعة منها
ولا اشكال فيه على القول الثالث وهي قول من قال ان اشهر الحج ثلاث
شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله **فمن فرض فيهن الحج** يعني من الزم
نفسه واوجب عليها فيهن الحج والمراد بهذا الفرض ما به يصير حاجا وهو
فعل يفعله ثم اختلفوا في ذلك الفعل فقال الشافعي ينعقد الاحرام بمجرد
النية من غير حاجة الى التلبية ووجهه ان فرض الحج عبارة عن النية فوجب
ان تكون النية كافية في انعقاد النية الحج • وقال ابو حنيفة لا يصح الشروع
في الاحرام بمجرد النية حتى ينضم اليه النية التلبية او سوق الهدي ووجهه
ان الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا بد من انضمام شي الى النية كالصلاة •
وفي الاية دليل على ان الاحرام بالحج لا ينعقد الا في اشهره وهو قول ابن عباس
واليه ذهب الشافعي واحمد واسحاق لان الله تعالى خصص هذه الاشهر بفرض
الحج فيها فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص وجه ولا فايدة وقال
مالك والثوري وابو حنيفة ينعقد احرامه بالحج في جميع شهور السنة •
ووجهه ان الاحرام الزام الحج فجاز تقديمه على الوقت كالنذر لان الله تعالى
جعل الاهلة كلها مواقيت للحج بقوله هي مواقيت للناس والحج وقد تقدم
الجواب عنه وقوله تعالى **فلا رفث** قال ابن عباس الرفث الجماع وفي رواية
عنه ان الرفث غشيان النسا والقبل والغمز وان يعرض لها بالفحش من
الكلام فعلى هذا القول التلفظ به في غيبة النسا لا يكون رفثا قال حصين
ابن قيس احد بني عباس اخذ ابن عباس بعيره يلويه وهو يحدو ويقول • •
وهن يمشين بنا هميسا ‑ ان يصدق الطير ننك لميسا • فقلت اترفث وانت محرم
فقال الرفث ما قيل عند النسا وقوله لميسا هو اسم امراة • وقيل الرفث كلام
متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه • وقوله فلا رفث يحتمل ان يكون
نهيا عن تعاطي الجماع وان يكون نهيا عن الحديث في ذلك لانه من دواعيه
وقيل الرفث هو الفحش والخنا والقول القبيح • وقيل الرفث اللغو من الكلام
ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث يوميذ

ولا يصخب **ولا فسوق** اصله الخروج عن الطاعة قال ابن عباس هو المعاصي
كلها وهو قول طاوس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والزهري والربيع
والقرظي وقال ابن عمر هو ما نهي عنه المحرم في حال الاحرام من قتل الصيد
وتقليم الاظفار واخذ الشعر وما اشبه ذلك • وقيل هو السباب والتنابز
بالالقاب **ق** عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من حج ولم يرفث رجع كيوم ولدته امه **ولا جدال في الحج** قال ابن عباس
الجدال هو المرا وهو ان يماري الرجل صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه وقيل
هو قول الرجل الحج اليوم ويقول احز الحج غدا وقيل هو ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال في حجة الوداع وقد احرموا بالحج اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا
من قلد الهدي قالوا كيف نجعلها عمرة وقد سمينا الحج فهذا كان جدالهم •
وقيل هو ما كانوا عليه اهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم
بمزدلفة • وكان بعضهم يحج في ذي القعدة وبعضهم في ذي الحجة وكل يقول
الصواب فيما فعلته فانزل الله لا جدال في الحج واخبر ان امر الحج قد استقر
على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا خلاف فيه بعده وذلك
معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم
خلق السموات والارض • وقيل معناه ولا شك في الحج انه في ذي الحجة
فابطل النسي • وقيل ظاهر الاية خبر ومعناه نهي اي لا ترفثوا ولا تفسقوا
ولا تجادلوا في الحج وانما نهي عن ذلك وامر باجتنابه بالحج وان كان اجتناب
ذلك في كل الاحوال والازمان واجب لان الرفث والفسوق والجدال في الحج
اسمج واقطع من غيره **وما تفعلوا من خير يعلمه الله** اي لا يخفى عليه شي من اعمالكم
وهو الذي يجازيكم عليها حث الله على فعل الخير عقيب النهي عن الشر وهو
ان يستعملوا مكان الرفث الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى
ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة • وقيل جعل فعل الخير عبارة عن
ربط الانفس عن الشر حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه • وقيل انما ذكر الخير
وان كان عالما بجميع افعال العباد من الخير والشر لفايدة وهو انه تعالى اذا
علم من العبد الخير ذكره واشهره واذا علم منه الشر ستره واخفاه فاذا كان
هذا فعله مع عبده في الدنيا فكيف يكون في العقبى وهو ارحم الراحمين واكرم
الاكرمين **وتزودوا فان خير الزاد التقوى** نزلت في ناس من اهل اليمن كانوا
يخرجون للحج بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحج بيت ربنا افلا يطعمنا
فاذا قدموا مكة سالوا الناس وربما افضى بهم الحال الى النهب والغصب
فانزل الله وتزودوا ما تتبلغون به وتكفون به وجوهكم عن الناس واتقوا
ابرامهم والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى • وقيل في معنى الاية وتزودوا
من التقوى فان الانسان لا بد له من سفر الدنيا الى الاخرة لا بد فيه من زاد

ايضا وهو تقوى الله والعمل بطاعته وهذا الزاد افضل من الزاد الاول
فان زاد الدنيا يوصل الى مراد النفس وشهواتها وزاد الاخرة يوصل الى
النعيم المقيم في الاخرة وفي هذا المعنى قال الاعشى

اذا انت لم ترحل بزاد من التقى • ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ان لا تكون كمثله • وانك لم ترصد اذا كان ارصدا

واتقون اي وخافوا عقابي وقيل معناه واشتغلوا بتقواي وفيه تنبيه
على كمال عظمة الله جل جلاله **يا اولي الالباب** اي يا ذوي العقول الذين
يعلمون حقايق الامور والله اعلم **قوله عز وجل** **ليس عليكم جناح**
اي حرج **ان تبتغوا فضلا من ربكم** يعني رزقا ونفعا وهو الربح في التجارة
خ عن ابن عباس قال كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقا في الجاهلية
فلما كان الاسلام فكانهم تاثموا ان يتجروا في المواسم فنزلت ليس عليكم جناح
ان تبتغوا فضلا من ربكم في موسم الحج وقراها ابن عباس هكذا • وفي رواية
ان تبتغوا في مواسم الحج فضلا من ربكم وعكاظ سوق معروف بقرب مكة ومجنة
بفتح الجيم وكسرها سوق بقرب مكة ايضا قال الازرقي هي باسفل مكة على
بريد منها وذو المجاز سوق عند عرفة كانت العرب في الجاهلية يتجرون
في هذه الاسواق ولها مواسم فكانوا يقيمون بعكاظ عشرين يوما من ذي
القعدة ثم ينتقلون الى مجنة فيقيمون بها ثمانية عشر يوما عشرا ايام من اخر
ذي القعدة وثمانية ايام من اول ذي الحجة ثم يخرجون الى عرفة يوم التروية
وقال الداوودي مجنة عند عرفة وعن ابي امامة التيمي قال كنت رجلا
اكري في هذا الوجه فكان الناس يقولون لي انه ليس لك حج فلقيت ابن عمر
فقلت له يا ابا عبد الرحمن اني رجل اكري هذا الوجه واذا ناس يقولون
انه ليس لك حج فقال ابن عمر اليس تحرم وتلبي وتطوف بالبيت وتفيض
من عرفات وترمي الجمار فقلت بلى قال فان لك حجا جاء رجل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فساله عن مثل ما سالتني عنه فسكت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلم يجبه حتى نزلت هذه الاية ليس عليكم جناح ان تبتغوا
فضلا من ربكم فارسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراها عليه
وقال لك حج اخرجه ابو داود والترمذي • وقال بعض العلما ان التجارة ان
اوقعت نقصا فيه كانت التجارة من المباحات التي الاولى تركها لتجريد العبادة
عن غيرها لان الحج بدون التجارة اكمل وافضل وقوله تعالى **فاذا افضتم** اي
دفعتم والافاضة دفع بكثرة **من عرفات** جمع عرفة سميت بذلك وان كانت بقعة
واحدة لان كل موضع من تلك المواضع عرفة فسمي مجموع تلك المواضع عرفات
وقيل ان اسم الموضع عرفات واسم اليوم عرفة قال عطا كان جبريل يري ابراهيم
المناسك ويقول له عرفت فسمي ذلك المكان عرفات واليوم عرفة وقال الضحاك

ان ادم لما هبط وقع بالهند وحوى بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه
فاجتمعا بعرفات في يوم عرفة فتعارفا فسمي اليوم عرفة والموضع عرفات
قال السدي ان ابراهيم لما اذن في الناس بالحج واجابوه بالتلبية ولبى من لبى
امره الله ان يخرج الى عرفات ونعتها له فخرج فلما بلغ الشجرة استقبله
الشيطان يرده فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار فوقع على
الجمرة الثانية فانطلق ابراهيم حتى اتى ذا المجاز فنظر اليه فلم يعرفه
فجازه فسمي ذا المجاز ثم انطلق ابراهيم حتى وقع بعرفات فعرفها بالنعت
فسمي الوقت عرفة والموضع عرفات حتى اذا امسى ازدلف الى جمع فسمي
ذلك الموضع المزدلفة • وفي رواية عن ابن عباس ان ابراهيم راى ليلة
التروية في منامه انه يؤمر بذبح ابنه فلما اصبح تروى يومه اجمع اي
تفكر هل هذه الرؤية من الله ام من الشيطان فسمي يوم التروية ثم راى
ذلك في ليلة عرفة ثانيا فلما اصبح عرف ان ذلك من الله فسمي اليوم
عرفة • **وقيل** سمي بذلك لان الناس يعترفون في ذلك اليوم بذنوبهم
وقيل سمي عرفة من العرف وهو الطيب وسمي منى لما يمنى فيها من
الدما اي يصب فيكون فيه الفروث والدما فلا يكون الموضع طيبا
وعرفات طاهرة عن مثل هذا فتكون طيبة فاعلم ان الوقوف بعرفة
ركن من اركان الحج لا يتم الحج الا به ومن فاته الوقوف في وقته
فقد فاته الحج ويدخل وقت الوقوف بعرفة بزوال الشمس من يوم
عرفة ويمتد الى طلوع الفجر الثاني من يوم النحر وذلك نصف يوم
وليلة كاملة فمن وقف بعرفات في هذا الوقت ولو لحظة واحدة
من ليل او نهار فقد حصل له الوقوف ويتم حجه وقال احمد وقت
الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة الى طلوع الفجر ووقت الافاضة من
عرفات بعد غروب الشمس اذا غربت الشمس دفع من عرفات واخر
صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشا بمزدلفة **ق** عن اسامة
ابن زيد قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة حتى اذا
كان بالشعب نزل فبال ثم توضا ولم يسبغ وضوءه فقلت الصلاة يا
رسول الله فقال الصلاة امامك ثم ركب فلما جا المزدلفة نزل
فتوضا فاسبغ الوضوء ثم اقيمت الصلاة فصلى المغرب ثم اناخ
كل انسان بعيره في منزله ثم اقيمت العشا فصلى ولم يصل بينهما شيا
وقوله تعالى **فاذكروا الله عند المشعر الحرام** سمي مشعرا من الشعار
وهي العلامة لانه من معالم الحج واصل الحرام المنع فهو ممنوع من ان
يفعل فيه ما لم يوذن فيه والمشعر الحرام هو ما بين جبلي المزدلفة بازمي
عرفة الى وادي محسر من المشعر الحرام وقيل المشعر هو المزدلفة وسماه

الله بذلك لان الصلاة والمبيت به والدعا عنده من معالم الحج وقيل
المشعر الحرام هو قزح وهو اخر حد المزدلفة والاول اصح وسميت المزدلفة
من الازدلاف وهو الاقتراب لانها منزلة من الله وقربة وقيل لنزول
الناس بها زلف الليل وقيل لاجتماع الناس بها وتسمى المزدلفة جمعا
لانه يجمع فيها بين المغرب والعشا وقيل المراد بالذكر عند المشعر الحرام
هو الجمع بين صلاتي المغرب والعشا هناك ويدل عليه قوله فاذكروا
الله امر وهو للوجوب ولا يجب هناك الا الصلاة والذي عليه
جمهور العلما ان المراد بالذكر هو الدعا والتلبية والتسبيح والتحميد
والتهليل والتكبير ق عن اسامة بن زيد كان ردف النبي صلى الله
عليه وسلم من عرفة الى المزدلفة ثم اردف الفضل من المزدلفة الى
منى فكلاهما قال لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي حتى
رمى جمرة العقبة م عن جابر قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى اتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشا باذان واحد واقامتين
ولم يسبح بينهما شيا ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له باذان
واقامة ثم ركب القصوى حتى اتى المشعر الحرام واستقبل القبلة فدعا
وكبره وهلله ووحده ولم يزل واقفا حتى اسفر جدا ودفع قبل ان
تطلع الشمس هذا الحديث ذكره البغوي بغير سند ولم اجده في
الاصول قال طاووس كان في الجاهلية يدفعون من عرفة قبل ان
تغرب الشمس ومن المزدلفة بعد طلوعها وكانوا يقولون اشرق
ثبير كيما نغير فنسخ الله تعالى احكام الجاهلية فاخر الافاضة من
عرفة الى بعد غروب الشمس وقدم الافاضة من المزدلفة الى قبل
طلوعها ثبير جبل بمكة ومعنى قولهم اشرق ثبير ادخل ايها الجبل في
الشروق وقولهم كيما نغير اي ندفع للنحر يقال اغار اذا اسرع ودفع
خ عن عمرو بن ميمون قال قال عمر كان اهل الجاهلية لا يفيضون
من جمع حتى تطلع الشمس وكانوا يقولون اشرق ثبير فخالفهم النبي
صلى الله عليه وسلم فافاض قبل طلوع الشمس وقوله تعالى
واذكروه كما هداكم اي اذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكركم بالهداية
هداكم لدينه ومناسك حجه وان كنتم من قبله لمن الضالين اي لا
تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه والهاء في من قبله راجعة الى الهدى
وقيل الى الرسول اي من قبل ارسال الرسول لمن الضالين وهو
كناية عن غير مذكور وقيل يرجع الى القران والمعنى واذكروه كما
هداكم لكتابه الذي انزل عليكم وان كنتم من قبل انزاله لمن الضالين
قوله عز وجل ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي لتكن

عن ابن عباس انه

افاضتكم

افاضتكم من حيث افاض الناس وفي المخاطبين بهذا قولان احدهما انه
خطاب لقريش قال اهل التفسير كانت قريش ومن دان بدينها وهم
الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخلف
الحرم ولا نخرج منه ويتعاظمون ان يقفوا مع سائر الناس بعرفات فاذا
افاض الناس من عرفات افاض الحمس من المزدلفة فامرهم الله ان يقفوا
بعرفات مع سائر الناس ثم يفيضوا منها الى جمع واخبرهم انه سنة ابراهيم
واسماعيل عليهما السلام ق عن عايشة رضي الله عنها قالت كان قريش
ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وكانت سائر
العرب يقفون بعرفة فلما جا الاسلام امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم
ان يأتي عرفات فيقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله ثم افيضوا من
حيث افاض الناس قوله كانوا يسمون الحمس هو جمع احمس واصله
من الشدة والشجاعة وانما سميت قريش وكنانة حمسا لتشددهم في
دينهم فعلى هذا القول الناس معناه جميع العرب سوى الحمس والقول
الثاني انه خطاب لسائر المسلمين امرهم الله ان يفيضوا من حيث افاض
ابراهيم وهو المراد بقوله من حيث افاض الناس وقيل الناس هنا
ادم وحده بدليل قراة سعيد بن جبير ثم افاضوا من حيث افاض الناس
بالياء وقال هو ادم عهد اليه فنسي ووجه هذا ان الوقوف بعرفات
والافاضة منها شرع قديم وما سواه مبتدع محدث وقيل المراد من
هذه الاية الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس
للرمي والنحر واراد بالناس ابراهيم واسمعيل واتباعهما لانه كانت افاضتهم
من المزدلفة قبل طلوع الشمس ووجه هذا القول ان الافاضة
بعرفات قد تقدم ذكرها في قوله فاذا افضتم من عرفات ثم قال
بعد ذلك افيضوا من حيث افاض الناس فدل على ان هذه الافاضة
من المزدلفة الى منى لكن القول الاول هو الاصح فان قلت على
القول الاول الذي عليه جمهور المفسرين اشكال وهو ان ظاهر
الكلام لا يقتضي ذلك لان قوله فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله
والافاضة من عرفات قبل الافاضة من جمع فكيف قال ثم افيضوا من
حيث افاض الناس فكانه قال فاذا افضتم من عرفات فافيضوا من
عرفات وذلك غير جائز قلت اجيب عن هذا الاشكال بان
فيه تقديما وتاخيرا وتقديره ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا
ان الله غفور رحيم ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم
من عرفات فاذكروا الله فعلى هذا الترتيب يصح ان تكون الافاضة هذه
تلك الافاضة بعينها وقيل ان ثم في قوله ثم افيضوا بمعنى الواو اي

وافيضوا كقوله ثم كان من الذين امنوا والافاضة الدفع ق عن هشام
ابن عروة عن ابيه قال سال اسامة بن زيد وانا جالس كيف كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يسير في حجة الوداع قال كان يسير العنق
فاذا وجد فجوة نص قال هشام والنص فوق العنق بفتح العين ضرب
من السير سريع وهو اشد من المشي والفجوة الفرجة وهي المتسع من
الارض والنص السير السريع حتى يستخرج من الناقة اقصى وسعها
خ عن ابن عباس انه دفع مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة
فسمع النبي صلى الله عليه وسلم وراه زجرا شديدا وضربا للابل فاشار
بسوطه اليهم وقال يا ايها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالايضاع
الايضاع السير السريع الشديد وقوله **واستغفروا الله** اي من
مخالفتكم في الموقف ولجميع ذنوبكم **ان الله غفور رحيم** يعني ان الله هو
الساتر لذنوب عباده برحمته والعفو يفيد المبالغة في الغفر وكذا
الرحيم وفيه دليل على انه تعالى يقبل التوبة عن عباده التايبين
ويغفر لهم لانه تعالى امر المذنب بالاستغفار ثم وصف نفسه تعالى
بانه كثير الغفران كثير الرحمة دل ذلك على انه تعالى يغفر للمستغفرين
ويرحم المذنبين بمنه وكرمه **قوله عز وجل** **فاذا قضيتم**
مناسككم اي فرغتم من حجكم وعباداتكم وذبحتم نسايكلم اي ذبايحكم
وذلك بعد رمي جمرة العقبة والاستقرار بمنى **فاذكروا الله** يعني
بالتحميد والتمجيد والتهليل والتكبير والثنا عليه **كذكركم اباكم**
قال اهل التفسير كانت العرب في الجاهلية اذا فرغوا من حجهم وقفوا
بين المسجد بمنى وبين الجبل وقيل عند البيت فيذكرون مفاخر ابايهم
وماثرهم وفضايلهم ومحاسنهم ومناقبهم فيقول احدهم كان ابي كبير
الجفنة رحب الفنا يقري الضيف وكان كذا وكذا يعدو مفاخره ومناقبه
ويتناشدون الاشعار في ذلك ويتكلمون بالمنثور والمنظوم من الكلام
الفصيح وغرضهم بذلك الشهرة والسمعة والرفعة يذكرون مناقب
سلفهم وابايهم فلما من الله عليهم بالاسلام امرهم ان يكون ذكرهم
لله لا ابايهم وقال اذكروني فاني الذي فعلت ذلك بكم وبهم واحسنت
اليكم واليهم قال ابن عباس معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان
الصغار الاب وذلك ان الصبي اول ما يفصح الكلام يقول ابه امه
لا يعرف غير ذلك فامرهم ان يذكروه كذكر الصبيان الصغار الابا
او اشد ذكرا اي بل اشد ذكرا وقيل او بمعنى الواو اي واشد ذكرا
اي واكثر ذكرا للابا لانه هو المنعم عليهم وعلى الابا فهو المستحق للذكر
والحمد مطلقا وسيل ابن عباس عن هذه الاية وقيل له قد ياتي على

الرجل اليوم ولا يذكر اباه فقال ليس كذلك ولكن ان تغضب لله عز
وجل اذا عصي اشد من غضبكما لوالديكما اذا اشتما **فمن الناس من
يقول ربنا اتنا في الدنيا** يعني ان المشركين كانوا يسالون الله في حجهم
الدنيا ونعيمها كانوا يقولون اللهم اعطنا ابلا وغنما وبقرا وعبيدا
واما وكان احدهم يقوم فيقول اللهم ان ابي كان عظيم الفية كبير
الجفنة كثير المال فاعطني مثل ما اعطيته قال قتادة هذا ابنته
الدنيا لها انفق ولها عمل ونصب خ عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة
ان اعطي رضي وان لم يعط سخط تعس وانتكس واذا شيك فلا
انتقش قوله تعس عبد الدينار هذا دعا عليه بالهلاك وهو
الوقوع على الوجه من العثيان والخميصة ثوب من خز او صوف
معلم قوله وانتكس هذا دعا عليه ايضا لان من انتكس على
راسه او في امره فقد خاب وخسر قوله واذا شيك هذا فعل
مالم يسم فاعله يقال شاكته الشوكة اذا دخلت في جسمه والانتقاش
اخراج الشوكة من الجسم وانما كان سوال المشركين للدنيا ولم يطلبوا
التوبة والمغفرة ونعيم الاخرة لانهم ينكرون البعث **وما له في الاخرة
من خلاق** اي وما له في الاخرة من حظ ولا نصيب **ومنهم من يقول
ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار** يعني
المومنين واعلم ان الله تعالى قسم الداعين فريقين فريق اقتصر على
الدنيا على طلب الدنيا وهم الكفار لانهم كانوا لا يعتقدون البعث
والاخرة والفريق الثاني وهم المومنون الذين اجمعوا في الدنيا على طلب
الدنيا والاخرة وذلك لان الانسان خلق ضعيفا محتاجا لا طاقة له
بالام الدنيا او متاعبها فالاولى له ان يستعيذ بالله من شرها والامها
لانه لو اضطرب على الانسان من عرقا من عروقه لتشوش عليه حياته
في الدنيا وتعطل عليه الاشتغال بطاعة الله تعالى فثبت بذلك ان
طلب الدنيا في الدعا من امر الدين فلذلك قال الله تعالى اخبارا
عن المومنين ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة
حسنة قيل ان الحسنة في الدنيا عبارة عن الصحة والامن والكفاية
والتوفيق الى الخير والنصر على الاعدا والولد الصالح والزوجة الصالحة
م عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
الدنيا متاع وخير متاعها المراة الصالحة وقيل الحسنة في الدنيا العلم
والعبادة وفي الاخرة الجنة وقيل الحسنة في الدنيا الرزق الحلال
والعمل الصالح وفي الاخرة المغفرة والثواب وقيل من اتاه الله الاسلام

والقران واهلا وما لا فقدا وتى فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة
يعنى فى الدنيا عافية وفى الاخرة عافية م عن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم عاد رجلا من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كنت تدعو الله لشى
او تساله اياه قال نعم كنت اقول اللهم ما كنت معاقبنى به فى
الاخرة فعجله لى فى الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبحان الله لا تطيقه ولا تستطيعه افلا قلت اللهم اتنا فى الدنيا
حسنة وفى الاخرة حسنة وقنا عذاب النار قال فدعا الله به
فشفاه ق عن انس بن مالك قال كان اكثر دعا النبى صلى الله عليه
وسلم اللهم اتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة وقنا عذاب النار
عن عبد الله بن السايب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول بين الركنين ربنا اتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة
وقنا عذاب النار **اوليك** اشارة الى المومنين الداعين بالحسنتين
ووجه هذا القول ان الله ذكر حكم الفريق بكماله فقال وما له فى
الاخرة من خلاق وقيل يرجع الى الفريقين جميعا اى لكل فريق من
هولا **لهم نصيب** اى حظ **مما كسبوا** يعنى من الخير والدعا بالثواب
والجزا على الدعا بالدنيا من جنس ما كسب ودعا **والله سريع
الحساب** ذكروا فى معنى الحساب ان الله تعالى يعلم العباد بما لهم
وعليهم بمعنى ان الله تعالى يخلق العلوم الضرورية فى قلوبهم بمقادير
اعمالهم وكمياتها وكيفياتها وبمقادير ما لهم من الثواب وعليهم
من العقاب وقيل ان المحاسبة عبارة عن المجازاة ويدل عليه قوله
تعالى وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا
شديدا وقيل ان الله تعالى يكلم عباده يوم القيمة ويعرفهم احوال
اعمالهم وما لهم من الثواب والعقاب وقيل انه تعالى اذا حاسب
عباده فحسابه سريع لانه تعالى لا يحتاج الى عقد يد وروية فكر
وصف نفسه تعالى بسرعة الحساب مع كثرة الخلايق وكثرة اعمالهم
ليدل بذلك على كمال قدرته لانه تعالى لا يشغله شان عن شان
ولا يحتاج الى الة ولا مادة ولا مساعد لا جرم كان قادرا على ان
يحاسب جميع الخلايق فى اقل من لمحة البصر وروى انه تعالى يحاسب
الخلايق فى قدر حلب شاة او ناقة وقيل فى معنى كونه سريع الحساب
اى سريع القبول لدعا عباده والاجابة لهم وذلك انه تعالى يسال
السايلون فى الوقت الواحد كل واحد منهم اشيا مختلفة من امور
الدنيا والاخرة فيعطى كل واحد مطلوبه من غير ان يشتبه عليه شى

من

١

من ذلك لانه تعالى عالم بجميع احوال عباده واعمالهم وقيل فى معنى
الاية ان اتيان القيمة قريب لان كل ما هو كاين وات قريب لا محالة
وفيه اشارة الى المبادرة والذكر وساير الطاعات وطلب الاخرة
قوله عز وجل **واذكروا الله** يعنى بالتوحيد والتعظيم والتكبير فى
ادبار الصلوات وعند رمى الجمرات وذلك انه يكبر مع كل حصاة من
حصى الجمار فقد ورد فى الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم كبر مع
كل حصاة **فى ايام معدودات** يعنى ايام التشريق وهى ايام منى ورمى
الجمار سميت معدودات وهى ثلاثة ايام بعد يوم النحر اولها اليوم
الحادى عشر من ذى الحجة وهو قول ابن عمر وابن عباس والحسن
وعطا ومجاهد وقتاده وهو مذهب الشافعى وقيل ان الايام
المعدودات يوم النحر ويومان بعده وهو قول على بن ابى طالب
ويروى عن ابن عمر ايضا وهو مذهب ابى حنيفة م عن نبيشة الهذلى
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايام التشريق ايام اكل
وشرب وذكر الله ومن الذكر فى هذه الايام التكبير خ عن ابن عمر انه
كان يكبر بمنى تلك الايام وخلف الصلوات وعلى فراشه وفى فسطاطه
وفى مجلسه وفى ممشاه فى تلك الايام جميعا وفى رواية انه كان يكبر
فى قبته فيسمعه اهل المسجد فيكبرون ويكبر اهل الاسواق حتى ترتج
منى اخرجه البخارى بغير اسناد واجمع العلما على ان المراد بهذا
هو التكبير عند رمى الجمار وهو ان يكبر مع كل حصاة يرمى بها فى جميع
ايام التشريق فاجمعوا ايضا ان التكبير فى عيد الاضحى وفى هذه
الايام فى ادبار الصلوات سنة واختلفوا فى وقت التكبير فقيل
يبتدى به من صلاة الظهر يوم النحر الى صلاة الصبح من اخر ايام
التشريق فيكون التكبير على هذا القول خمسة عشر صلاة وهو قول
ابن عباس وابن عمر وبه قال الشافعى فى اصح اقواله قال الشافعى لان
الناس فيه تبع للحاج وذكر الحاج قبل هذا الوقت هو التلبية
ويا خذون فى التكبير يوم النحر من صلاة الظهر وقيل انه يبتدى
به من صلاة المغرب ليلة النحر ويختم بصلاة الصبح من اخر ايام
التشريق وهذا القول الثانى للشافعى فيكون التكبير على هذا
القول فى ثمانية عشر صلاة والقول الثالث للشافعى انه يبتدى
بالتكبير من صلاة الصبح يوم عرفة ويختم به بعد صلاة العصر
من اخر ايام التشريق فيكون التكبير على هذا القول فى ثلاث
وعشرين صلاة وهو قول على بن ابى طالب ومكحول وبه قال
ابو يوسف ومحمد وقال ابن مسعود يبتدى به من صبح يوم عرفة

طه

ويختم بصلاة العصر من يوم النحر فعلى هذا القول يكون التكبير في
ثمان صلوات وبه قال ابو حنيفة وقال احمد بن حنبل ان كان حلالا
كبر عقيب ثلاث وعشرين صلاة اولها الصبح من يوم عرفة واخرها
صلاة العصر من اخر ايام التشريق وان كان محرما كبر عقب سبعة
عشر صلاة اولها الظهر من يوم النحر واخرها عصر اخر ايام التشريق
ولفظ التكبير عند الشافعي ثلاثا نسقا الله اكبر الله اكبر الله اكبر
وهو قول سعيد بن جبير والحسن وهو قول المدينة قال الشافعي
وما زاد من ذكر الله فحسن ويروى عن ابن مسعود انه كبر مرتين
فيقول الله اكبر الله اكبر وهو قول اهل العراق وقوله تعالى
فمن تعجل في يومين اى فمن تعجل النفر الاول وهو الثاني من ايام
التشريق **فلا اثم عليه** اى فلا حرج عليه وذلك انه يجب على الحاج
المبيت بمنى الليلة الاولى والثانية من ليالي ايام التشريق ليرمي
كل يوم بعد الزوال احدى وعشرين حصاة يرمي عند كل جمرة سبع
حصيات ثم من رمى في اليوم الثاني واراد ان ينفر ويدع البيتوتة
الليلة الثالثة ورمى يومها فذلك واسع له لقوله تعالى فمن تعجل
في يومين فلا اثم عليه يعني فلا اثم على من تعجل فنفر في اليوم
الثاني في تعجيله **ومن تاخر فلا اثم عليه** يعني ومن تاخر الى النفر
الثاني وهو اليوم الثالث من ايام التشريق فلا اثم عليه في تاخره
واعلم انه انما يجوز التعجيل لمن نفر بعد الزوال من اليوم الثاني
من ايام التشريق وقبل غروب الشمس من ليلة اليوم وان غربت
عليه الشمس وهو بمنى لزمه المبيت بها لرمي اليوم الثالث هذا
مذهب الشافعي واكثر الفقها وقال ابو حنيفة يجوز له ان ينفر
ما لم يطلع الفجر لانه لم يدخل وقت الرمي بعد ورخص لرعاة
الابل واهل سقاية الحاج ترك المبيت بمنى ليالي منى فان قلت
قوله ومن تاخر فلا اثم عليه فيه اشكال وهو ان الذي اتى
بافعال الحج كاملة تامة فقد اتى بما يلزمه فما معنى قوله فلا
اثم عليه انما يخاف من الاثم من قصر فيما يلزمه **قلت** فيه
اجوبة احدها انه تعالى لما اذن في التعجيل على سبيل الرخصة
احتمل ان يخطر ببال قوم ان من لم يجر على موجب هذه الرخصة فانه
يأثم فازال الله تعالى هذه الشبهة وبين انه لا اثم عليه في الامرين
فان شا عجل وان شا اخر **الجواب** الثاني ان من الناس من
كان يتعجل ومنهم من كان يتاخر وكل فريق يصوب فعله على فعل
الفريق الاخر فبين الله تعالى ان كل واحد من الفريقين مصيب

في فعله وانه لا اثم عليه **الجواب** الثالث انما قال ومن
تاخر فلا اثم لمشاكلة اللفظة الاولى فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة
مثلها ومعلوم ان جزاء السيئة ليس بسيئة **الجواب** الرابع
ان فيه دلالة على جواز الامرين فكانه تعالى قال فتعجلوا او تاخروا فلا
اثم في التعجيل ولا في التاخير **لمن اتقى** اى ذلك التخيير ونفي الاثم
للحاج المتقي وقيل لمن اتقى اى يصيب في حجه شيئا مما نهاه الله عنه
من قتل صيد وغيره مما هو محظور في الحج وقيل معناه انه ذهب اثمه
ان اتقى فيما بقي من عمره وذلك ان الحاج يرجع مغفورا له بشرط ان لا
يرتكب ما نهي عنه فيما بقي من عمره وهو قوله **واتقوا الله** اى في
المستقبل والتقوى عبارة عن فعل الواجبات وترك المحظورات
واعلموا انكم اليه تحشرون اى فيجازيكم باعمالكم وفيه حث على التقوى
قوله عز وجل **ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا**
نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة واسمه ابي وانما
سمي الاخنس لانه خنس يوم بدر بثلاثمائة رجل من بني زهرة عن
قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه اشار على بني
زهرة بالرجوع يوم بدر وقال لهم ان محمدا ابن اختكم فان يك كاذبا
كفاكموه الناس وان يك صادقا كنتم اسعد الناس به قالوا نعم ما
رايت قال اني ساخنس بكم فاتبعوني فخنس فسمي الاخنس بذلك
وكان الاخنس حلو الكلام حلو المنظر وكان ياتي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويجالسه ويظهر الاسلام ويقول اني لاحبك ويحلف على
ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدني مجلسه وكان
الاخنس منافقا فنزل فيه ومن الناس من يعجبك قوله اى يروقك
وتستحسنه ويعظم في قلبك في الحياة الدنيا يعني ان حلاوة كلامه
فيما يتعلق بامر الدنيا **ويشهد الله على ما في قلبه** يعني قوله والله
اني بك مؤمن ولك محب **وهو الد الخصام** اى شديد الجدال في
الباطل وقيل كاذبا في القول وقيل هو شديد القسوة في المعصية
جدل بالباطل يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة **ق** عن عائشة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم
يعني الشديد في الخصومة **واذا تولى** اى ادبر واعرض عنك بعد
الانة القول وحلاوة المنطق **سعى في الارض** اى سار ومشى في
الارض **ليفسد فيها** يعني بقطع الارحام وسفك دما المسلمين ٥
ويهلك الحرث والنسل وذلك ان الاخنس بن شريق كان بينه
وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا فاحرق زرعهم واهلك مواشيهم

وقيل خرج الى الطايف مقتضيا دينا كان له على غريم فاحرق كربسا وعقر
اتانا وقيل معناه اذا تولى اى صار واليا وملك الامر سعى فى الارض
ليفسد فيها يعنى بالظلم والعدوان كما يفعله ولاة السوء والظلمة وقيل
يظهر ظلمه حتى يمنع الله بشوم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل بسبب
منع القطر وقيل ان الاية عامة فى حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات
المذكورة ولا يمتنع ان ينزل فى رجل واحد ثم تكون عامة فى حق كل من
كان موصوفا بهذه الصفات **والله لا يحب الفساد** قال ابن عباس
لا يرضى بالمعاصى واحتجت المعتزلة بهذه الاية على ان المحبة عبارة
عن الارادة واجيب عنه بان الارادة معنى غير المحبة فان الانسان
قد يريد شيا ولا يحبه وذلك بان يتناول الدوا المر ولا يحبه فبان
الفرق بين الارادة والمحبة وقيل المحبة مدح الشى وتعظيمه والارادة
بخلاف ذلك **واذا قيل له اتق الله** اى خف الله فى سرك وعلانيتك
اخذته العزة بالاثم اى اخذته العزة اى حملته العزة وحمية الجاهلية
على فعل الاثم وقيل بان يعمل الاثم وهو الظلم وترك الالتفات الى
الوعظ وعدم الاصغا اليه واهل العزة المنعة والتكبر **فحسبه**
جهنم اى كافيه له جهنم جزاء وعذابا وجهنم اسم من اسما النار التى
يعذب بها الكفار فى الاخرة وقيل هو اسم اعجمى وقيل بل هو عربى
سميت النار بذلك لبعد قعرها **ولبيس المهاد** اى الفراش والمهاد
التوطية ايضا والمعنى ان العذاب بالنار يجعل تحته وفوقه قال
ابن مسعود ان اكبر الذنوب عند الله ان يقال للعبد اتق الله فيقول
عليك بنفسك وروى انه قيل لعمر اتق الله فوضع خده على الارض
تواضعا لله تعالى قوله عز وجل **ومن الناس من يشرى نفسه ابتغا**
مرضات الله قال ابن عباس نزلت هذه الاية فى سرية الرجيع وكانت
بعد احد عن ابى هريرة قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم سرية
عينا وامر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا
حتى اذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا لحى من هذيل يقال لهم لحيان
فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتصوا اثارهم حتى اتوا منزلا نزلوه
فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فتبعوا
اثرهم حتى لحقوهم فلما احس بهم عاصم واصحابه لجاوا الى فدفد وجاء القوم
فاحاطوا بهم فقالوا لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا ان لا نقتل
منكم رجلا فقال عاصم اما انا فلا انزل فى ذمة كافر اللهم اخبر عنا
رسولك فقاتلوهم فهزموهم حتى قتلوا عاصما فى سبعة نفر بالنبل
وبقى خبيب وزيد ورجل اخر فاعطوهم العهد والميثاق فلما اعطوهم

العهد والميثاق نزلوا اليهم فلما استمكنوا منهم حلوا اوتار قسيهم
فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذى معهم هذا اول الغدر فابى
ان يصحبهم فجروه وعالجوه ان يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب
وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل
وكان خبيب هو الذى قتل الحارث يوم بدر فمكث عندهم اسيرا
حتى اذا اجمعوا قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحد بها
فاعارته قالت فغفلت عن صبى لى فدرج اليه حتى اتاه فوضعه على
فخذه فلما رايته فزعت فزعة عرف ذلك منى وفى يده الموسى فقال
اتخشين منى ان اقتله ما كنت لافعل ذلك ان شاء الله تعالى وكانت
تقول ما رايت اسيرا قط خيرا من خبيب لقد رايته ياكل من قطف
عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وانه لموثق فى الحديد وما كان الا رزقا
رزقه الله خبيبا فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه قال دعونى اصلى
ركعتين ثم انصرف اليهم فقال لولا ان تروا ان ما بى جزع من الموت لزدت
فكان اول من سن ركعتين عند القتل وقال اللهم احصهم عددا وقال

فلست ابالى حين اقتل مسلما • على اى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الاله وان يشا • يبارك على اوصال شلو ممزع

ثم قام اليه عقبة بن الحارث فقتله وبعثت قريش الى عاصم ليوتوا
بشى من جسده بعد موته وكان قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر فبعث
الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شى زاد
فى رواية واخبر يعنى النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه يوم اصيبوا خبرهم
الفدفد الذى فيه غلظ وارتفاع وقوله عالجوه اى مارسوه وارادوا
انهم خدعوه ليتبعهم فابى وقوله ليستحد الاستحداد حلق العانة
والقطف العنقود من العنب قوله على اوصال شلو الشلو العضو
من اعضا الانسان والممزع المفرق والظلة الشى الذى يظلل من فوق
الانسان والدبر جماعة من النحل والزنابير قال اهل التفسير ان كفار
قريش بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة انا قد
اسلمنا فابعث الينا نفرا من علما اصحابك يعلمونا دينك وكان ذلك
مكرا منهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خبيب بن عدى الانصارى
ومرثد بن مرثد الغنوى وخالد بن بكير وعبد الله بن طارق بن شهاب
البلوى وزيد بن الدثنه وامر عليهم عاصم بن ثابت بن ابى افلح الانصارى
وذكروا نحو حديث البخارى وزاد عليه فقالوا فصلبوا خبيبا حيا فقال
اللهم انك تعلم انه ليس لى احد حولى يبلغ رسولك فابلغه سلامى فقام
اليه ابو سروعة عقبة بن الحارث فقتله ويقال كان رجل من المشركين

يقال له ابو ميسرة سلامان معد رمح فوضعه بين ثديي خبيب فقال
له خبيب اتق الله فما زاده ذلك الا عتوا فطعنه فانفذه فذلك قوله
تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم يعني سلامان واما زيد ابن
الدثنة فابتاعه صفوان بن امية ليقتله بابيه امية بن خلف فبعثه
مع مولى له يسمى نسطاط الى التنعيم ليقتله في الحل فاجتمع رهط من
قريش فيهم ابو سفيان بن حرب فقال له ابو سفيان حين قدم ليقتل
انشدك الله يا زيد اتحب محمدا عندنا الان مكانك تضرب عنقه وانت
في اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي هو
تصيبه شوكة تؤذيه وانا جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت
احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاط فلما بلغ النبي
صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال لاصحابه ايكم ينزل خبيبا عن خشبته
وله الجنة فقال له الزبير انا يا رسول الله وصاحبي المقداد بن الاسود
فخرجا يمشيان الليل ويكمنان النهار حتى اتيا التنعيم ليلا فاذا حول
الخشبة اربعون من المشركين نشاوى وهم نيام فانزلاه عن خشبته فاذا
هو رطب ولم يتغير منه شيا بعد اربعين يوما ويده على جراحته وهي
تبض دما اللون لون الدم والريح ريح المسك فحمله الزبير على فرسه
وسار فانتبه الكفار وقد فقدوا خبيبا فاخبروا قريشا فركب منهم
سبعون فارسا فلما لحقوهم قذف الزبير خبيبا فابتلعته الارض فسمي
بليع الارض وقال الزبير ما جراكم علينا يا معشر قريش ثم رفع العمامة
عن راسه وقال انا الزبير بن العوام وامي صفية بنت عبد المطلب
وصاحبي المقداد بن الاسود اسدان ضاريان يدفعان عن اشبالهما
فان شئتم ناضلتكم وان شئتم نازلتكم وان شئتم انصرفتم فانصرفوا الى
مكة وقدم الزبير وصاحبه المقداد على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجبريل عنده فقال يا محمد ان الملائكة لتباهي بهذين من اصحابك
ونزل في الزبير والمقداد ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات
الله حين شريا انفسهما بانزال خبيب عن خشبته وقال اكثر المفسرين
نزلت في صهيب بن سنان الرومي وانما نسب الى الروم لان منازلهم
كانت بجار من الموصل فاغارت الروم على تلك الناحية فسبته وهو غلام
صغير فنشا بالروم وانما كان من العرب من النمر بن قاسط قال سعيد
ابن المسيب وعطا اقبل صهيب مهاجرا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فاتبعه نفر من مشركي قريش فنزل عن راحلته ونثل ما كان في كنانته
وقال والله لا يصلوا الى او ارمي بكل سهم معي ثم اضرب بسيفي ما بقي
في يدي وان شئتم دللتكم على مال دفنته بمكة وخليتم سبيلي فقالوا نعم

ففعل فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت ومن الناس من
يشري نفسه ابتغاء مرضات الله الاية فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ربح البيع ابا يحيى وتلا عليه هذه الاية وقال الحسن اتدرون فيم
نزلت هذه الاية نزلت في المسلم يلقى الكافر فيقول له قل لا اله الا الله
فيابى ان يقولها فيقول المسلم والله لاشرين نفسي لله فتقدم فقاتل
وحده حتى قتل وقيل نزلت هذه الاية في الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر قال ابن عباس رضي الله عنهما اي من يشري نفسه ابتغاء مرضات
الله بقوم فيامر هذا بتقوى الله فاذا لم يقبل واخذته العزة بالاثم
قال هذا وانا اشري نفسي لله فقاتل وكان علي كرم الله وجهه اذا
قرا هذه الاية يقول اقتتلا ورب الكعبة وسمع عمر رجلا يقرا هذه
الاية ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله فقال عمر انا
لله وانا اليه راجعون قام رجل فامر بالمعروف ونهى عن المنكر فقتل
عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعظم الجهاد
كلمة عدل عند سلطان جاير اخرجه الترمذي وقال حديث غريب
واما تفسير الاية فذكر المفسرون ان المراد بهذا الشرى البيع ومنه
قوله وشروه اي باعوه والمعنى ان المسلم باع نفسه بثواب الله تعالى
في الدار الاخرة وهذا البيع هو ان يبذل نفسه في طاعة الله من صيام
وصلاة وحج وجهاد وامر بمعروف ونهي عن منكر فكان ما يبذله من نفسه
كالسلعة فصار كالبايع والله تعالى المشتري والثمن هو ثواب الله تعالى
في الاخرة ابتغاء مرضات الله اي طلب رضى الله والله رءوف بالعباد
اي من رافة الله بعباده ان جعل النعيم الدايم في الجنة جزا على العمل
القليل المنقطع ومن رافته انه يقبل توبة عبده ومن رافته ان نفس
العباد واموالهم له ثم انه تعالى يشتري ملكه بملكه فضلا منه ورحمة واحسانا
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة نزلت في
مومني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وذلك لما اسلموا اقاموا
على تعظيم شرايع موسى فعظموا السبت وكرهوا لحوم الابل والبانها وقالوا
ان ترك هذه الاشيا مباح في الاسلام وواجب في التورية وقالوا ايضا
يا رسول الله ان التورية كتاب الله دعنا نلتزم به في صلاتنا بالليل
فانزل الله هذه الاية وامرهم ان يدخلوا في السلم اي في شرايع الاسلام
ولا يتمسكوا بالتورية فانها منسوخة والمعنى استسلموا لله واطيعوه
فيما امركم به وقيل هو خطاب لمن لم يومن بمحمد صلى الله عليه وسلم من
اهل الكتاب والمعنى يا ايها الذين امنوا بموسى وعيسى ادخلوا في السلم
كافة اي في الاسلام وروى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم حين

اتاه عمر فقال انا نسمع احاديث من يهود وتعجبنا فترى ان نكتب
بعضها فقال النبي صلى الله عليه وسلم امتهوكون كما تهوكت اليهود
والنصارى لقد جيتكم بها بيضا نقية ولو ان موسى حيا ما وسعه الا اتباعى
قوله امتهوكون اى متحيرون فى دينكم حتى تاخذوا من اليهود والنصارى
وقوله لقد جيتكم بها يعنى الملة الحنيفية بيضا نقية اى لا تحتاج الى
شى وقيل يحتمل ان يكون خطابا للمنافقين من المومنين والمعنى يا ايها
الذين امنوا بالسنتهم ادخلوا فى السلم اى الانقياد والطاعة لان اصل
السلم الاستسلام وهو الانقياد وكافة اي باجمعكم ولا تتفرقوا وقيل
يحتمل ان يرجع الى الاسلام والمعنى ادخلوا فى احكام الاسلام وشرايعه
كافة وهذا المعنى اليق بظاهر التفسير لانهم امروا بالقيام بها كلها
قال حذيفة بن اليمان فى هذه الاية الاسلام ثمانية اسهم فعل
الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والامر بالمعروف
والنهى عن المنكر وقد خاب من لا سهم له **ولا تتبعوا خطوات الشيطان**
يعنى اثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الابل وغير ذلك
وقيل ولا تلتفتوا الى الشبهات التى يلقيها اليكم اصحاب الضلالة
والغواية والاهوا المضلة لان من اتبع سنة انسان فقد تبع اثره
انه لكم عدو مبين يعنى الشيطان فان **قلت** عداوته بايصال
الضرر والبلا والقا الوسوسة فكيف يصح ذلك الاعتقاد فان الله
هو الفاعل لجميع الاشيا **قلت** انه يحاول ايصال الضرر والبلا الينا
ولكن الله منعه عن ذلك ومعنى الوسوسة فمعلوم انه يزين المعاصى
والقا الشبهات وكل سبب لوقوع الانسان فى مخالفة الله تعالى فيصده
بذلك عن الثواب فهذا من اعظم جهات العداوة فان **قلت**
كيف وصف الشيطان بانه مبين مع انا لا نراه **قلت** ان الله تعالى
بين عداوته وكانه بين وان لم يشاهد **فان زللتم** اى ملتم وضللتم وقال
ابن عباس اشركتم **من بعد ما جاتكم البينات** اى الدلالات الواضحات
فاعلموا ان الله عزيز اى فى نقمته ممن خالفه غالب لا يعجزه شى **حكيم** يعنى
انه لا ينتقم الا بحق والحكيم ذو الاصابة فى الامور كلها وفى الاية وعيد
وتهديد لمن فى قلبه شك ونفاق او عنده شبهة فى الدين قوله عز وجل
هل ينظرون اي ينتظرون التاركون الدخول فى السلم والمتبعون خطوات
الشيطان **الا ان ياتيهم الله فى ظلل** جمع ظلة **من الغمام** يعنى السحاب
الابيض الرقيق سمى غماما لانه يغم ويستر وقيل هو شى غير السحاب ولم
يكن الا لبنى اسرايل فى تيههم وهو كهيئة الضباب الابيض **والملايكة**
اى وتاتيهم الملايكة وروى الطبرى فى تفسيره بسند متصل عن عكرمة

عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من الغمام طاقات ياتى
الله عز وجل فيها محفوفا وذلك قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله فى
ظلل من الغمام والملايكة وقضى الامر قال عكرمة والملايكة حوله وقيل
معناه حول الغمام وقيل حول الرب تبارك وتعالى **واعلم** ان هذه
الاية من ايات الصفات وللعلما فى ايات الصفات واحاديث الصفات
مذهبان احدهما وهو مذهب سلف هذه الامة واعلام اهل السنة
الايمان والتسليم لما جا فى ايات الصفات واحاديث الصفات وانه
يجب علينا الايمان بظاهرها ونؤمن بها كما جات ونكل علمها الى الله
تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم مع الايمان والاعتقاد بان
الله تعالى منزه عن سمات الحدث وعن الحركة والسكون قال الكلبى
هذا من الذى لا يفسر وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به
نفسه فى كتابه وتفسيره قرااته والسكوت عليه ليس لاحد ان يفسره
الا الله ورسوله وكان الزهرى والاوزاعى ومالك وابن المبارك
وسفيان الثورى والليث بن سعد واحمد بن حنبل واسحق بن راهويه
يقولون فى هذه الاية وامثالها اقروها كما جات بلا كيف ولا تشبيه
ولا تاويل هذا مذهب اهل السنة ومعتقد اهل الامة وانشد
بعضهم فى المعنى

عقيدتنا ان ليس مثل صفاته • ولا ذاته شى عقيدة صايب
نسلم ايات الصفات باسرها • واخبارها للظاهر المتقارب
ونويس عنها كنه فهم عقولنا • وتاويلها فعل اللبيب المغالب
ونركب للتسليم سفنا فانها • لتسليم دين المر خير المراكب

المذهب الثانى وهو قول الجمهور من المتكلمين وذلك انه اجمع جميع المتكلمين
من العقلا والمعتبرين من اصحاب النظر انه تعالى منزه عن ذلك
فيستحيل ذلك فى حقه تعالى فثبت بذلك ان ظاهر الاية ليس مرادا
فلا بد من التاويل على سبيل التفصيل فعلى هذا قيل فى معنى الاية
هل ينظرون الا ان ياتيهم الله بالايات فيكون مجى الايات مجيا له
على سبيل التفخيم لشان الايات وقيل معناه الا ان ياتيهم امر الله
ووجه هذا التاويل ان الله تعالى فسره فى اية اخرى فقال هل
ينظرون الا ان تاتيهم الملايكة او ياتى امر ربك فصار هذا الحكم مفسرا
لهذا المجمل فى هذه الاية • وقيل معناه ياتيهم الله بما وعد من الحسنات
والعقاب فحذف ما ياتى به تهويلا عليهم اذ لو ذكر ما ياتى به كان اسهل
عليهم فى باب الوعيد واذا لم يذكر كان ابلغ • وقيل يحتمل ان تكون الفا
بمعنى البا لان بعض الحروف تقوم مقام بعض فيكون المعنى هل ينظرون

الا ان يأتيهم الله بظلل من الغمام والملايكة والمراد العذاب الذى
ياتى من الغمام مع الملايكة • وقيل معناه ما ينظرون الا ان ياتيهم
قهر الله وعذابه فى ظلل من الغمام • فان قلت لم كان اتيان
العذاب فى الغمام • قلت لان الغمام مظنة الرحمة ومنه ينزل
المطر فاذا نزل منه العذاب كان اعظم وافظع • وقيل ان نزول
الغمام علامة لظهور القيمة واهوالها وقضى الامر اى وجب العذاب
وفرغ من الحساب وذلك فرض فصل الله القضا بين العباد يوم
القيمة والى الله ترجع الامور اى الى الله تصير امور العباد فى الاخرة
فان قلت هل كانت ترجع الى غيره • قلت ان امور جميع العباد
ترجع اليه فى الدنيا والاخرة ولكن المراد من هذا اعلام الخلق انه
المجازى على الاعمال بالثواب والعقاب وجواب اخر وهو انه لما
عبد قوم غيره فى الدنيا واضافوا فعاله الى سواه ثم اذا كان يوم
القيمة انكشف الغطا وردوا الى الله ما اضافوه الى غيره فى الدنيا
قوله عز وجل سل بنى اسرائيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم
امره ان يسال يهود المدينة وليس المراد بهذا السوال العلم
بالايات لانه كان صلى الله عليه وسلم قد علمها باعلام الله اياه ولكن
المراد بهذا السوال التوبيخ والتقريع والمبالغة فى الزجر عن الاعراض
عن دلايل الله وترك الشكر وقيل المراد بهذا السوال التقرير وتذكيرهم
النعم التى انعم بها على سلفهم كم اتيناهم من اية بينة اى من دلالة واضحة
على نبوة موسى عليه السلام مثل العصا واليد البيضا وفلق البحر
وانزال المن والسلوى ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته يعنى
يغير الايات التى جاءته من الله لانها هى سبب الهدى والنجاة من الضلالة
وقيل هى حجج الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم
انكروها وبدلوها وقيل المراد بنعم الله عهده الذى عهد اليهم فلم يفوا به
فان الله شديد العقاب يعنى لمن بدل نعمة الله قوله عز وجل
زين للذين كفروا الحيوة الدنيا نزلت فى مشركى العرب ابى جهل واصحابه
لانهم كانوا يتنعمون بما بسط لهم فى الدنيا ويكذبون بالمعاد وقيل
نزلت فى المنافقين عبد الله بن ابى واصحابه وقيل نزلت فى رؤسا
اليهود ويحتمل انها نزلت فى الكل والمزين هو الله تعالى بدليل
قراءة من قرا زين بفتح الزاى وذلك لا يمتنع ان يكون الله تعالى هو
المزين لهم بما اظهر فى الدنيا من الزهرة والنضارة والطيب واللذة
وخلق الاشيا العجيبة والمناظر الحسنة وانما فعل ذلك ابتلا
لعباده وذلك انه جعل الدنيا دار ابتلا وامتحان وركب فى الطباع

الميل الى اللذات وحب الشهوات لا على سبيل الالجا والقسر الذى لا
يمكن تركه بل على سبيل التحبيب الذى تميل النفس اليه مع امكان
ردها عنه فنظر الخلق الى الدنيا اكثر من قدرها فاعجبهم حسنها وزهرتها
فلما زينها فاحبوها وفتنوا بها وقيل ان المراد من التزيين انه تعالى
امهلهم فى الدنيا حتى اقبلوا عليها واحبوها فكان هذا الامهال هو
التزيين وقيل ان المزين هو الشيطان وغواة الجن والانس وذلك
انهم زينوا للكفار الحرص على الدنيا وطلبها وقبحوا لهم امر الاخرة
وقيل اوهموهم ان لا اخرة ليقبلوا على لذات الدنيا والحرص عليها
وهذا التاويل ضعيف لان قوله تعالى زين للذين كفروا يتناول
جميع الكفار فيدخل فيه الشيطان وغواة الجن والانس وان لكلهم
من يزينه لهم وهذا المزين لا بد وان يكون مغاير لهم فثبت
بهذا ضعف قول المعتزلة ويسخرون من الذين امنوا يعنى ان الكفار
يستهزئون بفقرا المؤمنين قال ابن عباس مثل عبد الله بن مسعود
وعمار بن ياسر وصهيب وبلال ونظرايهم • وقيل كانوا يقولون انظروا
الى هؤلا الذين يزعم محمد انه يغلب بهم والذين اتقوا يعنى الفقرا من
المؤمنين فوقهم اى فوق الكفار يوم القيمة لان الفقرا فى عليين
والكفار والمنافقين فى اسفل السافلين عن حارثة بن وهب انه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف
متضعف لو اقسم على الله لابره الا اخبركم باهل النار كل عتل جواظ
جعظرى مستكبر العتل الفظ الغليظ الشديد فى الخصومة الذى
لا ينقاد لخير والجواظ الفاجر المختال فى مشيه وقيل هو القصير
البطين والجعظرى الفظ الغليظ وقيل هو الذى يتمدح بما ليس
فيه او عنده ق عن اسامة بن زيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال
قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين واصحاب الجد
محبوسون غير ان اصحاب النار قد امر بهم الى النار وقمت على باب
النار فاذا عامة من دخلها النسا الجد بفتح الجيم هو الحظ والغنا
وكثرة المال والله يرزق من يشاء بغير حساب قال ابن عباس
يعطى كثيرا بغير مقدار لان كل ما يدخل عليه الحساب فهو قليل
والمعنى انه يوسع لمن يشا من عباده وقيل يرزقه فى الدنيا
ولا يحاسبه فى الاخرة وقيل معناه انه يرزق من يشا من حيث لا
يحتسب وقيل معناه انه يرزقه بغير استحقاق وقيل معناه ان الله
تعالى لا يخاف نفاد ما فى خزاينه حتى يحتاج الى حساب ما يخرج منها
لان الحساب انما يكون ليعلم قدر ما يعطى والله غنى عالم بما يعطى ولا

يخاف نفاد خزاينه لانها بين الكاف والنون وقيل معناه ان الله تعالى
يقتر الرزق على من يشا ويبسط الرزق لمن يشا ولا يعطي كل احد
على قدر حاجته بل يعطي الكثير لمن لا يحتاج اليه ولا معارض له في
حكمه ويحاسب فيما رزق ولا يقال له في ملكه لم ينازعه ولا يسال عما
يفعل وقيل يحتمل ان يكون المراد منه ما يعطي الله المتقين في الاخرة
من الثواب والكرامة بغير محاسبة منه لهم على ما من به عليهم
وذلك ان نعيم الجنة لا نفاد له ولا انقطاع وقيل انه تعالى يعطي
اهل الجنة الثواب والاجر بقدر اعمالهم ثم يتفضل عليهم فذلك
الفضل منه اليهم بغير حساب قوله عز وجل كان الناس امة
واحدة اي على دين واحد قيل هو ادم وذريته كانوا مسلمين على
دين واحد الى ان قتل قابيل هابيل فاختلفوا وقيل كان الناس
على شريعة واحدة من الحق والهدى من وقت ادم الى مبعث نوح
وكانوا مومنين ثم اختلفوا بعد وفاته • وقيل ان العرب كانت
على دين ابراهيم عليه السلام الى ان غيره عمرو بن لحي • وقيل كان الناس
امة واحدة حتى اخرجوا من ظهر ادم لاخذ الميثاق فقال الست بربكم
قالوا بلى فاعترفوا بالعبودية ولم يكونوا امة واحدة غير ذلك
اليوم فلما ثم لما ظهروا الى الوجود اختلفوا بسبب البغي والحسد
وقيل ان ادم وحده كانت امة واحدة يعني اماما وقدوة يقتدى
به وانما ظهر الاختلاف بعده • وقيل كان الناس امة واحدة على
الكفر والباطل بدليل قوله فبعث الله النبيين • فان قيل اليس قد
فيهم كان من هو مسلم نحو هابيل وشيث وادريس ونحوهم فالجواب
ان الغالب في ذلك الزمان كان الكفر والحكم للغالب • وقيل
ان الاية دلت على ان الناس كانوا امة واحدة وليس فيها ما يدل
على انهم كانوا على ايمان او كفر فهو موقوف على دليل من خارج فبعث
الله النبيين وجملتهم مائة الف واربعة وعشرون الفا الرسل منهم
ثلثمائة وثلاثة عشر المذكور منهم باسما الاعلام ثمانية وعشرون نبيا
مبشرين يعني بالثواب لمن امن واطاع ومنذرين يعني مخوفين بالعقاب
لمن كفر وعصى وانما قدم البشارة على الانذار لان البشارة تجري مجرى
حفظ الصحة للابدان والانذار يجري مجرى ازالة المرض ولا شك ان
المقصود هو الاول فكان اولى بالتقديم وانزل معهم الكتاب اي الكتب
او يكون التقدير وانزل مع كل واحد الكتاب بالحق اي بالعدل والصدق
وجملة الكتب المنزلة من السما مائة واربعة كتب انزل على ادم عشر صحايف
وعلى شيث ثلاثون وعلى ادريس خمسون وعلى موسى عشر صحايف والتوراة

وعلى داود الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى محمد صلى الله عليه وسلم
وعليهم القران ليحكم بين الناس يعني الكتاب وانما اضيف الحكم الى
الكتاب وان كان الحاكم هو الله تعالى لانه انزله والمعنى ليحكم الله
بالكتاب الذي انزله وقيل معناه ليحكم بين الناس كل نبي بكتابه
المنزل عليه فاسناد الحكم الى الكتاب او النبي مجاز والله هو الحاكم
في الحقيقة فيما اختلفوا فيه اي في الحق الذي اختلفوا فيه من بعد
ما كانوا متفقين عليه وما اختلف فيه اي في الحق الا الذين اوتوه
اي اعطوا الكتاب والمراد به التورية والانجيل والذين اوتوه
اليهود والنصارى واختلافهم هو تكفير بعضهم بعضا بغيا
وحسدا وقيل اختلافهم هو تحريفهم وتبديلهم وقيل الكناية فيه
راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى وما اختلف في امر
محمد صلى الله عليه وسلم بعد وضوح الدلالات في صحة نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم الا اليهود الذين اوتوا الكتاب بغيا منهم وحسدا
من بعد ما جاءتهم البينات اي الدلالات الواضحات على صحة نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم بغيا بينهم يعني انه لم يبق لهم عذر في العدول
عنه وترك ما جاء به وانما تركوا اتباعه بغيا وحسدا او هو طلب
الدنيا وطلب الرياسة فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه اي الى
ما اختلفوا فيه من الحق وكان اختلافهم الذي اختلفوا فيه الجمعة هـ
هدى الله تعالى هذه الامة الاسلامية اليها ق عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون السابقون يوم
القيمة اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم وهذا اليوم الذي
اختلفوا فيه هدانا الله فغدا لليهود وبعد غد للنصارى وفي رواية
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن الاخرون
السابقون بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض
الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله زاد النسائي يعني يوم الجمعة ثم
اتفقا فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد م عن حذيفة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اضل الله عن الجمعة من كان
قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجا الله بنا فهدانا
ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيمة
نحن الاخرون من اهل الدنيا الاولون يوم القيمة المقضي لهم يوم القيمة
قبل الخلايق وقد اختلفوا في شان القبلة فصلت اليهود نحو المغرب
الى بيت المقدس وصلت النصارى الى المشرق وهدانا الله الى الكعبة
وقيل اختلفوا في الصيام فهدانا الله لشهر رمضان واختلفوا في ابراهيم

فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فهدانا
الله الى الحق فقلنا كان حنيفا مسلما واختلفوا في عيسى بن مريم فاليهود
فرطوا فيه والنصارى افرطوا فيه فهدانا الله في ذلك كله للحق
والمعنى فهدى الله الذين امنوا الى الحق الذي اختلف فيه من
اختلف باذنه يعني بعلمه وامره وارادته والله يهدي من يشا الى
صراط مستقيم قوله عز وجل ام حسبتم ان تدخلوا الجنة نزلت في
غزوة الاحزاب وهي غزوة الخندق وذلك ان المسلمين اصابهم من
الجهد والشدة والخوف والبرد وضيق العيش الذي كانوا فيه يوميذ
وقيل نزلت في غزوة احد وقيل لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه المدينة في اول الهجرة اشتد عليهم الضر لانهم خرجوا بلا
مال وتركوا اموالهم وديارهم بايدي المشركين واثروا رضى الله
ورسوله واظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
واسر قوم النفاق فانزل الله هذه الاية تطييبا لقلوبهم ومعنى
الاية احسبتم والميم صلة وقيل هل حسبتم والمعنى اظننتم ايها
المومنون ان تدخلوا الجنة بمجرد الايمان ولم يصبكم مثل ما اصاب من
كان قبلكم من اتباع الانبيا والرسل من الشدايد والمحن والابتلا
والاختبار وهو قوله ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم اي شبه
الذين مضوا قبلكم من النبيين واتباعهم من المومنين مستهم
البأساء اي اصابهم الفقر والشدة والمسكنة وهو اسم من البوس
والضراء يعني المرض والزمانة وضروب الخوف وزلزلوا اي وحركوا
بانواع البلايا والرزايا واصل الزلزلة الحركة وذلك لان الخايف لا
يستقر بل لا يزال يضطرب ويتحرك لقلقه حتى يقول الرسول والذين
امنوا معه متى نصر الله وذلك لان الرسل اثبت من غيرهم واصبر
واضبط للنفس عند نزول البلا وكذلك اتباعهم من المومنين والمعنى
انه بلغ بهم الجهد والشدة والبلا ولم يبق لهم صبر وذلك هو
الغاية القصوى في الشدة فلما بلغ بهم الحال في الشدة الى هذه
الغاية واستبطوا النصر قيل لهم الا ان نصر الله قريب اجاب
لهم الى طلبتهم والمعنى هكذا كان حالهم لم يغيرهم طول البلا
والشدة عن دينهم الى ان ياتيهم نصر الله فكونوا يا معشر المومنين
كذلك وتحملوا الاذى والشدة والمشقة في طلب الحق فان نصر
الله قريب خ عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر
لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يوخذ الرجل فيحفر له في الارض

فيجعل

فيجعل فيها ثم يوتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين
ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه
والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعا الى حضرموت
لا يخاف الا الله والذيب على غنمه ولكنكم تستعجلون قوله عز وجل
يسيلونك ماذا ينفقون نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا
ذا مال فقال يا رسول الله بماذا نتصدق وعلى من ننفق فانزل الله
تعالى يسيلونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير اي مال ه
والمعنى وما تفعلوا من انفاق شي من المال قل او كثر فللوالدين
وانما قدم الانفاق على الوالدين لوجوب حقهما على الولد لانهما
كانا السبب في اخراجه من العدم الى الوجود والاقربين وانما
ذكر بعد الوالدين الاقربين لان الانسان لا يقدر ان يقوم بمصالح
جميع الفقرا فتقديم القرابة اولى من غيرهم واليتامى وانما ذكر
بعد الاقربين اليتامى لصغرهم ولانهم لا يقدرون على الاكتساب
ولا لهم احد ينفق عليهم والمساكين وانما اخرهم لان حاجتهم اقل من
حاجة غيرهم وابن السبيل يعني المسافر فانه بسبب انقطاعه
عن بلده قد يقع في الحاجة والفقر فانظر الى هذا الترتيب الحسن
العجيب في كيفية الانفاق ثم لما فصل الله هذا التفصيل الحسن
الكامل اتبعه بالاجمال فقال تعالى وما تفعلوا من خير فان الله به
عليم وما تفعلوا من خير مع هولا او غيرهم طلبا لوجه الله تعالى ورضوانه
فان الله به عليم قال ابن مسعود نسختها اية الزكاة وقال الحسن
انها محكمة ووجه احكامها ان الله ذكر فيها من تجب النفقة عليه
مع فقره وهما الوالدان وقال ابن زيد هذا في النفل وهو ظاهر
الاية فمن احب التقرب الى الله تعالى بالانفاق فالاولى به ان ينفق
على الوجوه المذكورة في الاولى فتقدم الاولى فالاولى فان قلت في الاية
سوال وهو انه كيف طابق السوال الجواب وهو انهم سالوا عن بيان
ما ينفقون فاجيبوا ببيان المصرف واجيب عن هذا
السوال بانه قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو
المال ثم ضم الى جواب السوال ما يكمل به المقصود وهو بيان المصرف
لان النفقة لا تعد نفقة الا ان تقع موقعها قال الشاعر
ان الصنيعة لا تعد صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع
قوله عز وجل كتب عليكم القتال اي فرض عليكم الجهاد واختلف
العلما في حكم الاية فقال عطا الجهاد تطوع والمراد من الاية اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم واليه ذهب الثوري

وحكي عن الاوزاعي نحوه وحجة هذا القول ان قوله كتب يقتضي
الايجاب ويكفي العمل به مرة واحدة وحجة من اوجبه على اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوله عليكم يقتضي تخصيص هذا
الخطاب بالموجودين في ذلك الوقت وقيل بل الاية على ظاهرها
والجهاد فرض على كل مسلم ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد واجب عليكم مع كل
امام برا كان او فاجرا اخرجه ابو داود بزيادة فيه ق عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا هجرة بعد
الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا وعلى ان الجهاد
فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط الفرض عن الباقين
وهذا القول هو المختار الذي عليه جمهور العلما قال الزهري
كتب الله القتال على الناس جاهدوا او لم يجاهدوا فمن غزا
فيها ونعمت ومن قعد فهو عدة ان استعين به اعان وان استنفر
نفر وان استغني عنه قعد قال الله تعالى فضل الله المجاهدين
باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى
ولو كان القاعد تاركا فرضا لم يعده بالحسنى واختلف علمانا الناسخ
والمنسوخ في هذه الاية على ثلاثة اقوال احدها انها محكمة ناسخة
للعفو عن المشركين القول الثاني انها منسوخة لان فيها وجوب
الجهاد على الكافة ثم نسخ بقوله تعالى وما كان المومنون لينفروا
كافة القول الثالث انها ناسخة من وجه ومنسوخة من وجه
فالناسخ منه ايجاب الجهاد مع المشركين بعد المنع منه والمنسوخ
ايجاب الجهاد على الكافة وقوله وهو كره لكم اي القتال شاق عليكم
وهذا الكره انما حصل من حيث نفور الطبع عن القتال لما فيه من
مونة المال ومشقة النفس وخطر الروح والخوف لا انهم كرهوا امر الله
وقيل نسخ الكره بقوله تعالى اخبارا عنهم وقالوا سمعنا واطعنا وانما
كراهتهم القتال قبل ان يفرض عليهم لما فيه من الخوف والشدة وكثرة
الاعدا فبين الله تعالى ان الذي تكرهون من القتال هو خير لكم
من تركه لئلا يكرهونه بعد ان فرض عليهم وعسى ان تكرهوا شيئا
وهو خير لكم لفظة عسى توهم الشك مثل لعل وهي من الله يقين
وقيل انها كلمة مطمعة فهي لا تدل على حصول الشك للقايل وتدل
على حصول الشك للمستمع والمعنى ان الغزو فيه احدى الحسنيين
اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة وقيل ربما كان الشي
شاقا في الحال وهو سبب المنافع الجليلة في المستقبل ومثله شرب

الدوا المر فانه ينفر عنه الطبع في الحال لكن يتحمل هذه الكراهة
والمشقة لتوقع حصول الشفا الصحة في المستقبل وعسى ان تحبوا
شيا يعني القعود عن الغزو وهو شر لكم يعني لما فيه من فوت الغنيمة
والاجر وطمع العدو فيكم لانه اذا علم ميلكم الى الراحة والدعة والسكون
قصد بلادكم وحاول قتالكم واذا علم ان فيكم شهامة وجهادة على القتال
كف عنكم والله يعلم يعني ما في الجهاد من الغنيمة والاجر والخير وانتم
لا تعلمون يعني ذلك والمعنى ان العبد اذا علم قصور علمه وكمال علم
الله ثم ان الله تعالى امره بامر كان ذلك الامر فيه مصلحة عظيمة فيجب
على العبد امتثال امر الله تعالى وان كان يشق على النفس في الحال
قوله عز وجل يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه سبب نزول
هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش
وهو ابن عمته في سرية في جمادى الاخرة قبل قتال بدر بشهرين وامره
على السرية وكتب له كتابا وقال له سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب
حتى تسير يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب فاقراه على اصحابك ثم
امض لما امرتك ولا تستكرهن احدا منهم على السير فسار عبد الله
يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم
اما بعد فسر على بركة الله بمن معك من اصحابك حتى تنزل
بطن نخل فارصد بها عير القريش لعلك تاتينا منها بخبر فقال سمعا
وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك وقال انه نهاني ان استكره احدا منكم
فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كان يكره فليرجع ثم مضى ومضى
اصحابه معه وكانوا ثمانية رهط لم يتخلف عنه احد منهم حتى اذا كانوا
بمعدن فوق الفرع بموضع من الحجاز يقال له بحران اضل سعد بن ابي
وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه فتخلفا في طلبه ومضى
عبد الله ببقية اصحابه حتى نزل في بطن نخلة بين مكة والطايف فبينما هم
كذلك مرت بهم عير لقريش تحمل زبيبا وادما وتجارة من تجارة الطايف
وفي العير عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة
ونوفل بن عبد الله المخزوميان فلما راوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فقال عبد الله بن جحش ان القوم
قد ذعروا منكم فاحلقوا راس رجل منكم وليتعرض لهم فاذا راوه محلوقا
امنوا فحلقوا راس عكاشة بن محصن ثم اشرف عليهم فلما راوه امنوا وقالوا
قوم عمار فلا باس علينا وكان ذلك في اخر يوم من جمادى الاخرة وكانوا
يرون انه من رجب فتشاور القوم فيهم وقالوا متى تركتموهم هذه الليلة
ليدخلن الحرم وليمتنعن منكم فاجمعوا امرهم في مواقعة القوم فرمى واقد

ابن عبد الله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله فكان اول قتيل من
المشركين واسر الحكم وعثمان بن كيسان وكانا اول اسيرين في الاسلام
وافلت نوفل فاعجزهم واستاق المسلمون العير والاسيرين حتى
قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش قد استحل
محمد الشهر الحرام وسفك الدما واخذ الحرايب يعني المال وعير
بذلك اهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة
استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لعبد الله بن جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال في
الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين وابى ان ياخذ شيا من ذلك
وعنف المسلمون اصحاب السرية فيما صنعوا وقال لهم صنعتم ما لم
تومروا به فعظم ذلك على اصحاب السرية وظنوا ان قد هلكوا وسقط
في ايديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم امسينا فنظرنا
هلال رجب فلا ندري افي رجب اصبناه ام في جمادى واكثر الناس
في ذلك فانزل الله هذه الاية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
العير فعزل منها الخمس وكان اول خمس في الاسلام واول غنيمة قسمت
فقسم الباقي على اصحاب السرية وبعث اهل مكة في فدا اسيرهم فقال
بل نقفهما حتى يقدم سعد وعقبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما
فاداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم واقام مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالمدينة فقتل يوم بير معونة شهيدا واما عثمان بن عبد الله
فرجع الى مكة فمات بها كافرا واما نوفل فضرب بطن فرسه يوم
الاحزاب ليدخل الخندق فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا
وقتله الله وطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية فاما تفسير الاية
فقوله تعالى يسيلونك يعني يا محمد عن الشهر الحرام يعني رجب فسمي
بذلك لتحريم القتال وفي السايلين رسول الله صلى الله عليه وسلم
قولان احدهما انهم المسلمون سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل
اخطاوا ام اصابوا وقيل ان المسلمين كانوا يعلمون ان القتال في الحرم
وفي الاشهر الحرم لا يحل فلما كتب عليهم القتال سالوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن القتال في الشهر الحرام فنزلت هذه الاية والقول
الثاني ان السايلين هم المشركون وانما سالوه على وجه العيب على
المسلمين فنزلت هذه الاية يسلونك عن الشهر الحرام قتال فيه **قل** يا محمد
قتال فيه كبير اي عظيم مستنكر واختلف العلما في حكم هذه الاية على
قولين احدهما انها محكمة وانه لا يجوز الغزو في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا

فيه

فيه فيقاتلوا على سبيل الدفع روي عن عطا انه كان يحلف بالله ما يحل
للناس ان يغزوا في الشهر الحرام ولا ان يقاتلوا فيه وما نسخت والقول
الثاني عليه جمهور العلما وهو الصحيح انها منسوخة قال سعيد بن
المسيب وسليمان بن يسار القتال جايز في الشهر الحرام وهذه الاية
منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله وقاتلوا المشركين
كافة في الاشهر الحرم وغيرها **وصد عن سبيل الله** هذا ابتدا الكلام والمعنى
وصدكم المسلمين على الحج او وصدوكم عن الاسلام من يريده **وكفر به**
اي بالله **والمسجد الحرام** اي وصدكم عن المسجد الحرام **واخراج اهله
منه** يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين حين اذوهم حتى
هاجروا وتركوا مكة وانما جعلهم اهله لانهم كانوا هم القايمين بحقوق
المسجد الحرام دون المشركين **اكبر عند الله** اي اعظم وزرا عند الله من
القتال في الشهر الحرام **والفتنة** اي الشرك الذي انتم عليه **اكبر من القتل**
اي قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام فلما نزلت هذه الاية كتب عبد الله
ابن انيس وقيل عبد الله بن جحش الى مومني مكة ان عيرهم المشركون
بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم بالكفر وباخراج رسول الله صلى الله
عليه وسلم من مكة والمسلمين ومنعهم اياهم من البيت **ولا يزالون** يعني
مشركوا مكة **يقاتلونكم** يعني يا معشر المومنين **حتى يردوكم عن دينكم**
يعني الى دينهم وهو الكفر **ان استطاعوا** يعني ان قدروا على ذلك
وفيه استبعاد لاستطاعتهم فهو كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا
تبق علي وهو واثق انه لا يظفر به **ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت
وهو كافر** يعني ومن يطاوعهم منكم فيرجع الى دينهم فيمت على ردته قبل
ان يتوب **فاوليك حبطت اعمالهم** اي بطلت اعمالهم **في الدنيا
والاخرة** وهو ان يقتل المرتد وتبين زوجته منه ولا يستحق الميراث من
اقاربه المومنين ولا ينصر ان استنصر ولا يمدح ولا يثنى عليه ويكون ماله
فيا للمسلمين في هذه الدنيا ولا يستحق الثواب على اعماله ويحبط اجرها
في الاخرة وظاهر الاية يقتضي ان الارتداد انما تتفرع عليه الاحكام اذا
مات المرتد على الكفر اما اذا اسلم بعد الردة لم يثبت عليه شي من احكام
الردة وفيه دليل للشافعي ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت المرتد على
ردته وعند ابي حنيفة ان الردة تحبط العمل وان اسلم **واوليك اصحاب
النار** يعني الذين ماتوا على الردة والكفر هم اصحاب النار **هم فيها خالدون**
اي لا يخرجون منها ابدا **ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا
في سبيل الله** نزلت في عبد الله بن جحش واصحابه وذلك ان اصحاب
السرية قالوا يا رسول الله هل نوجر على وجهنا هذا ونطمع ان يكون لنا

غزو فانزل الله هذه الاية وعن جندب بن عبد الله قال لما كان من
امر عبد الله بن جحش واصحابه وامر ابن الحضرمي ما كان قال بعض
المسلمين ان لم يكونوا اصابوا في سفرهم وزرا فليس لهم فيه اجر فانزل
الله هذه الاية ان الذين امنوا والذين هاجروا اي فارقوا مساكنهم
وعشايرهم واموالهم وفارقوا مساكنهم المشركين في امصارهم
ومجاورتهم في ديارهم فتحولوا عن المشركين وعن بلادهم الى غيرها
وجاهدوا يعني المشركين في سبيل الله اي في طاعة الله فجعل الله
لاصحاب هذه السرية جهادا اولئك يرجون رحمة الله اي يطمعون
في نيل رحمة الله على رجا الرحمة وقيل المراد من الرجا هنا القطع من
اصل الثوب وانما دخل الظن في كميته ووقته قال قتادة اثنى الله
تعالى على اصحاب محمد احسن الثنا فقال ان الذين امنوا والذين
هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله هولا
هم خيار الامة هذه ثم جعلهم الله اهل رجا كما تسمعون وانه من رجا
طلب ومن خاف هرب والله غفور اي لذنوب عباده رحيم بهم والمعنى
انه تعالى غفر لعبد الرحمن بن جحش واصحابه ما لم يعلموا به **قوله**
عز وجل يسئلونك عن الخمر والميسر الاية نزلت في عمر بن الخطاب
ومعاذ بن جبل وجماعة من الانصار اتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا يا رسول الله افتنا في الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقل
مسلبة للمال فانزل الله هذه الاية واصل الخمر في اللغة الستر والتغطية
وسميت الخمر خمرا لانها تخامر العقل اي تخالطه وقيل لانها تستره
وتغطيه وجملة القول في تحريم الخمر ان الله عز وجل انزل في الخمر اربع
ايات نزل بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا
ورزقا حسنا فكان المسلمون يشربونها في اول الاسلام وهي لهم حلال
ثم نزلت بالمدينة في جواب سوال عمر ومعاذ يسئلونك عن الخمر والميسر
قل فيهما اثم كبير فتركها قوم لقوله قل فيهما اثم كبير وشربها قوم
لقوله ومنافع للناس ثم ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما ودعى
اليه ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطعمهم وسقاهم
الخمر وحضرت صلاة المغرب فقدموا احدهم ليصلي بهم فقرا قل يا ايها
الكافرون اعبد ما تعبدون بحذف حرف لا الى اخر السورة فانزل
الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى
تعلموا ما تقولون فحرم الله السكر في اوقات الصلوات فترك قوم
شربها وترك قوم شربها في اوقات الصلوات وكان الرجل يشربها
بعد صلاة العشا فيصبح وقد زال سكره فيصلي الصبح ويشربها بعد

صلاة الصبح فيصحو وقت صلاة الظهر ثم ان عتبان بن ملك اتخذ
صنيعا يعني وليمة ودعى رجالا من المسلمين فيهم سعد بن ابي وقاص
وكان قد شوى لهم راس بعير فاكلوا وشربوا الخمر حتى اخذت منهم
فافتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الاشعار فانشد سعد
قصيدة فيها فخر قومه وهجا الانصار فاخذ رجل من الانصار لحى بعير
فضرب به راس سعد فشجه موضحة فانطلق سعد الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وشكى اليه الانصاري فقال عمر اللهم بين لنا في
الخمر بيانا شافيا ويروى ان حمزة بن عبد المطلب شرب الخمر يوما
وخرج فلقي رجلا من الانصار وبيده ناضح له والانصاري يتمثل ببيتين
لكعب بن ملك يمدح قومه وهما

جمعنا مع الايوا نصرا وهجرة • فلم ير حي مثلنا في المعاشر •
فاحياونا من خير احيا من مضى • واموا تنا من خير اهل المقابر •

فقال حمزة اولئك المهاجرون وقال الانصاري بل نحن الانصار فتنازعا
فجرد حمزة سيفه وعدا على الانصاري فهرب الانصاري وترك ناضحه
فقطعه حمزة وجا الانصاري مستعديا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخبره بفعل حمزة فغرم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ناضحا
فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فانزل الله تعالى الاية التي
في المايدة الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وذلك بعد
غزوة الاحزاب بايام والحكمة وقوع التحريم على هذا الترتيب ان الله تعالى
علم ان القوم الفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فعلم انه لو
منعهم من الخمر دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فلاجرم استعمل هذا التدريج
وهذا الرفق قال انس حرمت الخمر ولم يكن يوميذ للعرب عيش اعجب منها
ولا حرم عليهم شي اشد من الخمر ق عن انس قال ما كان لنا خمر غير فضيخكم
واني لقايم اسقي ابا طلحة وابا ايوب وفلانا وفلانا اذ جا رجل فقال
حرمت الخمر فقالوا اهرق هذه القلال يا انس فما سالوه عنها ولا راجعوه
بعد خبر الرجل الفضيخ بالضاد والخا المعجمتين شراب يتخذ من بسر
مطبوخ والمفضوخ المشدوخ والمكسور والاهراق الصب والقلال جمع
قلة وهي الجر الكبير **فصل** في تحريم الخمرة ووعيد من شربها
اجتمعت الامة على تحريم الخمر وانه يحد من شربها ويفسق بذلك مع
اعتقاد تحريمها فان استحلها كفر بذلك ووجب قتله ق عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن
شرب الخمر في الدنيا ومات وهو يدمنها لم يتب منها لم يشربها في الاخرة
لفظ مسلم م عن جابر ان رجلا قدم من جيشان وجيشان من اليمن فسال

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بارضهم من
الذرة يقال له المزر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مسكر هو
قال نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وان على
الله عهدا لمن يشرب الخمر المسكر ان يسقيه من طينة الخبال قالوا يا
رسول الله وما طينة الخبال قال عرق اهل النار او عصارة اهل
النار وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر
خمر وكل مسكر حرام ومن شرب مسكرا بخست صلاته اربعين
صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة كان حقا على الله
ان يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال يا رسول الله قال
صديد اهل النار اخرجه ابو داود وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شرب الخمر فجعلها في
بطنه لم يقبل منه صلاة سبعا وان مات فيها مات كافرا فان
اذهبت عقله عن شي من الفرايض وفي رواية عن القران لم تقبل
صلاته اربعين يوما وان مات فيها مات كافرا اخرجه النساي
عن عثمان بن عفان قال اجتنبوا الخمر فانها ام الخبايث فانها والله
لا تجتمع والايمان وادمان الخمر الا يوشك ان يخرج احدهما صاحبه
اخرجه النساي موقوفا عليه وفيه قصة عن انس قال لعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها
وساقيها وحاملها والمحمولة اليه وبايعها ومبتاعها وواهبها واكل
ثمنها اخرجه الترمذي **فصل** في احكام تتعلق بالخمر
فيه مسايل الاولى في ماهيتها قال الشافعي الخمر عبارة عن عصير
العنب الشديد الذي قذف بالزبد وكذلك نقيع الزبيب والتمر
والمتخذ من العسل والحنطة والشعير والارز والذرة وكل ما اسكر
فهو خمر وقال ابو حنيفة الخمر من العنب والرطب ونقيع التمر والزبيب
فان طبخ حتى ذهب ثلثاه حل شربه والمسكر منه حرام واحتج على ذلك
بما روي عن عمر بن الخطاب انه كتب الى بعض عماله ان ارزق المسلمين
من الطلا ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه وفي رواية اما بعد فاطبخوا شرابكم
حتى يذهب منه نصيب الشيطان فان له اثنين ولكم واحد اخرجه
النساي الطلا بكسر الطا والمد الشراب المطبوخ من عصير العنب
الذي ذهب ثلثاه وبقي ثلثه واحتج ايضا بما روي عن ابن عباس
قال حرمت الخمر بعينها قليلها وكثيرها والمسكر من كل شراب اخرجه
النساي واستدل ايضا على ان المسكر حرام بما روي عن ابي
الاحوص عن القاسم عن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي بردة ان النبي

صلى

صلى الله عليه وسلم قال اشربوا ولا تسكروا وعن عايشة نحوه واخرجه
النساي وقال هذا حديث غير ثابت واستدل الشافعي على ان الخمر
من عدة اشيا بما روي عن ابن عمر ان عمر قال على منبر رسول الله صلى
الله عليه وسلم اما بعد ايها الناس انه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة
العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والخمر ما خامر العقل وثلاث
وددت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا عهدا ننتهي اليه
الجد والكلالة وابواب من ابواب الربا اخرجه البخاري ق عن عايشة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال عن البتع فقال كل شراب اسكر
فهو حرام البتع شراب يتخذ من العسل كان اهل اليمن يشربونه عن
النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من العنب خمرا
وان من البر خمرا وان من الشعير خمرا وان من التمر خمرا اخرجه ابو داود
وزاد في رواية والذرة وانا انهاكم عن كل مسكر وللترمذي نحوه وزادوا
ان من العسل خمرا خ عن ابن عباس انه سيل عن الباذق فقال سبق حكم
محمد الباذق فما اسكر فهو حرام عليكم الشراب الحلال الطيب ليس بعد
الحلال الطيب الا الحرام الخبيث قال صاحب المطالع الباذق بفتح الذال
المعجمة وهو الطلا المطبوخ من عصير العنب كان اول من صنعه
وسماه بنو امية لينقلوه عن اسم الخمر وكل ما اسكر فهو خمر لان الاسم لا
ينقله عن معناه الموجود فيه وقال ابن الاثير في النهاية الباذق الخمر
تعريب باذه وهو الاسم الخمر بالفارسية اي لم يكن في زمانه او سبق قوله
فيها او في غيرها من جنسها وقيل معناه سبق حكم محمد صلى الله عليه وسلم
ان ما اسكر فهو حرام عن ام سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن كل مسكر ومفتر اخرجه ابو داود المفتر كل شراب احمى الجسد
وصار فيه فتور وضعف وانكسار واستدل الشافعي على ما اسكر كثيره
فقليله حرام بما روي عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ما اسكر كثيره فقليله حرام اخرجه الترمذي وابو داود وعن
عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وما اسكر منه
الفرق فملو الكف منه حرام اخرجه ابو داود والنساي وفي رواية له
والحسوة منه حرام الفرق بالتحريك مكيال تسع ستة عشر رطلا ٥
بالبغدادي **واجيب** عن حديث عمر في الطلا انه معارض
بما روي عن السايب بن يزيد ان عمر قال وجدت من فلان ريح شراب
وزعم انه شرب الطلا وانا سايل عنه فان كان يسكر جلدته فسال فقيل
انه يسكر فجلده عمر الحد تاما اخرجه مالك في الموطا واما حديث ابن
عباس فهو موقوف عليه ومعارض بما روي عنه في الباذق **وقوله**

والمسكر من كل شراب فقد رواه الحفاظ السكر بفتح السين قال صاحب
الغريبين السكر خمر الاعاجم ويقال لما يسكر السكر وروى هذا الحديث
ابن حنبل وقال فيه والمسكر من كل شراب وقال موسى بن هارون وهو
الصواب واما حديث ابى الاحوص ففيه وهمان احدهما فى سنده حيث
قال عن ابى بردة وانما يرويه سماك عن القاسم عن ابن بريدة عن ابيه
والوهم الثانى فى متنه حديث قال اشربوا ولا تسكروا وانما يرويه
الناس ولا تشربوا مسكرا ويدل على صحة هذا ما روى مسلم فى صحيحه
عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كنت نهيتكم عن الاشربة فى ظروف الادم فاشربوا فى كل
وعاء غير ان لا تشربوا مسكرا وقال النسائى فى حديث ابى الاحوص
هذا حديث منكر غلط فيه ابو الاحوص سلام بن سليم لا يعلم ان احدا
تابعه عليه من اصحاب سماك واما حديث عائشة ففيه نهو غير ثابت
كما تقدم من قول النسائى **المسئلة** الثانية فى الحكم بنجاسة الخمر وما
يلتحق بها نجاسة العين ويدل على نجاستها قوله تعالى انما الخمر والميسر
والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه والرجس فى
اللغة النجس والشئ المستقذر وبقوله تعالى فاجتنبوه فامر باجتنابها
فكانت نجسة العين ويدل على نجاستها ايضا انها محرمة التناول
لا للاحترام ولان الناس مشغوفون بها فينبغى ان يحكم بنجاستها تاكيدا
للزجر عنها **المسئلة** الثالثة فى تحريم بيعها والانتفاع اجتمعت
الامة على تحريم بيع الخمر والانتفاع بها وتحريم ثمنها ويدل على ذلك
ما روى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
عام فتح مكة ان الله تعالى حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام
اخرجاه فى الصحيحين مع زيادة اللفظ **ق** عن عائشة قالت خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت التجارة فى الخمر **ق** عن ابن
عباس قال بلغ عمر بن الخطاب ان فلانا باع خمرا فقال قاتل الله فلانا
الم يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود حرمت
عليهم الشحوم فجملوها فباعوها عن المغيرة بن الشعبة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من باع الخمر فليشقص الخنازير اخرجه
ابو داود وقوله فليشقص الخنازير اى فليقطعها قطعا كما يقطع
الشاة للبيع والمعنى من استحل بيع الخمر فليستحل بيع الخنازير فانهما
فى التحريم سواء عن ابى طلحة قال يا نبى الله انى اشتريت خمرا لايتام فى
حجرى فقال اهرق الخمر واكسر الدنان اخرجه الترمذى وقال وقد
روى انس ان ابا طلحة كان عنده خمر لايتام وهو اصح **فان قلت**

فما وجه قوله تعالى ومنافع للناس **قلت** منافعها اللذة التى
توجد عند شربها والفرح والطرب معها وما كانوا يصيبون من الربح
من ثمنها وكان ذلك قبل التحريم فلما حرمت الخمر حرم ذلك كله

فصل واما الميسر فهو القمار واشتقاقه من اليسر لانه
اخذ مال بسهولة من غير تعب وكذا قال ابن عباس كان الرجل فى
الجاهلية يقامر الرجل على اهله وماله فايهما قمر صاحبه ذهب
باهله وماله فانزل الله هذه الاية واصل الميسر ان اهل الثروة
من العرب فى الجاهلية يشترون جزورا فينحرونها ويجزونها ثمانية
وعشرين جزءا ثم يسهمون عليها بعشرة اقداح يقال لها الازلام والاقلام
واسماؤها الفذ والتوم والرقيب والحلس والمنافس والمسبل والمعلى
والمنيح والسفيح والوغد وكانوا يسهمون لسبعة منها انصباء فللفذ
منها سهم وللتوم سهمين وللرقيب ثلاثة اسهم وللحلس اربعة وللمنافس
خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة وثلاثة من القداح لا انصباء لها
وهى المنيح والسفيح والوغد قال بعضهم لى فى الدنيا سهام ليس فيهن
ربيح سهمى وغد ومنيح وسفيح ثم يجعلون القداح فى خريطة فيسمونها
الربابة ويضعونها على يد رجل عدل عندهم يسمونه المجيل والمفيض
فيجيلها فى الخريطة ويخرج منها قدحا باسم رجل منهم فايهم خرج اسمه
اخذ نصيبه على قدر ما يخرج من القداح وان خرج له قدح من
الثلاثة التى لا انصباء لها لم ياخذ منه شيئا وغرم ثمن الجزور كله وقيل
لا ياخذ ولا يغرم ويسمون ذلك القدح لغوا ثم يدفعون ذلك الجزور
الى الفقراء ولا ياكلون منه شيئا وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لا
يفعله ويسمونه البرم يعنى البخيل الذى لا يخرج شيئا بين الاصحاب
بخلا **واما حكم الاية** فالمراد به جميع انواع القمار وكل شئ فيه
قمار فهو من الميسر وروى عن ابن سيرين ومجاهد وعطا كل شئ فيه
خطر فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب واما النرد
فيحرم اللعب به سوا كان بخطر ام لا ويدل على تحريمه ما روى عن بريدة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لعب بالنردشير فكانما
صبغ يده فى دم خنزير اخرجه مسلم وعن ابى موسى قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من لعب بنرد او بنردشير فقد عصى الله ورسوله
اخرجه ابو داود وعن على بن ابى طالب قال النرد والشطرنج من الميسر
واختلفوا فى الشطرنج فمذهب ابى حنيفة انه يحرم اللعب به سوا كان
برهن او بغير رهن ومذهب الشافعى انه مباح بشروط ذكرها الشافعى
فقال اذا خلا الشطرنج عن الرهان واللسان عن الطغيان ويروى عن

الهذيان والصلاة عن السنبات لم يكن حراما وهو خارج عن الميسر لان
الميسر ما يوجب دفع مال واخذ مال وهذا ليس كذلك وقوله تعالى
قل فيهما يعنى فى الخمر والميسر **اثم كبير** اى وزر عظيم وقيل ان الخمر
عدو للعقل فاذا غلبت على عقل الانسان ارتكب كل قبيح ففى ذلك
اثم كبير منها اقدامه على شرب الخمر ومنها فعل ما لا يحل فعله واما
الاثم الكبير فى الميسر فهو اكل المال الحرام بالباطل وما يجرى بينهما
من الشتم والمخاصمة والمعاداة وكل ذلك فيه اثام كثيرة **ومنافع
للناس** يعنى انهم كانوا يربحون فى الخمر قبل تحريمها واما منافع الميسر
فهو اخذ مال بغير كد ولا تعب قيل وربما ان الواحد منهم كان يقمر
فى المجلس الواحد مائة بعير فيحصل له المال الكثير وربما كان
يصرفه الى المحتاجين فيكتسب بذلك الثنا والمدح وهو المنفعة •
واثمهما اكبر من نفعهما يعنى اثمهما بعد التحريم اكبر من نفعهما قبل
التحريم وقيل اثمهما قوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم ۵
العداوة والبغضا فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة
فهذه ذنوب يترتب عليها اثام كثيرة بسبب الخمر والميسر قوله تعالى
ويسئلونك ماذا ينفقون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حضهم على الصدقة فقالوا ماذا ننفق فقال الله تعالى **قل العفو**
يعنى الفضل والعفو ما فضل عن قدر الحاجة وكانت الصحابة يكسبون
المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفاضل بحكم هذه الاية ثم
نسخ ذلك باية الزكاة وقيل هو التصدق عن ظهر غنى **ق** عن ابى هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما كان عن
ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدا بمن تعول وقيل
هو الوسط فى الانفاق من غير اسراف ولا اقتار وقيل فى هو صدقة
التطوع اذ لو كان المراد بهذا الانفاق الواجب لبين الله قدره فلما
لم يبينه دل ذلك على ان المراد به صدقة التطوع **كذلك يبين الله
لكم الايات** اى يبين لكم الامور التى سالتم عنها من وجوه الانفاق ومصارفه
لعلكم تتفكرون فى الدنيا والاخرة يعنى فتاخذون ما يصلحكم فى
الدنيا وتنفقون الباقى فينفعكم فى الاخرة وقيل لعلكم تتفكرون فى
زوال الدنيا وتزهدوا فيها وفى اقبال الاخرة وبقائها فترغبوا فيها
قوله عز وجل **ويسئلونك عن اليتامى** قال ابن عباس لما
نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما تحرج المسلمون من اموال
اليتامى تحرجا شديدا حتى عزلوا اموالهم عن اموالهم وتركوا مخالطتهم
وكان يصنع لليتيم الطعام فيفضل منه فيتركوه ولا ياكلوه فاشتد

ذلك

ذلك عليهم فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى
ويسئلونك عن اليتامى **قل اصلاح لهم خير** اى اصلاح اموال اليتامى
من غير اخذ اجرة ولا عوض خير لكم اى اعظم اجرا وقيل هو ان يوسع على
اليتيم من طعام نفسه ولا يتوسع من طعام اليتيم **وان تخالطوهم**
يعنى فى الطعام والخدمة والسكنى وهذا فيه اباحة المخالطة اى
شاركوهم فى اموالهم واخلطوها باموالكم ونفقاتكم ومساكنكم وخدمكم
ودوابكم فتصيبوا فى اموالهم عوضا من قيامكم بامورهم او تكافئوهم
على ما يصيبون من اموالكم **فاخوانكم** اى فهم اخوانكم والاخوان
يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من مال بعض على وجه الاصلاح
والرضى **والله يعلم المفسد من المصلح** يعنى المفسد لمال اليتيم والمصلح
له ويعلم الذى يقصد بالمخالطة الخيانة واكل مال اليتيم بغير حق
والذى يقصد الاصلاح **ولو شا الله لاعنتكم** اى يضيق عليكم وما
اباح لكم مخالطتهم واصل العنت الشدة والمشقة والمعنى لكلفكم فى كل
شي ما يشق عليكم **ان الله عزيز حكيم** اى غالب يقدر ان يشق على
عباده ويعنتهم ولكنه حكيم لا يكلف عباده الا ما تتسع فيه طاقتهم
قوله عز وجل **ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن** نزلت فى ابى مرثد
ابن ابى مرثد الغنوى واسم ابى مرثد يسار بن حصين بعثه رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا فلما
قدمها سمعت به امراة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته فى الجاهلية
فاتته فقالت الا تخلو فقال ويحك يا عناق الاسلام حال بيننا وبين
ذلك فقالت هل لك ان تتزوج بى قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم استامره فقالت ابى تتبرم واستعانت عليه فضربوه
ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما قضى حاجته بمكة وانصرف الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم اعلمه بما كان من امره وامر عناق وما لقى
بسببها وقال يا رسول الله ايحل لى ان اتزوجها فانزل الله هذه الاية
واصل النكاح فى اللغة الوطى ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح ومعنى
الاية ولا تنكحوا ايها المومنون المشركات حتى يومن اى يصدقن
الله ورسوله وهو الاقرار بالشهادة والتزام احكام المسلمين واختلف
العلما فى حكم هذه الاية فقيل انها على كل مشركة يحرم نكاحها على كل
مسلم من اى اجناس الشرك كانت كالوثنية والمجوسية والنصرانية
وغيرهم من اصناف المشركات ثم استثنى الله تعالى من ذلك
نكاح الحراير الكتابيات بقوله تعالى والمحصنات من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم فاباح الله تعالى نكاحهن بهذه الاية

قال ابن عباس في قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يومن ثم استثنى
نسا اهل الكتاب فقال والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من
قبلكم وقيل ان حكم الاية نزل في مشركات العرب الوثنيات خاصة
ولم ينسخ منها شي ولم يستثن وانما حكمها عام مخصوص قال قتادة ولا
تنكحوا المشركات حتى يومن يعني مشركات العرب اللاتي ليس فيهن
كتاب يقرانه وبيان هذا في مسيلة وهي ان لفظ المشرك على من يطلق
فالاكثرون من العلما وهو القول الصحيح المختار لفظ الشرك يندرج
فيه اهل الكتاب من اليهود والنصارى يطلق عليهم اسم الشرك فقوله
تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله
ثم قال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح
ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه
عما يشركون فهذه الاية صريحة في شرك اليهود والنصارى وقيل
كل من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم وان زعم ان الله تعالى واحد
فهو مشرك وذلك ان من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم مع صحة
نبوته وظهور معجزاته فقد زعم ان ما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم
هو من عند غير الله فقد اشرك مع الله غيره فعلى هذا القول ايضا
يدخل فيه اليهود والنصارى لانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل ان اسم الشرك لا يتناول الا عبدة الاوثان فقط الاول اصح لما
تقدم من الادلة فعلى قول من قال ان اسم الشرك لا يتناول الا الوثنيات
تكون الاية محكمة في حق الوثنيات منسوخة في حق الكتابيات وقوله
تعالى **ولامة مومنة خير** يعني انفع واصلح وافضل **من مشركة** يعني
حرة **ولو اعجبتكم** يعني بجمالها ومالها ونسبها فالامة المومنة خير
وافضل عند الله من الحرة المشركة نزلت في خنسا وليدة كانت لحذيفة
ابن اليمان قال يا خنسا ذكرت في الملا الاعلى على سوادك ودمامتك
ثم اعتقها وتزوجها وقيل نزلت في عبد الله بن رواحة وقد كانت
عنده امة سودا فغضب عليها يوما فلطمها ثم فزع فاتى النبي صلى
الله عليه وسلم فاخبره فقال وما هي يا عبد الله قال هي تشهد
ان لا اله الا الله وانك رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضو
وتصلي قال هذه مومنة قال عبد الله فوالذي بعثك بالحق
لاعتقنها ولاتزوجنها ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا
اتنكح امة وعرضوا عليه حرة مشركة فانزل الله هذه الاية
ولا تنكحوا المشركين حتى يومنوا هذا خطاب لاوليا المراة اي لا
تزوجوا المسلمة من المشركين حرم على المومنات ان ينكحن مشركا

من اي اصناف الشرك كان وانعقد الاجماع على انه لا يجوز للمسلمة
ان تتزوج بالمشرك **ولعبد مومن خير من مشرك** يعني حر **ولو اعجبكم**
يعني اعجبكم بحسنه وماله وجماله **اوليك يدعون الى النار**
يعني يدعون الى الشرك الذي يودي الى النار **والله يدعوا الى
الجنة والمغفرة باذنه** يعني انه تعالى لما بين هذه الاحكام واباح
بعضها وحرم بعضها فاعملوا بما امركم به وانتهوا عما نهاكم عنه
فانه من عمل بذلك استحق الجنة والمغفرة باذنه اي بتيسير الله
وارادته وتوفيقه **ويبين اياته للناس** اي يوضح ادلته وحججه
باوامره ونواهيه واحكامه **لعلهم يتذكرون** اي فيتعظون ٥
قوله عز وجل **ويسيلونك عن المحيض** م عن انس ان اليهود
كانوا اذا حاضت المراة فيهم لم يواكلوها ولم يجامعوها في البيوت
فسال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ٥
ويسالونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النسا في المحيض الى
اخر الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شي الا
النكاح فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل ان يدع من امرنا
شيا الا خالفنا فيه فجا اسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا يا رسول الله
ان اليهود تقول كذا وكذا فلا نجامعهن فتغير وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى ظننا ان قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل في اثارهما فسقاهما فعرفنا
انه لم يجد عليهما الوجد الغضب واصل الحيض السيلان والانفجار يقال
حاض الوادي اذا سال وفاض ماوه **قل هو اذى** اي هو شي قذر والاذى
في اللغة ما يكره من كل شي **فاعتزلوا النسا في المحيض** اي فاجتنبوا
مجامعتهن **ولا تقربوهن** يعني بالوطي والمجامعة فهو كالتوكيد لقوله
فاعتزلوا النسا في المحيض **حتى يطهرن** يعني من الحيض والمعنى ولا
تقربوهن حتى يزول عنهن الدم وقرى يطهرن بتشديد الطا ومعناه
حتى يغتسلن **فاذا تطهرن** اي اغتسلن من حيضهن **فاتوهن من
حيث امركم الله** قال ابن عباس وطوهن في الفرج ولا تعدوا الى غيره
فانه هو الذي امر الله به ولا تاتوهن في غير الماتى وقيل فاتوهن من
الوجه الذي امركم به وهو الطهر وقيل معناه واتوهن من حيث يحل
لكم غشيانهن وذلك بان لا يكن صايمات ولا معتكفات ولا محرمات

فصل في حكم الاية

وفيه مسايل المسيلة الاولى اجمع
المسلمون على تحريم الجماع في زمن الحيض ومستحله كافر عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اتى حايضا او امراة في دبرها او كاهنا

فقد كفر بما انزل على محمد اخرجه الترمذي وقال انما معنى هذا عند
اهل العلم على التغليظ ومن فعله وهو عالم بالتحريم عزره الامام وفي
وجوب الكفارة قولان احدهما انه يستغفر الله ويتوب اليه ولا كفارة
عليه وهو قول ابي حنيفة والشافعي في الجديد والقول الثاني انه يجب
عليه الكفارة وهو القول القديم للشافعي وبه قال احمد بن حنبل
لما روي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل يقع على
امراته وهي حايض قال يتصدق بنصف دينار وفي رواية قال اذا كان
دما احمر فدينار وان كان دما اصفر فنصف دينار اخرجه الترمذي
وقال رفعه بعضهم عن ابن عباس ووقفه بعضهم **المسئلة الثانية**
اجمع العلما على جواز الاستمتاع بالمراة الحايض بما فوق السرة ودون
الركبة وعدم جواز مجامعتها وملامستها ويدل على ذلك ما روى عن
عايشة قالت كانت احدانا اذا كانت حايضا واراد رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يباشرها امرها ان تاتزر بازار في فور حيضها
ثم يباشرها وايكم يملك اربه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يملك اربه وفي رواية قالت كنت اغتسل انا ورسول الله صلى الله
عليه وسلم من انا واحد وكلانا جنب وكان يامرني فاتزر فيباشرني
وانا حايض اخرجاه في الصحيحين المراد بالمباشرة الاستمتاع بما دون
الفرج وفور كل شي اوله وابتداوه وقولها يملك اربه يروى بسكون الرا
وهو العضو وبفتحها وهو الحاجة م عن عايشة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ناوليني الخمرة من المسجد قلت انا حايض قال ان
حيضتك ليست في يدك الخمرة حصير صغير مظفور من سعف النخل
او غيره بقدر الكف **وقوله** من المسجد يعني ناوليها من المسجد
لانه صلى الله عليه وسلم كان معتكفا في المسجد وعايشة في حجرتها
فطلب منها الخمرة وهي حايض **المسئلة الثالثة** يحرم على الحايض الصوم
والصلاة ودخول المسجد وقراة القران ومس المصحف وحمله فلو امنت
الحايض من التلويث في عبور المسجد جاز في احد الوجهين قياسا على
الجنب والثاني لا لان حدثها اغلظ ويجب على الحايض قضا الصوم دون
الصلاة لما روي عن معاذة العدوية قالت سالت عايشة ما بال
الحايض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة قالت احرورية انت قلت لست
بحرورية ولكني اسال قالت كان يصيبنا ذلك فنومر بقضا الصوم ولا
نومر بقضا الصلاة اخرجاه في الصحيحين **المسئلة الرابعة** لا يرتفع
شي مما منعه الحايض بانقطاع الدم ما لم تغتسل او تتيمم عند عدم الما
الا الصوم فانها اذا انقطع دمها بالليل ونوت الصوم فانه يصح وان

اغتسلت

اغتسلت في النهار وذهب ابو حنيفة انه يجوز للزوج غشيانها اذا انقطع
الدم لاكثر الحيض وهو عشرة ايام عنده قبل الغسل ومذهب الشافعي
وغيره من العلما انه لا يجوز للزوج غشيانها ما لم تغتسل من الحيض
او تتيمم عند عدم الما لان الله تعالى علق جواز وطي الحايض بشرطين
احدهما انقطاع الدم والثاني الغسل فقال ولا تقربوهن حتى يطهرن
يعني من الحيض فاذا تطهرن يعني اغتسلن فاتوهن من حيث امركم
الله فدل ذلك على ان الوطي لا يحل قبل الغسل وقوله تعالى **ان الله يحب
التوابين** يعني من الذنوب والتواب الذي كلما اذنب جدد توبة
وقيل التواب هو الذي لا يعود الى الذنب **ويحب المتطهرين** يعني من
الاحداث وساير النجاسات بالما وقيل المتطهرين من الشرك وقيل
هم الذين لم يصيبوا الذنوب **قوله عز وجل نساؤكم حرث لكم**
الاية ق عن جابر قال كانت اليهود تقول اذا جامعها من ورايها
جا الولد احول فنزلت نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شيتم وفي رواية
للترمذي كانت اليهود تقول من اتى المراة في قبلها من دبرها وذكر
الحديث وعن ابن عباس قال جا عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله هلكت قال وما اهلكك قال حولت رحلي الليلة قال
فلم يرد عليه شيا فاوحى الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
الاية نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شيتم اقبل وادبر واتق الدبر
والحيضة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح **قوله**
حولت رحلي هو كناية عن الاتيان في غير المحل المعتاد هذا ظاهره
ويجوز ان يريد انه اتاها في المحل المعتاد لكن من جهة ظهرها وعن ابن
عباس قال كان هذا الحي من الانصار وهم اهل وثن مع هذا الحي
من اليهود وهم اهل كتاب فكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم وكانوا
يقتدون بكثير من فعلهم فكان من شان اهل الكتاب ان لا ياتوا النسا
الا على حرف وذلك استر ما تكون المراة وكان هذا الحي من
الانصار قد اخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحي من قريش يشرحون
النسا شرحا منكرا ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات
فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امراة من الانصار فذهب
ان يصنع بها ذلك فانكرته عليه وقالت انا كنا نوتى على حرف فاصنع
ذلك والا فاجتنبني حتى سرى امرهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانزل الله عز وجل نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شيتم
مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعني بذلك موضع الولد اخرجه
ابو داود الوثن الصنم وقيل الصورة لا جثة لها **وقوله** على حرف

الحرف الجانب وحرف كل شى جانبه وقوله يشرحون النسا يقال شرح
فلان جاريته اذا وطيها على قفائها واصل الشرح البسط وقوله
سرى امرها اى ارتفع وعظم وتفاخم واصله من سرى البرق اذا لاح في
اللعان عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله
تعالى نساوكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شيتم في ضمام واحد ويروى
سمام بالسين اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى
حرث لكم معناه مزرع لكم ومنبت للولد وهذا على سبيل التشبيه
تجعل فرج المراة كالارض والنطفة كالبذر فاتوا حرثكم انى شيتم
يعنى كيف شيتم وحيث شيتم اذا كان فى القبل والمعنى كيف شيتم
مقبلة ومدبرة على كل حال اذا كان فى الفرج وفى الاية دليل على
تحريم اتيان النسا فى ادبارهن لان محل الحرث والزرع هو القبل
لا الدبر ويويد ذلك ما روي عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ملعون من اتى امراة فى دبرها اخرجه ابو داود وقال
ابن المسيب هذا فى العزل يعنى ان شيتم فاعزلوا وان شيتم لا تعزلوا
وسيل ابن عباس عن العزل فقال حرثك ان شيت فعطش وان شيت
فزو ويروي عنه انه قال تستامر الحرة فى العزل ولا تستامر الجارية وبه
قال احمد وكره جماعة العزل وقالوا هو الولد الخفي ويروي نافع قال
كنت امسك على ابن عمر المصحف فقرا هذه الاية نساوكم حرث قال
تدري فيما انزلت هذه الاية قلت لا قال نزلت فى رجل اتى امراته في
دبرها فشق ذلك عليه فنزلت هذه الاية ويروي عبد الله بن الحسن
انه لقى سالم بن عبد الله بن عمر فقال له يا عم ما حديث يحدث نافع عن
عبد الله انه لم يكن يري باسا باتيان النسا فى ادبارهن فقال كذب
العبد واخطا انما قال عبد الله يوتون فى فروجهن من ادبارهن ويحكى
عن ملك اباحة ذلك وانكره اصحابه واجمع جمهور العلما على تحريم
اتيان النسا فى ادبارهن وقالوا لان الله حرم الفرج فى حال الحيض
لاجل النجاسة اللازمة ولان الله تعالى نص على ذكر الحرث والحرث
يكون منه نبات الولد فلا يحل العدول عنه الى غيره وقوله تعالى
وقدموا لانفسكم يعنى الولد وقيل قدموا التسمية والدعا عند الجماع ق
عن ابن عباس قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم اذا اراد
ان ياتى اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما
رزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد فى ذلك لم يضره الشيطان ابدا وقيل اراد
به تقديم الافراط ق عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة

القسم معنى قوله الا تحلة القسم يعنى قدر ما يبر الله قسمه فيه وهو
قوله تعالى وان منكم الا واردها فاذا وردها جاوزها فقد ابر قسمه وقيل
قدموا لانفسكم الخير والعمل الصالح بدليل سياق الاية واتقوا الله اى
احذروا ان تاتوا شيا مما نهاكم عنه واعلموا انكم ملاقوه اى صايرون اليه فى
الاخرة فيجزيكم باعمالكم وبشر المومنين يعنى بالكرامة من الله تعالى
قوله عز وجل ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم نزلت فى عبد الله
ابن رواحة كان بينه وبين ختنه بشير بن النعمان شى فحلف عبد الله لا
يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصم له فكان اذا قيل له فيه
يقول قد حلفت بالله ان لا افعل فلا يحل لى الا ان تبر يمينى فانزل الله
هذه الاية وقيل نزلت فى ابى بكر الصديق حين حلف ان لا ينفق على
مسطح حين خاض فى حديث الافك والعرضة ما يجعل معرضا للشى
وقيل العرضة الشدة والقوة وكل ما يعترض فيمنع عن الشى فهو عرضة
والمعنى ولا تجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى
يدعى احدكم الى بر او صلة رحم فيقول قد حلفت بالله لا افعله فيعتل
بيمينه فى ترك البر والاصلاح ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس
قيل معناه لا تحلفوا بالله ان لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس
م عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين
فراي غيرها خيرا منها فلياتها وليكفر عن يمينه وقيل معناه لا تكثروا
الحلف بالله وان كنتم بارين متقين مصلحين فان كثرة الحلف بالله ضرب
من الجراة عليه والله سميع اى لحلفكم عليم يعنى بنياتكم قوله عز وجل
لا يواخذكم الله باللغو فى ايمانكم اللغو كل ساقط مطرح من الكلام وما لا
يعتد به وهو الذى يورد لا عن روية وفكر واللغو فى اليمين هو الذى لا عقد
معه كقول القايل لا والله وبلى والله على ما سبق اللسان من غير قصد
ونية وبه قال الشافعى ويعضده ما روي عن عايشة قالت نزل قوله
تعالى لا يواخذكم الله باللغو فى ايمانكم فى قول الرجل لا والله وبلى والله
اخرجه البخاري موقوفا ورفعه ابو داود وقال قالت عايشة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل فى بيته كلا والله وبلى والله
ورواه عنها ايضا موقوفا وقيل فى معنى اللغو هو ان يحلف الرجل على شى
يراه انه صادق ثم يتبين له خلاف ذلك وبه قال ابو حنيفة ولا كفارة
فيه ولا اثم عليه عنده قال مالك فى الموطا احسن ما سمعت فى ذلك
ان اللغو حلف الانسان على الشى يستيقن انه كذلك ثم يوجد بخلافه
فلا كفارة فيه قال والذى يحلف على الشى وهو يعلم انه فيه اثم كاذب
ليرضى به احدا او يعتذر لمخلوق او يقتطع به مالا فهذا اعظم من ان تكون

فيه كفارة وانما الكفارة على من حلف ان لا يفعل الشي المباح له فعله
ثم يفعله او ان يفعله ثم لا يفعله مثل ان حلف لا يبيع ثوبه بعشرة
دراهم ثم يبيعه بذلك او يحلف ليضربن غلامه ثم لا يضربه وفايدة
الخلاف الذي بين الشافعي وابي حنيفة في لغو اليمين ان الشافعي
لا يوجب الكفارة في قول الرجل لا والله وبلى والله ويوجبها فيما اذا
حلف على شي يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وابو حنيفة يحكم بضد
ذلك ومذهب الشافعي هو قول عايشة والشعبي وعكرمة ومذهب
ابي حنيفة هو قول ابن عباس والحسن ومجاهد والنخعي والزهري
وسليمان بن يسار وقتادة ومكحول وقيل في معنى اللغو ان اليمين في
الغضب وقيل هو ما يقع سهوا من غير قصد البتة ومعنى لا يواخذكم
اي لا يعاقبكم بلغو اليمين **ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم** يعني لكن
يواخذكم بما عزمتم عليه وقصدتم له وكسب القلب هو العقد والنية

فصل في بيان حكم الاية وفيه مسايل

المسيلة الاولى لا ينعقد اليمين الا بالله وباسمايه وصفاته فاما اليمين بالله فهو قول
الرجل والذي نفسي بيده والذي اعبده ونحو ذلك والحلف باسمايه
كقوله والله والرحمن والرحيم والمهيمن ونحو ذلك فاذا حلف بشي من
ذلك ثم حنث فعليه الكفارة المسيلة الثانية لا يجوز الحلف
بغير الله كقوله والكعبة والنبي وابي ونحو ذلك فان حلف بشي من
ذلك لا تنعقد يمينه ولا كفارة عليه ويكره الحلف به لما روي عن
ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ادرك عمر وهو يسير
في ركب وهو يحلف بابيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
ينهاكم ان تحلفوا بابايكم فمن كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت اخرجاه
في الصحيحين المسيلة الثالثة اذا حلف على امر في المستقبل فحنث
فعليه الكفارة وان كان على امر ماض ولم يكن او على انه لم يكن فكان
فان كان عالما به حال حلفه بان يقول والله ما فعلت ولقد فعلت
وما فعل فهذه اليمين الغموس وهي من الكباير لانها تغمس صاحبها
في الاثم ويجب فيها الكفارة عند الشافعي سوا كان عالما او جاهلا
وذهب ابو حنيفة الى انه لا كفارة عليه فان كان عالما فهي كبيرة
وان كان جاهلا فهي من لغو اليمين **والله غفور** يعني العباد
فيما لغو من ايمانهم التي اخبر انه لا يواخذهم عليها ولو شا واخذهم
والزمهم الكفارة في العاجل والعقوبة عليها في الاجل **حليم** يعني
في ترك معاجلة العصاة بالعقوبة قال الحليمي في معنى الحليم
الذي لا يحبس انعامه وافضاله عن عباده لاجل ذنوبهم ولكنه

يرزق

يرزق العاصي كما يرزق المطيع ويبقيه وهو منهمك في معاصيه كما يبقي
البر المتقي وقد يقيه الافات والبلايا وهو غافل لا يذكره فضلا عن
ان يدعوه كما يقي الناسك الذي يدعوه ويساله وقال ابو سليمان
الخطابي الحليم ذو الصفح والاناة الذي لا يستفزه غضب ولا يستخفه
جهل جاهل ولا عصيان عاص ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحليم
انما هو الصفوح مع القدرة على الانتقام المنان الذي لا يعجل
بالعقوبة قوله عز وجل **للذين يولون من نسايهم** اي يولون
يحلفون والالية اليمين قال كثير

• قليل الالايا حافظ ليمينه • وان ندرت منه الالية برت •

والايلا في عرف الشرع هو اليمين على ترك الوطي كما اذا قال والله
لا اجامعك او لا اباضعك او لا اقربك قال ابن عباس كان اهل
الجاهلية اذا طلب الرجل من امراته شيا فابت ان تعطيه حلف
لا يقربها السنة والسنتين والثلاث فيدعها لا ايما ولا ذات
بعل فلما كان الاسلام جعل الله ذلك للمسلمين اربعة اشهر وانزل
هذه الاية وقال سعيد بن المسيب كان الايلا ضرار اهل الجاهلية
وكان الرجل لا يريد امراته ولا يحب ان يتزوجها غيره فيحلف ان لا
يقربها ابدا فيتركها لا ايما ولا ذات بعل وكانوا عليه في ابتدا الاسلام
فجعل الله تعالى له الاجل الذي يعلم به ما عند الرجل في المراة
اربعة اشهر وانزل هذه الاية للذين يولون من نسايهم **تربص**
انتظار **اربعة اشهر** والتربص والتلبث الانتظار **فان فاوا** اي
رجعوا عن اليمين بالوطي والمعنى فان رجعوا عما حلفوا عليه من
ترك جماعها **فان الله غفور رحيم** للزوج اذا تاب من اضراره بامراته
فانه غفور لكل التايبين **فروع** تتعلق بحكم الاية **الفرع
الاول** اذا حلف انه لا يقرب زوجته ابدا او مدة هي اكثر من اربعة
اشهر يوقف الزوج ويومر بالفي وهو الرجوع او الطلاق وذلك بعد
مطالبة الزوجة فان رجع عما قال بالوطي ان قدر عليه او بالقول
مع العجز عنه فان لم يف ولم يطلق طلق عليه الحاكم واحدة وهو قول
عمر وعثمان وابي الدردا وابن عمر قال سليمان بن يسار ادركنا بضعة
عشر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يقول يوقف المولي وذهب
اليه سعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد وبه قال مالك
والشافعي واحمد واسحاق وقال ابن عباس وابن مسعود اذا مضت
مدة اربعة اشهر يقع عليه طلقة باينة وبه قال سفيان الثوري
وابو حنيفة وقال سعيد بن المسيب والزهري يقع عليها طلقة رجعية

الفرع الثاني لو حلف ان لا يطاها اقل من اربعة اشهر فليس بمول بل هو حالف فان وطيها قبل مضي المدة لزمه كفارة يمين **الفرع الثالث** لو حلف لا يطاها اربعة اشهر فليس بمول بعد مضي المدة عند الشافعي لان بقا المدة شرط للوقوف وثبوت المطالبة بالفي او الطلاق وقد مضت المدة وعند ابي حنيفة يكون موليا ويقع الطلاق بمضي المدة **الفرع الرابع** مدة الايلا اربعة اشهر في حق الحر والعبد جميعا عند الشافعي لانها مدة ضربت لمعنى يرجع الى الطبع كمدة العنة وعند مالك وابي حنيفة تتنصف مدة الايلا بالرق غير ان عند ابي حنيفة تتنصف المدة برق المراة وعند مالك برق الزوج كما قالا في الطلاق **الفرع الخامس** اذا وطي خرج من الايلا ويجب عليه كفارة يمين وهذا قول اكثر العلما وقيل لا كفارة عليه لان الله تعالى وعده المغفرة فقال فان فاوا فان الله غفور رحيم ومن قال بوجوب الكفارة عليه قال ذلك في اسقاط العقوبة عنه لا في الكفارة وقوله تعالى **وان عزموا الطلاق** اي حققوه بالايقاع **فان الله سميع** يعني لاقوالهم **عليم** يعني بنياتهم وفيه دليل على انها لا تطلق ما لم يطلقها زوجها لانه تعالى شرط فيه العزم **قوله عز وجل والمطلقات** اي المخليات من حبال ازواجهن والمطلقة هي التي يوقع الزوج عليها الطلاق **يتربصن بانفسهن** اي ينتظرن فلا يتزوجن **ثلاثة قروء** جمع قرء والقرء اسم يقع على الحيض والطهر قال ابو عبيدة الاقرا من الاضداد كالشفق اسم للحمرة والبياض وقيل انه حقيقة في الحيض مجاز في الطهر وقيل بالعكس واختلف في اصله وقيل اصله الجمع من قرء اي جمع لان وقت الحيض يجتمع الدم في الرحم وفي وقت الطهر يجتمع في البدن وقيل اصله الوقت يقال رجع فلان لقريه اي لوقته الذي كان فيه لان الحيض ياتي لوقت والطهر ياتي لوقت وبحسب اهل اللغة في الاقرا اختلف الفقها على قولين احدهما ان الاقرا هي الحيض ويروى ذلك عن عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس وابي موسى وعبادة بن الصامت وابي الدردا وبه قال عكرمة والضحاك والسدي والاوزاعي وسفيان الثوري وابو حنيفة واصحابه وقال احمد بن حنبل كنت اقول ان الاقرا الاطهار وانا اليوم اذهب الي انها الحيض القول الثاني انها الاطهار يروي ذلك عن زيد بن ثابت وابن عمر وعايشة وبه قال الزهري وابان بن عثمان ومالك والشافعي وحجة من يقول بان الاقرا هي الحيض قوله صلى الله عليه وسلم للمستحاضة دعي

الصلاة ايام اقرايك يعني ايام حيضك لان المراة لا تدع الصلاة الا ايام حيضها وحجة من يقول انها الاطهار ان ابن عمر لما طلق امراته وهي حايض قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم ان شا امسك وان شا طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها فاخبر ان زمان العدة هو الطهر لا الحيض ويعضده من اللغة قول الاعشى

وفي كل عام انت جاشم غزوة ۔ تشد لاقصاها عزيم عزايكا
مورثة مالا وفي الحي رفعة ۔ لما ضاع فيها من قروء نسايكا

اراد انه كان يخرج للغزو ولم يغش نساوه فيضيع اقراوهن وانما يضيع بالسفر زمان الطهر لا زمان الحيض وفايدة الخلاف ان مدة العدة عند الشافعي اقصر وعند غيره اطول وذلك ان المعتدة اذا شرعت في الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها وحلت للازواج ويحسب بقية الطهر الذي وقع فيه الطلاق قرء على قول من يجعل الاقراء الاطهار قالت عايشة اذا دخلت المطلقة في الحيضة الثالثة فقد بانت من زوجها وحلت للازواج ويروى عنها انها قالت الطهر القرء ليست بالحيضة قال الشافعي والنسا بهذا اعلم لان هذا مما يبتلى به النسا وان طلقها في حال الحيض فاذا شرعت في الحيضة الرابعة انقضت عدتها وعلى قول من يجعل الاقرا حيضا وهو مذهب ابي حنيفة لا ينقضي عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة ان كان وقع الطلاق في حال الطهر او من الحيضة الرابعة ان وقع في حال الحيض **فان قلت** ما معنى الاخبار عنهن بالتربص في قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن **قلت** هو خبر في صورة معنى الامر واصل الكلام وليتربص المطلقات واخراج الامر في صورة الخبر تاكيد للخبر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة في امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عن موجود ونظيره قولهم في الدعا يرحمك الله اخرج في صورة الخبر ثقة بالاجابة فكانه قال وجدت الرحمة فهو يخبر عنها

فصل في احكام العدد وفيه مسايل **المسيلة الاولى** عدة الحامل تنقضي بوضع الحمل سوا المطلقة والمتوفى عنها زوجها وسوا في ذلك الحرة والامة **المسيلة الثانية** عدة المتوفى عنها سوى الحامل اربعة اشهر وعشرة ايام سوا مات عنها زوجها قبل الدخول او بعده وسوا في ذلك الحايض والامة واليايسة **المسيلة الثالثة** عدة المطلقة المدخول بها وهي ضربان احدهما الحيض فعدتهن بالاقرا وهي ثلاثة اقرا الضرب الثاني الايسات من الحيض اما لكبر او لم تكن

تحض فقط فعدتها ثلاثة اشهر واما المطلقة قبل الدخول فلا عدة
عليها المسيلة الرابعة عدة الاما نصف عدة الحراير فيما له نصف
وفي الاقرا قران لان القرء لا يتنصف قال عمر بن الخطاب ينكح العبد
اثنتين ويطلق تطليقتين وتعتد الامة بحيضتين وقوله تعالى
ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن قال ابن عباس يعني
الولد وقيل الحيض والمعنى انه لا يحل للمراة كتمان ما خلق الله في رحمها
من الحيض والحمل ليبطل بذلك الكتمان حق الزوج من الرجعة
والولد ان كن يومن بالله واليوم الاخر هذا وعيد شديد لتاكيد
تحريم الكتمان وايجاب اداء الامانة في الاخبار عما في الرحم من الحيض
والولد والمعنى ان هذا من فعل المومنات وان كانت المومنة والكافرة
فيه سوا فهو كقوله ادحقي ان كنت مومنا يعني اداء الحقوق من افعال
المومنات وتقول للذي يظلم ان كنت مومنا فلا تظلمني والمعنى ان
يمنعك ايمانك من الظلم وفي سبب وعيد النسا بهذا قولان احدهما
انه لاجل ما يستحقه الزوج من الرجعة قاله ابن عباس والثاني لاجل
الحاق الولد لغير ابيه قاله قتادة وقيل هذا في المراة اذا رغبت في زوجها
تقول اني حايض وان كانت قد طهرت ليراجعها وان كانت زاهدة فيه
كتمت حيضها وتقول قد طهرت لتفويته فنهاهن الله عن ذلك وامرهن
باداء الامانة وبعولتهن احق بردهن في ذلك يعني ازواجهن سمي
الزوج بعلا لقيامه بامر زوجته واصل البعل السيد والمالك والمعنى
وازواجهن اولى برجعتهن وردهن اليهم في ذلك اي في حال العدة
فاذا انقضى وقت العدة فقد بطل حق الرد والرجعة ان ارادوا
اصلاحا يعني ان اراد الزوج بالرجعة الاصلاح وحسن العشرة
لا الاضرار بهن وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يرجعون ويريدون
بذلك الاضرار فنهى الله المومنين عن مثل ذلك وامرهم بالاصلاح
وحسن العشرة بعد الرجعة ولهن يعني وللنسا على الازواج مثل
الذي عليهن يعني للازواج بالمعروف وذلك ان حق الزوجية
لا يتم الا اذا كان كل واحد منهما يراعي حق الاخر فيما له وعليه فيجب
على الزوج ان يقوم بجميع حقها ومصالحها ويجب على الزوجة الانقياد
والطاعة له قال ابن عباس في معنى الاية اني احب ان اتزين لامراتي
كما احب ان تتزين لي لان الله تعالى قال ولهن مثل الذي عليهن
بالمعروف م عن جابر انه ذكر خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة
الوداع وقال فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله
في النسا فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله

ولكم

ولكم عليهن ان لا يوطين فرشكم احدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن
ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف قوله
فاتقوا الله في النسا فيه الحث على الوصية بهن ومراعاة حقوقهن
ومعاشرتهن بالمعروف قوله فانكم اخذتموهن بامانة الله ويروى
بامان الله قوله واستحللتم فروجهن بكلمة الله معناه باباحة
الله والكلمة هي قوله فانكحوا ما طاب لكم من النسا وقيل الكلمة هي
قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان وقيل الكلمة هي كلمة
التوحيد وهي لا اله الا الله محمد رسول الله اذ لا تحل مسلمة لغير مسلم
وقوله ولا يوطين فرشكم احدا تكرهونه معناه فلا ياذن لاحد
يتحدث اليهن وكان من عادة العرب ان يتحدث الرجال مع النسا
ولا يرون ذلك عيبا ولا يعدونه ريبة الى ان نزلت اية الحجاب فنهو
عن ذلك وليس المراد بوطء الفراش نفس الزنا فان ذلك محرم على
كل الوجوه فلا معنى لاشتراط الكراهة فيه ولو كان المراد ذلك لم
يكن الضرب فيه ضربا غير مبرح انما كان فيه الحد والضرب المبرح
وهو الشديد وقوله ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف
يعني بالعدل وفيهن وجوب نفقة الزوجة وكسوتها وذلك ثابت
بالاجماع وقوله تعالى وللرجال عليهن درجة اي منزلة ورفعة
قال ابن عباس بما ساق اليها من المهر وانفق عليها من المال وقيل
ان فضيلة الرجال على النسا بامور منها العقل والشهادة والميراث
والدية وصلاحية الامامة والقضا وللرجل ان يتزوج عليها
ويتسرى وليس لها ذلك وبيد الرجل الطلاق فهو قادر على تطليقها
واذا طلقها رجعية فهو قادر على رجعتها وليس شي من ذلك بيدها
والله عزيز اي غالب لا يمتنع عليه شي حكيم اي في جميع افعاله واحكام
وروى البغوي في سنده عن ابي ظبيان ان معاذ بن جبل خرج في
غزاة بعثه صلى الله عليه وسلم فيها ثم رجع فراى رجالا يسجد بعضهم
لبعض فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو امرت احدا
ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها قوله عز وجل
الطلاق مرتان عن عروة بن الزبير قال كان الرجل اذا طلق زوجته
ثم ارتجعها قبل ان تنقضي عدتها كان له ذلك وان طلقها الف مرة
فعمد رجل الى امراته فطلقها حتى اذا شارفت انقضا عدتها ارتجعها
ثم قال والله لا اويك الي ولا تحلين ابدا فانزل الله الطلاق مرتان
فامساك بمعروف او تسريح باحسان فاستقبل الناس الطلاق
جديدا من ذلك اليوم من كان طلق او لم يطلق اخرجه الترمذي وله

عن عائشة قالت كان الناس والرجل يطلق امراته ما شا الله ان يطلقها
وهي امراته اذا ارتجعها وهي في العدة وان طلقها ماية او اكثر حتى قال
رجل لامراته والله لا اطلقك فتبينين مني ولا اويك ابدا قالت وكيف
ذلك قال اطلقك فكلما همت عدتك ان تنقضي راجعتك فذهبت
المراة الى عايشة فاخبرتها فسكتت عايشة حتى جا النبي صلى الله عليه
وسلم فاخبرته فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل القران الطلاق
مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان قالت عايشة ٥
فاستانف الطلاق مستقبلا من كان يطلق ومن لم يطلق ومعنى
الاية ان الطلاق الرجعي مرتان ولا رجعة بعد الثالثة الا ان تنكح
زوجا اخر وهذا التفسير هو قول من جوز الجمع بين الطلاق الثلاث
في دفعة وهو الشافعي وقيل في معنى الاية ان التطليق الشرعي يجب
ان يكون تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال
دفعة واحدة وهذا التفسير هو قول من قال ان الجمع بين الثلاثة
حرام الا ان ابا حنيفة قال يقع الثلاث وان كان حراما وقيل ان
الاية دالة على عدد الطلاق الذي يكون للرجل فيه رجعة على
زوجته والعدد الذي تبين به زوجته منه والمعنى ان عدد
الطلاق الذي لكم فيه رجعة على ازواجكم اذا كن مدخولا بهن ٥
تطليقتان وانه لا رجعة له بعد التطليقتين وان سرحها فطلقها
الثالثة **فامساك بمعروف** يعني بعد الرجعة وذلك انه اذا راجعها
بعد التطليقة الثانية فعليه ان يمسكها بالمعروف وهو كل ما عرف
في الشرع من ادا حقوق النكاح وحسن الصحبة **او تسريح باحسان**
يعني انه يتركها بعد الطلاق حتى تنقضي عدتها من غير مضارة وقيل
هو انه اذا طلقها ادى اليها جميع حقوقها المالية ولا يذكرها بعد
المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها **فروع** تتعلق باحكام الطلاق
الفرع الاول صريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية
ثلاث الطلاق والفراق والسراح وعند ابي حنيفة الصريح هو لفظ
الطلاق فقط **الفرع الثاني** الحر اذا طلق زوجته طلقة او
طلقتين بعد الدخول بها فله مراجعتها من غير رضاها ما دامت
في العدة فاذا لم يراجعها حتى انقضت عدتها او طلقها قبل الدخول
بها او خالعها فلا تحل له الا بنكاح جديد باذنها واذن وليها **الفرع
الثالث** العبد يملك على زوجته الامة تطليقتين واختلف
فيما اذا كان حرا فالحر يملك على زوجته الامة ثلاث تطليقات والعبد
يملك على زوجته الحرة تطليقتين فالاعتبار بحال الزوج في عدد الطلاق

وبه

وبه قال الشافعي ومالك واحمد وذهب ابو حنيفة الى ان الاعتبار بالمراة
فالعبد يملك على زوجته الحرة ثلاث تطليقات والحر يملك على زوجته
الامة تطليقتين **ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن** يعني اعطيتموهن
شيا يعني من مهر او غيره ثم استثنى الخلع فقال تعالى **الا ان يخافا
الا يقيما حدود الله** نزلت في جميلة بنت عبد الله بن ابي ويقال حبيبة
بنت سهل الانصاري كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت
تبغضه وهو يحبها وكان بينهما كلام فاتت اباها تشكو اليه زوجها
وقالت انه يسي الي ويضربني فقال ارجعي الى زوجك فاني اكره للمراة
ان لا تزال رافعة يديها تشكو زوجها فرجعت اليه الثالثة وبها
اثر الضرب فقال لها ارجعي الى زوجك فلما رات اباها لا يشكيها
اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه زوجها وارته اثارا
من ضربه وقالت يا رسول الله لا انا ولا هو فارسل رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى ثابت فقال ما لك ولاهلك فقال والذي بعثك
بالحق نبيا ما على وجه الارض احب الي منها غيرك فقال لها ما تقولين
فكرهت ان تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سالها فقالت
صدق يا رسول الله ولكن خشيت ان يهلكني فاخرجني منه وقالت يا
رسول الله ما كنت احدثك حديثا ينزل عليك خلافه هو اكرم
الناس حبا لزوجته ولكن ابغضه فلا انا ولا هو قال ثابت اعطيتها
حديقة نخل فقل لها فلترد ها علي واخلي سبيلها فقال لها تردين عليه
حديقته وتملكين امرك قالت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ثابت خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل خ عن ابن عباس ان
امراة ثابت بن قيس اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول
الله ان ثابت بن قيس ما اعتب عليه في خلق ولا مال ولكن اكره الكفر
في الاسلام قال ابو عبد الله يعني تبغضه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم تردين عليه حديقته قالت نعم قال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم اقبل الحديقة البستان من النخل اذا كانت عليه الحايط ومعنى
قوله تعالى الا ان يخافا اي يعلما الزوجان من انفسهما ان لا يقيما
حدود الله والمعنى تخاف المراة ان تعصي الله في امر زوجها انه اذا لم
يعطه ان يتعدي عليها فنهى الله الرجل ان ياخذ من امراته شيا مما
اعطاها الا ان يكون النشوز من قبلها وذلك ان تقول لا اطيع لك
امرا ولا اطا لك مضجعا ونحو ذلك وقرى يخافا بضم اليا ومعناه الا ان
يعلم ذلك من حالهما يعني يعلم القاضي والولي **فان خفتم** يعني فان
خشيتم واشفقتم وقيل معناه وان ظننتم **ان لا يقيما حدود الله** يعني

ما اوجب الله على كل واحد منهما من طاعته فيما امره به من حسن
الصحبة والمعاشرة بالمعروف وقيل هو يرجع الى المراة وهو سوء
خلقها او استخفافها بزوجها **فلا جناح عليهما فيما افتدت به** اي لا
جناح على المراة في النشوز ان خشيت الهلاك والمعصية فيما افتدت
به نفسها او اعطت من المال لانها ممنوعة من اتلاف المال بغير حق
ولا على الزوج فيما اخذ من المال اذا اعطته المراة طايعة راضية

فصل في حكم الخلع وفيه مسايل الاولى قال الزهري
والنخعي وداود لا يباح الخلع الا عند الغضب والخوف من ان لا يقيما
حدود الله فان وقع الخلع في غير هذه الحالة فهو فاسد وحجة هذا
القول ان الاية صريحة في انه لا يجوز ان ياخذ من المراة شيا عند
طلاقها ثم استثنى الله تعالى حالة مخصوصة فقال الا ان يخافا
ان لا يقيما حدود الله فكانت هذه صريحة في انه لا يجوز الاخذ في غير
حالة الغضب والخوف من ان لا يقيما حدود الله وذهب جمهور العلما
الى انه يجوز الخلع من غير نشوز ولا غضب غير انه يكره لما فيه من
قطع الوصلة بلا سبب عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ايما امراة سالت زوجها الطلاق من غير ما باس فحرام عليها
رايحة الجنة اخرجه ابو داود والترمذي عن ابن عمر عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ابغض الحلال الى الله الطلاق اخرجه ابو داود ودليل
الجمهور على جواز الخلع من غير نشوز قوله تعالى فان طبن لكم عن شي
منه نفسا فكلوه هنيا مريا فاذا جاز لها ان تهب مهرها من غير ان
يحصل لها شي فاذا بذلت كان ذلك في الخلع الذي تصير بسببه مالكة
نفسها اولى **واجيب** عن الاستثنا المذكور في هذه الاية
انه محمول على الاستثنا المنقطع المسيلة الثانية الخلع جايز على
اكثر مما اعطاها وبه قال اكثر العلما وقال بعضهم لا يجوز ان ياخذ اكثر
مما اعطاها وهو قول علي وبه قال الزهري والشعبي والحسن وعطا
وطاووس وقال سعيد بن المسيب بل ياخذ دون ما اعطاها حتى
يكون الفضل له وحجة الجمهور ان الخلع عقد على معاوضة فوجب
ان لا يتقيد بمقدار معين كما ان للمراة ان لا ترضى عند عقد النكاح الا
بالكثير وكذلك الزوج ان لا يرضى عند المخالعة الا بالبذل الكثير لا
سيما وقد اظهرت الاستخفاف بالزوج حيث اظهرت بغضه وكراهته
المسيلة الثالثة اختلف العلما في الخلع هل هو فسخ او طلاق فقال
الشافعي في القديم انه فسخ وهو قول ابن عباس وطاووس وعكرمة وبه
قال احمد واسحق وابو ثور وقال الشافعي في الجديد انه طلاق وهو الاظهر

وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود والحسن والشعبي والنخعي وعطا
وابن المسيب ومجاهد ومكحول والزهري وبه قال ابو حنيفة ومالك
وسفيان الثوري وحجة القول القديم ان الله تعالى ذكر الطلاق مرتين
ثم ذكر بعده الخلع ثم ذكر الطلقة الثالثة فقال فان طلقها فلا تحل
له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ولو كان الخلع طلاقا لكان الطلاق
اربعا وحجة القول الجديد انه لو كان فسخا لما صح بالزيادة على المهر
المسمى كالاقالة في البيع وايضا لو كان الخلع فسخا فاذا خالعها ولم
يذكر وجب ان يجب المهر عليها كالاقالة فان الثمن يجب رده وان لم
يذكره فثبت ان الخلع ليس بفسخ واذا ابطل ذلك ثبت انه طلاق
ايضا فان الطلقة الثالثة قوله او تسريح باحسان وفايدة الخلاف
انا اذا جعلناه طلاقا ينقضي به عدة الطلاق فان تزوجها بعده
كانت معه على طلقتين وان جعلناه فسخا بانت منه بثلاث قوله
تعالى **تلك حدود الله** يعني هذه اوامر الله ونواهيه وهو ما تقدم
من احكام الطلاق والرجعة والخلع وحدود الله ما منع من مجاوزتها
وهو قوله **فلا تعتدوها** اي لا تجاوزوها **ومن يتعد حدود الله** اي
يتجاوزها **فاولئك هم الظالمون** قوله عز وجل **فان طلقها**
يعني الطلقة الثالثة **فلا تحل له من بعد** اي لا يحل له رجعتها
بعد الثلاث **حتى تنكح زوجا غيره** يعني حتى تتزوج زوجا اخر غير
المطلق فيجامعها والنكاح يتناول العقد والوطي جميعا والمراد هنا
الوطي نزلت في تميمة وقيل عايشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظي
وكانت تحت ابن عمها رفاعة بن وهب بن عتيك القرظي فطلقها
ثلاثا **ق** عن عايشة قالت جات امراة رفاعة القرظي الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت اني كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي
فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وانما معه كهدبة الثوب فتبسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا
حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته **قولها** فبت طلاقي اي
قطعه والبت القطع **وقولها** مثل هدبة الثوب اي طرفه وهو
كناية عن استرخا الذكر **قوله** حتى يذوق عسيلتك بضم العين
تصغير عسل شبه لذة الجماع بالعسل وهو كناية عنه وانما انث
العسل لان من العرب من يونثه وقيل انثه حملا له على المعنى لان
المراد منه النطفة وعبد الرحمن المذكور هو عبد الله بن الزبير بفتح
الزاي وكسر البا المشددة وروي انها لبثت ما شا الله ثم رجعت الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي قد مسني فقال لها

النبي صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الاول فلن اصدقك في الاخر
فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتت ابابكر فقالت
يا خليفة رسول الله ارجع الى زوجي الاول فان زوجي الاخر قد مسني
وطلقني فقال لها ابوبكر قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين اتيتيه وقال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابوبكر اتت
عمر وقالت له مثل ما قالت لابي بكر فقال لها لئن رجعت اليه لارجمنك
قوله تعالى **فان طلقها** يعني الزوج الثاني بعد وطيها **فلا جناح
عليهما** يعني على المراة والزوج الاول **ان يتراجعا** يعني بنكاح جديد
ان ظنا اي علما وايقنا وقيل ان رجوا لان احدا لا يعلم ما هو كائن الا
الله تعالى **ان يقيما حدود الله** يعني يقيما بينهما الصلاح وحسن
العشرة والصحبة وقيل معناه ان علما ان نكاحهما على غير دلسة
والمراد بالدلسة التحليل **فرعان الاول** مذهب جمهور العلما
ان المطلقة الثلاث لا تحل للزوج المطلقة منه بالثلاث الا بشرايط
وهو ان تعتد منه ثم تتزوج بزوج اخر ويطاها ثم يطلقها ثم تعتد
منه فاذا حصلت هذه الشرايط فقد حلت للاول والا فلا وقال
سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب تحل بمجرد العقد والمذهب الاول
هو الاصح واختلف العلما في اشتراط الوطي هل ثبت بالكتاب والسنة
على ثلاثة اقوال الثالث وهو المختار انه ثبت بهما الثاني اذا تزوج
بالمطلقة ثلاثا ليحلها للاول فهذا انكاح باطل وعقد فاسد وبه قال
مالك واحمد لما روي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
لعن المحلل والمحلل له اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح وروى
انه قال هو التيس المستعار ولو تزوجها ولم يشترط في النكاح انه يفارقها
فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل اذا طلقها وانقضت العدة غير انه يكره
اذا كان في عزمها ذلك وبه قال الشافعي وابو حنيفة ودليل ذلك ان
الاية ترلت دلت على ان الحرمة تنتهي بوطي مسبوق بعقد وقد وجد
ذلك فوجب القول بانتها الحرمة وقال نافع اتى رجل الى ابن عمر
فقال ان رجلا طلق امراته ثلاثا فانطلق اخ له من غير مؤامرة
فتزوجها ليحلها للاول فقال لا الا نكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحا
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى **وتلك حدود
الله يبينها لقوم يعلمون** يعني يعلمون ما امرهم به ونهاهم عنه وانما
خص العلما لانهم هم الذين ينتفعون بذلك البيان **قوله عز وجل
واذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن** نزلت في ثابت بن يسار رجل من
الانصار طلق امراته حتى اذا قرب انقضا عدتها راجعها ثم طلقها

يقصد

يقصد بذلك مضارتها **فبلغن اجلهن** اي قاربن انقضا عدتهن وشارفت
منتهاها ولم يرد انقضا العدة لانه لو انقضت عدتها لم يكن للزوج
امساكها فالبلوغ هنا بلوغ مقاربة كما يقال بلغ فلان البلد اذا قاربه
وشارفه وهذا من باب المجاز الذي يطلق على اسم الكل فيه على الاكثر
وقيل ان الاجل اسم الزمان فيحمل على الزمان الذي هو اخر زمان يمكن
ايقاع الرجعة فيه بحيث اذا فات لا يبقى بعده مكنة الرجعة وعلى
هذا التاويل فلا حاجة بنا الى المجاز **فامسكوهن** اي راجعوهن
بمعروف وهو ان يشهد على رجعتها وان يراجعها بالقول لا بالوطي
او سرحوهن بمعروف اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيملكن
انفسهن **ولا تمسكوهن ضرارا** اي لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل
الحبس وقيل كانوا يضاروهن لتفتدي المراة منه بمالها **لتعتدوا**
اي لتظلموهن بمجاوزتكم في امورهن حدود الله التي بينها لكم وقيل
معناه لا تضاروهن على قصد الاعتداء عليهن **ومن يفعل ذلك
فقد ظلم نفسه** اي ضر نفسه بمخالفة امر الله وتعريضها عذاب الله
ولا تتخذوا ايات الله هزوا يعني بذلك ما بين من حلاله وحرامه
وامره ونهيه في وحيه وتنزيله فلا تتخذوا ذلك استهزا ولعبا فمن
وجب عليه طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصل اليه هذه الاحكام
التي تقدم ذكرها في العدة والرجعة والخلع وترك المضارة فلا
تتخذوها هزوا ففيه تهديد عظيم ووعيد شديد وقيل هو راجع الى
قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان فكل من خالف امرا من
امور الشرع فهو متخذ ايات الله هزوا وقيل كان الرجل يطلق ويعتق
ويتزوج ويقول كنت لاعبا فنهوا عن ذلك عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث هزلهن جد وجدهن جد وهزلهن
جد النكاح والطلاق و+العتاق والرجعة اخرجه ابو داود والترمذي
وقوله تعالى **واذكروا نعمة الله عليكم** يعني بالايمان الذي انعم
به الله عليكم وهداكم له وسائر نعمه التي انعم بها عليكم **وما انزل
عليكم** اي واذكروا نعمه فيما انزل عليكم **من الكتاب** يعني القران
والحكمة يعني السنة التي علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم
وقيل المراد بالحكمة مواعظ القران **يعظكم به** اي بالكتاب الذي
انزله على نبيه صلى الله عليه وسلم **واتقوا الله** يعني خافوا الله فيما
امركم به ونهاكم عنه **واعلموا ان الله بكل شي عليم** يعني ان الله تعالى
يعلم ما اخفيتم من طاعة ومعصية في سر وعلن لا يخفى عليه شي من
ذلك قوله عز وجل **واذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن** نزلت في

ثابت بن مسلم رجل من الانصار طلق امراته حتى اذا قرب انقضا عدتها
معقل بن يسار المزني عضل اخته جميلة وكانت تحت ابي البداح عاصم
ابن عدي فطلقها عن معقل بن يسار قال كانت لي اخت تخطب الي
وامنعها من الناس فاتى ابن عم فانكحتها اياه فاصطلحا ما شا الله
ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما
خطبت الي اتاني يخطبها مع الخطاب فقلت له خطبت فمنعتها الناس
واثرتك بها فزوجتك ثم طلقتها طلاقا له رجعة ثم تركتها حتى
انقضت عدتها فلما خطبت الي اتيتني تخطبها مع الخطاب والله
لا انكحتها ابدا ففي نزلت هذه الاية واذا طلقتم النسا فبلغن
اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن الاية فكفرت عن يميني
وانكحتها اياه اخرجه البخاري وقيل ان جابر بن عبد الله كانت
له ابنة عم فطلقها زوجها تطليقة فلما انقضت عدتها اراد ان
يرتجعها فابى وقال جابر طلقت ابنة عمنا ثم تريد ان تنكحها الثانية
وكانت المراة تريد زوجها قد رضيته فنزلت هذه الاية واراد
ببلوغ الاجل في قوله فبلغن اجلهن انقضا العدة بخلاف الاية
التي قبل هذه قال الشافعي دل اختلاف الكلامين على افتراق
البلوغين **فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن** خطاب للاوليا
والمعنى لا تضيقوا عليهن ايها الاوليا فتمنعوهن من مراجعة
ازواجهن بنكاح جديد تبتغون بذلك مضارتهن فهو خطاب عام
لجميع الاوليا وان كان سبب الاية خاصا واصل العضل المنع والتضييق
ومنه قول اوس بن حجر •

• وليس اخوك الدائم العهد بالذي • يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا •
• ولكنه النائي اذا كنت امنا • وصاحبه الادنى اذا الامر اعضلا •

يعني اذا ضاق الامر وفي الاية دليل للشافعي ومن وافقه في ان المراة
لا تلي عقد النكاح ولا تاذن فيه اذ لو كانت تملك ذلك لم يكن عضل
ولا لنهي الولي عن العضل معنى وقوله **اذا تراضوا بينهم بالمعروف**
يعني اذا تراضى الخطاب والنسا والمعروف هنا ما وافق الشرع
من عقد حلال ومهر جائز وقيل هو ان يرضى كل واحد منهما بما التزمه
لصاحبه بحق العقد حتى تحصل الصحبة الحسنة والعشرة الجميلة
ذلك اي ذلك الذي ذكر من النهي **يوعظ به من كان منكم يومن
بالله واليوم الاخر** يعني ان المومن هو الذي ينتفع بالوعظ دون
غيره **ذلكم ازكى لكم واطهر** يعني انه خير لكم واطهر لقلوبكم واطيب عند
الله **والله يعلم** يعني ما لكم من الزكاة والتطهير **وانتم لا تعلمون**

يعنى

يعني ذلك قوله عز وجل **والوالدات** يعني المطلقات اللاتي
لهن اولاد من ازواجهن وقيل المراد بهن جميع الوالدات سوا كن مطلقات
او مزوجات ويدل عليه ان اللفظ عام وما قام دليل التخصيص
فوجب تركه على عمومه ولانه ظاهر اللفظ فوجب حمله عليه **يرضعن
اولادهن** هذا خبر بمعنى الامر والتقدير والوالدات يرضعن في حكم
الذي اوجبه وهذا الامر ليس امرا ايجاب وانما هو امر ندب واستحباب
لان تربية الطفل بلبن الام اصلح له من لبن غيرها ولكمال شفقتها
عليه ويدل انه لا يجب على الوالدة ارضاع الولد قوله فان ارضعن
لكم فاتوهن اجورهن ولو وجب عليها الرضاع لما استحقت الاجرة
وقال تعالى وان تعاسرتم فسترضع له اخرى هذا نص صريح في ذلك
فان لم يوجد من يرضع الطفل ولم يقبل غير لبن امه وجب عليها ارضاعه
كما يجب على كل احد مواساة المضطر وان رغبت الام في ارضاع ولدها
فهي اولى به من غيرها **حولين كاملين** الحول السنة واصله من حال
يحول اذا انقلب وانما قال كاملين للتوكيد لانه مما يتسامح فيه تقول
اقمت عند فلان حولا وان لم تستكمله فبين الله انهما حولان كاملان
اربعة وعشرون شهرا وهذا التحديد بالحولين ليس تحديد ايجاب
ويدل على ذلك قوله بعد **لمن اراد ان يتم الرضاعة** فلما علق الاتمام
بارادتنا علمنا ان هذا الاتمام غير واجب فثبت ان المقصود من هذا
التحديد قطع النزاع بين الزوجين في مقدار زمن الرضاعة فقدر
الله تعالى بالحولين حتى يرجعا اليه عند التنازع قال ابن عباس في
رواية عكرمة اذا وضعت الولد لستة اشهر ارضعته حولين وان وضعته
لسبعة اشهر ارضعته ثلاثا وعشرين شهرا وان وضعته لتسعة اشهر
ارضعته احدى وعشرين شهرا كل ذلك ثلاثين شهرا لقوله تعالى وحمله
وفصاله ثلاثون شهرا وقال في رواية الوالبي عنه هو حد لكل مولود في
اي وقت ولد لا ينقص رضاعه من حولين بالاتفاق من الابوين فايهما
اراد فطام الولد قبل الحولين فليس له ذلك الا ان اتفقا عليه يدل
على ذلك قوله فان ارادا فصالا عن تراض منهما وقيل فرض الله على الوالدات
ارضاع الولد حولين ثم انزل التخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة
اي هذا منتهى الرضاع لمن اراد اتمام الرضاعة وليس فيما دون ذلك
حد محدود وانما هو على مقدار اصلاح الطفل وما يعيش به **وعلى المولود
له** يعني الاب وانما عبر عنه بهذا لان الوالدات انما ولدن للابا ولذلك
ينسب الولد الى الاب دون الام قال بعضهم •

• وانما امهات الناس اوعية • مستودعات وللابا ابنا •

وقيل ان هذا التنبيه على ان الولد انما يلتحق بالوالد لكونه مولودًا
على فراشه فكانه قال اذا ولدت المراة الولد لاجل الرجل وعلى فراشه
وجبت عليه رعاية مصالحه **رزقهن** اى طعامهن **وكسوتهن** اي
لباسهن **بالمعروف** اي على قدر الميسرة **لا تكلف نفس الا وسعها**
يعنى طاقتها والمعنى ان ابا الولد لا يكلف فى الانفاق عليه وعلى امه
الا قدر ما تتسع به مقدرته ولا يبلغ استراف القدرة **لا تضار والدة**
بولدها يعنى لا ينزع الولد من امه بعد ان رضيت بارضاعه ولا يدفع
الى غيرها وقيل معناه لا تكره الام على ارضاع الولد وقبل الصبى لبن
غيرها لان ذلك ليس بواجب عليها **ولا مولود له بولده** يعنى لا
تلقى المراة الولد الى ابيه وقد الفها تضاره بذلك وقيل معناه لا يلزم الاب
يعطى ام الولد اكثر مما يجب عليه لها اذا لم يرضع الولد من غير امه فعلى
هذا يرجع الضرار الى الوالدين فيكون المعنى لا يضار كل منهم صاحبه
بسبب الولد وقيل يحتمل ان يكون الضرار راجعا الى الولد والمعنى لا يضار
كل واحد من الابوين الولد فلا ترضعه حتى يموت فيتضرر بذلك ولا
ينفق عليه الاب او ينزعه من امه فيتضرره بذلك فعلى هذا تكون
الباء صلة والمعنى لا تضار والدة ولدها ولا اب ولده **وعلى الوارث**
مثل ذلك يعنى وعلى وارث ابي الولد اذا مات مثل ما كان يجب عليه
من النفقة والكسوة فيلزم وارث الاب ان يقوم مقامه فى القيام بحق
الولد وقيل المراد بالوارث وارث الصبى الذى لو مات الصبى ورثه
فعلى هذا الوارث مثل ما كان على ابى الصبى فى حال حياته واختلف
فى اى وارث هو فقيل عصبة الصبى كالجد والاخ وابنه والعم وابنه وقيل
هو كل وارث له من الرجال والنساء وبه قال احمد فيجبروا على نفقة الصبى
كل على قدر سهمه منه وقيل هو من كان ذا رحم محرم منه وبه قال ابو حنيفة
وقيل المراد بالوارث الصبى نفسه فعلى هذا تكون اجرة رضاع الصبى
فى ماله فان لم يكن له مال فعلى الام ولا يجبر على نفقة الصبى غير
الابوين وبه قال مالك والشافعى وقال معناه وعلى الوارث ترك
المضارة **فان ارادا** يعنى الوالدين **فصالا** يعنى فطام الولد قبل الحولين
عن تراض منهما اى على اتفاق من الوالدين فى ذلك **وتشاور** اى لا يتشاورون
اهل العلم بذلك حتى يخبروا ان الفطام قبل الحولين لا يضر بالولد والمشاورة
استخراج الراي بما فيه مصلحة **فلا جناح عليهما** اى فلا حرج ولا اثم
على الوالدين فى الفطام قبل الحولين اذا لم يضر بالولد **وان اردتم ان**
تسترضعوا اولادكم اى لاولادكم مراضع غير امهاتهم اذا ابت امهاتهم
ارضاعهم او تعذر ذلك لعلة بهن من انقطاع لبن وغير ذلك او ارادت

التزوج **فلا جناح عليكم اذا سلمتم** يعنى الى المراضع **ما آتيتم** يعنى لهن
من اجرة الرضاع وقيل اذا سلمتم الى امهاتهم من اجرة الرضاع بقدر ما
ارضعت **بالمعروف** اي بالاحسان والاجمال امروا ان يكونوا عند
تسليم الاجرة مستبشرين الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس
المراضع بما امكن حتى يومن من تفريطهن بقطع معاذيرهن **واتقوا**
الله اى وخافوا الله فيما فرض عليكم من الحقوق وفيما اوجب عليكم
لاولادكم **واعلموا ان الله بما تعملون بصير** يعنى لا يخفى عليه خافية
من جميع اعمالكم سرها وعلانيتها فانه تعالى يراها ويعلمها **قوله**
عز وجل **والذين يتوفون منكم** يعنى يموتون واصل التوفى اخذ الشى
وافيا فمن مات فقد استوفى عمره كاملا ويقال توفى فلان يعنى قبض
واخذ **ويذرون** اى ويتركون **ازواجا** والمراد بالازواج هنا النسا
لان العرب تطلق اسم الزوج على الرجل والمراة **يتربصن** اى ينتظرن
بانفسهن اربعة اشهر وعشرا يعنى قدر هذه المدة وانما قال عشرا بلفظ
التانيث لان العرب اذا ابهمت العدد من الليالى والايام غلبوا الليالى
على ان احدهم ليقول صمت عشرا من الشهر لكثرة تغليبهم الليالى على
الايام فاذا اظهروا الايام قالوا صمنا عشرة ايام وقيل ان هذه الايام
ايام حزن وليس احداد فشبهها بالليالى على سبيل الاستعارة ووجه
الحكمة فى ان الله تعالى حد العدة بهذا القدر لان الولد يركض فى بطن
امه لنصف مدة الحمل يعنى يتحرك وقيل ان الروح تنفخ فى الولد فى هذه
العشرة ايام ويدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود قال حدثنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع
فى بطن امه اربعين يوما ثم تكون علقة مثل ذلك ثم تكون مضغة
مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا يكتب رزقه واجله وعمله وشقى
او سعيد ثم ينفخ فيه الروح اخرجاه فى الصحيحين بزيادة فدل هذا
الحديث على ان خلق الولد يجتمع فى مدة اربعة اشهر ويتكامل خلقه
بنفخ الروح فيه فى هذه الايام الزائدة **فصل** فى حكم عدة
المتوفى عنها زوجها والاحداد وفيه مسائل المسئلة الاولى عدة المتوفى
عنها زوجها اربعة اشهر وعشرا وعدة الامة على نصف عدة الحرة شهران
وخمسة ايام وبه قال جمهور العلما وقال ابو بكر الاصم عدة الامة كعدة
الحراير وتمسك بظاهر هذه الاية وعدة الحامل بوضع الحمل سوا فيه
الحرة والامة ولو وضعت بعد وفاة زوجها بلحظة حل لها ان تتزوج
ويدل على ذلك ما روي عن سبيعة الاسلمية انها كانت تحت سعد بن
خولة وهو من بنى عامر بن لوي وكان ممن شهد بدرا فتوفى عنها فى حجة

الوداع وهى حامل فلم تنشب ان وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت
من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها ابو السنابل بن بعكك رجل
من بنى عبد الدار فقال مالى اراك تجملت للخطاب لعلك ترجين
النكاح وانت والله ما انت بنكاح حتى تمر عليك اربعة اشهر
وعشر قالت سبيعة فلما قال لى ذلك جمعت على ثيابى حتى امسيت
واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته عن ذلك فافتانى
بانى قد حللت حين وضعت حملى وامرنى بالتزوج ان بدا لى اخرجاه
فى الصحيحين وفيه قال ابن شهاب ولا ارى باسا ان تتزوج حين
وضعت وان كانت فى دمها غير انها لا يقربها حتى تطهر فعلى هذا حكم
الاية عام فى كل من توفى عنها زوجها بان تعتد اربعة اشهر وعشرا ثم
خصص من هذا العموم اولات الاحمال بهذا الحديث وبقوله تعالى
واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن المسئلة الثانية يجب على
من توفى عنها زوجها الاحداد وهو ترك الزينة والطيب ودهن الراس
بكل دهن والكحل المطيب فان اضطرت الى كحل فيه زينة فرخص لها
وبه قال ملك وابو حنيفة وقال الشافعى تكتحل بالليل وتمسحه بالنهار
عن ام سلمة قالت دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفى
ابو سلمة وقد جعلت على صبرا فقال ما هذا يا ام سلمة فقلت انما هو
صبر يا رسول الله ليس فيه طيب فقال انه يشب الوجه فلا تجعليه الا
بالليل وتنزعيه بالنهار ولا تمتشطى بالطيب ولا بالحنا فانه خضاب قلت
باى شى امتشط يا رسول الله قال بالسدر تغلفين به راسك اخرجه
ابو داود والنسائى نحوه قوله فانه يشب الوجه اى يوقده ويحسنه
ونوره من شب النار اذا اوقدها قوله تغلفين به راسك اى
تلطخين به راسك والتغلف هو الغمرة على وجه المراة وكذا راسها اذا
لطخته بشى فاكثرت منه ولا يجوز لها لبس الديباج والحرير والحلى والمصبوغ
للزينة كالاحمر والاصفر ويجوز لها لبس ما صبغ لغير الزينة كالاسود
والازرق ويجوز ان تلبس البياض من الثياب والصوف والوبر ق
عن زينب بنت ابى سلمة قالت دخلت على ام حبيبة زوج النبى صلى
الله عليه وسلم حين توفى ابوها ابو سفيان بن حرب بطيب فيه
صفرة خلوق او غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت
والله ما لى بالطيب من حاجة غير انى سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول على المنبر لا يحل لامراة تومن بالله واليوم الاخر
تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا قالت
زينب ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفى اخوها فدعت بطيب

فمست

فمست ثم قالت والله ما لى بالطيب من حاجة غير انى سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لامراة تومن بالله واليوم الاخر ان تحد
على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا م عن عائشة ان
النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامراة تومن بالله واليوم الاخر
ان تحد على ميت فوق ثلاث الا زوجها ق عن ام عطية قالت كنا
ننهى ان نحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا ولا
نكتحل ولا نتطيب ولا نلبس ثوبا مصبوغا الا ثوب عصب وقد رخص
لنا عند الطهر اذا اغتسلت احدانا من حيضها فى نبذة من كست اظفار
قولها الا ثوب عصب العصب بالعين والصاد المهملتين من البرود
الذى صبغ غزله قبل النسج قوله نبذة من كست النبذة الشى اليسير
والكست لغة القسط وهو شى يسير معروف يتبخر به عن ام سلمة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلبس المتوفى عنها
زوجها المعصفرة من الثياب ولا الممشقة ولا الحلى ولا تختضب ولا
تكتحل اخرجه ابو داود قولها ولا الممشقة الثياب الممشقة هى
المصبوغة بالمشق وهى المغرة عن نافع ان صفية بنت عبد الله ه
اشتكت عينها وهى حاد على زوجها ابن عمر فلم تكتحل حتى كادت عيناها
ترمصان اخرجه مالك فى الموطا المسئلة الثالثة اختلفوا فى ان
هذه المدة سببها الوفاة او العلم بالوفاة فقال بعضهم ما لم تعلم
بوفاة زوجها لا تعتد بانقضا الايام فى العدة واحتجوا على ذلك
بان الله تعالى قال يتربصن بانفسهن وذلك لا يحل الا بالقصد الى
التربص ولا يحل ذلك الا مع العلم وقال الجمهور السبب هو الموت فلو
انقضت المدة او اكثرها او بعضها لم يكنها خبر موت الزوج وجب
ان تعتد بما انقضى ويدل على ذلك ان الصغيرة التى لا علم لها يكفى
فى انقضا عدتها انقضا هذه المسئلة المدة الرابعة اجمع العلما
على ان هذه الاية ناسخة لما بعدها من الاعتداد بالحول وان كانت
هذه الاية متقدمة فى التلاوة وسيذكر تمام الكلام عليه فى موضعه
ان شا الله تعالى والله اعلم وقوله تعالى **فاذا بلغن اجلهن** اى انقضت
عدتهن **فلا جناح عليكم** خطاب للاوليا لانهم يتولون العقد **فيما فعلن
فى انفسهن بالمعروف** يعنى من التزين والتطيب والنقلة من المسكن
الذى كانت معتدة فيه ونكاح من يجوز لها نكاحه وقيل انما عنى
بذلك النكاح خاصة وقيل معنى قوله بالمعروف هو النكاح الحلال
الطيب واحتج اصحاب ابى حنيفة على جواز النكاح بغير ولى بهذه
الاية لان اضافة الفعل الى الفاعل محمول على المباشرة واجاب اصحاب

الشافعي ان قوله تعالى فلاجناح عليكم خطاب للاوليا ولو صح العقد
بغير ولي لما كان مخاطبا **واجيب** عن قوله فيما فعلن في انفسهن
انما هو التزين والتطيب بعد انقضا العدة لانها تزوج نفسها
والله بما تعملون خبير يعني الله تعالى لا يخفى عليه خافية والخبير في
صفة الله تعالى هو العالم بكنه الشي وحقيقته من غير شك والخبير
في صفة المخلوقين انما يستعمل في نوع من العلم وهو الذي يتوصل اليه
بالاجتهاد والفكر والله تعالى منزه عن ذلك كله **قوله عز وجل**
ولا جناح اي لا حرج عليكم فيما عرضتم به اي لوحتم واشرتم والتعريض
ضد التصريح ومعناه ان يضمن كلامه ما يصلح للدلالة على مقصوده
ويصلح للدلالة على غير مقصوده ولكن اشعاره بجانب المقصود اتم
وارجح وقيل هو الاشارة الى الشي بما يفهم السامع مقصوده من غير
تصريح به وقيل التعريض من الكلام ما له ظاهر وباطن من خطبة
النسا يعني المعتدات في عدتهن والخطبة بالكسر طلب النكاح والتماسه
وقيل ذكر النسا والخطبة بالضم كلام منظوم له اول واخر ومعنى الاية
فيما عرضتم به من ذكر النسا عندهن والتعريض بالخطبة في العدة
مباح وهو ان تقول انك لجميلة وانك لصالحة وان غرضي التزويج
واني فيك لراغب وعسى الله ان ييسر لي امراة صالحة ونحو ذلك من
الكلام الموهم من غير تصريح بان يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك
ونحو ذلك ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابن عباس في قوله
تعالى فيما عرضتم به من خطبة النسا هو ان يقول اني اريد التزويج وان
النسا لمن حاجتي ولوددت انه يسر لي امراة صالحة اخرجه البخاري
وروي ان سكينة بنت حنظلة كانت نايمة فدخل عليها ابو جعفر محمد بن
علي الباقي في عدتها فقال قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقالت سكينة غفر الله لك
اتخطبني في العدة وانت يوخذ عنك فقال انما اخبرتك بقرابتي من
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ام سلمة وهي في عدة زوجها فذكر لها منزلته من الله عز وجل وهو
متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده من شدة تحامله عليها فما
كانت تلك خطبة او اكننتم يعني اضمرتم في انفسكم يعني من نكاحهن
وقيل هو ان يدخل ويسلم ويهدي ان شا ولا يتكلم بشي والمقصود انه لا
حرج عليكم في التعريض للمراة في عدة الوفاة ولا فيما يضمر الرجل في نفسه
من الرغبة فيها علم الله انكم ستذكرونهن يعني بقلوبكم لان شهوة النفس
والتمني لا يخلو منه احد فلما كان هذا الخاطر كالشي الشاق اسقط عنه

الحرج

الحرج ولكن لا تواعدوهن سرا اختلفوا في معنى السر المنهي عنه فقيل
هو الزنا كان الرجل يدخل على المراة يعرض بالنكاح ومراده الزنا
ويقول لها دعيني فاذا وفيت عدتك اظهرت نكاحك فنهوا عن
ذلك وقيل هو قول الرجل للمراة لا تفوتيني نفسك فاني ناكحك
وقيل هو ان ياخذ عليها العهد والميثاق ان لا تتزوج غيره وقيل هو ان لا يخطبها
في العدة وقال الشافعي السر الجماع وهو رواية ابن عباس قال الكلبي
ان لا تصفوا انفسكم لهن بكثرة الجماع ويدل على ان لفظ السر كناية عن
الجماع قول امري القيس •
• الازعمت بسباسة القوم انني • كبرت وان لا يحسن السر امثالي •
بسباسة امراة وانما وقع الكناية عن الجماع بالسر لانه مما يسر والله تعالى
حيي كريم فكنى به عن لفظ الجماع الصريح ومعنى الاية لا تواعدوهن
مواعدة سرية او لا تواعدون بالشي الموصوف بالسر وقيل في معنى
الاية ان الله تعالى اذن في اول الاية في التعريض بالخطبة ومنع في اخرها
عن التصريح بالخطبة الا ان تقولوا قولا معروفا يعني هو ما ذكر من
التعريض بالخطبة وقيل هو اعلام ولي المراة انه راغب في نكاحها ولا
تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله اي لا تحققوا العزم على
عقد النكاح في العدة حتى تنقضي وانما سماها الله كتابا لانه فرضه
واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه اي تخافوه واعلموا ان الله
غفور رحيم لا يعجل بالعقوبة **قوله عز وجل** لا جناح عليكم ان طلقتم
النسا ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة اي او لم تمسوهن ولم تفرضوا
لهن فريضة يعني ولم تعينوا لهن صداقا ولم توجبوه عليكم نزلت في رجل
من الانصار تزوج امراة من بني حنيفة ولم يسم لها صداقا ثم طلقها
قبل ان يمسها فنزلت هذه الاية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
امتعها ولو بقلنسوتك فان قلت هل على من طلق امراته جناح بعد
المسيس حتى يوضع عنه الجناح قبل المسيس فما وجه نفي الحرج والجناح عنه
قلت فيه سبب قطع الوصلة وما جا في الحديث ان ابغض الحلال
الى الله الطلاق فنفى الله الجناح عنه اذا كان الفراق اروح من الامساك
وقيل معناه لا جناح عليكم في تطليقهن قبل المسيس في اي وقت شيتم ٥
حايضا كانت المراة او طاهرا لانه لا سنة في طلاقهن قبل الدخول ومتعوهن
اي اعطوهن من مالكم ما يتمتعن به والمتعة والمتاع ما يتبلغ به من الزاد
على الموسع اي الغني الذي يكون في سعة من غناه قدره اي قدر امكانه
وطاقته وعلى المقتر اي الفقير الذي هو في ضيق من فقره قدره اي قدر امكانه
وطاقته متاعا بالمعروف يعني متعوهن تمتيعا بالمعروف يعني من غير ظلم

ولاجيب حقا اى ذلك التمتع حقا واجبا لازما على المحسنين يعنى الى
المطلقات بالتمتع وانما خص المحسنين بالذكر لانهم الذين ينتفعون
بهذا البيان وقيل معناه من اراد ان يكون من المحسنين فهذا شانه
وطريقه والمحسن هو المومن **فصل** في بيان حكم الاية وفيه
فروع الفرع الاول اذا تزوج امراة ولم يفرض لها مهرا ثم طلقها
قبل المسيس يجب لها عليه المتعة وبه قال الشافعي وابو حنيفة واحمد
وقال مالك المتعة مستحبة ولو طلقها قبل الدخول وقد فرض لها مهرا
وجب عليه لها نصف المهر المفروض ولا متعة لها الفرع الثاني
في المطلقة المدخول بها فيها قولان قال في القديم لا متعة لها لانها
تستحق المهر كاملا وبه قال ابو حنيفة وهو احد الروايتين عن احمد
وقال في الجديد لها المتعة لقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف
وهو الرواية الاخرى عن احمد قال ابن عمر لكل مطلقة متعة الا التي
فرض لها المهر ولم يدخل بها زوجها فحسبها نصف المهر الفرع
الثالث في قدر المتعة قال ابن عباس اعلاها خادم واوسطها ثلاثة
اثواب درع وخمار وازار واقلها دون ذلك وقاية او مقنعة وشي من
الورق وهو مذهب الشافعي لانه قال اعلاها على الموسع خادم واوسطها
ثوب واقل ماله ثمن ثلاثون درهما وروى ان عبد الرحمن بن عوف طلق
امراة وحممها يعني متعها جارية سود ومتع الحسن بن علي زوجته
بعشرة الاف درهم فقالت متاع قليل من حبيب مفارق وقال ابو حنيفة
مبلغها اذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا يجاوز وقال احمد
في احد الروايتين عنه تتقدر بما تجزي فيه الصلاة وقال في الرواية
الاخرى تتقدر بتقدير الحاكم والاية تدل على ان المتعة تعتبر بحال
الزوج في اليسر والعسر وانه مفوض الى الاجتهاد لانها كالنفقة التي
اوجبها الله تعالى للزوجات وبين ان حال الموسر يخالف حال
المعسر في ذلك الفرع الرابع ومن حكم الاية ان من تزوج امراة
بالغة برضاها على غير مهر صح النكاح ولها مطالبته بان يفرض لها
صداقا فان دخل بها قبل الفرض فلها عليه مهر مثلها وان طلقها
قبل الدخول والفرض فلها المتعة **قوله** عز وجل وان طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن يعني تجامعوهن وهذا في المطلقة بعد تسمية
المهر وقبل الدخول حكم الله لها بنصف المهر ولا عدة عليها وهو قوله
تعالى وقد فرضتم لهن فريضة اى سميتم لهن مهرا فنصف ما فرضتم اي
فلهن نصف المهر المسمى لان المسيس اما حقيقة في المس باليد او جعل
كناية عن الجماع وايهما كان فقد وجد الطلاق قبله وقال ابو حنيفة

الخلوة

الخلوة الصحيحة تقرر المهر ومعنى الخلوة الصحيحة ان يخلو بها وليس ٥
هناك مانع حسي ولا شرعي فالحسي نحو الرتق والقرن ويكون معهما
ثالث والشرعي نحو الحيض والنفاس وصوم الفرض وصلاة الفرض
والاحرام وسوا كان فرضا او نفلا والاية حجة لمذهب الشافعي قال
شريح لم اسمع الله ذكر في كتابه بابا ولا سترا ان زعم انه لم يمسها فلها
نصف الصداق وقال ابن عباس اذا خلا بها ولم يمسها فلها نصف المهر
فرع لو مات احد الزوجين بعد التسمية وقبل المسيس فلها
المهر كاملا وعليها العدة ان كان الزوج هو الميت وقوله تعالى الا ان
يعفون يعني النسا المطلقات والمعنى الا ان تترك المراة نصيبها من
الصداق فتهبه للزوج فيعود جميع الصداق الى الزوج او يعفو الذى
بيده عقدة النكاح فيه قولان احدهما انه الولي وهو قول ابن عباس
في رواية عن الحسن وعلقمة وطاوس والشعبي والنخعي والزهري
والسدي وبه قال الشافعي في القديم ومالك والقول الثاني انه
الزوج وهو قول علي وابن عباس في الرواية الاخرى وجبير بن مطعم
وسعيد بن المسيب وابن جبير ومجاهد والربيع وقتادة ومقاتل والضحاك
ومحمد بن كعب القرظي وهو قول ابي حنيفة والشافعي في الجديد واحمد
وجمهور الفقها فعلى القول الاول يكون معنى الاية الا ان تعفو المراة
اذا كانت ثيبا بالغة من اهل العفو عن نصيبها للزوج او يعفو وليها
اذا كانت المراة بكرا صغيرة او غير جايز التصرف فيجوز عفو وليها
فيترك نصيبها للزوج وانما يجوز عفو الولي بشروط وهي ان تكون
بكرا صغيرة ويكون الولي ابا او جدا لان غيرهما لا يزوج الصغيرة وعلى
القول الثاني الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج وصحح هذا القول
الطبري والواحدي ويكون معنى الاية او يعفو الذي بيده عقدة
النكاح يعني الزوج فيعطي المراة الصداق كاملا لان الله تعالى لما
ذكر عفو المراة على النصف الواجب لها ذكر عفو الزوج عن النصف
الساقط عنه فيحسن للمراة ان تعفو ولا تطالب بشي من الصداق وللرجل
ان يعفو فيوفي لها المهر كاملا وروي ان جبير بن مطعم تزوج امراة ثم طلقها
قبل الدخول بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وان المهر حق المراة
وليس لوليها ان يهب من مالها شيا فكذلك المهر لانه مال لها وان
تعفوا اقرب للتقوى هذا خطاب للرجال والنسا جميعا وانما غلب
جانب التذكير لان الذكورة هي الاصل والتانيث فرع عليه والمعنى
وعفو بعضكم عن بعض ايها الرجال والنسا اقرب الى حصول التقوى
وقيل هو خطاب للزوج فيترك حقه الذي ساق من المهر اليها قبل الطلاق

هو اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم يعنى ليتفضل بعضكم على
بعض فيعطى الرجل الصداق كاملا او تترك المراة نصيبها من الصداق
حثهما جميعا على الاحسان ومكارم الاخلاق ان الله بما تعملون يعنى
من عفو بعضكم لبعض عما وجب عنه من حق بصير اى لا يخفى عليه
شى من ذلك قوله عز وجل حافظوا اى داوموا وواظبوا على
الصلوات يعنى الخمس المكتوبات امر الله عز وجل عباده بالمحافظة على
الصلوات الخمس بجميع شروطها وحدودها واتمام اركانها وفعلها فى
اوقاتها المختصة والصلاة الوسطى تانيث الاوسط ووسط كل شى
خيره واعدله وقيل الوسطى يعنى الفضلى من قولهم للافضل اوسط
وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالافضل وقيل
سميت وسطى لانها اوسط الصلوات محلا فصل فى ذكر
اختلاف العلما فى الصلاة الوسطى وقد اختلف العلما من الصحابة
فمن بعدهم فى الصلاة الوسطى على مذاهب الاول ان الصلاة الوسطى
هى صلاة الفجر وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس ومعاذ وجابر وعطا
وعكرمة ومجاهد والربيع بن انس وبه قال مالك والشافعى ويدل
على ذلك ان مالكا بلغه ان على بن ابى طالب وابن عباس كانا يقولان
الصلاة الوسطى صلاة الفجر اخرجه مالك فى الموطا واخرجه الترمذى
عن ابن عباس وابن عمر تعليقا ولانها بين صلاتى جمع فالظهر والعصر
يجمعان وهما صلاتا نهار والمغرب والعشا يجمعان وهما صلاتا ليل
وصلاة الفجر لا تقصر ولا تجمع الى غيرها ولانها تاتى فى وقت مشقة
بسبب برد الشتا وطيب النوم فى الصيف وفتور الاعضا وكثرة
النعاس وغفلة الناس عنها فخصت بالمحافظة عليها لكونها معرضة
للضياع ولان الله تعالى قال عقبها وقوموا لله قانتين والقنوت
هو طول القيام وصلاة الفجر مخصوصة بطول القيام ولان الله تعالى خصها
بالذكر فى قوله وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا يعنى تشهده
ملايكة الليل وملايكة النهار فهى مكتوبة فى ديوان حفظة النهار فدل
ذلك على مزيد فضلها المذهب الثانى انها صلاة الظهر وهو
قول زيد بن ثابت واسامة بن زيد وابى سعيد الخدرى ورواية
عايشة وبه قال عبيد الله بن شداد وهو رواية عن ابى حنيفة ويدل
على ذلك ما روى عن زيد بن ثابت وعايشة قالا الصلاة الوسطى
صلاة الظهر اخرجه مالك فى الموطا عن زيد والترمذى عنهما تعليقا
واخرجه ابو داود عن زيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلى الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلى صلاة اشد على اصحاب رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم منها فنزلت حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى
وقال ان قبلها صلاتين وبعدها صلاتين ولان صلاة الظهر تاتى اوسط
النهار وفى شدة الحر ولانها تاتى بين البردين يعنى صلاة الفجر وصلاة
العصر المذهب الثالث انها صلاة العصر وهو قول على وابن
مسعود وابى ايوب وابى هريرة وابن عمر وابن عباس وابى سعيد
الخدرى وعايشة وهو قول عبيدة السلمانى والحسن البصرى وابرهيم
النخعى وقتادة والضحاك والكلبى ومقاتل وبه قال ابو حنيفة واحمد
وداود وابن المنذر وقال الترمذى وهو قول اكثر الصحابة فمن
بعدهم وقال الماوردى من اصحابنا هذا مذهب الشافعى لصحة
الاحاديث فيه قال وانما نص على انها الصبح لانه لم تبلغه الاحاديث
الصحيحة فى العصر ومذهب اتباع الحديث ويدل على صحة
هذا المذهب ما روى عن على ان النبى صلى الله عليه وسلم قال
يوم الاحزاب وفى رواية يوم الخندق ملا الله قلوبهم وبيوتهم
نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس وفى رواية
شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر وذكر نحوه وزاد فى اخرى
ثم صلاها بين المغرب والعشا اخرجاه فى الصحيحين م عن ابن
مسعود قال حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة
العصر حتى احمرت الشمس او اصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملا الله اجوافهم
وقبورهم نارا او حشا الله اجوافهم وقبورهم نارا عن سمرة بن جندب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلاة الوسطى صلاة العصر
اخرجه الترمذى وله عن ابن مسعود مثله وقال فى كل واحد منهما
حسن صحيح م عن ابى يونس مولى عايشة قال امرتنى عايشة
ان اكتب لها مصحفا وقالت اذا بلغت هذه الاية فاذنى حافظوا على
الصلوات والصلاة الوسطى قال فلما بلغتها اذنتها فاملت لى حافظوا
على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين
قالت عايشة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن حفصة
نحو ذلك ولان صلاة العصر تاتى فى وقت اشتغال الناس بمعايشهم فكان
الامر بالمحافظة عليها اولى ولانها تاتى بين صلاتى نهار وهما الفجر والظهر
وصلاتى ليل وهى المغرب والعشا وقد خصت بمزيد التاكيد والامر
بالمحافظة والتغليظ لمن ضيعها ويدل على ذلك ما روى عن ابى المليح
قال كنا مع بريدة فى غزوة فقال فى يوم ذى غيم بكروا بصلاة العصر فان
النبى صلى الله عليه وسلم قال من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله اخرجه

البخاري قوله بكروا بصلاة العصر اي قدموها في اول وقتها
ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الذي تفوته صلاة
العصر فكانما وتر اهله وماله فبقي فردا بلا اهل ولا مال ومعنى
الحديث ليكن حذره من فوت صلاة كحذره من ذهاب اهله وماله
المذهب الرابع انها صلاة المغرب قاله قبيصة بن ذويب
وحجة هذا المذهب ان صلاة المغرب تاتي بين بياض النهار وسواد الليل
ولانها ازيد من ركعتين كما في الصبح واقل من اربع ولا تقصر في السفر
وهي وتر النهار ولان صلاة الظهر تسمى الاولى لان ابتدا جبريل
كان بها واذا كانت الظهر اول الصلوات كان المغرب هي الوسطى
المذهب الخامس انها صلاة العشا ولم ينقل عن احد من السلف
فيها شي وانما ذكرها بعض المتاخرين وحجة هذا المذهب انها متوسطة
بين صلاتين لا يقصران وهما المغرب والصبح ولانها اثقل صلاة على
المنافقين المذهب السادس ان الصلاة الوسطى هي
احد الصلوات الخمس لا بعينها لان الله امر بالمحافظة على الصلوات
الخمس ثم عطف بالصلاة والوسطى وليس في الاية ذكر بيانها واذا
كان كذلك امكن ان يقال في كل واحدة من الصلوات الخمس انها هي
الوسطى ابهمها الله على عباده مع ما خصها بمزيد التوكيد تحريضا
لهم بالمحافظة على ادا جميع الصلوات على صفة الكمال والتمام ولهذا
السبب اخفى الله تعالى ليلة القدر في شهر رمضان واخفى ساعة
الاجابة في ليلة الجمعة واخفى اسمه الاعظم في جميع اسمايه ليحافظوا
على ذلك كله وهذا المذهب اختاره جمع من العلما قال محمد بن سيرين
ان رجلا سال زيد بن ثابت عن الصلاة الوسطى فقال حافظوا على
الصلوات كلها تصبها وسيل الربيع بن خيثم عن الصلاة الوسطى فقال
للسايل الوسطى واحدة منهن فحافظ على الكل تكن محافظا على الوسطى
ثم قال ارايت لو علمتها بعينها كنت محافظا عليها ومضيعا سايرهن
قال السايل لا فقال الربيع انك ان حافظت عليهن فقد حافظت
على الوسطى والصحيح من هذه الاقوال قولان قول من قال انها الصبح
وقول من قال انها العصر واصح الاقوال كلها انها العصر للاحاديث
الصحيحة الواردة فيه والله تعالى اعلم وقوله تعالى **وقوموا لله قانتين**
اي طايعين فهو عبارة عن اكمال الطاعة واتمامها والاحتراز عن ايقاع
الخلل في اركانها وسننها قيل لاهل كل دين صلاة يقومون فيها عاصين
فقوموا انتم في صلاتكم طايعين وقيل القنوت هو الدعا والذكر بدليل
امن هو قانت وما امر المحافظة على الصلوات فوجب ان يحمل هذا القنوت

على

على ما فيها من الذكر والدعا لمعنى الاية وقوموا لله داعين ذاكرين
وقيل انما خص القنوت بصلاة الصبح والوتر لهذا المعنى وقيل القنوت
هو السكوت عما لا يجوز التكلم به في الصلاة ويدل على ذلك ما روي عن
زيد بن ارقم قال كنا نتكلم في الصلاة يكلم الرجل صاحبه وهو الى جنبه في
الصلاة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن
الكلام اخرجاه في الصحيحين وقيل القنوت هو طول القيام في الصلاة
ويدل عليه ما روي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
افضل الصلاة طول القنوت اخرجه مسلم ومن القنوت ايضا طول القيام
الركوع والسجود وغض البصر والهدو في الصلاة وخفض الجناح والخشو
فيها وكان العلما اذا قام احدهم يصلي يهاب الرجل ان يلتفت او يقلب
الحصى او يعبث بشي من امور الدين الا ناسيا قوله عز وجل **فان
خفتم فرجالا** اي رجالة **او ركبانا** يعني على الدواب جمع راكب والمعنى
انه ان لم يمكنكم ان تصلوا قانتين موفين حدود الصلاة من اتمام الركوع
والسجود والخضوع والخشوع لخوف عدو او غيره فصلوا مشاة على ارجلكم
او ركبانا على دوابكم مستقبلي القبلة وغير مستقبليها وهذا في حال
المقاتلة والمسابقة في وقت الحرب وصلاة الخوف قسمان احدهما ان
يكون في حال القتال وهو المراد بهذه الاية وقسم في غير حال القتال وهو
المذكور في سورة النساء في قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة ٥
وسياتي الكلام عليها ان شا الله تعالى في موضعه واذا التحم القتال ولم
يمكن تركه لاحد فمذهب الشافعي انهم يصلون ركبانا على الدواب ومشاة
على الارجل الى القبلة والى غير القبلة يومون بالركوع والسجود ويكون
السجود اخفض من الركوع ويحترزون عن الصياح فانه لا حاجة اليه
وقال ابو حنيفة لا يصلي الماشي بل يوخر الصلاة ويقضيها لان النبي صلى
الله عليه وسلم اخر الصلاة يوم الخندق فصلى الظهر والعصر والمغرب
بعد ما غربت الشمس فيجب علينا الاقتدا به في ذلك واحتج الشافعي
لمذهبه بهذه الاية واجيب عن تاخير النبي صلى الله عليه
وسلم يوم الخندق بانه لم يكن نزل حكم صلاة الخوف انما نزلت بعد فلما نزل
صلاة الخوف لم يوخر النبي صلى الله عليه وسلم صلاة قط اما في الخوف
الحاصل لا في القتال بل بسبب اخر كالهارب من العدو او تقصده سبع هايج
او غشيه سيل يخاف على نفسه لو صلى صلاة امن فله ان يصلي صلاة شدة
الخوف بالايما في حال العدو ولان قوله تعالى فان خفتم مطلقا يتناول الكل
فان قلت قوله تعالى فرجالا او ركبانا يدل على ان المراد منه
خوف العدو حال القتال قلت هو كذلك الا انه هناك ثابت

ع

لدفع العذر وهذا المعنى موجود هنا فوجب ان يكون الحكم هنا كذلك
وروى عن ابن عباس قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله
عليه وسلم في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة اخرجه
مسلم وقد عمل بظاهر هذا جماعة من السلف منهم الحسن البصري وعطا
وطاووس ومجاهد وقتادة والضحاك وابراهيم واسحاق بن راهويه
قالوا تصلى في حال شدة الخوف ركعة وقال الشافعي ومالك وجمهور
العلما صلاة الخوف كصلاة الامن في عدد الركعات فان كان الخوف في
الحضر وجب عليه ان يصلي اربع ركعات وان كان وان كان في السفر صلى
ركعتين ولا يجوز الاقتصار على ركعة واحدة في حال من الاحوال وتاولوا
حديث ابن عباس على ان المراد به ركعة مع الامام وركعة اخرى ياتي
بها منفردا كما جاءت الاحاديث الصحيحة في صفة صلاة النبي صلى الله
عليه وسلم واصحابه في صلاة الخوف وهذا التاويل لا بد منه للجمع بين
الاحاديث وقوله تعالى فاذا امنتم يعني من خوفكم فاذكروا الله اي
فصلوا لله الصلوات الخمس تامة باركانها وسننها كما علمكم ما لم تكونوا
تعلمون فيه اشارة الى انعام الله تعالى علينا بالعلم ولولا هدايته وتعليمه
ايانا لم نعلم شيا ولم نصل الى معرفة شي فله الحمد على ذلك قوله
عز وجل والذين يتوفون منكم يا معشر الرجال ويذرون ازواجا اي
زوجات وصية لازواجهم قوله بالنصب على معنى فليوصوا وصية
وبالرفع على معنى كتب عليكم الوصية متاعا الى الحول اي متعوهن
متاعا وقيل جعل الله ذلك لهن متاعا والمتاع نفقة سنة لطعامها
وكسوتها وما تحتاج اليه غير اخراج اي غير مخرجات من بيوتهن نزلت
هذه الاية في رجل من اهل الطايف يقال له حكيم بن الحارث هاجر الى
المدينة ومعه ابوه وامراته وله اولاد فمات فرفع ذلك الى النبي صلى
الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية فاعطى النبي صلى الله عليه وسلم
ابويه واولاده ميراثه ولم يعط امراته شيا وامرهم ان ينفقوا عليها من
تركة زوجها حولا وكان الحكم في ابتدا الاسلام انه اذا مات الرجل اعتدت
زوجته حولا وكان يحرم على الوارث اخراجها من البيت قبل تمام الحول
وكان نفقتها وسكناها واجب في مال زوجها تلك السنة وليس لها
من الميراث شي ولكنها تكون مخيرة ان شات اعتدت في بيت زوجها ولها
النفقة والسكنى وان شات خرجت قبل تمام الحول وليس لها سكنى ولا
نفقة وكان يجب على الرجل ان يوصي بذلك فدلت هذه الاية على مجموع
امرين احدهما ان لها النفقة والسكنى من مال زوجها سنة والثاني
ان عليها عدة سنة ثم ان الله تعالى نسخ هذين الحكمين اما الوصية بالنفقة

والسكنى فنسخ باية الميراث فجعل لها الربع او الثمن عوضا عن النفقة
والسكنى ونسخ عدة الحول باربعة اشهر وعشرا فان قلت كيف
نسخت الاية المتقدمة المتاخرة قلت قد تكون الاية المتقدمة
متقدمة في التلاوة ومتاخرة في التنزيل كقوله تعالى سيقول السفها
من الناس مع قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السما وقوله تعالى
فان خرجن فلا جناح عليكم يعني يا معشر اوليا الميت فيما فعلن في
انفسهن من معروف تريد التزين للنكاح ولدفع الحرج عن الورثة
وجهان احدهما انه لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهن اذا خرجن
بعد انقضا الحول والوجه الثاني لا جناح عليكم في ترك منعهن من
الخروج لان مقامها في بيت زوجها حولا ولها النفقة والسكنى
وبين ان تخرج ولا نفقة لها ولا سكنى ثم نسخ الله ذلك باربعة
اشهر وعشرا والله عزيز اي غالب قوي في انتقامه ممن خالف امره ونهيه
وتعدى حدوده حكيم يعني فيما شرع من الشرايع وبين من الاحكام
قوله عز وجل وللمطلقات متاع بالمعروف انما اعاد الله تعالى
ذكر المتعة هنا لزيادة معنى وهو ان في تلك الاية بيان حكم الممسوسة
وفي هذه الاية حكم جميع المطلقات وقيل لانه لما نزل قوله ومتعوهن
على الموسع قدره الى قوله حقا على المحسنين فقال رجل من المسلمين ان
فعلت احسنت وان لم اردتم افعل فانزل الله تعالى وللمطلقات متاع
بالمعروف فجعل المتعة لهن بلام التمليك وقال تعالى حقا على المتقين
يعني المومنين الذين يتقون الشرك فقد تقدم احكام المتعة كذلك
يبين الله لكم اياته يعني يبين لكم ما يلزمكم ويلزم ازواجكم ايها المومنون
وعرفتكم احكامي والحق الذي يجب لبعضكم على بعض في هذه الايات
كذلك ابين لكم ساير احكامي من اياتي التي انزلتها على محمد صلى الله عليه
وسلم في هذا الكتاب لعلكم تعقلون اي لكي تعقلون ما بينت لكم من
الفرايض والاحكام وما فيه صلاحكم وصلاح دينكم قوله عز وجل
الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم قال اكثر المفسرين كانت قرية يقال
لها داوردان وقع فيها الطاعون فخرجت طايفة منها وبقيت طايفة فسلم
الذين خرجوا وهلك اكثر من بقي في القرية فلما ارتفع الطاعون رجع
الذين خرجوا سالمين فقال الذين بقوا ان اصحابنا اعزم منك انا لو صنعنا
كما صنعوا لبقينا كما بقوا ولين وقع الطاعون ثانية لنخرجن الى ارض لا وبا
فيها فرجع الطاعون من قابل فهرب عامة اهلها فخرجوا حتى نزلوا واديا
افيح فلما نزلوا المكان الذين يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من اسفل
الوادي وملك اخر من اعلاه ان موتوا فماتوا جميعا فان عمر خرج الى

الشام فلما جاسرع بلغه ان الوبا قد وقع بها فاخبره عبد الرحمن بن عوف
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم به بارض فلا تقدموا
عليه واذا وقع بارض فلا تخرجوا منها فرارا منه فحمد الله عمر ثم انصرف
وقيل انما فروا من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بني اسرائيل امرهم
ان يخرجوا الى قتال عدوهم فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا
وقالوا لملكهم ان الارض التي ناتيها بها وبا فلا نخرج حتى ينقطع منها
الوبا فارسل الله عليهم الموت فخرجوا فرارا منه فلما راى الملك ذلك
قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية عبادك فارهم
اية في انفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار منك فلما خرجوا
قال الله لهم موتوا عقوبة لهم فماتوا وماتت دوابهم موت رجل
واحد فاتى عليهم ثمانية ايام حتى انتفخوا واروحت اجسادهم فخرج
الناس اليهم فعجزوا عن دفنهم فحظروا حظيرة دون السباع فذلك
قوله تعالى الم تر يعني الم تعلم يا محمد باعلامي اياك وهو من روية
القلب قال اهل المعاني هو تعجب له يقول هل رايت مثل هولا كما
تقول الم تر الى صنيع فلان وكل ما في القران الم تر ولم يعاينه النبي
صلى الله عليه وسلم فهذا معناه قوله تعالى وهم الوف قيل هو من العدد
واختلفوا في مبلغ عددهم فقيل ثلاثة الاف وقيل عشرة الاف وقيل
بضع وثلاثون الفا وقيل اربعون الفا وقيل سبعون الفا واصح الاقوال
قول من قال انهم كانوا زيادة على عشرة الاف لان الله تعالى قال
وهم الوف والالوف جمع الكثير وجمع القليل الاف وقيل معنى وهم
الوف مؤتلفون جمع الف والاول اصح قالوا فمر عليهم مدة فبليت
اجسادهم وعريت عظامهم فمر عليهم حزقيل بن بوذى وهو ثالث خلفا
بني اسرائيل بعد موسى وذلك ان القيم بامر بني اسرائيل بعد موسى
كان يوشع بن نون ثم كان من بعده كالب بن يوقنا ثم قام من بعده
حزقيل وكان يقال له ابن العجوز لان امه كانت عجوزا فسالت الله تعالى
الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهب الله لها حزقيل ويقال له ذا الكفل
سمي به لانه تكفل سبعين نبيا وانجاهم من القتل فلما مر حزقيل على
هولا الموتى وقف عليهم وجعل يتفكر فيهم فاوحى الله تعالى اليه اتريد
ان اريك اية قال نعم يا رب فاحياهم الله تعالى وقيل انهم كانوا قوم
احياهم الله تعالى بعد ثمانية ايام وذلك لما اصابهم خرج في طلبهم
فوجدهم موتى فبكى وقال يا رب كنت في قوم يعبدونك ويذكرونك
فبقيت وحيدا لا قوم لي فاوحى الله اليه اني قد جعلت حياتهم اليك
فقال حزقيل احيوا باذن الله فعاشوا وقيل انهم قالوا حين احيوا

سبحانك

سبحانك ربنا وبحمدك لا اله الا انت ثم رجعوا الى قومهم وعاشوا دهرا
طويلا وسحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد دسما مثل
الكفن حتى ماتوا لاجالهم التي كتبت لهم قال ابن عباس وانها لتوجد
اليوم تلك الريح في ذلك السبط من اليهود قال قتادة مقتهم الله
على فرارهم من الموت فاماتهم الله عقوبة لهم ثم بعثهم ليستوفوا
بقية اجالهم ولو جاءت اجالهم لما بعثوا فان قلت
كيف اميت هولا مرتين في الدنيا وقد قال الله تعالى لا يذوقون
فيها الموت الا الموتة الاولى قلت ان موتهم كان عقوبة
لهم كما قال قتادة وقيل ان موتهم واحياهم كان معجزة من معجزات
ذلك النبي ومعجزات الانبيا خوارق للعادات ونوادر فلا يقاس
عليها فيكون تقدير قوله الا الموتة الاولى عام مخصوص بمعجزات
الانبيا فيكون تقدير قوله الا الموتة الاولى التي ليست من معجزات
الانبيا ولا من خوارق العادات وفي هذه الاية احتجاج على اليهود
ومعجزة عظيمة لنبينا صلى الله عليه وسلم حيث اخبره بامر لم يشاهده
وهم يعلمون صحة ذلك وفيه احتجاج على منكري البعث ايضا اذ قد
اخبر الله تعالى وهو الصادق في خبره انه اماتهم ثم احياهم في الدنيا
فهو تعالى قادر على ان يحييهم يوم القيامة وقوله تعالى حذر الموت
اي مخافة الطاعون وكان قد نزل بهم وقيل انهم امروا بالجهاد ففروا
من حذر الموت فقال لهم الله موتوا يحتمل انهم ماتوا عند قوله تعالى
موتوا ويحتمل ان يكون ذلك امر تحويل فهو كقوله كونوا قردة خاسئين
ثم احياهم يعني بعد موتهم ان الله لذو فضل على الناس يعني ان
الله تفضل على اوليك الذين اماتهم باحيايهم لانهم ماتوا على معصية
فتفضل عليهم باعادتهم الى الدنيا ليتوبوا وقيل هو العموم فهو تعالى
يتفضل على كافة الخلق في الدنيا ويخص المومنين بفضله يوم القيمة
ولكن اكثر الناس لا يشكرون يعني اكثر من انعم الله عليه لا يشكره اما
الكافر فانه لا يشكره اصلا واما المومنون فلم يبلغوا غاية شكره قوله
عز وجل وقاتلوا في سبيل الله قيل هو خطاب للذين احيوا احياهم الله
ثم امرهم بالجهاد فعلى هذا القول فيه اضمار تقديره وقيل لهم قاتلوا
في سبيل الله وقيل هو خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم ومعناه
لا تهربوا من الموت كما هرب هولا فلم ينفعهم ذلك ففيه تحريض للمومنين
على الجهاد واعلموا ان الله سميع يعني لما يقوله المتعلل عن الجهاد عليم
بما يضمره قوله عز وجل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
القرض اسم لكل ما يعطيه الانسان ليجازى عليه فسمى الله تعالى عمل

المومنين قرضا على رجا ما وعدهم من الثواب وقيل القرض ما اسلفت
من عمل صالح او سيئ قال امية بن الصلت •
• كل امرى سوف يجزى قرضه حسنا • او سيا او مدينا كالذى دانا •
واصل القرض فى اللغة القطع سمى به لان المقرض يقطع من ماله شيا
فيعطيه ليرجع اليه مثله ومعنى الاية من ذا الذى يقدم لنفسه
الى الله ما يرجو ثوابه عنده وهذا تلطف من الله تعالى فى استدعا
عباده الى اعمال البر والطاعة وقيل فى الاية اختصار تقديره
من ذا الذى يقرض عباده والمحتاجين من خلقه فهو كقوله ان الذين
يوذون الله اى يوذون عباد الله ولما جا فى الحديث الصحيح عن
ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك
وتعالى يوم القيمة يا ابن ادم استطعمتك فلم تطعمنى قال يا رب
كيف اطعمك وانت رب العالمين قال استطعمك عبدى فلان فلم
تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندى الحديث
واختلفوا فى المراد بهذا القرض فقيل هو الانفاق فى سبيل الله
وقيل هو الصدقة الواجبة وقيل صدقة التطوع لان الله تعالى
سماها قرضا والقرض لا يكون الا تبرعا ولما روى الطبرى بسنده
عن ابن مسعود قال لما نزل من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا
قال ابو الدحداح وان الله يريد منا القرض قال النبى صلى الله عليه
وسلم نعم يا ابا الدحداح قال ناولنى يدك فناوله يده قال فانى
اقرضت ربى حايطا فيه ستماية نخلة ثم جا يمشى حتى اتى الحايط
وام الدحداح فيه فى عيالها فناداها يا ام الدحداح قالت لبيك
قال اخرجى من الحايط فانى قد اقرضته لربى فقال النبى صلى الله عليه
وسلم كم من عذق رواح لابى الدحداح وقيل فى معنى يقرض الله ينفق
فى طاعته فيدخل فيه الواجب والتطوع وهو الاقرب حسنا يعنى
محتسبا طيبة بها نفسه وقيل هو الانفاق من المال الحلال على
وجوه البر وقيل هو ان لا يمن بالقرض ولا يوذى وقيل هو الخالص
لله تعالى ولا يكون فيه ريا ولا سمعة فيضاعفه له يعنى ثواب ما
انفق اضعافا كثيرة قيل هو يضاعفه الى سبعماية ضعف وقال
السدى هذا التضعيف لا يعلمه الا الله تعالى وهذا هو الاصح
وانما ابهم الله ذلك لان ذكر المبهم فى باب الترغيب اقوى من ذكر
المحدود والله يقبض ويبسط قيل يقبض بامساك الرزق والتقتير
على من يشا ويبسط يعنى يوسع على من يشا وقيل يقبض بقبول
الصدقة ويبسط بالخلف والثواب وقيل انه تعالى لما امرهم بالصدقة

وحثهم

وحثهم على الانفاق اخبر انه لا يمكنهم ذلك الا بتوفيقه وارادته
واعانته والمعنى والله يقبض بعض القلوب حتى لا تقدر على
الانفاق فى الطاعة وعمل الخير ويبسط بعض القلوب حتى تقدر
على فعل الطاعات والانفاق فى البر كما روى عن عبد الله بن عمرو
ابن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب
بنى ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث
شا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت
قلوبنا على طاعتك اخرجه مسلم وهذا الحديث من احاديث الصفات
التى يجب الايمان بها والسكوت عنها وامرارها كما جات من غير
تكييف ولا تشبيه ولا اثبات جارحة هذا مذهب اهل السنة
وسلف هذه الامة واليه ترجعون يعنى فى الاخرة فيجزيهم باعمالهم
قوله عز وجل الم تر الى الملا من بنى اسرايل الملا اشراف القوم
ووجوههم واصله الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه كالقوم
والرهط من بعد موسى اى من بعد موت موسى او من بعد زمنه اذ
قالوا يعنى اوليك الملا لنبى لهم اختلفوا فى ذلك النبى فقيل هو
يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف بن يعقوب وقيل هو شمعون بن
صيفة بن علقمة من ولد لاوى بن يعقوب وانما سمى شمعون لان امه
دعت الله ان يرزقها غلاما فاستجاب الله لها فولدت غلاما فسمته
شمعون ومعناه سمع الله دعاى وتبدل السين بالعبرانية شينا وقال
اكثر المفسرين هو اشمويل بن بال وقيل هو ابن هلقانا قيل انه من ولد
هارون ومعرفة حقيقة ذلك النبى بعينه ليست مرادة من القصة
انما المراد منها الترغيب فى الجهاد وذلك حاصل ذكر الاشارة
الى القصة كان سبب مسيلة اوليك الملا لذلك النبى انه لما
مات موسى عليه السلام وخلف من بعده فى بنى اسرايل يوشع بن
نون يقيم فيهم امر الله تعالى ويحكم بالتورية حتى قبضه الله تعالى ٥
فعظمت الاحداث بعده فى بنى اسرايل ونسوا عهد الله حتى عبدوا
الاصنام فبعث الله اليهم الياس نبيا فدعاهم الى الله تعالى وكانت
الانبيا من بنى اسرايل من بعد موسى يبعثون اليهم ليجددوا ما نسوا
من التورية ويامرهم بالعمل باحكامها ثم خلف من بعد الياس
اليسع فكان فيهم ما شا الله ثم قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده
خلوف وعظمت فيهم الخطايا وظهر لهم عدو يقال له البلشاثا وهم قوم
جالوت يسكنون ساحل الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة فظهروا
على بنى اسرايل وغلبوا على كثير من ارضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم وسبوا

من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين غلاما فضربوا عليهم الجزية واخذوا
توراتهم ولقوا بنو اسرائيل منهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر امرهم
وكان سبط النبوة قد هلكوا كلهم الا امراة حبلى فحبسوها في بيت رهبة
ان تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها
وجعلت المراة تدعو الله ان يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته
اشمويل ومعناه بالعربية اسمعيل تقول سمع الله دعائي فلما كبر الغلام
اسلمته لتعلم التورية في بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما
بلغ الغلام اتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جنب الشيخ وكان الشيخ
لا يامن عليه احدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام
فدعا الى الشيخ وقال يا ابتاه رايتك دعوتني فكره الشيخ ان يقول لا
فيفزع الغلام فقال يا بني ارجع فنم فرجع فنام ثم دعاه الثانية
فقال الغلام دعوتني فقال نم فان دعوتك فلا تجبني فلما كان الثالثة
ظهر له جبريل عليه السلام وقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة
ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا فلما اتاهم كذبوه وقالوا له استعجلت
بالنبوة ولم تنالك وقالوا له ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل
في سبيل الله اية على نبوتك وانما كان قوام بني اسرائيل بالاجتماع على
الملوك وطاعة الملوك انبياءهم وكان الملك هو الذي يسير بالجموع
والنبي هو الذي يقيم له امره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من
ربه قال وهب فبعث الله اشمويل نبيا فلبثوا اربعين سنة باحسن
حال ثم كان من امر جالوت والعمالقة ما كان فذلك قوله تعالى اذ
قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله جزم على جواب
الامر فلما قالوا له ذلك قال يعني قال النبي هل عسيتم هذا استفهام
شك يقول لعلكم ان كتب اي فرض عليكم القتال يعني مع ذلك الملك
الا تقاتلوا يعني لا تفوا بما قلتم وتجبنوا عن القتال معه قالوا وما لنا
ان لا نقاتل في سبيل الله **فان قلت** ما وجه دخول ان والعرب
تقول ما لك ان لا تفعل كذا ولكن تقول ما لك لا تفعل كذا **قلت**
دخول ان وحذفها لغتان صحيحتان فالاثبات كقوله ما لك ان لا تكون
مع الساجدين فالحذف كقوله ما لكم لا تؤمنون وقيل معناه وما لنا
ان لا نقاتل بحذف حرف الجر وقيل ان هذه زائدة ومعناه وما لنا لا نقاتل
في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي اخرج غلب عليهم
من ديارهم ظاهر كلام العموم وباطنه الخصوص لان الذي قالوا لنبيهم
ابعث لنا ملكا كانوا في ديارهم وابنائهم وانما اخرج من اسر منهم ومعنى
الاية انهم قالوا لنبيهم انا انما تركنا الجهاد لانا كنا ممنوعين من بلادنا لا يظهر

علينا عدونا فاما اذا بلغ ذلك منا فنطيع ربنا في جهاد عدونا ونمنع نساءنا
واولادنا قال الله تعالى فلما كتب عليهم القتال في الكلام حذف وتقديره
فسال الله ذلك النبي فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب
عليهم القتال تولوا اي اعرضوا عن الجهاد وضيعوا امر الله الا قليلا
منهم يعني لم يتولوا عن الجهاد وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا
على الغرفة على ما سياتي في قصتهم ان شاء الله تعالى والله عليم
بالظالمين يعني هو عالم بمن ظلم نفسه حين خالف امر ربه ولم يف بما قال
قوله عز وجل وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا
وذلك ان اشمويل سال الله عز وجل ان يبعث لهم ملكا فاتي بعصى وقرن
فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذي يكون ملكا يكون طوله طول
هذه العصى وانظر القرن الذي فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش
الدهن في القرن فهو ملك بني اسرائيل فادهن راسه بالدهن وملكه
عليهم واسم طالوت بالعبرانية وهو ساول بن قيس سبط بنيامين بن
يعقوب وانما سمي طالوت لطوله وكان اطول من جميع الناس براسه
ومنكبيه وكان طالوت رجلا دباغا يدبغ الاديم قال وهب وقيل كان
سقا يستقي الماء على حمار فضل حماره فخرج يطلبه وقال وهب ضلت حمر
لابي طالوت فارسله ابوه ومعه غلام في طلبها فمر على بيت اشمويل النبي
فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبي فسالناه عن امر الحمر
ليرشدنا او يدعو لنا فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران حاجتهما اذ
نش الدهن في القرن فقام اشمويل فقاس طالوت بالعصى فكانت على طوله
فقال لطالوت قرب راسك فقربه اليه فدهنه بدهن القدس وقال له
انت ملك بني اسرائيل الذي امرني الله تعالى ان املكك عليهم فقال
طالوت او ما علمت ان سبطي من ادنى اسباط بني اسرائيل قال بلى قال فباي
اية قال باية انك ترجع وقد وجد ابوك حمره فكان كذلك ثم قال لبني
اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وقيل انه جلس عندهم وقال
ايها الناس ان الله ملك طالوت فانت عظماء بني اسرائيل الى نبيهم اشمويل
وقالوا له ما شان طالوت تملك علينا وليس هو من بيت النبوة ولا المملكة
وقد عرفت ان النبوة في سبط لاوي بن يعقوب والمملكة في سبط يهودا
ابن يعقوب فقال لهم نبيهم اشمويل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا
قالوا انى يكون له الملك علينا اي من اين يكون له الملك وكيف يستحقه
ونحن احق بالملك منه انما قالوا ذلك لانه كان في بني اسرائيل سبطان
سبط نبوة وسبط مملكة فسبط النبوة سبط لاوي ابن يعقوب ومنه موسى
وهارون عليهما السلام وسبط المملكة سبط يهودا ابن يعقوب ومنه

داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من احدهما وانما كان من
سبط بنيامين بن يعقوب فلهذا السبب انكروا كونه ملكا وزعموا انهم
احق بالملك منه ثم اكدوا ذلك بقوله ولم يوت سعة من المال يعني
انه فقير والملك يحتاج الى المال قال يعني اشمويل النبي ان الله
اصطفاه عليكم اي اختاره عليكم وخصه بالملك وفي هذه الاية دليل
على بطلان قول من زعم من الشيعة ان الامامة موروثة وذلك
لان بني اسرايل انكروا ان يكون ملكهم من لا يكون من بيت المملكة
فرد الله عليهم واعلمهم ان هذا شرط فاسد والمستحق للملك من خصه
الله به وزاده بسطة اى فضيلة وسعة في العلم وذلك انه كان اعلم
من بني اسرايل وقيل انه اوحي حين اوتي الملك وقيل هو للعلم في الحرب
والجسم يعني بالطول وذلك لانه كان اطول براسه ومنكبيه وقيل
بالجمال وكان طالوت من اجمل بني اسرايل وقيل المراد به القوة لان العلم
بالحروب والقوة على الاعدا مما فيه حفظ المملكة والله يوتي ملكه من
يشا يعني ان الله تعالى لا اعتراض عليه لاحد في فعله فيخص بملكه
من يشا من عباده والله واسع يعني ان الله تعالى واسع الفضل والرزق
والرحمة وسعت رحمته كل شي ووسع فضله ورزقه كل خلقه والمعنى
انكم طعنتم في طالوت بكونه فقيرا والله واسع الفضل والرزق فاذا
فوض اليه الملك فتح الله عليه ابواب الرزق والمال من فضله وسعته
وقيل الواسع ذو السعة وهو الذي يعطي عن غنى عليم يعني انه تعالى
مع قدرته على اغنا الفقير عالم بما يحتاج اليه في تدبير نفسه وملكه والعليم
هو العالم بما يكون وبما كان قوله عز وجل وقال لهم نبيهم ان اية
ملكه ان ياتيكم التابوت وذلك انهم سالوا اشمويل النبي فقالوا ما اية
ملكه فقال ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت وكانت قصة التابوت على ما
ذكره علما السير والاخبار ان الله تعالى انزل على ادم عليه السلام تابوتا
فيه صورة الانبيا عليهم السلام وكان التابوت من خشب الشمار طوله
ثلاثة اذرع في عرض ذراعين وكان عند ادم ثم صار الى شيث ثم توارثه
اولاد ادم الى ان بلغ ابراهيم عليه السلام ثم كان عند اسمعيل لانه كان اكبر
اولاده ثم صار الى يعقوب ثم كان في بني اسرايل الى ان وصل الى موسى عليه
السلام وكان يضع فيه التورية ومتاعا من متاعه فكان عنده الى ان
مات ثم تداوله انبيا بني اسرايل الى وقت اشمويل وكان التابوت مما
ذكر الله تعالى فيه سكينة من ربكم واختلفوا في تلك السكينة ما هي
فقال علي بن ابي طالب هي ريح خجوج هفافة لها راسان ووجه كوجه الانسان
وقال مجاهد هي شي يشبه الهرة له راس كراس الهرة وذنب كذنب الهرة

وله جناحان وقيل له عينان لهما شعاع وجناحان من زمرد وزبرجد
وكانوا اذا سمعوا صوته تيقنوا النصر فكان اذا خرجوا وضعوا التابوت
قدامهم فاذا سار ساروا واذا وقف وقفوا وقال ابن عباس هي طست من
ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبيا وقال وهب هي روح من
الله تعالى تتكلم اذا اختلفوا في شي فتخبرهم ببيان ما يريدون وقال
عطا بن ابي رباح هي ما يعرفون من الايات التي يسكنون اليها وقال
قتادة والكلبي هي فعيلة من السكون اي طمانينة من ربكم ففي اي مكان
كان التابوت اطمانوا وسكنوا اليه وهذا القول اولى بالصحة فعلى هذا
كل شي كانوا يسكنون اليه فهو سكينة فيحمل على جميع ما كان فيه لان كل شي
يسكن اليه القلب فهو سكينة ولم يرد فيه نص صريح فلا يجوز تصويب
قول وتضعيف اخر قوله تعالى وبقية مما ترك ال موسى وال هارون
تحمله الملايكة يعني موسى وهارون انفسهما بدليل قوله صلى الله
عليه وسلم لابي موسى الاشعري لقد اوتيت مزمارا من مزامير
ال داود فالمراد به داود نفسه واختلفوا في تلك البقية التي ترك
ال موسى وال هرون فقيل هي رضاض من الالواح وعصى موسى
قاله ابن عباس وقيل عصى موسى وعصا هرون وشي من الواح
التورية وقيل كانت العلم والتورية وقيل كان فيه عصا موسى
ونعلاه وعصا هارون وعمامته وقفيز من المن الذي كان ينزل
على بني اسرايل فكان التابوت عند بني اسرايل يتوارثونه
قرنا بعد قرن فكانوا اذا اختلفوا في شي تحاكموا اليه فيتكلم ويحكم
بينهم وكانوا اذا حضروا القتال قدموه بين ايديهم يستفتحون به
على عدوهم فينصرون فلما عصوا وافسدوا سلط الله عز وجل عليهم
العمالقة فغلبوهم على التابوت واخذوه منهم وكان السبب في
ذلك انه كان لعيلي وهو الشيخ الذي ربا اشمويل ابنان شابان
وكان عيلي حبر بني اسرايل وصاحب قربانهم في زمنه فاحدث
ابناه في القربان شيا لم يكن فيه وذلك انه كان مكشوط القربان
الذي كانوا يشوطونه به كلابين فلما اخرجا كان للكاهن الذي
يشوطه فجعل ابناه كلاليب وكان النسا يصلين في بيت المقدس
فيتشبثان بهن فاوحى الله الى اشمويل ان انطلق الى عيلي وقل له
منعك حب الولد ان تزجر ابنيك ان يحدثا في قرباني وقدسي شيا
وان يعصياني فلا نزعن الكهانة منك ومن ولدك ولاهلكنك
واياهما فاخبره اشمويل بذلك ففزع وسار اليهم عدوهم من حولهم
فامر عيلي ابنيه ان يخرجا بالناس فيقاتلان ذلك العدو فخرجا

واخرجا معهما التابوت فلما تهياوا للقتال جعل عيلى يتوقع الخبر
فجاه رجل فاخبره ان الناس قد انهزموا وقد قتل ابناه قال فما
فعل التابوت قال اخذه العدو وكان عيلى قاعدا على كرسيه
فشهق ووقع على قفاه فمات فمزج امر بنى اسرايل وتفرقوا الى ان
بعث الله طالوت ملكا فسالوا اشمويل البينة على صحة ملك طالوت
فقال لهم نبيهم يعنى اشمويل ان اية ملكه يعنى علامة ملكه التى
تدل على صحته ان ياتيكم التابوت وكانت قصة رجوع التابوت
على ما ذكره اصحاب الاخبار ان الذين اخذوا التابوت من بنى
اسرايل اتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها اردود فجعلوه فى
بيت اصنام لهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فاصبحوا من الغد
والصنم تحته فاخذوه ووضعوه فوقه وسمروا قدمى الصنم على
التابوت واصبحت اصنامهم منكسة فاخرجوا التابوت من بيت
الاصنام ووضعوه على ناحية من مدينتهم فاخذ اهل تلك الناحية
القولنج فى اعناقهم حتى هلك اكثرهم فقال بعضهم لبعض اليس قد
علمتم ان اله بنى اسرايل لا يقوم له شى فاخرجوه الى قرية اخرى
فبعث الله على اهل تلك الناحية فارا فكانت الفارة تبيت مع
الرجل فيصبح ميتا قد اكلت ما فى جوفه فاخرجوه الى الصحرا ودفنوه
فى مخراة لهم فكان كل من تبرز هناك اخذه الباسور والقولنج فتحيروا
فيه فقالت لهم امراة من بنى اسرايل كانت عندهم وهى من بنات
الانبيا لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا التابوت فيكم فاخرجوه
عنكم فاتوا بعجلة باشارة تلك المراة وحملوا عليها التابوت ثم
علقوها فى ثورين وضربوا جنوبهما فاقبلا الثوران يسيران ووكل
الله بالثورين اربعة املاك يسوقونهما فاقبلا حتى وقفا على ارض
بنى اسرايل فكسرا نيرهما وقطعا حبالهما ووضعا التابوت فى ارض
فيها حصاد لبنى اسرايل ورجعا الى ارضهما فلم يرع بنى اسرايل الا
والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا الله تعالى تحمله الملايكة وقال
ابن عباس جات الملايكة بالتابوت تحمله بين السما والارض وهم
ينظرون اليه حتى وضعته عند طالوت وقال الحسن كان التابوت
مع الملايكة فى السما فلما ولى طالوت الملك حملته الملايكة ووضعته
بينهم وقال قتادة بل كان التابوت فى التيه خلفه موسى عند يوشع
ابن نون فبقى هناك فاقبلت الملايكة تحمله حتى وضعته فى دار طالوت
فاصبح فى داره فاقروا بملكه **ان فى ذلك لاية لكم** يعنى قال لهم نبيهم
اشمويل ان مجى التابوت تحمله الملايكة لاية لكم يعنى علامة ودلالة

على

على صدقى فيما اخبرتكم به ان الله بعث لكم طالوت ملكا **ان كنتم
مومنين** يعنى مصدقين بذلك قال المفسرون فلما جاءهم التابوت
اقروا بالملك لطالوت تاهب للخروج الى الجهاد فاسرعوا الطاعته
وخرجوا معه وذلك قوله تعالى **فلما فصل طالوت بالجنود** اى خرج
واصل الفصل القطع يعنى قطع مستقره شاخصا الى غيره فخرج
طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم سبعون الف مقاتل وقيل
ثمانون وقيل ماية وعشرون الفا ولم يتخلف عنه الا كبير لكبره او
مريض لمرضه او معذور لعذره وذلك انهم لما راوا التابوت لم
يشكوا فى النصر فسارعوا الى الخروج فى الجهاد وكان سيرهم فى شدة
حر شديد فشكوا الى طالوت قلة الما بينهم وبين عدوهم وقالوا
ان المياه لا تحملنا فادع الله ان يجرى لنا نهرا **قال ان الله مبتليكم
بنهر** اى مختبركم به ليبين طاعتكم وهو اعلم بذلك قال ابن عباس
هو نهر فلسطين وقيل هو نهر عذب بين الاردن وفلسطين **فمن شرب
منه فليس منى** اى فليس من اهل دينى وطاعتى **ومن لم يطعمه**
اى لم يذقه يعنى الما **فانه منى** يعنى من اهل طاعتى **الا من اغترف
غرفة بيده** قرى بفتح الغين وضمها لغتان وقيل الغرفة بالضم
التى تحصل فى الكف من الما والغرفة بالفتح الاغتراف فالضم اسم
والفتح مصدر **فشربوا منه** يعنى من النهر **الا قليلا منهم** قيل هم
اربعة الاف لم يشربوا منه وقيل ثلاث ماية وبضعة عشر رجلا
وهو الصحيح ويدل على ذلك ما روى عن البرا بن عازب قال كان
اصحاب محمد يتحدثون ان عدة اصحاب بدر على عدة اصحاب طالوت
الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه الا مومن بضعة
عشر وثلاث ماية اخرجه البخارى قيل البضع هنا ثلاثة عشر
فلما وصلوا الى النهر القى عليهم العطش فشرب منه الكل الا هذا العدد
القليل وكان من اغترف منه غرفة كما امره الله تعالى كفته الشربة
وشرب دوابه وقوى قلبه وصح ايمانه وعبر النهر سالما والذين
شربوا منه وخالفوا امر الله اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم
يرووا وجبنوا وبقوا على شط النهر ولم يجاوزوه وقيل جاوز كلهم
ولكن الذين شربوا لم يحضروا القتال وانما قاتل اوليك القليل
الذين لم يشربوا وهو قوله تعالى **فلما جاوزه هو** يعنى جاوز النهر
طالوت **والذين امنوا معه** يعنى اوليك القليل **قالوا** يعنى الذين
شربوا من النهر وخالفوا امر الله وكانوا اهل شك ونفاق فعلى
هذا يكون قد جاوز النهر مع طالوت المومن والمنافق والطايع ٥

والعاصي فلما راوا العدو قال المنافقون لا طاقة لنا اليوم بجالوت
وجنوده فاجابهم المومنون بقولهم كم من فية قليلة غلبت فية
كثيرة وقيل لم يتجاوز النهر مع طالوت الا المومنون خاصة لقوله
تعالى فلما جاوزه هو والذين امنوا معه فان قلت
فعلى هذا القول من القايل لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده
قلت يحتمل ان يكون اهل الايمان وهم الثلاث مائة وبضعة
عشر انقسموا على قسمين ثم حين راوا العدو وكثرته وقلة المومنين
قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده فاجابهم القسم الاخر
بقوله كم من فية قليلة غلبت فية كثيرة باذن الله والله مع الصابرين
ومعنى لا طاقة لنا لا قوة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين
يظنون اي يستيقنون ويعلمون انهم ملاقوا الله اي ملاقوا ثواب
الله ورضوانه في الدار الاخرة كم من فية قليلة الفية الجماعة لا واحد
له من لفظه كالرهط غلبت فية كثيرة باذن الله اي بقضا الله وارادته
والله مع الصابرين يعني بالنصر والمعونة قوله عز وجل
ولما برزوا يعني طالوت وجنوده المومنين لجالوت وجنوده يعني
الكافرين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الارض وهو ما ظهر
واستوى منها قالوا يعني المومنين اصحاب طالوت ربنا افرغ اي
اصبب علينا صبرا وثبت اقدامنا اي قوي قلوبنا لتثبت اقدامنا
وانصرنا على القوم الكافرين وذلك ان جالوت وجنوده كانوا يعبدون
الاصنام فسال المومنون الله ان ينصرهم على القوم الكافرين فهزموهم
باذن الله يعني ان الله تعالى استجاب دعا المومنين وافرغ عليهم
الصبر وثبت اقدامهم ونصرهم على القوم الكافرين حتى التقوا فهزموهم
باذن الله يعني بقضايه وارادته واصل الهزم في اللغة الكسر اي
كسروهم وردوهم وقتل داود جالوت وكانت قصة قتله على ما
ذكره اهل التفسير واصحاب الاخبار انه عبر النهر فيمن عبر مع
طالوت ايشا ابو داود في ثلاثة عشر ابنا له وكان داود اصغرهم وكان
يرمي بالقذافة فقال داود لابيه يوما يا ابتاه ما ارمي بقذافتي
شيا الا صرعته فقال له ابوه ابشر يا بني فان الله تعالى قد جعل
رزقك في قذافتك ثم اتاه مرة اخري فقال يا ابت لقد دخلت
بين الجبال فوجدت اسدا رابضا فركبته واخذت باذنه فلم يهجني
فقال له ابوه ابشر يا بني فان هذا خيرا يريده الله ثم اتاه يوما
اخر فقال يا ابتاه اني لامشي بين الجبال فاسبح فلا يبقى جبل الا
سبح معي فقال يا بني ابشر فان هذا خيرا اعطاكه الله تعالى قالوا فارسل

جالوت

جالوت الجبار الى طالوت ملك بني اسرايل ان ابرز لي وابرز اليك او
ابرز الي من يقاتلني فان قتلني فلكم ملكي وان قتلته فلي ملككم فشق
ذلك على طالوت ونادى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي
وناصفته ملكي فهاب الناس جالوت فلم يجبه احد فسال طالوت
نبيهم ان يدعوا الله في ذلك فدعى الله فاتي بقرن فيه دهن وتنور
حديد وقيل له ان صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي اذا وضع
هذا القرن على راسه سال على راسه حتى يدهن منه راسه ولا يسيل
على وجهه بل يكون على راسه كهيية الاكليل ويدخل في هذا التنور
فيملاه ولا يتقلقل فيه فدعى طالوت بني اسرايل وجربهم فلم يوافقه
احد منهم فاوحى الله الى نبيهم ان في ولد ايشا من يقتل جالوت فدعى
طالوت ايشا وقال له اعرض علي بنيك فاخرج له اثني عشر رجلا
امثال السواري فجعل يعرض واحدا واحدا على القرن فلا يرى شيا
فقال لايشا هل بقي لك ولد غيرهم قال لا فقال النبي صلى الله
عليه وسلم يا رب انه زعم ان لا ولد له غيرهم فقال له كذب فقال
له النبي ان ربي قد كذبك فقال ايشا صدق ربي يا نبي الله ان لي
ولدا صغيرا مسقاما اسمه داود استحييت ان يراه الناس لقصر قامته
وحقارته فخلفته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا وكان داود
عليه السلام رجلا قصيرا مسقاما ازرق امعر مصفرا فدعاه طالوت
ويقال انه خرج اليه فوجده في الوادي وقد سال الوادي شاوهو
يحمل شاتين شاتين يعبر بهما السيل الى الزربية التي يريح فيها
غنمه فلما راه طالوت قال هذا هو الرجل المطلوب لا شك فيه فهذا
يريح البهايم فهو بالناس ارحم فدعاه طالوت ووضع القرن على
راسه ففنش وفاض فقال له طالوت هل لك ان تقتل جالوت وازوجك
ابنتي واجري خاتمك في ملكي قال نعم فقال له هل انست من
نفسك شيا تتقوي به على قتله قال نعم اني ارعى الغنم فيجي الاسد
او النمر او الذيب فياخذ شيا من الغنم فاقوم فافتح لحييه عنها واخرجها
الى قفاه فاخذ طالوت داود ورده الى العسكر فمر داود عليه السلام
في طريقه بحجر فناداه يا داود احملني فاني حجر هارون فحمله ثم مر بحجر
اخر فقال يا داود احملني فاني حجر موسى فحمله ثم مر بحجر اخر فقال له يا
داود احملني فاني حجرك الذي تقتل به جالوت فحمله فوضع الثلاثة في
مخلاه فلما رجع طالوت الى العسكر وبعد داود وتصافوا للقتال برز
جالوت يطلب المبارزة انتدب له داود عليه السلام فاعطاه طالوت
فرسا وسلاحا فلبس السلاح وركب الفرس وسار قريبا ثم رجع

الى طالوت فقال من حوله جبن الغلام فجا فوقف على طالوت فقال
لده ما شانك فقال داود عليه السلام ان لم ينصرني ربي لم يغن عني
هذا السلاح شيا وان نصرني فلا حاجة الى به فدعني اقاتل كما اريد
قال نعم فاخذ داود مخلاته وتقلدها واخذ المقلاع بيده ومضى نحو
جالوت وكان جالوت من اشد الناس واقواهم وكان يهزم الجيوش
وحده وكان له بيضه حديد وزنها ثلاث مايه رطل فلما نظر الى
داود وهو يريده وقع الرعب في قلبه فقال له جالوت وانت تبرز
لي قال نعم وكان جالوس على فرس ابلق عليه السلاح التام فقال
اتيتني بالمقلاع والحجر كما يوتى الكلب فقال نعم وانت شر من الكلب
قال جالوت لا جرم لاقسمن لحمك بين سباع الارض وطير السما
فقال داود عليه السلام او يقسم الله لحمك ثم قال داود باسم اله
ابراهيم واخرج حجرا ثم قال باسم اله اسحق واخرج حجرا ثم قال باسم
اله يعقوب واخرج حجرا ووضعها في مقلاعه فصارت الثلاثة حجرا
واحدا وادار داود المقلاع ورمى به جالوت فسخر الله له الريح فحملت
الحجر حتى اصابت انف البيضة فخلط دماغ جالوت وخرج من قفاه
وقتل من وراىه ثلاثين رجلا وخر جالوت صريعا قتيلا فاخذه
داود يجره حتى القاه بين يدى طالوت ففرح بنو اسرايل بذلك
فرحا شديدا وهزم الله الجيش فرجع طالوت بالناس الى المدينة
سالمين غانمين وجعل الناس يذكرون داود فجا داود الى طالوت
وقال له انجز ما وعدتني به فقال اتريد ابنة الملك بغير صداق
فقال داود ما شرطت على صداقا وليس لي شي فقال ما اكلفك الا
ما تطيق انت رجل جري وفي جبالنا اعدا لنا غلف فان قتلت منهم
مايتي رجل وجيتني بغلفهم زوجتك ابنتي فاتاهم فجعل كلما قتل
واحدا منهم نظم غلفته في خيط حتى نظم مايتي غلفة فجا بها الى طالوت
والقاها بين يديه وقال ادفع الى امراتي فزوجه ابنته واجرى
خاتمه في ملكه فمال الناس الى داود عليه السلام واحبوه واكثروا
ذكره فحسده طالوت واراد قتله فاخبر بذلك ابنة طالوت رجل يقال
له ذو العينين فاخبرت بذلك داود وقالت انك مقتول الليلة قال
ومن يقتلني قالت ابي قال وهل اجرمت جرما يوجب القتل قالت
حدثني بذلك من لا يكذب ولا عليك ان تغيب الليلة حتى تنظر
مصداق ذلك فقال ان كان يريد ذلك فلا استطيع خروجا ولكن
ايتيني بزق خمر فاتته به فوضعه في مضجعه على سريره وسجاه ودخل
داود تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لابنته اين بعلك

قالت

قالت هو نايم على سريره فضربه بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر
قال يرحم الله داود ما كان اكثر شربه للخمر وخرج فلما اصبح علم انه
لم يفعل شيا فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت لحقيق انه لا يدعني حتى
يدرك ثاره مني فاشتد حجابه وحراسته واغلق دونه ابوابه ثم ان
داود اتاه ليلة وقد هدات العيون واعمى الله عنه الحجبة ودخل عليه
وهو نايم على فراشه فوضع سهما عند راسه وسهما عند رجليه وسهما
عن يمينه وسهما عن شماله وخرج فاستيقظ طالوت فبصر بالسهام
فعرفها فقال يرحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله
وظفر بي فكف ولو شا لوضع السهم في حلقي وما انا بالذي امنه فلما
كان من القابلة اتاه ثانيا فاعمى الله عنه الحجاب فدخل وهو نايم
فاخذ ابريق وضويه وكوزه الذي يشرب منه وقطع شعرات من
لحيته وشيا من طرف ثوبه ثم خرج وتوارى فلما اصبح طالوت وراى
ذلك سلط على داود العيون وطلبه اشد الطلب فلم يقدر عليه ثم
ان طالوت ركب يوما فوجد داود يمشي في البرية فقال اليوم اقتله
وركض في اثره فاشتد داود في عدوه وكان اذا فزع لم يدرك فدخل
غارا فاوحى الله تعالى الى العنكبوت فنسجت عليه فلما انتهى طالوت
الى الغار ونظر الى بنا العنكبوت قال لو كان دخل هنا لتخرق هذا
النسج وانطلق طالوت وتركه فخرج داود حتى اتى جبل المتعبدين وطعن
العلما والعباد على طالوت في شان داود فجعل طالوت لا ينهاه احد عن
قتل داود الا قتله فقتل خلقا كثيرا من العلما حتى اتى بامراة تعلم
الاسم الاعظم فامر خبازه بقتلها فرحمها الخباز فلم يقتلها وقال لعلنا
نحتاج الى عالم فتركها ثم وقع في قلب طالوت التوبة والندم على ما
فعل واقبل على البكا حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى البرية
يبكي وينادي انشد الله عبدا يعلم لي توبة الا اخبرني بها فلما كثر
ذلك منه ناداه مناد من القبور يا طالوت اما ترضى ان قتلتنا حتى
توذينا امواتا فازداد حزنا وبكا فوجه الخباز الى طالوت لما راى من
حاله ما لك ايها الملك فاخبره وقال هل تعلم لي توبة او تعلم في الارض
عالما اساله عن توبتي فقال له الخباز ايها الملك اندلك على عالم
يوشك ان تقتله قال لا فوثق منه باليمين فاخبره ان تلك المراة
العالمة عنده فقال انطلق بي اليها لاسالها عن توبتي قال نعم
فانطلق به فلما قربا من الباب قال له الخباز ايها الملك انها اذا راتك
فزعت ولكن ايت خلفي فلما دخل عليها قال لها الخباز يا هذه الست
تعلمين حقي عليك قالت بلى قال فان لي اليك حاجة تقضيها

قالت نعم قال هذا طالوت قد جاك يسالك هل له من توبة فلما
سمعت بذكر طالوت غشى عليها فلما افاقت قالت والله لا اعلم له
توبة ولكن دلونى على قبر نبى فانطلقوا بها الى قبر اشمويل فوقفت
عليه ودعت وكانت تعلم الاسم الاعظم ثم قالت يا صاحب القبر فخرج
ينفض التراب عن راسه فلما نظر الى ثلاثتهم قال ما لكم اقامت
القيمة قالت المراة لا ولكن هذا طالوت قد جا يسالك هل له
من توبة فقال اشمويل ما فعلت بعدى قال لم ادع من الشر شيا
الا فعلته وجيت اطلب التوبة فقال اشمويل يا طالوت كم لك من
الولد قال عشرة رجال قال ما اعلم لك من توبة الا ان تتخلى عن
ملكك وتخرج انت وولدك فى سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا
بين يديك ثم تقاتل انت حتى تقتل اخرهم ثم ان اشمويل سقط
ميتا ورجع طالوت احزن ما كان رهبة ان لا يتابعوه بنوه على
ما يريد وكان قد بكى حتى سقطت اشفار عينيه ونحل جسمه فجمع
اولاده وقال لهم ارايتم لو دفعت الى النار هل تنقذونى منها
فقالوا بل ننقذك بما نقدر عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ما
امركم به قالوا اعرض علينا ما اردت فذكر لهم القصة قالوا وانك
لمقتول قال نعم قالوا فلا خير لنا فى الحياة بعدك قد طابت انفسنا
بالذى سالت فتجهز هو وولده وخرج طالوت مجاهدا فى سبيل
الله فقدم اولاده فقاتلوا حتى قتلوا ثم شد هو من بعدهم
فقاتل حتى قتل وجا قاتل طالوت الى داود فبشره بقتله وقال
قتلت عدوك فقال داود ما انت بباق بعده وقتله فكان ملك
طالوت الى ان قتل مدة اربعين سنة فاتى بنو اسرايل الى داود
فملكوه عليهم واعطوه خزاين طالوت قال الكلبى والضحاك ملك
داود بعد قتل طالوت سبع سنين ولم يجتمع لبنى اسرايل على
ملك واحد الا على داود فذلك قوله تعالى **وآتاه الله الملك
والحكمة** يعنى النبوة جمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم
يكن كذلك من قبل بل كانت النبوة فى سبط والملك فى سبط وقيل
الحكمة هى العلم مع العمل به **وعلمه مما يشا** اى وعلم داود صنعة الدروع
فكان يصنعها ويبيعها وكان لا ياكل الا من عمل يده وقيل علمه منطق
الطير وقيل علمه الزبور وقيل هو الصوت الطيب والالحان ولم يعط
احدا من خلقه مثل صوت داود فكان اذا قرا اتته الوحوش حتى
يوخذ باعناقها وتظله الطير مصيخة له ويركد الما الجارى ويسكن
الريح عند قراته وقيل علمه سياسة الملك وضبطه وذلك لانه لم

يكن من بيت الملك حتى يتعلمه من ابايه وقال ابن عباس هو ان
الله اعطاه سلسلة موصولة بالمجرة وراسها عند صومعته قوتها
قوة الحديد ولونها لون النور وحلقها مستديرة مفصلة بالجوهر مدسرة
بقضبان اللولو الرطب فكان لا يحدث فى الهوى حدوث الا صلصلت
السلسلة فيعلم داود ذلك الحدث ولا يمسها ذو عاهة الا برى وكانوا
يتحاكمون اليها بعد داود الى ان رفعت فمن تعدى على صاحبه وانكره
حقا اتى السلسلة فمن كان صادقا مد يده الى السلسلة فنالها
ومن كان كاذبا لم ينلها فكانت كذلك الى ان ظهر فيهم المكر والخبث
فبلغنا ان بعض ملوكهم اودع رجلا جوهرة ثمينة فلما طالبه بالوديعة
انكره اياها فتحاكما الى السلسلة فعمد الذى عنده الجوهرة الى عكازه
فنقرها وجعل الجوهرة فيها واعتمد عليها حتى اتيا السلسلة فقال
صاحب الجوهرة رد على الجوهرة رد على الوديعة فقال صاحبه
ما اعرف لك عندى وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة
فتناولها بيده وقال للمنكر قم انت ايضا فتناولها فقال لصاحب
الجوهرة امسك عكازى فاخذها الرجل منه وقام المنكر الى السلسلة
وقال اللهم ان كنت تعلم ان الوديعة التى يدعيها قد وصلت اليه
فقرب السلسلة منى ومد يده فتناولها فتعجب القوم من ذلك
وشكوا فيها فاصبحوا وقد رفع الله السلسلة قوله **ولولا دفع الله
الناس بعضهم ببعض** يعنى ولولا ان الله يدفع ببعض الناس وهم
اهل الايمان والطاعة بعضا وهم اهل الكفر والمعاصى قال ابن
عباس ولولا دفع الله بجنود المسلمين لغلب المشركون على الارض فقتلوا
المومنين وخربوا المساجد والبلاد وقيل معناه ولولا دفع الله
بالمومنين والابرار عن الكفار والفجار **لفسدت الارض** يعنى لهلكت
بمن فيها ولكن الله يدفع بالمومن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر
روى احمد بن حنبل عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن ماية اهل بيت من جيرانه البلا
ثم قرا ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض **ولكن
الله ذو فضل على العالمين** يعنى ان دفع الفساد بهذا الطريق انعام
وافضال عم الناس كلهم **تلك ايات الله** يعنى القصص التى اقتصها
من حديث الالوف واماتتهم واحيايهم وتمليك طالوت واظهاره
بالاية وهى التابوت واهلاك الجبابرة على يد صبى **نتلوها عليك
بالحق** الذى باليقين الذى لا يشك اهل الكتاب فيه لانه فى كتبهم
وانك لمن المرسلين يعنى حيث تخبر بهذه الاخبار العجيبة والقصص

القديمة من غيران تعرف بقراة كتاب ولا سماع اخبار فدل ذلك
على انك من المرسلين وان الذى تخبر به وهى من الله تعالى قوله
عزوجل **تلك الرسل** يعنى جماعة الرسل الذى تقدم ذكرهم فى هذه
السورة **فضلنا بعضهم على بعض** فيه دليل على زوال الشبهة لمن
اوجب التسوية بين الانبيا فى الفضيلة لاستوايهم فى القيام بالرسالة
واجمعت الامة على ان الانبيا بعضهم افضل من بعض وان نبينا محمدا
صلى الله عليه وسلم افضلهم لعموم رسالته وهو قوله تعالى وما ارسلناك
الا كافة للناس بشيرا ونذيرا **منهم** اى من الرسل **من كلم الله** اى كلمه
الله وهو موسى عليه السلام **ورفع بعضهم درجات** يعنى محمدا صلى
الله عليه وسلم رفع الله منصبه ومرتبته على ساير الانبيا بما فضله
عليهم من الايات البينات والمعجزات الباهرات فما اوتى نبى من
الانبيا اية او معجزة الا اوتى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مثل
ذلك وفضل محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبيا بايات
ومعجزات اخر مثل انشقاق القمر باشارته وحنين الجذع الذى حن
عند مفارقته وتسليم الحجر والشجر عليه وكلام البهايم له شاهدة
برسالته ونبع الما من بين اصابعه وغير ذلك من الايات والمعجزات
التى لا تحصى كثرة واعظمها واظهرها معجزة واية القران العظيم الذى
عجز اهل الارض عن معارضته والاتيان بمثله فهو معجزة باقية الى
يوم القيمة **ق** عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من نبى من الانبيا الا وقد اعطى من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما
كان الذى اوتيته وحيا اوحاه الله الى فارجوا ان اكون اكثرهم تابعا على يوم
القيامة **ق** عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبيا نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت
لى الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتى ادركته الصلاة فليصل واحلت
لى الغنايم ولا تحل لاحد قبلى واعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث الى
قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة **م** عن ابى هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبيا بست اعطيت جوامع الكلم
ونصرت بالرعب واحلت لى الغنايم وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا
وارسلت الى الخلق كافة وختم بى النبيون **فان قلت** لم ذكره
على سبيل الرمز والاشارة ولم يصرح باسمه صلى الله عليه وسلم **قلت**
فى هذا الابهام والرمز من تفخيم فضله واعلا قدره صلى الله عليه وسلم
ما لا يخفى لما فيه من الشهادة بانه العلم الذى لا يشتبه ولا يلتبس فهو كما
يقول الرجل وقد فعل شيا فعله بعضكم او احدكم ويريد نفسه فيكون افخم من

التصريح

التصريح به كما سيل الحطيئة من اشعر الناس قال زهير او النابغة ثم
قال ولو شيت لذكرت الثالث اراد نفسه وقوله تعالى **واتينا**
عيسى بن مريم البينات يعنى الحجج والادلة الباهرة والمعجزات
الظاهرة على نبوته مثل ابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى **وايدناه**
بروح القدس اى وقويناه بجبريل عليه السلام فكان معه الى ان رفعه
الى السما **فان قلت** لم خص موسى وعيسى بالذكر من بين ساير
الانبيا **قلت** لما اوتيا من الايات العظيمة والمعجزات الباهرة
ولقد بين الله تعالى وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو
اية عظيمة وتاييد عيسى بروح القدس اية عظيمة ايضا فلما اوتى
موسى وعيسى من الايات العظيمة خصا بالذكر فى باب التفضيل
فعلى هذا كل من كان من الانبيا اعظم واكثر ايات ومعجزات
كان افضل ولهذا احرز نبينا صلى الله عليه وسلم قصبات السبق
فى الفضل لانه اعظم الانبيا ايات واكثرهم معجزات فهو افضلهم
صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين **ولو شا الله** اي ولو اراد الله
واصل المشية الارادة **ما اقتتل الذين من بعدهم** يعنى بعد الرسل
الذين وصفهم الله **من بعد ما جاتهم البينات** اى الدلالات الواضحات
من الله بما فيه مزدجر لمن هداه الله تعالى ووفقه **ولكن اختلفوا**
يعنى اختلف هولا الذين من بعد الرسل **فمنهم من امن** اى ثبت على
ايمانه بالله ورسوله بفضل الله **ومنهم من كفر** اى ومنهم من تعهد الكفر
بعد قيام الحجة وبعثة الرسل **ولو شا الله ما اقتتلوا** اى ولو اراد
الله ان يحجزهم عن الاقتتال لحجزهم عن ذلك **ولكن الله يفعل ما**
يريد يعنى انه تعالى يوفق من يشا لطاعته والايمان به فضلا ورحمة
ويخذل من يشا عدلا لا منه لا اعتراض عليه فى ملكه وفعله سال رجل
على بن ابى طالب رضى الله عنه عن القدر فقال يا امير المومنين اخبرنى
عن القدر فقال طريق مظلم فلا تسلكه فاعاد السوال فقال بحر
عميق فلا تلجه فاعاد السوال فقال سر الله قد خفى عليك فلا تفتشه
قوله عزوجل **يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم** قيل اراد به
الزكاة الواجبة وقيل اراد به صدقة التطوع والانفاق فى وجوه
الخير **من قبل ان ياتى يوم لا بيع فيه** اى لا فدية فيه وانما سماه بيعا
لان الفدا اشترا النفس من الهلاك والمعنى قدموا لانفسكم اليوم من
اموالكم من قبل ان ياتى يوم لا تجارة فيه فيكسب الانسان ما يفتدى به
من العذاب **ولا خلة** اى ولا مودة ولا صداقة **ولا شفاعة** وظاهر
هذا يقتضى نفى الخلة والشفاعة وقد دلت النصوص على ثبوت المودة

والشناعة بين المومنين فيكون هذا عام مخصوص والكافرون هم
الظالمون لانهم وضعوا العبادة في غير موضعها قوله عز وجل
الله لا اله الا هو الحي القيوم فصل في فضل هذه الاية
الكريمة عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شي
سنام وان سنام القران البقرة وفيها اية هي سيدة اي القران اية
الكرسي اخرجه الترمذي قوله ان لكل شي سناما وسنام كل شي
اعلاه تشبيها بسنام البعير والمراد منه تعظيم هذه السورة والسيد
الفاضل والكريم واصله من ساد يسود وقوله هي سيدة اي القران
اي افضله م عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ابا المنذر اتدري اي اية من كتاب الله معك اعظم قلت الله
لا اله الا هو الحي القيوم فضرب في صدري وقال ليهنيك العلم يا ابا
المنذر عن واثلة بن الاسقع ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم في صفة
المهاجرين فسأله انسان اي اية القران اعظم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الله لا اله الا هو الحي القيوم اخرجه ابو داود قال
العلما انما تميزت اية الكرسي بكونها اعظم اية في القران لما جمعت
من اصول الاسما والصفات من الالهية والوحدانية والحياة والعلم
والقيومية والملك والقدرة والارادة فهذه اصول الاسماء والصفات
وذلك لان الله تعالى اعظم مذكور فما كان ذكرا له من توحيد وتعظيم
كان اعظم الاذكار وفي هذا الحديث حجة لمن يقول بجواز تفضيل بعض
القران على بعض منهم ابو الحسن الاشعري وابو بكر الباقلاني قالا
لان تفضيل بعضه على بعض يقتضي نقص المفضول وليس في كلام
الله عز وجل نقص وتاول هولا ما ورد من اطلاق لفظ اعظم وافضل
على بعض الايات او السور بمعنى عظيم وفاضل ومن اجاز تفضيل
بعض القران على بعض من العلما والمتكلمين قالوا هذا التفضيل
هو راجع الى عظم اجر القاري وجزيل ثوابه وقوله ان هذه الاية
او هذه السورة اعظم او افضل بمعنى ان الثواب المتعلق بها اكثر
وهذا هو المختار وهو معنى الحديث والله اعلم عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حين يصبح اية الكرسي
واثنين من اول حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ يومه
ذلك حتى يمسي ومن قراها حين يمسي حفظ ليلته تلك حتى يصبح
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب واما التفسير فقوله عز
وجل الله لا اله الا هو نفي الالهية كل اله سواه واثبت الالهية له
سبحانه وتعالى فهو كقوله لا كريم الا زيد فانه ابلغ من قولك زيد كريم

الحي

الحي يعني الباقي على الابد الدايم بلا زوال والحي في صفة الله هو الذي
لم يزل موجودا وبالحياة موصوفا لم تحدث له الحياة بعد موت ولا يعتريه
الموت بعد حياة وساير الاحيا سواه يعتريه الموت او العدم فكل شي
هالك الا وجهه سبحانه وتعالى القيوم قال مجاهد القيوم القايم على
كل شي وتاويله انه تعالى قايم بتدبير خلقه في ايجادهم وارزاقهم
وجميع ما يحتاجون اليه وقيل هو القايم الدايم بلا زوال الموجود
الذي يمتنع عليه التغير وقيل هو القايم على كل نفس بما كسبت
والقيوم فيعول من القيام وهو نعت للقيام على الشي لا تاخذه
سنة ولا نوم السنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى نعاسا
وهو النوم الخفيف والوسنان بين النايم واليقظان والنوم هو
الثقيل المزيل للعقل والقوة وقيل السنة في الراس والنعاس في
العين والنوم في القلب فالسنة اول النوم والنوم هو غشية ثقيلة
تقع على القلب تمنع المعرفة بالاشيا والمعنى لا تاخذه سنة فضلا
عن ان ياخذه نوم لان النوم والسهو والغفلة محال على الله تعالى لان
هذه الاشيا عبارة عن عدم العلم وذلك نقص وافة والله تعالى
منزه عن النقص والافات وان ذلك تغير والله تعالى منزه عن التغير
م عن ابي موسى الاشعري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بخمس كلمات فقال ان الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض
القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل
الليل حجابه النور وفي رواية النار لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى
اليه بصره من خلقه شرح ما يتعلق بلفظ هذا الحديث منقول
من شرح مسلم للشيخ محيي الدين النووي قوله صلى الله عليه وسلم ان الله
لا ينام ولا ينبغي له ان ينام فمعناه الاخبار انه سبحانه وتعالى لا ينام
وانه مستحيل في حقه لان النوم انغمار وغلبة على العقل يسقط به الاحساس
والله تعالى منزه عن ذلك وقوله يخفض القسط ويرفعه اراد
بالقسط الميزان الذي يقع به العدل ومعناه ان الله تعالى يخفض الميزان
ويرفعه بما يوزن فيه من اعمال العباد المرتفعة اليه وقيل اراد بالقسط
الرزق الذي هو قسط كل مخلوق ومعنى يخفض يضيق على من يشا
ويرفعه اي يوسعه على من يشا وقوله يرفع اليه عمل الليل قبل النهار
يعني ان الحفظة من الملايكة يصعدون باعمال العباد في الليل بعد
انقضايه في اول النهار ويصعدون باعمال العباد في الليل بعد
انقضايه في اول النهار ويصعدون باعمال العباد بعد انقضايه في
اول الليل قوله حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى

البه بصره من خلقه سبحات بضم السين المهملة والبا الموحدة
تحت وبضم الثاني اخره جمع سبحة ومعنى سبحات وجهه نوره
وجلاله وبهاؤه والحجاب اصله في اللغة المنع وحقيقة الحجاب
انما تكون للاجسام المحدودة والله تعالى منزه عن الجسم والحد
فالمراد به هنا الشي المانع من الروية وسمي ذلك الشي المانع من
الروية نورا اونارا لانهما يمنعان من الادراك في العادة والمراد
بالوجه الذات والمراد بما انتهى اليه بصره من جميع خلقه المخلوقات
لان بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكاينات ولفظ من في قوله
من خلقه لبيان الجنس لا للتبعيض ومعنى الحديث لو زال المانع
وهو الحجاب المسمى نورا اونارا وتجلى لخلقه لاحرق جلال ذاته
جميع مخلوقاته هذا اخر كلام الشيخ على هذا الحديث والله اعلم
وروى الطبري بسنده عن ابن عباس في قوله لا تاخذه سنة
ولا نوم ان موسى عليه السلام سال الملايكة هل ينام الله فاوحى
الله تعالى الى الملايكة وامرهم ان يورقوه ثلاثا فلا يتركوه
ينام ففعلوا ثم اعطوه قارورتين فامسكهما ثم تركوه وحذروه ان
يكسرهما فجعل ينعس وهما في يده في كل يد واحدة قال فجعل
ينعس وينتبه حتى نعس نعسة فضرب احدهما بالاخرى فكسرهما
قال معمر انما هو مثل ضربه الله تعالى له يقول كذلك السموات
والارض ورواه عن ابي هريرة مرفوعا قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يحكي موسى على المنبر قال وقع في نفس موسى هل
ينام الله وذكر نحو حديث ابن عباس قال بعض العلما ان صح هذا
الحديث فيحمل على ان هذا السوال كان من جهال قوم موسى كطالب
الرويا من موسى لان الانبيا عليهم السلام هم اعلم بالله من غيرهم
فلا يجوز ان ينسب لموسى مثل هذا السوال والله اعلم قوله تعالى
له ما في السموات وما في الارض يعني ان الله تعالى ملك جميع ذلك
بغير شريك ولا منازع وهو خالقهم وهم عبيده وفي ملكه **فان قلت**
لم قال له ما في السموات ولم يقل من في السموات **قلت** لما كان
المراد اضافة كل ما سواه اليه من الخلق والملك وكان الغالب فيهم
من لا يعقل اجرى الغالب مجرى الكل فعبر عنه بلفظ كل ما من ذا
الذي يشفع عنده الا باذنه اي بامره وهذا استفهام انكار والمعنى
لا يشفع عنده احد الا بامره وارادته وذلك لان المشركين زعموا ان
الاصنام يشفعوا لهم فاخبر انه لا شفاعة لاحد عنده الا ما استثناه
بقوله الا باذنه يريد بذلك شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعة

بعض الانبيا والملايكة وشفاعة المومنين بعضهم لبعض يعلم ما
بين ايديهم وما خلفهم يعني ما بين ايديهم من الدنيا وما خلفهم من
الاخرة وقيل بعكسه لانهم يقدمون على الاخرة ويخلفون الدنيا ورا
ظهورهم وقيل يعلم ما كان قبلهم وما كان بعدهم وقيل يعلم ما قدموه
بين ايديهم من خير اوشر وما خلفهم بما هم فاعلوه والمقصود من هذا
انه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شي من احوال
جميع خلقه ولا يحيطون بشي من علمه يقال احاط بالشي اذا علمه
وهو ان يعلم وجوده وجنسه وقدره وحقيقته فاذا علمه ووقف
عليه وجمعه في قلبه فقد احاط به والمراد بالعلم المعلوم والمعنى
ان احدا لا يحيط بمعلومات الله تعالى الا بما شا يعني ان يطلعهم
عليه وهم الانبيا والرسل ليكون ما يطلعهم عليه من علم غيبه دليلا
على نبوتهم كما قال تعالى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من
رسول وسع كرسيه السموات والارض يقال وسع الشي وسعه
اذا احتمله واطاقه وامكنه القيام به واصل الكرسي في اللغة من
تركب الشي بعضه على بعض ومنه الكراسة لتركب بعض اوراقها
على بعض والكرسي في العرف اسم لما يقعد به سمي به لتركب خشباتها
بعضها على بعض واختلفوا في المراد بالكرسي هنا على اربعة اقوال
احدها ان الكرسي هو العرش نفسه قال الحسن لان العرش والكرسي
اسم للسرير الذي يصح التمكن عليه القول الثاني الكرسي غير العرش
وهو امامه وهو فوق السموات السبع دون العرش قال السدي ان
السموات والارض في جوف الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في جنب
العرش كحلقة في فلاة وعن ابن عباس ان السموات السبع في الكرسي
كدراهم سبعة القيت في ترس وقيل ان كل قايمة من قوايم الكرسي طولها
مثل السموات والارض وهو بين يدي العرش ويحمل الكرسي اربعة املاك
لكل ملك اربعة وجوه واقدامهم على الصخرة التي تحت الارض السابعة
السفلى ملك صورة ابي البشر ادم وهو يسال الرزق والمطر لبني ادم
من السنة الى السنة وملك على صورة السبع وهو يسال الرزق
للوحوش من السنة الى السنة وملك على صورة النسر وهو يسال
الرزق للطير من السنة الى السنة وفي بعض الاخبار بين حملة
العرش وحملة الكرسي سبعين حجابا من نور غلظ كل حجاب مسيرة
خمسماية عام لولا ذلك لاحترقت حملة العرش الكرسي من نور حملة
العرش القول الثالث ان الكرسي هو الاسم الاعظم لان العلم يعتمد
عليه كما ان الكرسي يعتمد عليه قال ابن عباس كرسيه علمه القول

الرابع المراد بالكرسي الملك والسلطان والقدرة لان الكرسي موضع
الملك والسلطان فلا يبعد ان يكني الملك بالكرسي على سبيل المجاز
ولا يوده اى لا يثقله ولا يجهده ولا يشق عليه حفظهما اى حفظ السموات
والارض وهو العلي اى الرفيع فوق خلقه الذى ليس فوقه شي فيما
يجب له ان يوصف به من معاني الجلال والكمال فهو العلي بالاطلاق
المتعالي عن الاشباه والانداد والاضداد وقيل العلي بالملك والسلطنة
والقهر فلا اعلى منه احد وقيل معنى العلو في صفة الله تعالى منقول
الى اقتداره وقهره واستحقاق صفات المدح جميعها على كل وجه وقيل
معناه ان يعلوا ان يحيط به وصف الواصفين العظيم يعني ذو العظمة
والكبريا الذى لا شي اعظم منه وقال ابن عباس العظيم الذى قد كمل
في عظمته وقيل العظيم هو ذو العظمة والجلال والكمال وهو في صفة الله
تعالى ينصرف الى عظم الشان وجلالة القدر دون العظم الذى هو من
نعوت الاجسام قوله عز وجل لا اكراه في الدين وسبب نزول هذه
الاية فيما روى عن ابن عباس قال كانت المراة من الانصار تكون مقلاة
وهي التي لا يعيش لها ولد فكانت تنذر لين عاش لها ولد لتهوّدنه
فاذا عاش جعلته من اليهود فجا الاسلام وفيهم منهم فلما اجليت بنوا
النضير كان فيهم عدد من اولاد الانصار فارادت الانصار استردادهم
وقالوا هم ابناونا واخواننا فنزلت الاية لا اكراه في الدين فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خيّر اصحابكم فان اختاروكم فهم منكم
وان اختاروهم فاجلوهم معهم وقيل كان لرجل من الانصار من بني سالم
ابن عوف يقال له ابو الحصين له ابنان فتنصرا قبل مبعث النبي
صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون
الزيت فلزمهما ابوهما وقال لا ادعكما حتى تسلما فاختصموا الى النبي
صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر
فانزل الله تعالى لا اكراه في الدين فخلى سبيلهما وقيل نزلت في اهل
الكتاب اذا قبلوا بذل الجزية لم يكرهوا على الاسلام وذلك ان العرب
كانت امة امية ولم يكن لهم كتاب يرجعون اليه فلم يقبل منهم الا
الاسلام او القتل ونزل في اهل الكتاب لا اكراه في الدين يعني اذا
قبلوا الجزية فمن اعطى الجزية منهم لم يكره على الاسلام فعلى هذا
القول تكون الاية محكمة ليست بمنسوخة وقيل بل الاية منسوخة
وكان ذلك في ابتدا الاسلام لم يومر بالقتال ثم نسخت باية القتال
وهو قول ابن مسعود وقال الزهري سالت زيد بن اسلم عن قول
الله تعالى لا اكراه في الدين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمكة عشر سنين لا يكره احدا في الدين فابى المشركون الا ان يقاتلوا

فاستاذنه

فاستاذن الله في قتالهم فاذن له ومعنى لا اكراه في الدين اى دين
الاسلام ليس فيه اكراه عليه قد تبين الرشد من الغي يعني ظهر ووضح
وتميز الحق من الباطل والايمان من الكفر والهدى من الضلال
بكثرة الايات والبراهين الدالة على صحته فمن يكفر بالطاغوت
يعني الشيطان وقيل هو الساحر والكاهن وقيل هو ما عبد من دون
الله تعالى وقيل كل ما يطغي الانسان فهو طاغوت فاعول من
الطغيان ويومن بالله اي ويصدق بالله انه ربه ومعبوده من دون
كل شي كان يعبده وفيه اشارة انه لا بد للكافر ان يتوب اولا عن الكفر
ويتبرا منه ثم يومن بعد ذلك بالله فمن فعل ذلك صح ايمانه وهو
قوله فقد استمسك بالعروة الوثقى اى فقد تمسك واعتصم بالعقد
الوثيق المحكم في الدين والوثقى تانيث الاوثق وقيل العروة الوثقى
السبب الذى يتوصل به الى رضى الله تعالى وهو دين الاسلام لا انفصام
لها اى لا انقطاع لها حتى تؤديه الى الجنة والمعنى ان المتمسك بالدين
الصحيح الذى هو دين الاسلام كالمتمسك بالشي الوثيق الذى لا يمكن
كسره ولا انقطاعه والله سميع يعني انه تعالى سميع قول من كفر بالطاغوت
واتى بالشهادتين عليم بما في قلبه من الايمان وقيل معناه سميع لدعايك
اياهم الى الاسلام عليم بحرصكم على اسلامهم قوله عز وجل الله ولي
الذين امنوا اى ناصرهم ومعينهم وقيل محبهم ومتولي امورهم فلا يكلهم الى
غيره وقيل هو متولي هدايتهم يخرجهم من الظلمات الى النور اى من
الكفر الى الايمان وقيل كل ما في القران من الظلمات والنور فالمراد به
الكفر والايمان غير الذى في سورة الانعام وهو قوله تعالى وجعل
الظلمات والنور فالمراد به الليل والنهار وانما سمي الكفر ظلمة لالتباس
طريقه ولان الظلمة تحجب عن ادراك الحقايق فكذلك الكفر يحجب
القلوب عن ادراك حقايق الايمان وسمي الاسلام نورا لوضوح طريقه
وبيان ادلته والذين كفروا اولياوهم الطاغوت يعني كعب بن الاشرف
وحيي بن اخطب وساير روس الضلالة يخرجونهم من النور الى الظلمات
اى من الهدى الى الضلالة فان قلت كيف قال يخرجونهم
من النور الى الظلمات وهم كفار لم يكونوا في نور قط قلت
هم اليهود كانوا مومنين بمحمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته قبل ان
يبعث لما يجدون في كتبهم من بعثه وصفته فلما بعث كفروا به وجحدوا
نبوته وقيل هو على العموم في حق جميع الكفار وسمي منع الطاغوت اياهم
عن الدخول فيه اخراجا من الايمان بمعنى صدهم الطاغوت عنه وحرمانهم
خيره وان لم يكونوا دخلوا فيه قط فهو كقول الرجل لابيه اخرجتني عن ملكك

اذا اوصي به لغيره في حيانه وحرمه منه وكقول الله تعالى اخبارا عن يوسف
عليه السلام اني تركت ملة قوم لا يومنون بالله ولم يكن قط في ملتهم
اوليك اصحاب النار هم فيها خالدون يعني الكفار والطاغوت اهل
النار الذين يخلدون فيها دون غيرهم قوله عز وجل الم تر الى الذي حاج
ابراهيم في ربه يعني هل انتهى اليك يا محمد خبر الذي خاصم ابراهيم
وجادله لان الم تر كلمة يوقف بها المخاطب على تعجب منها ولفظها استفهام
وهو كما يقال الم تر الى فلان كيف يصنع معناه هل رايت فلانا في صنعه
والذي حاج ابراهيم هو نمروذ بن كنعان الجبار وهو اول من وضع التاج
على راسه وتجبر في الارض وادعى الربوبية ان اتاه الله الملك اي
لان اتاه الله الملك فطغى وتجبر بسببه وكانت تلك المحاجة من بطر
الملك وطغيانه قال مجاهد ملك الارض اربعة مومنان وكافران
فاما المومنان فسليمان بن داود وذو القرنين واما الكافران فنمروذ
وبخت نصر واختلفوا في وقت هذه المحاجة فقيل لما كسر ابراهيم الاصنام
سجنه نمروذ ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه قال
ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت وقيل بل كان هذا بعد القايه في النار
وذلك ان الناس قحطوا على عهد نمروذ وكان الناس يمتارون من
عنده الطعام وكان اذا جاءه احد يمتار ساله من ربك فيقول انت
فيميره فخرج ابراهيم عليه السلام اليه يمتار لاهله الطعام فاتاه فقال
له من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي وامیت قال
ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي
كفر فرده بغير طعام فرجع ابراهيم الى اهله فمر على كثيب رمل اعفر
فاخذ منه تطييبا لقلوب اهله اذا دخل عليهم فلما اتى اهله ووضع متاعه
ثم نام فقامت زوجته سارة الى رحله ففتحته فاذا هو طعام اجود ما
راه احد فصنعت منه خبزا فلما انتبه قربته اليه فقال ابراهيم من اين
هذا وكان عهد اهله وليس عندهم طعام فقالت من الطعام الذي
جيت به فعلم ابراهيم ان الله قد رزقه فحمد الله تعالى ثم ان الله تعالى
بعث الى نمروذ الجبار ملكا فقال له ان ربك يقول لك ان امن بي
واتركك في ملكك قال وهل رب غيري فجاءه الثانية فقال له مثل
ذلك ثم اتاه الثالثة فرد عليه مثل ذلك فقال له الملك اجمع جموعك
فجمع الجبار جموعه فامر الله الملك ففتح عليه بابا من البعوض حتى
سترت الشمس فلم يروها فبعثها الله عليهم فاكلت لحومهم وشربت
دماءهم فلم يبق الا العظام ونمروذ ينظر ولم يصبه شي من ذلك ثم بعث
الله عليه بعوضة فدخلت في منخره فمكثت في راسه اربعماية سنة يضرب

راسه بالمطارق وكان ارحم الناس به من جمع له يديه ثم يضرب بهما راسه
فكان كذلك يعذب اربعماية سنة مدة ملكه حتى اماته الله عز وجل
اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت هذا جواب سوال غير مذكور
قال له نمروذ من ربك قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال يعني
نمروذ انا احيي واميت قال اكثر المفسرين دعا نمروذ برجلين فقتل
احدهما واستحيا الاخر فجعل ترك القتال احيا فانتقل ابراهيم صلى الله
عليه وسلم الى حجة اخرى لا عجزا عن نصر حجته الاولى فانها كانت لازمة
لانه اراد بالاحيا احيا الميت فكان لابراهيم ان يقول لنمروذ فاحيي
من امت ان كنت صادقا ولكن انتقل الى حجة اخرى اوضح من الاولى
لما راى من قصور فهم نمروذ وضعف رايه فانه عارض الفعل بمثله
ونسي اختلاف الفعلين قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق
فات بها من المغرب فبهت الذي كفر يعني تحير نمروذ ودهش ٥
وانقطعت حجته ولم يرجع اليه شيا وعرف انه لا يطيق ذلك فان قلت
كيف بهت الذي كفر وكان يمكنه ان يقول لابراهيم سل انت ربك ان
ياتي بها من المغرب قلت انما لم يقله لانه خاف لو سال ذلك
دعا ابراهيم ربك فكان ذلك زيادة في فضيحة نمروذ وانقطاعه وقيل ان
الله تعالى صرفه عن تلك المعارضة اظهارا للحجة عليه ومعجزة لابراهيم
صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح والله لا يهدي القوم الظالمين
يعني لا يرشدهم الى حجة يدحضون بها حجج اهل الحق عند المحاجة
والمخاصمة وعني بالظالمين نمروذ قوله عز وجل او كالذي مر
على قرية هذه معطوفة على الاية التي قبلها والمعنى الم تر الى الذي
حاج ابراهيم او كالذي مر على قرية فيكون هذا عطفا على المعنى وقيل
تقديره هل رايت كالذي حاج ابراهيم وهل رايت كالذي مر على
قرية واختلفوا في ذلك المار فروى عن مجاهد انه كان كافرا شك
في البعث وهذا قول ضعيف لقوله تعالى قال كم لبثت والله تعالى
لا يخاطب الكفر ولقوله تعالى ولنجعله اية للناس وهذا اللفظ لا
يستعمل في حق الكافر انما يستعمل في حق الانبيا وقال قتادة وعكرمة
والضحاك والسدي هو عزير بن شرخيا وقال وهب بن منبه هو
ارميا بن حلقيا من سبط هارون وهو الخضر ومقصود القصة تعريف
منكري البعث قدرة الله تعالى على احيا خلقه بعد اماتتهم لا تعريف
اسم ذلك المار على القرية فجايز ان يكون ذلك المار هو عزير وجايز
ان يكون ارميا وفي هذه القصة دلالة عظيمة بنبوة نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم لانه اخبر اليهود بما يجدونه في كتبهم ويعرفونه وهو نبي لم

يقرا الكتب القديمة واختلفوا في تلك القرية فقيل هي بيت
المقدس وذلك لما خربها بخت نصر والمراد بالاحيا هنا عمارتها
وقيل هي القرية التي اهلك الله اهلها بالذين خرجوا من ديارهم
وهم الوف وقيل ديرسابار اباز وقيل سلما باد وقيل هو دير هرقل
وقيل قرية العنب وقيل هي على فرسخين من بيت المقدس وقوله
ديرسابار اباز موضع كان بفارس وسلما باد محلة او قرية من
نواحي جرجان وهي ايضا من نواحي همدان ودير هرقل بكسر اوله
وراسكنة وقاف مكسورة دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم
وقيل هو موضع الفين خرجوا من ديارهم وهم الوف فاماتهم الله تعالى
ثم احياهم لحزقيل كما تقدم ويقال ان المراد بقوله تعالى او كالذي مر على
قرية وهي خاوية على عروشها هي التي عندها احيا الله حمار عزير **وهي
خاوية على عروشها** اي ساقطة على سقوفها وذلك ان السقوف
سقطت اولا ثم وقعت الحيطان عليها بعد ذلك **قال** يعني ذلك المار
انى يحيي هذه الله بعد موتها فمن قال ان ذلك المار كان كافرا وهو
ضعيف انما حمله على الشك في قدرة الله ومن قال كان نبيا حمله على
سبيل الاستبعاد بحسب مجاري العرف والعادة لا على سبيل الانكار
لقدرة الله تعالى اركان المقصود منه طلب زيادة الدلايل لاجل
التاكيد كما قال ابراهيم عليه السلام ارني كيف تحيي الموتى ومعنى
انى يحيي هذه الله من اين يحيي هذه القرية والمراد بالاحيا عمارتها
فاحب الله ان يريه اية في نفسه وفي احيا تلك القرية **وكان سبب
القصة** في ذلك ما روي عن وهب بن منبه ان الله تعالى
بعث ارميا الى ناشية بن امرص ملك بني اسرايل ليسدده ويانيه بالخبر
من الله تعالى فعظمت الاحداث في بني اسرايل وركبوا المعاصي فاوحي
الله تعالى الى ارميا ان ذكر قومك نعمي عليهم وعرفهم احداثهم وادعهم
الى فقال ارميا يارب اني ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تبلغني مخذول
ان لم تنصرني فقال الله تعالى اني الهمك فقام ارميا فيهم ولم يدر ما يقول
فالهمه الله تعالى في الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب
الطاعة وعقاب المعصية وقال في اخرها اني احلف بعزتي لاقيضن
لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم جبارا فارسيا البسه الهيبة
وانزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى
الله تعالى الى مهلك بني اسرايل بيافث ويافث اهل بابل وهم من ولد
يافث بن نوح فلما سمع ارميا ذلك صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد
على راسه فلما راى الله تضرعه وبكاه ناداه يا ارميا اشق اليك ما

اوحيت اليك قال نعم يارب اهلكني قبل ان ارى في بني اسرايل ما لا
اسر به فقال الله وعزتي وجلالي لا اهلك بني اسرايل حتى يكون في
ذلك من قبلك ففرح ارميا بذلك وطابت نفسه وقال لا والذي بعث
موسى بالحق لا ارضى بهلاك بني اسرايل ثم اتى الملك فاخبره بذلك
وكان ملكا صالحا فاستبشر وفرح وقال ان يعذبنا ربنا فبذنوبنا
وان يعف عنا فبرحمته ثم انهم مكثوا بعد ذلك الوحي ثلاث سنين
لم يزدادوا الا معصية وتماديا في الشر فقل الوحي وذلك حين اقترب
هلاكهم فدعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بخت نصر
البابلي فخرج في ستماية الف راية يريد اهل بيت المقدس فلما فصل سايرا
واتى الخبر الى ملك بني اسرايل فقال لارميا اين ما زعمت ان الله تعالى
اوحى اليك فقال ارميا ان الله لا يخلف الميعاد وانا به واثق فلما
قرب الاجل بعث الله تعالى الى ارميا ملكا تمثل في صورة رجل من بني
اسرايل فقال له ارميا من انت قال انا رجل من بني اسرايل اتيتك
استفتيك في اهل رحمي وصلت ارحامهم ولم ات اليهم الا حسنا ولا يزيدهم
اكرامي اياهم الا اسخاطا فافتني فيهم فقال له ارميا احسن فيما بينك وبين
الله وصلهم وابشر بخير فانصرف الملك فمكث اياما ثم اقبل اليه في
صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له ارميا من انت قال انا الذي
اتيتك استفتيك في شان اهلي فقال له ارميا اما طهرت اخلاقهم
بعد لك فيهم فقال يا نبي الله والذي بعثك بالحق نبيا ما اعلم كرامة
ياتيها احد من الناس الا قدمتها اليهم وافضل فقال ارميا ارجع اليهم
فاحسن اليهم اسال الله الذي يصلح عباده الصالحين ان يصلحهم فقام
الملك فمكث اياما ثم ان بخت نصر نزل بجنوده بيت المقدس ففزع
منهم بنوا اسرايل فقال ملكهم لارميا يا نبي الله اين ما وعدك الله به
فقال اني بربي واثق ثم اقبل ذلك الملك الى ارميا وهو قاعد على
جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده فقعد
بين يديه فقال له ارميا من انت قال انا الذي جيتك في شان اهلي
مرتين فقال ارميا اما ان لهم ان يفيقوا من الذي هم فيه فقال
الملك يا نبي الله ان كل شي كان يصيبني منهم قبل اليوم على عمل لا
يرضى الله عنه تعالى فقال له ارميا على اي عمل رايتهم قال على عمل
عظيم يسخط الله تعالى فغضبت لله عز وجل فاتيتك لاخبرك وانا
اسبيك بالله الذي بعثك بالحق ان تدعوا الله عليهم ليهلكوا فقال
ارميا يا مالك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان
كانوا على عمل لا ترضاه فاهلكهم فلما خرجت الكلمة من فيه حتى ارسل الله

عز وجل صاعقة من السما على بيت المقدس فالتهب مكان القربات
واحرقت سبعة ابواب من ابوابه فلما راي ذلك ارميا صاح وشق
ثيابه ونبذ الرماد على راسه وقال يا مالك السموات والارض اين
ميعادك الذي وعدتني به فنودي انه لم يصبهم ما اصابهم الا بفتياك
ودعايك عليهم فاستيقظ ارميا انها فتياه وان ذلك السايل كان
رسولا من الله تعالى اليه فخرج ارميا حتى خالط الوحوش ودخل بخت
نصر وجنوده بيت المقدس ووطي الشام وقتل بني اسرايل حتى افناهم
وخرب بيت المقدس وامر جنوده ان يملا كل رجل منهم ترسه ترابا
ويقذفه في بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملوه ثم امرهم ان يجمعوا
من كان بقي في بلدان بيت المقدس فاجتمع عنده من كان بقي من بني
اسرايل من صغير وكبير فاختار منهم سبعين الف صبي فقسمهم بين
الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم اربعة اغلمة وكان في
اوليك الغلمان دانيال عليه السلام وحنانيا وعزير وفرق من بقي
من بني اسرايل ثلاث فرق ثلثا قتلهم وثلثا سباهم وثلثا اقرهم
بالشام فكانت هذه الوقعة الاولى التي انزلها الله ببني اسرايل
بظلمهم فلما ولى بخت نصر راجعا الى بابل ومعه سبايا بني اسرايل
اقبل ارميا على حمار له ومعه عصير عنب في ركوه وسلة تين حتى غشي
ايليا وهي ارض بيت المقدس فلما راي خرابها قال اني يحيي هذه الله
بعد موتها ومن قال ان المار كان عزير قال ان بخت نصر لما خرب بيت
المقدس واقدم بسبي بني اسرايل وكان فيهم عزير ودانيال وسبعة
الاف من اهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حمار حتى دخل
دير هرقل على شط دجلة وطاف القرية فلم ير احدا وعامة شجرها
حامل فاكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل
الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق ولما راي خراب القرية وهلاك
اهلها قال اني يحيي هذه الله بعد موتها وانما قال ذلك تعجبا لا شكا
في البعث **ورجعنا** الى حديث وهب ثم ان ارميا ربط حماره بحبل
حديد والقى الله عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح ماية عام ٥
واامات حماره وبقي عصيره وتينه عنده واعمى الله عنه العيون فلم يره
احد وذلك ضحى ومنع لحمه من السباع والطير فلما مضى من وقت موته
سبعين سنة ارسل الله ملكا من ملوك فارس يقال له نوشك وقال
له ان الله يامرك ان تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وايليا حتى يعود اعمر
ما كان فانتدب الملك الف قهرمان مع كل قهرمان ثلثماية الف عامل ٥
وجعلوا يعمرونها واهلك الله بخت نصر ببعوضة دخلت في دماغه ويحيي

الله من بقي من بني اسرايل وردهم جميعا الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها
ثلاثين سنة وكثروا كاحسن ما كانوا فلما مضت الماية احيا الله منه
عينيه وساير جسده ميت ثم احيا الله جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره
عظامه تلوح بيض متفرقة فسمع صوتا من السما ايتها العظام البالية
ان الله يامرك ان تجتمعي فاجتمع بعضها الي بعض ثم نودي ان الله يامرك
ان تكتسي لحما وجلدا فكان كذلك ثم نودي ان الله يامرك ان تحيي فقام
الحمار باذن الله ثم نهق وعمر الله ارميا فهو يدور في الفلوات فذلك
قوله تعالى **فاماته الله ماية عام** اصل العام من العوم وهو السباحة
سميت السنة عاما لان الشمس تعوم في جميع بروجها **ثم بعثه** اي احياه
واصله من بعثت الناقة اذا اقمتها من مكانها **قال كم لبثت** يعني
قال الله كم قدر الزمان الذي مكثت فيه ميتا قبل ان ابعثك حيا
ويقال ان الله تعالى لما احياه بعث اليه ملكا فسأله كم لبثت **قال**
يعني ذلك المبعوث بعد مماته **لبثت يوما** وذلك ان الله اماته ضحى
في اول النهار واحياه بعد ماية سنة في اخر النهار قبل ان تغيب الشمس
فقال لبثت يوما وهو يرى ان الشمس قد غابت ثم التفت فراي بقية
من الشمس فقال **او بعض يوم قال** يعني قال الله له وقيل قال
الملك له **بل لبثت ماية عام فانظر الى طعامك** يعني التين الذي
كان معه قبل موته **وشرابك** يعني العصير **لم يتسنه** يعني لم تغيره
السنون التي اتت عليه فكان التين كانه قد قطف من ساعته والعصير
كان قد عصر من ساعته لم يتغير ولم ينتن **وانظر الى حمارك** اي وانظر
الى احيا حمارك فنظر فاذا هو عظام بيض فركب الله تعالى العظام بعضها
على بعض ثم كساه اللحم والجلد واحياه وهو ينظر **ولنجعلك اية للناس**
قيل الواو زايدة مقحمة وقيل دخول الواو زايدة دلالة على انها شرط
لفعل بعدها والمعنى وفعلنا ما فعلنا من الاماتة والاحيا لنجعلك
اية للناس يعني عبرة ودلالة على الفعل البعث بعد الموت قاله
اكثر المفسرين وقيل انه عاد الى القرية وهو اسود الراس واللحية
واولاده واولاد اولاده شيوخ وعجايز شمط وكان ذلك اية للناس
وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما قرى بالزا ومعناه
كيف نحييها يقال انشر الله الميت انشارا يعني احياه وقرى بالزاي
ومعناه كيف نرفعها من الارض ونردها الى مكانها من الجسد وتركب
بعضها الى بعض وانشار الشي رفعه وازعاجه يقال نشرته نشرا اي
رفعته فارتفع واختلفوا في معنى الاية فقال الاكثرون انه اراد عظام
الحمار قيل ان الله تعالى لما احيا عزيرا وارميا على اختلاف القولين ثم قال

انظر الى حمارك قد هلك وبليت عظامه فنظر وبعث الله ريحا فجاءت
بعظام الحمار من كل سهل وجبل فاجتمعت وركب بعضها على بعض حتى
الكسرة من العظم رجعت الى موضعها فصار حمارا من عظام ليس عليه
لحم ولا فيه دم ثم كسا الله تلك العظام اللحم والعروق والدم فصار
حمارا ذا لحم ودم لا روح فيه ثم بعث الله ملكا فاقبل اليه يمشي حتى اخذ
بمنخر الحمار فنفخ فيه الروح فقام الحمار حيا باذن الله تعالى ثم نهق وقيل
اراد بالعظام عظام هذا الرجل نفسه وذلك ان الله اماته حين بعثه
ولم يمت حماره ثم قيل له انظر الى حمارك فنظر الى حماره حيا قائما كهيئة
يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر الى الرمة في عنقه جديدة
لم تتغير ثم قيل له انظر الى العظام وذلك ان الله اول ما احيا منه
العينين فنظر سائر جسده ميتا وفي الاية تقديم وتاخير تقديره
وانظر الى حمارك وانظر الى العظام كيف ننشزها ولنجعلك اية
للناس وعن ابن عباس وغيره من المفسرين لما احيا الله عزيرا بعد
ما اماته مائة سنة ركب حماره حتى اتى الى محلته فانكره الناس وانكر
هو الناس وانكر منازله فانطلق على وهم حتى اتى منزله فاذا العجوز
عمياء مقعدة قد اتى عليها مائة وعشرون سنة وكانت امة لهم ولما خرج
عزير عنهم كانت بنت عشرين سنة وكانت قد عرفته وعقلته فقال لها
عزير يا هذه هذا منزل عزير فقالت نعم وبكت وقالت ما رايت احدا
يذكر عزيرا منذ كذا وكذا فقال انا عزير فقالت سبحان الله ان عزيرا
فقدناه من مائة سنة ولم نسمع له بذكر فقال اني عزير ان الله تعالى
اماتني مائة سنة ثم احياني فقالت ان عزير كان مجاب الدعوة وكان
يدعو للمريض وصاحب البلايا بالعافية فادع الله ان يرد على بصري
حتى اراك فان كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه ومسح يده على عينيها
فصحتا واخذ بيدها وقال لها قومي باذن الله تعالى فاطلق الله رجليها
فقامت صحيحة فنظرت اليه وقالت اشهد انك عزير وانطلقت الى بني
اسرائيل وهم في انديتهم ومجالسهم وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثمانية
عشر سنة وبنو ابنه شيوخ فقالت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت
انا فلانة مولاتكم قد دعا لي عزير فرد على بصري واطلق رجلي وزعم ان
الله كان قد اماته مائة سنة ثم بعثه فنهض الناس اليه وقال ابنه
كان لابي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فنظر
اليها فراها فعرف انه عزير وقيل لما رجع عزير الى قريته وقد احرق
بخت نصر التورية ولم يكن من الله عهد بين الخلايق بكى عزير على
التورية فاتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فتمثلت التورية

في صدره فرجع الى بني اسرائيل وقد علمه الله التورية وبعثه نبيا فقال
انا عزير فلم يصدقوه فقال اني عزير وقد بعثني الله اليكم لاجدد لكم
توراتكم قالوا فاملها علينا فاملاها عليهم من ظهر قلبه فقالوا ما
جعل الله التورية في قلب رجل بعد ما ذهبت الا انه ابنه فقالوا عزير
ابن الله وسياتي القصة في سورة التوبة ان شاء الله تعالى **وقوله**
فلما تبين له يعني فلما اتضح له عيانا ما كان ينكره من احياء القرية
وراه عيانا في نفسه **قال اعلم** قري مجزوما موصولا على الامر يعني
قال الله له اعلم وقرى اعلم على قطع الالف ورفع الميم على الخبر عن
الذي قال انى يحيى هذه الله والمعنى فلما تبين له وراى ذلك
عيانا قال اعلم **ان الله على كل شي قدير** يعني الاماتة والاحيا قوله
عز وجل **واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى** اختلفوا في سبب
هذا السوال من ابراهيم عليه السلام فقيل انه مر على دابة ميتة
وهي جيفة حمار وقيل كانت حوتا ميتة وقيل كان رجلا ميتا بساحل
البحر وقيل بحر طبرية فراها وقد توزعها دواب البحر والبر فاذا مد
البحر جاءت الحيتان فاكلت منها واذا جزر البحر جاءت السباع فاكلت
منها فاذا ذهبت السباع جاءت الطير فاكلت منها فلما راى ابراهيم
ذلك تعجب منها وقال يا رب اني قد علمت انك لتجمعها من بطون
السباع وحواصل الطير واجواف الدواب فارني كيف تحييها لاعاين
ذلك فازداد يقينا فعاتبه الله تعالى **قال اولم تومن** يعني اولم تصدق
قال بلى يا رب قد امنت وعلمت **ولكن ليطمين قلبي** اي ليسكن قلبي
عند المعاينة اراد ابراهيم عليه السلام ان يصير له علم اليقين عين
اليقين لان الخبر ليس كالمعاينة وقيل لما راى الجيفة على البحر وقد
تناولتها السباع والطير ودواب البحر تفكر كيف تجتمع ما تفرق من
تلك الجيفة وتطلعت نفسه الى مشاهدة ميت يحييه ربه ولم يكن
ابراهيم عليه السلام شاكا في احيا الله الموتى ولا في افعاله ولكنه
احب ان يرى ذلك عيانا كما ان المومنين يحبون ان يروا نبيهم محمدا
صلى الله عليه وسلم ويحبون روية الله تعالى والجنة ويطلبونه ويسالونه
في دعايهم مع الايمان بصحة ذلك وزوال الشك عنهم فكذلك احب
ابراهيم ان يصير الخبر له عيانا وقيل كان سبب هذا السوال من
ابراهيم انه لما احتج على نمرود فقال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت
فقال نمرود انا احيي واميت فقتل احدى الرجلين واطلق الاخر فقال
ابراهيم ان الله تعالى يقصد الى جسد ميت فيحييه فقال له نمرود انت
عاينته فلم يقدر ابراهيم ان يقول نعم فانتقل الى حجة اخرى ثم سال

ابراهيم ربه ان يريه كيف يحيي الموتى قال اولم تومن قال بلى ولكن
ليطمين قلبي لقوة حجتي فاذا قيل انت عاينته فاقول نعم وقال سعيد
ابن جبير لما اتخذ الله ابراهيم خليلا سال ملك الموت ربه ان ياذن
له فيبشر ابراهيم بذلك فاذن له فاتى ابراهيم ولم يكن في الدار
فدخل داره وكان ابراهيم من اغير الناس وكان اذا اخرج اغلق بابه
فلما جا وجد في الدار رجلا فثار اليه لياخذه وقال من اذن لك ان
تدخل داري فقال اذن لي رب الدار فقال ابراهيم صدقت وعرف
انه ملك فقال له من انت قال انا ملك الموت جيت ابشرك ان الله
قد اتخذك خليلا فحمد الله عز وجل وقال ما علامة ذلك قال ان
يجيب الله دعاك ويحيي الموتى بسوالك فحينيذ قال ابراهيم رب
ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تومن قال بلى ولكن ليطمين قلبي
بانك اتخذتني خليلا وتجيبني اذا دعوتك وتعطيني اذا سالتك
ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن احق
بالشك من ابراهيم اذ قال رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم
تومن قال بلى ولكن ليطمين قلبي ورحم الله لوطا لقد كان ياوي
الى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لاجبت الداعي
القول على معنى الحديث وما يتعلق به اختلف العلما
في قوله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم على اقوال
كثيرة فاحسنها واوضحها ما نقل المزني وغيره من العلما ان الشك
مستحيل في حق ابراهيم فان الشك في احيا الموتى لو كان متطرقا الى
الانبيا لكنت انا احق به من ابراهيم وقد علمتم اني لم اشك فاعلموا
ان ابراهيم لم يشك وانما خص ابراهيم بالذكر لكون الاية قد يسبق الى بعض
الاذهان الفاسدة منها احتمال الشك فنفى ذلك عنه وقال الخطابي
ليس في قوله نحن احق من ابراهيم اعتراف بالشك في نفسه ولا على
ابراهيم لكن فيه نفي الشك عنهما يقول اذا لم اشك انا في قدرة الله
على احيا الموتى فابراهيم اولى ان لا يشك قال ذلك على سبيل التواضع
والهضم من النفس وكذلك قوله لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف
لاجبت الداعي وفيه الاعلام بان المسيلة من ابراهيم لم تعرض على
جهة الشك لكن من قبل زيادة العلم بالعيان والعيان يفيد من
المعرفة والطمانينة ما لا يفيد بالاستدلال وقيل لما نزلت هذه
الاية قال قوم شك ابراهيم ولم يشك نبينا صلى الله عليه وسلم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم
ومعناه ان الذي تظنونه شكا انا اولى به فانه ليس بشك وانما طلب

لكون

لمزيد

لمزيد اليقين وانما رجح ابراهيم صلى الله عليه وسلم على نفسه صلى الله
عليه وسلم تواضعا منه وادبا او قبل ان يعلم انه صلى الله عليه وسلم خير
من ولد ادم **واما تفسير الاية** فقوله تعالى واذ قال ابراهيم
اي واذكر يا محمد اذ قال ابراهيم وقيل انه معطوف على قوله الم تر الى
الذي حاج ابراهيم في ربه الم تر اذ قال رب ارني كيف تحيي الموتى قال
يعني قال الله لابراهيم اولم تومن الالف في اولم تومن الف اثبات
وايجاب كقول جرير الستم خير من ركب المطايا اي الستم كذلك
والمعنى اولست قد امنت وصدقت باني احيي الموتى قال بلى قد
امنت وصدقت ولكن ليطمين قلبي يعني سالتك ذلك ارادة ٥
طمانينة القلب وزيادة اليقين وقوة الحجة وقال ابن عباس
معناه ولكن لاري من اياتك واعلم انك اجبتني **قال فخذ اربعة
من الطير** قيل اخذ طاووسا وديكا وحمامة وغرابا وقيل نسرا بدل
الحمامة **فان قلت** لم خص الطير من جملة الحيوانات بهذه
الحالة **قلت** لان الطير صفته الطيران في السما والارتفاع
في الهوا وكان همة ابراهيم عليه السلام كذلك وهو العلو في الوصول
الى الملكوت فكانت معجزاته مشاكلة لهمته **فان قلت** لم خص
هذه الاربعة اجناس من الطير بالاخذ **قلت** فيه اشارة ففي
الطاووس اشارة الى ما في الانسان من حب الزينة والجاه وفي النسر
اشارة الى شدة الشغف بالاكل وفي الديك اشارة الى شدة الشغف
بحب النكاح وفي الغراب اشارة الى شدة الحرص ففي هذه الطيور
مشابهة لما في الانسان من حب الاوصاف وفيه اشارة الى ان الانسان
اذا ترك هذه الشهوات الذميمة حقق اعلا الدرجات وفاز بنيل
السعادات **فصرهن** قرئ بكسر الصاد ومعناه فقطعهن ومزقهن
وقرئ بضم الصاد ومعناه املهن **اليك** ووجههن وقيل معناه
اجمعهن واضممهن اليك فمن فسره بالامالة والضم قال فيه اضمار
ومعناه فصرهن اليك ثم قطعهن فحذفه اكتفا بقوله **ثم اجعل
على كل جبل منهن جزا** لانه يدل عليه قال المفسرون امر الله تعالى
ابراهيم صلى الله عليه وسلم ان يذبح تلك الطيور وينتف ريشها
وان يخلط ريشها ولحمها ودمها بعضه ببعض ففعل ثم امره ان يجعل
يجعل على كل جبل منهن جزا واختلفوا في عدد الاجزا والاجبال فقال
ابن عباس امره ان يجعل كل طاير اربعة اجزا وان يجعلها على اربعة
اجبال على كل جبل ربعا من كل طاير وقيل جبل على جهة المشرق وجبل
على جهة المغرب وجبل على جهة الشمال وجبل على جهة الجنوب

وقيل جزاه سبعة اجزا ووضعها على سبعة اجبل وامسك روسهن بيده
ثم دعاهن فقال تعالين باذن الله تعالى فجعل كل قطرة من دم طاير يطير
الى القطرة الاخرى وكل ريشة تطير الى الريشة الاخرى وكل عظم يطير
الى العظم الاخر وكل بضعة تطير الى البضعة الاخرى وابراهيم ينظر
حتى لقيت كل جثته بعضها ببعض في السما بغير روس ثم اقبلن سعيا
الى روسهن كلما جا طاير قال براسه فان كان راسه دنى منه وان لم يكن
تاخر عنه حتى التقى كل طاير براسه فذلك قوله تعالى **ثم ادعهن ياتينك
سعيا** وقيل المراد بالسعي الاسراع والعدو وقيل المشي والحكمة في سعي
الطيور اليه دون الطيران لان ذلك ابعد من الشبه لانه لو طارت
لتوهم متوهم انها غير تلك الطير وان رجلها غير سليمة فنفى الله تعالى
هذه الشبهة بقوله ياتينك سعيا وقيل المراد بالسعي الطيران وفيه
ضعف لانه لا يقال للطاير اذا طار سعى وقيل السعي هو الحركة الشديدة
واعلم ان الله عزيز يعني انه تعالى غالب على جميع الاشيا لا يعجزه شي
حكيم يعني في جميع اموره قوله عز وجل **مثل الذين ينفقون
اموالهم في سبيل الله** قيل اراد به الانفاق في الجهاد وقيل هو الانفاق
في جميع ابواب الخير ووجوه البر فيدخل فيه الواجب والتطوع وفيه
اضمار تقديره مثل صدقات الذين ينفقون اموالهم **كمثل حبة** اى كمثل
حبة اى كمثل زراع حبة **انبتت** يعني اخرجت تلك **سبع سنابل** جمع
سنبلة **في كل سنبلة ماية حبة** فان قلت فهل رايت سنبلة فيها
ماية حبة حتى يضرب المثل بها قلت ذلك غير مستحيل وما لا
يكون مستحيلا فضرب المثل به جايز وان لم يوجد والمعنى في كل سنبلة
ماية حبة ان جعل الله ذلك فيها وقيل هو موجود في الدخن وقيل
المقصود من الاية انه اذا علم الانسان الطالب للزيادة والربح انه
اذا بذر حبة واحدة اخرجت له سبعماية حبة ما كان ينبغي له ترك
ذلك ولا التقصير فيه فكذلك ينبغي لمن طلب الاجر عند الله في الاخرة
ان لا يترك الانفاق في سبيل الله اذا علم انه يحصل له بالواحد عشرة
وماية وسبعماية **والله يضاعف لمن يشا** يعني انه تعالى يضاعف
هذه المضاعفة لمن يشا وقيل معناه يضاعف على هذا ويزيد لمن يشا
من سبع الى سبعين الى سبعماية الى ما يشا من الاضعاف مما لا يعلمه
الا الله **والله واسع** اى غني يعطي الغني على سعة وقيل واسع القدرة
على المجازاة وعلى الجود والافضال **عليم** يعني بنية من ينفق في سبيله
وقيل عليم بمقادير الانفاق وبما يستحق المنفق من الجزا والثواب عليه
قوله عز وجل **الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله** قيل نزلت في عثمان

ابن عفان وعبد الرحمن بن عوف اما عثمان فجهز المسلمون في غزوة تبوك
تبوك بالف بعير باقتابها واحلاسها فنزلت هذه الاية وقال عبد
الرحمن بن سمرة جا عثمان بالف دينار في جيش العسرة فصبها في حجر النبي
صلى الله عليه وسلم فرايته يدخل يده فيها ويقلبها ويقول ما ضر عثمان ما
عمل بعد اليوم فانزل الله الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله واما
عبد الرحمن فجا باربعة الاف درهم صدقة الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال كان عندي ثمانية الاف فامسكت لنفسي وعيالي اربعة
الاف واربعة الاف اخرجتها لربي عز وجل فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بارك الله لك فيما امسكت وفيما اعطيت والمعنى الذين
يعينون المجاهدين في سبيل الله بالانفاق عليهم في حوايجهم ومونتهم
ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى اى اتبع نفقته التي انفقها عليهم
المن والاذى وهو ان يمن عليهم بعطايه فيقول قد اعطيتك كذا وكذا
فيعدد نعمه عليه فيكدرها عليه والاذى هو ان يعيره فيقول كم تسال
وانت فقير ابدا او قد بليت بك واراحني الله منك وامثال ذلك والمن
في اللغة الانعام والمنة النعمة الثقيلة يقال من فلان على فلان
اذا اثقله بالنعمة ويقول ذلك بالقول ايضا ومنه قول الشاعر

• فمنى علينا بالسلام فانما • كلامك ياقوت ودر منظم •

ومن المن بالقول ما هو مستقبح بين الناس مثل ان يمن على الانسان بما
اعطاه قال عبد الرحمن بن يزيد كان ابي يقول اذا اعطيت رجلا شيا
ورايت ان سلامك يثقل عليه فلا تسلم عليه والعرب تمدح بترك
المن وكتم النعمة وتذم على اظهاره والمن به قال قايلهم في المدح بترك
المن • زاد معروفك عندي عظما • انه عندك مستور حقير •

• تتناساه كان لم تاته • وهو في العالم مشهور كبير •

وقال قايلهم يذم المنان بالعطا •

• اتيت قليلا ثم اسرعت منة • فنيلك ممنون لذاك قليل •

واما الاذى فهو ما يصل الى الانسان من ضرر بقول او فعل اذا عرفت
هذا فنقول المن هو اظهار المعروف الى الناس والمن عليهم به والاذى
هو ان يشكي منهم بسبب ما اعطاهم فحرم الله تعالى على عباده المن
بالمعروف والاذى فيه وذم فاعله فان قلت كيف وصف الله
تعالى نفسه بالمنان فما الفرق قلت المنان في صفة الله تعالى
معناه المتفضل فمن الله افضال على عباده ومن العباد تعيير وتكدير
فظهر الفرق بينهما وقوله تعالى **لهم اجرهم** يعني ثوابهم **عند ربهم**
يعني في الاخرة **ولا خوف عليهم** يعني يوم القيمة **ولا هم يحزنون** يعني على

ما خلفوا من الدنيا قول معروف اى كلام حسن ورد جميل على الفقير
السايل وقيل عدة حسنة يوعده بها وقيل دعا صالح يدعو له بظاهر
الغيب ومغفرة اى يستر عليه خلله وفقره ولا يهتك ستره وقيل هو
ان يتجاوز عن الفقير اذا استطال السخط عليه حالة رده خير من
صدقة يعني هذا القول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التى
يدفعها الى الفقير يتبعها اذى وهو ان يعطي الفقير الصدقة ويمن
عليه بها ويعيره بقول او يوذيه بفعل والله غني اى مستغن عن
صدقة العباد والغني الكامل الغني الذى لا يحتاج الى احد وليس
كذلك الا الله تعالى حليم يعني انه تعالى حليم لا يعجل بالعقوبة على
من يمن على عباده ويوذى بصدقته قوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا لا تبطلوا صدقاتكم يعني اجور صدقاتكم بالمن والاذى يعني
على السايل الفقير وقال ابن عباس بالمن على الله والاذى لصاحبها
ثم ضرب الله لذلك مثلا فقال تعالى كالذى اى كابطال الذى
ينفق ماله رياء الناس اى مراياة لهم وسمعة ليروا نفقته ويقولوا
انه سخي كريم ولا يؤمن بالله واليوم الاخر يعني ان الريا يبطل الصدقة
ولا تكون النفقة مع الريا من فعل المومنين لكن من فعل المنافقين
لان الكافر معلن بكفره غير مراي به فمثله اي مثل هذا المراي بصدقته
وساير اعماله كمثل صفوان هو الحجر الاملس الصلب وهو واحد وجمع لمن
جعله جمعا قال واحده صفوانة ومن جعله واحدا قال جمعه صفى
عليه تراب اى على ذلك الصفوان تراب فاصابه وابل يعني المطر
الشديد العظيم القطر فتركه صلدا يعني ترك المطر ذلك الصفوان
صلدا املس لا شى عليه من ذلك التراب فهذا مثل ضربه الله تعالى
لنفقة المنافق والمراى والمومن المنان بصدقته يورى الناس ان لهولا
اعمالا فى الظاهر كما يرى التراب على هذا الصفوان فاذا جا المطر اذهبه
وازاله وكذلك حال هولا يوم القيمة تبطل اعمالهم وتضمحل لانها لم تكن
لله تعالى كما اذهب الوابل ما على الصفوان من التراب لا يقدرون
على شى مما كسبوا اى لا يقدرون على ثواب شى مما عملوا فى الدنيا والله
لا يهدي القوم الكافرين يعني الذين سبق فى علمه انهم يموتون على
الكفر روى البغوى بسنده عن محمود بن لبيد ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال انما اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر
قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الريا يقال لهم يوم
تجازي العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراوون فانظروا
هل تجدون عندهم جزاء م عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك
من عمل عملا اشرك فيه معي غيرى تركته وشركه قوله عز وجل
ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله اى طلب رضى الله
وتثبيتا من انفسهم يعني على الانفاق فى طاعة الله تعالى وتصديقا
بثوابه وقيل معناه ان انفسهم موقنة مصدقة بوعد الله اياها فيما
انفقت وقيل احتسابا وقيل تصديقا والمعنى انهم يخرجون زكاة اموالهم
وينفقون اموالهم فى ساير البر والطاعات طيبة انفسهم بما انفقوا على
يقين بثواب الله وتصديق بوعده يعلمون ان ما انفقوا خير لهم مما
تركوا وقيل معناه باخلاف الله عليهم وقيل معناه انهم يتثبتون فى الموضع
الذى يضعون فيه صدقاتهم وقيل كان الرجل اذا هم بصدقة تثبت
فان كانت لله خالصة امضاها وان كان خالطه شك او ريا امسك
كمثل جنة اى بستان قال الفرا اذا كان فى البستان نخل فهو جنة وان
كان فيه كرم فهو فردوس بربوة اى للمكان المرتفع عن الارض المستوى
فلان ما ارتفع من الارض عن مسيل الما والاودية كان ثمرها احسن
وازكى اذا كان لها من الما ما يرويها وقيل هى الارض المستوية
الجيدة الطيبة اذا اصابها المطر انتفخت وربت فاذا كانت الارض
بهذه الصفة كثر ريعها وحملت اشجارها اصابها وابل وهو المطر
الكثير الشديد قال بعضهم •
• ما روضة من رياض الحزن معشبة • خضرا جاد عليها وابل هطل •
اراد بالحزن ما غلظ وارتفع من الارض فاتت اكلها ضعفين اى
فاعطيت ثمرتها مثلين وقيل انها حملت فى سنة من الريع ما يحمل غيرها
فى سنتين وقيل اضعفت فحملت فى السنة مرتين فان لم يصبها وابل
فطل اى طش وهو المطر الخفيف الضعيف والمعنى ان لم يكن اصابها
وابل واصابه طل فتلك حال هذه الجنة فى تضاعف ثمرها فانها لا
تنقص بالطل عن مقدار ثمرها بالوابل وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل
المومن المخلص فى انفاقه وساير اعماله يقول الله تعالى كما ان هذه
الجنة تريع وتزكو فى اى حال ولا تخلف سوا كان المطر قليلا ام كثيرا ه
فكذلك يضعف الله صدقة المؤمن المخلص فى صدقته وانفاقه الذى
لا يمن ولا يوذى سوا قلت نفقته او كثرت والله بما تعملون بصير
يعني انه تعالى لا يخفى عليه نفقة المخلص فى صدقته الذى لا يمن بها
ولا يوذى والذي يمن بصدقته ويوذى قوله عز وجل ايود احدكم ان
تكون له جنة من نخيل واعناب هذه متصلة بما قبلها وهو قوله تعالى
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى يعني ايحب احدكم ان تكون له جنة اي

بستان من نخيل واعناب اى خصهما بالذكر لانهما اشرف الفواكه واحسنها
ولما فيهما من الغذا اوا لتفكه تجري من تحتها الانهار يعني ان جرى
الانهار فيها من تمام حسنها وسببا الزيادة ثمرها له فيها من كل الثمرات
لان ذلك من تمام كمال البستان وحسنه واصابه الكبر يعني صاحب
هذه الجنة كثرت جهات حاجاته ولم يكن له كسب غيرها فحينئذ يكون
في غاية الاحتياج الى تلك الجنة فان قلت كيف عطف واصابه
الكبر على ايود وكيف يجوز عطف الماضي على المستقبل قلت
فيه وجهان احدهما ان يكون له جنة حال ما اصابه الكبر والوجه
الثاني انه عطف على المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة
واصابه الكبر وله ذرية ضعفا يعني اولادا صغارا عجزت عن الحركة
بسبب الضعف والقصر فاصابها يعني اصاب تلك الجنة اعصار
فيه نار فاحترقت الاعصار ريح ترتفع الى السماء وتستدير كانها عمودا
وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المنافق والمرائي يقول مثل عمل المنافق
والمرائي بعمله في حسنه كحسن جنة ينتفع بها صاحبها فلما كبر وضعف
وصار له اولاد ضعاف اصاب جنته اعصار فيه نار فاحرقها وهو
احوج ما يكون اليها فحصل في قلبه من الغم والحسرة ما لا يعلمه
الا الله تعالى لكبره وضعف اولاده فهو لا يجد ما يعود به على اولاده
وهم لا يجدون ما يعودون به عليه فبقوا جميعا متحيرين عجزة لا حيلة
بايديهم فكذلك حال من اتى يوم القيمة باعمال حسنة لم يقصد بها
وجه الله تعالى فيبطلها الله تعالى وهو في غاية الحاجة اليها حين
لا مستعتب له ولا توبة وقال عبيد بن عمير قال عمر يوما لاصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترون نزلت هذه الاية ايود احدكم
قالوا الله اعلم فغضب عمر وقال نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي
منها شي يا امير المومنين فقال عمر قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك فقال
ضرب الله مثل لعمل قال لاى عمل قال لرجل غني يعمل بطاعة الله ثم
بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى احرق اعماله كلها كذلك
يبين الله لكم الايات يعني كما بين الله تعالى لكم امر النفقة المقبولة
وغير المقبولة كذلك يبين الله لكم من الايات سوى ذلك لعلكم
تتفكرون اي فتتعظون وقال ابن عباس لعلكم تتفكرون يعني في
زوال الدنيا واقبال الاخرة قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا انفقوا
من طيبات ما كسبتم اى من خيار ما كسبتم وجيده وقيل من حلالات
ما كسبتم بالتجارة والصناعة وفيه دليل على اباحة الكسب وانه ينقسم
الى طيب وخبيث عن خولة الانصارية قالت سمعت رسول الله صلى

الله عليه وسلم يقول ان هذا المال خضر حلو من اصابه بحقه بورك
له فيه ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم
القيمة الا النار اخرجه الترمذي المتخوض الذى ياخذ المال من غير
وجهه كما يخوض الانسان في الماء يمينا وشمالا خ عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما
اخذ منه ام من حلال ام من حرام خ عن المقدام ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما اكل احد طعاما قط خيرا من ان ياكل من عمل يده وان
نبي الله داود كان ياكل من عمل يده عن عايشة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان اطيب ما اكلتم من كسبكم اخرجه الترمذي
والنساي واختلفوا في المراد بقوله تعالى انفقوا فقيل المراد به
الزكاة المفروضة لان الامر للوجوب والزكاة واجبة فوجب صرف
الاية اليها وقيل المراد به صدقة التطوع وقيل انه يتناول الفرض
والنفل جميعا لان المفهوم من هذا الامر ترجيح جانب الفعل على
الترك وهذا المفهوم قدر مشترك بين الفرض والنفل فوجب ان
يدخل تحت هذا الامر فعلى القول الاول ان المراد من هذا الانفاق
هو الزكاة فيتفرع عليه مسايل المسيلة الاولى ظاهر الاية يدل على
وجوب الزكاة كل مال يكتسبه الانسان فيدخل فيه زكاة الذهب
والفضة والنعم وعروض التجارة وقال داود الظاهري لا تجب الزكاة
بحكم التجارة في العروض الا ان ينوي به التجارة في حال تملكه ودليل
الجمهور ما روى عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يامرنا باخراج الصدقة من الذى يعد للبيع اخرجه ابو داود
وعن ابي عمرو بن حماس ان اباه قال مررت بعمر بن الخطاب وعلى عنقي
ادمة احملها فقال عمر الا تودي زكاتك يا حماس فقلت ما لي غير هذا
واهب في القرظ قال ذاك مال فضع فوضعها فحسبها فاخذ منها
الزكاة فاذا حال الحول على عروض التجارة قوم فان بلغ قيمته عشرون
دينارا او مايتا درهم اخرج منه ربع العشر المسيلة الثانية في قوله
تعالى ومما اخرجنا لكم من الارض وظاهر الاية يدل على وجوب الزكاة
في كل ما خرج من الارض من النبات مما يزرعه الادميون لكن جمهور
العلما خصوا هذا العموم فاوجبوا الزكاة في النخيل والكروم فيما يقتات
ويدخر من الحبوب واوجب ابو حنيفة الزكاة في كل ما يقصد من نبات
الارض كالفواكه والبقول والخضراوات كالبطيخ والقثا والخيار
ونحو ذلك دليل الجمهور ما روي عن معاذ انه كتب الى النبي صلى الله
عليه وسلم يساله عن الخضراوات وهي البقول فقال ليس فيها شي اخرجه

الترمذی وقال هذا الحديث ليس بصحيح وليس يصح عن النبی صلی الله
عليه وسلم فی هذا الباب شی وانما يروی عن هذا عن موسی بن طلحة
عن النبی صلی الله عليه وسلم مرسل والعمل علی هذا عند اهل العلم ان
ليس فی الخضراوات صدقة قلت وحديث موسی بن طلحة اخرجه
الشيخ مجد الدين ابو البركات عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحرانی
فی احكامه عن عطا بن السايب قال اراد عبد الله بن المغيرة ان
ياخذ من ارض موسی بن طلحة من الخضراوات صدقة فقال له موسی
ابن طلحة ليس ذلك لك ان رسول الله صلی الله عليه وسلم كان يقول
ليس فی ذلك صدقة رواه الاثرم فی سننه وهو اقوی المراسيل لاحتجاج
من ارسله به وقال الزهری والاوزاعی وملك تجب الزكاة فی الزيتون
وتجب الزكاة فی الثمار عند بدو الصلاح وهو ان يحمر البسر او يصفر
ووقت الاخراج يوم الاجتنا والجفاف وفی الحبوب عند الاشتداد
ووقت الاخراج بعد الدياس والتصفية المسئلة الثالثة يجب
اخراج العشر فيما سقی بنضح او سانية ويدل علی ذلك ما روی عن
ابن عمر ان النبی صلی الله عليه وسلم قال فيما سقت السما والعيون او
كان عثريا العشر وما سقی بالنضح نصف العشر اخرجه البخاری ولابی
داود والنسايی قال فيما سقت السما والانهار والعيون او كان بعلا
العشر وما سقی بالسوانی والنضح نصف العشر وقال ابو داود البعل
ما شرب بعروقه ولم يتعن فی سقيه قال وقال وكيع هو الذی
ينبت من ما السما **قوله** او كان عثريا اراد به القوی من الزرع
وهو البعل وقد فسره فی لفظ الحديث والنضح هو الاستقا وكذلك
السانية وهی الدابة التی يسقی عليها سوا كانت من الابل او البقر
ولا يجب العشر فی الثمار والزروع حتی تبلغ خمسة اوسق والوسق
ستون صاعا وقال ابو حنيفة يجب العشر فی كل قليل او كثير من الثمار
والزروع واحتج الجمهور فی ايجاب النصاب بما روی عن ابی سعيد
الخدری عن النبی صلی الله عليه وسلم انه قال ليس فيما دون خمسة
اوسق صدقة وليس فيما دون خمسة اواق صدقة وليس خمس ذود
صدقة وفی رواية ليس فيما دون خمسة اوساق من تمر او حب صدقة
اخرجاه فی الصحيحين ومن قال ان المراد بقوله تعالی انفقوا من طيبات
ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض صدقة التطوع احتج بما روی عن
انس بن ملك ان رسول الله صلی الله عليه وسلم قال ما من مسلم
يغرس غرسا او يزرع زرعا فياكل منه طير او انسان او بهيمة الا كان
له به صدقة اخرجاه فی الصحيحين وقوله تعالی **ولا تيمموا الخبيث**

اي ولا تقصدوا الخبيث يعنی الردی من اموالكم **منه تنفقون** ای من
الخبيث وعن البرا بن عازب فی قوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال
نزلت فينا معشر الانصار كنا اصحاب نخل فكان الرجل ياتی من نخله علی
قدر كثرته وقلته وكان الرجل ياتی بالقنو والقنوين فيعلقه فی المسجد
وكان اهل الصفة ليس لهم طعام فكان احدهم اذا جاع اتی القنو
فضربه بعصاه فسقط البسر او التمر فياكل وكان ناس ممن لا يرغب فی
الخير ياتی بالقنو فيه الشيص والحشف وبالقنو قد انكسر فيعلقه
فانزل الله تعالی يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما
اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه
الا ان تغمضوا فيه قال لو ان احدكم اهدی اليه مثل ما اعطی لم ياخذه
الا علی اغماض وحيا قال كنا بعد ذلك ياتی احدنا بصالح ما عنده
اخرجه الترمذی وقال هذا صحيح غريب وقيل كانوا يتصدقون
بشرار ثمارهم ورذالة اموالهم ويعزلون الجيد لانفسهم فانزل الله
تعالی ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون يعنی تتصدقون **ولستم باخذيه**
يعنی ذلك الشی الخبيث الردی **الا ان تغمضوا فيه** الاغماض فی
اللغة غض البصر واطباق الجفن والمراد هنا التجويز والمساهلة
وذلك ان الانسان اذا رای ما يكره اغمض عينيه لئلا يری ذلك
قال ابن عباس معناه لو ان لاحدكم علی رجل حقا فجاءه بهذا لم ياخذه
الا وهو يری انه قد اغمض عن حقه وتركه وقال البرا هو لو اهدی ذلك
ما اخذتموه الا علی استحيا من صاحبه وغيظ فكيف ترضون لی ما لا
ترضون لانفسكم اذا كان المال كله جيدا فليس له اعطا الردی لان
اهل السهمان شركاله فيما عنده وان كان كله رديا فلا باس باعطا الردی
واعلموا ان الله غنی يعنی عن صدقاتكم لم يامركم بالتصدق لعوزه
واحتياج اليها **حميد** ای محمود فی افعاله وقيل حميد بمعنی حامد ای اجركم
علی ما تفعلون من الخير والشر **قوله عز وجل** **الشيطان يعدكم**
الفقر ای يخوفكم الفقر يقال وعدته خيرا ووعدته شرا واذا لم تذكر
الخير والشر يقال فی الخير وعدته وفی الشر اوعدته والفقر سو الحال
وقلة ذات اليد واصله من كسر فقار الظهر ومعنی الاية ان الشيطان
يخوفكم بالفقر ويقول للرجل امسك عليك مالك وانك اذا تصدقت
افتقرت **ويامركم بالفحشا** يعنی يوسوس لكم ويحسن لكم البخل ومنع
الزكاة والصدقة قال الكلبی كل فحشا فی القران فهو الزنا الا هذا
الموضع وفی هذه الاية لطيفة وهی ان الشيطان يخوف الرجل اولا
بالفقر ثم يتوصل بهذا التخويف الی ان يامره بالفحشا وهو البخل وذلك

لان البخيل على صفة مذمومة عند كل احد فلا يستطيع الشيطان ان
يحسن له البخل الا بتلك المقدمة وهي التخويف من الفقر فلهذا قال
تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشا والله يعدكم مغفرة
منه يعني مغفرة لذنوبكم وفضلا يعني رزقا وخلفا فالمغفرة اشارة
الى منافع الاخرة والفضل اشارة الى منافع الدنيا وما يحصل من الرزق
والخلف عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر
وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن
وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ
من الشيطان ثم قرا الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشا اخرجه
الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب قوله ان للشيطان
لمة بابن ادم اي اللمة الخطرة الواحدة من الالمام وهو القرب من الشي
والمراد بهذه اللمة التي تقع في القلب من فعل خير او شر والعزم
فاما لمة الشيطان فوسوسة واما لمة الملك فالهام من الله تعالى والله
واسع يعني غني قادر على اغنايكم واخلاف ما تنفقونه عليم بما تنفقونه
لا تخفى عليه خافية ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من يوم يصبح فيه العباد الا وملكان ينزلان يقول احدهما
اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا ق عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى انفق ينفق
عليك وفي رواية يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحا الليل والنهار
وقال ارايتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم ينقص ما في
يمينه وفي رواية لم يغض ما في يده وكان عرشه على الما وبيده الميزان
يخفض ويرفع وفي رواية وبيده الاخرى الفيض والقبض يرفع ويخفض
ق عن اسما بنت ابي بكر قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انفقي
ولا تحصي فيحصي عليك ولا توعي فيوعي عليك قوله ولا توعي اي لا
تشحي فيشح عليك اي فيجازيك بالتقتير في رزقك ولا يخلف عليك ولا
يبارك لك والمعنى لما تحصي وتمنعي بل انفقي ولا تعدي ولا تشحي قوله
عز وجل يوتي الحكمة من يشا قال ابن عباس هي علم القران ناسخه ومنسوخه
ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وقال الضحاك
القران والفهم فيه وانما قال ذلك لتضمن القران والحكمة وقال
في القران مائة وتسع ايات ناسخة ومنسوخة والف اية حلال وحرام
لا يسع المؤمنون تركهن حتى يعلموهن ولا تكونوا كاهل النهروان يعني
الخوارج تاولوا ايات من القران في اهل القبلة وانما نزلت في اهل الكتاب

فجهلوا علمها فسفكوا بها الدما وانتهبوا الاموال وشهدوا على اهل السنة
بالضلالة فعليكم بعلم القران فانه من علم فيم نزل لم يختلف في شي منه
وقيل هي القران والعلم والفقه وقيل هي الاصابة في القول والفعل
حاصل هذه الاقوال الى شيين العلم والاصابة فيه ومعرفة الاشيا
بذواتها واصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة لانها تمنعها قال الشاعر
ابني حنيفة احكموا سفهاكم اي امنعوا سفهاكم وقال السدي الحكمة
النبوة لان النبي يحكم بين الناس فهو حاكم وقيل الحكمة الورع في دين الله
لان الورع يمنع صاحبه ان يقع في الحرام وما لا يجوز له فعله ومن يوت
الحكمة يعني ومن يوتيه الله الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا تنكير تعظيم
معناه فقد اوتي خير كثير وما يذكر الا اولوا الالباب اي وما يتعظ
بما وعظه الله الا ذووا العقول الذين عقلوا عن الله امره ونهيه
قوله عز وجل وما انفقتم من نفقة يعني فيما فرضه الله عليكم
من اعطا زكاة وغيرها او نذرتم من نذر يعني به ما اوجبتموه على
انفسكم في طاعة الله فوفيتم به والنذر ان يوجب الانسان على نفسه
شيا ليس بواجب يقال نذرت لله نذرا واصله من الخوف لان الانسان
انما يعقد على نفسه النذر من خوف التقصير في الامر المهم والنذر في
الشرع على ضربين مفسر وغير مفسر فالمفسر ان يقول لله علي صوم او
حج او عتق او صدقة فيلزمه الوفا به ولا يجزيه غيره وغير المفسر
هو ان يقول نذرت لله لا افعل كذا ثم يفعله او يقول لله علي نذر
من غير تسمية شي فيلزمه فيه كفارة يمين خ عن عايشة قالت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر ان يطيع الله فليطعه
ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه عن ابن عباس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من نذر نذرا لم يسمه فكفارته كفارة يمين ومن نذر
نذرا في معصية فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا اطاقه فليف
به اخرجه ابو داود عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا نذر في معصية ولا فيما يملك ابن ادم اخرجه النسائي
ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر وقال انه
لا ياتي بخير وانما يستخرج به من البخيل م عن ابي هريرة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان النذر لا يقرب من ابن ادم شيا لم يكن الله قدره له
ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك شيا من البخيل ما لم يكن البخيل
يريد ان يخرج قال بعض العلما يحتمل ان يكون سبب النهي عن النذر
كون الناذر يصير ملتزما ما لا فياتي به تكلفا من غير نشاط او يكون
سبب كونه ياتي به على سبيل المعاوضة عن الامر الذي طلبه فينقص

اجره وشان العبادة ان تكون متمحضة لله تعالى وقال بعضهم يحتمل
ان يكون النهي لكونه قد يظن بعض الجهلة ان النذر يرد القدر ويمنع
من حصول المقدور فنهي عنه خوفا من اعتقاد ذلك وسياق الحديث
يوكد هذا وقوله في بعض روايات الحديث انه لا ياتي بخير فمعناه انه
لا يرد شيا من القدر وقوله فيخرج ذلك من البخيل ما لم يكن البخيل
يريد ان يخرج معناه انه لا ياتي بهذه القربة تطوعا محضا مبتدا وانما
ياتي بها في مقابلة شي يريده كقوله ان شفى الله مريضي فلله علي كذا
ونحو ذلك مما يحصل به بالنذر والله اعلم وقوله تعالى **فان الله يعلمه**
اي يعلم ما انفقتم ونذرتم فيجازيكم به وانما قال يعلمه ولم يقل يعلمها
لانه رد الضمير على الاخر منهما فهو كقوله تعالى ومن يكسب خطيئة او
اثما ثم يرم به بريا وقيل ان الكناية عادت على ما في قوله وما انفقتم
لانها اسم فهو كقوله وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ولم
يقل بهما **وما للظالمين** يعني الواضعين الصدقة في غير موضعها
وقيل الذين يريدون بصدقاتهم الريا والسمعة وقيل هم الذين
يتصدقون بالمال الحرام **من انصار** اي اعوان يدفعون عنهم عذاب
الله تعالى ففيه وعيد عظيم لكل ظالم **قوله عز وجل** **ان تبدوا**
الصدقات اي تظهروا الصدقات والصدقة ما يخرجه الانسان
من ماله على وجه القربة فيدخل فيه الزكاة الواجبة وصدقة
التطوع **فنعما هي** اي فنعمت الخصلة وقيل فنعم الشي هي وقيل معناه
فنعم شيا ابدا الصدقات **وان تخفوها** اي تسروا الصدقة **وتوتوها**
الفقرا اي تعطوها الفقرا في السر **فهو خير لكم** يعني اخفا الصدقة افضل
من العلانية وكل مقبول اذا كانت النية صادقة واختلفوا في المراد
بالصدقة المذكورة في الاية فقال الاكثرون المراد بها صدقة التطوع
افضل واخفاها خير من اظهارها لان ذلك ابعد من الريا واقرب الى
الاخلاص ولان فيه بعدا عما تامره النفس من اظهار الصدقة وفي صدقة
السر ايضا فايدة ترجع الى الفقير الاخذ وهي انه اذا اعطي السر زال عنه
الذل والانكسار واذا اعطي في العلانية يحصل له الذل والانكسار
ويدل على ان صدقة السر افضل ما روى عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله
امام عادل وشاب نشا في طاعة الله تعالى ورجل قلبه معلق بالمسجد
اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله تعالى اجتمعا على ذلك
وافترقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امراة
ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها

حتي

حتي لا تعلم شماله ما انفق يمينه اخرجاه في الصحيحين ووجه جواز اظهار
الصدقة تكون ذلك ممن قد امن على نفسه من مداخلة الريا في عمله او
يكون ممن يقتدي به في افعاله فاذا اظهر الصدقة تابعه غيره على
ذلك واما الزكاة فاظهار اخراجها افضل من كتمانها كالصلاة المكتوبة
في الجماعة افضل وصلاة التطوع في البيت افضل ولكن في اظهار الزكوة
نفي التهمة عن المزكي وقيل ان الاية واردة في زكاة الفرض وكان اخفاوها
خيرا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا لا يظنون باحد
انه يمنع الزكاة فاما اليوم في زماننا فاظهار الزكاة افضل حتى لا يسا
الظن وقيل ان الاية عامة في جميع الصدقات الواجبة والتطوع
والاخفا افضل في كل صدقة من زكاة وغيرها وقوله تعالى **ونكفر عنكم**
من سياتكم قيل ان من صلة زايدة تقديره ونكفر عنكم سياتكم قال ابن
عباس جميع سياتكم وقيل ادخل من للتبعيض ليكون العباد على وجل ولا
يتكلوا المعني ونكفر عنكم الصغاير من سياتكم واصل التكفير في اللغة
التغطية والستر **والله بما تعملون خبير** يعني من اظهار الصدقات
واخفايها **قوله عز وجل** **ليس عليك هداهم** قيل سبب
نزول هذه الاية ان ناسا من المسلمين كان لهم قرابات واصهار في
اليهود وكانوا ينفعونهم وينفقون عليهم قبل ان يسلموا فلما اسلموا كرهوا
ان ينفعوهم وارادوا بذلك ان يسلموا وقيل كانوا يتصدقون على فقرا
اهل المدينة فلما كثر المسلمون نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
على التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة الى الدخول في الاسلام
لحرصه صلى الله عليه وسلم فنزل ليس عليك هداهم ومعناه ليس عليك
هداية من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل ان يدخلوا في الاسلام
فحينيذ تتصدق عليهم فاعلم الله تعالى انه انما بعث بشيرا ونذيرا
وداعيا الى الله باذنه فاما كونهم مهتدين فليس ذلك اليك **ولكن**
الله يهدي من يشا يعني ان الله يوفق من يشا فيهديه الى الاسلام
واراد بالهداية هنا هداية التوفيق واما هداية البيان والدعوة
فكانت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الاية
فاعطوهم وتصدقوا عليهم **وما تنفقوا من خير** اي من مال **فلانفسكم**
اي ما تفعلون تنفعون به انفسكم **وما تنفقون الا ابتغا وجه الله**
ظاهره خبر ومعناه نهي اي ولا تنفقوا الا ابتغا وجهه وقال الزجاج
هذا خاص للمومنين اعلمهم الله انه قد علم مرادهم بنفقتهم ما عنده
وقيل معناه ولستم في صدقتكم على اقاربكم من المشركين تقصدون الا
وجه الله وقد علم الله هذا من قلوبكم فانفقوا عليهم اذا كنتم تبتغون بذلك

وجه الله في صلة الرحم وسد خلة مضطر قال بعض العلما لو انفقت
على شر خلق الله كان لك ثواب نفقتك واجمع العلما على انه لا يجوز
صرف الزكاة الا الى المسلمين وهم اهل السهمان المذكوران في سورة
التوبة وجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة وخالفه
سائر العلما في ذلك فعلى هذا تكون الاية مختصة بصدقة
التطوع اباح الله تعالى ان تصرف الى فقرا المسلمين وفقرا اهل
الذمة **وما تنفقوا من خير يوف اليكم** اي يوفر لكم جزاوه وقال
ابن عباس يجازيكم به يوم القيمة ومعناه يودى اليكم يوم القيمة
ولهذا احسن ادخال الى مع التوفية لانها تضمنت معنى التادية
وانتم لا تظلمون اى ولا تنقصون شيا من ثواب اعمالكم قوله
عز وجل **للفقرا** اختلفوا في موضع اللام في قوله للفقرا فقيل هو
مردود على موضع اللام من قوله فلا نفسكم كانه قال وما تنفقوا
من خير فللفقرا وانما تنفقوا لانفسكم وقيل معناه الصدقات
التي سبق ذكرها للفقرا وقيل خبره محذوف تقديره للفقرا الذين
من صفتهم كذا وكذا حق واجب وهم فقرا المهاجرين كانوا نحو اربعماية
رجل لم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشاير وكانوا ياوون الى
صفة في المسجد يتعلمون القران بالليل ويرضخون النوى بالنهار
وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم اصحاب الصفة فحث الله تعالى الناس على مواساتهم فكان
من عنده فضل اتاهم به اذا امسى وقوله **الذين احصروا في سبيل
الله** يعني هم الذين حبسوا انفسهم على الجهاد في سبيل الله وقيل
حبسوا انفسهم على طاعة الله **لا يستطيعون ضربا في الارض** يعني
لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش والكسب وهم اهل الصفة الذين
تقدم ذكرهم وقيل حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله
وقيل هم قوم اصابتهم جراحات في الجهاد مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فصاروا زمنى حصرهم المرض والزمانة عن الضرب
في سبيل الله **يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف** اى يظن من لم
يختبر حالهم انهم اغنيا من التعفف وهي تفعل من العفة وهي
ترك الشي والكف عنه يقال تعفف اذا ترك السوال ولزم القناعة
والمعنى يظنهم من لم يعرف حالهم اغنيا لاظهارهم التجمل وتركهم
المسيلة **تعرفهم بسيماهم** السيما والسيميا والسمة العلامة التي
يعرف بها الشي واختلفوا في معناها فقيل هو الخشوع والتواضع
وقيل هي اثر الجهد من الحاجة والفقر وقيل هي صفرة الوانهم من الجوع

ورثاثة ثيابهم من الضر **لا يسالون الناس الحافا** يعني الحاحا قيل
اذا كان عنده غدا لا يسال عشا واذا كان عنده عشا لا يسال غدا
وقيل لا يسالون الناس اصلا لانه قال يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف
وهو ترك المسيلة فعلم بذلك انهم لا يسيلون البتة ولانه قال
تعرفهم بسيماهم ولو كانت المسيلة من شانهم لما كانت الى معرفتهم
بالعلامة حاجة فمعنى الاية ليس يصدر منهم سوال حتى يقع فيه
الحاف فهم لا يسالون الناس الحافا ولا غير الحاف ق عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس الغنى عن كثرة العرض
ولكن الغنى غنى النفس ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ليس المسكين الذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان
ولكن المسكين الذى لا يجد غنا يغنيه ولا يفطن به فيتصدق
عليه ولا يقوم فيسال الناس لفظ البخاري خ عن الزبير قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان ياخذ احدكم احبلة ثم
ياتي الجبل فياتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها خير له من ان
يسال الناس اعطوه ام منعوه عن ابن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سال الناس وله ما يغنيه جا يوم القيمة
ومسيلته في وجهه خموش او خدوش او كدوح وقيل يا رسول الله
ما يغنيه قال خمسون درهما او قيمتها من الذهب اخرجه ابو داود
والترمذي والنساي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سال وله قيمة اوقية فقد الحف اخرجه
ابو داود وقيل زاد هشام في حديثه وكانت الاوقية على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين درهما وفي رواية عطا بن
يسار من يسال منكم وله اوقية او عدلها فقد سال الحافا عن
عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سال الناس وله اربعون درهما فهو ملحف اخرجه النساي
م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سال الناس تكثرا فانما يسال جمرا فليستقل او ليستكثر
وقوله تعالى **وما تنفقوا من خير فان الله به عليم** يعني ان الله
تعالى يعلم مقادير الانفاق ويجازي عليه ففيه حث على الصدقة
والانفاق في الطاعة قوله عز وجل **الذين ينفقون اموالهم
بالليل والنهار سرا وعلانية** قال ابن عباس في رواية عنه نزلت
هذه الاية في علي بن ابي طالب كانت عنده اربعة دراهم لا يملك
غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم

علانية وفي رواية عنه قال لما نزل للفقرا الذين احصروا في سبيل
الله بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير كثيرة الى اهل الصفة وبعث
على بن ابى طالب في الليل بوسق من تمر فانزل الله فيهما الذين ينفقون
اموالهم بالليل والنهار يعنى بنفقة الليل نفقة على وبالنهار نفقة
عبد الرحمن وفي الاية اشارة الى ان صدقة السر افضل من صدقة
العلانية وقيل نزلت الاية في الذين يربطون الخيل للجهاد في
سبيل الله لانهم يعلفونها بالليل والنهار وفي السر والعلانية
خ عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتبس
فرسا في سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا بوعده كان شبعه
وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيمة يعنى حسنات وقيل ان
الاية عامة في الذين ينفقون اموالهم في جميع الاوقات ويعمون
بها اصحاب الحاجات والفاقات فلهم اجرهم عند ربهم اى جزا
اعمالهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يعنى في الاخرة قوله عز وجل
الذين ياكلون الربا اى يعاملون به وانما خص الاكل لانه معظم
الامر المقصود من المال لان المال لا يوكل انما يصرف في الماكول ثم
يوكل فمنع الله التصرف في الربا بما ذكر فيه من الوعيد م عن جابر قال
لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه
وقال هم سوا واصل الربا في اللغة الزيادة ويقال ربا الشى يربوا
اذا زاد وكثر فالزيادة في المال لا يقومون من قبورهم يوم القيمة
الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان اى يصرعه واصل الخبط الضرب
والوطى وهو ضرب على غير استوا يقال ناقة خبوط للتى تضرب
الارض بقوايمها وتطا الناس باخفافها ومنه قولهم يخبط خبط
عشوا للرجل الذي يتصرف في الامور على غير اهتدا وتميز وتدبر
وتخبطه الشيطان اذا مسه بخبل وجنون من المس يعنى من الجنون
يقال مس الرجل فهو ممسوس اذا كان به جنون ومعنى الاية ان
اكل الربا يبعث يوم القيمة مثل المصروع الذى لا يستطيع الحركة
الصحيحة لان الربا ربا في بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على
الاسراع قال سعيد بن جبير تلك علامة لاكل الربا اذا استحله
يوم القيمة وروي البغوي بسند الثعلبى عن ابى سعيد الخدرى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة الاسرا قال فانطلق
بى جبريل الى رجال كثير كل رجل بطنه مثل البيت الضخم منضدين
على سابلة ال فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا قال
فيقبلون مثل الابل المنهومة يخبطون الحجارة والشجر لا يسمعون

ولا يعقلون فاذا احس بهم اصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم
بطونهم فيصرعون ثم يقوم احدهم فيميل به بطنه فيصرع فلا
يستطيعون ان يبرحوا حتى يغشاهم ال فرعون فيردونهم مقبلين
ومدبرين فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والاخرة قال وال
فرعون يقول اللهم لا تقم الساعة ابدا قال ويوم القيمة يقول
ادخلوا ال فرعون اشد العذاب قلت يا جبريل من هولا قال هولا
الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان
من المس قوله بطنه مثل البيت الضخم اى العظيم الكبير الغليظ
وقوله منضدين اي موضوعين بعضهم على بعض والسابلة
الطريق وقوله مثل الابل المنهومة النهم بالتحريك افراط في
الشهوة بالطعام من الجوع قوله عز وجل ذلك بانهم
قالوا انما البيع مثل الربا اى ذلك الذى نزل بهم من العذاب
بقولهم هذا واستحلالهم اياه وذلك ان اهل الجاهلية كان احدهم
اذا حل ماله على غريمه فيطالبه فيقول الغريم لصاحب الحق زدنى
في الاجل حتى ازيدك في المال فيفعلان ذلك وكانوا يقولون
سوا علينا الزيادة في اول البيع بالربح او عند المحل لاجل التاخير
فكذبهم الله تعالى ورد عليهم ذلك بقوله واحل الله البيع وحرم
الربا يعنى واحل الله لكم الارباح في التجارة بالبيع والشرا وحرم
الربا الذى هو زيادة في المال لاجل تاخير الاجل وذلك لان الله
تعالى خالق الخلق فهم عبيده وهو مالكهم يحكم فيهم بما يشا ويستعبدهم
بما يريد ليس لاحد ان يعترض عليه في شى مما احل وحرم وانما على
كافة الخلق الطاعة والتسليم لحكمه وامره ونهيه وذكر بعض
العلما الفرق بين البيع والربا فقال اذا باع ثوبا يساوى عشرة
بعشرين فقد جعل ذات الثوب مقابلا للعشرين فلما حصل
التراضى على هذا التقابل صار كل واحد منهما مقابلا للاخر في المالية
عندهما فلم يكن اخذا من صاحبه شيا بغير عوض اما اذا باع عشرة
دراهم بعشرين فقد اخذ العشرة الزايدة بغير عوض ولا يمكن
ان يقال ان العوض هو الامهال في مدة الاجل لان الامهال ليس مالا
او شيا يشار اليه حتى يجعله عوضا عن العشرة الزايدة فقد ظهر
الفرق بين الصورتين

فصل في حكم الربا

وفيه مسايل
المسيلة الاولى ذكر في سبب تحريم الربا وجوها احدها ان الربا
يقتضى اخذ مال الغير بغير عوض لان من يبيع درهما بدرهمين
فقد حصل له زيادة درهم من غير عوض فهو حرام الوجه

الثاني انما حرم عقد الربا لانه يمنع الناس من الاشتغال بالتجارة لان
صاحب الدراهم اذا تمكن من عقد الربا خف عليه تحصيل الزيادة من غير
تعب ولا مشقة فيفضي ذلك الى انقطاع منافع الناس بالتجارات وطلب
الارباح **الوجه** الثالث ان الربا هو سبب الى انقطاع المعروف
بين الناس من القرض فلما حرم الربا طابت النفوس بقرض الدراهم
للمحتاج واسترجاع مثله لطلب الاجر من الله تعالى **الوجه** الرابع
ان تحريم الربا قد ثبت بالنص فلا يجب ان يكون حكم جميع التكليف
معلومة للخلق فوجب القطع بتحريم الربا وان كنا لا نعلم وجه الحكمة
في ذلك **المسئلة** الثانية اعلم ان الربا في اللغة هو الزيادة والزيادة
بطريق التجارة غير حرام فثبت ان الزيادة المحرمة هو الربا وهو على
صفة مخصوصة في مال مخصوص بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ق عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب
بالورق ربا الا هاوها والتمر بالتمر ربا الا هاوها وفي رواية الورق
بالورق ربا الا هاوها والذهب بالذهب ربا الا هاوها **م** عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب
وزنا بوزن مثلا بمثل والفضة بالفضة وزنا بوزن مثلا بمثل فمن
زاد واستزاد فقد اربى وفي رواية التمر بالتمر والحنطة بالحنطة والشعير
بالشعير والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد او استزاد فقد اربى
الا ما اختلف الوانه **م** عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر
والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سوا بسوا يدا
بيد فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا
بيد فنص رسول الله صلى الله عليه وسلم على جريان الربا في هذه
الستة اشيا وهي النقدين واربعة اصناف من المطعومات وهي البر
والشعير والتمر والملح فذهب عامة اهل العلم الى ان حكم الربا ثبت في
هذه الاشيا لاوصاف فيها فيتعدى الى كل ما وجد تلك الاوصاف فيها
ثم اختلفوا في تلك الاوصاف فذهب قوم الى ان المعنى في جميعها هو
واحد وهو النفع فاثبتوا الربا في جميع الاموال وذهب الاكثرون
الى ان الربا ثبت في الدراهم والدنانير بوصف وفي الاشيا المطعومة
بوصف اخر واختلفوا في ذلك الوصف فذهب الشافعي ومالك الى
انه ثبت في الدراهم والدنانير بوصف النقدية وذهب اصحاب الراي
الى انه ثبت بعلة الوصف الوزن فاثبتوا الربا في جميع الموزونات مثل
الحديد والنحاس والقطن ونحو ذلك واما الاربعة اشيا المطعومة

فذهب

فذهب اصحاب الراي الى ان الربا ثبت فيها بعلة الوزن والكيل فاثبتوا
الربا في جميع المكيلات والموزونات مطعوما كان او غير مطعوم كالجص
والنورة ونحوهما وذهب جماعة الى ان العلة فيها الطعم مع الكيل والوزن
فكل مطعوم مكيل او موزون يثبت به الربا ولا يثبت فيما سوى ذلك
مما ليس بمكيل او موزون وهو قول سعيد بن المسيب والشافعي في القديم
وقال في الجديد ثبت الربا فيها بوصف الطعم فاثبت الربا في جميع الاشيا
المطعومة من الثمار والفواكه والبقول والادوية مكيلة كانت او موزونة
لما روي عن معمر بن عبد الله ارسل غلامه بصاع قمح فقال بعه ثم اشتر به
شعيرا فذهب الغلام فاخذ صاعا وزيادة بعض صاع فلما جا معمرا اخبره
بذلك فقال له معمر لم فعلت ذلك انطلق فرده ولا تاخذن الا مثلا
بمثل فاني كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطعام بالطعام
مثلا بمثل وكان طعامنا الشعير قيل له فانه ليس بمثله فقال اني اخاف
ان يضارع اخرجه مسلم فجملة مال الربا عند الشافعي ما كان ثمنا
او مطعوما المسئلة الثالثة الربا نوعان ربا فضل وهو الزيادة وربا
نسية وهو الاجل فان باع ما يدخل فيه الربا بجنسه مثل ان باع احد
النقدين بجنسه كالذهب بالذهب او المطعوم بجنسه كالحنطة بالحنطة
ونحو ذلك فيشترط فيه التماثل والمساواة في الوزن وان كان مكيلا
كالحنطة والشعير يشترط في بيعه بجنسه المساواة في الكيل ويشترط
التقابض في مجلس العقد وان باع ما يدخل فيه الربا بغير جنسه نظر
فان باع بما لا يوافقه في وصف الربا مثل ان باع مطعوما باحد النقدين
فلا ربا فيه كما لو باعه بغير مال الربا فان باعه بما يوافقه في الوصف
لا في الجنس مثل ان باع الدراهم بالدنانير او باع الحنطة بالشعير او
كان مطعوما بمطعوم اخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا التفاضل
فلا يجوز بيعه متفاضلا ويثبت فيه ربا النسية فيشترط في بيعه ٥
التقابض في المجلس لقوله صلى الله عليه وسلم الا يدا بيد **وقوله**
هاوها ففيه اشتراط التقابض في المجلس وتحريم النسية **وقوله** صلى
الله عليه وسلم الا سوا بسوا مثلا بمثل ففيه ايجاب المماثلة وتحريم
التفاضل عند اتفاق الجنس **وقوله** صلى الله عليه وسلم فاذا اختلف
هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم ففيه اطلاق التبايع مع التفاضل
عند اختلاف الجنس مع اشتراط التقابض في المجلس وهو قوله صلى الله
عليه وسلم اذا كان يدا بيد والله اعلم المسئلة الرابعة في القرض وهو
من اقرض شيا وشرط عليه افضل منه فهو قرض جر منفعة وكل قرض
جر منفعة فهو ربا يدل عليه ما روي عن مالك قال بلغني ان رجلا

الى ابن عمر فقال انى اسلفت رجلا سلفا واشترطت عليه افضل مما
اسلفته قال عبد الله بن عمر فذلك الربا اخرجه مالك فى الموطا
فان لم يشترط فضلا فى وقت القرض فزاد المستقرض افضل مما اخذ منه
جاز ويدل على ذلك ما روى عن مجاهد ان ابن عمر استسلف دراهم
فقضى صاحبها خيرا منها فابى ان ياخذها وقال هذه خير من دراهمى
فقال ابن عمر قد علمت ولكن نفسى بذلك طيبة اخرجه مالك فى
الموطا وقوله تعالى فمن جاءه موعظة من ربه اى تذكير وتخويف
وانما ذكر الفعل لان تانيثه غير حقيقى فجاز تذكيره وذلك لان
الوعظ والموعظة شى واحد فانتهى اى عن اكل الربا فله ما سلف
اى ما مضى من ذنبه قبل النهى مغفور له وامره الى الله يعنى بعد
النهى ان شاء عصمه حتى يثبت على الانتها وان شاء خذله يعود الى اكل
الربا وقيل معناه وامره الى الله فيما يامره وينهاه ويحل له ويحرم
عليه وليس اليه من امر نفسه شى وقيل ان الاية فيمن يعتقد تحريم
الربا ثم ياكله فامره الى الله تعالى ان شاء عفى عنه وان شاء عذبه ومن
عاد يعنى الى اكل الربا بعد التحريم مستحلا له فاولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون قوله عز وجل يمحق الله الربا اى ينقصه
ويهلكه ويذهب بركته قال ابن عباس لا يقبل الله منه صدقة ولا
حجا ولا جهادا ولا صلة ويربى الصدقات اى يزيدها وينميها ه
ويبارك فيها فى الدنيا ويضاعف اجرها فى الاخرة ق عن ابى هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق احد بصدقة من
كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا اخذها الرحمن بيمينه وان
كانت تمرة فتربو فى كف الرحمن حتى تكون اعظم من الجبل كما يربى
احدكم فلوه او فصيله لفظ مسلم وللبخارى من تصدق بعدل تمرة
من كسب طيب ولا يصعد الى الله الا الطيب وفى رواية ولا يقبل الله
الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى احدكم
فلوه حتى تكون مثل الجبل والله لا يحب كل كفار يعنى كل مصر على
كفره مقيم عليه مستحل لاكل الربا اثيم يعنى متماديا فى الاثم وفيه
نهى عنه وان من اكل الربا لا ينزجر عنه ولا يتركه وقيل يحتمل ان يكون
الكفار راجعا الى مستحل الربا والاثيم راجعا الى من يفعله مع اعتقاد
التحريم فتكون الاية جامعة للفريقين قوله عز وجل ان الذين
امنوا يعنى صدقوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات يعنى التى
امرهم الله بها واقاموا الصلاة اى المفروضة باركانها وحدودها
فى اوقاتها واتوا الزكاة يعنى المفروضة عليهم فى اموالهم لهم اجرهم

عند ربهم اى لهم ثواب اعمالهم فى الاخرة ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون اى يوم القيمة قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا قيل نزلت فى العباس بن عبد
المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد اسلفا فى التمر فلما كان وقت الجذاذ
قال صاحب التمر لهما ان انتما اخذتما حقكما لم يبق لى ما يكفى عيالى فهل
لكما ان تاخذا النصف وتوخرا النصف واضعف لكما ففعلا فلما حل الاجل
طلبا منه الزيادة فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فنهاهما وانزل
الله هذه الاية فسمعا واطاعا واخذا روس اموالهما وقيل نزلت فى
العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين فى الجاهلية يسلفان فى الربا
الى بنى عمرو بن عمير ناس من ثقيف فجا الاسلام ولهما اموال عظيمة
فى الربا وانزل الله تعالى هذه الاية وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى
حجة الوداع فيما رواه جابر من افراد مسلم الا كل شى من امر الجاهلية
تحت قدمى موضوع ودما الجاهلية موضوعة وان اول دم اضع من
دماينا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا فى بنى سعد فقتله
هذيل وربا الجاهلية موضوع واول ربا اضع ربا العباس بن عبد
المطلب موضوع كله وقيل نزلت فى اربعة اخوة من ثقيف وهم مسعود
وعبد ياليل وحبيب وربيعة ابنى عمرو بن عمير بن عوف الثقفى كانوا
يداينون بنى المغيرة بن عبد الله بن عمير بن مخزوم وكانوا يربون فلما
ظهر النبى صلى الله عليه وسلم على الطايف اسلم هولا الاخوة بنوا عمرو
الثقفى وطلبوا رباهم من بنى المغيرة فقال بنوا المغيرة والله ما
نعطى الربا فى الاسلام وقد وضعه الله تعالى عن المومنين فاختصموا
الى عتاب بن اسيد وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة
فكتب عتاب الى النبى صلى الله عليه وسلم بقصة الفريقين وكان ذلك
مالا عظيما فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله اى خافوا الله
فيما امركم به والانتها عما نهاكم عنه وذروا اى واتركوا ما بقى من الربا
والمعنى واتركوا طلب ما بقى لكم مما فضل على روس اموالكم ان كنتم
مومنين يعنى ان كنتم محققين لايمانكم قولا وفعلا فان لم تفعلوا
اى لم تتركوا ما بقى من الربا بعد تحريمه فاذنوا قرى بكسر الذال والمد
على وزن امنوا ومعناه فاعلموا غيركم انه حرب الله ورسوله وقرى
فاذنوا بفتح الذال مع القصر ومعناه فاعلموا انتم وايقنوا بحرب من
الله ورسوله قال ابن عباس يقال لاكل الربا يوم القيمة خذ سلاحك
للحرب قال اهل المعانى حرب الله النار وحرب رسوله السيف واختلفوا
فى معنى هذه المحاربة فقيل المراد بها المبالغة فى الوعيد والتهديد

دون نفس الحرب وقيل بل المراد منه نفس الحرب وذلك ان من اصر على
اكل الربا وعلم به الامام قبض عليه واجرى فيه حكم الله من التعزير
والحبس الى ان تظهر منه التوبة وان كان اكل الربا ذو شوكة وصاحب
عسكر حاربه الامام كما يحارب الفئة الباغية قال ابن عباس من
كان مقيما على اكل الربا لا ينزع عنه فحق على امام المسلمين ان يستتيبه
فان نزع والا ضرب عنقه **وان تبتم** اى فان تركتم اكل الربا
ورجعتم عنه **فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون** يعنى لا تظلمون
انتم الغريم بطلب زيادة على راس المال ولا تظلمون انتم بنقصان
المال فلما نزلت هذه الاية قال بنوا عمرو الثقفى ومن كان يعامل بالربا
من غيرهم بل نتوب الى الله فانه لا يدلنا يعنى لا قوة لنا بحرب الله
ورسوله ورضوا برؤس اموالهم فشكى بنوا المغيرة العسرة ومن كان
عليه دين وقالوا اخرونا الى ان تدرك الغلات فابوا ان يؤخروهم
فانزل الله عز وجل **وان كان ذو عسرة** يعنى وان كان الذى عليه الحق
من غرمائكم معسرا والعسر نقيض اليسر وهو تعذر وجدان المال واعسر
الرجل اذا ضاق ولم يجد ما يؤديه فى دينه **فنظرة** اى فامهال وتاخير
الى ميسرة اى الى زمن اليسار وهو ضد الاعسار وهو وجدان المال
الذى يؤديه فى دينه واختلفوا فى حكم الاية وهل الانظار مختص بالربا
ام هو عام فى كل دين على قولين القول الاول وهو ان ابن عباس ره
وشريح والضحاك والسدى الاية فى الربا وذكر عن شريح ان رجلا
خاصم رجلا اليه فقضى عليه وامر بحبسه فقال رجل كان عند شريح
انه معسر والله تعالى يقول فى كتابه وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة
فقال شريح انما ذلك فى الربا وان الله تعالى قال فى كتابه ان الله
يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا
بالعدل ولا يامرنا الله بشئ حتى يعذبنا عليه والقول الثانى
وهو قول مجاهد وجماعة من المفسرين ان حكم الاية عام فى جميع المعسرين
وان تصدقوا خير لكم يعنى وان تصدقوا على المعسر مما عليه من الدين
فتتركوا رؤس اموالكم للمعسر خير لكم وذكر راس المال فعلم ان التصدق
راجع اليها **ان كنتم تعلمون** يعنى ان التصدق خير لكم وافضل لان
فيه الثناء الجميل فى الدنيا والثواب الجزيل فى العقبى

فصل

فى ثواب انظار المعسر والوضع عنه وتشديد امر الدين والامر
بقضائه **م** عن قتادة انه طلب غريما له فتوارى عنه ثم وجده فقال
انى معسر قال آلله قال فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من سره ان ينجيه الله من كرب يوم القيمة فلينفس عن معسر او

ليضع عنه **م** عن ابى اليسر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله
ق عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان
قبلكم تاجر يداين الناس فان راى معسرا قال لفتيانه تجاوزوا عنه
لعل الله ان يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه عن ابى موسى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان اعظم الذنوب عند الله ان يلقاه عبد بعد
الكبائر التى نهى الله عنها اى يموت رجل وعليه دين لا يدع له قضا
اخرجه ابو داود **خ** عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اخذ اموال الناس يريد اداها ادى الله عز وجل عنه ومن اخذ
اموال الناس يريد اتلافها اتلفه الله **ق** عن ابى هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال مطل الغنى ظلم زاد فى رواية واذا اتبع احدكم
على ملى فليتبع **ق** عن كعب بن ملك انه تقاضى ابن ابى حدرد دينا كان
له فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد فارتفعت اصواتهما
حتى سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بيته فخرج اليهما حتى
كشف سجف حجرته فنادى فقال يا كعب قلت لبيك يا رسول الله ه
فاشار بيده ان ضع الشطر من دينك قال كعب قد فعلت يا رسول الله
قال قم فاقضه **ق** عن ابى هريرة قال كان لرجل على رسول الله سن من الابل
فجاء يتقاضاه فقال اعطوه فطلبوا سنه فلم يجدوا الا سنا فوقها فقال
اعطوه فقال اوفيتنى وفاك الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان خيركم
احسنكم قضاء وفى رواية انه اغلظ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين
استقضاه حتى هم به بعض اصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا
ثم امر له بافضل سنه **م** عن ابى قتادة الانصارى عن النبى صلى الله عليه
وسلم انه قام فيهم فذكر لهم ان الجهاد فى سبيل الله والايمان بالله افضل
الاعمال فقام رجل فقال يا رسول الله ارايت ان قتلت فى سبيل الله تكفر
عنى خطاياى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وانت صابر
محتسب مقبل غير مدبر الا الدين فان جبريل قال لى ذلك عن محمد بن
جحش قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع راسه الى
السماء ثم وضع يده على جبهته ثم قال سبحان الله ماذا انزل من التشديد
فسكتنا وفزعنا فلما كان من الغد سالته يا رسول الله ما هذا التشديد
الذى نزل فقال والذى نفسى بيده لو ان رجلا قتل فى سبيل الله ثم احيى
ثم قتل ثم احيى وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضى دينه اخرجه النسائى
قوله عز وجل **واتقوا** اى وخافوا **يوما ترجعون فيه الى الله** قرئ بفتح
التاء اى تصيرون فيه الى الله وقرئ بضم التاء وفتح الجيم اى تردون فيه الى الله

ثم توفى كل نفس ما كسبت يعني من خير او شر **وهم لا يظلمون** اي في ذلك اليوم وفي هذه الاية وعيد شديد وزجر عظيم قال ابن عباس هذه اخر اية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جبريل ضعها على راس مايتين وثمانين من سورة البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احد وعشر يوما وقيل تسع ليال وقيل سبع ومات صلى الله عليه وسلم لليلتين خلتا من ربيع الاول في يوم الاثنين سنة احدي عشرة من الهجرة وروى الشعبي عن ابن عباس اخر اية نزلت اية الربا **قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين** قال ابن عباس لما حرم الربا اباح السلم وقال اشهد ان السلف المضمون الى اجل مسمى احله الله في كتابه واذن فيه **وقوله** اذا تداينتم اي تعاملتم بالدين او داين بعضكم بعضا والتداين تفاعل من الداين يقال داينته اذا عاملته بالدين وانما قال بدين بعد قوله تداينتم لان المداينة قد تطلق على المجازاة وعلى المعاطاة فقيده بالدين ليعرف المراد من اللفظ ويخلص احد المعنيين من الاخر وقيل انما قال بدين ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر ذلك لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلا يحسن النظم بذلك وقيل انما ذكره تاكيدا **الى اجل مسمى** يعني الى مدة معلومة الاول والاخر مثل السنة والشهر ولا يجوز الى غير مدة معلومة كما لو قال الى الحصاد ونحوه ه والاجل يلزم في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محل الاجل بخلاف القرض فانه لا يلزم فيه الاجل عند اكثر اهل العلم ق عن ابن عباس قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في التمر العامين والعام فقال لهم من اسلف من تمر ففي كيل معلوم او وزن معلوم الى اجل معلوم وقوله تعالى **فاكتبوه** اي اكتبوا الدين الذي تداينتم به بيعا كان ذلك او سلما او قرضا واختلفوا في هذه الكتابة فقيل هي واجبة وهو مذهب عطا وابن جريج والنخعي واختاره محمد بن جرير الطبري وقيل الامر محمول على الندب والاستحباب فان ترك فلا باس وهو قول جمهور العلما وقيل بل كانت الكتابة والاشهاد والرهن فرضا ثم نسخ بقوله تعالى فان امن بعضكم بعضا فليود الذي ايتمن امانته وهو قول الحسن والشعبي والحكم بن عتبة ثم بين الله تعالى كيفية الكتابة فقال **وليكتب بينكم كاتب** اي ليكتب الدين بعد للطالب والمطلوب كاتب **بالعدل** اي بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم اجل ولا تاخيره قيل ان فائدة الكتاب هي حفظ المال من الجانبين لان صاحب الدين اذا علم ان حقه مقيد بالكتابة تعذر عليه طلب زيادة

او

او تقديم المطالبة قبل حلول الاجل ومن عليه الدين اذا عرف ذلك تعذر عليه الجحود او النقص من اصل الدين الذي عليه فلما كانت هذه الفايدة من الكتابة امر الله تعالى بها **ولا ياب** اي ولا يمتنع **كاتب ان يكتب** واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد فقيل بوجوبها لان ظاهر الكلام نهي عن الامتناع عن الكتابة وايجابها على كل كاتب فاذا طولب بالكتابة وتحمل الشهادة من هو من اهلها وجب عليه ذلك وقيل هو على الندب والاستحباب وذلك لان الله تعالى لما علمه الكتابة وشرفه بما يجب له ان يكتب ليقضي حاجة اخيه المسلم ويشكر تلك النعمة التي انعم الله بها عليه وقيل كانت الكتابة وتحمل الشهادة واجبتين على الكاتب والشاهد ثم نسخهما الله تعالى بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد **كما علمه الله** اي كما شرعه الله وامره به **فليكتب** وذلك ان يكتب بحيث لا يزيد ولا ينقص ويكتب ما يصلح ان يكون حجة عند الحاجة ولا يخص احد الخصمين بالاحتياط له دون الاخر وان يكون كل واحد منهما امنا من ابطال حقه وان يكون ما يكتبه متفقا عليه عند العلما وان يحترز من الالفاظ التي يقع النزاع فيها وهذه الامور لا تحصل الا لمن هو فقيه عالم باللغة ومذاهب العلما **وليملل الذي عليه الحق** يعني ان المطلوب الذي عليه الحق يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه من الحق فيذكر قدره وجنسه وصفة الاجل ونحو ذلك والاملال والاملا لغتان فصيحتان معناهما واحد **وليتق الله ربه** يعني المملي **ولا يبخس** ولا ينقص **منه** اي من الحق الذي وجب **شيا فان كان الذي عليه الحق سفيها** اي جاهلا بالاملا وقيل هو الطفل الصغير وقال الشافعي السفيه هو المبذر المفسد لماله ودينه **او ضعيفا** يعني شيخا كبيرا وقيل هو ضعيف العقل لعته او جنون **او لا يستطيع ان يمل هو** يعني لخرس او عي او عجمة في كلامه او حبس او غيبة لا يمكنه الحضور عند الكاتب او يجهل ماله وعليه فهولا كلهم لا يصح اقرارهم فلا بد ان يقوم غيرهم مقامهم وهو قوله تعالى **فليملل وليه** يعني ولي كل واحد من هولا الثلاثة المحجور عليهم لان مقامه في صحة الاقرار وقال ابن عباس اراد بالولي صاحب الدين يعني ان عجز الذي عليه الحق من الاملا فليملل صاحب الحق لانه اعلم بحقه **بالعدل** اي بالصدق **واستشهدوا شهيدين من رجالكم** يعني واشهدوا على حقوقكم شهيدين لان المقصود من الكتابة هو الاشهاد من رجالكم يعني من اهل ملتكم يعني من المسلمين الاحرار دون العبيد والصبيان وهذا قول اكثر اهل العلم واجاز شريح وابن سيرين

شهادة العبيد وحجة هذا القول ان قوله من رجالكم عام يتناول
العبيد وغيرهم وذلك لان عقل الانسان ودينه وعدالته تمنعه
من الكذب فاذا اجتمعت هذه الشرايط فيه كانت شهادته معتبرة
وحجة جمهور العلما ولا يابى الشهدا اذا ما دعوا فهذا نص يقتضي
ان من تحمل شهادة وجب عليه الادا اذا طولب بها والعبد ليس
كذلك فان السيد اذا لم ياذن له في ذلك حرم عليه الذهاب الى
ادا الشهادة فوجب ان لا يكون العبد من اهل الشهادة **فان لم يكونا**
رجلين اى فان لم يكن الشاهدان رجلين **فرجل وامراتان** اى
فليشهد رجل وامراتان واجمع الفقها ان شهادة النسا مع الرجال
جايزة في الاموال فيثبت الحق بشهادة رجل وامراتين واختلفوا
في غير الاموال فيثبتنا لحق بشهادة رجل وامراتين فذهب سفيان
الثوري واصحاب الراي الى انه تجوز شهادة النسا مع الرجال
في ساير الحقوق غير العقوبات وذهب جماعة الى ان غير المال
لا يثبت الا برجلين عدلين وذهب الشافعي الى ان ما يطلع عليه
النسا غالبا كالولادة والرضاع والبكارة والثيوبة ونحوها تجوز
شهادة رجل وامراتين وشهادة اربع نسوة واتفقوا على ان شهادة
النسا غير جايزة ولا مقبولة في العقوبات والحدود وقوله تعالى
ممن ترضون من الشهدا يعني من كان مرضيا عندكم في دينه وامانته
والشرايط المعتبرة في العدالة وقبول الشهادة عشرة وهي الاسلام
والحرية والعقل والبلوغ والعدالة والمروة وان لا يجر بتلك ه
الشهادة منفعة الى نفسه ولا يدفع عنه بها مضرة ولا يكون معروفا
بكثرة الغلط والسهو وان لا يكون بينه وبين من شهد عليه عداوة
فشهادة الكافر مردودة لان الكذاب لا تقبل شهادته فالذي يكذب
على الله اولى ان ترد شهادته وجوز بعض اهل الراي شهادة اهل
الذمة بعضهم على بعض ولا تقبل شهادة العبيد واجازها ابن شريح
وابن سيرين وهو قول انس ولا قول للمجنون معتبر حتى تقح شهادته
ولا تجوز شهادة الصبيان وسيل ابن عباس عن ذلك فقال لا تجوز
لان الله تعالى قال ممن ترضون من الشهدا والعدل الشرط وهو ان لا
يكون الشاهد مقيما على الكباير مصرا على الصغاير والمروة شرط وهي
ما تتصل باداب النفس مما يعلم ان تاركه قليل الحيا وهي حسن الهيئة
والسيرة والعشرة والصناعة فان كان الرجل يظهر في نفسه شي مما
يستحي امثاله من اظهاره في الاغلب علم بذلك قلة مروته وترد
شهادته وانتفا التهمة شرط فلا تقبل شهادة العدو على عدوه وان كان

مقبول الشهادة على غيره لانه متهم في حق عدوه لا في حق غيره ولا تقبل
شهادة الرجل لولده ووالده وتقبل شهادته عليهما ولا تقبل شهادة
من يجر بشهادته الى نفسه نفعا عن عايشة قالت قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تجوز شهادة خاين ولا خاينة ولا مجلود حدا ولا ذي
غمر على اخيه ولا مجرب شهادة ولا القانع اهل البيت لهم ولا ظنين
في ولاء ولا قرابة قال الفزاري القانع التابع اخرجه الترمذي
قوله لا تجوز شهادة خاين اراد بالخيانة الخيانة في الدين والامانة
فان من ضيع شيا من اوامر الله وارتكب شيا مما نهى الله عنه لا يكون
عدلا والغمر بكسر الغين الحقد والقانع هو السايل المستطعم وقيل
المنقطع الى قوم يخدمهم فترد شهادته للتهمة في مجرا النفع الى نفسه
لان التابع لاهل البيت ينتفع بما يصير اليهم والظنين بكسر الظا المتهم
وقوله تعالى **ان تضل احداهما** اى تنسى احد المراتين **فتذكر احداهما**
الاخرى لان الغالب على طباع النسا النسيان فاقيمت المراتان مقام
الرجل الواحد حتى لو نسيت احداهما فتذكرها الاخرى فتقول حضرنا
مجلس كذا وسمعنا كذا فيحصل بذلك الذكرى وحكي عن سفيان
ابن عيينة انه قال هو من الذكر ان تجعل احدهما الاخرى ذكرا والمعنى
ان شهادتهما تصير كشهادة ذكر والقول الاول اصح لانه معطوف على
تضل وهو النسيان وقوله تعالى **ولا يابى الشهدا اذا ما دعوا** يعني
اذا دعوا لتحمل الشهادة وسماهم شهدا لانهم يكونوا شهدا وهذا امر ايجاب
عند بعضهم وقال قوم يجب اذا لم يكن غيره فان كان غيره فهو مخير وقيل
هو امر ندب فهو مخير في جميع الاحوال وقال بعضهم هذا في اقامة
الشهادة وادايها ومعنى الاية ولا يابى الشهدا اذا ما دعوا لادا
الشهادة التي تحملوها وقيل الاية في الامرين جميعا يعني في التحمل
والادا والاقامة اذا كان عارفا وقيل الشاهد بالخيار ما لم يشهد
فاذا شهد وجب عليه الادا **ولا تساموا** اى ولا تملوا ولا تضجروا **ان**
تكتبوه الضمير راجع الى الحق او الدين **صغيرا او كبيرا** يعني قليلا
كان الحق او كثيرا **الى اجله** يعني الى محل الحق والدين **ذلكم** يعني
ذلك الكتاب **اقسط عند الله** يعني اعدل عند الله لانه امر به
واتباع امره اعدل من تركه **واقوم للشهادة** يعني ان الكتابة
تذكر الشهود **وادنى ان لا ترتابوا** يعني واحرى واقرب ان لا تشكوا
في الشهادة **الا ان تكون تجارة حاضرة** اى الا ان تقع تجارة حاضرة
يدا بيد **تديرونها بينكم** اى فيما بينكم ليس فيها اجل **فليس عليكم**
جناح اي لا ضرر عليكم **ان لا تكتبوها** يعني التجارة الحاضرة

والتجارة تقليب الاموال وتصريفها لطلب النما والزيادة بالارباح
واغا رخص الله تعالى في الكتابة والاشهاد في هذا النوع من
التجارة لكثرة ما يجري بين الناس فلو كلفوا اليها الكتابة
والاشهاد لشق ذلك عليهم ولانه اذا اخذ احد من المتبايعين
حقه من صاحبه في ذلك المجلس لم يكن هناك خوف التجاحد
فلا حاجة الى الكتابة والاشهاد **واشهدوا اذا تبايعتم** يعني فيما جرت
العادة بالاشهاد واختلفوا في هذا الامر فقيل للوجوب فيجب ان
يشهد في صغير الحق وكبيره ونقده ونسيه وقيل هو امر ندب واستحباب
وهو قول الجمهور وقيل انه منسوخ بقوله فان امن بعضكم بعضا فليود
الذى ايتمن امانته وقوله تعالى **ولا يضار كاتب ولا شهيد** هذا
نهي عن المضارة واصله يضارر بكسر الرا الاولى ومعناه لا يضار الكاتب
فيابى ان يكتب او الشاهد فيابى ان يشهد او يضار الكاتب فيزيد او
ينقص او يحرف ما املى عليه فيضر صاحب الحق او من عليه الحق وكذا
الشاهد وقيل اصله يضارر بفتح الرا الاولى ومعناه ان يدعو الرجل
الكاتب والشاهد وهما مشغولين فيقولا نحن على شغل مهم فاطلب
غيرنا فيقول الداعي ان الله امركما ان تجيبا اذا دعيتما ويلح عليهما
ويشغلهما عن حاجتهما فنهى عن مضارتهما وامر ان يطلب غيرهما
وان تفعلوا يعني ما نهيتم عنه من الضرار **فانه فسوق بكم** اى معصية
وخروج عن الامر **واتقوا الله** اي خافوا الله واحذروه فيما نهاكم
عنه من المضارة وغيرها **ويعلمكم الله** يعني ما يكون ارشادا لكم في امر
الدنيا كما يعلمكم ما يكون ارشادا لكم في امر الدين **والله بكل شى عليم**
يعني ان الله تعالى عليم بجميع مصالح عباده لا يخفى عليه شى من ذلك
قوله عز وجل **وان كنتم على سفر** اى في سفر **ولم تجدوا كاتبا**
يعني ولم تجدوا الات الكتابة **فرهن** جمع رهن وقرى فرهان **مقبوضة**
يعني فارتهنوا ممن يداينونه رهونا مقبوضة لتكون وثيقة لكم
باموالكم واصل الرهن من الدوام يقال رهن الشى اذا دام وثبت
والرهن ما وضع عند الانسان مما ينوب مناب ما اخذ منه دينا
فان قلت لم شرط الارتهان في السفر مع عدم الكاتب ولا
يختص به سفر دون حضر وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
رهن درعه عند ابى الشحم اليهودي على طعام اخذه الى اجل ولم يكن
ذلك في سفر ولا عند عدم كاتب **قلت** ليس الغرض تجويز الارتهان
في السفر خاصة دون الحضر ولكن لما كان السفر مظنة لاعواز الكاتب
والاشهاد امر الله تعالى به على سبيل الارشاد الى حفظ الاموال لمن

كان

كان على سفر بان يقيم التوثيق بالارتهان مكان الكتابة والاشهاد واتفق
العلما على جواز الرهن في الحضر والسفر جميعا مع وجود الكاتب وعدمه
وقال مجاهد لا يجوز الا في السفر عند عدم الكاتب لظاهر الاية واحتج
الجمهور عن ظاهر الاية ان الكلام انما خرج على الاعم الاغلب لا على
سبيل الشرط واتفق العلما على ان الرهن لا يتم الا بالقبض وهو قوله
تعالى فرهن مقبوضة يعني ارتهنوا واقبضوا لان المقصود من الرهن
هو استيثاق جانب صاحب الحق ولا يتم الا بالقبض فلو رهن ولم يسلم
لم يجبر الراهن على التسليم فاذا اسلم الرهن لزم من جهته حتى لا يجوز له
ان يسترجعه ما دام شى من الحق ثابتا وقوله تعالى **فان امن بعضكم**
بعضا يعني فان كان الذى عليه الحق امينا عند صاحب الحق ولم يرتهن
منه شيا لحسن ظنه به **فليود الذى ايتمن امانته** يعني فليود المديون
الذي عليه الحق الذى كان امينا في ظن الداين الذى هو صاحب
الحق امانته يعني حقه سمى الدين امانة وان كان مضمونا لايتمانه
عليه حيث امن من جحوده فلم يكتب ولم يشهد عليه ولم ياخذ منه
رهنا حاث المديون على ان يكون عند ظن الداين الذى ايتمنه وان
يودى اليه حقه الذى ايتمنه عليه ولم يرتهن منه عليه شيا ثم
زاد ذلك توكيدا بقوله **وليتق الله ربه** اى المديون في ادا الحق عند
حلول الاجل من غير مماطلة ولا جحود بل يعامله المعاملة الحسنة
كما احسن ظنه فيه ثم رجع الى خطاب الشهود فقال تعالى **ولا تكتموا**
الشهادة يعني اذا دعيتم الى اقامتها وادايها وذلك لان الشاهد
متى امتنع من اقامة الشهادة وكتمها فقد ابطل بذلك حق صاحب
الحق فلهذا نهى عن كتمان الشهادة وبالغ في الوعيد فقال تعالى
ومن يكتمها يعني الشهادة **فانه اثم قلبه** اى فاجر قلبه والاثم الفاجر
وانما اضيف الاثم الى القلب لان الافعال من الدواعي والصوارف
انما تحدث في القلب فلما كان الامر كذلك اضيف الاثم الى القلب
وقيل ما اوعد الله على شى كايعاده على كتمان الشهادة فانه تعالى
قال فانه اثم قلبه واراد به مسخ القلب نعوذ بالله من ذلك **والله**
بما تعملون عليم يعني من بيان الشهادة وكتمانها ففيه وعيد وتحذير
لمن كتم الشهادة ولم يظهرها **قوله عز وجل** **لله ما في السموات**
وما في الارض ملكا واهلها له عبيد وما لكهم **وان تبدوا ما في انفسكم**
او تخفوه يحاسبكم به الله وهذا يتناول حديث النفس والخواطر
الفاسدة التي ترد على القلب ولا يتمكن من دفعها فالمواخذة بها تجرى
مجرى تكليف ما لا يطاق واجيب عن هذا بان الخواطر الحاصلة

في القلب على قسمين فمنها ما يوطن الانسان نفسه عليه ويعزم على
اظهاره الى الوجوه فهذا غير معفو عنه بدليل قوله تعالى لها ما كسبت
وعليها ما اكتسبت وقال قوم ان هذه الاية خاصة ثم اختلفوا في وجه
تخصيصها فقال بعضهم هي متصلة بالاية التي قبلها وانما نزلت في كتمان
الشهادة ومعنى الاية وان تبدوا ما في انفسكم ايها الشهود من
كتمان الشهادة او تخفوه اي تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله وهذا
ضعيف لان اللفظ عام وان كان واردا عقيب قضية فلم يلزم صرفها
اليه وقال بعضهم ان الاية نزلت فيمن يتولى الكافرين من المومنين
والمعنى ان تبدوا اي تظهروا ما في انفسكم يعني من ولاية الكفار او
تخفوه فلا تظهروه يحاسبكم به الله وذهب اكثر العلما الى ان الاية عامة
ثم اختلفوا فقال قوم هي منسوخة بالاية التي بعدها ويدل عليه
ما روي عن ابي هريرة قال نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه
الاية اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا اي رسول الله
كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة
وقد انزلت عليك هذه الاية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتاب من قبلكم سمعنا
وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما
اقترأها القوم وذلت بها السنتهم انزل الله تعالى في اثرها امن الرسول
بما انزل اليه من ربه والمومنون كل امن بالله وملايكته وكتبه ورسله
لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك
المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله عز وجل فانزل الله تعالى لا يكلف
الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تواخذنا
ان نسينا او اخطانا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين
من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا
وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم اخرجه مسلم
وله عن ابن عباس نحوه وفيه قد فعلت بدل نعم ق عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تجاوز لامتي ما حدثت به
تعالى
انفسها ما لم يعملوا به ولم يتكلموا وفي رواية ما وسوست به صدورها
وقال قوم ان الاية غير منسوخة لان النسخ لا يرد الا على الامر والنهي
ولا يرد على الاخبار وقول الله تعالى يحاسبكم به الله خبر فلا يرد عليه
النسخ ثم اختلفوا في تاويلها فقال قوم قد اثبت الله تعالى للقلب كسبا

فقال

فقال بما كسبت قلوبكم وليس لله عبد اسر عملا او اعلنه من حركة جارحة
او همة قلب الا يعلمه الله ثم يخبره به ويحاسبه عليه ثم يغفر ما يشا ويعذب
بما يشا وقال اخرون في معنى الاية ان الله تعالى يحاسب خلقه بجميع ما
ابدوا من اعمالهم او اخفوه ويعاقبهم عليه غير ان معاقبتهم على ما اخفوه
اخف مما لم يعملوا به وهو ما يحدث لهم في الدنيا من النوايب والمصايب
والامور التي يحزنون عليها وهذا قول عايشة عن امية انها سالت
عايشة عن قول الله عز وجل وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم
به الله وعن قوله من يعمل سوا يجز به فقالت ما سالني عنها احد منذ
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه معاتبة الرجل بما
يصيبه من الحما والنكبة حتى البضاعة يضعها في يد قميصه فيفقدها
فيفزع لها حتى ان العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن انس بن مالك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبد الخير عجل له
العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبده الشر امسك عليه بذنبه حتى
يوافيه به يوم القيمة وقال قوم في معنى الاية وان تبدوا ما في انفسكم
يعني مما عزمتم عليه او تخفوه ولا تبدوه وانتم عازمون عليه يحاسبكم
به الله فاما حديث النفس ما لم تعزموا عليه فان ذلك مما لا يكلف
الله نفسا الا وسعها ولا يواخذ به قال عبد الله بن المبارك قلت
لسفيان ايواخذ العبد بالهمة فقال اذا كانت عزما اخذ بها وقيل
معنى المحاسبة الاخبار والتعريف فيرجع معنى هذه المحاسبة الى كونه
تعالى عالما بكل ما في الضماير والسراير مما ظهر او خفي ومعنى الاية وان
تبدوا ما في انفسكم فتعملوا به او تخفوه مما اضمرتم ونويتم يحاسبكم به الله
اي يخبركم ويعرفكم اياه ثم يغفر للمومنين اظهارا لفضله ويعذب
الكافرين اظهارا لعدله يروي عن ابن عباس ويدل عليه انه قال
يحاسبكم به الله ولم يقل يواخذكم به لان المحاسبة غير المواخذة ويدل
عليه ايضا ما روي عن صفوان بن محرز المازني قال بينما ابن عمر يطوف
اذ عرض له رجل فقال يا ابا عبد الرحمن اخبرني ما سمعت من رسول الله
صلى الله عليه وسلم في النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يدنى المومن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف
ذنب كذا وكذا فيقول اعرف رب اعرف مرتين فيقول الله سترتها
عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم ثم تطوى صحيفة حسناته
واما الاخرون او الكفار والمنافقون فينادى بهم على رووس الخلايق هولا
الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين اخرجاه في الصحيحين

وقوله تعالى فيغفر لمن يشا ويعذب من يشا قال ابن عباس يغفر لمن
يشا الذنب العظيم ويعذب من يشا على الذنب الصغير لا يسال عما
يفعل وهم يسئلون والله على كل شي قدير يعني انه تعالى قادر على كل
شي كامل القدرة فيغفر للمومنين فضلا ويعذب الكافرين عدلا
قوله عز وجل امن الرسول بما انزل اليه من ربه عن ابن عباس
قال لما نزلت هذه الاية وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به
الله دخل قلوبهم منه شي لم يدخل من شي فقالوا للنبي صلى الله عليه
وسلم فانزل الله امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون الاية
لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا
لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا قال قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا
اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال قد فعلت ربنا ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا
فانصرنا على القوم الكافرين قال قد فعلت اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن قال الزجاج لما ذكر الله في هذه السورة
فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والايلا والحيض
والجهاد واقاصيص الانبيا وما ذكر من كلام الحكما ختم السورة
بذكر تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين بجميع ذلك ومعنى
امن الرسول صدق الرسول والمعنى صدق الرسول ان هذا القران
وجملة ما فيه من الشرايع والاحكام منزل من عند الله عز وجل
والمومنون اي وصدق المومنون بذلك ايضا كل اي كل واحد من
المومنين امن بالله وملايكته وكتبه ورسله فهذه اربع مراتب
من اصول الايمان وضرورياته واما الايمان بالله فهو ان يومن بان
الله واحد احد لا شريك له ولا نظير له ويومن بجميع اسمايه الحسنى
وصفاته العليا وانه حي عالم قادر على كل شي واما الايمان بالملايكة
فهو ان يومن بوجودهم وانهم معصومون مطهرون وانهم السفرة
الكرام البررة وانهم الوسايط بين الله تعالى وبين رسله واما الايمان
بكتبه فهو ان يومن بالكتب المنزلة من عند الله هي وحي الله الى رسله
وانها حق وصدق من عند الله بغير شك ولا ارتياب وان القران
لم يحرف ولم يبدل ولم يغير وانه مشتمل على المحكم والمتشابه وان محكمه
يكشف عن متشابهه واما الايمان بالرسل فهو ان يومن بانهم رسل الله
الى عباده وامناوه على وحيه وانهم معصومون وانهم افضل الخلق وان
بعضهم افضل من بعض وقد انكر بعضهم ذلك وتمسك بقوله تعالى لا
نفرق بين احد من رسله واجيب عنه بان المقصود من هذا

الكلام

الكلام شي اخر وهو اثبات نبوة الانبيا والرد على اليهود والنصارى
الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى وينكرون نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم وقد ثبت بالنص الصريح تفضيل بعض الانبيا على بعض بقوله
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ومعنى قوله لا نفرق بين احد
من رسله فنومن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى
بل نومن بجميع رسله وفي الاية اضمار تقديره وقالوا يعني المومنين
لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا يعني سمعنا
قولك واطعنا امرك والمعنى قال المومنون سمعنا قول ربنا فيما
امرنا به واطعنا فيما الزمنا من فرايضه واستعبدنا به من طاعته
وسلمنا له فيما امرنا به ونهانا عنه غفرانك ربنا اي فنسالك غفرانك
ربنا او يكون المعنى اغفر لنا ربك غفرانك ربنا واليك المصير
يعني قالوا اليك يا ربنا مرجعنا ومعادنا فاغفر لنا ذنوبنا روى
البغوي بغير سند عن حكيم بن جابر ان جبريل عليه السلام قال للنبي
صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد اثنى عليك وعلى امتك فسل
تعطه قال بتلقين الله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير قوله
عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها قيل يحتمل ان يكون ابتدا
خبر من الله تعالى ويحتمل ان يكون حكاية عن المومنين وفيه اضمار
كانه قال تعالى عنهم وقالوا لا يكلف الله نفسا الا وسعها يعني طاقتها
والوسع اسم لما يسع الانسان ولا يضيق عليه قال ابن عباس واكثر
المفسرين ان هذه الاية نسخت حديث النفس والوسوسة وذلك
انه لما نزل ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه ضج المومنون منها وقالوا
يا رسول الله نتوب عن عمل اليد والرجل واللسان فكيف نتوب من
الوسوسة وحديث النفس فنزلت هذه الاية والمعنى انكم لا تستطيعون
ان تمتنعوا من الوسوسة وحديث النفس كان ذلك ما لم تطيقوه
وقال ابن عباس في رواية عنه هم المومنون خاصة وسع الله عليهم
امر دينهم ولم يكلفهم ما لم يستطيعون كما قال يريد الله بكم اليسر ولا يريد
بكم العسر وقال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وسيل سفين
ابن عيينة عن قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها قال الا يسرها
ولم يكلفها فوق طاقتها وهذا قول حسن لان الوسع ما دون الطاقة وقيل
معناه ان الله تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها فلا يتعبدها بما لا تطيق
لها ما كسبت يعني النفس ما عملت من الخير فلها اجره وثوابه وعليها
ما اكتسبت يعني من الشر وعليها وزره وعقابه وقيل في معنى الاية
ان الله تعالى لا يواخذ احدا بذنب غيره قوله عز وجل ربنا لا تواخذنا

وهذا التعليم من الله تعالى على عباده المومنين كيف يدعونه ومعناه
قولوا ربنا لا تواخذنا اى لا تعاقبنا وانما اتى بلفظ المفاعلة وهو
فعل واحد لان المسى قد امكن من نفسه وطرق السبيل اليها بفعله
فكانه اعدل عليه من يعاقبه ولا يواخذ به **ان نسينا او اخطانا**
فيه وجهان احدهما انه من النسيان وهو السهو وهو ضد التذكير
قيل كانوا بنوا اسرايل اذا انسوا شيا مما امروا به او اخطاوا عجلت
لهم فيحرم عليهم شيا مما كان حلالا لهم من مطعم او مشرب على حسب
ذلك الذنب فامر الله المومنين ان يسالوه عن ترك مواخذتهم
بذلك **فان قلت** اليس فعل الناسى فى محل العفو بدليل
قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتى الخطا والنسيان وما استكرهوا
عليه فاذا كان النسيان فى محل العفو قطعا فما معنى طلب العفو عند
الدعا **قلت الجواب** عنه من وجوه الاول ان النسيان
على ضربين اما الاول فهو ما كان من العبد على وجه التضييع والتفريط
وهو ترك ما امر بفعله كمن راى على ثوبه دما فاخر ازالته عنه ثم نسى
فصلى فيه وهو على ثوبه فيعد مقصرا اذا كان يلزمه المبادرة الى ازالته
اما اذا لم يره فيعذر فيه وكذا لو ترك ما امر بفعله على وجه السهو او
ارتكب منهيا عنه من غير قصد اليه كاكل ادم عليه السلام من الشجرة
التى نهى عنها على وجه النسيان من غير عزم على المخالفة كما قال تعالى
ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسى ولم نجد له عزما فمثل هذا يجب ان
يسال الله تعالى ان يعفو عنه ذلك واما الضرب الثانى فهو كمن ترك
صلاة ثم نسيها او ترك دراسة القران بعد ان حفظه حتى نسيه فهذا لا
يعذر بنسيانه وجهله لانه فرط فثبت ان النسيان على قسمين واذا كان
كذلك صح طلب العفو والغفران عن النسيان الوجه الثانى من الجواب
ان الصحابة رضى الله عنهم كانوا من المتقين لله حق تقاته فان صدر منهم
ما لا ينبغى فلا يكون الا على سبيل السهو والنسيان فطلبهم العفو والغفران
لما يقع منهم على سبيل السهو والنسيان انما هو لشدة خوفهم وتقواهم
الوجه الثالث ان المقصود من هذا الدعا هو التضرع والتذلل لله
تعالى واما الخطا فى قوله او اخطانا فعلى وجهين ايضا احدهما ان
ياتى العبد ما نهى عنه بقصد وارادة فذلك خطا منه وهو به ماخوذ فيحسن
طلب العفو والغفران لذلك الفعل الذى ارتكبه الوجه الثانى
ان يكون الخطا على سبيل الجهل والظن بان له فعله كمن ظن ان وقت
الصلاة لم يدخل وهو فى يوم غيم فاخرها حتى خرج وقتها فهو امن الخطا
الموضوع عن العبد لكن طلب العفو والغفران لسبب تقصيره وقوله

ربنا ولا تحمل علينا اصرا يعنى عهدا ثقيلا وميثاقا غليظا فلا نستطيع
القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه **كما حملته على الذين من قبلنا** يعنى
اليهود لم يقوموا به فعذبتهم عليه وقيل معناه ولا تشدد علينا كما
شددت على اليهود من قبلنا وذلك ان الله تعالى فرض عليهم خمسين
صلاة وامرهم باداء ربع اموالهم زكاة ومن اصاب منهم ثوبه نجاسة
قطعها ومن اصاب ذنبا اصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحو هذا من
الاثقال والاصار التى كتبت عليهم فسال المسلمون ربهم ان يصونهم
عن امثال هذه التغليظات والعهود الثقيلة وقد اجاب الله
تعالى دعاهم برحمة وخفف عنهم بفضله وكرمه فقال تعالى وما جعل
عليكم فى الدين من حرج وقيل الاصر ذنب لا توبة له فسال المومنون
ربهم ان يعصمهم من مثله **ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به** يعنى لا تكلفنا
من الاعمال ما لا نطيق القيام به لثقل حمله علينا وتكليف ما لا يطاق
على وجهين احدهما ما ليس فى قدرة العبد احتماله كتكليف الاعمى النظر
والزمن العدو فهذا النوع من التكليف الذى لا يكلف الله به عبده
بحال الوجه الثانى من تكليف ما لا يطاق وهو ما فى قدرة
العبد احتماله مع المشقة الشديدة والكلفة العظيمة كتكليف الاعمال
الشاقة والفرايض الثقيلة كما كان فى ابتدا الاسلام صلاة الليل واجبة
ونحو هذا الذى سال المومنون ربهم لا يحملهم ما لا طاقة لهم به
واستدل بهذه الاية من يقول ان تكليف ما لا يطاق جايز اذ لو لم يكن
جايزا لما حسن طلب تخفيفه بالدعا من الله تعالى وقيل فى قوله ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به هو حديث النفس والوسوسة وقيل هيجان الغلمة وقيل
هو الحب وقيل هو شماتة الاعدا وقيل هو الفرقة والقطيعة وقيل هو مسخ
القردة والخنازير نعوذ بالله من ذلك كله **واعف عنا** اى تجاوز عن
ذنوبنا وامحها عنا **واغفر لنا** اى استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا **وارحمنا**
اى تغمدنا برحمة تنجينا بها من عقابك فانه ليس بناج من عقابك الا من
رحمته وقيل انا لا ننال العمل الا بطاعتك ولا نترك معصيتك الا برحمتك
واصل الرحمة رقة تقتضى الاحسان الى المرحوم واذا وصف بها الله تعالى
فليس يراد بها الا الاحسان المجرد والتفضيل على العباد دون الرقة وقيل
ان طلب العفو هو ان يسقط عنه عقاب ذنوبه وطلب المغفرة هو ان
يستر عليه صونا له من الفضيحة كان العبد يقول اطلب منك العفو واذا
عفوت عنى فاستره على فاذا عفى الله تعالى عن العبد وستره طلب الرحمة
التى هى الانعام والاحسان ليفوز بالنعيم والثواب **انت مولانا** اى ناصرنا
وحافظنا وولينا **فانصرنا على القوم الكافرين** يعنى الجاحدين الذين عبدوا

غيرك وَحمدوا وَحدانيتك قال ابن عباس في قوله تعالى غفرانك
ربنا قال قد غفرت لكم وفي قوله لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا قال
لا اواخذكم ربنا ولا تحمل علينا اصرا قال لا احمل عليكم ولا تحملنا ما لا
طاقة لنا به قال ولا احمل عليكم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت
مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم
ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين كان معاذ اذا ختم سورة البقرة
قال امين **م** عن عبد الله بن مسعود قال لما اسرى برسول الله صلى
الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهي في السادسة واليها
ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها
فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال
فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطى الصلوات الخمس
وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من امته شيا المقحمات
قوله المقحمات الذنوب العظام الذي يولج مرتكبها الذنوب العظام
واصل الاقتحام الولوج **ق** عن ابى مسعود الانصاري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الايتان من اخر سورة البقرة من قراهما في ليلة
كفتاه معناه كفتاه كل ما يحذر من كل هامة وشيطان فلا يقربه
تلك الليلة وقيل كفتاه من قيام الليل **م** عن ابن عباس قال بينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده جبريل عليه السلام اذ سمع نقيضا
من فوقه فرفع جبريل بصره الى السما فقال هذا باب من السما فتح اليوم
لم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل من السما لم
ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يوتهما نبي قبلك
فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لم تقرا بحرف منهما الا اعطيته
عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب لنا
كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام انزل فيه ايتان ختم بهما
سورة البقرة ولا يقران في دار ثلاث ليال فيقربه شيطان اخرجه
الترمذي وقال حديث غريب اخر تفسير سورة البقرة والله
اعلم باسرار كتابه

تفسير سورة ال عمران

مدنية وهي مايتا اية وثلاثة الاف واربعماية وثمانون كلمة واربعة
عشر الفا وخمسماية وعشرون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم**
قوله عز وجل **الم الله لا اله الا هو الحي القيوم** قال المفسرون
نزلت هذه الاية في وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم منهم ثلاثة
نفر اليهم يول امرهم وهم العاقب واسمه عبد المسيح وهو امير القوم وصاحب

مشورتهم

مشورتهم الذي لا يصدرون الا عن رايه والسيد واسمه الايهم وهو القايم
بما لهم وصاحب رحلهم الذي يقوم بامر طعامهم وشرابهم وابو حارثة
ابن علقمة وهو اسقفهم وحبرهم وكان ملوك الروم يكرمونه لما بلغهم
عن علمه واجتهاده في دينه فدخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين يصلي العصر وعليهم ثياب الحبرات جبب واردية في جمال
رجال بالحارث بن كعب يقول من راهم ما راينا وفدا مثالهم وقد
حانت صلاتهم فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق
فلما فرغوا كلم السيد والعاقب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلما اسلما قالا قد
اسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعواكما لله ولدا
وعبادتكما الصليب واكلكما الخنزير قالا ان لم يكن عيسى ولد الله فمن
ابوه وخاصموه جميعا في عيسى فقال النبي صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون
انه لا يكون ولد الا وهو يشبه اباه قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا
حي لا يموت وان عيسى ياتي عليه الموت قالوا بلى قال الستم تعلمون
ان ربنا قيم على كل شي يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى
من ذلك شيا قالوا لا قال الستم تعلمون ان ربنا صور عيسى في الرحم
كيف شا وربنا لا ياكل ولا يشرب قالوا بلى قال الستم تعلمون ان
عيسى حملته امه كما تحمل المراة ثم وضعته كما تضع المراة ولدها ثم غذي
كما غذي الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف
يكون الها كما زعمتم فسكتوا فانزل الله صدر سورة ال عمران الى بضع
وثمانين اية منها زاد بعضهم فقالوا يا محمد الست تزعم ان عيسى كلمة الله
وروح منه قالوا بلى قالوا حسبنا ثم ابوا الا جحودا فانزل الله ردا عليهم
الم الله لا اله الا هو فكيف تثبتون له ولدا فبين تعالى ان احدا لا يستحق
العبادة سواه لانه الواحد الاحد ليس معه اله ولا ولد ثم اتبع ذلك
بما يجري مجرى الدلالة عليه فقال تعالى الحي القيوم اما الحي في صفة
الله تعالى فهو الدايم الباقي الذي لا يصح عليه الموت واما القيوم فهو
القايم بذاته والقايم بتدبير الخلق ومصالحهم فيما يحتاجون اليه في
معاشهم ومعادهم **نزل عليك الكتاب** يعني القران **بالحق** اي بالصدق
والعدل **مصدقا لما بين يديه** يعني لما قبله من الكتب في التوحيد
والنبوات والاخبار وبعض الشرايع وقوله لما بين يديه من مجاز الكلام
وذلك ان ما بين يديه فهو امامه فقيل لكل شي تقدم على الشي هو
بين يديه لغاية ظهوره واشتهاره **وانزل التورية والانجيل من قبل**

اى من قبل القران **فان قلت** لم قيل نزل الكتاب وانزل
التورية والانجيل **قلت** لان القران نزل منجما مفصلا في اوقات
كثيرة ونزل هو للتكثير وانزل التورية والانجيل جملة واحدة **هدى
للناس** يعني ان انزل التورية والانجيل قبل القران كان هدى للناس
فان قلت كيف وصف القران في اول البقرة لانه هدى
للمتقين ووصف هنا التورية والانجيل بانهما هدى للناس **قلت**
انما وصف القران بانه هدى للمتقين بانهم هم الذين انتفعوا به
وتبعوه ووصف هنا التورية والانجيل بانهما هدى للناس يعود الى
الكتب الثلاثة يعني القران المقدم ذكره والتورية والانجيل وانما
وصف هذه الكتب بانها هدى للناس لما فيها من الشرايع والاحكام
وانزل الفرقان يعني الفارق بين الحق والباطل قيل اراد به القران
وانما اعاد ذكره تعظيما لشانه ومدحا له لكونه فارقا بين الحق
والباطل وقيل انما اعاد ذكره ليبين انه تعالى انزله بعد التورية
والانجيل ليجعله فارقا بين ما اختلف فيه اليهود والنصارى في
امر عيسى عليه السلام وقيل المراد به الكتب الثلاثة لان كلها هدى
للناس ومفرقة بين الحلال والحرام والحق والباطل وقال السدي
في الاية تقديم وتاخير تقديره وانزل التورية والانجيل والفرقان
هدى للناس **ان الذين كفروا بايات الله** يعني الكتب المنزلة
وغيرها قيل اراد بهم نصارى وفد نجران كفروا بالقران وبمحمد صلى الله
عليه وسلم وقيل ان خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ فهو يتناول
كل من كفر بشي من ايات الله تعالى **لهم عذاب شديد والله عزيز**
اى غالب لا يغلب **ذو انتقام** يعني ممن كفر به والانتقام المبالغة في
العقوبة **قوله عز وجل ان الله لا يخفى عليه شي في الارض ولا في
السما** اى لا يخفى عليه شي من امر العالم وهو المطلع على احوالهم فقوله
ان الله لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السما اشارة الى كمال علمه المتعلق
بجميع المعلومات **هو الذي يصوركم في الارحام** التصوير جعل الشي على
صورة والصورة هيية يكون عليها الشي بالتاليف والارحام جمع رحم
كيف يشا يعني الصور المختلفة ذكرا وانثى ابيض واسود حسنا او
قبيحا كاملا او ناقصا والمعنى انه الذي يصوركم في ظلمات الارحام
مختلفة في الشكل والطبع واللون وذلك من نطفة **ق** عن عبد الله
ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق
المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة
مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث اليه ملكا باربع كلمات

يكتب

يكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالله الذى
لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع
فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل
بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب
فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها **ق** عن انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول اي رب نطفة اى رب علقة اى
رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضي خلقها قال يا رب اذكر ام انثى اشقى
ام سعيد فما الرزق فما الاجل فكتب له ذلك في بطن امه وقيل ان الاية
واردة على الرد على النصارى وذلك ان عيسى عليه السلام كان يخبر
ببعض الغيب فيقول اكلت في دارك كذا اصنعت كذا وانه احيى الموتى
وابرا الاكمه والابرص وخلق من الطين طيرا فادعت النصارى فيه
الالهية وقالوا ما قدر على ذلك الا انه اله فرد الله تعالى عليهم بذلك
واخبر انه الاله المستحق لهذا الاسم هو الذى لا يخفى عليه شي في الارض
ولا في السما وانه المصور في الارحام كيف يشا وان عيسى عليه
السلام ممن صوره في الرحم فنبه بكونه مصورا في الرحم على انه عبد
مخلوق كغيره وانه يخفى عليه ما لا يخفى على الله عز وجل **لا اله
الا هو العزيز الحكيم** وهذا ايضا في الرد على النصارى حيث قالوا
عيسى ولد الله كانه قال كيف يكون ولدا له وقد صوره الله في الرحم
قوله عز وجل هو الذى انزل عليك الكتاب يعني القران
منه ايات محكمات يعني مبينات مفصلات احكمت عبارتها من
احتمال التاويل والاشتباه سميت محكمة من الاحكام كانه تعالى احكمها
فمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها **هن ام الكتاب**
يعني هن اصل الكتاب الذى يعول عليه في الاحكام ويعمل بها في الحلال
والحرام **فان قلت** كيف قال هن ام الكتاب ولم يقل امهات الكتاب
قلت لان الايات في اجتماعها وتكاملها كالاية الواحدة
وكلام الله كله شي واحد وقيل كل اية منهن ام الكتاب كما قال وجعلنا
ابن مريم وامه اية يعني ان كل واحد منهما اية **واخر** جمع اخرى
متشابهات يعني ان لفظه يشبه لفظ غيره ومعناه يخالف معناه
فان قلت قد جعله هنا محكما ومتشابها فكيف الجمع بين هذه
الايات وبين جعله كله متشابها فقال تعالى الله نزل احسن الحديث
كتابا متشابها وجعله كله محكما في قوله كتاب احكمت اياته فكيف
الجمع بين هذه الايات **قلت** حيث جعله كله محكما اراد انه
كله حق وصدق ليس فيه عبث ولا هزل وحيث جعله كله متشابها

اراد ان بعضه يشبه بعضا في الحسن والصدق وحيث جعله هنا بعضه
محكما وبعضه متشابها فقد اختلف عبارات العلما فيه فقال ابن عباس
المحكمات الثلاث ايات التي في اخر سورة الانعام وهي قوله تعالى قل
تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ونظيرها في بني اسرايل وقضى ربك
ان لا تعبدوا الا اياه الايات وعنه ان الايات المحكمة هي الناسخ ٥
والمتشابهات هي الايات المنسوخة وبه قال ابن مسعود وقتادة
والسدي وقيل ان المحكمات ما فيه احكام الحلال والحرام والمتشابهات
ما سوى ذلك يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا وقيل ان
المحكمات ما اطلع الله عباده على معناه والمتشابهات ما استاثر
الله بعلمه فلا سبيل لاحد الى معرفته نحو الخبر عن اشراط الساعة مثل
الدجال وياجوج وماجوج ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس
من مغربها وفنا الدنيا وقيام الساعة فجميع هذا مما استاثر الله
بعلمه وقيل ان المحكم ما لا يحتمل من التاويل الا وجها واحدا والمتشابه
ما يحتمل وجها وروي ذلك عن الشافعي وقيل ان المحكم ساير القران
والمتشابه هي الحروف المقطعة في اوايل السور قال ابن عباس ان
رهطا من اليهود منهم حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف ونظرايهما
اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له حيي بلغنا انك انزل عليك
الم فانشدك الله انزلت عليك قال نعم قال ان كان ذلك حقا فاني
اعلم مدة ملك امتك هي احد وسبعون سنة فهل انزل عليك غيرها
قال نعم المص فقال هذه اكثر هي احد وستون ومابة فهل انزل عليك
غيرها قال نعم الر قال هذه اكثر هي مايتان واحدى وثلاثون سنة
فهل من غيرها قال نعم المر قال هذه اكثر هي مايتان واحد وسبعون سنة
ولقد اختلط فلا ندري ام بكثيره ناخذ ام بقليله ونحن ممن لا يومن بهذا
فانزل الله هذه الاية قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون
ما تشابه منه وقيل ان المحكم ما لم يتكرر الفاظه والمتشابه ما تكررت
الفاظه وقيل ان المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج الى بيان والمتشابه
ما احتاج الى بيان وقيل ان المحكم هو الامر والنهي والوعد والوعيد
والمتشابه ما احتاج الى بيان وقيل ان المحكم هو الامر هو القصص ٥
والامثال **فان قلت** انما نزل القران لبيان الدين وارشاد
العباد وهذا يتم فما فايدة المتشابه وهلا كان كله محكما **قلت**
ذكر العلما عن هذا السوال اجوبة احدها ان القران نزل بالفاظ العرب
ولغاتهم وكلام العرب على ضربين احدهما الايجاز للاختصار والموجز
الذي لا يخفى على سامعه ولا يحتمل غير ظاهره ولا الاطالة لبيان المراد

وللتوكيد الضرب الثاني المجاز والكنايات والاشارة والتلويحات واغماض
بعض المعاني وهذا الضرب هو المستحسن عند العرب والبديع في كلامهم
فانزل الله تعالى القران على هذين الضربين ليتحقق عجزهم عن الاتيان
بمثله فكانه قال عارضوه باي الضربين شيتم ولو نزل كله محكما واضحا
لقالوا هلا انزل بالضرب المستحسن عندنا **الجواب** الثاني ان الله
تعالى انزل المتشابه لفايدة عظيمة وهي ان يشتغل اهل العلم والنظر
بردهم المتشابه الى المحكم فيطول بذلك فكرهم ويتصل بالبحث عن
معانيه اهتمامهم فيثابون على تعلمه كما اثيبوا على عباداتهم ولو انزل
القران كله محكما لاستوى في معرفته العالم والجاهل ولم يفضل العالم
على غيره ولماتت الخواطر وخمدت الفكرة ومع الغموض تقع الحاجة الى
الفكرة والحيلة الى استخراج المعاني وقد قيل في عيب الغنى انه يورث
البلادة وفي فضيلة الفقر انه يبعث الى الحيلة لانه اذا احتاج احتال
الجواب الثالث ان اهل كل علم يجعلون في علومهم معان غامضة
ومسايل دقيقة ليختبروا بذلك اذهان المتعلمين منهم على انتزاع الجواب
لانهم اذا قدروا على انتزاع المعاني الغامضة كانوا على الواضح اقدر فلما
كان ذلك حسنا عند العلما جاز ان يكون ما انزله الله تعالى من المتشابه
هذا النحو **الجواب** الرابع ان الله تعالى انزل المتشابه في كتابه
مختبرا به عباده ليقف المومن عنده ويرد علمه الى عالمه فيعظم بذلك ثوابه
ويرتاب به المنافق فيداخله الزيغ فيستحق بذلك العقوبة كما ابتلى بنوا
اسرايل بالنهي والله اعلم بمراده وقوله تعالى **فاما الذين في قلوبهم زيغ**
اي ميل عن الحق وقيل الزيغ الشك واختلفوا في المعني بهم والمشار
اليهم فقيل هم وفد نجران الذين خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في
عيسى عليه السلام وقالوا الست تزعم ان عيسى روح الله وكلمته قالوا بلى
قالوا حسبنا فانزل الله هذه الاية وقيل هم اليهود لانهم طلبوا معرفة مدة
بقا هذه الامة واستخراجه بحسب الجمل من الحروف المتقطعة في اوايل
السور وقيل هم المنافقون وقيل هم الخوارج وكان قتادة يقول ان لم يكونوا
الحرورية والسبايية فلا ادري منهم وقيل هم جميع المبتدعة **فيتبعون ما
تشابه منه** يعني يحيلون المحكم على المتشابه والمتشابه على المحكم ويقولون
ما بال هذه الاية عمل بها كذا وكذا ثم نسخت وقيل كل من احتج لباطله
بالمتشابه نحو المعنى بهذه الاية **ق** عن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت
تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي انزل عليك الكتاب منه
ايات محكمات الى وما يذكر الا اولوا الالباب فقال اذا رايتم الذين يتبعون
ما تشابه منه فاوليك الذين سماهم الله فاحذروهم وقوله تعالى **ابتغا**

الفتنة اى طلب الشرك والكفر وقيل طلب الشبهات واللبس ليضلوا
بها جهالهم وقيل طلب افساد ذات البين **وابتغا تاويله** اى تفسيره
واصل التاويل فى اللغة المرجع والمصير تقول الامر الى كذا اذا رجع اليه
وتسمى العاقبة تاويلا لان الامر يصير اليه قال ابن عباس فى قوله تعالى
وابتغا تاويله اي طلب بقا ملك محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بهم
الكفار طلبوا متى يبعثون وكيف احياهم بعد الموت وقيل هو طلب
تفسير المتشابه وعلمه **وما يعلم تاويله الا الله** يعنى تاويل المتشابه وقيل
لا يعلم انقضا ملك هذه الامة الا الله لان انقضا ملكها مع قيام الساعة
ولا يعلم ذلك الا الله وقيل يجوز ان يكون للقران تاويل استاثره الله
بعلمه لم يطلع عليه احدا من خلقه كعلم قيام الساعة ووقت طلوع
الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم وعلم الحروف
المقطعة واشباه ذلك مما استاثر الله بعلمه فالايمان به واجب وحقايق
علومه مفوضة الى الله تعالى وهذا قول اكثر المفسرين وهو مذهب
ابن مسعود وابن عباس وفى رواية عنه وابى بن كعب وعايشة واكثر
التابعين فعلى هذا القول تم الكلام عند قوله الا الله فيوقف عليه ثم
ابتدا فقال عز من قايل **والراسخون فى العلم** اى الثابتون فى العلم وهو
الذى اتقنوا علمهم بحيث لا يدخل فى علمهم شك **يقولون امنا به** قال ابن عباس
سماهم الله راسخين فى العلم بقولهم امنا به فرسوخهم فى العلم هو الايمان به
وقال عمر بن عبد العزيز فى هذه الاية انتهى علم الراسخين فى العلم بتاويل
القران الى ان قالوا امنا به **كل من عند ربنا** يعنى المحكم والمتشابه والناسخ
والمنسوخ ما علمنا منه وما لم نعلم نحن معتمدون فى المتشابه بالايمان ونكل
معرفته الى الله تعالى وفى المحكم يجب علينا الايمان به والعمل بمقتضاه
وروي عن ابن عباس انه قال تفسير القران على اربعة اوجه تفسير
لا يسع احد جهله وتفسير تعرفه العرب بالسنتها وتفسير تعلمه العلما وتفسير
لا يعلمه الا الله وقيل ان الواو فى قوله والراسخون فى العلم واو عطف يعنى ان
تاويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون فى العلم وهو مع علمهم يقولون
امنا به وروى عن ابن عباس انه كان يقول انا من الراسخين فى العلم وعن
مجاهد عنه انا ممن يعلم تاويله ووجه هذا القول ان الله تعالى انزل كتابه
لينتفع به عباده ولا يجوز ان يكون فى القران شى لا يعرفه احد من الامة
وفى المراد بالراسخين فى العلم هنا قولان احدهما انهم مومنوا اهل الكتاب
مثل عبد الله بن سلام واصحابه دليله قوله تعالى لكن الراسخون فى العلم
منهم والقول الثانى ان الراسخين هم العلما العاملون بعلمهم سيل انس بن
ملك عن الراسخين فى العلم فقال العالم العامل بما علم المتبع له وقيل

الراسخ فى العلم من وجد فى علمه اربعة اشيا التقوى فيما بينه وبين الله
والتواضع فيما بينه وبين الناس والزهد فيما بينه وبين الدنيا والمجاهدة
فيما بينه وبين النفس **وما يذكر الا اولوا الالباب** اى وما يتعظ بما
فى القران الا ذووا العقول وهذا ثنا من الله عز وجل على الذين قالوا
امنا به كل من عند ربنا **قوله عز وجل** **ربنا لا تزغ قلوبنا**
اى ويقول الراسخون فى العلم ربنا لا تزغ قلوبنا اي لا تملها عن الحق
والهدي كما ازغت قلوب الذين فى قلوبهم زيغ **بعد اذ هديتنا** اي
وفقتنا لدينك والايمان بالمحكم والمتشابه من كتابك **وهب لنا من لدنك
رحمة** اي اعطنا توفيقا وتثبيتا للذى نحن عليه من الايمان وقيل هب لنا
تجاوزا ومغفرة **انك انت الوهاب** الهبة العطية الخالية عن الاعراض
والاغراض والوهاب فى صفة الله تعالى انه يعطى كل احد على قدر استحقاقه
م عن عبد الله بن عمرو بن العاصى انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قلوب بنى ادم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد
يصرفه حيث يشا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب
صرف قلوبنا على طاعتك هذا من احاديث الصفات وللعلما فيه قولان
احدهما الايمان به وامراره كما جا من غير تعريض لتاويل ولا تكييف ولا لمعرفة
معناه بل نومن به وانه حق ونكل علمه الى مراد الله ورسوله صلى الله عليه
وسلم هذا القول هو مذهب اهل السنة من سلف الامة وخلفها من اهل
الحديث وغيرهم والقول الثانى انه يتاول بحسب ما يليق به وان ظاهره
غير مراد قال تعالى ليس كمثله شى فعلى هذا المراد هو المجاز كما يقال فلان
فى قبضتى وفى كفى يريد انه تحت قدرته وفى تصرفه لا انه حال فى كفه فمعنى
الحديث انه سبحانه وتعالى متصرف فى قلوب عباده وغيرها كيف شا لا يمتنع
عليه منها شى ولا يفوته ما اراد منها كما لا يمتنع على الانسان
ما بين اصبعيه فخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بما يفهمونه
ويعلمونه من انفسهم وانما ثنى لفظ الاصبعين والقدرة واحدة لانه جرى
على المعهود من التمثيل بحسب ما اعتادوه وان كان غير مقصود به التثنية
او الجمع وهذا مذهب جمهور المتكلمين وغيرهم من المتاخرين وانما خص القلوب
بالذكر لفايدة وهي ان الله تعالى جعل القلوب محلا للخواطر والارادات والنيات
وهي مقدمات الافعال ثم جعل سابر الجوارح تابعة للقلوب فى الحركات
والسكنات والله اعلم **قوله عز وجل** **ربنا انك جامع الناس ليوم
لا ريب فيه** اى ليوم القضا وقيل اللام بمعنى فى اى فى يوم لا ريب فيه اي لا
شك فيه انه كاين وهو يوم القيمة **ان الله لا يخلف الميعاد** هذا من بقية
دعا الراسخين فى العلم وذلك لانهم لما طلبوا من الله تعالى ان يصرف قلوبهم

عن الزيغ وان يخصهم بالهداية والرحمة وذلك من مصالح الدين والدنيا
ثم انهم اتبعوا ذلك بقوله ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه
ومعناه انا نعلم انك جامع الناس للجزا في يوم القيمة ونعلم ان وعدك
حق وانك لا تخلف الميعاد فمن ازغت قلبه فهو هالك ومن مننت عليه
بالهداية والرحمة فهو ناج من العذاب سعيد **قوله عز وجل** ان
الذين كفروا يعني برسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم
قريظة والنضير لن تغني اي لن تنفع ولن تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيا اي من عذاب الله شيا وقيل من بمعنى عند اي عند الله شيا
واوليك هم وقود النار كداب ال فرعون قال ابن عباس كفعل ال فرعون
وصنعهم في الكفر وقيل كسنة ال فرعون وقيل كعادة ال فرعون والمعنى
ان عادة هولا الكفار في تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحود الحق
كعادة ال فرعون فانهم كذبوا موسى وصدقوا فرعون والذين من قبلهم
يعني كفار الامم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم كذبوا باياتنا لما جاتهم
بها الرسل فاخذهم الله بذنوبهم اي فعاقبهم الله بسبب تكذيبهم والله
شديد العقاب وقيل في معنى الاية ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم
ولا اولادهم عند حلول النقمة والعقوبة مثل ال فرعون وكفار الامم
الخالية فاخذناهم فلن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم **قوله عز وجل**
قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون قرا بالتا والبا فيهما فمن قرا بالتا
المنقوطة تحت فمعناه بلغهم يا محمد انهم سيغلبون ويحشرون ومن قرا
بالتا المنقوطة فوق قل لهم ستغلبون وتحشرون في الاخرة الى جهنم
لما نزلت هذه الاية قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله
غالبكم وحاشركم الى جهنم وقيل ان ابا سفيان جمع جماعة من قومه بعد
وقعة بدر فانزل الله هذه الاية وقيل ان هذه اليهود نزلت في اليهود
وقال ابن عباس ان يهود المدينة قالوا لما هزم رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم بدر هذا والله النبي الذي بشر به موسى لا ترد له
راية وارادوا اتباعه ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى ننظر وقعة
اخرى فلما كان يوم احد ونكب اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم شكوا وغلب عليهم الشقا فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول
الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوا العهد وانطلق
كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى مكة ليستنفرهم فاجمعوا امرهم
على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية
وقال ابن عباس وغيره لما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قريشا ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال يا

معشر

معشر اليهود احذروا من الله مثل ما انزل بقريش يوم بدر واسلموا
قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل تجدون ذلك
في كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم
بالحرب فاصبت منهم فرصة وانا والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن
الناس فانزل الله عز وجل قل للذين كفروا ستغلبون اي تهزمون
وتحشرون يعني في الاخرة الى جهنم وبيس المهاد اي الفراش والمعنى
بيس ما مهد لكم في النار **قوله عز وجل** قد كان لكم اية في
فيتين التقتا قيل الخطاب للمومنين يروى ذلك عن ابن مسعود
والحسن وقيل هو خطاب للكفار فيكون عطفا على الذي قبله فيخرج
على قول ابن عباس وقيل هو خطاب لليهود قاله ابن جرير فان
قلت لم قال قد كان لكم اية ولم يقل قد كانت لان الاية مونثة
قلت كلما ليس بمونث حقيقي يجوز تذكيره وقيل انه رد
المعنى الى البيان فمعناه قد كان لكم بيان فذهب الى المعنى وترك
اللفظ وقال الفرا انما ذكر لانه حال الصفة بين الفعل والاسم
المونث فذكر الفعل وكلما جا من هذا فهذا وجهه ومعنى الاية
قد كان لكم اية اي عبرة ودلالة على صدق ما اقول انكم ستغلبون في فيتين
اي فرقتين واصلها في الحرب لان بعضهم يفي الى بعض اي يرجع التقتا
يعني يوم بدر فية تقاتل في سبيل الله اي في طاعة الله وهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وكانوا ثلثماية وثلاثة عشر رجلا
من الانصار والمهاجرين وكان صاحب راية المهاجرين علي ابن ابي طالب
وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة وكان فيهم سبعون بعيرا وفرسان
وكان معهم من السلاح ستة ادرع وثمانية سيوف وقوله تعالى
واخرى كافرة اي وفرقة اخرى كافرة وهم مشركوا مكة وكانوا تسعماية
وخمسون رجلا من المقاتلة وكان راسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس
وكان فيهم ماية فرس وكان وقعة بدر اول مشهد شهده رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقوله تعالى يرونهم مثليهم قرى
بالتا يعني ترون اهل مكة ضعفي المسلمين يا معشر اليهود وذلك
ان جماعة من اليهود كانوا قد حضروا قتال بدر لينظروا على من
تكون الدبرة ولمن النصر فراوا المشركين مثلي عدد المسلمين وراوا النصر
للمسلمين فكان ذلك معجزة وقرى يرونهم بالبا واختلفوا في وجه
قراة البا فجعل بعضهم الرويا للمسلمين وراوا النصر للمسلمين ثم له تاويلان
احدهما يرى المسلمون المشركين مثليهم كما هم فان **قلت** كيف قال
مثليهم وانما كانوا ثلاثة امثالهم **قلت** هذا مثل قول الرجل وعنده

درهم انا محتاج الي مثلي هذا الدرهم يعني الى مثليه سواه فيكون
ثلاثة دراهم ووجه اخر وهوان الله تعالى اظهر للمسلمين من عدد المشركين
القدر الذى يعلم المومنون انهم يغلبونهم لازالة الخوف من
قلوبهم وهو التاويل الثانى هو الاصلح قلل الله المشركين فى اعين
المسلمين حتى راوهم مثليهم **فان قلت** كيف الجمع بين قوله
تعالى يرونهم مثليهم وبين قوله واذ يريكموهم اذ التقيتم فى اعينكم
قليلا ويقللكم فى اعينهم وكيف يقال ان المشركين استكثروا المسلمين
وان المسلمين استكثروا المشركين وان الفئتين تساويا فى استقلال
احدهما الاخري **قلت** ان التقليل والتكثير فى حالتين مختلفتين
فان قيل ان الفئة الرائية هم المسلمون فانهم راوا عدد المسلمين عند
بداية القتال على ما هم عليه ثم قلل الله المشركين فى اعين المسلمين
حتى اجترؤا عليهم فصبروا على قتالهم بذلك السبب قال ابن
مسعود نظرنا الى المشركين فرايناهم يضعفون علينا ثم رايناهم
فمارايناهم يزيدون علينا رجلا واحدا وفى رواية اخرى عنه قال
لقد قللوا فى اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم
قال فاسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال الفا وان قلنا ان الفئة الرائية
هم المشركون على قول بعضهم ان الروية راجعة الى المشركين يعني فراى
المشركون المسلمين مثليهم فقلل الله المسلمين فى اعين المشركين فى اول
القتال ليجتروا عليهم ولا ينصرفوا فلما اخذوا فى القتال كثر الله
المسلمين فى اعين المشركين ليجبنوا فيكون ذلك سبب خذلانهم وقد
روي ان المشركين لما اسروا يوم بدر قالوا للمسلمين كم كنتم قالوا كنا
ثلثماية وثلاثة عشر رجلا قالوا يعني المشركين ما كنا نراكم الا تضعفون
علينا فكان فى وقعة بدر احوال فى التكثير والتقليل وما ذلك
الا اظهارا للقدرة التامة وقوله تعالى **راي العين** اى فى راي
العين **والله يويد** اي يقوى **بنصره من يشاء ان فى ذلك** يعني الذى
ذكر من النصر وقيل روية الجيش مثليهم **لعبرة** اى لاية والعبرة الدلالة
الموصلة الى اليقين الموديه الى العلم واصلها من العبور لانه طريق
يعبرونه فيوصلهم الى مرادهم وقيل العبرة هى التى يعبر منها من منزلة
الجهل الى منزلة العلم **لاولى الابصار** لذوى العقول والبصاير قوله
عز وجل **زين للناس** قال اهل السنة المزين هو الله تعالى لانه تعالى
خالق جميع افعال العباد ولان الله تعالى خلق جميع ملاذ الدنيا
واباحها لعبيده واباحتها للعبد تزيينها قال الله تعالى هو الذي
خلق لكم ما فى الارض جميعا وقال تعالى قل من حرم زينة الله التى اخرج

لعباده

لعباده والطيبات من الرزق وقال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها
وقال تعالى فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا وكل ذلك يدل على ان المزين
هو الله تعالى ومما يوكد ذلك قراة مجاهد زين بفتح الزاي على تسمية الفاعل
وقال الحسن المزين هو الشيطان وهو قول طايفة من المعتزلة ويدل
على ذلك ان الله تعالى زهد فى هذه الاشيا بان اعلم عباده زوالها ولان
الله تعالى اطلق حب الشهوات فيدخل فيه الشهوات المحرمة والمزين
لذلك هو الشيطان ولان الله تعالى ذكر هذه الاشيا فى معرض الذم
للدنيا ويدل عليه اخر الاية وهو قوله تعالى والله عنده حسن الماب
ونقل عن ابى على الجبائى من المعتزلة انه ما كان حراما كان المزين له
هو الشيطان وكل ما كان مباحا من ذلك كان المزين له هو الله تعالى
والصحيح ما ذهب اليه اهل السنة لان الله خالق كل شى ولا شريك له فى
ملكه وقوله تعالى **حب الشهوات** يعني المشتهيات لان الشهوة توقان
النفس الى الشى المشتهى **من النسا** انما بدا بذكر النسا لان الالتذاذ بهن اكثر
والاستيناس بهن اتم ولانهن حبايل الشيطان واقرب الى الافتتان
والبنين انما خص البنين بالذكر لان حب الولد الذكر اكثر من حب
الانثى ووجه حبه ظاهر لانه يتكثر به ويعضده ويقوم مقامه وقد جعل
الله تعالى فى قلب الانسان حب الزوجة والولد لحكمة بالغة وهى بقا
التوالد ولولا تلك المحبة لما حصل ذلك **والقناطير المقنطرة** جمع
قنطار وسمى قنطارا من الاحكام والعقد يقال قنطرته اذا احكمته
ومنه القنطرة اى المحكمة الطاق واختلفوا فى القنطار هل هو محدود
اوغير محدود على قولين **احدهما** انه محدود ثم اختلفوا فى حده فروي
عن معاذ بن جبل ان القنطار الف ومايتا اوقية وقال ابن عباس الف
ومايتا مثقال وعنه اثنى عشر الف درهم او الف دينار دية احدكم وبه
قال الحسن وقال سعيد بن جبير هو ماية الف وماية من مائة رطل وماية
مثقال وماية درهم ولقد جا الاسلام يوم جا وبمكة ماية رجل قد قنطروا
وقال سعيد بن المسيب وقتادة هو ثمانون الفا وقال مجاهد سبعون
الفا وقال السدى هو اربعة الاف مثقال والقول الثانى ان القنطار
ليس بمحدود وقال الربيع بن انس القنطار المال الكثير بعضه على
بعض وروى عن ابى عبيدة انه حكى عن العرب ان القنطار وزن
لا يحد وهو اختيار ابن جرير الطبرى وغيره وقال الحاكم القنطار ما بين
السما والارض من مال وقال ابو نضرة القنطار ملو مسك ثور ذهبا
او فضة وقال القنطار من المال ما فيه عبور الحياة تشبيها بعبور القنطرة
المقنطرة اى المجموعة وقيل المضاعفة لان القناطير جمع واقله ثلاثة

والمقنطرة المضاعفة فيحتمل ان يكون ستة او تسعة وقيل المقنطرة
المسكوكة المنقوشة من الذهب والفضة انما بدا بهما من بين سائر
الاصناف الاموال لانهما قيم الاشيا وانما كانا محبوبين لان المالك لهما
مالك قادر على ما يريده وهي صفة كمال وهي محبوبة وقيل سمي الذهب
ذهبا لانه يذهب ولا يبقى والفضة لانها تنفض اي تتفرق والخيل
المسومة الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط سميت الافراس
خيلا لاختيالها في مشيها وقيل لان الخيل لا يركبها احد الا وجد في نفسه
مخيلة يعني عجبا واختلفوا في معنى المسومة على ثلثة اقوال القول
الاول انها الراعية يقال اسمت الدابة وسومتها اذا ارسلتها المرعى
والمقصود انها اذا رعت زاد حسنها والقول الثاني انها من السمة وهي
العلامة ثم القايلون بهذا القول اختلفوا في تلك العلامة فقيل
هي الغرة والتحجيل التي يكون في الخيل وقيل هي الخيل البلق وقيل هي
المعلمة بالكي والقول الثالث انها المضمرة الحسان وتسويمها حسنها
والانعام جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها
نعم الا للابل خاصة فانه غلب عليها والحرث يعني الزرع ذلك يعني
الذي ذكر من هذه الاصناف متاع الحياة الدنيا اي الذي يستمتع به
في الحياة الدنيا وهي زايلة فانية يشير الى ان الحياة الدنيا متاع يفنى
والله عنده حسن المآب اي المرجع ففيه اشارة الى التزهد في الدنيا
والترغيب في الاخرة وقيل فيه اشارة الى من اتاه الله الدنيا كان الواجب
عليه ان يصرفها فيما يكون فيه صلاحه في الاخرة لانها السعادة
القصوى قوله عز وجل قل اؤنبئكم اي اخبركم بخير من ذلكم يعني
الذي ذكر من متاع الدنيا للذين اتقوا قال ابن عباس في رواية عنه
يريد المهاجرين والانصار واراد ان يعزيهم ويشوقهم الى الاخرة قال
العلما ويدخل في هذا الخطاب كل من اتقى الشرك عند ربهم معناه
ان الله تعالى اخبر ان ما عنده خير مما كان في الدنيا وان كان محبوبا فحثهم
على ترك ما يحبون لما يرجون ثم فسر ذلك الخير فقال تعالى جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله ق
عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز
وجل يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير
كله في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا
ما لم تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون
واي شي افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده
ابدا وقيل ان العبد اذا علم ان الله قد رضي عنه كان اتم لسروره واعظم لفرحه

والله بصير بالعباد يعني ان الله تعالى عالم بمن يؤثر عنده ممن يؤثر
شهوات الدنيا فيجازي كلا على عمله فيثيب ويعاقب على قدر الاعمال
وقيل ان الله تعالى بصير بالذين اتقوا فاعد لهم الجنات قوله عز وجل
الذين يقولون ربنا اننا امنا اي صدقنا فاغفر لنا ذنوبنا اي استر
علينا وتجاوز عنا وقنا عذاب النار قوله عز وجل الصابرين يعني على
اداء الواجبات وعن المحرمات والمنهيات وفي البأساء والضراء وحين
البأس وقيل الصابرين على دينهم وعلى ما اصابهم والصادقين يعني في
ايمانهم وقال قتادة هم قوم صدقت نياتهم واستقامت السنتهم
وقلوبهم في السر والعلانية والصدق يكون في القول والافعال
والنية فاما صدق القول فهو مجانبة الكذب والصدق في القول هو
عدم الانصراف عنه قبل اتمامه والصدق في النية العزم على الفعل
حتى يبلغه والقانتين يعني المطيعين لله وقيل هم المصلون وهو
عبارة عن دوام الطاعة والمواظبة عليها والمنفقين يعني اموالهم
في طاعة الله تعالى ويدخل فيه نفقة الرجل على نفسه وعلى اهله واقاربه
وصلة رحمه والزكاة والنفقة في جميع القربات والمستغفرين بالاسحار
يعني المصلين بالسحر وهو الوقت بعد ظلمة الليل الى طلوع الفجر وقيل
كانوا يصلون بالليل كله حتى اذا كان وقت السحر اخذوا في الدعا
والاستغفار فكان هذا دابهم في ليلهم قال نافع كان ابن عمر يحيي
الليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فيقول لا فيعاود الصلاة فاذا قلت نعم
قعد يستغفر ويدعو حتى يصلي الصبح ق عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سما
الدنيا حتى يبقى الثلث الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسالني
فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وفي لفظ لمسلم فيقول انا الملك انا الملك
من ذا الذي يدعوني الحديث وله في رواية اخرى فيقول هل من
سايل فيعطى هل من داع فيستجاب له هل من مستغفر فيغفر له
حتى ينفجر الصبح هذا الحديث من احاديث الصفات وللعلما فيه وفي
امثاله مذهبان معروفان مذهب السلف الايمان به واجراوه على
ظاهره ونفي الكيفية عنه والمذهب الثاني هو مذهب من يتاول
احاديث الصفات قال ابو سليمان الخطابي انما ينكر هذا الحديث
من يقيس الامور على ما يشاهده من النزول الذي هو تدلي من اعلى
الى اسفل وانتقال من فوق الى تحت وهذا صفة الاجسام فاما نزول من لا
يستولي عليه صفات الاجسام فان هذه المعاني غير متوهمة فيه وانما
هو خبر عن قدرته ورافته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاهم ومغفرته

لهم يفعل ما يشا لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على افعاله كمية سبحانه
ليس كمثله شى وهو السميع البصير وقوله فى قوله والمستغفرين بالاسحار
وصف الله تعالى هولا بما وصفه ثم بين انهم مع ذلك لشدة خوفهم
ووجلهم انهم لا يستغفرون بالاسحار وروى ان لقمان قال لابنه يا بنى
لا تكن اعجز من الديك فانه يصوت بالاسحار وانت نايم على فراشك
وقيل هم الذين يصلون صلاة الصبح فى جماعة فعلى هذا القول انما
سميت الصلاة استغفارا لانهم طلبوا بفعلها المغفرة **قوله عز وجل**
شهد الله انه لا اله الا هو قيل فى سبب نزول هذه الاية ان حبرين من
احبار الشام قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بصرا المدينة
قال احدهما لصاحبه وما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبى صلى
الله عليه وسلم الذى يخرج فى اخر الزمان فلما دخلا على النبى صلى
الله عليه وسلم عرفاه بالصفة فقالا له انت محمد قال نعم قالا وانت
احمد قال نعم قالا فانا نسالك عن شى فان انت اخبرتنا به امنا بك
وصدقناك قال سلانى قالا اخبرنا عن اعظم شهادة فى كتاب الله
عز وجل فانزل الله هذه الاية فاسلما الحبران وقيل ان هذه الاية نزلت
فى نصارى نجران فيما ادعوا فى عيسى عليه السلام فقوله تعالى شهد الله
يعنى بين الله واظهر لان معنى الشهادة تبين واظهار وقيل معنى شهد
الله حكم الله وقضى وقيل معناه اعلم الله انه لا اله الا هو وذلك بيان
الدلايل لما امكن التوصل الى معرفة الوحدانية فهو تعالى ارشد عباده
الى معرفة توحيده بما بين من عجايب مصنوعاته وغرايب مبتدعاته
سيل بعض الاعراب ما الدليل على وجود الصانع فقال ان البعيرة
تدل على البعير واثار القدم تدل على المسير فهيكل علوي بهذه اللطافة
ومركز سفلى بهذه الكثافة اما يدلان على وجود الصانع الخبير قال
ابن عباس خلق الله تعالى الارواح قبل الاجساد باربعة الاف سنة
وخلق الارزاق قبل الارواح باربعة الاف سنة فشهد لنفسه بنفسه
قبل ان خلق الخلق حين كان ولم يكن سما ولا ارض ولا بر ولا بحر فقال
تعالى شهد الله انه لا اله الا هو **والملايكة** اى وشهد الملايكة فمعنى
شهادة الله الاخبار والاعلام ومعنى شهادة الملايكة والمومنين
الاقرار والاعتراف بانه لا اله الا هو ولما كان كل واحد من هذين الامرين
تسمى شهادة حسن اطلاق لفظ الشهادة عليهما **واولوا العلم** اى وشهد
اولوا العلم بانه لا اله الا هو واختلفوا فى اولى العلم فقيل هم الانبيا عليهم
السلام لانهم اعلم الخلق بالله تعالى وقيل هم علما اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار وقيل هم علما مومنى اهل الكتاب

مثل

مثل عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم علما جميع المومنين **قايما بالقسط**
اى بالعدل نصب على الحال او القطع او المدح ومعناه انه تعالى قايم بتدبير
خلقه كما يقال فلان قايم بامر فلان يعنى انه مدبر له ومتعهد لاسبابه
وفلان قايم بحق فلان اى انه مجازله والله مدبر امر خلقه وقايم بارزاقهم
ومجازلهم باعمالهم **لا اله الا هو** انما كرره للتاكيد وقيل ان الاول وصف
وتوحيد والثانى رسم تعليم اى قولوا لا اله الا هو وقيل فايدة تكرارها
الاعلام بان هذه الكلمة اعظم الكلام واشرفه ففيه حث للعباد على
تكريرها والاشتغال بها فانه من اشتغل بها فقد اشتغل بافضل
العبادات **العزيز** اى الغالب الذي لا يقهر **الحكيم** يعنى فى جميع افعاله
ان الدين عند الله الاسلام يعنى ان الدين المرضى عند الله هو الاسلام
كما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا وفيه رد على اليهود والنصارى
وذلك لما ادعت اليهود ان لا دين افضل من اليهودية وادعت النصارى
ان لا دين افضل من النصرانية فرد الله عليهم ذلك فقال ان الدين
عند الله الاسلام وقرا ان الدين بفتح الهمزة ردا على ان الاولى والمعنى
شهد الله انه لا اله الا هو وشهد ان الدين عند الله الاسلام واصل
الدين فى اللغة الجزا يقال كما تدين تدان ثم صار اسما للملة والشريعة
ومعناه الانقياد للطاعة والشريعة قال الزجاج الدين اسم لجميع
ما تعبد الله به خلقه وامرهم بالاقامة عليه والاسلام هو الدخول فى
السلم وهو الاستسلام والانقياد والدخول فى الطاعة وروى البغوى
بسند الثعلبى عن غالب القطان قال اتيت الكوفة فى تجارة فنزلت
قريبا من الاعمش فكنت اختلف اليه فلما كان ذات ليلة اردت ان انحدر
الى البصرة قام من الليل يتهجد فمر بهذه الاية شهد الله انه لا اله الا هو
والملايكة واولوا العلم قايما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم قال
الاعمش وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهى
لى عند الله وديعة ان الدين عند الله الاسلام قالها مرارا فقلت
سمع فيها شيا فصليت الصبح معه وودعته ثم قلت له انى سمعتك
ترددها فما بلغك فيها قال والله لا احدثك فيها الى سنة فكتبت
على بابه ذلك اليوم واقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا ابا محمد قد
مضت السنة فقال حدثنى ابو وايل عن عبد الله قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يجا بصاحبها يوم القيمة فيقول الله عز
وجل ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا
عبدى الجنة قوله عز وجل **وما اختلف الذين اوتوا الكتاب** قال الكلبى
نزلت فى اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام والمعنى وما اختلف

الذين اوتوا الكتاب في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الامن بعد ما
جاءهم العلم يعني بيان نعته وصفته في كتبهم وقال الربيع ان موسى عليه
السلام لما حضره الموت دعى سبعين رجلا من خيار بني اسرايل واودعهم
التورية واستخلف يوشع بن نون فلما مضى القرن الاول والثاني والثالث
وقع الفرقة والاختلاف بينهم وهم الذين اوتوا الكتاب وهم من ابنا
الملوك السبعين حتى اهرقوا الدما ووقع الشر والاختلاف وذلك بعد
ما جاءهم العلم يعني بيان ما في التورية من الاحكام بغيا بينهم اي
طلبا للملك والرياسة فسلط الله عليهم الجبابرة وقيل نزلت في نصارى
نجران ومعناه وما اختلف الذين اوتوا الكتاب يعني الانجيل واختلافهم
كان في امر عيسى عليه السلام وما ادعوا فيه من الالهية الامن بعد
ما جاءهم العلم يعني ان الله تعالى واحد احد وان عيسى عبده ورسوله
بغيا بينهم يعني المعاداة والمخالفة ومن يكفر بايات الله فان الله
سريع الحساب فيه وعيد وتهديد لمن اصر على الكفر من اليهود
والنصارى الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز
وجل فان حاجوك اي خاصموك يا محمد في الدين وذلك ان اليهود
والنصارى قالوا لسنا على ما سميتنا به يا محمد انما اليهودية والنصرانية
نسب والدين هو الاسلام ونحن عليه فامر الله عز وجل نبيه صلى
الله عليه وسلم ان يحتج عليهم بانه اتباع امر الله الذي هم مقرون
به بقوله فقل اسلمت وجهي لله اي انقدت له بقلبي ولساني وجميع
جوارحي وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف جوارح الانسان الظاهرة
فاذا خضع وجهه لشي فقد خضع له ساير جوارحه وقيل اراد بالوجه
العمل اي اخلصت عملي لله وقصدت بعبادتي الى الله ومن اتبعن
يعني ومن اسلم كما اسلمت انا وقل للذين اوتوا الكتاب يعني اليهود
والنصارى والاميين يعني مشركي العرب اسلمتم لفظه استفهام
ومعناه امر اي اسلموا فان اسلموا فقد اهتدوا يعني الى الفوز
والنجاة في الاخرة فلما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
الاية على اهل الكتاب قالوا قد اسلمنا فقال لليهود اتشهدون
ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال للنصارى
اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون
عيسى عبدا قال الله تعالى وان تولوا اي اعرضوا فانما عليك
البلاغ يعني تبليغ الرسالة وليس عليك هدايتهم واختلف علما
الناسخ والمنسوخ في الاية فذهب طايفة الى انها محكمة والمراد بها
تسلية النبي صلى الله عليه وسلم لانه كان يحرص على ايمانهم

ويتالم

ويتالم لتركهم الاجابة وذهب طايفة الى انها منسوخة باية السيف
لان المراد بها الاقتصار على التبليغ وهذا منسوخ باية السيف
والله بصير بالعباد يعني انه تعالى عالم بمن يومن وبمن لا يومن
قوله عز وجل ان الذين يكفرون بايات الله يعني يجحدون
القران وينكرونه وهم اليهود والنصارى ويقتلون النبيين بغير
حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس كان انبيا بني
اسرايل ياتيهم الوحي ولم يكن ياتيهم كتاب لانهم كانوا ملتزمين
باحكام التورية فكانوا يذكرون قومهم فيقتلون انبياهم فيقوم
رجال ممن امن بهم وصدقهم فيذكرونهم ويامرونهم بالمعروف
وينهونهم عن المنكر فيقتلونهم ايضا فهم الذين يامرون بالقسط
يعني بالعدل من الناس روى البغوي بسند الثعلبي عن ابي
عبيدة بن الجراح قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا
يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجل امر بالمنكر ونهى عن المعروف
ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون النبيين بغير
حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس الى ان انتهى
الى قوله وما لهم من ناصرين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرايل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار في
ساعة واحدة فقام ماية واثنى عشر رجلا من عباد بني اسرايل فامروا
من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعا من اخر النهار
في ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله في كتابه وانزل الاية فيهم
فبشرهم بعذاب اليم انما دخلت الفا في قوله فبشرهم مع انه خبر ان
لانه في معنى الجزا والتقدير من كفر فبشره بعذاب اليم يوم القيمة
وهذا محمول على الاستعارة وهو ان انذار الكفار بالعذاب قام مقام
بشرى المحسنين بالثواب وفي هذه الاية توبيخ لليهود الذين كانوا في
زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان اسلافهم الذين قتلوا
الانبيا لانهم رضوا بفعلهم اوليك الذين حبطت اي بطلت اعمالهم
في الدنيا والاخرة وبطلان العمل هو ان لا يقبل في الدنيا ولا يجازى
عليه في الاخرة وما لهم من ناصرين يعني يمنعونهم من العذاب قوله
عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب نزلت في اليهود يدعون
الى كتاب الله يعني القران وذلك ان اليهود دعوا الى حكم القران فاعرضوا
عنه قال ابن عباس ان الله جعل القران حكما فيما بينهم وبين رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحكم القران على اليهود والنصارى انهم على غير
الهدى فاعرضوا عنه وروي عن ابن عباس ايضا ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم دخل بيت المقدس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله عز
وجل فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اى دين انت يا محمد فقال
على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هلموا الى التورية فهى بيننا وبينكم فابيا فانزل الله هذه الاية
فعلى هذا القول يكون المراد بكتاب الله يعنى التورية وروى عنه
ايضا ان رجلا وامراة من اهل خيبر زنيا وكان فى كتابهم الرجم فكرهوا
رجمهما لشرفهما فيهم فرفعوا امرهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورجوا ان تكون عنده رخصة فحكم عليهما بالرجم فقال النعمان بن اوفى
وبحرى بن عمرو جرت عليهما يا محمد وليس عليهما الرجم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينى وبينكم التورية فقالوا قد انصفت فقال من
اعلمكم بالتورية فقالوا رجل اعور يقال له عبد الله بن صوريا يسكن
فدك فارسلوا اليه فقدم المدينة وكان جبريل وصفه للنبى صلى الله عليه
وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم
قال انت اعلم اليهود بالتورية قال كذلك يزعمون فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالتورية وقال له اقرا فقرا فلما اتى على اية الرجم
وضع يده عليه وقرا ما بعدها فقال عبد الله بن سلام يا رسول الله
قد جاوزها ثم قام ورفع كفه عنها وقراها على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعلى اليهود وفيها ان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما
البينة رجما وان كانت المراة حبلى تربص بها حتى تضع ما فى بطنها فامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجما فغضبت اليهود
لذلك فانزل الله عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يعنى علمهم الذى علموه من التورية يدعون الى كتاب الله يعنى
القران او التورية على اختلاف الروايتين ليحكم بينهم اى ليقضى بينهم
واضافة الحكم الى الكتاب هو على سبيل المجاز ثم يتولى فريق منهم يعنى
الروسا والعلما وهم معرضون يعنى عن الحق وقيل الذين تولوا هم العلما
والذين اعرضوا هم الاتباع ذلك بانهم يعنى ذلك التولى والاعراض
انما حصل بسبب انهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات
تقدم تفسيره فى سورة البقره وغرهم اى واطمعهم فى دينهم ما كانوا
يفترون اى يختلقون ويكذبون قيل هو قولهم نحن ابنا الله واحباؤه وقيل
هو قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات وقيل غرهم هو قولهم
نحن على الحق وانتم على الباطل فكيف اذا جمعناهم اى فكيف يكون حالهم
اذا جمعناهم ليوم اى فى يوم لا ريب فيه اى لا شك فيه انه كاين وواقع
وهو يوم القيمة وفيه تهديد لهم[٢] وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه عليها تعلل

[٢] واستعظام لما يعلمهم فى ذلك اليوم وانهم يبقون فيها لا حيلة لهم

بباطل وطمع فيما لا يكون ولا يحصل لهم قيل ان اول راية ترفع لاهل الموقف
من رايات الكفار راية اليهود فتفضحهم على روس الاشهاد ثم يومر بهم
الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون اى لا ينتقص من حسناتهم
ان كانت لهم حسنة ولا يزاد على سياتهم قوله عز وجل قل اللهم
مالك الملك قال قتادة ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم سال ربه
عز وجل ان يجعل ملك فارس والروم فى امته فانزل الله هذه الاية
وقال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ووعد امته
ملك فارس والروم وهو اعز وامنع من ذلك فقال المنافقون واليهود
هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم وهو اعز وامنع من ذلك الم
يكف محمد مكة والمدينة حتى طمع فى ملك فارس فانزل الله تعالى هذه
الاية وقيل ان اليهود قالوا والله لا نطيع رجلا جا ينقل النبوة من بنى
اسرايل الى غيرهم فنزلت هذه الاية قل اللهم معناه يا الله لما حذف
حرف الندا زيد الميم فى اخره وقيل ان الميم فيه وقيل ان الميم فيه معنى اخر
وهو يا الله امنا بخير اى قصدنا مالك الملك اى ملك العباد وما ملكوا
وقيل مالك ملك السموات والارض وقيل معناه بيده الملك يوتيه
من يشا وقيل معناه ملك الملوك ووارثهم يوم لا يدعى الملك احد
غيره وفى بعض كتب الله المنزلة انا الله ملك الملوك ومالك الملك
قلوب الملوك ونواصيهم بيدى فان العباد اطاعونى جعلتهم عليهم
رحمة وان هم عصونى جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك
ولكن توبوا الى اعطفهم عليكم وقيل الملك هو القدرة والمالك هو القادر
والمعنى انه تعالى قادر على كل شى ومالك على كل مالك ومملوك وقادر
وقيل معناه مالك الملك اى جنس الملك يتصرف فيه كيف يشا •
توتى الملك من تشا يعنى النبوة لانها اعظم مراتب الملك وذلك لان
النبى له الامر على بواطنهم وظواهرهم والملك ليس له الامر الا على
ظواهر بعض الخلق وهو من يطيعه منهم وطاعة النبى واجبة على الكافة
وتنزع الملك ممن تشا يعنى بذلك نزع النبوة من بنى اسرايل واتيانها
محمدا صلى الله عليه وسلم فانه لا نبى بعده ولم يشركه فى نبوته ورسالته
احد وقيل توتى الملك من تشا يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه
وتنزع الملك ممن تشا يعنى من ابى جهل وصناديد قريش وقيل توتى
الملك يعنى امة محمد صلى الله عليه وسلم وتنزع الملك ممن تشا يعنى
فارس والروم وقيل توتى الملك من تشا يعنى ادم وذريته وتنزع الملك
ممن تشا يعنى ابليس وجنوده الذين كانوا فى الارض قبل ادم وتعز
من تشا يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة وتذل من تشا

يعنى اليهود باخذ الجزية منهم ونزع النبوة عنهم وقيل تعز المهاجرين
والانصار وتذل فارس والروم وقيل تعز من تشا يعني محمدا واصحابه
دخلوا مكة فى عشرة الاف ظاهرين عليها وتذل من تشا يعنى ابا جهل
واصحابه حين قتلوا والقوا فى قليب بدر يوم بدر وقيل تعز من تشا
بالطاعة وتذل من تشا بالمعصية وقيل تعز من تشا بالغنا وتذل
من تشا بالفقر وقيل تعز من تشا بالقناعة والرضى وتذل من تشا
بالحرص والطمع **بيدك الخير** يعنى النصر والغنيمة وقيل الالف واللام
تفيد العموم والمعنى بيدك كل الخيرات **فان قلت** كيف قال
بيدك الخير دون الشر **قلت** لان الكلام انما وقع فى الخير الذي
يسوقه الله تعالى الى عباده المؤمنين وهو الذى انكرته اليهود والمنافقون
فقال بيدك الخير تؤتيه اوليايك على رغم اعدايك وقيل ان قوله
بيدك الخير لا ينافى ان يكون بيده غيره فيكون المعنى بيدك الخير
وبيدك ما سواه الا انه خص الخير بالذكر لانه المنتفع به والمرغوب
فيه **انك على كل شى قدير** يعنى من ايتا الملك من تشا واعزاز من تشا
قوله تعالى **تولج الليل فى النهار** الاية لما ذكر الله تعالى انه مالك الملك
اردفه بذكر قدرته الباهرة فى حال الليل والنهار فى المعاقبة بينهما
وحال اخراج الحى من الميت ثم عطف عليه انه يرزق من يشا بغير
حساب وفى ذلك دلالة على انه من قدر على تلك الافعال العظيمة
المحيرة لذوى الافهام والعقول قادر ان ينزع الملك من فارس والروم
واليهود ويذلهم ويوتيه العرب ويعزهم فقوله تعالى تولج الليل فى
النهار يعنى تدخل الليل فى النهار وهو ان تجعل الليل قصيرا وما نقص
منه زايد فى النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة وذلك غاية طول
النهار ويكون الليل تسع ساعات وذلك غاية قصر الليل
وتولج النهار فى الليل حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة وذلك غاية
طوله ويكون النهار تسع ساعات وذلك غاية قصره وقيل المراد انه
تعالى ياتى بسواد الليل عقيب ضوء النهار وياتى بضوء النهار بعد ظلمة
الليل والقول الاول اصح واقرب الى معنى الاية لانه اذا نقص الليل
كان ذلك القدر زيادة فى النهار وبالعكس وهو معنى الولوج **وتخرج
الحى من الميت وتخرج الميت من الحى** يعنى انه تعالى يخرج الانسان الحى
من النطفة وهى ميتة ويخرج النطفة من الانسان ويخرج الفرخ وهو
حى من البيضة وهى ميتة وبالعكس وكذلك ساير الحيوان وقيل
يخرج النبات الغض الاخضر من الحب اليابس ويخرج النخلة من النواة
وبالعكس وقيل انه تعالى يخرج المومن من الكافر والكافر من المومن

الليل حو

لان

لان المومن حى الفواد والكافر ميته **وترزق من تشا بغير حساب**
يعنى من غير تضييق ولا تقتير بل يبسط الرزق لمن يشا ويوسعه عليه
قوله عز وجل **لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا من دون المومنين**
قال ابن عباس كان الحجاج بن عمرو بن ابى الحقيق وقيس بن زيد يبطنون
بنفر من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله
ابن جبير وسعيد بن خيثمة لاوليك النفر اجتنبوا هولا اليهود لا يفتنو
عن دينكم فابى اوليك النفر الا مباطنتهم فانزل الله تعالى هذه الاية
وقيل نزلت فى حاطب بن ابى بلتعة وغيره ممن كان يظهر المودة لكفار
مكة وقيل نزلت فى عبد الله بن ابى واصحابه كانوا يتولون المشركين
واليهود ويانونهم بالاخبار ويرجون ان يكون لهم الظفر على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية ونهى المومنين عن مثل ذلك
وقيل ان عبادة بن الصامت كان له حلفا من اليهود فقال يوم الاحزاب
يا رسول الله ان معى خمسماية من اليهود وقد رايت ان استظهر بهم
على العدو فنزلت هذه الاية وقوله لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا
يعنى انصارا واعوانا من دون المومنين يعنى من غير المومنين
والمعنى لا يجعل المومن من ولايته لمن هو غير مومن نهى الله المومنين
ان يلاطفوا الكفار او يلاطفوهم لقرابة بينهم او محبة او معاشرة
والمحبة فى الله والبغض فى الله باب عظيم واصل من اصول الايمان
ومن يفعل ذلك يعنى من موالاة الكفار من نقل الاخبار اليهم واظهار
عورة المسلمين او يودهم ويحبهم **فليس من الله فى شى** اى فليس فى دين الله
فى شى وقيل معناه فليس فى ولاية الله فى شى وهذا امر معقول من
ولاية المولى معاداة اعداه وموالاة الله وموالاة الكفار ضدان لا
يجتمعان **الا ان تتقوا منهم تقاة** اى الا ان تخافوا منهم مخافة ومعنى
الاية ان الله نهى المومنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم
الا ان يكون الكفار غالبين ظاهرين او يكون المومن فى قوم كفار
فيداهنهم بلسانه مطمين بالايمان دفعا عن نفسه من غير ان يستحل
دما حراما او مالا حراما او غير ذلك من المحرمات او يظهر الكفار
على عورة المسلمين والتقية لا يكون الا مع خوف القتل مع سلامة
النية قال الله تعالى الا من اكره وقلبه مطمين بالايمان ثم هذه
التقية رخصة فلو صبر على اظهار ايمانه حتى قتل كان له بذلك اجر
عظيم وانكر قوم التقية اليوم وقالوا انما كانت التقية فى جدة الاسلام
قبل استحكام الدين وقوة المسلمين فاما اليوم فقد اعز الله الاسلام
والمسلمين فليس لاهل الاسلام ان يتقوا من عدوهم قال يحيى البكا

نكم

قلت لسعيد بن جبير في ايام الحجاج ان الحسن يقول التقية باللسان والقلب مطمئن بالايمان فقال سعيد ليس في الاسلام تقية انما التقية في الحرب وقيل انما يجوز التقية لصون النفس عن الضرر لان دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان **ويحذركم الله نفسه** اي ويخوفكم الله ان تعصوه بان ترتكبوا المنهي او تخالفوا المامور او توالوا الكفار فتستحقوا عقابه على ذلك كله **والى الله المصير** يعني ان الله يحذركم عقابه اذا صرتم اليه في الاخرة

قوله عز وجل

قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعني تبدوا مودة الكفار قولا وفعلا وقيل معناه ان تخفوا ما في قلوبكم من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم او تبدوه اي تظهروه بالحرب والمقاتلة له **يعلمه الله** اي يحفظ عليكم ويجازيكم به **ويعلم ما في السموات وما في الارض** يعني انه تعالى اذا كان لا يخفى عليه شي في السموات ولا في الارض فكيف يخفى عليه حالاتكم وموالاتكم الكفار وميلكم اليهم بقلوبكم **والله على كل شي قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا** يعني تجد كل نفس جزا ما عملت محضرا يوم القيمة ولم ينقص ولم يبخس منه شي **وما عملت من سوء** اي تجد ما عملت من الخير محضرا تفسر به وما عملت من سو **تود** اي تتمنى **لو ان بينها وبينه** اي بين ما عملت من السو **امدا بعيدا** اي مكانا بعيدا قيل كما بين المشرق والمغرب والامد الاجل والغاية وقيل معناه تود انها لم تعمله ويكون بينها وبينه امدا بعيدا **ويحذركم الله نفسه** انما كرره للتاكيد **والله روف بالعباد** قيل معناه انه روف بهم حيث حذرهم نفسه وعرفهم كمال قدرته وعلمه وانه يمهل ولا يهمل وقيل معناه انه روف بالعباد حيث امهلهم للتوبة والتدارك العمل الصالح وقيل انه تعالى لما قال ويحذركم الله نفسه وهو وعيد اتبعه بقوله والله روف بالعباد وهو وعد ليعلم العبد المومن ان رحمته وعده غلبت وعيده وسخطه

قوله عز وجل

قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا نحن ابنا الله واحباوه فنزلت هذه الاية فعرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فلم يقبلوها وقال ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا اصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في اذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة ابيكم ابراهيم واسمعيل فقالت قريش انما نعبدها حبا لله ليقربونا الى الله زلفى فنزلت هذه الاية وقيل ان نصارى نجران قالوا انما نقول هذا القول في

عيسى حبا لله وتعظيما له فانزل الله قل يا محمد ان كنتم تحبون الله فيما تزعمون فاتبعوني يحببكم الله لانه قد ثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالدلايل الظاهرة والمعجزات الباهرة فوجب على كافة الخلق متابعته والمعنى قل ان كنتم صادقين في ادعا محبة الله فكونوا منقادين لاوامره مطيعين له فاتبعوني فان اتباعي من محبة الله تعالى وطاعته قال العلما ان محبة العبد لله عبارة عن اعظامه واجلاله وايثار طاعته واتباع امره ومجانبة نهيه ومحبة الله للعبد ثناوه عليه ورضاوه عنه وثوابه له وعفوه عنه فذلك قوله تعالى **ويغفر لكم ذنوبكم** يعني ان من غفر له فقد ازال عنه العذاب **والله غفور رحيم** يعني انه تعالى يغفر ذنوب من احبه ويرحمه بفضله وكرمه ولما نزلت هذه الاية قال عبد الله بن ابي بن سلول رايت المنافقين لاصحابه ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله وتامرنا ان نحبه كما احبت النصارى عيسى بن مريم فانزل الله عز وجل **قل اطيعوا الله والرسول** يعني ان طاعة الله متعلقة بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فان طاعته لا تتم مع عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الشافعي رحمه الله كل امر ونهي ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جرى ذلك في الفريضة واللزوم مجرى ما امر الله به في كتابه او نهى عنه وقال ابن عباس فان طاعتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم طاعتكم لي فاما ان تطيعوني وتعصوا محمدا فلن اقبل منكم **فان تولوا** اي اعرضوا عن طاعة الله ورسوله **فان الله لا يحب الكافرين** اي لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم **خ** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى **ق** وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني

قوله عز وجل

ان الله اصطفى ادم ونوحا قال ابن عباس قالت اليهود نحن من ابنا ابراهيم واسحاق ويعقوب ونحن على دينهم فانزل الله هذه الاية والمعنى ان الله اصطفى هولا بالاسلام وانتم يا معشر اليهود على غير دين الاسلام ومعنى اصطفى اختار من الصفوة وهي الخالص من كل شي ادم وهو ابو البشر عليه السلام ونوحا هو نوح بن لمك ابن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام وحكى ابن الجوزي في تفسيره عن ابي سليمان الدمشقي ان اسم نوح السكن وانما سمي نوحا

لكثرة توحده على نفسه **وال ابراهيم** قيل اراد بال ابراهيم ابراهيم
نفسه وقيل ال ابراهيم اسمعيل واسحاق ويعقوب وذلك ان الله
تعالى جعل ابراهيم عليه السلام اصلا لشعبتين فجعل اسمعيل بن
ابراهيم عليهما السلام اصلا للعرب ومحمد صلى الله عليه وسلم منهم
فهو داخل في هذا الاصطفا وجعل اسحاق اصلا لبنى اسرايل
وجعل فيهم النبوة والملك الى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
ثم جمع له ولامته النبوة والملك الى يوم القيمة وقيل اراد بال
ابراهيم من كان على دينه **وال عمران** واختلفوا في عمران هذا فقيل
هو عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوى بن يعقوب وهو والد موسى
وهارون فيكون ال عمران موسى وهارون او نفسه وقيل هو عمران بن
اشيم بن امون وقيل ابن ماثان وهو من ولد سليمان بن داود عليهما السلام
وعمران هذا هو والد مريم وابنها عيسى فعلى هذا يكون المراد بال عمران
مريم وابنها عيسى وانما خص هولا بالذكر لان الانبيا والرسل من نسلهم
على العالمين اى اختارهم واصطفاهم على العالمين بما خصهم من النبوة
والرسالة **ذرية** اى اصطفى ذرية واصلها من ذرا بمعنى خلق وقيل
من الذر لان الله استخرجهم من ظهر ادم كالذر وانما سمى الابا والابنا
ذرية لان الله خلق بعضهم من بعض فالابنا من ذرية الابا والابا من
ذرية ادم وهو ممن ذراه الله اى خلقه **بعضها من بعض** اى بعضها من
ولد بعض وقيل بعضها من بعض في التناصر والتعاضد وقيل بعضها
على دين بعض **والله سميع عليم** يعنى انه تعالى سميع لاقوال العباد
عليم بنياتهم وانما يصطفى لنبوته ورسالاته من يعلم استقامته قولا
وفعلا قوله تعالى **اذ قالت امراة عمران** هى حنة بنت فاقود ام مريم
وعمران هو عمران بن ماثان وقيل ابن اشيم وليس بعمران ابى موسى لان
بينهما الف وثمانماية سنة وكان بنو ماثان روس بنى اسرايل في ذلك
الزمن واحبارهم وملوكهم **رب انى نذرت لك ما في بطنى محررا** اى
جعلت الحمل الذى في بطنى نذرا محررا منى لك والنذر ما يوجبه الانسان
على نفسه ومعنى محررا اى عتيقا خالصا مفرغا لعبادة الله وخدمة
الكنيسة لا اشغله بشى من امور الدنيا قيل كان المحرر عندهم اذا احرر
جعل في الكنيسة فيقوم عليها ويخدمها ولا يبرح مقيما فيها حتى يبلغ
الحلم ثم يخير فان احب اقام فيها وان احب ذهب حيث شا فان اراد
الخروج بعد ان اختار الاقامة في الكنيسة لم يكن له ذلك ولم يكن احد
من انبيا بنى اسرايل وعلمايهم الا ومن اولادهم محررة لخدمة بيت
المقدس ولم يكن يحرر الا الغلمان ولا تصلح الجارية لخدمة بيت المقدس

لما

لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت ام مريم في بطنها وكانت القصة
في ذلك على ما ذكره اصحاب السير والاخبار ان زكريا وعمران تزوجا اختين
فكانت اشاع بنت فاقود وهى ام يحيى عند زكريا وكانت حنة بنت فاقود
اخت اشاع عند عمران وهى ام مريم وكان قد امسك عن حنة الولد حتى
اسنت وكبرت وكانوا اهل بيت صالحين وهم من الله بمكان فبينما هى في
ظل شجرة بصرت بطاير يطعم فرخا فتحركت نفسها بذلك للولد فدعت
الله ان يهب لها ولدا وقالت اللهم لك على ان رزقتنى ولدا ان اتصدق
به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فلما حملت بمريم حررت
ما في بطنها ولم تعلم ما هو فقال لها زوجها ويحك ما صنعت ارايت
ان كان في بطنك انثى فلا يصلح لذلك فوقعا جميعا في هم شديد من
اجل ذلك ومات عمران قبل ان تضع حنة حملها ثم قال تعالى حاكيا عنها
فتقبل منى يعنى نذرى والتقبل اخذ الشى على الرضا واصله من
المقابلة لانه يقابل بالجزا وهذا سوال من لا يريد بما فعله الا الطلب
لرضا الله تعالى والاخلاص في دعايه وعبادته **انك انت السميع**
يعنى لتضرعى ودعاى **العليم** يعنى بنيتى وما في ضميرى **قوله عز
وجل فلما وضعتها** اى ولدت حملها وانما قال وضعتها لانه كان في علم
الله انها جارية وكانت حنة ترجو ان يكون غلاما **قالت** يعنى حنة
رب انى وضعتها انثى تريد بذلك اعتذارا الى الله تعالى من اطلاقها
النذر المتقدم فذكرت ذلك على سبيل الاعتذار لا على سبيل الاعلام
لان الله تعالى عالم بما في بطنها قبل ان تضعه **والله اعلم بما وضعت**
قرى بجزم التا اخبارا عن الله تعالى والمعنى انه تعالى قال والله اعلم
بالشى الذى وضعت وقرى وضعت برفع التا وهو من كلام ام مريم
على تقدير انها لما قالت رب انى وضعتها انثى خافت ان تكون اخبرت
الله تعالى بذلك فازالت هذه الشبهة بقولها والله اعلم بما وضعت
وليس الذكر كالانثى يعنى في خدمة الكنيسة والعباد الذى فيها وفي الكلام
تقديم وتاخير تقديره وليس الانثى كالذكر والمراد منه تفضيل الذكر
على الانثى لان الذكر يصلح للخدمة في الكنيسة ولا تصلح الانثى لذلك
لضعفها وما يحصل لها من الحيض ولانها عورة ولا يجوز لها الحضور مع
الرجال وقيل في معنى الاية ان المراد منها تفضيل هذه الانثى على الذكر
كانها قالت لكان الذكر مطلوبى لخدمة المسجد وهذه الانثى هى موهبة
لله تعالى وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى هى موهبة الله تعالى
وكانت مريم اجمل النسا وافضلهن في وقتها **واني سميتها مريم** يعنى العابدة
والخادمة وهو بلغتهم وارادت بهذه التسمية ان يفضلها الله على اناث الدنيا

وَاني اعيذها بك وَذريتها اي امنعها واجيرها بك وذريتها من الشيطان الرجيم يعنى اللعين الطريد وَذلك ان حنه ام مريم لما فاتها ماكانت تطلب من ان يكون ولدها ذكرا فاذاهى انثى تضرعت الى الله تعالى ان يحفظها ويعصمها من الشيطان الرجيم وان يجعلها من الصالحات العابدات ق عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن بنى ادم من مولود الا نخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من نخسه اياه الامريم وابنها ثم يقول ابو هريرة اقروا ان شئتم وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وللبخارى عنه قال كل ابن ادم يطعن الشيطان فى جنبيه باصبعيه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب ليطعن فطعن فى الحجاب قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن يعنى تقبل الله مريم من حنه مكان الذكر المذكور بمعنى قبل ورضى قال الزجاج الاصل فى العربية تقبلها بتقبل ولكن قبول مقبول على قبلها قبولا كما يقال قبلت الشى قبولا ويجوز قبولا اذا رضيه وقال ابو عمرو ليس فى المصادر فعول بفتح الفا الا هذا ولم اسمع فيه الضم وقيل معنى التقبل والقبول واحد وهما سوا وهو ان يرى الشى ويأخذه وقيل معنى التقبل التكفل فى التربية والقيام لشانها وانما قال بقبول للجمع بين الامرين يعنى التقبل الذى بمعنى التكفل والقبول الذى هو بمعنى الرضى وانبتها نباتا حسنا ومعناه وانبتها فنبتت هى نباتا حسنا قال ابن عباس فى قوله فتقبلها ربها بقبول حسن اى سلك بها طريق السعدا وانبتها نباتا حسنا يعنى سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت فى اليوم ماينبت المولود فى عام وكفلها زكريا قال اهل الاخبار لما ولدت حنه مريم اخذتها فلفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابنا هرون وهم يومئذ يلون بيت المقدس ماتلى الحجبة من الكعبة وقالت دونكم النذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا انا احق بها لان خالتها عندى فقالت له الاحبار لو تركت لاحق الناس بها لتركت لامها ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه بها فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا الى نهر جار قيل هو الاردن فالقوا اقلامهم فى الما على ان من ثبت قلمه فى الما فهو اولى بها من غيره وكان على كل قلم مكتوب اسم كل واحد منهم وقيل بل كانوا يكتبون التورية فالقوا اقلامهم التى كانت بايديهم فارتفع قلم زكريا فوق الما ووقف وانحدرت اقلامهم ثم رسبت فى النهر وقيل جرى قلم زكريا مصعدا الى اعلى وجرت اقلامهم مع جرى الما الى اسفل فسهمهم زكريا وقرعهم وكان زكريا راس الاحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا قرى

بتشديد

بتشديد الفا ومعناه وضمنها الله زكريا وضمها اليه بالقرعة وقرى بتخفيف الفا ومعناه وضمها زكريا الى نفسه بالقرعة وقام بامرها وهو زكريا بن اذن بن مسلم بن صدوق من اولاد سليمان بن داود عليهم السلام فلما ضم زكريا مريم الى نفسه بنا لها بيتا واسترضع لها المراضع وقيل ضمها الى خالتها ام يحيى حتى اذا شبت وبلغت مبالغ النسا بنى لها محرابا فى المسجد وجعل بابه فى وسطه ولا يرقى اليه الا بسلم ولا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها كل يوم فذلك قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب يعنى الغرفة والمحراب اشرف المجالس ومقدمها وكذلك هو من المسجد وقيل المحراب مايرقى اليه بدرج وقيل كان زكريا يغلق عليها سبعة ابواب فاذا دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا يعنى فاكهة من غير وقتها فكان يجد عندها فاكهة الشتا فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتا قال يعنى زكريا يامريم انى لك هذا اى من اين لك هذه الفاكهة قالت يعنى قالت مريم لزكريا هو من عند الله يعنى من الجنة وقيل ان مريم من حين ولدت لم تلقم ثديا بل كان يأتيها رزقها من الجنة فيقول لها زكريا يامريم انى لك هذا قالت هو من عند الله تكلمت وهى صغيرة فى المهد كما تكلم ولدها عيسى عليه السلام وهو صغير فى المهد وقال محمد بن اسحاق اصابت بنى اسرايل ازمة وهى على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها وكفالتها فخرج على بنى اسرايل فقال يابنى اسرايل تعلمون والله لقد كبرت سنى وضعفت على حمل بنت عمران فايكم يكفلها بعدى فقالوا والله لقد جهدنا واصابنا من السنة ماترى فتدافعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بدا فتقارعوا عليها بالاقلام فخرج السهم لرجل نجار يقال له يوسف بن يعقوب وكان ابن عم لمريم فعرفت مريم فى وجهه شدة ذلك عليه فقالت له يا يوسف احسن بالله الظن فان الله سيرزقنا فصار يوسف يرزق لمكانها منه فكان يأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا ادخله عليها فى المحراب انماه الله وزاده فيدخل زكريا عليها فيقول يامريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشا بغير حساب وهذا يحتمل ان يكون من تمام كلام مريم او ابتدا كلام من الله عز وجل ومعناه انه تعالى يرزق من يشا بغير تقدير لكثرته او من غير سبب وفى هذه الاية دليل على جواز كرامات الاوليا وظهور خوارق العادات على ايديهم قال اهل الاخبار فلما راى زكريا ذلك قال ان الذى قدر على ان ياتى مريم بالفاكهة فى غير وقتها وحينها من غير سبب لقادر على ان يصلح زوجى ويهب لى ولدا فى غير حينه مع الكبر فطمع فى الولد وذلك

انا اهل بيته كانوا قد انقرضوا وكان زكريا قد كبر وشاخ وايس من
الولد فذلك قوله تعالى **هنالك دعا زكريا ربه** يعني انه عليه
السلام دخل محرابه واغلق الباب وسال ربه الولد **قال رب هب لي**
من لدنك ذرية طيبة يعني انه قال يا رب اعطني من عندك ولدا
مباركا تقيا صالحا رضيا والذرية تطلق على الواحد والجمع والذكر
والانثى والمراد بها هنا الواحد وانما قال طيبة لتانيث لفظ
الذرية **انك سميع الدعا** اي سامعه ومجيبه **قوله عز وجل**
فنادته الملايكة يعني جبريل عليه السلام وانما اخبر عنه بلفظ
الجمع تعظيما لشانه ولانه رئيس الملايكة وقل ان يبعث الا ومعه
جمع من الملايكة فجرى ذلك على مجرى العادة **وهو قايم يصلي في المحراب**
اي في المسجد وذلك ان زكريا عليه السلام كان الحبر الكبير الذي
يقرب القربان ويفتح لهم الباب فلا يدخلون حتى يوذن لهم في
الدخول فبينما هو قايم يصلي في محرابه عند المذبح والناس ينتظرون
ان ياذن في الدخول اذا هو برجل شاب عليه ثياب بياض ففزع زكريا
منه فناداه جبريل عليه السلام يا زكريا **ان الله يبشرك بيحيى** اي بولد
اسمه يحيى قال ابن عباس سمي يحيى لان الله تعالى احيا به عقر امه
وقيل لان الله احيا قلبه بالايمان وقيل لان الله تعالى احياه ٥
بالطاعة حتى لم يهم بمعصية قط **مصدقا بكلمة من الله** يعني عيسى
ابن مريم وانما سمي عيسى عليه السلام كلمة لان الله تعالى قال له كن
فكان من غير اب دلالة على كمال القدرة فوقع عليه اسم الكلمة لانه
بها كان وقيل سمي كلمة لان عيسى عليه السلام كان يرشد الخلق الى الحقايق
والاسرار الالهية ويهتدى به كما يهتدي بكلام الله تعالى فسمي كلمة
بهذا الاعتبار وقيل سمي كلمة لان الله تعالى بشر به مريم على لسان
جبريل وقيل لان الله تعالى اخبر الانبيا الذين قبله في كتبه المنزلة عليهم
انه يخلق نبيا من غير واسطة اب فلما جا قيل هذا هو تلك الكلمة
يعني الوعد الذي وعد انه يخلقه كذلك وكان يحيى اول من امن
بعيسى وصدقه وكان يحيى اكبر من عيسى بستة اشهر وكانا ابني خالة
وقتل يحيى قبل ان يرفع عيسى عليهما السلام وقيل ان ام يحيى لقيت
ام عيسى وهما حاملتان فقالت ام يحيى لام عيسى يا مريم اشعرت اني
حامل فقالت مريم وانا ايضا حامل فقالت ام يحيى اني لاجد ما في بطني
يسجد لما في بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله يعني ان يحيى
امن بعيسى وصدق به **وسيدا** من ساد يسود والسيد هو الرئيس
الذي يتبع وينتهى الى قوله وكان يحيى عليه السلام سيد المومنين

ورئيسهم في الدين والعلم والحلم وقيل السيد هو الحسن الخلق وقيل الذي
هو يطيع ربه وقيل هو الفقيه العالم وقيل سيدا في العلم والعبادة والورع
وقيل السيد هو الحليم الذي لا يغضبه شي وقيل السيد هو الذي يفوق
قومه في جميع خصال الخير وقيل هو السخي قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سيدكم يا بني سلمة قالوا جد بن قيس على انا نبخله قال واي دا
ادوى من البخل لكن سيدكم عمرو بن الجموح وقوله **وحصورا** قال ابن
عباس وغيره من المفسرين الحصور الذي لا ياتي النسا ولا يقربهن
فعلى هذا هو فعول بمعنى فاعل يعني انه حصر نفسه عن الشهوات
واصله من الحصر وهو الحبس وقيل هو العنين وقيل هو الفقير
الذي لا مال له فيكون الحصور بمعنى محصور يعني الممنوع من النسا
قال سعيد بن المسيب كان له مثل هدبة الثوب وقد تزوج مع
ذلك ليغض بصره وفيه قول اخر وهو ان الحصور هو الممتنع عن الوطى
مع القدرة عليه وانما تركه للعفة والزهد فيه وهذا القول هو
الصحيح وهو قول جماعة من المحققين وهو اليق بمنصب الانبيا
لان الكلام انما خرج مخرج المدح والثنا وذكر صفة النقص في معرض
المدح لا يجوز وايضا فان منصب النبوة يجل من ان يضاف الى احد
منهم نقص او افة فحمل الكلام على منع النفس عن الوطى مع القدرة عليه
اولى من حمله على ترك الوطى مع العجز عنه **ونبيا من الصالحين**
يعني انه من اولاد الانبيا الصالحين قوله تعالى **قال** يعني زكريا
رب اي رب قيل هو خطاب مع جبريل لان الاية المتقدمة دلت على
ان الذين نادوه هم الملايكة فعلى هذا القول يكون الرب هنا بمعنى
السيد والمربي اي يا سيدي وقيل انه خطاب مع الله تعالى فيكون
الرب بمعنى المالك وذلك ان الملايكة لما بشروه بالولد تعجب ورجع
في ازالة ذلك تعجب الى الله تعالى فقال رب **انى يكون لي غلام** يعني
من اين يكون وكيف يكون لي غلام **وقد بلغني الكبر** قيل هو من المقلوب
ومعناه وقد بلغت الكبر وشخت وقيل معناه وقد نالني الكبر وادركني
الضعف **فان قلت** كيف انكر زكريا الولد مع تبشير الملايكة
اياه به وما معنى هذه المراجعة ولم تعجب من ذلك بعد وعد الله اياه
به اكان شاكا في وعد الله او في قدرته **قلت** لم يشك زكريا
عليه السلام في وعد الله وفي قدرته وانما قال ذلك على سبيل ٥
الاستفهام والاستعلام والمعنى من اي جهة يكون لي الولد ايكون بازالة
العقر عن زوجتي ورد شبابي علي او يكون ونحن على حالنا من الكبر
والضعف فاجابه بقوله كذلك الله يفعل ما يشا وقال عكرمة ٥

والسدى لما سمع زكريا نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال يا زكريا ان
الصوت الذى سمعت ليس هو من الله وانما هو من الشيطان ولو كان
من الله لاوحاه اليك كما يوحى اليك فى ساير الامور فقال ذلك
زكريا دفعا للوسوسة واعترض على الجواب بانه لا يجوز ان يشتبه
على الانبيا كلام الشيطان اذ لو جوزنا ذلك لارتفع الوثوق باخبارهم
عن الوحى السماوى **واجيب** عن هذا الاعتراض بانه لما دلت الدلايل
على صدق الانبيا فيما يخبرون به عن الله بواسطة الملك فلا مدخل
للشيطان فيه وذلك فيما يتعلق بالدين والشرايع فاما ما يتعلق
بمصالح الدنيا وبالولد فقد يحتمل فيه حصول الوسوسة فسال زكريا
ذلك ليزول هذه الوسوسة من خاطره قال الكلبى كان زكريا يوم
بشر بالولد ابن اثنين وتسعين سنة وقيل ابن تسع وتسعين سنة
وقال ابن عباس فى رواية الضحاك كان ابن ماية وعشرين سنة وكانت
امراته بنت ثمان وتسعين سنة فذلك قوله وقد بلغنى الكبر
وامراتى عاقر اى عقيم لا تلد **قال كذلك الله يفعل ما يشا** يعنى
انه تعالى قادر على هبة الولد على الكبر يفعل ما يشا لا يعجزه شى ٥
قوله عز وجل قال يعنى زكريا **رب اجعل لى اية** اى علامة
اعلم بها وقت حمل امراتى فازيد فى العبادة والشكر **قال ايتك** اى
علامتك على الذى طلبت معرفة علمه **ان لا تكلم الناس** اى لا تقدر
على تكليم الناس **ثلثة ايام** اى مدة ثلثة ايام بلياليها قال جمهور
المفسرين عقل لسانه عن تكليم الناس ثلثة ايام مع ابقايه على قدرة
التسبيح والذكر وكذلك قال فى اخر الاية واذكر ربك كثيرا وسبح
بالعشى والابكار يعنى فى ايام منعك من تكليم الناس وهذه من
الايات الباهرة والمعجزات الظاهرة لان قدرته على التسبيح والذكر
مع عجزه عن تكليم الناس بامور الدنيا وذلك مع صحة الجسم وسلامة
الجوارح من اعظم المعجزات وانما منع عن الكلام مع الناس ليخلص
فى هذه الايام لعبادة الله تعالى وذكره ولا يشغل لسانه بشى اخر
توفيرا منه على قضا هذه النعمة الجسيمة ويشكر الله على اجابته
فيما طلب الاية من اجله وان يكون ذلك دليلا له على وجود الحمل
ليتم سروره بذلك وقال قتادة انما امسك لسانه عن الكلام
عقوبة لسواله الاية بعد مشافهة الملائكة اياه ببشارة الولد
فلم يقدر على الكلام ثلثة ايام **الا رمزا** يعنى الا اشارة والاشارة
قد تكون باليد وبالعين وبالايما بالراس وكانت اشارته بالاصبع
المسبحة وقيل الرمز قد يكون باللسان من غير تبيين كلام وهو

الصوت الخفى شبه الهمس وقيل اراد به صوم ثلثة ايام لانهم كانوا اذا
صاموا لم يتكلموا والقول الاول اصح لموافقة اهل اللغة عليه **واذكر
ربك كثيرا** اى ذلك لما منعه الله من الكلام فى تلك المدة امره بالذكر
فقال واذكر ربك كثيرا فانك لا تمنع من ذلك ولا يحال بينك وبينه
وسبح اى وعظم ربك ونزهه عن النقايص وقيل وصل لربك وسميت
الصلاة سبحة لان فيها تنزيها للرب سبحانه وتعالى **بالعشى والابكار**
فاما العشى فهو ما بين زوال الشمس الى غروبها ومنه سمى صلاتى الظهر
والعصر صلاتى العشا والابكار هو ما بين طلوع الفجر الى الضحى قوله
تعالى **واذ قالت الملائكة** يعنى جبريل عليه السلام **يا مريم ان الله
اصطفاك** اى اختارك **وطهرك** يعنى من مسيس الرجال وقيل من
الحيض والنفاس وكانت مريم لا تحيض وقيل من الذنوب **واصطفاك** ك
اى واختارك **على نسا العالمين** اى عالمى زمانها وقيل على جميع نسا
العالمين **فان قلت** هل فرق بين الاصطفا الاول والثانى
قلت ذكر العلما فى معناهما وجوها يتحصل منها الفرق فقيل
فى معنى الاصطفا الاول ان الله تعالى اختار مريم وقبلها منذورة
محررة ولم يحرر قبلها انثى ولم يجعل ذلك لغيرها من النسا وان الله
بعث اليها رزقها من عنده وكفلها زكريا ومعنى الاصطفا الثانى ان
الله تعالى وهب لها عيسى من غير اب واسمعها كلام الملائكة ولم
يجعل ذلك لغيرها من النسا **ق** عن على بن ابى طالب قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نسايها مريم بنت عمران
وخير نسايها خديجة بنت خويلد قال ابو كريب واشار وكيع الى السما
والارض قيل اراد بهذه الاشارة تفسير الضمير فى قوله خير نسايها
ومعناه انهما خير كل نسا بين السما والارض قال الشيخ محيى الدين
النواوى والاظهر ان معناه ان كل واحد منهما خير نسا الارض فى عصرها
واما التفضيل بينهما فمسكوت عنه **ق** عن ابى موسى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النسا الا
مريم بنت عمران واسية امراة فرعون وفضل عايشة على النسا كفضل
الثريد على ساير الطعام قال العلما معناه ان الثريد من كل طعام
افضل من المرق وثريد اللحم افضل من مرقه بلا ثريد وثريد ما لا
لحم فيه افضل من مرقه بغير ثريد وفضل عايشة على النسا كزيادة
فضل الثريد على غيره وليس فى هذا التصريح بتفضيلها على مريم واسية
لاحتمال ان المراد تفضيلها على نسا هذه الامة عن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نسا العالمين مريم بنت

عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واسية امراة فرعون
اخرجه الترمذي **قوله عز وجل** يا مريم اقنتي لربك اي قالت
الملائكة لها شفاها اطيعي ربك وقيل معناه اطيلي القيام في الصلاة
لربك قال الاوزاعي لما قالت الملائكة لها ذلك قامت حتى تورمت
قدماها وسالت دما وقيحا وحكي عن مجاهد نحوه واسجدي واركعي
مع الراكعين انما قدم السجود على الركوع لان الواو لا تقتضي
الترتيب انما هي للجمع كانه قيل لها افعلي الركوع والسجود وقيل انما
قدم الركوع على السجود لانه كان كذلك في شريعتهم وقال ابن
الانباري امرها امرا عاما وحضها على فعل الخير فكانه قال استعملي
السجود في حال والركوع في حال ولم يرد تقديم السجود على الركوع
بل اراد العموم بالامر على اختلاف الحالين وانما قال اركعي مع الراكعين
ولم يقل مع الراكعات لان لفظ الراكع اعم فيدخل فيه الرجال
والنساء والصلاة مع الرجال افضل واتم وقيل معناه افعلي كفعل
الراكعين وقيل المراد به الصلاة في جماعة اي صلي مع المصلين في جماعة
قوله تعالى ذلك من انباء الغيب يقول الله عز وجل لمحمد صلى الله
عليه وسلم ذلك الذي ذكرت لك من حديث زكريا ويحيى ومريم
وعيسى عليهم السلام من اخبار الغيب نوحيه اليك اي نلقيه اليك
يا محمد لانه لا يمكنك ان تعلم اخبار الامم الماضين الا بوحي منا اليك
وانما قال نوحيه اليك لانه رد الضمير الى ذلك فلذلك ذكر اللفظ
وما كنت يعني يا محمد لديهم هنالك عندهم اذ يلقون اقلامهم يعني
التي كانوا يكتبون بها في الماء لاجل الاقتراع ايهم يكفل مريم يعني
يربيها ويقوم بمصالحها قيل سبب نزول منازعتهم في كفالة مريم حتى
اقترعوا على ذلك انها كانت بنت عمران وكان رئيسهم وكبيرهم فلاجل
ذلك رغبوا في كفالتها وقيل لان مريم حررت لعبادة الله وخدمة
المسجد وكان ابوها قد مات فلاجل ذلك رغبوا في كفالتها وما كنت
لديهم اذ يختصمون يعني في كفالتها وتربيتها **قوله عز وجل**
اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه معناه وما كنت
لديهم يا محمد اذ يختصمون وما كنت لديهم اذ قالت الملائكة يعني
جبريل عليه السلام يا مريم ان الله يبشرك والبشارة اخبار المرء بما
يسره من خير بكلمة منه يعني برسالة من الله وخبر من عنده فهو
كقول القائل القى الي فلان كلمة سرني بها واخبرني خبرا فرحت به معنى
الاية اذ قالت الملائكة لمريم يا مريم ان الله يبشرك ببشرى من عنده
وهي ولد يولد لك من غير بعل ولا فحل وذلك الولد اسمه المسيح عيسى

ابن

ابن مريم وقال قتادة في قوله تعالى بكلمة منه هو قوله تعالى كن
فسماه الله كلمة لانه كان عن كلمة التي هي كن كما يقال لما قدر الله من شيء
هذا قدر الله وقضاء الله يعني ان هذا الامر عن قدره وقضائه حدث
وقال ابن عباس الكلمة هي عيسى عليه السلام وانما سماه كلمة لانه
وجد عن الكلمة التي هي كن **فان قلت** ان كل مخلوق انما يوجد
بواسطة الكلمة التي هي كن فلم خص عيسى عليه السلام بهذا الاسم
وسماه كلمة دون غيره **قلت** ان كل مخلوق وان وجد حدوثه
وخلقه بواسطة الكلمة الا ان هذا السبب ما هو المتعارف ولما
كان حدوث عيسى عليه السلام بمجرد الكلمة من غير واسطة اخرى
فلا جرم كان اضافة حدوثه الى الكلمة اتم واكمل ولهذا التاويل
حسن ان يسمى عيسى عليه السلام نفس الكلمة لانه حدث عنها فان
قلت الضمير في قوله اسمه عائد الى الكلمة وهي مؤنثة فلم ذكر
الضمير **قلت** لان المسمى بها مذكر فلهذا ذكر الضمير فان **قلت**
لم قال اسمه المسيح عيسى بن مريم وهذه ثلاثة الاسم منها واحد وهو
عيسى واما المسيح فلقب وابن مريم صفة **قلت** الضمير في قوله
اسمه يرجع الى عيسى وللمسمى علامة يعرف بها ويتميز عن غيره فكانه
قال الذي يعرف به ويتميز به عن من سواه هو مجموع هذه الثلاثة
واختلفوا لم سمي عيسى عليه السلام مسيحا وهل هو اسم مشتق او موضوع
فقيل انه موضوع واصله بالعبرانية مشيحا فغيرته العرب واصل عيسى
ايشوع كما قالوا موسى واصله موشى او ميشا وقال الاكثرون انه اسم
مشتق ثم ذكروا فيه وجوها قال ابن عباس سمي عيسى مسيحا لانه ما
مسح ذا عاهة الا برا منها وقيل لانه مسح بالبركة وقيل لانه مسح من
الاقذار وطهر من الذنوب وقيل انه خرج من بطن امه ممسوحا
بالدهن وقيل لان جبريل عليه السلام مسحه بجناحه حتى لا يكون
للشيطان عليه سبيل وقيل لانه كان يسيح في الارض ولا يقيم بمكان
فكانه يمسح الارض اي يقطعها مساحة فعلى هذا القول تكون
الميم زائدة وقيل سمي مسيحا لانه كان مسيح القدمين لا اخمص له وسمي
الدجال مسيحا لانه ممسوح احدى العينين وقيل المسيح هو الصديق
وبه سمي عيسى عليه السلام وقد يكون المسيح بمعنى الكذاب وبه سمي
الدجال فعلى هذا يكون هذه الكلمة من الاضداد وقوله تعالى
وجيها اي شريفا رفيعا ذا جاه وقدر في الدنيا والاخرة اما وجاهته
في الدنيا فبسبب النبوة وانه كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى
واما وجاهته في الاخرة فبسبب علو منزلته عند الله وهو قوله تعالى

ومن المقربين يعني عند الله يوم القيمة لان لاهل الجنة منازل
ودرجات ومنازل الانبيا ودرجاتهم اعلى من سواهم وقيل فيه تنبيه
على علو منزله وانه رفعه الى السما **ويكلم الناس في المهد** يعني ويكلم
الناس صغيرا وهو في المهد وذلك قبل اوان الكلام ووقته والكلام
الذي يكلم به هو ما ذكره الله عنه وهو في سورة مريم وهو قوله اني
عبد الله اتاني الكتاب الاية وتكلم ببراة امه لما رموها به اهل القرية
من القذف ويحكي ان مريم قالت كنت اذا خلوت انا وعيسى حدثني
وحدثته فاذا اشغلني عنه انسان سبح وهو في بطني وانا اسمع ولما
تكلم ببراة امه سكت بعد ذلك فلم يتكلم الا في الوقت الذي يتكلم
فيه الصغير قال ابن عباس تكلم عيسى ساعة ثم سكت ثم لم يتكلم
حتى بلغ مبلغ النطق **وكهلا** يعني ويكلم الناس في حال الكهولة
والكهل في اللغة هو الذي اجتمع قوته وكمل شبابه والكهل عند العرب
الذي جاوز الثلاثين وقيل هو الذي وخطه الشيب وهو السن الذي
يستحكم فيه العقل ويستنبا فيه الانبيا قال ابن قتيبة لما كان لعيسى
ثلاثون سنة ارسله الله تعالى فمكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه
الله تعالى وقال وهب بن منبه جاه الوحي على راس ثلاثين سنة
فمكث في نبوته ثلاث سنين ثم رفعه الله فمعنى الاية انه يكلم الناس
وهو في المهد ببراة امه وهو معجزة عظيمة ويكلم الناس في حال الكهولة
بالدعوة والرسالة وقيل فيه بشارة لمريم اخبرها بانه يبقى حتى
يكتهل وقيل فيه اخبار بانه يتغير من حال الى حال ولو كان الها كما
زعمت النصارى الذين يدعون فيه الالهية وقال الحسين بن الفضل
وكهلا يعني ويكلم الناس كهلا بعد نزوله من السما وفي هذه نص على
انه سينزل من السما الى الارض ويقتل الدجال وقال مجاهد الكهل
الحكيم والعرب تمدح الكهولة لانها الحالة الوسطى في احتناك السن
واستحكام العقل وجودة الراي والتجربة **ومن الصالحين** يعني انه
من العباد الصالحين مثل ابراهيم واسحاق ويعقوب وموسى وغيرهم
من الانبيا وانما ختم اوصاف عيسى عليه السلام بكونه من الصالحين
بعد ما وصفه بالاوصاف العظيمة لان الصلاح من اعظم المراتب
واشرف المقامات لانه لا يسمى المرء صالحا حتى يكون مواظبا على
النهج الاصلح والطريق الاكمل في جميع اقواله وافعاله فلما وصفه الله
تعالى بكونه وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين وانه يكلم الناس
في المهد وكهلا اردفه بقوله ومن الصالحين ليكمل له اعلى الدرجات
واشرف المقامات قوله عز وجل **قالت** يعني مريم **رب** يعني يا سيدي

[illegible]
رد على النصارى

تقوله

تقوله لجبريل لما بشرها بالولد وقيل تقوله لله عز وجل **اني يكون لي
ولد** اي من اين يكون لي ولد **ولم يمسسني بشر** اي ولم يصبني رجل وانما
قالت ذلك تعجبا لا شكا في قدرة الله تعالى اذ لم تكن العادة جرت
ان يولد ولد من غير اب **قال كذلك الله يخلق ما يشا** يعني هكذا يخلق
الله منك ولدا من غير ان يمسك بشر فيجعله اية للناس وعبرة فانه
يخلق ما يشا ويصنع ما يريد وهو قوله **اذا قضى امرا فانما يقول له
كن فيكون** يعني كما يريد **ويعلمه الكتاب** يعني الكتابة والخط باليد
والحكمة يعني العلم والسنة واحكام الشرايع **والتوراة** يعني الذي
انزلت على موسى **والانجيل** يعني الذي انزل عليه وهذا اخبار من الله
تعالى لمريم ما هو فاعل بالولد الذي بشرها به من الكرامة وعلو
المنزلة **ورسولا الى بني اسرايل** ونجعله رسولا الى بني اسرايل وكان اول
انبيا بني اسرايل يوسف بن يعقوب واخرهم عيسى بن مريم عليه السلام
فلما بعث اليهم قال **اني قد جيتكم باية من ربكم** اي بعلامة من ربكم
على صدق قولي وانما قال باية وقد جا بايات كثيرة لان الكل دل على
شي واحد وهو صدقه في الرسالة فلما قال عيسى ذلك لبني اسرايل
قالوا ما هذه الاية قال **اني اخلق** اي اصور واقدر **لكم من الطين
كهية الطير** والهيئة الصورة المهياة من قولهم هيات الشي اذا قدرته
واصلحته **فانفخ فيه** اي في الطين المهيا المصور **فيكون طيرا** قرى بلفظ
الجمع لان الطير اسم جنس يقع على الواحد والاثنين والجمع وقرى فيكون
طايرا على التوحيد على معنى يكون ما انفخ فيه طايرا او ما اخلقه يكون
طايرا وقيل انه لم يخلق غير الخفاش وهو الذي يطير في الليل وانما
خص الخفاش لانه من اكمل الطير خلقا وذلك لانه يطير بلا ريش وله
اسنان ويقال ان الانثى منه لها ثدي وتحيض ذكروا ان عيسى عليه
السلام لما ادعى النبوة واظهر لهم المعجزات اخذوا يتعنتون عليه
فطلبوا منه ان يخلق لهم خفاشا فاخذ طينا وصوره كهية الخفاش
ثم نفخ فيه فاذا هو طير يطير بين السما والارض قال وهب كان يطير
ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا ليتميز فعل
المخلوق من فعل الخالق وهو الله تعالى وليعلم ان الكمال لله تعالى
باذن الله معناه بتكوين الله وتخليقه والمعنى اني اعمل هذا التصوير
انا فاما خلق الحياة فيه فهو من الله تعالى على سبيل اظهار المعجزة
على يد عيسى عليه السلام **وابرى الاكمه والابرص** اي واشفي الاكمه
والابرص واصحهما واختلفوا في الاكمه فقال ابن عباس هو الذي
ولد اعمى وقيل هو الاعمى وان كان ابصر وقيل هو الاعمش وقيل هو الذي

يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل والابرص هو الذي به وضح وكان الغالب
على زمان عيسى الطب فاراهم المعجزة من جنس ذلك الا انه ليس
في علم الطب ابرا الاكمه والابرص فكان ذلك معجزة له ودليلا على
صدقه قال وهب ربما اجتمع على عيسى من المرضى في اليوم الواحد
نحو خمسين الفا فمن اطاق ان يمشي اليه مشى ومن لم يطق مشى عيسى
عليه السلام اليه وكان يداويهم بالدعا على شرط الايمان برسالته
واحيي الموتى باذن الله قال ابن عباس قد احيى اربعة انفس عازر
وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح وكلهم بقي وولد له الا سام
ابن نوح فاما عازر فكان صديقا لعيسى فارسلت اليه اخت
عازر ان اخاك عازر يموت وكان بينهما مسيرة ثلاثة ايام
فاتاه عيسى واصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة ايام فقال
لاخته انطلقي بنا الى قبره فانطلقت بهم الى قبره فدعا الله عيسى
فقام عازر حيا باذن الله فخرج من قبره وعاش وولد له واما
ابن العجوز فانه مر به وهو ميت على عيسى عليه السلام يحمل على
السرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن اعناق
الرجال ولبس ثيابه واتى اهله وعاش وولد له واما ابنة العاشر
فكان ياخذ العشور من الناس ماتت بنت له بالامس فدعا الله
عيسى فاحياها بدعوته فعاشت وولد لها واما ابن نوح عليه
السلام جا الى قبره ودعا الله باسمه الاعظم فخرج من قبره وقد شاب
نصف راسه خوفا من قيام الساعة ولم يكونوا يشيبون في ذلك
الزمان فقال قد قامت القيمة فقال عيسى لا ولكن دعوتك باسم
الله الاعظم ثم قال له مت فقال بشرط ان يعيذني الله من سكرات
الموت مرة اخرى فدعا الله عيسى ففعل وانبيكم يعني واخبركم بما
تاكلون اي مما لم اعاينه وما تدخرون في بيوتكم اي وما ترفعونه فتخبونه
في بيوتكم لتاكلوه فيما بعد ذلك قيل كان عيسى عليه السلام يخبر الرجل
بما اكل البارحة وبما ياكل اليوم وبما يدخره للعشا وقيل كان في الكتاب
يحدث الغلمان بما يصنع اباوهم ويقول للغلام انطلق فقد اكل اهلك
كذا وكذا او قد رفعوا لك كذا فينطلق الصبي الى اهله فيبكي على اهله
حتى يعطوه ذلك الشي فيقولون من اخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا
صبيانهم عنه وقالوا لا تقعدوا مع هذا الساحر وجمعوهم في بيت
فجا عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا هنا فقال وما في البيت قالوا خنازير
قال كذلك يكون ففتحوا عليهم الباب فاذا هم خنازير ففشى ذلك في بني
اسرايل وظهر فهموا به فخافت عليه امه فحملته على حمير لها وخرجت هاربة

الى مصر وقال قتادة انما كان هذا في نزول المايدة وكان خوانا ينزل
عليهم اينما كانوا فيه من طعام الجنة وامروا ان لا يخونوا ولا يدخروا لغد
فخانوا وادخروا فجعل عيسى يخبرهم بما اكلوا من المايدة وما ادخروا منها
فمسخهم الله خنازير وفي هذا دليل قاطع على صحة نبوة عيسى عليه السلام
ومعجزة عظيمة له وهو اخباره عن المغيبات مع ما تقدم له من الايات
الباهرة من ابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى باذن الله تعالى واخباره
عن الغيوب باعلام الله اياه ذلك وهذا مما لا سبيل لاحد من البشر
عليه الا الانبيا عليهم السلام **فان قلت** قد يخبر المنجم والكاهن
عن مثل ذلك فما الفرق **قلت** ان المنجم والكاهن لا بد لكل واحد
منهما من مقدمات يرجع اليها ويعتمد في اخباره عليها اما المنجم فانه
يستعين على ذلك بواسطة معرفة الكواكب وامتزاجاتها وقد يخطي
في كثير مما يخبر به واما الكاهن فانه يستعين براييه من الجن وقد يخطي
ايضا في كثير مما يخبر به واما اخبار الانبيا عليهم السلام عن المغيبات
فليس الا بالوحي السماوي وهو من الله تعالى وليس ذلك باستعانة
بواسطة حساب ولا غيره فحصل الفرق ان في ذلك يعني الذي تقدم
ذكره من خلق الطير من الطين باذن الله وابرا الاكمه والابرص والاخبار
عن المغيبات لاية لكم اي لعبرة ودلالة على صدقي اني رسول من الله
اليكم ان كنتم مؤمنين يعني مصدقين بذلك ومصدقا قيل انه
عطف على قوله ورسولا وقيل هو عطف على اني قد جيتكم باية من ربكم
والمعنى وجيتكم مصدقا لما بين يدي من التورية وذلك لان الانبيا
عليهم السلام يصدق بعضهم بعضا وكل واحد منهم يصدق الذي قبله
ويصدق بما انزل الله من الكتب والشرايع والاحكام فلهذا قال عيسى
عليه السلام ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي
حرم عليكم قال وهب بن منبه ان عيسى كان على شريعة موسى عليهما
السلام وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس وقال لبني اسرايل اني لم
ادعكم الى خلاف حرف مما في التوراة الا لاحل لكم بعض الذي حرم عليكم
واضع عنكم الاصار وذلك ان الله تعالى كان قد حرم على اليهود بعض
الاشيا عقوبة لهم على بعض ما صدر منهم من الخيانات كما قال تعالى
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم فبقي ذلك التحريم
مستمرا على اليهود الى ان جا عيسى عليه السلام فرفع عنهم تلك التشديدات
التي كانت عليهم قال قتادة كان الذي جا به عيسى الين مما جا به موسى
وكان قد حرم عليهم فيما جا به موسى لحوم الابل والثروب والشحوم واشيا
من الطير والحيتان فزاد غيره فجاهم عيسى بالتخفيف واحلها لهم وقال اخرون

ان عيسى عليه السلام رفع كثيرا من احكام التورية ورفع السبت ووضع
الاحد وكان ذلك كله بامر الله فكان ذلك ناسخا لتلك الاحكام
والشرايع والناسخ والمنسوخ حق وصدق **وجيتكم باية من ربكم** اي بحجة
واضحة شاهدة على صدق صحة رسالتي ثم خوفهم بقوله **فاتقوا الله**
يعني يا معشر بني اسرايل فيما امركم به ونهاكم عنه **واطيعون** يعني فيما
دعوتكم اليه لان طاعة الرسول من توابع تقوي الله وكما ادعوكم اليه
هو قولي **ان الله ربي وربكم فاعبدوه** لان جميع الرسل كانوا على دين
واحد وهو التوحيد ولم يخالفوا الله تعالى وفي هذه الاية حجة بالغة على
نصاري وفد نجران ومن قال بقولهم من ساير النصارى باخبار الله عن
عيسى عليه السلام انه كان بريا مما نسبه اليه النصاري وانه كان عبدا
لله وخصه بنبوته ورسالته ثم ختم ذلك بقوله **هذا صراط مستقيم** يعني
التوحيد **قوله عز وجل فلما احس عيسى منهم الكفر** اي وجد
وعرف وقيل راي والاحساس عبارة عن وجدان الشي بالحاسة والمعنى
انهم تكلموا بكلمة الكفر فاحس ذلك عيسى منهم وعرف اصرارهم عليه
وعزمهم على قتله **ذكر سبب القصة** قال اهل الاخبار والسير
لما بعث الله عيسى عليه السلام الى بني اسرايل وامره باظهار رسالته
والدعا اليه نفوه واخرجوه من بينهم فخرج هو وامه يسيحان في الارض
فنزل في قرية على رجل فاضافهم واحسن اليهم وكان لتلك القرية ملك
جبار متعد فجا ذلك الرجل في بعض الايام وهو مهموم حزين ودخل منزله
ومريم عند امراته فقالت مريم ما شان زوجك اراه كئيبا حزينا فقالت
لا تساليني قالت مريم اخبريني لعل الله يفرج كربته قالت المراة ان
لنا ملكا جبارا وقد جعل على كل رجل منا يوما يطعمه فيه هو وجنوده
ويسقيهم الخمر وان لم يفعل عاقبه واليوم نوبتنا وليس عندنا سعة
لذلك فقالت قولي له لا يهتم لذلك فانا امر ابني ان يدعوا له فيكفي ذلك
ثم قالت مريم لعيسى في ذلك فقال عيسى ان فعلت ذلك وقع شر
قالت مريم لا تبالي فانه قد احسن الينا واكرمنا فقال عيسى قولي له
اذا قرب ذلك الوقت فاملا قدورك وخوابيك ما ثم اعلمني ففعل
الرجل ذلك ثم دعى الله عيسى عليه السلام فتحول ما القدور مرقا
ولحما وما الخوابي خمرا لم ير الناس مثله فلما جا الملك واكل من ذلك
الطعام وشرب من ذلك الخمر قال من اين لك هذا الخمر فقال الرجل
هو من ارض كذا فقال الملك ان خمري من تلك الارض وليست مثل
هذه فقال هي من ارض اخري فلما راه الملك قد اخلط شدد عليه فقال
الرجل انا اخبرك ان عندي غلاما لا يسال الله شيا الا اعطاه اياه

وانه

وانه دعا الله تعالى فجعل الما خمرا وكان للملك ابن يريد ان يستخلفه
في ملكه وقد مات قبل ذلك بايام وكان يحبه حبا شديدا فقال الملك
ان رجلا دعا الله حتى صار الما خمرا بدعوته ليستجيبن له حتى يحيي ابني
فطلب عيسى وكلمه في ذلك فقال له عيسى لا تفعل فانه ان عاش وقع
شر فقال الملك لا ابالي اليس اراه فقال عيسى ان انا احييته تتركني انا
وامي نذهب حيث نشا قال نعم فدعا الله عيسى فعاش الغلام فلما راه
اهل مملكة الملك قد عاش تبادروا الى السلاح وقالوا قد اكلنا هذا
الملك حتى اذا دنا اجله يريد ان يستخلف علينا ابنه فيا كلنا كما اكلنا
ابوه فقاتلوه وظهر امر عيسى وقصدوا قتله وكفروا به وقيل ان اليهود
كانوا عارفين بانه المسيح المبشر به في التورية وانه ينسخ دينهم فلما اظهر
عيسى الدعوة اشتد ذلك عليهم واخذوا في اذاه وطلبوا قتله وكفروا به
فاستنصر عليهم كما اخبر الله عز وجل عنه بقوله **قال** يعني عيسى عليه
السلام **من انصاري الى الله** اي مع الله وقيل معناه الى ان ابين امر الله
واظهر دينه وقيل الى بمعنى في اي في ذات الله وسبيله وقيل الى في موضعها
والمعنى من يضم نصرته الى نصرة الله تعالى لي **قال الحواريون نحن انصار
الله** وذلك ان عيسى عليه السلام لما دعا بني اسرايل الى الله تعالى تمردوا
عليه وكفروا به خرج يسيح في الارض فمر بجماعة يصطادون السمك وكانوا
اثني عشر ورئيسهم شمعون ويعقوب فقال عيسى السلام ما تصنعون
قالوا نصيد السمك قال افلا تمشون حتى نصيد الناس قالوا ومن انت
قال انا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فسالوه اية تدلهم على صدقه
وكان شمعون قد رمى شبكته في الما فدعا الله عيسى فاجتمع في تلك الشبكة
من السمك ما كادت تتمزق من كثرته فاستعانوا باهل سفينة اخرى
وملوا السفينتين من السمك فعند ذلك امنوا به وانطلقوا معه واختلفوا
في الحواريين فقيل كانوا يصطادون السمك فلما امنوا بعيسى صاروا
يصطادون الناس ويهدونهم الى الدين سموا الحواريين لبياض ثيابهم
يقال حورت الشي بمعنى بيضته وقيل كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا
يحورون الثياب اي يبيضونها وقيل ان مريم سلمت عيسى الى اعمال شتى
فكان اخر من سلمته الى الحواريين وكانوا قصارين وصباغين فدفعته
الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال لعيسى انك
قد تعلمت هذه الصنعة وانا خارج الى السفر ولا ارجع الى عشرة ايام
وهذه ثياب مختلفة الالوان وقد علمت على كل واحد منها بخيط على
اللون الذي يصبغ به فاريد ان تفرغ منها وقت قدومي وخرج المعلم
الى سفره فطبخ عيسى حبا واحدا على لون واحد وادخل فيه جميع الثياب

وقال كوني باذن الله على ما اريد منك ثم قدم الحواري والثياب كلها في الجب فقال لعيسى ما فعلت قال قد فرغت منها فقال واين هي قال في الجب قال كلها قال نعم قال لقد افسدت علي الثياب قال عيسى لا ولكن قم فانظر وقام عيسى واخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر وثوبا اسود حتى اخرجها كلها على الالوان التي يريد الحواري فجعل الحواري يتعجب من ذلك وعلم ان ذلك من الله تعالى فقال للناس تعالوا فانظروا فامن به هو واصحابه وهم الحواريون وقيل سموا حواريين لصفا قلوبهم ولما ظهر عليهم من اثر العبادة ونورها وقيل الحواريون الاصفيا وكانوا اصفيا عيسى وخاصته وقيل الحواريون هم الخلفا وقيل هم الوزرا وكانوا خلفا عيسى ووزراه وقيل الحواريون هم الانصار والحواري الناصر والحواري الرجل الذي يستعان به **ق** عن جابر بن عبد الله قال لقد ندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حواري وحواري الزبير قال الحواريون نحن انصار الله يعني انصار دين الله ورسوله واعوانه **امنا بالله** اي صدقنا بان الله ربنا ورب كل شي **واشهد** يعني انت يا عيسى **بانا مسلمون** قيل معناه واشهد بانا منقادون لما تريدون من نصرك والذب عنك ومستسلمون لامر الله عز وجل وقيل هو اقرار منهم بان دينهم الاسلام وانه دين عيسى وكل الانبيا قبله لا اليهودية والنصرانية **ربنا امنا بما انزلت** يعني قال الحواريون بعد اشهاد عيسى عليهم بانهم مسلمون ربنا امنا بما انزلت يعني بكتابك الذي انزلته على عيسى عليه السلام **واتبعنا الرسول** يعني عيسى **فاكتبنا مع الشاهدين** يعني الذين شهدوا لانبيائك بالصدق واتبعوا امرك ونهيك فاثبت اسمانا مع اسمائهم واجعلنا في عدادهم ومعهم فيما تكرمهم به وهذا يقتضي ان يكون للشاهدين الذين سالوا الحواريون ان يكونوا معهم مزيد فضل عليهم فلهذا قال ابن عباس في قوله تعالى فاكتبنا مع الشاهدين اي مع محمد صلى الله عليه وسلم وامته لانهم المخصوصون بتلك الفضيلة فانهم يشهدون للرسل بالبلاغ وقيل مع الشاهدين يعني النبيين لان كل نبي شاهد على امته قوله عز وجل **ومكروا** يعني كفار بني اسرايل الذين احس عيسى منهم الكفر واصل المكر صرف الغير عما يقصده بضرب من الحيلة وقيل هو السعي بالفساد في الخفية فاما مكرهم بعيسى فانهم دبروا في قتله وهموا به وذلك ان عيسى عليه السلام بعد ان اخرجه قومه هو وامه رجع مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة واظهرها فسالته اليهم فهموا بقتله والفتك به فذلك مكرهم والمكر من الخلق

الخبث

الخبث والخديعة والحيلة **ومكر الله** اي جازاهم على مكرهم فسمى الجزا باسم الابتدا لانه في مقابلته وقيل مكر الله استدراج العبد واخذه بغتة من حيث لا يحتسب ومكر الله في هذه الاية خاصة هو القا الشبه على صاحبهم الذي دلهم على عيسى حين ارادوا قتله حتى قتل قال ابن عباس ان عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فلما راوه قالوا قد جا الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وامه فلما سمع عيسى ذلك دعا عليهم ولعنهم فمسخهم الله خنازير فلما راي ذلك يهودا راس اليهود وملكهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى وثاروا اليه ليقتلوه فبعث الله عز وجل جبريل عليه السلام فادخله خوخة في سقفها روزنة فرفعه من تلك الروزنة وامر يهودا ملك اليهود رجلا من اصحابه يقال له ططيانوس ان يدخل الخوخة فيقتله فيها فلما دخل لم ير عيسى وابطا عليهم فظنوا انه يقاتله فيها والقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فاخذوه وقتلوه وصلبوه قال وهب بن منبه ان اليهود طرقوا عيسى في بعض الليل ونصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فاظلمت الارض وارسل الله عز وجل الملايكة فحالت بينهم وبينه فجمع عيسى الحواريين تلك الليلة واوصاهم وقال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احد الحواريين الى اليهود وقال ما تجعلون لي ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فاخذها ودلهم عليه فلما دخل البيت الذي فيه المسيح القى الله شبه عيسى عليه ورفع الله عيسى واخذ الذي دل عليه فقال انا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا الى قوله فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى فلما صلب الذي القي عليه شبه عيسى جات مريم وامراة اخرى كان عيسى عليه السلام دعا لها فابراها الله من الجنون بدعوته فجعلتا تبكيان عند المصلوب فجاءهما عيسى عليه السلام وقال علام تبكيان ان الله عز وجل قد رفعني ولم يصبني الا خير وهذا شي شبه لهم فلما كان بعد سبعة ايام قال الله تعالى لعيسى اهبط الى مريم المجدلانية وهو اسم موضع فهي تنسب اليه فانه لم يبك عليك احد بكاها ولم يحزن عليك احد حزنها ثم لتجمع لك الحواريين فتبثهم في الارض دعاة الى الله عز وجل فاهبطه الله عز وجل عليها فاشتعل الجبل نورا حين

هبط فجمعت له الحواريين فبثهم دعاة في الارض ثم رفعه فتلك
الليلة التي تدخن فيها النصارى فلما اصبح الحواريون تكلم كل واحد
منهم بلغة من ارسله عيسى اليهم فذلك قوله تعالى ومكروا
ومكر الله والله خير الماكرين يعني وهو افضل المجازين بالسيئة
العقوبة وقال السدي ان اليهود حبست عيسى في بيت ومعه عشرة
من الحواريين فدخل عليهم رجل منهم وكان قد نافق فالقى عليه شبه
عيسى فاخذ وقتل وصلب وقال قتادة ذكر لنا ان نبي الله عيسى عليه
السلام قال لاصحابه ايكم يقذف عليه شبهي فانه مقتول فقال
رجل منهم انا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه
اليه فكساه الريش والبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب
وطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش وصار انسيا ملكيا
ارضيا سماويا قال اهل التاريخ حملت مريم بعيسى ولها ثلاث
عشرة سنة وولدته ببيت لحم من ارض اورى بشلم لمضي خمس وستين
سنة من غلبة الاسكندر على ارض بابل واوحى الله الى عيسى على
راس ثلاثين سنة ورفعه الله من بيت المقدس ليلة القدر من
رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث
سنين وعاشت امه مريم بعد رفعه ست سنين قوله تعالى
اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي اختلفوا في معنى
التوفي هنا على طريقين فالطريق الاول ان الاية على ظاهرها من
غير تقديم ولا تاخير وذكروا في معناها وجوها الاول معناه اني
قابضك ورافعك الي من غير موت من قولهم توفيت الشيء
واستوفيته اذا اخذته وقبضته تاما والمقصود منه ان لا يصل
اعداؤه من اليهود اليه بقتل ولا غيره الوجه الثاني ان المراد
بالتوفي النوم ومنه قوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها
والتي لم تمت في منامها فجعل النوم وفاة وكان عيسى قد نام فرفعه
الله وهو نائم لئلا يلحقه خوف فمعنى الاية اني منيمك ورافعك
الي الوجه الثالث ان المراد بالتوفي حقيقة الموت قال ابن
عباس معناه اني مميتك قال وهب بن منبه ان الله توفى عيسى
ثلاث ساعات من النهار ثم رفعه اليه وقيل ان النصارى
يزعمون ان الله توفاه سبع ساعات من النهار ثم احياه ورفعه اليه
الوجه الرابع ان الواو في قوله ورافعك الي لا تفيد الترتيب
والاية تدل على ان الله تعالى يفعل به ما ذكرنا فاما كيف يفعل ومتى
يفعل فالامر فيه موقوف على الدليل وقد ثبت في الحديث ان عيسى

سينزل

سينزل ويقتل الدجال وسنذكره ان شاء الله تعالى الوجه الخامس
قال ابو بكر الواسطي معناه اني متوفيك عن شهواتك وعن حظوظ
نفسك ورافعك الي وذلك ان عيسى عليه السلام لما رفع الى السماء صارت
حالته حالة الملائكة في زوال الشهوة الوجه السادس ان معنى
التوفي اخذ الشيء وافيا ولما علم الله تعالى ان من الناس من يخطر بباله
ان الذي رفعه الله اليه هو روحه دون جسده كما زعمت النصارى ان المسيح
رفع لاهوته يعني روحه وبقي في الارض ناسوته يعني جسده فرد الله تعالى
عليهم بقوله اني متوفيك ورافعك الي فاخبر الله تعالى انه رفعه
بتمامه الى السماء بروحه وجسده جميعا الطريق الثاني ان في الاية تقديما
وتاخيرا تقديره اني رافعك الي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك
بعد انزالك الى الارض وقيل لبعضهم هل تجد نزول عيسى في القران
قال نعم قوله تعالى وكهلا وذلك انه لم يكتهل في الدنيا وانما معناه
وكهلا بعد نزوله من السماء ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما
مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى
لا يقبله احد زاد في رواية حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا
وما فيها ثم يقول ابو هريرة اقرؤوا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن
به قبل موته وفي رواية كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم
وفي رواية فامكم منكم قال ابن ابي ذيب تدري ما امكم منكم قلت تخبرني
قال فامكم بكتاب ربكم عز وجل وبسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وفي افراد
مسلم من حديث النواس بن سمعان قال بينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح
ابن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بيني وبينه يعني عيسى
نبي وانه نازل فاذا رايتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض
ينزل بين ممصرتين كان راسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل الناس على
الاسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله في زمانه
الملل كلها الا الاسلام ويهلك المسيح الدجال ثم يمكث في الارض اربعين
سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون اخرجه ابو داود ونقل بعضهم ان عيسى
عليه السلام يدفن في حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقوم ابو بكر
وعمر يوم القيمة بين نبيين محمد وعيسى صلى الله عليهما وسلم وقوله تعالى
ومطهرك من الذين كفروا اي مخرجك من بينهم ومنجيك منهم وجاعل
الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة يعني وجاعل الذين
اتبعوك في التوحيد وصدقوا قولك وهم اهل الاسلام من امة محمد صلى الله

عليه وسلم فوق الذين كفروا بالعزو النصر والغلبة بالحجة الظاهرة وقيل
هم الحواريون الذين اتبعوا عيسى على دينه وقيل هم النصارى فهم فوق
اليهود وذلك لان ملك اليهود قد ذهب فلم يبق لهم مملكة وملك
النصارى باق فعلى هذا القول يكون الاتباع بمعنى المحبة والادعا
لا اتباع الدين لان النصارى وان اظهروا متابعة عيسى عليه السلام فهم
اشد مخالفة له وذلك ان عيسى عليه السلام لم يرض بما هم عليه من الشرك
والقول الاول هو الاصح لان الذين اتبعوه هم الذين شهدوا بانه عبد الله
ورسوله وكلمته وهم المسلمون وملكهم باق الى يوم القيمة ثم الي مرجعكم يعني
يقول الله عز وجل الى مرجع الفريقين في الاخرة الذين اتبعوا عيسى وصدقوا
به والذين كفروا به فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون يعني من الحق في امر
عيسى وخالفوا ملته وقالوا فيه ما قالوا من الباطل ووصفوه بما لا ينبغي
فاما الذين كفروا من سائر اليهود والنصارى فاعذبهم عذابا شديدا
في الدنيا يعني بالقتل والسبي والذلة واخذ الجزية منهم والاخرة اي
واعذبهم في الاخرة بالنار وما لهم من ناصرين يعني ما نعين يمنعونهم
من عذابنا واما الذين امنوا يعني بعيسى عليه السلام وصدقوا بنبوته
وانه عبد الله ورسوله وكلمته وعملوا الصالحات يعني عملوا بما فرضت
عليهم وشرعت لهم فنوفيهم اجورهم يعني جزا اعمالهم لا ينقص منه
شي والله لا يحب الظالمين اي لا يحب من ظلم غيره حقا له او وضع شيا
في غير موضعه والمعنى انه تعالى لا يرحمهم ولا يثني عليهم بجميل ثم
قال تعالى ذلك يعني الذي ذكرته لك من اخبار عيسى وامه مريم
والحواريين وغير ذلك من القصص نتلوه عليك اي نخبرك به
يا محمد على لسان جبريل وانما اضاف ما يتلوه جبريل الى نفسه سبحانه
وتعالى لانه من عنده وبامره من غير تفاوت اصلا فاضافه اليه
من الايات يعني من القران وقيل الايات بمعنى العلامات الدالة
على نبوتك يا محمد لانها اخبار لا يعلمها الا من يقرا ويكتب او نبي
يوحى اليه وانت امي لا تقرا ولا تكتب فثبت ان ذلك من الوحي
السماوي الذي انزل عليك والذكر الحكيم اي المحكم الممنوع من
الباطل قيل المراد من الذكر الحكيم القران لانه حاكم يستفاد منه
جميع الاحكام وقيل الذكر الحكيم هو اللوح المحفوظ الذي منه نزلت
جميع كتب الله على رسله وهو لوح من درة بيضا معلق بالعرش
قوله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب
الاية اجمع اهل التفسير ان هذه الاية نزلت في محاجة نصارى وفد
نجران قال ابن عباس ان رهطا من اهل نجران قدموا على النبي صلى الله

عليه

عليه وسلم وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
ما شانك تذكر صاحبنا فقال من هو قالوا عيسى تزعم انه عبد الله
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجل انه عبد الله فقالوا له فهل رايت
له مثلا او انبيت به ثم خرجوا من عنده فجاه جبريل عليه السلام
فقال له قل لهم اذا اتوك ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه
من تراب وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه عبد الله
ورسوله وكلمته القاها الى مريم العذرا البتول فغضبوا وقالوا
يا محمد هل رايت انسانا قط من غير اب فانزل الله ان مثل عيسى عند
الله اي في الخلق والانشا في كونه خلقه من غير اب كمثل ادم في كونه
خلقه من تراب من غير اب وام ومعنى الاية ان صفة خلق عيسى
من غير اب كصفة ادم في كونه خلقه من تراب لا من اب وام فمن اقر
بان الله خلق ادم من التراب اليابس وهو ابلغ في القدرة فلم لا يقر
بان الله خلق عيسى من مريم من غير اب بل الشان في خلق ادم اعجب
واغرب وتم الكلام عند قوله كمثل ادم لانه تشبيه كامل ثم قال تعالى
خلقه من تراب فهو خبر مستانف على جهة التفسير لحال خلق ادم في
كونه خلقه من تراب اي قدره جسدا من طين ثم قال له كن اي انشاه
خلقا بالكلمة وكذلك عيسى انشاه خلقا بالكلمة فعلى هذا القول ذكروا
في الاية اشكالا وهو انه تعالى قال خلقه من تراب ثم قال له كن فهذا
يقتضي ان يكون خلق ادم متقدما على قوله كن ولا تكوين بعد الخلق
واجيب عن هذا الاشكال بان الله تعالى اخبرانه خلقه من
تراب لا من ذكر وانثى ثم ابتدا خبرا اخر فقال اني اخبركم ايضا اني قلت
له كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما تكون في الولادة ويحتمل ان يكون
المراد انه تعالى خلقه جسدا من تراب ثم قال كن بشرا فكان فصح النظم
وقيل الضمير في قوله كن يرجع الى عيسى عليه السلام وعلى هذا فلا
اشكال في الاية فان قلت كيف شبه عيسى بادم وقد وجد
عيسى من غير اب ووجد ادم من غير اب ولا ام قلت هو مثله
في احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الاخر من تشبيهه
به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولانه شبه به في انه وجد
وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران لان الوجود
من غير اب وام اغرب في العادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب
بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو
اغرب مما استغربه وحكي ان بعض العلما اسر في بعض بلاد الروم فقال
لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فادم اولى لانه لا اب له

دلائم قالوا وكان يحيي الموتى فقال حزقيل اولى لان عيسى احيا اربعة نفر واحيا حزقيل اربعة الاف قالوا وكان يبرئ الاكمه والابرص قال جرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سليما وقوله كن **فيكون** قال ابن عباس معناه كن فكان فاريد بالمستقبل الماضي وقيل معناه ثم قال له كن واعلم يا محمد ان ما قال له ربك كن فانه يكون لا محالة الحق من ربك الذي اخبرتك به من تمثيل عيسى بآدم هو **الحق من ربك فلا تكونن من الممترين** اي من الشاكين ان ذلك كذلك وهذا الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فهو كقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النسا والمعنى فلا تكن من الممترين يا ايها السامع كائنا من كان لهذا التمثيل والبرهان الذي ذكر وهو من باب التهييج لزيادة الثبات والطمانينة **قوله تعالى** **فمن حاجك فيه** اي فمن جادلك في عيسى وقيل في الحق **من بعد ما جاءك من العلم** يعني بان عيسى عبد الله ورسوله **فقل تعالوا** اي هلموا والمراد منه المجي واصله من العلو بالراي والعزم كما تقول تعالى نتفكر هذه المسئلة **ندع ابناءنا وابناءكم** اي كل مني ومنكم ابناءه **ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم** قيل اراد بالابنا الحسن والحسين وبالنسا فاطمة وبالنفس نفسه صلى الله عليه وسلم وعليا رضي الله عنه وقيل هو على العموم لجماعة اهل الدين **ثم نبتهل** قال ابن عباس نتضرع في الدعا وقيل معناه نجتهد ونبالغ في الدعا وقيل معناه نلتعن والابتهال الالتعان يقال عليه بهلة الله اي لعنة الله **فنجعل لعنة الله على الكاذبين** يعني منا ومنكم في امر عيسى قال المفسرون لما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية على وفد نجران ودعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر في امرنا ثم ناتيك غدا فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب وكان كبيرهم وصاحب رايهم ما ترى يا عبد المسيح قال لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولين فعلتم ذلك لتهلكن فان ابيتم الا الاقامة على ما انتم من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد احتضن الحسين واخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي تمشي خلفها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لهم اذا دعوت فامنوا فلما راهم اسقف نجران قال يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القاسم قد راينا ان لا نباهلك وان نتركك على دينك وتتركنا على ديننا فقال

لهم

لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا ذلك فقال فاني انابذكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكنا نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا وان نودي اليك في كل سنة الفي حلة الف في صفر والف في رجب زاد في رواية وثلثا وثلثين درعا عادية وثلثا وثلثين بعيرا واربعا وثلاثين فرسا غازية فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان العذاب تدلا على اهل نجران ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا **فان قلت** ما كان دعاوه الى المباهلة الا لتبيين الصادق من الكاذب منه ومن خصمه وذلك يختص به وبمن يباهله فما معنى ضم الابنا والنسا في المباهلة **قلت** ذلك اكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرا على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه لذلك ضمهم في المباهلة ولم يقتصر على تعريض نفسه لذلك وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك استيصال ان تمت المباهلة وانما خص الابنا والنسا لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل وانما قدمهم في الذكر على النفس لينبه بذلك على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وفيه دليل قاطع وبرهان واضح على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو احد من موافق ومخالف انهم اجابوا الى المباهلة لانهم عرفوا صحة نبوته وما يدل عليها في كتبهم وقوله تعالى **ان هذا** يعني الذي قص عليك يا محمد من خبر عيسى عليه السلام وانه عبد الله ورسوله **لهو القصص الحق** واصله من القص وهو تتبع الاثر والقصص الخبر الذي تتابع فيه المعاني **وما من اله الا الله** انما دخلت من لتوكيد النفي والمعنى ان عيسى ليس باله كما زعمت النصارى فيه رد عليهم وعلى جميع من ادعى من المشركين انهم الهة واثبات الالهية لله تعالى وحده لا شريك له في الالهية **وان الله لهو العزيز** اي الغالب المنتقم ممن عصاه وخالف امره وادعى معه الها اخر **الحكيم** يعني في تدبيره فيه رد على النصارى لان عيسى لم يكن كذلك **فان تولوا** يعني فان اعرضوا عن الايمان ولم يقبلوه **فان الله عليم بالمفسدين** اي الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس الى عبادة غيره وفيه وعيد وتهديد لهم قوله عز وجل **قل يا اهل الكتاب**

تعالوا الى كلمة سوآ بيننا وبينكم قال المفسرون لما قدم وفد نجران المدينة اجتمعوا باليهود واختصموا في ابراهيم صلى الله عليه وسلم فزعمت النصارى انه كان نصرانيا وهم على دينه واولي الناس به وقالت اليهود بل كان يهوديا وهم على دينه واولى الناس به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بري من ابراهيم ودينه بل كان حنيفا مسلما وانا على دينه فاتبعوا دينه الاسلام فقالت اليهود ما تريد الا ان نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا وقالت النصارى يا محمد ما تريد الا ان نقول فيك ما قالت اليهود في عزير فانزل الله عز وجل قل يا اهل الكتاب تعالوا اي هلموا الى كلمة يعني فيها انصاف ولا ميل فيها لاحد على صاحبه والعرب تسمي كل قصة او قصيدة لها اول واخر وشرح كلمة سوا اي عدل لا تختلف فيها التورية والانجيل والقران وتفسير الكلمة قوله **ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله** وذلك ان النصارى عبدوا غير الله وهو المسيح واشركوا به وهو قولهم اب وابن وروح القدس فجعلوا الواحد ثلاثة واتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وذلك انهم يطيعونهم فيما يامرونهم به من الشرك ويسجدون لهم فهذا معنى اتخاذ بعضهم بعضا اربابا من دون الله فثبت ان النصارى قد جمعوا بين هذه الثلاثة اشيا ومعنى الاية قل يا محمد لليهود والنصاري هلموا الى امر عدل نصف وهو ان لا نقول عزير ابن الله ولا نقول المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بشر مخلوق مثلنا ولا نطيع احبارنا ورهباننا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع ولا يسجد بعضنا لبعض لان السجود لغير الله حرام فلا نسجد لغير الله وقيل معناه ولا نطيع احدا في معصية الله **فان تولوا** يعني فان اعرضوا عن ما امرتهم به **فقولوا** انتم لهولا **اشهدوا بانا مسلمون** اي مخلصون بالتوحيد لله والعبادة له **ق** عن ابن عباس ان ابا سفين اخبره ان هرقل ارسل اليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها ابا سفين وكفار قريش فاتوه وهم بايليا فدعاهم في مجلسه وحوله عظما الروم ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به مع دحية الكلبي الى عظيم بصري فدفعه الى هرقل فقراه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية

الاسلام اسلم تسلم يوتك الله اجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم الاريسيين ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سوا بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون لفظ الحديث احد روايات البخاري وقد اخرجه باطول من هذا وفيه زيادة قوله الريسيين وفي رواية الاريسيين والاريس الاكار وهو الزراع والفلاح وقيل هم اتباع عبد الله بن اريس رجل كان في الزمن الاول بعث الله نبيا فخالفه قومه وقيل هم الاروشيون وهم نصارى عبد الله بن اروس وهم الاروسية وقيل هم الارسيون بضم الهمزة وهم الملوك الذين يخالفون انبياهم وقيل هم المتبخترون وقيل هم اليهود والنصارى الذين صددتهم عن الاسلام واتبعوك على كفرك قوله تعالى **يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم** قال ابن عباس اجتمع عند النبي صلى الله عليه وسلم نصارى نجران واحبار اليهود فتنازعوا عنده فقالت الاحبار ما كان ابراهيم الا يهوديا وقالت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانيا فانزل الله فيهم يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم **وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده** ومعنى الاية ان اليهود والنصارى لما اختصموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في شان ابراهيم وادعت كل طايفة انه كان منهم وعلى دينهم فبرا الله عز وجل ابراهيم مما ادعوا فيه واخبر ان اليهودية والنصرانية انما حدثا بعد نزول التوراة والانجيل وان ما نزلا بعد ابراهيم بزمان طويل فكان بين ابراهيم وبين موسى ونزول التوراة عليه خمسماية سنة وخمس وسبعون سنة وبين موسى وعيسى الف وستماية سنة واثنان وثلاثون سنة وقال ابن اسحاق كان بين ابراهيم وموسى خمسماية سنة وستون سنة وبين موسى وعيسى الف سنة وتسعماية وعشرون سنة واورد على هذا التاويل بان الاسلام ايضا انما حدث بعد ابراهيم وموسى وعيسى بزمان طويل وكذلك انزل القران انما انزل بعد التوراة والانجيل فكيف يصح ما ادعيتم في ابراهيم انه كان حنيفا مسلما

واجيب عنه بان الله عز وجل اخبر في القران ان ابراهيم كان حنيفا مسلما وليس في التوراة والانجيل ان ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا فصح وثبت ما ادعاه المسلمون وبطل ما ادعاه اليهود والنصارى وهو قوله **افلا تعقلون** يعني بطلان قولكم يا معشر اليهود والنصارى حتى لا تجادلوا مثل الجدال هذا المحال **ها انتم هولا** ها للتنبيه وهي موضع الندا يعني هولا والمراد بهم اهل الكتابين يعني يا معشر اليهود والنصارى **حاججتم** اي جادلتم وخاصمتم **فيما لكم به علم** يعني فيما وجدتم في كتبكم وانزل عليكم بيانه في امر موسى وعيسى وادعيتم انكم على دينهما وقد انزلت التوراة

والانجيل عليكم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم يعني انه ليس في كتابكم ان ابراهيم
كان يهوديا او نصرانيا والله يعلم ماكان ابراهيم عليه من الدين وانتم لا
تعلمون يعني ذلك والمعنى وانتم جاهلون بما تقولون في ابراهيم ثم براه
الله عزوجل مما قالوا فيه واعلمهم ان ابراهيم بري من دينهم فقال تعالى
ماكان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا يعني لم يكن كما ادعوه ثم وصفه بما
كان عليه من الدين فقال تعالى ولكن كان حنيفا مسلما يعني مايلا عن
الاديان كلها الى الدين المستقيم وهو الاسلام وقيل الحنيف الذي يوحد
ويختتن ويضحي ويستقبل الكعبة في صلاته وهو احسن الاديان واسهلها
واحبها الى الله عزوجل وماكان من المشركين يعني الذين يعبدون
الاصنام وقيل فيه تعريض بكون النصارى مشركين لقولهم بالهية
المسيح وعبادتهم له قوله عزوجل ان اولى الناس بابراهيم يعني
احقهم به واقربهم منه للذين اتبعوه يعني الذين كانوا في زمانه وامنوا
به واتبعوا شريعته وهذا النبي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والذين
امنوا يعني هذه الامة الاسلامية والله ولي المومنين يعني بالنصر
والمعونة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل
نبي ولاة من النبيين وان وليي ابي وخليل ربي ابراهيم ثم قرا ان اولى الناس
بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المومنين
اخرجه الترمذي روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ورواه محمد بن
اسحاق عن ابن شهاب باسناده حديث هجرة الحبشة قال لما هاجر جعفر
ابن ابي طالب واناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى ارض الحبشة
واستقرت بهم الدار وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان
من امر بدر ماكان اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا ان لنا في الذين
عند النجاشي من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثارا ممن قتل منكم ببدر
فاجمعوا مالا واهدوه الى النجاشي لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم
ولينتدب لذلك رجلان من ذوي رايكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة
ابن ابي معيط معهما الهدايا الادم وغيره فركبا البحر حتى اتيا الحبشة فلما
دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا له ان قومنا لك ناصحون
شاكرون ولصاحبك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك هولاء الذين
قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم
يتابعه احد منا الا السفها وانا كنا قد ضيقنا عليهم الامر والجاناهم الى
شعب بارضنا لا يدخل عليهم احد ولا يخرج منهم احد فقتلهم الجوع
والعطش فلما اشتد عليه الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك
وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قالوا واية ذلك

انهم

انهم اذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي يحييك
بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح
جعفر بالباب يستاذن عليك حزب الله فقال النجاشي مروا هذا الصايح
فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا بامان الله وذمته
فنظر عمرو الى صاحبه وقال الا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما اجابهم
به الملك فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص
الا ترى انهم يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشي ما منعكم
ان تسجدوا لي وتحيوني بالتحية التي يحييني بها من اتاني من الافاق
قالوا نسجد لله الذي خلقك وملكك وانما كانت تلك التحية لنا
ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا وامرنا بالتحية التي
رضيها الله وهي السلام تحية اهل الجنة فعرف النجاشي ان ذلك حق
وانه في التورية والانجيل قال ايكم الهاتف يستاذن عليه حزب الله
قال جعفر انا قال فتكلم قال انك ملك من ملوك الارض من اهل الكتاب
ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وانا احب ان اجيب عن اصحابي
فمر هذين الرجلين فليتكلم احدهما ولينصت الاخر فتسمع محاورتنا
فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذين الرجلين اعبيد
نحن ام احرار فان كنا عبيدا ابقنا من اربابنا فردنا عليهم فقال
النجاشي اعبيد هم ام احرار فقال بل احرار كرام فقال النجاشي نجوا من
العبودية فقال جعفر سلهما هل ارقنا دما بغير حق فيقتص منا فقال
عمرو ولا قطرة قال جعفر سلهما هل اخذنا اموال الناس بغير حق
فعلينا قضاها فقال النجاشي ان كان قنطارا فعلي قضاؤه فقال عمرو ولا
قيراط فقال النجاشي فما تطلبون منهم قال كنا وهم على دين واحد وامر
واحد على دين ابائنا فتركوا ذلك واتبعوا غيره فبعثنا قومنا لندفعهم
الينا فقال النجاشي وما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعتموه
فقال جعفر اما الدين الذي كنا عليه فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله
ونعبد الحجارة واما الذي تحولنا اليه فهو دين الله الاسلام جاءنا به من عند
الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشي يا جعفر
تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم امر النجاشي بضرب الناقوس فضرب
فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي انشدكم
الله الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيمة
نبيا مرسلا قالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى فقال من امن به فقد امن بي
ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما
يامركم به وما ينهاكم عنه فقال يقرا علينا كتاب الله ويامرنا بالمعروف

ونهانا عن المنكر ويامرنا بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويامرنا
ان نعبد الله وحده لا شريك له فقال اقرا علي مما يقرا عليكم فقرا عليه
سورة العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشي واصحابه من الدمع ۝
وقالوا زدنا من هذا الحديث الطيب فقرا عليهم سورة الكهف فاراد عمرو
ان يغضب النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى وامه فقال النجاشي فما
تقولون في عيسى وامه فقرا عليهم سورة مريم فلما اتى على ذكر مريم
وعيسى رفع النجاشي من سواكه قدر ما يقذي العين وقال والله
ما زاد المسيح على ما تقولون هذا ثم اقبل على جعفر واصحابه فقال
اذهبوا فانتم سيوم بارضي يقول امنون من سبكم او اذاكم غرم ثم قال
ابشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب ابراهيم فقال عمرو يا نجاشي
ومن حزب ابراهيم قال هولاء الرهط وصاحبهم الذي جاوا من عنده
ومن اتبعهم فانكر ذلك المشركون وادعوا دين ابراهيم ثم رد النجاشي على
عمرو وصاحبه المال الذي حملوه وقال انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها
فان الله ملكني ولم ياخذ مني رشوة قال جعفر فانصرفنا فكنا في خير
جوار وانزل الله عز وجل في ذلك اليوم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم في خصومتهم في ابراهيم وهو في المدينة ان اولى الناس بابراهيم
للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المومنين قوله
تعالى ودت طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في معاذ بن جبل
وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر حين دعاهم اليهود الى دينهم فنزلت
فيهم ودت طايفة اي تمنت جماعة من اهل الكتاب يعني اليهود لو يضلونكم
يعني عن دينكم ويردونكم الى الكفر وما يضلون الا انفسهم لان المومنين
لا يقبلون قولهم فيحصل عليهم الاثم بتمنيهم اضلال المومنين وما
يشعرون يعني ان وبال الاضلال يعود عليهم لان العذاب يضاعف
لهم بسبب ضلالهم وتمني اضلال المسلمين وما يقدرون على ذلك
انما يضلون امثالهم واتباعهم واشياعهم يا اهل الكتاب الخطاب
لليهود لم تكفرون بايات الله يعني القران وقيل المراد بايات الله
الواردة في التوراة والانجيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته
وسبب كفرهم بالتوراة والانجيل على هذا القول هو تحريفهم وتبديلهم
ما فيهما من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته والبشارة بنبوته
لانهم ينكرون ذلك وانتم تشهدون يعني ان نعته وصفته مذكور في
التوراة والانجيل وذلك ان احبار اليهود كانوا يكتمون الناس نعته
وصفته فاذا خلا بعضهم ببعض اظهروا ذلك فيما بينهم وشهدوا انه حق
يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وذلك ان علما اليهود

والنصارى

والنصارى كانوا يعلمون بقلوبهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول من عند
الله وان دينه حق وكانوا ينكرون ذلك بالسنتهم وكانوا يجتهدون في القا
الشبهات والتشكيكات وذلك ان الساعي في اخفا الحق لا يقدر على ذلك
الا بهذه الامور فقوله تعالى لم تلبسون الحق بالباطل معناه تحريف
التورية وتبديلها فيخلطون المحرف الذي كتبوه بايديهم بالحق المنزل
وقيل هو خلط الاسلام باليهودية والنصرانية وذلك انهم تواطيوا
على اظهار الاسلام في اول النهار والرجوع عنه في اخره والمراد بهذا
تشكيك الناس وقيل انهم كانوا يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم
معترف بصحة نبوة موسى وانه حق ثم ان التورية دالة على ان شرع
موسى لا ينسخ فهذا من تلبيسهم على الناس وتكتمون الحق يعني نعت
محمد صلى الله عليه وسلم وصفته في التورية وانتم تعلمون يعني انه رسول
من عند الله وان دينه حق وانما كتمتم الحق عنادا وحسدا وانتم تعلمون
ما تستحقون على كتمان الحق من العقاب قوله عز وجل وقالت
طايفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه
النهار واكفروا اخره وهذا نوع اخر من تلبيسات اليهود قيل تواطا اثنى
عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة فقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين
محمد اول النهار باللسان دون اعتقاد القلب ثم اكفروا اخر النهار
وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علمانا فوجدنا ان محمدا ليس هو
بذلك المبعوث وظهر لنا كذبه فاذا فعلتم ذلك شك اصحاب محمد في
دينه واتهموه وقالوا انهم اهل الكتاب واعلم به منا فيرجعون عن دينهم
وقيل هذا في شان القبلة وذلك انه لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على
اليهود فقال كعب بن الاشرف لاصحابه امنوا بالذي انزل على محمد في امر
الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم اكفروا وارجعوا الى قبلتكم اخر
النهار لعلهم يرجعون فيقولون هولا اهل كتاب وهم اعلم فيرجعون
الى قبلتنا فاطلع الله رسوله على سرهم وانزل هذه الاية ووجه
النهار اوله والوجه مستقبل كل شي لانه اول ما يواجه منه وانشدوا
في معناه ۝ من كان مسرورا بمقتل مالك ۝ فليات نسوتنا بوجه نهار ۝
وقوله لعلهم يرجعون يعني عنه اذا القينا هذه الشبهة لعلهم يشكون
في دينهم فيرجعون عنه ولما دبروا هذه الحيلة اخبر الله تعالى نبيه صلى
الله عليه وسلم بها فلم تتم لهم ولم يحصل لها اثر في قلوب المومنين ولولا
هذا الاعلام من الله تعالى لكان ربما اثر ذلك في قلوب بعض من كان
في ايمانه ضعف قوله تعالى ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم هذا متصل
بالاول وهو من قول اليهود يقول بعضهم لبعض ولا تومنوا اي لا تصدقوا

الا لمن تبع دينكم اى وافق ملتكم التى انتم عليها وهى اليهود واللام فى لمن
صلة كقوله ردف لكم اى ردفكم قل ان الهدى هدى الله اى ان الدين
دين الله والبيان بيانه وهذا اخبر من الله تعالى ثم اختلفوا فيه فمنهم
من قال هذا الكلام معترض بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الاول
وهو اخبار عن قول اليهود بعضهم لبعض ومعنى الاية ولا تومنوا الا لمن
تبع دينكم ولا تومنوا ان يوتى احد مثل ما اوتيتم من العلم والحكمة والكتاب
والايات من فلق البحر وانزال المن والسلوى عليكم وغير ذلك من
الكرامات ولا تومنوا ان يحاجوكم عند ربكم لانكم اصح دينا منهم فلما اخبر
الله تعالى عن اليهود بذلك قال فى اثنا ذلك قل ان الهدى هدى
الله والمعنى ان الذى انتم عليه انما صار دينا بحكم الله وامره فاذا امر
بدين اخر وجب اتباعه والانقياد لحكمه لانه هو الذى هدى اليه وامر
به وقيل معناه قل لهم يا محمد ان الهدى هدى الله وقد جيتكم به ولن
ينفعكم فى دفعه هذا الكيد الضعيف وقرا الحسن والاعمش ان يوتى
بكسر الالف فيكون قول اليهود تاما عند قوله الا لمن تبع دينكم وما
بعده من قول الله تعالى والمعنى قل يا محمد ان الهدى هدى الله ان
يوتى احد مثل ما اوتيتم وتكون ان بمعنى الجحد اى ما يوتى احد مثل ما
اوتيتم يا امة محمد من الدين والهدى او يحاجوكم عند ربكم يعنى الا ان
يحاجوكم اليهود بالباطل فيقولوا نحن افضل منكم وقوله عند ربكم اى
عند فعل ربكم ذلك بكم وقيل او فى قوله او يحاجوكم بمعنى حتى ومعنى
الاية ما اعطى الله احدا مثل ما اعطيتم يا امة محمد من الدين والحجة
حتى يحاجوكم عند ربكم وقرا ابن كثير ان يوتى بالمد على الاستفهام
وحينيذ يكون فى الكلام اختصار تقديره ان يوتى احد مثل ما اوتيتم
يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة فتحسدونه ولا تومنون به هذا
قول قتادة والربيع قالا هذا من قول الله تعالى يقول قل يا محمد ان
الهدى هدى الله بان انزل كتابا مثل كتابكم وبعث نبيا مثل نبيكم
حسدتموه وكفرتم به قل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشا وقوله
او يحاجوكم على هذه القراة رجوع الى خطاب المومنين ويكون او
بمعنى ان لانهما حرفا شرط وجزا يوضع احدهما موضع الاخر والمعنى
وان يحاجوكم يا معشر المومنين عند ربكم قل يا محمد ان الهدى هدى
الله ونحن عليه ويحتمل ان يكون الجميع خطابا للمومنين ويكون نظم
الاية ان يوتى احد مثل ما اوتيتم يا معشر المومنين فان حسد وكم
فقل ان الفضل بيد الله فان حاجوكم فقل ان الهدى هدى الله ويحتمل
ان يكون الخبر عن اليهود قد تم عند قوله لعلهم يرجعون وقوله ولا

تومنوا

تومنوا من كلام الله تعالى يثبت به قلوب المومنين لئلا يشكوا عند
تلبس اليهود وتزويرهم فى دينهم يقول لا تصدقوا يا معشر المومنين
الا من تبع دينكم ولا تصدقوا ان يوتى احد مثل ما اوتيتم من الدين
والفضل ولا تصدقوا ان يحاجوكم عند ربكم او يقدروا على ذلك فان
الهدى هدى الله وان الفضل بيد الله يوتيه من يشا والله واسع
عليم فيكون الاية كلها خطابا للمومنين عند تلبيس اليهود لئلا يرتابوا
ولا يشكوا وقوله تعالى قل ان الفضل بيد الله يعنى قل لهم يا محمد
ان التوفيق للايمان والهداية للاسلام بيد الله اى انه مالك له
وقادر عليه دونكم ودون ساير خلقه يوتيه من يشا يعنى الفضل
الذى هو دين الاسلام يعطيه من يشا من عباده ويوفق له من
اراد من خلقه وفيه تكذيب لليهود فى قولهم ان يوتى احد مثل ما
اوتيتم فقال الله تعالى ردا عليهم قل لهم ليس ذلك اليكم وانما
الفضل بيد الله يوتيه من يشا واصل الفضل فى اللغة الزيادة
واكثر ما يستعمل فى زيادة الاحسان والفاضل الزايد على غيره
فى خصال الخير والله واسع عليم اى ذو سعة يتفضل على من يشا عليم اى
بمن يتفضل عليه وهو للفضل اهل يختص برحمته يعنى بنبوته ورسالته
وقيل بدينه الذى هو الاسلام وقيل بالقران من يشا يعنى من خلقه وفيه
دليل على ان النبوة لا تحصل الا بالاختصاص والتفضل لا بالاستحقاق
لانه تعالى جعلها من باب الاختصاص وللفاعل ان يفعل ما يشا الى من
يشا بغير استحقاق والله ذو الفضل العظيم قوله عز وجل
ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يوده اليك ومنهم من ان تامنه
بدينار لا يوده اليك الاية نزلت فى اليهود اخبر عز وجل ان فيهم امانة
وخيانة ومنهم نسمين والقنطار عبارة عن المال الكثير والدينار عبارة
عن المال القليل يقول منهم من يودا الامانة وان كثرت مثل عبد الله
ابن سلام واصحابه ومنهم من لا يودها وان قلت وهم كفار اهل الكتاب
مثل كعب بن الاشرف واصحابه قال ابن عباس فى هذه الاية اودع رجل
من قريش عبد الله بن سلام الفا ومايتا اوقية من ذهب فاداها اليه
فذلك قوله ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يوده اليك ومنهم من
ان تامنه بدينار لا يوده اليك يعنى فنحاص بن عازورا استودعه رجل من
قريش دينارا فخانه وجحده ولم يوده اليه وقيل اهل الامانة هم النصارى
واهل الخيانة هم اليهود لان مذهبهم انه يحل قتل من خالفهم فى الدين واخذ
ماله باى طريق كان الا ما دمت عليه قايما قال ابن عباس يريد يقوم
عليه ويطالبه بالالحاح والخصومة والملازمة وقيل معناه الا مدة دوامك

عليه يا صاحب الحق قايما على راسه متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقيل اراد انه ان اودعته شيا ثم استرجعته منه في الحال وانت قايم على راسه لم تفارقه رده عليك وان اخرت استرجاع ما اودعته نكره ولم يرده عليك **ذلك** اي سبب ذلك الاستحلال والخيانة **بانهم قالوا** يعني اليهود **ليس علينا في الاميين سبيل** يعني انهم يقولون ليس علينا اثم ولا حرج في اخذ مال العرب وذلك ان اليهود قالوا اموال العرب حلال لنا انهم ليسوا على ديننا ولا حرمة لهم في كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم وقيل ان اليهود قالوا نحن ابنا الله واحباوه والخلق لنا عبيد فلا سبيل علينا اذا اكلنا اموال عبيدنا وقيل انهم قالوا ان الاموال كلها كانت لنا فما في يد العرب لنونا وانما ظلمونا وغصبوها منا فلا سبيل علينا في اخذها منهم باي طريق كان وقيل ان اليهود كانوا يبايعون رجالا من المسلمين في الجاهلية فلما اسلموا تقاضوهم بقية اموالهم فقالوا ليس علينا حق ولا عندنا قضا لانكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم فاكذبهم الله تعالى فقال **ويقولون على الله الكذب** يعني اليهود **وهم يعلمون** يعني انهم كاذبون ثم ان الله تعالى رد على اليهود قولهم فقال **بلى** اي ليس الامر كما قالوا بل عليهم سبيل ولفظ بلى لمجرد نفي ما قبلها فعلى هذا يحسن الوقوف عليها ثم يبتدي من اوفى اي ولكن **من اوفى بعهده** اي بعهد الله الذي عهد اليه في التورية من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقران الذي انزل عليه وبادا الامانة الى من ايتمنه عليها وقيل الها في قوله بعهده راجعة الى الموفي **واتقى** يعني الكفر والخيانة ونقض العهد **فان الله يحب المتقين** يعني الذين يتقون الشرك **ق** عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ايتمن خان واذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر قوله عز وجل **ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا** قال عكرمة نزلت هذه الاية في احبار اليهود ورؤسايهم في ابي بن رافع وكنانة بن ابي الحقيق وكعب بن الاشرف وحيي بن اخطب الذين كتموا ما عهد الله اليهم في التوراة في شان محمد صلى الله عليه وسلم فبدلوه وكتبوا بايديهم غيره وحلفوا انه من عند الله لبلا تفوتهم الرشا والماكل التي كانوا ياخذونها من اتباعهم وسفلتهم وقيل نزلت في اعدا اليهود الذين قالوا ليس علينا في الاميين سبيل وكتبوا ذلك بايديهم وحلفوا انه من عند الله

وقيل

وقيل نزلت في الاشعث بن قيس وخصم له **ق** عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على مال امرء مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان قال عبد الله ثم قرا علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصادقة من كتاب الله عز وجل ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى اخر الاية وفي رواية قال من حلف على يمين صبرا يقتطع بها مال امرء مسلم لقي الله وهو عليه غضبان فانزل الله تصديق ذلك ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الاية فدخل الاشعث بن قيس الكندي فقال ما يحدثكم ابو عبد الرحمن قلنا كذا وكذا فقال صدق في نزلت كان بيني وبين رجل خصومة في بير فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهداك او يمينه قلت انه اذا يحلف ولا يبالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين صبر يقتطع به مال امرء مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان ونزلت ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى اخر الاية واخرجه الترمذي وابو داود وقالا ان الحكومة كانت بين الاشعث وبين رجل يهودي وقيل نزلت هذه الاية في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اعطى بها ما لم يعطه **خ** عن عبد الله بن ابي اوفى ان رجلا اقام سلعة وهو في السوق فحلف بالله لقد اعطى بها ما لم يعط ليوقع فيها رجلا من المسلمين فنزلت ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى اخر الاية وقيل الاقرب حمل الاية على ان الكل فقوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله يدخل فيه العهود والمواثيق الماخوذة من جهة الرسل ويدخل فيه ما يلزم الرجل نفسه من عهد الله الذي يجب الوفا به ومعنى ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله يعني الامانة وايمانهم يعني الكاذبة ثمنا قليلا يعني شيا يسيرا من حطام الدنيا وذلك لان المشتري ياخذ شيا ويعطي شيا فكل واحد من المعطى والماخوذ ثمنا قليلا فهذا معنى الشرا **اوليك** يعني من هذه صفته **لا خلاق لهم في الاخرة** اي لا نصيب لهم في الاخرة ونعيمها وجميع منافعها **ولا يكلمهم الله** يعني كلاما يسرهم به او ينفعهم وقيل هو بمعنى الغضب **ولا ينظر اليهم يوم القيمة** اي لا يرحمهم ولا ينظر اليهم ولا ينيلهم خيرا **ولا يزكيهم** اي لا يطهرهم من الذنوب ولا يثني عليهم بجميل **ولهم عذاب اليم** يعني في الاخرة **ق** عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم رجل حلف على سلعة لقد اعطى بها اكثر مما اعطى وهو كاذب

ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرء مسلم
ورجل منع فضل ما فيقول له الله اليوم امنعك فضلي كما منعت فضل
ما لم تعمل به يداك م عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم
قال فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقلت خابوا
وخسروا من هم يا رسول الله قال المسبل والمنان والمنفق سلعته
بالحلف الكاذبة وللنسائي المنان بما اعطى والمسبل ازاره والمنفق
سلعته بالحلف الكاذبة م عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من اقتطع حق امرء مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة واوجب
عليه النار فقالوا يا رسول الله وان كان شيا يسيرا قال وان كان
قضيبا من اراك **قوله عز وجل** وان منهم يعني من اليهود لفريقا
يعني طايفة وجماعة وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي
ابن اخطب وابو ياسر وشعبة بن عمرو الشاعر يلوون اي يعطفون ويميلون
واصل اللي الفتل من قولك لويت يده اذا فتلتها السنتهم بالكتاب
يعني بالتحريف والتغيير والتبديل وتحريف الكلام تقليبه عن
وجهه لان المحرف يلوي لسانه عن سنن الصواب بما ياتي به من عند
نفسه قال الواحدي ويحتمل ان يكون المعنى يلوون بالسنتهم الكتاب
معناه ان يعمدوا الى اللفظة ليحرفونها في حركات الاعراب تحريفا يتغير
به المعنى وهذا كثير في لسان العرب فلا يبعد مثله في العبرانية فلما
نعلوا ذلك في الايات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة
كان ذلك هو المراد من قوله يلوون السنتهم بالكتاب وقيل انهم غيروا
صفة النبي صلى الله عليه وسلم من التورية وبدلوها واية الرجم وغير
ذلك مما بدلوا وغيروا لتحسبوه من الكتاب يعني ان الذي حرفوه
وبدلوه من الكتاب الذي انزله الله على انبيايه وما هو من الكتاب
يعني ذلك الذي يزعمون انه من الكتاب ما هو منه ويقولون هو من
عند الله وما هو من عند الله يعني الذي يقولونه ويغيرونه وانما كرر
هذا بلفظين مختلفين مع اتحاد المعنى لاجل التاكيد ويقولون على الله
الكذب وهم يعلمون يعني انهم كاذبين وقال ابن عباس الاية نزلت في
اليهود والنصارى جميعا وذلك انهم حرفوا التوراة والانجيل والحقوا
في كتاب الله ما ليس فيه **قوله عز وجل** ما كان لبشر ان يوتيه
الله الكتاب والحكم والنبوة قيل ان نصارى نجران قالوا ان عيسى امرهم
ان يتخذوه ربا فقال الله تعالى ردا ما كان لبشر يعني عيسى عليه السلام
ان يوتيه الله الكتاب يعني الانجيل وقال ابن عباس في قوله تعالى ما

كان

كان لبشر يعني محمد صلى الله عليه وسلم ان يوتيه الله الكتاب يعني القران
وذلك ان ابا رافع من اليهود والسيد من نصارى نجران قالا يا محمد تريد
ان نعبدك ونتخذك ربا قال معاذ الله ان امر بعبادة غير الله وما
بذلك امرني الله وما بذلك بعثني فانزل الله هذه الاية ما كان لبشر
اي ما ينبغي لبشر وهو جميع بني ادم لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط
ويوضع للواحد والجمع ان يوتيه الله الكتاب والحكم والنبوة يعني
الفهم والعلم وقيل هو امضا الحكم من الله تعالى والنبوة يعني المنزلة
الرفيعة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ومعنى الاية
ان لا يجتمع لرجل نبوة مع القول للناس كونوا عبادا لي من دون الله
وكيف يدعوا الناس الى عبادة نفسه دون الله وقد اتى اتاه الله ما
اتي من الكتاب والحكم والنبوة وذلك ان الانبيا موصوفون بصفات
لا يحصل معها ادعا الالهية والربوبية منها ان الله تعالى اتاهم الكتب
السماوية ومنها اتيان النبوة ولا يكون الا بعد كمال العلم وكل هذه تمنع
من هذه الدعوى ولكن كونوا ربانيين يعني ولكن يقول لهم كونوا
ربانيين فاضمر القول على حسب مذهب العرب في جواز الاضمار اذا كان
في الكلام ما يدل عليه واختلفوا في معنى الرباني فقال ابن عباس
معناه كونوا فقها علما معلمين وقيل معناه حكما حلما وقيل الرباني الذي
يربي الناس بصغار العلم وكباره وقيل الرباني العالم بالحلال والحرام
والامر والنهي وقيل الرباني الذي جمع بين علم البصيرة والعلم بسياسة
الناس ولما مات ابن عباس رضي الله عنهما قال محمد بن الحنفية اليوم
مات رباني هذه الامة قال سيبويه الرباني المنسوب الى الرب بمعنى
كونه عالما به ومواظبا على طاعته وزيادة الالف والنون فيه للدلالة
على كمال هذه الصفة وقال المبرد الربانيون ارباب العلم واحدهم
رباني وهو الذي يرب العلم ويرب الناس اي يعلمهم ويصلحهم والالف
والنون للمبالغة فعلى قول سيبويه الرباني منسوب الى الرب على
معنى التخصيص بمعرفة الرب وطاعته وعلى قول المبرد الرباني ماخوذ
من التربية وقيل الربانيون هم ولاة الامر والعلما وهما الفريقان اللذان
يطاعان ومعنى الاية على هذا التاويل لا ادعوكم الى ان تكونوا عبادا
لي ولكن ادعوكم الى ان تكونوا ملوكا وعلما ومعلمين الناس الخير ومواظبين
على طاعة الله وعبادته وقال ابو عبيدة احسب ان هذه الكلمة ليست
عربية انما هي عبرانية او سريانية وسوا كانت عربية او عبرانية فهي
تدل على الذي علم وعمل بما علم وعلم الناس طريق الخير وقوله تعالى
بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون اي كونوا ربانيين بسبب كونكم

عالمين ومعلمين وبسبب دراستكم الكتاب فدلت الاية على ان العلم
والتعليم والدراسة توجب كون الانسان ربانيا فمن اشتغل بالعلم
والتعليم لا لهذا المقصود ضاع عمله وخاب سعيه **قوله عز وجل**
ولا يامركم قرى بنصب الرا عطفا على قوله ثم يقول فيكون مردودا على
البشر وقيل على اضمار ان اى ولا ان يامركم وقرى برفع الرا على الاستيناف
وهو ظاهر ومعناه ولا يامركم الله وقيل ولا يامركم محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل ولا يامركم عيسى وقيل ولا يامركم الانبيا **ان تتخذوا الملائكة
والنبيين اربابا** يعنى كفعل قريش والصابيين حين قالوا الملائكة بنات
الله وكفعل اليهود والنصارى حيث قالوا فى المسيح والعزير ما قالوا
وانما خص الملائكة والنبيين بالذكر لان الذين وصفوا بعبادة غير
الله عز وجل من اهل الكتاب لم يحك عنهم الا عبادة الملائكة وعبادة
المسيح وعزير فلهذا اخصهم بالذكر **ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون**
انما قاله على طريق التعجب والانكار يعنى لا يقول هذا ولا يفعله قوله
عز وجل **واذ اخذ الله ميثاق النبيين** قال الزجاج موضع اذ نصب
المعنى واذكروا فى اقاصيصك اذ اخذ الله وقال الطبرى معناه واذكروا
يا اهل الكتاب اذ اخذ الله يعنى حين اخذ الله ميثاق النبيين واصل
الميثاق فى اللغة عقد يوكد بيمين ومعنى ميثاق النبيين ما وثقوا به
على انفسهم من طاعة الله فيما امرهم به ونهاهم عنه وذكروا فى معنى الميثاق
وجهين احدهما انه ماخوذ من الانبيا والثانى انه ماخوذ لهم من غيرهم
فلهذا السبب اختلفوا فى المعنى بهذه الاية فذهب قوم الى ان الله تعالى
اخذ الميثاق من النبيين خاصة قبل ان يبلغوا كتاب الله ورسالاته
الى عباده ان يصدق بعضهم بعضا واخذ العهد على كل نبى ان يومن بمن
ياتى بعده من الانبيا وينصره ان ادركه وان لم يدركه ان يامر قومه
بنصرته ان ادركوه فاخذ الميثاق من موسى ان يومن بعيسى ومن عيسى
ان يومن بمحمد صلى الله عليهم وسلم اجمعين وهذا قول سعيد بن جبير
والحسن وطاووس وقيل انما اخذ الميثاق من النبيين فى امر محمد صلى
الله عليه وسلم خاصة وهو قول على وابن عباس وقتادة والسدي
فعلى هذا القول اختلفوا فقيل انما اخذ الله الميثاق على اهل الكتاب
الذين ارسل فيهم النبيين ويدل عليه قوله ثم جاكم رسول مصدق لما معكم
لتومنن به ولتنصرنه وانما كان محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى اهل
الكتاب دون النبيين وانما اطلق هذا اللفظ عليهم لانهم كانوا يقولون
نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل كتاب والنبيون منا وقيل اخذ الله
الميثاق على النبيين واممهم جميعا فى امر محمد صلى الله عليه وسلم فاكتفى بذكر

الانبيا

الانبيا لان العهد مع المتبوع عهد مع الاتباع وهو قول ابن عباس قال
على بن ابى طالب ما بعث الله نبيا ادم فمن بعده الا اخذ عليه العهد
فى امر محمد صلى الله عليه وسلم واخذ هو العهد على قومه ليومنن به
ولين بعث وهم احيا لينصرنه وقيل ان المراد من الاية ان الانبيا كانوا
ياخذون العهد والميثاق على اممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه
وسلم ان يومنوا به وينصرنه وهذا قول كثير من المفسرين **وقوله**
لما اتيتكم من كتاب وحكمة قرى بفتح اللام من لما وبكسرها مع التخفيف
فى القراتين فمن قرا بفتح اللام قال معنى الاية واذ اخذ الله ميثاق
النبيين من اجل الذى اتاكم من كتاب وحكمة ثم جاكم رسول يعنى ذكر
محمد صلى الله عليه وسلم فى التورية لتومنن به للذي عندكم فى التورية
من ذكره ومن قرا بكسر اللام جعل قوله لتومنن به من اخذ الميثاق
كما يقال اخذت ميثاقك لتفعلن لان اخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف
فكان معنى الاية واذ استحلف الله النبيين للذى اتاهم من كتاب
وحكمة متى جاهم رسول مصدق لما معهم ليومنن به ولينصرنه وقوله
وقوله **ثم جاكم رسول** يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم **مصدق لما
معكم** وذلك ان الله وصفه فى كتب الانبيا المتقدمة وشرح فيها
احواله فاذا جات صفاته واحواله مطابقة لما فى كتبهم المنزلة فقد
صار مصدقا لها فيجب الايمان به والانقياد لقوله ولام قوله **لتومنن
به** لام تقديره والله لتومنن به **ولتنصرنه** قال البغوى قال الله
عز وجل للانبيا حين استخرج الذرية من صلب ادم والانبيا فيهم
كالمصابيح اخذ عليهم الميثاق فى امر محمد صلى الله عليه وسلم اقررتم
واخذتم واخذتم على ذلكم اصري الاية وقال الامام فخر الدين الرازي
يحتمل ان يكون هذا الميثاق ما قرر فى عقولهم من الدلايل الدالة على
صدقه فاذا اخبرهم بعد ذلك ان الله امر الخلق بالايمان به عرفوا
عند ذلك وجوبه بتقدير هذا الدليل فى عقولهم فهذا هو المراد من
الميثاق **قال اقررتم** يعنى قال الله تعالى اقررتم فان فسرنا ان اخذ
الميثاق كان من النبيين كان معناه قال الله تعالى للنبيين اقررتم
بالايمان به والنصر له وان فسرنا بان اخذ الميثاق كان على الامم كان
معناه قال كل نبى لامته اقررتم وذلك لانه تعالى اضاف اخذ الميثاق
الى نفسه وان كان النبيون اخذوا على الامم فلذلك طلب هذا الاقرار
واضافه الى نفسه وان وقع من الانبيا والمقصود ان الانبيا بالغوا فى
اثبات هذا الميثاق وتاكيده على الامم وطالبوهم بالقبول واكدوا ذلك
بالاشهاد **واخذتم على ذلكم اصرى** اى عهدى والاصر العهد الثقيل

وقيل سمى العهد اصرا لانه مما يوصر اي يشد ويعقد **قالوا اقررنا** اى قال
النبيون اقررنا بما الزمتنا من الايمان برسلك الذين ترسلهم مصدقين
لما معنا من كتبك **قال فاشهدوا** يعنى قال الله عز وجل للنبيين ٥
فاشهدوا يعنى انتم على انفسكم وقيل على اممكم واتباعكم الذين اخذتم
عليهم الميثاق وقيل قال الله للملايكة فاشهدوا فهو كناية عن غير
مذكور وقيل معناه فاعلموا وبينوا لان اصل الشهادة العلم والبيان
وانا معكم من الشاهدين يعنى قال الله يا معشر الانبيا وانا معكم من
الشاهدين عليكم وعلى اتباعكم او قال للملايكة وانا معكم من الشاهدين
عليهم **فمن تولى** اى اعرض عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونصرته
بعد ذلك الاقرار **فاوليك هم الفاسقون** اى الخارجون عن الايمان
والطاعة **قوله عز وجل** **افغير دين الله يبغون** وذلك ان اهل
الكتاب اختلفوا فادعى كل فريق منهم انه على دين ابراهيم عليه السلام
فاختصموا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم كلا الفريقين برى من دين ابراهيم الهمزة للاستفهام
والمراد منه الانكار والتوبيخ يعنى افبعد اخذ الميثاق عليهم ووضوح
الدلايل لهم ان دين ابراهيم هو دين الله الاسلام تبغون قرا بالتا على
خطاب الحاضر افغير دين الله تطلبون يا معشر اليهود والنصارى
وقرا باليا على الغيبة ردا على قوله فمن تولى بعد ذلك فاوليك هم
الفاسقون **وله اسلم** اي خضع وانقاد **من فى السموات والارض طوعا
وكرها** فالطوع الانقياد والاتباع بسهولة والكره ما كان من ذلك
بمشقة واباء من النفس واختلفوا فى معنى قوله طوعا وكرها فقيل اسلم
اهل السموات طوعا واسلم بعض اهل الارض طوعا وبعضهم كرها
وقيل هذا يوم اخذ الميثاق حين قال الست بربكم قالوا بلى فمن سبقت
له السعادة قال ذلك طوعا ومن سبقت له الشقاوة قال ذلك كرها
وقيل اسلم المومن طوعا فنفعه اسلامه يوم القيمة والكافر يسلم كرها
عند الموت فى وقت الياس فلم ينفعه ذلك فى القيمة وقيل انه لا سبيل
لاحد من الخلق الى الامتناع على الله فى مراده فاما المسلم فينقاد لله فيما
امره او نهاه عنه طوعا واما الكافر فينقاد لله كرها فى جميع ما يقضى
عليه ولا يمكنه دفع قضايه وقدره عنه **واليه ترجعون** قرى بالتا واليا
والمعنى ان يرجع الخلق كلهم الى الله يوم القيمة فيه وعيد عظيم لمن خالفه
فى الدنيا **قوله عز وجل** **قل امنا بالله** لما ذكر الله عز وجل فى الاية
المتقدمة اخذ الميثاق على الانبيا فى تصديق الرسول الذى ياتى
مصدقا لما معهم فقال تعالى قل امنا بالله وانما وحد الضمير فى قوله قل

وجمع فى قوله امنا بالله لانه انما خاطبه بلفظ الوحدان ليدل هذا الكلام
على انه لا يبلغ هذا التكليف عن الله تعالى الى الخلق الا هو ثم قال امنا
بالله تنبيها على انه حين قال هذا القول وافقه اصحابه فحسن الجمع فى
قوله امنا ومعنى الاية قل يا محمد صدقنا بالله انه ربنا والهنا لا اله لنا
غيره ولا رب سواه وانما قدم الايمان بالله على غيره لانه الاصل **وما انزل
علينا** يعنى قل يا محمد وصدقنا ايضا بما انزل علينا من وحيه وتنزيله
وانما قدم ذكر القران لانه اشرف الكتب ولانه لم يحرف ولم يبدل
وغيره حرف وبدل **وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحاق
ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى** انما خص هولا الانبيا
بالذكر لان اهل الكتاب يعترفون بوجودهم ولم يختلفوا فى نبوتهم
والاسباط هم اولاد يعقوب الاثنى عشر وكانوا انبيا ثم جمع جميع
الانبيا فقال **والنبيون** اى وما اوتى النبيون **من ربهم لا نفرق
بين احد منهم** وذلك ان اهل الكتاب يومنون ببعض النبيين ويكفرون
ببعض فامر الله عز وجل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان يخبر عن
نفسه وعن امته انه يومن بجميع الانبيا **فان قلت** لم عدي
انزل فى هذه الاية بحرف الاستعلا وفيما تقدم من مثلها فى البقرة
بحرف الانتها **قلت** لوجود المعنيين وتارة بمعنى الاخر **ونحن
له مسلمون** اي موحدون مخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا فى
عبادتنا **قوله عز وجل** **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه**
يعنى ان الدين المقبول عند الله هو دين الاسلام وان كل دين سواه
غير مقبول عنده لان الدين الصحيح ما يامر به ويرضى عن فاعله ٥
ويثيبه عليه **وهو فى الاخرة من الخاسرين** يعني الذين وقعوا فى
الخسار وهو حرمان الثواب وحصول العقاب وروى ابن جرير الطبرى
عن عكرمة فى قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قالت
اليهود فنحن مسلمون فقال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه
وسلم قل لهم ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا **قوله عز وجل**
كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم نزلت فى اثنى عشر رجلا
ارتدوا عن الاسلام وخرجوا من المدينة واتوا مكة كفارا منهم الحارث
ابن سويد الانصارى وطعمة بن ابيرق وحجوج بن الاسلت وقال
ابن عباس نزلت فى اليهود والنصارى وذلك ان اليهود كانوا قبل
مبعث النبى صلى الله عليه وسلم يستفتحون به على الكفار ويقرون
به ويقولون قد اظل زمان نبى مبعوث فلما بعث محمد صلى الله عليه
وسلم كفروا به بغيا وحسدا ومعنى كيف يهدى الله كيف يرشد الله

للصواب ويوفق للايمان قوما كفروا اى بمحمد وابنوة محمد صلى الله عليه
وسلم بعد ايمانهم اى تصديقهم اياه واقرارهم به وبما جاء به من عند
ربه **وشهدوا ان الرسول حق** يعنى وبعد ان اقروا وشهدوا ان محمدا
رسول الله الى خلقه وانه حق وصدق **وجاءهم البينات** يعنى بالحجج والبراهين
والمعجزات الدالة على صحة نبوته التى بمثلها تثبت النبوة **والله لا يهدى
القوم الظالمين** اى لا يوفقهم الى الحق والصواب لما سبق فى علمه تعالى
انهم ظالمون وقيل لا يهديهم فى الاخرة الى الجنة والثواب **فان قلت**
كيف قال فى اول الاية كيف يهدى الله قوما كفروا وقال فى اخرها
والله لا يهدى القوم الظالمين وهذا تكرار **قلت** ليس فيه تكرار
لان قوله كيف يهدى الله قوما كفروا انما هو مختص باوليك المرتدين
عن الاسلام ثم قال انه تعالى عمم ذلك الحكم فى اخر الاية فقال والله لا
يهدى القوم الظالمين يعنى جميع الكفارة المرتدين عن الاسلام والكافر
الاصلى وانما سمى الكافر ظالما لانه وضع العبادة فى غير موضعها **اوليك
جزاؤهم** يعنى الذين كفروا بعد ايمانهم **ان عليهم لعنة الله والمليكة والناس
اجمعين خالدين فيها** اى فى عذاب اللعنة وقد تقدم تفسير هذه الاية
فى سورة البقرة **لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون** اى لا يوخرون
عن وقت العذاب ولا يوخر عنهم من وقت الى وقت ثم استثنى سبحانه
وتعالى فقال **الا الذين تابوا من بعد ذلك** يعنى من بعد ارتدادهم
وكفرهم وذلك ان الحرث بن سويد الانصارى لما لحق بالكفار ندم على
ذلك فارسل الى قومه ان سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لى
من توبة ففعلوا فانزل الله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا
الاية فبعث بها اليه اخوه الجلاس مع رجل من قومه فاقبل الى
المدينة تائبا وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته وحسن اسلامه
واصلحوا اى وضموا الى التوبة الاعمال الصالحة فبين ان التوبة وحدها
لا تكفى حتى يضاف اليها العمل الصالح وقيل واصلحوا باطنهم مع الحق ٥
بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات والطاعات **فان الله غفور
رحيم** اى غفور لقبائحهم فى الدنيا بالستر رحيم فى الاخرة بالعفو وقيل
غفور بازالة العذاب رحيم باعطا الثواب قوله عز وجل **ان الذين
كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم** نزلت فى الاحبار
اليهود وذلك انهم كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى وغيره
من انبيائهم ثم ازدادوا كفرا يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران
وقيل نزلت فى اليهود والنصارى وذلك انهم كفروا بمحمد صلى الله عليه
وسلم لما راوه بعد ايمانهم به قبل مبعثه لما ثبت عندهم من نعته وصفته

الاحدى عشر

فى كتبهم ثم ازدادوا كفرا يعنى ذنوبا فى حال كفرهم وقيل نزلت فى جميع
الكفار وذلك انهم اشركوا بالله بعد اقرارهم ان الله خالقهم ثم ازدادوا كفرا
يعنى باقامتهم على كفرهم حتى هلكوا عليه وقيل زيادة كفرهم هو قولهم نتربص
بمحمد ريب المنون وقيل نزلت فى الاثنى عشر من رجلا من اصحاب الحرث بن
سويد الذين ارتدوا عن الاسلام اقاموا على كفرهم بمكة وقالوا نقيم على
الكفر ما بدا لنا ومتى اردنا الرجعة ينزل فينا مثل ما نزل فى الحرث
فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فمن دخل منهم فى الاسلام
قبلت توبته ونزل فيمن مات منهم على كفره ان الذين كفروا وماتوا وهم
كفار الاية **فان قلت** قد وعد الله قبول التوبة ممن تاب فما
معنى قوله لن تقبل توبتهم **قلت** اختلف المفسرون فى معنى
قوله تعالى لن تقبل توبتهم قال الحسن وعطا وقتادة والسدى لن
تقبل توبتهم حين يحضرهم الموت وهو وقت الحشرجة لان الله تعالى
قال وليست التوبة للذين يعملون السيات حتى اذا حضر احدهم الموت
قال انى تبت الان فان الذى يموت على الكفر لا تقبل توبته كانه قال
لليهود او الكفار او المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا ثم ماتوا على
ذلك لن تقبل توبتهم وقال ابن عباس انهم الذين ارتدوا وعزموا
على اظهار التوبة لستر احوالهم والكفر فى ضمايرهم وقال ابو العالية
هم قوم تابوا من ذنوب عملوها فى حال الشرك ولم يتوبوا من الشرك
فان توبتهم فى حال الشرك غير مقبولة وقال مجاهد لن تقبل توبتهم اذا
ماتوا على الكفر وقال ابن جرير يعنى لن تقبل توبتهم مما ازدادوا من
الكفر على كفرهم لان الله تعالى وعد ان تقبل التوبة عن عباده وانه قابل
توبة كل تايب من كل ذنب لقوله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك
واصلحوا فان الله غفور رحيم علم ان المعنى الذى لا تقبل التوبة منه
غير المعنى الذى تقبل التوبة منه فعلى هذا الذى لا تقبل توبته هو
الازدياد على الكفر بعد الكفر لا يقبل الله منه توبة ما اقام على كفره لان
الله تعالى لا يقبل عمل مشرك ما اقام على شركه فاذا تاب من شركه وكفره
واصلح فان الله كما وصف نفسه غفور رحيم وقوله تعالى **واوليك هم
الضالون** يعنى هولا الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا هم الذين
ضلوا عن سبيل الحق واخطاوا منهاجه قوله عز وجل **ان الذين كفروا
وماتوا وهم كفار** قال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكة دخل من كان من اصحابه الحرث بن سويد حيا فى الاسلام فنزلت
هذه الاية فيمن مات منهم على الكفر وقيل نزلت فيمن مات كافرا من جميع
اصناف الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام فالاية عامة فى جميع

من مات على الكفر فلن يقبل من احدهم ملو الارض ذهبا اى قدر ما يملا
الارض من شرقها الى غربها ولو افتدي به قيل معناه لو افتدى به والواو
زايدة مقحمة وقيل الواو على حالها وفايدتها انها للعطف والتقدير
لو تقرب الى الله بملا الارض ذهبا وقد مات على كفره لم ينفعه وكذلك
لو افتدى من العذاب بملا الارض ذهبا لن يقبل منه وهذا اكد في
التغليظ لانه تصريح بنفي القبول في جميع الوجوه فان قلت
الكافر لا يملك شيا في الاخرة فما وجه قوله فلن يقبل من احدهم ملو
الارض ذهبا قلت الكلام ورد على سبيل الفرض والتقدير
والمعنى لو ان للكافر قدر ملا الارض ذهبا يوم القيمة لبذله في
تخليص نفسه من العذاب ولكن لا يقدر على شي من ذلك وقيل
معناه لو ان الكافر انفق في الدنيا ملا الارض ذهبا ثم مات على كفره
لم ينفعه ذلك لان الطاعة مع الكفر غير مقبولة اوليك اشارة الي
من مات على الكفر لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين يعني مانعين
يمنعونهم من العذاب ق عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يقول الله عز وجل لاهون اهل النار عذابا يوم القيمة لو ان لك ما
في الارض من شي اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقول اردت منك اهون
من هذا وانت في صلب ادم ان لا تشرك بي شيا فابيت الا الشرك لفظ
مسلم **قوله عز وجل** لن تنالوا البر قال ابن عباس يعني الجنة وقيل
البر هو التقوى وقيل هو الطاعة وقيل معناه لن تنالوا حقيقة البر
ولن تكونوا ابرارا حتى تنفقوا مما تحبون وقيل معناه لن تنالوا بر الله
وهو ثوابه واصل البر التوسع في فعل الخير يقال بر العبد ربه اى توسع
في طاعته فالبر من الله الثواب ومن العبد الطاعة وقد يستعمل في
الصدق وحسن الخلق لانهما من الخير المتوسع فيه ق عن عبد الله ابن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي
الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند
الله صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الي النار
وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا م عن النواس بن سمعان
قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن
الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس منك
فعلى هذا يكون المعنى عليكم بالاعمال الصالحة حتى تكونوا ابرارا وتدخلوا
في زمرة الابرار ومن قال ان لفظ البر هو الجنة فقال معنى الاية لن
تنالوا ابواب البر المودي الي الجنة حتى تنفقوا مما تحبون يعني من جيد
اموالكم وانفسها عندكم قال الله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون

وقيل

وقيل هو ان تنفق من مالك ما انت محتاج اليه قال الله تعالى ويوثرون
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ق عن ابي هريرة قال اتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله اي الصدقة افضل قال ان تصدق
وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم
قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان واختلفوا في هذا الانفاق فقال
ابن عباس الزكاة المفروضة والمعنى لن تنالوا البر حتى تخرجوا زكاة
اموالكم فعلى هذا القول قيل ان الاية منسوخة باية الزكاة وفيه بعد
لانه ترغيب في اخراج الزكاة وقال ابن عمر المراد بها ساير الصدقات
وقال الحسن كل شي انفقه المسلم من ماله مما يبتغي به وجه الله ويطلب
ثوابه حتى التمرة فانه يدخل في قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
ق عن انس بن مالك قال كان ابو طلحة اكثر الانصار بالمدينة مالا
وكان احب امواله اليه بيرحا مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال انس فلما نزلت هذه
الاية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان احب اموالي الي بيرحا
وانها صدقة لله عز وجل ارجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول
الله حيث شيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذلك مال
رابح او قال ذلك مال رابح واني اري ان تجعلها في الاقربين فقال
ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها ابو طلحة في اقاربه وبني عمه **قوله**
بخ بخ هي كلمة تقال عند المدح والرضي وتكريرها للمبالغة وهي مبنية على
السكون فاذا وصلت جرت ونونت فقلت بخ بخ وقيل بخ بخ **قوله** مال
رابح اى ذو ربح وفي الرواية الاخري ذلك مال رايح بالياء معناه يروح
عليك نفعه وثوابه وبيرحا اسم موضع في المدينة وهي حايط كان لابي طلحة
وروى عن مجاهد قال كتب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع لي
جارية من سبي جلولا يوم فتحت فلما جاءت اعجبته فقال عمر ان الله عز وجل
يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها عمر وعن حمزة بن عبد
الله بن عمر ان عبد الله بن عمر خطرت على قلبه هذه الاية لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون قال عبد الله فذكرت ما اعطاني الله تعالى فما كان شي احب
الي من فلانة هي حرة لوجه الله تعالى قال ولولا اني لا اعود في شي جعلته
لله لنكحتها وعن عمرو بن دينار قال لما نزلت هذه الاية لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون جاء زيد بن حارثة بفرس يقال لها سبل كان يحبها الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق بهذه يا رسول الله فاعطاها رسول
الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد بن حارثة فقال يا رسول الله انما
اردت ان اتصدق بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبلت صدقتك

وفي رواية كان زيد وجد في نفسه فلما راى ذلك منه النبي صلى الله عليه
وسلم فقال اما ان قد قتلتها وروى ان ابا ذر نزل به ضيف فقال للراعي
ايتني بخير ابلي فجا بناقة مهزولة فقال للراعي خنتني فقال الراعي وجدت
خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم
اوضع في حفرتي وقوله تعالى **وما تنفقوا من شي** يعني من اي شي كان
من طيب تحبونه او خبيث تكرهونه **فان الله به عليم** اي يعلمه ويجازيكم
به قوله عز وجل **كل الطعام كان حلا لبني اسرايل الا ما حرم اسرايل**
على نفسه من قبل ان تنزل التوراة سبب نزول هذه الاية ان اليهود قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم انك تزعم انك على ملة ابراهيم وكان ه
ابراهيم لا ياكل لحوم الابل والبانها وانت تاكل ذلك كله فلست على
ملته فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلالا على ابراهيم قالوا
كلما تحرمه اليوم كان ذلك حراما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا
فانزل الله عز وجل كل الطعام كان حلا لبني اسرايل الا ما حرم اسرايل
على نفسه وهو يعقوب من قبل ان تنزل التوراة يعني ليس الامر على
ما تدعيه اليهود من تحريم لحوم الابل على ابراهيم بل كان ذلك حلالا
على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وانما حرمه يعقوب بسبب من
الاسباب وبقية تلك الحرمة في اولاده وانكر اليهود ذلك فامرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التورية وطلب ان يستخرجوا
منها ان ذلك حراما على ابراهيم فعجزوا عن ذلك وافتضحوا وبان
كذبهم فيما ادعوا من حرمة هذه الاشيا على ابراهيم وقيل ان اليهود
انكروا شرع محمد صلى الله عليه وسلم وادعوا ان النسخ غير جايز فابطل
الله ذلك عليهم واخبر ان كل الطعام كان حلا لبني اسرايل الا ما
حرم اسرايل على نفسه فذلك الذي حرمه على نفسه كان حلالا ثم صار
حراما عليه وعلى اولاده فقد حصل النسخ وبطل قول اليهود بان النسخ
غير جايز فانكرت اليهود ذلك وقالوا بل كان ذلك حراما من زمن
ادم الى هذا الوقت فالزمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار
التورية وقال ان التورية ناطقة بان بعض انواع الطعام انما حرم
بسبب ان اسرايل حرمه على نفسه فخاف اليهود من الفضيحة وامتنعوا
من احضار التورية فحصل بذلك كذبهم وانهم ينسبون الى التورية
ما ليس فيها وبطل قولهم بان النسخ غير جايز وفي هذا دليل على صحة
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان رجلا
اميا لم يقرا الكتب ولم يعرف ما في التورية فلما اخبر ان ذلك ليس في
التوراة علم ان الذي اخبر به صلى الله عليه وسلم انه وحي من الله تعالى

وقوله كل الطعام يعني كل انواع الطعام وساير المطعومات كان حلا
اي حلالا لبني اسرايل الا ما حرم اسرايل على نفسه اسرايل هو يعقوب
ابن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام واختلفوا في الذي حرم يعقوب على
نفسه فقيل حرم لحوم الابل والبانها وروى الطبري بسنده عن ابن عباس
ان عصابة من اليهود حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا
رسول الله اخبرنا اي الطعام حرم اسرايل على نفسه من قبل ان تنزل
التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم بالله الذي انزل
التوراة على موسى هل تعلمون ان اسرايل يعقوب مرض مرضا شديدا
فطال سقمه منه فنذر لله نذرا لين عافاه الله من سقمه ليحرمن احب
الطعام والشراب اليه وكان احب الطعام اليه لحم الابل واحب الشراب
اليه البانها فقالوا اللهم نعم وقال ابن عباس هي العروق وكان سبب
ذلك انه اشتكى عرق النسا وكان اصل وجعه فيما روي عن الضحاك ان
يعقوب كان نذر لين وهب الله له اثني عشر ولدا واتى بيت المقدس
صحيحا ان يذبح احدهم وفي رواية اخرهم فتلقاه ملك من الملايكة
وقال يا يعقوب انك رجل قوي فهل لك في الصراع فعالجه فلم يصرع
احدهما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك ثم
قال اما اني لو شيت ان اصرعك لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة
لانك قد نذرت ان اتيت بيت المقدس صحيحا ذبحت اخر ولدك فجعل
الله لك بهذه الغمزة من ذلك مخرجا فلما قدم يعقوب بيت المقدس
اراد ذبح ولده ونسي ما قال له الملك فاتاه الملك وقال انما غمزتك
للمخرج وقد وفي نذرك فلا سبيل لك الى ذبح ولدك وقال ابن عباس
في اخرين اقبل يعقوب على حران يريد بيت المقدس حين هرب من
اخيه العيص وكان يعقوب رجلا بطشا قويا فلقيه ملك في صورة رجل
فظن يعقوب انه لص فعالجه ان صرعه فغمز الملك فخذ يعقوب وصعد
الى السما ويعقوب ينظر فهاج به عرق النسا ولقي منه شدة فكان لا
ينام الليل من الوجع ويبيت وله زقا اي صياح فحلف يعقوب لان
شفاه الله لا ياكل عرقا ولا طعاما فيه عرق فحرمه على نفسه وكان بنوه
بعد ذلك يتبعون العروق ويخرجونها من اللحم ولا ياكلونها وقيل لما
اصاب يعقوب ذلك وصف له الاطبا تجنب لحمان الابل فحرمها يعقوب
على نفسه وقيل انما حرم يعقوب لحوم الجزور تعبدا لله تعالى وسال
ربه ان يجيز ذلك فحرمه الله على ولده وهو ظاهر الاية لان الله تعالى
قال كل الطعام كان حلا لبني اسرايل ثم استثنى ما حرم اسرايل على
نفسه فوجب بحكم الاستثنا ان يكون ذلك حراما على بني اسرايل اما قوله

من قبل ان تنزل التوراة فمعناه ان قبل انزال التوراة كان كل انواع الطعام
كانت حلالا لبني اسرايل سوى ما حرمه اسرايل على نفسه اما بعد
نزول التورية فقد حرم الله تعالى عليهم اشيا كثيرة من انواع الطعام
ثم اختلفوا في حال هذا الطعام المحرم على بني اسرايل بعد نزول التورية
فقد حرم الله تعالى عليهم اشيا كثيرة من انواع الطعام ثم اختلفوا في حال
هذا الطعام المحرم على بني اسرايل بعد نزول التورية فقال السدي
حرم عليهم في التورية ما كانوا حرموه على انفسهم قبل نزولها وقال
عطية انما كان حراما عليهم بتحريم اسرايل فانه قال ان عافاني الله
تعالى لا ياكله ولدي ولم يكن ذلك محرما عليهم في التورية وقال الكلبي
لم يحرمه الله في التوراة وانما حرم عليهم بعد نزول التورية بظلمهم
كما قال تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الى ان قال ذلك جزيناهم
ببغيهم وانا لصادقون فكانت بنوا اسرايل اذا اصابوا ذنبا عظيما
حرم الله عليهم طعاما طيبا او صب عليهم رجزا وهو الموت وقال الضحاك
لم يكن شي من ذلك حراما عليهم ولا حرمه الله في التورية وانما حرموه
لانفسهم اتباعا لابيهم ثم اضافوا تحريمه لله عز وجل فكذبهم الله تعالى
فقال تعالى **قل فاتوا بالتورية** يعني قل لهم يا محمد فاتوا بالتورية
فاتلوها اي فاقروها حتى يتبين ان الامر كما قلتم **ان كنتم صادقين**
يعني فيما ادعيتم فلم ياتوا بها وخافوا الفضيحة فقال تعالى **فمن افترى
على الله الكذب** الافترا اختلاق الكذب والافترا الكذب والقذف
والافساد واصله من فري الاديم اذا قطعه لان الكاذب يقطع القول
من غير حقيقة له في الوجود **من بعد ذلك** اي من ظهور الحجة بان
التحريم انما كان من جهة يعقوب ولم يكن محرما قبله **فاوليك هم
الظالمون** اي المستحقون للعذاب لان كفرهم ظلم منهم لانفسهم ولمن
اضلوه من الذين من بعدهم وهذا رد على اليهود وتكذيب لهم حيث
ارادوا براة ساحتهم فيما نعي عليهم مما نطق به القران من تعديد مساويهم
التي كانوا يرتكبونها **قل صدق الله** يعني قل صدق الله يا محمد فيما اخبر
ان ذلك النوع من الطعام صار حراما على اسرايل واولاده بعد ان
كان حلالا لهم فصح القول بالنسخ وبطل قول اليهود وقيل صدق الله في
قوله ان لحوم الابل والبانها كانت محللة لابراهيم عليه السلام وانما
حرمت على بني اسرايل بسبب تحريمها اسرايل على نفسه وقيل صدق
الله في ان ساير الاطعمة كانت محللة على بني اسرايل وانما حرمت
على اليهود جزا على قبايح افعالهم ففيه تعريض بكذب اليهود والمعنى
ثبت ان الله تعالى صادق فيما انزل واخبر وانتم كاذبون يا معشر اليهود

فاتبعوا

فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا اي اتبعوا ما يدعوكم اليه محمد صلى الله عليه
وسلم من ملة ابراهيم وهي الاسلام وهو الدين الصحيح وهو الذي عليه
محمد ومن امن معه وانما دعاهم الى ملة ابراهيم لانها ملة محمد صلى الله
عليه وسلم **وما كان من المشركين** اي لم يدع مع الله الها اخر ولا عبد سواه

قوله عز وجل ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة سبب
نزول هذه الاية ان اليهود قالوا للمسلمين بيت المقدس قبلتنا وهو افضل
من الكعبة واقدم وهو مهاجر الانبيا وقبلتهم وارض المحشر وقال المسلمون
بل الكعبة افضل فانزل الله هذه الاية وقيل لما ادعت اليهود والنصارى
انهم على ملة ابراهيم فاكذبهم الله تعالى فاخبر ان ابراهيم كان حنيفا
مسلما وما كان من المشركين وامرهم باتباعه فقال تعالى في الاية المتقدمة
واتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين اعظم شعاير ملة ابراهيم
الحج الى الكعبة ذكر في هذه الاية فضيلة البيت ليفرع عليه ايجاب الحج
وقوله ان اول بيت وضع للناس الاول هو الفرد السابق المتقدم على
ما سواه وقيل هو اسم للشي الذي يوجد ابتدا سوا حصل عقيبه شي
اخر او لم يحصل والمعنى ان اول بيت وضع اي وضعه الله موضعا
للطاعات والعبادات وقبلة للصلوات وموضعا للحج وموضعا للطواف
ويزداد فيه الخيرات وثواب الطاعات وكونه وضع للناس يعني يشترك
فيه جميع الناس كما قال تعالى سوا العاكف فيه والباد فان قلت
كيف اضافه الى نفسه مرة في قوله وطهر بيتي واضافه الى الناس
اخري بقوله وضع للناس قلت اما اضافته الى نفسه فعلى سبيل
التشريف والتعظيم كقوله ناقة الله واما اضافته الى الناس فلانه
يشترك فيه جميع الناس لانه موضع حجهم وقبلة صلاتهم للذي ببكة
قيل هي مكة نفسها والعرب تعاقب بين الميم والبا فيتزلون ضربة
لازب ولازم وقيل بكة اسم لموضع البيت ومكة اسم للبلد وفي اشتقاق
بكة وجهان احدهما انه من البك الذي هو عبارة عن الدفع يقال بكه
يبكه اذا دفعه وزاحمه فلهذا قال سعيد بن جبير سميت بكة لان الناس
يتباكون فيها اي يزدحمون في الطواف وهو قول محمد بن علي الباقر
ومجاهد وقتادة الوجه الثاني سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة
اي تدقها ولم يقصدها جبار بسوا الا قصمه الله تعالى وهذا قول عبد الله
ابن الزبير واما مكة فسميت بذلك لقلة مايها لقول العرب مك الفصيل
ضرع امه وامكه اذا مص كلما فيه من اللبن وقيل لانها تمك الذنوب
اي تزيلها وسميت مكة ام رحم لان الرحمة تنزل بها والحاطمة لانها تحطم من
استخف بحرمتها اولان الناس يحطم بعضهم بعضا في الرحمة وسميت ام

الثري لانها اصل كل بلدة ومن تحتها دحيت الارض واختلف العلما في
كون البيت اول بيت وضع للناس على قولين احدهما انه اول في الوضع
والبنا قال مجاهد خلق الله هذا البيت قبل ان يخلق شيا من الارضين
وفي رواية عنه ان الله خلق البيت قبل ان يخلق شيا من الارض بالفي عام
وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الما عند خلق السموات والارض خلقه
قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضا على وجه الما فدحيت الارض من
تحته وهذا قول عمرو مجاهد وقتادة والسدي وقيل هو اول بيت وضع
بني على الارض وروي عن علي بن الحسين بن علي ان الله تعالى وضع
تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور وامر الملايكة ان يطوفوا به
ثم امر الملايكة الذين في الارض ان يبنوا بيتا في الارض على مثاله
وقدره فبنوا هذا البيت واسمه الضراح وامر من في الارض ان يطوفوا
به كما يطوف اهل السما بالبيت المعمور وروى ان الملايكة بنوه قبل
خلق ادم بالفي عام وكانوا يحجونه فلما حجه ادم قالت الملايكة بر حجك
يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وقال ابن عباس هو اول
بيت بناه ادم في الارض قيل ان ادم لما اهبط الى الارض واستوحش وشكى
الوحشة فامر الله تعالى ببنا الكعبة فبناها وطاف بها وبقي ذلك البنا
الى زمان نوح عليه السلام فلما كان الطوفان رفع الله البيت الى السما
وبقي موضع البيت اكمة بيضا الى ان بعث الله ابراهيم عليه السلام فامر
ببنايه القول الثاني ان المراد من الاولية كونه هذا اول بيت وضع
للناس مباركا ويدل عليه سياق الاية وهو قوله تعالى للذي ببكة
مباركا روي ان رجلا قام الى علي بن ابي طالب فقال الا تخبرني عن البيت
هو اول بيت وضع في الارض قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت
وضع للناس مباركا وهدى وفيه مقام ابراهيم ومن دخله كان امنا
وقال الحسن هو اول مسجد عبد الله فيه وقال مطرف هو اول بيت
وضع للعباد وقال الضحاك هو اول بيت وضع فيه البركة واول بيت
وضع للناس يحج اليه واول بيت جعل قبلة للناس ق عن ابي ذر قال
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اول مسجد وضع في الارض
قال المسجد الحرام قلت ثم اي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال
اربعون عاما ثم لك الارض مسجدا فحيث ما ادركت الصلاة فصل زاد
البخاري فان الفضل فيه وقوله مباركا يعني ذا بركة واصل البركة
النمو والزيادة وقيل هو ثبوت الخير الالهي فيه وقيل هو اول بيت
خص بالبركة وزيادة الخير وقيل لان الطاعات وساير العبادات
يتضاعف ويزاد ثوابها عنده ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه من
المساجد الا المسجد الحرام وهدى للعالمين يعني انه قبلة للمومنين
يهتدون به الى جهة صلاتهم وقيل ان فيه دلالة على وجود الصانع المختار
لما فيه من الايات التي لا يقدر عليها غيره وقيل هو هدى للعالمين الى
الجنة لان من قصده بان صلى اليه او حجه فقد اوجب الله تعالى له
الجنة برحمته قوله تعالى فيه ايات بينات اي فيه دلالات واضحات على
حرمته ومزيد فضله ثم اختلفوا في تفسير تلك الايات فقيل هو
قوله مقام ابراهيم ومن دخله كان امنا وقيل الايات غير مذكورة وهي
ما تدل على فضل هذا البيت منها ان الطير لا يطير فوق الكعبة في الهوا
بل تنحرف عنه اذا وصلت اليه يمينا وشمالا ومنها ان الوحش لا تؤذي
بعضها في الحرم حتى الكلاب لا تهيج الظبا ولا تصطاد ومنها ان الطير اذا
مرض منها شي استشفى بالكعبة ومنها تعجيل العقوبة لمن انتهك حرمة
البيت وما قصده جبار بسوء الا اهلكه الله كما اهلك اصحاب الفيل
وغيرهم ومن الايات التي فيه الحجر الاسود والملتزم والحطيم وزمزم ومشاعر
الحج التي فيه كلها من الايات ومنها ان الامر ببنا هذا البيت هو الجليل
والمهندس له جبريل والباني هو ابراهيم الخليل والمساعد في بنيانه هو
اسمعيل فهذه فضيلة عظيمة لهذا البيت قوله تعالى مقام ابراهيم يعني
الحجر الذي كان يقوم عليه عند بنا البيت وكان فيه اثر قدمي ابراهيم
فاندرس من كثرة المسح بالايدي ومن دخله كان امنا قيل لما كانت
الايات المذكورة عقيب قوله ان اول بيت وضع للناس موجودة في الحرم
علم ان المراد بقوله ومن دخله كان امنا جميع الحرم ويدل عليه ايضا
دعوة ابراهيم حيث قال رب اجعل هذا البلد امنا يعني من ان يهاج
فيه وكانت العرب يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكان من
دخل الحرم امن من القتل والغارة وهو المراد من حكم الاية على قول اكثر
المفسرين قال الله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس
من حولهم وقيل معنى الاية ومن دخله عام عمرة القضا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان امنا وقيل هو خبر بمعنى الامر تقديره ومن دخله
فامنوه وهو قول ابن عباس حتى ذهب ابو حنيفة ان من وجب عليه
القتل قصاصا عمدا كان او حرا فالتجى الى الحرم فانه لا يستوفي منه القصاص
او الحد في الحرم لكنه لا يطعم ولا يبايع ولا يشاري ولا يكلم ويضيق عليه حتى
يخرج من الحرم فيقام عليه الحد خارج الحرم وقال الشافعي اذا اوجب عليه
القصاص خارج الحرم ثم لجا الى الحرم استوفي منه في الحرم واجمعوا على انه
لو قتل في الحرم او سرق او زنا فانه يستوفي منه الحد في الحرم عقوبة له

وقيل في معنى الاية ومن دخله معظما له متقربا الى الله كان امنا من العذاب
يوم القيمة وقيل من دخله كان امنا من الذنوب يوم القيمة وقيل من
دخله كان امنا من الذنوب الذي اكتسبها قبل ذلك **قوله عز وجل**
ولله على الناس حج البيت اي ولله على الناس فرض حج البيت والحج احد
اركان الاسلام ق عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام
الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان فعد النبي صلى الله عليه وسلم
الحج من اركان الاسلام الخمسة **من استطاع اليه سبيلا** يعني وفرض الحج
واجب على من استطاع من اهل التكليف ووجد السبيل الى حج البيت الحرام

فصل في فضل البيت والحج والعمرة ق عن ابي ذر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول بيت وضع للناس مباركا يصلى
فيه الكعبة قلت ثم اي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون
عاما عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الحجر
الاسود من الجنة وهو اشد بياضا من اللبن وانما سودته خطايا بني ادم
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الحجر والله ليبعثنه الله يوم القيمة وله عينان
يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق وله عن عبد الله بن عمرو
ابن العاصي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن
والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لاضا
ما بين المشرق والمغرب قال الترمذي وهذا يروي عن ابن عمرو موقوفا
ق عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى
ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الاقصى ق عن ابي
سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى
ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى م عن ابي
هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس قد
فرض عليكم الحج فحجوا فقال له رجل في كل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها
ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما
استطعتم عن ابن عمر قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا
رسول الله ما يوجب الحج قال الزاد والراحلة اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن وابراهيم بن يزيد الجوزي المكي قد تكلم فيه اهل العلم من قبل
حفظه ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العمرة الى
العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وفي رواية سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج لله عز وجل وفي لفظ من حج

هذا

هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه اخرجه الترمذي
وقال غفر له ما تقدم من ذنبه عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الذنوب والفقر كما ينفي
الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة
وما من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح غريب وله عن سهل بن سعد قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يلبي الا لبى ما عن يمينه وشماله من
حجر او شجر او مدر حتى تنقطع الارض من ههنا وههنا قال الترمذي هذا
حديث غريب وله عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه
قال الترمذي هذا حديث غريب **فصل** في احكام
تتعلق بالحج قال العلماء الحج واجب على كل مسلم وهو احد اركان الاسلام
الخمسة ولوجوب الحج خمس شرايط الاسلام والبلوغ والعقل والحرية
والاستطاعة ولا يجب على الكافر والمجنون ولو حجا لم يصح لان الكافر
ليس من اهل القربة ولا حكم لقول المجنون ولا يجب على الصبي والعبد
ولو حج صبي يعقل او عبد صح حجهما تطوعا ولا يسقط الفرض فاذا بلغ
الصبي وعتق العبد واجتمع فيهما شرايط الحج وجب عليهما ان يحجا ثانيا
ولا يجب على غير المستطيع لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من
استطاع اليه سبيلا فلو تكلف غير المستطيع الحج وحج صح حجه وسقط عنه
فرض حجة الاسلام والاستطاعة نوعان احدهما ان يكون مستطيعا بنفسه
وهو ان يكون قويا قادرا على الذهاب ووجد الزاد والراحلة لما تقدم
من حديث ابن عمر في الزاد والراحلة لا يثبت لانه ليس بمتصل وانما
المرفوع انما رواه ابراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد عن ابن عمر عن النبي صلى
الله عليه وسلم وابراهيم متروك الحديث قال يحيى بن معين ابراهيم
ليس بثقة قال ابن المنذر واختلف العلماء في قوله تعالى من استطاع
اليه سبيلا فقالت طايفة الاية على العموم اذ لا نعلم خبرا ثابتا عن النبي
صلى الله عليه وسلم ولا اجماعا لاهل العلم يوجب ان يستثنى من ظاهر
الاية بعضا فعلى كل مستطيع للحج يجد اليه السبيل باي وجه كانت الاستطاعة
للحج على ظاهر الاية قال وروينا عن عكرمة انه قال الاستطاعة الصحة
وقال الضحاك اذا كان شابا صحيحا فليوجر نفسه باكله وعقبه حتى يقضي
نسكه وقال مالك الاستطاعة على اطاقة الناس الرجل يجد الزاد والراحلة
ولا يقدر على المشي على رجليه واخر يقدر على المشي على رجليه وقالت طايفة
الاستطاعة الزاد والراحلة كذلك قال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد

واحمد بن حنبل واحتجوا بحديث ابن عمر المتقدم وقال الشافعي
الاستطاعة وجهان احدهما ان يكون الرجل مستطيعا ببدنه واجدا من
ماله ما يبلغه الحج فتكون استطاعته تامة فعليه فرض الحج والثاني لا
يقدر ان يثبت على الراحلة وهو قادر على من يطيعه اذا امره ان يحج عنه
او قادر على مال ويجد من يستاجره فيحج عنه فيكون هذا ممن لزمه فرض
الحج اما حكم الزاد والراحلة فهو ان يجد راحلة تصلح له ووجد من الزاد ما
يكفيه لذهابه ورجوعه فاضلا عن نفقته ونفقة من تلزمه نفقتهم وكسوتهم
وعن دين ان كان عليه ووجد رفقة يخرجون في وقت جرت العادة بخروج
اهل البلد في ذلك الوقت فان خرجوا قبله او اخروا الخروج الى وقت
لا يصلون الا بقطع اكثر من مرحلة لا يلزمه الخروج معهم ويشترط ان
يكون الطريق امنا فان كان فيه خوف من عدو مسلم او كافر او رصدي
يطلب الخفارة لا يلزمه ويشترط ان يكون منازل الماء هو له معمورة يجد
فيها ما جرت العادة بوجوده من الماء والزاد فان تفرق اهلها لجدب او
غارسا فيها فلا يلزمه الخروج ولو لم يجد الراحلة وهو قادر على المشي
او لم يجد الزاد وهو قادر على الاكتساب لا يلزمه الحج عند من جعل وجدان
الزاد والراحلة شرطا لوجوب الحج ويستحب له ان يفعل ذلك ويلزمه
الحج عند مالك واما المستطيع بغيره فهو ان يكون الرجل عاجزا بنفسه
فان كان زمنا او به مرض لا يرجى برؤه وله مال يمكنه ان يوجر من يحج
عنه فيجب عليه ان يوجر من يحج عنه وان لم يكن له مال وبذل له ولده
او اجنبي الطاعة ان يحج عنه لزمه الحج ان كان يعتمد على صدقه لان وجوب الحج
متعلق بالاستطاعة وعند ابي حنيفة لا يجب الحج ببذل الطاعة وعند
مالك لا يجب على من غصب ماله فحجة من اوجب الحج ببذل الطاعة
ما روي عن ابن عباس قال كان الفضل بن عباس رديف رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجاءته امراة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر
اليها وتنظر اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه
الفضل الى الشق الاخر قالت يا رسول الله ان فريضة الله على عباده
في الحج ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يثبت على الراحلة افاحج
عنه قال نعم وذلك في حجة الوداع اخرجاه في الصحيحين قوله
تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين يعني ومن جحد ما الزمه
الله من فرض حج بيته وكفر به فان الله غني عنه وعن حجه وعمله
وعن جميع خلقه وقيل نزلت فيمن وجد ما يحج ثم مات ولم يحج فهو كفر
به لما روي عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه

ان

ان يموت يهوديا او نصرانيا وذلك ان الله تعالى يقول ولله على
الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا اخرجه الترمذي وقال
هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وفي اسناده مقال
وهلال بن عبد الله مجهول والحديث يضعف في الحديث فقيل هو الذي
ان حج لم يره برا وان قعد لم يره اثما وقيل نزلت في اليهود وغيرهم
من اصحاب الملل حيث قالوا انا مسلمون فنزلت ولله على الناس
حج البيت فلم يحجوا وقالوا الحج الى مكة غير واجب وكفروا به فنزلت
ومن كفر فان الله غني عن العالمين فعلى هذه الاقوال تكون هذه
متعلقة بما قبلها وقيل انها كلام مستانف ومعناه ومن كفر بالله
واليوم الاخر فان الله غني عن العالمين **قوله عز وجل**
قل يا اهل الكتاب قيل الخطاب لعلماء اهل الكتاب الذين علموا
صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الخطاب لجميع اهل الكتاب
اليهود والنصارى الذين انكروا نبوته لم تكفرون بايات الله يعني
الايات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وصدق
والمعنى لم تكفرون بايات الله التي دلتكم على صدق محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل المراد بايات الله القران ومحمد صلى الله عليه وسلم والله
شهيد على ما تعملون اي والله شهيد على اعمالكم فيجازيكم عليها قل يا
اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن يعني لم تصرفون عن
دين الله من امن وكان صدهم عن سبيل الله بالقاء الشبهة والشكوك
وذلك بانكارهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم تبغونها عوجا
يعني زيغا وميلا عن الحق والعوج بالكسر الزيغ والميل عن الاستوا
في الدين والقول والعمل وكل ما لا يرى فاما الشيء الذي يرى كالحائط
والقناة ونحو ذلك يقال فيه عوج بفتح العين والها في قوله تبغونها
عائدة على السبيل والمعنى لم تبطلون الزيغ والميل في سبيل الله
بالقاء الشبه في قلوب الضعفة وانتم شهداء قال ابن عباس يعني
وانتم شهداء ان في التوراة مكتوبا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته
وان دين الله الذي لا يقبل غيره هو الاسلام وقيل معناه وانتم تشهدون
المعجزات التي تظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته
وما الله بغافل عما تعملون فيه وعيد وتهديد لهم وذلك انهم كانوا
يجتهدون ويحتالون بالقاء الشبهة في قلوب الناس ليصدوهم عن سبيل
الله والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم فلذلك قال الله تعالى وما
الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من
الذين اوتوا الكتاب الاية قال زيد بن اسلم مر شاس بن قيس اليهودي

وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين فمر بنفر من الاوس
والخزرج وهم في مجلس يتحدثون فيه فغاظه ما راى من الفتهم وصلاح
ذات بينهم في الاسلام بعد الذى كان بينهم من العداوة في الجاهلية
وقال قد اجتمع ملا بني قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا
من قرار فامر شابا من اليهود كان معه فقال اعمد اليهم واجلس معهم
ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان فيه وانشدهم بعض ما كانوا يتقاولون
فيه من الاشعار وكان يوم بعاث وما كان قبله وانشدهم بعض ما كانوا
كانوا يتقاولون فيه من الاشعار وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الاوس
والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند
ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب
وهما اوس بن قيظي احد بني حارثة من الاوس وجبار بن صخر احد
بني سلمة فتقاولا فقال احدهما لصاحبه ان شئتم والله رددناها اليوم
جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالا قد فعلنا السلاح السلاح
موعدكم الظاهر وهو الحرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج
بعضهم الى بعض على دعواهم في الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم
فقال يا معشر المسلمين ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ
اكرمكم الله بالاسلام وقطع عنكم امر الجاهلية والف بينكم ترجعون
الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم انها نزغة من الشيطان
وكيد من عدوهم فالقوا السلاح من ايديهم وبكوا وعانق بعضهم
بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين
مطيعين قال جابر فما رايت يوما اقبح اولا واحسن اخرا من ذلك
اليوم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من
الذين اوتوا الكتاب يعني شاسا اليهودى واصحابه **يردوكم بعد
ايمانكم كافرين** والكفر يوجب الهلاك في الدنيا بوقوع العداوة
والبغضاء وهيجان الفتنة والحرب وسفك الدما وفي الاخرة النار
قال تعالى **وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله**
وكلمة كيف كلمة تعجب والتعجب انما يليق بما لا يعلم السبب وذلك
على الله محال فالمراد منه المنع والتغليظ وذلك لان تلاوة
ايات الله وهي القران حالا بعد حال وكون رسول الله صلى الله
عليه وسلم يرشدكم الى مصالحكم وذلك يمنع وقوع الكفر وكان
وقوع الكفر منهم بعيد على هذا الوجه قال قتادة في هذه الاية
علمان بينان كتاب الله تعالى ونبي الله صلى الله عليه وسلم اما نبي الله

فقد

فقد مضى واما كتاب الله فقد ابقاه الله بين اظهركم رحمة منه
ونعمة **م** عن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوما فينا خطيبا بما يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله واثنى
عليه ووعظ الناس وذكرهم ثم قال اما بعد الا ايها الناس انما انا بشر يوشك
ان ياتيني رسول ربي فاجيب وانا تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه
الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب
فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي وقوله تعالى **ومن يعتصم
بالله** اى يمتنع بالله ويستمسك بدينه وطاعته واصل العصمة الامن من
الوقوع في افة وفيه حث على الالتجا الى الله تعالى في دفع شر الكفار عنهم
فقد هدى الى صراط مستقيم اى الى طريق واضح وهو الحق المودى الى الجنة

قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته** قال مقاتل
ابن حيان كان بين الاوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال فلما هاجر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اصلح بينهم فافتخر بعد ذلك
منهم رجلان وهما ثعلبة بن غنم من الاوس واسعد بن زرارة من الخزرج فقال
الاوسي منا خزيمة بن ثابت بن افلح حمي الدين ومنا سعد بن معاذ الذي
اهتز عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه في بني قريظة وقال الخزرجي منا اربعة
احكموا القران ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد ومنا
سعد بن عبادة خطيب الانصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وانشدا
الاشعار وتفاخرا فجا الاوس والخزرج ومعهم السلاح فاتاهم النبي صلى الله
عليه وسلم فاصلح بينهم فانزل الله عز وجل هذه الاية يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا
يكفر ويذكر فلا ينسى وقال مجاهد هو ان يجاهدوا في الله حق جهاده و. لا
تاخذكم في الله لومة لائم وتقوموا لله بالقسط ولو على انفسكم واباءكم
وابنائكم وعن انس قال لا يتقى الله عبد حق تقاته يعني واجب تقواه وهو
القيام بالواجب واجتناب المحارم واختلف العلما في هذا القدر من هذه
الاية هل هو منسوخ ام لا على قولين احدهما انه منسوخ وذلك انه لما
نزلت هذه الاية شق ذلك على المسلمين وقالوا يا رسول الله ومن يقوى
على هذا فانزل الله تعالى الناسخ وهو قوله تعالى في سورة التغابن فاتقوا
الله ما استطعتم وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد
والسدى والقول الثاني انها محكمة غير منسوخة وهو رواية عن ابن عباس
ايضا وبه قال طاوس وموجب هذا الاختلاف يرجع الى معنى هذه الاية
فمن قال انها منسوخة قال حق تقاته هو ان ياتي العبد بكل ما يجب لله
ويستحقه فهذا يعجز العبد عن الوفا به فتحصيله ممتنع ومن قال بانها محكمة

قال ان حق تقاته اذا ما يلزم العبد على قدر طاقته فكان قوله اتقوا
الله ما استطعتم مفسرا لحق تقواه لا ناسخا ولا مخصصا فمن اتقى الله ما
استطاع فقد اتقى الله حق تقواه وقيل معنى حق تقاته كما يحق ان يتقى
وذلك بان يجتنب جميع معاصيه وقيل في معنى قول ابن عباس هو
ان يطاع فلا يعصى هذا صحيح والذي يصدر عن العبد على سبيل
السهو والنسيان غير قادح فيه لان التكليف في تلك الحال مرفوع عنه
وكذلك قوله وان يشكر فلا يكفر وذلك واجب على العبد حضور ما
انعم الله عليه بالبال واما عند السهو فلا يجب عليه وكذلك قوله
وان يذكر فلا ينسى فان هذا انما يجب عند الدعا والعبادة لا عند
السهو والنسيان وقوله تعالى **ولا تموتن الا وانتم مسلمون** لفظ النهى
واقع على الموت والمعنى واقع على الامر بالاقامة على الاسلام المعنى
كونوا على الاسلام فان اورد عليكم الموت صادفكم على ذلك وقيل هذا
في الحقيقة نهي عن ترك الاسلام لا تتركوا الاسلام فان الموت لا بد منه
فمتى جاكم صادفكم وانتم على الاسلام لانه لما كان يمكنهم الثبات على الاسلام
بمنزلة ما قد دخل في امكانهم وقيل معناه ولا تموتن الا وانتم مسلمون
مخلصون مفوضون الى الله اموركم محسنون الظن به عز وجل عن ابن
عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية اتقوا الله حق
تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون فقال لو ان قطرة من الزقوم قطرت
في دار الدنيا لافسدت على اهل الارض معايشهم فكيف بمن يكون
طعامه اخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح قوله عز
وجل **واعتصموا بحبل الله جميعا** اي تمسكوا بحبل الله والحبل هو السبب
الذي يتوصل به الى البغية وسمى الايمان حبلا لانه سبب يتوصل به
الى زوال الخوف وقيل حبل الله هو السبب الذي به يتوصل اليه فعلى
هذا اختلفوا في معنى الاية فقال ابن عباس معناه تمسكوا بدين الله
لانه سبب يوصل اليه وقيل حبل الله هو القران لانه ايضا سبب يوصل
اليه وفي افراد مسلم من حديث زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الا واني تارك فيكم ثقلين احدهما كتاب الله هو حبل الله
من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة الحديث عن ابن
مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القران هو حبل الله
المتين وهو النور المبين والشفا النافع عصمة لمن تمسك به ذكره البغوي
بغير سند وقال ابن مسعود هو الجماعة وقال عليكم بالجماعة فانها حبل
الله الذي امر به وانما تكرهون من الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة
وقيل بحبل الله يعني بامر الله وطاعته **ولا تفرقوا** يعني كما تفرقت اليهود

والنصارى

والنصارى وقيل ولا تفرقوا يعني كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين
يعادي بعضكم بعضا وقيل معناه ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول
معه الاجتماع والالفة التي انتم عليها ففيه النهي عن التفرق والاختلاف
والامر بالاتفاق والاجتماع لان الحق لا يكون الا واحدا وما عدا ذلك
يكون جهلا وضلالا واذا كان كذلك وجب النهي عن الاختلاف في الدين
وعن الفرقة لان ذلك كان عادة اهل الجاهلية فنهوا عنه وروى البغوي
بسنده عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله
يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا
وان تعتصموا بحبل الله جميعا وان تناصحوا من ولى الله امركم ويسخط لكم
قيل وقال واضاعة المال وكثرة السوال قوله تعالى **واذكروا نعمة الله
عليكم اذ كنتم اعدا فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا** قال مجاهد
ابن اسحق وغيره من اهل الاخبار كان الاوس والخزرج اخوين لاب وام فوقعت
بينهما عداوة فقتيل ثم تطاولت تلك العداوة والحروب بينهم مائة
وعشرين سنة الى ان اطفا الله ذلك بالاسلام والف بينهم بنبيه محمد صلى
الله عليه وسلم وسبب ذلك ان سويد بن الصامت اخا بني عمرو بن عوف
وكان شريفا تسميه قومه الكامل لجلده ونسبه فقدم مكة حاجا او معتمرا
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وامر بالدعوة فتصدى له
حين سمع به ودعاه الى الله عز وجل والى الاسلام فقال له سويد فلعل
الذي معك مثل الذي معي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
الذي معك قال مجلة لقمان يعني حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم اعرضها علي فعرضها عليه فقال ان هذا الكلام حسن
ومعي افضل من هذا قران انزله الله عز وجل علي نور وهدى فتلى
عليه القران ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا القول
حسن ثم انصرف الى المدينة فلم يلبث ان قتله الخزرج يوم بعاث وان
قومه يقولون قد قتل وهو مسلم ثم قدم ابو الحيسر انس بن رافع ومعه
فتية من بني عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش
على قومهم من الخزرج فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتاهم وجلس اليهم وقال لهم هل لكم الى خير مما جيتم له قالوا وما هو قال
انا رسول الله بعثني الله الى العباد ادعوهم الى ان لا يشركوا بالله شيا
وانزل علي الكتاب ثم ذكر الاسلام وتلى عليهم القران فقال اياس بن
معاذ وكان غلاما حدثا اي قوم هذا والله خير مما جيتم له فاخذ ابو
الحيسر حفنة من البطحا فضرب بها وجه اياس وقال دعنا منك لعمري
لقد جينا لغير هذا فصمت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم

عنهم وانصرفوا الى المدينة فكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج
فلم يلبث اياس بن معاذ ان هلك فلما اراد الله عز وجل اظهار دينه
واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى
الموسم الذى لقى فيه النفر من الانصار فعرض نفسه على القبايل من
العرب كما كان يصنع فى كل موسم فلقى عند العقبة رهطا من الخزرج اراد الله
بهم خيرا وهم ستة نفر اسعد بن زرارة وعوف بن الحرث وهو ابن عفرا
ورافع بن ملك العجلاني وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر
ابن نابى وجابر بن عبد الله رضى الله عنهم فقال لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم من انتم قالوا نفر من الخزرج قال امن موالى يهود قالوا نعم
قال افلا تجلسون حتى اكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز
وجل وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القران قال وكان مما صنع الله
لهم به فى الاسلام ان يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا اهل كتاب وعلم
وهم اهل اوثان وشرك وكانوا اذا كان بينهم شى قالوا ان نبينا الان مبعوث
قد اظل زمانه نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله صلى الله
عليه وسلم اوليك النفر ودعاهم الى الله عز وجل قال بعضهم لبعض يا قوم
تعلمون والله انه النبى الذى توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فاجابوه
وصدقوه واسلموا وقالوا انا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر
ما بينهم فعسى الله ان يجمعهم بك وسنقدم عليهم وندعوهم الى امرك فان
يجمعهم الله عليك فلا رجل اعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم راجعين الى بلادهم فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور
الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان العام المقبل
وافا الموسم من الانصار اثنى عشر رجلا وهم اسعد بن زرارة وعوف ومعاذ
ابنا عفرا ورافع بن ملك العجلانى وذكوان ابن عبد القيس وعبادة بن
الصامت ويزيد بن ثعلبة وعباس بن عبادة وعقبة بن عامر وقطبة بن
عامر هولا خزرجيون وابو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة من الاوس
فلقوه بالعقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة
النسا على ان لا يشركن بالله شيا ولا يسرقن ولا يزنين الاية فان وفيتم
فلكم الجنة وان غشيتم شيا من ذلك فاخذتم بحده فى الدنيا فهو كفارة
وان ستر عليكم فامركم الى الله عز وجل ان شا عذبكم وان شا غفر لكم قال
وذلك قبل ان يفرض الحرب قال فلما انصرف القوم بعث معهم مصعب
ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف وامرهم ان يقراهم القران ويعلمهم الاسلام
ويفقههم فى الدين وكان يسمى مصعب بالمدينة المقرى وكان منزله على

اسعد

اسعد بن زرارة ثم ان اسعد بن زرارة خرج ومصعب فدخل به حايطا من
حوايط بنى ظفر فجلسا فى الحايط واجتمع اليهما رجال ممن اسلم فقال سعد
ابن معاذ لاسيد بن حضير انطلق الى هذين الرجلين اللذين اتيا دارنا
ليسفها ضعفانا فازجرهما فان اسعد ابن خالتى ولولا ذلك لكفيتك وكان
سعد بن معاذ واسيد بن حضير سيدى قومهما من بنى عبد الاشهل وهما
بعد مشركان فاخذ اسيد بن حضير حربته ثم اقبل الى مصعب واسعد وهما
جالسان فى الحايط فلما راه اسعد بن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه
قد جاك فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس اكلمه فلما وقف عليهما متشتما
وقال ما جا بكما الينا تسفها ضعفانا اعتزلا ان كان لكما فى انفسكما حاجة
فقال له مصعب او تجلس فتسمع فان رضيت امرا قبلته وان كرهته
كف عنك ما تكره قال انصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب
بالاسلام وقرا عليه القران قالا والله لعرفنا الاسلام فى وجهه قبل ان
يتكلم فى اشراقه وتسهله ثم قال ما احسن هذا واجمله كيف تصنعون
اذا اردتم ان تدخلوا فى هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثوبك وتشهد شهادة
الحق ثم تصلى ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق ثم صلى
ركعتين ثم قال ان ورايى رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه واحد من قومه
وسارسله اليكما الان سعد بن معاذ ثم اخذ حربته وانصرف الى سعد
وقومه وهم جلوس فى ناديهم فلما نظر سعد الى اسعد مقبلا قال احلف
بالله لقد جاكم اسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف اسيد
على النادى فقال له سعد ما فعلت فان كلمت الرجلين فوالله ما رايت
بهما باسا وقد نهيتهما فقالا لا نفعل الا ما احببت وقد حدثت بان بنى
حارثة خرجوا الى اسعد بن زراره ليقتلوه وذلك انهم عرفوا انه ابن
خالتك ليحقروك فقام سعد مغضبا للذى ذكره من بنى حارثة فاخذ
الحربة ثم قال والله ما اراك اغنيت شيا فانصرف اليهما فلما راهما
مطمينين عرف ان اسيدا انما اراد ان يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم
قال لاسعد بن زراره والله لولا ما بينى وبينك من القرابة ما رمت
هذا منى تغشانا فى دارنا بما نكره وقد كان اسعد قال لمصعب جاك
والله سيد قومه ان يتبعك لم يخالفك احد منهم فقال له مصعب او تقعد
فتسمع فان رضيت امرا ورغبت فيه قبلته وان كرهت نحينا عنك ما تكره فقال
سعد انصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه مصعب الاسلام وقرا عليه
القران قالا فعرفنا والله الاسلام فى وجهه قبل ان يتكلم به فى اشراق وجهه
وتسهله ثم قال كيف تصنعون اذا اسلمتم ودخلتم فى هذا الدين قالا تغتسل
وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين فقام واغتسل وطهر

ثوبه وشهد شهادة الحق وركع ركعتين ثم اخذ حربته واقبل عامدا الى
نادي قومه ومعه اسيد بن حضير فلما راه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد
رجع سعد اليكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم
فقال يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون امري فيكم قال سيدنا وافضلنا
رايا وايمننا نقيبة قال فان كلام رجالكم ونسايكم على حرام حتى تومنوا
بالله ورسوله فما امسى في دار بني عبد الاشهل رجل ولا امراة الا مسلم
ومسلمة ورجع اسعد بن زرارة ومصعب بن عمير الى منزل اسعد فاقام
عنده يدعو الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور الانصار الا وفيها
رجال ونسا مسلمون ومسلمات الا ما كان من دار امية بن زيد وحطمة
ووايل وواقف وذلك وذلك انه كان فيهم ابو قيس بن الاسلت الشاعر
وكانوا يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الاسلام حتى هاجر رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر واحد والخندق قالوا
ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج معه من الانصار من المسلمين
سبعون رجلا مع حجاج قومهم من اهل الشرك حين قدموا مكة فواعدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من اوسط ايام التشريق وهي
بيعة العقبة الثانية قال كعب بن مالك وكان قد شهد ذلك فلما
فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومعنا عبد الرحمن بن عمرو بن ابو جابر اخبرناه وكنا نكتم من معنا
من المشركين من قومنا امرنا فكلمناه وقلنا يا ابا جابر انت سيد من
ساداتنا وشريف من اشرافنا وانا نرغب بك عن ما انت فيه ان
تكون حطبا للنار غدا ودعوناه الى الاسلام فاسلم فاخبرناه بميعاد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة وكان نقيبا فنمنا
تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى ثلثا الليل خرجنا لميعاد
رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل مستخفين تسلل القطا حتى اذا
اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا ومعنا امراتان
من نسايبنا اسية بنت كعب ام عمارة احدى نسا بني النجار واسما بنت
عمرو بن عدي ام منيع احدى نسا بني سلمة فاجتمعنا بالشعب ننتظر
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جانا ومعه عمه العباس بن عبد
المطلب وهو يومئذ على دين قومه الا انه احب ان يحضر امر ابن اخيه
ويتوثق عليه فلما جلسنا اول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال
يا معشر الخزرج وكانت العرب يسمون هذا الحي من الانصار الخزرج
خزرجها واوسها ان محمدا منا حيث علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو
على مثل راينا وهو في عز من قومه ومنعة في بلده وانه قد ابى الا الانقطاع

اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه
ممن خالفه فانتم وما تحملتم به من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه
بعد الخروج اليكم فمن الان فدعوه فانه في عز ومنعة قال فقلنا قد سمعنا
ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما شيت فتكلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلى القران ودعى الى الله عز وجل
ورغب في الاسلام ثم قال ابايعكم على ان تمنعوني بما تمنعون عنه
انفسكم ونسايكم وابنايكم قال فاخذ البرا ابن معرور بيده ثم قال والذي
بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه ازرنا فبايعنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنحن اهل الحرب واهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر فاعترض
القول والبرا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو الهيثم بن التيهان
فقال يا رسول الله ان بيننا وبين الناس حبالا يعني عهودا وانا
قاطعوها فهل عسيت ان فعلنا ذلك ثم اظهرك الله ان ترجع الى قومك
وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم
والهدم الهدم انتم مني وانا منكم احارب من حاربتم واسالم من سالمتم وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجوا الي منكم اثني عشر نقيبا كفلا على
قومهم بما فيهم ككفالة الحواريين عيسى بن مريم فاخرجوا اثني عشر نقيبا
تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس قال عاصم بن عمرو بن قتادة ان
القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن
عبادة بن نضلة الانصاري يا معشر الخزرج هل ترون على ما تبايعون
هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود فان كنتم ترون انكم
اذا انهكت اموالكم مصيبة واشرافكم قتلا اسلمتموه فمن الان فهو والله خزي
في الدنيا والاخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة
الاموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والاخرة قالوا فانا
ناخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف فما لنا بذلك يا رسول الله
ان نحن وفينا قال الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه واول
من ضرب على يده البرا بن معرور ثم تتابع القوم قال فلما بايعنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من راس العقبة بانفذ صوت
ما سمعته قط يا اهل الجباجب هل لكم في مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على
حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عدو الله هذا ازب العقبة
يعني شيطان اسمع اي عدو الله اما والله لافرغن لك ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انفضوا الى رحالكم فقال العباس بن عبادة بن نضلة
والذي بعثك بالحق لين شيت لنميلن على اهل منا باسيافنا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نومر بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم

فرجعنا الى مضاجعنا فنمنا عليها حتى اصبحنا فلما اصبحنا غدت
علينا جلة قريش حتى جاونا في منازلنا فقالوا يا معشر الخزرج بلغنا
انكم جيتم صاحبنا هذا لتستخرجوه من بين اظهرنا وتبايعونه على
حربنا وانه والله ما حي من العرب ابغض الينا ان تنشب الحرب بيننا
وبينكم منكم قال فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما
كان من هذا شي وما علمناه وصدقوا لم يعلموا به وبعضنا ينظر الى
بعض وقام القوم وفيهم الحرث بن هشام بن المغيرة المخزومي وعليه
نعلان جديدتان قال فقلت له كلمة كاني اريد ان اشرك القوم بها
فيما قالوا يا جابر اما تستطيع ان تتخذ وانت سيد من ساداتنا مثل
نعلي هذا الفتى من قريش قال فسمعها الحرث فخلعهما من رجليه
ورمى بهما الي وقال والله لتنتعلنهما قال ابو جابر مه والله احفظت
الفتى فاردد اليه نعليه قال قلت لا اردهما قال والله يا ابا صالح
لين صدق الفال لاسلبنه قال ثم انصرف الانصار الى المدينة وقد
شددوا العقد فلما قدموها اظهروا الاسلام بها وبلغ ذلك قريشا
فاذوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله قد جعل لكم اخوانا ودارا تامنون بها فامرهم
بالهجرة الى المدينة واللحوق باخوانهم من الانصار فاول من هاجر الى
المدينة ابو سلمة ابن عبد الاسد المخزومي ثم عامر بن ربيعة ثم عبد
الله بن جحش ثم تتابع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا
الى المدينة ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجمع الله
عز وجل اهل المدينة اوسها وخزرجها بالاسلام واصلح ذات بينهم
بنبيه عليه افضل الصلاة والسلام وانزل الله عز وجل واذكروا يعني
يا معشر الانصار نعمة الله عليكم يعني بالاسلام اذ كنتم اعدا يعني قبل
الاسلام فالف بين قلوبكم يعني بالاسلام وبنبيه عليه الصلاة والسلام
فاصبحتم بنعمته اخوانا يعني فصرتم بدينه وبرحمة الاسلام اخوانا في
الدين والولاية بعد العداوة **وكنتم** يا معشر الاوس والخزرج **على شفا
حفرة من النار** يعني طرف حفرة مثل شفا البير ليس بينكم وبين الوقوع
في النار الا ان تموتوا على كفركم **فانقذكم منها** اي فخلصكم بالايمان من الوقوع
في النار **كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون** قوله تعالى
ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
اللام في قوله ولتكن لام الامر اي لتكن منكم دعاة الى الخير منكم وقيل ان كلمة
من في قوله منكم للتبيين لا للتبعيض وذلك لان الله تعالى عز وجل اوجب
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الامة في قوله كنتم خير امة اخرجت

للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فيجب على كل مكلف الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر اما بيده او بلسانه او بقلبه **م** عن ابي سعيد
الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من راى منكم
منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك
اضعف الايمان فعلى هذا يكون معنى الاية كونوا امة دعاة الى الخير
امرين بالمعروف ناهين عن المنكر ومن قال بهذا القول يقول ان
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية اذا قام به واحد سقط
الفرض عن الباقين وقيل ان من هنا للتبعيض وذلك لان في الامة
من لا يقدر على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لعجز او ضعف فحسن
ادخال لفظة من في قوله ولتكن منكم امة وقيل ان الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر انما يختص بالعلما وولاة الامر فعلى هذا يكون المعنى
ليكن بعضكم امرا بالمعروف ناهيا عن المنكر **خ** عن النعمان بن بشير عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل القايم في حدود الله والواقع فيها
كمثل قوم استهموا على سفينة فاصاب بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها
فكان الذي في اسفلها اذا استقوا من الما مروا على من فوقهم فقالوا
لو انا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نوذ من فوقنا فان تركوهم وما ارادوا
هلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا والخير المذكور في الاية
هو كل شي يرغب فيه من الافعال الحسنة وقيل هو هنا كناية عن الاسلام
والمعنى لتكن امة اي جماعة دعاة الى الاسلام والى كل فعل حسن يستحسن
في الشرع والعقل وقيل الدعوة الى فعل الخير يندرج تحتها نوعان احدهما
الترغيب في فعل ما ينبغي وهو الامر بالمعروف والثاني الترغيب في ترك
ما لا ينبغي وهو النهي عن المنكر فذكر الجنس اولا وهو الخير ثم اتبعه بنوعيه
مبالغة في البيان والمعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع حسنه
والمنكر ضد ذلك وهو ما عرف بالعقل والشرع قبحه وقوله تعالى **واوليك
هم المفلحون** تقدم تفسيره قوله عز وجل **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا**
يعني ولا تكونوا يا معشر المومنين كالذين تفرقوا يعني اهل الكتاب وهم
اليهود والنصارى في قول اكثر المفسرين واختلفوا اي في دين الله وامره
ونهيه وقيل تفرقوا واختلفوا بمعنى واحد وانما ذكرهما للتاكيد وقيل
تفرقوا بسبب العداوة واتباع الهوى واختلفوا في الدين فصاروا فرقا
مختلفين قال الربيع في هذه الاية هم اهل الكتاب نهى الله اهل الاسلام
ان يتفرقوا او يختلفوا كما تفرق واختلف اهل الكتاب قال ابن عباس امر الله
المومنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة واخبرهم انما هلك من
كان قبلهم بالمرا والخصومات في الدين وقال بعضهم هم المبتدعة من هذه

الامة وقال ابو امامة هم الحرورية قال عبد الله بن شداد وقف ابو
امامة وانا معه على روس الحرورية على درج جامع دمشق فذرفت
عيناه ثم قال كلاب اهل النار وكانوا مومنين فكفروا بعد ايمانهم
شر قتيل تحت اديم السما وخير قتيل تحت اديم السما الذين قتلهم هولا
قلت فما شانك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام
فكفروا بعد ايمانهم ثم اخذ بيدي وقال ان بارضي منهم كثير وفي رواية
ثم قرا بعد قوله فكفروا بعد ايمانهم ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا
الى قوله اكفرتم بعد ايمانكم ورواه الترمذي عن ابي غالب قال راي
ابو امامة روسا منصوبة على درج دمشق فقال ابو امامة كلاب اهل
النار شر قتلى تحت اديم السما خير قتلى من قتلوه ثم قرا يوم تبيض
وجوه وتسود وجوه الى اخر الاية قلت لابي امامة انت سمعته من رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لو لم اسمعه الا مرة او مرتين او ثلاث مرات
او اربع حتى عد سبعا ما حدثتكموه وقال فيه هذا حسن وقوله تعالى
من بعد ما جاءهم البينات يعني الحجج الواضحات فعلموها ثم خالفوها
وانما قال جاءهم ولم يقل جاءتهم لجواز حذف علامة التانيث من الفعل
في التقديم تشبيها بعلامة التثنية والجمع **واوليك لهم عذاب عظيم**
في الاخرة وفيه زجر عظيم للمومنين عن التفرق والخلاف عن ابي ذر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة
الاسلام من عنقه اخرجه ابو داود اراد بربقة الاسلام عقد الاسلام
واصله ان الربق حبل فيه عدة عرى يشد به الغنم الواحدة من العرى
ربقة وروي البغوي بسنده عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من سره ان يسكن بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة
فان الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين ابعد بحبوحة الجنة وسطها
والفذ هو الواحد قوله تعالى **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه** يعني
اذكروا يوم تبيض فيه وجوه المومنين وتسود وجوه الكافرين وقيل
تبيض وجوه اهل السنة وتسود وجوه اهل البدعة وقيل تبيض وجوه
المخلصين وتسود وجوه المنافقين وفي بياض الوجوه وسوادها
قولان احدهما ان البياض كناية عن الفرح والسرور والسواد عبارة
عن الغم والحزن وهذا مجاز مستعمل يقال لمن نال بغيته وظفر بمطلوبه
ابيض وجهه يعني من السرور والفرح ولمن ناله مكروه اسود وجهه
واربد لونه يعني من الحزن والغم قال الله تعالى واذا بشر احدهم
بالانثى ظل وجهه مسودا يعني من الحزن فعلى هذا ابياض الوجوه
اشراقها وسرورها واستبشارها بعملها وذلك ان المومن اذا ورد

القيمة على ما قدم من خير وعمل صالح استبشر بثواب الله ونعمه عليه
فاذا كان كذلك وسم وجهه ببياض اللون واشراقه واستنارته وابيضت
صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه وعن يمينه وشماله واما
الكافر والظالم اذا ورد القيمة على ما قدم من قبيح عمل وسيات حزن
واغتم لعلمه بعذاب الله فاذا كان كذلك وسم وجهه بسواد اللون
وكمودة واسودت صحيفته واظلمت واحاطت به من الظلمة من كل جانب
نعوذ بفضل الله وسعة رحمته من الظلمات يوم القيمة والقول الثاني
بياض الوجوه وسوادها حقيقة تحصل في الوجه فيبيض وجه المومن
ويكسا نورا ويسود وجه الكافر ويكسا ظلمة لان لفظ البياض والسواد
حقيقة فيهما والحكمة في بياض الوجوه وسوادها ان اهل الموقف اذا
راوا بياض وجه المومن عرفوا انه من اهل السعادة واذا راوا سواد
وجه الكافر عرفوا انه من اهل الشقاوة **فاما الذين اسودت وجوههم
اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** اي فيقال لهم
اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتقريع **فان قلت** كيف قال اكفرتم
بعد ايمانكم وهم لم يكونوا مومنين فمن المراد بهولا الذين كفروا بعد ايمانهم
قلت اختلف العلما في ذلك فروي عن ابي بن كعب انه قال
اراد به الايمان يوم اخذ الميثاق حين قال لهم الست بربكم قالوا بلى
فامن الكل فكل من كفر في الدنيا فقد كفر بعد الايمان وقال الحسن
هم المنافقون وذلك انهم تكلموا بالايمان بالسنتهم وانكروه بقلوبهم
وقال عكرمة هم اهل الكتاب وذلك انهم امنوا بمحمد صلى الله عليه
وسلم قبل مبعثه فلما بعث انكروه وكفروا به وقيل هم الذين ارتدوا
زمن ابي بكر الصديق وهم اهل الردة **ق** عن ابن مسعود قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وليرفعن الي رجال منكم
حتى اذا اهويت اليهم لاناولهم اختلجوا دوني فاقول اي رب اصحابي فيقال
انك لا تدري ما احدثوا بعدك **ق** عن انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا رفعوا الي اختلجوا
دوني فلاقولن اي رب اصحابي اصحابي فيقالن لا تدري ما احدثوا
بعدك زاد في رواية فاقول سحقا لمن بدل بعدي **ق** عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد علي يوم القيمة رهط من اصحابي
او قال من امتي فيحلون عن الحوض فاقول يا رب اصحابي فيقول انه لا علم
لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى وقيل هم
الخوارج الذين خرجوا على علي بن ابي طالب فقتلهم وهم الحرورية **م** عن
زيد بن وهب انه كان في الجيش الذين كانوا مع علي الذين ساروا الى الخوارج

فقال علي ايها الناس اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يخرج قوم من امتي يقرؤون القران ليس قراتكم الى قراتهم بشي ولا صلاتكم
الى صلاتهم بشي ولا صيامكم الى صيامهم بشي يقرؤون القران يحسبون
انه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق
السهم من الرمية وفي رواية سويد بن غفلة عنه يقرؤون القران لا
يجاوز ايمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية
فاينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم اجرا لمن قتلهم عند الله يوم
القيمة ق عن بشير بن عمرو قال قلت لسهل بن حنيف هل سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الخوارج شيا فقال سمعته
يقول واهوى بيده الى العراق يخرج منهم قوم يقرؤون القران لا يجاوز
تراقيهم يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية وقيل هم اهل
البدع والاهوا من هذه الامة كالقدرية ونحوهم ومن قال
بهذا القول يقول كفرهم بعد ايمانهم هو خروجهم من الجماعة
ومفارقتهم في الاعتقاد م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مومنا
ويمسي كافرا ويمسي مومنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا
وقال الحرث الاعور سمعت علي بن ابي طالب يقول على المنبر ان الرجل
ليخرج من اهله فيما يووب اليهم حتى يعمل عملا يستوجب الجنة وان
الرجل ليخرج من اهله فيما يعود اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به
النار ثم قرا يوم تبيض وجوه الاية ثم نادى هم الذين كفروا بعد
الايمان ورب الكعبة وقوله تعالى واما الذين ابيضت وجوههم
يعني المومنين المطيعين لله عز وجل ففي رحمة الله يعني ففي جنة الله
وانما سميت الجنة رحمة لانها دار رحمة وفيه اشارة الى ان العبد وان
عمل بالطاعات لا يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى هم فيها خالدون
قيل انما كرر كلمة في لان في كل واحدة منهن معنى غير الاخرى المعنى انهم
في رحمة الله وانهم في الرحمة خالدون تلك ايات الله يعني القران
وقيل هذه الايات التي تقدمت نتلوها عليك بالحق اي بالمعنى الحق
لان المتلو حق وما الله يريد ظلما للعالمين يعني لا يعاقب احدا بغير
جرم واستحقاق للعقوبة وانما ذكر الظلم هنا لانه قد تقدم ذكر العقوبة
في قوله فاما الذين اسودت وجوههم الى قوله فذوقوا العذاب بما
كنتم تكفرون اخبر انما وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب افعالهم المنكرة
وانه لا يظلم احدا من خلقه ولله ما في السموات وما في الارض لما
ذكر الله انه لا يريد ظلما للعالمين لانه لا حاجة به الى الظلم وذلك ان

الظالم

الظالم انما يظلم غيره ليزداد مالا او عزا او سلطانا او يتم نقصا فيه
فيما يظلم غيره ولما كان الله عز وجل مستغنيا عن ذلك وله صفة
الكمال اخبر انه له ما في السموات وما في الارض وان جميع ما فيهما ملكه
واهلهما عبيده واذا كان ذلك كذلك يستحيل في حقه سبحانه وتعالى
ان يظلم احدا من خلقه لانهم عبيده وفي قبضته ثم قال والى الله ترجع
الامور يعني والى الله مصير امور جميع الخلايق المومن والكافر والطايع
والعاصي فيجازي الكل على قدر استحقاقهم ولا يظلم احدا منهم قوله
عز وجل كنتم خير امة سبب نزول هذه الاية ان ملك بن الصيف ووهب بن
يهودا اليهوديين قالا لعبد الله بن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل
وسالم مولى حذيفة نحن افضل منكم وديننا خير من دينكم الذي تدعوننا
اليه فانزل الله هذه الاية واختلف في لفظة كان فقيل هي بمعنى الحدوث
والوقوع والمعنى حدثتم ووجدتم وخلقتم خير امة وقيل كان هنا ناقصة
وهي عبارة عن وجود الشي في زمان ماض ولا تدل على انقطاع طاري
بدليل قوله وكان الله غفورا رحيما فعلى هذا التقدير يكون المعنى
كنتم في علم الله خير امة وقيل كنتم مذكورين في الامم الماضية بانكم خير امة
وقيل كنتم في اللوح المحفوظ موصوفين بانكم خير امة وقيل معناه كنتم
منذ انتم خير امة وقيل قوله خير امة تابع لقوله فاما الذين ابيضت
وجوههم والتقدير انه يقال لهم عند دخول الجنة كنتم في دنياكم خير امة
فلهذا استحققتم ما انتم فيه من بياض الوجوه والنعيم المقيم وقيل كنتم
بمعنى انتم وقيل يحتمل ان يكون كان بمعنى صار فقوله كنتم اي صرتم خير
امة فاما المخاطبون بهذا فهم فيه خلاف قال ابن عباس في قوله
كنتم خير امة هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي
ابن جرير عن عمر بن الخطاب قال لو شا الله لقال انتم فكنا كلنا ولكن في
خاصة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صنع مثل ما صنعهم
كانوا خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
وقال الضحاك هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني به كانوا
هم الرواة الدعاة الذين امر الله عز وجل المسلمين باتباعهم وطاعتهم
ق عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس
قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادري اذكر بعد قرنه
قرنين او ثلاثة ثم ان بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون
ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن زاد في رواية ويحلفون
ولا يستحلفون ق عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم يجي قوم تسبق شهادة

احدهم يمينه ويمينه شهادته قوله خير الناس قرني يعني اصحابي والقرن
اهل كل زمان ماخوذ من الاقتران فكانه الزمان الذي يقترن فيه
اهل ذلك الزمان في اعمارهم واحوالهم وقيل القرن اربعون سنة
وقيل ثمانون وقيل مائة سنة ق عن ابي سعيد الخدري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو ان احدا انفق مثل
احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه النصيف النصف وقال ابن عباس
في رواية عطا في قوله كنتم خير امة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم قال
الزجاج قوله كنتم خير امة الخطاب فيه مع اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولكنه عام في كل الامة ونظيره قوله كتب عليكم الصيام كتب
عليكم القصاص فان كل ذلك خطاب مع الحاضرين بحسب اللفظ ولكنه
عام في حق الكل كذا هاهنا عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده انه سمع
النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت
للناس قال انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله تعالى
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن واصل الامة الجماعة المجتمعة
على الشي وامة محمد صلى الله عليه وسلم هم الجماعة الموصوفون بالايمان
بالله عز وجل وبمحمد صلى الله عليه وسلم خ عن ابي هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى
قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى عن ابن عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يجمع امتي او قال امة محمد على
ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ في النار اخرجه الترمذي عن
ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امتي امة مرحومة
ليس عليها عذاب في الاخرة عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل
اخرجه ابو داود عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
امتي كمثل المطر لا يدري اخره خير ام اوله اخرجه الترمذي وله عن
بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهل الجنة عشرون ومائة
صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من سائر الامم وله عن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب امتي الذي يدخلون منه
الجنة عرضه مسيرة الراكب المسرع المجد ثلاثا ثم انهم يتضاغطون عليه
حتى تكاد مناكبهم تزول قال الترمذي سالت محمدا يعني البخاري
عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال لخالد بن ابي بكر مناكير عن سالم بن عبد
الله زاد غيره في الحديث وهم شركا الناس في سائر الابواب عن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من امتي من يشفع في الفيا
من الناس ومنهم من يشفع في القبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من

يشفع

يشفع للواحد اخرجه الترمذي خ عن سهل بن سعد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من امتي سبعون الفا او سبعمائة
الف سماطين متماسكين اخذ بعضهم ببعض حتى يدخل اولهم واخرهم الجنة
وجوههم على صورة القمر ليلة البدر عن ابي امامة قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول وعدني ربي ان يدخل من امتي الجنة
سبعون الفا لا حساب عليهم ولا عذاب ومع كل الف سبعون الفا
وثلاث حثيات من حثيات ربي اخرجه الترمذي وروى البغوي باسناد
الثعلبي عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
الجنة حرمت على الانبيا كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها
امتي وقوله تعالى اخرجت للناس معناه خير الامم المخرجة للناس في
جميع الاعصار ومعنى اخرجت اظهرت للناس حتى تميزت وعرفت
وقيل معناه كنتم للناس خير امة اخرجت خ عن ابي هريرة قال كنتم خير
امة اخرجت للناس قال خير الناس للناس ياتون بهم في السلاسل
في اعناقهم حتى يدخلون في الاسلام وقيل اخرجت صلة والتقدير كنتم
خير امة الناس وقيل معناه ما اخرج للناس امة خير من امة محمد صلى
الله عليه وسلم تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر هذا كلام مستانف
والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية وكونهم خير امة كما تقول زيد
كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم والمعروف هو التوحيد
والمنكر هو الشرك والمعنى تامرون الناس بقول لا اله الا الله وتنهوهم
عن الشرك وتومنون بالله اي وتصدقون بالله وتخلصون له التوحيد
والعبادة فان قلت لم قدم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على
الايمان بالله في الذكر مع ان الايمان يلزم ان يكون مقدما على كل الطاعات
والعبادات قلت الايمان بالله امر مشترك فيه جميع الامم المومنة
وانما فضلت هذه الامة الاسلامية بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر
على ساير الامم واذا كان كذلك كان المؤثر في هذه الخيرة هو الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر واما الايمان بالله فهو شرط في هذا الحكم لانه ما لم
يوجد الايمان لم يصر شي من الطاعات مقبولا فثبت ان الموجب لهذه
الخيرية لهذه الامة هو كونهم امرين بالمعروف ناهين عن المنكر فلهذا
السبب حسن تقديم ذكر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على ذكر الايمان
وقوله تعالى ولو امن اهل الكتاب يعني ولو امن اليهود والنصارى
بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالدين الذي جاء به لكان خيرا لهم يعني مما هم
عليه من اليهودية والنصرانية وانما حملهم على ذلك حب الرياسة ه
واستتباع العوام ولو امنوا لحصلت لهم الرياسة في الدنيا والثواب

العظيم في الاخرة وهو دخول الجنة **منهم** يعني من اهل الكتاب **المومنون**
يعني عبد الله بن سلام واصحابه الذين اسلموا من اليهود والنجاشي
واصحابه الذين اسلموا من النصارى **واكثرهم الفاسقون** اي المتمردون
في الكفر وقيل ان الكافر قد يكون عدلا في دينه وهولاء مع كفرهم هم
فاسقون قوله تعالى **لن يضروكم الا اذى** سبب نزول هذه الاية ان
روسا اليهود عمدوا الى من امن منهم مثل عبد الله بن سلام واصحابه
فاذوهم لاسلامهم فانزل الله تعالى لن يضروكم الا اذى يعني لن يضروكم
ايها المومنون هولا اليهود الا اذى يعني باللسان من طعن في دينكم
او تهديد او القا شبهة وتشكيك في القلوب وكل ذلك يوجب
الاذى والغم **وان يقاتلوكم يولوكم الادبار** يعني منهزمين مخذولين
ثم لا ينصرون يعني لا يكون لهم النصر عليكم بل تنصرون عليهم وفيه
تثبيت لمن اسلم من اهل الكتاب لانهم كانوا يوذونهم بالقول ويهددونهم
ويوبخونهم فاعلمهم الله تعالى انهم لا يقدرون ان يجاوزوا الاذى بالقول
الى غيره من الضرر ثم وعدهم الغلبة والانتقام منهم وان غايتهم الخذلان
والذل فقال تعالى **ضربت عليهم الذلة** يعني جعلت الذلة ملصقة بهم
كالشي يضرب على الشي فيلتصق به والمراد بالذلة قتلهم وسبيهم وغنيمة
اموالهم وقيل الذلة ضرب الجزية عليهم لانها ذلة وصغار وقيل ذلتهم
انك لا ترى في اليهود ملكا قاهرا ولا رئيسا معتبرا بل هم مستضعفين
في جميع البلاد **اينما ثقفوا** اي حيث ما وجدوا وصودفوا **الا بحبل من الله**
يعني الا بعهد من الله وهو ان يسلموا فتزول عنهم الذلة **وحبل من الناس**
يعني المومنين ببذل الجزية والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال
الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس وهو ذمة الله وعهده وذمة
المسلمين وعهدهم لا عز لهم الا هذه الواحدة وهي التجاوهم الى الذلة لما
قبلوه من بذل الجزية وانما سمي العهد حبلا لانه سبب يوصل الى الامن
وزوال الخوف **وباوا بغضب من الله** اي رجعوا بغضب من الله واستوجبوه
وقيل اصله من البواء وهو المكان والمعنى انهم مكثوا في غضب من الله وحلوا
فيه **وضربت عليهم المسكنة** يعني كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون
في المسكنة غير خارجين منها قال الحسن المسكنة هي الجزية وذلك لان
الله اخرج المسكنة عن الاستثنا وذلك يدل على انها باقية عليهم
والباقي عليهم هو الجزية فدل ان المسكنة هي الجزية وقيل المراد بالمسكنة
هو ان اليهودي يظهر من نفسه الفقر وان كان غنيا موسرا **ذلك** اشارة
الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبواء بالغضب **بانهم** اي بسبب انهم
كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبيا بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا

يعتدون اي ذلك الذي نزل بهم بسبب عصيانهم لله عز وجل واعتدا[بهم]
لحدوده فنزل بهم ما نزل قوله عز وجل **ليسوا سوا** قال ابن عباس
لما اسلم عبد الله بن سلام واصحابه قالت احبار اليهود ما امن بمحمد صلى
الله عليه وسلم الا شرارنا ولولا ذلك ما تركوا دين ابائهم فانزل الله
تعالى هذه الاية وفي قوله ليسوا سوا قولان احدهما انه كلام تام يوقف
عليه والمعنى ان اهل الكتاب الذين سبق ذكرهم منهم المومنون
واكثرهم الفاسقون ليسوا سوا وقيل معناه لا يستوي اليهود وامة
محمد صلى الله عليه وسلم القايمة بامر الله الثابتة على الحق والقول
الثاني ان قوله ليسوا سوا متعلق بما بعده ولا يوقف عليه وقوله
من اهل الكتاب امة قايمة فيه اختصار واضمار والتقدير ليسوا سوا
من اهل الكتاب امة قايمة ومنهم امة مذمومة غير قايمة فترك
ذكر الامة الاخرى اكتفا بذكر احد الفريقين وهذا على مذهب العرب
ان ذكر احد الضدين يغني عن ذكر الاخر قال ابو ذويب •

• دعاني اليها القلب اني امره لها • مطيع فلا ادري ارشد طلابها •

اراد ام غير رشد فاكتفى بذكر احد الرشدين دون الاخر وقال الزجاج
لا حاجة الى اضمار الامة المذمومة لانه قد جرى ذكر اهل الكتاب
بقوله كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبيا بغير حق فاعلم الله
ان منهم امة قايمة فلا حاجة بنا الى ان نقول وامة غير قايمة وانما
ابتدا بذكر فعل الاكثر منهم وهو الكفر والمشاقة ثم ذكر من كان مباينا
لهم في فعلهم فقال ليسوا سوا من اهل الكتاب امة قايمة قال ابن
عباس قايمة على امر الله تعالى لم يضيعوه ولم يتركوه وقيل قايمة اي
عادلة وقيل قايمة على كتاب الله وحدوده وقيل قايمة في الصلاة
يتلون ايات الله اي يقرون كتاب الله عز وجل **انا الليل** يعني ساعاته
وهم يسجدون يعني يصلون عبر بالسجود عن الصلاة لان التلاوة لا
يكون الا في السجود وقيل هي صلاة التهجد بالليل وقيل هي صلاة العشا
لان اليهود لا يصلونها وقيل يحتمل انه اراد بالسجود الخضوع والخشوع
لان العرب تسمي الخشوع سجودا وقال عطا في قوله ليسوا سوا من اهل
الكتاب امة قايمة يريد اربعين رجلا من اهل نجران من العرب واثنين
وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه
السلام وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وامنوا به وكان عدة نفر من
الانصار منهم اسعد بن زرارة والبرا بن معرور ومحمد بن مسلمة وابو قيس
صرمة بن انس كانوا قبل الاسلام موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون
بما عرفوا من شرايع الحنيفية حتى جاءهم الله عز وجل بالنبي صلى الله عليه

وسلم فامنوا به وصدقوه ثم وصفهم الله تعالى بصفات ما كانت في اليهود
فقال **يؤمنون بالله واليوم الاخر** وذلك لان ايمان اهل الكتاب فيه
شرك ويصفون اليوم الاخر بغير ما يصفه المومنون وقيل ان الايمان
بالله يستلزم الايمان بجميع انبيايه ورسله واليهود يومنون ببعض
الانبيا ويكفرون ببعض والايمان باليوم الاخر يستلزم الحذر من فعل
المعاصي واليهود لا يحترزون منها فلم يحصل الايمان الخالص بالله واليوم
الاخر **ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر** يعني غير مداهنين كما
يداهن اليهود بعضهم بعضا وقيل يامرون بالمعروف يعني بتوحيد
الله والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وينهون عن المنكر يعني عن الشرك
وعن كتم صفة محمد صلى الله عليه وسلم **ويسارعون في الخيرات** اي يبادرون
اليها خوف الفوت وذلك لان من رغب في امر سارع اليه وقام به
غير متوان عنه وقيل يسارعون في الخيرات غير متثاقلين ولا كسالى
واوليك اشارة الى الموصوفين بما وصفوا به **من الصالحين** اي من جملة
الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله عز وجل ورضي عنهم واستحقوا
ثناه عليهم وذلك لان الصلاح ضد الفساد فاذا حصل الصلاح للانسان
فقد حصل له اعلى الدرجات واكمل المقامات وقيل يحتمل ان يريد
بالصالحين المسلمين والمعنى واوليك الذين تقدم وصفهم من جملة
المسلمين قوله تعالى **وما تفعلوا من خير فلن تكفروه** قرى بالياء لان الكلام
متصل بما قبله من ذكر مومني اهل الكتاب وذلك ان اليهود لما
قالوا لعبد الله بن سلام واصحابه انكم خسرتم بسبب هذا الدين الذي
دخلتم فيه فاخبر الله انهم فازوا بالدرجات العلى وما فعلوه من خير
يجازيهم به ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل فيه كل فاعل
للخير وقرى بالتا على انه ابتدا الكلام وهو خطاب لجميع المومنين ويدخل
فيه مومني اهل الكتاب ايضا ومعنى الاية وما تفعلوا من خير ايها
المومنون فلن تكفروه اي فلن تعدموا ثوابه ولن تحرموه او تمنعوه بل
يشكره لكم ويجازيكم به **والله عليم بالمتقين** فيه بشارة للمتقين بجزيل
الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا اهل الايمان والتقوى قوله عز
وجل **ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيا**
قال ابن عباس يريد بني قريظة والنضير وذلك لان روسا اليهود
مالوا الى تحصيل الاموال في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانما كان مقصودهم بمعاداته تحصيل الرياسة والاموال فقال الله
عز وجل لا تغني عنهم اموالهم وقيل نزلت في مشركي قريش فان ابا
جهل كان كثير الافتخار بالاموال وانفق ابو سفيان مالا كثيرا في يومي بدر

واحد

واحد على المشركين وقيل ان الاية عامة في حق جميع الكفار لان اللفظ عام
ولا دليل يوجب التخصيص فوجب اجرا اللفظ على عمومه ومعنى الاية
ان الذين كفروا لن تغني اي تدفع عنهم اموالهم بالفدية لو افتدوا بها من
عذاب الله ولا اولادهم بالنصرة وانما خص الاموال والاولاد بالذكر لان
الانسان يدفع عن نفسه تارة بفدا المال وتارة بالاستعانة بالاولاد
فاعلم الله تعالى ان الكافر لا ينتفع بشي من ذلك في الاخرة ولا يخلص له
من عذاب الله وهو قوله **واوليك اصحاب النار هم فيها خالدون**
لا يخرجون منها ولا يفارقونها قوله تعالى **مثل ما ينفقون في هذه الحياة
الدنيا** قيل اراد نفقة ابي سفيان واصحابه ببدر واحد في معاداة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اراد نفقة اليهود على علمايهم
وروسايهم وقيل اراد نفقات جميع الكفار وصدقاتهم في الدنيا وقيل
اراد نفقة المرايي الذي لا يريد بما ينفق وجه الله وذلك لان انفاقهم
المال اما ان يكون لمنافع الدنيا او لمنافع الاخرة فان كان لمنافع
الدنيا لم يبق له اثر في الاخرة في حق المسلم فضلا عن الكافر وان كان
لمنافع الاخرة كمن يتصدق ويعمل اعمال البر وان كان كافرا فان الكفر
محبط لجميع اعمال البر فلا ينتفع بما انفق في الدنيا لاجل الاخرة وكذلك
المرايي الذي لا يريد بما ينفق وجه الله فانه لا ينتفع بنفقته في الاخرة
ثم ضرب لذلك الانفاق مثلا فقال تعالى **كمثل ريح فيها صر** فيه
وجهان احدهما وهو قول اكثر المفسرين واهل اللغة ان الصر البرد الشديد
وبه قال ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد والوجه الثاني ان الصر
هو السموم الحارة التي تقتل وهو رواية عن ابن عباس وبه قال الانباري
من اهل اللغة وعلى الوجهين فالتشبيه صحيح والمقصود منه حاصل
لانه سوا كان فيه برد فهو مهلك او حر فهو مهلك ايضا **اصابت** يعني
الريح التي فيها صر **حرث قوم** اي زرع قوم **ظلموا انفسهم** يعني بالكفر
والمعاصي ومنع حق الله فيه **فاهلكته** يعني فاهلكت الريح الزرع
ومعنى الاية مثل نفقات الكفار في ذهابها وقت الحاجة اليها كمثل زرع
اصابته ريح باردة فاهلكته او نار فاحرقته فلم ينتفع به اصحابه فان
قلت الغرض في تشبيه ما انفقوا وابطال ثوابه وعدم الانتفاع به
بالحرث الذي هلك بالريح فكيف شبهه بالريح المهلكة للحرث قلت
هو من التشبيه المركب وهو ما حصلت فيه المشابهة بين ما هو المقصود
من الجملتين وان لم تحصل المشابهة بين اجزا الجملتين فعلى هذا زال
الاشكال ومن التشبيه ما حصلت المشابهة بين المقصود من الجملتين
وبين اجزا كل واحدة منها فان جعلنا هذا المثل من هذا القسم فيه

وجهان احدهما ان يكون التقدير مثل الكفر في اهلاك ما ينفقون كمثل
الريح المهلكة للحرث الوجه الثاني مثل ما ينفقون كمثل مهلك الريح
المهلكة للحرث الوجه الثاني مثل ما ينفقون كمثل مهلك الريح وهو
الحرث والمقصود من ضرب هذا المثل هو تشبيه ما ينفقون بشي يذهب
بالكلية ولا يبقى منه شي وقوله تعالى **وما ظلمهم الله** يعني بان لم تقبل
نفقاتهم **ولكن انفسهم يظلمون** يعني انهم عصوا الله فاستحقوا عقابه
فابطل نفقاتهم واهلك حرثهم وقيل ظلموا انفسهم حيث لم ياتوا بنفقاتهم
مستحقة للقبول **قوله** عز وجل **يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة**
الاية قال ابن عباس كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم
من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فانزل الله عز
وجل هذه الاية ونهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم ويدل على
صحة هذا القول ان الايات المتقدمة فيها ذكر اليهود فتكون هذه الاية
كذلك وقيل كان قوم من المومنين يصافون المنافقين ويفشون اليهم
الاسرار ويطلعونهم على الاحوال الخفية فنهاهم الله عن ذلك وحجة هذا
القول ان الله ذكر في سياق هذه الاية قوله واذا لقوكم قالوا امنا واذا
خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وهذه صفة المنافقين لا صفة
اليهود وقيل المراد بهذه جميع اصناف الكفار ويدل على صحة هذا
القول معنى الاية لان الله تعالى قال لا تتخذوا بطانة من دونكم فمنع
المؤمنين ان يتخذوا بطانة غير المومنين فيكون ذلك نهيا عن جميع الكفار
والبطانة خاصة الرجل المطلع على سره واشتقاقه من بطانة الثوب
بدلالة قولهم لبست فلانا اذا اختصصته ويقال فلان شعاري ودثاري
والشعار الذي يلي الجسد وكذلك البطانة والحاصل ان الذي يخصه
الانسان بمزيد القرب يسمى بطانة لانه يستبطن امره ويطلع منه على
ما لا يطلع غيره من دونكم قيل من صلة زايدة والتقدير لا تتخذوا بطانة
دونكم وقيل من للتبيين اي لا تتخذوا بطانة من دون اهل ملتكم والمعنى
لا تتخذوا اوليا واصفيا من غير اهل ملتكم ثم بين سبحانه وتعالى علة
النهي عن مباطنتهم فقال تعالى **لا يالونكم خبالا** يعني لا يقصرون ولا يتركون
جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد وهو الخبال لان اصل الخبال الفساد
والغير الذي يلحق الانسان فيورثه نقصان العقل **ودوا ما عنتم** اي
يودون عنتكم وهو ما يشق عليكم من الضر والشرك والهلاك والعنت
المشقة **قد بدت البغضاء من افواههم** اي ظهرت العداوة من افواههم
بالشتيمة والوقيعة بين المسلمين وقيل هو اطلاع المشركين على اسرار
المومنين **وما تخفي صدورهم** يعني من العداوة والغيظ **اكبر** اي اعظم

عليه

مما يظهرونه **قد بينا لكم الايات** يعني الدلالة على وجوب الاخلاص في
الدين من موالات المومنين ومعادات الكافرين **ان كنتم تعقلون**
يعني ما بين لكم فتعملون به قوله تعالى **ها انتم** ها تنبيه وانتم كناية للمخا
من الذكور **اولا** اسم للمشار اليهم في قوله **تحبونهم** والمعنى انتم ايها المومنون
تحبون هولا اليهود الذين نهيتكم عن مباطنتهم للاسباب التي بينكم
وبينهم من القرابة والرضاع والمصاهرة والحلف **ولا يحبونكم** يعني
اليهود لما بينكم وبينهم من المخالفة في الدين وقيل يحبونهم يعني
يريدون لهم الاسلام وهو خير الاشيا ولا يحبونكم لانهم يريدون
لكم الكفر وهو شر الاشيا لان فيه هلاك الابد وقيل هم المنافقون
تحبونهم لما اظهروا من الايمان وانتم لا تعلمون ما في قلوبهم ولا يحبونكم
لان الكفر ثابت في قلوبهم وقيل تحبونهم وذلك بان تفشوا اليهم
اسراركم ولا يحبونكم اي لا يفعلون مثل ذلك معكم **وتومنون بالكتاب
كله** يعني وهم لا يومنون وانما ذكر الكتاب بلفظ الواحد والمراد به
الجمع لانه ذهب به الى الجنس كقولهم كثر الدرهم في ايدي الناس والمعنى
انكم تومنون بالكتب كلها وهم لا يومنون بشي من كتابكم **واذا لقوكم
قالوا امنا** يعني ان الذين وصفهم في هذه الاية بهذه الصفات اذا لقوا
المومنين قالوا امنا كايمانكم وصدقنا كتصديقكم وهذه صفة المنافقين
وقيل هم اليهود **واذا خلوا** اي خلا بعضهم الى بعض **عضوا عليكم الانامل
من الغيظ** الانامل جمع انملة وهي طرف الاصبع والمعنى انه اذا خلا
بعضهم ببعض اظهروا العداوة وشدة الغيظ على المومنين لما يرون من
ايتلافهم واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم وعض الانامل عبارة عن
شدة الغيظ وهذا من مجاز الامثال وان لم يكن هناك عض كما يقال
عض يده من الغيظ والغضب **قل موتوا بغيظكم** وهذا دعا عليهم ان
يزداد غيظهم حتى يهلكوا به وذلك لما يرون من قوة الاسلام وعزة
اهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والمعنى ابقوا الى الممات
بغيظكم **ان الله عليم بذات الصدور** يعني بها الخواطر القايمة بالقلب
والدواعي والصوارف الموجودة فيه وهي لكونها حالة في القلب منتسبة
اليه كنى عنها بذوات الصدور والمعنى انه تعالى عالم بكل ما يحصل في
قلوبكم من الخواطر فاخبرهم انه عليم بما يسرونه من عض الانامل غيظا
اذا خلوا وانه عليم بما هو اخفى منه وهو ما يسرونه في قلوبهم **قوله**
عز وجل **ان تمسسكم** اي تصبكم ايها المومنون واصل المس باليد ثم يسمى
كل ما يصل الى شي ماسا له على سبيل التشبيه كما يقال مسه نصب وتعب
اي اصابه **حسنة** المراد بالحسنة هنا منافع الدنيا مثل ظهور على عدو

طبين

واصابه غنيمة منهم وتتابع الناس في الدخول في دينكم وخصبت في
معايشكم تسؤهم اى تحزنهم وتغمهم والسوء ضد الحسنى وان تصبكم
سيئة اي مساءة من اخفاق سرية لكم او اصابة عدو منكم او اختلاف
يقع بينكم اوجدب ونكبة ومكروه تصيبكم يفرحوا بها اي بما اصابكم من
ذلك المكروه وان تصبروا يعني على اذاهم وقيل وان تصبروا على طاعة
الله وما ينالكم فيها من شدة وتتقوا اى تخافوا ربكم وقيل وتتقوا ما
نهاكم عنه وتتوكلوا عليه لا يضركم اى لا ينقصكم كيدهم اى عداوتهم
ومكرهم شيئا اى لانكم في عناية الله وحفظه ان الله بما يعملون قرى
بالياء على الغيبة والمعنى انه عالم بما يعملون في عداوتكم واذا كنتم
فيعاقبهم عليه وقرى بالتاء على خطاب الحاضر والمعنى انه عالم بما
تعملون ايها المؤمنون من الصبر والتقوى فيجازيكم عليه محيط اي
عالم بجميع ذلك حافظ له لا يعزب عنه شي منه قوله عز وجل
واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال قال جمهور
المفسرين ان هذا كان في يوم احد وهو قول عبد الرحمن بن عوف وابن
مسعود وابن عباس والزهري وقتادة والسدي والربيع واسحاق
وقال الحسن ومجاهد ومقاتل انه يوم الاحزاب ونقل عن الحسن ايضا
انه يوم بدر قال ابن جرير الطبري الاول اصح لقوله تعالى اذ همت
طايفتان منكم ان تفشلا وقد اتفق العلما ان ذلك كان يوم احد قال
مجاهد والكلبي والواقدي غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل
عايشة فمشى على رجليه الى احد فجعل يصف اصحابه للقتال كما يقوم القدح
قال محمد بن اسحق والسدي عن رجالهما ان المشركين نزلوا باحد يوم
الاربعا فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم نزولهم استشار
اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره
عبد الله بن ابي واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج
اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخل علينا
الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم يا رسول الله فان اقاموا بشر
محبس وان دخلوا قاتلناهم الرجال في وجوههم ورماهم النسا والصبيان
بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خايبين فاعجب رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذا الراي وقال بعض اصحابه يا رسول الله اخرج
بنا الى هذه الاكالب لئلا يرون انا جبنا عنهم وضعفنا وخفناهم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد رايت في منامي بقرا فاولتها خيرا
ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولتها هزيمة ورايت اني ادخلت يدي في
درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم

فان اقاموا اقاموا بشر وان دخلوا علينا المدينة قاتلناهم فيها
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه ان يدخلوا عليه المدينة
فيقاتلهم في الازقة فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر واكرمهم
الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا برسول الله
صلى الله عليه وسلم من حبهم للقا العدو حتى دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم منزله ولبس لامته فلما راوه قد لبس السلاح ندموا وقالوا
بئس ما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي ياتيه
فقاموا واعتذروا اليه وقالوا يا رسول الله اصنع ما شئت فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل
وكان قد اقام المشركون باحد يوم الاربعا والخميس وخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة بعد ما صلى باصحابه الجمعة وكان قد
مات في ذلك اليوم رجل من الانصار فصلى عليه ثم خرج اليهم فاصبح
بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة
وقيل كان نزوله في جانب الوادي وجعل ظهره واصحابه الى احد وامر
عبد الله بن جبير على الرماة وقال ادفعوا عنا بالنبل حتى لا ياتونا من
ورائنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اثبتوا في هذا المقام فاذا
عاينوكم ولوا الادبار فلا تطالبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام
ولما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم راى عبد الله بن سلول شق
عليه ذلك وقال لاصحابه اطاع الولدان وعصاني ثم قال لاصحابه ان
محمدا انما يظفر بعدوه بكم وقد وعد اصحابه ان اعداءهم اذا عاينوهم
انهزموا فاذا رايتم اعداءهم فانهزموا انتم فيتبعونكم فيصير الامر الى خلاف
ما قاله محمد لاصحابه فلما التقى الجمعان وكان عسكر المسلمين الفا وكان
المشركون ثلاثة الاف فانخذل عبد الله بن ابي بن سلول بثلثمائة
من اصحابه من المنافقين وبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو
سبعمائة من اصحابه فقواهم الله تعالى وثبتهم حتى هزموا المشركين فلما
راى المؤمنون انهزام المشركين طمعوا في ان تكون هذه الواقعة كواقعة
بدر فطلبوا المدبرين وخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاراد الله ان يفطمهم عن هذا الفعل لئلا يقدموا على مثله في مخالفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلموا ان ظفرهم يوم بدر انما كان
ببركة طاعة الله وطاعة رسوله ثم ان الله نزع الرعب من قلوب
المشركين فكروا راجعين على المسلمين فانهزم المسلمون وبقي رسول الله
صلى الله عليه وسلم في جماعة من اصحابه منهم ابو بكر وعلي والعباس
وطلحة وسعد وكسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم وشج وجهه

يوميذ وكان من امر غزوة احد ما كان فذلك قوله تعالى واذ غدوت
اى واذكروا اذ غدوت من اهلك يعنى من منزل عايشة ففيه منقبة
عظيمة لعايشة رضي الله عنها لقوله من اهلك فنص الله تعالى على
انها من اهله تبوى المومنين اى تنزل المومنين مقاعد للقتال
اى مواضع ومواطن للقتال وقيل تتخذ عسكرا للقتال والله سميع
يعنى لاقوالكم عليم يعنى بنياتكم وما فى ضمايركم قوله عز وجل
اذ همت طايفتان منكم ان تفشلا اى تجبنا وتضعفا عن القتال والطايفتا
بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحى العسكر ٥
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى احد فى الف رجل
وقيل فى تسعماية وخمسين رجلا وكان المشركون ثلاثة الاف فلما بلغوا
الشوط انخذل عبد الله بن ابى بثلث الناس ورجع فى ثلثماية وقال
علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعه ابو جابر السلمى فقال انشدكم الله
فى نبيكم وانفسكم فقال عبد الله بن ابى لو نعلم قتالا لاتبعناكم وهمت
الطايفتان بالانصراف مع عبد الله بن ابى فعصمهم الله فثبتوا ومضوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس اضمروا ان يرجعوا
فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا فذكرهم الله عظيم نعمته عليهم فقال
اذ همت طايفتان منكم ان تفشلا والله وليهما اى ناصرهما وحافظهما ومتولى
امرهما بالتوفيق والعصمة فان قلت الهم العزم على فعل الشى والاية
تدل على ان الطايفتان عزمتا على الفشل وترك القتل وذلك معصية
فكيف مدحهما الله تعالى بقوله والله وليهما قلت الهم قد يراد به العزم
وقد يراد به حديث النفس واذا كان كذلك فحمل الهم على حديث النفس
فى هذه الاية اولى والله تعالى لا يواخذ بحديث النفس ويعضده قول
ابن عباس انهم اضمروا ان يرجعوا فلما عزم الله لهم على الرشد وثبتوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدحهم الله بقوله والله وليهما ق
عن جابر قال نزلت فينا اذ همت طايفتان منكم ان تفشلا والله وليهما
قال نحن الطايفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما يسرنى انها لم تنزل لقول
الله والله وليهما تغيه الاستبشار بما حصل لهم من الشرف العظيم وانزاله
فيهم اية ناطقة مفصحة بان الله وليهم وان تلك الهمة التى هموا بها ما اخرجتهم
عن ولاية الله تعالى وقوله تعالى وعلى الله فليتوكل المومنون التوكل
تفعل من وكل امره الى غيره اذا اعتمد عليه فى كفايته والقيام به وقيل
التوكل هو العجز والاعتماد على الغير وقيل هو تفويض الامر الى الله
تعالى ثقة بحسن تدبيره فامر الله عباده المومنين ان لا يتوكلوا الا عليه
ولا يفوضوا امرهم الا اليه قوله عز وجل ولقد نصركم الله ببدر بدر اسم

موضع

موضع بين مكة والمدينة معروف وقيل هو اسم لبير هناك وكانت
البير لرجل يقال له بدر فسميت به ذكر الله المومنين منته عليهم بالنصر
يوم بدر وانتم اذلة جمع ذليل وهو جمع قلة واراد به قلة العدد فان
المسلمين كانوا ثلثماية وبضعة عشر وفى رواية وثلاثة عشر رجلا والمراد
بذلتهم ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وعدم القدرة
على مقاومة العدو وذلك انهم خرجوا على نواضح وكان النفر منهم
يتعقب على البعير الواحد وكان اكثرهم رجالة ولم يكن معهم الا فرس
واحد وكان عدوهم من كفار قريش فى حال الكثرة زها الف مقاتل ومعهم
ماية فرس وكان معهم السلاح والشوكة فنصر الله المومنين مع قلتهم
على عدوهم مع كثرتهم فاتقوا الله يعنى فى الثبات مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم لعلكم تشكرون يعنى بتقواكم ما انعم به عليكم من نصرته قوله
تعالى اذ تقول للمومنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملايكة
منزلين اختلف المفسرون فى ان هذا الوعد بانزال الملايكة هل حصل
يوم بدر ام يوم احد على قولين احدهما انه كان يوم بدر قال قتادة كان هذا
يوم بدر امدهم الله بالف من الملايكة كما قال اذ تستغيثون ربكم ٥
فاستجاب لكم انى ممدكم بالف من الملايكة مردفين ثم صاروا ثلاثة الاف
ثم صاروا خمسة الاف كما ذكرها هنا بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من
فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملايكة فصبروا يوم بدر واتقوا
واتقوا فامدهم الله بخمسة الاف كما وعد قال ابن عباس لم تقاتل الملايكة
فى معركة الا يوم بدر وفيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون
انما يكونون عددا ومددا وقال الحسن هولا الخمسة الاف ردا للمومنين
الى يوم القيمة وقال الشعبى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين
يوم بدر ان كرز بن جابر المحاربي يريد ان يمد المشركين فشق ذلك عليهم
فانزل الله الن يكفيكم الى قوله مسومين فبلغ كرز الهزيمة فرجع ولم ياتهم
ولم يمدهم فلم يمدهم الله ايضا بالخمسة الاف وكانوا قد امدوا بالف من الملايكة
وفى صحيح البخارى من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال يوم بدر هذا جبريل اخذ براس فرسه عليه اداة الحرب واحتج
لصحة هذا القول ايضا بان الله تعالى قال قبل هذه الايات ولقد
نصركم الله ببدر وانتم اذلة وظاهر هذا يقتضى ان الله نصرهم حين قال
النبى صلى الله عليه وسلم للمومنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم الاية ولان
العدد والعدد كانت يوم بدر قليلة فكان الاحتياج الى الامداد
اكثر القول الثانى ان هذا الوعد بالامداد الملايكة كان يوم احد وهو
قول عكرمة والضحاك ومقاتل قال عمير بن اسحاق لما كان يوم احد انجلي

القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقي سعد بن مالك يرمي
وفتى شاب يتنبل له كلما فني النبل اتاه به فنثره وقال ارم ابا اسحق
ارم ابا اسحق مرتين فلما انجلت المعركة سيل عن ذلك الرجل فلم
يعرف ق عن سعد بن ابي وقاص قال رايت عن يمين رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان
عنه كاشد القتال ما رايتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكايل واحتج
لصحة هذا القول بان المدد كان يوم بدر بالف من الملايكة كما نص
عليه في سورة الانفال ولم يكن بثلاثة الاف وبخمسة الاف كما هنا
وايضا فان الكفار كانوا يوم بدر الفا او ما يقرب منه وكان المسلمون
على الثلث من ذلك فانهم كانوا ثلثماية وبضعة عشر فانزل الله يوم
بدر الفا من الملايكة في مقابلة عدد الكفار فوقع النصر يومئذ
للمسلمين والهزيمة للكفار وكان عدد المسلمين يوم احد الفا وعدد الكفار
ثلاثة الاف فناسب ان يكون المدد يومئذ للمسلمين ثلاثة الاف من
الملايكة ليكون ذلك مقابلا لعدد الكفار كما في يوم بدر واجيب
عن الاحتجاج الاول لهذا القول بانه تعالى لما امدكم يوم بدر بالف كما
ذكر في سورة الانفال ثم لما سمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
بامداد كرز لكفار قريش شق عليهم وعدوا بان يمدوا بثلاثة الاف
وبخمسة الاف لتتقوى قلوبهم بذلك واجيب عن الثاني وهو
ان الكفار كانوا يوم بدر الفا فانزل الله الفا وفي يوم احد ثلاثة الاف
فانزل الله ثلاثة الاف بان هذا التقريب حسن ولله ان يزيد ما شا
في اي وقت شا ولهذا قال عكرمة في قوله بلى ان تصبروا وتتقوا
ويأتوكم من فورهم هذا قال يوم بدر قال ولم يصبروا ولم يتقوا يوم
احد فلم يمدوا ولو امدوا لم يهزموا يومئذ وقيل لم يصبروا ولم يتقوا
الا في يوم الاحزاب فامدهم الله بالملايكة حين حاصروا قريظة ق
عن عايشة قالت لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق
ووضع السلاح واغتسل اتاه جبريل فقال قد وضعت السلاح والله
ما وضعناه اخرج اليهم قال فالى اين قال ها هنا واشار الى بني
قريظة فخرج النبي صلى الله عليه وسلم اليهم خ عن انس قال كاني انظر
الى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم موكب جبريل حين سار رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة وقال عبد الله بن ابي اوفى
كنا محاصرين قريظة والنضير ما شا الله فلم يفتح علينا فرجعنا
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسل فهو يغسل راسه اذ جاءه
جبريل عليه السلام فقال اوضعتم اسلحتكم ولم تضع الملايكة اوزارها

فدعا

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرقة فلف بها راسه ولم يغسله
ثم نادى فقمنا حتى اتينا قريظة والنضير فيومئذ امدنا الله بثلاثة
الاف من الملايكة ففتح لنا فتحا يسيرا وقال ابن جرير الطبري
واولى الاقوال بالصواب ان الله تعالى اخبر عن نبيه صلى الله عليه
وسلم انه قال للمومنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من
الملايكة فوعدهم بثلاثة الاف من الملايكة مددا لهم ثم وعدهم
بخمسة الاف ان صبروا لاعدايهم واتقوا الله ولا دلالة في الاية
على انهم امدوا بهم ولا على انهم لم يمدوا بهم فقد يجوز ان الله
امدهم ويجوز ان لا يكون امدهم ولا يثبت ذلك الا بنص يقوم به
الحجة في ذلك وقد ثبت بنص القران انهم امدوا يوم بدر بالف
من الملايكة كما في سورة الانفال فاما يوم احد فالدلالة على
انهم لم يمدوا ابين منها بانهم مدوا وذلك انهم لو امدوا لم يهزموا
ولم ينل منهم ما نيل منهم فان قلت فما تصنع بحديث سعد
ابن ابي وقاص المتقدم في يوم احد وانه راى ملكين عن يمين النبي
صلى الله عليه وسلم وشماله قلت انما كان ذلك للنبي
صلى الله عليه وسلم خاصة لانه صبر ولم ينهزم كما انهزم اصحابه يوم
احد واما التفسير فقوله تعالى اذ تقول للمومنين فعلى قول من
قال ان هذا كان يوم بدر قال نظم الاية ان الله ذكر قصة احد ثم
اتبعه بقوله ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فكذلك هو القادر
على ان ينصركم في ساير المواطن ثم رجع الى قصة احد فقال تعالى اذ
تقول للمومنين الن يكفيكم ومعنى الكفاية هو سد الخلة والقيام
بالامر مع بلوغ المراد ان يمدكم ربكم الامداد اعانة الجيش فما كان
على جهة القوة والاعانة يقال له امده امدادا وما كان على جهة
الزيادة يقال فيه مده مدا وقيل المد في الشر والامداد في الخير
بثلاثة الاف من الملايكة منزلين اي وعدهم بنزول الملايكة
لتتقوى قلوبهم ويثقوا بنصر الله ويعزموا على الثبات بلى تصديق
لوعد الله اي بلى يمدكم وقيل بلى ايجاب لوعد الله اي بلى يمدكم
وقيل بلى ايجاب لما بعد الن يعني يكفيكم الامداد بهم فاوجب
الكفاية ان تصبروا اي على لقا عدوكم وتتقوا يعني معصية الله
ومخالفة نبيه صلى الله عليه وسلم ويأتوكم يعني المشركين من فورهم
هذا قال ابن عباس ابتدا الامر يوجد فيه ثم يوصل باخره قال
معنى من فورهم من وجههم اراد ابتدا مخرجهم يوم بدر ومن قال
معناه من غضبهم اراد ابتدا غضبهم لقتلاهم يوم بدر لانهم رجعوا للحرب

يوم احد من غضبهم ليوم بدر يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة لم يرد خمسة الاف سوى الثلاثة المتقدمة بل اراد معهم فمن قال ان هذا الامداد كان يوم بدر قال ان الله تعالى امدهم بالف فلما سمعوا ان كرز بن جابر المحاربي يريد ان يمد المشركين فشق ذلك على المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم الاية على تقدير ان يجي للمشركين المدد فلما لم يمدوا لم يمد الله المومنين بغير الالف وروى ابن الجوزي في تفسيره عن جبير بن مطعم عن علي بن ابي طالب قال بينا انا امتح من قليب بدر جاءت ريح شديدة لم ار اشد منها ثم جاءت ريح شديدة لم ار اشد منها الا التي قبلها ثم جاءت ريح شديدة لم ار اشد منها الا التي كانت قبلها فكانت الريح الاولى جبريل نزل في الف من الملائكة وكان بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل بالفين من الملائكة وكانوا عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم والريح الثالثة اسرافيل نزل في الف من الملائكة عن يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت عن يساره وهزم الله اعداه ومن الناس من ضم العدد القليل الى الكثير فقال لان الله تعالى ذكر الالف في سورة الانفال وذكر هنا ثلاثة الاف وخمسة الاف فيكون المجموع تسعة الاف وان حملناه على غزوة احد فيكون المجموع ثمانية الاف لانه ليس فيها ذكر الالف المفردة **مسومين** قرئ بفتح الواو وبكسرها فمن فتح الواو اراد ان الله سومهم ومعناه معلمين قد سوموا فهم مسومين والمسومة السيما العلامة وهذه العلامة يعلمها الفارس يوم اللقا ليعرف بها قال عنترة

فتعرفوني انني انا ذلكم ۔ شاك سلاحي في الحوادث معلم

ومن كسر الواو نسب الفعل الى الملائكة والمعنى انهم اعلموا انفسهم بعلامات مخصوصة واعلموا خيلهم واختلفوا في تلك العلامة فقال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق وعليهم عمايم صفر وقال علي وابن عباس كان عليهم عمايم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم وقال قتادة والضحاك كانوا قد اعلموا بالعهن يعني الصوف المصبوغ في نواصي خيلهم واذنابها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت بالصوف الابيض في قلانسهم ومغافرهم ذكره البغوي بغير سند وقيل كانت عمامة الزبير يوم بدر صفرا فنزلت الملائكة كذلك وقيل كانوا قد سوموا انفسهم بسيما القتال قوله تعالى **وما جعله الله** يعني هذا الوعد والمدد

الا بشرى لكم يعني بشارة بانكم تنصرون فتستبشرون به **ولتطمين** اي ولتسكن **قلوبكم به** اي فلا تجزع من كثرة عدوكم **وما النصر الا من عند الله** يعني لا تحيلوا النصر على الملائكة والجند وكثرة العدد فان النصر من الله لا من عند غيره والغرض ان يكون توكلهم على الله لا على الملائكة الذين امدوا بهم وفيه تنبيه على الاعراض عن الاسباب والاقبال على مسبب الاسباب **العزيز الحكيم** يعني فاستعينوا به وتوكلوا عليه لان العز وهو كمال القدرة والقوة والحكم وهو كمال العلم له فلا يخفى عليه مصالح عباده **ليقطع طرفا من الذين كفروا** هذا متعلق بقوله لقد نصركم الله ببدر والمعنى ان المقصود من نصركم ببدر ليقطع طرفا اي ليهلك طايفة من الذين كفروا وقيل معناه ليهدم ركنا من اركان الشرك بالقتل والاسر فقتل يوم بدر من قادتهم وساداتهم سبعون واسر سبعون ومن حمل الاية على غزوة احد قال قد قتل منهم ستة عشر وكان النصر فيه للمسلمين حتى خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم **او يكبتهم** اصل الكبت في اللغة صرع الشي على وجهه والمعنى انه يصرعهم على وجوههم والمراد منه القتل والهزيمة او الاهلاك او اللعن والخزي **فينقلبوا خايبين** اي بالخيبة لم ينالوا شيا من الذي املوه من الظفر بكم قوله عز وجل **ليس لك من الامر شي او يتوب عليهم او يعذبهم** اختلفوا في سبب نزول هذه الاية فقيل انها نزلت في اهل بير معونة وهم سبعون رجلا من القرا بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بير معونة وهي بين مكة وعسفان وارض هذيل وذلك في صفر سنة اربع من الهجرة على راس اربعة اشهر من احد بعثهم ليعلموا الناس القران والعلم وامر عليهم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقنت شهرا في الصلوات كلها يدعوا على جماعة من تلك القبايل باللعن **خ** عن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه من الركوع في الركعة الاخرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد فانزل الله عليه ليس لك من الامر شي الى قوله فانهم ظالمون **ق** عن ابي هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف زاد في رواية اللهم العن فلانا وفلانا لاحيا من العرب حتى انزل الله ليس لك من الامر شي الاية ثم اتم في رواية يونس اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله قال ثم بلغنا انه ترك

ذلك لما انزل الله ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم
فانهم ظالمون وقيل انها نزلت يوم احد ثم اختلفوا في سببها فقيل ان
عتبة بن ابي وقاص شج وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسر رباعيته
ق عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته
وشج في راسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا نبيهم
وكسروا رباعيته وهو يدعوهم الى الله فانزل الله ليس لك من الامر شيء
وقيل اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعوا عليهم بالاستيصال فنزلت
هذه الاية وذلك لعلمه ان اكثرهم يسلمون وقيل ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما وقف على عمه حمزة وراى ما صنعوا به من المثلة فاراد ان
يدعوا عليهم فنزلت هذه الاية قال العلما وهذه الاشيا كلها محتملة
فلا يبعد حمل الاية على كلها ومعنى الاية ليس لك من امر مصالح عبادي
شيء الا ما اوحي اليك وان الله تعالى هو مالك امرهم فاما ان يتوب
عليهم ويهديهم فيسلموا او يهلكهم ويعذبهم اذا اصروا على الكفر وقيل
ليس لك مسيئلة هلاكهم والدعا عليهم لانه تعالى اعلم بمصالحهم
فربما تاب على من يشا منهم وقيل معناه ليس لك من امر خلقي شيء
الا ما وافق امري انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم
وقيل ان قوله او يتوب عليهم معطوف على قوله ليقطع طرفا وقوله
ليس لك من الامر شيء كلام معترض بين المعطوف والمعطوف
عليه والتقدير ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم او يتوب عليهم
او يعذبهم فانهم ظالمون ليس لك من الامر شيء بل الامر امري وفي ذلك
كله قال بعض العلما والحكمة في منعه صلى الله عليه وسلم من الدعا
عليهم ولعنهم ان الله تعالى علم من حال بعض الكفار انه سيسلم فيتوب
عليهم وسيولد منهم ولد يكون مسلما برا تقيا فلاجل هذا المعنى منعه
الله تعالى من الدعا عليهم لان دعوته صلى الله عليه وسلم مجابة فلو
دعا عليهم بالهلاك اهلكوا جميعا لكن اقتضت حكمة الله وما سبق
في علمه ابقاهم ليتوب على بعضهم ويستخرج من بعضهم ذرية مومنة
صالحة ويهلك بعضهم بالقتل والموت وهو قوله او يعذبهم فيحتمل
ان يكون المراد بعذابهم في الدنيا وهو القتل والاسر وفي الاخرة وهو
عذاب النار فانهم ظالمون هو كالتعليل لعذابهم والمعنى انما يعذبهم
لانهم ظالمون ثم قال تعالى ولله ما في السموات وما في الارض وهذا
تاكيد لما قبله من قوله ليس لك من الامر شيء والمعنى انما يكون لمن
له ما في السموات وما في الارض وليس ذلك الا الله تعالى وليس
لاحد معه امر يغفر لمن يشا بفضله ورحمته ويعذب من يشا بعدله

يحكم فيهم بما يشا لا منازع له في حكمه ولا معارض له في فعله والله غفور
رحيم يعني ان الله تعالى يستر ذنوب عباده ويغفرها لهم ويرحمهم بترك
العقوبة عنهم عاجلا وانما يفعل ذلك على سبيل التفضل والاحسان
الى عباده لا على سبيل الوجوب عليه لانه تعالى لو ادخل جميع خلقه الجنة
كان ذلك برحمته ولو ادخل جميع خلقه النار كان ذلك بعدله لكن
جانب المغفرة والرحمة غالب قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا
الربا اضعافا مضاعفة اراد به ما كانوا يفعلونه في الجاهلية عند
حلول الدين من زيادة المال وتاخير الاجل كان الرجل في الجاهلية
اذا كان له على انسان دين فاذا جا الاجل ولم يكن للمديون ما يؤدي قال
له صاحب الدين زدني في المال حتى ازيدك في الاجل فربما فعلوا
ذلك مرارا فيصير الدين اضعافا مضاعفة فنهى الله عز وجل
عن ذلك وحرم اصل الربا ومضاعفته واتقوا الله يعني في امر الربا
فلا تاكلوه لعلكم تفلحون اي لكي تسعدوا بثوابه في الاخرة وقيل ان
الفلاح يتوقف على التقوى فلو اكل ولم يتق لم يحصل الفلاح وفيه
دليل على ان الربا من الكبائر ولهذا اعقبه بقوله واتقوا النار التي
اعدت للكافرين يعني واتقوا ايها المومنون ان تستحلوا شيا مما
حرم الله فان من استحل شيا مما حرم الله فهو كافر بالاجماع ويستحق النار
بذلك قال ابن عباس هذا تهديد للمومنين ان يستحلوا ما حرم الله
عليهم من الربا وغيره مما اوجب الله فيه النار قال بعضهم هذه الاية
اخوف اية في القران حيث اوعد الله المومنين بالنار المعدة للكافرين
ان لم يتقوه ويجتنبوا محارمه وقال الواحدي في هذه الاية تقوية
لرجا المومنين رحمة من الله تعالى لانه قال اعدت للكافرين فجعلها
معدة للكافرين دون المومنين واطيعوا الله يعني فيما امركم به
ونهاكم عنه من اكل الربا وغيره والرسول اي واطيعوا الرسول ايضا
فان طاعته طاعة الله قال محمد بن اسحق في هذه الاية معاتبة للذين
عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لعلكم ترحمون اي لكي
ترحموا ولا تعذبوا اذا اطعتم الله ورسوله فان طاعة الله مع معصية
رسوله ليست بطاعة قوله عز وجل وسارعوا الى مغفرة
من ربكم يعني وبادروا وسابقوا الى ما يوجب المغفرة من ربكم وهي
الاعمال الصالحة المامور بفعلها قال ابن عباس الى الاسلام ووجهه
انه تعالى ذكر المغفرة على سبيل التنكير والمراد منه المغفرة
العظيمة وذلك لا يحصل الا بسبب الاسلام لانه يجب ما قبله وعن
ابن عباس ايضا الى التوبة لان التوبة من الذنوب توجب المغفرة

ين ٥

وقال علي بن ابي طالب الى ادا الفرايض لان اللفظ مطلق فيعم الكل
وكذا وجد من قال الى جميع الطاعات وروى عن انس بن مالك ٥
وسعيد بن جبير انها التكبيرة الاولى يعني تكبيرة الاحرام وقيل
الى الاخلاص في الاعمال لان المقصود من جميع العبادات هو
الاخلاص وقيل الى الهجرة وقيل الى الجهاد **وجنة** اى وسارعوا الى
جنة وانما فصل بين المغفرة والجنة لان المغفرة هي ازالة العقاب
والجنة هي حصول الثواب وفيه اشعار بانه لابد من المسارعة
الى التوبة الموجبة للمغفرة وذلك بترك المنهيات والمسارعة
الى الاعمال الصالحة المودية الى الجنة **عرضها** اى عرض الجنة
السموات والارض يعني كعرض السموات والارض لان نفس السموات
والارض ليس عرضا للجنة والمراد سعتها وانما خص العرض للمبالغة
لان الطول في العادة يكون اكثر من العرض يقول هذا صفة عرضها
فكيف بطولها والمراد وصف الجنة بالسعة والبسط فشبهت
باوسع شي علمه الناس وذلك انه لو جعلت السموات والارض
طبقا طبقا ثم وصل البعض بالبعض حتى تكون طبقا واحدا كان
ذلك مثل عرض الجنة فاما طولها فلا يعلمه الا الله تعالى وقيل المراد
بالعرض السعة كما تقول العرب بلاد عريضة اى واسعة عظيمة
قال الشاعر

كان بلاد الله وهي عريضة • على الخايف المطلوب كفة حابل •

والاصل فيه ان ما اتسع عرضه لم يضق ولم يدق وما ضاق عرضه
دق فجعل العرض كناية عن السعة وروى ان هرقل ارسل الى النبي
صلى الله عليه وسلم انك كنت تدعوني الى الجنة عرضها السموات
والارض فاين النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان
الله فاين الليل اذا جا النهار قيل معناه والله اعلم بذلك انه
اذا دار الفلك حصل النهار في جانب والليل في ضد ذلك الجانب
فكذلك الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفل وروى طارق
ابن شهاب ان ناسا من اليهود سالوا عمر بن الخطاب وعنده اصحابه
فقالوا ارايتم قولكم وجنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال
عمر ارايتم اذا جا الليل فاين يكون النهار واذا جا النهار فاين
يكون الليل فقالوا ان لمثلها في التورية ومعناه حيث يشا الله
تعالى فان قلت قال الله تعالى وفي السما رزقكم وما توعدون
واراد بالذي وعدنا به الجنة ومذهب اهل السنة انها في السموات
واذا كانت الجنة في السما فكيف يكون عرضها السموات والارض قلت

المراد

المراد من قولنا انها في السموات انها فوق السموات وتحت العرش
كما سيل انس بن مالك عن الجنة افي السما ام هي في الارض فقال اي
ارض وسما تسع الجنة قيل له فاين هي فقال فوق السموات تحت العرش
وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الفردوس فقال وسقفها عرش
الرحمن وقال قتادة كانوا يرون ان الجنة فوق السموات السبع وان
جهنم تحت الارضين السبع وقيل ان باب الجنة في السما وعرضها كعرض
السموات والارض **اعدت للمتقين** اى هييت للمتقين وفيه دليل
على ان الجنة والنار مخلوقتين الان قوله تعالى **الذين ينفقون في
السرا والضرا** يعني في اليسر والعسر لا يتركون الانفاق في كلتي الحالتين
في الفقر والغنى والرخا والشدة ولا في حال فرح وسرور ولا في حال
محنة وبلاوسوا كان الواحد منهم في عرس او في حبس فانهم لا يدعون
الاحسان الى الناس فاول ما ذكر الله من اخلاقهم الموجبة للجنة
السخا لانه اشق على النفس وكانت الحاجة الى اخراج المال في ذلك
الوقت اعظم الاحوال للحاجة اليه في مجاهدة الاعدا ومواساة
الفقرا من المسلمين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد
من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة
قريب من النار ولجاهل سخي احب الى الله من عابد بخيل اخرجه
الترمذي **ق** عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد
من ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق الا سبغت اووفت
على جلده حتى تخفى بنانه وتعفي اثره واما البخيل فلا يريد ان ينفق
شيا الا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع الجبة الدرع
من الحديد **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم
اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا **ق** عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق ينفق عليك
ق عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين
في سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب اى فل هلم فقال ابو
بكر يا رسول الله ذاك الذى لا توى عليه قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انى لارجو ان تكون منهم قوله اى فل يعني يا فلان
وليس بترخيم والتوى الهلاك يعني ذاك الذي لا هلاك عليه
وقوله تعالى **والكاظمين الغيظ** يعني والجارعين الغيظ عند امتلا

نفوسهم منه والكظم حبس الشي عند امتلايه وكظم الغيظ هو ان يمتلي
غيظا فيرده في جوفه ولا يظهره بقول ولا فعل وصبر عليه وسكت
عنه ومعنى الاية انهم يكفون غيظهم على الامضاء ويردون غيظهم في
اجوافهم وهذا الوصف من اقسام الصبر والحلم عن سهل بن معاذ
ابن انس الجهني عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من كظم غيظا وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله يوم القيمة على
روس الخلايق حتى يخيره من اي الحور شا اخرجه الترمذي
وابو داود ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه
عند الغضب وروي عن عايشة ان خادما لها غاظها فقالت لله
در التقوى ما تركت لذي غيظ شفا **والعافين عن الناس** يعني
اذا جني عليهم احد لم يواخذوه فيكون الاية على العموم وقيل اراد
بالناس المماليك لسوء ادب يقع منهم فتكون على الخصوص وقيل
يعفون عن من ظلمهم واسا اليهم وهو قريب من القول الاول **والله
يحب المحسنين** يحتمل ان يكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويحتمل
ان يكون للعهد فيكون اشارة الى المذكورين في الاية والاحسان
الى الغير اما ان يكون بايصال النفع اليه او بدفع الضرر عنه وقيل
الاحسان ان تحسن الى من اسا اليك فان الاحسان الى المحسن متاجرة
وقيل المحسن هو الذي يعم احسانه كل احد كالشمس والمطر والريح
وقيل الاحسان وقت الامكان وليس عليك في كل وقت احسان
وقيل الاحسان هذه الخصال المذكورة في هذه الاية فمن فعلها فهو
محسن ولما كانت هذه الخصال احسانا الى الغير ذكر الله ثوابها
بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله تعالى للعبد اعظم درجات
الثواب **قوله عز وجل** **والذين اذا فعلوا فاحشة** قال ابن
مسعود قال المومنون للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله كانت بنو
اسرايل اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب ذنبا اصبحت كفارة ذنبه
مكتوبة على عتبة بابه اجدع انفك اذنك افعل كذا فسكت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وروي عطا عن ابن عباس
انها نزلت في نبهان التمار اتته امراة حسنا تبتاع منه تمرا فقال لها ان
هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى
نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فاتى النبي
صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت هذه الاية وفي رواية ابي
صالح عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخا بين رجلين

احدهما انصاري والاخر ثقفي فخرج الثقفي في غزوة واستخلف اخاه
الانصاري على اهله فاشترى لهم ذات يوم لحما فلما ارادت المراة ان
تاخذ منه دخل على اثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف ووضع التراب
على راسه وهام على وجهه فلما رجع الثقفي لم يستقبله الانصاري
فسال امراته عن حاله فقالت لا اكثر الله في الاخوان مثله وذكرت
له الحال والانصاري يسيح في الجبال تايبا مستغفرا فطلبه الثقفي
حتى وجده فاتى به الى ابي بكر رجا ان يجد عنده راحة وفرجا فقال
الانصاري هلكت وذكر القصة فقال ابو بكر ويحك اما علمت ان
الله يغار للغازي ما لا يغار للمقيم ثم لقيا عمر فقال لهما مثل ذلك
فاتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهما مثل مقالتهما فانزل الله
عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة يعني فعلة فاحشة خارجة عما
اذن الله فيه والفاحشة ما عظم قبحه من الاقوال والافعال واصل
الفحش القبح والخروج عن الحد قال جابر الفاحشة الزنا وقوله
او ظلموا انفسهم وظلم النفس هو ما دون الزنا مثل القبلة والمعانقة
واللمس والنظر وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس هي الصغيرة
وقيل الفاحشة ما يكون فعله كاملا في القبح وظلم النفس هو اي ذنب
كان **ذكروا الله** يعني ذكروا وعيد الله وعقابه وان الله يسالهم عن
ذلك يوم العرض الاكبر وقيل ذكروا جلال الله الموجب للحيا منه
وقيل ذكروا الله باللسان عند الذنوب وهو قوله **فاستغفروا الذنو**
يعني لاجل ذنوبهم فتابوا منها واقلعوا عنها نادمين على فعلها
عازمين على ان لا يعودوا اليها وهذه شروط صحة التوبة المقبولة
ومن يغفر الذنوب الا الله وصف نفسه بسعة الرحمة وقرب المغفرة
وان التايب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين
الا الى فضله وكرمه واحسانه وعفوه ورحمته وفيه تنبيه على ان
العبد لا يطلب المغفرة الا منه انه القادر على عقاب المذنب
وكذلك هو القادر على ازالة ذلك العقاب عنه فثبت انه لا يجوز
طلب المغفرة الا منه **ولم يصروا على ما فعلوا** يعني ولم يقيموا على
الذنوب ولم يثبتوا عليها ولكن تابوا منها وانابوا واستغفروا قيل
الاصرار هو ترك الاستغفار عن ابي بكر الصديق ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين
مرة اخرجه ابو داود وقال حديث غريب وعنده عوض ولو عاد ولو
فعل **وهم يعلمون** قال ابن عباس وهم يعلمون انها معصية وقيل وهم
يعلمون ان الاصرار ضار وقيل وهم يعلمون ان الله يملك مغفرة الذنب

بهم

وان لهم ربا يغفرها وقيل وهم يعلمون ان الله لا يتعاظمه العفو عن
الذنوب وان كثرت وقيل معناه وهم يعلمون انهم ان استغفروه غفر
لهم قال ثابت البناني بلغني ان ابليس بكا حين نزلت هذه الاية
والذين اذا فعلوا فاحشة الى اخرها **فصل في فضل**
الاستغفار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال اني كنت
اذا سمعت حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعني الله منه
بما شاء ان ينفعني واذا حدثني احد من اصحابه استحلفته فاذا
حلف لي صدقته وانه حدثني ابو بكر وصدق ابو بكر انه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد مومن او قال ما من رجل
يذنب ذنبا فيقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله الا غفر الله له
ثم قرا هذه الاية والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله
الى اخر الاية اخرجه ابو داود والترمذي وقال هذا حديث قد رواه
غير واحد عن عثمان بن المغيرة فرفعوه ورواه مسعر وسفيان
عن عثمان بن المغيرة فوقفاه ولم يرفعاه ولا يعرف لاسما الا هذا
الحديث عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لزم
الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه
من حيث لا يحتسب اخرجه ابو داود م عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم
ولجا بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم ق عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم فيما يحكي عن ربه تبارك وتعالى قال اذنب عبدي ذنبا فعلم
ان له ربا يغفر الذنب وياخذ بالذنب ثم عاد فاذنب فقال اي رب
اغفر ذنبي فقال تبارك وتعالى عبدي اذنب ذنبا فعلم ان له ربا
يغفر الذنب وياخذ بالذنب وفي رواية اعمل ما شيت قد غفرت لك
قال عبد الاعلى لا ادري اقال في الثالثة او الرابعة اعمل ما شيت
عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله
تبارك وتعالى يا ابن ادم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك
على ما كان منك ولا ابالي يا ابن ادم لو بلغت ذنوبك عنان السما
ثم استغفرتني غفرت لك ولا ابالي يا ابن ادم لو اتيتني بقراب الارض
خطايا ثم اتيتني لا تشرك بي شيا الا اتيتك بقرابها مغفرة اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن عنان السما بفتح العين قيل هو السحاب
وقيل هو ما عن لك منها اي ما ظهر لك منها وقراب الارض بضم القاف
وروي بكسرها والضم اشهر وهو ما يقارب ملوها عن ابن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال استغفر الله العظيم الذي

لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه غفرت ذنوبه وان كان قد فر من
الزحف اخرجه ابو داود والترمذي والحاكم وقال حديث صحيح على شرط
البخاري ومسلم عن ابي الدردا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول كل ذنب عسى الله ان يغفره او قال عسى ان يغفره الله الا من مات
مشركا او مومن قتل مومنا متعمدا اخرجه ابو داود **قوله عز وجل**
اوليك اشارة الى من تقدم ذكره في قوله والذين اذا فعلوا فاحشة او
ظلموا انفسهم الاية **جزاوهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها**
الانهار ومعنى الاية ان المطلوب بالتوبة امران احدهما الامن من
العقاب واليه الاشارة بقوله مغفرة من ربهم والثاني ايصال
الثواب واليه الاشارة بقوله وجنات تجري من تحتها الانهار اي ذلك
لهم ذخر لا يبخس واجر لا يوكس **خالدين فيها** اي في الجنات **ونعم اجر العاملين**
اي ونعم ثواب المطيعين يعني الجنة قوله عز وجل **قد خلت من قبلكم سنن**
يعني قد انقضت من قبلكم سنة الله في الامم الماضية بالهلاك والاستيصال
لانهم خالفوا الانبيا والرسل للحرص على الدنيا وطلب لذاتها والبقا فيها
فانقرضوا ولم يبق منهم احد وقيل في معنى السنة الطريقة المستقيمة والمثال
المتبع لكل امة سنة ومنهاج اذا اتبعوه رضي الله عنهم بذلك وقيل
سنن اي شرايع وقيل سنن اي امم والسنة الامة ومعنى الاية قد مضت
وسلفت مني سنن فيمن كان قبلكم من الامم الماضية الكافرة بامهالي
واستدراجي اياهم حتى يبلغ الكتاب اجله فيهم الذي اجلته لاهلاكهم
فسيروا في الارض امر ندب لا على سبيل الوجوب بل المقصود تعرف
احوال الماضين بقوله **فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** فرغب امة
محمد صلى الله عليه وسلم في تامل احوال الامم الماضية ليصير ذلك داعيا
لهم الى الايمان بالله ورسوله والاعراض عن الدنيا ولذاتها وفيه ايضا
زجر للكافر عن كفره لانه اذا تامل احوال الكفار واهلاكهم صار
ذلك داعيا لهم الى الايمان لان النظر الى اثار المتقدمين له اثر في
النفس كما قيل

ان اثارنا تدل علينا ۔ فانظروا بعدنا الى الاثار

وفي هذه الاية تسلية لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما جرى لهم في غزوة احد يقول فاني انما امهلت الكفار حتى يبلغ
الكتاب اجله فيهم الذي اجلت لهم في اهلاكهم ونصر محمد صلى الله عليه
وسلم واوليايه وهلاك اعدايه قوله تعالى **هذا** يعني هذا القران
وقيل هو اسم اشارة الى ما تقدم من امره ونهيه ووعده ووعيده **بيان**
للناس يعني عامة **وهدى** يعني من الضلالة **وموعظة للمتقين**

يعني خاصة وقيل في الفرق بين البيان والهدى والموعظة لان العطف
يقتضي المغايرة والبيان هو الدلالة التي تفيد ازالة الشبهة بعد
ان كانت حاصلة والهدى هو طريق الرشد المامور بسلوكه دون
طريق الغي والموعظة هي الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق
الدين فالحاصل ان البيان جنس تحته نوعان احدهما الكلام الهادي
الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى والثاني الكلام الزاجر عما لا ينبغي
في الدين وهو الموعظة وانما خص المتقين بالهدى والموعظة لانهم
المنتفعون بهما دون غيرهم قوله عز وجل **ولا تهنوا ولا تحزنوا** نزلت
يوم احد حين امر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بطلب القوم مع
ما اصابهم من الجراح فاشتد ذلك على المسلمين فانزل الله هذه
الاية وحث فيها اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على الجهاد على ما
اصابهم من الجراح والقتل وكان قد قتل يوم احد من الانصار سبعون
رجلا ومن المهاجرين خمسة رجال منهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومصعب بن عمير ومعنى الاية ولا تهنوا اي ولا
تضعفوا عن الجهاد ولا تحزنوا يعني عن من قتل منكم لانهم في الجنة
وانتم الاعلون يعني بالنصر والغلبة عليهم وان العاقبة لكم وقال ابن
عباس انهزم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب فاقبل خالد بن
الوليد في خيل المشركين يريد ان يعلو عليهم الجبل فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اللهم لا يعلوه علينا اللهم لا قوة لنا الا بك وثاب نفر
من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى انهزموا وعلا
المسلمون الجبل فذلك قوله وانتم الاعلون لان حالكم خير من حالهم لان
قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار وانتم تقاتلون على الحق وهم يقاتلون
على الباطل وقيل وانتم الاعلون في العاقبة لانكم تظفرون بهم وتستولون
عليهم **ان كنتم مؤمنين** اي اذ كنتم مؤمنين وقيل معناه ان كنتم مصدقين بان
ناصركم هو الله تعالى فصدقوا بذلك فانه حق وصدق قوله تعالى **ان
يمسسكم قرح** قرئ بضم القاف وبفتحها وهما لغتان ومعناهما واحد وقيل
انه بالفتح مصدر وبالضم اسم وقيل انه بالفتح اسم للجراحة وبالضم الم
الجراحة والاية خطاب للمسلمين حين انصرفوا من احد مع الحزن والكآبة
يقول ان يمسسكم ايها المسلمون قرح **فقد مس القوم** يعني الكفار **قرح
مثله** يعني في يوم بدر وقيل ان الكفار قد نالهم في يوم احد مثل ما نالكم
من الجراح والقتل فقد قتل منهم نيف وعشرون رجلا وكثرت الجراحات
فيهم **وتلك الايام نداولها بين الناس** المداولة نقل الشيء من واحد الى
اخر يقال تداولته الايدي اذا انتقل من واحد الى اخر ويقال الدنيا دول

اي تنتقل من قوم الى اخرين ثم منهم الى غيرهم والمعنى ان ايام الدنيا
هي دول بين الناس فيوم لهولاء ويوم لهولاء فكانت الدولة للمسلمين على
المشركين في يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين رجلا واسروا سبعين ه
وادیل المشركين من المسلمين يوم احد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسا
وسبعين **خ** عن البراء بن عازب قال جعل النبي صلى الله عليه وسلم على
الرجالة يوم احد وكانوا خمسين رجلا وهم الرماة عبد الله بن جبير
فقال ان رايتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى ارسل
اليكم وان رايتمونا هزمنا القوم واوطاناهم فلا تبرحوا حتى ارسل اليكم
فهزمهم الله قال فانا والله رايت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن
واسوقهن رافعات ثيابهن فقال اصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة
اي قوم الغنيمة ظهر اصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير انسيتم
ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا والله لناتين الناس
فلنصيبن من الغنيمة فلما اتوهم صرفت وجوههم فاقبلوا منهزمين فذلك
قوله والرسول يدعوكم في اخراكم فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم
غير اثني عشر رجلا فاصابوا منا سبعين رجلا وكان النبي صلى الله عليه
وسلم قد اصاب من المشركين يوم بدر اربعين ومائة سبعين اسيرا
وسبعين قتيلا فقال ابو سفيان افي القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم
النبي صلى الله عليه وسلم ان يجيبوه ثم قال افي القوم عمر بن الخطاب
ثلاث مرات ثم رجع الى اصحابه فقال اما هولاء فقد قتلوا فما ملك عمر
نفسه فقال كذبت والله يا عدو الله ان الذي عددت لاحياء كلهم وقد
بقي لك ما يسوءك قال يوم بيوم بدر والحرب سجال انكم ستجدون في القوم
مثلة لم امر بها ولم تسؤني ثم اخذ يرتجز اعل هبل اعل هبل فقال النبي
صلى الله عليه وسلم الا تجيبوه فقالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا
الله اعلى واجل قال ابو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله
عليه وسلم الا تجيبوه قالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله مولانا
ولا مولى لكم قال البغوي وقد روى هذا المعنى عن ابن عباس وفي حديثه
قال ابو سفيان يوم بيوم وان الايام دول وان الحرب سجال فقال عمر لا
سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار قال الزجاج الدولة تكون للمسلمين
على الكفار لقوله تعالى وان جندنا لهم الغالبون فكانت يوم احد للكفار
على المسلمين لمخالفتهم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى
وليعلم الله الذين امنوا يعني انما جعل الدولة للكفار على المسلمين ليميز
المومن المخلص ممن يرتد عن الدين اذا اصابته نكبة وشدة وقيل
معناه وليعلم الله الذين امنوا بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم

اى ليعرفهم باعيانهم الا ان سبب العلم وهو ظهور الصبر حذف هنا وقيل
معناه ليعلم الله ذلك واقعا منهم لان الله تعالى يعلم الشئ قبل وجوده
ولا يحتاج الى سبب حتى يعلم والمعنى ليقع ما علمه عينا ومشاهدة للناس
والمجازاة انما تقع على الواقع دون المعلوم الذى لم يوجد وقيل معناه
ليحكم الله بالامتياز بين المومن والمنافق فوضع العلم موضع الحكم لان
الحكم لا يحصل الا بعد العلم **ويتخذ منكم شهدا** اى وليكرم قوما منكم
بالشهادة من اراد ان يكرمه بها وذلك لان قوما من المسلمين فاتهم يوم
بدر وكانوا يتمنون لقا العدو ويلتمسون فيه الشهادة والشهدا جمع شهيد
وهو من قتل من المسلمين بسيف الكفار فى المعركة واختلفوا فى معنى
الشهيد فقيل الشهيد الحى لقوله تعالى بل احيا عند ربهم يرزقون
فارواحهم حية حضرت دار السلام وشهدتها وارواح غيرهم لا تشهدها
وقيل سمى شهيدا لانهم يشهدون يوم القيمة مع الانبيا والصديقين
على الامم لان الشهادة تكون للافضل فالافضل من الامة ولان منصب
الشهادة منصب عظيم ودرجة عالية **والله لا يحب الظالمين** يعنى المشركين
وقيل هم الذين ظلموا انفسهم بالمعاصى وقيل هم المنافقون الذين
يظهرون الايمان بالسنتهم ويسرون الكفر والمعنى ان الله لا يحب من لا
يكون ثابتا على الايمان صابرا على الجهاد **وليمحص الله الذين امنوا**
اى وليطهرهم من ذنوبهم ويزيلها عنهم واصل المحص فى اللغة التنقية
والازالة **ويمحق الكافرين** اى يفنيهم ويهلكهم ومعنى الاية ان قتلكم
الكافرون فهو شهادة وتطهير لكم وان قتلتموهم انتم فهو محقهم واستيصال لهم

قوله عزوجل **ام حسبتم** اى بل حسبتم وظننتم والمراد به
الانكار والمعنى لا تحسبوا ايها المؤمنون **ان تدخلوا الجنة** وتنالوا كرامتى
وثوابى **ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم** قال الامام فخر الدين الرازى
ظاهر الاية يدل على وقوع النفى على العلم والمراد وقوعه على نفى المعلوم
والتقدير ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يصدر الجهاد عنكم وتقريره ان
العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما حصلت هذه المطابقة لا جرم حسن
اقامة كل واحد منهما مقام الاخر وقال الواحدى النفى فى الاية واقع على
العلم والمعنى على الجهاد دون العلم وذلك لما فيه من الايجاز فى انتفا جهاد
ولو كان العلم للايجاز على سبيل التوسع فى الكلام اذ المعنى مفهوم من غير
اخلال وقال الزجاج المعنى ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين
اى ولما يعلم الله ذلك واقعا منكم لانه يعلمه غيبا وانما يجازيهم على عملهم
وقال الطبرى يقول ولما يتبين لعبادى المومنين المجاهدة منكم على
ما امرته به **ويعلم الصابرين** يعنى فى الحرب وعلى ما نالهم فى ذات الله

عز

عزوجل من جراح والم ومكروه وفى هذه الاية معاتبة لمن انهزم يوم
احد والمعنى ام حسبتم ايها المنهزمون ان تدخلوا الجنة كما دخلها الذين
قتلوا وبذلوا مهجتهم لربهم عز وجل وصبروا على الم الجراح والضرب
وثبتوا لعدوهم من غير ان تسلكوا طريقتهم وتصبروا صبرهم قوله
تعالى **ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه** قال ابن عباس لما اخبر
الله المؤمنين على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بما فعل بشهدا يوم
بدر من الكرامة رغبوا فى ذلك فتمنوا قتالا يستشهدون فيه فيلحقون
باخوانهم لما راهم الله يوم احد فلم يلبثوا ان انهزموا الا من شا الله منهم
فانزل الله هذه الاية وقيل ان قوما من المسلمين تمنوا يوما كيوم بدر
ليقاتلوا فيه وليستشهدوا فاراهم الله يوم احد ومعنى قوله تمنون
الموت اى تطلبون اسباب الموت وهو القتال والجهاد من قبل
ان تلقوه اى من قبل ان تلقوا يوم احد **فقد رايتموه** يعنى رايتم ما كنتم
تمنون والهاء فى رايتموه عايده على الموت اى رايتم اسبابه اى معاينين
له شاهدين قتل من قتل من اخوانكم بين ايديكم **وانتم تنظرون**
قيل ذكره تاكيدا وقال الزجاج معناه فقد رايتموه وانتم بصرا كما تقول
رايت كذا وكذا وليس فى عينك علة اى رايته روية حقيقة وقيل معناه
وانتم تنظرون ما تمنيتم فلم انهزمتم **قوله عزوجل** **وما محمد الا
رسول قد خلت من قبله الرسل** قال اهل المغازى خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالشعب من احد فى سبعمائة رجل وجعل
عبد الله بن جبير على الرجالة وكانوا خمسين رجلا وقال اقيموا باصل
الجبل وانضحوا عنا بالنبل حتى لا ياتونا من خلفنا فان كانت لنا او
علينا لا تبرحوا من مكانكم حتى ارسل اليكم فانا لن نزال غالبين ما
ثبتم مكانكم وكانت قريش وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم
عكرمة بن ابى جهل ومعهم النسا يضربن بالدفوف وينشدون الاشعار
يقاتلوا حتى حميت الحرب وحمل النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه
على المشركين فهزموهم وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد اخذ سيفا
وقال من ياخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى ينحنى فاخذ
ابو دجانة سماك بن خرشة الانصارى فلما اخذه اعتم بعمامة حمرا
وجعل يتبختر فى مشيته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها
لمشية يبغضها الله ورسوله الا فى هذا الموضع فلما نظرت الرماة الى
المشركين وقد انكشفوا وراوا اصحابهم ينهبون الغنيمة اقبلوا يريدون
النهب فلما راى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة
وراوا ظهورهم خالية صاح فى خيله وحمل على اصحاب رسول الله صلى الله

عليه وسلم فنهوهم ورمى عبد الله بن قمية رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحجر فكسر انفه ورباعيته وشجه في وجهه فاثقله وتفرق اصحابه ونهض
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة ليعلوها فلم يستطع وكان قد
ظاهر بين درعين فجلس تحته طلحة فنهض حتى استوى على الصخرة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة ووقعت هند والنسوة
معها يمثلن بالقتلى من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يجدعن
الاذان والانوف حتى اتخذت من ذلك قلايدا واعطتها وحشيا
وبقرت من كبد حمزة رضي الله عنه وكان قد قتل يومئذ فاخذت منها
قطعة فلاكتها فلم تسغها فلفظتها واقبل عبد الله بن قمية يريد
قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذب عنه مصعب بن عمير وهو
صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله ابن قمية وهو يرى
انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع وقال اني قتلت محمدا
وصاح صارخ الا ان محمدا قد قتل ويقال ان الصارخ ابليس اللعين
فانكفا الناس وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الى عباد الله
الى عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين
ورمى سعد بن ابي وقاص حتى اندقت سية قوسه ونثل له رسول الله
صلى الله عليه وسلم كنانته وقال ارم فداك ابي وامي وكان ابو طلحة
رجلا راميا شديد النزع كسر يومئذ قوسين او ثلاثة وكان الرجل يمر
ومعه جعبة النبل فيقول انثرها لابي طلحة فكان اذا رمى تشرف رسول
الله صلى الله عليه وسلم ينظر موضع نبله واصيبت يد طلحة بن عبيد
الله فيبست وفى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم واصيبت عين
قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعادت احسن ما كانت فلما انصرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم ادركه ابي بن خلف الجمحي وهو يقول لا نجوت ان نجوت
فقال القوم يا رسول الله الا يعطف عليه رجل منا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم دعوه حتى اذا دنى منه وكان ابي قبل ذلك يلقى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيقول عندي رمكة اعلفها كل يوم فرق ذرة
اقتلك عليها فيقول النبي صلى الله عليه وسلم بل انا اقتلك ان شا الله
فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن
الصمة ثم استقبله وطعنه في عنقه وخدشه خدشة فتدهدا عن فرسه
وهو يخور كما يخور الثور ويقول قتلني محمد فاحتمله اصحابه وقالوا ليس
عليك باس فقال بل لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم اليس
قال انا قاتلك فلو بزق علي بعد ذلك لقتلني بها فلم يلبث بعد ذلك

الا يوما حتى مات بموضع يقال له سرف خ عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من قتله نبي
في سبيل الله اشتد غضب الله على قوم ادموا وجه نبي الله قالوا وفشى
في الناس ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال بعض المسلمين ليت
لنا رسولا الى عبد الله بن ابي فياخذ لنا امانا من ابي سفيان وجلس
بعض الصحابة والقوا بايديهم وقال اناس من المنافقين ان كان
محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الاول وقال انس بن النضر عم انس بن
مالك يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل وما تصنعون
بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه
وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول
هولاء يعني المسلمين وابرا اليك مما جاء به هولاء يعني المشركين ثم شد
بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق
الى الصخرة وهو يدعو الناس فاول من عرف رسول الله صلى الله عليه
وسلم كعب بن مالك قال عرفت عينيه تزهران تحت المغفر فناديت
باعلا صوتي يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاشار الي ان اسكت فانحازت اليه طايفة من اصحابه فلامهم
النبي صلى الله عليه وسلم على الفرار فقالوا يا رسول الله فديناك
باباينا وامهاتنا اتانا الخبر بانك قد قتلت فرعبت قلوبنا
فولينا مدبرين فانزل الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من
قبله الرسل ومعنى الاية فسيخلو محمد كما خلت الرسل من قبله فكما ان
اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلو انبيائهم فعليكم انتم ان تتمسكوا
بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسول تبليغ الرسالة والزام
الحجة لا وجوده بين ظهراني قومه ومحمد اسم علم لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وفيه اشارة الى وصفه بذلك وتخصيصه بمعناه وهو الذي
كثرت خصاله المحمودة والمستحق لجميع المحامد لانه الكامل في نفسه
صلى الله عليه وسلم فاكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ٥
وسماه باسمين مشتقين من اسم المحمود سبحانه وتعالى فسماه محمدا
واحمد وفي ذلك يقول حسان بن ثابت •

الم تر ان الله ارسل عبده • ببرهانه والله اعلى وامجد •
اغر عليه للنبوة خاتم • من الله مشهور يلوح ويشهد •
وشق له من اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد •

ق عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة
اسما انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر

الذى يحشر الناس على قدمى وانا العاقب الذى ليس بعده نبى ٥
وسماه الله روفا رحيما م عن ابي موسى الاشعري قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسما فقال انا محمد وانا احمد والمقفى
ونبى التوبة ونبى الرحمة قوله المقفى هو اخر الانبيا الذى لا نبى
بعده والرسول هو المرسل بدليل قوله تعالى وانك لمن المرسلين
أفاين مات او قتل انقلبتم على اعقابكم يعني اتنقلبون على اعقابكم
ان مات محمد او قتل وترجعون الى دينكم الاول يقال لكل من رجع
الى ما كان عليه رجع وراه ونكص على عقبيه وحاصل الكلام ان الله
تعالى بين ان موت محمد او قتله لا يوجب ضعفا فى دينه ولا الرجوع
عنه بدليل موت ساير الانبيا قبله وان اتباعهم ثبتوا على دين
انبيايهم بعد موتهم **ومن ينقلب على عقبيه** يعنى فيرتد عن دينه
ويرجع الى الكفر **فلن يضر الله شيا** يعني بارتداده لان الله تعالى لا
يضره كفر الكافرين لانه تعالى غنى عن العالمين وانما يضر المرتد ٥
والكافر نفسه **وسيجزى الله الشاكرين** يعنى الثابتين فى دينهم الذين
لم ينقلبوا عنه لانهم شكروا نعمة الله عليهم بالاسلام وثباتهم عليه فسماهم
الله شاكرين لما فعلوا والمعنى وسيثيب الله من شكره على توفيقه
وهدايته وروى ابن جبير عن علي بن ابى طالب رضى الله عنه فى قوله
وسيجزى الله الشاكرين قال الثابتين على دينهم ابا بكر واصحابه وكان
على يقول ابو بكر امين الشاكرين وامين احبا الله وكان اشكرهم واحبهم
الى الله تعالى **قوله عز وجل** **وما كان لنفس ان تموت الا
باذن الله** اى بامر الله وقضايه وقدره وعلمه وذلك ان الله يامر
ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت احد الا باذن الله تعالى وامره
والمراد من الاية تحريض المؤمنين على الجهاد وتشجيعهم على لقا العدو
باعلامهم بان الجبن لا ينفع وان الحذر لا يدفع المقدور وان احد الا
يموت قبل اجله وان خاض المهالك واقتحم المعارك واذا جا الاجل لم
يدفع الموت بحيلة فلا فايدة فى الخوف والجبن وفى الاية ايضا ذكر
حفظ الله رسوله صلى الله عليه وسلم عند غلبة العدو وتخليصه منهم
عند التفافهم عليه واسلام اصحابه له فانجاه الله من عدوه سالما
مسلما لم يضره شى **كتابا مؤجلا** يعنى موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا
يتاخر والمعنى ان الله تعالى كتب لكل نفس اجلا لا يقدر احد على تغيره
او تقديمه او تاخيره وقيل الكتاب هو اللوح المحفوظ لان فيه اجال
جميع الخلق **ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها** يعنى من يرد بعمله ٥
وطاعته الدنيا ويعمل لها نؤته منها ما يكون خيرا لعمله والمعنى نؤته منها

ما نشا

ما نشا على ما قدرناه له نزلت فى الذين تركوا المركز يوم احد وطلبوا
الغنيمة **ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها** يعنى من اراد بعمله الاخرة
نؤته ثوابه فيها نزلت فى الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم احد واعلم ان هذه الاية وان نزلت فى الجهاد خاصة لكنها عامة فى
جميع الاعمال وذلك لان الاصل فى ذلك كله يرجع الى نية العبد فان
كان يريد بعمله الدنيا فليس له جزا الا فيها وكذلك من اراد بعمله
الدار الاخرة نجزاوه ايضا فيها ق عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات وفى رواية بالنية
وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله
ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها وفى رواية ينكحها فهجرته
الى ما هاجر اليه وروى البغوى بسنده عن انس بن مالك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت نيته طلب الاخرة جعل الله
غناه فى قلبه وجمع له شمله واتته الدنيا راغمة ومن كانت نيته طلب
الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه امره ولا ياتيه منها الا
ما كتب له وقوله تعالى **وسنجزي الشاكرين** يعني المؤمنين المطيعين
الذين لم يشغلهم شي عن الجهاد ولم يريدوا باعمالهم الا الله تعالى والدار
الاخرة **قوله عز وجل** **وكاين من نبي** اى وكم من نبى **قتل
معه** وقرى قاتل معه فمن قرا قتل بضم القاف فله اوجه احدها ان
يكون القتل راجعا على النبى صلى الله عليه وسلم وحده فعلى هذا
يكون الوقف على قتل لانه كلام تام وفيه اضمار تقديره قتل ومعه
ربيون كثير والمعنى ان كثيرا من الانبيا قتلوا والذين بقوا بعدهم
فما وهنوا فى دينهم وما استكانوا بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة
دينهم فكان ينبغى لكم ان تكونوا مثلهم الوجه الثانى ان القتل نال النبى
صلى الله عليه وسلم ومن معه من الربيون ويكون المراد البعض ويكون
قوله فما وهنوا راجعا الى الباقين والمعنى وكاين من نبي وبعض من
كان معه فما ضعف الباقون لقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على
جهاد عدوهم فكان ينبغى لكم ان تكونوا كذلك الوجه الثالث ان يكون
القتل نال الربانيون لا النبى والمعنى وكاين من نبى قتل من كان معه
وعلى دينه ربيون كثير ومن قرا قاتل معه ربيون كثير فالمعنى وكاين
من نبى قاتل معه العدد الكثير من اصحابه فاصابهم من عدوهم
قروح وجراحات فما وهنوا لما اصابهم بل استمروا على جهاد عدوهم
لان الذى اصابهم انما هو فى سبيل الله وطاعته واقامة دينه ونصرة
نبيه فكان ينبغى لكم ان تفعلوا مثل ذلك يا امة محمد وحجة هذه القراة

ما روي عن سعيد بن جبير انه قال ما سمعنا ان نبيا قتل في القتال
وقوله ربيون قال ابن عباس جموع كثيرة من الربيون الالوف وقيل
الربية الواحدة عشرة الاف وقيل ربيون يعني فقها علما وقيل الربيون
هم الاتباع فما وهنوا اي فما جبنوا عن الجهاد في سبيل الله لما اصابهم
في سبيل الله وما ضعفوا يعني عن مجاهدة عدوهم بما نالهم من الم
الجراح وقتل الاصحاب وما استكانوا يعني وما استسلموا وما خضعوا
لعدوهم ولكن صبروا على امر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم وهذا
تعريض بما اصابهم يوم احد من الوهن والانكسار عند الارجاف
بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعفهم عن مجاهدة المشركين
واستكانتهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في
طلب الامان من ابي سفيان والمقصود من الاية حكاية ما جرى لساير
الانبيا واتباعهم لتقتدي هذه الامة بهم وترغيب الذين كانوا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهاد والله يحب الصابرين يعني
في الجهاد من صبر على تحمل الشدايد في طلب الاخرة ولم يظهر الجزع
والعجز فان الله يحبه ومحبة الله للعبد عبارة عن ارادة اكرامه واعزازه
وايصال الثواب له وادخاله الجنة مع اوليايه واصفيايه ثم قال تعالى
وما كان قولهم يعني قول الربيون الا ان قالوا ربنا اغفر لنا
ذنوبنا فيدخل فيه جميع الصغاير والكباير واسرافنا في امرنا
يعني ما اسرفنا فيه فتخطينا الى العظام من الذنوب لان الاسراف
الافراط في الشي ومجاوزة الحد فيه فيكون المعنى اغفر لنا ذنوبنا
الصغاير منها والكباير وثبت اقدامنا لكي لا تزول عند لقا العدو وذلك
يكون بازالة الخوف والرعب من قلوبهم وانصرنا على القوم الكافرين
لان النصر على الاعدا لا يكون الا من عند الله بين الله تعالى انهم كانوا
مستعدين عند لقا العدو بالدعا والتضرع وطلب الاعانة
والنصر من الله تعالى والغرض منه ان يقتدى بهم في هذه الطريقة
الحسنة امة محمد صلى الله عليه وسلم يقول هلا فعلتم مثل ما فعلوا
وقلتم مثل ما قالوا فاتاهم الله ثواب الدنيا يعني النصر والغنيمة
وقهر الاعدا والثنا الجميل وغفران الذنوب والخطايا وحسن ثواب
الاخرة يعني الجنة وما فيها من النعيم المقيم وانما خص ثواب الاخرة
بالحسن تنبيها على جلاله وعظمته لانه غير زايل ولم يشب بتنغيص
ولم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلته ولانه سريع الزوال مع ما يشوبه
من التنغيص والله يحب المحسنين يعني الذين يفعلون مثل فعل هولا
وهذا تعليم من الله تعالى لعباده المومنين ان يقولوا مثل هذا عند لقا

العدو وفيه دقيقة لطيفة وهو انهم لما اعترفوا بذنوبهم وكونهم مسيئين
سماهم محسنين **قوله عز وجل** يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين
كفروا يعني اليهود والنصارى وقيل المنافقين وذلك قولهم للمومنين
عند الهزيمة يوم احد ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وقيل معناه
ان تطيعوهم فيما يامرونكم به من ترك الجهاد يردوكم على اعقابكم يعني
يرجعونكم الى امركم الاول وهو الكفر والشرك بالله بعد الايمان به لان
قبول قولهم في الدعوة الى الكفر كفر فتنقلبوا خاسرين يعني مغبونين
في الدنيا والاخرة اما خسار الدنيا فهو طاعة الكفار والتذلل للاعدا
واما خسار الاخرة فهو دخول النار وحرمان دار القرار بل الله مولاكم
اي وليكم وناصركم وحافظكم فاستعينوا به وهو خير الناصرين يعني
انه تعالى قادر على نصركم والمعنى انكم انما تطيعوا الكفار لينصروكم
ويعينوكم وهم عاجزون عن نصر انفسهم فضلا عن غيرهم فاطلبوا النصر
من الله تعالى فهو خير الناصرين قوله عز وجل سنلقي في قلوب الذين
كفروا الرعب وذلك ان ابا سفيان ومن معه لما ارتحلوا يوم احد متو
جهين
الى مكة فلما بلغوا بعض الطريق ندموا وقالوا بيس ما صنعنا قتلناهم
حتى لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا اليهم فاستاصلوهم فلما عزموا
على ذلك القى الله في قلوبهم الرعب يعني الخوف الشديد حتى رجعوا
عما هموا به فعلى هذا القول يكون الوعد بالقا الرعب في قلوب الكفار
مخصوصا بيوم احد وقيل انه عام وان كان السبب خاصا لقوله صلى
الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر فكانه قال سنلقي في قلوب
الذين كفروا الرعب منكم حتى تقهروهم ويظهر دينكم على ساير الاديان والملل
كما قال تعالى ليظهره على الدين كله بما اشركوا بالله يعني انما كان القا
الرعب في قلوبهم بسبب اشراكهم بالله ما لم ينزل به سلطانا يعني حجة
وبرهانا وسميت الحجة سلطانا لان السلطان مشتق من التسليط وهو
ما يستضيح به وقيل السلطان القوة والقدرة وسميت الحجة سلطانا
لقوتها على دفع الباطل وماواهم النار اي لما بين الله تعالى حال الكفار
في الدنيا وهو القا الرعب والخوف في قلوبهم بين حالهم في الاخرة فقال
تعالى وماواهم النار اي مسكنهم وبيس مثوى الظالمين اي المسكن الذي
يستقرون به ويقيمون فيه وكلمة بيس تستعمل في جميع المذام والمعنى وبيس
مقام الظالمين الذين ظلموا انفسهم باكتساب ما اوجب لهم عذاب النار
والاقامة فيها قوله عز وجل ولقد صدقكم الله وعده قال محمد بن كعب
القرظي لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه من احد الى المدينة
وقد اصابهم ما اصابهم قال ناس من الصحابة من اين اصابنا هذا وقد

وعدنا الله النصر فانزل الله ولقد صدقكم الله وعده يعني بالنصره
والظفر وذلك ان الظفر كان للمسلمين في الابتدا وقيل ان الله وعد
المومنين النصر باحد فنصرهم فلما خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وطلبوا الغنيمة هزموا **اذ تحسونهم** يعني اذ تقتلون الكفار قتلا
ذريعا وقيل معنى تحسونهم يعني تستاصلونهم بالقتل **باذنه** يعني بعلم
الله وامره وقيل بقضايه وقدره **حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر
وعصيتم** قال الفرا فيه تقديم وتاخير تقديره حتى اذا تنازعتم في الامر
وعصيتم فشلتم وقيل معناه لقد صدقكم الله وعده بالنصر الى ان كان
منكم الفشل والتنازع والمعصية وقيل فيه معنى الشرط وجوابه
محذوف تقديره اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم منعكم الله النصر
ومعنى فشلتم ضعفتم والفشل الضعف مع جبن ومعنى التنازع الاختلاف
وكان اختلافهم وتنازعهم ان الرماة الذين كانوا مع عبد الله بن جبير
لما انهزم المشركون ثم اقبلوا على الغنيمة وقال بعضهم لبعض لا تجاوزوا
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عبد الله بن جبير اميرا القوم
في نفر يسير دون العشرة ممن كان معه فلما راي خالد بن الوليد وعكرمه
ابن ابي جهل ذلك حملوا على الرماة الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير
واقبلوا على المسلمين وتحولت الريح دبورا بعد ما كانت صبا وانتقضت
صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتتلون على غير شعار يضرب
بعضهم بعضا وما يشعرون بذلك من الدهش ونادى ابليس ان
محمدا قد قتل فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين وقوله وعصيتم يعني
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما امركم به من لزوم المركز **من
بعد ما اراكم ما تحبون** من النصر والظفر والغنيمة يا معشر المسلمين
منكم من يريد الدنيا يعني الذين تركوا المركز واقبلوا على النهب **ومنكم
من يريد الاخرة** يعني الذين ثبتوا مع اميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا
قال عبد الله بن مسعود ما شعرت ان احدا من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان يوم احد نزلت هذه الاية
ثم صرفكم عنهم يعني يا معشر المسلمين يعني عن المشركين بالهزيمة **ليبتليكم**
يعني ليمتحنكم وقيل لينزل عليكم البلا لتتوبوا اليه وتستغفروه وقيل
معناه ليختبركم وهو اعلم ليميز المومن من المنافق ومن يريد الدنيا
ممن يريد الاخرة **ولقد عفى عنكم** يعني ولقد عفا الله عنكم ايها المخالفون
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستاصلكم بعد المخالفة والمعصية
وقيل عفى عن عقوبتكم ايها المخالفون **والله ذو فضل على المومنين**
وهذا من تمام نعمه على عباده المومنين لانه نصرهم اولا ثم عفى عن المذنبين

منهم ثانيا لانه ذو الفضل والطول والاحسان وفي الاية دليل على ان صاحب
الكبيرة مومن وان الله يعفو بفضله وكرمه ان شا لانه سماهم مومنين
مع ما ارتكبوه من مخالفة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي كبيرة
وعفى عنهم بعد ذلك **قوله عز وجل** **اذ تصعدون** قيل هو متعلق
بما قبله والتقدير ولقد عفى عنكم اذ تصعدون لان عفوه عنهم لا بد وان
يتعلق بامر اقترفوه وذلك الامر هو ما بينه بقوله اذ تصعدون
يعني هاربين في الجبل وقيل هو ابتدا كلام لا تعلق له بما قبله والمعنى
اذكروا اذ تصعدون قراة الجمهور بضم التا وكسر العين من الاصعاد
وهو الذهاب في الارض والابعاد فيها وقرا الحسن تصعدون بفتح
التا من الصعود وهو الارتقا من اسفل الى اعلا كالصعود على الجبل
وفي السلم ونحوه وللمفسرين في معنى الاية قولان احدهما انه صعودهم
في الجبل عند الهزيمة والثاني انه الابعاد في الارض في حال الهزيمة
ووقت الهرب **ولا تلوون على احد** اي لا تعرجون ولا تقيمون على احد
ولا يلتفت بعضكم الى بعض من شدة الهرب **والرسول يدعوكم في
اخراكم** اى في اخركم ومن ورايكم يقول الى عباد الله انا رسول الله من
كر اى رجع فله الجنة **فاثابكم غما بغم** يعني فجازاكم بفراركم عن نبيكم صلى
الله عليه وسلم وفشلكم عن عدوكم غما بغم فسمى العقوبة التي عاقبهم بها
ثوابا على سبيل المجاز لان لفظ الثواب لا يستعمل في الاغلب الا في الخير
وقد يجوز استعماله في الشر لانه ماخوذ من ثاب اذا رجع فاصل الثواب كل
ما يعود الى الفاعل من جزا فعله سوا كان خيرا او شرا فمتى حملنا لفظ الثواب
على اصل اللغة كان الكلام صحيحا ومتى حملناه على الاغلب كان على سبيل
المجاز فهو كقول الشاعر

اخاف زيادا ان يكون عطاوه ۔ اداهم سودا او محدرجة سمرا

فجعل العطا مكان العتاب لان الاداهم السود هي القيود الثقال والمحدرجة
هي السياط والبا في قوله غما بغم بمعنى مع او بمعنى على لان حروف الجر
تنوب بعضها عن بعض وقيل البا على بابها والمعنى غما متصلا بغم
واختلفوا في معنى الغمين فقيل الغم الاول هو ما فاتهم من الظفر والغنيمة
والغم الثاني هو ما نالهم من القتل والهزيمة وقيل الغم الاول ما اصابهم
من القتل والجراح والغم الثاني هو ما سمعوا ان محمدا صلى الله عليه
وسلم قد قتل فانساهم غمهم الاول وقيل الغم الاول هو انهم غموا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بمخالفة امره فجازاهم الله بذلك الغم الفتل
والهزيمة وقيل ان غمهم الاول بسبب اشراف خالد بن الوليد مع خيل
المشركين عليهم والغم الثاني حين اشرف ابو سفيان عليهم وذلك

حذ
١

ان اباسفيان واصحابه وعمنوا بباب الشعب فلما نظر المسلمون اليهم همهم
ذلك وظنوا انهم يميلون عليهم فيقتلونهم فاهمهم ذلك وقوله تعالى
لكيلا في لفظة لا قولان احدهما انها باقية على اصلها ومعناها النفي
فعلى هذا يكون الكلام متصلا بقوله ولقد عفى عنكم لكيلا **تحزنوا على ما**
فاتكم ولا ما اصابكم لان عفوه يذهب كل هم وحزن وقيل معناه فاثابكم
غما انساكم الحزن على ما فاتكم ولا ما اصابكم وقد روي انهم لما سمعوا
بان النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل نسوا ما اصابهم وما فاتهم
والقول الثاني ان لفظة لا صلة ومعنى الكلام لكي تحزنوا على ما فاتكم
واصابكم عقوبة لكم على مخالفتكم قال ابن عباس الذي فاتهم الغنيمة
والذي اصابهم القتل والهزيمة **والله خبير بما تعملون** اى هو عالم
بجميع اعمالكم خيرها وشرها فيجازيكم عليها قوله عز وجل **ثم انزل**
عليكم يا معشر المسلمين **من بعد الغم** الذي اصابكم **امنة نعاسا** يعني
امنا والامنة والامن واحد وقيل الامن يكون مع زوال الخوف والامنة
مع بقا سبب الخوف وكان سبب الخوف بعد باق والنعاس اخف النوم
والمعنى اعقبكم بما نالكم من الخوف والرعب ان امنكم امنا تنامون
معه لان الخايف لا يكاد ينام فامنهم بعد خوفهم **يغشى طايفة منكم**
قال ابن عباس امنهم يوميذ بنعس تغشاهم وانما ينعس من يامن
والخايف لا ينام **خ** عن انس عن ابي طلحة قال كنت فيمن يغشاهم النعاس
يوم احد حتى سقط سيفي من يدي مرارا يسقط واخذه اخرجه الترمذي
عنه قال غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم احد وذكره نحو رواية
البخاري وزادوا الطايفة الاخري المنافقين ليس لهم هم الا انفسهم اجبن
قوم وارعبه واخذله للحق وفي رواية اخري له قال رفعت راسي يوم
احد فجعلت اراهم وما منهم يوميذ احد الا يميد تحت حجفته من النعاس
فذلك قوله ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا وقال الزبير بن
العوام لقد رايتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا
الخوف ارسل الله تعالى علينا النوم واني لاسمع قول معتب بن قشير
والنعس يغشاني ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شي
ما قتلنا هاهنا فقوله تعالى يغشى طايفة منكم المومنين **وطايفة**
قد اهمتهم انفسهم يعني المنافقين اراد الله ان يميز المومنين من المنافقين
فاوقع النعس على المومنين حتى امنوا ولم يوقع النعس على المنافقين
فبقوا في الخوف وفي القا النعس على المومنين دون المنافقين اية عظيمة
ومعجزة باهرة لان النعس كان سبب امن المومنين وعدم النعس عن
المنافقين كان سبب خوفهم وهو قوله تعالى وطايفة قد اهمتهم انفسهم يعني

جملتهم

جملتهم انفسهم على الهم لان اسباب الخوف وهي قصد الاعدا كانت حاصلة
عندهم **يظنون بالله غير الحق** يعني يظنون ان الله لا ينصر محمدا واصحابه
وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل وامره يضمحل والمعنى يظنون
بالله غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به **ظن الجاهلية** اى كظن اهل
الجاهلية **يقولون** يعني المنافقين **هل لنا** اي ما لنا **من الامر من شي** وذلك
ان لما شاور النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي بن سلول راس
المنافقين في الواقعة فاشار اليه ان لا يخرج من المدينة فلما خالفه
النبي صلى الله عليه وسلم وخرج وقتل من قتل قيل لعبد الله بن ابي قد
قتل بنو الخزرج قال هل لنا من الامر من شي وهو استفهام على سبيل
الانكار اى ما لنا امر يطاع وقيل المراد بالامر النصر والظفر يعني
ما لنا من هذا الذي يعدنا محمد به من النصر والظفر من شي انما هو
للمشركين **قل** يا محمد لهولا المنافقين **ان الامر كله لله** يعني النصر والظفر
والقضا والقدر كله لله وبيده يصرفه كيف يشا ويدبره كيف احب **يخفون**
في انفسهم ما لا يبدون لك يعني من الكفر والشك في وعد الله عز
وجل وقيل يخفون الندم على خروجهم مع المسلمين وقيل الذي اخفوه
هو قوله تعالى حكاية عنهم **يقولون لو كان لنا من الامر شي ما قتلنا**
هاهنا وذلك ان المنافقين قال بعضهم لبعض لو كان لنا عقول لم تخرج
مع محمد الى قتال اهل مكة ولم تقتل روساونا وقيل كانوا يقولون لو كنا
على الحق ما قتلنا هاهنا وعن ابن عباس في قوله تعالى يظنون بالله غير
الحق يعني التكذيب بالقدر وهو قولهم لو كان لنا من الامر شي ما قتلنا
هاهنا قيل ان الذي قال ليس لنا من الامر شي هو عبد الله بن ابي بن سلول
المنافق والذي قال لو كان لنا من الامر شي هو معتب بن قشير **قل** اي
قل يا محمد لهولا المنافقين **لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل**
اي قضي عليهم القتل وقدر عليهم **الى مضاجعهم** يعني الى مصارعهم التي
يصرعون بها وقت القتل ومعنى الاية ان الحذر لا ينفع مع القدر والتدبير
لا يقاوم التقدير فالذين قدر عليهم القتل وقضاه وحكم به عليهم لا بد
وان يقتلوا والمعنى لو جلستم في بيوتكم لخرج منها ولظهر للذين قضى الله
عليهم بالقتل وقضاه الى حيث يقتلوا فيه **وليبتلي الله ما في صدوركم**
اي وليختبر ما في صدوركم ليعلمه مشاهدة كما علمه غيبا لان المجازاة انما
تقع على علمه مشاهدة وقيل معناه ليعاملكم معاملة المبتلي المختبر لكم
وقيل معناه ليبتلي اوليا الله ما في صدوركم فاضاف الابتلا اليه ٥
تعظيما لشان اوليايه المومنين **وليمحص ما في قلوبكم** قال قتادة اي
يطهرها من الشك والارتياب بما يريكم من عجايب صنعه في القا الامنة

وصرف العدو واظهار سراير المنافقين فعلى هذا يكون الخطاب للمومنين
خاصة وقيل معناه وليبين وليظهر ما في قلوبكم يعني من الاعتقاد
لله ولرسوله وللمومنين من العداوة فعلى هذا يكون الخطاب للمنافقين
خاصة **والله عليم بذات الصدور** يعني بالاشيا الموجودة في الصدور
وهي الاسرار والضماير لانه عالم بجميع المعلومات **قوله عز وجل**
ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان اي انهزموا وهربوا يا معشر
المسلمين فهو خطاب لمن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم من المومنين
يوم احد باحد وكان قد انهزم اكثر المسلمين ولم يبق مع النبي صلى الله
عليه وسلم الا ثلاثة عشر رجلا وقيل اربعة عشر من المهاجرين سبعة
ومن الانصار سبعة فمن المهاجرين ابو بكر وعمر وطلحة بن عبيد الله
وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن ابي وقاص رضي الله عنهم
انما استزلهم الشيطان اي طلب زللهم كما يقال استعجله اي طلب عجلته
وقيل حملهم على الزلة وهي الخطيئة وذلك بالقا الوسوسة في قلوبهم
لا انه امرهم بها **ببعض ما كسبوا** يعني لمعصيتهم النبي صلى الله عليه
وسلم وتركهم المركز وقيل استزلهم الشيطان بتذكير خطايا سبقت لهم
فكرهوا ان يقتلوا قبل اخلاص التوبة وهذا اختيار الزجاج لانه
قال لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على الفرار من الزحف في الدنيا
وانما ذكرهم الشيطان خطايا سلفت فكرهوا لقا الله الا على حالة يرضاها
ولقد عفى الله عنهم يعني ولقد تجاوز الله عن الذين تولوا يوم التقى الجمعان
فلم يعاقبهم بذلك وغفر لهم قيل ان عثمان عوتب في هزيمته يوم احد فقال
ان ذلك وان كان خطا لكن الله قد عفى عنه وقرى هذه الاية **ان الله غفور**
يعني لمن تاب واناب **حليم** لا يعجل بالعقوبة ولم يستاصلهم بالقتل
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني
المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه **وقالوا لاخوانهم** يعني في النفاق
والكفر وقيل لاخوانهم في النسب وكانوا مسلمين **اذا ضربوا في الارض**
يعني اذا سافروا في الارض لتجارة وغيرها **او كانوا غزا** جمع غاز اي
غزاة في الكلام حذف دل المعنى على ذلك الحذف وهو اذا ضربوا
في الارض فماتوا او كانوا غزا فقتلوا **لو كانوا عندنا** يعني مقيمين **ما**
ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك يعني قولهم وظنهم **حسرة في قلوبهم**
يعني غما وتاسفا **والله يحيي ويميت** هذا رد لقول المنافقين لو كانوا
عندنا ما ماتوا وما قتلوا والمعنى ان الامر بيد الله وان المحيي
والمميت هو الله فقد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد
عن الغزو كما يشا فكيف ينفع الجلوس في البيت وهل يحمي احد من

الموت **والله بما تعملون بصير** يعني انه تعالى مطلع على ما تعملون من
خير او شر فيجازيكم به فاتقوه ولا تكونوا مثل المنافقين لان مقصودهم
تنفير المومنين عن الجهاد بقوله لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا
فان الله هو المحيي المميت لمن قدر له البقا لم يقتل في الجهاد ومن قدر
له الموت لم يبق وان اقام ببيته عند اهله فلا تقولوا انتم ايها المومنون
لمن يريد الخروج الى الجهاد ولا تخرج فتقتل فلان يموت في الجهاد ۵
فيستوجب الثواب فان ذلك خيرا له من ان يموت في بيته فلا فايدة
واليه الاشارة بقوله تعالى **ولين قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة**
من الله ورحمة خير يعني في العاقبة خير **مما يجمعون** يعني من
الغنايم والمعنى ولين تم عليكم ما تخافونه من القتل في سبيل الله او
الهلاك بالموت فان ما تنالوه من المغفرة والرحمة بالموت والقتل
في سبيل الله خير مما يجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا **ولين متم**
او قتلتم لالى الله تحشرون يعني لالى الله الرحيم الواسع الرحمة
والمغفرة المثيب العظيم الثواب تحشرون في الاخرة فيجازيكم باعمالكم
وقد قسم بعض مقامات العبودية ثلاثة اقسام فمن عبد الله خوفا
من ناره امنه الله مما يخاف واليه الاشارة بقوله تعالى لمغفرة من الله
ورحمة ومن عبد الله شوقا الى جنته اناله ما يرجو واليه الاشارة ۵
بقوله تعالى ورحمة لان الرحمة من اسما الجنة ومن عبد الله شوقا الى
وجهه الكريم لا يريد غيره فهذا هو العبد المخلص الذي يتجلى له
الحق سبحانه وتعالى في دار كرامته واليه الاشارة بقوله لالى الله تحشرون
قوله عز وجل فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة من الله
ومواصلة لنت لهم اي سهلت لهم اخلاقك وكثرت احتمالك ولم تسرع
اليهم بتعنيف على ما كان يوم احد منهم ومعنى فبما رحمة من الله وهو توفيق
الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم للرفق والتلطف بهم وان الله تعالى
القى في قلب نبيه صلى الله عليه وسلم داعية الرحمة واللطف حتى فعل
ذلك معهم **ولو كنت فظا** يعني جافيا **غليظ القلب** يعني قاسي القلب
سيئ الخلق قليل الاحتمال **لانفضوا من حولك** اي لنفروا عنك وتفرقوا
حتى لا يبقى منهم احد عندك **فاعف عنهم** اي تجاوز عن زلاتهم وما اتوا
يوم احد **واستغفر لهم** اي واسال الله المغفرة لهم حتى يشفعك فيهم
وقيل فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحقوق الله
وذلك من تمام الشفقة عليهم **وشاورهم في الامر** اي استخرج اراءهم
واعلم ما عندهم واختلف العلما في المعنى الذي من اجله امر الله عز
وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة لهم مع كمال عقله وجزالة

رايه ونزول الوحي عليه ووجوب طاعته على كافة الخلق فيما احبوا
اوكرهوا فقيل هو عام مخصوص والمعنى وشاورهم فيما ليس عندك
من الله فيه عهد وذلك في امر الحرب ونحوه من امور الدنيا
لتستظهر برايهم فيما تشاورهم فيه وقيل امر الله عز وجل نبيه صلى
الله عليه وسلم بمشاورتهم تطييبا لقلوبهم فان ذلك اعطف لهم
عليه واذهب لاضغانهم فان سادات العرب كانوا اذا لم يشاوروا
في الامور شق ذلك عليهم وقال الحسن قد علم الله تعالى انه ما به الى
مشاورتهم حاجة ولكن اراد ان يستن به من بعده من امته وقيل
انما امر بمشاورتهم ليعلم مقادير عقولهم وافهامهم لا ليستفيد منهم
رايا وروى البغوي بسنده عن عايشة انها قالت ما رايت رجلا
اكثر استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفق
العلما على ان كل ما نزل فيه وحي من الله عز وجل لم يجز لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يشاور فيه الامة وانما امر ان يشاور فيما
سوى ذلك من امر الدنيا ومصالح الحرب ونحو ذلك وقيل
ان يشاورهم في امر الدين والدنيا فيما لم ينزل عليه فيه شي لان
النبي صلى الله عليه وسلم شاورهم في اسارى بدر وهو من امر
الدين قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الاستشارة عين الهدي
وقد خاطر من استغنى برايه والتدبر قبل العمل يومنك من الندم
وقال بعض الحكما ما استنبط الصواب بمثل المشاورة انه يعزم
الانسان على امر فيشاور فيه فيتبين له الصواب في قول غيره
فيعلم بذلك عجز نفسه عن الاحاطة بفنون المصالح ومنها انه اذا لم
ينجح امره علم ان امتناع النجاح محض قدر فلم يلم نفسه وقال بعضهم
في مدح المشاورة

وشاور اذا شاورت كل مهذب ... لبيب اخا حزم لترشد في الامر
ولا تك ممن يستبد برايه ... فتعجب اولا تسترح من الذكر
الم تر ان الله قال لعبده ... وشاورهم في الامر حتما بلا نكر

وقوله تعالى **فاذا عزمت** يعني على المشاورة **فتوكل على الله** اي
فاستعن بالله في امورك كلها وثق به ولا تعتمد الا عليه فانه ولي
الاعانة والعصمة والتسديد والمقصود ان لا يكون للعبد اعتماد
على شي الا على الله تعالى في جميع اموره وان المشاورة لا تنافي
التوكل **ان الله يحب المتوكلين** يعني المتوكلين عليه في جميع اموره
قوله عز وجل **ان ينصركم الله** يعني ان يعنكم الله بنصره ويمنعكم عن
عدوكم كما فعل يوم بدر **فلا غالب لكم** يعني من الناس لان الله هو

المتولي

المتولي نصركم **وان يخذلكم** كما فعل يوم احد فلم ينصركم ووكلكم الى انفسكم
لمخالفتكم امره وامر رسوله صلى الله عليه وسلم **فمن ذا الذي ينصركم
من بعده** اي من بعد خذلانه **وعلى الله فليتوكل المومنون** لا على غيره
لان الامر كله لله ولا راد لقضايه ولا دافع لحكمه فيجب ان يتوكل العبد في
كل الامور على الله تعالى لا على غيره وقيل التوكل ان لا تعصي الله من اجل
رزقك ولا تطلب لنفسك ناصرا غيره ولا لعملك شاهدا سواه م عن
عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من
امتي سبعون الفا بغير حساب قالوا ومن هم يا رسول الله قال هم
الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون
فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال
انت منهم فقام اخر فقال يا نبي الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك
بها عكاشة عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو
انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا
وتعود بطانا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله عز وجل
وما كان لنبي ان يغل الاية قال ابن عباس نزلت هذه الاية وما
كان لنبي ان يغل في قطيفة حمرا فقدت يوم بدر فقال القوم لعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها فانزل الله هذه الاية الى اخرها
اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب وروي عن
الضحاك قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلايع فغنم
النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلايع وانزل الله تعالى وما كان
لنبي ان يغل وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس في قوله وما كان
لنبي ان يغل يقول ما كان لنبي ان يقسم الى طايفة من المومنين ويترك
طايفة ويجور في القسم ولكن يقسم بالعدل وياخذ فيه بامر الله ويحكم
فيه بما انزل الله يقول ما كان الله ليجعل نبيا يغل من اصحابه فاذا
فعل ذلك النبي استنوا به وقال مقاتل والكلبي نزلت في غنايم احد
حين ترك الرماة المركز للغنيمة تخشى ان يقول النبي صلى الله عليه
وسلم من اخذ شيا فهو له وان لا تقسم الغنايم كما تقسم يوم بدر فتركوا
المركز ووقعوا في الغنايم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم
اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري قالوا تركنا بقية
اخواننا وقوفا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل ظننتم انا نغل فلا
نقسم فانزل الله هذه الاية وقال قتادة ذكر لنا انها نزلت في طايفة
غلت من اصحابه وقيل ان الاقويا الحوا عليه يسالونه من المغنم فانزل
الله ما كان لنبي ان يغل يعني فيعطي قوما ويمنع اخرين بل عليه ان

يقسم بينهم بالسوية وقال محمد بن كعب القرظي ومحمد بن اسحاق بن يسار
كان في شان الوحي يقول وما كان لنبي ان يكتم شيا من الوحي رغبة او رهبة
او مداهنة والغلول هو الخيانة واصله اخذ الشي في خفية يقال غل
فلان يغل بفتح اليا وضم الغين اي وما كان لنبي ان يخون لان النبوة
والخيانة لا يجتمعا لان منصب النبوة اعظم المناصب واشرفها واعلاها
فلا يليق به الخيانة لانها في نهاية الدناة والخسة والجمع بين الضدين
محال فثبت بذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخن امته في شي لا من
الغنايم ولا من الوحي وقيل المراد به الاية لانه قد ثبت براة ساحة
النبي صلى الله عليه وسلم من الغلول والخيانة فدل ذلك على ان المراد
بالغلول غيره وقيل اللام فيه منقولة معناه ما كان النبي ليغل على نفي
الغلول عن الانبيا وقيل معناه ما كان لنبي الغلول اراد ما على غل نبي
قط فنفى عن الانبيا الغل وقيل معناه وما كان يحل لنبي الغلول
واذا لم يحل له لم يفعله ووجه هذه القراة انهم نسبوا النبي صلى الله عليه
وسلم الى الغلول في بعض الروايات فبين الله تعالى بهذه الاية ان
هذه الخصلة لا تليق به ونفى عنه ذلك بقوله وما كان لنبي ان يغل
وقري يغل بضم اليا وفتح الغين ولها معنيان احدهما ان يكون من
الغلول ايضا ومعناه وما كان لنبي ان يخان اي تخونه امته والثاني
ان يكون من الاغلال ومعناه وما كان لنبي ان يخون اي ينسب الى
الخيانة **ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة** يعني بالشي الذي غله
بعينه يحمله على ظهره يوم القيمة ليرداد فضيحة بما يحمله يوم القيمة
وقيل يمثل له ذلك الشي في النار ثم يقال له انزل فخذه فينزل فيحمله
على ظهره فاذا بلغ موضعه وقع ذلك الشي في النار فيكلف ان ينزل
اليه فيخرجه يفعل به ذلك ما شا الله وقيل معناه انه يات باثم
ما غله فيجازى به يوم القيمة وهو قوله تعالى **ثم توفى كل نفس ما
كسبت** يعني من خير او شر والمعنى ان كل كاسب خيرا كان ذلك الكسب
او شرا فهو مجزى به يوم القيمة ويوفى جزا عمله **وهم لا يظلمون** يعني
بل نعدل بينهم يوم القيمة في الجزا فيجازي كل على عمله **فصل**
في ذكر احاديث وردت في الغلول ووعيد الغال وقد تقدم ان اصل
الغلول هو اخذ الشي في خفية وانه الخيانة الا انه قد صار في العرف
مخصوصا بالخيانة في الغنيمة وبهذا وردت الاحاديث **ق** عن ابي
هريرة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر
الغلول فعظمه وعظم امره حتى قال لا الفين احدكم يجي يوم القيمة
على رقبته بعير له رغا يقول يا رسول الله اغثني فيقول لا املك لك

من الله شيا قد بلغتك لا الفين احدكم يجي يوم القيمة على رقبته فرس
له حمحمة فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك من الله شيا
قد ابلغتك لا الفين احدكم يجي يوم القيمة على رقبته شاة لها ثغا يقول
يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك من الله شيا قد ابلغتك
لا الفين احدكم يجي يوم القيمة على رقبته نفس لها صياح فيقول
يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيا قد ابلغتك لا الفين
احدكم يجي يوم القيمة على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول
الله اغثني فاقول لا املك لك شيا قد ابلغتك لفظ الرغا
صوت البعير والثغا صوت الشاة والرقاع الثياب والصامت
الذهب والفضة **ق** عن ابي هريرة قال خرجنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى خيبر ففتح الله علينا فلم نغنم ذهبا ولا ورقا فاغتنمنا
المتاع والطعام والثياب ثم انطلقنا الى الوادي يعني وادي
القرى ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد له وهبه رجل من
جذام يدعى رفاعة بن زيد من بني الضبيب فلما نزلنا الوادي قام
عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله فرمي بسهم فكان
فيه حتفه فقلنا هنيا له يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كلا والذي نفس محمد بيده ان الشملة لتلتهب عليه نارا اخذها
من الغنايم يوم خيبر لم تصبها المقاسم قال ففزع الناس فجا رجل بشراك
او شراكين فقال اصبتها يوم خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
شراك من نار او شراكان من نار وفي رواية نحوه وفيه ومعه عبد يقال
له مدعم اهداه له احد بني الضباب وفيه اذ جاه سهم غاير الشراك
سير النعل الذي يكون على ظهر القدم ومثله شسع النعل والسهم
الغاير الذي لا يدرى من رماه **خ** عن عبد الله بن عمرو بن العاص كان
على ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة فمات
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو في النار فذهبوا ينظرون اليه
فوجدوا عباة قد غلها عن زيد بن خالد الجهني ان رجلا من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم توفي فذكره لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم
غل في سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز يهود لا يساوي
درهمين اخرجه ابو داود والنساي عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من غل فاحرقوا متاعه واضربوه اخرجه ابو داود
والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم وابو بكر وعمر حرقوا متاع الغال وضربوه زاد في رواية ومنعوه

سهمه اخرجه ابو داود قوله تعالى افمن اتبع رضوان الله يعنى فترك
الغلول فلم يغل كمن باء اي رجع بسخط من الله يعني بغضب من الله
والمعنى فعل والسخط الغضب الشديد المقتضي للعقوبة وهو من الله
انزال العقوبة بمن سخط عليه وقيل في معنى الاية ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما امر المسلمين باتباعه والخروج معه يوم احد اتبعه
المومنون وتخلف عنه جماعة من المنافقين فاخبر الله تعالى بحاله
من اتبعه بقوله افمن اتبع رضوان الله وبحال من تخلف عنه بقوله
كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير يعني الغال او المتخلف
عن النبي صلى الله عليه وسلم هم درجات عند الله والله بصير بما
يعملون يعني هم درجات عند الله قال ابن عباس يعني من اتبع رضوان
الله ومن باء بسخط من الله مختلفوا المنازل عند الله فلمن اتبع رضوان
الله الثواب العظيم ولمن باء بسخط من الله العذاب الاليم والمعنى
افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ليسوا سوا بل هم درجات
عند الله على حسب اعمالهم وقيل الضمير في قوله هم درجات عايد على
قوله افمن اتبع رضوان الله فقط لان الغالب العرف استعمال الدرجات
لاهل الثواب والدركات لاهل النار ولان الله وصف من باء بسخط من
الله ان مأواه جهنم وبئس المصير فدل على ان الضمير في قوله هم درجات
عند الله وفيه تحريض على العمل بطاعته وتحذير من العمل بمعاصيه
قوله عز وجل لقد من الله على المومنين يعني احسن اليهم وتفضل
عليهم والمنة النعمة العظيمة وذلك لا يكون في الحقيقة الا لله وسنه
قوله تعالى لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم
يعني من جنسهم عربيا مثلهم ولد ببلدهم ونشا بينهم يعرفون نسبه
وليس حي من احيا العرب الا وقد ولده وله فيهم نسب الا بني تغلب فانهم
كانوا نصارى وقد ثبتوا على النصرانية فطهر الله رسوله صلى الله عليه
وسلم من ان يكون له فيهم نسب وقيل اراد بالمومنين جميع المومنين ومعنى
قوله تعالى من انفسهم اى بالايمان والشفقة لا بالنسب ومن جنسهم ليس
بملك ولا احد من غير بني ادم وقيل من انفسهم يعني انه من ولد اسمعيل
ابن ابراهيم الخليل عليهما السلام ووجه المنة والانعام على المومنين
ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه داعيا لهم الى ما يخلصهم من
العذاب الاليم ويوصلهم الى الثواب في جنات النعيم وكونه من انفسهم
ومن جنسهم لانه اذا كان اللسان واحدا سهل الاخذ عنه فيما يجب عليهم
وكانوا واقفين على جميع احواله وافعاله يعرفون صدقه وامانته فكان
ذلك اقرب الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من انفسهم شرف لهم وكان

فيما

فيما خطب به ابو طالب حين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة
بنت خويلد رضي الله تعالى عنها وقد حضر ذلك بنوا هاشم ورؤسا مضر
فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية اسمعيل وزرع اسمعيل وضئضئ
معد وعنصر مضر وجعلنا سدنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا
بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا الحكام على الناس وان ابني هذا
محمد بن عبد الله لا يوزن به بني الا رجح وهو والله بعد هذا له نبا عظيم
وخطب جليل وقيل في وجه المنة ببعثة الرسول صلى الله عليه
وسلم ان الخلق جبلوا على الجهل ونقصان العقل وقلة الفهم وعدم
الدراية فمن الله على خلقه وانعم عليهم واحسن اليهم بان بعث فيهم
رسولا من انفسهم انقذهم به من الضلالة وبصرهم به من الجهالة
وهداهم به الى صراط مستقيم وانما خص المومنين بالذكر لانهم هم
المنتفعون بما جاء به دون غيرهم يتلوا عليهم اياته يعني يقرا عليهم
كتابه الذي انزل عليه بعد ان كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم
شي من الوحي السماوي ويزكيهم اى ويطهرهم من دنس الكفر ونجاسة
المحرمات والخبايث ويعلمهم الكتاب والحكمة يعني القران والسنة
التي سنها لهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وان كانوا من قبل
اى من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لفي ضلال مبين يعني
لفي جهالة وحيرة عن الهدى عميا لا يعرفون معروفا ولا ينكرون
منكرا فهداهم الله بنبيه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى اولما اصابتكم
مصيبة يعني ما اصابهم يوم احد قد اصبتم مثليها يعني ببدر وذلك ان
المشركين قتلوا من المسلمين يوم احد سبعين وقتل المسلمون من المشركين
يوم بدر سبعين واسروا سبعين وقيل ان المسلمين هزموا المشركين يوم
بدر وهزموا في اول الامر يوم احد فلما عصوا الله ورسوله هزمهم
المشركون فحصل انهزام المشركين مرتين وانهزام المسلمين مرة واحدة
قلتم انى هذا اى من اين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول
الله صلى الله عليه وسلم فينا وهو استفهام انكار قل هو من عند انفسكم
يعني انما وقعتم فيما وقعتم فيه بشوم ذنوبكم وهو مخالفتكم امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم اختار الاقامة
في المدينة على الخروج الى العدو واختاروا هم الخروج اليه وايضا امر
الرماة بالاقامة في الموضع الذي عينه لهم فخالفوه وتركوا المركز
لاجل الغنيمة فكان ذلك سبب القتل والهزيمة وروى عبيدة السلماني
عن علي بن ابي طالب قال جا جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
ان الله قد كره ما صنع قومك في اخذهم الفدا من الاسارى وقد امرك

ان تخيرهم بين ان يضربوا اعناق الاسارى وبين ان ياخذوا الفدا
على ان يقتل عدتهم فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس
فقال يا رسول الله عشايرنا واخواننا بل ناخذ فداهم فنتقوى به
على قتال عدونا ويستشهد منا عدتهم فقتل منهم يوم احد سبعون
عدد اسارى بدر لم يسنده البغوي واسنده ابن جرير الطبري
فذلك معنى قوله قل هو من عند انفسكم يعنى باخذكم الفدا ه
واختياركم القتل لانفسكم ان الله على كل شى قدير يعنى من نصركم
مع الطاعة وترك نصركم مع المخالفة قوله عز وجل وما
اصابكم يعنى من القتل والجراح والهزيمة يوم التقى الجمعان يعنى جمع
المومنين وجمع المشركين وذلك باحد يوم احد فباذن الله يعنى
فبعلمه وقضايه وقدره وحكمه وفيه تسلية للمومنين بما حصل لهم
يوم احد من القتل والهزيمة ولا تقع التسلية الا اذا علموا ان
ذلك كان واقعا بقضا الله وقدره فحينيذ يرضون بما قضى الله عليهم
وليعلم المومنين وليعلم الذين نافقوا اى ليظهر ايمان المومنين
بثبوتهم على ما نالهم ويظهر نفاق المنافقين بقلة صبرهم على ما نزل
بهم فالمراد من العلم المعلوم والتقدير ليتبين المومن من المنافق
وليتميز احدهما من الاخر والمنافق هو الذي اظهر الايمان بلسانه
واضمر خلافه واشتقاقه من النفق وهو السرب فى الارض النافذ ومنه
نافقا اليربوع لان له جحرين فى الارض له بابان اذا طلب من احدهما خرج
من الاخر وقيل لانه دخل فى الايمان من باب وخرج من باب اخر والنفاق
اسم اسلامى لم تكن العرب تعرفه قبل الاسلام وقيل لهم تعالوا قاتلوا
فى سبيل الله او ادفعوا المقول له عبد الله بن ابى بن سلول المنافق
واصحابه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى احد
فى الف رجل اذ كان بالشوط بين احد والمدينة انخذل عبد الله بن
ابى بن سلول بثلث الناس وقال ما ندري على ما نقتل انفسنا ه
فرجع بمن معه من المنافقين فتبعهم ابو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام
الانصاري اخو بنى سلمة وهو يقول يا قوم اذكركم الله ان تخذلوا
نبيكم عند حضور عدوهم فذلك قوله تعالى وقيل لهم يعنى المنافقين
عبد الله بن ابى بن سلول واصحابه تعالوا قاتلوا فى سبيل الله اي
لاجل دين الله وطاعته او ادفعوا يعنى عن اموالكم واهليكم وقيل
معناه تعالوا اكثروا سواد المسلمين ان لم تقاتلوا ليكون ذلك دفعا
وقمعا للعدو قالوا يعنى المنافقين لو نعلم قتالا لاتبعناكم اي لو نعلم
ان اليوم يجرى فيه قتال لاتبعناكم ولم نرجع ولو علموا ما اتبعوهم وقيل معناه

لو

لو نحسن قتالا لاتبعناكم هم للكفر يعنى المنافقين الى الكفر يوميذ اقرب
منهم للايمان اي الى الايمان وانما قال تعالى يوميذ لانهم قبل ذلك لم
يظهروا ما اظهروه من المعاندة والرجوع عن المسلمين وقولهم لو نعلم
قتالا لاتبعناكم وانما كانوا قبل ذلك يظهرون كلمة الاسلام ويخفون
الكفر يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم يعنى يظهرون بالسنتهم
الايمان وليس هو فى قلوبهم انما فى قلوبهم الكفر والنفاق وهذه
صفة المنافقين لا صفة المومنين لان صفة المومن الخالص المخلص مواطاة
القلب اللسان على شى واحد وهو التوحيد والله اعلم بما يكتمون يعنى
من النفاق الذين قالوا لاخوانهم نزلت فى عبد الله بن ابى المنافق واصحابه
وفى المراد باخوانهم قولان احدهما ان المراد باخوانهم الذين استشهدوا
باحد فيكون اخوانهم فى النسب لا فى الدين والقول الثانى ان المراد
باخوانهم المنافقين فعلى القول الاول يكون معنى الاية الذين قالوا
فى اخوانهم او عن اخوانهم الذين قتلوا باحد لو اطاعونا ما قتلوا لانهم
بعد ان قتلوا لا يخاطبون وعلى القول الثانى يكون معنى الاية الذين
قالوا وهم عبد الله بن ابى واصحابه لاخوانهم يعنى فى النفاق وقعدوا
يعنى عن الجهاد لو اطاعونا يعنى هولا الذين خرجوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو اطاعونا فى القعود عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم او الانصراف عنه ما قتلوا فرد الله تعالى عليهم بقوله قل
يعنى قل لهم يا محمد فادروا اي فادفعوا عن انفسكم الموت ان كنتم
صادقين يعنى ان الحذر لا ينفع من القدر وفى الاية دليل على ان المقتول
يموت باجله خلافا لمن يزعم ان القتل قطع على المقتول اجله ولا
تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا قيل نزلت فى شهدا بدر
وكانوا اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار
وقال اكثر المفسرين انها نزلت فى شهدا احد ويدل على ذلك ما
روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه
انه لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم فى جوف طير خضر ترد
انهار الجنة تاكل من ثمارها وتاوى الى قناديل من ذهب معلقة
فى ظل العرش فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من
يبلغ اخواننا عنا اننا احيا فى الجنة ليلا يزهدوا فى الجنة ولا ينكلوا
عن الحرب فقال الله تعالى انا ابلغهم عنكم وانزل الله ولا تحسبن الذين
قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم يرزقون الى اخر الايات
اخرجه ابو داود م عن مسروق قال سالنا عبد الله عن هذه الاية
ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم يرزقون

فقال اما انا قد سالنا عن ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارواحهم
في اجواف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث
شات ثم تاوي الى تلك القناديل فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال
هل تشتهون شيا قالوا اي شي نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث
شينا ففعل بهم ذلك مرات فلما راوا انهم لن يتركوا من ان يسالوا
قالوا يا رب نريد ان ترد ارواحنا في اجسادنا حتى نقتل في سبيلك
مرة اخري فلما راي ان ليس لهم حاجة تركوا ذكر ما يتعلق بهذا
الحديث قول مسروق سالنا عبد الله كذا جا عبد الله غير منسوب
وقد نسبه بعض الناس فقال عبد الله بن عمرو وقد ذكره ابو مسعود
الدمشقي والحميدي في مسنده عن عبد الله بن مسعود وهو الصحيح
وهذا الحديث مرفوع لقوله انا قد سيلنا عن ذلك فقال يعني
النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث دليل على ان الجنة مخلوقة
الان خلافا للمعتزلة لقوله صلى الله عليه وسلم تسرح من الجنة
حيث شات وهو مذهب اهل السنة وفيه دلايل على ان الارواح
باقية لا تفنى بفنا الجسد وان المحسن ينعم ويجازى بالثواب وان المسى
يعذب ويجازي بالعقاب قبل يوم القيمة وهو مذهب اهل السنة
ايضا قوله ارواحهم في جوف طير خضر وهذا ليس ببعيد لاسيما
مع القول بان الارواح اجسام لطيفة وقيل ان المنعم والمعذب من
الارواح والاجسا د جزء من الجسد يبقى فيه الروح وهو الذى يتلذذ
بالنعيم ويتالم بالعذاب فغير مستحيل ان يصور الله تعالى ذلك الجزء
طايرا ويجعل في جوف طير فتسرح في الجنة وتاوى الى تلك القناديل
وقد تعلق بهذا الحديث من يقول بالتناسخ من المبتدعة ويقول
بانتقال الارواح وتنعيمها في الصور الحسان المرفهة وتعذيبها في
الصور القبيحة المسخرة ويزعمون ان هذا هو الثواب والعقاب
وهذا ضلال بين وقول سخيف وبدعة باطلة لما في هذا القول من
ابطال ما جاءت به الشرايع من الحشر والنشر والمعاد والجنة والنار
وقد جا في بعض روايات الحديث ما يرد عليهم وهو قوله حتى يرجعه
الله الى جسده يوم يبعثه يعني يحي جميع جسده يوم يبعثه وهو يوم
القيمة والله اعلم عن جابر قال لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا مهتم فقال ما لي اراك منكسرا قلت يا رسول الله استشهد ابي
يوم احد وترك عيالا ودينا فقال الا ابشرك بما لقي الله به اباك
قلت بلى قال قال ما كلم الله احدا قط الا من ورا حجاب وانه احيى
اباك وكلمه كفاحا وقال يا عبدى تمن على اعطيك قال يا رب تحييني

فاقتل

فاقتل ثانية قال سبحانه انه قد سبق مني انهم لا يرجعون فنزلت ولا
تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الاية اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب وقيل ان الاية نزلت في شهدا بير معونة وهو بير بين مكة
وعسفان وارض هذيل قال محمد بن اسحق عن اشياخه من اهل العلم
قالوا قدم ابو عامر ابن ملك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان سيد بني
عامر بن صعصعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واهدى له هدية
فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبلها وقال اني لا اقبل هدية
مشرك ثم عرض عليه الاسلام واخبره بما له فيه وما اعد الله للمومنين
وقرى عليه القران فلم يسلم ولم يبعد وقال يا محمد ان الذى تدعو اليه
حسن جميل فلو بعثت رجالا من اصحابك الى اهل نجد تدعوهم الى امرك
رجوت ان يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اخشى
عليهم اهل نجد فقال ابو برا انا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الي
امرك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو اخي بني
ساعدة في سبعين رجلا من خيار المسلمين وكان يقول لهم القرا منهم
الحرث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة بن اسما بن الصلت ونافع
ابن يزيد بن ورقا الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى ابي بكر وذلك في صفر
سنة اربع من الهجرة بعد احد باربعة اشهر فساروا حتى نزلوا بير معونة
وهي ارض بين ارض بني عامر وحرة بني سليم فلما نزلوها قال بعضهم
لبعض ايكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل هذا الما
فقال حرام بن ملحان انا فخرج بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى عامر بن الطفيل وكان على ذلك فلما اتاهم حرام بن ملحان لم ينظر
عامر بن الطفيل في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرام
ابن ملحان يا اهل بير معونة اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليكم واني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبد الله ورسوله فامنوا
بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضربه به في جنبه
حتى خرج من الشق الاخر فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ
عامر بن الطفيل بني عامر على المسلمين فابوا ان يجيبوه الى ما دعاهم اليه
وقالوا لا نخفر ابا برا فقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم
قبايل بني سليم عصية ورعلا وذكوان فاجابوه فخرجوا حتى لقوا غشوا
القوم فاحاطوا بهم في رحالهم فلما راوهم اخذوا السيوف فقاتلوهم
حتى قتلوا عن اخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فارتث بين
القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح القوم عمرو بن امية
الضمري ورجل من الانصار احد بني عمرو بن عوف فلم يكلما بمصاب

اصحابهما الا الطير تحوم على العسكر فقالا والله ان لهذا الطير لشانا
فاقاما لينظرا فاذا القوم فى دمايهم واذا الخيل قد اصابتهم واقفة
فقال الانصارى لعمرو بن امية ماذا ترى قال نلحق برسول الله صلى
الله عليه وسلم ونخبره فقال الانصارى لكنى لا ارغب عن موطن قتل فيه
المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل واخذ عمرو بن امية الضمرى اسيرا
فلما اخبرهم انه من مضر اطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته واعتقه
عن رقبة زعم انها كانت على امه فقدم عمرو بن امية على رسول الله
صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا عمل ابى برا وقد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك ابا برا
فشق عليه اخفار عامر بن الطفيل اياه وما اصاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم بسببه وجواره وكان فيمن اصيب عامر بن فهيرة
مولى ابى بكر الصديق فروى محمد بن اسحاق عن هشام بن عروة عن
ابيه ان عامر بن الطفيل كان يقول من الرجل منهم لما قتل رايته رفع
بين السما والارض حتى رايت السما من دونه قالوا هو عامر بن فهيرة
قالوا وبلغ ربيعة بن ابى برا ان عامر بن الطفيل اخفر ذمة ابيه
فحمل على عامر بن الطفيل فطعنه فخر عن فرسه قلت وذكر ابن
الاثير الجزرى فى كتاب جامع الاصول له فى قسم الاسما فى ترجمة عامر
ابن الطفيل ان عامر بن الطفيل قدم على النبى صلى الله عليه وسلم
وهو ابن بضع وثمانين سنة ولم يسلم وعاد من عنده فخرج له خراج
فى اصل اذنه اخذه منه مثل النار فاشتد عليه ومات منه ق
عن انس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اقواما من بنى
سليم الى بنى عامر فى سبعين وفى رواية ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعث خاله اخا لام سليم واسمه حرام فى سبعين راكبا فلما قدموا
قال لهم خالى اتقدمكم فان امنوا حتى ابلغهم عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم والا كنتم منى قريبا فتقدم فامنوه فبينما هو يحدثهم عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا ومووا الى رجل منهم فطعنه فانفذه فقال
الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم مالوا على بقية اصحابه فقتلوهم الا رجل
اعرج صعد الجبل قال همام واراه اخر معه فاخبر جبريل عليه السلام
النبى صلى الله عليه وسلم انهم لقوا ربهم فرضى عنهم وارضاهم قال فكنا
نقرا ان بلغوا قومنا انا قد لقينا ربنا فرضى عنا وارضانا ثم نسخ بعد
فدعا عليهم اربعين صباحا على رعل وذكوان وبنى عصية الذين عصوا
الله ورسوله وفى رواية ان رعلا وذكوان وبنى لحيان استمدوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فامدهم بسبعين رجلا من الانصار كنا نسميهم

القرا فى زمانهم كانوا يحطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى اذا كانوا ببير
معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقنت
عليهم شهرا يدعوا فى الصبح على احيا من احيا العرب على رعل وذكوان
وعصية وبنى لحيان قال انس فقرانا فيهم قرانا ثم ان ذلك رفع بلغوا
قومنا ان قد لقينا ربنا فرضى عنا وارضانا ولمسلم قال جا ناس الى النبى
صلى الله عليه وسلم فسالوه ان ابعث معنا رجالا يعلمونا القران والسنة
فبعث اليهم سبعين رجلا من الانصار وذكر نحو ما تقدم وقيل ان اوليا
الشهدا واهليهم كانوا اذا اصابتهم نعمة وخير تحسروا على الشهدا وقالوا
نحن فى النعمة والرخا واباونا وابناونا واخواننا فى القبور فانزل الله
هذه الاية تطييبا لقلوبهم وتنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم
فقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله اى ولا تظنن الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل احد من امته والمعنى لا يظنن
ظان ان الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا كاموات غيرهم ممن لم يقتل
فى سبيل الله بل احيا اى بل هم احيا وظاهر الاية تدل على كون من قتل
فى سبيل الله حيا فاما ان يكون المراد انهم سيصيرون احيا فى الاخرة
او يكون المراد انهم احيا فى الحال وعلى تقدير انهم احيا فى الحال هل
يكون المراد اثبات الحياة الروحانية او اثبات الحياة الجسمانية فهذه
ثلاثة اوجه فى معنى احتمال الحياة فمن قال بالوجه الاول هو انهم
سيصيرون احيا فى الاخرة قال معنى الاية بل هم احيا فى الذكر
وانهم يذكرون بخير اعمال وانهم استشهدوا فى سبيل الله وقيل هم
احيا فى الدين وهذا القول ليس بصواب لان الله اثبت لهم الحياة
فى الحال بقوله بل احيا فى حال ما يقتلوا فانهم لا يحيون وهو الاحتمال
الثانى واختلفوا فى معنى هذه الحياة هل هى للروح او للجسم والروح
معا فمن اثبت الحياة للروح دون الجسم قال يدل على ذلك قوله
صلى الله عليه وسلم ارواح الشهدا فى حواصل طير خضر فخص الارواح
دون الاجساد وقال بعض المفسرين ان ارواح الشهدا تركع وتسجد
كل ليلة تحت العرش الى يوم القيمة ومن اثبت الحياة للروح والجسم
معا قال يدل عليه سياق الاية وهو قوله عند ربهم يرزقون فاخبر
الله سبحانه وتعالى انهم يرزقون وياكلون ويتنعمون كالاحيا وقيل
ان الشهيد لا يبلى فى قبره ولا تاكله الارض كغيره وروى انه لما اراد
معوية ان يجرى الما على قبور الشهدا امر ان ينادى من كان له قتيل
فليخرجه وليحوله من هذا الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فاخرجناهم
رطاب الابدان فاصاب المسحاة اصبع رجل منهم فانبعث دما وذكر

البغوي بغير سند عن عبيد الله بن عمير قال مر رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين انصرف من احد على مصعب بن عمير وهو مقتول
فوقف عليه ودعا له ثم قرا من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد ان هولا
شهدوا عند الله يوم القيمة فاتوهم وزوروهم وسلموا عليهم فوالذي
نفسي بيده لا يسلم عليهم احد الى يوم القيمة الا ردوا عليه وقوله
تعالى عند ربهم يعني في محل كرامته وفضله يرزقون يعني من
ثمار الجنة وتحفها فرحين بما اتاهم الله من فضله يعني بما اعطاهم
من الثواب والكرامة والاحسان والافضال في دار النعيم ويستبشرون
اي يفرحون والاستبشار هو الفرح والسرور الذي يحصل للانسان
عند البشارة بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم يعني من اخوانهم الذين
تركوهم احياء في الدنيا على منهج الايمان والجهاد ولعلمهم بانهم اذا
استشهدوا والحقوا بهم ونالوا من الكرامة مثل ما نالوا فهم بذلك
مستبشرون وقيل ان الشهدا سالوا الله عز وجل ان يخبر اخوانهم
بما نالوا من الخير والكرامة ليرغبوا في الجهاد فاخبر الله عز وجل
اني قد انزلت على نبيي محمد صلى الله عليه وسلم واخبرته بحالكم وما
صرتم اليه من الكرامة وان محمدا صلى الله عليه وسلم قد اخبر اخوانكم
بذلك ففرحوا بذلك واستبشروا ان لا خوف عليهم يعني في الاخرة
ولا هم يحزنون على ما فاتهم من نعيم الدنيا يستبشرون بنعمة
من الله وفضل لما بين الله ان الشهدا يستبشرون بالذين لم
يلحقوا بهم من خلفهم فهم ايضا يستبشرون لانفسهم بما يرزقون من
النعم والفضل فالاستبشار الاول كان لغيرهم والاستبشار الثاني
لانفسهم خاصة وان الله لا يضيع اجر المومنين يعني كما انه تعالى
لا يضيع اجر المجاهدين والشهدا لا يضيع اجر المومنين

فصل

في فضل الجهاد والشهادة في سبيل الله ق عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يضمن الله لمن خرج في سبيله
لا يخرجه الا جهاد في سبيلي وايمان بي وتصديق برسلي فهو علي
ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نايلا
ما نال من اجر او غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل
الله الا جا يوم القيمة كهيئته حين يكلم لونه لون دم وريحه ريح مسك
والذي نفس محمد بيده لولا ان اشق على المسلمين ما قعدت خلاف
سرية تغزوا في سبيل الله ولكن لا اجد سعة فاحملهم ولا يجدون سعة
ويشق عليهم ان لا يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لوددت اني اغزو

في

في سبيل الله فاقتل ثم اغزو فاقتل ثم اغزو فاقتل لفظ مسلم
ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لغزوة في سبيل الله
او روحة خير من الدنيا وما فيها ق عن سهل بن سعد ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها
وموضع سوط احدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها عن فضالة بن
عبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله الا
المرابط في سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيمة ويومن من فتنة
القبر اخرجه ابو داود والترمذي عن معاذ بن جبل انه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من قاتل في سبيل الله فواق ناقة
وجبت له الجنة ومن سال الله القتل في سبيل الله صادقا من نفسه
ثم مات او قتل كان له اجر شهيد ومن جرح جرحا في سبيل الله
او نكب نكبة فانه يجي يوم القيمة كاغزر ما كانت لونها لون الزعفران
وريحها ريح المسك ومن خرج به خراج في سبيل الله فان عليه
طابع الشهدا اخرجه ابو داود والنسايي واخرجه مفرقا في موضعين
ق عن ابي سعيد قال اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي الناس
افضل قال مومن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم قال من رجل
في شعب من الشعاب يعبد الله وفي رواية يتقي الله ويدع الناس من
شره خ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا
في سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه
وبوله في ميزانه يوم القيمة حسنات ق عن انس بن مالك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ما احد يدخل فيحب ان يرجع الى الدنيا وله
ما على الارض من شي الا الشهيد يتمنى ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات
لما يرى من الكرامة وفي رواية لما يرى من فضل الشهادة م عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يغفر للشهيد
كل ذنب الا الدين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما
يجد الشهيد من مس القتل الا كما يجد احدكم من القرصة اخرجه
الترمذي والنسايي بنحوه عن ابي الدردا قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يشفع الشهيد في سبعين من اهل بيته اخرجه ابو داود قوله
عز وجل الذين استجابوا لله والرسول الاية قال اكثر المفسرين ان ابا سفيان
واصحابه لما انصرفوا من احد الروحا ندموا على انصرافهم وتلاوموا فقالوا
لا محمدا قتلتم ولا الكواعب اردفتم فتقتلوهم حتى لم يبق الا الشريد تركتموهم
ارجعوا فاستاصلوهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان
يرهب العدو ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب

ابي سفيان فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من الم الجراح والقرح الذي
اصابهم يوم احد ونادي منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا
يخرجن معنا احد الا من حضرنا بالامس فكلمه جابر بن عبد الله قال يا
رسول الله ان ابي كان خلفني على اخوات لي سبع وقال لي يا بني انه لا
ينبغي لي ولك ان نترك هذه النسوة ولا رجل فيهن ولست بالذي
اوثرك على الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتخلف على اخواتك
فتخلفت عليهن فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه
وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو ليبلغهم انه
خرج في طلبهم فيظنوا به قوة وان الذي اصابهم لم يوهنهم فينصرفوا
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وطلحة
وعلي والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن
الجراح وعبد الرحمن بن مسعود وحذيفة بن اليمان في سبعين رجلا
من اصحابه حتى بلغوا حمرا الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال
ق عن عايشة في قوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم
القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم قالت لعروة يا ابن اختي كان
ابواك منهم الزبير وابو بكر لما اصاب نبي الله صلى الله عليه وسلم ما
اصاب يوم احد فانصرف المشركون خاف ان يرجعوا فقال من يذهب
في اثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا كان فيهم ابو بكر والزبير قالوا ومر
برسول الله صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعي بحمرا الاسد وكانت
خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة معه
صفقتهم معه لا يخفون عنه شيا كان بها ومعبد يوميذ مشرك فقال يا محمد
والله لقد عز علينا ما اصابك في اصحابك ولوددنا ان الله قد اعفاك
فيهم ثم خرج معبد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقي
ابا سفيان ومن معه بالروحا وقد اجمعوا على الرجعة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقالوا قد اصبنا جل اصحابنا وقادتهم لنكون على
بقيتهم ولنفرغن منهم فلما راي ابو سفيان معبدا قال له ما وراك
يا معبد قال محمد قد خرج في اصحابه يطلبكم في جمع لم ار مثله قط يحرقون
عليكم تحرقا وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على صنيعهم
وفيهم من الحنق عليكم شي لم ار مثله قط قال ابو سفيان ويلك ما تقول
قال والله ما اراك ترحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد
اجمعنا الكرة عليهم لنستاصل بقيتهم فقال والله اني انهاك عن ذلك
لقد حملني ما رايت على ان قلت ابياتا قال وما قلت قال قلت

• كادت تهد من الاصوات راحلتي • اذ سالت الارض بالجرد الابابيل •

• تردى باسد كرام لا يقابلة • عند اللقا ولا ميل معازيل •
• فقلت ويل ابن حرب من لقايكموا • اذا تغطمطت البطحا بالخيل •
• اني نذير لاهل البسل ضاحية • لكل ذي اربة منهم ومعقول •
• من جيش احمد لا وحش تنابلة • وليس يوصف ما انذرت بالقيل •

فثنى ذلك ابو سفيان ومن معه ومر به ركب من عبد القيس فقال
اين تريدون قالوا نريد المدينة لاجل الميرة قال فهل انتم مبلغون عنا
محمدا رسالة واحمل لكم زبيبا بعكاظ اذا وافيتموها قالوا نعم قال اذا
وافيتموه فاخبروه انا قد اجمعنا السير اليه والى اصحابه لنستاصل بقيتهم
وانصرف ابو سفيان الى مكة ومر الركب برسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو بحمرا الاسد فاخبره بالذي قال ابو سفيان فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل ثم انصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة بعد ثالثة وقال
مجاهد وعكرمة نزلت هذه الاية في غزوة بدر الصغري وذلك ان
ابا سفيان يوم احد حين اراد ان ينصرف قال يا محمد موعد ما بيننا وبينك
موسم بدر الصغري لقابل ان شيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيننا وبينك ان شا الله فلما كان من العام المقبل خرج ابو سفيان في
اهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية من الظهران ثم القى الله الرعب في قلبه
فبدا له الرجوع فلقي نعيم ابن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال له
ابو سفيان يا نعيم اني قد واعدت محمدا واصحابه ان نلتقي بموسم بدر الصغرى
وهذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب اللبن وقد
بدا لي ان لا اخرج اليها واكره ان يخرج محمد ولا اخرج انا فيزيدهم ذلك
جراة ولان يكون الخلف من قبلهم احب الي من ان يكون من قبلي فالحق
بالمدينة فثبطهم واعلمهم انا في جمع كثير لا طاقة لهم بنا ولك عندي
عشرة من الابل اضعها اليك على يد سهيل بن عمرو ويضمنها لك قال وجا
سهيل فقال له نعيم يا ابا يزيد تضمن لي هذه القلايص وانطلق الى محمد
فاثبطه قال نعم قال فخرج نعيم حتى اتى المدينة فوجد الناس يتجهزون
لميعاد ابي سفيان فقال نعيم اين تريدون قالوا واعدنا ابا سفيان
ان نلتقي بموسم بدر الصغري فقال نعيم بئس الراي رايتم اتوكم في دياركم
وقراركم فلم يفلت منكم الا الشريد افتريدون ان تخرجوا اليهم وقد جمعوا لكم
عند الموسم والله لا يفلت منكم احد فكره اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم الخروج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاخرجن اليهم
ولو وحدي فاما الجبان فانه رجع واما الشجاع فانه تاهب للقتال وقالوا
حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه

حتى وافوا بدرا الصغرى فجعلوا يلقون المشركين فيسألونهم عن قريش
فيقولون قد جمعوا لكم يريدون بذلك ان يرعبوا المسلمين فيقول المومنون
حسبنا الله ونعم الوكيل حتى بدرا الصغرى وكانت موضع سوق لهم في
الجاهلية يجتمعون اليها كل عام ثمانية ايام فاقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم ببدر ينتظر اباسفيان وقد انصرف ابوسفيان من مجنة الى
مكة فلم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا من المشركين ووافوا
السوق وكان معهم تجارات ونفقات فباعوا فاصابوا بالدرهم درهمين
وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين فذلك قوله تعالى الذين استجابوا
لله والرسول اى اجابوا الله واطاعوه في جميع اوامره واطاعوا
الرسول ايضا من بعد ما اصابهم القرح يعني من بعد ما نالهم من
الم الجراح للذين احسنوا منهم واتقوا يعني احسنوا بطاعة رسول الله
صلى الله عليه وسلم واجابوه في الغزو واتقوا معصيته والتخلف
عنه اجر عظيم يعني لهم ثواب جزيل وهو الجنة قوله عز وجل
الذين قال لهم الناس هذه الاية متعلقة بالاية التي قبلها لان المراد
بالذين من تقدم ذكره وهم الذين استجابوا لله والرسول وفي المراد
بالناس وجوه احدها ابو نعيم ابن مسعود الاشجعي فيكون اللفظ عاما
اريد به الخاص وانما جاز اطلاق لفظ الناس على الانسان الواحد لان
ذلك الواحد اذا فعل فعلا او قال قولا ورضي به غيره حسن اضافة
ذلك الفعل والقول الى الجماعة وان كان الفاعل واحدا فهو كقوله
تعالى واذ قتلتم نفسا والقاتل واحد والوجه الثاني ان المراد بالناس
الركب من عبد القيس قاله ابن عباس ومحمد بن اسحاق الوجه الثالث
ان المراد بالناس المنافقين وذلك انهم لما راوا النبي صلى الله عليه وسلم
يتجهز لميعاد ابي سفيان نهوا اصحابه عن الخروج معه وقالوا لهم ان
القوم قد اتوكم في دياركم فقتلوا الاكثر منكم فان خرجتم اليهم لم يبق احد
منكم ان الناس يعني اباسفيان واصحابه من روسا المشركين قد جمعوا لكم
يعني الجموع الكثيرة لان العرب تسمي الجيش جمعا وجمعه جموعا ٥
فاخشوهم اى فخافوهم واحذروهم فانه لا طاقة لكم بهم فزادهم ايمانا يعني
فزاد المسلمين ذلك التخويف تصديقا ويقينا وقوة في دينهم وثبوتا على
نصرة نبيهم صلى الله عليه وسلم وفي هذه الاية دليل لمن يقول بزيادة
الايمان ونقصانه لان الله تعالى نص على وقوع الزيادة في الايمان
وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل اى يكفينا الله هو الذي يكفينا
امرهم فهو كقول امرئ القيس ٠ وحسبك من غنى شبع وري ٠ اى
يكفيك الشبع والري ونعم الوكيل يعني الموكول اليه في الامور كلها وقيل

الوكيل

الوكيل هو الكافي والمعنى يكفينا الله ونعم الكافي هو وقيل الوكيل هو
الكفيل ووكيل الرجل في ماله هو الذي كفله وقام به والكفيل في صفة
الله هو الكفيل بارزاق العباد ومصالحهم وانه الذي يستقل بامورهم
كلها خ عن ابن عباس قال في قوله تعالى ان الناس قد جمعوا لكم الى قوله
وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين القي في النار وقالها
محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم
قوله تعالى فانقلبوا اى فانصرفوا ورجعوا بعد خروجهم والمعنى
وخرجوا فانقلبوا فحذف الخروج لان الانقلاب يدل بنعمة من الله
اى بعافية لم يلقوا عدوا وفضل اى تجارة وربح وهو ما اصابوا في
سوق بدر من الربح وقيل النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الاخرة
لم يمسسهم سوء اى لم يصبهم اذى ولا مكروه من قتل وجراح واتبعوا
رضوان الله يعني في طاعة الله وطاعة رسوله وقيل انهم قالوا هل
يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم بمجرد خروجهم
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ذو فضل عظيم يعني انه تعالى
تفضل عليهم بالتوفيق لما فعلوا وقيل تفضل عليهم بالقاء الرعب في قلوب
المشركين حتى رجعوا قوله عز وجل انما ذلكم الشيطان يخوف
يعني انما ذلكم المخوف والمثبط هو الشيطان يخوف بالوسوسة بان
القى ذلك في افواههم ليرهبوا المومنين ويخوفوهم ويجبنوهم وقوله
اولياءه يعني الشيطان يخوفكم يا معشر المومنين باوليائه وقيل معناه
يعظم اولياءه في صدوركم لتخافوهم وقيل معناه يخوف اولياءه المنافقين
ليقعدوا عن قتال المشركين واولياء الشيطان هم الكفار والمنافقون
الذين يطيعونه ويوثرون امره واولياء الله هم المومنون الذين لا يخافون
الشيطان اذا خوفهم ولا يطيعونه اذا امرهم فلا تخافوهم يعني فلا تخافوا
اولياء الشيطان ولا تقعدوا عن قتالهم ولا تجبنوا عنهم وخافون اى
فجاهدوا في سبيلي مع رسولي فاني وليكم وناصركم ان كنتم مومنين اى
مصدقين لوعدي اني متكفل لكم بالنصر والظفر قوله تعالى ولا يحزنك
الذين يسارعون في الكفر قيل هم كفار قريش وقيل هم المنافقون ورؤسا
اليهود وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى ولا يحزنك يا محمد من
يسارع في الكفر ويجمع الجموع لمحاربتك فان هذا المقصود لا يحصل لهم
وقيل مسارعتهم في الكفر مظاهرتهم الكفار على النبي صلى الله عليه وسلم
والمعنى يسارعون في نصرة الكفر فلا يحزنك فعلهم فانك منصور عليهم
انهم لن يضروا الله شيئا يعني بمسارعتهم في الكفر انما يضرون انفسهم
بذلك وقيل معناه لن يضروا اولياء الله شيئا يريد الله ان لا يجعل لهم

حظا في الاخرة يعني لا يجعل لهم نصيبا في ثواب الاخرة فلذلك اخذلهم
حتى سارعوا في الكفر وفي الاية دليل على ان الخير والشر بارادة الله تعالى
وفيه رد على القدرية والمعتزلة ولهم عذاب عظيم يعني في الاخرة ان
الذين اشتروا الكفر بالايمان يعني المنافقين امنوا ثم كفروا والمعنى
انهم استبدلوا الكفر بالايمان فكانهم اعطوا الايمان واخذوا الكفر بما
يفعل المشتري من اعطا شي واخذ شي غيره بدلا عنه لن يضروا الله
شيا يعني باستبدالهم الكفر بالايمان وانما ضروا انفسهم بذلك
ولهم عذاب اليم يعني في الاخرة **قوله عز وجل** ولا يحسبن
الذين كفروا قرى تحسبن بالتا واليا فمن قرا بالتا فمعناه ولا تحسبن
يا محمد املانا للكفار خيرا نزلت في مشركي مكة وقيل نزلت في بني
قريظة والنضير انما نملي لهم الاملا الامهال والتاخير واصله من
الالوة وهي المدة من الزمان والمعنى لا يظن الذين كفروا ان امهالنا
اياهم بطول العمر والانسار في الاجل خير لانفسهم ثم قال تعالى انما نملي
لهم ليزدادوا اثما يعني انما نمهلهم ونوخر في اجالهم ولهم عذاب مهين
يعني في الاخرة روى البغوي بسنده عن عبد الرحمن بن ابي بكرة عن
ابيه قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس خير قال
من طال عمره وحسن عمله قيل فاي الناس شر قال من طال عمره
وسا عمله وروى ابن جرير الطبري عن الاسود قال قال عبد الله ما
من نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها وقرا ولا تحسبن الذين كفروا
انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقرى نزلا من عند
الله وما عند الله خير للابرار قال ابن الانباري قال جماعة من اهل
العلم انزل الله هذه الاية في قوم يعاندون الحق سبق في علمه انهم لا
يومنون فقال انما نملي لهم ليزدادوا اثما بمعاندتهم الحق وخلافهم
الرسول صلى الله عليه وسلم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا رايت الله يعطي على المعاصي فان ذلك استدراج من الله لخلقه
ثم تلا هذه الاية وقال الزجاج هولا قوم اعلم الله نبيه صلى الله عليه
وسلم انهم لا يومنون ابدا وان نفاقهم يزيدهم كفرا وهذه الاية حجة
ظاهرة على القدرية حيث اخبر الله تعالى انما يطيل اعمار قوم ويمهلهم
ليزدادوا كفرا واثما وعنا قوله تعالى ما كان الله ليذر المومنين
على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب اختلف العلما في سبب
نزول هذه الاية فقال الكلبي قالت قريش يا محمد تزعم ان من خالفك
فهو في النار والله عليه غضبان وان من اطاعك وتبعك على دينك
فهو في الجنة والله عليه راض فاخبرنا بمن يومن بك فانزل الله هذه

الاية وقال السدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت علي
امتي في صورها في الطين كما عرضت على ادم واعلمت من يومن بي ومن
يكفر بي فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزا زعم محمد انه يعلم من
يومن به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد ونحن معه وما يعرفنا فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر فحمد الله تعالى واثنى
عليه ثم قال ما بال اقوام طعنوا في علمي لا تسالوني عن شي فيما بينكم
وبين الساعة الا انباتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال
من ابي يا رسول الله قال حذافة فقام عمر فقال يا رسول الله رضينا
بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقران اماما وبك نبيا فاعف عنا
عفى الله عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم فهل انتم منتهون
ثم نزل عن المنبر فانزل الله هذه الاية وقيل ان المومنين سالوا ان
يعطوا اية يعرفون بها بين المومن والمنافق فنزلت هذه الاية
وقيل ان قوما من المنافقين ادعوا ان ايمانهم كايمان المومنين فاظهر
الله نفاقهم يوم احد وانزل هذه الاية واختلفوا في معنى الاية
وحكمها فقال ابن عباس واكثر المفسرين الخطاب للكفار والمنافقين
والمعنى ما كان الله ليذر المومنين على ما انتم عليه يا معشر الكفار
والمنافقين من الكفر والنفاق حتى يميز الخبيث من الطيب وقيل
الخطاب للمومنين والمعنى ما كان الله ليذركم يا معشر المومنين
على ما انتم عليه من اختلاط المومن بالمنافق والتباس بعضهم ببعض
حتى يميز الخبيث من الطيب يعني المنافق من المومن الخالص فميز الله
المومنين من المنافقين يوم احد فاظهر المنافقون النفاق وتخلفوا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انما حصل التمييز يوم احد بالقا الجميع
في الخوف والقتل والهزيمة فمن كان مومنا ثبت على ايمانه وتصديقه
ولم يتزلزل ومن كان منافقا فاظهر نفاقه وكفره وقيل في معنى الاية حتى يميز
المومن من المنافق والكافر بالجهاد والهجرة وقيل في معنى الاية ما كان الله
ليذر المومنين في اصلاب الرجال المشركين وارحام النسا المشركات والمعنى
ما كان الله ليدع اولادكم الذي جرى لهم الحكم بالايمان على ما انتم عليه
من الشرك حتى يميز الخبيث من الطيب يعني يفرق بينكم وبين ما في
اصلابكم وارحام نسايكم من المومنين فيحكم لاهل الايمان بالجنة ولاهل
الشرك والكفر والنفاق بالنار وما كان الله ليطلعكم على الغيب الخطاب
في قوله ليطلعكم لكفار قريش الذين قالوا يا محمد اخبرنا بمن يومن بك ومن
لا يومن والمعنى وما كان الله ليبين لكم ايها الكفار المومن من الكافر
فيقول فلان مومن وفلان كافر او منافق لانه لا يعلم الغيب احد غيره

وان سنة الله جارية انه لا يطلع على غيبه احاد الناس فلا سبيل الى معرفة
المومن من الكافر او المنافق الا بالامتحان بالافات والمصايب فيتميز
المومن المخلص بثباته على ايمانه وتزلزل المنافق عند المحن والبلايا وقيل
في معنى الاية وما كان الله ليطلع محمدا على الغيب فيخبركم بالمومن من
الكافر ولكن الله يجتبي من رسله من يشا يعني ولكن الله يصطفي
ويختار من رسله من يشا فيطلعه على ما يشا من غيبه فامنوا
بالله ورسله يعني انه لما قامت الدلايل على صحة نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم فلم يبق الا الايمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم
وانما قال ورسله على الجمع ولم يقل ورسوله على التوحيد لقوله والله
يجتبي من رسله من يشا ولانه اذا اقر بجميع الرسل كان مقرا باحدهم
وهذه صفة المومنين لانهم امنوا بجميع الرسل وان تومنوا وتتقوا
يعني وان تصدقوا من اجتبيته برسالتي واطلعته على من اشا من
غيبي واعلمته بالمنافق منكم والمومن الخالص المخلص وتتقوا ربكم فيما
امركم به ونهاكم عنه فلكم اجر عظيم يعني فلكم بايمانكم واتقايكم ثواب
جزيل وهو الجنة **قوله عز وجل** ولا يحسبن الذين يبخلون
بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم يعني ولا يحسبن الذين يبخلون
البخل خيرا لهم بل هو يعني البخل شر لهم والبخل هو امساك المقتنيات
عما لا يستحق حبسها عنه والبخيل هو الذي يكثر منه البخل والاية دالة
على ذم البخل عن عبد الله بن عمر قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح امرهم بالبخل فبخلوا
وامرهم بالفجور ففجروا اخرجه ابو داود عن ابي سعيد الخدري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في مومن البخل
وسوء الخلق اخرجه الترمذي وقال حديث غريب واختلف العلما
فيمن نزلت هذه الاية فقال عبد الله بن مسعود وابو هريرة وابن
عباس في رواية ابي صالح عنه والشعبي ومجاهد نزلت هذه الاية في
الذين يبخلون ان يودوا زكاة اموالهم ووجه هذا القول ان اكثر العلما
ذهبوا الى ان البخل عبارة عن منع الواجب وان منع التطوع لا يكون
بخيلا ويدل عليه الوعيد الشديد في سياق الاية وهو قوله تعالى
سيطوقون ما بخلوا به وهذا لا يكون الا في ترك الواجب لا في التطوع
وقال ابن عباس في رواية عطية عنه وابن جريج عن مجاهد انها نزلت
في احبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وهذا
القول هو اختيار الزجاج ووجه هذا القول ان البخل عبارة عن منع الخير
والنفع ويدخل فيه العلم كما يقال فلان بخل بعلمه وصحح الطبري القول

الاول واختاره وقوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة اي سيلزمون
وبال ما بخلوا به الزام الطوق فان حملنا معنى الاية على منع الزكاة
والبخل بها فقال ابن مسعود وابن عباس يجعل ما منعه من الزكاة حية
تطوق في عنقه يوم القيمة تنهشه من قرنه الى قدمه ويدل على صحة
هذا التاويل ما روى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اتاه مالا فلم يود زكاته مثل له يوم القيمة شجاع اقرع
له زبيبتان يطوقه يوم القيمة ثم ياخذ بلهزمتيه يعني شدقيه
ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم تلى ولا يحسبن الذين يبخلون بما
اتاهم الله الاية اخرجه البخاري قوله له زبيبتان قيل هم النكتتان
السوداوان فوق عيني الحية وقيل هما نقطتان يكتنفان فاها وقيل
هما زبيبتان في شدقيها وقد جا في الحديث تفسير لهزمتيه بانهما
شدقيه وقيل انهما مضيغتان في اصل الحنك وقيل هما عند منحى اللحيين
اسفل من الاذنين وكله متقارب ق عن ابي ذر قال انتهيت الى النبي صلى
الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما راني قال هم الاخسرون
ورب الكعبة قال فجيت حتى جلست فلم اتقار ان قمت فقلت يا رسول الله
فداك ابي وامي من هم قال هم الاكثرون اموالا الا من قال هكذا وهكذا
وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما
من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يودي زكاته الا جات يوم القيمة اعظم
ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطوه باظلافها كلما نفدت اخراها عادت
عليه اولاها حتى يقضي بين الناس لفظ مسلم ووافقه البخاري بمعناه في
موضعين وقيل في معنى الاية انه يجعل في اعناقهم اطواق من النار
وقيل يكلفون يوم القيمة ان ياتوا بما بخلوا به من اموالهم في الدنيا وان
حملنا تفسير البخل على البخل بالعلم وكتمانه فقال ابن عباس في قوله
سيطوقون ما بخلوا به اي يحملون وزره واثمه فيكون على طريق التمثيل
كما يقال قلدتك هذا الامر وجعلته في عنقك وقيل يجعل في رقابهم
طوقا من نار ويدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من سيل علما يعلمه فكتمه الجم بلجام من نار
اخرجه الترمذي وفي رواية ابي داود من سيل عن علم فكتمه الجمه
الله بلجام من نار يوم القيمة وقيل في معنى الحديث انهم لما سيلوا عن
العلم فكتموه ولم ينطقوا به بالسنتهم ولم يخرجوه من افواههم عوضوا عن
ذلك بلجام من نار في افواههم عقوبة لهم والله اعلم وقوله تعالى ولله
ميراث السموات والارض يعني انه سبحانه وتعالى الباقي الدايم بعد
فنا خلقه وزوال املاكهم فيرثها سبحانه والمقصود من الاية انه يبطل

ملك جميع المالكين ويبقى الملك لله تعالى وقيل في معنى الاية وله ما
فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وعلم وغير ذلك فما لهولا البخلا يبخلون
عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله والله بما تعملون خبير قرئ يعملون
باليا على الغيبة على طريقة الالتفات وهي ابلغ في الوعيد والمعنى والله
بما تعملون يعني البخلا من منعهم الحقوق خبير فيجازيهم عليهم وقرئ بالتا
على خطاب الحاضرين قوله عز وجل لقد سمع الله قول الذين
قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا قال الحسن وقتادة لما نزلت هذه الاية
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله فقير يستقرض
منا ونحن اغنيا وذكر الحسن ان القايل هذه المقالة هو حيي بن اخطب
قال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن اسحاق كتب النبي صلى الله عليه
وسلم مع ابي بكر الصديق الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى
اقام الصلاة وايتا الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل ابو بكر
ذات يوم بيت مدارسهم فوجد ناسا كثيرا قد اجتمعوا على فنحاص بن
عازورا وكان من علمايهم ومعه حبر اخر يقال له اسيع فقال ابو بكر
لفنحاص اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد جاكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوريه
فامن وصدق واقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة ويضاعف لك
الثواب فقال فنحاص يا ابا بكر تزعم ان ربنا يستقرض اموالنا وما يستقرض
الا الفقير من الغني فان كان ما تقول حقا فان الله فقير ونحن اغنيا
فغضب ابو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال والذي نفسي بيده
لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت عنقك يا عدو الله فذهب
فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر ما صنع
بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما حملك
على ما صنعت فقال يا رسول الله ان هذا عدو الله قال قولا عظيما
زعم ان الله فقير وانهم اغنيا فغضبت لله وضربت وجهه فجحد ذلك
فنحاص فانزل الله تصديقا لابي بكر وتكذيبا لفنحاص وردا عليه
لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا وهذه المقالة
وان كانت قد صدرت من واحد من اليهود لكنهم رضوا بمقالته هذه
فنسبت الى جميعهم ولا يخلوا ان يكونوا قالوا هذه المقالة اعتقادا لذلك
القول او قالوا استهزا وايهما كان فهذه المقالة عظيمة القبح لا تصدر
عن عاقل وانما صدرت عن كافر متمرد في كفره وضلاله سنكتب ما
قالوا يعني قولهم ان الله فقير ونحن اغنيا لان ذلك كذب وافترا والمعنى
سيحفظ عليهم ما قالوا وقيل سنثبت ذلك القول في صحايف اعمالهم التي

تكتبها

تكتبها الحفظة عليهم حتى يوافوها يوم القيمة فهو وعيد وتهديد لهم وقتلهم
الانبيا بغير حق قيل معناه سنكتب ما قال هولا اليهود ونكتب ما فعله
اسلافهم فيجازي كلا الفريقين بما هو اهله وانما نسب قتل الانبيا الي
اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وانما فعله اسلافهم
واوايلهم لانهم رضوا بفعلهم فنسب اليهم وقيل في معنى الاية سنكتب على
هولا ما قالوا بانفسهم ونكتب عليهم ايضا رضاهم بقتل ابايهم الانبيا
والفايدة في ضم قتلهم الانبيا الى ما وصف الله تعالى بالفقرا علام
بذلك انهم اخوان في العظم وان هذا القول منهم ليس باول ما ارتكبوه
من العظايم وانهم اصلا في الكفر والجهل والضلال ولهم في ذلك سوابق
وان من قتل الانبيا لا يبعد منه الاجترا على مثل هذا القول العظيم
الفحش القبيح ونقول يعني لهولا الذين قالوا هذه المقالة ذوقوا عذاب
الحريق اي تنتقم منهم بان نقول لهم يوم القيمة ذوقوا عذاب الحريق كما
اذقتم المسلمين الغصص في الدنيا ذلك اي ذلك العذاب المحرق جزا
فعلكم حيث وصفتم الله بالفقر واقدمتم على قتل الانبيا بما قدمت
ايديكم انما ذكر الايدي على سبيل المجاز لان الفاعل هو الانسان لا اليد
الا ان اليد لما كانت الة الفعل حسن اسناد الفعل ولان اكثر الاعمال
تكون باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب وان الله
ليس بظلام للعبيد فيعذب بغير ذنب بل هو سبحانه وتعالى عادل
ومن العدل ان يعاقب المسي ويثيب المحسن قوله عز وجل
الذين قالوا ان الله عهد الينا قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وزيد بن التابوت وفنحاص بن
عازورا وحيي بن اخطب من اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا
يا محمد تزعم ان الله بعثك الينا رسولا وانزل عليك كتابا وان الله عهد
الينا في التورية ان لا نومن لرسول يزعم انه جا من عند الله حتى ياتينا
بقربان تاكله النار فان جيتنا به صدقناك فانزل الله تعالى الذين
قالوا يعني قد سمع الله قول الذين قالوا ان الله عهد الينا يعني امرنا
واوصانا في كتبه ان لا نومن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار
يعني فيكون ذلك دليلا على صدقه وذكر الواحدي عن السدي
انه قال ان الله تعالى امر بني اسرايل في التورية من جاكم يزعم انه رسول
فلا تصدقوه حتى ياتيكم بقربان تاكله النار حتى ياتيكم المسيح ومحمد فاذا
اتياكم فامنوا بهما فانهما ياتيان بغير قربان زاد غير الواحدي وعنه قال
وكانت هذه العادة باقية فيهم الى مبعث المسيح عليه السلام ثم ارتفعت
وزالت وقيل ان ادعا هذا الشرط كذب على التورية وهو من كذب اليهود

تنقيان

وتحريفهم ويدل على ذلك ان المقصود في الدلالة على صدق النبي هو ظهور
المعجزة للعادة الخارقة فاي معجزة اتى بها النبي قبلت منه وكانت
دليلا على صدقه وقد اتى النبي صلى الله عليه وسلم بالمعجزات الباهرات
الدالة على صدقه فوجب على كافة الخلق اتباعه وتصديقه والقربان
كل ما يتقرب به العبد الى الله عز وجل من اعمال البر من نسك وصدقة
وذبح وكل عمل صالح ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة
والصلاة قربات يعني انها مما يتقرب بها الى الله عز وجل وكانت
القرابين والغنايم لا تحل لبني اسرايل وكانوا اذا قربوا قربانا او
غنموا غنيمة جمعوا ذلك وجات نار بيضا من السما لا دخان لها ولها
دوي وحفيف فتاكل ذلك القربان والغنيمة وتحرقه ويكون ذلك
دليلا وعلامة على القبول واذا لم يقبل بقي على حاله ولم تنزل نار
وقال عطا كانت بنوا اسرايل يذبحون لله فياخذون الثروب واطايب
اللحم فيضعونها في وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم بينهم نبيهم
عليه السلام في البيت ويناجي ربه عز وجل وبنوا اسرايل خارجون
حول البيت فتنزل نار بيضا لها دوي وحفيف ولا دخان لها فتاكل ذلك
القربان ثم قال الله عز وجل مجيبا عن هذه الشبهة التي ذكرها هولا
اليهود واقامة الحجة عليهم **قل** يعني قل يا محمد لهولا اليهود **قد جاكم** يعني
يا معشر اليهود **رسل من قبلي** يعني مثل زكريا ويحيى وعيسى عليهم
السلام **بالبينات** يعني بالدلالات الواضحات الدالة على صدقهم
وبالذي قلتم يعني ما طلبوا من القربان **فلم قتلتموهم** يعني فلم قتلتم
الانبيا الذين اتوا بما طلبتم منهم مثل زكريا ويحيى وساير من قتلوا من
الانبيا واراد بذلك فعل اسلافهم فانما خاطب بذلك اليهود الذين كانوا
في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا راضين بفعل اسلافهم
ان كنتم صادقين يعني في دعواكم ومعناه تكذيبهم اياك يا محمد مع علمهم
بصدقك كقتل ابايهم الانبيا مع اتيانهم بالقربان ثم قال تعالى
مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم **فان كذبوك** يعني هولا اليهود **فقد
كذب رسل من قبلك** يعني مثل نوح وهود وصالح وابراهيم وغيرهم
من الرسل **جاوا بالبينات** يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات
الباهرات **والزبر** اي الكتب واحدها زبور وكل كتاب فيه حكمة زبور
واصله من الزبر وهو الزجر وسمي الكتاب الذي فيه الحكمة زبورا لانه
يزبر اي يزجر عن الباطل فيدعو الى الحق **والكتاب المنير** اي الواضح
المعنى وانما عطف الكتاب المنير على الزبر لشرفه وفضله وقيل اراد
بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التورية والانجيل قوله عز وجل **كل نفس**

ذايقة

ذايقة الموت يعني ان كل نفس مخلوقة ذايقة الموت ولا بد لها منه
قيل لما نزل قل يتوفاكم ملك الموت قالوا يا رسول الله انما نزلت في بني
ادم فاين ذكر الموت للجن والانعام والوحوش والطير فنزلت هذه
الاية وقيل لما خلق الله ادم عليه السلام اشتكت الارض الى ربها عز
وجل مما اخذ منها فوعدها ان يرد فيها ما اخذ منها فما احد يموت الا
ويدفن في التربة التي خلق منها **فان قلت** الحور والولدان
نفوس مخلوقة في الجنة لا تذوق الموت فما حكم لفظ كل في قوله كل نفس
ذايقة الموت **قلت** لفظة كل لا تقتضي الشمول والاحاطة
بدليل قوله تعالى واوتيت من كل شي ولم يوت ملك سليمان فتكون
الاية من العام المخصوص ويحتمل ان يكون المراد بهم المكلفين بدليل
سياق الاية وهو قوله **وانما توفون اجوركم** يعني توفون جزا اعمالكم
يوم القيمة ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر **فمن زحزح عن النار
وادخل الجنة فقد فاز** يعني فمن نجا وابعد عن النار وادخل الجنة فقد
ظفر بالنجاة ونجي من الخوف **وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور** يعني
العيش في هذه الدنيا الفانية يغر الانسان بما يمنيه من طول
البقا وسينقطع عن قريب فوصف بانها متاع الغرور لانها تغر ببذل
المحبوب وتخيل للانسان انه يدوم وليس بدايم والمتاع كل ما استمتع
به الانسان من مال وغيره وقيل المتاع كالفاس والقدر والقصعة
ونحوهم والغرور ما يغر الانسان مما لا يدوم وقيل الغرور الباطل ه
ومعنى الاية ان منفعة الانسان بالدنيا كمنفعته بهذه الاشيا التي
يستمتع بها ثم تزول عن قريب وقيل متاع متروك يوشك ان يضمحل
ويزول فخذوا من هذا المتاع واعملوا فيه بطاعة الله ما استطعتم
قال سعيد بن جبير هي متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الاخرة فاما
من اشتغل بطلب الاخرة فهي له متاع وبلاغ الى ما هو خير منها **ق** عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل
اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر فاقروا ان شيتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
زاد الترمذي وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها
اقروا ان شيتم وظل ممدود وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما
فيها واقروا ان شيتم فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما
الحياة الدنيا الا متاع الغرور قوله عز وجل **لتبلون** اللام لام القسم
تقديره والله لتبلون اي لتختبرن فتوقع عليكم المحن ليعلم المومن من
غيره والاختبار طلب المعرفة ليعرف الجيد من الردي وذلك في وصف

الله محال لان الله عالم بحقايق الاشيا كلها قبل ان يخلقها فعلى هذا
يكون معنى الاختبار في وصف الله تعالى انه يعامل العبد معاملة المختبر
في اموالكم يعني بالابتلا في الاموال بالنقصان منها وقيل باداما فرض
فيها من الحقوق **وانفسكم** يعني بالمصايب والامراض والقتل وفقد
الاقارب والعشاير خوطب بهذه الاية المسلمون ليوطنوا انفسهم على احتمال
الاذي وما سيلقون من الشدايد والمصايب ليصبروا على ذلك حتى
اذا لقوها لقوها وهم مستعدون بالصبر لها لا يرهقهم ما يرهق غيرهم
ممن تصيبه الشدة فينكرها ويشمئز منها **ولتسمعن من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذي كثيرا** قال عكرمة نزلت
في ابي بكر الصديق وفنحاص بن عازورا وذلك ان النبي صلى الله عليه
وسلم بعث ابا بكر الى فنحاص سيد بني قينقاع يستمده وكتب اليه
معه كتابا فقال لابي بكر لا تفتاتن على بشي حتى ترجع فجا ابو بكر وهو
متوشح بالسيف الى فنحاص واعطاه الكتاب فلما قراه قال فنحاص قد
احتاج ربك حتى نمده فهم ابو بكر ان يضربه بالسيف ثم ذكر قول النبي
صلى الله عليه وسلم لا تفتاتن على بشي حتى ترجع فنزلت الاية وقال
الزهري نزلت هذه الاية في النبي صلى الله عليه وسلم وكعب بن الاشرف
اليهودي وذلك انه كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويعيب المسلمين
ويحرض المشركين على قتالهم في شعره **ق** عن جابر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من لكعب بن الاشرف فانه قد اذي الله ورسوله
قال محمد بن مسلمة اتحب ان اقتله قال نعم قال ايذن لي فلاقل قال
قل فاتاه فقال له وذكر ما بينهم وقال ان هذا الرجل قد اراد الصدقة
وقد عنانا فلما سمعه قال وايضا والله لتملنه قال انا قد اتبعناه
ونكره الان ندعه حتى ننظر الى اي شي يصير امره قال وقد اردت ان
تسلفني سلفا قال فما ترهنني ارهنني نساكم قال انت اجمل العرب
قال ارهنك نسانا قال له ترهنوني اولادكم قال يسب ابن احدنا
فيقال رهن في وسقين من تمر ولكن نرهنك اللامة يعني السلاح
قال نعم وواعدهم ان ياتيهم بالحارث وابي عبس بن جبير وعباد
ابن بشر قال فجاوا فدعوه ليلا فنزل اليهم قالت امراته اني لا اسمع
صوتا كانه صوت دم قال انما هو محمد ورضيعي ابو نايلة ان الكريم لو
دعي الى طعنة ليلا لاجاب قال محمد اني اذا جا فسوف امد يدي الى راسه
فاذا استمكنت منه فدونكم قال فلما نزل نزل وهو متوشح فقال نجد
منك ريح الطيب قال نعم تحتي فلانة اعطر نسا العرب قال فتاذن لي
ان اشم قال نعم فشم فتناول فشم ثم قال اتاذن لي ان اعود قال فاستمكن

من راسه ثم قال دونكم فقتلوه زاد في رواية ثم اتوا النبي صلى الله
عليه وسلم فاخبروه وزاد اصحاب السير والمغازي فاختلف عليهم
اسيافهم فلم تغن شيا قال محمد بن مسلمة فذكرت معولا في سيفي فاخذته
وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن الا اوقدت عليه نارا قال
فوضعته في ثندوته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ووقع عدو الله
وقد اصيب الحارث بن اوس بجرح في راسه اصابه بعض اسيافنا فخرجنا
وقد ابطا علينا صاحبنا الحارث ونزفه الدم فوقفنا له ساعة حتى اتانا
يتبع اثارنا فحملناه وجينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم اخر الليل
وهو قايم يصلي فسلمنا عليه فخرج علينا فاخبرناه بقتل كعب بن الاشرف
وجينا براسه اليه وتفل على جرح صاحبنا ورجعنا على اهلنا فاصبحنا
وقد خافت اليهود وقعتنا بعدو الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ظفرتم به من رجال اليهود فاقتلوه وانزل الله في شان كعب بن
الاشرف اليهودي لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا
الكتاب يعني اليهود والنصاري ومن الذين اشركوا يعني مشركي العرب
اذى كثيرا يعني بالاذي قول اليهود ان الله فقير ونحن اغنيا وما اشبه
ذلك من افترايهم وكذبهم على الله ورسوله وما كان كعب بن الاشرف
يهجو النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين فهذا هو الاذى الكثير **وان تصبروا
وتتقوا** الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين يعني وان
تصبروا على اذاهم وتتقوا فيما امركم به ونهاكم عنه لان الصبر عبارة عن
احتمال الاذي والمكروه والتقوي عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغي **فان
ذلك من عزم الامور** اي من صواب التدبير الذي لا شك ان الرشد
فيه ولا ينبغي لعاقل تركه واصله من قولك عزمت عليك ان تفعل كذا
اي الزمتك ان تفعله لا محالة ولا تتركه وقيل معناه فان ذلك مما
قد عزم عليكم فعله اي الزمتكم الاخذ به قوله تعالى **واذ اخذ الله** اي
واذكر يا محمد وقت اذ اخذ الله **ميثاق الذين اوتوا الكتاب** يعني
اليهود والنصاري والمراد منهم العلما خاصة وقيل المراد بالذين اوتوا
الكتاب العلما والاحبار من اليهود خاصة واخذ الميثاق هو التوكيد
والالزام لبيان ما اتوه من الكتاب وهو قوله عز وجل **لتبيننه للناس**
يعني لتبينن ما في الكتاب ولتظهرنه للناس حتى يعلموه وذلك ان
الله اوجب على علما التورية والانجيل ان يشرحوا للناس ما في هذين
الكتابين من الدلايل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم **ولا تكتمونه**
يعني ولا تخفون ذلك عن الناس **فنبذوه** يعني الكتاب وقيل الميثاق
وراء ظهورهم اي فطرحوه وضيعوه وتركوا العمل به **واشتروا به ثمنا**

قليلا يعني المآكل والرشى التي كانوا ياخذونها من عوامهم وسفلتهم **فبئس ما يشترون** ذمهم الله تعالى على فعلهم ذلك واعلم ان ظاهر الاية هذه وان كان مخصوصا بعلما اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فلا يبعد ان يدخل فيه علما هذه الامة الاسلامية لانهم اهل كتاب وهو القران وهو اشرف الكتب قال قتادة هذا ميثاق اخذه الله تعالى على اهل العلم فمن علم شيا فليعلمه واياكم وكتمان العلم فانه هلكة وقال ايضا مثل عالم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم لا ياكل ولا يشرب وقال ايضا طوبى لعالم ناطق ومستمع واع هذا علم علما فبذله وهذا اسمع خيرا ووعاه فقبله عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيل علما يعلمه فكتمه الجم بلجام من نار اخرجه الترمذي ولابي داود من سيل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيمة وقال ابو هريرة لولا ما اخذ الله عز وجل على اهل الكتاب ما حدثتكم بشي ثم تلى هذه الاية واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الاية وقال الحسن بن عمارة اتيت الزهري بعد ان ترك الحديث فالفيته على بابه فقلت اريد ان تحدثني فقال اما علمت اني قد تركت الحديث فقلت اما ان تحدثني واما ان احدثك قال حدثني فقلت حدثني الحكم بن عيينة عن يحيى بن الجزار قال سمعت على بن ابى طالب رضى الله عنه يقول ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا قال فحدثني اربعين حديثا قوله عز وجل **لا يحسبن الذين يفرحون** قرى بالتا على الخطاب اى ولا تحسبن يا محمد الفارحين وقرى باليا على الغيبة يعنى ولا يحسبن الفارحين والمعنى لا يحسبن الذين يفرحون فرحهم منجيا لهم من العذاب نزلت هذه الاية في المنافقين **ق** عن ابي سعيد الخدري ان رجالا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه فرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا وحلفوا له واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت لا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا الاية وقيل نزلت في اليهود **ق** عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ان مروان قال اذهب يا رافع لبوابه الى ابن عباس فقل لان كان كل امري منا فرح بما اتى واحب ان يحمد بما لا يفعل معذبا لنعذبن اجمعون فقال ابن عباس ما لكم ولهذه الاية انما نزلت هذه الاية في اهل الكتاب ثم تلا ابن عباس واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس الاية وتلا ابن عباس لا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا وقال ابن عباس

سالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شي فكتموه اياه واخبروه بغيره فخرجوا وقد اروه ان قد اخبروه بما سالهم عنه واستحمدوا اليه بذلك وفرحوا بما اتوا من كتمانهم اياه ما سالهم عنه **بما اتوا** يعني يفرحون بما فعلوا **ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا** اي ويحبون ان يحمدهم الناس على شي لم يفعلوه قيل عني بذلك قوم من احبار اليهود كانوا يفرحون باضلالهم الناس وبنسبة الناس اياهم الى العلم قال ابن عباس واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الى قوله ولهم عذاب اليم يعني فنحاص واشيع واشباههم من الاحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ان يقول الناس لهم علما وليسوا باهل علم وقيل هم اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كتبوا الى يهود العراق والشام واليمن ومن يبلغهم كتابهم من اليهود في الارض كلها ان محمدا ليس بنبي فاثبتوا على دينكم فاجتمعت كلمتهم على الكفر ففرحوا بذلك وقالوا نحن اهل الصوم والصلاة واحبوا ان يحمدوا على ذلك وقيل فرحوا بما اوتوا بتبديلهم التورية واحبوا ان يحمدهم الناس على ذلك وقيل ان يهود خيبر اتت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نحن نعرفك ونصدقك وقالوا لاصحابه نحن على رايكم ونحن لكم رد وليس ذلك في قلوبهم واحبوا ان يحمدهم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون على ذلك **فلا يحسبنهم بمفازة من العذاب** اي فلا تظنهم بمنجاة من العذاب الذي اعده الله لهم في الدنيا من القتل والاسر وضرب الجزية والذلة والصغار **ولهم عذاب اليم** يعني في الاخرة وهذه الاية وان كانت قد نزلت في اليهود والمنافقين خاصة فان حكمها عام في كل من احب ان يحمد بما لم يفعل من الخير والصلاح او ينسب الى العلم وليس هو كذلك **قوله عز وجل** **ولله ملك السموات والارض** يعني انه تعالى مالك لما فيهما جميعا يتصرف فيه كيف يشاء وفيه تكذيب لمن قال ان الله فقير ونحن اغنيا يقول الله عز وجل ان من له جميع ما حوته السموات والارض من شي فكيف يكون من هذا ملكه فقيرا **والله على كل شي قدير** يعني انه تعالى قادر على تعجيل العقوبة لهم على ذلك القول ولكنه تفضل على خلقه بامهاله لهم قوله عز وجل **ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب** قال ابن عباس ان اهل مكة سالوا النبي صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم باية فنزلت هذه الاية والمعنى تفكروا واعتبروا ايها الناس فيما خلقته وانشاته من السموات والارض لمعاشكم وارزاقكم

وفيما عقب من ذلك بين الليل والنهار واختلافهما في الطول والقصر
بجعلهما يختلفان ويعتقبان عليكم لكي تتصرفوا فيهما لمعاشكم وطلب
ارزاقكم في النهار وتسكنون بالليل لراحة اجسادكم فاعتبروا وتفكروا
يا اولي الالباب يعني يا ذوي العقول الصافية الذين يفتحون
بصايرهم للنظر والاستدلال والاعتبار لا ينظرون اليها نظر البهايم
غافلين عما فيهما من عجايب مخلوقاته وغرايب مبتدعاته ق عن ابن
عباس انه بات عند ميمونة ام المومنين وهي خالته قال فقلت لانظرن
الى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فطرحت لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وسادة فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم واهله في طولها فنام رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل او قبله بقليل او بعده بقليل
ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح النوم عن وجهه
بيديه ثم قرا العشر ايات الخواتم في سورة ال عمران ثم قام الى شن
معلقة فتوضا منها فاحسن وضوءه ثم قام يصلي قال عبد الله بن عباس
فقمت وصنعت مثل ما صنع ثم ذهبت فقمت الى جنبه فوضع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على راسي واخذ باذني ففتلها
فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم اوتر
ثم اضطجع حتى جا المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج
فصلى الصبح وفي رواية فقمت عن يساره فاخذني فجعلني عن يمينه وفي
رواية قال بت في بيت خالتي ميمونة فتحدث رسول الله صلى الله عليه
وسلم واهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الاخير قعد فنظر
الى السما فقال ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
لايات لاولي الالباب وذكره قوله تعالى **الذين يذكرون الله قياما**
وقعودا وعلى جنوبهم قال علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس
وقتادة هذا في الصلاة يعني الذين يصلون قياما فان عجزوا فقعودا
فان عجزوا فعلى جنوبهم والمعنى انهم لا يتركون الصلاة في حال من
الاحوال بل يصلون في كل حال عن عمران بن حصين قال كانت بي
بواسير فسالت النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فقال صل قايما
فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنبك واخرجه الترمذي
وقال فيه سالته عن صلاة المريض وذكر نحوه قال الشافعي رضي الله
عنه اذا صلى المريض مضطجعا وجب عليه ان يصلي على جنب ويومي براسه
ايما وقال ابو حنيفة رحمه الله بل يصلي مستلقيا على ظهره فان وجد
خفة قعد وحجة الشافعي ظاهر الاية وهو قوله وعلى جنوبهم وقوله

صلى

صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين فان لم تستطع فعلى جنب
فنص على الجنب دون غيره وقال اكثر المفسرين المراد به المداومة على
الذكر في غالب الاحوال لان للانسان قل ان يخلو من هذه الثلاث
حالات وهي القيام والقعود وكونه نايما على جنبه م عن عايشة قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله عز وجل في كل احيانه
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قعد
مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضطجعا
لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة وما مشى احد ممشى لا يذكر الله
فيه الا كانت عليه من الله ترة اخرجه ابو داود والترمذي النقص
وقيل هما التبعة وقوله تعالى **ويتفكرون في خلق السموات**
والارض اصل الفكر اعمال الخاطر في الشي وتردد القلب في ذلك
الشي وهو قوة مطرقة للعلم الى المعلوم والتفكر جريان تلك القوة
بحسب نظر العقل ولا يمكن التفكر الا فيما له صورة في القلب ولهذا
قيل تفكروا في الا الله ولا تفكروا في الله ان الله منزه ان يوصف
بصورة فبذلك اخبر عباده الصالحين بانهم يتفكرون في خلق السموات
والارض وما ابدع فيهما من عجايب مصنوعاته وغرايب مبتدعاته
ليدلهم ذلك على كمال قدرة الصانع سبحانه وتعالى ويعلمون ان لها
خالقا قادرا مدبرا حكيما لان عظم اثاره وافعاله تدل على عظم خالقها
سبحانه وتعالى كما قيل

وفي كل شي له اية ⁂ تدل على انه واحد

وقيل ان الفكر مقلوب عن الفرك لان الفكر مستعمل في المعاني وهو
فرك الامور وبحثها طلبا للوصول الى حقيقتها وقيل الفكرة تذهب
الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الما للزرع النما وما جليت
القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة **ربنا** ويقولون ربنا
وقيل معناه ويتفكرون في خلق السموات قايلين ربنا **ما خلقت هذا**
باطلا يعني عبثا وهزلا بل خلقته دليل على وحدانيتك وكمال
قدرتك **سبحانك** تنزيها لك عن ان تخلق شيا عبثا لغير حكمة **فقنا**
عذاب النار يعني انا قد صدقنا بوحدانيتك وان لك جنة ونارا
فقنا عذاب النار والمقصود من قوله سبحانك فقنا عذاب النار
تعليم عباده كيفية الدعا فمن اراد ان يدعو فليقدم الثنا على الله اولا
ويدل عليه قوله سبحانك وبعد ذلك الثنا ياتي بالدعا ويدل عليه
قوله فقنا عذاب النار **ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته** اي
اهنته واذللته وقيل اهلكته فضحته وابلغت في اخزايه والخزي ضرب

من الاستخفاف والانكسار يلحق الانسان وهو الحيا المفرط فان
قلت قد تمسك المعتزلة بهذه الاية وقالوا قد اخبر الله انه لا
يخزي الله النبي والذين معه فوجب ان كل من يكون مومنا لا يدخل
النار لقوله انك من تدخل النار فقد اخزيته والمومن لا يخزي
قلت قد ذكر العلما في الجواب وجوها احدها ما روي عن انس
في تفسير قوله تعالى انك من تدخل النار فقد اخزيته قال من
يخلده وروى نحوه عن سعيد بن المسيب قال هي خاصة لمن لا يخرج
منها وهذا الجواب انما يصح على مذهب اهل السنة الذين يرون
اخراج الموحدين من النار اما على مذهب المعتزلة فلا يصح هذا
الجواب لان مذهبهم ان الفاسق مخلد في النار فهو داخل في قوله
تعالى فقد اخزيته الوجه الثاني في الجواب ان المدخل في النار يخزى
في حال دخوله وان كانت عاقبته ان يخرج منها ومعنى الاية على
هذا فقد اخزيته بدخوله فيها وتعذيبه بها ويدل على صحة
هذا المعنى ما روى عن عمرو بن دينار قال قدم علينا جابر بن
عبد الله فانتهيت اليه انا وعطا فسالته عن هذه الاية ربنا
انك من تدخل النار فقد اخزيته فقال وما اخزاه حين احرقه
بالنار ان دون ذا لخزيا وهذا الوجه هو اختيار ابن جرير الطبري
لان من ادخل النار فقد خزى بدخوله اياها وان اخرج منها
وذلك الخزي هو هتك المخزى وفضيحته وقال الانباري حمل الاية
على العموم اولى من نقلها الى خصوص لا دليل عليه الوجه الثالث
في الجواب ما قال اهل المعاني وهو ان الخزي يحتمل معان منها
الاهانة والاهلاك والابعاد وهذا للكفار ومنها الاخجال يقال
خزى خزاية اذا استحى واذا عمل عملا يستحيي منه ويخجل فيكون خزى
المومن الذي يدخل النار الحيا من المومنين بدخوله النار الى ان
يخرج منها وخزي الكافر الهلاك بالخلود في النار وحاصل هذا
الجواب ان لفظ الاخزا مشترك بين التخجيل والاهلاك واللفظ
المشترك لا يمكن حمله في طرفي النفي والاثبات على معنييه جميعا
وهذا يسقط الاستدلال الوجه الرابع في الجواب وهو الذي
اختاره الفخر الرازي وصححه ان قوله تعالى يوم لا يخزى الله النبي والذين
امنوا معه لا يقتضي نفي الاخزا مطلقا وانما يقتضي ان لا يحصل الاخزا
حال ما يكونوا مع النبي وهذا النفي لا ينافيه اثبات الاخزا
في الجملة لاحتمال ان يحصل ذلك الاثبات في وقت اخر والله اعلم
وقوله تعالى **وما للظالمين من انصار** يعني المشركين الذين وضعوا

العبادة في غير موضعها من انصار يعني ينصرونهم يوم القيامة
ويمنعونهم من العذاب قوله عز وجل **ربنا اننا سمعنا مناديا
ينادي للايمان** قال ابن عباس واكثر المفسرين هو محمد صلى الله عليه
وسلم ويدل على صحة هذا قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة وقوله
وداعيا الى الله باذنه وقال محمد بن كعب القرظي المنادي هو
القران قال اذ ليس كل احد لقي النبي صلى الله عليه وسلم ووجه
هذا القول ان كل احد يسمع القران ويفهمه فاذا وفقه الله تعالى
للايمان به فقد فاز به وذلك لان القران مشتمل على الرشد والهدى
وانواع الدلايل الدالة على الوحدانية فصار كالداعي اليها واللام
في للايمان بمعنى الى يعني ينادي للايمان **ان امنوا بربكم فامنا**
اي فصدقنا **ربنا فاغفر لنا ذنوبنا** اي كبائر ذنوبنا **وكفر عنا
سياتنا** اي صغاير ذنوبنا وقيل ان الغفر هو الستر والتغطية
وكذلك التكفير وهما بمعنى واحد وانما ذكرهما للتاكيد لان
الالحاح في الدعا والمبالغة فيه مندوب اليه وقيل معناه اغفر
لنا ما تقدم من ذنوبنا وكفر عنا سياتنا في المستقبل وقيل
يريد بالغفران ما يزول بالتوبة من الذنوب وبالتكفير ما يكفر
بالطاعات من الذنوب **وتوفنا مع الابرار** يعني في جملتهم وزمرتهم
والابرار هم الانبيا والصالحون والمعنى توفنا على مثل اعمالهم حتى
نكون في درجتهم يوم القيمة وقيل توفنا في جملة اتباعهم واشياعهم
ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك يعني على السنة رسلك وقيل
معناه واتنا ما وعدتنا على تصديق رسلك فان **قلت**
كيف سالوا انجاز ما وعد الله لا يخلف الميعاد **قلت** معناه
انهم طلبوا من الله تعالى التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد
وقيل هو من باب اللجا الى الله تعالى والتذلل له واظهار الخضوع والعبودية
كما ان الانبيا عليهم السلام يستغفرون الله مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون
بذلك التذلل لربهم سبحانه وتعالى والتضرع اليه واللجا اليه الذي هو
سيما العبودية وقيل معناه ربنا واجعلنا ممن يستحق ثوابك وتوتيهم
ما وعدتهم على السنة رسلك لانهم لم يتيقنوا استحقاقهم لتلك الكرامة
فسالوه ان يجعلهم مستحقين لها وقيل انما سالوا تعجيل ما وعدهم من
النصر على الاعدا قالوا قد علمنا انك لا تخلف الميعاد ولكن لا صبر لنا
على حلمك فعجل هلاكهم وانصرنا عليهم **ولا تخزنا يوم القيمة** يعني ولا تهلكنا
ولا تفضحنا ولا تهنا في ذلك اليوم فان قلت قوله واتنا ما وعدتنا على
رسلك يدل على طلب الثواب ومتى حصل الثواب ارتفع العقاب لا محالة

ثامعني قوله ولا تخزنا وهو طلب رفع العقاب عنهم قلت المقصود من
الاية طلب التوفيق على الطاعة والعصمة عن فعل المعصية كانهم
قالوا وفقنا للطاعات واذا اوفقتنا لها فاعصمنا عن فعل ما يبطلها ه
ونوقعنا في الخزي وهو الهلاك ويحتمل ان يكون قوله ولا تخزنا يوم القيمة
سبب لقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فانه ربما
يظن الانسان انه على عمل صالح فاذا كان يوم القيمة ظهر انه على غيره
فيحصل الخجل والحسرة والندامة في موقف القيمة فاسئلوا الله تعالى
يزيل ذلك عنهم فقالوا ولا تخزنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد
وقوله عز وجل فاستجاب لهم ربهم يعني اجاب دعاهم واعطاهم
ما سالوه اني اي وقال لهم ربهم لا اضيع عمل عامل منكم يعني لا احبط
عملكم ايها المومنون بل اثيبكم عليها من ذكر او انثى يعني لا اضيع عمل
عامل ذكرا كان او انثى عن ام سلمة قالت قلت يا رسول الله لا اسمع
الله ذكر النسا في الهجرة بشي فانزل الله تعالى اني لا اضيع عمل عامل
منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعضكم الى والله عنده حسن الثواب
وقوله تعالى بعضكم من بعض يعني في الدين والنصرة والموالاة
وقيل كلهم من ادم وحوي وقيل بمعني الكاف اي بعضكم كبعض في
الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية فهو كما يقال فلان مني
يعني على خلقي وسيرتي وقيل ان الرجال والنسا في الطاعة على
شكل واحد فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي
يعني المهاجرين الذين هجروا اوطانهم واهليهم واذاهم المشركون
بسبب اسلامهم ومتابعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا
مهاجرين الى الله ورسوله وتركوا اوطانهم وعشايرهم لله ورسوله
ومعنى في سبيلي في طاعتي وديني وابتغا مرضاتي وهم المهاجرون
الذين اخرجهم المشركون من مكة فهاجر طايفة الى الحبشة وطايفة الى
المدينة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد هجرته فلما استقر
رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة رجع اليه من كان هاجر الى
الحبشة من المسلمين وقاتلوا وقتلوا يعني وقاتلوا العدو واستشهدوا
في جهاد الكفار لاكفرن عنهم سياتهم يعني لامحون عنهم ذنوبهم ولاغفرها
لهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله يعني
ذلك الذي اعطاهم من تكفير سياتهم وادخالهم الجنة ثوابا من
فضل الله واحسانه اليهم والله عنده حسن الثواب وهذا تاكيد
لكون ذلك الثواب الذي اعطاهم من فضله وكرمه لانه جواد كريم
روى ابن جرير الطبري بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال

سمعت

لعله ثلة

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ثلاثة تدخل الجنة
فقرا المهاجرين الذين يتقى بهم المكاره اذا امروا سمعوا واطاعوا وان
كانت لرجل منهم حاجة الى سلطان لم تقض له حتى يموت وهي في صدره فان الله عز
وجل يدعو يوم القيمة الجنة فتاتي بزخرفها وزينتها فتقول اين عبادي
الذين قاتلوا في سبيلي وقتلوا واوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي
ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب وتاتي الملايكة
فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك من
هولا الذين اثرتهم علينا فيقول الرب عز وجل هولا عبادي الذين
قاتلوا في سبيلي واوذوا في سبيلي فتدخل الملايكة عليهم من كل باب
سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قال بعضهم في هذه الايات تعليم
من الله تعالى كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من
باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وقال جعفر الصادق
من حزنه امر فقال خمس مرات نجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد
وقرا هذه الايات وقال الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات
ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم قوله عز وجل لا يغرنك تقلب
الذين كفروا في البلاد نزلت في المشركين وذلك انهم كانوا في رخا ولين
من العيش يتجرون ويتنعمون فقال بعض المومنين ان اعدا الله فيما
نرى من الخير ونحن في الجهد فانزل الله هذه الاية لا يغرنك الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد غيره من الامة لانه صلى الله عليه
وسلم لم يغتر قط والمعنى لا يغرنك ايها السامع تقلب الذين كفروا في
البلاد يعني ضربهم في البلاد الارض وتصرفهم في البلاد للتجارات وطلب
الارباح والمكاسب متاع قليل اي ذلك متاع قليل وبلغة فانية ونعمة
زايلة ثم ماواهم يعني مصيرهم في الاخرة جهنم وبيس المهاد اي وبيس
الفراش هي قوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم فيما امرهم به من العمل
بطاعته واتباع مرضاته واجتناب ما نهاهم عنه من معاصيه لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا اي جزا وثوابا والنزل ما يهيا
للضيف عند قدومه من عند الله يعني من فضل الله وكرمه واحسانه
وما عند الله يعني من الخير والكرامة والنعيم الدايم الذي لا ينقطع
خير للابرار يعني ذلك الفضل والنعمة الذي اعدها الله للمطيعين
الابرار خير مما يتقلب فيه هولا الكفار من نعيم الدنيا ومتاعها فانه قليل
زايل ق عن عمر بن الخطاب قال جيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذا هو في مشربة وانه لعلى حصير ما بينه وبينه شي وتحت راسه وسادة
من ادم حشوها ليف وعند رجليه قرظ مصبوغ وعند راسه اهب معلقة

ورايت اثر الحصير في جنبه فبكيت فقال ما يبكيك فقلت يا رسول الله ان
كسرى وقيصر فيما هم فيه وانت رسول الله فقال اما ترضى ان تكون
لهم الدنيا ولنا الاخرة لفظ البخارى المشربة الغرفة والعلية والمشارب
العلالى قوله عز وجل **وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله وما**
انزل اليكم وما انزل اليهم قال ابن عباس نزلت في النجاشي ملك
الحبشة واسمه اصحمه ومعناه بالعربية عطية وذلك انه لما مات
نعاه جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم
الذى مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا
فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم النجاشي فخرج الى البقيع وكشف
له الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي فصلى عليه وكبر اربع تكبيرات
واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج حبشي
نصراني لم يره قط وليس على دينه فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت
في اربعين رجلا من اهل نجران اثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية
من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فامنوا بالنبي صلى الله
عليه وسلم وصدقوه وقيل نزلت في عبد الله بن سلام واصحابه الذين
امنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في جميع مومنى اهل الكتاب
وهذا القول اولى لانه لما ذكر احوال الكفار واحوال اهل الكتاب
وان مصيرهم الى الجحيم النار ذكر حال من امن من اهل الكتاب وان
مصيرهم الى الجنة فقال تعالى وان من اهل الكتاب يعنى بعض اليهود
والنصارى اهل التورية والانجيل لمن يومن بالله يعنى يقر بوحدانية
الله وما انزل اليكم يعنى ويومن بما انزل اليكم ايها المومنون يعنى القران
وما انزل اليهم يعنى من الكتب المنزلة مثل التورية والانجيل والزبور
خاشعين لله يعنى خاضعين لله ومتواضعين له غير مستكبرين
لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا يعنى لا يغيرون كتبهم ولا يحرفونها
ولا يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم لاجل الرياسة والماكل والرشا
كما يفعله غيرهم من روسا اليهود **اوليك** اشارة الى من هذه صفته
من اهل الكتاب **لهم اجرهم عند ربهم** يعنى ثواب اعمالهم التى عملوها
ذلك الثواب لهم ذخر يوفيه اليهم يوم القيمة **ان الله سريع الحساب**
يعنى انه تعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شى من اعمال
عباده فيجازى كل احد على قدر عمله لانه سريع الحساب قوله
تعالى **يا ايها الذين امنوا اصبروا** يعنى على دينكم الذى انتم عليه
ولا تدعوه لشدة ولا لغيرها واصل الصبر حبس النفس عما لا يقتضيه
شرع ولا عقل والصبر لفظ عام تحته انواع من المعانى قال بعض

الحكما الصبر على ثلاثة اقسام ترك الشكوى وقبول القضا وصدق
الرضا وقيل في معنى الاية اصبروا على طاعة الله وقيل على ادا الفرايض
وقيل على تلاوة القران وقيل اصبروا على امر الله وقيل اصبروا على
البلا وقيل اصبروا على الجهاد وقيل اصبروا على احكام اهل الكتاب
والسنة **وصابروا** يعنى الكفار والاعدا وجاهدوهم **ورابطوا** يعنى
وداوموا على جهاد المشركين واثبتوا عليه واصل المرابطة ان يربط هولا
خيولهم وهولا خيولهم بحيث يكون كل من الخصمين مستعد لقتال
الاخر ثم قيل لكل مقيم بثغر يدفع من وراه مرابط وان لم يكن له مركب
مربوط **ق** عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم
من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله
او الغدوة خير من الدنيا وما عليها **م** عن سلمان الخير قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام
شهر وقيامه وان مات فيه جرى عليه عمله الذى كان يعمله واجرى
عليه رزقه وامن الفتان وقيل المراد بالمرابطة انتظار الصلاة بعد
الصلاة قال ابو سلمة عبد الرحمن لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه
وسلم غزو يرابط فيه ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة ويدل
على صحة هذا التاويل ما روى عن ابى هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به
الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضو على المكاره وكثرة
الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم
الرباط اخرجه مسلم **واتقوا الله لعلكم تفلحون** قال محمد بن كعب القرظى
يقول الله عز وجل واتقوا الله فيما بينى وبينكم لعلكم تفلحون غدا اذا
لقيتمونى وقال اهل المعانى في معنى هذه الاية يا ايها الذين امنوا اصبروا
على بلاى وصابروا على نعماى ورابطوا على مجاهدة اعداى واتقوا
محبة سواى لعلكم تفلحون بلقاى وقيل اصبروا على النعما وصابروا
على الباسا والضرا ورابطوا في دار الاعدا واتقوا اله الارض والسما
لعلكم تفلحون في دار البقا وقيل اصبروا على دار الدنيا ومحنتها ورجا
السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا على
مجاهدة النفس اللوامة واتقوا ما يعقبكم الندامة لعلكم تفلحون غدا
في دار الكرامة والله اعلم بمراده واسرار كتابه •

• تفسير سورة النسا •

وهى مائة وخمس وسبعون اية وثلاثة الاف وخمس واربعون كلمة

وستة عشر الف حرف وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل يا ايها الناس خطاب للكافة فهو كقوله يا بني ادم اتقوا
ربكم اي احذروا ربكم ان تخالفوه فيما امركم به او نهاكم عنه ثم وصف
نفسه بكمال فقال تعالى الذي خلقكم من نفس واحدة يعني من اصل
واحد وهو ادم ابو البشر عليه السلام وانما انث الوصف على لفظ
النفس وان كان المراد به الذكر فهو كما قال بعضهم
ابوك خليفة ولدته اخرى • وانت خليفة ذاك الكمال •
انما قال ولدته اخرى لتانيث الخليفة وخلق منها زوجها يعني
حوا وذلك ان الله تعالى لما خلق ادم عليه السلام القى عليه النوم
ثم خلق حوا من ضلع من اضلاعه اليسرى وهو قصير فلما استيقظ
راها جالسة عند راسه فقال لها ما انت قالت امراة قال لماذا
خلقت قالت خلقت لتسكن الي فمال اليها والفها لانها خلقت منه
واختلفوا في اي وقت خلقت حوا فقال كعب الاحبار ووهب وابن
اسحاق خلقت قبل دخوله الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس انها
خلقت في الجنة بعد دخوله اياها وبث منهما يعني نشر واظهر من
ادم وحوا رجالا كثيرا ونسا انما وصف الرجال بالكثرة دون النسا
لان حال الرجال اتم واكمل وهذا كالتنبيه على ان اللايق بحال الرجال
الظهور والاشتهار وبحال النسا الاختفا والخمول واتقوا الله الذي
تسالون به انما كرر ذكر التقوى للتاكيد وانه اهل ان يتقى والتسال
بالله هو كقوله اسالك بالله واحلف عليك بالله واستشفع اليك
بالله والارحام قرى بفتح الميم ومعناه واتقوا الارحام ان تقطعوها
وقرى بكسر الميم فهو كقوله سالتك بالله وبالرحم وناشدتك بالله
وبالرحم لان العرب كان من عادتهم ان يقولون ذلك والرحم القرابة
وانما استعير الرحم للقرابة لانهم خرجوا من رحم واحدة وقيل هو
مشتق من الرحمة لان القرابة يتراحمون ويعطف بعضهم على البعض
وفي الاية دليل على تعظيم حق الرحم والنهي عن قطعها ويدل على
ذلك ايضا الاحاديث الواردة في ذلك ق عن عايشة قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من
وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ق عن انس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يبسط عليه من رزقه
وينسا في اثره فلينظر الى رحمه قوله ينسا في اثره اي يوخر له في اجله
ق عن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل
الجنة قاطع قال سفين في روايته يعني قاطع رحم وعن الحسن قال

من سالك بالله فاعطه ومن سالك بالرحم فاعطه وعن ابن عباس
قال الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشت به وكلمته واذا
اتاها القاطع احتجبت عنه ان الله كان عليكم رقيبا يعني حافظا
والرقيب في صفة الله تبارك وتعالى هو الذي لا يغفل عما خلق فيلحقه
نقص ويدخل عليه خلل وقيل هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شي من
امر خلقه فبين بقوله ان الله كان عليكم رقيبا انه يعلم السر واخفى
واذا كان كذلك فهو جدير بان يخاف ويتقى قوله تعالى واتوا اليتامى اموالهم
نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم كان في حجره فلما
بلغ اليتيم طلب المال الذي له فمنعه عمه فترافعا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فنزلت هذه الاية فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ
بالله من الحوب الكبير ودفع الى اليتيم ماله فقال النبي صلى الله عليه
وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما
قبض الصبي ماله انفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا كيف بقي الوزر قال ثبت الاجر للغلام وبقي
الوزر على والده والخطاب في قوله تعالى واتوا الاوليا والاوصيا واليتامى
جمع يتيم وهو الصبي الذي مات ابوه واليتم في اللغة الانفراد ومنه
الدرة اليتيمة لانفرادها واسم اليتيم يقع على الصغير والكبير لغة
لبقا معنى الانفراد عن الابا لكن في العرف اختص اسم اليتيم لمن لم يبلغ
مبلغ الرجال فاذا بلغ الصبي وصار يستغني بنفسه عن غيره زال عنه
اسم اليتيم وسيل ابن عباس عن اليتيم متى ينقطع عنه اسم اليتم قال اذا
اونس منه الرشد وانما سماهم يتامى بعد البلوغ على مقتضى اللغة او
لقرب عهدهم باليتم وان كان قد زال عنهم بالبلوغ وقيل المراد باليتامى
الصغار الذين لم يبلغوا والمعنى واتوا اليتامى اموالهم بعد البلوغ
وتحقق الرشد وقيل معناه واتوا اليتامى الصغار ما يحتاجون اليه من
نفقة وكسوة والقول الاول هو الصحيح ان المراد باليتامى البالغين
لانه لا يجوز دفع المال الى اليتيم الا بعد البلوغ وتحقق الرشد ولا
تتبدلوا اي ولا تستبدلوا الخبيث بالطيب يعني بالخبيث الذي هو
حرام عليكم بالحلال من اموالكم واختلفوا في هذا التبديل فقال سعيد
ابن المسيب والنخعي والزهري والسدي كان اوليا اليتامى ياخذون
الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الردي فربما كان احدهم ياخذ
الشاة السمينة ويجعل مكانها المهزولة وياخذ الدرهم الجيد ويجعل
مكانه الزيف ويقول شاة بشاة ودرهم بدرهم فذلك تبديلهم فنهوا
عنه وقال عطا هو الربح في مال اليتيم وهو صغير لا علم له بذلك وقيل

انه ليس بابدال حقيقة وانما هو اخذه مستهلكا وذلك ان اهل
الجاهلية كانوا لا يورثون النسا والصغار وانما كان ياخذ الميراث
الاكابر من الرجال وقيل هو اكل مال اليتيم عوضا عن اكل اموالهم فنهوا
عن ذلك **ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم** يعني مع اموالكم وقيل معناه
ولا تضموا اموالهم الى اموالكم في الانفاق واعلم ان الله تعالى نهى عن
اكل مال اليتيم واراد به جميع التصرفات المهلكة للمال وانما ذكر عن
الاكل لانه معظم المقصود **انه كان حوبا كبيرا** يعني ان من اكل مال
اليتيم بغير الحق اثم والحوب الاثم **قوله عز وجل وان خفتم**
ان لا تقسطوا في اليتامى يعني وان خفتم يا اوليا اليتامى ان لا تعدلوا
فيهن اذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن من الغرايب **ق** عن عروة انه سال
عايشة عن قوله تعالى فان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا
ما طاب لكم من النسا الى قوله او ما ملكت ايمانكم قالت يا ابن اختي
هذه اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد ان
ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال
الصداق وامروا بنكاح من سواهن قالت عايشة فاستفتى الناس
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانزل الله ويستفتونك
في النسا الى وترغبون ان تنكحوهن فبين الله في هذه الاية ان اليتيمة
اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها في
اكمال الصداق واذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها
والتمسوا غيرها من النسا قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها
فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها ويعطوها
حقها الاوفى من الصداق وقال الحسن كان الرجل من اهل المدينة
يكون عنده الايتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لاجل مالها
وهي لا تعجبه كراهية ان يدخل غريب فيشاركه في مالها ثم يسي صحبتها
ويتربص بها الى ان تموت فيرثها فعاب الله ذلك عليهم وانزل هذه
الاية وقال عكرمة في رواية عن ابن عباس كان الرجل من قريش
يتزوج العشر من النسا او اكثر فاذا صار معدما من مون نسايه
مال الى مال يتيمته الذي في حجره فانفقه فقيل لهم لا تزيدوا على
اربع حتى لا يحوجكم الى اخذ اموال اليتامى وقيل كانوا يتحرجون عن
اموال اليتامى ويترخصون في النسا فيتزوجون ما شاوا فربما
عدلوا وربما لم يعدلوا فلما انزل الله تعالى في اموال اليتامى واتوا
اليتامى اموالهم انزل هذه الاية وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى
يقول فكما خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فكذلك خافوا في النسا ان لا

عزوجل

تعدلوا

تعدلوا فيهن فلا تتزوجوا اكثر مما يمكنكم القيام بحقهن لان النسا في
الضعف كاليتامى وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والضحاك
والسدي ثم رخص الله في نكاح اربع فقال تعالى **فانكحوا ما طاب لكم**
من النسا يعني ما حل لكم من النسا واستدلت الظاهرية بهذه الاية على
وجوب النكاح قال لان قوله فانكحوا امر والامر للوجوب واجيب
عنه بان قوله تعالى فانكحوا انما هو بيان لما يحل من العدد في النكاح
وتمسك الشافعي في بيان ان النكاح ليس بواجب بقوله ومن لم يستطع
منكم طولا ان ينكح الى قوله ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير
لكم الاية فحكم في هذه السورة بان ترك النكاح خير من فعله وذلك
يدل على انه ليس بواجب ولا مندوب وقوله تعالى **مثنى وثلاث**
ورباع معناه اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا وهو غير
منصرف لانه اجتمع فيها امران العدل والوصف والواو بمعنى او في
هذا الوصف الفصل لانه لما كانت او بمنزلة واو النسق جاز ان تكون
الواو بمنزلة او وقيل ان الواو افادت انه يجوز لكل احد ان يختار لنفسه
قسما من هذه الاقسام بحسب حاله فان قدر على نكاح اثنتين فاثنتين
وان قدر على ثلاث فثلاث وان قدر على اربع فاربع الا انه يضم عددا
واجمعت الامة على انه لا يجوز لاحد ان يزيد على اربع نسوة وان الزيادة
على اربع من خصايص رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا يشاركه
فيه احد من الامة ويدل على ان الزيادة غير جايز وانه حرام ما روي
عن الحارث بن قيس او قيس بن الحارث قال اسلمت وعندي ثمان
نسوة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اختر منهن
اربعا اخرجه ابو داود وعن ابن عمر ان غيلان بن سلمة الثقفي اسلم وله
عشر نسوة في الجاهلية فاسلمن معه فامره صلى الله عليه وسلم ان يتخير
منهن اربعا اخرجه الترمذي قال العلما فيجوز للحر ان يجمع بين اربع
نسوة حراير ولا يجوز للعبد ان ينكح اكثر من امراتين وهو قول اكثر
العلما لانه خطاب لمن ولي وملك وذلك للاحرار دون العبيد ٥
وقال مالك في احدى الروايتين عنه وربيعة يجوز للعبد ان يتزوج
باربع نسوة واستدل بهذه الاية واجاب الشافعي بان هذه الاية
مختصة بالاحرار ويدل عليه اخر الاية وهو قوله فان خفتم ان لا تعدلوا
فواحدة او ما ملكت ايمانكم والعبد لا يملك شيا فثبت بذلك ان المراد
من حكم الاية الاحرار دون العبيد وقوله تعالى **فان خفتم** يعني فان خشيتم
وقيل فان علمتم **ان لا تعدلوا** يعني بين الازواج الاربع **فواحدة** يعني
فانكحوا واحدة **او ما ملكت ايمانكم** يعني وما ملكتم من السراري لانه لا يلزم

لهن من الحقوق ما يلزم في الحراير ولا قسم لهن **ذلك ادنى** اي اقرب **ان لا
تعولوا** معناه ذلك اقرب من ان لا تعولوا تحذف لفظة من لدلالة
الكلام عليه ومعنى الاية لا تعولوا اي لا تميلوا ولا تجوروا وهو قول
اكثر المفسرين لان اصل العول الميل يقال عال الميزان اذا مال وقيل
معناه لا تجاوزوا ما فرض الله عليكم ومنه عول الفرايض اذا جاوزت
سهامها وقيل معناه ذلك ادنى ان لا تضلوا وقال الشافعي رحمه
الله معناه ان لا تكثر عيالكم وقد انكر على الشافعي من ليس له
احاطة بلغة العرب فقال انما يقال من كثرة العيال اعال الرجل
يعيل اعالة اذا اكثر عياله قال وهذا من خطا الشافعي لانه انفرد
به ولم يوافق عليه احد وانما قال هذه المقالة من انكر على الشافعي
وخطاه من لا علم له بلغة العرب فقد روى الازهري في كتابه
تهذيب اللغة عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم في قوله ان لا تعولوا
اي لا تكثر عيالكم وروى الازهري عن الكسائي قال عال الرجل
اذا افتقر واعال اذا اكثر عياله قال ومن العرب الفصحاء من يقول
عال يعول اذا كثر عياله قال الازهري وهذا يقوي قول الشافعي
لان الكسائي لا يحكي عن العرب الا ما حفظه وضبطه وقول الشافعي
نفسه حجة لانه عربي فصيح والذي اعترض وخطاه عجل ولم يتثبت
فيما قال ولا ينبغي للحضري ان يعجل الى انكار ما لا يحفظه من لغات
العرب هذا اخر كلام الازهري وبسط الامام فخر الدين الرازي
في هذا الموضع من تفسيره ورد على ابي بكر الرازي وقال الطعن
لا يصدر الا عن كثرة الغباوة وقلة المعرفة وحكى البغوي عن
ابي حاتم قال كان الشافعي اعلم بلسان العرب منا ولعله لغة
ويقال هي لغة حمير وقرا طلحة بن مصرف ان لا تعيلوا بضم التاء وهو
حجة للشافعي **واتوا النسا صدقاتهن نحلة** قال الكلبي وجماعة
هذا خطاب للاوليا قال ابو صالح كان الرجل اذا زوج ايمه اخذ
صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك وقيل ان ولي المراة كان اذا
زوجها فان كانت معهم في العشرة لم يعطها من مهرها قليلا ولا كثيرا
وان كان زوجها غريبا حملوها اليه على بعير ولا يعطيها من مهرها غير
ذلك فنهاهم الله عن ذلك وامرهم ان يدفعوا الحق الى اهله وقال
الحضرمي كان اوليا النسا يعطي هذا اخته على ان يعطيه الاخر اخته
ولا مهر بينهما وهذا هو الشغار فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بتسمية
المهر في العقد **ق** عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار
والشغار ان يزوج الرجل ابنته وليس بينهما صداق وقيل الخطاب للازواج

وهذا

وهذا اصح وهو قول الاكثرين لان الخطاب فيما قبل مع الناكحين وهم
الازواج امرهم الله تعالى بايتاء نسائهم الصداق والصدقات
المهور واحدها صدقة بفتح الصاد وضم الدال نحلة يعني فريضة
مسماة وقيل عطية وهبة وقيل نحلة يعني عن طيب نفس واصل النحلة
العطية على سبيل التبرع وهو اخص من الهبة وسمي الصداق نحلة
من حيث انه لا يجب في مقابلته غير التمتع دون عوض مالي **ق**
عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
احق الشروط ان توفوا بها ما استحللتم به الفروج وقوله تعالى
فان طبن يعني النسا المتزوجات **لكم** يعني للازواج **عن شي منه**
يعني من الصداق ومن هنا لبيان الجنس لا للتبعيض لانها لو وهبت
المراة لزوجها جميع صداقها جاز **نفسا** نصبت على التمييز والمعنى
فان طابت نفوسهن عن شي من ذلك الصداق المعين فوهبن
ذلك لكم فنقل الفعل من النفوس الى اصحابها فخرجت النفس
مفسرا فلذلك وحد النفس وقيل لفظه واحد ومعناه الجمع **فكلوه**
يعني ما وهبنه لكم **هنيا مريا** يعني طيبا سايغا وقيل الهني الطيب
المساغ الذي لا ينغصه شي والمري المحمود العاقبة وفي الاية دليل
على اباحة هبة المراة صداقها وانها تملكه ولا حق للولي فيه قوله
تعالى **ولا تؤتوا السفها اموالكم** اختلفوا في هولا السفها من هم
فقيل هم النسا نهى الله الرجال ان يؤتوا النسا اموالهم سوا كن
ازواجا او بنات او امهات وقيل هم الاولاد خاصة يقول لا تعط
ولدك السفيه مالك الذي هو قيامك بعد الله فيفسده
عليك وقيل امراتك وابنك السفيه قال ابن عباس لا تعمد الى
مالك الذي خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امراتك
وبنتك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ثم تنظر الى ما في ايديهم
امسك مالك واصلحه وكن انت الذي تنفق عليهم في رزقهم ومؤنتهم
وقال الكلبي اذا علم الرجل ان امراته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه
مفسد لا ينبغي له ان يسلط واحدا منهما على ماله فيفسده وقال
سعيد بن جبير هو مال اليتيم يكون عندك يقول لا تؤته اياه وانفق
عليه منه حتى يبلغ وانما اضاف المال الى الاوليا لانهم قوامها ومدبروها
واصل السفه الخفة واستعمل في خفة النفس لنقصان العقل في الامور
الدنيوية والدينية والسفيه المستحق الحجر هو الذي يكون مبذرا في
ماله ومفسدا في دينه فلا يجوز لوليه ان يدفع اليه ماله وقيل ان
السفه المذكور في هذه الاية ليس هو صفة ذم لهولا وانما سموا سفها

لخفة عقولهم ونقصان تميزهم ومنعهم عن القيام بحفظ المال فقوله
تعالى ولا تؤتوا السفها يعني الجهال بموضع الحق اموالكم التي جعل الله
لكم قياما يعني قوام معايشكم بقبول المال هو قوام الناس وقوام
معايشهم كن انت قيم اهلك انفق عليهم ولا تعط مالك امراتك
وولدك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ولما كان المال سببا للقيام
بالمعاش سمي به اطلاقا لاسم المسبب على السبب على سبيل المبالغة
لان به يقام الحج والجهاد واعمال البر وفكاك الرقاب من النار وارزقو
هم فيها اي اطعموهم واكسوهم يعني لمن يجب عليكم رزقه وكسوته وذلك
لما نهى الله عن ايتا المال للسفيه امر ان يجري رزقه وكسوته وانما
قال وارزقوهم فيها ولم يقل منها لانه اراد اجعلوا لهم فيها رزقا
والرزق من الله تعالى هو العطية من غير حد ولا قطع ومعنى الرزق
من العباد هو الاجرا الموظف المعلوم لوقت معلوم محدود وقولوا
لهم قولا معروفا يعني قولا جميلا لان القول الجميل يوثر في القلب
ويزيل السفه وقيل معناه عدوهم عدة جميلة من البر والصلة قال
عطا تقول اذا ربحت اعطيتك وان غنمت قسمت لك حظا وقيل معناه
الدعا اي ادعوا لهم قال ابن زيد ان لم يكن ممن تجب عليك نفقته
فقل له عافانا الله واياك بارك الله فيك وقيل معناه قولوا لهم
قولا تطيب به انفسهم وهو ان يقول الولي لليتيم السفيه مالك عندي
وانا امين عليه فاذا بلغت ورشدت اعطيتك مالك وقال الزجاج
معناه علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم امر دينهم وما يصلحهم مما
يتعلق بالعلم والعمل **قوله عز وجل** وابتلوا اليتامى الاية
نزلت في ثابت بن رفاعة وفي عمه وذلك ان رفاعة مات وترك ابنه
ثابتا وهو صغير فجا عمه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له ان ابن
اخي يتيم في حجري فما يحل لي من ماله ومتى ادفع اليه ماله فانزل الله
هذه الاية وابتلوا اليتامى يعني اختبروهم في عقولهم واديانهم
وحفظ اموالهم حتى اذا بلغوا النكاح اي مبلغ الرجال والنسا فان
انستم اي ابصرتم وعرفتم منهم رشدا يعني عقلا وصلاحا في الدين
وحفظا للمال وعلما بما يصلحه **فصل** في احكام تتعلق
بالحجر وفيه مسايل المسيلة الاولى الابتلا يختلف باختلاف احوال
اليتامى فان كان ممن يتصرف بالبيع والشرا في الاسواق يدفع اليه
شيا يسيرا من المال وينظر في تصرفه وان كان ممن لا يتصرف في الاسواق
فيختبر بنفقته على اهله وعبيده واجرايه وتصرفه في احوال داره
وتختبر المراة في امر بيتها وحفظ متاعها وغزلها واستغزالها فاذا

راي

راي حسن تدبير اليتيم وحسن تصرفه في الامور مرارا يغلب على الظن
رشده دفع اليه ماله بعد بلوغه ولا يدفع اليه ماله وان كان
شيخا يغلب عليه السفه حتى يونس منه الرشد المسيلة الثانية
قال الامام ابو حنيفة تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي
صحيحة وقال الشافعي هي غير صحيحة واحتج ابو حنيفة على قوله
بهذه الاية وذلك لان قوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح
يقتضي ان هذا الابتلا انما يحصل قبل البلوغ والمراد من هذا
الابتلا اختبار حاله في جميع تصرفاته فثبت ان قوله وابتلوا اليتامى
امر للاوليا بالاذن لهم في البيع والشرا قبل البلوغ اجاب الشافعي
بان قال ليس المراد بقوله وابتلوا اليتامى الاذن لهم في التصرف
حال الصغر بدليل قوله فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم
وانما يدفع اليهم اموالهم بعد البلوغ وايناس الرشد فثبت بموجب
هذه الاية انه لا يدفع اليه ماله حال الصغر فوجب ان لا يصح تصرفه
حال الصغر وانما المراد من الابتلا هو اختبار عقله واستبرا حاله
في معرفة المصالح والمفاسد المسيلة الثالثة في بيان البلوغ وذلك
باربعة اشيا اثنان يشترك فيهما الرجال والنسا واثنان يختصان
بالنسا اما الذي يشترك فيه الرجال والنسا فاحدهما السن فاذا
استكمل المولود خمس عشرة سنة بلوغه غلاما كان او جارية ويدل
عليه ما روي عن ابن عمر قال عرضت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم عام احد وانا ابن اربع عشرة سنة فردني ثم عرضت عليه عام
الخندق وانا ابن خمس عشرة سنة فاجازني اخرجاه في الصحيحين
وهذا قول اكثر اهل العلم وقال ابو حنيفة بلوغ الجارية باستكمال
سبع عشرة سنة وبلوغ الغلام باستكمال ثمانية عشرة سنة والثاني
الاحتلام فهو انزال المني الدافق سوا انزل باحتلام او جماع واذا
وجد ذلك من الصبي والجارية حكم ببلوغه لقوله تعالى واذا بلغ
الاطفال منكم الحلم ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ خذ من كل حالم
دينارا اما انبات الشعر الخشن حول الفرج فهو يدل على البلوغ في
اولاد المشركين لما روي عن عطية القرظي قال كنت من سبي قريظة
فكانوا ينظرون فمن انبت الشعر قتل ومن لم ينبت لم يقتل فكنت
ممن لم ينبت وهل يكون ذلك علامة على البلوغ في اولاد المسلمين
فيه قولان احدهما انه يكون بلوغا كما في اولاد المشركين والثاني لا يكون
ذلك بلوغا في حق اولاد المسلمين لانه يمكن الوقوف على مواليد اولاد
المسلمين والرجوع الى قول ابايهم بخلاف الكفار لانه لا يوقف على مواليدهم

ولا يعتبر في ذلك قول ابائهم لكفرهم فجعل الانبات الذي هو امارة
البلوغ بلوغا في حقهم واما الذي يختص بالنسا فهو الحيض والحبل
فاذا حاضت الجارية بعد استكمال تسع سنين حكم ببلوغها وكذلك
اذا ولدت حكم ببلوغها قبل الوضع بستة اشهر لانها اقل مدة الحمل
المسئلة الرابعة في بيان الرشد وهو ان يكون مصلحا في دينه
وماله فالصلاح في الدين هو اجتناب الفواحش والمعاصي التي
تسقط بها العدالة والصلاح في المال هو ان لا يكون مبذرا والتبذير
ان ينفق ماله فيما لا يكون فيه محمدة دنياوية ولا مثوبة اخروية او لا يحسن
التصرف فيغبن في البيع والشرا فاذا بلغ الصبي وهو مفسد لماله
ودينه لم ينفك عنه الحجر ولا ينفذ تصرفه في ماله وبه قال الشافعي
وقال ابو حنيفة اذا كان مصلحا لماله زال عنه الحجر وان كان مفسدا
لدينه لا يدفع اليه المال حتى يبلغ خمسة وعشرين سنة غير انه ينفذ
تصرفه قبله والقران حجة الشافعي في استدامة الحجر عليه لان الله
تعالى قال فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم امر بدفع
المال بعد البلوغ وايناس الرشد والفاسق لا يكون رشيدا او بعد
بلوغه خمسا وعشرين سنة وهو مفسد لماله بالاتفاق غير رشيد
فوجب ان لا يجوز دفع المال اليه كما قبل بلوغ هذا السن المسئلة
الخامسة اذا بلغ الصبي او الجارية واونس منه الرشد زال عنه الحجر
ودفع اليه ماله سوا تزوج او لم يتزوج وقال مالك ان كانت امراة
لا يدفع اليها المال ما لم تتزوج فاذا تزوجت دفع اليها مالها ولا ينفذ
تصرفها الا باذن الزوج ما لم تكبر وتجرب المسئلة السادسة
اذا بلغ الصبي رشيدا وزال عنه الحجر فلو عاد سفيها ينظر فان كان
مبذرا لماله حجر عليه وان كان مفسدا في دينه فعلى وجهين احدهما
ان يعاد عليه الحجر كما يستدام اذا بلغ وهو بهذه الصفة والثاني لا
يحجر عليه لان حكم الدوام اقوى من حكم الابتدا وعند ابي حنيفة لا حجر
على الحر العاقل البالغ بحال والدليل على اثبات الحجر من اتفاق
الصحابة ما روي عن هشام بن عروة عن ابيه ان عبد الله بن جعفر
ابتاع ارضا سبخة بستين الف درهم فقال علي لاتين عثمان ولاحجرن
عليك فاتى ابن جعفر الزبير فاعلمه بذلك فقال الزبير انا شريكك
في بيعك فاتى علي عثمان فقال احجر على هذا فقال الزبير انا شريكه
فقال عثمان كيف احجر على رجل في بيع شريكه فيه الزبير فكان اتفاقا
منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير لدفعه وقوله تعالى **فادفعوا اليهم
اموالهم ولا تاكلوها اسرافا** الخطاب للاولياء يعني يا معشر الاولياء

لا تاكلوا اموال اليتامى بغير حق **وبدارا ان يكبروا** يعني لا تبادروا
كبرهم ورشدهم فتفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان
يكبروا فيلزمكم تسليمها اليهم ثم بين تعالى حال الاولياء وقسمهم قسمين
فقال تعالى **ومن كان غنيا فليستعفف** اي فليمتنع من اكل مال اليتيم
ولا يرزاه قليلا ولا كثيرا **ومن كان فقيرا** يعني محتاجا الى مال اليتيم
وهو يحفظه **فلياكل بالمعروف** روى ابو داود عن عمرو بن شعيب عن
ابيه عن جده ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني
فقير وليس لي شي ولي يتيم فقال كل من مال يتيمك غير مسرف ولا
مبذر ولا متاثل واختلف العلما في حكم هذه الاية فروي عن عمر وابن
عباس وابن جبير وابي العالية وعبيدة السلماني وابي وايل
ومجاهد ومقاتل انه ياخذ من مال اليتيم على وجه القرض واختلفوا
في انه هل يلزمه القضا فذهب قوم الى انه يلزمه القضا اذا ايسر
وهو المراد من قوله تعالى فلياكل بالمعروف والمعروف القرض
اي يستقرض من مال اليتيم اذا احتاج اليه فاذا ايسر قضاه وهو
قول مجاهد وسعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب اني انزلت نفسي
من مال الله بمنزلة مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان
افتقرت اكلت بالمعروف فاذا ايسرت قضيت وقال قوم لا ضمان عليه
ولا قضا بل يكون ما ياكله كالاجرة له على عمله وهو قول الحسن
والشعبي والنخعي وقتادة قال الشعبي لا ياكله الا ان يضطر اليه
كما يضطر الى الميتة ثم القايلون بجواز الاكل من مال اليتيم اختلفوا
في قوله فلياكل بالمعروف فقال عطا وعكرمة ياكل باطراف اصابعه
ولا يسرف ولا يكتسي منه ولا يلبس الكتان ولا الحلل لكن ياكل ما يسد
به الجوع ويلبس ما يستر به العورة وقال الحسن ياكل من ثمر نخله
ولبن مواشيه بالمعروف ولا قضا عليه فاما الذهب والفضة فلا
ياخذ منه شيا فان اخذ وجب عليه رده وقال الكلبي المعروف هو
ركوب الدابة وخدمة الخادم وليس له ان ياكل من ماله شيا وروي
ان رجلا قال لابن عباس ان لي يتيما وان له ابلا افاشرب من لبن
ابله فقال ابن عباس ان كنت تبغي ضالة ابله وتهنا جرباها وتليط
حوضها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في
الحلب وقال قوم المعروف ان ياخذ من ماله بقدر قيامه واجرة
عمله ولا قضا عليه وهو قول عايشة وجماعة من اهل العلم وقوله
تعالى **فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم** هذا امر ارشاد
وليس بواجب امر الله تعالى الولي بالاشهاد على دفع المال الى اليتيم

بعد البلوغ ليزول عنه التهمة وينقطع الخصومة لانه اذا كانت
عليه بينة كان ابعد من ان يدعي عدم القبض وتظهر بذلك امانة
الوصي وتسقط عنه اليمين عند انكار اليتيم القبض **وكفى بالله**
حسيبا يعني محاسبا ومجازيا وشاهدا به قوله تعالى **للرجال**
نصيب مما ترك الوالدان والاقربون نزلت هذه الاية في اوس
ابن ثابت الانصاري توفي وترك امراته ويقال لها ام كجة وثلاث
بنات منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه يقال لهما سويد
وعرفجة فاخذا ماله ولم يعطيا امراته ولا بناته شيا من ماله
وذلك انهم كانوا في الجاهلية لا يورثون النسا ولا الصغير من
الذكور وانما كانوا يورثون الرجال ويقولون لا يعطى الارث الا
من قاتل وحاز الغنيمة وحمى الحوزة فجات ام كجة امراة اوس
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله مات اوس
ابن ثابت وترك ثلاث بنات وانا امراته وليس عندي ما انفق
عليهن وقد ترك ابوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة
ولم يعطياني ولا لبناته منه شيا وهن في حجري ولا يطعمن ولا يسقين
فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ان
ولدها لا يركبن فرسا ولا يحملن كلا ولا ينكين عدوا فانزل الله
عز وجل هذه الاية وبين ان الارث غير مختص بالرجال بل هو امر
يشترك فيه الرجال والنسا فقال تعالى للرجال يعني الذكور من
اولاد الميت وعصبته نصيب اي حظ مما ترك الوالدان والاقربون
يعني من الميراث **وللنسا نصيب مما ترك الوالدان والاقربون**
يعني وللاناث من اولاد الميت حظ **مما قل منه او كثر** يعني من
المال المخلف عن الميت **نصيبا مفروضا** يعني معلوما والفرض
ما فرضه الله تعالى وهو اكد من الواجب فلما نزلت هذه الاية
مجملة ولم يبين كم هو النصيب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى سويد وعرفجة لا تفرقا من المال شيا فان الله تعالى قد جعل
لبناته نصيبا مما ترك ولم يبين كم هو حتى انظر ما ينزل فيهن فانزل
الله تعالى يوصيكم الله في اولادكم الاية فلما نزلت ارسل رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة ان ادفعا الى ام كجة
الثمن مما ترك والى بناته الثلثين ولكما باقي المال قوله عز وجل
واذا حضر القسمة يعني قسمة الميراث فعلى هذا القول يكون
الخطاب للوارثين **اولوا القربى** يعني القرابة الذين لا يرثون ٥
واليتامى والمساكين انما قدم اليتامى لشدة ضعفهم وحاجتهم

فارزقوهم

فارزقوهم منه اي فارضخوا لهم من المال قبل القسمة واختلف
العلما في حكم هذه الاية فقال قوم هذه الاية منسوخة باية المواريث
وهذا قبل نزول اية المواريث فلما نزلت اية المواريث جعلت
لاهلها ونسخت هذه الاية وهو رواية مجاهد عن ابن عباس وقول
سعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وقتادة وقال قوم هي محكمة
غير منسوخة وهو الرواية الاخرى عن ابن عباس وهو قول ابي
موسى الاشعري والحسن وابي العالية والشعبي وعطا بن ابي
رباح وسعيد بن جبير ومجاهد والنخعي والزهري ثم اختلف
العلما بعد القول بانها محكمة هل هذا الامر امر ندب او وجوب ام
على قولين احدهما انه واجب فقيل ان كان الوارث كبيرا وجب عليه
ان يرضخ لمن حضر القسمة شيا من المال بقدر ما تطيب نفسه وان
كان الوارث صغيرا وجب على الولي ان يعتذر اليهم ويقول
اني لا املك هذا المال وهو لهولا الضعفا قال ابن عباس ان
كان الورثة كبارا رضخوا لهم وان كان الورثة صغارا اعتذر اليهم
فيقول الولي او الوصي اني لا املك هذا المال وانما هو للصغار
ولو كان لي منه شي لاعطيتكم وان يكبروا فسيعرفون حقكم هذا
هو القول المعروف وقال بعضهم هذا احق واجب في مال الصغار
والكبار فان كان الورثة كبارا تولوا اعطاهم بانفسهم وان كانوا
صغارا اعطى وليهم وروي محمد بن سيرين ان عبيدة السلماني قسم
اموال ايتام فامر بشاة فذبحت وصنعت طعاما لاجل هذه
الاية وقال لولا هذه الاية لكان هذا من مالي وقال الحسن والنخعي
هذا الرضخ مختص بقسمة الاعيان فاذا آل الامر الى قسمة الارضين
والرقيق وما اشبه ذلك **وقولوا لهم قولا معروفا** وقيل كانوا
يعطون التابوت والاواني ورث الثياب والمتاع الذي يستحي من
قسمته والقول الثاني ان هذا الامر ندب واستحباب لا على سبيل
الفرض والايجاب وهذا القول هو الاصح الذي عليه العمل اليوم
واحتجوا لهذا القول بانه لو كان لهولا حق معين لبينه الله تعالى
كما بين ساير الحقوق فحيث لم يبين علمنا ان ذلك غير واجب
وقيل في معنى الاية ان المراد بالقسمة الوصية فاذا حضر الوصية
من لا يرث من الاقربا واليتامى والمساكين امر الله للموصي ان
يجعل لهم نصيبا من تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولا
معروفا وهو ان لا يتبع العطية بالمن والاذى قوله تعالى **وليخش**
الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا يعني اولادا صغارا **خافوا**

عليهم يعني الفقر وقيل هذا خطاب للذين يجلسون عند المريض
وقد حضره الموت فيقولون له انظر لنفسك فان اولادك وورثتك
لا يغنون عنك شيا قدم لنفسك اعتق وتصدق واعط فلا يزالون
به حتى ياتي على عامة ماله فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بان يامروه
بالنظر لولده ولا يزيد على الثلث في وصيته ولا يجحف والمعنى كما انكم
تكرهون بقا اولادكم في الضعف والجوع من غير مال فاخشوا الله
ولا تحملوا المريض ان يحرم اولاده الضعفا من ماله وحاصل هذا الكلام
كما انك لا ترضى مثل هذا الفعل لنفسك فلا ترضه لاخيك المسلم وكما
انه لو كان هذا القايل هو الموصي يسره ان يحثه من يحضره على حفظ
ماله لولده ولا يدعهم عالة يتكففون الناس مع ضعفهم وعجزهم
وقيل هو الرجل يحضره الموت ويريد ان يوصي بشي فيقول له من
حضره من الرجال اتق الله وامسك مالك لولدك فيمنعوه
من الوصية لاقاربه المحتاجين وقيل يحتمل ان تكون الاية خطابا
لمن قرب اجله ويكون المقصود نهيه عن تكثير الوصية ليلا تبقى
ورثته فقرا ضعفا ضايعين بعد موته ثم ان كانت هذه الاية
نزلت قبل تقدير الثلث كان المراد منها ان لا يجعل الوصية مستغرقة
للتركة وان كانت قد نزلت بعد تقدير الثلث كان المراد منها ان
يوصي بالثلث او باقل منه اذا خاف على ورثته كما روى عن كثير من
الصحابة انهم وصوا بالقليل لاجل ذلك وكانوا يقولون الخمس في
الوصية افضل من الربع والربع افضل من الثلث وقد ورد في
الصحيح الثلث والثلث كثير لانك ان تذر ورثتك اغنيا خير من ان
تذرهم عالة يتكففون الناس يعني يسالونهم باكفهم وقيل هو خطاب
لاوليا اليتامى والمعنى وليخش من يخاف على ولده من بعد موته
ان يضيع مال اليتيم الضعيف الذي هو ذرية غيره اذا كان في حجره
والمقصود من الاية ان من كان في حجره يتيم فليحسن اليه وليه
او وصيه وليفعل به ما يحب ان يفعل باولاده من بعده **فليتقوا
الله** يعني في الامر الذي تقدم ذكره **وليقولوا قولا سديدا** يعني
عدلا وصوابا فالقول السديد من الجالسين عند المريض هو ان
يامروه بان يتصدق بدون الثلث ويترك الباقي لولده وورثته
وان لا يحيف في وصيته والقول السديد من الاوصيا واوليا
اليتامى ان يكلموهم كما يكلمون اولادهم ولا يوذوهم بقول ولا فعل قوله
عز وجل **ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما** قال مقاتل وابن
حبان نزلت في رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد ولي مال ابن اخيه

وكان

وكان اليتيم ابن اخيه فاكله فانزل الله هذه الاية ان الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما يعني حراما بغير حق **انما ياكلون في بطونهم
نارا** يعني سياكلون يوم القيمة نارا فسمى الذين ياكلون نارا بما يوول اليه
امرهم يوم القيمة قال السدي يبعث اكل مال اليتيم ظلما يوم
القيمة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه واذنيه وعينيه وانفه
يعرفه من راه باكل مال اليتيم وفي حديث ابي سعيد الخدري قال
حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة اسري به قال نظرت
فاذا انا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من ياخذ
بمشافرهم ثم يجعل في افواههم صخرا من نار فقلت يا جبريل من هولا
قال هولا الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم
نارا وقيل انما ذكر اكل النار على سبيل التمثيل والتوسع في الكلام والمراد
ان اكل مال اليتيم ظلما يفضي به الى النار وانما خص الاكل بالذكر وان
كان المراد ساير انواع الاتلافات وجميع التصرفات الردية المتلفة
للمال لان الضرر يحصل بكل ذلك لليتيم فعبر عن جميع ذلك بالاكل
لانه معظم المقصود وانما ذكر البطون للتاكيد فهو كقولك رايت
بعيني وسمعت باذني **وسيصلون سعيرا** يعني باكلهم اموال اليتامى
ظلما والسعير النار الموقدة المسعرة ولما نزلت هذه الاية ثقل ذلك
على الناس واحترزوا من مخالطة اليتامى واموالهم بالكلية فشق ذلك
على اليتامى فنزل قوله وان تخالطوهم فاخوانكم وقد توهم بعضهم
ان قوله وان تخالطوهم ناسخ لهذه الاية وهذا غلط ممن توهمه
لان هذه واردة في المنع من اكل اموال اليتامى ظلما وهذا لا يصير منسوخا
لان اكل مال اليتيم بغير حق من اعظم الاثام وقوله وان تخالطوهم
فاخوانكم فانها واردة على سبيل الاصلاح في اموال اليتامى والاحسان اليهم
وهو من اعظم القرب قوله تعالى **يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ
الانثيين** اختلف العلما في سبب نزول هذه الاية فروي عن جابر قال
مرضت فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وابوبكر وهما
ماشيان فوجداني اغمي علي فتوضا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم صب وضوءه علي فافقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم جالس فقلت
يا رسول الله كيف اصنع في مالي كيف اقضي في مالي فلم يجبني بشي حتى
نزلت اية الميراث وفي رواية فقلت لا يرثني الا كلالة فكيف الميراث
فنزلت اية الفرايض وفي رواية اخرى فنزلت يوصيكم الله في اولادكم
وفي رواية اخرى فلم يرد علي شيا حتى نزلت اية الميراث يستفتونك
قل الله يفتيكم اخرجه البخاري ومسلم وقال مقاتل والكلبي نزلت

فى ام كجة امراة اوس بن ثابت وبناته وقال عطا نزلت فى سعد بن الربيع
النقيب استشهد يوم احد وترك امراة وبنتين واخا وعن جابر رضى الله
عنه قال جاءت امراة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع
قتل ابوهما معك يوم احد شهيدا وان عمهما اخذ مالهما فلم يدع لهما
مالا ولا ينكحان الا ولهما مال قال يقضى الله فى ذلك فنزلت اية
الميراث فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمهما فقال اعط
ابنتى سعد الثلثين واعط امهما الثمن وما بقى فهو لك اخرجه
الترمذى وقال السدى كان اهل الجاهلية لا يورثون الجوارى
ولا الضعفا من الغلمان لا يرث الرجل من ولده الا من اطاق القتال
فمات عبد الرحمن اخو حسان الشاعر وترك امراة وخمس بنات
فجات الورثة واخذوا ماله فشكت امراته الى النبى صلى الله عليه
وسلم فانزل الله هذه الاية وقبل الشروع فى تفسير هذه الاية
الكريمة نقدم فصولا تتضمن احكام الفرايض واصول قواعدها

فصل فى الحث على تعليم الفرايض اعلم ان علم الفرايض
من اعظم العلوم قدرا واشرفها ذخرا وافضلها ذكرا وهى ركن من اركان
الشريعة وفرع من فروعها فى الحقيقة اشتغل الصدر الاول من الصحابة
بتحصيلها وتكلموا فى فروعها واصولها ويكفى فى فضلها ان الله عز
وجل تولى قسمتها بنفسه وانزلها فى كتابه مبينة من محل قدسه
وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعليمها فيما رواه ابو
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرايض
والقران وعلموا الناس فانى مقبوض اخرجه الترمذى وقال فيه
اضطراب واخرجه ابن حنبل وزاد فيه فانى امرو مقبوض والعلم
مرفوع ويوشك ان يختلف اثنان فى الفريضة فلا يجدان احدا
يخبرهما عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تعلموا الفرايض وعلموها فانه نصف العلم وهو اول علم ينسى وهو
اول شى ينزع من امتى اخرجه ابن ماجة والدارقطنى

فصل فى بيان احكام الفرايض اذا مات الميت وله مال يبدا بتجهيزه
من ماله ثم تقضا ديونه ان كان عليه دين ثم انفاذ وصاياه
وما فضل بعد ذلك من ماله يقسم بين ورثته والوارثون من
الرجال عشرة الابن وابن الابن وان سفل والاب والجد وان علا
والاخ سوا كان لاب وام اولاب اولام وابن الاخ للاب والام اوللاب
وان سفل والعم للاب والام اوللاب وابناهما وان سفلوا والزوج

والمعتق

والمعتق والوارثات من النسا سبع البنت وبنت الابن وان سفلت
والجدة وان علت والاخت من كل الجهات والزوجة والمعتقة
وستة من هولا لا يلحق حجب الحرمان بالغير وهم الابوان والولدان
والزوجان لانه ليس بينهم وبين الميت واسطة ثم الورثة ثلاثة
اصناف صنف يرث بالفرض المجرد وهم الزوجان والبنات والاخوات
والامهات والجدات واولاد الام وصنف يرث بالتعصيب وهم
البنون والاخوة وبنوهم والاعمام وبنوهم وصنف يرث بالتعصيب
تارة وبالفرض اخرى وهما الاب والجد فيرث بالتعصيب اذا لم
يكن للميت ولد فان كان له ابن ورث الاب بالفرض السدس وان
كانت بنت ورث السدس بالفرض واخذ الباقى بالتعصيب
والعصبة اسم لمن ياخذ جميع المال اذا انفرد وياخذ ما فضل عن
اصحاب الفرايض **فصل** واسباب الارث ثلاثة
نسب ونكاح وولا فالنسب القرابة يرث بعضهم بعضا والنكاح هو
ان يرث احد الزوجين من صاحبه بسبب النكاح والولا ان المعتق
وعصباته يرثون المعتق والاسباب التى تمنع الميراث اربعة اختلاف
الدين فالكافر لا يرث المسلم ولا المسلم يرث الكافر لما روى عن اسامة
ابن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرث المسلم الكافر
ولا الكافر المسلم اخرجاه فى الصحيحين فاما الكفار فيرث بعضهم
بعضا مع اختلاف مللهم واديانهم لان الكفر كله ملة واحدة وذهب
بعضهم الى ان اختلاف الملل والكفر يمنع التوارث ايضا حتى لا
يرث اليهودى من النصرانى ولا النصرانى من المجوسى والى هذا ذهب
الزهرى والاوزاعى واحمد واسحق لما روى عن جابر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا توارث بين اهل ملتين اخرجه الترمذى
وقال حديث غريب عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا يتوارث اهل ملتين شى اخرجه
ابو داود وحمله الاخرون على الاسلام والكفر لان الكفر عندهم ملة واحدة
فتوريث بعضهم من بعض لا يكون فيه اثبات التوارث بين ملتين
شى والرق يمنع الارث لان الرقيق ملك ولا ملك له فلا يرث ولا يورث
والقتل يمنع الارث عمدا كان القتل او خطا لما روى عن ابى هريرة
عن النبى صلى الله عليه وسلم قال القاتل لا يرث اخرجه الترمذى
وقال هذا حديث لا يصح والعمل عليه عند اهل العلم ان القاتل لا يرث
سوا كان القتل عمدا او خطا وقال بعضهم اذا كان القتل خطا فانه يرث
وهو قول مالك وعمى الموت وهو ان يخفى موت المتوارثين وذلك

بان غرقا او انهدم عليهما بنا فلم يدر ايهما سبق موته فلا يرث
احدهما الاخر بل يكون كل واحد منهما لمن كان في حياته بيقينا بعد
موته من ورثته **فصل** والسهام المحدودة في الفرايض المذكورة
في كتاب الله عز وجل ستة النصف والربع والثمن والثلثان
والثلث والسدس فالنصف فرض خمسة فرض الزوج عند عدم
الولد وفرض البنت الواحدة للصلب او بنت الابن عند عدم
بنت الصلب وفرض الاخت الواحدة للاب وللام اذا لم يكن وله
لاب وام والربع فرض الزوج مع الولد وفرض الزوجة مع عدم
الولد والثمن فرض الزوجة مع الولد والثلثان فرض البنتين
فصاعدا ولبنات الابن عند عدم ولد الصلب وفرض الاختين
فصاعدا للاب والام او للاب والثلث فرض ثلاثة فرض الام اذا لم
يكن للميت ولد ولا اثنان من الاخوة والاخوات الا في مسيلتين احدهما
زوج وابوان والاخرى زوجة وابوان فان للام فيهما ثلث الباقي
بعد نصيب الزوج او الزوجة وفرض الاثنين فصاعدا من اولاد
الام ذكرهم وانثاهم فيه سوا وفرض الجد مع الاخوة اذا لم يكن
في المسيلة صاحب فرض فكان الثلث خير للجد من المقاسمة مع
الاخوة والسدس فرض سبعة فرض الاب اذا كان للميت ولد
وفرض الام اذا كان للميت ولد او ولد ولد واثنان من الاخوة
والاخوات وفرض الجد اذا كان للميت ولد ومع الاخوة اذا كان في
المسيلة صاحب فرض وكان السدس خير للجد من المقاسمة مع
الاخوة وفرض الجدة والجدات وفرض الواحد من اولاد الام ذكرا
كان او انثى وفرض بنات الابن مع بنت الصلب تكملة الثلثين وفرض
الاخوات للاب مع الاخت للاب والام تكملة الثلثين
ق عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقوا
الفرايض باهلها فما بقي فهو لاولى رجل ذكر خ عن ابن عباس قال كان
المال للولد والوصية للوالدين فنسخ الله من ذلك ما احب فجعل
للذكر مثل حظ الانثيين وجعل للابوين لكل واحد منهما السدس
والثلث وجعل للمراة الثمن والربع وللزوج الشطر والربع ٥
فصل روي عن زيد بن ثابت قال ولد الابنا بمنزلة الابنا
اذا لم يكن دونهم ابن ذكرهم كذكرهم وانثاهم كانثاهم يرثون كما يرثون
ويحجبون كما يحجبون ولا يرث ولد ابن مع ابن ذكر فان ترك ابنة وابن
ابن ذكرا كان للبنت النصف ولابن الابن ما بقي لقوله صلى الله
عليه وسلم الحقوا الفرايض باهلها فما بقي فهو لاولى رجل ذكر فهذا

الحديث

الحديث دليل على ان بعض الورثة يحجب البعض والحجب حجبان حجب
نقصان وحجب حرمان اما الاول وهو حجب النقصان فهو ان الولد
وولد الابن يحجب الزوج من النصف الى الربع والزوجة من الربع
الى الثمن والام من الثلث الى السدس وكذلك الاثنان من الاخوة
والاخوات يحجبون الام من الثلث الى السدس واما الثاني وهو حجب
الحرمان فهو ان الام تسقط الجدات واولاد الام وهم الاخوة للام يسقطون
باربعة بالاب والجد وان علا وبالولد وولد الابن واولاد الاب والام
وهم الاخوة للاب والام يسقطون بثلاثة بالاب والابن وابن الابن وان سفلوا
ولا يسقطون بالجد على مذهب زيد بن ثابت وهو قول عمر وعثمان
وعلي وابن مسعود وبه قال مالك والاوزاعي والشافعي واحمد
واولاد الاب يسقطون بهولا الثلاثة وبالاخ للاب والام وذهب
قوم الى ان الاخوة جميعا يسقطون بالجد كما يسقطون بالاب وهو قول
ابي بكر الصديق وابن عباس ومعاذ وابي الدردا وعايشة وبه قال
الحسن وعطا وطاوس وابو حنيفة والاقرب من العصبات يسقط
الابعد منهم فاقربهم الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم الاب ثم الجد وان
علا فان كان مع الجد احد من الاخوة والاخوات للاب والام او للاب
يشتركان في الميراث فان لم يكن جد فللاخ للاب والام ثم للاخ للاب
ثم بنو الاخوة يقدم اقربهم سوا كان لاب وام او لاب فان استويا
في الدرجة فالذي هو لاب وام اولى ثم العم لاب وام ثم لاب ثم بنوهم
على ترتيب بني الاخوة ثم عم الاب ثم عم الجد على هذا الترتيب فان لم
يكن احد من عصبات النسب وعلى الميت ولا فالميراث للمعتق فان لم
يكن حيا فلعصبات المعتق واربعة من الذكور يعصبون الاناث الابن
وابن الابن والاخ للاب والام والاخ للاب فلو مات عن ابن وبنت
او عن اخ واخت لاب وام او لاب يكون المال بينهما للذكر مثل حظ
الانثيين ولا يفرض للبنت والاخت وكذلك ابن الابن يعصب من
في درجته من الاناث ومن فوقه اذا لم ياخذ من الثلثين شيا حتى لو
مات عن بنتين وبنت ابن فللبنتين الثلثان ولا شي لبنت الابن فان
كان في درجتها ابن ابن او اسفل منها ابن ابن ابن كان الباقي بينهما
للذكر مثل حظ الانثيين والاخت للاب والام او للاب تكون مع البنت
عصبة حتى لو مات عن بنت واخت كان للبنت النصف والباقي وهو
النصف للاخت ولو مات عن بنتين واخت كان للبنتين الثلثان
والباقي للاخت ويدل على ذلك ما روى عن هذيل بن شرحبيل قال
سيل ابو موسى عن ابنة وابنة ابن واخت فقال للابنة النصف وللاخت

النصف وايت ابن مسعود فسئل ابن مسعود واخبر بقول ابو موسى فقال ابن مسعود لقد ضللت وما انا من المهتدين ثم قال اقضي فيها بقضا رسول الله صلى الله عليه وسلم للابنة النصف ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين وما بقي فللاخت فاخبر ابو موسى بقول ابن مسعود فقال لا تسالوني ما دام هذا الحبر فيكم اخرجه البخاري واما التفسير فقوله تعالى يوصيكم الله اي يعهد اليكم ويفرض اليكم في اولادكم يعني في امر اولادكم اذا متم والوصية من الله ايجاب وانما بدا الله تعالى بذكر ميراث الاولاد لان تعلق قلب الانسان بولده اشد من تعلقه بغيره فلهذا اقدم الله ذكر ميراثهم للذكر مثل حظ الانثيين يعني ان الولد الذكر له من الميراث ضعف سهام الانثى فللذكر سهمان وللانثى سهم فلو حصل مع الاولاد غيرهم من الورثة من اهل الفروض كالابوين اخذوا فروضهم وما بقي بعد ذلك كان بين الاولاد للذكر مثل حظ الانثيين فان كن يعني المتروكات من الاولاد نسا فوق اثنتين يعني بنتين فصاعدا فلهن ثلثا ما ترك واجمعت الامة على ان للبنتين الثلثين الا ما روي عن ابن عباس انه ذهب الى ظاهر الاية وقال الثلثان فرض الثلاث من البنات لان الله تعالى قال فان كن نسا فوق اثنتين فجعل الثلثين للنسا اذا زدن على اثنتين وعنده ان فرض الثنتين النصف كفرض الواحدة واجيب عنه بوجوه فيها حجة لمذهب الجمهور ايضا الوجه الاول ان الله تعالى قال وان كانت واحدة فلها النصف فجعل النصف للواحدة وذلك ينفي حصول النصف نصيبا للبنتين الوجه الثاني ان في الاية تقديما وتاخيرا فالتقدير فان كن نسا اثنتين فما فوقهما فلهن الثلثان الوجه الثالث ان لفظة فوق هاهنا صلة والتقدير فان كن نسا اثنتين فهو كقوله فاضربوا فوق الاعناق يعني فاضربوا الاعناق وانما سمى الاثنتين نسا بلفظ الجمع لان العرب تطلق على الاثنين جماعة بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما الوجه الرابع قال علما الجمهور انما اعطينا البنتين الثلثين بتاويل القران لان الله تعالى جعل للبنت الواحدة النصف بقوله وان كانت واحدة فلها النصف وجعل للاخت الواحدة النصف بقوله ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ثم جعل للاختين الثلثين بقوله وان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فلما جعل للاختين الثلثين علمنا ان للبنتين الثلثين قياسا على الاختين الوجه الخامس ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى بالثلثين

لابنتي سعد بن الربيع وهذا انص واصح في المسيلة وقوله تعالى وان كانت واحدة يعني البنت واحدة فلها النصف يعني فرضا لها ولابويه يعني ابوي الميت كناية عن غير مذكور وهما والداه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد يعني ان للاب والام مع وجود الولد وولد الابن لكل واحد منهما السدس الميراث واعلم ان اسم الولد يقع على الذكر والانثى فاذا مات الميت وترك ابوين وولدا ذكرا واحدا كان او اكثر او ترك بنات فان للام السدس بالفرض وللاب السدس مع الولد الذكر بالفرض ومع البنات له السدس بالتعصيب وهو الباقي من التركة وله مع البنت الواحدة السدس بالفرض والباقي بالتعصيب فان لم يكن له ولد يعني الميت وورثه ابواه فلامه الثلث يعني ان الميت اذا مات عن ابوين وليس له وارث سواهما فان الام تاخذ الثلث بالفرض وياخذ الاب باقي المال بالفرض والتعصيب فيكون المال بينهما اثلاثا للذكر مثل حظ الانثيين فان كان مع الابوين احد الزوجين فيفرض للام ثلث الباقي بعد نصيب الزوجة او الزوجة فان كان له يعني للميت اخوة يعني ذكورا او اناثا فلامه السدس يعني لام الميت سدس التركة اذا كان معها اب واجمع العلما على ان الثلاثة يحجبون الام من الثلث الى السدس وان الاخ الواحد او الاخت الواحدة لا تحجب الام من الثلث الى السدس واختلفوا في الاخوين فالاكثرون من الصحابة يقولون ان الاخوين يحجبان الام من الثلث الى السدس وهذا قول عمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت والجمهور وقال ابن عباس لا يحجب الاخوة الام من الثلث الى السدس الا ان يكونوا ثلاثة قال ابن عباس لعثمان لم صار الاخوان يردان الام من الثلث الى السدس وانما قال الله تعالى فان كان له اخوة والاخوان في لسان قومك ليسا باخوة فقال عثمان يا بني ان قومك حجبوها باخوين ولا استطيع نقض امر قد كان قبلي وانما نشا هذا الاختلاف لانهم اختلفوا في اقل الجمع وفيه قولان احدهما ان اقل الجمع اثنان وهو قول القاضي ابي بكر الباقلاني وحجة هذا القول انك اذا جمعت واحدا الى واحد فهما جماعة لان اصل الجمع ضم شي الى شي وقال ابن الانباري التثنية عند العرب اول الجمع ومشهور في كلامهم ايقاع الجمع على التثنية فمن ذلك قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين وهما داود وسليمان ومنه قوله تعالى فقد صغت قلوبكما يريد قلبيكما والقول الثاني ان اقل الجمع ثلاثة وهو قول جمهور العلما وهو الاصح انما حجب العلما الام بالاخوين لدليل اتفقوا عليه وهو

ان لفظ الاخوة يطلق على الاخوين فما زاد وذلك جائز في اللغة كما تقدم ثم ان الاخوة اذا حجبوا الام من الثلث الى السدس فانهم لا يرثون شيا البتة بل يأخذ الاب الباقي كرجل مات عن ابوين واخوين فان للام السدس والباقي وهو خمسة اسداس للاب سدس بالفريضة والباقي بالتعصيب قال قتادة وانما حجب الاخوة الام من غير ان يرثوا مع الاب شيا معونة للاب لانه يقوم بشانهم وينفق عليهم دون الام **من بعد وصية يوصي بها او دين** يعني ان هذه الانصبة والسهام انما يقسم بعد قضا الدين وانفاذ وصية الميت في ثلثه وذكر الوصية مقدم على الدين في اللفظ لا في الحكم لان لفظة او لا توجب الترتيب وانما هي لاحد الشيئين كانه قال من بعد احد هذين مفردا او مضموما الى الاخر قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه انكم تقرون الوصية قبل الدين وبدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين قبل الوصية وهذا اجماع ان الدين مقدم على الوصية والارث موخر عنهما لان الدين حق على الميت والوصية حق له وكلاهما يتقدمان على حق الورثة قوله تعالى **اباوكم وابناوكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا** قيل هذا الكلام معترض بين ذكر الوارثين وانصبايهم وبين قوله فريضة من الله ولا تعلق لمعناه بمعنى الاية ومعنى هذا الكلام في قول ابن عباس ان الله عز وجل يشفع المومنين بعضهم في بعض فاطوعكم لله تعالى من الابا والابنا ارفعكم درجة فان كان الوالد ارفع درجة من ولده رفع الله ولده وان كان الولد ارفع درجة من والديه رفع الله اليه والديه لتقر بذلك اعينهم فقال تعالى لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا لان احدهما لا يعرف منفعة صاحبه له في الجنة وسبقته الى منزلة عالية يكون سببا لرفعته اليها وقيل ان هذا كلام ليس معترض بينهما ومعناه متعلق بمعنى الاية يقول اباوكم وابناوكم يعني الذي يرثونكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون ايهم انفع لكم في الدين والدنيا فمنكم من يظن ان الاب انفع له فيكون الابن انفع له ومنكم من يظن ان الابن انفع له فيكون الاب انفع له ولكن الله تعالى هو الذي دبر امركم على ما فيه المصلحة لكم فاتبعوه ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم انفع لكم فتعطون من لا يستحق ما لا يستحق من الميراث ومنعتم من يستحق الميراث **فريضة من الله** يعني ما قدر من المواريث لاهلها فريضة واجبة

ان

ان الله كان عليما حكيما يعني كان عليما بالاشيا قبل خلقها حكيما فيما قدر من الفرايض وفرض من الاحكام وقيل معناه عليما بخلقه قبل ان يخلقهم حكيما حيث فرض للصغار مع الكبار ولم يخص الكبار بالميراث كما كانت العرب تفعل وفي معنى لفظة كان ثلاثة اقوال احدها ان الله تعالى كان عليما بالاشيا قبل خلقها ولم يزل كذلك الثاني حكى الزجاج عن سيبويه انه قال ان القوم لما شاهدوا علما وحكمة ومغفرة وتفضلا فقيل لهم ان الله كان كذلك ولم يزل الله على ما شاهدتم الثالث قال الخليل الخبر عن الله عز وجل بمثل هذه الاشيا كالخبر بالحال والاستقبال لان صفات الله لا يجوز عليها الزوال والتقليب قوله عز وجل **ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين** هذا ميراث الازواج من الزوجات وقال تعالى في ميراث الزوجات من الازواج **ولهن** يعني للزوجات **الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين** لما جعل الله في الموجب النسبي حظ الرجل مثل حظ الانثيين جعل في الموجب السببي للرجل مثل حظ الانثيين واعلم ان الواحدة من النسا لها الربع او الثمن وكذلك لو كن اربع زوجات فانهن يشتركن في الربع او الثمن واسم الولد يطلق على الذكر والانثى ولا فرق بين الولد وولد الابن وولد البنت في ذلك وسوا كان الولد للرجل من الزوجة او من غيرها قوله تعالى **وان كان رجل يورث كلالة او امراة** تقدير الاية وان كان رجل او امراة يورث كلالة واختلفوا في الكلالة فذهب اكثر الصحابة الى ان الكلالة من لا ولد له ولا والد روى الشعبي قال سيل ابو بكر الصديق عن الكلالة فقال سا قول فيها قولا برايي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطا فمني ومن الشيطان اراه ما خلا الوالد والولد فلما استخلف عمر قال اني لاستحي الله ان ارد شيا قاله ابو بكر وهذا قول علي وابن مسعود وزيد بن ثابت واحدى الروايتين عن عمر وابن عباس وهذا القول هو الصحيح المختار ويدل على صحته ان اشتقاق الكلالة من كلت الرحم بين فلان وفلان اذا تباعدت القرابة بينهم فسميت القرابة البعيدة كلالة من هذا الوجه وقيل ان الكلالة في اصل اللغة عبارة عن الاحاطة ومنه الاكليل لاحاطته بالراس فمن عدا الوالد والولد من القرابة انما سموا كلالة لانهم كالدايرة المحيطة بالانسان اما نسبة الولادة فليست

كذلك لان بينهما تنوع البعض وتولد البعض من البعض فهو كالشي
الواحد الذى يتزايد على نسق واحد فاما القرابة المغايرة
لقرابة الولادة وهم الاخوة والاخوات والاعمام والعمات فانما
يحصل نسبهم اتصال واحاطة بالمنسوب اليه فثبت بذلك ان الكلالة
عبارة عمن عدا الوالد والولد والرواية الاخرى عن عمر وابن
عباس ان الكلالة من لا ولد له وبه قال طاووس واحتج لهذا
القول بقوله تعالى قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس
له ولد وبيانه عند عامة العلما ماخوذ من حديث جابر بن عبد
الله لان الاية نزلت فيه ولم يكن له يوم نزولها اب ولا ابن لان
اباه قتل يوم احد واية الكلالة نزلت في اخر عمر النبي صلى الله
عليه وسلم فصار شان جابر بيانا لمراد الاية التي في اخر السورة
لنزولها فيه واختلفوا في ان الكلالة اسم لمن فمنهم من قال هو
اسم للميت وهو قول علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن
عباس لانه مات عن ذهاب طرفيه فكل عمود نسبه وقيل هو اسم
للحي من الورثة وهو قول ابي بكر الصديق وعليه جمهور العلما
الذين قالوا ان الكلالة من دون الوالد والولد ويدل عليه
حديث جابر انما يرثني كلالة اي يرثني ورثة ليسوا بولد ولا
والد فان كان المراد بالكلالة الميت الموروث فالمراد يرثه
غير الوالد والولد وان كان المراد الوارثين فهم غير الوالد
والولد وقال ابن زيد الكلالة الذي لا ولد له ولا والد والحي
والميت كلهم كلالة هذا يرث بالكلالة وهذا يورث بالكلالة
وقال ابو الخير سال رجل عقبة عن الكلالة فقال الا تعجبون من
هذا يسالني عن الكلالة وما اعضل باصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم شي ما اعضلت بهم الكلالة ق عن عمر قال ثلاث وددت
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن عهدا
ينتهي اليه الجد والكلالة وابواب من ابواب الربا وهذا طرف
حديث في ذكر الخمر ق عن معدان بن ابي طلحة قال خطب عمر بن
الخطاب فقال اني لا ادع بعدي شيا اهم عندي من الكلالة ما
راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شي ما راجعته في الكلالة
وما اغلظ لي في شي ما اغلظ لي في الكلالة حتى طعن باصبعه في
صدري وقال يا عمر الا يكفيك اية الصيف التي في اخر سورة النسا
واني ان اعش اقضي فيها بقضية يقضي بها من يقرا القران ومن لا
يقرا القران لفظ مسلم قوله الا يكفيك اية الصيف اراد ان الله عز

وجل

وجل انزل في الكلالة ايتين احدهما في الشتا وهي التي في اول سورة
النسا والاية الاخرى في الصيف وهي التي في اخر السورة وفيها من
البيان ما ليس في اية الشتا فلذلك احاله عليها وقوله عز وجل **وله
اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس** اراد به الاخ والاخت للام باتفاق
العلما وقرا سعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من ام فان قلت
ان الله تعالى قال فان كان رجل يورث كلالة او امراة ثم قال تعالى
وله اخ فذكر الرجل ولم يذكر المراة فما السبب فيه قلت هذا
على عادة العرب فانهم اذا ذكروا اسمين ثم اخبروا عنهما وكانا في الحكم
سوا ربما اضافوا احدهما الى الاخر وربما اضافوا اليهما فهو كقوله
تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة ثم قال تعالى وانها لكبيرة وقال
الفرا اذا جا حرفان في معنى واحد جاز اسناد التفسير الى ايهما يريد
ويجوز اسناده اليهما ايضا **فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركا في الثلث**
وهذا اجماع العلما ان اولاد الام اذا كانوا اثنين فصاعدا يشتركون
في الثلث ذكرهم وانثاهم فيه سوا قال ابو بكر الصديق في خطبته
الا ان الاية التي انزل الله في اول سورة النسا من شان الفرايض انزلها
في الولد والوالد والام والاية الثانية في الزوج والزوجة والاخوة
من الام والاية الثالثة التي ختم بها سورة النسا في الاخوة والاخوات
من الاب والام والاية التي ختم بها سورة الانفال انزلها الله في اولي
الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقوله تعالى **من بعد وصية
يوصى بها او دين** تقدم تفسيره وبقي شي من الاحكام يذكر هنا وذلك
ان ظاهر الاية يدل على جواز الوصية بكل المال وببعضه وفي معنى
الاية ما روى عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما حق امرى مسلم له شي يوصي فيه وفي رواية له شي يريد ان يوصي
به ان يبيت ليلتين وفي رواية ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة
عنده قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول ما مرت علي ليلة منذ
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا وعندي
وصيتي مكتوبة اخرجاه في الصحيحين فظاهر الاية والحديث ما
يدل على اطلاق الوصية لكن ورد في السنة ما يدل على تقييد هذا
المطلق وتخصيصه وهو قوله صلى الله عليه وسلم في حديث سعد بن ابي
وقاص قال الثلث والثلث كثير انك ان تذر ورثتك اغنيا خير من
ان تذرهم عالة يتكففون الناس اخرجاه في الصحيحين ففي هذا
الحديث دليل على ان الوصية لا تجوز باكثر من الثلث وان النقصان
عن الثلث جايز ولا يجوز الوصية لوارث ويدل عليه ما روي عن عمرو

ابن خارجة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر اخرجه الترمذي والنسائي عن ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث اخرجه ابو داود وقوله تعالى **غير مضار** يعني غير مدخل الضرر على الورثة بمجاوزة الثلث في الوصية وهو ان يوصي باكثر من الثلث وقيل هو ان يوصي بدين ليس عليه او يقر بماله او اكثر ماله لاجنبي ويترك ورثته عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل والمراة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار ثم قرا ابو هريرة من بعد وصية يوصى بها او دين الى قوله ذلك الفوز العظيم اخرجه ابو داود والترمذي وقال قتادة كره الله الضرار في الحياة وعند الموت فنهى عنه وقدم فيه وقيل ان الاضرار في الوصية من الكباير لانه مخالفة امر الله عز وجل كبيرة وقد نهى الله عن الاضرار في الوصية فدل على ان ذلك من الكباير واعلم ان الاولى بالانسان ان ينظر عند الموت في قدر ما يخلف من المال ومن يخلف من الورثة ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان ماله قليلا وفي الورثة كثرة فالاولى به ان لا يوصي بشي كقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن ابي وقاص انك ان تذر ورثتك اغنيا خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس وان كان في المال كثرة اوصى بحسب المال وبحسب الورثة وحاجتهم بعده في القلة والكثرة وقوله تعالى **وصية من الله** اي فريضة من الله وقيل عهد امن الله اليكم فيما يجب لكم من ميراث من مات منكم **والله عليم** يعني انه تعالى عليم بمصالح عباده ومضارهم بما يفرض عليهم من الاحكام وقيل عليم بمن يجور في وصيته وبمن لا يجور **حليم** يعني انه تعالى ذو حلم وذو اناة في ترك العقوبة عن من جار في وصيته وقال ابو سليمان الخطابي الحليم ذو الصفح والاناة الذي لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل والحليم هو الصفوح مع القدرة المتاني الذي لا يعجل بالعقوبة قوله عز وجل **تلك حدود الله** يعني الاحكام التي تقدم ذكرها في هذه السورة في مال اليتامى والوصايا والانكحة والمواريث وانما سماها حدودا لان الشرايع كالحدود المضروبة للمكلفين فلا يجوز لهم ان يتجاوزوها وقال ابن عباس يريد ما حد الله من فرايضه **ومن يطع الله ورسوله** يعني في شان المواريث ورضي بما قسم الله له

وحكم

وحكم عليه **يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله** يعني في شان المواريث ولم يرض بقسمة الله ورسوله **ويتعد حدوده** يعني ويتجاوز ما امر الله تعالى **يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين** فان قلت كيف قطع للعاصي بالخلود في النار في هذه الاية وهل فيها دليل للمعتزلة على قولهم ان العصاة والفساق من اهل الايمان يخلدون في النار قلت قال الضحاك المعصية هنا الشرك وروى عكرمة عن ابن عباس في معنى الاية ومن لم يرض بقسمة الله ويتعدى ما قال الله يدخله نارا وقال الكلبي يكفر بقسمة المواريث ويتعدى حدود الله استحلالا اذا ثبت ذلك فمن رد حكم الله ولم يرض بقسمه كفر بذلك واذا كفر كان حكمه حكم الكفار في الخلود في النار اذا لم يتب قبل موته وان مات وهو مصر على ذلك كان مخلدا في النار بكفره فلا دليل في الاية للمعتزلة والله اعلم قوله تعالى **واللاتي** جمع التي وهي كلمة يخبر بها عن المونث خاصة **ياتين الفاحشة** يعني يفعلن الفاحشة يقال اتيت امرا قبيحا اذا فعلته والفاحشة في اللغة الفعلة القبيحة وقيل الفاحشة عبارة عن كل فعل او قول يعظم قبحه في النفوس ويقبح ذكره في الالسنة حتى يبلغ الغاية في جنسه وذلك مخصوص بشهوة الفرج الحرام ولذلك اجمعوا على ان الفاحشة ها هنا هي الزنا وانما سمي الزنا فاحشة لزيادة قبحه **من نسايكم** قيل هن المزوجات وقيل المراد بهن جنس النسا **فاستشهدوا عليهن اربعة منكم** يعني من المسلمين وهذا خطاب للازواج اي اطلبوا اربعة من الشهود يشهدون عليهن وقيل هو خطاب للحكام اي اسمعوا شهادة اربعة عليهن ويشترط في هذه الشهادة العدالة والذكورة قال عمر بن الخطاب انما جعل الله الشهود اربعة سترا يستركم به دون فواحشكم **فان شهدوا** يعني الشهود بالزنا **فامسكوهن في البيوت** اي فاحبسوهن في البيوت والحكمة في حبسهن ان المراة انما تقع في الزنا عند الخروج والبروز للرجال فاذا احبست في البيت لم تقدر على الزنا **حتى يتوفاهن الموت** يعني تتوفاهن ملايكة الموت عند انقضا اجالهن **او يجعل الله لهن سبيلا** وهذا الحكم كان في اول الاسلام وقبل نزول الحدود كانت المراة اذا زنت حبست في البيت حتى تموت ثم نسخ الحبس بالحدود وجعل الله لهن سبيلا م عن عبادة بن الصامت قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه حكم كرب لذلك وتربد وجهه فانزل الله عليه ذات يوم فلقي كذلك فلما سري عنه قال خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد ماية ونفي سنة والثيب بالثيب

جلد مائة والرجم **فصل** اتفق العلما على ان هذه الاية منسوخة ثم
اختلفوا في ناسخها فذهب بعضهم الى ان ناسخها هو حديث عبادة
ابن الصامت المتقدم وهذا على مذهب من يرى نسخ القران بالسنة
وذهب بعضهم الى ان الاية منسوخة باية الحد التي في سورة النور وقيل
ان هذه الاية منسوخة بالحديث والحديث منسوخ باية الجلد وقال
ابو سليمان الخطابي لم يحصل النسخ في هذه الاية ولا في الحديث وذلك
لان قوله تعالى فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل
الله لهن سبيلا يدل على امساكهن في البيوت ممدودا الى غاية ان يجعل
الله لهن سبيلا وان ذلك السبيل كان مجملا فلما قال صلى الله عليه وسلم
خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الحديث فصار هذا الحديث بيانا
لتلك الاية المجملة لا ناسخا لها واجمع العلما على جلد البكر الزاني مائة
ورجم المحصن وهو الذي اجتمع فيه اربعة اصناف البلوغ والعقل
والحرية والاصابة في نكاح صحيح وهو الثيب واختلفوا في جلد الثيب
ورجمه فذهبت طايفة الى انه يجب الجمع بينهما وبه قال علي بن ابي طالب
رضي الله عنه والحسن البصري واسحق بن راهويه وداود واهل الظاهر
وروي عن علي بن ابي طالب انه جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس
ورجمها يوم الجمعة وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال جماهير العلما الواجب على المحصن الزاني
الرجم وحده لان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا والغامدية ولم
يجلدهما واما تغريب البكر الزاني وتغريبه سنة فذهب الشافعي وجماهير
العلما وجوب ذلك وقال ابو حنيفة وحماد لا يقضى بالنفي احدا الا ان
يراه الحاكم تعزيرا وقال مالك والاوزاعي لا نفي على النسا ويروى
مثله عن علي لان المراة عورة وفي نفيها تضييع لها وتعريض لها للفتنة
وحجة الشافعي وجماهير العلما ظاهر حديث عبادة بن الصامت وهو قوله
صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة وروى نافع عن ابن
عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب وغرب وان ابا بكر ضرب وغرب
وان عمر ضرب وغرب فان كان الزاني عبدا فعليه جلد خمسين وفي تغريبه
قولان فان قلنا انه يغرب ففيه قولان اصحهما انه يغرب نصف سنة
قياسا على حده وان كان الزاني مجنونا او غير بالغ فلا حد عليه
قوله عز وجل **واللذان** هو تثنية الذي **ياتيانها** يعني باتيان
الفاحشة **منكم** يعني من رجالكم ونسايكم وقيل هما البكران اللذان لم
يحصنا وهما غير المعنيين بالاية الاولى وقيل المراد بمن ذكر في الاولى النسا
وهذه للرجال لان الله تعالى حكم في الاية الاولى بالحبس في البيت على النسا

وهو

وهو اللايق بحالهن لان المراة انما تقع في فعل الفاحشة عند الخروج فاذا
حبست في البيت انقطعت مادة المعصية واما الرجل فلا يمكن حبسه
في البيت لانه يحتاج الى الخروج في اصلاح معاشه واكتساب قوت عياله
فجعلت عقوبة الرجل الزاني الاذية بالقول والفعل **فاذوهما** يعني
عيروهما بالقول باللسان وهو ان يقال اما خفت الله اما استحييت من
الله حيث زنيت وقال ابن عباس سبوهما واشتموهما وفي رواية عنه
قال هو باللسان واليد يوذى بالتعيير ويضرب بالنعال **فان تابا**
يعني من الفاحشة **واصلحا** يعني بالعمل فيما ياتي **فاعرضوا عنهما** اي
اتركوهما ولا توذوهما **ان الله كان توابا رحيما** يعني انه تعالى يعود على عبده
بفضله ومغفرته ورحمته اذا تاب اليه وهذا الحكم كان في ابتدا الاسلام
كان حد الزاني الاذى بالتوبيخ والتعيير بالقول باللسان فلما نزلت
الحدود وثبتت الاحكام نسخ ذلك الاذى بالاية التي في سورة النور وهو
قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تاخذكم
بهما رافة في دين الله الاية فثبت الجلد على البكر بنص الكتاب وثبت
الرجم على الثيب المحصن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صح
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وقد كان قد احصن وسوا
في هذا الحكم المسلم واليهودي لانه ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه
وسلم رجم يهوديين زنيا وكانا قد احصنا وقال ابو حنيفة لا رجم على
اليهودي لان المشرك ليس بمحصن **واجيب** عنه بان المراد بهذا
الاحصان احصان العفاف لا احصان الفرج قوله تعالى **انما التوبة**
على الله يعني التوبة التي يقبلها الله فتكون على بمعنى عند وقيل على
بمعنى من اي من الله وقال اهل المعاني ان الله عز وجل وعد قبول التوبة
من المومنين في قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة واذا وعد الله شيا
انجز ميعاده وصدق فيه فمعنى قوله على الله اوجب على نفسه من
غير ايجاب احد عليه لانه تعالى يفعل ما يريد **للذين يعملون السوء**
يعني الذنوب والمعاصي سميت سوا لسوء عاقبتها اذا لم يتب منها
بجهالة قال قتادة اجمع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على ان كل شي
عصى الله به فهو جهالة عمدا كان او غيره وكل من عصى الله فهو جاهل
وقال ابن عباس من عمل السو فهو جاهل من جهالته عمل السو فكل من
عصى الله سمي جاهلا وسمي فعله جهالة وانما سمي من عصى الله جاهلا
لانه لم يستعمل ما معه من العلم بالثواب والعقاب واذا لم يستعمل ذلك
سمي جاهلا بهذا الاعتبار وقيل معنى الجهالة ان ياتي الانسان
بالذنب مع العلم بانه ذنب لكنه يجهل عقوبته وقيل معنى الجهالة هو

اختيار اللذة الفانية على اللذة الباقية **ثم يتوبون من قريب** يعني
يتوبون بعد الاقلاع عن الذنب بزمان قريب لئلا يعد في زمرة
المصرين وقيل القريب ان يتوب في صحته قبل مرض موته وقيل قبل
موته وقيل قبل معاينة ملك الموت ومعاينة اهوال الموت وانما
سمى هذه المدة قريبة لان كل ما هو آت فهو قريب وفيه تنبيه على ان
عمر الانسان وان طالت فهو قليل والانسان يتوقع في كل ساعة ولحظة
نزول الموت به عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله
تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اخرجه الترمذي الغرغرة ان يجعل
المشروب في فم المريض فيردده في الحلق ولا يصل اليه ولا يقدر على
بلعه وذلك عند بلوغ الروح الى الحلقوم وروى البغوي بسنده
عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
الشيطان قال وعزتك يا رب لا ابرح اغوي عبادك ما دامت
ارواحهم في اجسادهم فقال الرب تبارك وتعالى وعزتي وجلالي
وارتفاعي في مكاني لا ازال اغفر لهم ما استغفروني وقيل في معنى
الاية ان القريب هو ان يتوب الانسان قبل ان يحيط السوء
بحسناته فيحبطها **فاوليك يتوب الله عليهم** يعني يقبل توبتهم
وكان الله عليما حكيما قال ابن عباس علم ما في قلوب المومنين
من التصديق واليقين فحكم بالتوبة قبل الموت ولو بقدر فواق
ناقة وقيل معنى الاية علم انه اتى بتلك المعصية لاستيلاء الشهوة
والجهالة عليه فحكم بالتوبة لمن تاب عنها واناب عن قريب قوله
عز وجل **وليست التوبة للذين يعملون السيئات** قال ابن عباس
يريد الشرك وقال ابو العالية وسعيد بن جبير هم المنافقون
وقال سفين الثوري هم المسلمون الا ترى انه قال ولا الذين
يموتون وهم كفار **حتى اذا حضر احدهم الموت** يعني وقع في النزع
وعاين ملايكة الموت وهو حالة السوق حين تساق الروح للخروج
من جسده **قال اني تبت الان** قال المحققون قرب الموت لا يمنع من
قبول التوبة بل المانع من قبولها مشاهدة الاحوال التي لا يمكن
معها الرجوع الى الدنيا بحال ولذلك لم تقبل توبة فرعون ولا ايمانه
وهو قوله تعالى حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي
امنت به بنوا اسرايل وانا من المسلمين الان وقد عصيت قبل وكنت
من المفسدين ويدل على ذلك ايضا قوله تعالى فلم يك ينفعهم
ايمانهم لما راوا باسنا فان قلت فقد تعلقت الوعيدية بهذه الاية
وقالوا اخبر الله تعالى ان عصاة المومنين اذا اهملوا امرهم الى انقضا

اجالهم

اجالهم حصلوا على عذاب الاخرة مع الكفار لان الله تعالى جمعهم في قوله
اوليك اعتدنا لهم عذابا اليما وايضا انه تعالى اخبر انه لا توبة لهم
عند معاينة الموت واسبابه قلت ليس الامر على ما زعموا فقد
روى عن ابن عباس في قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات
يريد الشرك وقال سعيد بن جبير نزلت الاية الاولى في المومنين يعني
قوله انما التوبة على الله والوسطى في المنافقين يعني قوله وليست
التوبة والاخرى في الكافرين يعني قوله **ولا الذين يموتون وهم كفار**
واذا كانت الاية نازلة في الكفار والمنافقين فلا وجه لحملها على
المومنين وعلى التقدير ان تكون الاية نازلة في عصاة المومنين فقد
روى عن ابن مسعود في قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات
الاية ثم انزل الله تعالى بعد ذلك ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فحرم الله المغفرة على من مات وهو
كافر وارجى اهل التوحيد الى مشيته ولم يويسهم من المغفرة فعلى
هذا القول تكون الاية منسوخة في حق المومنين وقوله تعالى
ولا الذين يموتون وهم كفار معناه لا توبة للكفار اذا ماتوا على كفرهم
وانما لم تقبل توبتهم في الاخرة لرفع التكليف في الاخرة ومعاينة ما
وعدوا به من العقاب **اوليك اعتدنا لهم** اي هيانا لهم **عذابا اليما**
قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النسا كرها** نزلت
في اهل المدينة وذلك انهم كانوا في الجاهلية وفي اول الاسلام
اذا مات الرجل وخلف امراة جا ابنه من غيرها او قريبه من ذوي
عصبته فالقى ثوبه على تلك المراة او على خبايها صار احق بها من
نفسها ومن غيره فان شا تزوجها بغير صداق الا الصداق الاول
الذي اصدقها الميت وان شا زوجها غيره واخذ هو صداقها وان
شا عضلها ومنعها من الازواج يضارها بذلك لتفتدي منه بما
ورثت من الميت او تموت هي فيرثها فان ذهبت المراة الى اهلها قبل
ان يلقي عليها ولي زوجها ثوبه كانت احق بنفسها وكانوا على ذلك
حتى توفي ابو قيس ابن الاسلت الانصاري وترك امراته كبيشة
بنت معن الانصارية فقام ابن له من غيرها يقال حصن وقيل اسمه
قيس بن ابي قيس فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها ولم ينفق
عليها يضارها بذلك لتفتدي منه فاتت كبيشة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابا قيس توفي وورث نكاحي ابنه
فلا هو ينفق علي ولا هو يدخل بي ولا يخلي سبيلي فقال اقعدي في بيتك
حتى ياتي امر الله فيك فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم

ابن عباس

ان ترثوا النسا كرها يعني ميراث نكاح النسا وقيل معناه ان ترثوا
اموالهن كرها يعني وهن كارهات ولا تعضلوهن اى ولا تمنعوهن
من الازواج واصل العضل المنع لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن من
يعني لتفتدي ببعض مالها قيل هو خطاب للازواج قال
ابن عباس هذا في الرجل تكون له امراة وهو كاره لها ولصحبتها
ولها عليه مهر فيضارها لتفتدى منه وترد اليه ما ساق اليها
من المهر فنهى الله عن ذلك وقيل كان الرجل يطلق امراته ثم
يراجعها ثم يطلقها يضارها بذلك فنهوا عن ذلك وقيل هو خطاب
لاوليا الميت فنهاهم الله عن عضل المراة ثم قال تعالى الا ان
ياتين بفاحشة مبينة يعني فحينيذ يحل لكم ضرارهن لتفتدى منكم
واختلفوا في الفاحشة المبينة فقيل هي النشوز وسوء الخلق وايذا
الزوج واهله وقيل الفاحشة هي الزنا يعني ان المراة اذا نشزت او
زنت حل للزوج ان يسالها الخلع وقيل كانت المراة اذا اصابت
فاحشة اخذ منها زوجها ما ساق اليها واخرجها فنسخ الله ذلك
بالحدود وعاشروهن بالمعروف قيل هو راجع للكلام الذي قبله
والمعنى واتوا النسا صدقاتهن نحلة وعاشروهن بالمعروف والمعاشرة
بالمعروف هو الاجمال في القول والمبيت والنفقة وقيل هو ان تصنع
لها كما تحب ان تصنع لك فان كرهتموهن يعني فان كرهتم عشرتهن
وصحبتهن واثرتم فراقهن فعسى ان تكرهوا شيا ويجعل الله فيه
خيرا كثيرا قال ابن عباس ربما رزق منها ولدا صالحا فجعل في ولدها
خيرا كثيرا فتنقلب تلك الكراهة محبة والنفرة رغبة وقيل في الاية
ندب الى امساك المراة مع الكراهية لها لانه اذا اكره صحبتها وتحمل
ذلك المكروه طلبا للثواب وانفق عليها واحسن هو صحبتها استحق
الثنا الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى وقيل في معنى
الاية انكم ان كرهتموهن ورغبتم في فراقهن فربما جعل الله في تلك
المفارقة لهن خيرا كثيرا وذلك بان تخلص من هذا الزوج الكاره
لها وتتزوج غيره خيرا منه قوله عز وجل وان اردتم استبدال زوج
مكان زوج الخطاب للرجال واراد بالزوج الزوجة قال المفسرون
لما ذكر الله في الاية الاولى مضارة الزوجات اذا اتين بفاحشة وهي
اما النشوز او الزنا بين في هذه الاية تحريم المضارة اذا لم يكن من
قبلها نشوز ولا زنا ونهى عن بخس الرجل حق المراة اذا اراد طلاقها
واستبدال غيرها واتيتم احداهن قنطارا يعني وان كان ذلك الصداق
مالا كثيرا وفي الاية دليل على جواز المغالاة في المهور روى ان عمر

قال

قال على المنبر الا لا تغلوا في مهور نسايكم فقامت امراة فقالت
يا ابن الخطاب الله يعطينا وانت تمنعنا وتلت الاية فقال كل الناس
افقه من عمر وفي رواية امراة اصابت وامير اخطا ورجع عن كراهية
المغالاة وقد تغالى الناس في صدقات النسا حتى بلغوا الالوف
وقيل ان خير المهور ايسرها واسهلها فلا تاخذوا منه شيا يعني من
القنطار الذي اتيتموهن لو جعلتم ذلك القدر لهن صداقا فلا
تاخذوا منه شيا وذلك ان سوء العشرة اما ان يكون من قبل الزوج
او من قبل الزوجة فان كان من قبل الزوج واراد طلاق المراة فلا يحل
له ان ياخذ شيا من صداقها وان كان النشوز من قبل المراة جاز له
اتاخذونه استفهام بمعنى التوبيخ بهتانا يعني ظلما وقيل باطلا
واثما مبينا يعني اتاخذونه مباهتين اثمين فلا تفعلوا مثل هذا
الفعل مع ظهور قبحه في الشرع والعقل ثم قال تعالى وكيف تاخذونه
كلمة تعجب والمعنى لاى وجه تفعلون مثل هذا الفعل وكيف يليق بالعاقل
ان يسترد شيا بذله لزوجته عن طيب نفس وقيل هو استفهام معناه
التوبيخ والتعظيم لاخذ المهر بغير حله ثم ذكر السبب في ذلك فقال
تعالى وقد افضى بعضكم الى بعض اصل الافضا في اللغة الوصول
يقال افضى اليه اى وصل اليه ثم للمفسرين في معنى الافضا في هذه
الاية قولان احدهما انه كناية عن الجماع وهو قول ابن عباس ومجاهد
والسدى واختيار الزجاج وابن قتيبة ومذهب الشافعي لان
عنده ان الزوج اذا طلق قبل المسيس فله ان يرجع بنصف المهر وان خلا
بها والقول الثاني في معنى الافضا هو ان يخلو بها وان لم يجامعها
قال الكلبي الافضا ان يكون معها في لحاف واحد جامعها او لم يجامعها
هذا القول هو اختيار الفرا ومذهب ابي حنيفة لان الخلوة الصحيحة
عنده تقرر المهر واخذن منكم ميثاقا غليظا قيل هو قول العاقد
عند العقد زوجتكها على ما اخذ الله للنسا على الرجال من
امساك بمعروف او تسريح باحسان وقيل هي كلمة النكاح المعقودة
على الصداق وهي الكلمة التي تستحل بها فروج النسا ويدل على ذلك
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو انه قال اتقوا الله في النسا
فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله قوله
تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباوكم من النسا قال المفسرون كان اهل الجاهلية
يتزوجون ازواج ابايهم فنهاهم الله عن ذلك بهذه الاية روى انه
لما توفي ابو قيس وكان من صالحي الانصار خطب ابنه قيس امراة ابيه
فقالت اني اتخذتك ولدا وانت من صالحي قومك ولكني اتي رسول الله

يعني من القنطار الذي اتيتموهن
لو جعلتم ذلك القدر لهن صداقا
فلا تاخذوا منه شيا

صلى الله عليه وسلم واستامره فاتته فاخبرته فانزل الله عز وجل ولا
تنكحوا ما نكح اباوكم من النسا الا ما قد سلف يعني الا ما مضى في الجاهلية
قبل نزول التحريم فانه معفو عنه انه كان فاحشة انما سماه فاحشة لان
زوجة الاب في منزلة الام ونكاح الامهات حرام فلما كان ذلك كذلك
سماه الله فاحشة لانه من اقبح المعاصي ومقتا يعني انه يورث المقت
من الله وهو اشد البغض وغاية الخزى والخسارة وسا سبيلا اي وبئس
ذلك طريقا لانه يودي الى مقت الله والعرب تسمي ولد الرجل من امراة
ابيه مقيت وكان منهم الاشعث بن قيس وابو معيط بن ابي عمرو
ابن امية روى البغوى بسنده عن البرا بن عازب قال مر بي خالي
ومعه لوا فقلت اين تذهب قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم
الى رجل تزوج امراة ابيه اتيه براسه **قوله عز وجل** حرمت
عليكم امهاتكم بين الله عز وجل في هذه الاية المحرمات من النسا بسبب
الوصلة اما بسبب او نسب خ عن ابن عباس قال حرم من النسب سبع
ومن الصهر سبع ثم قرا حرمت عليكم امهاتكم الاية فجملة المحرمات من
النسا بنص الكتاب اربعة عشر صنفا فاما المحرمات بالنسب فقوله
حرمت عليكم امهاتكم جمع ام واصل امهات امات وانما زيدت الها
للتوكيد والام هي الوالدة القريبة ويدخل في حكمها كل امراة رجع ٥
النسب اليها من جهة الاب او من جهة الام بدرجة او درجات وهن جميع
الجدات وان علون فيحرم نكاح الام وجميع الجدات وبناتكم والبنت عبارة
عن كل انثى رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة او بدرجات باناث
كبنت البنت وان سفلت وكذا بنت الابن واخواتكم جمع اخت وهي عبارة عن
كل امراة شاركتك في اصلك فيدخل فيه الاخوات من الاب والام والاخوات
من الاب والاخوات من الام وعماتكم جمع عمة وهي كل امراة شاركت اباك في
اصله ومن جميع اخوات الاب واخوات ابايه وان علون وقد تكون العمة من
جهة الام ايضا وهي اخت ابي الام وخالاتكم جمع خالة وهي كل امراة شاركت
الام في اصلها فيدخل فيهن جميع اخوات الام واخوات امهاتها وقد تكون الخالة
من جهة الاب ايضا وهي اخت ام الاب وبنات الاخ وبنات الاخت وهي عبارة
عن كل امراة لاخيك او لاختك عليها ولادة ويرجع نسبها الى الاخ او الاخت
فيدخل فيهن جميع بنات اولاد الاخ والاخت وان سفلن فهذه الاصناف
السبعة محرمة بسبب النسب بنص الكتاب وجملته انه يحرم على الرجل
اصوله وفصوله وفصول اول فصوله واول فصل من كل اصل بعده اصل
فالاصول هي الامهات والجدات والفصول هن البنات وبنات الاولاد
وفصول اول اصوله هن الاخوات وبنات الاخوة والاخوات واول فصل من

كل

كل اصل بعده اصل من العمات والخالات وان علون قال العلما كل امراة
حرم الله نكاحها بالنسب والرحم فحرمة موبدة لا تحل بوجه من الوجوه ٥
الصنف الثاني المحرمات بالسبب ومن سبع الاول والثاني المحرمات بالرضاع
وذلك في قوله تعالى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة
كل انثى انتسبت باللبن اليها فهي امك وبنتها اختك وانما نص الله على ذكر
الام والاخت ليدل بذلك على جميع الاصول والفروع فنبه بذلك انه تعالى
اجرى الرضاع مجرى النسب ويدل على ذلك ماروى عن عايشة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة اخرجاه
في الصحيحين ق عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بنت حمزة انها لا تحل لي يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب وانها ابنة
اخي من الرضاعة فكل من حرمت بسبب النسب حرم نظيرها بسبب
الرضاعة وانما سمى الله المرضعات امهات لاجل الحرمة فيحرم عليه
نكاحها ويحل له النظر اليها والخلوة بها والسفر معها ولا يترتب عليه
جميع الاحكام الامومة من كل وجه فلا يتوارثان ولا يجب على كل واحد
منهما نفقة الاخر وغير ذلك من الاحكام وانما تثبت حرمة الرضاع بشرطين
احدهما ان يكون ارضاع الصبي في حال الصغر وذلك الى انتها سنتين
من ولادته لقوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين وقوله
تعالى وفصاله في عامين عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الامعا في الثدى وكان قبل الفطام
اخرجه الترمذى عن ابن مسعود قال لا رضاعة الا ما كان في الحولين
اخرجه مالك في الموطا باطول من هذا واخرجه ابو داود مختصرا قال
قال عبد الله بن مسعود لا رضاع الا ما شد العظم وقال ابو حنيفة مدة
الرضاع ثلاثون شهرا لقوله وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وحمله الجمهور
على اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع لان مدة الحمل داخلة فيه واقله
ستة اشهر الشرط الثاني ان يوجد خمس رضعات متفرقات روى ذلك
عن عايشة وبه قال عبد الله بن الزبير واليه ذهب الشافعي ويدل
على ذلك ما روى عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم
المصة ولا المصتان اخرجه مسلم م عن ام الفضل ان نبي الله صلى الله عليه
وسلم قال لا تحرم الاملاجة ولا الاملاجتان وفي رواية ان رجلا من بني
عامر بن صعصعة قال يا نبي الله هل تحرم الرضعة الواحدة قال لا
م عن عايشة قالت كان فيما انزل من القران عشر رضعات معلومات
يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهن فيما يقرا من القران قولها فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهن فيما يقرا من القران يحتمل انه لم يبلغها نسخ ذلك واجمعوا على ان
هذا الايتلى فهو مما نسخ تلاوته وبقي حكمه وذهب جمهور العلما الى ان
قليل الرضاع وكثيره يحرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال سعيد
ابن المسيب واليه ذهب الثوري والاوزاعي ومالك وابن المبارك وابو
حنيفة واحمد في احدي الروايتين عنه والرواية الاخري كمذهب الشافعي
واحتج مذهب الجمهور بمطلق الاية بعموم القران وظاهره ولم يذكر
عددا واجاب الشافعي ومن وافقه في هذه المسئلة بان السنة مبينة
للقران ومفسرة وقوله تعالى **وامهات نسايكم** يعني اذا تزوج الرجل بامراة
حرمت عليه امها الاصلية وجميع جداتها من قبل الاب والام كما في النسب
والرضاع ايضا ومذهب اكثر الصحابة وجميع التابعين وكل العلما ان
من تزوج امراة حرمت عليه امها بنفس العقد سوا دخل بها او لم
يدخل بها وذهب جمع من الصحابة الى ان ام المراة انما تحرم بالدخول
بابنتها وهو قول علي وزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير وجابر واظهر
الروايات عن ابن عباس والعمل اليوم على القول الاول وهو مذهب
الجمهور ويدل على ذلك ما روى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل نكح امراة فلا يحل له
نكاح ابنتها وان لم يكن دخل بها فلينكح ابنتها وايما رجل نكح امراة
فلا يحل له ان ينكح امها دخل بها او لم يدخل اخرجه الترمذي وقوله
تعالى **وربايبكم اللاتي في حجوركم من نسايكم اللاتي دخلتم بهن
فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم** الربايب جمع ربيبة وهي بنت
المراة من رجل اخر سميت ربيبة لتربيتها في حجر الرجل وقوله دخلتم بهن
كناية عن الجماع لا لنفس العقد فيحرم على الرجل بنات امراته وبنات
اولادها وان سفلن من النسب والرضاع بعد الدخول بالزوجة فلو
فارق زوجته قبل الدخول بها او ماتت قبل دخوله بها جاز له ان
يتزوج بنتها ولا يجوز له ان يتزوج امها لان الله تعالى اطلق تحريم
الامهات وعلق تحريم البنات بالدخول بالام وقوله تعالى **وحلايل
ابنايكم** يعني ازواج ابنايكم واحدتها حليلة والرجل حليل سميا
بذلك لان كل واحد منهما يحل لصاحبه وقيل لان كل واحد يحل حيث
يحل صاحبه في ازار واحد وقيل لان كل واحد منهما يحل ازار صاحبه
من الحل بفتح الحا وجملته انه يحرم على الرجل ازواج ابنايه وابنا اولاده
وان سفلوا من النسب والرضاعة وذلك بنفس العقد **الذين من
اصلابكم** انما قال من اصلابكم احترازا عن المتبنى ليعلم ان زوجة المتبنى
لا تحرم على الرجل الذي تبناه لانه كان في صدر الاسلام بمنزلة الابن فنسخ

الله ذلك وقال تعالى ادعوهم لابايهم وتزوج رسول الله صلى الله
عليه وسلم زوجة زيد بن حارثة وكان قد تبناه فقال المشركون تزوج
زوجة ابنه فانزل الله تعالى وما جعل ادعياكم ابناكم وقال تعالى
لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيايهم وقوله تعالى
وان تجمعوا بين الاختين يعني لا يجوز للرجل ان يجمع بين الاختين في
نكاح واحد سوا كانت الاخوة بينهما بنسب او رضاع والجمع بين الاختين
يقع على ثلاثة اوجه احدها ان يجمع بينهما بعقد واحد فهذا العقد
فاسد لا يصح فلو تزوج احدى الاختين ثم تزوج الاخرى بعدها فهنا
هنا يحكم ببطلان النكاح الثانية فلو طلق الاولى طلاقا باينا جاز
له نكاح اختها الوجه الثاني من صور الجمع بين الاختين وهو ان
يجمع بينهما بملك اليمين فلا يجوز له ان يجمع بينهما في الوطي فاذا وطي
احدهما حرمت عليه الثانية حتى يحرم الاولى ببيع او هبة او عتق
او كتابة الوجه الثالث من صور الجمع بين الاختين وهو ان يتزوج
احداهما ويشتري الاخرى فيملكها بملك اليمين فذهب بعض العلما
الى انه لا يجوز الجمع بينهما لان ظاهر هذه الاية يقتضي تحريم الجمع
مطلقا فوجب ان يحرم الجمع بينهما على جميع الوجوه وذهب بعضهم
الى جوازه والقول الاول اصح واولى لما روى قبيصة بن ذويب ان رجلا
سال عثمان عن اختين مملوكتين لرجل هل يجمع بينهما فقال عثمان
احلتهما اية وحرمتهما اية فاما انا فلا احب ان اصنع ذلك فخرج من
عنده فلقي رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله
عنه فقال اما انا فلو كان لي من الامر شي لم اجد احدا فعل ذلك الا
جعلته نكالا قال ابن شهاب اراه علي بن ابي طالب قال مالك انه
بلغه عن الزبير بن العوام مثل ذلك اخرجه مالك في الموطا وقوله
تعالى **الا ما قد سلف** يعني لكن ما قد مضى فهو معفو عنه بدليل قوله
تعالى **ان الله كان غفورا رحيما** وقيل ان فايدة هذا الاستثنا ان انكحة
الكفار كانت صحيحة فلو اسلم عن اختين قيل له اختر ايهما شيت ويدل
عليه ما روي عن الضحاك بن فيروز عن ابيه قال قلت يا رسول الله
اني اسلمت وتحتي اختان قال طلق ايتهما شيت اخرجه ابو داود •
فروع تتعلق بحكم الاية الاولى لا يجوز الجمع بين المراة وعمتها
ولا بين المراة وخالتها ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يجمع بين المراة وعمتها ولا بين المراة
وخالتها اخرجاه في الصحيحين قال بعض العلما في حد ما يحرم الجمع
كل امراتين بينهما قرابة او لبن ولو كان ذلك بينك وبين المراة لم يجز

لك نكاحها لم يجز لك الجمع بينهما الفرع الثاني المحرمات بالنسب سبعة
اصناف ذكرت في الاية نسقا والمحرمات بالنسب صنفان صنف يحرم بالرضاع
وهن الامهات والاخوات على ما تقدم ذكره وصنف يحرم بالمصاهرة وهن
ام المرأة وحليلة الابن وزوج الاب وقد تقدم ذكرها في قوله تعالى
ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النسا الاية والربايب على التفصيل المذكور
والجمع بين الاختين الفرع الثالث التحريم الحاصل بسبب المصاهرة
انما يحصل بنكاح صحيح فلو زنا بامراة لم تحرم عليه امها ولا ابنتها ولو اراد ان
يتزوج بهن وكذلك لا تحرم المزني بها على ابا الزاني ولا ابنايه انما
تتعلق الحرمة بنكاح صحيح او بنكاح فاسد يجب لها به الصداق وتجب
عليها العدة ويلحق به الولد وهذا قول علي وابن عباس وبه قال
سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزهري واليه ذهب مالك
والشافعي وفقها اهل الحجاز وذهب قوم الى ان الزنا يتعلق به تحريم
المصاهرة يروى ذلك عن عمران بن حصين وابي هريرة وبه قال جابر
ابن زيد والحسن واهل العراق ولو لمس امراة اجنبية بشهوة او قبلها
بشهوة هل يجعل ذلك كالدخول في اثبات تحريم المصاهرة وكذلك
لو لمس امراة بشهوة هل يجعل كالوطي في تحريم الربيبة فيه قولان اصحهما
انه يثبت به حرمة المصاهرة وهو قول اكثر اهل العلم والثاني لا يثبت به
كما لا يثبت بالنظر بشهوة قوله تعالى **والمحصنات** يعني حرمت المحصنات
من النسا واصل الاحصان في اللغة المنع والحصان بالفتح المراة العفيفة
ويطلق الاحصان على المراة ذات الزوج والحرة والعفيفة والمراة المسلمة
والمراد من الاحصان في قوله والمحصنات ذوات الازواج من النسا فلا
يحل لاحد نكاحهن قبل مفارقة ازواجهن وهذه هي السابعة من النسا
اللاتي حرمت بالسبب قال ابو سعيد الخدري نزلت هذه الاية في نسا
كن هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فتزوجهن بعض
المسلمين ثم قدم ازواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن ثم
استثنى فقال تعالى **الا ما ملكت ايمانكم** يعني السبايا التي اللاتي سبين
ولهن ازواج في دار الحرب فيحل لمالكهن وطيهن بعد الاستبرا لان السبي
يرتفع به النكاح بينها وبين زوجها قال ابو سعيد الخدري بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا الى اوطاس فاصابوا سبايا لهن ازواج
من المشركين فكرهوا غشيانهن فانزل الله هذه الاية وقال ابن مسعود
اراد انه اذا باع الجارية المزوجة فتقع الفرقة بينها وبين زوجها ويكون
بيعها طلاقا فيحل للمشتري وطيها وقال عطا اراد بقوله الا ما ملكت ايمانكم
ان تكون امته في نكاح عبده فيجوز له ان ينتزعها منه وقيل اراد بالمحصنات

من النسا الحراير ومعناه ان ما فوق الاربع منهن فانه عليكم حرام الا ما ملكت
ايمانكم فانه لا عدد عليكم في الجواري ولا حصر **كتاب الله عليكم** يعني حرمت
عليكم امهاتكم كتب عليكم هذا كتابا وقيل معناه الزموا كتاب الله وقيل
معناه كتابا من الله عليكم بمعنى كتب الله تحريم ما حرم عليكم من ذلك وتحليل
ما حلل كتابا **واحل لكم ما وراء ذلكم** يعني واحل الله لكم ما سوى ذلكم الذي
ذكر من المحرمات وظاهر الاية يقتضي حل كل من سوى المذكورات من
الاصناف المحرمات لكن قد دل الدليل من السنة بتحريم اصناف اخر
سوى ما ذكر فمن ذلك انه يحرم الجمع بين المراة وعمتها وخالتها ومن ذلك
المطلقة ثلاثا فلا تحل لزوجها الاول حتى تنكح زوجا غيره ومن ذلك
نكاح المعتدة فلا تحل للازواج حتى تنقضي عدتها ومن ذلك من كان
في نكاحه حرة لم يجز له ان يتزوج بامة والقادر على طول الحرة لم يجز
له ان يتزوج بالامة ومن ذلك ان من كان عنده اربع نسوة حرم عليه
ان يتزوج بخامسة ومن ذلك الملاعنة فانها محرمة على الملاعن بالتابيد
فهذه اصناف من المحرمات سوى ما ذكر في الاية فعلى هذا يكون قوله
تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم ورد بلفظ العموم لكن العموم دخله التخصيص
فيكون عام مخصوص وقوله تعالى **ان تبتغوا باموالكم** فيه اضمار تقديره
واحل لكم ان تبتغوا اي تطلبوا باموالكم يعني تنكحوا بصداق او تشتروا
بثمن وفي الاية دليل على ان الصداق لا يتقدر بشي فيجوز على القليل والكثير
لاطلاق قوله تعالى ان تبتغوا باموالكم **محصنين** يعني متزوجين وقيل
متعففين **غير مسافحين** يعني غير زانين والسفاح الفجور واصله من السفح
وهو الصب وانما سمي الزنا سفاحا لان الزاني لا غرض له الا صب النطفة
فقط وقوله تعالى **فما استمتعتم به منهن** اختلفوا في معناه فقال الحسن
ومجاهد اراد ما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النسا بنكاح صحيح لان اصل
الاستمتاع في اللغة الانتفاع وكل ما انتفع به فهو متاع **فاتوهن اجورهن**
يعني مهورهن وانما سمي المهر اجرا لانه بدل المنافع ليس ببدل الاعيان كما
سمي بدل منافع الدار والدابة اجرا وقال قوم المراد من حكم الاية هو نكاح
المتعة وهو ان ينكح امراة الى مدة معلومة بشي معلوم فاذا انقضت تلك
المدة بانت منه بغير طلاق ويستبري رحمها وليس بينهما ميراث وكان هذا
في ابتدا الاسلام ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المتعة وحرمها
م عن سبرة بن معبد الجهني انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا ايها الناس اني كنت اذنت لكم في الاستمتاع من النسا وان الله حرم ذلك
الى يوم القيمة فمن كان عنده منهن شي فليخل سبيله ولا تاخذوا مما اتيتموهن
شيا والى هذا ذهب جمهور العلما من الصحابة فمن بعدهم ان نكاح المتعة

حرام والاية منسوخة واختلفوا في ناسخها فقيل نسخت بالسنة وهو ما
تقدم من حديث سبرة الجهني ق عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن متعة النسا يوم خيبر وعن اكل
لحوم الحمر الانسية وعلى هذا مذهب من يقول ان السنة تنسخ القران
ومذهب الشافعي ان السنة لا تنسخ القران فعلى هذا قيل ان ناسخ
هذه الاية قوله تعالى في سورة المومنون والذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين والمنكوحة في
المتعة ليست بزوجة ولا ملك يمين واختلفت الروايات عن ابن عباس
في المتعة فروى عنه ان الاية محكمة وكان يرخص في المتعة قال عمارة
سالت ابن عباس عن المتعة اسفاح هي ام نكاح فقال لا سفاح ولا نكاح
قلت فما هي قال قال الله تعالى فما استمتعتم به منهن قلت هل لها عادة
قال نعم حيضة قلت يتوارثان قال لا وروي ان الناس لما ذكروا الاشعار
في فتيا ابن عباس بالمتعة فقال قاتلهم الله انا ما افتيت باباحتها على
الاطلاق لكني قلت انما تحل للمضطر كما تحل الميتة له وروي انه رجع
عنه وقال بتحريمها وروي عطا الخراساني عن ابن عباس في قوله فما
استمتعتم به منهن انها صارت منسوخة بقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النسا
فطلقوهن لعدتهن وروى سالم بن عبد الله بن عمر ان عمر بن الخطاب صعد
المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ما بال اقوام ينكحون هذه المتعة وقد
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها لا اجد رجلا نكحها الا رجمته
بالحجارة وقال هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث قال
الشافعي لا اعلم في الاسلام شيا احل ثم حرم ثم احل ثم حرم غير المتعة
وقال ابو عبيد المسلمون اليوم مجمعون على ان متعة النسا قد نسخت
بالتحريم نسخها الكتاب والسنة هذا قول اهل العلم جميعا من اهل الحجاز
والشام والعراق من اصحاب الاثر والراي وانه لا رخصة فيها لمضطر ولا
لغيره قال ابن الجوزي في تفسيره قد تكلف قوم من مفسري القران فقالوا
المراد بهذه الاية نكاح المتعة ثم نسخت بما روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه نهى عن متعة النسا وهذا تكلف لا يحتاج اليه لان النبي صلى الله
عليه وسلم اجاز المتعة ثم منع منها وحرمها فكان قوله منسوخا
بقوله واما الاية فانها لم تتضمن جواز المتعة لانه تعالى فيها ان تبتغوا
باموالكم محصنين غير مسافحين فدل ذلك على النكاح الصحيح قال
الزجاج ومعنى قوله فما استمتعتم به منهن فما نكحتموه على الشريطة
التي جرت وهو قوله محصنين غير مسافحين اي عاقدين التزويج وقال
ابن جرير الطبري اولى التاويلين في ذلك بالصواب تاويل من تاوله

فما نكحتموه منهن فجامعتموهن فاتوهن اجورهن لقيام الحجة بتحريم الله متعة
النسا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم **فريضة** يعني لازمة وواجبة
ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة اختلفوا فيه فمن حمل
ما قبله على نكاح المتعة قال اراد انهما اذا عقدا عقدا الى اجل على مال
فاذا تم الاجل فان شات المراة زادت في الاجل وزاد الرجل في الاجر وان لم
يتراضيا فارقها وقد تقدم ان ذلك كان جايزا ثم نسخ وحرم ومن حمل
الاية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح قال المراد بقوله ولا جناح عليكم
فيما تراضيتم به يعني من الابرا من المهر والافتدا والاعتياض وقال
الزجاج معناه لا جناح عليكم ان تهب المراة للزوج مهرها وان يهب
الرجل للمراة التي لم يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب عليه **ان الله كان
عليما** يعني بما يصلحكم ايها الناس في مناكحكم وغيرها من ساير اموركم
حكيما يعني فيما دبر لكم من التدبير وفيما يامركم به وينهاكم عنه ولا يدخل
حكمه خلل ولا زلل **فصل** في قدر الصداق وما يستحب منه اعلم
انه لا تقدير لاكثر الصداق لقوله تعالى واتيتم احداهن قنطارا فلا
تاخذوا منه شيا والمستحب ان لا يغالى فيه قال عمر بن الخطاب رضي الله
عنه الا لا تغالوا في صدقة النسا فانها لو كانت مكرمة في الدنيا وتقوى
عند الله لكان اولاكم به نبي الله صلى الله عليه وسلم ما علمت رسول الله
صلى الله عليه وسلم نكح شيا من نسايه ولا انكح شيا من بناته على اكثر من
اثنتي عشر اوقية اخرجه الترمذي ولابي داود نحوه م عن ابي سلمة قال
سالت عايشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كم كان صداق رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال كان صداقه لازواجه ثنتي عشرة اوقية ونش قال
اتدري ما النش قلت لا قالت نصف اوقية فذلك خمسماية درهم واختلف
العلما في اقل الصداق فذهب جماعة الى انه لا تقدير لاقله بل كل ما جاز
ان يكون مبيعا او ثمنا جاز ان يكون صداقا وهو قول ربيعة وسفين
الثوري والشافعي واحمد واسحاق وقال قوم يتقدر الصداق بنصاب
السرقة وهو قول مالك وابي حنيفة غير ان نصاب السرقة عند مالك
ثلاثة دراهم وعند ابي حنيفة عشرة دراهم والدليل على ان الصداق لا يتقدر
ما روي عن سهل بن سعد الساعدي قال جات امراة الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قد وهبت نفسي لك فنظر اليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد النظر فيها وصوبه ثم طاطا
رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه فلما رات المراة انه لم يقض فيها
شيا جلست فقام رجل من اصحابه فقال يا رسول الله ان لم يكن لك بها
حاجة فزوجنيها قال هل عندك من شي قال لا والله يا رسول الله قال

اذهب الى اهلك فانظر هل تجد شيا فذهب ثم رجع فقال لا والله ما
وجدت شيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ولو خاتما من
حديد ولكن ازاري هذا قال سهل ما له ردا فلها نصفه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما تصنع بازارك ان لبسته لم يكن عليها منه
شى وان لبسته لم يكن عليك منه شى فجلس الرجل حتى اذا طال مجلسه
قام فراه النبى صلى الله عليه وسلم موليا فامر به فدعى فلما جا قال
ما معك من القران قال معى سورة كذا وسورة كذا اعددها قال تقرا
عن ظهر قلبك قال نعم قال اذهب فقد ملكتكها بما معك من القران
وفي رواية فقد زوجتكها تعلمها من القران وفي رواية فقد انكحناكها
بما معك من القران اخرجاه في الصحيحين وهذا اللفظ الحميدى ففى
هذا الحديث دليل على انه لا تقدير لاقل الصداق لانه قال التمس شيا
فهذا يدل على جواز اي شى كان من المال ثم قال ولو خاتما من
حديد ولا قيمة له الا القليل التافه وفيه دليل على انه يجوز ان
يجعل تعليم القران صداقا وهو قول الشافعي ومنعه اصحاب الراى
عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اعطى في صداق
امراة ملا كفيه سويقا او تمرا فقد استحل اخرجه ابو داود وعن
عبد الله بن عامر عن ابيه ان امراة من بني فزارة تزوجت على
نعلين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضيت من
نفسك ومالك بنعلين قالت نعم فاجازه اخرجه الترمذى وقال
عمر بن الخطاب ثلاث قبضات من زبيب مهر **قوله عز وجل** ومن
لم يستطع منكم طولا يعني فضلا وسعة وانما سمي الغنى طولا لانه ينال
به المراد ما لا ينال مع الفقر والطول هنا كناية عما يصرف الى
المهر والنفقة ان ينكح المحصنات يعني الحراير المومنات فمما ملكت
ايمانكم يعني جارية اخيك المومن فان الانسان لا يجوز له ان يتزوج
بجاريه نفسه من فتياتكم المومنات المعنى من لم يقدر على مهر الحرة
المومنة فليتزوج الامة المومنة والفتيات الجوارى المملوكات
جمع فتاة يقال فتاة وللعبد فتى ففى الاية دليل على انه لا يجوز للحر
نكاح الامة الا بشرطين احدهما انه لا يجد مهر حرة لانه جرت العادة
في الاما بتخفيف مهورهن ونفقتهن وسبب ذلك اشتغالهن بخدمة
ساداتهن الشرط الثاني هو خوف العنت على نفسه وهو قوله
تعالى ذلك لمن خشى العنت منكم قال ابن عباس هو الزنا وهذا قول
جابر وابن عباس وسعيد بن جبير وطاووس ومسروق ومكحول وعمرو
ابن دينار واليه ذهب مالك والشافعى واحمد وروي عن علي والحسن

البصري وابن المسيب ومجاهد والزهرى انه يجوز للحر ان ينكح الامة
وان كان موسرا وهو مذهب ابي حنيفة الا ان يكون في نكاحه حرة والسبب
في منع الحر من نكاح الامة الا عند خوف العنت ان الولد يتبع الام في
الرق والحرية واذا كانت الام رقيقة كان الولد رقيقا وذلك نقص
في حق الحر وفي حق ولده ولان حق السيد اعظم من حق الزوج فربما
احتاج الزوج اليها فلا يجد اليها سبيلا لان للسيد حبسها لخدمته
ولان مهرها ملك السيد فلا تقدر على هبته من زوجها ولا ان تقربه
تبريه منه بخلاف الحرة فلهذا السبب منع الله من نكاح الامة
الا على سبيل الرخصة والاضطرار ويجوز للعبد نكاح الامة وان كان في
نكاحه حرة عند ابي حنيفة لا يجوز له اذا كان تحته حرة كما يقول في الحر وفي الاية
دليل انه لا يجوز للمسلم حرا كان او عبدا نكاح الامة الكتابية لقوله تعالى
من فتياتكم المومنات يفيد جواز نكاح الامة المومنة دون الكتابية
لان فيها نوعان من النقص وهما الرق والكفر بخلاف الامة لان فيها
نقص واحد وهو الرق وهذا قول مجاهد والحسن واليه ذهب مالك
والشافعي وقال ابو حنيفة يجوز التزوج بالامة الكتابية وبالاتفاق
يجوز وطى الامة الكتابية بملك اليمين وقوله تعالى والله اعلم بايمانكم
قال الزجاج اي اعملوا على الظاهر في الايمان فانكم متعبدون بما ظهر والله
يتولى السراير والحقايق وقيل معناه لا تتعرضوا للباطن في الايمان وخذوا
بالظاهر فان الله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض يعني ان كلكم من نفس
واحدة فلا تستنكفوا من نكاح الاما عند الضرورة وانما قيل لهم ذلك
لان العرب كانت تفخر بالانساب والاحساب ويسمون ابن الامة الهجين
فاعلم الله تعالى ان ذلك امر لا يلتفت اليه فلا يتداخلنكم شموخ وانفة
من التزويج بالاما فانكم متساوون بالنسب الى ادم وقيل معناه ان دينكم
واحد وهو الايمان وانتم مشتركون فيه فمتى وقع لاحدكم الضرورة جاز له
ان يتزوج بالامة عند خوف العنت وقال ابن عباس يريد ان المومنين
بعضهم اكفا بعض فانكحوهن باذن اهلهن يعني اخطبوا الاما الى ساداتهن
واتفق العلما على ان نكاح الامة بغير اذن سيدها باطل لان الله تعالى
جعل اذن السيد شرطا في جواز نكاح الامة واتوهن اجورهن يعني مهورهن
بالمعروف يعني من غير مطل ولا ضرار وقيل معناه واتوهن مهور امثالهن
واجمعوا على ان المهر للسيد لانه ملكه وانما اضيف ايتا المهر الى الاما لانه
ثمن بضعهن محصنات يعني عفايف غير مسافحات يعني غير زانيات
ولا متخذات اخدان جمع خدن وهو الصاحب الذي يكون معك في كل امر
ظاهر وباطن واكثر ما يستعمل فيمن يصاحب بشهوة يقال خدن المراة

وخدينها يعني حبها الذي يزني بها في السر قال الحسن المسافحة هي التي
كل من دعاها تبعته وذات اخدان هي التي تختص بواحد ولا تزني
مع غيره وكانت العرب في الجاهلية تحرم الاولى وتجوز الثانية فلما كان
هذا الفرق معتبرا عندهم لاجرم ان الله تعالى افرد كل واحد من هذين
القسمين بالذكر ونص على تحريمهما معا فاذا احصن قرئ بفتح الالف
والصاد ومعناه حفظن فروجهن وقيل معناه اسلمن وقرئ احصن
بضم الالف وكسر الصاد ومعناه زوجن فان اتين بفاحشة يعني بزنا
فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب يعني فعلى الاما اللاتي
زنين نصف ما على الحراير الابكار اذا زنين من الجلد فيجلد العبد للزنا
اذا زنا خمسين جلدة ولا فرق بين المملوك المتزوج وغير المتزوج
فانه يجلد خمسين ولا رجم عليه هذا قول اكثر العلما ويروى عن ابن
عباس وبه قال طاووس انه لا حد على من لم يتزوج من المماليك
اذا زنا لان الله تعالى قال فاذا احصن والذي لم يتزوج ليس بمحصن
واجيب عنه بان معنى الاحصان عند الاكثرين الاسلام وان
كان المراد منه التزوج فليس المراد منه ان التزوج شرط لوجوب
الحد عليه بل المراد منه التنبيه على ان المملوك وان كان محصنا فلا رجم
عليه انما حده الجلد بخلاف الحر فحد الامة ثابت بهذه الاية وبيان
انه بالجلد لا بالرجم ثابت بالحديث وهو ما روي عن ابي هريرة قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا زنت امة احدكم
فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت فليجلدها
الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو
بحبل من شعر اخرجاه في الصحيحين قوله ولا يثرب عليها اي ولا
يعيرها والتثريب كالتانيب والتعيير والاستقصا في اللوم قال الشيخ
محيي الدين النواوي وهذا البيع المامور به في الحديث مستحب وليس
بواجب عندنا وعند الجمهور وقال داود واهل الظاهر هو واجب
وفيه جواز بيع الشي الثمين بالثمن الحقير وهذا البيع المامور به
يلزم صاحبه الى ان يبين حالها للمشتري لانه عيب والاخبار بالعيب
واجب فان قلت كيف يكره شيا ويرتضيه لاخيه المسلم فالجواب
لعلها تستعف عند المشتري بان يعفها بنفسه او يصونها لهيبته
او بالاحسان اليها او يزوجها او غير ذلك والله اعلم ذلك اشارة
الى نكاح الامة لمن خشي العنت منكم يعني الزنا والمعنى ذلك لمن خاف
ان يحمله شدة الشبق والغلمة وشدة الشهوة على الزنا وانما سمي الزنا
بالعنت لما يعقبه من المشقة وهي شدة العزوبة فاباح الله تعالى

نكاح الامة بثلاث شرايط عدم القدرة على نكاح الحرة وخوف العنت
وكون الامة مومنة وان تصبروا يعني عن نكاح الاما متعففين خير لكم
يعني كي لا يكون الولد عبدا رقيقا والله غفور رحيم وهذا كالتوكيد لما
تقدم يعني انه تعالى غفر لكم ورحمكم حيث اباح لكم ما انتم محتاجين اليه
قوله تعالى يريد الله ليبين لكم اللام في قوله ليبين معناه ان يبين وقيل
معناه يريد انزال هذه الايات من اجل ان يبين لكم دينكم ويوضح لكم
شرعكم ومصالح اموركم وقيل يبين لكم ما يقربكم منه وقيل يبين ان
الصبر عن نكاح الاما خير لكم ويهديكم اي ويرشدكم سنن الذين من
قبلكم اي شرايع من قبلكم في تحريم الامهات والبنات والاخوات فانها
كانت محرمة على من قبلكم وقيل معناه يرشدكم الى ما لكم فيه مصلحة
كما بينه لمن كان قبلكم وقيل معناه ويهديكم الى الملة الحنيفية وهي
ملة ابراهيم عليه السلام ويتوب عليكم يعني ويتجاوز عنكم ما اصبتم
قبل ان يبين لكم ويرجع بكم من المعصية التي كنتم عليها الى طاعته
وقيل لما بين لنا امر الشرايع والمصالح وارشدنا الى طاعته فربما وقع
منا تقصير وتفريط فيما امر به وبينه فلاجرم انه تعالى قال ويتوب
عليكم والله عليم يعني بمصالح عباده في امر دينهم ودنياهم حكيم يعني
فيما دبر من امورهم والله يريد ان يتوب عليكم قال ابن عباس معناه
ان يخرجكم من كل ما يكره الى ما يحب ويرضى وقيل معناه يدلكم على ما
يكون سببا لتوبتكم التي يغفر لكم بها ما سلف من ذنوبكم وقيل
معناه ان وقع منكم تقصير في دينه فيتوب عليكم ويغفر لكم ويريد
الذين يتبعون الشهوات قيل هم اليهود والنصارى وقيل هم اليهود
خاصة لانهم يقولون ان نكاح بنت الاخت من الاب حلال وقيل هم
المجوس لانهم يستحلون نكاح الاخوات وبنات الاخوة فلما حرمهن الله
قالوا انكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة والخالة والعمة عليكم حرام
فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت هذه الاية وقيل هم الزناة يريدون
ان تكونوا مثلهم ان تميلوا يعني عن الحق وقصد السبيل بالمعصية
ميلا عظيما يعني بانيانكم ما حرم الله عليكم يريد الله ان يخفف عنكم
يعني يسهل عليكم احكام الشرايع فهو عام في كل احكام الشرع وجميع
ما يسره لنا ويسهله علينا احسانا منه الينا وتفضلا ولطفا علينا
ولم يثقل التكاليف علينا كما ثقلها على بني اسرايل فهو كقوله تعالى
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله تعالى ما جعل عليكم في
الدين من حرج وكما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت
بالحنيفية السهلة السمحة وقوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا يعني

في قلة الصبر عن النسا فلا صبر له عنهن وقيل انه لضعفه يستميله
هواه فهو ضعيف الحزم عن قهر الهوى وقيل هو ضعيف في اصل الخلقة
لانه خلق من ماء مهين **قوله عز وجل** يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا
اموالكم بينكم بالباطل يعني بالحرام الذي لا يحل في الشرع كالربا والقمار
والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور واخذ المال باليمين
الكاذبة ونحو ذلك وانما خص الاكل بالذكر ونهي عنه تنبيها على
غيره من جميع التصرفات الواقعة على وجه الباطل لان معظم المقصود
من الاموال الاكل وقيل يدخل فيه اكل مال نفسه بالباطل ومال
غيره اما اكل ماله بالباطل فهو انفاقه في المعاصي واما اكل مال غيره
فقد تقدم معناه وقيل يدخل في اكل المال بالباطل جميع العقود الفاسدة
وقوله تعالى الا ان تكون تجارة عن تراض منكم هذا استثنا منقطع لان
التجارة عن تراض ليست من جنس اكل المال بالباطل فكان الا هاهنا
بمعنى لكن يحل اكله بالتجارة عن تراض يعني بطيبة نفس كل واحد
منكم وقيل ان يخير كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد البيع فيلزم
والا فلهما الخيار ما لم يتفرقا لما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا وكانا
جميعا او تخير احدهما الاخر فان خير احدهما الاخر فتبايعا على ذلك
فقد وجب البيع وان تفرقا بعد ان تبايعا ولم يترك واحد منهما البيع
فقد وجب البيع اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم
اي لا تقتلوا بعضكم بعضا وانما قال انفسكم لانهم اهل دين واحد فهم
كنفس واحدة وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في حجة الوداع
الا لا ترجعون بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وقيل هذا نهي
للانسان عن قتل نفسه ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها
خالدا مخلدا فيها ابدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في
نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده
يتوجا بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا قوله يتردى
التردي هو الوقوع من موضع عال الى اسفل قوله يتوجا يقال
وجاته بالسكين اذا ضربته بها وهو يتوجا بها اي يضرب بها نفسه ق
عن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان برجل جراح
فقتل نفسه فقال الله تبارك وتعالى بدرني عبدي بنفسه حرمت
عليه الجنة وفي رواية قال كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع
فاخذ سكينا فحز بها يده فما رقا الدم حتى مات فقال الله تعالى بادرني

عبدي

عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة وقيل في معنى قتل الانسان نفسه انه
لا يفعل شيا يستحق به القتل مثل ان يقتل فيقتل به فيكون هو الذي
تسبب في قتل نفسه وقيل معناه ولا تقتلوا انفسكم باكل المال بالباطل
وقيل معناه ولا تهلكوا انفسكم بان تعملوا عملا ربما ادى الى قتلها ان الله
كان بكم رحيما يعني ان الله تعالى من رحمته بكم نهاكم عن كل شي يستوجبون
به مشقة او محنة وقيل ان الله تعالى امر بني اسرائيل بقتل انفسهم ليكون
ذلك توبة لهم وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف
المشقة الصعبة ومن يفعل ذلك يعني ما سبق ذكره من قتل النفس
المحرمة لان الضمير يعود الى اقرب المذكورات وقيل انه يعود الى
قتل النفس واكل المال بالباطل لانهما مذكوران في اية واحدة وقيل
انه يعود الى كل ما نهى الله عنه من اول السورة الى هنا عدوانا وظلما
يعني يتجاوز الحد فيضع الشي في غير موضعه فلذلك قيده بالعدوان
والظلم لانه قد يكون القتل بحق وهو القصاص وكذلك قد يكون اخذ
المال بحق فلهذا السبب قيده بالوعيد وما كان على وجه العدوان
والظلم وهو قوله تعالى فسوف نصليه نارا اي ندخله في الاخرة نارا
يصلى فيها وكان ذلك على الله يسيرا اي هينا لانه تعالى قادر على ما
يريد قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه اجتناب الشي المباعدة
عنه وتركه جانبا والكبيرة ما كبر وعظم من الذنوب وعظمت عقوبته
وقبل ذكر التفسير نذكر الاحاديث الواردة في الكبائر فمن ذلك ما
روي عن ابي بكرة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
الا انبيكم باكبر الكبائر ثلاثا قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك
بالله وعقوق الوالدين الا وشهادة الزور وقول الزور وكان متكيا
فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت اخرجاه في الصحيحين
ق عن انس بن مالك قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر
فقال الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وقال الا انبيكم
باكبر الكبائر قول الزور او قال شهادة الزور ق عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول
الله وما هن فقال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا
بالحق واكل مال اليتيم والزنا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات
الغافلات المؤمنات ق عن ابن مسعود قال سالت رسول الله صلى
الله عليه وسلم اي الذنب اعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو
خلقك قلت ان ذلك لعظيم قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك
قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك خ عن عبد الله بن عمرو بن العاص

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين
وقتل النفس واليمين الغموس وفي رواية ان اعرابيا جا الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يارسول الله ما الكبائر قال الاشراك بالله
قال ثم ماذا قال اليمين الغموس قلت وما اليمين الغموس قال الذي
يقتطع مال امري مسلم بيمين هو فيها كاذب ق عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا وهل
يشتم الرجل والديه قال نعم يسب الرجل ابا الرجل او امه فيسب اباه
وامه وفي رواية من اكبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه وذكر
الحديث وقال عبد الله بن مسعود اكبر الكبائر الاشراك بالله
والامن من مكر الله والقنوط من رحمة الله والياس من روح الله
وعن سعيد بن جبير ان رجلا سال ابن عباس عن الكبائر اسبع هي
قال هي الى السبع مائة اقرب وفي رواية الى السبعين اقرب الا انه
لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وقال كل شي عصي الله به
فهو كبيرة فمن عمل شيا منها فليستغفر الله فان الله لا يخلد في النار من
هذه الامة الا من كان راجعا عن الاسلام او جاحدا فريضة او مكذبا
بقدر وقال علي بن ابي طالب كل ذنب ختمه الله بنار او غضب او لعنة
او عذاب فهو كبيرة وقال سفين الثوري الكبائر ما كان فيه المظالم
فيما بينك وبين الله تعالى لان الله تعالى كريم يغفر ويعفو واحتج
بذلك ما روي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ينادي مناد من بطنان العرش يوم القيمة يا امة محمد ان الله قد
عفا عنكم جميعا المومنين والمومنات تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة
برحمتي وقال مالك بن مغول الكبائر ذنوب اهل البدع والسيات
ذنوب اهل السنة وقيل الكبائر ذنوب العمد والسيات الخطا والنسيان
وما اكره عليه وحديث النفس المرفوع عن هذه الامة وقال السدي
الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب الكبار والسيات مقدماتها
وتوابعها التي يجتمع فيها الصالح والفاسق مثل النظرة واللمسة
والقبلة واشباه ذلك ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كتب على ابن ادم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان
زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد
زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق
ذلك الفرج او يكذبه لفظ مسلم وقيل الكبائر الشرك وما يودي اليه
وما دونه فهو من السيات فقد ثبت بما تقدم من الادلة ان من الذنوب
صغائر وكبائر والى هذا ذهب الجمهور من السلف والخلف وثبت بدلايل

الكتاب

الكتاب والسنة واذ اثبت انقسام المعاصي الى صغاير وكباير فقوله
تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه وهي كل ذنب عظم قبحه وعظمت
عقوبته اما بالحدود واما في الاخرة بالعذاب عليه نكفر عنكم سياتكم
يعني نسترها عليكم حتى تصير بمنزلة ما لم تعمل لان اصل التكفير
الستر والتغطية فصغار الذنوب تكفر بالحسنات ولا يكفر كبارها
الا بالتوبة والاقلاع عنها كما ورد في الصحيح عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة
كفارات لما بينهن زاد في رواية ما لم يغش الكباير وزاد في رواية
اخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكباير
اخرجه مسلم وقوله تعالى وندخلكم مدخلا كريما يعني حسنا شريفا
وهو الجنة والمعنى اذا اجتنبتم الكباير واتيتم بالطاعات ندخلكم
مدخلا تكرمون فيه قوله عز وجل ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم
على بعض اصل التمني ارادة الشي وتشتهي حصول ذلك المرغوب
فيه ومنه حديث النفس بما يكون وربما لا يكون وقيل التمني تقدير
الشي في النفس وتصوره فيها وذلك قد يكون عن تخمين وظن وقد
يكون عن روية واكثر التمني تصور ما لا حقيقة له وقيل التمني عبارة
عن ارادة ما يعلم او يظن انه لا يكون عن مجاهد عن ام سلمة قالت
قلت يارسول الله يغزو الرجال ولا يغزو النسا وانما لنا نصف
الميراث فانزل الله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض
قال مجاهد وانزل ان المسلمين والمسلمات وكانت ام سلمة اول
ظعينة قدمت بالمدينة مهاجرة اخرجه الترمذي وقال هذا
حديث مرسل وقيل لما جعل الله للذكر مثل حظ الانثيين من
الميراث قالت النسا نحن احق واحوج الى الزيادة من الرجال
لانا ضعفا وهم اقوى واقدر على طلب المعاش منا فانزل الله هذه
الاية وقيل لما نزلت قوله للذكر مثل حظ الانثيين قال الرجال انا
لنرجوا ان نفضل على النسا في الحسنات في الاخرة فيكون لنا اجرنا
على ضعف اجر النسا كما فضلنا عليهن في الميراث وقالت النسا انا
لنرجوا ان يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال كما لنا في الميراث
النصف من نصيبهم فنزلت هذه الاية والتمني على قسمين احدهما
ان يتمنى الانسان ان يحصل له مال غيره مع زوال تلك النعمة
عن ذلك الغير فهذا القسم هو الحسد وهو مذموم لان الله تعالى
يفيض نعمه على من يشا من عباده وهذا الحاسد يعترض على الله فيما
يفعل وربما اعتقد في نفسه انه احق بتلك النعمة من ذلك الانسان

ايضا فهذا اعتراض على الله ايضا وهو مذموم القسم الثاني ان يتمنى مثل مال غيره ولا يحب ان يزول ذلك المال عن الغير وهذا هو الغبطة وهذا ليس بمذموم ومن الناس من منع منه ايضا قال لان تلك النعمة ربما كانت مفسدة في حقه في الدين او الدنيا قال الحسن لا تتمن مال فلان ولا مال فلان ولا تدري لعل هلاكك في ذلك المال فليعلم العبد ان الله عز وجل اعلم بمصالح عباده فليرض بقضائه ولتكن امنيته الزيادة من عمل الآخرة وليقل اللهم اعطني ما يكون صلاحا لي في ديني ودنياي ومعادي وقوله تعالى **للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** قال ابن عباس يعني مما ترك الوالدان والاقربون من الميراث يقول للذكر مثل حظ الانثيين وقيل هذا الاكتساب في الاجر يعني ان الرجال والنساء في الاجر في الآخرة سواء لان الحسنة بعشر امثالها والسيئة بمثلها يستوي في ذلك الرجال والنساء وان فضل الرجال في الدنيا على النساء وقيل للرجال نصيب مما اكتسبوا من امر الجهاد وللنساء نصيب مما اكتسبن يعني من طاعة الازواج وحفظ الفروج **واسألوا الله من فضله** قال ابن عباس يعني من رزقه وقيل من عبادته وهو سؤال التوفيق للعبادة وقيل لم يامر الله عباده بالمسئلة الا ليعطيهم وفيه تنبيه على ان العبد لا يعين شيا في الدعاء والطلب ولكن يطلب من فضل الله ما يكون سببا لصلاح دينه ودنياه وآخرته وقيل لما تمنى النساء ان يكونوا رجالا وان يكون لهم مثل ما للرجال نهاهم الله عن ذلك وامرهم ان يسالوه من فضله فانه اعلم بمصالح عباده **ان الله كان بكل شيء عليما** يعني انه تعالى عليم بما يكون صلاحا للسائلين فليقتصر السائل على المجمل في الطلب فان الله عليم بما يصلحه فلا يتمنى غير الذي قدر له قوله تعالى **ولكل** يعني من الرجال والنساء **جعلنا موالي** يعني ورثة من بني عم واخوة وساير العصبات **مما ترك** يعني يرثون مما ترك **الوالدان والاقربون** من ميراثهم فعلى هذا الوالدان والاقربون هم الذين يرثون وقيل ان قوله موالي مما ترك يعني ممن تركهم الميت ثم فسر الموالي فقال الوالدان والاقربون فعلى هذا الوالدان والاقربون هم الوارثون والمعنى ولكل شخص جعلنا ورثة ممن تركهم وهم والداه واقربوه والقول الاول اصح لانه مروي عن ابن عباس وغيره **والذين عاقدت ايمانكم** وقرئ عقدت بغير الف مع التخفيف والمعاقدة المحالفة والمعاهدة والايمان جمع يمين

يحتمل

يحتمل ان يراد بها القسم او اليد او هما جميعا وذلك انهم كانوا اذا تحالفوا اخذ كل واحد منهم بيد صاحبه وتحالفوا على الوفا بالعهد والتمسك بذلك العقد وكان الرجل يحالف الرجل في الجاهلية ويعاقده فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك ترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون لكل واحد من الحليفين السدس في مال الآخر وكان الحكم ثابتا في الجاهلية وابتدا الاسلام فذلك قوله تعالى **فآتوهم نصيبهم** يعني اعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ الله هذا الحكم بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقال ابن عباس نزلت هذه الآية في الذين آخا بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار لما قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المواخاة دون النسب والرحم فلما نزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك نسخها ثم قال والذين عاقدت ايمانكم من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصى له وفي رواية اخرى عنه والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب فيرث احدهما الآخر فنسخ ذلك سورة الانفال فقال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقال سعيد بن المسيب كانوا يتوارثون بالتبني بهذه الآية ثم نسخ ذلك وذهب قوم ان الآية ليست بمنسوخة بل حكمها باق والمراد بقوله والذين عاقدت ايمانكم الحلفا والمراد من قوله فآتوهم نصيبهم يعني من النصرة والنصيحة والموافاة والمصافاة ونحو ذلك فعلى هذا لا تكون منسوخة وقيل نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق عن داود بن الحصين قال كنت اقرا على ام سعد بنت الربيع وكانت يتيمة في حجر ابي بكر الصديق فقرات والذين عاقدت ايمانكم فقالت لا تقرا والذين عقدت ايمانكم انما نزلت في ابي بكر وابنه عبد الرحمن حين ابى الاسلام فحلف ابو بكر ان لا يورثه فلما اسلم امره الله ان يؤتيه نصيبه اخرجه ابو داود وعلى هذا فلا نسخ ايضا فمن قال ان حكم الآية باق قال انما كانت المعاقدة في الجاهلية على النصر لا غير والاسلام لم يغير ذلك ويدل عليه ما روي عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف في الاسلام وايما حلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة اخرجه مسلم وقوله تعالى **ان الله كان على كل شيء شهيدا** قال عطا يريد انه لم يغب عنه علم ما خلق وبرا فعلى هذا الشهيد الشاهد والمراد منه علمه بجميع الاشيا وقيل الشهيد الشاهد على الخلق يوم القيمة بكل ما عملوه فعلى هذا الشاهد بمعنى المخبر وفيه وعيد للعاصين ووعد

للمصلاة المخالفين قوله عز وجل **الرجال قوامون على النسا** نزلت في
سعد بن الربيع وكان من النقبا وفي امراته حبيبة بنت زيد بن ابي
زهير ويقال امراته بنت محمد بن مسلمة وذلك انها نشزت عليه فلطمها
فانطلق ابوها معها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افرشته
كريمتي فلطمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لتقتص من زوجها ٥
فانصرفت مع ابيها لتقتص منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجعوا
هذا جبريل اتاني فانزل الله هذه الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير وحلد ورفع القصاص
فقوله تعالى الرجال قوامون على النسا اي مسلطون على تاديب
النسا والاخذ على ايديهن قال ابن عباس امروا عليهن فعلى المراة
ان تطيع زوجها في طاعة الله والقوام هو القايم بالمصالح والتدبير
والتاديب فالرجل يقوم بامر المراة ويجتهد في حفظها ولما اثبت
القيام للرجال على النسا بين السبب في ذلك فقال تعالى **بما فضل**
فضل الله بعضهم على بعض يعني ان الله تعالى فضل الرجال على النسا
بامور منها زيادة العقل والدين والولاية والشهادة والجهاد والجمعة
والجماعات وبالامامة لان منهم الانبيا والايمة والخلفا ومنها ان الرجل
يتزوج باربع نسوة ولا يجوز للمراة غير زوج واحد ومنها زيادة
النصيب في الميراث والتعصيب في الميراث وبيده الطلاق والنكاح
والرجعة واليه الانتساب فكل هذا يدل على فضل الرجال على النسا
قال تعالى **وبما انفقوا من اموالهم** يعني وبما اعطوا من مهور النسا ٥
والنفقة عليهن عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لو كنت امرا احدا ان يسجد لاحد لامرت الزوجة ان تسجد لزوجها اخرجه
الترمذي **فالصالحات** يعني المحسنات العاملات بالخير **قانتات** اي
مطيعات لازواجهن وقيل مطيعات لله **حافظات للغيب** لفروجهن
في غيبة ازواجهن لئلا يلحق الزوج العار بسبب زناها ويلحق به
الولد الذي هو من غيره وقيل معناه حفظ سر زوجها وحفظ ماله
وما يجب على المراة من حفظ متاع البيت في غيبة زوجها عن ابي هريرة
قال قيل يا رسول الله اي النسا خير قال التي تسره اذا نظر اليها وتطيعه
اذا امر ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره اخرجه النساي ورواه
البغوي بسند الثعلبي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم خير النسا امراة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان
غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها ثم تلا الرجال قوامون على النسا
الاية وقوله تعالى بما حفظ الله يعني بما حفظهن الله حين اوصى بهن

الازواج وامرهم باداء المهر والنفقة اليهن **ق** عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنسا فان المراة خلقت
من ضلع وان اعوج ما في الضلع اعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان
تركته لم يزل اعوج فاستوصوا بالنسا وقيل في معنى الاية بما حفظهن
الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب وقيل بما حفظ الله من حقوقهن
على ازواجهن حيث امرهم بالعدل فيهن وامساكهن بمعروف او تسريحهن
باحسان **واللاتي تخافون** اي تعلمون وقيل تظنون **نشوزهن**
اي تعلمون واصل النشوز الارتفاع ونشوز المراة هو بغضها لزوجها
ورفع نفسها عن طاعته والتكبر عليه وقيل دلالات النشوز قد تكون
بالقول والفعل فالقول مثل ان كانت تلبيه اذا دعاها وتخضع له اذا
خاطبها والفعل مثل ان كانت تقوم له اذا دخل عليها وتسارع الى امره
اذا امرها فاذا خالفت هذه الاحوال بان رفعت صوتها عليه او لم
تجبه اذا دعاها ولم تبادر الى امره اذا امرها دل ذلك على نشوزها
على زوجها **فعظوهن** يعني اذا ظهر منهن امارات النشوز فعظوهن
بالتخويف بالقول وهو ان يقول لها اتقي الله وخافيه فان لي عليك
حقا وارجعي عما انت عليه واعلمي ان طاعتي فرض عليك ونحو ذلك فان
اصرت على ذلك هجرها في المضجع وهو قوله تعالى **واهجروهن في**
المضاجع يعني ان لم ينزعن عن ذلك بالقول فاهجروهن في المضاجع
عن ابن عباس هو ان يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها وقيل هو ان يعتزل
عنها في فراش اخر **واضربوهن** يعني ان لم ينزعن بالهجران فاضربوهن
يعني ضربا غير مبرح ولا شاين قيل هو ان يضربها بالسواك ونحوه
وقال الشافعي الضرب مباح وتركه افضل عن عمرو بن الاحوص انه
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يقول بعد ان
حمد الله واثنى عليه وذكر ووعظ وذكر في الحديث قصة فقال الا
فاستوصوا بالنسا خيرا فانما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيا
غير ذلك الا ان ياتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن في المضا
واضربوهن ضربا غير مبرح فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا
اخرجه الترمذي بزيادة فيه قوله عوان جمع عانية اي اسيرة شبه
المراة ودخولها تحت حكم زوجها بالاسير والضرب المبرح الشديد
الشاق وقوله **فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا** اي لا تطلبوا
عليهن طريقة تحتجون بها عليهن اذا قمن بواجب حقكم عن حكيم بن
معوية عن ابيه قال قلت يا رسول الله ما حق زوجة احدنا عليه
قال ان تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا

جع

تقبح ولا تهجروا الا في البيت اخرجه ابو داود قوله لا تقبح اي لا تقل
قبحك الله ق عن عبد الله بن زمعة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يجلد احدكم امراته جلد العبد ثم لعله يجامعها او قال
يضاجعها من اخر اليوم عن اياس بن عبد الله بن ابي ذباب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تضربوا النسا فجا عمر الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ذيرن النسا على ازواجهن فرخص في ضربهن
فاطاف بال رسول الله صلى الله عليه وسلم نسا كثير يشكون ازواجهن
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد طاف بال محمد نسا كثير يشكون
ازواجهن ليس اوليك بخياركم اخرجه ابو داود اياس بن عبد الله هذا
قد اختلف في صحبته وقال البخاري لا يعرف له صحبة قوله ذيرن
يقال ذيرت المراة على زوجها اذا نشزت واجترات عليه واطاف بالشي
احاط به ففي هذه الاحاديث دليل على ان الاولى ترك الضرب للنسا
فان احتاج الى ضربها للتاديب فلا يضربها ضربا شديدا وليكن ذلك
مفرقا ولا يوالي بالضرب على موضع واحد من بدنها وليتق الوجه
لانه مجمع المحاسن ولا يبلغ بالضرب عشرة اسواط وقيل ينبغي ان يكون
الضرب بالمنديل واليد ولا يضرب بالسوط والعصا وبالجملة فالتخفيف
بابلغ شي اولى في هذا الباب واختلف العلما فقال بعضهم حكم الاية
مشروع على الترتيب فان ظاهر اللفظ وان دل على الجمع الا ان مجرى
الاية يدل على الترتيب قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه يعظها
بلسانها فان انتهت فلا سبيل له عليها فان ابت هجر مضجعها فان ابت
ضربها فان لم تتعظ بالضرب بعث الحكم وقال اخرون هذا الترتيب
مراعي عند خوف النشوز اما عند تحقق النشوز فلا باس بالجمع بين الكل
وقيل ان له ان يعظها عند خوف النشوز وهل له ان يهجرها فيه احتمال
ذلك وله عند ظهور النشوز ان يعظها وان يهجرها او يضربها عن عمر
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسال الرجل فيم ضرب امراته اخرجه
ابو داود ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا دعى الرجل امراته في فراشه فابت ان تجي فبات غضبان عليها
لعنتها الملايكة حتى تصبح وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال والذي نفسي بيده ما من رجل يدعوا امراته الى فراشه فتابى
عليه الا كان الذي في السما ساخطا عليها حتى يرضى عنها وفي رواية
اذا باتت مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملايكة حتى تصبح وفي اخرى
حتى ترجع عن طلق بن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا
دعى الرجل امراته لحاجته فلتاته وان كانت على التنور اخرجه الترمذي

وله

وله عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا توذي
امراة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا توذيه قاتلك
الله فانما هو دخيل عندك يوشك ان يفارقك الينا وله عن ام سلمة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امراة ماتت وزوجها
راض عنها دخلت الجنة وقوله تعالى فان اطعنكم يعني فان رجعن
عن النشوز الى طاعتكم عند هذا التاديب فلا تبغوا عليهن سبيلا
يعني فلا تطلبوا عليهن الضرب والهجران على سبيل التعنت
والايذا وقيل معناه ازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ ولا
تجنوا عليهن الذنوب وقيل معناه لا تكلفوهن محبتكم فان القلب
ليس بايديهن ان الله كان عليا كبيرا العلي في صفة الله تعالى
معناه هو الرفيع الذي يعلوا عن وصف الواصفين ومعرفة العارفين
العلي بالاطلاق الذي يستحق جميع صفات المدح والكبير هو المستغني
عن غيره وذلك هو الله تعالى الموصوف بالجلال والعظمة والكبريا
وكبر الشان الذي يصغر كل احد لكبريائه وعظمته والمعنى ان الله
متعاليا من ان يكلف عباده ما لا يطيقونه وقيل ان النسا وان ضعفن
عن دفع ظلم الرجال عنهن فان الله علي كبير قادر على ان ينتصف
لهن ممن ظلمهن من الرجال وقيل معناه ان الله مع علوه وكبريائه
يقبل توبة العاصي اذا تاب ويغفر له فاذا تابت المراة من نشوزها
فالاولى بكم ان تقبلوا توبتها وتتركوا معاتبتها واعلموا ان قدرته
عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم فانتم احق بالعفو عن من
جنى عليكم قوله تعالى وان خفتم يعني وان علمتم وتيقنتم وقيل معناه
الظن اي ظننتم شقاق بينهما يعني بين الزوجين واصل الشقاق
المخالفة وكون كل واحد من المتخالفين في شق غير شق صاحبه او يكون
اصله من شق العصا وهو ان يقول كل واحد من الزوجين ما يشق
على صاحبه سماعه وذلك انه اذا ظهر بين الزوجين شقاق ومخالفة
واشتبه حالهما ولم يفعل الزوج الصلح ولا الصفح ولا الفرقة وكذلك
الزوجة لا تودي الحق ولا الفدية وخرجا الى ما لا يحل قولا وفعلا
وقوله تعالى فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها اختلفوا في
المخاطبين بهذا ومن المامور ببعثة الحكمين فقيل المخاطب بذلك
هو الامام او نايبه لان تنفيذ الاحكام الشرعية اليه وقيل المخاطب
بذلك كل احد من صالحي الامة لان قوله تعالى فابعثوا خطاب الجمع
وليس حمله على البعض اولى من حمله على البقية فوجب حمله على
الكل فعلى هذا يجب ان يكون امر الاحاد الامة سوا وجد الامام او لم

يوجد فللصالحين ان يبعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها وايضا فهذا
يجري مجرى دفع الضرر فلكل احد ان يقوم به وقيل هو خطاب للزوجين
فاذا حصل بينهما شقاق بعثا حكمين حكما من اهله وحكما من اهلها **ان
يريدا اصلاحا** يعني الحكمين وقيل الزوجين **يوفق الله بينهما** يعني
بالصلاح والالفة روى الشافعي بسنده عن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه انه جاءه رجل وامراة ومع كل واحد منهما فيام من الناس
فقال علي ما شان هذين قالوا وقع بينهما شقاق قال علي فابعثوا
حكما من اهله وحكما من اهلها ثم قال للحكمين تدريان ما عليكما
عليكما ان رايتما ان تجمعا جمعتما وان رايتما ان تفرقا فرقتما فقالت
المراة رضيت بكتاب الله بما علي فيه ولي وقال الرجل اما الفرقة
فلا قال علي كذبت والله حتى تقر بمثل ما اقرت به قال الشافعي
والمستحب ان يبعث الحاكم عدلين ويجعلهما حكمين والاولى ان يكونا
واحد من اهله وواحد من اهلها لان اقاربهما اعرف بحالهما من
الاجانب واشد طلبا للاصلاح فان كانا اجنبيين جاز وفائدة
الحكمين ان يخلوا كل واحد منهما بصاحبه ويستكشف حقيقة الحال ليعرف
ان رغبته في الاقامة على النكاح او في المفارقة ثم يجتمعان
فيفعلان ما هو الصواب من ايقاع طلاق او خلع والحكمان
وكيلان للزوجين وهل يجوز لهما تنفيذ امر يلزم الزوجين دون
رضاهما واذنهما في ذلك مثل ان يطلق حكم الرجل او يفتدي حكم
المراة بشيء من مالها فللشافعي في ذلك قولان احدهما انه لا يجوز
الا برضاهما وليس لحكم الزوج ان يطلق الا باذنه ولا لحكم المراة ان تختلع
بشيء من مالها الا باذنها وهو مذهب ابي حنيفة واحمد لان عليا
توقف حين لم يرض الزوج وذلك حين قال اما الفرقة فلا فقال
له علي كذبت حتى تقر بمثل ما اقرت به فثبت ان تنفيذ الامر
موقوف على اقراره ورضاه ومعنى قول علي للزوج كذبت اي لست
بمنصف في دعواك حيث لم تقر بمثل ما اقرت به من الرضا بحكم كتاب
الله لها وعليها والقول الثاني انه يجوز بعث الحكمين دون رضاهما
اذا رايا الصلاح في ذلك كالحاكم يحكم بين الخصمين وان لم يكن على
وفق مرادهما وبه قال مالك ومن قال بهذا القول قال ليس
المراد من قول علي للزوج حتى تقر ان رضاه شرط بل معناه ان المراة
لما رضيت بما في كتاب الله فقال الرجل اما الفرقة فلا يعني ليست
الفرقة في كتاب الله فقال له علي كذبت حيث انكرت ان تكون
الفرقة في كتاب الله بل هي في كتاب الله فان قوله تعالى يوفق الله

بينهما يشتمل على الفراق وعلى غيره لان التوفيق ان يخرج كل واحد
منهما من الاثم والوزر ويكون تارة بالفراق وتارة بصلاح حاليهما في
الوصلة وقوله تعالى **ان الله كان عليما خبيرا** يعني انه تعالى يعلم كيف
يوفق بين المختلفين ويجمع بين المتفرقين وفيه وعيد شديد للزوجين
والحكمين ان سلكوا غير طريق الحق **قوله عز وجل واعبدوا
الله** يعني وحدوه واطيعوه وعبادة الله تعالى عبارة عن كل فعل
ياتي به العبد لمجرد الله تعالى ويدخل فيه جميع اعمال القلوب واعمال
الجوارح **ولا تشركوا به شيا** يعني واخلصوا له في العبادة ولا تجعلوا له
في الربوبية والعبادة شريكا لان من عبد مع الله غيره او اراد بعمله غير
الله فقد اشرك به ولا يكون مخلصا ق عن معاذ بن جبل قال كنت ردف
رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير فقال يا معاذ
هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله قلت
الله ورسوله اعلم قال فان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا
به شيا وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به شيا فقلت
يا رسول الله افلا ابشر الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا قوله هل تدري ما
حق الله على عباده معناه ما يستحقه مما اوجبه وجعله متحتما عليهم ثم
فسر ذلك الحق بقوله ان يعبدوه ولا يشركوا به شيا وقوله وما حق
العباد على الله انما قال حقهم على سبيل المقابلة لحقه عليهم لا لانهم
يستحقون عليه شيء ويجوز ان يكون من قول الرجل لصاحبه حقك
علي واجب اي متاكد قيامي به وقوله افلا ابشر الناس الى اخره انما
قال لا تبشرهم فيتكلوا لانه صلى الله عليه وسلم راى ذلك اصلح لهم
واحرى ان لا يتكلوا على هذه البشارة ويتركوا العمل الذي يرفع لهم
به الدرجات في الجنة وقوله تعالى **وبالوالدين احسانا** تقديره
واحسنوا بالوالدين احسانا يعني برا بهما وعطفا عليهما وانما قرن بر
الوالدين بعبادته وتوحيده لتاكيد حقهما على الولد واعلم ان الاحسان
الى الوالدين هو ان يقوم بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما ويسعى في
تحصيل مرادهما والانفاق عليهما بقدر القدرة ق عن ابي هريرة قال
جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من احق
الناس بحسن صحابتي قال امك قال ثم من قال ثم امك قال ثم
من قال ثم امك قال ثم من قال ثم ابوك وفي رواية قال امك ثم
امك ثم اباك ثم ادناك فادناك قوله ثم اباك فيه حذف تقديره
ثم بر اباك م عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
رغم انفه رغم انفه رغم انفه قيل من يا رسول الله قال من ادرك والديه

عند الكبر احدهما ثم لم يدخل الجنة وقوله تعالى **وبذي القربى**
واحسنوا الى ذى القرابة وهم ذوو رحمه من قبل ابيه وامه ق عن انس
ابن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره
ان يبسط له فى رزقه وينسا له فى اثره فليصل رحمه يعنى ينسا له
فى اثره يوخر له فى اجله وعمره وقوله تعالى **واليتامى والمساكين**
اي واحسنوا الى اليتامى وانما امر بالاحسان اليهم لان اليتيم مخصوص
بنوعين من العجز الصغر وعدم المشفق والمسكين هو الذى ركبه ذل
الفاقة والفقر فتمسكن لذلك خ عن سهل بن سعد قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم فى الجنة واشار بالسبابة
والوسطى وفرج بينهما ق عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال الساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله
واحسبه قال وكالقايم الذى لا يفتر وكالصايم لا يفطر وقوله
تعالى **والجار ذى القربى والجار الجنب** اى واحسنوا الى الجار ذى
القربى وهو الذي قرب جواره منك والجار الجنب هو الذى بعد
جواره عنك وقيل الجار ذى القربى هو القريب والجار الجنب هو
الاجنبى الذى بينك وبينه قرابة ق عن ابن عمر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت
انه سيورثه وعن عايشة مثله خ عن عايشة قالت قلت يا رسول الله
ان لى جارين فالى ايهما اهدى قال الى اقربهما بابا منك م عن ابى ذر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اباذر اذا طبخت مرقة فاكثر
ماها وتعاهد جيرانك وفى رواية قال اوصانى خليلى صلى الله
عليه وسلم اذا طبخت مرقا فاكثر ماوه ثم انظر الى اهل بيت من
جيرانك فاصبهم منها بمعروف ق عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال والله لا يومن والله لا يومن والله لا يومن قيل من يا رسول
الله قال الذى لا يامن جاره بوايقه ولمسلم لا يدخل الجنة من لا يومن
جاره بوايقه البوايق الغوايل والشرور ق عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا نسا المومنات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن
شاة معناه ولو ان تهدي لها فرسن شاة وهو الظلف واراد به الشى
الحقير ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يومن
بالله واليوم الاخر فلا يوذي جاره ومن كان يومن بالله واليوم الاخر
فليكرم ضيفه ومن كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليسكت
وقوله تعالى **والصاحب بالجنب** قال ابن عباس هو الرفيق فى السفر
وقيل هى المراة تكون معك الى جنبك وقيل هو الذى يصحبك رجا نفعك

عن

عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب
عند الله تعالى خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره اخرجه
الترمذى وقال حديث حسن وقوله تعالى **وابن السبيل** يعنى المسافر
المجتاز بك الذي قد انقطع به وقال الاكثرون المراد بابن السبيل ه
الضيف يمر بك فتكرمه وتحسن اليه ق عن ابي شريح خويلد بن عمرو العدوى
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان يومن بالله
واليوم الاخر فليكرم ضيفه جايزته قالوا وما جايزته يا رسول الله
قال يومه وليلته والضيافة ثلاثة ايام فما كان وراء ذلك فهو
صدقة عليه وقال من كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا
او ليصمت زاد فى رواية ولا يحل لرجل مسلم ان يقيم عند اخيه حتى يوثمه
قالوا يا رسول الله وكيف يوثمه قال يقيم عنده ولا شى له يقريه به
قوله جايزته يومه وليلته الجايزة العطية اى يقرى الضيف ثلاثة
ايام ثم يعطيه ما يجوز به من منهل الى منهل وقيل هو ان يكرم الضيف
فاذا سافر اعطاه ما يكفيه يوم وليلة حتى يصل الى موضع اخر وقوله
ولا يقيم عنده حتى يوثمه اى يوقعه فى الاثم لانه اذا اقام عنده ولم يقره
اثم بذلك وقوله تعالى **وما ملكت ايمانكم** يعنى المماليك فاحسنوا
اليهم والاحسان اليهم ان لا يكلفهم ما لا يطيقون ولا يوذيهم بالكلام الخشن
وان يعطيهم من الطعام والكسوة ما يحتاجون اليه بقدر الكفاية عن
ابى بكر الصديق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة
سيى الملكة اخرجه الترمذى عن رافع بن مكيث ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال حسن الملكة نما وسوء الخلق شوم اخرجه ابو داود وله عن
على بن ابى طالب قال كان اخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة
الصلاة اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم ق عن المعرور بن سويد قال
رايت اباذر وعليه حلة وعلى غلامه حلة مثلها فسالته عن ذلك فذكر
انه ساب رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بامه فاتى
الرجل النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال له النبى صلى الله عليه
وسلم انك امرو فيك جاهلية قلت على ساعتى هذه من كبر السن قال نعم
هم اخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه
مما ياكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم
عليه وقوله تعالى **ان الله لا يحب من كان مختالا** المختال المتكبر العظيم
فى نفسه الذى لا يقوم بحقوق الناس **فخورا** الفخور هو الذى يفخر على الناس
ويعد مناقبه تكبرا وتطاولا على من دونه وقيل هو الذى يفخر على
عباد الله بما اعطاه الله من نعمه ولا يشكره عليها وانما ختم الله هذه الاية

بهذين الوصفين المذمومين لان المختال والفخور يانف من اقاربه الفقراء ومن جيرانه الضعفاء فلا يحسن اليهم ولا يلوي بنظره عليهم ولان المختال هو المتكبر ومن كان متكبرا فلا يقوم بحقوق الناس **ق** عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيمة الى من جر ثوبه خيلاء **ق** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيمة الى من جر ازاره بطرا **ق** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل راسه يختال في مشيته اذ خسف الله به الارض فهو يتجلجل في الارض الى يوم القيمة **خ** عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل ممن كان قبلكم يجر ازاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل في الارض الى يوم القيمة **ق** عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفخر والخيلاء في الفدادين من اهل الوبر والسكينة في اهل الغنم الفدادون هم الفلاحون والحراثون واصحاب الابل والبقر المستكثرون منها المتكبرون على الناس بها قوله تعالى **الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل** نزلت في اليهود الذين بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكتموها فعلى هذا يكون المراد بالبخل كتمان العلم وقال ابن عباس نزلت في كردم بن زيد وحيي ابن اخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت واسامة بن حبيب ونافع بن ابي نافع وبحري بن عمرو وكانوا ياتون رجالا من الانصار ويخالطونهم يقولون لهم لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون فانزل الله عز وجل هذه الاية وقيل ان ذلك يحتمل ان يكون المراد بالبخل كتمان العلم ومنع المال لان البخل في كلام العرب منع السائل من فضل ما لديه وامساك المقتنيات وفي الشرع البخل عبارة عن امساك الواجب ومنعه واذا كان ذلك امكن حمله على منع المال ومنع العلم **ويكتمون ما آتاهم الله من فضله** يعني اليهود كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وما عندهم من العلم وقيل هم الاغنياء الذين كتموا الغنى واظهروا الفقر وبخلوا بالمال **واعتدنا للكافرين** يعني الجاحدين لنعمة الله عليهم **عذابا مهينا** يعني في الاخرة عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله عز وجل **والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس** يعني للفخار والسمعة وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا يريدون بما انفقوا وجه الله تعالى **م** عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال

الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك معي فيه غيري تركته وشركه نزلت هذه الاية في اليهود وقيل في المنافقين لان الريا ضرب من النفاق وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين اموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم **ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر** يعني ولا يصدقون بتوحيد الله ولا بالميعاد الذي فيه جزاء الاعمال انه كائن **ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا** يعني من يكن الشيطان صاحبه وخليله فبئس الصاحب وبئس الخليل الشيطان وانما اتصل الكلام هنا بذكر الشيطان تقريعا لهم على طاعة الشيطان والمعنى من يكن عمله بما يسول له الشيطان فبئس العمل عمله وقيل هذا في الاخرة يجعل الله الشياطين قرناءهم في النار يقترن مع كل كافر شيطان في سلسلة من النار ثم وبخهم الله وعيرهم على ترك الايمان فقال تعالى **وماذا عليهم** يعني واي شيء عليهم واي وبال وتبعة تلحقهم **لو آمنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله** اي اي وبال عليهم في الايمان بالله والانفاق في سبيله وابتغاء مرضاته **وكان الله بهم عليما** يعني لا يخفى عليه شيء من اعمال هؤلاء الذين ينفقون اموالهم لاجل الريا والسمعة ففيه وعيد وتهديد قوله عز وجل **ان الله لا يظلم مثقال ذرة** نظم الكلام وماذا عليهم لو آمنوا وانفقوا فان الله لا يظلم ولا يبخس ولا ينقص احدا من ثواب عمله مثقال ذرة يعني وزن ذرة وقال ابن عباس الذرة راس نملة حمراء وقيل الذرة كل جزء من اجزاء الهباء الذي يكون في الكوة اذا كان فيها ضوء الشمس لا وزن لها وهذا مثل ضربه الله تعالى لاقل الاشياء والمعنى ان الله لا يظلم احدا شيئا من قليل ولا كثير فخرج الكلام على اصغر شيء يعرفه الناس **وان تك حسنة يضاعفها** يعني الحسنة بعشرة امثالها وقيل هذا عند الحساب فمن بقي له من الحسنات مثقال ذرة ضاعفها الله له الى سبع مائة والى اجر عظيم قال قتادة لان تفضل حسناتي على سيئاتي بمثقال ذرة احب الي من الدنيا وما فيها عن انس بن مالك في قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الاخرة واما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى اذا افضى الى الاخرة لم يكن له حسنة يجزى بها عن عبد الله بن عمرو ابن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى سيخلص رجلا من امتي على رؤوس الخلائق يوم القيمة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيئا اظلمك

كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر فقال لا يا رب
فيقول تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فتخرج
بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله
فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه
السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت
البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شي اخرجه الترمذي ق عن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يضرب الجسر
على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله
وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد
فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق
وكالريح وكالطير وكاجاود الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش
مرسل ومكردس في نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار
فو الذي نفسي بيده ما من احد منكم باشد مناشدة لله في استيفا
الحق من المومنين لله يوم القيمة لاخوانهم الذين في النار وفي
رواية فما انتم باشد مناشدة في الحق قد تبين لكم من المومنين يومئذ
للجبار اذا راوا انهم قد نجوا في اخوانهم فيقولون ربنا انهم كانوا
يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم
فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف
ساقه الى ركبته ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا به فيقال
ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون
خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن امرتنا احدا ثم يقول
ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون
خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد يقول لم
تصدقوني بهذا الحديث فاقروا ان شيتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة
وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما فيقول الله تبارك
وتعالى شفعت الملايكة وشفع النبيون ولم يبق الا ارحم الراحمين
فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما من النار لم يعملوا خيرا قط
قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون
كما تخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها الى الحجر او الى الشجر ما يكون
الى الشمس اصيفر واخيضر وما يكون منها الى الظل يكون ابيض فقالوا
يا رسول الله كانك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللولو في رقابهم
الخواتيم يعرفهم اهل الجنة هولاء عتقاء الله الذين ادخلهم الجنة بغير
عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رايتموه فهو لكم فيقولون

ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول لكم عندي افضل من
هذا فيقولون ربنا اي شي افضل من هذا فيقول رضاي فلا اسخط عليكم
ابدا لفظ مسلم وهو بعض حديث وقال بعضهم هذه الاية واردة في
الخصوم ويدل عليه ما روي عن عبد الله بن مسعود قال اذا كان يوم
القيمة جمع الله الاولين والاخرين ثم ينادي مناد من عند الله الا من كان
يطلب مظلمة فليجي الى حقه فلياخذه قال فيفرح المرء ان يكون له الحق
على والده او ولده او زوجته او اخيه فياخذ منه وان كان صغيرا ومصداق
ذلك في كتاب الله فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتسالون
ويوتى بالعبد وينادي مناديا على روس الاولين والاخرين هذا فلان
ابن فلان من كان له عليه حق فلياتي الى حقه ثم يقال له آت هولاء
حقوقهم فيقول اي رب من اين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله تبارك
وتعالى للملايكة انظروا في اعماله الصالحة فاعطوهم منها فان بقي مثقال
ذرة من حسنة قالت الملايكة يا ربنا وهو اعلم بذلك اعطينا كل ذي حق
حقه وبقي له مثقال ذرة من حسنة فيقول للملايكة ضعفوها لعبدي
وادخلوه بفضل رحمتي الجنة ومصداق ذلك في كتاب الله ان الله لا
يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما
اي الجنة وان كان عبدا شقيا قالت الملايكة الهنا فنيت حسناته وبقي
طالبون كثير فيقول الله تبارك وتعالى خذوا من سياتهم فاضعفوها
الى سياته ثم اكتبوا له كتابا الى النار اخرجه البغوي بغير سند عن
ابن مسعود موقوفا عليه واسنده ابن جرير الطبري عن ابن مسعود
فمعنى الاية على هذا التاويل ان الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على خصمه
بل ياخذها له منه ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له بل يثيبه عليها ويضاعفها
له فذلك قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها اي يجعلها اضعافا كثيرة
ويوت من لدنه يعني من عنده اجرا عظيما يعني الجنة والمعنى ويعط
من عنده اجرا عظيما يعني عوضا من حسنته وذلك هو العوض هو
الجنة وقال ابو هريرة اذا قال الله عز وجل اجرا عظيما فمن يقدر قدره
قوله تعالى فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد يعني فكيف يكون حال
هولا المشركين والمنافقين يوم القيمة اذا جينا من كل امة بشهيد قال
ابن عباس يريد نبيها والمعنى انه يوتى بنبي كل امة يشهد عليها ولها
وجينا بك يا محمد على هولا شهيدا يعني تشهد على هولا الذين سمعوا
القران وخوطبوا به بما عملوا ق عن ابن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقرا علي القران فقلت يا رسول الله اقرا عليك
وعليك انزل قال اني احب ان اسمعه من غيري قال فقرات عليه سورة

النساحتى جيت الى هذه الاية فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد
وجينابك على هولا شهيدا قال حسبك الان قال فالتفت اليه فاذا
عيناه تذرفان زاد مسلم شهيدا ما دمت فيهم او قال ما كنت فيهم
شك احد رواته وقوله تعالى **يومئذ** يعنى يوم القيمة **يود** اى يتمنى
الذين كفروا يعنى جحدوا وحدانية الله تعالى **وعصوا الرسول** يعنى
فيما امرهم به من توحيد الله عز وجل **لو تسوى بهم الارض** يعنى
لو صاروا فيها وسويت عليهم وقيل انهم ودوا لن يبعثوا الا انهم انما
كانوا فى الارض وهى مستوية عليهم وقال الكلبى يقول الله تعالى
للبهايم والوحوش والطيور والسباع كونى ترابا فتسوى بهن
الارض فعند ذلك يتمنى الكافر لو كان ترابا **ولا يكتمون الله حديثا**
قال ابن عباس فى رواية عطا ودوا لو تسوى بهم الارض وانهم لم يكونوا
كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم ولا كفروا به ولا نافقوه فعلى هذا
القول يكون الكتمان ما كتموا فى الدنيا من صفة محمد صلى الله عليه
وسلم ونعته وهو كلام متصل بما قبله وقيل هو كلام مستانف قال
سعيد بن جبير سال رجل ابن عباس فقال انى اجد فى القران اشيا
يختلف على قال هات ما يختلف عليك قال منها قوله تعالى ولا يكتمون
الله حديثا ومنها قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا
فقال يغفر الله لاهل الاسلام ذنوبهم ويدخلهم الجنة فيقول المشركون
تعالوا نقول ما كنا مشركين فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين
رجاء ان يغفر لهم فيختم على افواههم وتنطق ايديهم وارجلهم بما كانوا
يعملون فعند ذلك عرفوا ان الله لا يكتم حديثا وعنده يود الذين
كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض فلا يختلف عليك القران
فان كلا من عند الله وقال الحسن انها مواطن ففى موطن لا يتكلمون
ولا تسمع الا همسا وفى موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون والله ربنا
ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سوء وفى موطن يعترفون على انفسهم
وهو قوله تعالى فاعترفوا بذنوبهم وفى موطن لا يتساءلون وفى موطن
يسالون الرجعة واخر تلك المواطن ان يختم على افواههم وتتكلم جوارحهم
فهو قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا
لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى** جمع سكران **حتى تعلموا ما تقولون**
سبب نزول هذه الاية ما روي عن على بن ابى طالب قال صنع لنا ابن
ابي عوف طعاما فدعانا فاكلنا وسقانا خمرا قبل ان تحرم الخمر فاخذت
منا وحضرت الصلاة فقدمونى فقرات قل يا ايها الكافرون اعبد ما
تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون قال فخلطت فنزلت لا تقربوا الصلاة

وانتم

وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون اخرجه الترمذى وقال حديث
حسن غريب واخرجه ابو داود ولفظه ان رجلا من الانصار دعاه وعبد
الرحمن بن عوف فسقاهما قبل ان تحرم الخمر فحضرت الصلاة فامهم على فى
المغرب فقرا قل يا ايها الكافرون فخلط فيها فنزلت لا تقربوا الصلاة
وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وروى ابن جرير الطبرى عن ابن
عباس ان رجالا كانوا ياتون الصلاة وهم سكارى قبل ان تحرم الخمر فقال
الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى الاية
فعلى هذا فى المراد بالصلاة قولان احدهما انه نفس الصلاة ذات
الركوع والسجود وهو قول الاكثرين والمعنى لا تصلوا وانتم سكارى
حتى تعلموا ما تقولون والقول الثانى ان المراد بالصلاة موضع الصلاة
وهو المسجد واطلاق لفظ الصلاة على المسجد محتمل فيكون من باب حذف
المضاف والمعنى لا تقربوا مواضع الصلاة وانتم سكارى وحذف المضاف
جايز سايغ ويدل عليه قوله تعالى لهدمت صوامع وبيع وصلوات
ومساجد والمراد بالصلاة مواضعها فثبت ان اطلاق لفظ الصلاة
والمراد موضعها جايز واعلم ان هذا النهى عن قربان الصلاة فى حالة
السكر انما كان قبل تحريم الخمر فكانوا يشربونها فى غير اوقات الصلاة
ثم نزل تحريم الخمر بعد ذلك ونسخت هذه الاية وقال الضحاك المراد
بالسكر سكر النوم يعنى لا تقربوا الصلاة عند غلبة النوم ويدل عليه
ما روي عن عايشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا نعس احدكم
وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان احدكم اذا صلى وهو ناعس
لا يدرى لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه اخرجاه فى الصحيحين وقوله
تعالى **ولا جنبا** يعنى ولا تقربوا الصلاة وانتم جنبا والجنب يستوى فيه
الواحد والجمع والمذكر والمونث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذى هو
الاجناب واصل الجنابة البعد سمى الذى اصابه الجنابة جنبا لانه يجتنب
الصلاة والمسجد وقيل لمجانبته الناس حتى يغتسل **الا عابرى سبيل** العابر
ههنا فاعل من العبور وهو قطع الطريق من هذا الجانب الى الجانب
الاخر واختلف العلما فى معنى قوله الا عابرى سبيل على قولين احدهما
ان المراد بالعبور هو العبور فى المسجد وذلك ان قوما من الانصار كانت
ابوابهم فى المسجد فتصيبهم الجنابة ولا ما عندهم ولا ممر لهم الا فى المسجد
فرخص لهم العبور فيه فعلى هذا القول يكون المراد بالصلاة موضع
الصلاة والمعنى لا تقربوا المسجد وانتم جنب الا مجتازين فيه اما للخروج
منه او للدخول فيه مثل ان يكون قد نام فى المسجد فاجنب فيجب الخروج
منه او يكون الما فى المسجد فيدخل اليه او يكون طريقه عليه فيمر فيه من

عن اقامة وهذا قول ابن مسعود وانس بن مالك والحسن وسعيد
ابن المسيب وعكرمة والضحاك وعطا الخراساني والنخعي والزهري
واليه ذهب الشافعي واحمد القول الثاني ان المراد بقوله الا عابري
سبيل المسافرين والمعنى ولا تقربوا الصلاة وانتم جنب الا ان تكونوا
مسافرين ولم تجدوا الما فتيمموا فمنع الجنب من الصلاة حتى يغتسل
الا ان يكون في سفر ولا ما معه فتيمم ويصلي الى ان يجد الما فيغتسل
وهذا قول علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة فمن
جعل عابري سبيل المسافر منع الجنب من العبور في المسجد وهو
مذهب ابي حنيفة وصحح ابن جرير الطبري والواحدي القول الاول
ويدل على صحته وجهان احدهما ان المسافر الجنب لا تصح صلاته بدون
التيمم ولم يذكر التيمم هنا فيحتاج الى اضمار شيئين عوز الما وذكر
التيمم وعلى القول الاول لا يحتاج الى اضمار شي الوجه الثاني ان
الله تعالى ذكر حكم السفر وعدم الما وجواز التيمم بعد هذا فلا يحمل
هذا على حكم معاد في الاية ويدل عليه ان جميع القرا استحبوا
الوقف على قوله **حتى تغتسلوا** يعني الى ان تغتسلوا وفيه دليل على
ان حكم الجنابة باق على الجنب الى غاية هي الاغتسال **فصل**
في احكام تتعلق بالاية اختلف العلما في العبور في المسجد فاباحه
قوم على الاطلاق وهو قول الحسن وبه قال مالك والشافعي ومنعه
بعضهم على الاطلاق وهو قول اصحاب الراي وقال قوم يتيمم للعبور
في المسجد واختلف العلما في المكث في المسجد ايضا للجنب فمنعه اكثر
اهل العلم وقالوا لا يجوز للجنب المكث في المسجد بحال لما روي عن
عايشة قالت جا رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه اصحابه
شارعة في المسجد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد ثم دخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يصنع القوم شيا رجا ان ينزل لهم
رخصة فخرج اليهم بعد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد فاني
لا احل المسجد لحايض ولا جنب اخرجه ابو داود وجوز احمد المكث في
المسجد بشرط الوضو وبه قال المزني من اصحاب الشافعي واجاب احمد
عن حديث عايشة بان في بعض رواته مجهول وقال عبد الحق لا يثبت
من قبل اسناده واستدل احمد لمذهبه بما روي عن عطا بن يسار
قال رايت رجالا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسون
في المسجد وهم مجنبون اذا توضوا وضو الصلاة اخرجه سعيد بن منصور
في سننه واحتج لمذهب الجمهور بعموم الاية وبما روي عن ام سلمة قالت
دخل النبي صلى الله عليه وسلم صرحة هذا المسجد فنادى باعلا صوته

ان المسجد لا يحل لجنب ولا حايض اخرجه ابن ماجة ويحرم على الجنب
ايضا الطواف وقراة القران كما يحرم عليه فعل الصلاة ويدل على ذلك
ايضا ما روي عن علي بن ابي طالب قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقضي حاجته ثم يخرج فيقرا القران ويا كل معنا اللحم ولا يحجبه
وربما قال ولا يحجزه من القران شي ليس الجنابة اخرجه ابو داود
والنساي والترمذي ولفظه كان يقرينا القران على كل حال ما لم
يكن جنبا وقال حديث حسن صحيح عن ابن عمر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يقرا القران الجنب ولا الحايض ولا
النفسا من القران شيا اخرجه الدارقطني ويجب الغسل باحد
شيين بانزال المني وهو الما الرقيق الدافق او بايلاج الحشفة
في الفرج وان لم ينزل ويدل على ذلك ما روي عن عايشة قالت
سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد البلل ولا يذكر
احتلاما قال يغتسل وعن الرجل يرى انه احتلم ولا يجد بللا قال
لا غسل عليه قالت ام سلمة والمراة ترى ذلك اعليها غسل قال
نعم اخرجه ابو داود والترمذي **ق** عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا جلس بين شعبها الاربع ثم جهدها
فقد وجب الغسل زاد في رواية وان لم ينزل قوله تعالى **وان كنتم
مرضى** جمع مريض واراد به المرض الذي يضره مساس الما مثل
الجدري واحراق النار ونحو ذلك وان كان على بعض اعضايه جراحة
او به قروح يخاف من استعمال الما التلف او زيادة الوجع فانه يتيمم
ويصلي مع وجود الما وان كان بعض اعضايه صحيحا وبعضها جريحا
غسل الصحيح وتيمم للجريح في الوجه واليدين لما روي عن جابر قال
خرجنا في سفر فاصاب رجلا منا حجر فشجه في راسه ثم احتلم فسال
اصحابه هل تجدون لي رخصة في التيمم قالوا ما نجد لك رخصة وانت
تقدر على الما فاغتسل فمات فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم اخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله الا سالوا اذا لم تعلموا فانما
شفا العي السوال انما كان يكفيه ان يتيمم ويعصر او قال يعصب شك
الراوي على جرحه خرقة ثم يمسح عليه ويغسل ساير جسده اخرجه
ابو داود والدارقطني ولم يجوز اصحاب الراي الجمع بين التيمم والغسل
قالوا ان كان اكثر اعضايه او بدنه صحيحا غسل الصحيح ولا تيمم عليه
وان كان الاكثر جريحا اقتصر على التيمم والحديث حجة لمن اوجب الجمع
بين الغسل والتيمم وقوله تعالى **او على سفر** يعني او كنتم مسافرين
واراد به السفر الطويل والقصير وعدم الما فانه يتيمم ويصلي ولا اعادة

عليه لما روي ابي ذر قال اجتمعت غنيمة عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا ابا ذر ابد اجيها فبدوت الى الربذة فكانت تصيبني
الجنابة فامكث الخمس والست فاتيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ابو ذر فسكت فقال ثكلتك ابا ذر لامك الويل فدعا
بجارية سودا فجات بعس فيه ما فسترتني بثوب واستترت بالراحلة
واغتسلت فكاني القيت عني جبلا فقال الصعيد الطيب وضوء
المسلم ولو الى عشر سنين فاذا وجدت الما فامسه جلدك فان ذلك
خير اخرجه ابو داود العس قدح من فخار يجعل فيه الما للوضوء
والاغتسال اما اذا لم يكن الرجل مريضا ولا على سفر وعدم الما في
موضع لا يعدم فيه غالبا فانه يتيمم ويصلي ثم يعيد اذا وجد الما
وقدر عليه وبه قال الشافعي وقال مالك والاوزاعي لا اعادة
عليه وقال ابو حنيفة يوخر الصلاة حتى يجد الما وقوله تعالى
او جا احد منكم من الغايط الغايط المكان المطمين من الارض وجمعه
الغيطان وكانت عادة العرب اتيان الغايط للحدث فكنوا به عن
الحدث وذلك ان الرجل منهم اذا اراد قضا الحاجة طلب غايطا من
الارض يعني مكانا منخفضا من الارض يحجبه عن اعين الناس فسمي
الحدث بهذا الاسم وهو من باب تسمية الشي باسم مكانه وقوله تعالى **او
لامستم النسا** قري هنا وفي سورة المايدة لامستم النسا ولمستم بغير
الف واختلف العلما في معنى الملامسة على قولين احدهما انه الجماع
وهو قول علي وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ووجه هذا القول
ان الله تعالى كني باللمس عن الجماع لان باللمس يوصل اليه قال ابن
عباس الله حي كريم يكني عن الجماع بالملامسة والقول الثاني المراد
باللمس هنا التقا البشرتين سوا كان بجماع او بغير جماع وهو قول
ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي ووجه هذا القول ان اللمس
حقيقة في اللمس باليد فاما حمله على الجماع فمجاز والاصل حمل
الكلام على الحقيقة لا المجاز واما قراة من قرا او لامستم والملامسة
مفاعلة من اللمس لا يدل على المجامعة ايضا على الاطلاق لانه قد
ورد في الحديث النهي عن الملامسة قال ابو عبيدة في معناها
هي ان يقول اذا لمست ثوبي او لمست ثوبك فقد وجب البيع فالملا[مسة]
في الحديث بمعنى اللمس باليد واذا كانت مستعملة في غير المجامعة
لم يدل قوله تعالى او لامستم النسا على صريح الجماع بل حمل على الاصل
الموضوع له وهو اللمس باليد **فصل** في احكام تتعلق بالاية
وفيه مسايل المسيلة الاولى اذا افضى الرجل بشي من بدنه الى شي

من

من بدن المراة ولا حايل بينهما انتقض وضوهما وهو قول ابن مسعود
وابن عمر وبه قال الزهري والاوزاعي والشافعي لما روي الشافعي
بسنده عن ابن عمر انه قال قبلة الرجل امراته وجسها بيده من
الملامسة فمن قبل امراته او جسها بيده فعليه الوضو واخرجه مالك
في الموطا قال الشافعي وبلغنا عن ابن مسعود مثله وقال مالك
والليث بن سعد واحمد واسحق اذا كان اللمس بشهوة انتقض الوضو
وان لم يكن بشهوة فلا ويدل عليه ما روى عن عايشة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل امراة من نسايه ثم خرج الى الصلاة ولم
يتوضا قال عروة ومن هي الا انت فضحكت اخرجه ابو داود واجيب
عن هذا الحديث بانه ليس بثابت قال الترمذي انه لا يصح
اسناده بحال وسمعت محمد بن اسمعيل يضعف هذا الحديث وقال
حبيب بن ثابت لم يسمع من عروة وضعف يحيى بن سعيد القطان
هذا الحديث وقال هو شبه لا شي وفيه ضعف من وجه اخر وهو
ان عروة هذا ليس بعروة بن الزبير بن اخت عايشة انما هو شيخ
مجهول قال البيهقي يعرف بعروة المزني وانما المحفوظ عن عايشة
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل وهو صايم كذا رواه الثقات
عن عايشة وقال ابو حنيفة لا ينقض الوضو باللمس الا ان يحدث
الانتشار وقال قوم لا ينتقض بحال وهو قول ابن عباس وبه
قال الحسن والثوري واحتج من لم يوجب الوضو باللمس بما روى
عن عايشة انها قالت كنت انام بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورجلاي في قبلته فاذا سجد غمزني فقبضت رجلي فاذا
قام بسطهما والبيوت يوميذ ليس فيها مصابيح اخرجاه في الصحيحين
واجاب من اوجب الوضو باللمس عن هذا الحديث بانه يحتمل ان يكون
غمزه لها على حايل المسيلة الثانية اختلف قول الشافعي
في لمس المحرم كالبنت والام والاخت او اجنبية صغيرة فاصح القولين
انه لا ينتقض الوضو به والثاني انه ينتقض الوضوء به وماخذ
القولين عند اصحاب الشافعي التردد بين التعلق بعموم الاية
في قوله او لامستم النسا او النظر الى المعنى في النقض باللمس
وهو تحرك الشهوة فان اخذنا بعموم الاية فينتقض الوضو بلمس
المحارم وان اخذنا بالمعنى فلا ينتقض وفي الملموس قولان والملموس
هو الذي لا فعل منه في المباشرة رجلا كان او امراة واللامس هو
الفاعل للمس وان لم يقصد المباشرة فاحد القولين انه ينتقض وضو
اللامس والملموس لعموم الاية لانه لمس وقع بين الرجل والمراة

فينتقض وضوهما معا والقول الثاني انه ينتقض وضوء اللامس دون
الملموس لما روي عن عايشة قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة من الفراش فالتمسته فوضعت يدي على اخمص قدميه وهو ساجد
وهما منصوبتان وهو يقول اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك
من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثنا عليك انت كما اثنيت على
نفسك اخرجه مسلم فلو انتقض وضوه صلى الله عليه وسلم لقطع الصلاة
ولو لمس شعر امراة او سنها او ظفرها فلا وضو عليه المسيلة الثالثة
في الحدث وهو الخارج من السبيلين عينا كان كالبول والغايط او اثرا
كالريح ونحوها فاذا حصل شي من ذلك فلا تصح صلاته ما لم يتوضا
او يتيمم عند عدم الما لما روى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة احدكم اذا احدث حتى يتوضا فقال
رجل من اهل حضرموت ما الحدث يا ابا هريرة قال فسا او ضراط اخرجاه
في الصحيحين اما خروج النجاسة من غير السبيلين كالفصد والحجامة
والرعاف والقي ونحوها فذهب قوم الي انه لا وضو من خروج هذه الاشيا
يروى ذلك عن ابن عمر وابن عباس وبه قال عطا وطاووس والحسن
وابن المسيب واليه ذهب مالك والشافعي لما روى عن انس قال
احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ولم يتوضا ولم يزد على غسل
محاجمه اخرجه الدارقطني وذهب قوم الى ايجاب الوضوء من ذلك منهم سفين
الثوري وابن المبارك واصحاب الراي واحمد واسحق واتفق هولا على ان
خروج القليل منه لا ينقض الوضو ويدل على انتقاض الوضو بخروج هذه
الاشيا ما روي عن معدان بن ابي طلحة عن ابي الدردا ان النبي صلى الله
عليه وسلم قا فتوضا قال معدان فلقيت ثوبان في مسجد دمشق فذكرت
له ذلك فقال صدق انا صببت له وضوءه اخرجه الترمذي وقال هو اصح
شي في هذا الباب المسيلة الرابعة من نواقض الوضو زوال العقل
بجنون او اغما او نوم لما روي عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم العين وكا السه فمن نام فليتوضا اخرجه ابو داود وابن ماجة
ويستثنى من ذلك النوم اليسير قاعدا متمكنا بمحل الحدث الى الارض
ويدل على ذلك ما روي عن انس قال كان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ينتظرون العشا الاخرة حتى تخفق روسهم ثم يصلون ولا
يتوضون اخرجه ابو داود وذهب قوم الى ان النوم لا ينقض الوضو بكل
حال وهو قول ابي هريرة وعايشة وبه قال الحسن واسحق والمزني وذهب
قوم الى انه لو نام قايما او قاعدا او ساجدا او في الصلاة فلا وضو عليه
حتى يضطجع وبه قال سفين الثوري وابن المبارك واصحاب الراي لما

روي

روي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس على من نام ساجدا
وضوء حتى يضطجع فانه اذا اضطجع استرخت مفاصله اخرجه احمد بن حنبل
وضعف بعضهم هذا الحديث المسيلة الخامسة من نواقض الوضوء مس
الفرج من نفسه او غيره فذهب قوم الى انه يوجب الوضو وهو قول عمر
وابن عمر وابن عباس وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة وعايشة وبه قال
سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار واليه ذهب الاوزاعي والشافعي
واحمد واسحق غير ان الشافعي قال ينتقض الوضو اذا لمس ببطن الكف
والرجل والمراة في ذلك سوا ويدل على ذلك ما روي عن بسرة بن صفوان
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مس ذكره فليتوضا فلا يصلي
حتي يتوضا اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح ولابي داود والنساي
نحوه وعن ام حبيبة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من مس فرجه فليتوضا اخرجه ابن ماجه وصححه ابو زرعة وعن ابي
هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من افضى بيده الى ذكره ليس
دونه ستر فقد وجب عليه الوضو اخرجه احمد بن حنبل وذهب قوم
الى ان مس الذكر لا يوجب الوضو وهو قول علي وابن مسعود وابي الدردا
وحذيفة وبه قال الحسن واليه ذهب الثوري وابن المبارك واصحاب
الراي واحتجوا بما روي عن طلق بن علي قال قدمنا الى رسول الله صلى
الله صلى عليه وسلم فجاءه رجل كانه بدوي فقال يا نبي الله ما ترى
في مس الرجل ذكره بعد ما توضا قال هو الا مضغة او قال بضعة
منه اخرجه ابو داود وللترمذي والنساي نحوه بمعناه واجاب
من اوجب الوضوء من مس الذكر عن حديث طلق بن علي بان قدومه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في اول الهجرة وهو يبني المسجد
وابو هريرة من اخرهم اسلاما وقد روي انتقاض الوضو بمس الذكر
فصار حديث ابي هريرة ناسخا لحديث طلق بن علي وايضا فان حديث
طلق يرويه عنه ابنه قيس بن طلق وهو ليس بالقوي عند اهل الحديث
وقوله تعالى **فلم تجدوا ما فتيمموا صعيدا طيبا** واعلم ان التيمم من
خصايص هذه الامة خصها الله به ليسهل عليهم اسباب العبادة ويدل
على ذلك ما روي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملايكة
وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الما
اخرجه مسلم وكان سبب بدء التيمم ما روي عن عايشة قالت خرجنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيدا
او بذات الجيش انقطع عقد لي فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم

على الثماسه واقام الناس معه وليسوا على ما وليس معهم ما فاتى الناس
الى ابى بكر فقالوا الا ترى الى ما صنعت عايشة اقامت برسول الله صلى
الله عليه وسلم وبالناس معه وليسوا على ما وليس معهم ما فجا ابو
بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع راسه على فخذى قد نام ٥
فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ما
وليس معهم ما قالت عايشة فعاتبنى ابو بكر وقال ما شا الله ان
يقول وجعل يطعن بيده فى خاصرتى فلا يمنعنى من التحرك الا مكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذى فنام رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى اصبح على غير ما فانزل الله عز وجل اية التيمم فتيمموا
فقال اسيد بن حضير وهو احد النقبا ما هى باول بركتكم يا ال ابى
بكر قالت عايشة فبعثنا البعير الذى كنت عليه فوجدنا العقد
تحته اخرجاه فى الصحيحين قولها بالبيدا البيدا المفازة والقفر
وكل صحرا فهى بيدا وجمعها بيد وذات الجيش اسم الموضع وهو على بريد
من المدينة وقولها فبعثنا البعير اى اثرناه قوله تعالى فلم تجدوا ما
هذا معطوف على ما قبله والمعنى او جا احد منكم من الغايط او لامستم
النسا فطلبتم الما لتتطهروا به فلم تجدوه يعنى فاعوزكم فلم تجدوه بثمن
ولا بغير ثمن لان المحدث مامور بالتطهر بالما فاذا اعوزه الما عدل
عنه الى التيمم بعد طلب الما قال الشافعى اذا دخل وقت الصلاة طلب
الما فان لم يجده تيمم وصلى ثم اذا دخل وقت الصلاة الثانية وجب
عليه الطلب مرة اخرى وقال ابو حنيفة لا يجب عليه الطلب للصلاة
الثانية حجة الشافعى قوله تعالى فلم تجدوا ما فعدم الوجدان مشعر
بسبق الطلب فلابد فى كل مرة من سبق الطلب واجمعوا على انه لو
وجد الما لكنه يحتاج اليه لعطشه او عطش حيوان محترم فانه يجوز
له التيمم مع وجدان ذلك الما وقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا اصل
التيمم فى اللغة القصد يقال تيممت فلانا اذا قصدته وهو فى الشرع
عبارة عن افعال مخصوصة عند عدم الما لتادية الصلاة واختلفوا
فى الصعيد الطيب فقال قتادة الصعيد الارض التى ليس فيها شجر ولا
نبات وقال ابن زيد الصعيد المستوى من الارض وكذلك قال
الليث الصعيد الارض المستوية التى لا شى فيها وقال الفرا الصعيد
هو التراب وكذلك قال ابو عبيد فى قوله صلى الله عليه وسلم اياكم
والقعود بالصعدات قال الصعدات الطرق ماخوذ من الصعيد
وهو التراب وقيل الصعيد وجه الارض البارز وهو اختيار الزجاج
قال الصعيد وجه الارض ولا تبالى اكان فى الموضع تراب او لا لان الصعيد

ليس

ليس هو التراب انما هو وجه الارض ونقل الربيع عن الشافعى فى تفسير
الصعيد فقال لا يقع اسم الصعيد الا على تراب ذى غبار فاما البطحا
الغليظة والرقيقة فلا يقع عليها اسم الصعيد فان خالطه تراب او
مدر يكون له غبار كان الذى خالطه هو الصعيد قال ولا يتيمم بنورة ولا
كحل ولا زرنيخ كل هذه حجارة هذا كلام الشافعى فى تفسير الصعيد
وهو القدوة فى اللغة وقوله فى ذلك حجة وقد وافقه فى ذلك الفرا
وابو عبيد فى انه التراب وجميع الاقوال فى الصعيد صحيحة فى اللغة
لكن المراد به هاهنا هو التراب وقد قال ابن عباس فى قوله صعيدا
هو التراب واختلف اهل العلم فيما يجوز به التيمم فذهب الشافعى
الى انه يختص بما يقع عليه التراب مما له غبار يعلق بالوجه واليدين
لان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم رووا عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال جعلت لى الارض مسجدا وترابها طهورا فخص التراب بالطهور
ولان الله تعالى وصف الصعيد بالطيب والطيب من الارض هو
الذى ينبت فيها بدليل قوله والبلد الطيب يخرج نباته فعلى هذا
ما لا ينبت فليس بطيب ولنا ايضا قوله تعالى فى سورة المايدة فامسحوا
بوجوهكم وايديكم منه وكلمة من للتبعيض هنا ولا يتاتى ذلك الا فى
الصخر الذى لا تراب عليه وايضا فانه يقال للغبار صعيد لانه
ماخوذ من الصعود وهو الارتفاع ولا يكون ذلك الا فى الصخر وما
اشبهه وذهب ابو حنيفة ومالك الى انه يجوز التيمم بكل ما هو من جنس
الارض كالرمل والجص والنورة والزرنيخ ونحو ذلك حتى لو ضرب
يده على صخرة ملسا لا غبار عليها صح تيممه عندهم واحتج ابو حنيفة
ومن وافقه بظاهر الاية قالوا لان التيمم هو القصد والصعيد اسم لما
تصاعد من الارض فقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا اى اقصدوا ارضا
فوجب ان يكون هذا القدر كافيا واجيب عنه بما تقدم من الدليل
فى قوله منه وان لفظة من تكون للتبعيض قالوا ولما روى عن جابر
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا
واجيب عنه بان هذا مجمل يفسره ما تقدم من حديث حذيفة
فى تخصيص التراب والمفسر يقضى على المجمل وجوز بعضهم التيمم بكل
ما هو متصل بالارض من شجر ونبات ومدر ونحو ذلك من الادلة
وقوله تعالى **فامسحوا بوجوهكم وايديكم** الوجه الممسوح فى التيمم وهو
المحدود فى الوضو واختلف العلما فيما يجب مسحه من اليد فذهب اكثر
اهل العلم منهم ابن عمر وابنه سالم والحسن وهو مذهب ابى حنيفة
والشافعى انه يمسح الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين وصورة ذلك

ان يضرب كفيه على التراب ويمسح بهما وجهه ولا يجب ايصال التراب
الى منابت الشعور ثم يضرب ضربة اخري ويفرق اصابعه فيمسح
يديه الى المرفقين ويدل عليه ما روي عن جابر عن النبي صلى الله
عليه وسلم التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين
رواه البيهقي ولم يضعفه وروى الشافعي عن ابراهيم بن محمد عن
ابى الحويرث عن الاعرج عن ابن الصمة قال مررت على النبي صلى
الله عليه وسلم وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد علي حتى قام الى
الجدار فحته بعصا كانت معه ثم وضع يديه على الجدار فمسح وجهه
وذراعيه ثم رد علي هذا حديث منقطع لان الاعرج وهو عبد الرحمن
ابن هرمز لم يسمع هذا من ابن الصمة وانما سمعه من عمير مولى ابن
عباس عن ابن الصمة وكذا هو مخرج في الصحيحين عن عمير مولى ابن
عباس قال دخلنا على ابى جهيم بن الحارث فقال ابو الجهيم اقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو بير جمل فلقيه رجل فسلم
عليه فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم حتى اقبل على الجدار فوضع يده
على الحايط فمسح بوجهه ويديه ثم رد عليه السلام ولابي داود عن
نافع قال انطلقت مع ابن عمر في حاجة الى ابن عباس فلما ان قضى حاجته
وكان من حديثه يوميذ ان قال مر رجل في سكة من سكك المدينة فلقى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرج من غايط او بول فسلم عليه
الرجل فلم يرد عليه حتى اذا كان الرجل ان يتوارى في السكة ضرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على حايط ومسح بها وجهه ثم
ضرب ضربة اخري فمسح بها ذراعيه ثم رد عليه السلام وقال لم يمنعني
ان ارد عليك اولا الا اني لم اكن على طهر وفي رواية فمسح ذراعيه الى
المرفقين هذا اجود ما في هذا الباب فان البيهقي اشار الى صحة
اسناده وفيه دليل على الحكمين يعني مسح الوجه واليدين بضربتين
وايصال المسح الى المرفقين وفيه دليل على ان التيمم لا يصح ما لم يعلق
بالوجه واليدين غبار التراب لان النبي صلى الله عليه وسلم حت
الجدار بالعصا ولو كان بمجرد الضرب كافيا لما كان حته وذهب
الزهري الى انه يمسح اليدين الى المنكبين ويدل عليه ما روى عن
عمار بن ياسر قال تمسحوا وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالصعيد لصلاة الفجر فضربوا باكفهم الصعيد ثم مسحوا بوجوههم
مسحة واحدة ثم عادوا فضربوا باكفهم الصعيد مرة اخري فمسحوا
بايديهم كلها الى المناكب والاباط ثم بطون ايديهم اخرجه ابو داود
وذهب جماعة الى ان التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين وهو قول علي

وابن

وابن عباس وبه قال الشعبي وعطا ومكحول واليه ذهب الاوزاعي ومالك
واحمد واسحق وداود الظاهري واحتجوا بما روى عن عمار بن ياسر قال
بعثني النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة فاجنبت فلم اجد الما فتمرغت
في الصعيد كما تمرغ الدابة ثم اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت
ذلك له فقال انما يكفيك ان تقول بيديك هكذا ثم ضرب بيديه
الارض ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه وباطنهما
ووجهه وفي رواية ان تقول هكذا وضرب بيديه الارض فنفض يديه
فمسح وجهه وكفيه اخرجاه في الصحيحين وجملته ان اليد اسم لهذه
الجارحة وحدها عند بعض اهل اللغة من اطراف الانامل الى
الكوع وهذا هو المقطوع في حد السرقة وقال ابو اسحاق الزجاج
حدها من اطراف الانامل الى الكتف فمن ذهب الى ان الممسوح في التيمم
هو الكف قال ان حد اليد هو المقطوع في حد السرقة ومن ذهب الى
ان الممسوح في التيمم الى المناكب والاباط نظر الى ان مسمى اليد يطلق
على جميعها ومن ذهب الى ان الممسوح في التيمم الى المرفقين قال ان
التيمم بدل عن الوضو واليد المغسولة في الوضو هي الممسوحة في التيمم
فيحمل المطلق الذى في قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وايديكم على
المقيد الذى في قوله تعالى في اية الوضوء فاغسلوا وجوهكم وايديكم
الى المرافق واجاب من ذهب الى هذا عن حديث عمار بن ياسر
بان المراد منه بيان صورة الضرب وليس المراد منه جميع ما يحصل به
التيمم **فصل** واركان التيمم خمسة الاول تراب طاهر خالص له
غبار يعلق بالوجه واليدين ويجوز بالرمل اذا كان له غبار الثاني
قصد الصعيد فلو تعرض لمهب الريح لم يكفه ولو يممه غيره باذنه مع عجزه
جاز الثالث نقل التراب الى الوجه واليدين الرابع نية استباحة
الصلاة فلو نوى رفع الحدث لم يصح واكمله ان ينوى استباحة الفرض
والنفل الخامس مسح الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين والترتيب
ولا يصح التيمم لصلاة الا بعد دخول وقتها ولا يجوز الجمع بين صلاتي
فرض بتيمم واحد وهو قول علي وابن عباس وابن عمر وبه قال الشعبي
والنخعي وقتادة واليه ذهب مالك والشافعي واحمد واسحق وذهب
جماعة الى ان التيمم كالوضو فيجوز تقديمه على اول الوقت ويجوز ان
يصلى به ما شا من الفرايض ما لم يحدث وهو قول سعيد بن المسيب
والحسن والزهري والثوري واصحاب الراى واتفقوا على انه يجوز
ان يصلي بتيمم واحد ما شا من النوافل قبل الفرض وبعده الى ان
يدخل وقت الصلاة الاخري وان يقرا القران ان كان جنبا ويشترط طلب

الما في السفر بان يطلبه في رحله وعند رفقايه وان كان في صحرا ولا حايل
دون نظره نظر حوالبه وان كان دون نظره حايل قريب من تل او جدار
او نحوه عدل عنه لان الله تعالى قال فلم تجدوا ما فتيمموا ولا يقال
لم يجد الا لمن طلب ولا يشترط طلب عند ابي حنيفة فان راى الما ولا
يقدر عليه لمانع من عدو او سبع يمنعه من الذهاب اليه او كان الما
في بير وليس معه الة الاستقا فهو كالعادم فيتيمم ويصلي ولا اعادة
عليه والله اعلم وقوله تعالى ان الله كان عفوا يعني متجاوزا عن ذنوب
عباده ويعفوا ويصفح عنهم غفورا ستورا على عباده يغفر الذنوب
ويسترها وفيه تنبيه على ان الله تعالى رخص لعباده امر العبادة
ويسرها عليهم لان من كان عادته يغفر الذنوب ويعفوا عنها بان رخص
للعاجزين امر العبادة كان اولى **قوله عز وجل** الم ترالى الذين
اوتوا نصيبا من الكتاب نزلت في يهود المدينة وقال ابن عباس نزلت
في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم اليهوديين كانا اذا تكلم رسول
الله صلى الله عليه وسلم لويا السنتهما وعاباه فانزل الله الم تريعني
الم ينته علمك يا محمد الى هولا الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني
اعطوا حظا من علم التورية وذلك انهم عرفوا نبوة موسى من
التورية وانكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم منها فلذلك اتى بمن
التي هي للتبعيض وقيل انهم علموا التورية ولم يوتوا العمل بها
يشترون الضلالة يعني يوثرون تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم
لياخذوا بذلك الرشى وتحصل لهم الرياسة وانما ذكره بلفظ الشرا
لانه استبدال شي بشي وقيل فيه اضمار يعني يستبدلون الضلالة
بالهدى ويريدون يعني اليهود ان تضلوا السبيل يعني عن السبيل
والمعنى انهم يتواصلوا الى اضلال المومنين والتلبيس عليهم لكي
يخرجوا عن الاسلام والله اعلم باعدايكم يعني انه سبحانه وتعالى
اعلم بكنه ما في قلوب اليهود من العداوة والبغضا لكم يا معشر
المومنين فلا تنصحوهم لانهم اعداكم وكفى بالله وليا يعني متوليا
امركم والقايم به ومن كان الله تعالى وليه لم يضره عداوة احد وكفى
بالله نصيرا يعني هو ينصركم عليهم فثقوا بولايته ونصره قوله
تعالى من الذين هادوا قيل هو بيان للذين اوتوا نصيبا من
الكتاب والتقدير الم ترالى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب من الذين
هادوا وقيل هو متعلق بما قبله والتقدير وكفى بالله نصيرا من
الذين هادوا وقيل هو ابتدا كلام وفيه حذف تقديره من الذين
هادوا قوم يحرفون الكلم اي يزيلونه ويغيرونه ويبدلونه عن

مواضعه يعني يغيرون صفة محمد صلى الله عليه وسلم من التورية
وقال ابن عباس كانت اليهود ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيسالونه عن الامر فيخبرهم به فيرى انهم ياخذون بقوله فاذا خرجوا
من عنده حرفوا كلامه وقيل المراد بالتحريف القا الشبهة الباطلة
والتاويلات الفاسدة وهو تحريف اللفظ من معناه الحق الى معنى
باطل ويقولون سمعنا وعصينا يعني سمعنا قولك وعصينا امرك
وذلك انهم كانوا اذا امرهم النبي صلى الله عليه وسلم بشي قالوا
في الظاهر سمعنا وقالوا في الباطن عصينا وقيل انهم كانوا يظهرون
ذلك القول عنادا واستخفافا واسمع غير مسمع هذه كلمة تحتمل
المدح والذم فاما معناها في المدح اسمع غير مسمع مكروها واما
معناها في الذم فانهم كانوا يقولون اسمع منا ولا نسمع منك
وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اسمع ثم يقولون
في انفسهم لا سمعت وقيل معناه غير مقبول منك ما تدعوا اليه وقيل
معناه غير مسمع جوابا يوافقك ولا كلاما ترتضيه وراعنا اي ويقولون
راعنا يريدون بذلك نسبته الى الرعونة وقيل معناه ارعنا سمعك اي
اصرف سمعك الى كلامنا وانصت الى قولنا ومثل هذا لا يخاطب به
الانبيا بل انما يخاطبون بالاجلال والتعظيم والتفخيم والتبجيل ليا
بالسنتهم وطعنا في الدين اصله لويا لانه من لويت الشي اذا فتلته
والمعنى انهم يفتلون الحق فيجعلونه باطلا لان راعنا من المراعاة فيجعلو
من الرعونة وكانوا يقولون لاصحابه انما نشتمه ولا يعرف ولو كان نبيا
لعرف ذلك فاظهره الله تعالى على خبث ضمايرهم وما في قلوبهم من
العداوة ثم قال تعالى ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا يعني ولو انهم قالوا
بدل سمعنا وعصينا سمعنا واطعنا واسمع يعني بدل قولهم لا سمعت
وانظرنا يعني بدل قولهم راعنا اي انظر الينا لكان خيرا لهم يعني
عند الله واقوم يعني اعدل واصوب ولكن لعنهم الله بكفرهم يعني طردهم
الله وابعدهم من رحمته يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم فلا يومنون الا
الا قليلا الا نفر قليل مثل عبد الله بن سلام واصحابه وقيل اراد بذلك
القليل هو اعترافهم بان الله خلقهم ورزقهم قوله تعالى يايها الذين
اوتوا الكتاب خطاب لليهود امنوا بما نزلنا يعني القران مصدقا لما
معكم يعني التورية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم احبار اليهود
عبد الله بن صوريا وكعب بن الاشرف فقال يا معشر اليهود اتقوا الله
واسلموا فوالله انكم لتعلمون ان الذي جيتكم به لحق قالوا ما نعرف
ذلك واصروا على الكفر فانزل الله عز وجل هذه الاية وامرهم بالايمان

وقرن بهذا الامر الوعيد الشديد فقال تعالى **من قبل ان نطمس**
وجوها اصل الطمس ازالة الاثر بالمحو وذكروا في المراد بالطمس
هاهنا وجهين احدهما ان يحمل على حقيقته والثاني ان يحمل على مجازه
اما من حمله على الحقيقة فقال هو محو تخطيط صور الوجوه قال
ابن عباس يجعلها كخف البعير وقيل نعميها فيكون المراد بالوجه
العين **فنردها على ادبارها** يعني فنجعلها على هيئة ادبارها
وهي الاقفا وقيل نديرها فنجعل الوجوه الى خلف والاقفا الى قدام
وانما جعل الله هذا عقوبة لهم لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة
والفضيحة وعند هذا يحصل لهم الغم وتكثر الحسرات فعلى هذا يكون
هذا الوعيد مختص بيوم القيمة واما من حمل الطمس على المجاز فقال
المراد به نطمسها عن الهدى فنردها على ادبارها يعني على ضلالتها
وقيل المراد بالطمس طمس القلب والبصيرة فنردها على ادبارها
يعني بتغير احوالهم فنلبسهم الصغار والذلة بعد العز وقيل المراد
بالطمس محو اثارهم من المدينة وردهم الى اذرعات واريحا من ارض
الشام من حيث جاؤا هو اجلا بني النضير فان قلت قد اوعدهم
وهددهم بطمس الوجوه ان لم يومنوا ولم يومنوا فلم يفعل بهم ذلك
قلت هذا الاشكال انما يرد على من فسر الطمس بتغير الوجوه ومحو
تخطيطها وحمله على الحقيقة والجواب عنه ان هذا مشروط بعدم الايمان
وقد امن منهم ناس فرفع عن الباقين روي ان عبد الله بن سلام لما
سمع هذه الاية جا الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتي اهله فاسلم
وقال يا رسول الله ما كنت اري ان اصل اليك حتى يحول وجهي الى قفاي
وكذلك روي عن كعب الاحبار انه لما سمع هذه الاية في خلافة عمر بن
الخطاب اسلم وقال يا رب اسلمت مخافة ان يصيبني وعيد هذه
الاية فكان هذا الوعيد مشروطا بان لا يومن احد منهم وهذا الشرط لم
يوجد لانه امن منهم جمع كثير في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله
ابن سلام واصحابه ففات الشرط لفوات المشروط وقيل ان الطمس باق
في اليهود فيكون بينهم طمس ومسخ قبل يوم القيمة وقيل انه تعالى
جعل الوعيد باحد شيين اما بالطمس او باللعنة وهو قوله تعالى
او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت اي نجعلهم قردة كما فعلنا باوايلهم
وقيل المراد من لعنتهم الطرد والابعاد من الرحمة والكناية في نلعنهم
تعود الى المخاطبين من قوله يا ايها الذين اوتوا الكتاب وهذا على
طريقة الالتفات كما في قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم
وقد يحتمل ان يكون معناه من قبل ان نطمس وجوها ونلعن اصحاب

الوجوه اذا كان في الكلام دلالة عليهم وقوله تعالى **وكان امر الله مفعولا**
يعني لا بد وان يقع بهم ذلك ان لم يومنوا فلا راد لحكمه ولا ناقض لامره
على معنى انه لا يمتنع عليه شي يريد ان يفعله وقيل معناه وكان مامور
الله مفعولا والامر هنا في موضع المامور سمي امرا لانه عن امره كان
والمعنى وكان امر الله مفعولا **قوله عز وجل ان الله لا يغفر**
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا قال ابن جرير الطبري معناه
يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا فان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فعلى هذا يكون في الاية دلالة على ان
اليهودي يسمى مشركا في عرف الشرع وقيل ان الاية نزلت في وحشي
واصحابه وذلك لما قتل حمزة رضي الله عنه ورجع الى مكة ندم هو
واصحابه فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على
ما صنعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام الا انا سمعناك بمكة تقول
والذين لا يدعون مع الله الها اخر الى اخر الايات وقد دعونا مع الله
الها اخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه الايات لاتبعناك
فنزلت الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا الايتين فبعث بهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما قراوها كتبوا اليه ان هذا
شرط شديد ونخاف الا نعمل عملا صالحا فنزلت ان الله لا يغفر ان
يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فبعث بها اليهم فبعثوا انا
نخاف ان لا نكون من اهل المشية فنزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم الاية فبعث بها اليهم فدخلوا في الاسلام ورجعوا الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقبل منهم ثم قال لوحشي اخبرني كيف قتلت
حمزة فلما اخبره قال ويحك غيب وجهك عني فلحق بالشام فكان به
الى ان مات وقيل لما نزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
الاية قام رجل فقال يا رسول الله والشرك فسكت ثم قام اليه مرتين
او ثلاثا فنزلت هذه الاية ومعنى الاية ان الله لا يغفر لمشرك مات
على شركه ويغفر ما دون ذلك لمن يشا يعني ويغفر ما دون الشرك
لمن يشا من اصحاب الذنوب والاثام ففي الاية دليل على ان صاحب
الكبيرة اذا مات من غير توبة فانه في خطر المشية ان شا عفى عنه
وادخله الجنة بفضله وكرمه وان شا عذبه بالنار ثم يدخله الجنة
برحمته واحسانه لان الله تعالى وعد المغفرة لما دون الشرك فان مات
على الشرك فهو مخلد في النار لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وفي الاية رد على المعتزلة والقدرية
حيث قالوا لا يكون في الحكمة ان يغفر لصاحب كبيرة وعند اهل السنة

ان الله تعالى يفعل ما يشا لا مكره له ولا حجر عليه ويدل على ذلك
ايضا ما روى عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت
هذه الاية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا
فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس لعمر بن الخطاب يا امير المومنين
الرجل يعمل من الصالحات لم يدع من الخير شيا الا عمله غير انه مشرك
قال عمر هو في النار فقال ابن عباس الرجل لم يدع شيا من الشر الا
عمله غير انه لم يشرك بالله شيا قال عمر الله اعلم قال ابن عباس
انى لارجو له كما انه لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد
ذنب فسكت عمر عن علي بن ابي طالب قال ما في القران احب الي من
هذه الاية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب م عن جابر قال جا اعرابي
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان
قال من مات لا يشرك بالله شيا دخل الجنة ومن مات يشرك
به دخل النار وقوله تعالى **ومن يشرك بالله** يعني يجعل معه شريكا غيره
فقد افترى اي اختلق **اثما عظيما** يعني ذنبا عظيما غير مغفور ان
مات عليه قوله تعالى **الم تر الى الذين يزكون انفسهم** نزلت في رجال
من اليهود اتوا باطفالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد
هل على هولا من ذنب قال لا قالوا ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار
يكفر عنا بالليل وما عملناه بالليل يكفر عنا بالنهار فانزل الله تعالى
هذه الاية وقيل نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا نحن ابناء
الله واحباؤه وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
والتزكية هنا عبارة عن مدح الانسان نفسه بالصلاح والدين
ومنه تزكية الشاهد حتى يصير عدلا فان الله تعالى فلا تزكوا انفسكم
هو اعلم بمن اتقى وذلك لان التزكية متعلقة بالتقوى وهي صفة في
الباطن فلا يعلم حقيقتها الا الله تعالى ولا تصلح التزكية الا من عند
الله فلهذا قال الله تعالى بل الله يزكي من يشا ويدخل في هذا المعنى
كل من زكى نفسه بصلاح او وصفها بزكاء العمل وبزيادة الطاعة
والتقوى وبزيادة الزلفى عند الله وهذه الاشيا لا يعلمها الا الله
تعالى فلهذا قال فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى ومعنى يزكون
انفسهم يزعمون انهم ازكيا لانهم بروا انفسهم من الذنوب فقال الله
تعالى ردا عليهم **بل الله يزكي من يشا** فيجعله زاكيا **ولا يظلمون فتيلا**
يعني ان الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تلك التزكية من غير ظلم

وقيل

وقيل معناه ان الذين زكاهم الله لا ينقصون من ثواب طاعتهم شيا
والفتيل المفتول سمي ما يكون في شق النواة فتيلا لكونه على هيئته وقيل
الفتيل هو ما تفتله بين اصابعك من وسخ وغيره وتضرب به المثل في
الشي الحقير الذي لا قيمة له **انظر** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم انظر
يا محمد الى هولا اليهود **كيف يفترون على الله الكذب** يعني قولهم انهم
لا ذنوب لهم وتزكيتهم انفسهم **وكفى به** اي بذلك الكذب **اثما مبينا**

قوله عز وجل **الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يومنون
بالجبت والطاغوت** نزلت في كعب بن الاشرف وسبعين راكبا من
اليهود قدموا مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزل كعب بن الاشرف على ابي سفين فاحسن مثواه
ونزل باقي اليهود على قريش في دورهم فقال اهل مكة انتم اهل كتاب
ومحمد صاحب كتاب ولا نامن ان يكون هذا مكرا منكم فان اردتم ان نخرج
معكم فاسجدوا لهذين الصنمين ففعلوا ذلك فذلك قوله تعالى
يومنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب بن الاشرف لاهل مكة ليجي
منكم ثلاثون رجلا ومنا ثلاثون فنلزق اكبادنا بالكعبة فنعاهد
رب هذا البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ثم قال ابو سفين لكعب
ابن الاشرف انك امرو تقرا الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا
اهدى سبيلا نحن ام محمد فقال كعب اعرض علي دينكم فقال ابو سفين
نحن ننحر للحجيج الكوما ونسقيهم الما ونقري الضيف ونفك العاني
ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق دين
ابايه وقطع الرحم وفارق الحرم ودينا القديم ودين محمد الحديث فقال
كعب انتم والله اهدى سبيلا مما عليه محمد فانزل الله الم تر يعني يا
محمد الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني كعب بن الاشرف واصحابه
اليهود يومنون بالجبت والطاغوت يعني به سجودهم للصنمين واختلف
العلما فيهما فقيل الجبت والطاغوت كل معبود دون الله عز وجل
وقيل هما صنمان كانا لقريش وهما اللذان سجد اليهود لهما لمرضاة
قريش وقيل الجبت اسم للاصنام والطاغوت شياطين الاصنام ولكل
صنم شيطان يعبر عنها ويكلم الناس فيغترون بذلك وقيل الجبت الكاهن
والطاغوت الساحر عن قطن بن قبيصة عن ابيه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت
اخرجه ابو داود وقال الطرق الزجر والعيافة الخط وقيل العيافة
هو زجر الطير وذلك ان اهل الجاهلية كان احدهم اذا خرج لامر زجر

طيرا فان اخذت ذات اليمين مضى في حاجته وان اخذت ذات الشمال
رجع فنهوا عن ذلك والطرق هو ضرب الحجارة والحصى على طريق
الكهانة فنهوا عنه والطير هو ان يتطير بالشي فيرى الشوم فيه
والشر منه وقيل من التطير وهو زجر الطاير والخط هو ضرب
الرمل لاستخراج الضمير وقيل الجبت كل ما حرم الله تعالى ه
والطاغوت كل ما يطغي الانسان وقيل الجبت حيي بن اخطب ه
والطاغوت كعب بن الاشرف اليهوديان وكانا طاغية اليهود
ويقولون يعني كعب بن الاشرف واصحابه **للذين كفروا** يعني لكفار
قريش **هولا** يعني انتم يا هولا **اهدي من الذين امنوا سبيلا** يعني
طريقا **اوليك الذين لعنهم الله** يعني كعب بن الاشرف واصحابه
ومن يلعن الله يعني يطرده من رحمته **فلن تجد له نصيرا** يعني
ينصره قوله تعالى **ام لهم نصيب من الملك** هذا استفهام انكار
يعني ليس لهم من الملك شي البتة وذلك ان اليهود كانوا يقولون
نحن اولى بالملك والنبوة فكيف نتبع العرب فاكذبهم الله تعالى
وابطل دعواهم **فاذا لا يؤتون الناس نقيرا** هذا هو جواب الجزاء
مضمر تقديره ولين كان لهم نصيب وحظ من الملك فلا يوتون
الناس منه نقيرا وصفهم بالبخل في هذه الاية ووصفهم بالجهل في الاية
المتقدمة ووصفهم بالحسد في الاية الاتية وهذه الخصال كلها مذمومة
فكيف يدعون الملك وهي حاصلة فيهم والنقير هي النقطة التي تكون
على ظهر النواة ومنها تنبت النخلة ويضرب به المثل في الشي الحقير
التافه الذي لا قيمة له **قوله عز وجل** **ام يحسدون الناس
على ما اتاهم الله من فضله** اصل الحسد تمني زوال النعمة عن من
هو مستحق لها وربما يكون ذلك مع سعي في زوالها ووصف الله
اليهود بشر خصلة وهي الحسد والمراد بالناس محمدا صلى الله عليه
وسلم وحده وانما جاز ان يقع عليه لفظ الجمع وهو واحد لانه صلى الله
عليه وسلم اجتمع فيه من خصال الخير والبركة ما لا يجتمع مثله في
جماعة ومن هذا القبيل يقال فلان امة وحده يعني انه يقوم مقام
امة وقيل المراد بالناس النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لان
لفظ الناس جمع وحمله على الجمع اولى والمراد بالفضل النبوة لانها
اعظم المناصب واشرف المراتب وقيل حسدوه على ما احل الله له
من النسا وكان له يوميذ تسع نسوة فقالت اليهود لو كان نبيا
لشغله امر النبوة عن الاهتمام بامر النسا فاكذبهم الله ورد عليهم
بقوله **فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة** يعني انه قد حصل في اولاد

ابراهيم

ابراهيم صلى الله عليه وسلم جماعة كثيرون جمعوا بين الملك والنبوة
مثل داود وسليمان عليهما السلام فلم يشغلهم الملك عن امر النبوة
والمعنى كيف تحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم على ما اتاه الله من
فضله وقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة وانتم لا تحسدونهم
والمراد بالكتاب التورية وبالحكمة النبوة **واتيناهم ملكا عظيما** يعني
فلم يشغلهم عن النبوة فمن فسر الفضل بكثرة النسا فسر الملك العظيم
في حق داود وسليمان بكثرة النسا فانه كان لداود ماية ولسليمان
الف امراة ثلثماية حرة وسبعماية سرية ولم يكن لرسول الله صلى
الله عليه وسلم يوميذ الا تسع نسوة ولما لم يكن ذلك مستبعدا
في حقهم ولا نقصا في نبوتهم فلا يكون مستبعدا في حق محمد صلى الله
عليه وسلم ولا نقصا في نبوته **فمنهم** يعني من اليهود **من امن به**
بالنبي صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه كعبد الله بن سلام واصحابه
ومنهم من صد عنه اي اعرض عنه ولم يومن **وكفى بجهنم سعيرا**
يعني وكفى في عذاب من لم يومن بالنبي صلى الله عليه وسلم سعيرا
قوله تعالى **ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا** هذا وعيد
من الله عز وجل للذين اقاموا على كفرهم وتكذيبهم بما انزل الله
على محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود وغيرهم من ساير الكفار
والمعنى ان الذين جحدوا ما انزلت على رسولي محمد من اياتي الدالة
على توحيدي وصدق رسولي محمد صلى الله عليه وسلم سوف نصليهم
نارا اي ندخلهم نارا نشويهم فيها **كلما نضجت جلودهم** يعني احترقت
بدلناهم جلودا غيرها يعني غير الجلود المحترقة قال ابن عباس
يبدلون جلودا بيضا كامثال القراطيس وروي ان هذه الاية
قريت عند عمر بن الخطاب فقال عمر للقاري اعدها فاعادها وكان
عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل في كل ساعة
ماية مرة فقال عمر هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذكره البغوي بغير سند وقال الحسن تاكلهم النار في كل يوم سبعين
الف مرة **ق** عن ابي هريرة يرفعه ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة
ثلاثة ايام للراكب المسرع **م** عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ضرس الكافر او قال ناب الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة
ثلاثة ايام فان قلت كيف تعذب جلود لم تكن في الدنيا ولم
تعص قلت يعاد الجلد الاول في كل مرة وانما قال جلودا غيرها
لتبدل صفتها كما تقول صغت من خاتمي خاتما غيره فالثاني هو
الاول غير ان الصناعة بدلت الصفة وقيل ان العذاب للجملة الحساسة

وهي النفس التي عصت واذا كان كذلك فغير مستحيل ان يخلق
الله للكافر في كل ساعة من الجلود ما لا تحصى لتحترق ويصل المها
اليه وقيل المراد بالجلود السرابيل وهو قوله سرابيلهم من قطران
والمعنى كلما نضجت سرابيلهم واحترقت بدلناهم سرابيل من
قطران غيرها لان الجلود لو احترقت لفنيت وفي فنايها راحتها
وقد اخبر الله عنهم انهم لا يموتون فيها ولا يخفف عنهم من عذابها
ولان الجلد احد اجزا الجسم فثبت ان التبديل انما هو للسرابيل
وقيل يبدل الجلد من نفس الكافر فيخرج من لحمه جلدا وقيل ان الله
تعالى يلبس اهل النار جلود الانام لتكون زيادة في عذابهم كلما
احترق جلد بدلهم جلدا غيره وقوله تعالى **ليذوقوا العذاب** اي
انما فعلنا بهم ذلك ليجدوا الم العذاب وكربه وشدته وانما اتى
بلفظ الذوق مع ما ينالهم من عظم العذاب الذى نالوه اخبارا
بان احساسهم به في كل حال كاحساس الذايق في تجديد وجدان
الذوق من غير نقصان في الاحساس **ان الله كان عزيزا** يعني في
انتقامه ممن ينتقم من خلقه لا يغلبه شي ولا يمتنع عليه احد **حكيما**
يعني في تدبيره وقضايه وانه لا يفعل الا ما هو الصواب **والذين
امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم** يعني سوف ندخلهم يوم القيمة
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها يعني باقين فيها
ابدا يعني ذلك الخلود بغير نهاية ولا انقطاع **لهم فيها** يعني
في الجنات **ازواج مطهرة** يعني مطهرات من الحيض والنفاس وساير
اقذار الدنيا **وندخلهم ظلا ظليلا** يعني كنينا ذلك الظل لا ينسخه
الشمس ولا يوذيهم فيه حر ولا برد وذلك الظل هو ظل الجنة فان
قلت اذا لم يكن في الجنة شمس يوذي حرها فما فايدة وصفها
بالظل الظليل قلت انما خاطبهم بما يعقلون ويعرفونه وذلك
لان بلاد العرب في غاية الحرارة فكان الظل عندهم من اعظم اسباب
الراحة واللذاذة فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قوله
عز وجل **ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها** قال البغوي
نزلت في عثمن بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار وكان سادن الكعبة
فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح اغلق عثمن باب
باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم
المفتاح فقيل له انه مع عثمن فطلب منه فابى وقال لو علمت انه
رسول الله لم امنعه المفتاح فلوى علي بن ابي طالب يده واخذ
منه المفتاح وفتح الباب ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم

البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح وان
يجمع له بين السقاية والسدانة فانزل الله هذه الاية فامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليا ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل
ذلك فقال له عثمان اكرهت ثم جيت ترفق فقال علي لقد انزل الله عز
وجل في شانك قرانا وقرا عليه الاية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا
الله وان محمدا رسول الله فكان المفتاح معه الى ان مات فدفعه الى
اخيه شيبة فالمفتاح والسدانة في اولادهم الى يوم القيمة قلت وفيما ذكره
البغوي رحمه الله من اسلام عثمان بن طلحة يوم الفتح ومنعه المفتاح وقوله
لو اعلم انه رسول الله لم امنعه المفتاح نظر والصحيح ما حكاه ابو عمر ابن
عبد البر وابن مندة وابن الاثير ان عثمان بن طلحة هاجر الى المدينة في
هدنة الحديبية سنة ثمان مع خالد بن الوليد ولقيهما عمرو بن العاص مقبلا
من عند النجاشي فوافقهما وهاجر معهما فلما راهم النبي صلى الله عليه
وسلم قال رمتكم مكة بافلاذ كبدها يعني انهم وجوه اهل مكة فاسلموا وسلم
عثمان بن طلحة المفتاح الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فرده النبي
صلى الله عليه وسلم وقال خذوها يا بني طلحة خالدة مخلدة لا ينزعها
منكم الا ظالم ولم يذكروا سوال العباس السدانة والله اعلم وثبت في
الصحيحين من حديث ابن عمر قال اقبل النبي صلى الله عليه وسلم عام
الفتح وهو مردف اسامة على القصوى ومعه بلال وعثمان حتى
اناخ عند البيت ثم قال لعثمان اتنا بالمفتاح فجاه بالمفتاح ففتح
الباب وذكر الحديث وذكر ابن الجوزي في تفسير هذه من رواية ابي
صالح عن ابن عباس قال ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طلب
مفتاح البيت من عثمان بن طلحة فذهب ليعطيه اياه فقال العباس
بابي انت وامي اجمعه لي مع السقاية فكف عثمان يده مخافة ان يعطيه
العباس فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح فاعاد العباس
قوله وكف عثمان يده فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح
ان كنت تومن بالله واليوم الاخر فقال هاكه يا رسول الله بامانة الله
فاخذ المفتاح ففتح البيت ونزل جبريل بهذه الاية فدعى عثمان ودفعه
اليه ففي هذه الرواية ايضا ما يدل على تقدم عثمان بن ابي طلحة على فتح
مكة لان قوله صلى الله عليه وسلم لعثمان ان كنت تومن بالله واليوم
الاخر ما يدل على ذلك فعلى هذا القول يكون الخطاب في قوله ان الله
يامركم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ان الله عز وجل امره ان يرد
مفتاح البيت الى عثمان بن طلحة وقيل الخطاب في قوله ان الله يامركم
ان تودوا الامانات الى اهلها لولاة امور المسلمين من الامرا والحكام وغيرهم

فاسلم هو

ويدل عليه سياق الاية وهو قوله واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا
بالعدل ومعنى الاية ان الله يامركم يا ولاة الامور ان تودوا ما ايتمنكم
عليه من امور رعيتكم وان توفوهم حقوقهم وان تعدلوا بينهم وقيل
ان الاية عامة في جميع الامانات وهو لا يمنع من خصوص السبب عموم
الحكم فيدخل في ذلك جميع الامانات التي حملها الانسان وينقسم ذلك
الى ثلاثة اقسام القسم الاول رعاية الامانة في عبادة الله عز وجل
وهو فعل المامورات وترك المنهيات قال ابن مسعود الامانة لازمة
في كل شي حتى في الوضوء والغسل من الجنابة والصلاة والزكاة والصوم
وساير انواع العبادات القسم الثاني وهو رعاية الامانة مع نفسه
وهو ما انعم الله به عليه من ساير اعضايه فامانة اللسان حفظه من
الكذب والغيبة والنميمة ونحو ذلك واما العين غضها عن المحارم
وامانة السمع ان لا يشتغل بسماع شي من اللهو والفحش والاكاذيب
ونحوه ثم ساير الاعضا على نحو ذلك القسم الثالث هو رعاية
امانة العبد مع ساير عباد الله تعالى فيجب عليه رد الودايع والعواري
الى اربابها الذي ايتمنوه عليها ولا يخونهم فيها عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ايتمنك ولا
تخن من خانك اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب
ويدخل في ذلك وفا الكيل والميزان فلا يطفف فيهما ويدخل في ذلك
ايضا عدل الامرا والملوك في الرعية ونصح العلما للعامة فكل هذه
الاشيا من الامانات التي امر الله عز وجل باداها الى اهلها وروي
البغوي بسنده عن انس قال قل ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا قال لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له وقوله تعالى
واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل يعني وان الله يامركم ان تحكموا
بين الناس بالعدل فيجب على الحاكم ان ياخذ الحق ممن وجب عليه
لمن وجب له واصل العدل هو المساواة في الاشيا فكل ما خرج عن
الظلم والاعتدا سمي عدلا قال بعض العلما ينبغي للقاضي ان يسوي
بين الخصمين في خمسة اشيا في الدخول عليه والجلوس بين يديه
والاقبال عليهما والاستماع منهما والحكم في الحق فيما لهما وعليهما
وحاصل الامر فيه ان يكون مقصود الحاكم بحكمه ايصال الحق الى مستحقه
وان لا يمتزج ذلك بغرض اخر **م** عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر
من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم
واهليهم وما ولوا عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم احب الناس الى الله يوم القيمة وادناهم عنده مجلسا
امام عادل وابغض الناس الى الله وابعدهم منه مجلسا امام جاير اخرجه
الترمذي وقوله تعالى **ان الله نعما يعظكم به** اي نعم الشي الذي يعظكم
به وهو ادا الامانات والحكم بالعدل **ان الله كان سميعا بصيرا** يعني
انه تعالى سميع لما تقولون وبصير لما تفعلون فاذا حكمتم فهو يسمع حكمكم
واذا اديتم الامانة فهو يبصر فعلكم قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا
اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ق** عن ابن عباس
قال نزلت قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم الاية
في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي اذ بعثه رسول
الله صلى الله عليه وسلم في سرية وقال السدي نزلت في خالد بن
الوليد وذلك انه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية
وفيها عمار بن ياسر فلما قربوا من القوم هربوا منهم وجا رجل الى عمار
قد اسلم فامنه عمار فرجع الرجل فجا خالد فاخذ مال الرجل فقال عمار
اني قد امنته وقد اسلم فقال خالد اتجير علي وانا الامير فتنازعا
وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجاز امان عمار ونهاه
ان يجير الثانية على امير فانزل الله واطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم واصل الطاعة الانقياد وهو امتثال الامر فطاعة
الله عز وجل امتثال امره فيما امر والانقياد لذلك الامر وطاعة الله
واجبة على كافة الخلق وكذا طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
واجبة ايضا لقوله تعالى واطيعوا الرسول فاوجب طاعة رسول الله
صلى الله عليه وسلم على الخلق واختلف العلما في اولي الامر الذين
اوجب الله طاعتهم بقوله واولي الامر منكم قال ابن عباس وجابر
هم الفقها والعلما الذين يعلمون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن
والضحاك ومجاهد وقال ابو هريرة الامرا والولاة وهي رواية عن ابن
عباس ايضا قال علي بن ابي طالب حق على الامام ان يحكم بما انزل الله
ويودي الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا
ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطاعني
فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد
اطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني **ق** عن ابن عمر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال على المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب او كره
الا ان يومر بمعصية فان امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة **خ** عن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسمعوا واطيعوا وان استعمل
عليكم عبد حبشي كان راسه زبيبة ما اقام فيكم كتاب الله وقال يمون

ابن مهران هم امرا السرايا والبعوث وهي رواية عن ابن عباس ايضا
ووجه هذا القول ان الاية نازلة فيهم وقال عكرمة اراد باولي
الامر ابابكر وعمر لما روى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اني لا ادري ما بقاي فيكم فاقتدوا بالذين من
بعدي ابي بكر وعمر اخرجه الترمذي وقيل هم جميع الصحابة لما
روى عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم
بايهم اقتديتم اهتديتم اخرجه رزين في كتابه وروى البغوي بسنده
عن الحسن عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
اصحابي في امتي كالملح في الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح قال
الحسن فقد ذهب ملحنا فكيف نصلح قال الطبري واولى الاقوال
بالصواب قول من قال هم الامرا والولاة لصحة الاخبار عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالامر بطاعة الايمة والولاة فيما كان لله عز
وجل طاعة وللمسلمين مصلحة وقال الزجاج وجملة اولي الامر من
يقوم بشان المسلمين في امر دينهم وجميع ما ادى اليه صلاحهم قال
العلما طاعة الامام واجبة على الرعية مادام على الطاعة فاذا
زال الكتاب والسنة فلا طاعة له وانما تجب طاعته فيما وافق الحق
قوله تعالى فان تنازعتم في شي يعني اختلفتم في شي من امر دينكم والتنازع
اختلاف الارا واصلها انتزاع الحجة وهو ان كل واحد من المتنازعين
ينتزع الحجة لنفسه فردوه الى الله والرسول اي ردوا ذلك الامر الذي
تنازعتم فيه الى كتاب الله عز وجل والى رسول الله صلى الله عليه
وسلم مادام حيا وبعد وفاته فردوه الى سنته والرد الى كتاب الله
وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب فان وجد ذلك الحكم
في كتاب الله اخذ به فان لم يوجد في كتاب الله ففي سنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فان لم يوجد في السنة فسبيله الاجتهاد وقيل الرد
الى الله ورسوله ان يقول لما لا يعلم الله ورسوله اعلم ان كنتم تومنون
بالله واليوم الاخر يعني افعلوا ذلك الذي امرتكم به ان كنتم تومنون
بالله وان طاعته واجبة عليكم وتومنون بالمعاد الذي فيه جزاء
الاعمال قال العلما في الاية دليل على ان من لا يعتقد وجوب طاعة
الله وطاعة الرسول ومتابعة السنة والحكم بالاحاديث الواردة عن
النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون مومنا بالله واليوم الاخر ذلك خير
يعني رد الحكم الى الله ورسوله خير واحسن تاويلا يعني واحمد عاقبة
وقيل معناه ذلك ان ردكم ما اختلفتم فيه الى الله ورسوله احسن تاويلا
منكم له واعظم اجرا قوله تعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل

اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد
امروا ان يكفروا به قال ابن عباس نزلت في رجل من المنافقين يقال
له بشر كان بينه وبين يهودي خصومة فقال اليهودي ننطلق الى محمد
وقال المنافق ننطلق الى كعب بن الاشرف وهو الذي سماه الطاغوت
فابى اليهودي ان يخاصمه الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راى
المنافق ذلك اتى معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق
وقال انطلق بنا الى عمر فاتيا عمر فقال اليهودي اختصمت انا وهذا
الى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضايه وزعم وزعم انه مخاصمي اليك
فقال عمر للمنافق اكذلك قال نعم فقال لهما عمر رويدا حتى اخرج اليكما
فدخل عمر البيت واخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب به
المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي بين من لم يرض بقضا الله وقضا
رسول الله فنزلت هذه الاية وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق
والباطل فسمي الفاروق وقال السدي كان ناس من اليهود قد
اسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير في الجاهلية وكانت
قريظة حلفا الخزرج والنضير حلفا الاوس وكان اذا قتل رجل من
بني قريظة رجلا من بني النضير قتل به او اخذ ديته مائة وسق من
تمر واذا قتل رجل من النضير رجلا من قريظة لم يقتل به واعطى
ديته ستون وسقا فلما جا الاسلام وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم
الى المدينة قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فاختصموا في ذلك
فقال بنو النضير كنا وانتم قد اصطلحنا على ان نقتل منكم ولا تقتلوا
منا وديتنا مائة وسق وديتكم ستون وسقا فنحن نعطيكم ذلك
فقالت الخزرج هذا شي كنتم فعلتموه في الجاهلية لكثرتكم وقلتنا
فقهرتمونا على ذلك فاليوم نحن اخوة في الدين فلا فضل لكم علينا
فقال المنافقون منكم ننطلق الى ابي بردة الكاهن الاسلمي وقال المسلمون
من الفريقين بل ننطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى المنافقون
وانطلقوا الى ابي بردة الكاهن ليحكم بينهم فقال اطعموا اللقمة يعني
الخطر فقالوا لك عشرة اوسق فقال لا بل مائة وسق ديتي فابوا ان يعطوه
الا عشرة اوسق وابى ان يحكم بينهم وانزل الله عز وجل القصاص وانزل
هذه الاية الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل
من قبلك الزعم والزعم بضم الزاي وفتحها لغتان واكثر ما يستعمل
الزعم بمعنى القول الذي لا يتحقق وقيل هو حكاية قول يكون مظنة
للكذب ولهذا قيل زعم مطية الكذب والمراد به في هذه الاية الكذب

لان الاية نازلة في المنافقين وظاهر الاية يدل على انها نازلة في الذين
نافقوا من مؤمني اهل الكتاب ويدل عليه قوله امنوا بما انزل اليك
وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت يعني كعب بن
الاشرف في قول ابن عباس سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان
وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو ابو بردة الكاهن في
قول السدي وقد امروا ان يكفروا به يعني الطاغوت لان الكفر
بالطاغوت ايمان بالله عز وجل **ويريد الشيطان ان يضلهم** يعني عن
طريق الهدى والحق **ضلالا بعيدا واذا قيل لهم** يعني للمنافقين
تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول يعني هلموا الى حكم الله الذي
انزله في كتابه والى الرسول ليحكم بينكم به **رايت المنافقين يصدون**
عنك صدودا يعني يعرضون عنك وعن حكمك اعراضا واي اعراض
وانما اعرض المنافقون عن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم
علموا انه صلى الله عليه وسلم يحكم بينهم بالحق الصريح ولا يقبل الرشى
قوله عز وجل **فكيف اذا اصابتهم مصيبة** يعني فكيف حال
هولاء المنافقين وكيف يصنعون اذا اصابتهم مصيبة **بما قدمت**
ايديهم اي بسبب ما قدمت ايديهم وهو التحاكم الى غير رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهذا وعيد لهم على سوء صنيعهم ورضاهم بحكم
الطاغوت دون حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المصيبة
هي قتل عمر لذلك المنافق وقيل هي كل مصيبة تصيب المنافقين
في الدنيا والاخرة **ثم جاؤك** يعني المنافقين حين تصيبهم المصائب
يعتذرون اليك **يحلفون بالله ان اردنا** اي ما اردنا بتحاكمنا الى
غيرك **الا احسانا** يعني في التحاكم الى غيرك لا اساءة **وتوفيقا**
يعني بين الخصمين لا مخالفة لك في حكمك وقيل جاء اولياء المنافق
الذي قتله عمر يطلبون ديته وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان
يحسن الى صاحبنا في حكمه ويوفق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا
انه يحكم بما حكم به من قتل صاحبنا فاهدر الله دم ذلك المنافق
اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم يعني من النفاق **فاعرض عنهم**
يعني عن عقوبتهم وقيل عن قبول عذرهم **وعظهم** يعني باللسان والمراد
زجرهم بالوعظ عن النفاق والكفر والكذب وتخويفهم بعذاب الاخرة
وقل لهم في انفسهم قولا بليغا يعني بليغا يوثر في قلوبهم موقعه وهو
التخويف بالله عز وجل وقيل هو ان يوعدهم بالقتل ان لم يتوبوا من
النفاق وقيل هو ان يقول لهم ان اظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم
لان هذا القول بليغ في نفوسهم كل مبلغ وقيل معناه فاعرض عنهم في الملا

وقل

وقل لهم في انفسهم اذا خلوت بهم قولا بليغا اي اغلظ لهم في القول
خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها في السر انجح وقيل
هذا الاعراض منسوخ باية القتال وقد تكلم العلماء في حد البلاغة
فقال بعضهم ايصال المعنى الى الفهم في احسن صورة من اللفظ وقيل
البلاغة حسن العبارة مع صحة المعنى وقيل البلاغة سرعة الايجاز
مع الافهام وحسن التصرف من غير اضجار وقيل احسن الكلام ما قلت
الفاظه وكثرت معانيه وقيل خير الكلام ما شوق اوله الى سماع اخره
وقيل لا يستحق الكلام اسم البلاغة الا اذا سابق لفظه معناه ومعناه
لفظه ولم يكن لفظه الى السمع اسبق من معناه الى القلب وقيل المراد
بالقول البليغ في الاية ان يكون حسن الالفاظ وحسن المعاني مشتملا
على الترغيب والترهيب والاعذار والانذار والوعد والوعيد
بالثواب والعقاب فان الكلام اذا كان كذلك عظم وقعه في القلوب
واثر في النفوس قوله تعالى **وما ارسلنا من رسول** قال الزجاج لفظ
من هنا صلة مؤكدة والمعنى وما ارسلنا رسولا **الا ليطاع باذن**
الله يعني بامر الله والمعنى انما وجبت طاعة الرسول بامر الله
لان الله اذن في ذلك وامر به وقيل معناه بعلم الله وقضائه اي
طاعته تكون باذن الله لانه اذن فيه فتكون طاعة الرسول طاعة الله
ومعصيته معصية الله والمعنى وما ارسلنا من رسول الا فرضت
طاعته على من ارسلته اليهم وانت يا محمد من الرسل الذي فرضت
طاعته على من ارسلتك اليهم ففيه توبيخ وتقريع للمنافقين الذين تركوا
حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضوا بحكم الطاغوت **ولو انهم**
اذ ظلموا انفسهم يعني الذين تحاكموا الى الطاغوت ظلموا انفسهم بالتحاكم
اليها **جاؤك** يعني جاؤك تائبين من النفاق والتحاكم الى الطاغوت
متنصلين مما ارتكبوا من المخالفة **فاستغفروا الله** يعني من ذلك
الذنب بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذائك برد حكمك
والتحاكم الى غيرك **واستغفر لهم الرسول** يعني من مخالفته والتحاكم
الى غيره وانما قال واستغفر لهم الرسول ولم يقل واستغفرت لهم اجلالا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتفخيما له وتعظيما لاستغفاره وانهم
اذا جاؤه فقد جاؤا من خصه الله برسالته وجعله شفيعا بينه وبين
خلقه ومن كان كذلك فان الله تعالى لا يرد شفاعته فلهذا السبب
عدل الى طريقة الالتفات من لفظ الخطاب الى لفظ الغيبة **لوجدوا الله**
توابا رحيما يعني لو انهم تابوا من ذنوبهم ونفاقهم واستغفرت لهم
لعلموا ان الله يتوب عليهم ويتجاوز عنهم قوله عز وجل **فلا وربك لا يؤمنون**

حتى يحكموك فيما شجر بينهم نزلت هذه الاية في الزبير بن العوام ورجل
من الانصار عن عروة بن الزبير عن ابيه ان رجلا من الانصار خاصم
الزبير عند النبي صلى الله عليه وسلم في سراج الحرة التي يسقون بها النخل
فقال الانصاري سرح الما فابى عليه فاختصما عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير ثم ارسل الى
جارك فغضب الانصاري ثم قال يا رسول الله ان كان ابن عمتك فتلون
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير اسق يا زبير
ثم احبس الما حتى يرجع الى الجدر ثم قال الزبير والله اني لاحسب
هذه الاية نزلت في ذلك فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم زاد البخاري فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ
للزبير حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قد اشار
على الزبير براي اراد فيه سعة له وللانصاري فلما احفظ الانصاري
رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم
للزبير حقه في صريح الحكم قال الزبير والله ما احسب هذه الاية ما
نزلت الا في ذلك فلا وربك الاية قوله اختصما في سراج الحرة السراج
مسايل الما التي تكون من الجبل وتنزل الى السهل الواحدة سرجة بسكون
الرا والحرة الارض الحمرا المتلبسة بالحجارة السود وقوله فتلون وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم تغير وهو قوله فلما احفظ اي اغضب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله حتى يرجع الى الجدر وهو بفتح
الجيم يعني اصل الجدار فاستوعى له اي استوفى له حقه في صريح وهو
ان كان ارضه اقرب الى فم الوادي فهو اولى باول الوادي وحقه تمام
السقي فرسول الله صلى الله عليه وسلم اذن للزبير في السقي على وجه
المسامحة فلما ابى خصمه ذلك ولم يعترف بما اشار به رسول الله
صلى الله عليه وسلم من المسامحة لاجله امر الزبير باستيفا حقه
على التمام وحمل خصمه على مر الحق فعلى هذا القول تكون الاية مستانفة
لا تعلق لها بما قبلها قال البغوي وروي انهما لما خرجا مرا على
المقداد فقال لمن كان القضا فقال الانصاري لابن عمته ولوى شدقه ففطن
له يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هولا يشهدون انه رسول الله ثم
يتهمونه في قضا يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى
فدعى موسى الى التوبة منه فقال فاقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين
الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله
ان الله ليعلم مني الصدق ولو امرني محمد ان اقتل نفسي لفعلت وقال مجاهد
والشعبي نزلت هذه الاية في بشر المنافق واليهودي الذين اختصما

الي

الي الطاغوت وعلى هذا القول تكون الاية متصلة بما قبلها فلا وربك
معناه فوربك فعلى هذا تكون لا مزيدة لتاكيد معنى القسم وقيل ان لا
رد لكلام سبق كانه قال ليس الامر كما يزعمون انهم امنوا وهم يخالفون حكمك
ثم استانف القسم فقال تعالى وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
يعني فيما اختلفوا فيه من الامور واشكل عليهم حكمه وقيل فيما التبس
عليهم يقال شاجره في الامر اذا نازعه فيه واصله التداخل والاختلاط
وشجر الكلام اذا دخل بعضه على بعض واختلط ثم لا يجدوا في انفسهم
حرجا مما قضيت يعني ضيقا مما قضيت وقيل شكا مما قضيت بل يرضوا
بقضايك ويسلموا تسليما يعني وينقادوا لامرك انقيادا ولا يعارضونك
في شي من امرك وقيل معناه يسلموا ما تنازعوا فيه لحكمك قوله عز
وجل ولو انا كتبنا عليهم اي فرضنا واوجبنا عليهم الضمير في عليهم يعود
على المنافقين وقيل يعود الضمير على الكافة فيدخل فيه المنافق وغيره
ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم يعني كما كتبنا على بني اسرايل القتل
والخروج من مصر ما فعلوه الا قليل منهم معناه لم يفعله الا القليل منهم
نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك ان رجلا من اليهود قال
والله لقد كتب الله علينا القتل والخروج ففعلنا فقال شماس والله لو
كتب علينا ذلك لفعلنا وهو من القليل الذي استثنى الله وقيل لما نزلت
هذه الاية قال عمر وعمار بن ياسر وابن مسعود وناس من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم القليل الذين ذكرهم الله والله لو
امرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ان من امتي لرجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي ومن
قال ان الضمير في عليهم يعود الى المنافقين قال معنى ما فعلوه الا قليل
منهم يعني ريا وسمعة والمعنى انا كتبنا عليهم طاعة الرسول صلى الله عليه
وسلم والرضى بحكمه ولو انا كتبنا عليهم القتل والخروج من الدور والوطن
ما كان فعله الا نفر يسير منهم وقري الا قليلا منهم بالنصب وتقديره
الا ان يكون قليلا منهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به يعني ولو انهم
فعلوا ما كلفوا به من طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضى بحكمه
لكان خيرا لهم يعني في الدنيا والاخرة وانما سمي ذلك التكليف وعظا
لان اوامر الله تعالى وتكاليفه مقرونة بالوعد والوعيد والثواب
والعقاب وما كان كذلك يسمى وعظا واشد تثبيتا يعني تحقيقا
وتصديقا لايمانهم والمعنى ان ذلك اقرب الى اثبات ايمانهم وتصديقهم
واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما يعني ثوابا وافرا جزيلا واذا جواب
لسوال مقدر كانه قيل ماذا يكون من هذا الخير والتثبيت قال جواب

نوتيهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما قال ابن عباس
معناه ولارشدناهم الى دين مستقيم يعني دين الاسلام وقيل معناه
ولهديناهم الى الاعمال الصالحة التي تودي الى الصراط المستقيم وهو الصراط
الذي يمر عليه المومنون الى الجنة لان الله تعالى ذكر الاجر العظيم اولا ثم
ذكر الصراط المستقيم بعده لانه هو المودي الى الجنة **قوله عز وجل**
ومن يطع الله والرسول فاوليك مع الذين انعم الله عليهم الاية نزلت
في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه
يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير
لونك قال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم اراك
استوحشت وحشة عظيمة شديدة حتى القاك ثم اني اذا ذكرت الاخرة
اخاف لا اراك لانك ترفع الى عليين مع النبيين واني اخاف وان
دخلت الجنة كنت في منزلة هي ادنى من منزلتك وان لم ادخل اني لا
اراك ابدا فنزلت هذه الاية وقيل ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم قال كيف يكون الحال وانت يا رسول الله في الدرجات العلى ونحن
اسفل منك فكيف نراك فانزل الله هذه الاية ومن يطع الله يعني في
ادا الفرايض واجتناب النواهي اي ويطع الرسول في السنن التي سنها
فاوليك مع الذين انعم الله عليهم يعني بالهداية والتوفيق في الدنيا
وبدخول الجنة في الاخرة من النبيين يعني ان المطيعين مع النبيين
في الجنة لا تفوتهم روية الانبيا في الجنة ومجالستهم لا انهم يكونون في
درجتهم في الجنة لان ذلك يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل
والمفضول والصديقين الصديق الكثير الصدق فعيل من الصدق
والصديقون هم اتباع الرسل الذين اتبعوهم على مناهجهم بعدهم حتى
لحقوا بهم وقيل الصديق هو الذي صدق بكل الدين حتى لا يخالطه فيه
شك والمراد بالصديقين في هذه الاية افاضل اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم كابي بكر فانه هو الذي سمي بالصديق من هذه الامة
وهو افضل اتباع الرسل والشهدا هم الذين استشهدوا في سبيل الله
وقيل هم الذين استشهدوا يوم احد والصالحين جمع صالح وهو الذي
استوي سريرته وعلانيته في الخير وقيل الصالح من اعتقاده صوابا
وعمله في سنة وطاعة وقيل المراد بالنبيين هنا محمد صلى الله عليه وسلم
وبالصديقين ابو بكر وبالشهدا عمر وعثمان وعلي وبالصالحين ساير
الصحابة وحسن اوليك رفيقا وهم المشار اليهم وهم النبيون والصديقون
والشهدا والصالحون وفيه معنى التعجب كانه قال وما احسن اوليك رفيقا

يعني

يعني في الجنة والرفيق الصاحب سمي رفيقا لارتفاقك به وبصحبته وانما
وحد الرفيق وهو صفة الجمع لان العرب تعبر به عن الواحد والجمع وقيل
معناه وحسن كل واحد من اوليك رفيقا ق عن انس ان رجلا سال النبي صلى
الله عليه وسلم عن الساعة قال متى الساعة قال وما اعددت لها قال
لا شي الا اني احب الله ورسوله فقال انت مع من احببت قال انس فما
فرحنا بشي اشد فرحا بقول النبي صلى الله عليه وسلم انت مع من احببت
قال انس فانا احب النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وارجوا ان
اكون معهم بحبي اياهم وان لم اعمل باعمالهم وقوله تعالى ذلك اشارة
الى ما تقدم ذكره من وصف الثواب الفضل من الله يعني الذي اعطى
الله المطيعين من الاجر العظيم وكفى بالله عليما يعني بجزاء من اطاعه
وقيل معناه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم لطاعته وفيه دليل على
انهم لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم بل انما نالوها بفضل الله ورحمته
ويدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لن يدخل احدا منكم عمله الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا
الا ان يتغمدني الله بفضل ورحمة لفظ البخاري ولمسلم نحوه **قوله**
عز وجل يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم الحذر احتراز من مخوف والمعنى
احذروا واحترزوا من عدوكم ولا تمكنوه من انفسكم وقيل المراد بالحذر
ههنا السلاح يعني خذوا سلاحكم وعدتكم وانما سمي السلاح حذرا
لان به يتقى ويحذر وقيل معناه احذروا عدوكم ولقايل ان يقول اذا كان
المقدور كاينا فلا ينفع الحذر فالجواب عنه بانه لما كان الكل بقضا
الله وقدره كان الامر باخذ الحذر من قضا الله وقدره فانفروا ثبات
اي اخرجوا سرايا متفرقين سرية بعد سرية او انفروا جميعا يعني او
اخرجوا كلكم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم الى جهاد عدوكم وان منكم
لمن ليبطين نزلت في المنافقين وانما قال منكم لاجتماعهم مع اهل
الايمان في الجنسية والنسب واظهار كلمة الاسلام لا في حقيقة الايمان
والمعنى وان منكم لمن ليتاخرن وليتثاقلن عن الجهاد وهو عبد الله بن ابي
ابن سلول المنافق وكان راس المنافقين فان اصابتكم مصيبة اي قتل وهزيمة
قال يعني هذا المنافق قد انعم الله علي يعني بالقعود اذ لم اكن معهم يعني مع
المومنين شهيدا يعني حاضرا لوقعة فيصيبني ما اصابهم ولين اصابكم
فضل من الله اي فتح وغنيمة ليقولن يعني هذا المنافق كان لم يكن بينكم
وبينه مودة اي معرفة ومودة في الدين والمعنى كانه ليس من اهل دينكم
وذلك ان المنافقين كانوا يوادون المومنين في الظاهر يا ليتني كنت معهم
في تلك الغزوة التي غنم فيها المومنون فافوز فوزا عظيما اي فاخذ نصيبا وافرا

من الغنيمة قوله عز وجل فليقاتل في سبيل الله هذا خطاب
للمنافق اى فليخلص الايمان وليقاتل في سبيل الله وقيل هو خطاب
للمؤمنين المخلصين اى فليقاتل المؤمنون في سبيل الله الذين
يشرون الحياة الدنيا بالاخرة اى يبيعون يقال شريت بمعنى بعت لانه
استبدال عوض بعوض والمعنى فليقاتل المؤمنون الكافرين الذين يبيعون
حياتهم في الدنيا بثواب الاخرة وما وعد الله فيها لاهل الايمان والطاعة
وقيل معناه فليقاتل في سبيل الله المؤمنون الذين يبيعون الحياة الدنيا
ويختارون الاخرة وثوابها على الدنيا الفانية ومن يقاتل في سبيل الله
فيقتل اى فيستشهد او يغلب يعنى يظفر بعدوه من الكفار فسوف
نؤتيه يعنى في الحالتين الشهادة او الظفر نؤتيه فيهما اجرا عظيما
يعنى ثوابا وافرا ق عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيلي وايمان
بي وتصديق برسلي فهو على ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه
الذى خرج منه بايلاما نال من اجر او غنيمة لفظ مسلم قوله عز وجل
وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله قال المفسرون هذا احض من الله على الجهاد
في سبيله لاستنقاذ المستضعفين من ايدى الكفار وفيه دليل على ان
الجهاد واجب والمعنى لا عذر لكم في ترك الجهاد وقد بلغ حال المستضعفين
ما بلغ من الضعف والاذى والمستضعفين من الرجال والنسا والولدان
قال ابن عباس يريد ان قوما من المؤمنين استضعفوا فحبسوا وعذبوا
وقيل كان هولا بمكة يلقون اذى شديدا وكان اهل مكة قد اجتهدوا
ان يفتنوا قوما من المؤمنين عن دينهم بالاذى لهم وكانوا مستضعفين
في ايديهم ولم يكن لهم بمكة قوة يمتنعون بها من المشركين فعلى هذا يكون
معنى الاية ما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين
وقال ابن عباس معناه عن المستضعفين لان المراد صرف الاذى عنهم
خ عن ابن عباس في قوله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين
الاية قال كنت انا وامى من المستضعفين وفي رواية ابن مليكة قال تلا
ابن عباس الا المستضعفين من الرجال والنسا والولدان قال كنت انا
وامى ممن عذر الله انا من الولدان وامى من النسا فعلى هذه الرواية الثانية
من حديث ابن عباس يكون معنى والمستضعفين الا المستضعفين من
الرجال والنسا والولدان فانهم ممن عذر في ترك القتال والولدان جمع
وليد وهو الصبى الصغير الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية
يعنى مكة الظالم اهلها يعنى الظالم اهلها انفسهم بالشرك لقوله تعالى ان
الشرك لظلم عظيم وذلك ان المستضعفين لما منعهم المشركون من الهجرة من مكة

الى

الى المدينة دعوا الله عز وجل ربنا اخرجنا من هذه القرية يعنى مكة
الظالم اهلها بالشرك واجعل لنا من لدنك وليا يعنى وليا يلى امرنا واجعل
لنا من لدنك نصيرا يعنى ينصرنا ويمنعنا من العدو فاستجاب الله دعاهم
وجعل لهم من لدنه خير ولى وخير ناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولى امرهم
ونصرهم واستنقذهم من ايدى المشركين يوم فتح مكة واستعمل عليهم عتاب
ابن اسيد وكان ابن ثمانية عشر سنة فكان ينصر المظلومين على الظالمين
ويأخذ للضعيف من القوى قوله عز وجل الذين امنوا يقاتلون في
سبيل الله يعنى في طاعة الله واعلا كلمته وابتغا مرضاته والذين كفروا
يقاتلون في سبيل الطاغوت يعنى في طاعة الشيطان فقاتلوا اوليا الشيطان
اى قاتلوا ايها المؤمنون حزب الشيطان وجنوده وهم الكفار ان كيد الشيطان
كان ضعيفا الكيد السعى في الفساد على جهة الاحتيال ويعنى بكيده ما
كاد المؤمنين من تحزيبه اولياه الكفار يوم بدر وكونه ضعيفا لانه خذل اولياه
لما راى الملايكة قد تنزلت يوم بدر وكان النصر لاوليا الله وحزبه على اوليا
الشيطان وحزبه وادخال كان في قوله ضعيفا لتاكيد ضعف الشيطان قوله
عز وجل الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة واتوا الزكاة
قال الكلبى نزلت في عبد الرحمن بن عوف والزهري والمقداد بن الاسود الكندى
وقدامة بن مظعون الجمحى وسعد بن ابى وقاص وجماعة من اصحاب النبى صلى
الله عليه وسلم كانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا بمكة قبل ان يهاجروا فكانوا
يقولون يا رسول الله ايذن لنا في قتالهم فانهم قد اذونا فقال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم فانى لم اومر بقتالهم واقيموا الصلاة
واتوا الزكاة يعنى قيل لهم كفوا ايديكم عن قتالهم وادوا ما افترض عليكم
من الصلاة والزكاة وفيه دليل على ان فرض الصلاة والزكاة كان قبل فرض
الجهاد فلما كتب عليهم القتال اى فرض عليهم جهاد المشركين وامروا بالخروج
الى بدر اذا فريق منهم يعنى اذا جماعة من الذين سالوا ان يفرض عليهم
الجهاد يخشون الناس يعنى يخافون مشركى مكة كخشية الله او اشد خشية
او بمعنى الواو يعنى واشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال يعنى لم
فرضت علينا لولا اخرتنا الى اجل قريب يعنى هلا تركتنا ولم تفرض علينا
القتال حتى نموت باجالنا والقايلون لهذا القول هم المنافقون لان هذا
القول لا يليق بالمؤمنين وقيل قاله بعض المؤمنين وانما قالوا ذلك خوفا
وجبنا لا اعتقادا ثم انهم تابوا من هذا القول قل اى قل لهم يا محمد
متاع الدنيا قليل يعنى ان منفعتها والاستمتاع بالدنيا قليل لانه فان
زايل والاخرة يعنى وثواب الاخرة خير لمن اتقى يعنى اتقى الشرك ومعصية
الرسول صلى الله عليه وسلم ولا تظلمون فتيلا اى ولا تنقصون من اجوركم

قدم فتيل مر عن المستورد بن شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه هذه واشار
يعني بالسبابة في اليم فلينظر بم ترجع قوله عز وجل اينما تكونوا يدرككم
الموت نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتلى احد لو كانوا عندنا ما
ماتوا وما قتلوا فرد الله عليهم بهذه الاية وقيل نزلت في الذين قالوا
ربنا لم كتبت علينا القتال فرد الله عليهم بقوله تعالى اينما تكونوا
يدرككم الموت يعني ينزل بكم الموت فبين تعالى انه لا خلاص لهم واذا
كان لا بد لهم من الموت كان القتل في سبيل وجهاد اعدائه افضل من
الموت على الفراش لان الجهاد موت يحصل به سعادة الاخرة ثم بين تعالى
انه لا بد لهم من الموت وانه لا ينجي منه شي بقوله ولو كنتم في بروج مشيدة
والبروج في كلام العرب الحصون والقلاع والمشيدة المرفوعة المطولة
وقيل هي المطلية بالشيد وهو الجص وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من
عند الله نزلت في المنافقين واليهود وذلك ان المدينة كانت ذات
خير وارزاق ونعم عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم فلما ظهر نفاق المنافقين
وعناد اليهود امسك الله عنهم بعض الامساك فقال المنافقون واليهود
ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا حين قدم علينا هذا الرجل
واصحابه فقال الله تعالى ان تصبهم يعني المنافقين واليهود حسنة اي
خصب الثمار ورخص في السعر يقولوا هذه من عند الله يعني من قبل الله
وان تصبهم سيئة اي جدب في الثمار وغلا في السعر يقولوا هذه من عندك
يعني من شوم محمد واصحابه وقيل المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر
وبالسيئة القتل والهزيمة يوم احد ومعنى من عندك انت الذي حملتنا
عليه يا محمد فعلى هذا القول ليكون هذا اخبار عن المنافقين خاصة
قل اي قل لهم يا محمد كل من عند الله يعني الحسنة والسيئة والخصب
والجدب والغنيمة والهزيمة والظفر والقتل فاما الحسنة فانعام من الله
واما السيئة فابتلا من الله فما لهولا القوم اي فما شان هولا المنافقين
واليهود الذين قالوا ما قالوا لا يكادون يفقهون حديثا يعني لا يفقهون
معاني القران وان الاشيا كلها من الله عز وجل خيرها وشرها قوله
تعالى ما اصابك من حسنة يعني من خير ونعمة فمن الله يعني من فضل
الله عليك يتفضل به احسانا منه اليك وما اصابك من سيئة يعني من
شدة ومكروه ومشقة واذى فمن نفسك يعني فمن قبل نفسك بذنب اكتسبته
نفسك استوجبت ذلك به وفي المخاطب بهذا الكلام قولان احدهما
انه عام وتقديره وما اصابك ايها الانسان والثاني انه خطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة والنبي صلى الله عليه وسلم

برى لان الله عز وجل قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وقد عصمه
من حين ابتعث فهو معصوم فيما يستقبل حتى يموت ويدل على ان المراد
بهذا الخطاب غيره قوله عز وجل يا ايها النبي اذا طلقتم النسا خاطبه وحده
ثم جمع الكل بقوله اذا طلقتم النسا تعني قوله فمن نفسك اي عقوبة لذنبك
يا ابن ادم كذا قال قتادة وقال الكلبي ما اصابك من خير فالله هداك
له واعانك عليه وما اصابك من امر تكرهه فبذنبك عقوبة لذلك
الذنب وقد تعلق بظاهر الاية القدرية قالوا انفى الله السيئة عن نفسه
ونسبها الى الانسان بقوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك ولا متعلق
لهم بها لانه ليس من الاية المراد حسنة الكسب من الطاعات ولا السيئة
المكتسبة من المعاصي بل المراد من الحسنة والسيئة في هذه الاية ما
يصيب الانسان من النعم والمحن وذلك ليس من فعل العبد لانه لا يقال
في الطاعة والمعصية اصابني وانما يقال اصبتها ويقال في النعم
والمحن اصابني بدليل انه لم يذكر عليه ثوابا ولا عقابا فهو كقوله تعالى
فاذا جاتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن
معه ولما ذكر الله حسنات الكسب وسياته وعد عليها بالثواب
والعقاب فقال تعالى من جا بالحسنة فله عشر امثالها ومن جا بالسيئة
فلا يجزى الا مثلها فبطل بهذا قول القدرية وقال بعضهم لو كانت
الاية على معنى ما يقوله اهل القدر لقال ما اصبت من حسنة وما
اصبت من سيئة ولم يقل ما اصابك لان العادة جرت بقول الانسان
اصابني خير او مكروه واصبت حسنة او سيئة وقيل في معنى الاية ما
اصابك من حسنة اي النصر والظفر يوم بدر فمن الله اي من فضل الله
وما اصابك من سيئة اي من قتل وهزيمة فمن نفسك يعني فبذنوب
اصحابك وهو مخالفتهم اياك فان قلت كيف وجه الجمع بين قوله
تعالى قل كل من عند الله وبين قوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك
فاضاف السيئة الى فعل العبد في هذه الاية قلت اما اضافة
الاشيا كلها الى الله تعالى في قوله قل كل من عند الله فعلى الحقيقة لان
الله تعالى هو خالقها وموجدها واما اضافة السيئة الى فعل العبد
فعلى المجاز تقديره وما اصابك من سيئة فمن الله بذنب نفسك
عقوبة لك وقيل اضافة السيئة الى العبد على سبيل الادب فهو
كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين فاضاف المرض الى نفسه على طريق
الادب ولا يشك عاقل ان الممرض هو غير الله تعالى وقيل هذه متصلة
بما قبلها وفيه اضمار وتقديم وتاخير تقديره فما لهولا القوم لا يكادون
يفقهون حديثا ويقولون ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك

من سيئة فمن نفسك قل كل من عند الله وقال ابن الانباري في معنى
الاية ما اصابك الله به من حسنة وما اصابك به من سيئة فالفعلان
راجعان الى الله تعالى قوله تعالى وارسلناك للناس رسولا يعني
وارسلناك يا محمد الى كافة الناس رسولا لتبلغهم رسالاتي وما
امرتك به ولست رسولا الى العرب خاصة كما قاله بعض اليهود
بل انت رسول الى الخلق كافة العرب وغيرهم وكفى بالله شهيدا
يعني على ارسالك للناس كافة فما ينبغي لاحد ان يخرج عن طاعتك
واتباعك وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على تبليغك ما ارسلت به الى الناس
وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على ان الحسنة والسيئة من الله قوله عز
وجل من يطع الرسول فقد اطاع الله سبب نزول هذه الاية ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن احبني فقد احب
الله فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما
اتخذت النصارى عيسى بن مريم ربا فانزل الله هذه الاية من يطع
الرسول يعني فيما امر ونهى عنه فقد اطاع الله يعني ان طاعة الرسول
طاعة لله تعالى لانه هو امر بها وقال الحسن جعل الله طاعة رسوله
صلى الله عليه وسلم طاعته وقامت به الحجة على المسلمين وقال الشافعي
في كل فريضة فرضها الله في كتابه كالحج والصلاة والزكاة لولا بيان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ما كنا نعرف كيف نأتيها ولا كان
يمكننا اداء شيء من العبادات واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم
بهذه المنزلة الشريفة كانت طاعته على الحقيقة طاعة الله ومن تولى
اي اعرض عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا يعني حافظا تحفظ
اعمالهم عليهم بل كان امرهم الى الله قال المفسرون وكان هذا قبل ان
يؤمر بالقتال ثم نسخ ذلك باية القتال قوله تعالى ويقولون طاعة
نزلت في المنافقين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون باللسان لرسول
الله صلى الله عليه وسلم امنا بك وصدقناك فمرنا بامرك طاعة اي
امرنا وشاننا طاعة فاذا برزوا من عندك اي خرجوا من عندك
بيت طايفة منهم غير الذي تقول التبييت كل امر يفعل بالليل يقال
هذا امر مبيت اذا دبر بليل وقضي بليل فقد بيت والمعنى انهم قالوا
وقدروا امرا بالليل غير الذي اعطوك بالنهار من الطاعة وقيل معنى
بيت غير وبدل طايفة منهم غير الذي تقول يعني غير الذي عهدت اليهم
فعلى هذا يكون التبييت بمعنى التبديل وانما خص طايفة من المنافقين
بالتبييت في قوله منهم وكلمة من للتبعيض لانه تعالى علم ان منهم من يبقى على
كفره ونفاقه ومنهم من يرجع عنه ويتوب فخص من يصر على النفاق بالذكر

وقيل

وقيل ان طايفة منهم اجتمعوا بالليل وبيتوا ذلك القول فخصهم بالذكر
والله يكتب اي يثبت ويحفظ عليهم ما يبيتون يعني ما يزورون ويغيرون
ويقدرون وقال ابن عباس يكتب ما يسرون من النفاق فاعرض عنهم
اي لا تعاقبهم يا محمد ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وقيل لا تغتر باسلامهم
وتوكل على الله اي فوض امرك اليه في شانهم فان الله يكفيك امرهم وينتقم
لك منهم وكفى بالله وكيلا يعني ناصرا لك عليهم قوله عز وجل
افلا يتدبرون القران اصل التدبر النظر في عواقب الامور والتفكر في
ادبارها ثم استعمل في كل تفكر وتامل يقال تدبرت الشيء اي نظرت في
عاقبته ومعنى تدبر القران تامل معانيه والتفكر في حكمه وتبصر ما فيه
من الايات قال ابن عباس افلا يتدبرون القران فيتفكرون فيه فيرون
تصديق بعضه لبعض وما فيه من المواعظ والذكر والامر والنهي وان
احدا من الخلق لا يقدر عليه قال العلماء ان الله تعالى احتج بالقران
والتدبر فيه على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والحجة في ذلك من
ثلاثة اوجه احدها فصاحته التي عجز الخلايق عن الاتيان بمثله في اسلوبه
الثاني اخباره عن الغيوب وما يطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
على احوال المنافقين وما يخفوه من مكرهم وكيدهم فيفضحهم بذلك وغير
ذلك من الاخبار عن احوال الاولين واخبارهم وما ياتي في المستقبل من
امور الغيبة التي لا يعلمها الا الله تعالى الثالث سلامته من الاختلاف
والتناقض وهو المراد بقوله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا قال ابن عباس يعني تفاوتا وتناقضا وفي رواية عنه
لو كان من عند مخلوق لكان فيه كذب واختلاف وقيل معناه لوجدوا
في اخباره عن الغيب بما يكون وبما قد كان اختلافا كثيرا لان الغيب لا
يعلمه الا الله تعالى ولما كان كذلك ثبت انه من عند الله وانه ليس فيه
اختلاف ولا تناقض وقيل لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا من حيث البلاغة والفصاحة والمعنى لو كان من عند مخلوق لكان
على قياس الكلام المخلوق بعضه فصيح بليغ حسن وبعضه مردود ركيك
فاسد فلما كان القران جميعه على منهاج واحد في الفصاحة والبلاغة
ثبت انه على منهاج واحد من عند الله والمعنى افلا يتفكرون في القران
فيعرفوا بعدم التناقض فيه وصدق ما يخبر به عن الغيوب انه كلام الله
عز وجل وان ما يكون من عند غير الله لا يخلو من تناقض واختلاف فلما
كان القران ليس فيه تناقض واختلاف علم انه من عند قادر لا يقدر عليه
غيره عالم بما لا يعلمه سواه قوله تعالى واذا جاءهم امر من الامن او الخوف
اذاعوا به وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث البعوث

والسرايا فاذا غلبوا او غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم ثم يشيعونه ويتحدثون به قبل ان يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به قلوب المومنين فانزل الله هذه الاية واذا جاءهم يعني المنافقين امر من الامن يعني جاءهم خبر بفتح وغنيمة او الخوف يعني القتل والهزيمة اذاعوا به اي افشوا ذلك الخبر واشاعوه بين الناس يقال اذاع السر واذاع به اذا اشاعه واظهره قال الشاعر

اذاع به في الناس حتى كانه ۰ بعلياء نار اوقدت بثقوب

ولو ردوه يعني الامر الذي تحدثوا به الى الرسول يعني انهم لم يحدثوا به حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم يحدث به ويظهره والى اولي الامر منهم يعني ذوي العقول والراي والبصر بالامور منهم وهم كبار الصحابة كابي بكر وعمر وعثمان وعلي وقيل هم امراء السرايا والبعوث وانما قال منهم على حسب الظاهر ولان المنافقين كانوا يظهرون الايمان فلهذا قال والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم اي يستخرجون تدبيره بذكائهم وفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وهم العلماء الذين علموا ما ينبغي ان يكتم من الامور وما ينبغي ان يذاع منها والنبط الماء الذي يخرج من البير اول ما تحفر واستنباطه استخراجه فاستعير لما يخرجه الرجل بفضل ذكائه وصفاء ذهنه وفطنته من المعاني والتدبير فيما يعضل ويهم يقال استنبط الفقيه المسئلة اذا استخرجها باجتهاده وفهمه وفي الاية دليل على جواز القياس وان من العلم ما يدرك بالنص وهو الكتاب والسنة ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس عليهما ومعنى الاية ولولا ان هولاء المنافقين والمذيعين ردوا الامر من الامن او الخوف الى الرسول والى اولي الامر وطلبوا معرفة الحال فيه من جهتهم لعلموا حقيقة ذلك منهم وانهم اولى بالبحث عنه فانهم اعلم بما ينبغي ان يشاع او يكتم قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته يعني ولولا فضل الله عليكم ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القران ورحمته بالتوفيق والهداية لاتبعتم الشيطان يعني لبقيتم على الكفر والضلالة الا قليلا اختلف العلماء في هذا الاستثناء والى ماذا يرجع فقيل هو راجع الى الاذاعة وهو قول ابن عباس والتقدير اذا جاءهم امر من الامن والخوف اذاعوا به الا قليلا فاخرج بعض المنافقين والمومنين عن هذه الاية من هذه الاذاعة لانهم لم يذيعوا ما علموا من امر السرايا وهذا القول اختيار الفراء وابن جرير الطبري وقيل هو راجع الى المستنبطين وهو قول الحسن وقتادة واختاره ابن قتيبة وتقديره لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا فعلى هذين القولين في الاية تقديم وتاخير وقيل انه راجع الى اتباع

الشيطان وهو قول الضحاك واختاره ابن قتيبة وتقديره لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا فعلى هذين القولين في الاية تقديم وتاخير وقيل انه راجع الزجاج ومعلوم ان صرف الاستثناء الى ما يليه ويتصل به اولى من صرفه الى الشي البعيد وتقديره ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا منكم وهم قوم امنوا واهتدوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانزال القران مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة الايادي قوله تعالى فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك نزلت في مواعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا سفيان بن حرب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعده موسم بدر الصغرى بعد حرب احد وذلك في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فانزل الله هذه الاية فقاتل في سبيل الله يعني لا تدع جهاد العدو والانتصار للمستضعفين من المومنين لا تكلف الا نفسك يعني لا تكلف فرض غيرك بل جاهد في سبيل الله ولو وحدك فان الله ناصرك لا الجنود وقد وعدك النصر عليهم وهو لا يخلف الميعاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا الى بدر الصغرى فكفاهم الله القتال ورجعوا سالمين وعاتب الله من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الاية على ترك الجهاد والخروج معه وفي الاية دليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اشجع الناس واعلمهم بامور القتال ومكايده لان الله تعالى امره بالقتال وحده ولو لم يكن اشجع الناس لما امره بذلك ولهذا اقتدى به ابو بكر الصديق في قتال اهل الردة من بني حنيفة الذين منعوا الزكاة فعزم على الخروج الى قتالهم ولو وحده وحرض المومنين يعني حضهم على الجهاد ورغبهم في الثواب وليس عليك في شانهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم عسى الله اي لعل الله ان يكف باس الذين كفروا يعني لعل الله ان يمنع باس الكفار وشدتهم وقد فعل وذلك ان ابا سفيان بدا له عن القتال فلم يخرج الى الموعد والله اشد باسا اي اعظم صولة واشد تنكيلا يعني واشد عذابا وعقوبة من غيره قوله عز وجل من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها الشفاعة ماخوذة من الشفع وهو ان يصير الانسان بنفسه شفيعا لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسئلة الى المشفوع اليه فعلى هذا قيل ان المراد بالشفاعة المذكورة في الاية هي شفاعة الانسان لغيره ليجلب له بشفاعته نفعا او يخلصه من بلاء نزل به وقيل هي في الاصلاح بين الناس وقيل معنى الاية من يصير شفعا لوتر اصحابك يا محمد يشفعهم في جهاد عدوهم يكن له نصيب منها اي حظ وافر من اجر شفاعته وهو ثواب الله وكرامته ومن يشفع شفاعة سيئة

وقيل هي النميمة ونقل الحديث لايقاع العداوة بين الناس وقيل اراد
بالشفاعة السيئة دعا اليهود على المسلمين وقيل معناه من يشفع كفره
بقتال المومنين **يكن له كفل** اى ضعف وقيل نصيب **منها** اى من وزرها
وكان الله على كل شئ مقيتا قال ابن عباس يعني مقتدرا ومجازيا
واقات على الشي قدر عليه قال الشاعر

وذي ضغن كففت الود عنه • وكنت على اساته مقيتا

يعني قادرا على الاساة اليه وقيل معناه شاهدا وحفيظا على الاشيا
ق عن ابي موسى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فجاء
رجل يسال فاقبل علينا بوجهه وقال اشفعوا توجروا ويقضي الله على
لسان نبيه ما شاء وفي رواية كان اذا جاء طالب حاجة اقبل على جلسائه
وقال اشفعوا توجروا وذكره قوله عز وجل **واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن
منها** التحية تفعلة من حيي واصلها من الحياة ثم جعل السلام تحية
لكونه خارج عن حصول الحياة وسبب الحياة في الدنيا وفي الاخرة والتحية
ان يقال حياك الله اى جعل لك حياة وذلك اخبار ثم يجعل دعا
هذه اللفظة كانت العرب تقولها فلما جا الاسلام بدل ذلك بالسلام
وهو المراد به في الاية يعني اذا سلم عليكم المسلم فاجيبوه باحسن مما
سلم عليكم به وانما اختير لفظ السلام على لفظ حياك الله لانه اتم
واحسن واكمل لان معنى السلام السلامة من الافات فاذا دعا الانسان
بطول الحياة بغير سلامة كانت حياته مذمومة منقصة واذا كان
في حياته سليما كان اتم واكمل فلهذا السبب اختير لفظ السلام **اوردوها**
يعني اوردوا عليه كما سلم عليكم **ان الله كان على كل شئ حسيبا** يعني
محاسبا ومجازيا والمعنى انه تعالى على كل شئ من رد السلام بمثله او باحسن
منه مجازى عليه

فصل في فضل السلام والحث عليه **ق** عن
عبد الله بن عمرو بن العاص ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اى الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرئ السلام على
من عرفت ومن لم تعرف قوله اي الاسلام خير اى خصال الاسلام
خير **م** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا
الجنة حتى تومنوا ولا تومنوا حتى تحابوا الا ادلكم على شئ اذا فعلتموه
تحاببتم افشوا السلام بينكم عن عبد الله بن سلام قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول يايها الناس افشوا السلام واطعموا
الطعام وصلوا الارحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام
واخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح عن ابي امامة قال
امرنا نبينا صلى الله عليه وسلم ان نفشي السلام اخرجه ابن ماجة

رسوله

فصل

فصل في احكام تتعلق بالسلام وفيه مسايل المسئلة الاولى في
كيفية السلام **ق** عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق
الله ادم عليه السلام قال اذهب فسلم على اوليك نفر من الملايكة جلوس
فاستمع ما يحيونك فانه تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم
فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله وبركاته فياتي
بضمير الجمع وان كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم السلام
ورحمة الله وبركاته فياتي بواو العطف في قوله وعليكم عن عمران بن
الحصين قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم
فرد عليه ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر ثم جا اخر
فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال عشرون ثم جا
اخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال
ثلاثون اخرجه الترمذى وابو داود وقال الترمذى حديث حسن وقيل
اذا قال المسلم السلام عليكم فيقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله
فيزيد ورحمة الله واذا قال السلام عليكم ورحمة الله فيقول وعليكم
السلام ورحمة الله وبركاته فيزيد وبركاته واذا قال السلام عليكم
ورحمة الله وبركاته فيرد عليه بمثله ولا يزاد عليه وروى ان رجلا
سلم على ابن عباس قال ابن عباس فقال السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته ثم زاد شيا فقال ابن عباس ان السلام انتهى الى البركة ويستحب
للمسلم ان يرفع صوته بالسلام ليسمع المسلم فيجيبه ويشترط ان يكون
الرد على الفور فان اخره ثم رد لم يعد جوابا وكان اثما بترك الرد
المسئلة الثانية في حكم السلام الابتدا بالسلام سنة مستحبة ليس
بواجب وهو سنة على الكفاية فان كانوا جماعة فسلم واحد منهم كفى عن
جميعهم ولو سلم كلهم كان افضل واكمل قال القاضي حسين من اصحاب
الشافعي ليس لنا سنة على الكفاية الا هذا وفيه نظر لان تشميت العاطس
سنة على الكفاية ايضا كالسلام ولو دخل على جماعة في بيت او مجلس وجب
عليه ان يسلم على الحاضرين لقوله صلى الله عليه وسلم افشوا السلام والامر
للوجوب او يكون ذلك سنة متاكدة لان السلام من شعار اهل الاسلام
فيجب اظهاره او يتاكد استحبابه اما الرد على المسلم فقد اجمع العلما
على وجوبه ويدل على قوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها
او ردوها والامر للوجوب ولان في ترك الرد اهانة للمسلم فيجب ترك
الاهانة وان كان المسلم عليه واحدا وجب عليه الرد واذا كانوا جماعة
كان رد السلام في حقهم فرض كفاية فلو رد واحد منهم سقط عن الباقين
وان تركوه كلهم اثموا عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله

عليه وسلم قال يجزى عن الجماعة اذا مروا ان يسلم احدهم ويجزى عن
الجلوس ان يرد احدهم اخرجه ابو داود المسئلة الثالثة في اداب السلام
السنة ان يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على
الكثير والصغير على الكبير ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على
الكثير وفي رواية للبخاري قال يسلم الصغير على الكبير والمار على
القاعد والقليل على الكثير واذا التقى رجلان فالمبتدي بالسلام
هو الافضل لما روي عن ابي امامة الباهلي قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اولى الناس بالله عز وجل من بداهم بالسلام
اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي ولفظه قال قيل يا رسول الله
الرجلان يلتقيان ايهما يبدا بالسلام قال اولاهما بالله قال الترمذي
حديث حسن ويستحب ان يبدا بالسلام قبل الكلام ان الحاجة والسنة
اذا مر بجماعة صبيان ان يسلم عليهم لما روى عن انس انه مر على صبيان
فسلم عليهم وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله اخرجاه
في الصحيحين وفي رواية لابي داود ان النبي صلى الله عليه وسلم مر
على غلمان يلعبون فسلم عليهم واما السلام على النسا فان كن جمعا
جالسات في مسجد او موضع فيستحب ان يسلم عليهن اذا لم يخف على نفسه
او عليهن فتنة لما روي عن اسما بنت يزيد قالت مر علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في نسوة فسلم علينا اخرجه ابو داود وفي رواية
الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة
من النسا قعود فالوى بيده بالتسليم قال الترمذي حديث حسن
واذا مر على امراة منفردة اجنبية فان كانت جميلة فلا يسلم عليها ولو سلم
فلا ترد هي عليه لانه لم يستحق الرد وان كانت عجوزا لا يخاف عليه ولا عليها
الفتنة سلم عليها وترد هي عليه وحكم النسا مع النسا كحكم الرجال مع الرجال
في السلام فيسلم بعضهن على بعض المسئلة الرابعة في الاحوال التي يكره
السلام فيها فمن ذلك الذي يبول او يتغوط او يجامع ونحو ذلك لا يسلم
عليه فلو سلم فلا يستحق المسلم جوابا لما روى عن ابن عمر ان رجلا مر
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبول فسلم فلم يرد عليه اخرجه
الترمذي مسلم قال الترمذي انما يكره هذا اذا كان على الغايط او
البول ويكره التسليم على من في الحمام وقيل ان كانوا متزرين بالميازر
سلم عليهم والا فلا ويكره التسليم على النايم والناعس والمصلي والموذن
والتالي في حال الاذان والتالي في حال الصلاة والاذان والتلاوة ويكره
الابتدا بالسلام في حال الخطبة لان الجالسين مامورين بالانصات للخطبة

ويكره ان يبدا المبتدع بالتسليم عليه وكذلك المعلن بفسق وكذلك
الظلمة ونحوهم فلا يسلم على هولا المسئلة الخامسة في حكم السلام على
اهل الذمة اليهود والنصارى اختلف العلما فيه فذهب اكثرهم انه لا
يجوز ابتداوهم بالسلام وقال بعضهم انه ليس بحرام بل هو مكروه كراهية
تنزيه ويدل على ذلك ما روى عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا تبدوا اليهود والنصارى بالسلام واذا لقيتم احدهم
في طريق فاضطروه الى اضيقه اخرجه مسلم واذا سلم يهودي او نصراني
على مسلم فيرد عليه ويقول عليك بغير واو العطف لما روى عن انس
ان يهوديا اتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال السام
عليكم فرد عليه القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون
ما قال قالوا الله ورسوله اعلم يا نبي الله قال لا ولكنه قال كذا وكذا
ردوه علي فردوه فقال قلت السام عليكم قال نعم قال نبي الله صلى الله
عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم احد من اهل الكتاب فقولوا عليك
اي عليك ما قلت اخرجه الترمذي فلو اتى بواو العطف وميم الجمع
فقال وعليكم جاز لانا نجاب عليهم في الدعا ولا يجابون علينا ويدل
على ذلك ما روى عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر عليه
ناس من يهود فقالوا السام عليك يا ابا القاسم فقال وعليكم فقالت
عايشة وغضبت الم تسمع ما قالوا قال بلى قد سمعت فرددت عليهم وانا
نجاب عليهم ولا يجابون علينا اخرجه مسلم واذا مر المسلم على جماعة
فيهم مسلمون ويهود ونصارى يسلم عليهم ويقصد بتسليمه المسلمين لما روي
عن اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على مجلس فيه
اخلاط من المسلمين واليهود فسلم عليهم اخرجه الترمذي والله اعلم
قوله عز وجل **الله لا اله الا هو ليجمعنكم** هذه لام القسم تقديره
والله الذي لا اله الا هو ليجمعنكم الله في الموت وفي القبور **الى يوم
القيمة** يعني الى يوم الحشر والبعث سميت القيمة قيامة لقيام الناس
من قبورهم بعد الموت وقيل لقيامهم للحساب نزلت هذه الاية في
منكري البعث **لا ريب فيه** يعني لا شك في ذلك اليوم انه كاين
ومن اصدق من الله حديثا يعني لا احد اصدق من الله فانه لا يخلف
الميعاد ولا يجوز عليه الكذب والمعنى ان القيمة كاينة لا شك فيها
ولا ريب قوله عز وجل **فما لكم في المنافقين فيتين** اختلفوا في سبب
نزول هذه الاية فقيل نزلت في الذين تخلفوا يوم احد من المنافقين
فلما رجعوا قال بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اقتلهم يا رسول الله فانهم منافقون وقال

بعضهم اعف عنهم فانهم قد تكلموا بكلمة الاسلام **ق** عن زيد بن ثابت
قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احد رجع ناس ممن
خرج معه فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فئتين ه
فقالت فرقة نقتلهم وقالت فرقة لا نقتلهم فنزلت فما لكم في المنافقين
فئتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها طيبة تنفي الرجال
كما ينفي الكير خبث الحديد وقيل نزلت في قوم خرجوا الى المدينة واسلموا
ثم استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى مكة لياتوا
ببضايع لهم يتجرون فيها فخرجوا واقاموا بمكة فاختلف المسلمون فيهم
فقايل يقول هم منافقون وقايل يقول هم مومنون وقيل نزلت في
ناس من قريش قدموا المدينة واسلموا ثم ندموا على ذلك فخرجوا
كهية المتنزهين فلما بعدوا عن المدينة كتبوا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم انا على الذي فارقناك عليه من الايمان ولكنا اجتوينا
المدينة واشتقنا الى ارضنا ثم انهم خرجوا في تجارة الى الشام فبلغ ذلك
المسلمين فقال بعضهم نخرج اليهم ونقتلهم ونأخذ ما معهم لانهم رغبوا عن
ديننا وقالت طايفة منهم كيف تقتلون قوما على دينكم وان لم يذروا ديارهم
وكان هذا بعين النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساكت لا ينهى احد الفريقين
فنزلت هذه الاية وقيل نزلت في قوم اسلموا بمكة ولم يهاجروا وكانوا يظاهرون
المشركين وقيل نزلت في عبد الله بن ابي بن سلول المنافق لما تكلم في حديث
الافك ومعنى الاية فما لكم يا معشر المومنين في المنافقين فئتين اي صرتم
في امرهم فرقتين فرقة تذب عنهم وفرقة تباينهم تعاديهم فنهى الله الفرقة
الذين يذبون عنهم وامر المومنين جميعا ان يكونوا على منهاج واحد في التباين
لهم والتبري منهم ثم اخبر عن كفرهم بقوله **والله اركسهم** يعني نكسهم في
كفرهم وارتدادهم وردهم الى احكام الكفار **بما كسبوا** اي بسبب ما اكتسبوا
من اعمالهم الخبيثة وقيل بما اظهروا من الارتداد بعد ما كانوا على النفاق
اتريدون ان تهدوا من اضل الله هذا خطاب للفية التي دافعت عن
المنافقين والمعنى اتبغون ايها المومنون هداية هولا المنافقين الذين
اضلهم الله عن الهدى **ومن يضلل الله** يعني عن الهدى **فلن تجد له سبيلا**
يعني فلن تجد له طريقا تهديه فيها الى الحق والهدى قوله تعالى **ودوا** يعني
تمنى اوليك الذين رجعوا عن الايمان الى الارتداد والكفر **لو تكفرون**
يعني تكفرون انتم يا معشر المومنين **كما كفروا فتكونون سوا** في الكفر
فلا تتخذوا منهم اوليا يعني من الكفار ومنع المومنين من موالاتهم **حتى**
يهاجروا يعني يسلموا او يهاجروا **في سبيل الله** معكم وهي هجرة اخرى والهجرة
على ثلاثة اوجه الاولى هجرة المومنين في اول الاسلام من مكة الى المدينة

الثانية

الثانية هجرة المومنين وهي الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سبيل الله مخلصين صابرين محتسبين كما حكى الله عنهم وفي هذه منع
المومنين من موالاة المنافقين حتى يهاجروا في سبيل الله والهجرة الثالثة
هجرة المومنين ما نهى الله عنه بقوله **فان تولوا** يعني فان اعرضوا عن
الاسلام والهجرة واختاروا الاقامة على الكفر **فخذوهم** الخطاب للمومنين
اي خذوهم ايها المومنون **واقتلوهم حيث وجدتموهم** يعني ان وجدتموهم
في الحل والحرم **ولا تتخذوا منهم وليا** يعني في هذه الحالة **ولا نصيرا** يعني
ينصركم على اعدايكم لانهم اعدا ثم استثنى الله عز وجل طايفة منهم
فقال تعالى **الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق** هذا الاستثنا
يرجع الى القتل لا الى الموالاة لان موالاة الكفار والمنافقين لا تجوز بحال
ومعنى يصلون ينتسبون اليهم او ينتمون اليهم او يدخلون معهم بالحلف
والجوار وقال ابن عباس يريدون يلجاون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق
اي عهد وهم الاسلميون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع
هلال بن عويمر الاسلمي عند خروجه الى مكة على ان لا يعينه ولا يعين
عليه ومن وصل الى هلال من قومه وغيرهم ولجا اليه فلهم الجوار مثل ما
لهلال وفي رواية عن ابن عباس قال اراد بالقوم الذين بينكم وبينهم
ميثاق بني بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح والهدنة وقيل هم خزاعة
والمعنى ان من دخل في عهد كان داخلا في عهدكم فهم ايضا داخلون
في عهدكم **او جاوكم حصرت صدورهم** يحتمل ان يكون عطفا على الذين ه
وتقديره الا الذين يتصلون بالمعاهدين او يتصلون بالذين حصرت
صدورهم فلا تقتلوهم وقيل يحتمل ان يكون عطفا على صفة قوم وتقديره
الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم عهد او يصلون الى قوم حصرت صدورهم
فلا تقتلوهم ومعنى حصرت اي ضاقت صدورهم عن المقاتلة فلا يريدون
قتالكم لانكم مسلمون ولا يريدون قتالهم لانهم اقاربهم وهم بنوا مدلج
وكانوا عاهدوا ان لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا ان لا يقاتلوهم
ان يقاتلوكم يعني ضاقت صدورهم عن قتالكم للعهد الذي بينكم وبينهم
او يقاتلوا قومهم يعني من امنهم وقيل معناه انهم لا يقاتلونكم مع قومهم
ولا يقاتلون قومهم معكم فقد ضاقت صدورهم لذلك عن قتالكم والقتال
معكم وهم قوم هلال الاسلميون وبنوا بكر نهى الله عن قتال هولا المرتدين
اذا اتصلوا باهل عهد المسلمين لان من انضم الى قوم ذوي عهد فله حكمهم
في حقن الدم وذلك ان الله تعالى اوجب قتال الكفار الا من كان معاهدا
ولجا الى معاهد او ترك القتال لانه لا يجوز قتل هولا على هذا القول
فالقول بالنسخ لازم لان الكافر وان ترك القتال فقتاله جايز وقال

جماعة من المفسرين معاهدة المشركين وموادعتهم في هذه الاية منسوخة
باية السيف وذلك لان الله لما اعز الاسلام واهله امران لا يقبل من مشركي
العرب الا الاسلام او القتل **ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم** يذكر
الله منته على المسلمين بكف باس المعاهدين وذلك لما القى الله الرعب
في قلوبهم وكفهم عن قتالكم ومعنى التسليط ههنا تقوية قلوبهم على قتل
المسلمين ولكن قذف الرعب في قلوبهم وكفهم عن المسلمين **فان اعتزلوكم**
يعني فان اعتزلوكم عن قتالكم **فلم يقاتلوكم** ويقال فلم يقاتلوكم يوم فتح
مكة مع قومهم **والقوا اليكم السلم** يعني الانقياد والصلح فانقادوا
واستسلموا **فما جعل الله لكم عليهم سبيلا** يعني بالقتل والقتال قال
بعض المفسرين ان هذا منسوخ باية القتال وهو قوله اقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم وقال بعضهم هي منسوخة غير لانا اذا حملنا على
المعاهدين فكيف يقال يمكن ان يقال انها منسوخة قوله عز وجل
ستجدون اخرين قال ابن عباس هم اسد وغطفان كانوا من حاضري
المدينة فتكلموا بكلمة الاسلام رياء وهم غير مسلمين وكان الرجل منهم يقول
له قومه بماذا امنت بقول امنت بهذا القرد والعقرب والخنفسا
واذا لقوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم انا على دينكم
يريدون بذلك الامن من الفريقين وفي رواية اخرى عن ابن عباس
انها نزلت في بني عبد الدار وكانوا بهذه الصفة **يريدون ان يامنوكم**
يعني يريدون باظهار الايمان الا ان يامنوكم فلا تتعرضوا لهم **ويامنوا
قومهم** فلا تتعرضوا لهم **كلما ردوا الى الفتنة** يعني كلما دعوا الى الشرك
اركسوا فيها رجعوا الى الشرك وعادوا اليه منكوسين على رؤسهم فيه
فان لم يعتزلوكم يعني فان لم يكفوا عن قتالكم حتى يسيروا الى مكة **ويلقوا
اليكم السلم ويكفوا ايديهم** اي ولم يلقوا الصلح ولم يكفوا عن قتالكم **فخذوهم**
يعني سرا **واقتلوهم حيث ثقفتموهم** يعني حيث ادركتموهم **واولئكم**
يعني اهل هذه الصفة **جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا** يعني حجة ظاهرة
بالقتل والقتال وقيل الحجة الواضحة هو ظهور عداوتهم وانكشاف حالهم
بالكفر والعداوة قوله تعالى **وما كان لمومن ان يقتل مومنا الا خطا** الاية
نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه اتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة فاسلم ثم خاف ان يظهر اسلامه لاهله
فخرج هاربا الى المدينة وتحصن في اطم من اطامها والاطم الحصن فجزعت
امه لذلك جزعا شديدا وقالت لابنيها الحرث وابي جهل بن هشام
وهما اخوي عياش بن ابي ربيعة لامه والله لا يظلني سقف ولا اذوق
طعاما ولا شرابا حتى تاتوني به فخرجا في طلبه وخرج معهم الحرث بن زيد

ابن ابي انيسة حتى اتوا المدينة فاتوا عياشا وهو في الاطم فقالوا انزل
فان امك لم يلويها سقف بعدك وقد حلفت لا تاكل ولا تشرب حتى ترجع
اليها ولك عهد الله علينا ان لا نكرهك على شيء يحول بينك وبين دينك
فلما ذكروا له جزع امه واوثقوا له العهد بالله نزل اليهم فاخرجوه من
المدينة واوثقوه بنسعة وجلدوه كل واحد منهم مائة جلدة ثم قدموا به
على امه فلما اتاها قالت لا احلك والله من وثاقك حتى تكفر بالذي
امنت به ثم تركوه موثقا في الشمس ما شاء الله فاعطاهم الذي
ارادوا فاتاه الحرث بن زيد فقال يا عياش اهذا الذي كنت عليه
لان كان هدى لقد تركت الهدى ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها
فغضب عياش من مقالته وقال والله لا القاك خاليا الا قتلتك
ثم ان عياشا اسلم بعد ذلك وهاجر واسلم الحرث بن زيد بعده
وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عياش حاضرا
يومئذ ولم يشعر باسلامه فبينا عياش يسير بظهر قبا اذ لقي الحرث
فقتله فقال له الناس ويحك يا عياس اي شيء صنعت انه قد اسلم فرجع
عياش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انه كان
من امري وامر الحرث ما قد علمت واني لم اشعر باسلامه حتى قتلته
فنزلت وما كان لمومن ان يقتل مومنا الا خطا ومعنى الاية وما كان
لمومن ان يقتل مومنا البتة وما كان له سبب جواز قتله وقيل معناه
ما كان له ذلك فيما اتاه من ربه وعهد اليه فنبه تحريم قتل المومن
من كل وجه وقوله تعالى الا خطا استثنا منقطع معناه لكن ان وقع
خطا فتحرير رقبة وقيل معناه ما كان لمومن ان يقتل مومنا البتة
الا ان يخطي المومن فكفارة خطايه ما ذكر من بعد والخطا فعل الشي
من غير قصد وتعمد **ومن قتل مومنا خطا فتحرير رقبة مومنة** يعني
فعليه اعتاق رقبة مومنة كفارة **ودية مسلمة الى اهله** اي وعليه
دية كاملة مسلمة الى اهل القتيل الذين يرثونه **الا ان يصدقوا** يعني
الا ان يتصدق اهل القتيل على القاتل بالدية ويعفوا عنه **فان كان**
يعني المقتول **من قوم عدو لكم وهو مومن فتحرير رقبة مومنة** اراد انه
اذا كان رجل مسلم في دار الحرب وهو منفرد مع قوم كفار فقتله ولم يعلم
باسلامه فلا دية عليه وعليه الكفارة وقيل المراد منه اذا كان المقتول
مسلما في دار الاسلام وهو من نسب قوم كفار واهله الذين يرثونه في
دار الحرب وهم حرب للمسلمين ففيه الكفارة ولا دية لاهله وكان الحرث
ابن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين فكان فيه الكفارة تحرير رقبة دون
الدية لانه لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد **وان كان من قوم بينكم**

وبينهم ميثاق اي عهد فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مومنة انه اذا كان المقتول كافرا معاهدا او ذميا فتجب فيه الدية والكفارة فمن لم يجد يعني الرقبة فصيام شهرين متتابعين اي فعليه صيام شهرين متتابعين بدلا عن الرقبة توبة من الله يعني جعل الله ذلك توبة لقاتل الخطا وكان الله عليما يعني من قتل خطا حكيما يعني فيما حكم به عليه من الدية والكفارة

فصل

في احكام تتعلق بالاية وفيه مسايل المسيلة الاولى في بيان صفة القتل قال الشافعي القتل على ثلاثة اقسام عمد وشبه عمد وخطا اما العمد المحض فهو ان يقصد قتل الانسان بما يقتل به غالبا فيقتل به ففيه القصاص عند وجود التكافي او دية حالة مغلظة في مال القاتل واما شبه العمد فهو ان يقصد ضرب انسان بما لا يقتل مثله غالبا مثل ان ضربه بعصى خفيفة او رماه بحجر صغير فمات فلا قصاص عليه وتجب عليه دية مغلظة على عاقلته موجلة الى ثلاث سنين واما الخطا المحض فهو ان لا يقصد قتله بل قصد شيا اخر فاصابه فمات منه فلا قصاص عليه وتجب فيه دية مخففة على عاقلته موجلة الى ثلاث سنين ومن صور قتل الخطا ايضا ان يقصد غيره مي مشرك او كافر فيصيب مسلما او يقصد قتل انسان يظنه مشركا بان كان عليه لباس المشركين او شعارهم فالصورة الاولى خطا في الفعل والثانية خطا في القصد المسيلة الثانية في حكم الديات ودية الحر المسلم مايه من الابل فاذا اعدمت الابل فتجب قيمتها من الدراهم او الدنانير في قول وفي قول بدل مقدور وهو الف دينار او اثنى عشر الف درهم ويدل على ذلك ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كانت الدية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمان مايه دينار او ثمانية الاف درهم قال وكانت دية اهل الكتاب يوميذ على النصف من دية المسلم فكانت كذلك حتى استخلف عمر فقام خطيبا فقال ان الابل قد غلت ففرضها عمر على اهل الذهب الف دينار وعلى اهل الورق اثنى عشر الف درهم وعلى اهل البقر مايتى بقرة وعلى اهل الشاة الفي شاة وعلى اهل الحلل مايتى حلة قال وترك دية اهل الكتاب ولم يرفعها فيما رفع من الدية اخرجه ابو داود فذهب قوم الى ان الواجب في الدية مايه من الابل او الف دينار او اثنى عشر الف درهم وهو قول عروة بن الزبير والحسن البصري وبه قال مالك وذهب قوم الى انها مايه من الابل او الف دينار او اثنى عشر الف درهم وهو قول سفيان الثوري واصحاب الراي ودية المراة نصف دية الذكر الحر ودية اهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم ان كان كتابيا وان كان

مجوسيا فخمس الثلث ثمانماية درهم وهو قول سعيد بن المسيب واليه ذهب الشافعي وذهب قوم الى ان دية الذمي والمعاهد مثل دية المسلم روي ذلك عن ابن مسعود وهو قول سفين الثوري واصحاب الراي وقال قوم دية الذمي نصف دية المسلم وهو قول عمر بن عبد العزيز وبه قال مالك واحمد والاصل في ذلك ما روي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دية المعاهد نصف دية الحر اخرجه ابو داود وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عقل اهل الذمة نصف عقل المسلمين وهم اليهود والنصارى اخرجه النسائي فمن ذهب الى ان دية اهل الذمة ثلث دية المسلم اجاب عن هذا الحديث بان الاصل في ذلك كان النصف ثم رفع زمن عمر الى ثلث دية المسلم ولم يرفع دية الذمي فبقي على اصلها وهو قدر الثلث من دية المسلمين والدية في قتل العمد وشبه العمد مغلظة فتجب ثلاثون حقة وثلاثون جذعة واربعون خلفة في بطونها اولادها وهذا قول عمر وزيد ابن ثابت وبه قال عطا واليه ذهب الشافعي لما روي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل متعمدا دفع الى اوليا المقتول فان شاوا قتلوا وان شاوا اخذوا الدية وهي ثلاثون حقة وثلاثون جذعة واربعون خلفة وما صولحوا عليه فهو لهم وذلك لتشديد العقل اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن عقبة بن اوس عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال الا ان قتل العمد بالسوط والعصا والحجر مايه من الابل اربعون ثنية الى بازل عامها كلهن خلفة وفي رواية اخرى الا ان كل قتيل خطا العمد او شبه العمد قتيل السوط والعصا مايه من الابل فيها اربعون في بطونها اولادها اخرجه النسائي وذهب قوم الى ان الدية المغلظة ارباع خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة وهذا قول الزهري وربيعة واليه ذهب مالك واحمد واصحاب الراي واما دية الخطا فمخففة وهي اخماس بالاتفاق غير انهم اختلفوا في تقسيمها فذهب قوم الى انها عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وهذا قول عمر بن عبد العزيز وسليمان بن يسار والزهري وربيعة وبه قال مالك والشافعي وابدل قوم بني اللبون ببنات المخاض يروى ذلك عن ابن مسعود وبه قال احمد واصحاب الراي والدية في قتل الخطا وشبه العمد على

العاقلة وهم العصبات من الذكور ولا يجب على الجاني منها شي لان النبي
صلى الله عليه وسلم اوجبها على العاقلة ودية الاعضا والاطراف حكمها
مبين في كتب الفقه ودية اعضا المراة على النصف من دية اعضا الرجال
والله اعلم المسئلة الثالثة في حكم الكفارة والكفارة اعتاق رقبة مومنة
وتجب في مال القاتل سوا كان المقتول مسلما او معاهدا رجلا كان او
امراة حرا كان او عبدا فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين
فالقاتل ان كان واجدا للرقبة او قادرا على تحصيلها بوجود الثمن
فاضلا عن نفقته ونفقة عياله وحاجته من مسكن ونحوه فعليه
الاعتاق ولا يجوز له ان ينتقل الى الصوم فان عجز عن الرقبة او عن تحصيل
ثمنها فعليه صوم شهرين متتابعين فان افطر يوما متعمدا في خلال
الشهرين او نسي النية او نوى صوما اخر وجب عليه استيناف الشهرين
وان افطر يوما بعذر مرض او سفر هل ينقطع التتابع اختلف العلما
فمنهم من قال ينقطع التتابع وعليه استيناف الشهرين وهو قول النخعي
واظهر اقوال الشافعي لانه افطر مختارا ومنهم من قال لا ينقطع التتابع
وعليه ان يبني وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والشعبي ولو
حاضت المراة في خلال الشهرين افطرت ايام الحيض ولا ينقطع التتابع
فاذا طهرت بنت لانه امر كتبه الله على النسا ولا يمكن الاحتراز عنه
فان عجز عن الصوم فهل ينتقل عنه الى الاطعام فيطعم ستين مسكينا
فيه قولان احدهما انه ينتقل الى الاطعام كما في كفارة الظهار ٥
والثاني لم ينتقل لان الله تعالى لم يذكر له بدلا فقال صيام شهرين
متتابعين توبة من الله فنص على الصوم وجعل ذلك عقوبة لقاتل
الخطا والله اعلم قوله عز وجل ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاوه جهنم نزلت
في مقيس بن صبابة الكناني وكان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد
اخاه هشام قتيلا في بني النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكر له ذلك فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني فهر
الى بني النجار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركم ان علمتم قاتل
هشام بن صبابة ان تدفعوه الى اخيه مقيس فيقتص منه وان لم تعلموه
فادفعوا اليه ديته وبلغهم الفهري ذلك فقالوا سمعا وطاعة لله
ولرسوله ما نعلم له قاتلا ولكنا نودي اليه ديته فاعطوه مائة من
الابل فانصرفوا راجعين نحو المدينة فاتى الشيطان مقيسا فوسوس
اليه فقال له تقبل دية اخيك فتكون عليك مسبة اقتل الفهري
الذي معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية فتغفل الفهري
ورماه بصخرة فقتله ثم ركب بعيرا من الابل وساق بقيتها راجعا

الى

الى مكة كافرا وقال في ذلك

قتلت به فهرا وحملت عقله ۝ سراة بني النجار ارباب فارع
وادركت ثاري واضطجعت موسدا ۝ وكنت الى الاصنام اول راجع

فنزلت فيه ومن يقتل مومنا متعمدا يعني قاصدا لقتله فجزاوه جهنم
خالدا فيها يعني بكفره وارتداده وهو الذي استثناه النبي صلى الله عليه
وسلم يوم فتح مكة ممن امنه من اهلها فقتل وهو متعلق باستار الكعبة
وغضب الله عليه يعني لاجل كفره وقتله المومن متعمدا ولعنه يعني
وطرده من رحمته واعد له عذابا عظيما اختلف العلما في حكم هذه الاية
هل هي منسوخة ام لا وهل لمن قتل مومنا متعمدا توبة ام لا فروي عن
سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس المن قتل مومنا متعمدا توبة ام لا
فروى عن سعيد بن جبير قلت لابن عباس قال لا فتلوت عليه الاية
التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي
حرم الله الا بالحق الى اخر الاية قال هذه اية مكية نسختها اية مدنية
ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاوه جهنم وفي رواية قال اختلف اهل الكوفة
في قتل المومن فرحلت الى ابن عباس فقال نزلت في اخر ما نزل ولم ينسخها
شي وفي رواية اخرى قال ابن عباس نزلت هذه الاية بالمدينة والذين
لا يدعون مع الله الها اخر الى قوله مهانا فقال المشركون وما يغني عنا
الاسلام وقد عدلنا بالله وقد قتلنا النفس التي حرم الله واتينا الفواحش
فانزل الله الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا الى اخر الاية زاد في رواية
فاما من دخل في الاسلام وعقله ثم قتل فلا توبة له اخرجاه في الصحيحين
وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه ناظر ابن عباس في هذه
الاية فقال من اين لك انها محكمة فقال ابن عباس تكاثف الوعيد
فيها وقال ابن مسعود انها محكمة وما تزداد الا شدة وعن خارجة بن
زيد قال سمعت زيد بن ثابت يقول انزلت هذه الاية ومن يقتل مومنا
متعمدا فجزاوه جهنم خالدا فيها بعد التي في الفرقان والذين لا يدعون
مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق بستة اشهر
اخرجه ابو داود والنسائي في رواية له بثمانية اشهر وقال زيد بن ثابت
لما نزلت الاية التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها اخر عجبنا
من لينها فلبثنا سبعة اشهر ثم نزلت الغليظة بعد اللينة فنسخت اللينة
واراد بالغليظة هذه الاية التي في سورة النسا وباللينة اية الفرقان
وذهب الاكثرون من علما السلف والخلف ان هذه الاية منسوخة ٥
واختلفوا في ناسخها فقال بعضهم نسخها التي في الفرقان وليس هذا
القول بالقوي لان اية الفرقان نزلت قبل اية النسا والمتقدم لا ينسخ

المتاخر وذهب جمهور من قال بالنسخ ان ناسخها الاية التي في النسا ايضا
وهو قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا
واجاب من ذهب الى انها منسوخة عن حديث ابن عباس المتقدم المخرج
في الصحيحين بان هذه الاية خبر عن وقوع العذاب بمن فعل ذلك
الامر المذكور في الاية والنسخ لا يدخل الاخبار ولين سلمنا انه يدخله
النسخ لكن الجمع بين الايتين ممكن بحيث لا يكون بينهما تعارض وذلك
بان يحمل مطلق اية النسا على تقييد اية الفرقان فيكون المعنى فجزاوه
جهنم الا من تاب وقال بعضهم ما ورد عن ابن عباس انما هو على سبيل
التشديد والمبالغة في الزجر عن القتل فهو كما روي عن سفيان بن
عيينة انه قال ان لم تقتل يقال له لا توبة لك وان قتل ثم ندم وجاء
تائبا يقال له لك توبة وقيل انه قد روي عن ابن عباس مثله وروي
عنه ايضا ان توبته تقبل وهو قول اهل السنة ويدل عليه الكتاب
والسنة اما الكتاب فقوله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل
صالحا ثم اهتدي وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا واما السنة
فما روي عن جابر بن عبد الله قال جا اعرابي الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك
بالله شيا دخل الجنة ومن مات يشرك به شيا دخل النار اخرجه
مسلم ق عن عبادة بن الصامت قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في مجلس فقال تبايعوني على ان لا تشركوا بالله شيا ولا تسرقوا
ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وفي رواية ولا تقتلوا
اولادكم ولا تاتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم وارجلكم ولا تعصوني في
معروف فمن وفى منكم فاجره على الله ومن اصاب شيا من ذلك فستره
الله عليه فامره الى الله ان شا عفى عنه وان شا عذبه فبايعناه على
ذلك **فصل** وقد تعلقت المعتزلة والوعيدية بهذه الاية
لصحة مذهبهم على ان الفاسق يخلد في النار واجاب علما السنة
بان الاية نزلت في كافر قتل مسلما وهو مقيس بن صبابة فتكون الاية
على هذا مخصوصة وقيل هذا الوعيد لمن قتل مسلما مستحلا لقتله
ومن استحل قتل مسلم كان كافرا وهو مخلد في النار بسبب كفره وعن ابي
مجلز في قوله ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاوه جهنم قال هي جزاوه فان
شا الله ان يتجاوز عن جزائه فعل اخرجه ابو داود وقيل ان الخلود
لا يقتضي التابيد بل معناه دوام الحالة التي هو عليها ويدل عليه
قول العرب للايام خوالد وذلك لطول مكثها لا لدوام بقائها واذا ذكر
الخلود في حق الكفار قرنه بذكر التابيد كقوله خالدين فيها ابدا فاذا قرن

الخلود

الخلود بهذه اللفظة علم ان المراد منه الدوام الذي لا ينقطع اذا ثبت
هذا كان معنى الخلود المذكور في الاية ان الله تعالى يعذب قاتل المومن
عمدا في النار الى حيث يشا الله ثم يخرجه منها بفضل رحمته وكرمه فاذا قد
ثبت في احاديث الشفاعة الصحيحة اخراج جميع الموحدين من النار
وقيل ان قاتل المومن عمدا عدوانا اذا تاب قبلت توبته بدليل قوله
تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشا ولان الكفر اعظم من هذا القتل واذا
كانت توبة الكافر من كفره مقبولة بدليل قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف فاذا كانت التوبة من الكفر مقبولة فلان تقبل
من القاتل اولى قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل
الله فتبينوا الاية قال ابن عباس نزلت في رجل من بني مرة بن عوف
يقال له مرداس بن نهيك وكان من اهل فدك لم يسلم من قومه غيره
فسمعوا بسرية الرسول صلى الله عليه وسلم تريدهم وكان على السرية
رجل يقال له غالب بن فضالة الليثي فهربوا منه واقام ذلك الرجل
المسلم فلما راى الخيل خاف ان لا يكونوا مسلمين فالجا غنمه الى عاقول
من الجبل وصعد هو الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فعرف
انهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر ونزل وهو يقول
لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فتغشاه اسامة بن زيد
بسيفه فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخبروه الخبر فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك
وجدا شديدا وكان قد سبقهم الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقتلتموه ارادة ما معه ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اسامة
ابن زيد هذه الاية فقال اسامة استغفر لي يا رسول الله فقال كيف
انت بلا اله الا الله يقولها ثلاث مرات قال اسامة فما زال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكررها حتى وددت اني لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم
استغفر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اعتق رقبة وروى
ابو ظبيان عن اسامة قال قلت يا رسول الله انما قالها خوفا من السلاح
فقال افلا شققت عن قلبه حتى تعلم اقالها خوفا ام لا وفي رواية عن ابن
عباس قال مر رجل من بني سليم على نفر من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومعه غنم فسلم عليهم فقالوا انما سلم عليكم ليتعوذ منكم فقاموا
اليه فقتلوه واخذوا غنمه فاتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله عز وجل هذه الاية يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل
الله يعني اذا سافرتم الى الجهاد فتبينوا من البيان يقال تبينت الامر
اذا تبينته قبل الاقدام عليه وقرى فتثبتوا من التثبت وهو خلاف

العجلة والمعنى فتفنوا او تثبتوا حتى تعرفوا المومن من الكافر وتعرفوا
حقيقة الامر الذي تقدموا عليه **ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام**
يعنى التحية يعنى لا تقولوا لمن حياكم بهذه التحية انه انما قالها
تعوذا فتقدموا عليه بالسيف لتاخذوا ماله ولكن كفوا عنه واقبلوا
منه ما اظهره لكم وقرى السلم بفتح السين من غير الف ومعناه الاستسلام
والانقياد اي استسلم وانقاد لكم وقال لا اله الا الله محمد رسول الله
وقيل السلام والسلم بمعنى واحد اى لا تقولوا لمن سلم عليكم **لست
مومنا** يعنى لست من اهل الايمان فتقتلوه بذلك قال العلما اذا
راى الغزاة فى بلد او قرية او حى من العرب شعار الاسلام يجب عليهم
ان يكفوا عنهم ولا يغيروا عليهم لما روي عن عصام المزنى قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث جيشا او سرية يقول لهم اذا رايتم
مسجدا او سمعتم موذنا فلا تقتلوا احدا اخرجه ابو داود والترمذي
وقال اكثر الفقها لو قال اليهودى او النصرانى انا مومن لا يحكم بايمانه
لانه يدعى ان الذي هو عليه ايمان ولو قال لا اله الا الله محمد رسول
الله فعند بعض العلما لا يحكم باسلامه حتى يتبرى من دينه الذى
كان عليه ويعترف انه دين باطل وذلك لان بعض اليهود يزعم
ان محمدا رسول العرب خاصة لا انه رسول الى الكافة فاذا اعترف
ان محمدا رسول الله الى كافة الخلق وان الذى كان عليه من التهود
او التنصر باطل صح اسلامه وحكم بصحته وقوله تعالى **تبتغون عرض
الحياة الدنيا** يعنى تطلبون الغنيمة التى هى حطام من حطام الدنيا
سريع النفاد والذهاب وعرض الدنيا منافعها ومتاعها **فعند
الله مغانم كثيرة** اى غنايم كثيرة من رزقه يغنمكموها يغنيكم بها
عن قتل من يظهر الاسلام ويتعوذ به وقيل معناه فعند الله ثواب
كثير لمن اتقى قتل المومن **كذلك كنتم من قبل** يعنى كما كان هذا الذي
القى اليكم السلام فقلتم له لست مومنا فقتلتموه كنتم انتم من قبل ان
يعز الله الاسلام دينه كنتم تستخفون انتم بدينكم كما استخفى هذا
الذي قتلتموه بدينه من قومه حذرا على نفسه منهم وقيل معناه
كذلك كنتم تامنون فى قومكم بهذه الكلمة فلا تخفروا من قالها ولا
تقتلوه وقيل معناه كذلك كنتم من قبل مشركين **فمن الله عليكم**
يعنى بالاسلام والهداية فلا تقتلوا من قال لا اله الا الله وقيل
معناه من عليكم باعلان الاسلام بعد الاختفا وقيل من عليكم
بالتوبة **فتبينوا** اى ولا تعجلوا بقتل مومن وهو تاكيد للامر
بالتبين **ان الله كان بما تعملون خبيرا** يعنى فلا تتهاونوا فى القتل

وكونوا

وكونوا محترزين من ذلك محتاطين فيه قوله عز وجل **لا يستوى
القاعدون من المومنين غير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله
باموالهم وانفسهم** الاية **خ** عن زيد بن ثابت قال املى على النبى صلى
الله عليه وسلم لا يستوي القاعدون من المومنين والمجاهدون فى سبيل
الله فجاءه ابن ام مكتوم وهو يملها على فقال والله يا رسول الله لو
استطيع الجهاد لجاهدت وكان اعمى فانزل الله عز وجل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذى فثقلت على حتى خفت ان ترض
فخذى ثم سرى عنه فانزل الله عز وجل غير اولى الضرر **ق** عن البرا
ابن عازب لما نزلت لا يستوى القاعدون من المومنين دعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم زيدا فجا بكتف فكتبها وشكى ابن ام مكتوم ضرارته
فنزلت لا يستوي القاعدون من المومنين غير اولى الضرر وفى رواية
اخرى فلما نزلت لا يستوى القاعدون من المومنين قال النبى صلى
الله عليه وسلم ادعوا فلانا فجاءه ومعه الدواة واللوح والكتف
فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المومنين والمجاهدون فى سبيل
الله وخلف النبى صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم فقال يا رسول
الله انا ضرير فنزلت مكانها لا يستوى القاعدون من المومنين غير
اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله هذه الرواية الثانية اخرجها
ابن الاثير فى كتابه جامع الاصول واضافها الى البخارى ومسلم ولم اجدها
فى كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدى وفى هذه الاية فضل الجهاد فى
سبيل الله والحث عليه فقوله لا يستوى القاعدون من المومنين
يعنى لا يعدل المتخلفون عن الجهاد فى سبيل الله من المومنين والمجاهدون
فى سبيل الله غير اولى الضرر يعنى غير اولى الزمانة والضعف فى
البدن والبصر فانهم يساوون المجاهدين لان العذر اقعدهم عن الجهاد
م عن جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة رجالا ما سرتم مسيرا
ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض **خ** عن انس قال رجعنا
من غزوة تبوك مع النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان اقواما خلفنا
بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا واديا الا وهم معنا حبسهم العذر **خ** عن
ابن عباس قال لا يستوى القاعدون من المومنين عن بدر والخارجون
اليها وقوله تعالى **فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على
القاعدين درجة** يعنى فضيلة فى الاخرة قال ابن عباس اراد بالقا
هنا اولى الضرر فضل الله المجاهدين على اولى الضرر درجة لان
المجاهد باشر الجهاد بنفسه وماله مع النية واولوا الضرر كانت لهم

عدين

نية ولم يباشروا الجهاد فنزلوا عن المجاهدين درجة **وكلا** يعنى المجاهدين
والقاعدين **وعد الله الحسنى** يعنى الجنة بايمانهم **وفضل الله المجاهدين**
يعنى فى سبيل الله **على القاعدين** يعنى الذين لا عذر لهم ولا ضرر **اجرا**
عظيما يعنى ثوابا جزيلا ثم فسر ذلك الاجر العظيم فقال تعالى **درجات**
منه قال قتادة كان يقال للاسلام درجة والهجرة فى الاسلام درجة
والجهاد فى الهجرة درجة والقتل فى الجهاد درجة وقال ابن زيد
الدرجات هى سبع وهى التى ذكر الله فى سورة براءة حين قال ذلك
بانهم لا يصيبهم ظما ولا نصب ولا مخمصة الى قوله ولا يقطعون واديا
الا كتب لهم وقال ابن محيريز والدرجات سبعون درجة ما بين
كل درجتين حضر الفرس الجواد المضمر سبعون سنة **م** عن ابى سعيد
الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رضى بالله ربا
وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا وجبت له الجنة فعجب لها ابو سعيد
فقال اعدها على يا رسول الله فاعادها عليه ثم قال واخرى يرفع
الله بها العبد مائة درجة فى الجنة ما بين كل درجتين كما بين السما
والارض قال وما هى يا رسول الله قال الجهاد فى سبيل الله **خ** عن ابى
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من امن بالله ورسوله
واقام الصلاة واتى الزكاة وصام رمضان وحج البيت كان حقا على
الله ان يدخله الجنة جاهد فى سبيل الله او جلس فى ارضه التى
ولد فيها فقالوا اولا نبشر الناس بذلك فقال ان فى الجنة مائة
درجة اعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين
كما بين السما والارض فاذا سالتم الله فاسالوه الفردوس الاعلى
فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار
الجنة فان قلت قد ذكر الله عز وجل فى الاية الاولى درجة واحدة
وذكر فى هذه الاية درجات فما وجه الحكمة فى ذلك قلت اما
الدرجة الاولى فلتفضيل المجاهدين على القاعدين بوجود الضرر
والعذر واما الثانية فلتفضيل المجاهدين على القاعدين من غير
ضرر ولا عذر فضلوا عليهم بدرجات كثيرة وقيل يحتمل ان تكون
الدرجة الاولى درجة المدح والتعظيم والدرجات درجات الجنة
ومنازلها كما فى الحديث والله اعلم وقوله تعالى **ومغفرة** يعنى لذنوبهم
يسترها ويصفح **ورحمة** يعنى رافة بهم **وكان الله غفورا** يعنى لذنوب
عباده المومنين **رحيما** يعنى بهم يتفضل عليهم برحمته ومغفرته عن
ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه عز وجل قال
ايما عبد من عبادي خرج مجاهدا فى سبيل الله ابتغاء مرضاتى

ضمنت

ضمنت له الجنة ان ارجعته ارجعته بما اصاب من اجر او غنيمة وان قبضته
غفرت له ورحمته اخرجه النسائي **فصل** اعلم ان الجهاد ينقسم
الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين ان يدخل العدو دار قوم من
المومنين وبلادهم فيجب على كل مكلف من الرجال ممن لا عذر له ولا ضرر
به من اهل تلك البلدة الخروج الى عدوهم دفعا عن انفسهم وعن اهليهم
وجيرانهم وسوا فى ذلك الحر والعبد والغنى والفقير فيجب على الكافة
وهو فى حق من بعد عنهم من المسلمين فرض كفاية فان لم تقع الكفاية
بمن نزل بهم من العدو فيجب مساعدتهم على من قرب منهم من
المسلمين او بعد عنهم وان وقعت الكفاية بالمنزول بهم فلا فرض على
الابعدين الا على طريق الاختيار ولا يدخل فى هذا الفرض اعنى فرض
الكفاية الفقرا والعبيد اذا كان الكفار قارين فى بلادهم فعلى
الامام ان لا يخلى كل سنة من غزاة يغزوهم فيها اما بنفسه او بسراياه
حتى لا يبطل الجهاد والاختيار للمطيق الجهاد مع وقوع الكفاية بغيره ولا
يقعد عنه ولكن لا يفرض عليه لان الله تعالى وعد المجاهدين والقاعدين
الثواب بقوله وكلا وعد الله الحسنى ولو كان فرضا على الكفاية
لاستحق القاعدون عن الجهاد العقاب لا الثواب والله اعلم قوله
تعالى **ان الذين توفاهم الملايكة ظالمى انفسهم** الاية نزلت فى اناس تكلموا
بالاسلام ولم يهاجروا منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن
المغيرة واشباههما فلما خرج المشركون الى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع
الكفار فانزل الله هذه الاية ان الذين توفاهم الملايكة يعنى ملك الموت
واعوانه وهم ستة ثلاثة منهم يلون قبض ارواح المومنين وثلاثة يلون
قبض ارواح الكفار وقيل اراد به ملك الموت وحده وانما ذكره بلفظ الجمع
على سبيل التعظيم كما يخاطب الواحد بلفظ الجمع وفى المتوفى هنا قولان احدهما
انه قبض ارواحهم والثانى حشرهم الى النار فعلى القول الثانى يكون المراد
بالملايكة الزبانية الذين يلون تعذيب الكفار ظالمى انفسهم يعنى
بالشرك وقيل بالمقام فى دار الشرك وذلك لان الله تعالى لم يقبل الاسلام
من احد بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم حتى يهاجر اليه ثم نسخ ذلك
بعد فتح مكة بقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد
ونية اخرجاه فى الصحيحين وقيل ظالمى انفسهم بخروجهم مع المشركين
يوم بدر وتكثير سوادهم حتى قتلوا معهم فضربت الملايكة وجوههم وادبارهم
قالوا فيم كنتم سوال توبيخ وتقريع يعنى قالت الملايكة لهولا الذين قتلوا
فى اي الفريقين كنتم فى فريق المسلمين او فى فريق المشركين فاعتذروا ه
بالضعف عن مقاومة المشركين وهو قوله تعالى اخبارا عنهم **قالوا كنا**

مستضعفين يعني عاجزين في الارض يعني ارض مكة قالوا يعني قالت
لهم الملايكة الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها يعني الى المدينة
وتخرجوا من بين اظهر المشركين فاكذبهم الله في قولهم كنا مستضعفين
واعلمنا كذبهم فاوليك من هذه صفتهم ماواهم يعني منزلهم جهنم وساءت
مصيرا يعني بيس المصير مصيرهم ثم استثنى اهل العذر ومن علم ضعفه
منهم فقال تعالى الا المستضعفين من الرجال والنسا والولدان لا يستطيعون
حيلة يعني لا يقدرون على حيلة ولا نفقة ولا قوة لهم على الخروج من مكة
ولا يهتدون سبيلا يعني ولا يعرفون طريقا يسلكونه الى المدينة فاوليك
يعني المستضعفين واهل الاعذار عسى الله ان يعفو عنهم حتى يتجاوز
عنهم بفضله واحسانه وعسى من الله واجب لانه اطماع وترج والله
تعالى اذا اطمع عبدا وصله الله اليه وكان الله عفوا غفورا قال ابن
عباس كنت انا وامي ممن عذر يعني من المستضعفين وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعو لهولا المستضعفين في الصلاة ق عن ابي
هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من الركعة
الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن
ابي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم
اجعلها عليهم سنين كسني يوسف قوله عز وجل ومن يهاجر
في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة قال الزجاج يعني
مراغما مهاجرا يعني يجد في الارض مهاجرا يعني ان المهاجر لقومه والمراغم
لهم بمنزلة واحدة وان اختلف اللفظان وهو ماخوذ من الرغام وهو التراب
يقال رغم انفه اذا لصق بالتراب وذلك لان الانف عضو شريف والتراب
ذليل حقير فجعلوا قوله رغم انفه كناية عن حصول الذل ويقال راغمت
فلانا يعني هجرته وعاديته وما ابالي به رغم انفه ويقوي ذلك قول بعض
اهل اللغة هو الخروج من بلاد العدو برغم انفه وقيل معناه ان الرجل
اذا خرج عن قومه خرج مراغما لهم اي مغاضبا لهم ومقاطعا وقال الفرا
المراغم المضطرب والمذهب في الارض وانشد الزجاج في المعنى

• الى بلد عزيز ناي المحل • بعيد المراغم والمضطرب •

فعلى هذا يكون معنى الاية يجد مذهبا يذهب اليه اذا راى ما يكرهه
هذا قول اهل اللغة في معنى المراغمة وقال ابن عباس يجد متحولا يتحول
اليه من ارض الى ارض وقال مجاهد يجد متزحزحا عما يكره وقيل يجد متقلبا
يتقلب اليه وقيل المراغمة والمهاجرة واحد يقال راغمت قومي اي هاجرتهم
وسميت المهاجرة مراغمة لانها مهاجر قومه برغمهم وقوله وسعة يعني
في الرزق وقيل يجد سعة من الضلالة الى الهدي وقيل يجد سعة في الارض

التي

التي يهاجر اليها قال ابن عباس لما نزلت الاية التي قبل هذه سمعها رجل من
بني ليث شيخ كبير مريض يقال له جندع بن ضمرة فقال والله ما انا ممن استثنى
الله عز وجل فاني لاجد حيلة ولي من المال ما يبلغني الى المدينة وابعد
منها والله لا ابيت الليلة بمكة اخرجوني فخرجوا به يحملونه على سرير حتى اتوا
به التنعيم فادركه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك
وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك رسولك ثم مات فبلغ خبره اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو وافى المدينة لكان اتم واوفى
اجرا وضحك المشركون وقالوا ما ادرك ما طلب فانزل الله عز وجل
ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت يعني
قبل بلوغه الى مهاجره فقد وقع اجره على الله يعني فقد وجب اجر هجرته
على الله بايجابه على نفسه بحكم الوعد والتفضل والكرم لا وجوب ٥
استحقاق وحتم قال بعض العلما ويدخل في حكم الاية من قصد فعل
طاعة من الطاعات ثم عجز عن اتمامها كتب الله له ثواب تلك الطاعة
كاملا وقال بعضهم انما يكتب له اجر ذلك القدر الذي عمل واتى به اما تمام
الاجر فلا والقول الاول اصح لان الاية انما نزلت في معرض الترغيب
من الهجرة وان من قصدها ولم يبلغها بل مات دونها فقد حصل له ثواب
الهجرة كاملا فكذلك كل من قصد فعل طاعة ولم يقدر على اتمامها كتب الله
له ثوابها كاملا وكان الله غفورا رحيما يعني ويغفر الله له ما كان من
القعود قبل الهجرة الى ان خرج مهاجرا قوله عز وجل واذا ضربتم
في الارض يعني اذا سافرتم فيها فليس عليكم جناح اي حرج واثم ان تقصروا
من الصلاة يعني من اربع ركعات الى ركعتين وذلك في صلاة الظهر والعصر
والعشا واصل القصر في اللغة التضييق وقيل هو ضم الشي الى اصله وفسر
ابن الجوزي القصر بالنقص ولم اره لاحد من اهل التفسير واللغة وقيل معنى
قصر الصلاة جعلها قصيرة بترك بعض ركعاتها او بعض اركانها ترخيصا
ولهذا السبب ذكروا في تفسير قصر الصلاة المذكورة في الاية قولين احدهما
انه في عدد الركعات وهو رد الصلاة الرباعية الى ركعتين والقول
الثاني ان المراد من القصر ادخال التخفيف في ادايها وهي ان يكتفي بالايما
والاشارة عن الركوع والسجود والقول الاول اصح ويدل عليه من قوله
ان تقصروا من الصلاة ولفظة من هنا للتبعيض وذلك يوجب جواز
الاقتصار على بعض الصلاة فثبت بهذا ان تفسير القصر باسقاط بعض
الصلاة اولى ان خفتم ان يفتنكم يعني يغتالكم ويقتلكم في الصلاة الذين
كفروا ذهب داود الظاهري الى ان جواز القصر مخصوص بحال الخوف
واستدل على صحة مذهبه بقوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا

ولان عدم الشرط يقتضي عدم المشروط فعلى هذا لا يجوز القصر عند
الامن ولا يجوز دفع هذا الشرط بخبر الاحاد لانه يقتضي نسخ القران بخبر
الواحد وذهب جمهور اهل العلم الى ان القصر في حال الامن في السفر جايز
ويدل عليه ما روي عن يعلى بن امية قال قلت لعمر بن الخطاب ليس
عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فقد
امن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق بها الله عليكم فاقبلوا
صدقته اخرجه مسلم وعن عبد الله بن خالد بن اسيد انه قال لابن عمر
كيف تقصروا الصلاة وانما قال الله تعالى ليس عليكم جناح ان تقصروا
من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فقال عمر يا ابن اخي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتانا ونحن في ضلال فعلمنا فكان فيما علمنا ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا ان نصلي ركعتين في السفر اخرجه
النسائي وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج
من المدينة الى مكة لا يخاف الا رب العالمين فصلى ركعتين اخرجه
الترمذي والنسائي واجاب الجمهور عن قوله تعالى ان خفتم
ان كلمة ان تفيد حصول الشرط ولا يلزم عدم المشروط فقوله تعالى ان
خفتم يقتضي ان عند عدم الخوف لا يحصل رخصة القصر واذا كان كذلك
كانت الاية ساكتة عن حال الامن فاثبات الرخصة حال الامن بخبر
الواحد يكون اثباتا لحكم سكت عنه القران **فان قلت**
اذا كان هذا الحكم ثابتا في حال الامن والخوف فما فايدة تقييده بحال
الخوف **قلت** انما نزلت الاية في بعض اسفار النبي صلى الله عليه
وسلم واكثرها ولم يخل عن خوف العدو وقد ذكر الله عز وجل هذا
الشرط من حيث انه الاغلب في الوقوع وقوله تعالى ان الكافرين
كانوا لكم عدوا مبينا اي ظاهروا العداوة فلعلمي بهذا رخصت لكم في قصر
الصلاة لئلا يجدوا الى قتلكم واغتيالكم سبيلا وانما قال عدوا ولم يقل
اعداء لانه يستوي فيه الواحد والجمع **فصل** في احكام تتعلق
بالاية وفيه مسايل المسئلة الاولى في حكم القصر قصر الصلاة في حالة
السفر جايز باجماع الامة وانما اختلفوا في جواز الاتمام في حال السفر
فذهب اكثر العلماء ان القصر واجب في السفر وهو قول عمر وعلي وابن
عمر وجابر وابن عباس وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة
وهو قول مالك وابي حنيفة ويدل عليه ما روي عن عايشة قالت
فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم اتمها في الحضر واقرت
صلاة السفر على الفريضة الاولى وفي رواية اخرى قالت فرضت الصلاة

حين فرضها ركعتين في السفر والحضر فاقرت صلاة السفر وزيد في
صلاة الحضر اخرجاه في الصحيحين وذهب قوم الى جواز الاتمام في
السفر ولكن القصر افضل يروى ذلك عن عثمان وسعد بن ابي وقاص
واليه ذهب الشافعي واحمد وهو رواية عن مالك ويدل على ذلك
ما روي البغوي بسند الشافعي عن عايشة قالت كل ذلك قد فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر واتم وعن عايشة انها اعتمرت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة حتى اذا
قدمت مكة قالت يا رسول الله بابي انت وامي قصرت واتممت
وصمت وافطرت قال احسنت يا عايشة وما عاب علي اخرجه
النسائي وظاهر القران يدل على ذلك لان الله تعالى قال فليس
عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ولفظ لا جناح انما يستعمل
في الرخصة لا فيما يكون حتما واجيب عن حديث عايشة فرض
الله الصلاة ركعتين بان معناها فرضت ركعتين اولا وزيد في
صلاة الحضر ركعتان على سبيل التحتم واقرت صلاة السفر على جواز
الاقتصار عليهما وثبت جواز الاتمام بدليل اخر فوجب المصير اليه
ليمكن الجمع بين الاحاديث ودلايل الشرع المسئلة الثانية اختلف
في صلاة المسافر اذا صلى ركعتين ركعتين هل هي مقصورة ام غير
مقصورة فذهب قوم الى انها غير مقصورة وانما فرض صلاة المسافر
ركعتان تمام غير قصر يروى ذلك عن ابن عباس وجابر بن عبد الله
واليه ذهب سعيد بن جبير والسدي وابو حنيفة فعلى هذا يكون
معنى القصر المذكور في الاية هو تخفيف ركوعها وسجودها وقد
تقدم الجواب عنه وذهب قوم الى انها مقصورة وليست باصل وهو
قول مجاهد وطاوس واليه ذهب الشافعي واحمد المسئلة الثالثة
مذهب الشافعي ومالك واحمد والجمهور انه يجوز القصر في كل سفر
مباح وشرط بعضهم كونه سفر حج او عمرة او جهاد او سفر طاعة ولا
يجوز القصر في سفر المعصية وقال ابو حنيفة والثوري يجوز ذلك
المسئلة الرابعة اختلف العلماء في مسافة القصر فقال داود
واهل الظاهر يجوز القصر في قصير السفر وطويله ويروى ذلك
عن انس ايضا وقال عمرو بن دينار قال لي جابر بن زيد اقصر بعرفة
واما عامة اهل العلم فانهم لا يجوزون القصر في السفر القصير واختلفوا
في حد الطويل الذي يجوز فيه القصر فقال الاوزاعي مسيرة يوم وكان
ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران في مسيرة اربعة برد وهي ستة
عشر فرسخا واليه ذهب مالك واحمد واسحق وقول الحسن والزهري

قريب من ذلك فانهما قالا مسيرة يومين واليه ذهب الشافعي فقال
مسيرة ليلتين قاصدتين ستة عشر فرسخا كل فرسخ ثلاثة اميال فيكون
ثمانية واربعين ميلا بالهاشمي والميل ستة الاف ذراع والذراع
اربعة وعشرون اصبعا معترضة معتدلة والاصبع ست شعيرات
معترضات معتدلات وقال الثوري وابو حنيفة واهل الكوفة لا
تقصر في اقل من ثلاثة ايام **فصل** وقيل في قوله تعالى ان خفتم
ان يفتنكم الذين كفروا كلام متصل بما بعده منفصل عما قبله وتقديره
وان خفتم ويروى عن ابي ايوب الانصاري انه قال لما نزل قوله تعالى
فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة هذا القدر ثم بعد حول
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الخوف فنزل
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا
واذا كنت فيهم الاية ومثل هذا في القران كثير يجي الخبر بتمامه ثم
ينسق عليه خبر اخر هو في الظاهر كالمتصل به وهو منفصل عنه قوله
عز وجل **واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة** الاية روي عن ابن عباس
وجابر ان المشركين لما راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
قاموا الى الصلاة يصلون جميعا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم فقال
بعضهم لبعض دعوهم فان لهم بعدها صلاة هي احب اليهم من ابائهم
وامهاتهم يعني صلاة العصر فاذا قاموا اليها فشدوا عليهم فاقتلوهم
فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد انها صلاة الخوف وان الله عز
وجل يقول واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فعلمه صلاة الخوف ويروى
عن ابن عياش الزرقي في سبب نزول هذه الاية قال كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد فصلينا
الظهر فقال المشركون لقد اصبنا غرة وفي رواية غفلة لو حملنا عليهم
وهم في الصلاة فنزلت الاية بين الظهر والعصر قوله تعالى واذا كنت
فيهم هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني اذا كنت يا محمد في
اصحابك وشهدت معهم القتال فاقمت لهم الصلاة **فلتقم طايفة منهم
معك** يعني اذا حان وقت الصلاة واقمتها لاصحابك فاجعلهم فرقتين
فرقة منهم معك فتصلي بهم **وليأخذوا اسلحتهم** اختلفوا في هولا الذين
امرهم الله باخذ السلاح فقيل اراد بهم الذين قاموا معه الى الصلاة
فانهم ياخذون اسلحتهم في الصلاة فعلى هذا القول انما ياخذون من
السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة ولا يوذي به الى جنبه كالسيف والخنجر
وذلك لانه اقرب الى الاحتياط وامنع للعدو من الاقدام عليهم فان
كان السلاح يشغل بحركته وثقله عن الصلاة كالترس الكبير او يوذي

الى

الى جنبه كالرمح فلا ياخذه وقيل اراد بهم الطايفة الذين بقوا في وجه
العدو فانهم ياخذون اسلحتهم للحراسة وقيل يحتمل ان يكون امرا للفريقين
بحمل السلاح لان ذلك اقرب الى الاحتياط **فاذا سجدوا فليكونوا من
ورايكم** يعني اذا صلوا الذين معك وفرغوا من الصلاة فليكونوا من
ورايهم يعني فلينصرفوا الى المكان الذي في وجه العدو للحراسة
ولتات طايفة اخرى لم يصلوا يعني ولتات الطايفة التي كانت في
وجه العدو **فليصلوا معك** يعني يصلوا معك الركعة الثانية
التي بقيت عليك ويتموا بقية صلاتهم **وليأخذوا حذرهم واسلحتهم**
يعني ان الله تعالى جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ الة يستعملها الغازي
في دفع العدو فكذلك جعله ماخوذا مع السلاح فان قلت
لم ذكر اول الاية الاسلحة فقط وذكر هنا الحذر والاسلحة قلت
لان العدو قلما يتنبه للمسلمين في اول الصلاة بل يظنون كونهم
قايمين في المحاربة والمقاتلة فاذا قاموا في الركعة الثانية ظهر للكفار
ان المسلمين في الصلاة فحينيذ ينتهزون الفرصة في الاقدام على المسلمين
فلاجرم ان الله تعالى امرهم في هذا الموضع بزيادة الحذر من الكفار
مع اخذ الاسلحة **ود الذين كفروا** يعني تمنى الكفار **لو تغفلون** يعني
لو وجدوكم غافلين **عن اسلحتكم وامتعتكم** يعني حوايجكم التي بها بلاغكم
في اسفاركم فتسهون عنها **فيميلون عليكم ميلة واحدة** يعني فيقصدونكم
ويحملون عليكم حملة واحدة وانتم مشغولون بصلاتكم عن اسلحتكم ٥
وامتعتكم فيصيبون منكم غرة فيقتلونكم **فصل** في احكام تتعلق
بالاية وصفة صلاة الخوف وفيه مسايل المسيلة الاولى قال ابو يوسف
والحسن بن زياد من اصحاب ابي حنيفة صلاة الخوف كانت خاصة
بالنبي صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لغيره بعده فعلها وقال المزني
من اصحاب الشافعي كانت ثابتة ثم نسخت واحتجوا لصحة هذا القول
بان الله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى واذا كنت
فيهم فاقمت لهم الصلاة وظاهر هذا يدل على ان اقامة الصلاة مشروطة
بكون النبي صلى الله عليه وسلم فيهم فدل على تخصيصه بها ولان كلمة
اذا تفيد الشرط وذهب جمهور العلما والفقها ان هذا الحكم لما ثبت
في حق النبي صلى الله عليه وسلم بحكم هذه الاية وجب ان يثبت في
حق غيره من امته لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم
صلوا كما رايتموني اصلي ولان ذلك اجماع الصحابة على فعلها وقد روي
عن علي بن ابي طالب انه صلى صلاة الخوف وكذلك حذيفة بن اليمان
صلاها باصحابه بطبرستان وليس لهولا مخالف من الصحابة واحتج

عن قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة بان هذا وان كان قد
خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم فان سايرامته داخلون في هذا الحكم
هو كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النسا الا ان يرد نص بتخصيصه صلى
الله عليه وسلم بحكم دون امته كقوله تعالى خالصة لك من دون المومنين
ونظيره قوله واذا كنت فيهم خذ من اموالهم صدقة فاذا كان هو المخاطب
بها وقد ثبت حكم اخذ الزكاة لمن بعده من الايمة كان كذلك قوله
واذا كنت فيهم واجب واجيب عن لفظة اذا بان مقتضاه الثبوت
واما العدم عند العدم فغير مسلم المسيلة الثانية قال الخطابي
صلاة الخوف انواع صلاها النبي صلى الله عليه وسلم في ايام مختلفة
واشكال متباينة يتحرى في ذلك كله ما هو الاحوط للصلاة والابلغ
في الحراسة فهي مع اختلاف صورها متفقة المعنى فمن انواع صلاة
الخوف ما اذا كان العدو في غير جهة القبلة فرق الامام اصحابه
فرقتين فتقف طايفة وجاه العدو فتحرس ويصلي بالطايفة الاخرى
ركعة فاذا قام الى الثانية اتموا لانفسهم وذهبوا الى وجاه العدو
فتحرس وتاتي الطايفة الثانية التي كانت تحرس فيصلي بهم الركعة
الثانية ويثبت جالسا في التشهد حتى يتموا لانفسهم الصلاة ثم يسلم
بهم ويدل على ذلك ما روى عن يزيد بن رومان عن صالح بن خوات
عن من صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف ان
طايفة صفت معه وطايفة وجاه العدو فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت
قايما واتموا لانفسهم ثم انصرفوا وجاه العدو وجات الطايفة الاخرى
فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا فاتموا لانفسهم
ثم سلم بهم اخرجاه في الصحيحين الذي صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم
هو سهل بن حثمة وقد اخرجاه من رواية اخرى عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم صلى باصحابه وذكر نحوه وهذا هو مختار الشافعي لانه اشد موافقة
لظاهر القران واحوط للصلاة وابلغ في حراسة العدو واما كونه اشد
موافقة لظاهر القران فان قوله ولتات طايفة اخرى لم يصلوا فليصلوا
معك وهذا يدل على ان الطايفة الاولى قد صلت وقوله فليصلوا معك
ظاهره يدل على ان جميع صلاة الطايفة الثانية حصلت مع الامام
وكونها احوط لامر الصلاة من حيث انه لا يكثر فيها العمل من المجي والذ
وكونها احوط لامر الحرب والحراسة والكر والفر والهرب ان احتاجوا
اليه وذهب قوم الى ان الطايفة الاولى تصلي مع الامام ركعة ثم تذهب
الى وجه العدو فتحرس وهم في صلاتهم ثم تاتي الطايفة الثانية فتصلي
مع الامام الركعة الثانية ويسلم الامام ولا يسلمون هم بل يذهبون الى

وجه العدو وترجع الطايفة الاولى الى موضع الامام فتقضي بقية صلاتها
يروى ذلك عن ابن مسعود وهو مذهب ابي حنيفة ويدل على ذلك ما
روي عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف قال
فكبر فصلى خلفه طايفة منا وطايفة مواجهة العدو فركع بهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجد سجدتين ثم انصرفوا فلم يسلموا
واقبلوا على العدو فصفوا مكانهم وجات الطايفة الاخرى فصفوا
خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعة وسجدتين ثم
سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تم ركعتين واربع سجدات
ثم قامت الطايفتان فصلى كل انسان منهم ركعة وسجدتين اخرجه
النسايي قال ابو بكر السني سمع الزهري من ابن عمر ولم يسمع هذا منه
والذي اخرجاه في الصحيحين عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه
وسلم صلاة الخوف باحد الطايفتين ركعة والطايفة الاخرى مواجهة
العدو ثم انصرفوا وقاموا في مقام اصحابهم مقبلين على العدو وجاء
اوليك فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة ثم قضى هولا
ركعة وفي رواية اخرى قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة
الخوف في بعض ايامه فقامت طايفة معه وطايفة بازا العدو فصلى
بالذين معه ركعة وجا الاخرون فصلى بهم ركعة وقضت الطايفتان
ركعة ركعة وبهذه الرواية المخرجة في الصحيحين اخذ الاوزاعي ٥
والشهاب المالكي وهو جايز عند الشافعي ايضا ثم قيل ان الطايفتين
قضوا ركعتهم الباقية معا وقيل متفرقين وهو الصحيح والفرق بين
الروايتين ان الطايفة الاولى ادركت اول الصلاة وهي في حكم من خلف
الامام واما الطايفة الثانية فلم تدرك اول الصلاة والمسبوق فيما
يقضي كالمنفرد في حكم صلاته المسيلة الثالثة فيما اذا كان العدو في
ناحية القبلة وصورة هذه الصلاة ما روي عن جابر بن عبد الله قال
شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فصففنا صفين
خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو بيننا وبين القبلة فكبر
النبي صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع
راسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي
يليه وقام الصف الموخر في نحو العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم
السجود وقام الصف الذي يليه انحدر الصف الموخر بالسجود وقاموا
ثم تقدم الصف الموخر وتاخر الصف المقدم ثم ركع النبي صلى الله عليه
وسلم وركعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه كان موخرا
في الركعة الاولى فقام الصف الموخر في نحو العدو فلما قضى النبي صلى

الله عليه وسلم السجود والصف الذي يليه ا نحدر الصف الموخر بالسجود
فسجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعًا قال جابر كما يصنع
حرسكم هولا بامرايهم اخرجه مسلم بتمامه وا خرج البخاري طرفا منه
انه صلى صلاة الخوف مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوة السابعة
غزوة ذات الرقاع وبهذا الحديث اخذ الشافعي ومن وافقه فيما اذا
كان العدو في جهة القبلة المسيلة الرابعة اذا اشتد الحرب والتحم
القتال صلوا رجالا وركبانا يومون بالركوع والسجود الى اي جهة
كانت هذا مذهب الشافعي ومذهب ابي حنيفة انهم لا يصلون في
هذه الحالة فاذا امنوا قضوا ما فاتهم من الصلاة ولصلاة الخوف
صورا خري مذكورة في كتب الفقه وليس هذا موضعها والله اعلم
وقوله تعالى **ولا جناح عليكم** اي ولا اثم ولا حرج عليكم **ان كان بكم
اذي من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم** قال ابن عباس رخص
لهم في وضع السلاح في حال المطر وحال المرض لان السلاح يثقل
حمله في هاتين الحالتين **وخذوا حذركم** يعني راقبوا عدوكم ولا
تغفلوا عنه امرهم الله بالتحفظ والتحرز والاحتياط ليلا يتجرى العدو
عليهم قال ابن عباس نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه
غزى بني محارب وبني انمار فنزلوا ولا يرون من العدو احدا فوضع
الناس السلاح فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة ثم
قطع الوادي والسما ترش بالمطر فسال الوادي فحال السيل بين
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اصحابه فجلس تحت شجرة فبصر
به غورث بن الحرث المحاربي فقال قتلني الله ان لم اقتله ثم انحدر
من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا وهو قايم على راسه وقد سل السيف من غمده وقال يا محمد من يمنعك
مني الان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ثم قال اللهم اكفني
غورث بن الحرث بم شيت فاهوى غورث بالسيف ليضرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم به فاكب لوجهه من زلخة زلجها فندر السيف من
يده فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ السيف ثم قال يا
غورث من يمنعك مني الان فقال لا احد فقال اتشهد ان لا اله الا
الله وان محمدا عبده ورسوله فقال لا ولكني اشهد ان لا اقاتلك ولا
اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه
فقال غورث لانت خير مني قال النبي صلى الله عليه وسلم انا احق
بذلك منك فرجع غورث الى اصحابه فقالوا له ويلك يا غورث
ما منعك منه فقال والله لقد اهويت اليه بالسيف لاضربه به فوالله

ما ادري من زلخني بين كتفي فخررت لوجهي وذكر لهم حاله مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال وسكن الوادي فقطع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الوادي الى اصحابه واخبرهم الخبر وقرا هذه الاية ولا جناح
عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى قال ابن عباس كان عبد
الرحمن بن عوف جريحا فنزلت فيه ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم
يعني من عدوكم **ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا** يعني يهانون
به قوله عز وجل **فاذا قضيتم الصلاة** يعني فاذا فرغتم من صلاة
الخوف **فاذكروا الله** يعني بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير
واثنوا على الله في جميع احوالكم **قياما وقعودا وعلى جنوبكم** فان ما
انتم عليه من الخوف جدير بالمواظبة على ذكر الله عز وجل والتضرع
اليه **ق** عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر
الله في كل احيانه وقيل المراد بالذكر الصلاة يعني فصلوا لله قياما
يعني في حال الصحة وقعودا في حال المرض وعلى جنوبكم يعني في
حال الزمانة والجراح **فاذا اطمانتم** يعني فاذا امنتم وسكنت قلوبكم
واصل الطمانينة سكون القلب **فاقيموا الصلاة** يعني فاتموها اربعا
فعلى هذا يكون المراد بالطمانينة ترك السفر والمعنى فاذا صرتم
مقيمين في اوطانكم فاتموا الصلاة تامة اربعا من غير قصر وقيل
معناه فاقيموا الصلاة باتمام ركوعها وسجودها فعلى هذا يكون
المراد بالطمانينة سكون القلب عن الاضطراب والامن بعد الخوف
ان الصلاة كانت على المومنين كتابا موقوتا يعني فرضا موقتا والكتاب
هنا بمعنى المكتوب يعني مكتوبة موقتة في اوقات محدودة فلا يجوز
اخراجها عن اوقاتها على اي حال كان من خوف او امن وقيل معناه
فرضا واجبا مقدرا في الحضر اربع ركعات وفي السفر ركعتين **ولا تهنوا
في ابتغا القوم** سبب نزول هذه الاية ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا
يوم احد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في اثارهم فشكوا من الم
الجراحات فقال الله تعالى ولا تهنوا يعني ولا تضعفوا ولا تتوانوا
في ابتغا القوم يعني في طلب ابي سفيان واصحابه ثم اورد عليهم
الحجة في ذلك والزمهم بها فقال تعالى **ان تكونوا تالمون فانهم يالمون
كما تالمون** يعني ان حصول الالم قدر مشترك بينكم وبينهم وليس ما تكابدون
من الوجع والم الجراح مختصا بكم بل هم كذلك فاذا لم يكن الالم مانعا
لهم عن قتالكم فكيف يكون مانعا لكم عن قتالكم لهم وكيف لا تصبرون مثل
صبرهم مع انكم اولى بالصبر منهم لانكم مقرون بالحشر والنشور والثواب
والعقاب والمشركون لا يقرون بذلك كله فانتم ايها المومنون اولى

ون

بالجهاد منهم وقوله تعالى **وترجون من الله ما لا يرجون** يعنى وتاملون
من الله من الثواب فى الاخرة ما لا يرجون وقيل ترجون النصر والظفر
فى الدنيا واظهار دينكم عن الاديان كلها **وكان الله عليما حكيما** يعنى
انه تعالى لا يامركم بشى الا وهو يعلم انه مصلحة لكم قوله عز وجل **انا
انزلنا اليك الكتاب بالحق** قال ابن عباس نزلت هذه الاية فى رجل
من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بنى ظفر بن الحرث سرق
درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع فى جراب
فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق الجراب حتى انتهى الى داره ثم
خباها عند رجل من اليهود يقال له زيد السمين فالتمست الدرع عند
طعمة فحلف بالله ما اخذها وما له بها من علم فقال اصحاب الدرع
لقد راينا اثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا اثر
الدقيق الى منزل اليهودي فاخذوه منه فقال اليهودى دفعها الى
طعمة بن ابيرق زاد فى الكشاف وشهد له جماعة من اليهود قال
البغوي وجاء بنو ظفر قوم طعمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسالوه ان يجادل عن صاحبهم طعمة فهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يعاقب اليهودى وان يقطع يده فانزل الله هذه الاية وقيل
ان زيد السمين اودع الدرع عند طعمة فجحده طعمة فانزل الله هذه
الاية انا انزلنا اليك يعنى يا محمد الكتاب يعنى القران بالحق يعنى
بالصدق وبالامر والنهى والفصل **لتحكم بين الناس بما اراك الله**
يعنى بما علمك الله واوحى اليك وانما سمى العلم اليقينى روية لانه جرى
مجرى الروية فى قوة الظهور روي عن عمر انه قال لا يقولن احدكم
قضيت بما ارانى الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه صلى الله عليه
وسلم ولكن ليجتهد رايه لان الراي من رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان مصيبا لان الله تعالى كان يريه اياه وان راي احدنا يكون ظنا
ولا يكون علما قال المحققون دلت هذه الاية على ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما كان يحكم الا بالوحى الالهى والنص المنزل عليه
ولا تكن يعني يا محمد **للخاينين خصيما** يعنى ولا تكن لاجل الخاينين وهم
قوم طعمة تخاصم عنهم وتجادل عن طعمة مدافعا عنه ومعينا له **واستغفر
الله** يعنى مما هممت به من معاقبة اليهودى وقيل من جدالك عن
طعمة **ان الله كان غفورا** يعنى لذنوب عباده يسترها عليهم ويغفرها
لهم **رحيما** يعنى بعباده المومنين **فصل** وقد تمسك بهذه
الاية من يرى جواز صدور الذنب من الانبيا وقالوا لو لم يقع من
الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب لما امره بالاستغفار والجواب عما

تمسكوا

تمسكوا من وجوه احدها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل
المنهى عنه فى قوله ولا تكن للخاينين خصيما ولم يخاصم عن طعمة لما ساله
قومه ان يذب عنه وان يلحق السرقة باليهودى فوقف رسول الله صلى
الله عليه وسلم وانتظر ما ياتيه من الوحى السماوى والامر الالهى
فنزلت هذه الاية واعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان طعمة
كذاب وان اليهودى برى من السرقة وانما مال صلى الله عليه
وسلم الى نصرة طعمة وهم بذلك بسبب انه فى الظاهر من المسلمين فامره
الله بالاستغفار لهذا القدر الوجه الثانى ان قوم طعمة لما شهدوا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراة طعمة من السرقة ولم يظهر
فى الحال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوجب القدح فى شهادتهم
بان يقضى على اليهودى بالسرقة فلما اطلعه الله على كذب قوم طعمة
عرف انه لو وقع ذلك الامر لكان خطا فى نفس الامر فامره الله
بالاستغفار منه وان كان معذورا الوجه الثالث يحتمل ان الله تعالى
امره بالاستغفار لقوم طعمة لذبهم عن طعمة فان استغفاره صلى الله
عليه وسلم يحتمل ان يكون لذنب قد سبق قبل النبوة او ان يكون لذنوب
امته الوجه الرابع ان درجة النبى صلى الله عليه وسلم اعلى الدرجات
ومنصبه اشرف المناصب فلعلو درجته وشرف منصبه وكمال معرفته
بالله عز وجل لما يقع منه على وجه التاويل او السهو او امر من
امور الدنيا فانه ذنب بالنسبة الى منصبه صلى الله عليه وسلم كما قيل
حسنات الابرار سيئات المقربين وذلك بالنسبة الى منازلهم ودرجاتهم
والله اعلم قوله تعالى **ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم** يعنى ولا
تجادل يا محمد عن الذين يظلمون انفسهم بالخيانة وهم طعمة ومن عاونه
وذب عنه من قومه وانما سماهم خاينين لان من اقدم على ذنب فقد
خان نفسه لانه اوقعها فى العذاب وحرمها من الثواب ولهذا قيل
لمن ظلم غيره انما ظلم نفسه وقيل المراد بهذا الجمع كل من خان خيانة فلا
تخاصم لخاين ولا تجادل عنه **ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما** يعنى
خوانا بسرقة الدرع اثيما برميه اليهودي وهو بري وانما قال تعالى
خوانا اثيما على المبالغة لانه تعالى علم من طعمة الافراط فى الخيانة
وركوب الماثم ويدل على ذلك انه لما نزل فيه القران لحق بمكة مرتدا
عن دينه ثم عدا على الحجاج بن علاط فنقب عليه بيته فسقط عليه
حجر من الحايط فلما اصبحوا اخرجوه من مكة فلقى ركبا فعرض لهم وقال
ابن سبيل ومنقطع به فحملوه حتى اذا جن عليه الليل عدا عليهم ثم
انطلق فركبوا فى طلبه فادركوه فرموه بالحجارة حتى مات ومن كانت

هذه حالة كان كثير الخيانة والاثم فلذلك وصفه الله تعالى بالمبالغة
في الخيانة والاثم قال بعضهم اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها
اخوات ويروى عن عمر انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول
هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه يا امير المومنين قال كذبت انه لا
يواخذ عبده في اول مرة قوله عز وجل يستخفون من الناس يعني يستترون
حياء من الناس ويريد بذلك بني ظفر بن الحرث وهم قوم طعمة بن ابيرق
ولا يستخفون من الله يعني ولا يستترون من الله ولا يستحيون منه واصل
الاستخفاء الاستتار وانما فسر الاستخفاء بالاستحياء على المعنى لان
الاستحياء من الناس يوجب الاستتار منهم وهو معهم يعني والله معهم
بالعلم والقدرة لا يخفى عليه شيء من حالهم لانه تعالى لا يخفى عليه خافية
وكفى بذلك زجرا للانسان عن ارتكاب الذنوب اذ يبيتون ما لا يرضى
من القول يعني يضمرون ويقدرون ويزورون في اذهانهم واصل
التبييت تدبير الفعل بالليل وذلك ان قوم طعمة قالوا فيما بينهم
يرفع الامر الى النبي صلى الله عليه وسلم فانه يسمع قول طعمة ويقبل
يمينه لانه مسلم ولا يسمع قول اليهودي لانه كافر فلم يرض الله تعالى
بذلك منهم فاطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على سرهم وما هموا به وكان
الله بما يعملون محيطا يعني انه تعالى لا يخفى عليه خافية شيء من اسرار
عباده وهو مطلع عليهم ومحيط بهم لا يخفى عليه خافية ها انتم هولاء
ها للتنبيه يعني يا هولاء الذين هو خطاب لقوم من المومنين كانوا يذبون
عن طعمة وعن قومه جادلتم عنهم يعني خاصمتم عنهم بسبب انهم كانوا
يرونهم في الظاهر مسلمين واصل الجدال شدة الفتل لان كل واحد من
الخصمين يريد ان يفتل صاحبه عما هو عليه والمعنى هبوا انكم خاصمتم
وجادلتم عن طعمة وقومه في الحياة الدنيا وقيل هو خطاب لقوم طعمة
وفي قراءة ابن مسعود جادلتم عنه والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة
في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة يعني اذا اخذه بعذابه
فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع ام من يكون عليهم وكيلا يعني
محافظا وحاميا عنهم من باس الله اذا نزل به قوله تعالى ومن يعمل سوءا
او يظلم نفسه نزلت هذه الاية في ترغيب طعمة في التوبة وعرضها عليه
وقيل نزلت في قومه الذين جادلوا عنه وقيل وقيل هي عامة في كل من
ومذنب لان خصوص السبب لا يمنع من اطلاق الحكم ومعنى الاية ومن يعمل
سوءا يسوء به غيره كما فعل طعمة بالسرقة من قتادة وانما خص ما يتعدى
الى الغير باسم السوء لان ذلك يكون في الاكثر ايصالا للضرر الى الغير او
يظلم نفسه يعني فيما يختص به من الحلف الكاذب ونحو ذلك وقيل معناه

ومن يعمل سوءا اي قبيحا او يظلم نفسه برميه البري وقيل السوء كل ما يأثم
به الانسان والظلم هو الشرك فما دونه ثم يستغفر الله يعني من ذنوبه
يعني من ذنوبه يجد الله غفورا رحيما ففي هذه الاية دليل على حكمين
احدهما ان التوبة مقبولة عن جميع الذنوب الكبائر والصغائر لان قوله
ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه عم الكل والحكم الثاني ان ظاهر الاية يقتضي
ان مجرد الاستغفار كاف وقال بعضهم انه مقيد بالتوبة لانه لا ينفع
الاستغفار مع الاصرار على الذنوب ومن يكسب اثما يعني من يعمل ذنبا
يأثم به فانما يكسبه على نفسه يعني انما يعود وبال كسبه عليه والكسب
عبارة عن جر منفعة او دفع مضرة فكانه تعالى يقول يا ايها الانسان ان الذنب
الذي ارتكبته انما عادت مضرته عليك فاني منزه عن الضرر والنفع
فاكثر الاستغفار ولا تياس من قبول التوبة فاني الغفار لمن تاب وهذه
الاية نزلت في طعمة وكان الله عليما يعني بسارق الدرع حكيما يعني
اذ احكم عليه بالقطع وقيل معناه عليما يعني بما في قلب عبده عند
اقدامه على التوبة حكيما تقتضي حكمته ان يتجاوز عن التائب ويقيل توبته
ومن يكسب خطيئة او اثما قيل ان الخطيئة هي الصغيرة من الذنوب والاثم
هو الكبيرة وقيل الخطيئة هي الذنب المختص بفاعله والاثم الذنب المتعدي
الى الغير وقيل ان الخطيئة هي سرقة الدرع والاثم هو يمينه الكاذبة ثم
يرم به بريا يعني ثم يقذف بما جناه بريا منه يعني نسبة السرقة الى
اليهودي ولم يسرق فان قلت الخطيئة والاثم اثنان فكيف وحد
الضمير في قوله ثم يرم به قلت معناه ثم يرم باحد هذين المذكورين
بريا وقيل معناه ثم يرم بهما فاكتفى باحدهما عن الاخر وقيل انه يعود
الضمير الى الاثم وحده لانه اقرب مذكور وقيل ان الضمير يعود الى
الكسب ومعناه ثم يرم بما كسب بريا فقد احتمل بهتانا البهتان من
البهت وهو الكذب الذي يتحير في عظمه واثما مبينا يعني ذنبا بينا لانه
بكسب الاثم اثم وبرميه البري باهت فقد جمع بين الامرين قوله
عز وجل ولولا فضل الله عليك ورحمته وهذه الاية متعلقة بقصة
طعمة بن ابيرق وقومه حيث لبسوا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم امر صاحبهم فقوله تعالى ولولا فضل الله عليك يعني يا محمد بالنبوة
ورحمته يعني بالعصمة وما اوحى اليك من الاطلاع على اسرارهم فهو
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لهمت طائفة منهم يعني من بني ظفر
وقوم طعمة ان يضلوك يعني عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل وقيل
معناه يخطوك في الحكم ويلبسوا عليك الامر حتى تدفع عن طعمة وذلك
لان قوم طعمة عرفوا انه سارق ثم سالوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يدفع

عنه ويبرئه عن السرقة ويرمي بها اليهودي وما يضلون الا انفسهم
يعني اثم وبال ذلك يرجع عليهم بسبب تعاونهم على الاثم وبشهادتهم
له انه بريء لانهم لما قدموا على ذلك رجع وبال ذلك عليهم وما يضرونك
من شيء يعني وانهم وان سعوا في القايك في الباطل فانك ما
وقعت فيه لانك بنيت الامر على ظاهر الحال وما خطر ببالك ان
الامر على خلاف ذلك وقيل معناه وما يضرونك من شيء في المستقبل
فوعده اداء امة العصمة وانه لا يضره احد وانزل الله عليك الكتاب
يعني القران والحكمة يعني القضاء واوجب بهما بنا الحكم على الظاهر
فكيف يضرونك بالقايك في الشبهات وعلمك ما لم تكن تعلم يعني
من احكام الشرع وامور الدين وقيل علمك من علم الغيب ما لم
تكن تعلم وقيل معناه وعلمك من خفيات الامور واطلعك على
ضماير القلوب وعلمك احوال المنافقين وكيدهم ما لم تكن تعلم وكان
فضل الله عليك عظيما يعني ولم يزل فضل الله عليك يا محمد عظيما
فاشكره على ما اولاك من احسانه ومن عليك بنبوته وعلمك ما
انزل عليك من كتابه وحكمته وعصمك ممن حاول اضلالك فان الله
هو الذي تولاك بفضله وشملك باحسانه وكفاك غايلة من ارادك
بسوء ففي هذه الاية تنبيه من الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه
وسلم على ما جاءه من الطافه وما شمله من فضله واحسانه ليقوم بواجب
حقه قوله تعالى لا خير في كثير من نجواهم يعني من نجوى قوم طعمة وقيل
هي عامة في جميع ما يتناجى الناس به والنجوى هو السداد في التدبير
وقيل النجوى ما تفرد بتدبيره قوم سرا كان ذلك او جهرا وناجيته
ساررته واصله ان يخلو في نجوة من الارض وقيل اصله من النجي والمعنى
لا خير في كثير مما يريدونه ويتناجون فيه الا من امر بصدقة يعني الا
في نجوى من امر بصدقة وقيل معناه لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون
فيه من الحديث الا فيما كان من اعمال الخير وقيل هو استثناء منقطع تقديره
لكن من امر بصدقة وحث عليها او معروف يعني او امر بطاعة الله
وما يجيزه الشرع واعمال البر كلها معروف لان العقول تعرفها او
اصلاح بين الناس يعني الاصلاح بين المتباينين والمتخاصمين
ليتراجعا الى ما كانا فيه من الالفة والاجتماع على ما اذن الله فيه
وامر به عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى
يا رسول الله قال اصلاح ذات البين وان فساد ذات البين هي الحالقة
اخرجه الترمذي وابو داود وقال الترمذي ويروى عن النبي صلى الله عليه

وسلم انه قال هي الحالقة لا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين خ عن
سهل بن سعد ان اهل قبا اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فاخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اذهبوا بنا نصلح بينهم ق عن ام كلثوم بنت
عقبة بن ابي معيط قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ليس الكذاب الذي يصلح بين اثنين او قال بين الناس فيقول خيرا او
ينمي خيرا زاد مسلم في رواية له قالت ولم اسمعه يرخص في شيء مما يقول
الناس الا في ثلاث يعني الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل
زوجته وحديث المراة زوجها ومن يفعل ذلك يعني هذه الاشيا التي
ذكر ابتغاء مرضات الله يعني طلب رضاه لان الانسان اذا فعل ذلك
خالصا لوجه الله نفعه وان فعلها ريا وسمعة لم ينتفع بذلك لقوله
صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات الحديث فسوف نؤتيه
يعني في الاخرة اذا فعل ذلك ابتغاء مرضات الله اجرا عظيما لا حد له لان الله
سماه عظيما واذا كان كذلك فلا يعلم قدره الا الله عز وجل قوله عز وجل
ومن يشاقق الرسول نزلت في طعمة ايضا وذلك انه لما سرق وظهرت عليه
السرقة خاف على نفسه القطع والفضيحة هرب الى مكة كافرا مرتدا عن
الدين فانزل الله عز وجل فيه ومن يشاقق الرسول يعني يخالفه في التوحيد
والايمان واصله من المشاقة وهو كون كل واحد منهما في شق غير الاخر من بعد
ما تبين له الهدى اي وضح له التوحيد والحدود وظهر له صحة الاسلام وذلك
لان طعمة قد تبين له بما انزل فيه واظهر من سرقته ما يدل على صحة دين
الاسلام فعادى الرسول صلى الله عليه وسلم واظهر الشقاق ورجع عن
الاسلام ويتبع غير سبيل المؤمنين يعني ويتبع غير طريق المؤمنين وما
هم عليه من الايمان ويتبع عبادة الاوثان نوله ما تولى اي نكله في الاخرة
الى ما تولى في الدنيا ونتركه وما اختار لنفسه ونصله جهنم يعني ونلزمه
جهنم واصله من الصلا وهو لزوم النار وقت الاستدفا وساءت مصيرا
يعني وبيس المرجع الى النار روي ان الشافعي سيل عن اية من كتاب الله تدل
على ان الاجماع حجة فقرا القران ثلثماية مرة حتى استخرج هذه الاية وهي
قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وذلك لان اتباع غير سبيل المؤمنين
وهو مفارقة الجماعة حرام فوجب ان يكون اتباع سبيل المؤمنين ولزوم
جماعتهم واجبا وذلك لان الله تعالى الحق الوعيد بمن يشاقق الرسول
ويتبع غير سبيل المؤمنين فثبت بهذا ان اجماع الامة حجة قوله تعالى
ان الله لا يغفر ان يشرك به نزلت في طعمة بن ابيرق ايضا لكونه مات
مشركا وقال ابن عباس نزلت هذه الاية في شيخ من الاعراب جا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اني شيخ منهمك في الذنوب غير اني

لم اشرك بالله منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اواقع
المعاصي جراة على الله عز وجل وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا
واني لنادم تايب مستغفر فما حالي عند الله فانزل الله هذه الاية ان
الله لا يغفر ان يشرك به فهذا النص صريح بان الشرك غير مغفور اذا
مات صاحبه عليه لانه قد ثبت ان المشرك اذا تاب من شركه وامن
قبلت توبته وصح ايمانه وغفرت ذنوبه كلها التي عملها في حال الشرك
ويغفر ما دون ذلك يعني ما دون الشرك لمن يشا يعني لمن يشا من
اهل التوحيد قال العلما لما اخبر الله انه يغفر الشرك بالايمان والتوبة
علمنا انه يغفر ما دون الشرك بالتوبة وهذه المشية فيمن لم يتب من
ذنوبه من اهل التوحيد فاذا مات صاحب الكبيرة او الصغيرة من
غير توبة فهو في خطر المشية ان شا غفر له وادخله الجنة بفضله ورحمته
وان شا عذبه ثم يدخله الجنة بعد ذلك ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا يعني
فقد ذهب عن طريق الهدى وحرم الخير كله اذا مات على شركه فان قلت
لم كررت هذه الاية بلفظ واحد في موضعين من هذه السورة وما
فايدة ذلك قلت فايدة ذلك للتاكيد او لان الاية المتقدمة
نزلت في سبب ونزلت هذه الاية في سبب اخر وهو ان الايات المتقدمة
نزلت في سبب سرقة طعمة بن ابيرق ونزلت هذه الاية في سبب ارتداده
وموته على الشرك قوله عز وجل ان يدعون من دونه الا
اناثا نزلت في اهل مكة يعني ما يعبدون من دون الله الا اناثا لان
كل من عبد شيا فقد دعاه لحاجته وفي قوله اناثا اقوال احدها
انهم كانوا يسمون اصنامهم باسما الاناث فيقولون اللات والعزى
ومناة قال الحسن كانوا يقولون لصنم كل قبيلة انثى بني فلان والقول
الثاني اناثا يعني امواتا قال الحسن كل شي لا روح فيه كالحجر والخشبة
هي اناث قال الزجاج والموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن المونث تقول
هذه الحجر تعجبني وهذه الدراهم تنفعني ولان الانثى انزل درجة من الذكر
والميت انزل درجة من الحي كما ان الموات ارذل من الحيوان وقد يطلق
اسم الانثى على الجمادات القول الثالث ان بعضهم كان يعبد الملايكة
ويقولون هم بنات الله وان يدعون اي وما يعبدون الا شيطانا مريدا
قال ابن عباس لكل صنم شيطان يدخل في جوفه ويترايا للسدنة والكهنة
ويكلمهم فلذلك قال الله تعالى وان يدعون الا شيطانا مريدا وقيل هو
ابليس لانه هو اغواهم واغراهم على عبادتها فاطاعوه فجعلت طاعتهم
له عبادة والمريد والمارد هو المتمرد العاتي الخارج عن الطاعة لعنه
الله اي ابعده الله وطرده عن رحمته وقال يعني ابليس لاتخذن من عبادك

نصيبا

نصيبا مفروضا يعني حظا مقدرا معلوما فكل ما اطيع فيه ابليس فهو
نصيبه ومفروضه واصل الفرض القطع وهذا النصيب هم الذين يتبعون
خطواته ويقبلون وساوسه ولاضلنهم عن طريق الحق والمراد به التزيين
والوسوسة والا فليس اليه من الاضلال شي ولامنينهم قال ابن عباس
يريد تسويف التوبة وتاخيرها وقال الكلبي امنيهم انه لا جنة ولا نار ولا
بعث وقيل امنيهم ادراك الجنة مع عمل المعاصي وقيل زين لهم ركوب
الاهوا والاهوال الداعية الى العصيان وقيل امنيهم طول البقا في الدنيا
ونعيمها ليوثروها على الاخرة ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام يعني
يقطعونها ويشقونها وهي البحيرة وذلك انهم كانوا يشقون اذن الناقة اذا
ولدت خمسة ابطن وجا الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع بها
ولا يردونها عن ما ولا مرعى وسول لهم ابليس ان هذا قربة ولامرنهم
فليغيرن خلق الله قال ابن عباس يعني دين الله وتغيير دين الله هو
تحليل الحرام وتحريم الحلال وقيل تغيير خلق الله هو تغيير الفطرة التي
فطر الخلق عليها ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد
على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقيل يحتمل ان يحمل هذا
التغيير على تغيير احوال تتعلق بظاهر الخلق مثل الوشم ووصل الشعر
ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والمستوشمات
والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله اخرجاه من
رواية ابن مسعود ولهما عن اسما قالت لعن النبي صلى الله عليه وسلم
الواصلة والمستوصلة وقيل تغيير خلق الله هو الاختصا وقطع الاذان
حتى ان بعض العلما حرمه وكره انس اخصا الغنم وجوزه بعض العلما
لان فيه غرضا ظاهرا ق عن سعد بن ابي وقاص قال لولا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم رد على عثمان بن مظعون التبتل لاختصينا التبتل
هو ترك النكاح والانقطاع للعبادة عن نافع قال كان ابن عمر يكره
الاختصا ويقول ان فيه نما الخلق اخرجه مالك في الموطا ومعناه في ترك
الاختصا نما الخلق يعني زيادتهم وقال ابن زيد هو التخنث وهو ان
يتشبه الرجل بالنسا في حركاتهن وكلامهن ولباسهن ونحو ذلك وقيل
تغيير خلق الله هو ان الله تعالى خلق البهايم والانعام للركوب والاكل
فحرموه على انفسهم وخلق الشمس والقمر والنجوم والنار والاحجار لمنفعة
الناس فعبدوها من دون الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله
يعني يتخذه ربا يطيعه فيما يامره به وقيل الولي من الموالاة وهو الناصر
فقد خسر خسرانا مبينا لان طاعة الشيطان توصله الى نار جهنم وهي غاية
الخسران بقي في الاية سوالان السوال الاول قاله لاتخذن من عبادك نصيبا

مفروضا والنصيب المفروض هو الشى المقدر القليل وقال فى موضع
اخر لاحتنكن ذريته الا قليلا وقال لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم
المخلصين وهذا استثنا القليل من الكثير فكيف وجه الجمع فالجواب
ان الكفار الذين هم حزب الشيطان وان كانوا اكثر من المومنين فى العدد
لكنهم اقل من المومنين فى الفضل والشرف وعلو الدرجة عند الله والمومنون
وان كانوا اقل من الكفار لكنهم اكثر منهم لان الفضل لهم والشرف ٥
والسودد والغلبة فى الدنيا وعلو الدرجة فى الاخرة وانشد بعضهم
فى هذا المعنى فقال

وهم الاقل اذا يعد عشيرة • والاكثرون اذا يعد السودد •

وقيل ان ابليس لما لم ينل من ادم ما اراد ورأى الجنة والنار علم ان
لهذه اهل ولهذه اهل فقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا
يعنى الذين هم اهل النار السوال الثانى من اين لابليس العلم بالعواقب
حتى يقول ولاضلنهم ولاغوينهم ولامرنهم وقال فى الاعراف ولا تجد
اكثرهم شاكرين وقال فى بنى اسرايل لاحتنكن ذريته الا قليلا فالجواب
من ثلاثة اوجه احدها ان ابليس ظن انه يتم منهم هذه الامور التى
يريدها منهم فحصل لهم ما ظنه ويدل على ذلك قوله تعالى ولقد
صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الوجه الثانى قال الانبارى المعنى
لاجتهدن ولاحرصن فى ذلك لا انه كان يعلم الغيب الوجه
الثالث قال الماوردى من الجايز ان يكون قد علم ذلك من الملايكة
بخبر من الله تعالى ان اكثر الخلايق لا يومنون وقوله تعالى يعدهم
ويمنيهم يعنى الشيطان يعد حزبه واولياءه ويمنيهم بوعده وتمنيته
اياهم ما يوقع فى قلب الانسان من طول العمر ونيل ما اراد من
الدنيا ومن نعيمها ولذاتها وكذلك وكل ذلك غرور فيجب على
العاقل ان لا يلتفت الى شى منها فربما لم يطل عمره ولم يحصل له ما اراد
منها ولين طال عمره وحصل مقصوده فالموت وراءه ينغص عليه ما
هو فيه وقيل يعدهم ويمنيهم بان لاجنة ولانار ولا بعث فليجتهدوا
فى تحصيل اللذات الدنيوية وما يعدهم الشيطان الا غرورا ٥
يعنى باطلا وضلالا اوليك يعنى الذين اتخذوا الشيطان وليا
ماواهم جهنم يعنى مرجعهم ومستقرهم جهنم ولا يجدون عنها
محيصا يعنى مفرا ومعدلا يعنى لا يعدلون عنها الى غيرها ولا بد لهم
من ورودها والخلد فيها لما ذكر وعيد الكفار اتبعه بوعد المومنين
فقال تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات
تجرى من تحتها الانهار يعنى من تحت المساكن والغرف خالدين فيها

يعنى فى الجنات ابدا بلا انتها ولا غاية والابد عبارة عن مدة الزمان
الممتد الذى لا انقطاع له ولا يتجزى كما يتجزى غيره من الازمنة لانه
لا يقال ابد كذا كما يقال زمن كذا وفى قوله خالدين فيها ابدا دليل
على ان الخلود لا يفيد التابيد والدوام لانه لو افاد ذلك لزم التكرار
وهو خلاف الاصل فعلم بذلك ان الخلود عبارة عن طول الزمان لا على
الدوام فلما اتبع الخلود بالابد علم انه يراد به الدوام الذى لا ينقطع
وقوله تعالى وعد الله حقا يعنى وعد الله ذلك الذى ذكر وعدا حقا
ومن اصدق من الله قيلا يعنى ليس احد اصدق من الله وهو توكيد
بليغ لقوله وعد الله حقا قوله تعالى ليس بامانيكم ولا امانى اهل
الكتاب الامنية افعولة من التمنية والتمنى تقدير شى فى النفس
وتصويره فيها والامنية هى الصورة الحاصلة فى النفس من تمنى الشى
اذا وقع فى نفسه واراده وفى المخاطب بقوله ليس بامانيكم ولا امانى
اهل الكتاب قولان احدهما انه خطاب للمسلمين واهل الكتاب اليهود
والنصارى وذلك انهم افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم
وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نبينا خاتم ٥
النبيين وكتابنا يقضى على الكتب وقد امنا بكتابكم ولم تومنوا
بكتابنا ونحن اولى بالله منكم والقول الثانى انه خطاب لمشركى مكة
فى قولهم لا نبعث ولا نحاسب وخطاب لاهل الكتاب فى قولهم لن تمسنا
النار الا اياما معدودة والمعنى ليس الامر بالامانى انما الامر
بالعمل الصالح من يعمل سوا يجز به قال الضحاك يقول ليس لكم ما
تمنيتم وليس لاهل الكتاب ما تمنوا ولكن من يعمل سوا يعنى شركا فمات
عليه يجزيه النار وقال الحسن هذا فى حق الكفار خاصة لانهم يجازون
بالعقاب على الصغيرة والكبيرة ولا يجزى المومن بسيئ عمله يوم
القيمة ولكن يجزى باحسن عمله ويتجاوز عن سياته ويدل على صحة
هذا القول سياق الاية وهو قوله ولا يجد له من دون الله وليا
ولا نصيرا وهذا هو الكافر واما المومن فله ولى ونصير وقال اخرون
هذه الاية فى حق كل من عمل سوا من مسلم وكافر قال ابن عباس هى
عامة فى حق كل من يعمل سوا يجز به الا ان يتوب قبل ان يموت فيتوب
الله عليه قال ابن عباس فى رواية ابى صالح عنه لما نزلت هذه الاية
شقت على المسلمين مشقة شديدة وقالوا يا رسول الله واينا لم
يعمل سوا غيرك فكيف الجزا قال منه ما يكون فى الدنيا فمن يعمل حسنة
فله عشر حسنات ومن جوزى بالسية نقصت واحدة من عشرة ٥
وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلب احاده اعشاره واما ما كان

جزا في الاخرة فيقابل من حسناته وسياته فيلغى مكان كل سية حسنة
وينظر في الفضل فيعطي الجزا في الجنة فيوتي كل ذي فضل فضله ويدل
على صحة هذا القول ما روى عن ابي هريرة قال لما نزلت من يعمل سوا
يجز به وبلغت من المسلمين مبلغا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قاربوا وسددوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها
والشوكة يشاكها اخرجه مسلم وعن ابي بكر الصديق قال كنت عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت من يعمل سوا يجز به ولا يجد
له من دون الله وليا ولا نصيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ابا بكر الا اقريك اية انزلت علي قلت بلى يا رسول الله قال
فاقرانيها فلا اعلم الا اني وجدت انقصاما في ظهري فتمطات لها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شانك يا ابا بكر قلت
يا رسول الله بابي انت وامي وايّنا لم يعمل سوا وانا لمجزيون باعمالنا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انت يا ابا بكر والمومنون
فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليس لكم ذنوب واما
الاخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيمة اخرجه الترمذي
وقال هذا حديث غريب وفي اسناده مقال وقد روى هذا الحديث
من غير وجه عن ابي بكر وليس له اسناد صحيح وقوله ولا يجد له من
دون الله وليا ولا نصيرا قال ابن عباس يريد وليا يمنعه ولا نصيرا
ينصره فان قلنا ان هذه الاية خاصة في حق الكفار فتاويلها ظاهر
وان قلنا انها في حق كل عامل سوء مسلم وكافر فانه لا ولي لاحد من
دون الله يوم القيمة ولا ناصر فالمومنون لا ولي لهم غير الله وشفاعة
الشافعين تكون باذن الله فليس يمنع احد احدا عن الله وقوله
تعالى **ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مومن** قال
مسروق لما نزلت ومن يعمل سوا يجز به قال اهل الكتاب نحن وانتم
سوا فنزلت هذه قال المفسرون بين الله بهذه الاية فضيلة
المومنين على غيرهم ولفظة من في قوله من الصالحات للتبعيض
لان احدا لا يقدر ان يستوعب جميع الصالحات بالعمل فاذا اعمل
بعضها استحق الثواب **فاوليك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا**
النقير نقرة في ظهر النواة ومنها تنبت النخلة قال ابن عباس يريد
لا ينتقصون قدر النواة وهذا على سبيل المبالغة في نفي الظلم ووعد
بتوفية جزا اعمالهم من غير نقصان قوله عز وجل **ومن احسن
دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن** لما بين الله تعالى ان الجنة
لمن يعمل من الصالحات وهو مومن شرح الايمان وبين فضله فقال

تعالى

تعالى ومن احسن دينا يعني ومن احكم دينا والدين هو المشتمل على اظهار
كمال العبودية والخضوع والانقياد لله عز وجل وهو الدين الذي كان
عليه ابراهيم صلى الله عليه وسلم واعلم ان دين الاسلام مبني على امرين
احدهما الاعتقاد واليه الاشارة لقوله اسلم وجهه لله يعني انقاد
لله وخضع له في سره وعلانيته وقيل معناه طاعته لله وقيل فوض
امره الله الي الامر الثاني من مباني الاسلام العمل واليه الاشارة بقوله
وهو محسن يعني في عمله لله فيدخل فيه فعل الحسنات والمفروضات
والطاعات وترك السيات وقال ابن عباس في تفسير قوله وهو
محسن يريد وهو موحد لله عز وجل لا يشرك به شيا قال العلما وانما
صار دين الاسلام احسن الاديان لان فيه طاعة الله ورضاه وهما احسن
الاعمال وانما خص الوجه بالذكر في قوله اسلم وجهه لله لانه اشرف
الاعضا فاذا انقاد الوجه لله وخضع له فقد انقاد لله جميع الاعضا
لانها تابعة له **واتبع ملة ابراهيم** يعني دين ابراهيم عليه السلام
حنيفا يعني مخلصا مسلما والحنيف المايل ومعناه المايل عن الاديان
كلها الى الاسلام لان كل ما سواه من الاديان باطل وحنيفا يجوز ان يكون
حالا لابراهيم ويجوز ان يكون حالا للمتبع كما تقول رايته راكبا قال
ابن عباس ومن دين ابراهيم عليه السلام الصلاة الى الكعبة والطواف
بها ومناسك الحج والختان ونحو ذلك **فان قلت** ان ظاهر
هذه الاية يقتضي ان شرع محمد صلى الله عليه وسلم هو نفس شرع
ابراهيم عليه السلام وعلى هذا لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم شرع
يستقل به وليس الامر كذلك فما الجواب **قلت** ان شرع ابراهيم
وملته داخلان في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته مع زيادات كثيرة
حسنة خص الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم فمن اتبع ملة محمد صلى الله
عليه وسلم فقد اتبع ملة ابراهيم عليه السلام لانها داخلة في ملة محمد
صلى الله عليه وسلم وشرع ابراهيم داخل في شرع محمد صلى الله عليه
وسلم وانما قال واتبع ملة ابراهيم لان ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان
يدعو الى توحيد الله وعبادته ولهذا خصه بالذكر لانه كان مقبولا عند
جميع الامم فان العرب كانوا يفتخرون بالانتساب اليه وكذلك اليهود
والنصاري فاذا ثبت هذا وان شرعه كان مقبولا عند الامم وان شرع
محمد صلى الله عليه وسلم وملته هو شرع ابراهيم وملته لزم الخلق
الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم وقبول شرعه وملته وقوله
تعالى **واتخذ الله ابراهيم خليلا** يعني صفيا والخلة صفا المودة وقيل
الخلة الافتقار والانقطاع فخليل الله المنقطع اليه وسمي ابراهيم خليلا

لانه انقطع الى الله في كل حال وقيل الخلة الاصطفا والاختصاص
وسمي ابراهيم خليلا لانه والى في الله وعادا في الله وقيل لانه تخلق
باخلاق حسنة وخلال كريمة وقيل الخليل المحب الذي ليس في محبته
خلل وسمي ابراهيم خليل الله لانه احبه محبة كاملة ليس فيها نقص
ولا خلل وانشد في معنى الخلة التي هي بمعنى المحبة شعر
• قد تخللت مسلك الروح مني • وبه سمي الخليل خليلا •
وقيل الخليل من الخلة بفتح الخا وهي الحاجة سميت خلة للاختلال الذي
يلحق الانسان فيها وسمي ابراهيم خليلا لانه جعل فقره وفاقته وحاجته
الى الله عز وجل وخلة الله للعبد هي تمكينه من طاعته وعصمته
وتوفيقه وستر خلله ونصره والثنا عليه فقد اثنى الله عز وجل على
ابراهيم عليه السلام وجعله اماما للناس يقتدى به واختلفوا في
السبب الذي من اجله اتخذ الله ابراهيم خليلا فقال ابن عباس
كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم ابا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق
يضيف من مر به من الناس فاصاب الناس شدة قحط فقصد الناس
باب ابراهيم يطلبون منه الطعام وكانت الميرة تاتيه من صديق له
بمصر فبعث ابراهيم غلمانه الى خليله الذي بمصر فقال خليله لغلمانه
ابراهيم لو كان ابراهيم انما يريد الطعام لنفسه احتملنا ذلك له وقد
دخل علينا مثل ما دخل على الناس من الشدة فرجع غلمان ابراهيم
بغير طعام فمروا ببطحا من الرمل سهله فقالوا لو حملنا من هذه البطحا
ليرى الناس انا قد جينا بميرة فانا نستحي ان نمر بهم وابلنا فارغة فملوا
من ذلك الرمل الغرايرالتي معهم ثم اتوا الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم
فاعلموه وسارة نايمة فاهتم لذلك ولمكان الناس ببابه فغلبته عيناه
فنام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار فقالت سبحان الله ما جا
الغلمان قالوا بلى قالت فجاوا بشي قالوا نعم فقامت الى الغراير ففتحتها
فاذا هي ملى باجود دقيق فيكون حواري فامرت الخبازين فخبزوا
واطعموا الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد ريح الطعام فقال يا سارة
من اين لكم هذا فقالت من عند خليلك المصري فقال هذا من عند خليلي
الله قال فيومئذ اتخذه الله خليلا وقيل لما اراه الله ملكوت
السموات والارض وحاج قومه في الله ودعاهم الى توحيده ومنعهم
من عبادة النجوم والشمس والقمر والاوثان وبذل نفسه للالقا
في النيران وبذل ولده للقربان وماله للضيفان اتخذه الله خليلا
وجعله اماما للناس يقتدى به وجعل النبوة فيه وفي ذريته وقيل
ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما كسر الاصنام وعادى قومه في الله

خليلك م

عز وجل اتخذه الله خليلا وقيل لما دخل عليه الملايكة فظنهم ضيف
فقرب اليهم عجلا مشويا وقال كلوا على شرط ان تسموا الله في اوله
وتحمدوه في اخره فقال جبريل انت خليل الله فمن يوميذ سمي ابراهيم
خليل الله م عن انس قال جا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا خير البرية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ابراهيم
خليل الله **فصل** وقد اتخذ الله محمدا صلى الله عليه وسلم خليلا
كما اتخذ ابراهيم خليلا فقد ثبت في الصحيحين عن ابي سعيد الخدري
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا لا غير ربي
لاتخذت ابا بكر وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت
متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخي وصاحبي وقد اتخذ
الله صاحبكم خليلا اخرجه مسلم فقد ثبت بهذين الحديثين الخلة
للنبي صلى الله عليه وسلم وزاد على ابراهيم عليه السلام بالمحبة
فمحمد صلى الله عليه وسلم خليل الله وحبيبه فقد جا في حديث عن ابن
عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا وانا حبيب الله ولا فخر
اخرجه الترمذي باطول منه قوله تعالى **ولله ما في السموات
وما في الارض** قال اهل المعاني لما دعا الله الخلق الى طاعته وعبادته
والانقياد لامره بين سعة ملكه ليرغب الخلق اليه بالطاعة له وانما
قال ما في السموات وما في الارض ولم يقل من لانه ذهب به مذهب الجنس
والذي يعقل اذا ذكر واريد الجنس ذكر بلفظ ما **وكان الله بكل شي
محيطا** يعني عالما علم احاطة وهو العلم بالشي من كل وجه حتى لا يشذ
عنه نوع الاعلم وقيل يجوز ان يكون معناه محيطا بالقدرة عليه
قوله عز وجل **ويستفتونك في النسا قل الله يفتيكم فيهن** الاية
قال ابن عباس نزلت في بنات ام كجة وقد تقدمت قصتهن في اول
السورة وقالت عايشة هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وهو وليها
فيرغب في نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال باقل من سنة صداقها
واذا كانت غير مرغوب فيها لقلة المال والجمال تركها وفي رواية
قالت هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وقد شركته في ماله فيرغب عنها
فلا يتزوجها لدمامتها ويكره ان يزوجها غيره فيدخل عليه ويشركه
في ماله فيحبسها حتى تموت فنهاهم الله عن ذلك فقال يستفتونك
يعني ويستخبرونك يا محمد في شان النسا واحكامهن والاستفتا طلب
طلب الفتوى وهي اظهار ما اشكل من الاحكام الشرعية وكشفه
وتبيينه قال المفسرون والذي استفتوه فيه هو ميراث النسا وذلك
انهم كانوا لا يورثون النسا ولا الصغار من الاولاد فلما نزلت اية

الميراث قالوا يا رسول الله كيف ترث المراة والصغير فاجابهم بهذه الاية قل الله يفتيكم فيهن يعني قل يا محمد الله يفتيكم في شان النسا وحالهن وما يتلى عليكم في الكتاب يعني يفتيكم فيما يتلى عليكم والمعنى ان الله يفتيكم في النسا بما انزله في كتابه عليكم وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ والغرض منه تعظيم حال هذه الاية التي تتلى عليكم وانها في اللوح المحفوظ وان العدل والانصاف في حقوق اليتامى من اعظم الامور عند الله تعالى التي يجب مراعاتها وان المخل بها ظالم في يتامى النسا قيل معناه في النسا اليتامى وقيل في اليتامى اولاد النسا لان الاية نزلت في يتامى ام كجة اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن يعني ما فرض لهن من الميراث وهو على قول من يقول ان الاية نازلة في ميراث اليتامى والصغار وعلى القول الاخر معناه ما كتب لهن من الصداق وترغبون ان تنكحوهن يعني وترغبون في نكاحهن لمالهن وجمالهن باقل من صداقهن وقيل معناه وترغبون عن نكاحهن لقبحهن ودمامتهن وتمسكوهن رغبة في اموالهن ق عن عايشة قالت هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد ان ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا بنكاح من سواهن قالت عايشة فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانزل الله عز وجل يستفتونك في النسا الى قوله وترغبون ان تنكحوهن فبين لهم ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها في اكمال الصداق واذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها او يعطوها حقها الاوفى من الصداق وقوله تعالى والمستضعفين من الولدان يعني ويفتيكم في المستضعفين من الولدان وهم الصغار ان تعطوهم حقوقهم لان العرب في الجاهلية كانوا لا يورثون الصغار ايضا فنهاهم الله عن ذلك وامرهم ان يعطوهم حقهم من الميراث وان تقوموا لليتامى بالقسط يعني بالعدل في مهورهن ومواريثهن وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما يعني فيجازيكم عليه قوله تعالى وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا ق عن عايشة في قوله تعالى وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا قالت نزلت في المراة تكون عند الرجل لا يستكثر منها فيريد طلاقها ويتزوج غيرها فتقول له امسكني لا تطلقني ثم تزوج غيري

وانت في حل من النفقة علي والقسمة لي قالت فذلك قوله تعالى فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير وقيل نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة ويقال اسمها خولة وفي زوجها سعد بن الربيع ويقال رافع بن خديج تزوجها وهي شابة فلما كبرت تزوج عليها امراة اخرى شابة واثرها عليها وجفا الاولى فاتت ابنة محمد بن مسلمة تشكو زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية وقيل كان رجل له امراة قد كبرت وله منها اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقني ودعني اقوم على اولادي اقسم لي كل شهرين ان شيت وان شيت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب الي فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فانزل الله هذه الاية وان امراة خافت يعني علمت وقيل ظنت وقيل بل المراد نفس الخوف لان الخوف لا يحصل الا عند ظهور الامارات الدالة على وقوعه من بعلها يعني من زوجها والبعل هو السيد وسمي الزوج بعلا لانه سيد المراة نشوزا يعني بغضا وقيل هو ترك مضاجعتها واصله من النشز وهو المرتفع من الارض والنشوز قد يكون من الزوجين وهو ان يكره كل واحد منهما صاحبه فنشوز الزوج هو ان يعرض عن المراة وهو قوله تعالى او اعراضا يعني بوجهه عنها او يعبس في وجهها او يترك مضاجعتها او يسيء عشرتها او يشتغل بغيرها وقيل المراد من النشوز اظهار الخشونة في القول والفعل والمراد من الاعراض السكوت عن الخير والشر والايذا بل يعرض عنها بوجهه او يشتغل بغيرها فلا جناح عليهما يعني فلا حرج ولا اثم على الزوج والمراة ان يصالحا من المصالحة وقرى ان يصلحا بضم اليا وكسر اللام من الاصلاح بينهما صلحا يعني في القسمة والنفقة وهو ان يقول الزوج للمراة انك قد كبرت ودخلت في السن وانا اريد ان اتزوج امراة شابة جميلة اوثرها عليك في القسمة ليلا ونهارا فان رضيت فاقيمي وان كرهت ذلك فارقتك وخليت سبيلك فان رضيت بذلك كانت هي المحسنة ولا تجبر على ذلك وان لم ترض بدون حقها كان على الزوج ان يوفيها حقها من القسم والنفقة او يسرحها باحسان وان امسكها او وفاها حقها مع الكراهة لها كان هو المحسن قال ابن عباس فان صالحته على بعض حقها من القسمة والنفقة جاز وان انكرت ذلك بعد الصلح كان ذلك لها ولها حقها والصلح خير يعني اقامتها بعد تخييره اياها والمصالحة على ترك بعض حقها من القسم والنفقة خير من الفرقة عن ابن عباس قال خشيت سودة ان يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا تطلقني وامسكني واجعل يومي لعايشة ففعل فنزلت

فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير فما اصطلحا عليه من
شي فهو جايز اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب فكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقسم لعايشة يومين يومها ويوم سودة **واحضرت
الانفس الشح** الشح اقبح البخل وحقيقته الحرص على منع الخير وانما قال
واحضرت الانفس الشح لانه كالامر الملازم للنفوس لانها مطبوعة عليه
ومعنى الاية ان كل واحد من الزوجين يشح بنصيبه من الاخر فالمراة
تشح على مكانها من زوجها والرجل يشح عليها بنفسه اذا كان غيرها احب
اليه منها **فان الله كان بما تعملون خبيرا** يعني فيجازيكم باعمالكم قوله
عز وجل **ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النسا** يعني ولن تقدروا ان
تسووا بين النسا في الحب وميل القلب لان ذلك مما لا يقدرون عليه
وليس من كسبكم **ولو حرصتم** يعني على العدل والتسوية بينهن
وقيل معناه ولو حرصتم على ذلك **فلا تميلوا كل الميل** يعني الى التي تحبونها
في القسم والنفقة والمعنى انكم لستم منتهين عن حصول التفاوت في
الميل القلبي لان ذلك خارج عن قدرتكم ووسعكم ولكنكم منهيون عن
اظهار ذلك الميل في القول والفعل عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من كانت له امراتان فلم يعدل بينهما جا يوم القيمة وشقه
ساقطا اخرجه الترمذي وعن ابي داود من كانت له امراتان فمال الى
احدهما جا يوم القيمة وشقه مايل عن عايشة قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل ويقول اللهم هذا قسمي فيما املك
فلا تلمني فيما تملك ولا املك يعني القلب اخرجه ابو داود والترمذي
والنساي وقوله تعالى **فتذروها كالمعلقة** يعني فتدعوا الاخرى التي
لا تميلون اليها كالمتعطلة لا ايما ولا ذات بعل كالشي المعلق لا هو في
السما ولا على الارض وقيل معناه فتذروها كالمسجونة لا هي مخلصة
فتتزوج ولا هي ذات بعل فتحسن اليها **وان تصلحوا** يعني بالعدل
في القسم **وتتقوا** يعني الجور في القسم **فان الله كان غفورا** يعني لما حصل
من الميل الى بعضهن دون بعض **رحيما** يعني بكم حيث لم يكلفكم ما لا
تقدرون عليه **وان يتفرقا** يعني ان لم يصطلحا واختارا الفرقة **يغن الله
كلا من سعته** يعني من فضله ورزقه والمعنى يغني الزوج بامراة
اخرى والمراة بزوج اخر وقيل معناه يعوض الزوج بما يحب والمراة
بما تحب ويوسع عليهما وفي هذا التسلية لكل واحد من الزوجين بعد
الطلاق **وكان الله واسعا** يعني واسع الفضل والرحمة وقيل هو
الواسع القدرة والعلم والرزق وقيل هو الغني الذي وسع جميع المخلوقات
غناه **حكيما** يعني فيما امر به ونهى عنه **فصل** فيما يتعلق بحكم الاية

وجملة

وجملته ان الرجل اذا كان تحته امراتان او اكثر يجب عليه التسوية بينهن
في القسم فان ترك التسوية بينهن في فعل القسم عصى الله عز وجل في ذلك
وعليه القضا للمظلومة والتسوية شرط في البيتوتة اما في الجماع فلا
لان ذلك يدور على النشاط وميل القلب وليس ذلك اليه ولو كان في
نكاحه حرة وامة قسم للحرة ليلتين وللامة ليلة واحدة واذا تزوج
جديدة على قديمات كن عنده فانه يخص الجديدة بان يبيت عندها
سبع ليال ان كانت الجديدة بكرا وان كانت ثيبا خصها بثلاث ليال
ثم انه يستانف القسم ويسوي بينهن ولا يجب عليه قضا هذه الليالي
للقديمات ويدل على ذلك ما روي ابو قلابة عن انس قال من السنة
اذا تزوج البكر على الثيب اقام عندها سبعا وقسم واذا تزوج الثيب
اقام عندها ثلاثا وقسم قال ابو قلابة لو شيت لقلت ان انسا رفعه
الى النبي صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين واذا سافر الرجل الى
سفر حاجة جاز له ان يحمل معه بعض نسايه بشرط ان يقرع بينهن
ولا يجب عليه ان يقضي للباقيات عوض مدة سفره وان طالت اذا لم
يزد مقامه في البلد على مدة المسافرين ويدل على ذلك ما روي عن
عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع
بين نسايه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه اخرجه البخاري مع
زيادة فيه واذا اراد الرجل سفر نقلة وجب عليه اخذ نسايه معه قوله
تعالى **ولله ما في السموات وما في الارض** يعني عبيدا وملكا قال اهل
المعاني لما ذكر الله تعالى انه يغني من سعته وفضله اشار الى ما يوجب
الرغبة اليه في طلب الخير منه لان من ملك السموات والارض لا تفنى خزاينه
ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى
واصحاب الكتب القديمة **واياكم** يعني ووصيناكم يا اهل القران في كتابكم
ان اتقوا الله اي بان تتقوا الله وهو ان توحدوه وتطيعوه وتحذروه ولا
تخالفوا امره والمعنى ان الامر بتقوى الله شريعة قديمة اوصى الله
بها جميع الامم السالفة في كتبهم **وان تكفروا** يعني وان تجحدوا ما اوصاكم
به **فان لله ما في السموات وما في الارض** يعني فان لله ملايكة في السموات
وفي الارض هم اطوع له منكم وقيل معناه انه تعالى خلق السموات والارض
وما فيهن وما لكهم والمنعم عليهم باصناف النعم ومن كان كذلك فحق لكل
احد ان يتقيه ويرجوه **وكان الله غنيا** يعني عن جميع خلقه غير محتاج
اليهم ولا الى طاعتهم **حميدا** يعني محمودا على نعمه عليهم **ولله ما في السموات
وما في الارض وكفى بالله وكيلا** قال ابن عباس يعني شهيدا على ان له
فيهن عبيدا وقيل معناه وكفى بالله دافعا ومجيرا فان قلت ما الفايدة

في تكرير قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض قلت الفايدة في
ذلك ان لكل اية معنى يختص به اما الاية الاولى فمعناها فان لله ما
في السموات وما في الارض وهو يوصيكم بتقوى الله فاقبلوا وصيته
وقيل لما قال تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته بين ان له ما
في السموات وما في الارض وانه قادر على اغنا جميع الخلايق وهو
المستغني عنهم واما الاية الثانية فانه تعالى قال وان تكفروا فان لله
ما في السموات وما في الارض والمراد منه انه تعالى منزه عن طاعات
الطايعين وعن ذنوب المذنبين وانه لا يزداد جلاله بالطاعات
ولا ينتقص بالمعاصي وقيل لما بين ان له ما في السموات وما في الارض
وقال بعد ذلك وكان الله غنيا حميدا فالمراد منه انه تعالى هو
الغني وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون فهو يعطيكم لان له
ما في السموات وما في الارض واما الثالثة فقال تعالى ولله ما
في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا اي فتوكلوا عليه ولا
تتوكلوا على غيره فانه المالك لما في السموات والارض وقيل تكريرها
تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه ويطيعوه ولا يعصوه لان التقوى
والخشية اصل كل خير **قوله عز وجل** ان يشا يذهبكم ايها
الناس قال ابن عباس يريد المشركين والمنافقين ويات باخرين
بغيركم هم خير منكم واطوع له ففيه تهديد للكفار والمعنى انه يهلككم
ايها الكفار كما اهلك من كان قبلكم اذ كفروا به وكذبوا رسله وكان
الله على ذلك قديرا يعني وكان الله على ذلك الاهلاك واعادة
غيركم قادرا بليغا في القدرة لا يمتنع عليه شي اراده لم يزل ولا يزال
موصوفا بالقدرة على جميع الاشيا قوله تعالى من كان يريد ثواب
الدنيا نزلت في مشركي العرب وذلك انهم كانوا يقرون بان الله خالقهم
ولا يقرون بالبعث يوم القيمة فكانوا يتقربون الى الله ليعطيهم من
خير الدنيا ويصرف عنهم شرها وقيل نزلت في المنافقين لانهم كانوا
لا يصدقون بيوم القيمة وانما كانوا يطلبون بجهادهم مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم عاجل الدنيا وهو ما ينالونه من الغنيمة فعند
الله ثواب الدنيا والاخرة يعني ان الذين يطلبون باعمالهم وجهادهم
ثواب الدنيا وما ينالونه من الغنيمة مخطيون في قصدهم لان الله عنده
ثواب الدنيا وثواب الاخرة فلو كانوا عقلا لطلبوا ثواب الاخرة
حتى يحصل لهم ذلك ويحصل لهم ثواب الدنيا على سبيل التبعية
والمعنى ان من اراد بعمله الدنيا اتاه الله منها ما اراد وصرف عنه
من شرها ما اراد وليس له ثواب في الاخرة يجزي به ومن اراد بعمله

وجه الله وثواب الاخرة فعند الله ثواب الدنيا والاخرة يوتيه من
الدنيا ما قدر له ويجزيه في الاخرة خير الجزا وكان الله سميعا يعني
لاقوالهم وما يسرونه من طلب ثواب الدنيا بصيرا يعني بنياتهم
وما في نفوسهم وقيل بصيرا بمن يطلب الدنيا بعمله وبمن يطلب الاخرة
بعمله قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط
شهدا لله قال السدي ان فقيرا وغنيا اختصما الى النبي صلى الله
عليه وسلم فكان صغوه مع الفقير يرى ان الفقير لا يظلم الغني
فانزل الله هذه الاية وامر بالقيام بالقسط مع الغني والفقير
وقيل ان هذه الاية متعلقة بقصة طعمة بن ابيرق فهي خطاب لقومه
الذين جادلوا عنه وشهدوا له بالباطل فامرهم الله تعالى ان يكونوا
قايمين بالقسط شاهدين لله على كل حال ولو على انفسهم واقاربهم
فقال تعالى كونوا قوامين بالقسط القوام مبالغة في القيام بالعدل
في جميع الشهادات واجتناب الجور فيها قال ابن عباس كونوا قوامين
بالعدل في الشهادات على من كانت شهدا لله يعني اقيموا شهاداتكم
لوجه الله كما امركم فيها فيقول الحق في شهادته ولو على انفسكم ولو
كانت الشهادة على انفسكم امر الله العبد بان يشهد على نفسه بالحق
وهو ان يقر على نفسه وذلك الاقرار يسمى شهادة في كونه موجبا للحق
عليه او الوالدين والاقربين يعني ولو كانت الشهادة على الوالدين
والاقربين من ذوي رحمه واقاربه والمعنى قولوا الحق ولو على
انفسكم او الوالدين او الاقارب فاقيموا الشهادة عليهم لله تعالى
ولا تحابوا غنيا لغناه ولا ترحموا فقيرا لفقره فلذلك قوله تعالى
ان يكن يعني المشهود عليه غنيا او فقيرا فالله اولى بهما يعني منكم
والمعنى كلوا امرهم الى الله تعالى فهو اعلم بهم وبحالهم وانما قال
بهما على التثنية لان رد الضمير الى المعنى دون اللفظ يعني فالله
اولى بالفقير وبالغني فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا يعني فلا
تتبعوا الهوى واتقوا الله ان تعدلوا عن الحق في ادا الشهادة وقيل
معناه اتركوا متابعة الهوى حتى تصيروا موصوفين بصفة العدل
لان العدل عبارة عن ترك متابعة الهوى وان تلووا قرى بواوين
ومعناه ان يلوي الشاهد لسانه الى غير الحق قال ابن عباس يلوي
لسانه بغير الحق ولا يقيم الشهادة على وجهها او تعرضوا يعني او يعرض
الشاهد عن الشهادة فيكتمها ولا يقيمها يقال لويته حقه اذا دفعته
عنه ومطلته به وقيل معناه وان تلووا عن القيام باداء الشهادة او
تعرضوا عنها فتتركوها وقيل معناه التحريف والتبديل في الشهادة

ومن قولهم لويت الشي اذا قلبته وقيل هو خطاب مع الحكام يقول وان
تلووا يعني تميلوا مع احد الخصمين دون الاخر او تعرضوا بالكلية وقرى
تلوا بواو واحدة من الولاية فهو خطاب للحكام ايضا ومعناه فلا تلوا
امور المسلمين وتضيعوهم او تعرضوا عنهم **فان الله كان بما تعملون**
خبيرا يعني انه تعالى يجازي المحسن باحسانه والمسيء باسائته فيجازيكم
باعمالكم **قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله**
قال ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام واسد واسيد ابني كعب
وثعلبة بن قيس وسلام ابن اخت عبد الله بن سلام وسلمة ابن
اخيه ويامين بن يامين فهولاء مومنوا اهل الكتاب اتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نومن بك وبكتابك وبموسى والتورية
وعزير ونكفر بما سوى ذلك من الكتب والرسل فقال لهم النبي صلى
الله عليه وسلم بل امنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم
والقران وبكل كتاب كان قبله فانزل الله هذه الاية يا ايها الذين
امنوا يعني بمحمد والقران وبموسى والتورية امنوا بالله ورسوله
اسم جنس يعني امنوا بجميع رسله وقيل هو خطاب لاهل الكتاب
جميعا والمعنى يا ايها الذين امنوا بموسى والتورية وبعيسى والانجيل
امنوا بمحمد والقران وقيل هو خطاب للمنافقين والمعنى يا ايها الذين
امنوا بالسنتهم ولم تومن قلوبهم امنوا بقلوبكم حتى ينفعكم الايمان
لان الايمان باللسان لا ينفع من غير مواطاة القلب وقيل هو خطاب
للمومنين والمعنى يا ايها الذين امنوا في الماضي والحال امنوا في المستقبل
ودوموا واثبتوا على الايمان **والكتاب الذي نزل على رسوله**
يعني القران **والكتاب الذي انزل من قبل** يعني امنوا بالقران وبجميع
الكتب الذي انزلها على انبيائه قبل القران فيكون الكتاب اسم جنس
لجميع الكتب **ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر**
فقد ضل ضلالا بعيدا قوله عز وجل **ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا**
ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا قال ابن عباس نزلت في اليهود امنوا بموسى
ثم كفروا بعبادتهم العجل ثم امنوا بعد ذلك ثم كفروا بعيسى والانجيل
ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران وقيل انهم امنوا
بموسى ثم كفروا بعده ثم امنوا بداود ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا
كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في المنافقين وذلك انهم
امنوا ثم كفروا بعد الايمان ثم امنوا بعد يعني بالسنتهم وهو
اظهارهم الايمان ليجري عليهم احكام المومنين ثم ازدادوا كفرا يعني
بموتهم على الكفر وقيل بذنوب احدثوها في الكفر وقيل هم قوم

امنوا

امنوا ثم ارتدوا الى الكفر ثم امنوا ثم ارتدوا الى الكفر ثم ازدادوا
كفرا يعني بموتهم عليه وذلك لان من تكرر منه الايمان بعد الكفر
والكفر بعد الايمان مرات كثيرة يدل على انه لا وقع للايمان في قلبه
ومن كان كذلك لم يكن مومنا بالله ايمانا صحيحا وازديادهم الكفر
هو استهزاوهم وتلاعبهم بالايمان ومثل هذا المتلاعب بالدين هل
تقبل توبته ام لا حكي عن علي بن ابي طالب انه قال لا تقبل توبته بل
يقتل وذهب اكثر اهل العلم الى ان توبته مقبولة وقوله تعالى
لم يكن الله ليغفر لهم يعني ما اقاموا على الكفر وماتوا عليه وذلك
لان الله تعالى اخبر انه يغفر الكفر اذا تاب منه بقوله قل للذين
كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف يعني من كفرهم **ولا ليهديهم**
سبيلا يعني طريق هدى وقيل لا يجعلهم بكفرهم مهتدين قوله
تعالى **بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما** يعني اخبرهم يا محمد وانما
وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم وقيل البشارة كل خبر تتغير به بشرة
الوجه سارا كان ذلك الخبر او غير سار وقيل معناه اجعل موضع
بشارتك لهم العذاب لان العرب تقول تحيتك الضرب اي هذا بدل
من تحيتك قال الشاعر

وخيل قد دلفت لها بخيل • تحية بينهم ضرب وجيع •

ثم وصف الله المنافقين فقال تعالى **الذين يتخذون الكافرين**
اوليا من دون المومنين يعني يتخذون اليهود اوليا وانصارا وبطانة
من دون المومنين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون ان محمدا لا يتم
امره فتولوا اليهود فقال الله تعالى ردا على المنافقين **ايبتغون**
عندهم العزة يعني يطلبون من عند اليهود القوة والمعونة والظهور
على محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه **فان العزة لله جميعا** يعني
فان القوة والقدرة والغلبة لله جميعا وهو الذي يعز اولياءه
واهل طاعته كما قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمومنين **وقد**
نزل عليكم يعني يا معشر [illegible] المومنين **في الكتاب** يعني القران
ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزا بها قال المفسرون الذي
انزل عليكم في النهي عن مجالستهم هو قوله تعالى في سورة الانعام واذا
رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث
غيره وهذا نزل بمكة لان المشركين كانوا يخوضون في القران ويستهزءون
به في مجالسهم ثم ان احبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل فعل
المشركين وكان المنافقون يجلسون اليهم ويخوضون معهم في الاستهزا
بالقران فنهى الله المومنين عن القعود معهم بقوله **فلا تقعدوا معهم**

حتى يخوضوا في حديث غيره يعني حتى ياخذوا في حديث اخر غير ه
الاستهزا بالقران وبمحمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس دخل في
هذه الاية كل محدث في الدين وكل مبتدع الى يوم القيمة انكم اذا
مثلهم يايها الجالسون مع المستهزئين بايات الله وراضيتم بذلك
فانتم وهم في الكفر سوا قاله العلما وهذا يدل على ان من رضي بالكفر
فهو كافر ومن رضي بمنكر او خالط اهله كان في الاثم بمنزلتهم اذا رضي
به وان لم يباشره فان جلس اليهم ولم يرض بفعلهم بل كان ساخطا له
وانما جلس على سبيل التقية والخوف فالامر فيه اهون من المجالسة
مع الرضى وان جلس مع صاحب بدعة او منكر ولم يخض في بدعته او
منكره فيجوز الجلوس معه مع الكراهة وقيل لا يجوز بحال والاول
اصح ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني انهم
اجتمعوا في الدنيا على الاستهزا بايات الله فكذلك يجمعهم في عذاب جهنم
يوم القيمة قوله عز وجل الذين يتربصون بكم نزلت في المنافقين
والمعنى ينتظرون ما يحدث بكم من خير او شر فان كان لكم فتح من الله
اي ظفر على عدو وغنيمة تنالونها منهم قالوا يعني المنافقين لكم الم نكن
معكم يعني في الوقعة والفتح فاعطونا من الغنيمة وقيل معناه الم
نكن على دينكم وان كان للكافرين نصيب اي دولة وظفر على المسلمين
قالوا يعني المنافقين للكفار الم نستحوذ عليكم الاستحواذ هو الاستيلا
والغلبة يقال استحوذ على فلان اي غلب عليه والمعنى الم نغلبكم ونتمكن
منكم ومن قتالكم واسركم ثم لم نفعل ذلك وقيل معناه الم نغلبكم على رايكم
ونمنعكم من المومنين يعني من صداقتهم والدخول في دينهم وقيل معناه الم
ندفع عنكم المومنين بتخذيلهم عنكم ومراسلتنا اياكم باخبارهم واسرارهم
فهاتوا نصيبا مما اصبتم منهم ومراد المنافقين اظهار المنة على الكفار
فان قلت لم سمى ظفر المومنين فتح وسمى ظفر الكافرين نصيبا قلت
تعظيما لشان المومنين وتخسيسا لحظ الكفار لان ظفر المسلمين امر عظيم
يفتح له ابواب السما حتى ينزل النصر على المسلمين واما ظفر الكفار فما
هو الا حظ دني ونصيب خسيس لا يبقى منه الا ما نالوه في الدنيا ولهم
في الاخرة العقوبة الشديدة على ذلك النصيب الذي نالوه من المسلمين
فالله يحكم بينهم يوم القيمة يعني الفريقين فريق المومنين وفريق
المنافقين والمعنى انما وضع السيف عن المنافقين في الدنيا الا لاجل
كرامتهم بل اخر عذابهم الى يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على
المومنين سبيلا وفيه قولان احدهما وهو قول علي بن ابي طالب وابن
عباس ان المراد به في القيمة بدليل اية عطف قوله فالله يحكم بينهم يوم القيمة

روى ان رجلا سال علي بن ابي طالب عن هذه الاية ولن يجعل الله للكافرين
على المومنين سبيلا وهو يقتلونا فقال ولن يجعل الله للكافرين يوم
القيمة على المومنين سبيلا والقول الثاني ان هذا في الدنيا والمعنى ان
حجة المومنين غالبة في الدنيا على الكافرين وليس لاحد ان يغلبهم بالحجة
وقيل معناه ان الله لم يجعل للكافرين على المومنين سبيلا بان يمحو دولة
المومنين بالكلية ويستبيحوا بيضتهم فلا يبقى احد من المومنين وقيل
معناه ان الله لا يجعل للكافرين على المومنين سبيلا بالشرع فان شريعة
الاسلام ظاهرة الى يوم القيامة ويتفرع على ذلك مسايل من احكام
الفقه منها ان الكافر لا يرث المسلم ومنها ان الكافر اذا استولى على مال
المسلم لم يملكه بدليل هذه الاية ومنها ان الكافر ليس له ان يشتري
عبدا مسلما ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمي بدليل هذه الاية قوله
تعالى ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم يعني يعاملون الله
معاملة المخادع ويجازيهم على خداعهم وقيل معناه يخادعون رسول الله صلى الله
عليه وسلم لانهم يظهرون له الايمان ويبطنون له الكفر وهو خادعهم
يعني والله يجازيهم بالعقاب وقيل انهم يعطون نورا يوم القيمة كما
يعطى المومنون فيمضي المومنون بنورهم على الصراط ويطفى نور المنافقين
واذا قاموا الى الصلاة يعني المنافقين قاموا كسالى يعني متثاقلين
وسبب هذا الكسل انهم يتعبون بها لانهم لا يريدون بفعلها ثوابا ولا
يريدون بها وجه الله عز وجل ولا يخافون على تركها عقابا لان الداعي
الى فعلها خوف الناس فلذلك وقع فعلها على وجه الكسل والفتور
يراون الناس يعني انهم لا يقومون الى الصلاة الا لاجل الريا والسمعة
لا لاجل الدين ولا يرون انها واجبة عليهم قال قتادة والله لولا الناس
ما صلى منافق ولا يذكرون الله الا قليلا قال ابن عباس انما قل ذلك
لانهم يفعلونه ريا وسمعة ولو ارادوا بذلك القليل وجه الله لكان كثيرا
وقيل لان الله لم يقبله ولو قبله لكان كثيرا وقيل المراد بذكر الله الصلاة
والمعنى انهم لا يصلون الا قليلا لانهم متى لم يكن معهم احد من المومنين
فلا يصلون واذا كانوا مع المومنين يتكلفون فعلها مذبذبين بين
ذلك يعني متحيرين مترددين في الكفر والايمان لانهم ليسوا مع المومنين
المخلصين ولا مع المشركين المصرحين بالشرك وهو قوله تعالى لا الى هولا
ولا الى هولا يعني ليسوا من المومنين حتى يجب لهم ما يجب للمومنين
وليسوا من الكفار فيوخذ منهم ما يوخذ من الكفار ومن يضلل الله
فلن تجد له سبيلا يعني طريقا الى الهدى ق عن ابن عمر عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال مثل المنافق كمثل الشاة العايرة بين الغنمين

تتحير الى هذه مرة والى هذه مرة قوله كمثل الشاة العايرة بالعين
المهملة ومعناه المتحيرة المترددة لا تدرى لاى الغنمين تتبع ه
ومعنى تعير تتردد وتذهب يمينا وشمالا مرة الى هذه ومرة الى هذه
لا تدرى الى اين تذهب وهذا مثل المنافق مرة مع المومنين ومرة
مع المنافقين اوظاهره مع المومنين وباطنه مع الكافرين قوله
عزوجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اوليا من دون
المومنين لما ذم الله عزوجل المنافقين بقوله مذبذبين بين
ذلك نهى الله المومنين ان يتخلقوا باخلاق المنافقين يقول لا
توالوا الكفار من دون اهل ملتكم ودينكم فتكونوا كمن اوجبت له
النار من المنافقين والسبب فى هذا النهى ان الانصار بالمدينة كان
لهم من يهود بنى قريظة حلف ومودة ورضاع فقالوا يا رسول الله
من نتولى فقال المهاجرين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا
مبينا يعنى اتريدون ايها المتخذون الكفار اوليا من دون المومنين
فتستوجبوا بذلك النار ثم بين مقر المنافقين من النار فقال تعالى
ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار يعنى فى الطبق الذى فى
قعر جهنم والنار سبع دركات بعضها فوق بعض سميت طبقات جهنم
ودركات لانها متداركة متتابعة وقيل الدرك بيت مقفل عليهم تتوقد
فيه النار من فوقهم ومن تحتهم وقيل توابيت من حديد مقفلة عليهم
فى النار **فان قلت** لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر
قلت ان المنافق مثل الكافر فى الكفر وزيادة وهو انه ضم الى
كفره نوعا اخر واخبث منه وهو الاستهزا بالاسلام والمسلمين وافشا
اسرار المسلمين ونقلها الى الكفار فلهذا السبب جعل الله عذاب
المنافقين اشد عذابا من الكفار والمنافق من اظهر الايمان وابطن
الكفر وقيل هو الذى يصف الاسلام بلسانه ولا يعمل بشرايعه ولا
ينقيد بقيوده ولا يدخل تحت احكامه واما تسمية من ارتكب ما
يفسق به منافقا فللتغليظ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث
من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث
كذب واذا وعد اخلف واذا ايتمن خان فان هذه الخصال صفات
المنافقين فمن فعلها فقد تشبه بالمنافقين وقوله تعالى ولن تجد
لهم نصيرا يعنى ولم تجد يا محمد لهولا المنافقين ناصرا ينصرهم من عذاب
الله اذا انزل بهم ثم استثنى الله عزوجل من تاب من المنافقين فقال
تعالى الا الذين تابوا يعنى من النفاق واصلحوا يعنى اصلحوا الاعمال
فعملوا بما امر الله به وادوا فرايضه وانتهوا عما نهاهم عنه واعتصموا

بالله

بالله يعنى وتمسكوا بعهد الله ووثقوا به واخلصوا دينهم لله يعنى
واخلصوا طاعته واعمالهم التى عملوها وارادوه بها ولم يريدوا ريا ولا
سمعة فهذه الامور الاربعة اذا حصلت فقد كمل الايمان فلذلك قال
تعالى فاولئك يعنى التايبين من النفاق مع المومنين يعنى فى الجنة
وقيل مع بمعنى من اى من المومنين وسوف يوتى الله المومنين اجرا
عظيما يعنى فى الاخرة قوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم
هذا استفهام تقرير معناه انه تعالى لا يعذب الشاكر المومن فان تعذيبه
لا يزيد فى ملكه وتركه عقوبته لا ينقص من سلطانه لانه الغنى الذى لا
يحتاج الى شى من ذلك فان عاقب احدا فانما يعاقبه لامر اوجبه الا انه
العدل والحكمة فان قمتم بشكر نعمته وامنتم به فقد انقذتم انفسكم من
عذابه قال اهل المعانى فيه تقديم وتاخير تقديره ان امنتم وشكرتم
لان الايمان مقدم على ساير الطاعات ولان الشكر لا ينفع مع عدم
الايمان ولان الايمان لا توجب الترتيب وقيل هو على اصله والمعنى ان
العاقل ينظر بعين بصيرته اولا الى ما عليه من النعمة العظيمة فى
ايجاده وخلقه فيشكر على ذلك شكرا عظيما مبهما ثم اذا تم النظر
ثانيا انتهى به النظر الى معرفة المنعم عليه امن به ثم شكره شكرا مفصلا
فكان ذلك الشكر المبهم مقدما على الايمان فلذلك قدم الشكر على الايمان
فى الذكر وكان الله شاكرا يعنى مثيبا عباده المومنين موفيا اجورهم
والشكر من الله الرضى بالقليل من اعمال عباده واضعاف الثواب عليه
وقيل لما امر الله عباده بالشكر سمى الجزا شكرا على سبيل الاستعارة
فالمراد من الشاكر فى صفة الله تعالى كونه مثيبا على الشكر عليما يعنى
بحق شكركم وايمانكم فيجازيكم على ذلك قوله عزوجل لا يحب الله الجهر
بالسوء من القول الا من ظلم قال اهل المعانى يعنى انه تعالى لا يحب الجهر
بالسوء ولا غير الجهر به ايضا من القول يعنى من القول القبيح الا من ظلم قيل
هو استثنا متصل والمعنى الا جهر الا من ظلم وقيل هو استثنا منقطع ومعناه
لكن المظلوم يجوز ان يجهر بظلم الظالم قال العلما لا يجوز اظهار احوال الناس
المستورة المكتومة لان ذلك يصير سببا لوقوع الناس فى الغيبة ووقوع
ذلك الشخص فى الريبة لكن من ظلم فيجوز له اظهار ظلمه فيقول سرق منى
او غصب ونحو ذلك وان شوتم جاز له ان يشتم بمثله ولا يزيد شيا على ذلك
ويدل على ذلك ما روى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم المستبان ما قالا فعلى الاول وفى رواية فعلى البادى منهما حتى يتعدى
المظلوم اخرجه مسلم قال ابن عباس لا يحب الله ان يدعو احد على احد الا ان
يكون مظلوما فانه قد ارخص له ان يدعو على من ظلمه وذلك قوله الا من

ظلم وان صبر فهو خير له وقال الحسن البصري هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع
عليه ولكن ليقل اللهم اعني عليه اللهم استخرج لي حقي اللهم حل بينه
وبين ما يريد ونحوه من الدعا وقيل نزلت الاية في الضيف اذا نزل
بقوم فلم يقروه ولم يحسنوا ضيافته فله ان يشكر ما صنع به قال مجاهد
هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فيخرج من عنده فيقول
اسا ضيافتي وقال مقاتل نزلت في ابي بكر الصديق وذلك ان رجلا نال
منه والنبي صلى الله عليه وسلم حاضر فسكت عنه ابو بكر مرارا ثم رد عليه
فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله شتمني فلم تقل له
شيا حتى اذا رددت عليه قمت قال ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت
عليه ذهب الملك وجا الشيطان فقمت ونزلت هذه الاية وكان الله
سميعا يعني لدعا المظلوم عليما بما في قلبه فليتق الله ولا يقول الا الحق
قوله تعالى ان تبدوا خيرا قال ابن عباس يريد من اعمال البر كالصيام
والصدقة والضيافة والصلة وقيل معناه ان تبدوا خيرا بدلا من
السوء او تخفوه يعني تخفوا الخير فلم تظهروه وقيل معناه ان تبدوا حسنة
فتعملوا بها تكتب لكم عشرا وان هم بها ولم يعملها كتبت له واحدة وقيل
ان جميع مقاصد الخيرات على كثرتها محصورة في قسمين احدهما صدق
النية مع الحق والثاني التخلق مع الخلق فالذي يتعلق بالخلق ينحصر
في قسمين ايضا وهما ايصال نفع اليهم في السر والعلانية واليه الاشارة
بقوله او تعفوا عن سوء فيدخل في هاتين الكلمتين جميع اعمال البر
وجميع دفع الضرر وقيل المراد بالخير المال والمعنى ان تبدوا الصدقة
فتعطوها الفقرا جهرا او تخفوها فتعطوها سرا او تعفوا عن مظلمة
فان الله كان عفوا قديرا يعني لم يزل ذا عفو مع قدرته على الانتقام
فاعفوا انتم عمن ظلمكم واقتدوا بسنة الله عز وجل يعفو عنكم يوم القيمة
لانه اهل للتجاوز والعفو عنكم وقيل معناه عفوا لمن عفى قديرا على
ايصال الثواب اليه قوله عز وجل ان الذين يكفرون بالله
ورسله نزلت في اليهود اجمعين وذلك انهم امنوا بموسى والتورية
وكفروا بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقران وقيل
نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك ان اليهود امنوا بموسى
وكفروا بعيسى ومحمد والنصارى امنوا بعيسى وكفروا بمحمد صلى الله
عليه وسلم وعليهم اجمعين ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله
ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض يعني ويريدون ان يفرقوا بين
الايمان بالله والايمان برسله ولا يصح الايمان بالله مع التكذيب
ببعض رسله ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا يعني بين الايمان

بالبعض دون البعض يتخذون مذهبا يذهبون اليه ودينا يدينون به اولئك
يعني من هذه صفته هم الكافرون حقا يعني يقينا وانما قال ذلك توكيدا
لكفرهم لئلا يتوهم متوهم ان الايمان ببعض الرسل يزيل اسم الكفر عنهم
وليعلم ان الكفر ببعض الانبيا كالكفر بكلهم لان الدليل الذي يدل على نبوة
البعض وهو المعجزة لزم منه انه حيث وجدت المعجزة حصلت النبوة وقد
وجدت المعجزة لجميع الانبيا فلزم الايمان بجميعهم واعتدنا يعني هيانا
للكافرين عذابا مهينا يعني يهانون فيه والذين امنوا بالله ورسله
يعني والذين صدقوا بوحدانية الله وبنبوة جميع انبيايه وان جميع ما جاوا
به من عند الله حق وصدق ولم يفرقوا بين احد منهم يعني من الرسل بل
امنوا بجميعهم وهم المومنون اولئك يعني من هذه صفته سوف نؤتيهم
اجورهم يعني جزا ايمانهم بالله وبجميع كتبه ورسله وكان الله غفورا
رحيما يعني ان الله تعالى لما وعدهم بالثواب اخبرهم انه يتجاوز عن سياتهم ويغفرها
لهم ويرحمهم فهو كالترغيب لليهود والنصارى في الايمان بمحمد صلى الله
عليه وسلم لانهم اذا امنوا غفر لهم ما كان منهم في حال الكفر قوله تعالى
يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السما يعني يسئلك يا
محمد اهل الكتاب وهم اليهود وذلك ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن
عازورا من اليهود قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فاتنا
بكتاب جملة واحدة من السما كما اتى موسى بالتورية وقيل سالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا مختصا بهم وقيل سالوه ان ينزل
عليهم كتابا الى فلان وكتابا الى فلان ليشهد لك انك رسول الله وكان
هذا السوال من اليهود سوال تعنت واقتراح لا سوال استرشاد وانقياد
والله تعالى لا ينزل الايات على اقتراح العباد ولان معجزة الرسول صلى
الله عليه وسلم كانت قد تقدمت وظهرت فكان طلب الزيادة من باب
التعنت وقوله تعالى فقد سالوا موسى اكبر من ذلك يعني اعظم من الذي
سالوك يا محمد ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتوبيخ وتقريع
لليهود حيث سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم سوال تعنت والمعنى
لا يعظمن عليك يا محمد مسالتهم ذلك فانهم من افراط جهلهم واجترايهم على
الله لو اتيتهم بكتاب من السما لما امنوا بك وانما اسند السوال الى اليهود
الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وان وجد هذا السوال من
ابايهم الذين كانوا في ايام موسى عليه السلام لانهم كانوا على مذهبهم وراضين
بسوالهم ومشاكلين لهم في التعنت فقالوا يعني اسلاف هولا اليهود
ارنا الله جهرة يعني عيانا والمعنى ارناه نره جهرة وذلك ان سبعين من
بني اسرايل خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام الى الجبل فقالوا ذلك

وقد تقدمت القصة في سورة البقرة **فاخذتهم الصاعقة بظلمهم** يعني بسبب
ظلمهم وسؤالهم الروية **ثم اتخذوا العجل** يعني الها وهو الذي خلفهم موسى
مع اخيه هارون حين خرج الى ميقات ربه **من بعد ما جاءتهم البينات**
يعني الدلالات الواضحات الدالة على صدق موسى وهي العصا واليد
وفلق البحر وغير ذلك من المعجزات الباهرة **فعفونا عن ذلك** يعني عن
ذلك الذنب العظيم فلم يستاصل العجل عبدة والمقصود من هذا التسلية
النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ان هولا الذين يطلبون منك يا محمد ان
تنزل عليهم كتابا من السما انما يطلبونه عنادا او لجاجا فاني قد انزلت
التورية جملة واحدة على موسى واتيته من المعجزات الباهرات والايات
البينات ما فيه كفاية ثم انهم طلبوا الروية على سبيل العناد وعبدوا
العجل وكل ذلك يدل على جهلهم وانهم مجبلون على الالجاج والعناد
وفي قوله فعفونا عن ذلك استدعا الى التوبة والمعنى ان اوليك الذين
اجرموا لما تابوا عفونا عنهم فتوبوا انتم نعفوا عنكم **واتينا موسى سلطانا**
مبينا يعني حجة واضحة يدل على صدقه وهي المعجزات الباهرات التي
اعطاها الله عز وجل **ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم** يعني ورفعنا
فوقهم الجبل المسمى بالطور بسبب اخذ ميثاقهم وذلك ان بني اسرائيل
امتنعوا من قبول التورية والعمل بما فيها فرفع الله فوقهم الطور حتى
اظلهم ليخافوا فلا ينقضوا العهد والميثاق **وقلنا لهم** يعني والطور
يظلهم **ادخلوا الباب سجدا** فخالفوا ودخلوا وهم يزحفون على استاههم
وقلنا لهم لا تعدوا في السبت يعني وقلنا لهم لا تجاوزوا في يوم السبت
فاعتدوا ولو اصطادوا في ما لا يحل لكم فيه وذلك انهم نهوا ان يصطادوا
السمك في يوم السبت فاعتدوا واصطادوا فيه وقيل المراد به النهي عن العمل
والكسب في يوم السبت **واخذنا منهم ميثاقا غليظا** يعني واخذنا منهم عهدا
موكدا شديدا بانهم يعملون بما امرهم به وان ينتهوا عما نهاهم الله عنه
ثم انهم نقضوا ذلك الميثاق وهو قوله تعالى **فبما نقضهم ميثاقهم** يعني
فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والمعنى فبسبب نقضهم ميثاقهم لعناهم
وسخطنا عليهم وفعلنا بهم ما فعلنا **وكفرهم بايات الله** يعني وجحودهم
بايات الله الدالة على صدق انبيائه **وقتلهم الانبيا** يعني بعد قيام الحجة
والدلالة على صحة نبوتهم **بغير حق** بغير استحقاق لذلك القتل **وقولهم**
قلوبنا غلف يعني وبقولهم على قلوبنا اغطية وغشاوة فهي لا تفقه
ما تقول جمع اغلف وقيل جمع غلاف يعني قلوبنا اوعية للعلم فلا حاجة
بنا الى ما تدعونا اليه فرد الله عليهم بقوله **بل طبع الله عليها بكفرهم**
يعني بل ختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم **فلا يؤمنون الا قليلا** يعني

ايمانهم

ايمانهم بموسى والتوراة وكفرهم بما سواه من الانبيا والكتب وقيل لا يؤمنون
قليلا ولا كثيرا وقيل المراد بالقليل هو عبد الله بن سلام واصحابه الذين
امنوا من اليهود وقوله تعالى **وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما**
يعني حين رموها بالزنا وذلك انهم انكروا قدرة الله تعالى على خلق الولد
من غير اب ومنكر قدرة الله كافر فالمراد بقوله وبكفرهم هو انكارهم قدرة
الله تعالى والمراد بقولهم على مريم بهتانا عظيما هو رميهم اياها بالزنا
وانما سماه بهتانا عظيما لانه قد ظهر عند ولادة مريم من المعجزات ما يدل
على براتها من ذلك فلهذا السبب وصف الله قول اليهود على مريم بالبهتان
العظيم **قوله عز وجل** **وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم**
رسول الله ادعت اليهود انهم قتلوا عيسى عليه السلام وصدقهم
النصارى على ذلك فكذبهم الله عز وجل جميعا ورد عليهم بقوله
وما قتلوه وما صلبوه وفي قوله رسول الله قولان احدهما انه من قول اليهود
فيكون المعنى انه رسول الله على زعمه والقول الثاني انه من قول الله
لا على وجه الحكاية عنهم وذكر ان الله ابدل ذكرهم في عيسى عليه السلام
القول القبيح بالقول الحسن رفعا لدرجته كما كانوا يذكرونه من
القول القبيح وقوله تعالى **ولكن شبه لهم** يعني القي شبه عيسى على غيره
حتى قتل وصلب واختلف العلما في صفة التشبيه الذي شبه على اليهود
في امر عيسى عليه السلام فروى الطبري بسنده عن وهب بن منبه انه
قال اتى اليهود عيسى عليه السلام ومعه سبعة عشر من الحواريين في
بيت فاحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صورهم الله تعالى كلهم على صورة
عيسى فقالوا لهم سحرتمونا لتبرزن لنا عيسى او لنقتلنكم جميعا فقال
عيسى لاصحابه من يشتري منكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم انا فخرج
اليهم وقال انا عيسى وصوره الله تعالى على صورة عيسى فاخذوه
فقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم وظنوا انهم قد قتلوا عيسى وظنت
النصارى مثل ذلك ورفع الله عز وجل عيسى عليه السلام من يومه
ذلك وفي رواية اخرى عن وهب ان عيسى عليه السلام قال لاصحابه
ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعني بدراهم
يسيرة وليأكلن ثمني فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاخذوا شمعون
احد الحواريين فقال هذا من اصحاب عيسى فجحد وقال ما انا بصاحبه
فتركوه ثم اخذوا اخر فجحد كذلك فلما اصبح اتى بعض الحواريين الى
اليهود وكان منافقا فقال ما تجعلوا لي ان دللتكم على عيسى فجعلوا له
ثلاثين درهما فدلهم عليه فالقى الله شبه عيسى على ذلك المنافق الذي
دل عليه فاخذوه فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى وقال قتادة

ان اعدا الله اليهود زعموا انهم قتلوا عيسى وصلبوه وذكر لنا ان نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام قال لاصحابه ايكم يقذف عليه شبهي وله الجنة فانه مقتول فقال رجل منهم انا يا نبي الله فاخذ ذلك الرجل فقتل وصلب ورفع الله عز وجل عيسى الى السما وقيل ان اليهود حبسوا عيسى في بيت وجعلوا عليه رقيبا يحفظه فالقى الله شبه عيسى على ذلك الرقيب فاخذ فقتل وصلب ورفع الله عز وجل عيسى في ذلك الوقت قال الطبري واولى الاقوال بالصواب ما ذكرنا عن وهب بن منبه من ان شبه عيسى القي على جميع من كان مع عيسى في البيت حين احيط به وبهم من غير مسئلة عيسى اياهم ذلك ولكن ليخزي الله بذلك اليهود وينقذ به نبيه عيسى عليه السلام من كل مكروه ارادوه من قتل وغيره وليبتلي الله من اراد ابتلاه من عباده ويحتمل ان يكون القي شبهه على بعض اصحابه بعدما تفرق عنه اصحابه ورفع الله عيسى عليه السلام وبقي ذلك فاخذ وقتل وصلب وظن اصحابه واليهود ان الذي قتلوه وصلبوه هو عيسى لما راوا اشبهه به وخفي امر عيسى عليهم وكان حقيقة ذلك الامر عند الله تعالى فلذلك قال الله تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم **وان الذين اختلفوا فيه** يعني في قتل عيسى وهم اليهود **لفي شك منه** يعني من قتله وذلك ان اليهود لما قتلوا ذلك الشخص المشبه بعيسى وكان قد القي الشبه على وجه ذلك الشخص دون جسده فلما قتلوه نظروا الى جسده فوجدوه غير جسد عيسى فقالوا الوجه وجه عيسى والجسد جسد غيره فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان اليهود لما حبسوا عيسى واصحابه في البيت دخل عليه رجل منهم ليخرجه اليهم فالقى الله شبه عيسى على ذلك الرجل فاخذ وقتل ورفع الله عز وجل عيسى الى السما وفقدوا اصحابهم فقالوا ان كنا قتلنا المسيح فاين صاحبنا وان كنا قتلنا صاحبنا فاين المسيح هذا هو اختلافهم فيه هم النصارى فبعضهم يقول ان القتل وقع على ناسوت عيسى دون لاهوته وبعضهم يقول وقع القتل عليهما جميعا وبعضهم يقول رايناه قتل وبعضهم يقول رايناه رفع الى السما فهذا هو اختلافهم فيه قال الله تعالى **ما لهم به من علم** يعني انهم قتلوا من قتلوا على شك منهم فيه ولم يعرفوا حقيقة ذلك المقتول هل هو عيسى ام غيره **الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا** قال ابن عباس لم يقتلوا ظنهم يقينا فعلى هذا القول تكون الهاء في قتلوه عايدة على الظن والمعنى ما قتلوا ذلك الظن يقينا ولم يزل ظنهم ولم يرتفع ما وقع لهم من الشبهة في قتله فهو كقول العرب قتله علما وقتله يقينا

يعني

يعني علمه علما تاما واصل ذلك ان القتل للشي يكون عن قهر واستيلاء وغلبة ومعنى الاية على هذا لم يكن علمهم بقتل عيسى علما تاما كاملا انما كان ظنا منهم انهم قتلوه ولم يكن كذلك حقيقة وقيل ان الهاء في قتلوه عايدة على عيسى والمعنى وما قتلوه يقينا كما ادعوا انهم قتلوه وقيل انه يقينا يرجع الى ما بعده تقديره وما قتلوه **بل رفعه الله اليه** يقينا والمعنى انهم لم يقتلوا عيسى وما يصلبوه ولكن الله عز وجل رفعه اليه وطهره من الذين كفروا وخلصه مما ارادوه بسوء وقد تقدم كيف كان رفعه في سورة آل عمران بما فيه كفاية وقوله تعالى **وكان الله عزيزا** يعني في اقتداره على من يشا من عباده **حكيما** يعني في انجا عيسى عليه السلام وتخليصه من اليهود وقيل عزيزا يعني منتقما من اليهود وسلط عليهم طيطوس بن سيسانوس الرومي فقتل مقتلة عظيمة حكيما حكم باللعنة والغضب على اليهود حيث ادعوا هذه الدعوة الثانية قوله تعالى **وان من اهل الكتاب** يعني وما من احد من اهل الكتاب **الا ليومنن به** يعني بعيسى عليه السلام وانه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته هذا قول ابن عباس واكثر المفسرين وقال عكرمة في قوله ليومنن به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول لا وجه له لانه لم يجر للنبي صلى الله عليه وسلم ذكر قبل هذه الاية حتى يرجع الضمير اليه وقول الاكثرين اولى لانه تقدم ذكر عيسى عليه السلام فكان عود الضمير اليه اولى **قبل موته** اختلف المفسرون في هذا الضمير الى من يرجع فقال ابن عباس واكثر المفسرين ان الضمير يرجع الى الكتابي والمعنى وما من احد من اهل الكتاب الا يومن بعيسى قبل موته موت ذلك الكتابي ولكن يكون ذلك الايمان عند الحشرجة حين لا ينفعه ايمانه قال ابن عباس معناه انه اذا وقع في الياس حين لا ينفعه ايمانه سوا احترق او تردى من شاهق او سقط عليه جدار او اكله سبع او مات فجاة فقيل له ارايت من خر من فوق بيت قال يتكلم به في الهوي فقيل له ان ضربت عنقه هل يتلجلج بها لسانه وعن شهر بن حوشب قال اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملايكة وجهه ودبره وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله وابن الله فيقول امنت انه عبد الله فاهل الكتاب يومنون به ولكن حيث لا ينفعهم ذلك الايمان وذهب جماعة من اهل التفسير الى ان الضمير يرجع الى عيسى عليه السلام وهو رواية عن ابن عباس ايضا والمعنى وما من احد من اهل الكتاب الا ليومنن بعيسى قبل موته وذلك عند نزوله من السما في اخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتابين الا امن بعيسى حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام

قال عطا اذا نزل عيسى الى الارض لا يبقى يهودي ولا نصراني واحد يعبد غير الله الا امن بعيسى وانه عبد الله وكلمته ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد زاد فى رواية وحتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها حتى يقول ابو هريرة اقرؤا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الاية وفى رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لينزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى عليها وليذهبن الشحنا والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله احد اخرجاه فى الصحيحين ففى هذا الحديث دليل على ان عيسى ينزل فى اخر الزمان فى هذه الامة ويحكم فيهم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وانه لا ينزل نبيا برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل يكون حاكما من حكام هذه الامة واماما من ايمتهم لقوله صلى الله عليه وسلم فيكسر الصليب يعنى يكسره حقيقة ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه وكذلك قتله الخنزير وقوله ويضع الجزية يعنى لا يقبلها ممن بذلها من اليهود ولا يقبل من احد الا الاسلام او القتل وعلى هذا قد يقال هذا خلاف ما هو حكم الشرع اليوم فان الكتابى اذا بذل الجزية وجب قبولها منه ولم يجز قتله ولا اجباره على الاسلام والجواب ان هذا الحكم ليس مستمرا الى يوم القيمة بل هو مقيد بما قبل نزول عيسى عليه السلام وقد اخبر النبى صلى الله عليه وسلم بنسخه وليس الناسخ هو عيسى عليه السلام بل الناسخ لهذا الحكم هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المبين للنسخ وان عيسى عليه السلام يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم على ان الامتناع من قبول الجزية فى ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والله اعلم قال الزجاج هذا القول بعيد يعنى قول من قال ان ايمان اهل الكتاب بعيسى انما يكون عند نزوله فى اخر الزمان ولا ينكر ان هذا العموم ولكن المراد بهذا العموم الذين يشاهدون ذلك الوقت ويدركون نزوله فيؤمنون به ويكون معنى الاية وما من احد من اهل الكتاب ادرك ذلك الوقت الا امن بعيسى بعد نزوله من السما وصحح الطبرى هذا القول وقال عكرمة فى معنى الاية وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل موت الكتابى فلا يموت يهودى ولا نصرانى

حتى

حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك عند الحشرجة حتى لا ينفعه ايمانه وقوله تعالى ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا يعنى يكون عيسى عليه السلام شاهدا على اليهود انهم كذبوه وطعنوا فيه وعلى النصارى انهم اتخذوه ربا واشركوا به ويشهد على تصديق من صدقه منهم وامن به قال قتادة معناه ان يكون شهيدا يوم القيمة انه قد بلغ رسالة ربه واقر على نفسه بالعبودية قوله عز وجل فبظلم من الذين هادوا يعنى بسبب ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعنى ما حرمنا عليهم الطيبات التى كانت حلالا لهم الا بظلم عظيم ارتكبوه وذلك الظلم هو ما ذكره من نقضهم الميثاق وما عدد عليهم من انواع الكفر والكبائر العظيمة مثل قولهم اجعل لنا الها كما لهم الهة وكقولهم ارنا الله جهرة وكعبادتهم العجل فبسبب هذه الامور حرم الله عليهم طيبات كانت حلالا لهم وهى ما ذكره فى سورة الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الاية وقال الطبرى فى معنى الاية فحرمنا على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذى واثقوا به ربهم وكفروا بايات الله وقتلوا انبياءهم وقالوا البهتان على مريم وفعلوا ما وصفهم الله به فى كتابه من المآكل وغيرها التى كانت لهم حلالا عقوبة لهم بظلمهم الذى اخبر الله عنهم وروى عن قتادة قال عوقب القوم بظلمهم بظلم ظلموه وبغى بغوه حرمت عليهم اشيا ببغيهم وظلمهم ونقل الواحدى وابن الجوزى عن مقاتل قال كان الله حرم على اهل التورية ان ياكلوا الربا ونهاهم ان ياكلوا اموال الناس ظلما فاكلوا الربا واكلوا اموال الناس ظلما بالباطل وصدوا عن دين الله وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فحرم الله عليهم عقوبة لهم ما ذكر فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الاية قال الواحدى فاما وجه تحريم الطيبات عليهم كيف ومتى كان وعلى لسان من حرم عليهم فلم اجد فيه شيا انتهى فتركته ولقد انصف الواحدي فيما قال فان هذه الاية فى غاية الاشكال وبيانه ان الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه وقد ذكر المفسرون فى معنى الظلم المذكور فى الاية ما تقدم ذكره وكانها ذنوب فى المستقبل فان قلت علم الله تعالى وقوع هذه الذنوب منهم قبل وقوعها فحرم عليهم ما حرم من الطيبات التى كانت لهم حلالا عقوبة لهم على ما سيقع منهم قلت جوابه ما تقدم وهو ان الله لا يعاقبه على ذنب قبل وقوعه ولهذا لم يذكر الامام فخر الدين فى تفسير هذه الاية ما ذكره المفسرون بل ذكر تقسيما اجماليا فقال اعلم ان انواع الذنوب محصورة فى نوعين الظلم للخلق

والاعراض عن الدين الحق اما الظلم للخلق فاليه الاشاره بقوله
وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربا وقد نهوا عنه ثم انهم
مع ذلك في غاية الحرص على طلب المال فتارة يحصلونه بطريق الربا
مع انهم قد نهوا عنه وتارة يحصلونه بطريق الرشا وهو المراد بقوله
واكلهم اموال الناس بالباطل فهذه الاربعة هذه الذنوب التي شدد
عليهم بسببها في الدنيا والاخرة اما التشديد في الدنيا فهو ما تقدم
من تحريم الطيبات عليهم واما التشديد في الاخرة فهو المراد بقوله
تعالى واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما قال المفسرون انما قال
منهم لان الله علم ان قوما منهم سيؤمنون فيأمنون من العذاب قوله
تعالى لكن الراسخون في العلم منهم يعني من اليهود وهذا استثنا
استثنى الله عز وجل من امن من اهل الكتاب ممن تقدم وصفهم وصفتهم
في الايات التي تقدمت فبين فيما تقدم حال كفار اليهود والجهال منهم وبين في هذه
الاية حال من هداه لدينه منهم وارشده للعمل بما علم فقال لكن الراسخون
في العلم ولكن هنا بمعنى الاستدراك والاستثنا والراسخون في العلم الثابتون
في العلم المبالغون فيه وهم اولوا البصائر الثابتة والعقول الصافية وهم
عبد الله بن سلام واصحابه الذين اسلموا من اهل الكتاب لانهم رسخوا في
العلم وعرفوا حقيقته فاوصلهم ذلك الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
والمومنون يعني بالله ورسله يومنون بما انزل اليك يعني بالقران
الذي انزل اليك وما انزل من قبلك يعني ويومنون بسائر الكتب التي انزلها
الله على انبيايه من قبلك يا محمد وفي المراد بالمومنين ههنا قولان احدهما
انهم اهل الكتاب فيكون المعنى لكن الراسخون في العلم منهم وهم المومنون
والقول الثاني انهم المهاجرون والانصار من هذه الامة فيكون قوله
والمومنون ابتدا كلام مستانف يومنون بما انزل اليك يعني انهم يصدقون
بالقران الذي انزل اليك يا محمد وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة
اختلف العلما في وجه نصبه فحكي عن عايشة وابان بن عثمان انه غلط من
الكتاب ينبغي ان يكتب والمقيمون الصلاة قال عثمان بن عفان ان في
المصحف لحنا ستقيمه العرب بالسنتهم فقيل له افلا نغيره فقال دعوه فانه
لا يحل حراما ولا يحرم حلالا وذهب عامة الصحابة وساير العلما من بعدهم
الى انه لفظ صحيح ليس فيه خطا من كاتب ولا غيره واجيب
عن ما روي عن عثمان بن عفان وعايشة وابان بن عثمان بان هذا
بعيد جدا لان الذين جمعوا القران هم اهل اللغة والفصاحة والقدرة على
ذلك فكيف يتركون في كتاب الله لحنا يصلحه غيرهم فلا ينبغي ان ينسب
هذا اليهم قال ابن الانباري ما روي عن عثمان لا يصح لانه غير متصل ومحال

ان

ان يوخر عثمان شيا فاسدا ليصلحه غيره ولان القران منقول بالتواتر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه وقال الزمخشري
في الكشاف ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما
التفت اليه من لم ينظر في الكتاب يعني كتاب سيبويه ولم ينظر مذاهب
العرب وما لهم من النصب في الاختصاص والمدح من الافتنان وهو
باب واسع وقد ذكره سيبويه على امثلة وشواهد وربما غبي عليه ان
السابقين الاولين كانوا ابعد همة في الغيرة على الاسلام وذب الطاعن
عنه من ان يتركوا في كتاب الله عز وجل ثلمة ليسدها من بعدهم وخرق
يرفوه من يلحق بهم ثم اختلف العلما في المقيمين الصلاة ام الراسخون
في العلم ام غيرهم على قولين احدهما انهم هم وانما نصب على المدح
والمعنى اذكر المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة قالوا والعرب
تفعل ذلك في صفة الشي الواحد ونعته اذا تطاولت بمدح او ذم فربما
خالفوا بين اعراب اوله واوسطه احيانا ثم رجعوا باخره الى اعراب
اوله وربما اجروا اعراب اخره على اعراب اوسطه وربما اجروا ذلك
على نوع واحد من الاعراب واستشهدوا على معنى الاية

لا يبعدن قومي الذين هم • سم العداة وافة الجزر •

النازلين بكل معترك • والطيبون معاقد الازر •

وهذا على معنى اذكر النازلين وهم الطيبون ومن هذا المعنى تقول
جاني قومك المطعمين وهم المعنيون والقول الثاني ان المقيمين الصلاة
غير الراسخين في العلم وموضع والمقيمين الصلاة خفض بالعطف على
قوله تعالى بما انزل اليك فعلى هذا القول يكون معنى الاية والمومنون
يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالمقيمين الصلاة وهم
الانبيا لانه لم يخل شرع احدهم عن اقامة الصلاة وقيل المراد بهم
الملايكة لانهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وصحح الزجاج القول
الاول واختاره وصحح الطبري القول الثاني واختاره وقوله تعالى
والمؤتون الزكاة عطف على والمومنون لانهم من صفتهم والمومنون
بالله واليوم الاخر يعني والمصدقون بوحدانية الله تعالى وبالبعث
بعد الموت وبالثواب والعقاب اوليك يعني من هذه الاوصاف
صفته سنوتيهم اجرا عظيما يعني سنعطيهم على ما كان منهم من
طاعة الله واتباع امره ثوابا عظيما وهو الجنة قوله عز وجل
انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده قال ابن
عباس قال سكين وعدي بن زيد يا محمد ما نعلم ان الله عز وجل انزل
على بشر من شي من بعد موسى فانزل الله هذه الايات وقيل هو جواب

لاهل الكتاب عن سوالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم
كتابا من السما جملة واحدة فاجاب الله عز وجل عن سوالهم بهذه الاية
فقال انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده والمعنى
انكم يا معشر اليهود تقرون بنبوة نوح وبجميع الانبيا المذكورين في هذه
الاية وهم اثنى عشر نبيا والمعنى ان الله تعالى اوحى الى هولا الانبيا
وانتم يا معشر اليهود معترفون بذلك وما انزل الله على احد من
هولا المذكورين كتابا جملة واحدة مثل ما انزل على موسى فلما لم يكن
عدم انزال الكتاب جملة واحدة على احد هولا الانبيا قادحا في نبوته
فلذلك لم يكن انزال القران على محمد صلى الله عليه وسلم قادحا في
نبوته بل قد انزل عليه كما انزل عليهم قال المفسرون وانما بدا الله عز
وجل بذكر نوح عليه السلام لانه اول نبي بعث بشريعة واول نذير
على الشرك وانزل الله عز وجل عليه عشر صحايف وكان اول من
عذبت امته لردهم دعوته واهلك اهل الارض بدعايه وكان
ابا البشر كادم عليهما السلام وكان اول الانبيا عمرا عاش الف سنة
لم تنقص قوته ولم يشب ولم تنقص له سن وصبر على اذى قومه طول
عمره ثم ذكر الله الانبيا من بعده جملة بقوله تعالى والنبيين من
بعده ثم خص جماعة من الانبيا بالذكر لشرفهم وفضلهم فقال
واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وهم
اولاد يعقوب وكانوا اثنى عشر وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان
واتينا داود زبورا يعني واتينا داود كتابا مزبورا يعني مكتوبا
وقيل الزبور بالفتح اسم للكتاب الذي انزل على داود وهو مائة
وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل كلها تسبيح وتقديس
وتمجيد وثنا على الله عز وجل ومواعظ وكان داود عليه السلام
يخرج الى البرية فيقوم ويقرا الزبور وتقوم علما بني اسرايل خلفه
ويقوم الناس خلف العلما وتقوم الجن خلف الناس والشياطين خلف
الجن وتجي الدواب التي في الجبال فيقمن بين يديه وترفرف الطير على
راس الناس وهم يستمعون لقراة داود ويتعجبون منها فلما قارف
الذنب زال عنه ذلك وقيل كان له ذلك انس الطاعة وهذا ذل
المعصية ق عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو رايتني البارحة وانا استمع لقراتك لقد اعطيت مزمارا من
مزامير داود قال الحميدي زاد البرقاني قلت والله يا رسول الله لو
علمت انك تسمع لقراتي لحبرتها لك تحبيرا التحبير تحسين الصوت بالقراة
قال بعض العلما انما لم يكن يذكر موسى في هذه الاية لان الله انزل عليه

التوراة

التوراة جملة واحدة وكان المقصود بذكر من ذكر من الانبيا في الاية انه
لم ينزل على احد منهم كتابا جملة واحدة فلهذا لم يذكر موسى عليه السلام
قوله تعالى ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل لما نزلت هذه الاية
المتقدمة قالت اليهود فما لموسى لم يذكر فانزل الله هذه الاية وفيها
ذكر موسى عليه السلام والمعنى واوحينا الى رسل قد قصصناهم عليك
من قبل يعني سميناهم في القران وعرفناك اخبارهم والى من بعثوا
وما ورد عليهم من قومهم ورسلا لم نقصصهم عليك اى لم نسمهم عليك
ولم نعرفك اخبارهم قال اهل المعاني الذين نوه الله بذكرهم من
الانبيا يدل على تفضيلهم على من ذكر ولم يسم وقوله تعالى وكلم الله
موسى تكليما يعني خاطبه مخاطبة من غير واسطة لان كلم بالمصدر يدل
على تحقيق الكلام وان موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا شك
لان افعال المجاز لا تؤكد بالمصادر فلا يقال اراد الحايط يسقط
ارادة وهذا رد على من يقول ان الله خلق كلاما في محل فسمع موسى
ذلك الكلام وقال الفرا العرب تسمي كلما يوصل الى الانسان كلاما
باى طريق لكن لا تحققه بالمصدر فاذا حقق بالمصدر لم يكن الا حقيقة
الكلام فدل قوله تعالى تكليما على ان موسى قد سمع كلام الله حقيقة
من غير واسطة وروى الطبري بسنده عن عدة طرق عن كعب الاحبار
قال لما كلم الله موسى عليه السلام كلمه بالالسنة كلها قبل كلام موسى
بلسانه فجعل موسى يقول يا رب لا افهم حتى كلمه بلسانه اخر الالسنة
فقال يا رب هذا كلامك قال لو سمعت كلامي يعني على وجهه لم تك
شيا قال موسى يا رب هل في خلقك شي يشبه كلامك قال لا واقرب
خلقي شبها بكلامي اشد ما يسمع من الصواعق قال بعض العلما كما
ان الله تعالى خص موسى عليه السلام بالتكليم وشرفه ولم يكن ذلك
قادحا في نبوة غيره من الانبيا فكذلك انزال التوراة عليه جملة
واحدة لم يكن قادحا في نبوة من انزل عليه كتابه متفرقا من الانبيا
قوله عز وجل رسلا مبشرين ومنذرين يعني انا اوحينا اليك
كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده ومن اوليك النبيين رسلا
الى خلقي مبشرين من اطاعني واتبع امري وصدق رسلي بالثواب
الجزيل في الجنة ومنذرين من عصاني وخالف امري وكذب رسلي
بالعذاب الاليم في النار وقيل هو جواب عن سوال اليهود وانزال
الكتاب جملة واحدة والمعنى ان المقصود من بعثة الرسل هو ارشاد
الخلق الى معرفة الله وتوحيده والايمان به والاشتغال بعبادته
وانذار من خالف ذلك وهذا المقصود يحصل بانزال الكتاب جملة

واحدة وبانزاله نجوما متفرقة بل انزاله متفرقا اولى وذلك ان
النفوس قبل بعثة الرسل وانزال الكتب عليهم لم تكن تعرف شيا من
العبادات ولم تألفها فاذا انزل الكتاب جملة واحدة وفيه جميع
التكاليف وما حصل في بعض النفوس العباد نفور من تلك التكاليف
ويثقل عليهم كما اخبر الله عن قوم موسى بقوله تعالى واذ نتقنا الجبل
فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما اتيناكم بقوة
واذكروا ما فيه فلم يقبلوا احكام التوراة الا بعد شدة فلهذا السبب
كان انزال القران نجوما متفرقة اولى وقوله تعالى لئلا يكون للناس
على الله حجة بعد الرسل يعني بعد ارسال الرسل وانزال الكتب
والمعنى لئلا يحتج الناس على الله في ترك التوحيد والطاعة بعدم
الرسل فيقولوا ما ارسلت الينا رسولا وما انزلت علينا كتابا ففيه
دليل على انه لو لم يبعث الرسل لكان للناس عليه حجة في ترك التوحيد
والطاعة وفيه دليل على ان الله لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسل
كما قال الله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفيه دليل
لمذهب اهل السنة على ان معرفة الله تعالى لا تثبت الا بالسمع لان
قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يدل على ان قبل
بعثة الرسل تكون لهم الحجة في ترك الطاعات والعبادات فان
قلت كيف يكون للناس حجة قبل الرسل والخلق محجوجون بما نصب
من الادلة التي النظر فيها موصل الى معرفته ووحدانيته كما قيل

وفي كل شي له اية • تدل على انه واحد •

قلت الرسل منبهون على رقاد الغفلة والجهالة وباعثون الخلق
الى النظر في تلك الدلايل التي تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى
ويبينون لها وهم وسايط بين الله وخلقه ومبينون احكام الله
تعالى التي افترضها على عباده ومبلغون رسالاته اليهم ق عن المغيرة
ابن شعبة قال قال سعد بن عبادة لو رايت رجلا مع امراتي لضربته
بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
تعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير مني من اجل
غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه
العذر من الله من اجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا احد
احب اليه من المدحة من الله ومن اجل ذلك وعد الجنة وفي لفظ
مسلم ولا شخص احب اليه من الله ومن اجل ذلك بعث الله المرسلين
مبشرين ومنذرين وقوله تعالى وكان الله عزيزا يعني في انتقامه
ممن خالف امره وعصى رسله حكيما يعني في ارساله الرسل قوله تعالى

لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه قال ابن عباس دخل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود فقال لهم اني والله
اعلم انكم لتعلمون اني رسول الله فقالوا ما نعلم ذلك فانزل الله هذه
الاية وفي رواية عن ابن عباس قال ان روسا مكة اتوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انا نسئلك عن اليهود وعن صفتك في
كتابهم فزعموا انهم لا يعرفونك فانزل الله عز وجل لكن الله يشهد
بما انزل اليك يعني ان جحدك هولا اليهود وكفروا بما اوحينا اليك
وقالوا ما انزل الله على بشر من شي فقد كذبوا فيما ادعوا فان الله
يشهد لك بالنبوة ويشهد بما انزل اليك من كتابه ووحيه والمعنى
ان اليهود وان شهدوا ان القران لم ينزل عليك يا محمد لكن الله يشهد
بانه انزل عليك وشهادة الله انما عرفت بسبب انه انزل هذا القران
البالغ في الفصاحة والبلاغة الى حيث عجز الاولون والاخرون عن
معارضته والاتيان بمثله فكان ذلك معجزا واظهار المعجزة شهادة
بكون المدعي صادقا لا جرم قال الله تعالى لكن يشهد لك يا محمد بالنبوة
بواسطة هذا القران الذي انزله عليك انزله بعلمه يعني انه تعالى
لما قال لكن الله يشهد بما انزل اليك بين صفة ذلك الانزال وهو
انه تعالى انزله بعلم تام وحكم بالغة معناه انزله بما علم من مصالح عباده
في انزاله عليك والملايكة يشهدون يعني يشهدون بان الله انزله
عليك ويشهدون بتصديقك وانما عرفت شهادة الملايكة لان الله
تعالى اذا شهد لشي شهدت الملايكة بذلك الشي وقد ثبت ان الله
يشهد بانه انزله بعلمه فلذلك الملايكة يشهدون بذلك وكفى
بالله شهيدا يعني وحسبك يا محمد ان الله يشهد لك وكفى بالله
شهيدا وان لم يشهد معه احد غيره ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه
وسلم عن شهادة اهل الكتاب له فان الله يشهد له وملايكته كذلك
قوله عز وجل ان الذين كفروا يعني جحدوا نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم وهم اليهود وصدوا عن سبيل الله يعني منعوا غيرهم عن
الايمان بمحمد بكتمانهم صفته والقاء الشبهات في قلوب الناس وهو قولهم لو
كان محمد صلى الله عليه وسلم رسولا لاتى بكتاب من السما جملة واحدة
كما اتى موسى بالتورية قد ضلوا ضلالا بعيدا يعني عن طريق الهدى
ان الذين كفروا وظلموا يعني كفروا بالله وظلموا محمدا صلى الله عليه
وسلم بكتمان صفته وظلموا غيرهم بالقاء الشبهات في قلوبهم لم يكن الله
ليغفر لهم يعني لمن علم منهم انهم يموتون على الكفر وقيل معناه لم يكن
الله ليستر عليهم قبايح افعالهم بل يفضحهم في الدنيا ويعاقبهم عليها

بالقتل والسبي والجلاء وفي الاخرة بالنار وهو قوله تعالى ولا ليهديهم
طريقا يعني ينجون فيها من النار وقيل ولا ليهديهم طريقا الى الاسلام
لانه سبق في علمه انهم لا يومنون الا طريق جهنم يعني لكنه يهديهم
الى طريق تودي الى جهنم وهي اليهودية لما سبق في علمه انهم اهل لذلك
خالدين فيها يعني في جهنم ابدا وكان ذلك على الله يسيرا يعني
هينا قوله عز وجل يا ايها الناس هذا خطاب عام يدخل
فيه جميع الكفار من اليهود والنصارى والاصنام وغيرهم وقيل
هو خطاب لمشركي العرب قد جاكم الرسول يعني محمد صلى الله عليه وسلم
بالحق يعني بدين الاسلام الذي ارتضاه الله لعباده وقيل جا
بالقران الذي هو الحق من ربكم يعني من عند ربكم فامنوا خيرا لكم
يعني فامنوا بما جاكم به محمد صلى الله عليه وسلم يكن الايمان بذلك
خيرا لكم يعني من الكفر الذي انتم عليه وان تكفروا يعني وان تجحدوا
رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وتكذبوا بما جاكم به من الحق من ربكم
فان لله ما في السموات والارض يعني فان الله هو الغني عن ايمانكم
لان له ما في السموات والارض ملكا وعبيدا ومن كان كذلك لم يكن
محتاجا الى شي والله قادر على ما يشا وكان الله عليما يعني بما يكون
منكم لا يخفى عليه شي من اعمال عباده حكيما يعني في تكليفكم مع علمه بما
يكون منكم قوله عز وجل يا اهل الكتاب نزلت هذه الاية في النصارى
وذلك ان الله تعالى لما اجاب عن شبه اليهود فيما تقدم من الاية في
النصارى المبطلة اتبع ذلك بابطال ما يعتقده النصارى واصناف
النصارى اربعة اليعقوبية والملكانية والنسطورية والمرقوسية
فاما اليعقوبية والملكانية فقالوا في عيسى انه الله وقالت النسطورية
انه ابن الله وقالت المرقوسية ثالث ثلاثة وقيل انهم يقولون ان
عيسى جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح
القدس وانهم يريدون باقنوم الاب الذات وباقنوم الابن عيسى
وباقنوم روح القدس الحياة الحالة فيه فتقديره الالهة ثلاثة وقيل
انهم يقولون في عيسى ناسوتية والوهية فناسوتيته من قبل الام
والوهيته من قبل الاب تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا يقال انه
الذي اظهر هذا للنصارى رجل من اليهود يقال له بولص تنصر ودس
هذا في دين النصارى ليضلهم بذلك وستاتي قصته في سورة التوبة
ان شا الله تعالى وقيل يحتمل ان يكون المراد باهل الكتاب اليهود و
والنصارى جميعا فانهم غلوا في امر عيسى عليه السلام فاما اليهود
فانهم بالغوا في التقصير في امره حتى حطوه عن منزلته حيث جعلوه

مولدا لغير رشده وغلت النصارى في رفع عيسى عن منزلته ومقداره
حيث جعلوه الها فقال الله تعالى ردا عليهم جميعا يا اهل الكتاب لا تغلوا
في دينكم واصل الغلو مجاوزة الحد وهو في الدين حرام والمعنى لا تفرطوا
في امر عيسى ولا تحطوه عن منزلته ولا ترفعوه فوق قدره ومنزلته
ولا تقولوا على الله الا الحق يعني لا تقولوا ان له شريكا وولدا وقيل
معناه لا تصفوا الحلول والاتحاد في بدن الانسان ونزهوا الله تعالى
عن ذلك ولما منعهم الله عن الغلو في دينهم ارشدهم الى طريق الحق في
امر عيسى عليه السلام فقال تعالى انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله
يقول انما المسيح هو عيسى بن مريم ليس له نسب غير هذا وانه رسول الله
لمن زعم غير هذا فقد كفروا اشرك وكلمته هي قوله تعالى كن فكان
بشرا من غير اب ولا واسطة القاها الى مريم يعني اوصلها الى مريم
وروح منه يعني انه كسائر الارواح التي خلقها الله وانما اضافها
الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم كما يقال بيت الله وناقة الله
وهذه نعمة من الله يعني انه هو تفضل بها وقيل الروح هو الذي نفخ
فيه جبريل في جيب درع مريم فحملت باذن الله وانما اضافه الى نفسه
بقوله منه لانه وجد بامر الله قال بعضهم ان الله لما خلق ارواح البشر
جعلها في صلب ادم عليه السلام وامسك عنده روح عيسى عليه
السلام فلما اراد الله ان يخلقه ارسل بروحه مع جبريل الى مريم فنفخ
في جيب درعها فحملت بعيسى عليه السلام وقيل ان الروح والريح
متقاربان في كلام العرب فالروح عبارة عن نفخ جبريل عليه السلام
وقوله منه يعني ان ذلك كان بامره واذنه وقيل ادخل النكرة في قوله
وروح على سبيل التعظيم والمعنى روح من الارواح القدسية العالية
المطهرة وقوله منه اضافة لتلك الروح الى نفسه لاجل التشريف
والتكريم ق عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده
ورسوله وان عيسى عبده ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه
والجنة والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان له من العمل وقوله
تعالى فامنوا بالله ورسله يعني فصدقوا يا اهل الكتاب بوحدانية
الله وانه لا ولد له وصدقوا رسله فيما جاوكم به من عند الله
وصدقوا بان عيسى عليه السلام من رسل الله فامنوا به ولا تجعلوه
الها وقوله تعالى ولا تقولوا ثلاثة يعني ولا تقولوا الالهة ثلاثة
وذلك ان النصارى يقولون اب وابن وروح القدس وقيل انهم
يقولون ان الله بالجوهر ثلاثة اقانيم وذلك انهم اثبتوا ذاتا

تعالى

موصوفا بصفات ثلاثة بدليل انهم يجوزون على تلك الذات الحلول
في عيسى وفي مريم فاثبتوا ذواتا متعددة ثلاثة وهذا هو محض الكفر
فلهذا قال الله تعالى ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم يعني يكن الانتها
عن القول خيرا لكم من القول بالتثليث ثم نزه الله تعالى نفسه عن
قول النصارى بالتثليث فقال تعالى انما الله اله واحد ثم نزه
نفسه عن الولد فقال سبحانه ان يكون له ولد يعني لا ينبغي ان
يكون له ولد لان الولد جزء من الاب وتعالى الله عن التجزية
وعن صفات الحدوث له ما في السموات وما في الارض يعني انه
تعالى له ملك السموات والارض وما فيهما عبيده وملكه وعيسى
ومريم من جملة من فيهما فهما عبيده وملكه فاذا كانا عبدين له
فكيف يعقل مع هذا ان له ولدا او زوجة تعالى الله عن ذلك علوا
كبيرا وهذا بيان تنزيهه مما نسب اليه من الولد والمعنى ان جميع ما
في السموات والارض خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزا منه
لان التجزية انما تصح في الاجسام والله تعالى منزه عن صفات الاجسام
والاعراض وكفى بالله وكيلا يعني انه تعالى كاف في جميع خلقه فلا حاجة
له الى غيره وكل الخلق محتاجون اليه وهو غني عنهم وقوله تعالى
لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله وذلك ان وفد نجران قالوا يا محمد
انك تعيب صاحبنا فتقول انه عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم
انه ليس بعار على عيسى ان يكون عبد الله فنزلت لن يستنكف المسيح
ان يكون عبدا لله يعني لن يانف ولن يتعظم والاستنكاف الاستكبار مع
الانفة يقال نكفت من كذا واستنكفت منه اي من نكفت الشي نحيته
ونكفت الدمع اذا نحيته باصبعك من خدك والمعنى لن يتنقبض ولن
يمتنع ولن يانف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون يعني
ولن يستنكف الملائكة المقربون وهم حملة العرش والكروبيون وافاضل
الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل يكونوا عبيد الله
لانهم في ملكه ومن جملة خلقه وقيل لما ادعى النصارى في عيسى انه ابن
الله لما راوا منه خوارق العادات من احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص
وغير ذلك من المعجزات اجاب الله تعالى عن هذه الشبهات التي وقعت
للنصارى بان عيسى من شرف قدره وكرامته لن يستنكف ان يكون عبدا
وكذلك الملائكة المقربون وانهم مع كرامتهم وعلو منزلتهم لن يستنكفوا
ان يكونوا عبيد الله وقد يستدل بهذه الاية من يقول بتفضيل الملائكة
على البشر ووجه الدليل ان الله تعالى ارتقى من عيسى الى الملائكة ولا
يرتقى الا من الادنى الى الاعلى ولا حجة لهم فيه والجواب عنه ان الله

تعالى لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر بل قاله ردا على من يقول
ان الملائكة بنات الله او انهم الهة كما رد على النصارى فانهم يقولون
بتفضيل الملائكة يعني كما ان المسيح عبد الله فكذلك الملائكة عبيد
الله وقوله تعالى ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر يعني ومن
يتعظم عن عبادة الله ويانف من التذلل له والخضوع والطاعة من
جميع خلقه فسيحشرهم اليه جميعا يعني فسيبعثهم يوم القيمة ٥
لموعدهم الذي وعدهم حيث لا يملكون لانفسهم شيا فاما الذين امنوا
وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم يعني يوفيهم جزا اعمالهم الصالحة
ويزيدهم من فضله يعني ويزيدهم على ما اعطاهم من الثواب على
اعمالهم الصالحة من التضعيف على ذلك ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر واما الذين استنكفوا واستكبروا يعني الذين انفوا
وتكبروا عن عبادة الله تعالى فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من
دون الله يعني من سوى الله لانفسهم وليا يعني ينجيهم من عذابه
ولا نصيرا يعني ولا ناصرا ينصرهم منه ويرفع عنهم عقوبته بقي في الاية
سوال وهو ان التفصيل غير مطابق للمفصل لان التفصيل اشتمل على
ذكر فريقين وهو قوله فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم
واما الذين استنكفوا واستكبروا والمفصل يشتمل على ذكر فريق واحد
وهو قوله ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر والجواب انه لا اشكال
فيه وهو كمثل قولك جمع الامام والخوارج فمن لم يخرج عليه كساه ومن
خرج عليه نكل وصحة ذلك بوجهين احدهما انما حذف احد ذكر الفريقين
لدلالة التفصيل عليه لان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني والوجه
الثاني ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم
فكانه قال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذبهم بالحسرة والغم
اذا راى اجور المطيعين العاملين لله تعالى قوله عز وجل
يا ايها الناس خطاب لاهل مكة قد جاكم برهان من ربكم يعني محمدا صلى
الله عليه وسلم وما جاكم به من البينات من ربه عز وجل وانما سماه برهانا
لما معه من المعجزات الباهرات التي تشهد بصدقه ولان البرهان
دليل على اقامة الحق وابطال الباطل والنبي صلى الله عليه وسلم كان
كذلك ولانه تعالى جعله حجة قاطعة قطع به عذر جميع الخلايق
وانزلنا اليكم نورا مبينا يعني القران وانما سماه نورا لان به تتبين ٥
الاحكام كما تتبين الاشيا بالنور بعد الظلام ولانه سبب لوقوع نور
الايمان في القلب فسماه نورا لهذا المعنى فاما الذين امنوا بالله يعني
صدقوا بوحدانية الله وبما ارسل من رسول وانزل من كتاب واعتصموا به

يعني بادلته ان يثبتهم على الايمان ويصونهم عن زيغ الشيطان وقيل في معنى واعتصموا به يعني بالله اي وتمسكوا بالقرآن وهو القرآن
الذي انزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فسيدخلهم في رحمة منه
يعني فيدخلهم في رحمته التي ينجيهم بها من اليم عذابه قال ابن
عباس الرحمة الجنة وفضل يعني ما يتفضل به عليهم بعد ادخال
الجنة مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويهديهم
اليه صراطا مستقيما يعني ويوفقهم لاصابة فضله الذي تفضل به
عليهم ويسددهم لسلوك منهج من انعم الله عليه من اهل طاعته
ويرشدهم لدينه الذي ارتضاه لعباده وهو دين الاسلام قوله
تعالى يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة نزلت في جابر بن
عبد الله الانصاري ق عن جابر بن عبد الله قال مرضت فاتاني
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر يعوداني ماشيين فاغمي علي
فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ثم صب علي من وضوئه فافقت
فاذا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله كيف اصنع في
مالي كيف اقضي في مالي فلم يرد علي شيئا حتى نزلت اية الميراث يستفتونك
قل الله يفتيكم في الكلالة وفي رواية قلت يا رسول الله انما يرثني كلالة
فنزلت اية الميراث قال شعبة فقلت لمحمد بن المنكدر يستفتونك قل
الله يفتيكم في الكلالة قال هكذا انزلت وفي رواية للترمذي وكان لي
تسع اخوات حتى نزلت اية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة
ولابي داود قال اشتكيت وعندي سبع اخوات فدخل علي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنفخ في وجهي فافقت فقلت يا رسول الله الا اوصي
لاخواتي بالثلثين قال احسن قال بالشطر قال احسن ثم خرج وتركني
فقال يا جابر ما اراك ميتا من وجعك هذا وان الله قد انزل فبين
لاخواتك فجعل لهن الثلثين قال فكان جابر يقول انزلت هذه الاية
في يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وروى الطبري عن قتادة ان
الصحابة اهمهم شأن الكلالة فسألوا عنها نبي الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله هذه الاية وروى ابن سيرين قال نزلت يستفتونك قل
الله يفتيكم في الكلالة والنبي صلى الله عليه وسلم في مسير له والى جنبه
حذيفة بن اليمان فبلغها النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة وبلغها حذيفة
عمر بن الخطاب وهو يسير خلفه فلما استخلف عمر سأل حذيفة عنها ورجا
ان يكون عنده تفسيرها فقال له حذيفة والله انك لعاجز ان امارتك
تحملني ان احدثك فيها ما لم احدثك يومئذ فقال عمر لم ارد هذا رحمك الله
واما التفسير فقوله تعالى يستفتونك يعني يسألونك ويستخبرونك

عن

عن معنى الكلالة يا محمد قل الله يفتيكم في الكلالة يعني ان الله يخبركم
عما سألتم عنه من امر الكلالة وقد تقدم في اول السورة الكلام على
معنى الكلالة من حيث الاشتقاق وغيره وان اسم الكلالة يقع على اسم
الوارث وعلى الموروث فان وقع على الوارث فهم من سوى الوالد
والولد وان وقع على الموروث فهو من مات ولا يرثه احد الابوين
ولا احد الاولاد وقوله تعالى ان امرؤ هلك يعني مات سمي الموت
هلاكا لانه اعدام في الحقيقة ليس له ولد يعني ولا والد فاكتفى بذكر
احدهما عن الآخر ويدل على المحذوف ان السؤال في الفتيا انما كان
في الكلالة وقد تقدم ان الكلالة من ليس له ولد ولا والد وله اخت
يعني ولذلك الهالك اخت واراد بالاخت من ابيه وامه او من ابيه
فلها نصف ما ترك يعني فللاخت الميت نصف تركته وهو فرضها
ان انفردت وباقي المال لبيت المال اذا لم يكن للميت عصبة وهذا مذهب
زيد بن ثابت وبه قال الشافعي وعند ابي حنيفة واهل العراق يرد الباقي
عليها فان كان للميت بنت اخذت النصف بالفرض وتأخذ الاخت النصف
الثاني بالتعصيب لا بالفرض لان الاخوات مع البنات عصبة وقوله تعالى
وهو يرثها ان لم يكن لها ولد يعني ان الاخت اذا ماتت وتركت اخا
من الاب والام او من الاب فانه يستغرق ميراث الاخت اذا انفرد ولم
يكن للاخت ولد وهذا اصل في جميع العصبات واستغراقهم جميع المال
فاما الاخ من الام فانه صاحب فرض لا يستغرق جميع المال وقد تقدم بيانه
فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك اراد اثنتين فصاعدا وهو
ان مات وترك اختين او اخوات فلهن الثلثان مما ترك الميت وان كانوا
اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يعني وان كانوا المتروكون
من الاخوة رجالا ونساء فللذكر منهم مثل نصيب الانثيين من اخواته
الاناث يبين الله لكم ان تضلوا يعني يبين الله لكم هذه الفرائض والاحكام
لئلا تضلوا وقيل معناه كراهية ان تضلوا وقد بين الله الضلالة لتجتنبوها
والله بكل شيء عليم يعني من مصالح عباده التي حكم بها من قسمة المواريث
وبيان الاحكام وغير ذلك لان علمه محيط بكل شيء ق عن البراء بن عازب
رضي الله عنه قال ان آخر سورة نزلت سورة التوبة وان آخر اية نزلت
اية الكلالة وفي رواية لمسلم قال ان آخر اية نزلت يستفتونك وروي
عن ابن عباس ان آخر اية نزلت اية الربا وآخر سورة نزلت اذا جاء نصر الله
والفتح وروي عنه ان آخر ما نزلت اية واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله
ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزول سورة النصر سنة
ونزلت بعدها سورة براءة وهي آخر سورة نزلت كاملة فعاش بعدها ستة

اشهر هكذا ذكره البغوي وفيه نظر لانه قد ثبت في الصحيحين من حديث
ابي بكر الصديق ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث في الحجة التي امره عليها
قبل حجة الوداع في رهط يؤذن في الناس يوم النحر الا لا يحج بعد العام
مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ثم اردف النبي صلى الله عليه وسلم علي
ابن ابي طالب فامره ان يؤذن ببراءة قال ابو هريرة فاذن معنا في اهل
منى ببراءة الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ثم اردف
النبي صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب فامره ان يؤذن ببراءة قال ابو
هريرة فاذن معنا في اهل منى ببراءة الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف
بالبيت عريان وكانت حجة ابي بكر هذه سنة تسع قبل حجة الوداع بسنة
قال البغوي ثم نزلت في طريق حجة الوداع يستفتونك قل الله يفتيكم
في الكلالة فسميت اية السيف ثم نزلت وهو واقف بعرفة اليوم اكملت
لكم دينكم فعاش بعدها احدو ثمانين يوما ثم نزلت اية الربا واتقوا
يوما ترجعون فيه الى الله وعاش النبي بعدها احدو عشرون يوما اخر
تفسير سورة النسا والله اعلم

تفسير سورة المائدة نزلت بالمدينة الا قوله

تعالى اليوم اكملت لكم دينكم فانها نزلت بعرفة في حجة الوداع والنبي
صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فقراها النبي صلى الله عليه وسلم في
خطبته وقال ايها الناس ان سورة المائدة من اخر القران نزولا فاحلوا
حلالها وحرموا حرامها **فان قلت** لم خص النبي صلى الله عليه
وسلم هذه السورة من بين سور القران بقوله فاحلوا حلالها وحرموا
حرامها وكل سور القران يجب ان يحل حلالها وان يحرم حرامها **قلت**
هو كذلك وانما خص هذه السورة لزيادة الاعتنا بها فهو كقوله تعالى
ان عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهرا منها اربعة حرم فلا تظلموا فيهن
انفسكم فاكد اجتناب الظلم في هذه الاربعة اشهر وان كان لا يجوز الظلم
في شي من جميع اشهر السنة وانما افرد هذه الاربعة اشهر بالذكر لزيادة
الاعتنا بها وقيل انما خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة لان
فيها ثمانية عشر حكما لم ينزل في غيرها من سور القران قال البغوي عن
ميسرة قال ان الله تعالى انزل في هذه السورة ثمانية عشر حكما لم
ينزلها في غيرها وهي قوله والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة
وما اكل السبع وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام وما علمتم
من الجوارح مكلبين وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب وتمام بيان الطهر في قوله اذا قمتم الى الصلاة
والسارق والسارقة ولا تقتلوا الصيد وانتم حرم ما جعل الله من بحيرة

ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام وقوله شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله عز وجل** يا ايها
الذين امنوا اوفوا بالعقود يعني العهود قاله الجماعة واختلفوا في
المراد بهذه العقود التي امر الله تعالى بوفائها فقال ابن جريج هذا
خطاب لاهل الكتاب والمعنى يا ايها الذين امنوا بالكتب المتقدمة اوفوا
بالعقود التي عهدتها اليكم في شان محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به
وقيل هو خطاب للمؤمنين امرهم بالوفا بالعقود قال ابن عباس عهود
الايمان وما اخذه على عباده في القران فيما احل وحرم وقيل هي العقود
التي كانت في الجاهلية كان يعاقد بعضهم بعضا على النصر والموازرة
على من حاول ظلمه او بغاه بسوء وذلك هو معنى الحلف الذي كانوا
يتعاقدونه بينهم قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يقول اوفوا بعقد الجاهلية ولا تحدثوا عقدا في الاسلام وقيل بل هي
العقود التي يتعاقدها الناس بينهم وما يعقده الانسان على نفسه
والعقود خمس عقد اليمين وعقدة النكاح وعقدة العهد وعقدة
البيع وعقدة الشركة زاد بعضهم وعقدة الحلف قال الطبري واولى
الاقوال عندنا بالصواب ما قاله ابن عباس ان معناه اوفوا ايها المؤمنون
بعقود الله التي اوجبها عليكم وعقدها فيما احل وحرم والزمكم فرضه
وبين لكم حدوده وانما قلنا ان هذا القول اولى بالصواب لان الله تعالى
اتبعه بالبيان عما احل لعباده وحرم عليهم فقال تعالى احلت لكم بهيمة
الانعام وهذا خطاب للمؤمنين خاصة والبهيمة اسم لكل ذي اربع
من الحيوان لكن خص في التعارف لما عدا السبع والضواري والوحوش
وانما سميت بهيمة لانها ابهمت عن العقل والتمييز قال الزجاج كل حي
لا يميز فهو بهيمة والانعام جمع النعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يدخل
فيها ذوات الحافر في قول جميع اهل اللغة واختلفوا في معنى الاية فقال
الحسن وقتادة بهيمة الانعام الابل والبقر والغنم والمعز وعلى هذا
القول انما اضاف البهيمة الى الانعام ليعرف جنس الانعام وما احل
منها لانه لو افردها فقال البهيمة لدخل فيها ما يحل ويحرم من البهائم
فلهذا قال احلت لكم بهيمة الانعام وقال ابن عباس هي الاجنة التي توجد
ميتة في بطون امهاتها اذا ذبحت او نحرت ذهب اكثر العلما الى تحليلها
وهو مذهب الشافعي ويدل عليه ما روي عن ابي سعيد عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال في الجنين ذكاته ذكاة امه اخرجه الترمذي وابن ماجة
وفي رواية ابي داود قال قلنا يا رسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة
والشاة ونجد في بطنها الجنين انلقيه ام ناكله قال كلوه ان شئتم فان

ذكاته ذكاة امه وروى الطبرى عن ابن عمر فى قوله احلت لكم بهيمة الانعام
وعنه ان بقرة نحرت فوجد فى بطنها جنين فاخذ ابن عباس بذنب الجنين
وقال هذا من بهيمة الانعام وشرط بعضهم الاشعار وتمام الخلق قال
ابن عمر ذكاة ما فى بطنها ذكاتها اذا تم خلقه ونبت شعره ومثله عن
سعيد بن المسيب وقال ابو حنيفة لا يحل اكل الجنين اذا خرج ميتا بعد
ذكاة وقوله تعالى الا ما يتلى عليكم يعنى فى القران تحريمه واراد به
قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الى اخر الاية فهذا من المتلو علينا وهو
ما استثنى الله عز وجل من بهيمة الانعام غير محلى الصيد وانتم حرم يعنى
احلت لكم الانعام كلها والوحشية ايضا من الظباء والبقر والحمر غير
محلى صيدها وانتم محرمون فى حال الاحرام فلا يجوز للمحرم ان يقتل
صيدا فى حال احرامه ان الله يحكم ما يريد يعنى ان الله يقضى فى خلقه
ما يشا من تحليل ما اراد تحليله وتحريم ما اراد تحريمه وفرض ما يشا
ان يفرضه عليهم من احكامه وفرايضه مما فيه مصلحة لعباده قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعاير الله نزلت فى الحطم واسمه شريح
ابن هند بن ضبيعة البكرى اتى المدينة وحده وخلف خيله خارج المدينة
ودخل وحده على النبى صلى الله عليه وسلم فقال للنبى صلى الله عليه وسلم
الى ما تدعو الناس فقال الى شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلاة وايتا
الزكاة فقال حسن الا ان لى امرا لا اقطع امرا دونه ولعلى اسلم واتى بهم
فخرج من عنده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يدخل
عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما خرج ابن شريح فقال النبى
صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما الرجل
بمسلم فمر بسرح من سرح المدينة فاستاقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول

لقد لفها بالليل سواق حطم ليس براعى ابل ولا غنم
ولا بجزار على ظهر وضم باتوا نياما وابن هند لم ينم
بات يقاسيها غلام كالزلم خدلج الساقين ممسوح القدم

فتبعوه فلم يدركوه فلما كان فى العام القابل خرج شريح حاجا مع حجاج
بكر بن وايل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقد قلد الهدى فقال
المسلمون يا رسول الله هذا الحطم قد خرج حاجا فخل بيننا وبينه فقال
النبى صلى الله عليه وسلم انه قد قلد الهدى فقالوا يا رسول الله هذا
شى كنا نفعله فى الجاهلية فابى النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله
يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعاير الله قال ابن عباس هى المناسك وكان
المشركون يحجون ويهدون فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن
ذلك وقيل الشعاير الهدايا المشعرة واشعارها ان يطعن فى صفحة سنام

البعير بحديدة حتى يسيل دمه فيكون ذلك علامة بانها هدى وهو سنة
فى الابل والبقر دون الغنم ويدل عليه ما روى عن عايشة قالت فتلت
قلايد هدى النبى صلى الله عليه وسلم ثم اشعرها وقلدها ثم بعث
بها الى البيت فما حرم عليه شى كان حلا لا اخرجاه فى الصحيحين م عن
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلى الظهر بذى الحليفة
ثم دعا بناقته فاشعرها فى صفحة سنامها الايمن وسلت الدم عنها
وقلدها نعلين ثم ركب راحلته فلما استوت به على البيدا اهل بالحج
وعند ابى حنيفة لا يجوز اشعار الهدى بل قال ابن عباس فى معنى
الاية لا تحلوا شعاير الله هى ان تصيد وانت محرم وقيل شعاير الله شرايع
الله ومعالم دينه والمعنى لا تحلوا شيا من فرايضه التى افترض عليكم
واجتناب نواهيه التى نهى عنها ولا الشهر الحرام اى ولا تحلوا الشهر
الحرام بالقتال فيه والشهر الحرام هو الذى كانت العرب تعظمه وتحرم
القتال فى الجاهلية فلما جا الاسلام لم ينقض هذا الحكم بل اكده والمراد
بالشهر الحرام هنا ذى القعدة وقيل رجب ذكرهما ابن جرير وقيل المراد
باحلال الشهر الحرام النسئ قال مقاتل كان جنادة بن عوف يقوم فى سوق
عكاظ فيقول انى قد احللت كذا وحرمت كذا يعنى به الاشهر فنهى الله
عن ذلك وسياتى تفسير النسئ فى سورة براة ولا الهدى ولا القلايد
الهدى ما يهدى الى بيت الله من بعير او بقرة او شاة او غيرها لكن
مما يتقرب به الى الله تعالى والقلايد جمع قلادة وهى التى تشد فى عنق
البعير وغيره والمعنى ولا الهدى ذوات القلايد قال الشاعر شعر

حلفت برب مكة والمصلى واعناق الهدى مقلدات

فعلى هذا القول انما عطف القلايد على الهدى مبالغة فى التوصية
بها لانها من اشرف البدن المهداه والمعنى ولا تستحلوا الهدى
وخصوصا المقلدات منها وقيل اراد اصحاب القلايد وذلك ان العرب
فى الجاهلية كانوا اذا ارادوا الخروج من الحرم قلدوا انفسهم وابلهم
من لحا شجر الحرم فكانوا يامنون بذلك فلا يتعرض لهم احد فنهى
المومنين عن ذلك الفعل ونهاهم عن استحلال نزع شى من شجر الحرم
ولا امين البيت الحرام يعنى ولا تستحلوا القاصدين الى البيت الحرام
وهو الكعبة شرفها الله وعظمها يبتغون يعنى يطلبون فضلا من
ربهم يعنى الرزق والارباح فى التجارة ورضوانا يعنى ويطلبون رضى
الله عنهم بزعمهم لان الكافر لا حظ له فى الرضوان لكن يظن ان فعله ذلك
طلبا للرضوان فيجوز ان يوصف به بنا على ظنه وقيل ان المشركين كانوا
يقصدون بحجهم ابتغا رضوان الله وان كانوا لا ينالونه فلا يبعد ان يحصل لهم

بسبب ذلك القصد نوع من الحرمة وهو الامن على انفسهم وقيل
كان المشركون يلتمسون في حجهم ما يصلح لهم دنياهم ومعاشهم
فيها وقيل ابتغا الفضل هو للمومنين والمشركين عامة وابتغا الرضوان
للمومنين خاصة وذلك انهم كانوا يحجون جميعا **فصل**
اختلف علما العلما الناسخ والمنسوخ في هذه الاية فقال قوم هذه
الاية منسوخة الى هاهنا لان قوله لا تحلوا شعاير الله ولا الشهر
الحرام يقتضي حرمة القتل في الشهر الحرام وفي الحرم وذلك منسوخ
بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله تعالى ولا
امين البيت الحرام يقتضي حرمة منع المشركين عن البيت الحرام
وذلك منسوخ بقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا
فلا يجوز ان يحج مشرك ولا يامن بالهدى والقلايد كافر وهذا قول
ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة واكثر المفسرين قال الشعبي
لم ينسخ من سورة المايدة الا هذه الاية وقيل المنسوخ منها قوله
ولا امين البيت الحرام نسخها اية براة اقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال
ابن عباس كان المومنون والمشركون يحجون البيت جميعا فنهى الله
المومنين ان يمنعوا احدا ان يحج البيت او يتعرضوا له من مومن او
كافر ثم انزل الله بعد هذا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد
الحرام بعد عامهم هذا وقال اخرون لم ينسخ من ذلك شي سوى
القلايد التي كانت الجاهلية يتقلدونها من لحا شجر الحرم قال
الواحدي وذهب جماعة الى انه لا منسوخ في هذه السورة وان
هذه الاية محكمة قال ما ندبنا الى ان نخيف من يقصد بيته من اهل
شريعتنا في الشهر الحرام ولا في غيره وفضل الشهر الحرام من غيره
بالذكر تعظيما وتفضيلا وحرم علينا اخذ الهدى من المهديين وصرفه
عن بلوغ محله وحرم علينا القلايد التي كانوا يفعلونها في الجاهلية
وهذا غير مقبول والظاهر ما عليه جمهور العلما على ان الله عز
وجل قد احل قتال اهل الشرك في الاشهر الحرم وغيرها وكذلك اجمعوا
على ان المشرك لو قلد عنقه وذراعيه جميع لحا الشجر لم يكن ذلك
امانا له من القتل اذا لم يكن قد تقدم له عقد ذمة وامان وكذلك
اجمعوا على منع من قصد البيت بحج او عمرة من المشركين لقوله تعالى
انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والله اعلم
وقوله تعالى **واذا حللتم** يعني من احرامكم **فاصطادوا** هذا امر اباحة
لان الله حرم الصيد على المحرم حالة احرامه بقوله غير محلي الصيد

وانتم

وانتم حرم واباحه له اذا احل من احرامه بقوله واذا حللتم فاصطادوا وانما
قلنا انه امر اباحة لانه ليس واجب على المحرم اذا احل من احرامه ان
يصطاد ومثله قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض
معناه انه قد ابيح لكم ذلك بعد الفراغ من الصلاة **ولا يجرمنكم** قال ابن
عباس لا يحملنكم وقيل معناه لا يكسبنكم ولا يدعوكم **شنان قوم** يعني
بغض قوم وعداوتهم **ان صدوكم** يعني لان صدوكم **عن المسجد الحرام**
والمعنى لا يحملنكم عداوة قوم على الاعتدا لان صدوكم عن المسجد
الحرام لان هذه السورة نزلت بعد قصة الحديبية فكان الصد قد
تقدم **ان تعتدوا** عليهم يعني بالقتل واخذ المال **وتعاونوا على البر
والتقوى** يعني ليعن بعضكم بعضا على ما يكسب البر والتقوى
قال ابن عباس البر متابعة السنة **ولا تعاونوا على الاثم والعدوان**
يعني ولا يعن بعضكم بعضا على الاثم وهو الكفر والعدوان وهو الظلم وقيل
الاثم المعاصي والعدوان البدعة م عن النواس بن سمعان قال سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم قال البر حسن الخلق
والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس **واتقوا الله**
اي واحذروا الله ان تعتدوا ما امركم به او تجاوزوا الى ما نهاكم عنه
ان الله شديد العقاب يعني لمن خالف امره فنيه وعيد وتهديد
عظيم **قوله عز وجل حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير**
لما بين الله تعالى في اول السورة ما احل لنا من بهيمة الانعام بقوله
تعالى احلت لكم بهيمة الانعام ثم انه تعالى استثنى من ذلك بقوله الا
ما يتلى عليكم فذكر ذلك المستثنى بقوله حرمت عليكم الميتة وهي كل ما
فارقته الروح مما يذبح بغير ذكاة فهو ميتة وسبب تحريم الميتة ان
الدم لطيف جدا فاذا مات الحيوان حتف انفه احتبس ذلك الدم وبقي
في العروق فيفسد ويحصل منه ضرر عظيم والدم هو المسفوح
الجاري وكانت العرب في الجاهلية تجعل الدم في المصارين وتشويه
وتاكله فحرم الله ذلك كله ولحم الخنزير واراد به جميع اجزايه واعضايه
وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود بالاكل وقد تقدم في سورة البقرة
احكام هذه الثلاثة اشيا وما استثنى الشارع من الميتة والدم
وهو السمك والجراد والكبد والطحال وذكرنا الدليل على اباحة
ذلك واختلاف العلما في ذلك وقوله تعالى **وما اهل لغير الله
به** يعني ما ذكر على ذبحه غير اسم الله وذلك ان العرب في الجاهلية
كانوا يذكرون اسما اصنامهم عند الذبح فحرم الله ذلك بهذه الاية
وبقوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه **والمنخنقة** قال ابن عباس

كان اهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى اذا ماتت اكلوها فحرم الله ذلك
والمنخنقة من جنس الميتة لانها لما ماتت لا يسيل دمها والفرق
بينهما ان الميتة تموت بلا سبب احد والمنخنقة تموت بسبب الخنق
والموقوذة يعني المقتولة بالخشب وكانت العرب في الجاهلية
يضربون الشاة بالعصا حتى تموت وياكلونها فحرم الله ذلك والمتردية
يعني التي تتردى من مكان عال فتموت او في بير فتموت والتردي هو
السقوط من سطح او من جبل ونحوه وهذه المتردية تلحق بالميتة
فحرم اكلها ويدخل في هذا الحكم اذا رمى بسهمه صيدا فتردى ذلك
الصيد من جبل او من مكان عال فمات فانه يحرم اكله لانه لا يعلم
هل مات بالتردي او بالسهم والنطيحة يعني التي تنطحها شاة اخرى
حتى تموت وكانت العرب في الجاهلية تاكل ذلك فحرم الله تعالى
لانها في حكم الميتة فاما الها في هذه الكلمات التي تقدمت
اعني المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة فانما دخلت لانها صفات
لموصوف موث وهو الشاة كانه قال حرمت عليكم الشاة المنخنقة
والموقوذة والمتردية وخصت الشاة لانها من اعم ما ياكله الناس
والكلام انما يخرج على الاعم الاغلب ثم يلحق به غيره فان قلت
لم اثبتت الها في النطيحة مع انها في الاصل منطوحة فعدلوا الى النطيحة
وفي مثل هذا الموضع تكون الها محذوفة تقول كف خضيب وعين كحيل
بمعنى كف مخضوبة وعين مكحولة قلت انما تحذف الها من الفعيلة
اذا كانت صفة لموصوف يتقدمها فاذا لم يذكر الموصوف وذكرت الصفة
وصفتها موضع الموصوف تقول رايت قتيلة بني فلان بالها لانك ان
لم تدخل الها لم تعرف ارجل هو ام امراة فعلى هذا انما دخلت الها في
النطيحة لانها صفة لموصوف غير مذكور وهو الشاة وقال ابن
السكيت قد يأتي فعيله بالها وهي في تاويل مفعول بها يخرج مخرج الاسما
ولا يذهب بها مذاهب النعوت نحو النطيحة والذبيحة والفريسة
واكيلة السبع ومررت بقبيلة بني فلان وقوله تعالى وما اكل السبع
قال قتادة كان اهل الجاهلية اذا جرح السبع شيا فقتله او اكل منه
اكلوا ما بقي منه فحرمه الله تعالى والسبع اسم يقع على كل حيوان له
ناب ويعدو على الناس والدواب فيفترس بنابه كالاسد والذيب
والنمر والفهد ونحوه وفي الاية محذوف تقديره وما اكل السبع منه
لان ما اكله السبع قد نفد فلا حكم له انما الحكم للباقي منه الاما ذكيتم
يعني الا ما ادركتموه وقد بقيت فيه حياة مستقرة من هذه الاشيا
المذكورة والظاهر ان هذه الاستثنا يرجع الى جميع المحرمات المذكورة

في الاية من قوله تعالى والمنخنقة الى وما اكل السبع وهذا قول علي
ابن ابي طالب وابن عباس والحسن وقتادة قال ابن عباس يقول الله
تعالى ما ادركتم من هذا اكله وفيه روح فاذبح فهو حلال وقال الكلبي
هذا الاستثنا مما اكل السبع خاصة والقول هو الاول واما كيفية
ادراكها فقال اكثر اهل العلم من المفسرين انه ادركت ذكاته بان يوجد
له عين تطرف او ذنب يتحرك فاكله جايز قال ابن عباس اذا طرفت
بعينها او ركضت برجلها او تحركت فاذبح فهو حلال وذهب بعض
اهل العلم الى ان السبع اذا جرح فاخرج الحشوة او قطع الجوف
قطعا يويس معه الحياة فلا ذكاة لذلك وان كان به حركة ورمق
قد صار الى حالة لا توثر في حياته الذبح وهو مذهب مالك واختيار
الزجاج وابن الانباري لان معنى التذكية ان يلحقها وفيها بقية
تشخب معها الاوداج وتضطرب اضطراب المذبوح لوجود الحياة
فيه قبل ذلك والا فهو كالميتة واصل الذكاة في اللغة تمام الشي
فالمراد من التذكية تمام قطع الاوداج وانهار الدم ويدل عليه ما
روي عن رافع بن خديج عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما انهر الدم
وذكر اسم الله عليه فكلوه ليس السن والظفر وساحدثكم عن ذلك اما
السن فعظم واما الظفر فمدى الحبشة اخرجاه في الصحيحين واقل
الذبح في الحيوان المقدور عليه قطع المري والحلقوم واكمله قطع الودجين
مع ذلك والحلقوم بعد الفم وهو موضع النفس والمري مجرى الطعام
والودجان عرقان يقطعان عند الذبح واما الة الذبح فكل ما انهر
الدم وفرى الاوداج من حديد وغيره الا السن والظفر لما تقدم من
نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك قوله تعالى وما ذبح على النصب
يعني وحرمت ما ذبح على النصب والنصب يحتمل ان يكون جمعا واحده
نصاب وان يكون واحدا جمعه انصاب وهو الشي المنصوب قيل
كان حول الكعبة ثلثماية وستون حجرا منصوبة كان اهل الجاهلية
يعبدونها ويعظمونها ويذبحون لها وليست هذه الحجارة باصنام انما
الاصنام الصور المنقوشة وقال ابن عباس هي الاصنام المنصوبة
والمعنى وما ذبح على اسم النصب فهو حرام وان تستقسموا بالازلام
يعني وحرم عليكم الاستقسام بالازلام وهو طلب القسم والحكم من الازلام
وهي القداح وكانت ازلامهم سبعة قداح مستوية مكتوب على واحد منها
امرني ربي وعلى واحد نهاني ربي وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم
وعلى واحد ملصق وعلى واحد العقل وعلى واحد غفل اي ليس عليه
شي وكانت العرب في الجاهلية اذا ارادوا سفرا او تجارة او نكاحا او

اختلفوا في نسب او امر قتيل او حمل عقل او غير ذلك من الامور العظام
جاؤا الى هبل وكانت اعظم صنم لقريش بمكة وجاؤا بمائة درهم
واعطوها صاحب القداح حتى يجيلها لهم فان خرج امرني ربي فعلوا
ذلك الامر وان خرج نهاني ربي لم يفعلوه واذا اجالوا على نسب فان
خرج منكم كان وسطا فيهم وان خرج من غيركم كان حليفا فيهم وان خرج
ملصق كان على حاله وان اختلفوا في العقل وهو الدية فمن خرج عليه
قدح العقل تحمله وان خرج العقل اجالوا ثانيا حتى يخرج المكتوب
عليه فنهاهم الله عن ذلك وحرمه وسماه فسقا وقيل الازلام كعاب
فارس والروم التي كانوا يقامرون بها وقيل كانت الازلام للعرب
والكعاب للعجم وهي النرد وكلها حرام لا يجوز اللعب بشي منها عن
قطن بن قبيصة عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت اخرجه ابو داود
وقال الطارق الزجر والعيافة الخط وقيل العيافة زجر الطير
والطرق الضرب بالحصى والجبت كلما عبد من دون الله وقيل الجبت
الكاهن وروى البغوي بسند الثعلبي عن ابي الدرداء قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكهن او استقسم بالازلام او تطير
طيرة ترده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى يوم القيمة وقوله
تعالى **ذلكم فسق** يعني ما ذكر من هذه المحرمات في هذه الاية لان المعنى
حرم عليكم تناول كذا وكذا فانه فسق والفسق ما يخرج من الحلال الى
الحرام وقيل ان الاشارة عايدة على الاستقسام بالازلام والاول اصح
اليوم ييس الذين كفروا من دينكم يعني ييسوا ان ترجعوا عن دينكم
الى دينهم كفارا وذلك ان الكفار كانوا يطمعون في ان يعود المسلمون الى
دينهم فلما قوى الاسلام ايسوا من ذلك وذلك هو اليوم الذي دخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام حجة الوداع فعند ذلك
ييس الكفار من بطلان دين الاسلام وقيل ان ذلك هو يوم عرفة
فنزلت هذه والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة وقيل لم يرد
بعينه وانما المعنى الان ييس الذين كفروا من دينكم وهو كما تقول
اليوم قد كبرت تريد الان قد كبرت ويقول فلانا كان يزورنا وهو اليوم
يزورنا وهو اليوم يجفونا لم ترد يوما بعينه يعني وهو الان يجفونا ولم
يقصد به اليوم قال الشاعر •

• فيوم علينا ويوم لنا • فيوم نسا ويوم نسر •

اراد فزمان علينا وزمان لنا ولم يقصد ليوم واحد معين **فلا تخشوهم**
فلا تخافوا الكفار ايها المومنون الذين امنوا ان يظهروا على دينكم فقد زال

الخوف

الخوف عنكم باظهار دينكم **واخشوني** اي وخافوا مخالفة امري واخلصوا
الخشية لي **قوله عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم** نزلت هذه الاية في
يوم الجمعة بعد العصر في يوم عرفة والنبي صلى الله عليه وسلم واقف
بعرفات على ناقته العضبا فكادت عضد الناقة تندق وبركت
لثقل الوحي وذلك في حجة الوداع سنة عشر من الهجرة **ق** عن طارق
ابن شهاب قال جا رجل من اليهود الى عمر بن الخطاب فقال يا امير المومنين
اية في كتابكم تقرؤنها لو علينا نزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم
عيدا قال فاي اية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي
ورضيت لكم الاسلام دينا فقال عمر اني لاعلم اليوم الذي انزلت فيه
والمكان الذي نزلت فيه نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعرفات في يوم الجمعة اشار عمر الى ان ذلك اليوم كان عيدا لنا وعن
ابن عباس انه قرا اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت
لكم الاسلام دينا وعنده يهودي فقال لو انزلت هذه الاية علينا
لاتخذناها عيدا فقال ابن عباس فانها نزلت في يوم عيدين في يوم
جمعة ويوم عرفة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال
ابن عباس كان في ذلك اليوم خمسة اعياد يوم جمعة ويوم عرفة
وعيد لليهود وعيد للنصارى وعيد للمجوس ولم يجتمع اعياد لاهل
الملل في يوم واحد قبله ولا بعده وروى انه لما نزلت هذه الاية بكى
عمر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال ابكاني انا
كنا في زيادة من ديننا فاما اذ كمل فانه لم يكمل شي الا نقص قال صدقت
فكانت هذه الاية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش بعدها
احدا وثمانين يوما ومات صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لليلتين
خلتا من ربيع الاول وقيل لاثني عشر ليلة وهو الاصح سنة احدى
عشرة من الهجرة واما تفسير الاية فقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم
يعني بالفرايض والسنن والحدود والاحكام والحلال والحرام فلم
ينزل بعد هذه الاية حلال ولا حرام ولا شي من الفرايض هذا معنى
قول ابن عباس وقال سعيد بن جبير وقتادة معنى اكملت لكم دينكم
حيث لم يحج معكم مشرك وخلا الموسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وللمسلمين وقيل معناه اني اظهرت دينكم على الاديان وامنتكم من
عدوكم بان كفيتكم ما كنتم تخافونه وقيل اكمال الدين لهذه الامة انه
لا يزول ولا ينسخ وان شريعتهم باقية الى يوم القيمة وقيل اكمال الدين
لهذه الامة انهم امنوا بكل نبي وكل كتاب ولم يكن هذا لغير هذه الامة
وقال ابن الانباري اليوم اكملت شرايع الاسلام على غير نقصان كان قبل

هذا الوقت وذلك ان الله عز وجل كان يتعبد خلقه بالشي في وقت
ثم يزيد عليه في وقت اخر فيكون الوقت الاول تاما في وقته وكذلك
الوقت الثاني تاما في وقته فهو كما يقول القايل عندي عشرة كاملة
ومعلوم ان العشرين اكمل منها والشرايع التي تعبد الله عز وجل بها
عباده في الاوقات المختلفة وكل شريعة منها كاملة في وقت التعبد
بها فكمل الله عز وجل الشرايع في اليوم الذي ذكره وهو يوم عرفة ولم
يوجب ذلك ان الدين كان ناقصا في وقت من الاوقات ونقل
الامام فخر الدين الرازي عن القفال واختاره ان الدين ما كان ناقصا
البتة بل كان ابدا كاملا كانت الشرايع النازلة من عند الله كافية
في ذلك الوقت الا انه تعالى كان عالما في اول وقت البعثة بان ما
هو كامل في هذا اليوم ليس بكامل في الغد ولا بصالح فيه لا جرم كان
ينسخ بعد الثبوت وكان يزيد بعد التحتم واما في اخر زمان البعثة
فانزل شريعة كاملة وحكم ببقائها الى يوم القيمة فالشرع ابدا كان
كاملا الا ان الاول كمال الى يوم زمان مخصوص والثاني كمال الى يوم
القيمة فلاجل هذا المعنى قال اليوم اكملت لكم دينكم ثم قال تعالى
واتممت عليكم نعمتي يعني باكمال الدين والشريعة لانه لا نعمة اتم
من الاسلام وقال ابن عباس حكم لهم بدخول الجنة وقيل معناه
انه تعالى انجز لهم ما وعدهم في قوله ولاتم نعمتي عليكم فكان من تمام
النعمة ان دخلوا مكة امنين وحجوا مطمئنين لم يخالطهم احد من المشركين
ورضيت لكم الاسلام دينا يعني واخترت لكم الاسلام دينا من بين
الاديان وقيل معناه ورضيت لكم الاسلام دينا لامري والانقياد لطاعتي
فيما شرعت لكم من الفرايض والاحكام والحدود ومعالم الدين فاكملته لكم
وانما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا يوم نزلت هذه الاية وان كان
الله تعالى لم يزل راضيا بدين الاسلام فيما مضى قبل نزول هذه الاية
لانه لم يزل يصرف نبيه صلى الله عليه وسلم وعباده المومنين من حال
الى حال وينقلهم من مرتبة الى مرتبة اعلى منها حتى اكمل لهم شرايع الاسلام
ومعالمه وبلغ بهم اقصى درجاته ومراتبه ثم انزل عليهم هذه الاية
ورضيت لكم الاسلام دينا يعني بالصفة التي هو اليوم بها وهي نهاية
الكمال وانتم الان عليه فالزموه ولا تفارقوه روى البغوي بسنده
عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
قال جبريل قال الله عز وجل هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه
الا السخا وحسن الخلق فالزموه بهما ما صحبتموه وروى الطبري عن
قتادة قال ذكر لنا انه يمثل لاهل كل دين دينهم يوم القيمة فاما الايمان

فيبشر

فيبشر اصحابه واهله ويعدهم في الخير حتى يجي الاسلام فيقول يا رب
انت السلام وانا الاسلام فيقول اياك اليوم اقبل وبك اليوم
اجزي وقوله تعالى **فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم** هذه الاية
من تمام ما تقدم ذكره في المطاعم التي حرمها الله تعالى ومتصلة بها
والمعنى ان المحرمات وان كانت محرمة الا انها قد تحل في حالة الاضطرار
اليها ومن قوله تعالى ذلكم فسق الى هنا اعتراض بين وقع الكلامين
والغرض منه تاكيد ما تقدم ذكره من معنى التحريم لان تحريم هذه
الخبايث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام الذي
هو المرضي عند الله ومعنى الاية فمن اضطر اي اجهد واصيب
بالضر الذي لا يمكنه معه الامتناع من اكل الميتة وهو قوله تعالى
في مخمصة يعني في مجاعة والمخمصة خلو البطن من الغذاء عند الجوع
غير متجانف لاثم يعني غير مايل الى اثم او منحرف اليه والمعنى فمن اضطر
الى اكل الميتة او الى غيرها في المجاعة فلياكل غير متجانف لاثم وهو
ان ياكل فوق الشبع وهو قول فقهاء العراق وقيل معناه غير متعرض
لمعصية في مقصده وهو قول فقهاء الحجاز **فان الله غفور رحيم** يعني
لمن اكل من الميتة في حال الجوع والاضطرار قوله تعالى **يسالونك
ماذا احل لهم** روى الطبري بسنده عن ابي رافع قال جاء جبريل
الى النبي صلى الله عليه وسلم يستاذن عليه فاذن له فلم يدخل فقال
قد اذنا لك يا رسول الله قال اجل ولكنا لا ندخل بيتا فيه كلب
قال ابو رافع فامرني ان اقتل كل كلب بالمدينة ففعلت حتى انتهيت
الى امراة عندها كلب ينبح عليها فتركته رحمة لها ثم جيت الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فامرني بقتله فرجعت الى الكلب
فقتلته فجاوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله
ما يحل لنا من هذه الامة التي امرت بقتلها قال فسكت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل يسالونك ماذا احل لهم
قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين وروي عن عكرمة
ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا رافع في قتل الكلاب فقتل حتى
بلغ العوالي فدخل عاصم وسعد بن خيثمة وعويم بن ساعدة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ماذا احل لنا فنزلت يسلونك
ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين
قال ابن الجوزي واخرج حديث ابي رافع الحاكم في صحيحه قال
البغوي فلما نزلت هذه الاية اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن امساك ما لا نفع فيه منها

ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
امسك كلبا فانه ينقص كل يوم من عمله قيراطا الا كلب حرث او
ماشية ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتنى كلبا
ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا ارض فانه ينقص من اجره قيراطان
كل يوم وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الاية في عدي بن حاتم
وزيد بن المهلهل الطائيين وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله
صلى الله عليه وسلم زيد الخير قالا يا رسول الله انا قوم نصيد
بالكلاب وبالبزاة فماذا يحل لنا فنزلت هذه الاية قال البغوي
وهذا القول اصح في نزولها واما التفسير فقوله تعالى يسألونك
يعني يسألك اصحابك يا محمد ما الذي احل لهم اكله من المطاعم
والماكل كانهم لما تلي عليهم من خبائث الماكل ما تلي سالوا عما احل
لهم قل احل لكم الطيبات يعني قل لهم يا محمد احل لكم الطيبات
يعني ما ذبح على اسم الله عز وجل وقيل الطيبات كل ما تستطيبه
العرب وتستلذه من غير ان ورد بتحريمه نص من كتاب او سنة
واعلم ان العبرة في الاستطابة والاستلذاذ باهل المروة والاخلاق
الجميلة من العرب فان اهل البادية منهم يستطيبون اكل جميع
الحيوانات فلا عبرة بهم ولقوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم
عليهم الخبائث فان الخبيث غير مستطاب فصارت هذه الاية
الكريمة نص فيما يحل ويحرم من الاطعمة وقوله تعالى وما علمتم من
الجوارح مكلبين يعني واحل صيد ما علمتم من الجوارح فحذف ذكر
الصيد وهو مراد في الكلام لدلالة الباقي عليه ولانهم سالوا
عن الصيد وقيل ان قوله وما علمتم من الجوارح ابتدا كلام خبره
فكلوا مما امسكن عليكم وعلى هذا القول يصح معنى الكلام من غير
اضمار والجوارح جمع جارحة وهي الكواسب من السباع والطير
كالفهد والنمر والكلب والبازي والصقر والعقاب والشاهين
والباشق من الطير مما يقبل التعليم سميت جوارح من الجرح لانها
تجرح الصيد عند امساكه وقيل سميت جوارح لانها تكسب والجوارح
الكواسب من جرح واجترح اذا اكتسب ومنه قوله تعالى والذين
اجترحوا السيئات يعني اكتسبوا وقوله ويعلم ما جرحتم بالنهار اي
اكتسبتم مكلبين يعني معلمين والمكلب هو الذي يغري الكلاب على
الصيد وقيل هو مؤدب الجوارح ومعلمها وانما اشتق له هذا الاسم
من الكلب لانها اكثر احتياجا الى التعليم من غيرها من الجوارح ۵
تعلمونهن يعني تعلمون الجوارح الاصطياد مما علمكم الله يعني من

العلم

العلم الذي علمكم الله ففي الاية دليل على انه لا يجوز صيد جارحة ما لم
تكن معلمة وصفة التعليم هو ان الرجل يعلم جارحة الصيد وذلك
بان يوجد فيها امور منها انه اذا اشليت على الصيد استشلت واذا
زجرت انزجرت واذا اخذت الصيد امسكت ولم تاكل منه شيا ومنها
ان لا ينفر منه اذا ارادوا ان يجيبه اذا دعاه فهذا هو تعليم جميع الجوارح
فاذا وجد ذلك منها مرارا كانت معلمة واقلها ثلاث مرات فانه يحل
قتلها مقتولها اذا جرحت بارسال صاحبها ق عن عدي بن حاتم قال
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت انا قوم نصيد بهذه
الكلاب فقال اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل مما
امسك عليك الا ان ياكل الكلب فلا تاكل فاني اخاف ان يكون انما
امسك على نفسه وان خالط كلابا لم يذكر اسم الله عليها فامسكن
وقتلن فلا تاكل فانما سميت على كلبك ولم تسم على غيره وفي رواية
فانك لا تدري ايها قتل وسالته عن صيد المعراض فقال اذا اصبت
بحده فكل واذا اصبت بعرضه فقتل فانه وقيذ فلا تاكل واذا
رميت الصيد فوجدت بعد يوم او يومين ليس به الا اثر سهمك فكل
فان وقع في الما فلا تاكل واختلف العلما فيما اذا اخذت الكلاب
الصيد واكلت منه شيا فذهب اكثر اهل العلم الى تحريمه يروى
ذلك عن ابن عباس وهو قول عطا وطاوس والشعبي وبه قال
الثوري وابن المبارك واصحاب الراي وهو اصح قولي الشافعي
ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم وان اكل فلا تاكل فانما امسك
على نفسه ورخص بعضهم في اكله يروى ذلك عن ابن عمر وسلمان
الفارسي وسعد بن ابي وقاص وبه قال مالك لما روي عن ابي
ثعلبة الخشني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيد
اذا ارسلت كلبك وذكرت اسم الله كل وان اكل منه اخرجه ابو داود
اما غير المعلم من الجوارح اذا اخذت صيدا او المعلم اذا خرج بغير
ارسال صاحبه فاخذ وقتل فانه لا يحل الا ان يدرك حيا فيذبح
فيحل ق عن ابي ثعلبة الخشني قال قلت يا رسول الله انا بارض
قوم اهل كتاب افنأكل في انيتهم وبارض صيد اصيد بقوسي وبكلبي
الذي ليس بمعلم وبكلبي المعلم فما يصلح لي قال اما ما ذكرت من انية
اهل الكتاب فان وجدتم غيرها فلا تاكلوا فيها وان لم تجدوا
فاغسلوها وكلوا فيها وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله عليه
فكل وما صدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت
بكلبك غير المعلم فادركت ذكاته فكل وقوله تعالى فكلوا مما امسكن

عليكم دخلت من في قوله مما للتبعيض لانه انما احل بعض الصيد وهو
اللحم دون الفرث والدم وقيل من زايدة فهو كقوله كلوا من ثمره اذا
اثمر واذكروا اسم الله عليه قال ابن عباس يعني اذا ارسلت جارحك
فقل بسم الله وان نسيت فلا حرج ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
لعدي اذا ارسلت كلبك وذكرت اسم الله عليه فكل فعلى هذا يكون
الضمير في عليه عايدا الى ما علمتم من الجوارح اي سموا الله عليه
عند ارساله وقيل الضمير عايد الى ما امسكن عليكم والمعنى سموا
الله عليه اذا ادركتم ذكاته وقيل يحتمل ان يكون الضمير عايدا الى
الاكل يعني واذكروا اسم الله عند الاكل فعلى هذا يكون التسمية
شرطا عند ارسال الجوارح وعند الذبيحة وعند الاكل وسياتي
بيان هذه المسيلة في سورة الانعام عند قوله ولا تاكلوا مما لم
يذكر اسم الله عليه واتقوا الله يعني واحذروا مخالفة الله فيما احل
لكم وحرم عليكم واعلموا ان الله سريع الحساب يعني اذا حاسب
عباده يوم القيمة ففيه تخويف لمن خالف امره وفعل ما نهاه عنه
قوله عز وجل اليوم احل لكم الطيبات انما كرر احلال الطيبات
للتاكيد لانه قال اليوم احل لكم الطيبات التي سالتم عنها ويحتمل ان يراد
باليوم اليوم الذي انزلت فيه هذه الاية او اليوم الذي تقدم ذكره
في قوله اليوم ييس الذين كفروا من دينكم او اليوم اكملت لكم دينكم
ويكون الغرض من ذكر هذا الحكم انه تعالى قال اليوم اكملت لكم دينكم
واتممت عليكم نعمتي فبين انه كما اكمل الدين واتم النعمة فلذلك اتم
النعمة باحلال الطيبات وقيل ليس المراد باليوم يوم معين وقد تقدم
الكلام في ذلك اليوم وفي معنى الطيبات في الاية المتقدمة وقوله
تعالى وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يعني وذبايح اهل الكتاب
حل لكم وهم اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم من ساير الامم قبل
مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فاما من دخل في دينهم بعد مبعث
النبي صلى الله عليه وسلم وهم من تنصر من العرب من بني تغلب فلا
تحل ذبيحته روي عن علي بن ابي طالب قال لا تاكلوا من ذبايح نصارى
العرب بني تغلب فانهم لم يتمسكوا بشي من النصرانية الا بشرب
الخمر وبه قال ابن مسعود وهو مذهب الشافعي انه من دخل في
دين اهل الكتاب بعد نزول القران فانه لا تحل ذبيحته وسيل ابن عباس
عن ذبايح نصارى العرب فقال لا باس به ثم قرا ومن يتولهم منكم
فانه منهم وهذا قول الحسن وعطا بن ابي رباح والشعبي وعكرمة وقتادة
والزهري والحكم وحماد وهو مذهب ابي حنيفة ومالك واحدى الروايتين

عن احمد والرواية الاخرى مثل مذهب الشافعي واجمعوا على تحريم ذبايح
المجوس وساير اهل الشرك من مشركي العرب وعبدة الاصنام ومن لا
كتاب له واجمعوا على ان المراد بطعام الذين اوتوا الكتاب ذبايحهم خاصة
لان ما سوى الذبايح فهي محللة قبل ان كانت لاهل الكتاب وبعد ان
صارت لهم فلا يبقى لتخصيصها باهل الكتاب فايدة ولان ما قبل هذه
الاية في بيان حكم الصيد والذبايح فحمل هذه الاية عليه اولى ولان
ساير الطعام لا يختلف من تولاه من كتابي او غيره انما تختلف الذكاة
فلما خص اهل الكتاب بالذكر دل على ان المراد بطعامهم ذبايحهم واختلف
العلما فيما لو ذبح يهودي او نصراني على غير اسم الله فقال ابن عمر
لا يحل ذلك وهو قول ربيعة وذهب اكثر اهل العلم الى انه يحل مثل
الشعبي وعطا عن النصراني يذبح باسم المسيح فقال لا يحل فان الله قد
احل ذبايحهم وهو يعلم ما يقولون وقال الحسن اذا ذبح اليهودي
والنصراني وذكر غير اسم الله وانت تسمع فلا تاكل واذا غاب عنك
فكل فقد احله الله لك وقد زعم قوم ان هذه الاية اقتضت اباحة ذبايح
اهل الكتاب مطلقا وان ذكروا غير اسم الله فيكون هذا ناسخا لقوله
تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وليس الامر كذلك ولا نسخ لان
الاصل انهم يذكرون الله عند الذبايح فيحمل امرهم على هذا فان تيقنا
انهم ذبحوا على غير اسم الله لم ناكله ولا وجه للنسخ وقوله تعالى وطعامكم
حل لهم يعني ان ذبايحنا لهم حلال وهذا يدل على انهم مخاطبون
بشريعتنا وقال الزجاج معناه ويحل لكم ان تطعموهم من طعامكم
فجعل الخطاب للمومنين على معنى ان التحليل يعود الى اطعامنا اياهم
لا اليهم لانه لا يمتنع ان يحرم الله تعالى ان يطعمهم من ذبايحنا وقيل ان
الفايدة في ذكر ذلك ان اباحة المناكحة غير حاصلة من الجانبين واباحة
الذبايح كانت حاصلة في الجانبين لا جرم ذكر الله ذلك تنبيها على
التمييز بين النوعين ثم قال تعالى والمحصنات من المومنات قال
مجاهد من الحراير فعلى هذا القول لا تدخل الامة المومنة في هذا التحليل
ومن اجاز نكاحهن اجازه بشرطين خوف العنت وعدم طول الحرة وقال
ابن عباس المحصنات العفايف فعلى هذا القول لا يحل نكاح الزانية
لانها لم تدخل في هذا التحليل واباح العلما نكاحها اذا تابت وحسنت
توبتها روى طارق بن شهاب ان رجلا اراد ان يزوج اخته فقالت اني
اخشى ان افضحك اني قد بغيت فاتى عمر فذكر ذلك له منها فقال
اليس قد تابت قال بلى قال فزوجها وقيل انما خص المحصنات بالذكر
وهن الحراير والعفايف ليحث المومنين على تخيير النسا ليكون الولد

كريم الاصل من الطرفين وقوله تعالى **والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم** يعني واحل لكم المحصنات من اهل الكتاب اليهود والنصارى قال ابن عباس يعني الحراير من اهل الكتاب وقال الحسن والشعبي والنخعي والضحاك يريد العفايف من اهل الكتاب فعلى قول ابن عباس لا يجوز التزوج بالامة الكتابية وهو مذهب الشافعي قال لانه اجتمع في حقها نوعين من النقصان الكفر والرق وعلى قول الحسن ومن وافقه يجوز التزوج بالامة الكتابية وهو مذهب ابي حنيفة لعموم هذه الاية واختلف العلما في حكم هذه المسئلة ٥ فذهب جمهور الفقها الى جواز التزوج بالذميات من اليهود ٥ والنصارى روي ان عثمان بن عفان تزوج بايلة بنت الفرافصة على نسايه وهي نصرانية وان طلحة بن عبيد الله تزوج يهودية وروي عن ابن عمر كراهية ذلك ويحتج بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يومن وكان يقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى واجاب الجمهور عن قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يومن بانه عام خص بهذه الاية فاباح الله تعالى المحصنات من اهل الكتاب وحرم من سواهن من اهل الشرك وقال سعيد بن المسيب والحسن يجوز التزوج بالذميات والحربيات من اهل الكتاب لعموم قوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واجاب جمهور العلما بان ذلك مخصوص بالذميات دون الحربيات من اهل الكتاب قال ابن عباس من نسا اهل الكتاب من تحل لنا ومنهن من لا تحل لنا وقرا قاتلوا الذين لا يومنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون والمراد بهم اهل الذمة دون اهل الحرب من اهل الكتاب وقوله **اذا اتيتموهن اجورهن** يعني مهورهن وهو العوض الذي يبذله الزوج للمراة **محصنين غير مسافحين** يعني متعففين بالتزوج غير زانين **ولا متخذي اخدان** يعني ولا متفردين ببغية واحدة قد خادنها وخادنته واتخذها لنفسه صديقة يفجر بها وحده حرم الله الجماع على جهة السفاح وهو الزنا واتخاذ الصديق وهو الاخدان واحله على جهة الاحصان وهو التزوج بعقد صحيح **ومن يكفر بالايمان** يعني ومن يجحد ما امر الله به من توحيده ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جا به من عند الله **فقد حبط عمله** يعني فقد بطل ثواب عمله الذي كان عمله في الدنيا وخاب وخسر في الدنيا والاخرة وقيل في معنى الاية ومن يكفر بشرايع الايمان وتكاليفه فقد خاب وخسر وقال قتادة ذكر لنا ان ناسا من المسلمين قالوا كيف

نتزوج نساهم يعني نسا اهل الكتاب وهم على غير ديننا فانزل الله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله **وهو في الاخرة من الخاسرين** وقيل لما اباح الله نكاح الكتابيات قلن فيما بينهن لولا ان الله قد رضي اعمالنا لم يبح للمومنين تزويجنا فانزل الله هذه الاية والمعنى ان تزوج المسلمون اياهن ليس بالذي يخرجهن من الكفر وقيل ان اهل الكتاب وان حصلت لهم في الدنيا فضيلة باباحة ذبايحهم ونكاح نسايهم الا ان ذلك غير حاصل لهم في الاخرة لان كل من كفر بالله او جحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين وقيل ان من احل ما حرم الله او حرم ما احل الله او جحد بشي مما انزل الله فقد كفر بالله وحبط عمله المتقدم وهو في الاخرة من الخاسرين اذا مات على ذلك وهذا الشرط لا بد منه اذ ان تاب وامن قبل الموت قبلت توبته وصح ايمانه قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة** يعني اذا اردتم القيام الى الصلاة ومثله قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله اي اذا اردت القران فاستعذ بالله ومثله من الكلام اذا اتجرت فاتجر في البر اي اذا اردت التجارة وعلى هذا القول يقتضي وجوب الوضو عند كل صلاة وهو ظاهر الاية ومذهب داود الظاهري وذهب جمهور العلما من الصحابة فمن بعدهم الى انه يجزي عدة صلوات بوضو واحد واجيب عن ظاهر الاية بان المعنى اذا قمتم الى الصلاة وانتم على غير طهر فحذف ذلك لدلالة المعنى عليه وهذا احد اختصارات القران وهو كثير جدا ولان النبي صلى الله عليه وسلم جمع يوم الخندق بين اربع صلوات بوضو واحد وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة احدكم اذا احدث حتى يتوضا اخرجاه في الصحيحين وقيل في معنى الاية اذا قمتم الى الصلاة من النوم وقيل امر ندب ندب من قام الى الصلاة ان يجدد لها طهارة وان كان على طهر ويدل عليه ما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضا على طهر كتب له به عشر حسنات اخرجه الترمذي وقيل هذا اعلام من الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم ان لا وضو عليه الا اذا قام الى الصلاة دون غيرها من الاعمال ويدل عليه ما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما من الخلا فقدم اليه طعام فقالوا الا ناتيك بطعام توضو فقال انما امرت بالوضو اذا قمت الى الصلاة ٥ اخرجه مسلم والقول الاول هو المختار في معنى الاية وفروض الوضو المذكورة في هذه الاية اربعة الاول غسل الوجه وهو قوله تعالى

فاغسلوا وجوهكم واستدل الشافعي على وجوب النية عند غسل
الوجه بهذه الاية وحجته ان الوضوء مامور به وكل مامور به
يجب ان يكون منويا ولما روي في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ
ما نوى والوضوء من الاعمال فيجب ان يكون منويا وانما قلنا ان الوضوء
مامور به وانه من اعمال الدين لقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين والاخلاص عبارة عن الدين النية الخالصة
ومتى كانت النية الخالصة معتبرة كان اصل النية في جميع الاعمال
التي يتقرب بها الى الله تعالى معتبرا واستدل ابو حنيفة لعدم
وجوب النية في الوضوء بهذه الاية قال ان النية ليست شرطا
لصحة الوضوء لان الله تعالى اوجب غسل الاعضاء الاربعة في هذه
الاية ولم يوجب النية فيها فايجاب النية زيادة على النص
والزيادة على النص نسخ ونسخ القران بخبر الواحد وبالقياس غير
جائز واجيب عنه بانا انما اوجبنا النية في الوضوء
بدلالة القران وهو قوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
واما حد الوجه فمن منابت شعر الراس الى منتهى الذقن طولا ومن
الاذن الى الاذن عرضا لانه ماخوذ من المواجهة فيجب غسل جميع
الوجه في الوضوء ويجب ايصال الماء الى ما تحت الحاجبين واهداب
العينين والعذارين والشارب والعنفقة وان كانت كثة واما
اللحية فان كانت كثة لا ترى البشرة من تحتها لا يجب غسل ما
تحتها ويجب غسل ما تحت اللحية الخفيفة وهل يجب امرار الماء
على ظاهر ما نزل من اللحية عن الذقن فيه قولان احدهما وبه قال
ابو حنيفة لا يجب لان الشعر النازل عن حد الراس لا يكون حكمه
حكم الراس في المسح فكذلك حكم الشعر النازل عن حد الوجه والقول
الثاني يجب امرار الماء على ظاهره لان الوجه ماخوذ من المواجهة
فيدخل جميع اللحية في حكم الوجه الفرض الثاني قوله تعالى **وايديكم
الى المرافق** يعني فاغسلوا ايديكم الى المرافق والمرفق بالكسر هو من
الانسان اعلى الذراع واسفل العضد وذهب جمهور العلماء الى وجوب
ادخال المرفقين في الغسل ونقل عن مالك والشعبي وزفر وابي
بكر بن داود الظاهري انه لا يجب ادخال المرفقين في الغسل
واختاره ابن جرير الطبري ونقل عن مالك وقد سئل عن قوله
الله عز وجل فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق فقال الذي
امر به ان يبلغ المرفقين في الغسل لا يجاوزهما وحجة هذا القول ان

كلمة

كلمة الى لانتهاء الغاية وما يجعل غاية للحكم يكون خارجا عنه كما في قوله
تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل ولان الحد لا يدخل في المحدود فوجب
ان لا يجب غسل المرفقين في الوضوء وحجة الجمهور ان حرف كلمة الى
هنا بمعنى مع ومنه قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اي مع
اموالكم ويعضده من السنة ما صح من حديث ابي هريرة انه توضا
فغسل وجهه فاسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى اشرع في العضد
ثم يده اليسرى حتى اشرع في العضد ثم قال هكذا رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يتوضا والجواب عن الحجة المتقدمة ان الحد
اذا كان من جنس المحدود دخل فيه كما في هذه الاية لان المرفق من جنس
اليد وان لم يكن من جنس المحدود لم يدخل فيه كما في قوله تعالى ثم
اتموا الصيام الى الليل لان النهار من غير جنس الليل فلا يدخل فيه
الفرض الثالث قوله تعالى **وامسحوا برؤسكم** اختلف العلماء في القدر
الذي يجب مسحه من الراس فقال مالك يجب مسح جميعه وهو
احدى الروايتين عن احمد والرواية الاخرى عنه انه يجب مسح اكثره
وقال ابو حنيفة يجب ربعه وفي رواية اخرى يجب مسح قدر ثلاث
اصابع منه وقال الشافعي الواجب مسح ما ينطلق عليه اسم المسح
والمراد الصاق المسح بالراس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما
ملصق للمسح بالراس فاخذ مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعاب
واخذ الشافعي باليقين فاوجب مسح ما يقع عليه اسم المسح واخذ
ابو حنيفة ببيان السنة وهو ما روي عن المغيرة بن شعبة ان النبي
صلى الله عليه وسلم توضا فمسح بناصيته وعلى العمامة والخفين
متفق عليه وقدر الناصية بربع الراس الفرض الرابع قوله تعالى
وارجلكم الى الكعبين اختلف العلماء في هذا الحكم وهل فرض
الرجلين المسح او الغسل فروي عن ابن عباس انه قال الوضوء غسلتان
ومسحتان ويروى ذلك عن قتادة ايضا ويروى عن انس انه قال
نزل القران بالمسح والسنة بالغسل وعن عكرمة قال ليس على
الرجلين غسل انما نزل فيهما المسح وعن الشعبي انه قال انما هو المسح
على الرجلين الا ترى انه ما كان عليه الغسل جعل عليه التيمم وما
كان عليه المسح اهمل وهو مذهب الامامية من الشيعة ان الواجب
في الرجلين المسح وقال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين ومن
بعدهم والايمة الاربعة واصحابهم ان فرض الرجلين هو الغسل وقال
داود الظاهري يجب الجمع بينهما وقال الحسن البصري ومحمد بن جرير
الطبري المكلف مخير بين الغسل والمسح وسبب هذا الاختلاف اختلاف

القرا في هذا الحرف فقرا نافع وابن عامر والكسائي وحفص عن عاصم وارجلكم بفتح اللام عطفا على الغسل فيكون من موخر الذي معناه التقديم ويكون المعنى فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وارجلكم الى الكعبين وامسحوا بروسكم وقال اصحاب هذه القراة انما امر الله عباده بغسل الارجل دون مسحها ويدل عليه ايضا فعل النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ومن بعدهم وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابو بكر عن عاصم وارجلكم بكسر اللام عطفا على المسح اما قراة النصب فالمعنى فيها ظاهر لانه عطف على المغسول لوجوب غسل الرجلين على مذهب الجمهور ولا يقدح قول من خالف واما قراة الكسر فقد اختلفوا في معناه والجواب عنه فقال ابو حاتم وابن الانباري وابو علي الكسر عطف على الممسوح غير ان المراد بالمسح في الارجل الغسل وقال ابو زيد المسح خفيف الغسل تقول العرب تمسحت للصلوات بمعنى توضات لها وقال ما امسح به للصلاة بمعنى اتوضا قال ابو حاتم وذلك ان المتوضي لا يرضى بصب الما على اعضايه حتى يمسحها مع الغسل فسمى الغسل مسحا بهذا الاعتبار فعلى هذا الراس والرجلين والرجل ممسوحان الا ان مسح الراس اخف والذي يدل على ان المراد بالمسح في الرجل الغسل ذكر التحديد وهو قوله تعالى الى الكعبين لان التحديد انما جا في المغسول ولم يجي في الممسوح فلما وقع التحديد مع المسح علم انه في حكم الغسل وقال جماعة من العلما ان الارجل معطوفة على الروس في الظاهر والمراد فيها الغسل لانه قد ينسق بالشي على غيره والحكم فيها مختلف كما قال الشاعر • ياليت بعلك قد غدا متقلدا • سيفا ورمحا •
والمعنى وحاملا رمحا لان الرمح لا يتقلد به وكذلك قول الاخر علفتها تبنا وما بارد ايعني وسقيتها ما بارد اوكذلك المعنى في الاية وامسحوا بروسكم واغسلوا ارجلكم فلما لم يذكر الغسل وعطف الارجل على الروس في الظاهر اكتفى بقيام الدليل على ان الارجل مغسولة من مفهوم الاية والاحاديث الصحيحة الواردة بغسل الرجلين في الوضو واما من كسر اللام في الارجل على مجاورة اللفظ دون الحكم واستدل بقولهم جحر ضب خرب وقال الخرب نعت للجحر لا للضب وانما اخذ اعراب الضب للمجاورة فليس بجيد لان الكسر على المجاورة انما يحمل على الضرورة في الشعر ويصار اليه حيث يحصل الامن للالتباس لان الخرب لا يكون نعتا للضب بل للجحر ولان الكسر بالجوار انما يكون بدون حرف العطف اما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب وقوله تعالى الى الكعبين فيه

دليل

دليل قاطع على وجوب غسل الكعبين كما في قوله تعالى وايديكم الى المرافق والمعنى واغسلوا ارجلكم الى الكعبين وقد تقدم اختلاف العلما في ذلك عند قوله الى المرافق والكعبان هما العظمان الناشزان عند مفصل الساق والقدم هذا قول جمهور العلما من اهل الفقه واللغة وشذت الشيعة ومن قال بمسح الرجلين فقالوا الكعب عبارة عن عظم مستدير على ظهر القدم ويدل على بطلان هذا القول ان الكعب لو كان على ما ذكروه لكان في كل رجل كعبا واحدا فكان ينبغي ان يقال وارجلكم الى الكعاب كما في قوله وايديكم الى المرافق فلما قال الى الكعبين علم ان لكل رجل كعبان فبطل ما قالوه وثبت قول الجمهور

فصل قد تقدم ان الفروض المذكورة في هذه الاية اربعة وهي غسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح الراس وغسل الرجلين الى الكعبين وقد تقدم استدلال الشافعي بهذه الاية على وجوب النية في الوضو فصارت فرضا خامسا وذهب الشافعي ومالك واحمد الى وجوب الترتيب في الوضو وهو ان يغسل الاعضا في الوضو على الولا كما ذكر الله في هذه الاية فيغسل اولا وجهه ثم يديه ثم يمسح راسه ثم يغسل رجليه فصار الترتيب فرضا سادسا وذهب ابو حنيفة الى ان الترتيب في الوضو غير واجب احتج الشافعي على وجوب الترتيب بهذه الاية وذلك ان الله امر بغسل الوجه ثم بغسل اليدين ثم بمسح الراس ثم بغسل الرجلين فوجب ان يقع الفعل مرتبا كما امر الله ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث حجة الوداع ابدوا بما بدا الله وهذا الحديث وان ورد في قصة السعي بين الصفا والمروة فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولان افعال النبي صلى الله عليه وسلم في الوضو ما وردت الا مرتبة كما ورد في نص الاية ولم ينقل عنه ولا عن غيره من الصحابة انه توضا منكسا او غير مرتب فثبت ان ترتيب افعال الوضو كما امر الله ونص عليه في هذه الاية واجب واحتج ابو حنيفة لمذهبه بهذه الاية ايضا وذلك ان الواو لا توجب الترتيب فاذا قلنا بوجوب الترتيب صار ذلك زيادة على النص وذلك غير جايز واجيب عنه بانه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه توضا الا مرتبا كما ذكر وبيان الكتاب انما يوخذ من السنة

فصل في ذكر الاحاديث التي وردت في صفة الوضو وفضله

ق عن حمران مولى عثمان بن عفان ان عثمان دعا باناء فافرغ على كفيه ثلاث مرار فغسلهما ثم ادخل يمينه في الانا فمضمض واستنثر ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه الى المرفقين ثلاث مرار ثم مسح براسه ثم غسل رجليه ثلاث مرار الى الكعبين ثم قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم

توضا نحو وضوئي هذا ثم قال من توضا نحو وضوئي هذا ثم صلى
ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه ق عن عبد
الله بن زيد بن عاصم الانصاري قيل له توضا لنا وضوء رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدعا باناء فاكفا منه على يديه ثلاثا ثم ادخل
يده فاستخرجها فمضمض واستنشق من كف واحد ففعل ذلك ثلاثا
ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها
فغسل يديه الى المرفقين مرتين مرتين ثم ادخل يده فاستخرجها
فمسح براسه فاقبل بيديه وادبر ثم غسل رجليه الى الكعبين
ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد في رواية
بعد قوله فاقبل بيديه وادبر بدا بمقدم راسه ثم ذهب بهما الى قفاه
ثم ردهما حتى رجع الى المكان الذي بدا منه عن عبد خير قال اتانا
على كرم الله وجهه وقد صلى فدعا بطهور فقلنا ما يصنع بالطهور
وقد صلى ما يريد الا ليعلمنا فاتي باناء فيه ماء وطشت فافرغ من
الاناء على يمينه فغسل يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنثر ثلاثا
فمضمض ونثر من كف ياخذ منه ثم غسل وجهه ثلاثا وغسل يده
اليمنى ثلاثا وغسل الشمال ثلاثا ثم جعل يده في الاناء فمسح راسه
مرة واحدة ثم غسل رجله اليمنى ثلاثا ورجله الشمال ثلاثا
ثم قال من سره ان يعلم وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو
هذا اخرجه ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رجلا اتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف الطهور فدعا
بماء في اناء فغسل كفيه ثلاثا ثم غسل وجهه ثلاثا ثم غسل ذراعيه
ثلاثا ثم مسح براسه فادخل اصبعيه السباحتين في اذنيه ومسح بابهاميه
على ظاهر اذنيه ثم غسل رجليه ثلاثا ثم قال هكذا الوضوء فمن زاد
على هذا او نقص فقد اسا وظلم او قال ظلم واسا اخرجه ابو داود
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح براسه واذنيه
ظاهرهما وباطنهما اخرجه الترمذي وصححه ق عن ابي هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم راى رجلا لم يغسل عقبه فقال ويل للاعقاب
من النار م عن جابر قال اخبرني عمر بن الخطاب ان رجلا توضا فترك
موضع ظفر على قدمه فابصره النبي صلى الله عليه وسلم فقال
ارجع فاحسن وضوءك قال فرجع فتوضا ثم صلى اخرجه مسلم عن
خالد عن بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه
وسلم راى رجلا يصلي وفي قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الما
فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يعيد الوضوء والصلاة اخرجه

ابو داود ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص تخلف عنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم في سفرة سافرناها فادركنا وقد ارهقتنا الصلاة ونحن نتوضا
فجعلنا نمسح على ارجلنا فنادى باعلى صوته ويل للاعقاب من النار مرتين
او ثلاثا عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم توضا مرة مرة اخرجه
البخاري عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم توضا مرتين مرتين
اخرجه ابو داود والترمذي وقال وقد روي عن ابي هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم توضا ثلاثا ثلاثا عن عقبة بن عامر قال كانت
علينا رعاية الابل فجاءت نوبتي ارعاها فروحتها بعشي فادركت
رسول الله صلى الله عليه وسلم قايما يحدث الناس فادركت من قوله
ما من مسلم يتوضا فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين يقبل عليهما
بقلبه ووجهه الا وجبت له الجنة فقلت ما اجود هذا فاذا قايل بين
يدي يقول التي قبلها اجود فنظرت فاذا عمر بن الخطاب فقال
اني قد رايتك انفا جيت قال ما منكم من احد يتوضا فيبلغ الوضوء
او يسبغ الوضوء ثم يقول اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
واشهد ان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية
يدخل من ايها شاء م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا توضا العبد المسلم او المومن فغسل وجهه خرج من وجهه
كل خطيئة نظر اليها بعينه مع الما او مع اخر قطر الما فاذا غسل
يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الما او مع اخر قطر
الما فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الما او مع
اخر قطر الما حتى يخرج نقيا من الذنوب ق عن نعيم بن عبد الله المجمر
عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان امتي يدعون يوم
القيامة غرا محجلين من اثار الوضوء فمن استطاع منكم ان يطيل غرته
فليفعل وفي رواية قال رايت ابا هريرة يتوضا فغسل وجهه فاسبغ
الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى اشرع في العضد ثم غسل يده اليسرى
حتى اشرع في العضد ثم مسح راسه ثم غسل رجله اليمنى حتى اشرع
في الساق ثم غسل رجله اليسرى حتى اشرع في الساق ثم قال لي
هكذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضا وقال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انتم الغر المحجلون يوم القيمة من اسباغ
الوضوء فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله وفي رواية لمسلم قال
سمعت خليلي صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ الحلية من المومن
حيث يبلغ الوضوء عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من توضا على طهر كتب له عشر حسنات اخرجه الترمذي عن ابي

هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لا وضوء
له ولا وضوء لمن لم يذكر الله عليه اخرجه ابو داود وابن ماجة وقوله
تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا اي اغتسلوا امر الله بالاغتسال من
الجنابة وذلك يجب على الرجل والمراة باحد شيئين اما بخروج المني
على اي صفة كان من احتلام او غيره او بالتقا الختانين وان لم
يكن معه انزال فاذا حصل وجب الغسل ق عن عايشة ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اذا اغتسل من الجنابة بدا فغسل يديه
ثم يفرغ بيمينه على شماله فيغسل فرجه ثم يتوضا كما يتوضا
للصلاة ثم يدخل اصابعه في الما يخلل بها اصول شعره ثم يصب
على راسه ثلاث غرفات بيده ثم يفيض الما على ساير جسده
اما قوله تعالى وان كنتم مرضى او على سفر او جا احد منكم من الغايط
او لامستم النسا فلم تجدوا ما فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم
وايديكم منه فقد تقدم تفسيره واحكامه في تفسير سورة النسا وفي
قوله تعالى منه دليل على انه يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد
وهو التراب وقوله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج يعني
من ضيق مما فرض عليكم من الوضو والغسل والتيمم عند عدم الما
ولكن يريد ليطهركم يعني من الاحداث والذنوب والخطايا لان
الوضو تكفير للذنوب وليتم نعمته عليكم يعني ببيان الشرايع
والاحكام وما تحتاجون اليه من امر دينكم لعلكم تشكرون يعني
تشكرون نعمته عليكم بان طهركم من الاحداث والذنوب وما جعل
عليكم في الدين من حرج قوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم يعني
ما انعم به عليكم من النعم كلها لان كثرة النعم وذكرها يوجب مزيد
الشكر من المنعم عليه والاشتغال بطاعة المنعم بها والانقياد
لامره وهو الله تعالى وميثاقه الذي واثقكم به يعني واذكروا
عهده الذي عاهدكم به ايها المومنون اذ قلتم سمعنا واطعنا وذلك
حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة
فيما احبوا وكرهوا وقيل الميثاق هو الذي اخذه عليهم في يوم
الست بربكم قالوا واتقوا الله يعني فيما اخذه عليكم من الميثاق
فلا تنقضوه ان الله عليم بذات الصدور يعني انه تعالى عالم
بما في قلوب عباده من خير او شر قوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا كونوا قوامين لله قال ابن عباس يريد انهم يقومون
لله بحقه ومعنى ذلك هو ان يقوم لله بالحق في كل ما يلزمه القيام
به من العمل بطاعته واجتناب نواهيه شهدا بالقسط يعني ويشهدون

بالعدل

بالعدل يقول لا تحاب في شهادتك اهل ودك وقرابتك ولا تمنع
شهادتك اهل بغضك واعدايك بل اقم شهادتك لهم وعليهم بالصدق
والعدل ولا يجرمنكم شنان قوم ولا يحملنكم بغض قوم على ان لا تعدلوا
على ترك العدل فيهم لعداوتهم اعدلوا امر الله بالعدل في كل احد
القريب والبعيد والصديق والعدو هو اقرب للتقوى اي العدل
اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون يعني انه تعالى خبير
بجميع اعمالكم مطلع عليها وخبير بمن عدل وبمن لم يعدل قوله تعالى
وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات يعني عملوا بما امرهم الله
واوفوا بالعهود التي عاهدهم عليها لهم مغفرة واجر عظيم
هذا بيان للوعد كانه لما تقدم ذكر الوعد فقيل اي شي هذا الوعد
فقال لهم مغفرة واجر عظيم واذا وعدهم انجز لهم الوعد فانه
تعالى لا يخلف الميعاد والذين كفروا وكذبوا باياتنا يعني والذين
جحدوا وحدانية الله ونقضوا عهوده ومواثيقه وكذبوا بما جات
به الرسل من عنده اوليك يعني من هذه صفته اصحاب الجحيم
هذه الاية نص قاطع في ان الخلود في النار ليس الا للكفار لان المصاحبة
تقتضي الملازمة كما يقال فلان صاحب فلان يعني الملازم له قوله
عز وجل يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم يعني اذكروا نعمة
الله عليكم بالدفع عنكم مع ساير نعمه التي انعم بها عليكم ثم وصف
تلك النعمة التي ذكرهم بها وامرهم بالشكر عليها فقال تعالى
اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم يعني بالقتل والبطش بكم فصرفهم
عنكم وحال بينكم وبين ما ارادوه بكم ثم اختلف اهل التفسير في سبب
نزول هذه الاية وفي صفة هذه النعمة التي امر الله تعالى اصحاب نبيه
صلى الله عليه وسلم بذكرها والشكر عليها فقال قتادة نزلت هذه
الاية ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة حين اراد بنو ثعلبة
وبنو محارب ان يفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وباصحابه اذا
اشتغلوا بالصلاة فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك
وانزل صلاة الخوف وقال حسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
محاصرا غطفان بنخل فقال رجل من المشركين هل لكم ان اقتل محمدا قالوا
وكيف تقتله قال افتك به قالوا وددنا انك فعلت ذلك فاتى النبي
صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم متقلد سيفه فقال
يا محمد ارني سيفك فاعطاه اياه فجعل يهز السيف وينظر اليه مرة
والى النبي صلى الله عليه وسلم مرة ثم قال من يمنعك مني يا محمد قال
الله فتهدده اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغمد السيف

ومضى فانزل الله هذه الاية وقال مجاهد وعكرمة والكلبي بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو الساعدي وهو احد
النقبا ليلة العقبة في ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار الى
بني عامر بن صعصعة فخرجوا فلقوا عامر بن الطفيل على بير معونة
وهي من مياه بني عامر فاقتتلوا فقتل المنذر واصحابه الا ثلاثة
نفر كانوا في طلب ضالة لهم احدهم عمرو بن امية الضمري فلم يرعهم
الا والطير تحوم في السما يسقط من بين مناقيرها علق الدم فقال
احد النفر الثلاثة قتل اصحابنا ثم تولى يشتد حتى لقي رجلا من
المشركين فاختلفا ضربتين فلما خالطته الضربة رفع راسه الى
السما وفتح عينيه فقال الله اكبر الجنة ورب العالمين ورجع صاحباه
فلقيا رجلين من بني سليم وكان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين
قومهما موادعة فانتسبا الى بني عامر فقتلاهما وقدم قومهما الى النبي
صلى الله عليه وسلم يطلبون الدية فخرج النبي صلى الله عليه وسلم
ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى
دخلوا على كعب بن الاشرف وبني النضير يستعينهم في عقلهما وكانوا
قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم على ترك القتال وعلى ان يعينوه
في الديات وقيل انه اراد ان يستقرض منهم دية رجلين فقالوا نعم يا ابا
القاسم قد ان لك ان تاتينا وتسالنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونعطيك
الذي سالت فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فخلا
بعض اليهود ببعض وقالوا انكم لن تجدوا محمدا اقرب منه الان فمن
يظهر منكم على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه فقال عمر
ابن جحاش انا فعمد الى رحا عظيمة ليطرحها على النبي صلى الله عليه وسلم
فامسك الله يده ونزل جبريل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
فخرج النبي صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة وقال وخرج معه
علي بن ابي طالب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي لا تبرح مكانك
حتى يخرج اليك اصحابي فمن خرج اليك منهم وسالك عني فقل توجه الى
المدينة ففعل ذلك علي حتى تناهوا اليه ثم تبعوه الى المدينة وانزل
الله هذه الاية يايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان
يبسطوا اليكم ايديهم يعني اليهود ان يبسطوا اليكم ايديهم يقال بسط يده اليه اذا بطش به
وهو اذا مدها الى المبطوش به ليقتله **فكف ايديهم عنكم** يعني انه تعالى
منعهم مما ارادوه بكم **واتقوا الله** يعني فيما امركم به ونهاكم عنه **وعلى الله
فليتوكل المؤمنون** امر الله المومنين بالتوكل عليه لانه هو الكافي عباده
جميع امورهم فاذا فعلوا ذلك وتوكلوا عليه حفظهم ورعاهم ممن ارادهم

عز وجل صح

بسوء كما كف ايدي اليهود عنهم لما ارادوا ان يفتكوا بهم وهذه القصة
اولى بالصواب لانه عقب الاية بذم اليهود وذكر قبيح افعالهم وخيانتهم
وذلك قوله تعالى **ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرايل** لما ذكر الله في
الاية المتقدمة بعض غدرات اليهود وما ارادوا به من كيد رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه اتبعه بذكر اسلافهم وما نقضوه من المواثيق
والعهود ومعنى الاية ان الله اخذ ميثاقهم ان يعبدوه ولا يشركوا
به شيا وان يعملوا بما في التورية من الاحكام والتكاليف **وبعثنا منهم
اثني عشر نقيبا** اختلف العلما في معنى النقيب فقال ابن عباس النقيب
الضمين وقال قتادة هو الشهيد على قومه وقيل هو الامين الكفيل وقيل
هو الباحث عن القوم وعن احوالهم ذكر القصة في ذلك قال
اصحاب الاخبار والسير ان الله عز وجل وعد موسى عليه السلام ان
يورثه وقومه الارض المقدسة وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون
فامر الله موسى ان يسير ببني اسرايل الى الارض المقدسة فاني قد
كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فاني
ناصرك عليهم وخذ من قومك اثني عشر نقيبا من كل سبط نقيبا
يكون كفيلا على قومه بالوفا منهم على ما امروا به فاختار موسى النقبا
وسار بني اسرايل حتى قربوا من اريحا وهي مدينة الجبارين فبعث
هولا النقبا يتجسسون له الاخبار ويعلمون علمها فلقيهم رجل من
الجبارين يقال له عوج بن عناق وعناق هي امه وهي احدى بنات
ادم عليه السلام وكان طوله ثلاثة الاف ذراع وثلثماية وثلاثة
وثلاثون ذراعا وثلث ذراع هكذا نقله البغوي وفيه نظر لان ادم
عليه السلام كان طوله على ما ورد في الاحاديث الصحيحة ستون
ذراعا قال وكان عوج يحتجز بالسحاب ويشرب من مايه ويتناول
الحوت من قعر البحر ويشويه في عين الشمس ويروى ان الما لما طبق
على الارض من جبل وغيره ما بلغ ركبتي عوج وقال لنوح عليه السلام
احملني معك في سفينتك فقال نوح اخرج عني يا عدو الله فاني
لم اومر بك وعاش عوج ثلاثة الاف سنة حتى اهلكه الله على يد
موسى عليه السلام وذلك انه قد اقتلع صخرة من الجبل على قدر
عسكر موسى وكان فرسخا في فرسخ وحملها على راسه ليطبقها عليهم
فبعث الله الهدهد فنقب الصخرة وقورها بمنقاره فوقعت في عنقه
فصرعته واقبل موسى عليه السلام وهو مصروع فقتله قال فلما لقي
عوج النقبا فاخذهم وجعلهم في حجزته وكان على راسه حزمة حطب
وانطلق بهم الى امراته وقال لها انظري الى هولا الذين يريدون قتالنا

وطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلي فقالت امراته بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما راوا وقيل انه جعلهم في كمه واتى بهم الى الملك فنثرهم بين يديه فقال لهما الملك ارجعوا الى قومكم فاخبروهم بما رايتم وكان مما راوا ان العنقود من العنب لا يحمله الا خمسة انفس منهم بينهم في خشبة ويدخل في شطر الرمانة اذا انزع حبها خمسة انفس فرجع النقبا وقال بعضهم لبعض يا قوم انكم ان اخبرتم بني اسرايل خبر القوم رجعوا عن نبي الله موسى ولا يقاتلونهم معه اكتموا عن بني اسرايل خبر القوم واخبروا موسى وهارون بما رايتم فيريان رايهما فاخذ بعض النقبا على بعض الميثاق بذلك فلما رجعوا الى بني اسرايل نكثوا العهد والميثاق واخبر كل رجل سبطه بما راى الا رجلان منهم وهم يوشع بن نون وكالب بن يوفنا فانهما وفيا بالعهد ولم ينكثا الميثاق فذلك قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرايل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا **وقال الله اني معكم** فيه حذف تقديره وقال للنقبا اني معكم يعني بالنصر والمعونة وقيل هو خطاب لعامة بني اسرايل والقول الاول اولى لان الضمير يعود الى اقرب مذكور فكان عوده الى النقبا اولى ثم ابتدا الكلام فقال مخاطبا لبني اسرايل لين اقمتم الصلاة وهذه جملة شرطية فالشرط مركب من خمسة امور وهي قوله تعالى **لين اقمتم الصلاة واتيتم الزكاة وامنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا** وجزا الشرط قوله تعالى **لاكفرن عنكم سياتكم** فذلك اشارة الى ازالة العقاب وقوله تعالى **ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار** اشارة الى ايصال الثواب ومعنى الاية لين اقمتم الصلاة المكتوبة واتيتم الزكاة المفروضة وامنتم برسلي يعني بجميع رسلي وانما اخر ذكر الايمان بالرسل لان اليهود كانوا مقرين باقام الصلاة وايتا الزكاة والايمان ببعض الرسل فقال الله لهم انه لا يتم لكم ذلك ولا يحصل المقصود الا بالايمان بجميع الرسل وقوله تعالى وعزرتموهم يعني ونصرتموهم واصل التعزير في اللغة الردع يعني وعزرتموهم نصرتموهم بان تردوا اعداهم عنهم وقيل معناه ووقرتموهم وعظمتموهم والقول هو الاول واقرضتم الله قرضا حسنا يعني به الصدقات المندوبة لان الزكاة تقدم ذكرها فلا فايدة في تفسير هذا القرض بالزكاة **فان قلت** كيف قال واقرضتم الله قرضا حسنا لان مصدر اقرضتم الاقراض **قلت** ان قوله قرضا اخرج مصدرا من معناه لا من لفظه وذلك ان اقرض بمعنى قرض فكان معنى الكلام واقرضتم الله فقرضتم قرضا حسنا ونظير

ذلك

ذلك قوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا اذ كان معناه فنبتم نباتا وقوله تعالى لاكفرن عنكم سياتكم يعني اذا فعلتم ساير ما امرتكم به لامحون عنكم سياتكم واغفرها لكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار **فمن كفر بعد ذلك منكم** يعني بعد اخذ العهد والميثاق **فقد ضل سوا السبيل** يعني فقد اخطا الطريق المستقيمة وهو طريق الدين الذي شرعه والهدي امر باتباعه قوله تعالى **فبما نقضهم ميثاقهم** اي بسبب نقضهم الميثاق وذلك ان بني اسرايل نقضوا ميثاق الله وعهده بان كذبوا الرسل الذي جاوا من بعد موسى وقتلوا انبيا الله ونبذوا كتابه وضيعوا فرايضه **لعناهم** يعني جازيناهم على ذلك بان ابعدناهم وطردناهم عن رحمتنا واصل اللعنة الابعاد عن الرحمة **وجعلنا قلوبهم قاسية** يعني غليظة يابسة لا تلين لان القسوة خلاف اللين والرقة وقيل معناه ان قلوبهم ليست خالصة الايمان بل ايمانهم مشوب بالكفر والنفاق **يحرفون الكلم عن مواضعه** يعني يغيرون حدود التورية واحكامها وقيل هو تبديلهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته من التوراة وقيل هو تحريفهم معاني الالفاظ بسوء التاويل **ونسوا حظا مما ذكروا به** يعني وتركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته وصفته **ولا تزال تطلع على خاينة منهم** قال ابن عباس يعني على معصية منهم وكانت خيانتهم نقض العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهمهم بقتله وسمه ونحوها من خياناتهم التي ظهرت **الا قليلا منهم** يعني انهم لم يخونوا ولم ينقضوا العهد وهم عبد الله بن سلام واصحابه الذين اسلموا من اهل الكتاب **فاعف عنهم واصفح** اي فاعف عن زلاتهم يا محمد واصفح عن جرمهم وعن مواخذتهم وهذا الامر بالعفو والصفح عن اهل الكتاب منسوخ بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر الاية التي في سورة براة قاله قتادة وقيل انها غير منسوخة بل نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهدا فغدروا ونقضوا ذلك العهد فاظهر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وانزل هذه الاية ولم تنسخ وذلك انه يجوز ان يعفوا عن غدرة فعلوها ما لم ينصبوا حربا ولم يمتنعوا من ادا الجزية والصغار وعلى هذا القول بانها غير منسوخة يكون معنى الاية فاعف عن مومنهم ولا تواخذهم بما سلف منهم قبل ذلك وقيل معناه فاعف عن صغاير زلاتهم ما داموا باقين على العهد ان الله يحب المحسنين يعني اذا عفوت عنهم فانك محسن والله يحب المحسنين قوله

عز وجل ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم لما ذكر الله نقض
اليهود الميثاق اتبعه بذكر نقض النصارى الميثاق وان سبيل النصارى
مثل سبيل اليهود في نقض الميثاق وانما قال تعالى من الذين قالوا
انا نصارى ولم يقل من النصارى لانهم الذين ابتدعوا هذا الاسم
وسموا به انفسهم لان الله تعالى سماهم به اخذنا ميثاقهم يعني
كتبنا عليهم في الانجيل ان يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فنسوا حظا
مما ذكروا به يعني فتركوا ما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم فاغرينا يعني اوقعنا بينهم العداوة والبغضا الى يوم القيمة
وقال قتادة لما تركوا العمل بكتاب الله وعصوا رسله وضيعوا
فرايضه وعطلوا حدوده القى العداوة والبغضا بينهم وقيل العداوة
والبغضا هي الاهوا المختلفة وفي الها والميم من قوله تعالى بينهم
قولان احدهما ان المراد بهم اليهود والنصارى فان العداوة والبغضا
حاصلة بينهم الى يوم القيمة والقول الثاني ان المراد بهم فرق النصارى
فان كل فرقة منهم تكفر الاخرى وسوف ينبيهم الله بما كانوا يصنعون
يعني الله تعالى يخبرهم في الاخرة باعمالهم التي عملوها في الدنيا ففيه
وعيد وتهديد لهم قوله عز وجل يا اهل الكتاب يعني
اليهود والنصارى قد جاكم رسولنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب يعني ان محمدا صلى الله عليه
وسلم يظهر كثيرا مما اخفوا وكتموا من احكام التورية والانجيل وذلك
انهم اخفوا اية الرجم وصفة محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك
ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ذلك واظهره وهذا
معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرا كتابهم ولم يعلم ما فيه
فكان اظهاره ذلك معجزة له ويعفوا عن كثير يعني مما يكتمونه
فلا يتعرض له ولا يواخذهم به لانه لا حاجة الى اظهاره والفايدة
في ذكر ذلك انهم يعلمون كون النبي صلى الله عليه وسلم عالما بما
يخفونه وهو معجزة له ايضا فيكون ذلك داعيا لهم الى الايمان
به قد جاكم من الله نور يعني محمدا صلى الله عليه وسلم انما سماه
الله نورا لانه يهتدي به كما يهتدى بالنور في الظلام وقيل النور
هو الاسلام وكتاب مبين يعني القران يهدي به الله يعني يهدي
الله بالكتاب المبين من اتبع رضوانه اي اتبع ما رضيه الله وهو دين
الاسلام لانه مدحه واثنى عليه سبل السلام قال ابن عباس يريد
دين الله وهو الاسلام وسبيله دينه الذي شرع لعباده وبعث
به رسله وامر عباده باتباعه وقيل سبل السلام طرق السلامة

وقيل سبل السلم دار السلام فيكون من باب حذف المضاف ويخرجهم
من الظلمات الى النور يعني من ظلمات الكفر الى نور الايمان باذنه
يعني بتوفيقه وهدايته ويهديهم الى صراط مستقيم يعني دين الاسلام
قوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم
قال ابن عباس هولا نصارى نجران فانهم قالوا هذه المقالة وهو
مذهب اليعقوبية والملكانية من النصارى انهم يقولون ان
المسيح انه الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وانما قالوا هذه
المقالة الخبيثة لانهم يقولون بالحلول وان الله قد حل في بدن عيسى
فلما كان اعتقادهم ذلك لا جرم حكم الله عليهم بالكفر ثم ذكر
الله ما يدل على فساد مذهبهم فقال تعالى قل يعني يا محمد لهولا
النصارى الذين يقولون هذه المقالة فمن يملك لكم يعني يقدر ان
يدفع من الله شيا يعني من امر الله شيا ان اراد ان يهلك المسيح
ابن مريم وامه يعني يعدم المسيح وامه ومن في الارض جميعا ووجه
الاحتجاج على النصارى بهذا ان المسيح لو كان الها كما يقولون
لقدر على دفع امر الله اذا اراد اهلاكه واهلاك امه وغيرها
ولله ملك السموات والارض وما بينهما انما قال وما بينهما ولم
يقل وما بينهن لانه اراد وما بين هذين النوعين او الصنفين
من الاشيا فانها ملكه واهلها عبيده وعيسى وامه من جملة
عبيده يخلق ما يشا يعني من غير اعتراض عليه فيما يخلق لانه خلق
ادم من غير اب وام وخلق عيسى من ام بلا اب وخلق ساير الخلق
من اب وام والله على كل شي قدير يعني انه تعالى لا يعجزه شي اراده فلا
اعتراض لاحد من خلقه عليه قوله تعالى وقالت اليهود والنصارى
نحن ابنا الله واحباوه قال ابن عباس اتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم نعمن وابن اصار وبحرى بن عمرو وشاس بن عدي فكلموه وكلمهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الله وحذرهم نقمته فقالوا
ما تخوفنا نحن والله ابنا الله واحباوه كقول النصارى فانزل الله
عز وجل فيهم وقالت اليهود والنصارى نحن ابنا الله واحباوه الاية
وسبب هذه المقالة ما حكاه السدي قال اما اليهود فانهم قالوا
ان الله اوحى الى بني اسرايل ان ولدك بكري من الولد فادخلهم النار
فيكونون فيها اربعين يوما حتى تطهرهم وتاكل خطاياهم ثم ينادي
مناد ان اخرجوا كل مختون من ولد اسرايل فاخرجهم فذلك قوله
لن تمسنا النار الا اياما معدودات واما النصارى فان فرقا
منهم يقولون المسيح ابن الله وكذبوا فيما قالوا على الله تعالى فاما

وجه قول اليهود فانهم يعنون انه من جذبه وعطفه عليهم كالاب
الشفيق على الولد واما وجه قول النصارى فانهم لما قالوا في المسيح
انه ابن الله وادعوا انه منهم فكانهم قالوا نحن ابناء الله لهذا السبب
وقيل ان اليهود انما قالوا هذه المقالة من باب حذف المضاف والمعنى
نحن ابناء رسول الله واما النصارى فانهم تاولوا قول المسيح اذهب
الى ابي وابيكم وقوله اذا صليتم فقولوا ابانا الذي في السما
لتقدس اسمك فذهبوا الى ظاهر هذه المقالة ولم يعلموا ما اراد
المسيح عليه السلام ان صحت هذه المقالة عنه فان تاويلها
انه في بره ورحمته وعطفه على عباده الصالحين كالاب الرحيم
لولده وجملة الكلام في ذلك ان اليهود والنصارى كانوا يرون
لانفسهم فضلا على من سواهم بسبب اسلافهم الافاضل حتى
انتهوا في تعظيم انفسهم الى ان قالوا هذه المقالة نحن ابناء الله واحباؤه
فابطل الله عز وجل دعواهم وكذبهم فيما قالوا بقوله تعالى قل فلم
يعذبكم بذنوبكم معناه ان كان الامر على ما تزعمون فلم يعذبكم الله
وانتم قد اقررتم على انفسكم انه يعذبكم اربعين يوما وهل رايتم
والدا يعذب ولده بالنار وهل تطيب نفس محب ان يعذب حبيبه
في النار بل انتم بشر ممن خلق يعني بل انتم يا معشر اليهود والنصارى
كساير بني ادم مجزيون بالاساة والاحسان وقوله تعالى يغفر لمن يشا
يعني لمن تاب من اليهودية والنصرانية ويعذب من يشا يعني من
مات على اليهودية والنصرانية وقيل معناه يهدي من يشا فيغفر
له ويميت من يشا على كفره فيعذبه ولله ملك السموات والارض
وما بينهما يعني انه تعالى يملك ذلك لا شريك له في ذلك فيعارضه
وهو الذي يملك المغفرة لمن يشا والتعذيب لمن يشا وفيه دليل
على انه تعالى لا ولد له لان من يملك السموات والارض يستحيل ان يكون
له شبيه من خلقه او شريك في ملكه واليه المصير يعني والى الله مرجع
العباد في الاخرة فيجازيهم باعمالهم قوله تعالى يا اهل الكتاب قد
جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل قال ابن عباس قال معاذ
ابن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب لليهود يا معشر اليهود اتقوا
الله فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله لقد كنتم تذكرونه لنا قبل
مبعثه وتصفونه لنا بصفته فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهودا
ما قلنا هذا لكم وما انزل الله من كتاب بعد موسى ولا ارسل بشيرا
ولا نذيرا بعده فانزل الله هذه الاية يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يبين لكم يعني احكام الدين والشرايع

على فترة من الرسل قال ابن عباس يعني على انقطاع من الرسل
واختلف العلماء في قدر مدة الفترة فروي عن سلمان قال فترة ما بين
عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستماية سنة اخرجه البخاري وقال قتادة
كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستماية سنة وما شا
الله من ذلك وعنه انها خمسماية سنة وستون سنة وقال ابن السايب
خمسماية واربعون سنة وقال الضحاك اربعماية وبضع وثلاثون سنة
ونقل ابن الجوزي عن ابن عباس على فترة من الرسل قال على انقطاع
منهم قال وكان بين ميلاد عيسى ومولد محمد صلى الله عليه وسلم خمسماية
سنة وتسعة وستون سنة وهي الفترة وكان بين عيسى ومحمد بعد عيسى
اربعة من الرسل فذلك قوله عز وجل اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما
فعززنا بثالث قال والرابع لا ادري من هو فكانت تلك سنين ماية
واربع وثلاثون سنة بنوة وساير ها فترة قال ابو سليمان الدمشقي
والرابع والله اعلم خالد بن سنان الذي قال فيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم نبي ضيعه قومه قال الامام فخر الدين الرازي والفايدة
في بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عند فترة الرسل هي ان التحريف والتغيير
كان قد تطرق الى الشرايع المتقدمة لتقادم عهدها وطول ازمانها
وسبب ذلك اختلاط الحق بالباطل والكذب بالصدق فصار ذلك
عذرا ظاهرا في اعراض الخلق عن العبادات لان لهم ان يقولوا الهنا
عرفنا انه لا بد من عبادتك ولكنا ما عرفنا كيف نعبدك فبعث الله
عز وجل في هذا الوقت محمدا صلى الله عليه وسلم ازالة لهذا العذر
فذلك قوله عز وجل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير يعني لئلا
تقولوا وقيل معناه كراهية ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير في هذا
الوقت فقد جاءكم بشير ونذير يعني فقد ارسلت اليكم محمدا صلى الله
عليه وسلم لازالة اهل العذر والله على كل شي قدير يعني انه تعالى
قادر على بعثة الرسل في وقت الحاجة اليهم قوله عز وجل واذ قال
موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم قال ابن عباس اذكروا
عافية الله وقيل معناه اذكروا ايادي الله عندكم وايامه التي انعم
بها عليكم قال الطبري وهذا تعريف من الله لنبيه محمد صلى الله عليه
وسلم قديم تمادي هولاء اليهود في الغي وبعدهم عن الحق وسوء
اختيارهم لانفسهم وشدة مخالفتهم لانبيايهم مع كثرة نعم الله عليهم
وتتابع اياديه والايه لديهم وتسليا بذلك نبيه محمدا صلى الله عليه
وسلم عما نزل به من مقاساتهم ومعالجتهم في ذات الله عز وجل اذ
جعل فيكم انبيا يعني ان موسى عليه السلام ذكر قومه بني اسرايل بايام

الله عدوهم وبما انعم به عليهم فقال اذكروا نعمة الله عليكم ان فضلكم
بان جعل فيكم انبيا قال الكلبي هم السبعون الذين اختارهم موسى من
قومه وانطلق بهم الى الجبل وايضا فان بني اسرايل هم من اولاد يعقوب
ابن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وهولا لاشك انهم من اكابر الانبيا
واولاد يعقوب وهم الاسباط انبيا على قول الاكثرين وموسى وهرون
عليهما السلام وايضا فان الله تعالى اعلم موسى انه يبعث من بعده
في بني اسرايل انبيا فانه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرايل من الانبيا
فكان هذا شرفا عظيما لهم ونعمة ظاهرة عليهم وجعلكم ملوكا يعني
وجعلكم احرارا تملكون انفسكم بعد ان كنتم عبيدا في ايدي القبط
قال ابن عباس يعني جعلكم اصحاب خدم وحشم قال قتادة كانوا اول
من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم وروي عن ابي سعيد الخدري عن
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان بنوا اسرايل اذا كان لاحدهم خادم
وامراة ودابة يكتب ملكا ذكره البغوي بغير سند وسال رجل عبد الله
ابن عمرو بن العاص فقال السنا من فقرا المهاجرين فقال له عبد الله
الك امراة تاوي اليها قال نعم قال الك مسكن تسكنه قال نعم قال
انت من الاغنيا قال فان لي خادما قال فانت من الملوك وقال
الضحاك كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية ومن كان مسكنه
واسعا وفيه ما جار فهو ملك واتاكم ما لم يوت احدا من العالمين
يعني من عالمي زمانكم يذكرهم ما انعم الله به عليهم من فلق البحر لهم
واهلاك عدوهم وانزال المن والسلوى عليهم واخراج الما من الحجر
لهم وتظليل الغمام فوقهم الى غير ذلك من النعم التي انعم الله بها
عليهم قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم
لما ذكر قوم موسى ما انعم الله به عليهم امرهم بالخروج الى جهاد
عدوهم فقال يا قوم ادخلوا الارض المقدسة يعني المطهرة سميت
مقدسة لانها طهرت من الشرك وصارت مسكنا للانبيا والمومنين
وقيل المقدسة المباركة قال الكلبي صعد ابراهيم صلى الله عليه وسلم
جبل لبنان فقيل له انظر فما ادرك بصرك فهو مقدس وهو ميراث
لذريتك والارض هي الطور وما حوله وقيل هي اريحا وفلسطين وبعض
الاردن وقيل هي دمشق وقيل هي الشام كلها قال كعب الاحبار وجدت
في كتاب الله المنزل ان الشام كنز الله في ارضه وبها اكثر عباده التي
كتب الله لكم يعني كتب الله لكم في اللوح المحفوظ انها لكم مساكن وقيل
فرض عليكم دخولها وامركم بسكناها وقيل وهبها لكم فان قلت
كيف قال الله تعالى ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم وقوله

فانها

فانها محرمة عليهم وكيف الجمع بينهما قلت فيه وجوه احدها انها
كانت هبة من الله ثم حرمها الله عليهم بشوم تمردهم وعصيانهم الوجه
الثاني ان اللفظ وان كان عاما لكن المراد منه الخصوص فصار كانه مكتوب
لبعضهم وحرام على بعضهم فان يوشع بن نون وكالب بن يوقنا دخلاها
وكانا ممن خوطب بهذا الخطاب اليهود الوجه الثالث ان هذا الوعد
كان مشروطا بالطاعة فلما لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط الوجه
الرابع انه قال محرمة عليهم اربعين سنة فلما مضت الاربعون دخلوها
وصارت مساكن لهم كما وعدهم الله تعالى وقوله تعالى ولا ترتدوا على
ادباركم يعني ولا ترجعوا القهقرى مرتدين على اعقابكم الى ورائكم ولكن
امضوا الامر الله الذي امركم به وان تفعلتم خلاف ما امركم الله به
فتنقلبوا خاسرين يعني فترجعوا خايبين لانكم رديتم امر الله قوله
عز وجل قالوا يعني قوم موسى يا موسى ان فيها يعني في الارض
المقدسة قوما جبارين يعني قوما عاتين لا طاقة لنا بهم ولا قوة لنا
بقتالهم وسموا اوليك القوم جبارين لشدة بطشهم وعظم خلقتهم
وكانوا ذو اجسام عظيمة واشكال هايلة وهم من العمالقة بقية قوم
عاد واصل الجبار في صفة الانسان فعال من جبره على الامر بمعنى
اجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد وقيل انه
ماخوذ من قولهم نخلة جبارة اذا كانت طويلة مرتفعة لا تصل الايدي
اليها ويقال رجل جبار اذا كان طويلا عظيما قويا تشبيها بالجبار من
النخل وانا لن ندخلها يعني ارض الجبارين التي امرهم الله بدخولها
حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها حتى يخرج الجبارون من الارض المقدسة
وانما قالوا ذلك استبعادا لخروج الجبارين من ارضهم فانا داخلون
يعني اليها قال العلما بالاخبار ان النقبا لما خرجوا يتجسسون الاخبار
لموسى عليه السلام فلما رجعوا الى موسى اخبروه خبر القوم وما عاينوه
منهم قال لهم موسى عليه السلام لا تخبروا بني اسرايل بهذا فيجبنوا
ويضعفوا عن قتالهم وقيل ان النقبا الاثني عشر لما خرجوا من ارض
الجبارين قال بعضهم لبعض لا تخبروا بني اسرايل بما رايتم فلما رجعوا
واخبروا موسى امرهم ان لا يخبروا بني اسرايل بذلك فخالفوا امره ونقضوا العهد
واخبر كل رجل من النقبا سبطه بما راى الا يوشع بن نون وكالب فانهما كتما
ووفيا بالعهد فلما علم ذلك بنوا اسرايل وفشا ذلك فيهم رفعوا اصواتهم
بالبكا وقالوا ليتنا متنا في ارض مصر ولا يدخلنا الله ارضهم فتكون نسانا
واولادنا واموالنا غنيمة لهم وجعل الرجل من بني اسرايل يقول لصاحبه
تعالوا نجعل لنا راسا وننصرف الى مصر فلما قالوا قال بنوا اسرايل ذلك

وهموا بالانصراف الى مصر خرج موسى وهارون ساجدين وخرق يوشع وكالب
ثيابهما وهما اللذان اخبر الله عنهما بقوله تعالى قال رجلان من الذين
يخافون يعني يخافون الله ويراقبونه انعم الله عليهما يعني بالهداية
والوفا بالعهد ادخلوا عليهم الباب يعني قال الرجلان وهما يوشع بن
نون وكالب بن يوقنا لبني اسرايل ادخلوا على الجبارين باب مدينتهم
فاذا دخلتموه فانكم غالبون لان الله وعدكم بالنصر وان الله منجز لكم
وعده وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين يعني يقول الرجلان لقوم موسى
ثقوا بالله فانه معكم وناصركم ان كنتم مصدقين بان الله ناصركم ولا
يهولنكم عظم اجسامهم فانا قد رايناهم وكانت اجسامهم عظيمة وقلوبهم
ضعيفة فلما قالا ذلك اراد بنوا اسرايل ان يرجموهما بالحجارة وعصوا
امرهما وقالوا ما اخبر عنهم بقوله تعالى قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا
يعني قال قوم موسى لموسى انا لن ندخل مدينة الجبارين ابدا يعني
مدة حياتنا ما داموا فيها يعني مقيمين فيها فاذهب انت وربك
فقاتلا انا هاهنا قاعدون انما قالوا هذه المقالة لان مذهب اليهود
التجسيم فكانوا يجوزون الذهاب والمجي على الله تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا قال بعض العلما ان كانوا قالوا هذا على وجه الذهاب من مكان
الى مكان فهو كفر وان كانوا قالوه على وجه الخلاف لامر الله وامر
نبيه فهو فسق وقال بعضهم انما قالوه على وجه المجاز والمعنى اذهب
انت وربك معين لك لكن قوله فقاتلا يفسد هذا التاويل وقال بعضهم
اراد بقولهم وربك اخاه هارون لانه كان اكبر من موسى والاصح
انما قالوا ذلك جهلا منهم بالله تعالى وصفاته ومنه قوله تعالى وما
قدروا الله حق قدره خ عن ابن مسعود قال شهدت من المقداد بن الاسود
مشهدا لان اكون صاحبه احب الي مما عدل به اتى النبي صلى الله عليه
وسلم وهو يدعو على المشركين يوم بدر فقال يا رسول الله انا لا نقول كما
قالت بنوا اسرايل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون
ولكنا امض ونحن معك فكانه سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي رواية لكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك
فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اشرق وجهه وسره قوله تعالى
قال يعني قال موسى عليه السلام رب اي يا رب اني لا املك الا
نفسي واخي يعني انا لا املك الا نفسي واخي لا يملك الا نفسه وقيل معناه
لا املك الا نفسي ونفس اخي لانه كان يطيعه واذا كان كذلك فقد ملكه
وانما قال موسى لا املك الا نفسي واخي وانه كان معه وفي طاعته يوشع
ابن نون وكالب بن يوفنا لاختصاص هارون به ولمزيد الاعتنا باخيه

ويحتمل

ويحتمل ان يكون معناه واخي في الدين ومن كان على دينه وطاعته فهو اخوه في
الدين فعلى هذا الاحتمال يدخل الرجلان في قوله واخي ثم قال فافرق
بيننا وبين القوم الفاسقين اي افصل وقيل احكم بيننا وبين القوم الفاسقين
يعني الخارجين عن طاعتك وانما قال موسى ذلك لما راى بني اسرايل
وما فعلوه من مخالفة امر الله وهمهم بيوشع وكالب غضب موسى لذلك
ودعا عليهم فاجاب الله تعالى دعا موسى عليه السلام فقال الله عز
وجل فانها محرمة عليهم يعني فان الارض المقدسة محرمة عليهم ومعناه
ان تلك البلدة محرمة عليهم ابدا ولم يرد تحريم تعبد وانما اراد تحريم
منع فاوحى الله تعالى الى موسى بي حلفت لاحرمن عليهم دخول الارض
المقدسة غير عبدي يوشع وكالب ولاتيهنهم في هذه البرية اربعين
سنة مكان كل يوم من الايام التي كانوا يتجسسون فيها سنة ولالقين
في هذه القفار واما ابناوهم الذين لم يعملوا الشر فيدخلونها فذلك
قوله تعالى فانها يعني الارض المقدسة محرمة عليهم قال اكثر اهل
العلم هذا تحريم منع لا تحريم تعبد وقيل يحتمل ان يكون تحريم تعبد
فيجوز ان يكون الله تعالى امرهم بان يمكثوا في تلك المفازة في الشدة
والبلية عقابا لهم على سوء صنيعهم اربعين سنة فمن قال ان الكلام تم
عند قوله فانها محرمة عليهم قال اربعين سنة يتيهون في الارض فاما
المحرمة فانها موبدة حتى يموتوا ويدخلها ابناوهم وقيل معناه ان الارض
المقدسة محرمة عليهم اربعين سنة ثم يدخلونها وتفتح لهم وقوله
تعالى يتيهون في الارض يعني يتحيرون فيها يقال تاه يتيه اذا تحير واختلفوا
في مقدار الارض التي تاهوا فيها فقيل مقدار ست فراسخ وقيل ست فراسخ في
اثني عشر فرسخا وقيل تسع فراسخ في ثلاثين فرسخا وكان القوم ستماية الف
مقاتل وكانوا يرحلون ويسيرون يومهم اجمع فاذا امسوا اذا هم في الموضع
الذي رحلوا منه وكان ذلك التيه عقوبة لهم لبني اسرايل ما خلا موسى
وهارون ويوشع وكالب فان الله تعالى سهله عليهم واعانهم عليه كما
سهل على ابراهيم النار وجعلها بردا وسلاما فان قلت
كيف يعقل بقا هذا الجمع العظيم في هذا المقدار الصغير من الارض
اربعين سنة بحيث لم يخرج منه احد قلت هذا من باب خوارق
العادات وخوارق العادات في ازمان الانبيا غير مستبعد فان الله
على كل شي قدير وقيل ان فسرنا ذلك التحريم بتحريم التعبد زال هذا
الاشكال لان الله حرم عليهم الخروج من تلك الارض بل امر بالمكث اربعين
سنة في المشقة والمحنة جزا لهم على سو صنيعهم ومخالفتهم امر الله ولما
حصل بنوا اسرايل في التيه شكوا الى موسى عليه السلام حالهم فانزل الله

عليهم المن والسلوى واعطوا من الكسوة ما هي قايمة لهم فينشوا الناشي منهم فتكون معه على مقداره وهيئته وسال موسى ربه ان يسقيهم فاتى بحجر ابيض من جبل الطور فكان اذا نزل ضربه بعصاه فيخرج منه اثنى عشر عينا لكل سبط منهم عين وارسل الله عليهم الغمام يظلهم في التيه ومات في التيه كل من دخله ممن جاوز عشرين سنة غير يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ولم يدخل اريحا ممن قال انا لن ندخلها ابدا واختلفوا في ان موسى مات في التيه ام خرج منه فقيل ان موسى وهارون ماتا في التيه جميعا

قصة وفاة موسى وهارون عليهما السلام

فاما هارون فانه كان اكبر من موسى بسنة قال السدي اوحى الله الى موسى اني متوفي هارون فات به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهارون نحو ذلك الجبل فاذا بشجرة لم ير مثلها واذا ببيت مبني وفيه سرير عليه فراش وفيه رايحة طيبة فلما راى هارون ذلك البيت اعجبه وقال يا موسى اني احب ان انام على هذا السرير قال نعم ثم قال اني اخاف ان يات رب هذا البيت فيغضب علي قال لا تخف انا اكفيك رب هذا البيت فنم قال يا موسى فنم انت معي فان جاء رب هذا البيت غضب علي وعليك جميعا فلما ناما اخذ هارون الموت فلما وجد مسه قال يا موسى خدعتني فلما قبض هارون رفع البيت والسرير الى السما وهارون عليه وذهبت الشجرة فرجع موسى الى بني اسرايل وليس هرون معه فقال بنو اسرايل حسد موسى لهرون فقتله لحبنا اياه قال موسى ويحكم ان هرون كان اخي افتروني اقتله فلما اكثروا عليه قام موسى فصلى ركعتين ثم دعا الله عز وجل فنزل السرير وعليه هارون فنظروا اليه وهو بين السما والارض فصدقوه ثم رفع وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه صعد موسى وهارون الجبل فمات هارون وبقي موسى فقال بنو اسرايل انت قتلته واذوه فامر الله الملايكة فحملوه حتى مروا به على بني اسرايل وتكلمت الملايكة بموته فصدقت بنو اسرايل انه مات وبرا الله موسى مما قالوا ثم ان الملايكة حملوه ودفنوه فلم يطلع على موضع قبره احد الا الرخم فجعله الله اصم ابكم

واما وفاة موسى عليه السلام

فقال ابن اسحق كان صفي الله موسى عليه السلام قد كره الموت واعظمه فاراد الله ان يحبب اليه الموت فنبى يوشع بن نون فكان موسى يغدو اليه ويروح اليه ويقول له يا نبي الله ما احدث الله اليك فيقول له يوشع يا نبي الله الم اصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت اسال عن شي مما احدث الله اليك حتى تكون انت الذي تبتدي به وتذكره لي ولا يذكر له شيا فلما راي موسى ذلك كره الحياة

واحب الموت ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل ملك الموت الى موسى فلما جاءه صكه ففقا عينه فرجع الى ربه فقال ارسلتني الى عبد لا يريد الموت فرد الله عينه فقال ارجع اليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت يده من شعرة سنة قال اي رب ثم ماذا قال ثم الموت قال فالان فسال الله ان يدنيه من الارض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت ثم لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر وفي رواية مسلم قال جاء ملك الموت الى موسى فقال اجب ربك قال فلطم موسى عين ملك الموت ففقاها ثم ذكر بمعنى ما تقدم قال الشيخ محيي الدين النواوي قال المازري وقد انكر بعض الملاحدة هذا الحديث وانكر تصوره قالوا كيف يجوز على موسى فقاء عين ملك الموت واجاب العلما عنه باجوبة احدها انه لا يمتنع ان يكون الله قد اذن لموسى في هذه اللطمة ويكون ذلك امتحانا للمطلوم والله تعالى يفعل في خلقه ما يشا ويمتحنهم بما اراد الثاني ان موسى لم يعلم انه ملك من عند الله وظن انه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها فادت المدافعة الى فقء عينه لا انه قصدها بالفقء قال الشيخ وهذا جواب الامام ابي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين واختاره المازري والقاضي عياض قالوا وليس في الحديث تصريح بانه قصد فقء عينه فان قيل كيف اعترف موسى حين جاءه ثانيا بانه ملك الموت فالجواب انه اتاه في المرة الثانية بعلامة علم انه ملك الموت فاستسلم له بخلاف المرة الاولى واما سوال موسى الادنا من الارض المقدسة فلشرفها وفضلها وفضل من بها من المدفونين من الانبيا وغيرهم وفيه دليل على استحباب الدفن في المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من مدافن الصالحين قال بعض العلما وانما سال موسى ادناوه ولم يسال نفس بيت المقدس لانه خاف ان يكون قبره مشهورا عندهم فيفتتن به الناس والله اعلم قال وهب بن منبه خرج موسى لبعض حاجته فمر برهط من الملايكة يحفرون قبرا لم ير شيا احسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملايكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا لعبد كريم على ربه فقال ان هذا العبد من الله بمنزلة ما رايت مثله كاليوم قط فقالت الملايكة يا صفي الله تحب ان يكون لك قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك فنزل واضطجع وتوجه الى ربه عز وجل ثم تنفس اسهل تنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملايكة عليه التراب وقيل ان ملك الموت اتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه وكان عمر موسى عليه السلام مائة سنة وعشرون سنة فلما مات موسى عليه السلام وانقضت الاربعون سنة

وبعث الله يوشع نبيا الى بني اسرايل فاخبرهم ان الله قد امره بقتال
الجبارين فصدقوه وتابعوه فتوجه بني اسرايل الى اريحا وهي مدينة الجبارين
ومعه تابوت الميثاق فاحاط بها ستة اشهر فلما كان في السابع فنفخوا
في القرون فضج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوا وقاتلوا
الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم وكانت العصابة من بني اسرايل
يجتمعون على عنق الرجل من الجبابرة فيضربونها حتى تغرب وتدخل ليلة
السبت فقال اللهم اردد على الشمس وقال للشمس انك في طاعة الله
وانا في طاعة الله وسال الشمس ان تقف والقمران يقف حتى ينتقم من اعدا
الله قبل دخول السبت فرد الله الشمس وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم
اجمعين وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم احدوثلاثين ملكا حتى
غلب على جميع ارض الشام وصارت كلها لبني اسرايل وفرق عماله في نواحيها
وجمع الغنايم فجات النار لتاكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليبا
يعني من كل قبيلة رجل ففعلوا فلصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول
فجاوا براس ثور من ذهب مكلل باليا قوت والجوهر قد غله رجل منهم
فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجات النار فاكلت الرجل والقربان
وفي الحديث الصحيح ما يدل على صحة هذا وهو ما روي عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا نبي من الانبيا فقال لا
يتبعني رجل ملك بضع امراة وهو يريد ان يبني بها ولم يبن بها ولا
احد بني بيوتا ولم يرفع سقوفها ولا رجل اشترى غنما او خلفات وهو
ينتظر ولادها فغزا فدنا من القرية صلاة العصر او قريبا من ذلك
فقال للشمس انك مامورة وانا مامور اللهم احبسها علينا فحبست
حتى فتح الله عليه فجمع من الغنايم فجات يعني النار لتاكلها فلم تطعمها
فقال ان فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة رجل فلزقت يد رجل
بيده فقال فيكم الغلول فجاوا براس مثل راس بقرة من الذهب فوضعها
فجات النار فاكلتها وفي رواية فلم تحل الغنايم لاحد قبلنا ثم احل الله لنا
الغنايم لما راى ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا اخرجه البخاري ومسلم ٥

شرح غريب هذا الحديث قوله لا يتبعني رجل
ملك بضع امراة البضع بضم البا كناية عن فرج المراة ولم يبن بها اي
لم يدخل عليها والخلفات النوق الحوامل وقوله للشمس انك مامورة
وانا مامور اللهم احبسها علي قال الشيخ محيي الدين قال القاضي
عياض اختلف الناس في حبس الشمس المذكور هنا فقيل ردت الى
ورايها وقيل وقفت ولم ترد وقيل بطي حركتها وذلك من معجزات النبوة
قال ويقال ان الذي حبست عليه الشمس هو يوشع بن نون قال القاضي
وقد روي ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حبست له الشمس مرتين

احدهما يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فردها
الله عليه حتى صلى العصر روى ذلك الطحاوي وقال رواته ثقات والثاني
صبيحة ليلة الاسرا حين انتظر العير حين اخبر بوصولها مع شروق الشمس
ذكره يونس بن بكير في زيادته عن سيرة ابن اسحاق وقال ابن وهب ثم
مات يوشع بن نون ودفن في جبل افرايم وكان عمره ماية سنة وستا
وعشرين سنة وقيل ان الذي فتح اريحا هو موسى عليه السلام وكان يوشع
ابن نون على مقدمته فسار اليهم بمن بقي من بني اسرايل فدخلها يوشع
وقاتل الجبابرة ثم دخلها موسى واقام بها ما شا الله تعالى ثم قبضه
الله اليه ولا يعلم احد قبره وهذا اصح الاقاويل لاتفاق العلما ان
موسى هو الذي قتل عوج بن عناق وهذا القول هو اختيار الطبري ونقل
عن السدي قال غضب موسى على قومه فدعا عليهم فقال رب اني
لا املك الا نفسي واخي الاية فقال الله عز وجل فانها محرمة عليهم
اربعين سنة يتيهون في الارض فلما ضرب عليهم التيه ندم موسى
واتاه قومه الذي كانوا يطيعونه فقالوا له ما صنعت بنا يا موسى
فمكثوا في التيه فلما خرجوا منه رفع المن والسلوى والبقول والتقى
موسى وعوج فنزا موسى في السما عشرة اذرع وكانت عصاه عشرة اذرع
وكان طوله عشرة اذرع فاصاب كعب عوج فقتله قال الطبري ولو كان
قتل موسى اياه قبل مصيره في التيه لم تخرج بنو اسرايل لانه كان من
اعظم الجبارين وروى عن نوف قال كان سرير عوج ثمانماية ذراع
قال وان اهل العلم باخبار الاولين مجمعون على ان بلعم بن باعورا كان ممن
اعان الجبارين بالدعا على موسى لانه كان يعلم الاسم الاعظم فدعا عليه
موسى وسترد قصته في سورة الاعراف ان شا الله تعالى وقوله تعالى
فلا تاس على القوم الفاسقين يعني لا تحزن عليهم لانهم اهل مخالفة
وخروج عن الطاعة وقيل لما ندم موسى على ما دعى على قومه اوحى الله
اليه فلا تاس على القوم الفاسقين قال الزجاج وجايز ان يكون خطابا
لمحمد صلى الله عليه وسلم اي لا تحزن يا محمد على قوم لم يزل شانهم المعاصي
ومخالفة الرسل قوله عز وجل واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق
يعني اذكر لقومك واخبرهم خبر ابني ادم وهما هابيل وقابيل في قول جمهور
المفسرين ونقل عن الحسن والضحاك ان ابني ادم اللذين قربا القربان
ما كانا ابني ادم لصلبه انما كانا رجلين من بني اسرايل ويدل عليه قوله
تعالى في اخر القصة من اجل ذلك كتبنا على بني اسرايل انه من قتل نفسا
بغير نفس الاية والصحيح ما ذهب اليه جمهور المفسرين لان الله تعالى
قال في اخر القصة فبعث الله غرابا يبحث في الارض لان القاتل جهل

ما يصنع بالمقتول حتى تعلم من فعل الغراب بالحق اي اخبرهم خبرا
ملتبسا بالحق والصدق لانه من عند الله وموافقا لما في الكتب المتقدمة
وهم يعلمون صحته ومقصود هذا الخبر هو تقبيح الحسد لان المشركين واهل
الكتاب كانوا يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قربا قربانا
القربان اسم لما يتقرب به الى الله عز وجل من صدقة او ذبيحة او نسك
او غير ذلك مما يتقرب به

ذكر قصة القربان وسببه

وقصة قتل قابيل هابيل ذكر اهل العلم بالاخبار والسير ان حوى
كانت تلد لادم في كل بطن غلاما وجارية فكان جميع ما ولدته اربعون
ولدا في عشرين بطنا اولهم قابيل وتوامته اقليما واخرهم عبد المغيث
وتوامته ام المغيث ثم بارك الله في نسل ادم قال ابن عباس لم يمت ادم
حتى بلغ ولده وولد ولده اربعين الفا واختلفوا في مولد قابيل وهابيل
فقال بعضهم غشي ادم حوى بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت
له قابيل وتوامته اقليما في بطن وتوامته لبودا في بطن وقال محمد بن اسحق
عمن يحدث عن اهل العلم بالكتاب الاول ان ادم كان يغشى حوى في الجنة قبل ان
يصيب الخطيئة فحملت بقابيل واخته فلم تجد عليهما وحما ولا وصبا ولا طلقا
ولم تر دما وقت الولادة فلما هبطا الى الارض تغشاها فحملت بهابيل وتوامته
فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق والدم وكان اذا كبر اولاده يزوج
غلام البطن جارية بطن اخرى وكان الرجل منهم يتزوج اية اخواته شاء غير
توامته التي ولدت معه لانه لم يكن يومئذ نساء الا اخواتهم فلما كبر قابيل
واخوه هابيل وكان بينهما سنتين فلما بلغوا امر الله ادم ان يزوج قابيل
لبودا اخت هابيل واقليما اخت قابيل وكانت اقليما احسن من لبودا فذكر
ادم ذلك لهما فرضي هابيل وسخط قابيل وقال هي اختي وانا احق بها
ونحن من اولاد الجنة وهما من اولاد الارض فقال ابوه ادم انها لا تحل
لك فابى ان يقبل ذلك وقال ان الله لم يامرك بهذا وانما هو من رايك
فقال لهما ادم قربا لله قربانا فايكما تقبل قربانه فهو احق بها وكانت
القرابين اذا كانت مقبولة نزلت من السما نار بيضا فاكلتها وان لم تكن
مقبولة لم تنزل النار بل تاكله الطير والسباع فخرجا من عند ادم ليقربا
القربان وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام ردي واضمر
في نفسه لا ابالي اتقبل ام لا لا يتزوج اختي احد غيري وكان هابيل صاحب
غنم فعمد الى احسن كبش في غنمه فقربه واضمر في نفسه رضا الله فوضعا
قربانهما على جبل ثم دعا آدم ونزلت النار من السما فاكلت قربان هابيل
ولم تاكل قربان قابيل فلذلك قوله تعالى فتقبل من احدهما يعني هابيل
ولم يتقبل من الآخر يعني قابيل فغضب قابيل اذا لم يتقبل قربانه فاضمر

لاخيه الحسد الى ان اتى ادم مكة لزيارة البيت وغاب عنهم راى قابيل هابيل
وهو في غنمه قال لاقتلنك قال هابيل ولم تقتلني قال قابيل لان الله تقبل
قربانك ورد قرباني وتريد ان تنكح اختي الحسنا وانكح اختك الذميمة فيتحدث
الناس بانك خير مني ويفخر ولدك على ولدي فقال هابيل وما ذنبي قال
انما يتقبل الله من المتقين يعني ان حصول التقوى شرط قبول الاعمال
فلذلك كان احد القربانين مقبولا دون الاخر ولان التقوى من اعمال
القلوب وكان قد اضمر في قلبه الحسد لاخيه على تقبل قربانه وتوعده بالقتل
قال انما اتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى وانما يتقبل
الله من المتقين فاجابه بجواب مختصر وقيل يحتمل ان يكون خطابا للنبي صلى
الله عليه وسلم فكان تعالى يبين للنبي صلى الله عليه وسلم انما لم يتقبل قربانه
لانه لم يكن متقيا وانما يتقبل الله من المتقين قال تعالى اخبارا عن هابيل
لين بسطت الي يدك يعني لين مددت اليك يدك لتقتلني ما انا
بباسط يدي اليك لاقتلك يعني ما انا بمنتصر لنفسي بل استسلم لامر
الله وقيل معناه ما كنت بمبتديك بالقتل وذلك ان الله قد حرم عليهم
قتل نفس بغير نفس ظلما وقال مجاهد كان قد كتب عليهم اذا اراد الرجل
ان يقتل رجلا تركه ولا يمتنع منه وقيل ان المقتول كان اقوى من القاتل
وابطش منه ولكنه تحرج عن قتل اخيه فاستسلم له خوفا من الله فذلك
قوله اني اخاف الله رب العالمين والمعنى اني اخاف ان بسط يدي اليك
ان بسطتها لقتلك يعاقبني على ذلك قوله عز وجل اني اريد ان
تبوء باثمي واثمك يعني ترجع باثم قتلي الى اثم معاصيك التي عملتها
من قبل فان قلت كيف قال هابيل اني اريد وارادة القتل
والمعصية من الغير لا يجوز قلت اجاب ابن الانباري عن هذا
بان قال ان قابيل لما قال لاخيه هابيل لاقتلنك وعظه هابيل
وذكره الله واستعطفه وقال لين بسطت الي يدك الاية فلم يرجع فلما
راه هابيل قد صمم على القتل واخذ له الحجارة ليرميه بها قال له هابيل عند
ذلك اني اريد ان تبوء باثمي واثمك اي اذا قتلتني ولم يندفع قتلك
اياي الا بقتلي اياك فحينئذ يلزمك اثم قتلي اذا قتلتني وكان هذا عدلا من
هابيل واليه اشار الزجاج فقال معناه ان قتلتني فانا مريد لك هذه
الارادة منه بشرط ان يكون قاتلا له والانسان اذا تمنى ان يكون اثم دمه على
قاتله لم يلم على ذلك وعلى هذا التاويل قال بعضهم معناه اني اريد ان تبوء
بعقاب اثمي واثمك فحذف المضاف ومعنى تبا باثم تبا بعقاب ذلك الاثم ذكره
الواحدي وقال الزمخشري ليس ذلك بحقيقة الارادة لكن لما علم انه يقتله
لا محالة ووطن نفسه على الاستسلام للقتل طلبا للثواب فكانه صار مريدا

لقتله مجازا وان لم يكن مريدا حقيقة **فتكون من اصحاب النار** يعنى الملازمين لها **وذلك جزاء الظالمين** يعنى جهنم جزاء من قتل اخاه ظلما قوله تعالى **فطوعت له نفسه قتل اخيه** يعنى زينت له وسهلت عليه القتل وذلك ان الانسان اذا تصور ان قتل النفس من اكبر الكبائر صار ذلك صارفا له عن القتل فلا يقدم عليه فاذا سهلت عليه نفسه هذا الفعل فعل بغير كلفة فهذا هو المراد من قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه **فقتله** قال ابن جريج لما قصد قابيل قتل هابيل لم يدر كيف يقتله فتمثل له ابليس وقد اخذ طيرا فوضع راسه على حجر ثم رضخه بحجر اخر وقابيل ينظر فعلمه القتل فرضخ قابيل راس هابيل بين حجرين وهو مستسلم صابر وقيل بل اغتاله وهو نائم فقتله واختلف فى موضع قتله فقال ابن عباس على جبل ثور وقيل على عقبة حراء وقيل بالبصرة عند مسجدها الاعظم وكان عمر هابيل يوم قتل عشرون سنة وقوله تعالى **فاصبح من الخاسرين** فقال ابن عباس خسر اخرته ودنياه اما دنياه فاسخط والديه وبقى بلا اخ واما اخرته فاسخط ربه وصار الى النار ق عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل قوله تعالى **فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوءة اخيه** قال اصحاب الاخبار لما قتل قابيل هابيل تركه بالعراء ولم يدر ما يصنع به لانه اول ميت من بنى ادم على وجه الارض فقصده السباع لتاكله فحمله قابيل على ظهره فى جراب اربعين يوما وقال ابن عباس سنة حتى اروح وانتن فاراد الله ان يرى قابيل سنته فى موتى بنى ادم فى الدفن فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفرة ثم القاه فيها وواراه بالتراب وقابيل ينظر فذلك قوله تعالى فبعث الله غرابا يبحث فى الارض يعنى يحفرها وينثر ترابها ليريه كيف يوارى سوءة اخيه يعنى ليرى الله او ليرى الغراب قابيل كيف يوارى ويستر جيفة اخيه فلما راى ذلك قابيل من فعل الغراب **قال يا ويلتا** اى لزمه الويل وحضره وهى كلمة تحسر وتلهف ويستعمل عند وقوع الداهية وذلك انه ما كان يعلم كيف يدفن المقتول فلما علم ذلك من فعل الغراب علم ان الغراب اكثر علما منه وعلم انه انما قدم على قتل اخيه بسبب جهله وعدم معرفته فعند ذلك تلهف وتحسر على ما فعله فقال يا ويلتا وفيه اعتراف على نفسه باستحقاق العذاب **اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب** يعنى مثل هذا الغراب الذى وارى الغراب الاخر **فاوارى سوءة اخى** يعنى فاستر جيفته وعورته عن الاعين **فاصبح من النادمين** يعنى على حمله

على ظهره مدة سنة لا على قتله وقيل انه ندم لاجل ذلك لا لاجل انه جنى جناية واقترف ذنبا عظيما بقتله فلم يكن ندمه ندم توبة وخوف واشفاق من فعله فلاجل ذلك لم ينفعه الندم قال المطلب بن عبد الله بن احطب لما قتل ابن ادم اخاه رجفت الارض بمن عليها سبعة ايام وشربت الارض دم المقتول كما تشرب الماء فناداه الله تعالى اين اخوك هابيل فقال ما ادرى ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم اخيك ليناديني من الارض فلم قتلت اخاك قال فاين دمه ان كنت قتلته فحرم الله على الارض من يومئذ ان تشرب دما بعده ابدا **ويروى** عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل كان ادم بمكة فاشتاك الشجر وتغيرت الفاكهة وحمضت الفواكه واغبرت الارض فقال ادم قد حدث فى الارض حدث فاتى الهند فوجد قابيل قد قتل هابيل وقيل لما رجع ادم سال قابيل عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جلدك وقيل ان ادم مكث بعد قتل هابيل مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر **فقال**

> تغيرت البلاد ومن عليها ٭ فوجه الارض مغبر قبيح
>
> تغير كل ذى طعم ولون ٭ وقل بشاشة الوجه المليح

ويروى عن ابن عباس انه قال من قال ان ادم قال شعرا فقد كذب وان محمدا صلى الله عليه وسلم كلهم فى النهى سواء ولكن لما قتل هابيل رثاه ادم وهو سريانى فلما قال ادم مرثيته قال لشيث يا بنى انت وصيى احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرق الناس عليه فلم يزل ينتقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو اول من خط العربية وكان يقول الشعر فنظر فى المرثية فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا وزاد فيه ابيات منها

> وما لى لا اجود بسكب دمع ٭ وهابيل تضمنه الضريح
>
> ارى طول الحياة على غما ٭ فهل انا من حياتى مستريح

قال الزمخشرى ويروى انه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبيا عليهم السلام معصومون من الشعر قال الامام فخر الدين الرازى ولقد صدق صاحب الكشاف فيما قال فان ذلك الشعر فى غاية الركاكة لا يليق الا بالحمقا من المعلمين فكيف ينسب الى من جعل الله علمه حجة على الملكية قال اصحاب الاخبار فلما مضى من عمر ادم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمسين سنة ولدت له حوى شيثا وتفسيره هبة الله يعنى انه خلف من هابيل وعلمه الله تعالى ساعات الليل والنهار وعلمه عبادة الخلق فى كل ساعة وانزل عليه خمسين صحيفة وصار وصى ادم وولى عهده واما قابيل فقيل له

اذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا تامن من تراه فاخذ بيد اخته اقليما وهرب بها الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس وقال له انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبد النار فانصب فارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو اول من عبد النار وكان لقابيل لا يمر به احد الا رماه بالحجارة فاقبل ابن لقابيل اعمى ومعه ابنه فقال ابن الاعمى لابيه هذا ابوك قابيل فرماه بحجارة فقتله فقال ابن الاعمى لابيه قتلت اباك قابيل فرفع الاعمى يده ولطم ابنه فمات فقال الاعمى ويل لي قتلت ابي برميتي وقتلت ابني بلطمتي فلما مات قابيل عقلت احدى رجليه بفخذه وعلق بها فهو معلق بها الى يوم القيمة ووجهه الى الشمس حيث دارت عليه حظيرة من نار في الصيف وحظيرة من ثلج في الشتا فهو يعذب بذلك الى يوم القيمة قالوا واتخذ اولاد قابيل الات اللهو من الطبول والزمور والعيدان والطنابير وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والفواحش حتى غرقهم الله تعالى جميعا بالطوفان في زمن نوح عليه السلام فلم يبق من ذرية قابيل احد وابقى الله ذرية شيث ونسله الى يوم القيمة قوله تعالى **من اجل ذلك** يعني بسبب ذلك القتل الذي حصل وقيل الاجل في اللغة الجناية يقال اجل عليهم شرا اي جنا عليهم شرا **كتبنا** اي فرضنا واوجبنا **على بني اسرايل** فان **قلت** من اجل ذلك معناه ما مر من قصة قابيل وهابيل كتبنا على بني اسرايل وهذا مشكل لانه لا مناسبة بين واقعة قابيل وهابيل وبين وجوب القصاص على بني اسرايل **قلت** قال بعضهم هو من تمام الكلام الذي قبله والمعنى فاصبح من النادمين من اجل ذلك يعني من اجل انه قتل هابيل ولم يواره ويروى عن نافع انه كان يقف على قوله من اجل ذلك ويجعله من تمام الكلام الاول فعلى هذا يزول الاشكال لكن جمهور المفسرين واصحاب المعاني على ان قوله من اجل ذلك ابتدا كلام وليس يوقف عليه فعلى هذا قال بعضهم ان قوله من اجل ذلك ليس هو اشارة الى قصة قابيل وهابيل بل هو اشارة الى ما مر ذكره من هذه القصة من انواع المفاسد الحاصلة بسبب هذا القتل الحرام منها قوله فاصبح من الخاسرين وفيه اشارة الى انه حظر في انواع من الندم والحسرة والحزن مع انه لا دافع لذلك البتة فقوله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرايل اي من اجل ذلك الذي ذكرنا في اثنا القصة من انواع المفاسد المتولدة من القتل العمد المحرم شرعنا القصاص على القاتل فان **قلت** فعلى هذا يكون شريعة القصاص حكما ثابتا في جميع الامم فما الفايدة في تخصيصه ببني اسرايل **قلت** انه وجوب القصاص وان كان عاما في جميع

الاديان

الاديان والملل الا ان التشديد المذكور هنا في حق بني اسرايل غير ثابت في جميع الاديان والملل لانه تعالى حكم في هذه الاية بان من قتل نفسا فكانما قتل الناس جميعا ولا يشك ان المقصود منه المبالغة في عقاب قاتل النفس عدوانا وان اليهود مع علمهم بهذه المبالغة العظيمة اقدموا على قتل الانبيا والمرسلين وذلك يدل على قساوة قلوبهم وبعدهم عن الله عز وجل ولما كان الغرض من ذكر هذه القصة تسلية النبي صلى الله عليه وسلم على ما اقدم عليه اليهود بالفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم وباصحابه فتخصيص بني اسرايل في هذه القصة بهذه المبالغة مناسب للكلام وتوكيد المقصود والله اعلم بمراده **قوله عز وجل انه من قتل نفسا** يعني قتل نفسا ظلما **بغير نفس** يعني بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص ليقاد من قاتل النفس على وجه العدوان المحرم **او فساد في الارض** هو عطف على بغير نفس يعني وبغير فساد في الارض فيستحق به القتل لان القتل على اسباب كثيرة منها القصاص وهو المراد من قوله قتل نفسا بغير نفس ومنها الشرك والكفر بعد الايمان ومنها قطع الطريق ونحو ذلك وهو المراد من قوله او فساد في الارض **فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا** قال مجاهد من قتل نفسا محرمة بقتلها يصلى النار بقتلها كما يصلاها بقتل الناس جميعا ومن سلم من قتلها كمن سلم من قتل الناس جميعا وقال ابن عباس من قتل نبيا او امام عدل فكانما قتل الناس جميعا ومن شد عضد نبي او امام عدل فكانما احيا الناس جميعا وقيل معناه ان من قتل نفسا محرمة يجب عليه من القصاص مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعا ومن احياها يعني من غرق او حرق او وقوع في هلكة فكانما احيا الناس جميعا يعني ان له من الثواب مثل ثواب من احيا الناس جميعا وقيل معناه من استحل قتل مسلم فكانما تورع عن قتل جميع الناس فقد سلموا منه قال اهل المعاني قوله ومن احياها على المجاز لان المحيي هو الله تعالى في الحقيقة فيكون المعنى من نجاها من الهلاك فكانما نجا جميع الناس منه سيل الحسن عن هذه الاية اهي لنا كما كانت لبني اسرايل فقال اي والذي لا اله غيره كانت دما بني اسرايل اكرم على الله من دماينا وقوله **ولقد جاتهم رسلنا بالبينات** يعني ولقد جات بني اسرايل رسلنا ببيان الاحكام والشرايع والدلالات الواضحة **ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك** يعني مجي الرسل وبعد ما كتبنا عليهم تحريم القتل **في الارض لمسرفون** يعني بالقتل لا ينتهون عنه وقيل معناه لمجاوزون حد الحق وانما قال تعالى وان كثيرا منهم لانه تعالى علم ان منهم من يومن بالله ورسوله وهم قليل من كثير قوله عز وجل **انما**

بغير حقه فكانما استحل قتل الناس جميعا لانهم لا يسلمون منه
ومن تورع عن قتل مسلم

جزا الذين يحاربون الله ورسوله قال ابن عباس نزلت في قوم من اهل
الكتاب كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق
فنقضوا العهد وافسدوا في الارض فخير الله رسوله صلى الله عليه وسلم
ان شا يقتل وان يشا يصلب وان يشا ان يقطع ايديهم وارجلهم من خلاف
وهذا قول الضحاك ايضا وقال الكلبي نزلت في قوم هلال بن عويمر وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر وهو ابو بردة الاسلمي
ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن مر بهلال الى النبي صلى الله عليه وسلم
فهو امن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بقوم هلال ولم
يكن هلال شاهدا فتعرضوا اليهم فقتلوهم واخذوا اموالهم فنزل جبريل
عليه السلام بالقضا فيهم بهذه الاية وقال سعيد بن جبير نزلت هذه
الاية في قوم من عرينة وعكل اتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه
على الاسلام وهم كذبة فاستوخموا المدينة فبعثهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى ابل الصدقة فارتدوا وقتلوا الراعي واستاقوا الابل ق عن انس
ابن مالك ان ناسا من عكل وعرينة قدموا على النبي صلى الله عليه
وسلم وتكلموا في الاسلام فقالوا يا نبي الله انا كنا اهل ضرع ولم نكن اهل
ريف واستوخموا المدينة فامر لهم النبي صلى الله عليه وسلم بذود وراع
وامرهم ان يخرجوا فيه فيشربوا من البانها وابوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا
ناحية الحرة كفروا بعد الاسلام وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم
واستاقوا الذود فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب في
اثرهم فامر بهم فسمروا اعينهم وقطعوا ايديهم وتركوا في ناحية الحرة
حتى ماتوا على حالهم قال قتادة بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان بعد ذلك يحث على الصدقة وينهى عن المثلة زاد في رواية قال
قتادة فحدثني ابن سيرين ان ذلك قبل ان تنزل الحدود وفي رواية
للبخاري ان ناسا من عكل اجتووا المدينة فرخص لهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان ياتوا ابل الصدقة فيشربوا من البانها وابوالها فقتلوا
الراعي واستاقوا الذود فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتي بهم
فقطع ايديهم وارجلهم وسمر اعينهم وتركهم في الحرة يعضون الحجارة زاد في
رواية قال ابو قلابة واي شي اشد مما صنع هولا ارتدوا عن الاسلام وقتلوا
وسرقوا وفي رواية ابي داود ان قوما من عكل او قال من عرينة قدموا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة فامر لهم النبي
صلى الله عليه وسلم بلقاح وامرهم ان يشربوا من ابوالها والبانها
فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا
النعم فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم من اول النهار فارسل

في

في اثارهم فما ارتفع النهار حتى جي بهم فامر بهم فقطعت ايديهم
وارجلهم وسملت اعينهم والقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون قال
ابو قلابة فهولا قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد ايمانهم وحاربوا الله
ورسوله زاد في رواية له وانزل الله عز وجل انما جزا الذين يحاربون
الله ورسوله ويسعون في الارض ان يقتلوا الاية شرح
غريب هذا الحديث وحكمه قولهم انا اهل ضرع يعني اهل
ماشية وبادية نعيش باللبن ولسنا من اهل المدن والريف هي الارض
التي فيها زرع وخصب والجمع ارياف قوله استوخموا المدينة يعني انها
لم توافق مزاجهم وكذا قوله فاجتووا المدينة وهو معناه والذود من الابل
ما بين الثلاثة الى العشرة والحرة هي ارض ذات حجارة سود وهي هنا اسم
الارض بظاهر المدينة معروفة وقوله فسمر اعينهم معناه انه حمي
مسامير الحديد وكحل بها اعينهم حتى ذهب بصرها وقوله ونهى عن المثلة
المثلة ان تقطع اطراف الحيوان وتشوه خلقته ومثله القتيل ان يقطع
انفه واذنيه ومذاكيره ونحو ذلك واختلف العلما في حكم هذا الحديث
فقيل هو منسوخ لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن المثلة وقيل حكمه
ثابت غير السمل والمثلة وقيل ان هذه الاية ناسخة لما فعله النبي صلى الله
عليه وسلم بهم وقيل كان ذلك قبل ان تنزل الحدود فلما نزلت الحدود وجب
الاخذ بها والعمل بمقتضاها وقيل نزلت هذه الاية معاتبة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وتعليما من الله تعالى اياه عقوبته وما يجب عليهم
فقال تعالى انما جزا الذين يحاربون الله ورسوله واعلم ان المحاربة لله
غير ممكنة وفي معنا هاتعلها قولان احدهما ان المحاربون لله هم
المخالفون امره الخارجون عن طاعته لان كل من خالف امر انسان فهو حرب
له فيكون المعنى يخالفون الله ورسوله ويعصون امرهما والقول
الثاني معناه يحاربون اوليا الله واوليا رسوله فهو من باب حذف
المضاف ويسعون في الارض فسادا يعني بحمل السلاح والخروج على
الناس وقتل النفس واخذ الاموال وقطع الطريق واختلفوا في حكم هولا
المحاربين الذين يستحقون هذا الحد فقال قوم هم الذين يقطعون
الطريق ويحملون السلاح والمكابرون في البلد وهذا قول الاوزاعي
ومالك والليث بن سعد والشافعي وقال ابو حنيفة المكابرون في
الامصار ليس لهم حكم المحاربين في استحقاق هذا الحد ثم ذكر الله
تعالى عقوبة هولا المحاربين وما يستحقونه فقال تعالى ان يقتلوا او
يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض
وللعلما في لفظة او المذكورة في هذه الاية قولان احدهما انه للتخيير

وهو قول ابن عباس وفي رواية عنه وبه قال الحسن وسعيد بن المسيب والنخعي ومجاهد وهو ان الامام مخير في امر المحاربين فان شا قتل وان شا صلب وان شا قطع وان شا نفي من الارض كما هو ظاهر الاية والقول الثاني ان لفظ او للبيان وليست للتخيير وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وهو قول اكثر العلما لان الاحكام تختلف فتترتب هذه العقوبات على ترتيب الجرايم وهذا كما روي عن ابن عباس في قطاع الطريق قال اذا قتلوا واخذوا المال قتلوا وصلبوا واذا قتلوا ولم ياخذوا المال قتلوا واذا اخذوا المال ولم يقتلوا قطعت ايديهم وارجلهم من خلاف واذا اخافوا السبيل ولم يقتلوا ولا ياخذوا مالا نفوا من الارض وهذا قول قتادة والاوزاعي والشافعي واصحاب الراي واختلفوا في كيفية الصلب فقالوا يصلب حيا ثم يطعن برمح حتى يموت قال الشافعي يقتل اولا ويصلى عليه ثم يصلب وانما جمع بين القتل والصلب اذا قتل واخذ المال ويصلب على الطريق في ممر الناس ليكون ذلك زاجرا لغيره عن الاقدام على مثل هذه المعصية واختلفوا في تفسير النفي من الارض المذكور في الاية فقيل ان الامام يطلبهم ففي كل بلد وجدوا نفوا عنه وهو قول سعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز وقيل يطلبون حتى تقام عليهم الحدود وهو قول ابن عباس والليث بن سعد والشافعي وقال ابو حنيفة واهل الكوفة النفي هو الحبس لانه نفي من الارض لان المحبوس لا يرى احدا من احبابه ولا ينتفع بلذات الدنيا وطيباتها فهو منفي من الارض في الحقيقة الا من تلك البقعة الضيقة التي هو فيها قال مكحول ان عمر بن الخطاب اول من حبس في السجون يعني من هذه الامة وقال احبسه حتى اعلم منه التوبة ولا انفه الى بلد اخر فيوذيهم ثم قال تعالى **ذلك** يعني الذي ذكر في هذه الاية من الحدود **لهم** يعني للمحاربين **خزي في الدنيا** اي عذاب وهوان وفضيحة **ولهم في الاخرة عذاب عظيم** هذا الوعيد في حق الكفار الذين نزلت الاية فيهم فاما من اجرى حكم الاية على المحاربين من المسلمين فينفي العذاب العظيم عنهم في الاخرة لان المسلم اذا عوقب بجنايته في الدنيا كانت عقوبته كفارة له وان لم يعاقب في الدنيا فهو في خطر المشية ان شا عذبه بجنايته ثم يدخله الجنة وان شا عفى عنه وادخله الجنة هذا مذهب اهل السنة وقوله تعالى **الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم** يعني الذين تابوا من شركهم وحربهم لله ورسوله ومن السعي في الارض بالفساد ومن قبل ان تقدروا عليهم فلا سبيل لكم بشي من العقوبات المذكورة في الاية المتقدمة **فاعلموا ان الله غفور** يعني لمن تاب من

الشرك

الشرك **رحيم** يعني به اذا رجع عما يسخط الله عز وجل وهذا قول معظم اهل التفسير ان المراد بهذا الاستثنا المشرك المحارب اذا امن واصلح قبل القدرة عليه سقط عنه جميع الحدود التي ذكرها الله تعالى في هذه الاية وانه لا يطالب بشي مما اصاب من مال او دم قال ابو اسحاق جعل الله التوبة للكفار تدرا عنهم الحدود التي وجبت عليهم في كفرهم ليكون ذلك داعي لهم الى الدخول في الاسلام فهذا حكم المشرك المحارب اذا امن واصلح وكذلك لو امن بعد القدرة عليه لم يطالب بشي بالاجماع واما المسلم المحارب اذا تاب واستامن قبل القدرة عليه فقال السدي هو كالكافر اذا امن لم يطالب بشي الا اذا اصيب عنده مال بعينه فانه يرده على اهله هذا مذهب مالك والاوزاعي غير ان ما لكا قال يوخذ بالدم اذا طلب به وليه فاما ما اصاب من الدما والاموال ولم يطلبها اوليا وها فلا يتبعه الامام بشي من ذلك وهذا حكم علي بن ابي طالب في حارثة بن زيد وكان قد خرج تايبا فتاب قبل ان يقدر عليه فامنه على نفسه وكذلك جا رجل من مراد الى ابي موسى الاشعري وهو على الكوفة في خلافة عثمان بعدما صلى المكتوبة فقال يا ابا موسى هذا مقام العايذ بك انا فلان بن فلان المرادي كنت قد حاربت الله ورسوله وسعيت في الارض بالفساد واني قد تبت من قبل ان يقدر علي فقام ابو موسى فقال هذا فلان المرادي وانه كان حارب الله ورسوله وسعى في الارض فسادا وانه قد تاب من قبل ان يقدر عليه فلا يتعرض له احد الا بخير وقال الشافعي يسقط عنه بتوبته قبل القدرة عليه حد الله ولا يسقط عنه ما كان من حقوق بني ادم من قصاص او مظلمة في مال او غيره واما اذا تاب بعد القدرة فظاهر الاية ان التوبة لا تنفعه وتقام عليه الحدود قال الشافعي ويحتمل ان يسقط كل حد لله عز وجل بالتوبة قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا اتقوا الله** اي خافوا الله بترك المنهيات **وابتغوا اليه الوسيلة** يعني واطلبوا اليه القرب بطاعته والعمل بما يرضي وانما قلنا ذلك لان مجامع التكاليف محصورة في نوعين لا ثالث لهما احد النوعين ترك المنهيات واليه الاشارة بقوله اتقوا الله والثاني التقرب الى الله تعالى بالطاعات واليه الاشارة بقوله وابتغوا اليه الوسيلة والوسيلة فعيلة من وسل اليه اذا تقرب اليه ومنه قول الشاعر ٠

ان الرجال لهم اليك وسيلة ٠ اي قربة وقيل في معنى الوسيلة المحبة اي تحببوا الى الله عز وجل **وجاهدوا في سبيله** اي وجاهدوا العدو في طاعته وابتغا مرضاته **لعلكم تفلحون** يعني لكي تسعدوا بالخلود في جنته لان الفلاح اسم جامع للخلاص والفوز بكل محبوب قوله عز وجل **ان الذين**

كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب
يوم القيمة ما تقبل منهم يعني ان الكافر لو ملك الدنيا ودنيا اخرى مثلها
معها ثم فدى نفسه من العذاب يوم القيمة لم يقبل منه ذلك الفدا ه
ولهم عذاب اليم والمقصود من هذا ان العذاب لازم للكفار وانهم
لا سبيل لهم الى الخلاص منه بوجه من الوجوه ق عن انس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى لاهون اهل النار
عذابا لو كانت لك الدنيا كلها اكنت مفتديا بها فيقول نعم فيقول
قد اردت منك ايسر من هذا وانت في صلب ادم الا تشرك بي ولا
ادخلك النار وادخلك الجنة فابيت الا الشرك هذا لفظ مسلم وفي
رواية البخاري قال يجا بالكافر يوم القيمة فيقال له ارايت لو كان لك
مثل الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له لو كنت سئلت
ما هو ايسر من ذلك ان لا تشرك بي يريدون ان يخرجوا من النار وما هم
بخارجين منها ولهم عذاب مقيم فيه وجهان احدهما انهم يقصدون
الخروج من النار ويطلبونه ولكن لا يستطيعون ذلك قيل اذا اجملهم
لهب النار الى فوق طلبوا الخروج منها فلا يقدرون عليه والوجه
الثاني انهم يتمنون الخروج من النار بقلوبهم ولهم عذاب مقيم يعني
ولهم عذاب دايم ثابت لا يزول عنهم ولا ينتقل ابدا قوله عز وجل
والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما قال ابن السايب نزلت في
طعمة بن ابيرق وقد مضت قصته في سورة النسا وانما سمي السارق
سارقا لانه ياخذ الشي الذي ليس له اخذه في خفا ومنه استرق السمع
مستخفيا والسارق هنا مرفوع بالابتدا لانه لم يقصد واحدا بعينه ه
كقولك من سرق فاقطع يده والمراد باليد المذكورة هنا اليمنى قاله
الحسن والشعبي والسدي وكذلك هو في قراة عبد الله بن مسعود ه
فاقطعوا ايمانهما وانما قال ايديهما ولم يقل يديهما لانه اراد يمينا من هذا
ويمينا من هذا فجمع فانه ليس للانسان الا يمين واحدة وكل شي موحد
من اعضا الانسان اذا ذكر مضافا الى اثنين فصاعدا جمع والمراد باليد
هنا الجارحة عند جمهور اهل اللغة من روس الاصابع الى الكوع فيجب
قطعها في حد السرقة من الكوع وقوله تعالى جزاء بما كسبا يعني ذلك
القطع جزا على فعلهم نكالا من الله يعني عقوبة من الله والله عزيز
في انتقامه ممن عصاه حكيم يعني فيما اوجبه من قطع يد السارق ه

فصل في بيان حكم الاية وفيه مسايل المسئلة الاولى
اتفقت هذه وجوب القطع على كل سارق وقطع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في السرقة ق عن عايشة ان قريشا اهمهم شان المخزومية التي

سرقت

سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ومن
يجترى عليه الا اسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه
اسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتشفع في حد من حدود
الله ثم قام فاختطب ثم قال انما هلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق
فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد وايم الله لو
ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها وعن عايشة قالت اتي رسول
الله صلى الله عليه وسلم بسارق فقالوا ما كنا نراك تبلغ به هذا قال
لو كانت فاطمة لقطعتها اخرجه النساي ق عن ابي هريرة قال ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع
يده ويسرق الحبل فتقطع يده قال الاعمش يرون انه بيض الحديد
وان من الحبال ما يساوي دراهم اخرجه البخاري اما السارق الذي
يجب عليه القطع فهو البالغ العاقل العالم بتحريم السرقة فلو كان
حديث عهد بالاسلام ولا يعلم ان السرقة حرام فلا قطع عليه المسئلة
الثانية اختلف العلما في قدر النصاب الذي يقطع به فذهب اكثر العلما
الى انه ربع دينار او متاعا قيمته ربع دينار فيقطع وهذا قول ابو بكر
وعثمان وعلي وبه قال عمر بن عبد العزيز والاوزاعي والشافعي ويدل عليه
ما روي عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقطع يد
السارق الا في ربع دينار فصاعدا اخرجاه في الصحيحين وذهب
مالك واحمد واسحاق الى انه ثلاثة دراهم او قيمتها لما روي عن ابن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع يد سارق في مجن قيمته ثلاثة دراهم
اخرجه الجماعة المجن الترس ويروى عن ابي هريرة ان قدر النصاب
الذي يقطع به اليد خمسة دراهم وبه قال ابن ابي ليلى لما روي عن انس قال
قطع ابو بكر في مجن قيمته خمسة دراهم وفي رواية قطع رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخرجه النساي وقال الرواية الاولى اصح وذهب قوم الى انه
لا قطع في اقل من دينار او عشرة دراهم يروي ذلك عن ابن مسعود واليه
ذهب سفيان الثوري وابو حنيفة لما روي عن ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اول من قطع في مجن قيمته دينارا او عشرة دراهم اخرجه
ابو داود فاذا سرق نصابا من المال في حرز لا شبهة له فيه قطعت يده
اليمنى من الكوع ولا يجب القطع بسرقة دون النصاب وقال ابن عباس
وابن الزبير والحسن القدر غير معتبر فيجب القطع في القليل والكثير
وكذا الحرز غير معتبر ايضا عندهم واليه ذهب ابو داود الظاهري واحتجوا
بعموم الاية فانه قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما
يتناول القليل والكثير وسوا اخذه من حرز او غير حرز المسئلة الثالثة

الحرز هو ما جعل للسكنى وحفظ الاموال كالدور والمضارب والخيم
التي يسكنها الناس ويحفظون امتعتهم فيها فكل حرز وان لم يكن فيه
حافظ ولا عنده وسوا سرق من ذلك وهو مفتوح الباب او مغلق فاما
ما كان من غير بنا ولا خيمة فانه ليس بحرز الا ان يكون عنده من يحفظه
اما نباش القبور فانه يقطع وهو قول مالك والشافعي واحمد وقال
ابن ابي ليلى والثوري والاوزاعي وابو حنيفة لا قطع عليه فان سرق شيا
من غير حرز كثمر من بستان لا حارس له او حيوان في برية ولا راعي لها
او متاع في بيت منقطع من البيوت فلا قطع عليه عن عبد الله بن عمرو
ابن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل عن الثمر المعلق فقال
من اصاب بفيه منه من ذي حاجة غير متخذ خبنة فلا شي عليه اخرجه
الترمذي وابو داود والنسائي وزاد فيه ومن خرج بشي منه فعليه
غرامة مثله والعقوبة ومن سرق منه شيا بعد ان يوويه الجرين فبلغ
ثمن المجن فعليه القطع ومن سرق دون ذلك فعليه غرامة مثله
والعقوبة **قوله** غير متخذ خبنة الخبنة بالخا المعجمة بعدها با موحدة
من تحت ثم نون وهو ما يحمله الانسان في حضنه وقيل هو ما ياخذه في خبنة
ثوبه وهو ذيله واسفله والجرين موضع التمر الذي يجفف فيه مثل البيدر
للحنطة وروي مالك في الموطا عن ابي حسين المكي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة الجبل فاذا اواه
المراح او الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن هكذا رواه مالك منقطعا وفي
رواية من حديث عبد الله بن عمرو المتقدم فان هذه الرواية عن ابن
ابي حسين عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وجده هو عبد الله بن
عمرو بن العاص قوله ولا في حريسة الجبل من العلما من يجعل
الحريسة السرقة نفسها يقال حرس يحرس حرسا اذا سرق ومنهم من
يجعلها المحروسة ومعنى الحديث انه ليس فيما يحرس في الجبل اذا سرق قطع
لانه ليس بحرز وقيل حريسة الجبل هي الشاة التي يدركها الليل قبل ان تصل
ماواها والمراح بضم الميم هو الموضع الذي تاوي اليه الماشية بالليل عن
جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس على خاين ولا منتهب ولا مختلس
قطع اخرجه الترمذي والنسائي **المسئلة** الرابعة اذا سرق مالا
له فيه شبهة كالولد يسرق من مال والده او الوالد يسرق من مال ابنه
والعبد يسرق من مال سيده او الشريك يسرق من مال شريكه فلا
قطع على احد من هولا فيه **المسئلة** الخامسة اذا سرق اول مرة
قطعت يده اليمنى من الكوع واذا سرق ثانية قطعت رجله اليسرى
من مفصل القدم واختلفوا فيما اذا سرق مرة ثالثة فذهب اكثرهم الى

انه تقطع يده اليسرى فان سرق مرة رابعة قطعت رجله اليمنى ثم اذا
سرق بعد ذلك يعزر ويحبس حتى تظهر توبته يروي عن هذا عن ابي
بكر وهو قول قتادة وبه قال مالك والشافعي لما روي عن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السارق فان سرق فاقطعوا
يده ثم ان سرق فاقطعوا رجله ذكره البغوي بغير سند وذهب
قوم الى ان من سرق بعد ما قطعت يده ورجله فلا قطع عليه بل
يحبس ويروى عن علي انه قال اني لاستحي ان لا ادع له يدا يستنجي بها
ولا رجلا يمشي بها وهذا قول الشعبي والنخعي والاوزاعي وبه قال
احمد واصحاب الراي قوله تعالى **فمن تاب من بعد ظلمه** يعني من بعد
ما ظلم نفسه بالسرقة **واصلح** يعني واصلح العمل في المستقبل **فان
الله يتوب عليه** يعني فان الله يغفر له ويتجاوز عنه **ان الله غفور**
لمن تاب **رحيم** به **فصل** وهذه التوبة مقبولة فيما بينه وبين الله
فاما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند اكثر العلما لان الحد جزا على
الجناية ولا بد من التوبة بعد القطع وتوبته الندم على ما مضى والعزم
على تركه في المستقبل عن ابي امية المخزومي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتي بلص قد اعترف اعترافا ولم يوجد معه متاع فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما اخالك سرقت فقال بلى فاعاد عليه مرتين
او ثلاثا كل ذلك يعترف فامر به فقطع ثم جي به فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم استغفر الله وتب اليه فقال الرجل استغفر الله
واتوب اليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم تب عليه اخرجه
ابو داود والنسائي بمعناه واذا قطع السارق يجب عليه غرم ما
سرق من المال عند اكثر اهل العلم وقال الثوري واصحاب الراي
لا غرم عليه فلو كان المسروق باقيا عنده يجب عليه ان يرده الى صاحبه
وقطع يده لان القطع حق الله والغرم حق الادمي فلا يمتنع احدهما
بالاخر والله اعلم **قوله عز وجل** **الم تعلم ان الله له ملك السموات
والارض** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به جميع الناس وقيل
معناه الم تعلم ايها الانسان فيكون الخطاب لكل فرد من الناس ان الله
له ملك السموات والارض يعني ان الله مدبر امر ما في السموات
والارض ومصرفه وخالق من فيهما ومالكه لا يمتنع عليه شي مما اراده
فيهما لان ذلك كله في ملكه واليه امره **يعذب من يشا ويغفر لمن يشا**
قال ابن عباس يعذب من يشا على الصغيرة ويغفر لمن يشا الكبيرة
وقيل يعذب من يشا على معصيته وكفره بالقتل والقطع وغير ذلك
في الدنيا ويغفر لمن يشا بالتوبة عليه فينقذه من الهلكة والعذاب

وانما قدم التعذيب على المغفرة لانه فى مقابلة السرقة على التوبة
وهذه الاية فاضحة للقدرية والمعتزلة فى قولهم بوجوب الرحمة للمطيع
والعذاب للعاصى لان الاية دالة على ان التعذيب والرحمة مفوضة الى
المشية والوجوب ينافى ذلك وجواب اخر وهو انه تعالى اخبر ان له
ملك السموات والارض والمالك له ان يتصرف فى ملكه كيف يشا واراد
لا اعتراض لاحد عليه فى ملكه ويوكد ذلك **قوله** **والله على
كل شى قدير** يعنى انه تعالى قادر على تعذيب من اراد تعذيبه من
خلقه وغفران ذنوب من اراد اسعاده وانقاده من الهلكة من خلقه
لان الخلق كلهم عبيده وفى ملكه قوله تعالى **يايها الرسول** هذا خطاب
للنبى صلى الله عليه وسلم وهو خطاب تشريف وتكريم وتعظيم وقد خاطبه
الله عز وجل بيايها النبى فى مواضع كثيرة من كتابه وبيايها الرسول
فى موضعين هذا احدهما والاخر قوله تعالى يايها الرسول بلغ ما
انزل اليك من ربك وقوله **لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر** يعنى
لا يهتم بموالاة الكفار ولا تبال بهم فانى ناصرك عليهم وكافيك شرهم
من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تومن قلوبهم يعنى المنافقين لانهم
اظهروا الايمان بالقول وكتموا الكفر وهذه صفة المنافقين **ومن الذين
هادوا** اى وطايفة من اليهود قال الزجاج وهذا يحتمل وجهين احدهما
ان الكلام تم عند قوله ومن الذين هادوا ثم ابتدا الكلام بقوله **سماعون
للكذب** ويكون تقدير الكلام لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من
المنافقين ومن الذين هادوا ثم وصف الكل بكونهم سماعون للكذب
والوجه الثانى ان الكلام تم عند قوله ولم تومن قلوبهم ثم ابتدا فقال
تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب اى ومن الذين هادوا قوم
سماعون للكذب والمعنى انهم قايلون الكذب اى يسمعون الكذب من
روسايهم ويقبلون منهم والسمع يستعمل والمراد منه القبول كما تقول لا
تسمع من فلان اى لا تقبل منه وقيل معناه سماعون لاجل ان يكذبوا عليك
وذلك انهم كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
يخرجوا من عنده ويقولون سمعنا منه كذا وكذا ولم يسمعوا ذلك منه
بل كذبوا عليه وقوله تعالى **سماعون** يعنى من بنى قريظة يعنى انهم
جواسيس وعيون **لقوم اخرين** وهم اهل خيبر **لم ياتوك** يعنى اهل
خيبر لم ياتوك ولم يحضروا عندك **ذكر القصة فى ذلك**
قال علما التفسير ان رجلا وامراة من اشراف يهود خيبر زنيا وكانا
محصنين وكان حدهما الرجم عندهم فى حكم التورية فكرهت اليهود رجمهما
لشرفهما فقالوا ان هذا الرجل بيثرب يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وليس

فى كتابه الرجم ولكن الضرب فارسلوا الى اخوانكم بنى قريظة فانهم جيرانه
وصلح فليسالوه عن ذلك فبعثوا رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم اسالوا
محمدا عن الزانيين اذا احصنا ما حدهما فان امركم بالحد فاقبلوا منه وان
امركم بالرجم فاحذروه ولا تقبلوا منه وارسلوا معهم الزانيين فقدم الرهط
حتى نزلوا على بنى قريظة والنضير وقالوا لهم انكم جيران هذا الرجل ومعه
فى بلده وقد حدث فينا حدث وذلك ان فلانا وفلانة قد زنيا وقد احصنا
فنحب ان تسالوه عن قضايه فى ذلك فقالت لهم بنوا قريظة والنضير اذا والله
يامركم بما تكرهون ثم انطلق قوم منهم فيهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسد
وسعيد بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن ابى الحقيق وغيرهم الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد اخبرنا عن الزانى والزانية اذا احصنا
ما حدهما فى كتابك فقال هل ترضون بقضاى قالوا نعم فنزل جبريل عليه
السلام باية الرجم فاخبرهم بذلك فابوا ان ياخذوا به فقال جبريل للنبى
صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال
له ابن صوريا قالوا نعم قال فاى رجل هو فيكم فقالوا هو اعلم يهودى بقى على
وجه الارض بما انزل الله على موسى عليه السلام فى التوراة قال فارسلوا
اليه ففعلوا فلما جا قال له النبى صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم
قال انت اعلم يهودى قال نعم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لليهود تجعلونه
بينى وبينكم قالوا نعم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لابن صوريا ناشدتك
بالله الذى لا اله الا هو الذى انزل التوراة على موسى واخرجكم من مصر وفلق
لكم البحر ونجاكم واغرق آل فرعون وبالذى ظلل عليكم الغمام وانزل عليكم
المن والسلوى وانزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون فى كتابكم
الرجم على المحصن فقال ابن صوريا اللهم نعم والذى ذكرتنى به لولا خشية
ان ينزل علينا العذاب ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هى
فى كتابكم يا محمد قال اذا شهد اربعة رهط عدول انه ادخل فيها كما يدخل الميل
فى المكحلة وجب عليهم الرجم فقال ابن صوريا والذى انزل التورية على
موسى هكذا انزله الله فى التورية على موسى فقال له النبى صلى الله عليه
وسلم فما كان اول ما ترخصتم به فى امر الله تعالى فقال ابن صوريا كنا اذا
اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فكثر الزنا
فى اشرافنا حتى زنا ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنا رجل اخر فى امراة من
قومه فاراد الملك رجمه فقام قومه دونه وقالوا والله لا نرجمه حتى ترجم فلانا
لابن عم الملك فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيا دون الرجم يكون على الشريف
والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلد اربعين جلدة بحبل مطلى بقار
ثم تسود وجوههما ثم يحملان على حمارين ووجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف

بهما فجعلوا ذلك مكان الرجم فقال اليهود لابن صوريا ما اسرع ما اخبرته
وما كنت لما اثينا عليك باهل ولكنك كنت غايبا فكرهنا ان نغتابك
فقال لهم ابن صوريا انه قد نشدني بالتورية و لولا خشيته ان ينزل علينا
العذاب ما اخبرته فامر النبي صلى الله عليه وسلم بهما فرجما عند باب
المسجد وقال اللهم اني اول من احيا امرك اذ اماتوه فانزل الله هذه
الاية ق عن ابن عمر قال ان اليهود جاوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكروا له ان امراة منهم ورجلا زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما تجدون في التوراة من شان الرجم فقالوا نفضحهم ويجلدون فقال
عبد الله بن سلام كذبتم ان فيه الرجم فاتوا بالتوراة فنشروها فوضع
احدهم يده على اية الرجم فقرا ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن
سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها اية الرجم فقالوا صدق يا محمد فيها اية
الرجم فامر بهما النبي صلى الله عليه وسلم فرجما قال فرايت الرجل يحني على
المراة يقيها الحجارة وفي رواية اخرى لهما قال اتي النبي صلى الله عليه
وسلم برجل وامراة من اليهود قد زنيا فقال لليهود ما تصنعون بهما
قالوا نفحم وجوههما ونخزيهما قال فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين
فجاوا بها فقالوا الرجل ممن يرضون اعور اقرا فقرا حتى انتهى الى موضع منها
فوضع يده عليها فقال ارفع يدك فرفع يده فاذا اية الرجم تلوح فقال يا
محمد ان فيها الرجم ولكنا نتكاتمه بيننا فامر بهما فرجما فرايته يحني زاد في
رواية اخرى فرجما قريبا من موضع الجنايز قرب المسجد ق عن البراء بن
عازب قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بيهودي محمم مجلود فدعاهم فقال
هكذا تجدون حد الزنا في كتابكم قالوا نعم فدعا رجلا من علمايهم فقال
انشدك بالله الذي انزل التوراة على موسى هكذا تجدون حد الزاني
في كتابكم قال لا ولولا انك نشدتني لم اخبرك ولكنه كثر في اشرافنا
فكنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد
فقلنا تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع التحميم والجلد
مكان الرجم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اني اول من احيا امرك
اذ اماتوه فامر به فرجم فانزل الله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر الى قوله ان اوتيتم هذا فخذوه يقول ايتوا محمدا فان امركم
بالتحميم والجلد فخذوه وان امركم بالرجم فاحذروا فانزل الله تبارك وتعالى
ومن لم يحكم بما انزل الله فاوليك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله
فاوليك هم الفاسقون في الكفار كلها التحميم وهو تسويد الوجه بالحمم وهو
الفحم وقوله ما تجدون في التوراة حد الزاني قال العلما هذا
السوال من النبي صلى الله عليه وسلم ليس لتقليدهم ولا لمعرفة الحكم منهم

وانما

وانما هو لالزامهم بما يعتقدونه في كتابهم و لعله صلى الله عليه وسلم كان اوحي
اليه ان الرجم في التوراة الموجودة في ايديهم لم يغيروه كما غيروا اشيا منها
او اخبره بذلك من اسلم من اهل الكتاب وهو عبد الله بن سلام كما في حديث
ابن عمر المتفق عليه وكذلك لم يخف عليه صلى الله عليه وسلم حين كتموه وقوله
تعالى يحرفون الكلم يعني يغيرون حدود الله التي اوجبها عليهم في التوراة
وذلك انهم بدلوا الرجم بالجلد والتحميم وقال الحسن انهم يغيرون ما يسمعونه
من النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب عليه وقال ابن جرير الطبري
يحرفون حكم الكلم فحذف ذكر الحكم لمعرفة السامعين به من بعد مواضعه
يعني من بعد ان وضعه الله مواضعه وفرض فروضه واحل حلاله وحرم
حرامه فان قلت قد قال الله عز وجل هنا يحرفون الكلم من بعد
مواضعه وقال في موضع اخر يحرفون عن مواضعه فهل من فرق بينهما
قلت بينهما فرق وذلك انا اذا فسرنا يحرفون الكلم عن مواضعه
بالتاويلات الفاسدة لتلك النصوص وليس فيه بيان انهم يحرفون تلك
اللفظة من الكتاب واما قوله يحرفون الكلم من بعد مواضعه ففيه
دلالة على انهم جمعوا بين الامرين يعني كانوا يذكرون التاويلات
الفاسدة وكانوا يحرفون اللفظ من الكتاب ففي بيان قوله يحرفون الكلم
عن مواضعه اشارة الى التاويل الباطل وفي قوله من بعد مواضعه اشارة الى
اخراجه من الكتاب بالكلية وقوله تعالى يقولون يعني اليهود ان اوتيتم
هذا فخذوه يعني ان افتاكم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا منه وان لم توتوه
فاحذروا يعني وان لم يفتكم بذلك وافتاكم بالرجم فاحذروا ان تقبلوه ومن
يرد الله فتنته يعني كفره وضلالته فلن تملك له من الله شيا يعني فلا
يقدر على دفع امر الله فيه اوليك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم قال
ابن عباس معناه ان يخلص نياتهم وقيل معناه لم يرد الله ان يهديهم وفي
هذه الاية دلالة على ان الله تعالى لم يرد اسلام الكافر وانه لم يطهر قلبه من
الشك والشرك ولو فعل ذلك لامن وهذه الاية من اشد الايات على
القدرية لهم في الدنيا خزي يعني للمنافقين واليهود اما خزي المنافقين
فبالفضيحة وهتك استارهم باظهار نفاقهم وكفرهم واما خزي اليهود
فباخذ الجزية والقتل والسبي والاجلا من ارض الحجاز الى غيرها ولهم في
الاخرة عذاب عظيم يعني الخلود في النار للمنافقين واليهود قوله
عز وجل سماعون للكذب اكالون للسحت نزلت في حكام اليهود مثل كعب
ابن الاشرف ونظرايه كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم قال الحسن كان
الحاكم اذا اتاه احدهم برشوة جعلها في كمه ثم يريها اياه ويتكلم بحاجته فيسمع
منه ولا ينظر الى خصمه فيسمع الكذب وياكل الرشوة وهي السحت واصل السحت

الاستيصال يقال سحته اذا استاصله وسميت الرشوه فى الحكم سحتا لانها
تستاصل دين المرتشى والسحت كل حرام يحمل عليه شدة الشره وهو
يرجع الى الحرام الخسيس الذى لا يكون له بركة ولا لاخذه مروة ويكون
فى حصوله عار بحيث يخفيه لا محالة ومعلوم ان حال الرشوة كذلك
فكذلك حرمت الرشوة على الحاكم عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم
لعن الراشى والمرتشى فى الحكم اخرجه الترمذي واخرجه ابو داود عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص قال الحسن انما ذلك فى الحكم اذا رشوته ليحق لك
باطلا ويبطل عنك وقال ابن مسعود الرشوة فى كل شى فمن شفع شفاعة
ليرد بها حقا او يدفع بها ظلما فاهدي اليه فقبل فهو سحت فقيل له يا ابا
عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك الا الاخذ على الحكم فقال الاخذ على الحكم كفر
قال الله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون **قوله**
عز وجل **فان جاوك** يعنى اليهود **فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض
عنهم فلن يضروك شيا** خير الله رسوله صلى الله عليه وسلم فى الحكم بينهم
فان شا حكم وان شا ترك قال الحسن ومجاهد والسدى نزلت فى اليهوديين
اللذين زنيا وقال قتادة نزلت فى رجلين من قريظة والنضير قتل احدهما
الاخر قال ابن زيد كان حيي بن اخطب قد جعل للنضيرى ديتين وللقرظى
دية واحدة لانه كان من بني النضير فقال قريظة لا نرضى بحكم حيي ونتحاكم
الى محمد فانزل الله يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم فى الحكم بينهم **فصل**
اختلف علما التفسير فى حكم هذه الاية على قولين احدهما انها منسوخة
وذلك ان اهل الكتاب كانوا اذا ترافعوا الى النبى صلى الله عليه وسلم كان
مخيرا فان شا حكم بينهم وان شا اعرض عنهم ثم نسخ ذلك بقوله وان احكم
بينهم بما انزل الله فلزمه الحكم بينهم وزال التخيير وهذا القول مروي
عن ابن عباس وعطا ومجاهد وعكرمة والسدى والقول الثانى انها
محكمة وحكام المسلمين بالخيار اذا ترافعوا بينهم اليهم فان شاوا حكموا بينهم
وان شاوا اعرضوا عنهم وهذا القول مروى عن الحسن والشعبى والنخعى
والزهري وبه قال احمد لانه لا منافاة بين الايتين اما قوله فاحكم بينهم او
اعرض عنهم ففيه التخيير بين الحكم والاعراض واما قوله وان احكم بينهم بما
انزل الله ففيه كيفية الحكم اذا حكم بينهم قال الامام فخر الدين الرازى ومذهب
الامام الشافعي انه يجب على حاكم المسلمين ان يحكم بين اهل الكتاب اذا
تحاكموا اليه لان فى امضا حكم الاسلام صغارا لهم فاما المعاهدون الذين
لهم مع المسلمين عهد الى مدة فليس بواجب على الحاكم ان يحكم بينهم بل يتخير
فى ذلك وهذا التخيير المذكور فى هذه الاية مخصوص بالمعاهدين واذا
تحاكم مسلم وذمي وجب على الحاكم الحكم بينهم لا يختلف القول فيه لانه لا يجوز

للمسلم الانقياد لحكم اهل الذمة والله اعلم وقوله تعالى **وان حكمت فاحكم
بينهم بالقسط** يعنى بالعدل والاحتياط **ان الله يحب المقسطين** يعنى
العادلين فيما ولوا وحكموا **م** عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من
نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم واهليهم
وما ولوا هذا من احاديث الصفات فمن العلما من قال فيه وفى امثاله
نومن بها ولا نتكلم فى تاويلها ولا نعرف معناها لكن نعتقد ان ظاهرها
غير مراد وان لها معنى يليق بالله هذا مذهب جماهير السلف وطوايف
من المتكلمين ومنهم من قال انها توول بتاويل يليق بها وهذا قول اكثر
المتكلمين فعلى هذا قال القاضى عياض المراد بكونهم عن اليمين الحالة الحسنة
والمنزلة الرفيعة والعرب تنسب الفعل المحمود والاحسان الى اليمين على
انه ليس المراد باليمين الجارحة وضده اليسار وقالوا اليمين ماخوذة من
اليمن وقوله كلتا يديه يمين على انه ليس المراد باليمين الجارحة تعالى الله
عن ذلك فانها مستحيلة فى حقه تعالى وقوله وما ولوا بفتح الواو وضم
اللام المخففة هكذا ذكره الشيخ محيي الدين فى شرح مسلم ومعناه وما
كانت لهم عليه ولاية وهذا الفضل لمن عدل فيما تقلده من الاحكام والله
اعلم قوله تعالى **وكيف يحكمونك وعندهم التوراة** هذا تعجب من الله تعالى
لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى تحكيم اليهود اياه مع علمهم بما فى التوراة
وتركهم قبول ذلك الحكم مع اعتقادهم صحته وعدلهم الى حكم من يجحدون
نبوته طلبا للرخصة لا جرم ان الله تعالى اظهر جهلهم وعنادهم لانهم
حكموا النبى صلى الله عليه وسلم فى امر الزانيين ثم اعرضوا عن حكمه وفى هذه
الاية تقريع لليهود فكيف يجعلونه حكما بينهم ويرضون بحكمك وعندهم
التوراة **فيها حكم الله** يعنى الرجم الذى تحاكموا اليك من اجله **ثم
يتولون من بعد ذلك** يعنى ثم يعرضون عن حكمك الموافق لما فى كتابهم
وما اولئك يعنى اليهود **بالمومنين** يعنى بكتابهم كما يزعمون وقيل
معناه وما اولئك بالمصدقين لك **قوله عز وجل انا انزلنا
التوراة فيها هدى ونور** سبب نزول هذه الاية استفتا اليهود رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى امر الزانيين وقد سبق بيانه والهدى هو
البيان لان التورية مبينة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومبينة
ما تحاكموا فيه والنور هو الكاشف للشبهات الموضح للمشكلات والتوراة
كذلك وقيل الفرق بين الهدى والنور ان الهدى محمول على بيان الاحكام
والشرايع والنور محمول على بيان احكام التوحيد والنبوة والمعاد **يحكم
بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا** اراد بالنبيين الذين بعثوا

بعد موسى عليه السلام وذلك ان الله بعث في بني اسرايل الوفا من الانبيا ليس معهم كتاب انما بعثوا باقامة التوراة واحكامها ومعنى اسلموا اي انقادوا لامر الله تعالى والعمل بكتابه وهذا على سبيل المدح لهم وفيه تعريض باليهود لانهم بعدوا عن الاسلام الذي هو دين الانبيا عليهم السلام وقال الحسن والزهري وعكرمة وقتادة والسدي يحتمل ان يكون المراد بالنبيين الذين اسلموا هو محمد صلى الله عليه وسلم وانما ذكر بلفظ الجمع تعظيما وتشريفا له صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم حكم على اليهود بالرجم وكان هذا الحكم في التوراه قال ابن الانباري هذا رد على اليهود والنصارى لان الانبيا عليهم السلام ما كانوا موصوفين باليهودية والنصرانية بل كانوا مسلمين لله تعالى منقادين لامره ونهيه للذين هادوا يعني لليهود يحكم التورية فيما بينهم ويحملهم على احكامها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم كما هو في التوراة ولم يوافقهم على ما ارادوا من الجلد وقال الزجاج وجائز ان يكون المعنى على التقديم والتاخير على معنى انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين اسلموا **والربانيون والاحبار** اما الربانيون فتقدم تفسيره في سورة ال عمران واما الاحبار فقال ابن عباس هم الفقها وقيل هم العلما الاحبار واحده حبر بفتح الحا وكسرها لغتان قال الفرا انما هو حبر بكسر الحا وانما سمي به لمكان الحبر الذي يكتب به وذلك لانه صاحب كتاب وقال ابو عبيدة انما هو حبر بفتح الحا والحبر العالم من اثر علومه في قلوب الناس وافعاله الحسنة الذي يقتدي بها وجمعه احبار وقيل الحبر الاثر المستحسن ومنه الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره اي جماله وبهاوه وانما سمي العالم حبرا لما عليه من اثر جمال العلم وهل فرق بين الربانيين والاحبار ام لا فيه خلاف فقيل لا فرق والربانيون والاحبار بمعنى واحد وهم العلما والفقها وقيل الربانيون اعلى درجة من الاحبار لان الله تعالى قدمهم في الذكر على الاحبار وقيل الربانيون هم الولاة والحكام والاحبار هم العلما وقيل الربانيون علما النصارى والاحبار علما اليهود ومعنى الاية يحكم باحكام التورية النبيون وكذلك يحكم بها الربانيون والاحبار وقوله تعالى **بما استحفظوا من كتاب الله** يعني بما استودعوا من كتاب الله وقيل هو ان يحفظوا كتاب الله فلا ينسوه وقيل هو ان يحفظوه فلا يضيعوا احكامه وشرايعه وقد اخذ الله على العلما حفظ كتابه من هذين الوجهين معا وذلك بان يحفظوا كتاب الله في صدورهم ويدرسونه

بالسنتهم لئلا ينسوه وان لا يضيعوا احكامه ولا يهملوا شرايعه فاذا فعلوا ذلك كانوا قايمين بحفظه **وكانوا عليه شهدا** يعني ان هولا النبيين والربانيين والاحبار كانوا شهدا على كتاب الله تعالى ويعلمون انه حق وصدق وانه من عند الله **فلا تخشوا الناس واخشون** هذا خطاب لحكام اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني لا تخافوا احدا من الناس في اظهار صفة محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بالرجم واخشون يعني في كتمان ذلك **ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا** يعني ولا تستبدلوا بايات الله واحكامه ثمنا قليلا يعني الرشوة في الاحكام والجاه عند الناس ورضاهم والمعنى نهيتكم عن تغيير الاحكام لاجل خوف الناس كذلك انهاكم عن التغيير والتبديل لاجل الطمع في المال والجاه واخذ الرشوة فان كل متاع الدنيا قليل **ومن لم يحكم بما انزل الله فاوليك هم الكافرون** يعني اليهود لما انكروا حكم الله تعالى المنصوص عليه في التورية وقالوا انه غير واجب عليهم فهم كافرون على الاطلاق بموسى والتوراة وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقران واختلف العلما فيمن نزلت هذه الثلاث ايات وهي قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاوليك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاوليك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فاوليك هم الفاسقون فقال جماعة من المفسرين ان الثلاث ايات نزلت في الكفار ومن غير حكم الله من اليهود لان المسلم وان ارتكب كبيرة لا يقال انه كافر وهذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك ويدل على صحة هذا القول ما روي عن البرا بن عازب قال انزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاوليك هم الفاسقون في الكفار كلها اخرجه مسلم وعن ابن عباس قال ومن لم يحكم بما انزل الله فاوليك هم الكافرون الى قوله الفاسقون هذه الايات الثلاث في اليهود خاصة قريظة والنضير اخرجه ابو داود وقال مجاهد هذه الايات الثلاث من ترك الحكم بما انزل الله ردا لكتاب الله فهو كافر ظالم فاسق وهذا قول ابن عباس ايضا واختيار الزجاج لانه قال من زعم ان حكما من احكام الله التي اتت بها الانبيا باطل فهو كافر وقال طاووس قلت لابن عباس اكافر من لم يحكم بما انزل الله فقال به كفر وليس بكفر ينقل عن الملة كمن كفر بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ونحو هذا روي عن عطا قال هو كفر دون كفر وقال ابن مسعود والحسن والنخعي هذه الايات الثلاث عامة في اليهود وفي هذه الامة فكل من ارتشى وبدل الحكم فحكم بغير حكم الله فقد كفر وظلم وفسق واليه ذهب السدي لانه ظاهر الخطاب وقيل هذا فيمن علم نص حكم الله ثم رده عيانا عمدا او حكم بغيره واما من خفي عليه النص او اخطا في التاويل فلا يدخل في هذا الوعيد والله اعلم

بمراده وقوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس يعني وفرضنا على
بني اسرايل في التورية ان نفس القاتل بنفس المقتول وفاقا فيقتل به
وذلك ان الله تعالى حكم في التورية ان على الزاني المحصن الرجم واخبر ان
اليهود غيروه وبدلوه واخبر ايضا ان في التورية ان النفس بالنفس وان
هولا اليهود غيروا هذا الحكم وبدلوه ففضلوا بني النضير على بني قريظة
فكان بنوا النضير اذا قتلوا من قريظة ادوا اليهم نصف الدية واذا قتل
بنوا قريظة من بني النضير ادوا اليهم الدية كاملة فغيروا حكم الله الذي
انزله في التورية قال ابن عباس اخبر الله بحكمه في التوراة وهو ان النفس
بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن
والجروح قصاص فما لهم يخالفون فيقتلون النفسين بالنفس ويفقيون
العينين بالعين ومعنى الاية ان قاتل النفس يقتل به اذا تكافا الدمان
ومذهب الشافعي انه لا يقتل مسلم بكافر لما صح من حديث علي بن ابي طالب
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقتل مسلم بكافر الحديث اخرجاه في
الصحيحين وقوله تعالى والعين بالعين يعني تفقا بها والانف بالانف
يعني يجدع به والاذن بالاذن تقطع بها والسن بالسن يعني تقلع به
واما ساير الاطراف والاعضا فيجري فيها القصاص كذلك وقوله تعالى
والجروح قصاص يعني فيما يمكن ان يقتص منه وهذا التعميم بعد التخصيص
لان الله تعالى ذكر النفس والعين والانف والاذن فخص هذه الاربعة بالذكر
ثم قال تعالى والجروح قصاص على سبيل التعميم العموم فيما يمكن ان يقتص
منه كاليد والرجل والذكر والانثيين وغيرها واما ما لا يمكن القصاص
فيه كرض في لحم او كسر في عظم او جراحة في بطن يخاف منها التلف فلا قصاص
في ذلك وفيه الارش والحكومة واعلم ان هذه الاية دالة على ان هذا الحكم
كان شرعا في التورية فمن قال شرع من قبلنا يلزمنا الا ما نسخ منه
بالتفصيل قال هذه الاية حجة في شرعنا ومن انكره قال انها ليست بحجة
علينا واصل هذه المسئلة ان النبي صلى الله عليه وسلم وامته بعد البعثة
هل هم متعبدون بشرع من تقدم من الانبيا فنقل عن اصحاب ابي حنيفة
وبعض اصحاب الشافعي وعن احمد في احدى الروايتين عنه انه كان متعبدا
بما صح من شرايع من قبله بطريق الوحي اليه لا من جهة كتبهم المبدلة
ونقل اربابها واختار ابن الحاجب من المتاخرين هذا المذهب هو محمد
صلى الله عليه وسلم كان بعد البعث متعبدا بشرع من قبله فيما لم ينسخ
من الاحكام الباقية قبل شريعته لكنه لم يعتبر فيه الوحي وهو الحق
والا لم يبق للنزاع معنى اذ لا ينكر احد كون النبي صلى الله عليه وسلم
متعبدا بعد البعثة بما اوحي اليه سوا كان من شريعة من قبله ام لا

وذهب

وذهب الاشاعرة والمعتزلة الى المنع من ذلك وهو اختيار السيد
الامدي من المتاخرين واحتج الاولون بصحة مذهبهم ان الاجماع منعقد على
صحة الاستدلال بقوله وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس الاية مع انه
من شريعة من تقدم لانه مذكور في التوراة ومكتوب على بني اسرايل ولولا
انا متعبدون بشريعة من قبلنا ما صح هذا الاستدلال وقوله تعالى فمن
تصدق به يعني بالقصاص فلم يقتص من الجاني فهو كفارة له في هاء له قولان
احدهما في ان الهاء في له كناية عن المجروح وولي المقتول وذلك ان المجروح
وولي المقتول اذا تصدق بالقصاص كان ذلك كفارة لذنوبه وهذا قول
ابن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص والحسن ويدل عليه ما روى
عن ابي الدردا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من
رجل يصاب بشي من جسده فيتصدق به الا رفعه الله به درجة وحط عنه
بها خطيئة اخرجه الترمذي وعن انس قال ما رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم رفع اليه شي فيه قصاص الا امر فيه بالعفو اخرجه ابو داود ه
والنساي والقول الثاني ان الضمير في قوله يعود الى الجارح والقاتل يعني
ان المجني عليه اذا عفا عن الجاني كان ذلك العفو كفارة لذنب الجاني لا
يواخذ به في الاخرة وهذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل ان القصاص
كفارة له فاما اجر العافي فعلى الله تعالى وقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل
الله فاوليك هم الظالمون يعني لانفسهم حيث لم يحكموا بما انزل الله عز وجل
قوله عز وجل وقفينا على اثارهم يعني واتبعنا على اثار النبيين
الذين اسلموا بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التورية يعني ان
عيسى عليه السلام كان مصدقا بان التوراة منزلة من عند الله عز وجل
وكان العمل بها واجبا قبل ورود النسخ عليها فان عيسى عليه السلام نسخ بعض
احكام التوراة وخالفها واتيناه الانجيل فيه هدى ونور يعني فيه هدى
من الجهالة وضيا من عمى البصيرة ومصدقا لما بين يديه من التورية
هذا ليس بتكرير في الاول لان في الاول الاخبار بان عيسى مصدق لما بين
يديه من التورية وفي الثاني الاخبار بان الانجيل مصدق للتورية فظهر
الفرق بين اللفظين وانه ليس بتكرار وهدى وموعظة للمتقين
انما قال وهدى مرة اخرى لان الانجيل يتضمن البشارة بمحمد صلى الله
عليه وسلم فيكون سببا لاهتدا الناس الى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
واما كون الانجيل موعظة لما فيه من المواعظ البليغة والزواجر والامثال
وانما خص المتقين بالذكر لانهم هم الذين ينتفعون بالمواعظ قوله تعالى
وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه قال اهل المعاني في قوله وليحكم يحتمل
وجهين احدهما ان يكون المعنى وقلنا ليحكم اهل الانجيل فيكون هذا اخبارا

عما فرض عليهم في وقت انزاله عليهم من الحكم بما تضمنه الانجيل ثم حذف
القول الاول لان ما قبله من قوله وكتبنا وقفينا يدل عليه وحذف القول
كثير والوجه الثاني ان يكون قوله وليحكم ابتدا وفيه امر للنصارى بالحكم
بما في كتابهم وهو الانجيل **فان قلت** فعلى هذا الوجه كيف
جاز ان يومروا بالحكم بما في الانجيل بعد نزول القران **قلت**
ان المراد بهذا الحكم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لان ذكره في الانجيل
موجود ووجوب التصديق بنبوته فاذا امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
فقد حكموا بما في الانجيل وقوله **ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم**
الفاسقون يعني فاولئك هم الخارجون عن طاعة الله عز وجل **وانزلنا**
اليك الكتاب الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وانزلنا اليك
يا محمد القران **بالحق** يعني بالصدق الذي لا شك فيه انه من عند الله
مصدقا لما بين يديه من الكتاب يعني انه يصدق جميع الكتب التي
انزلها الله على انبيائه **ومهيمنا عليه** قال ابن عباس يعني شاهدا على
الكتب التي قبله ومنه قول حسان

ان الكتاب مهيمن لنبينا • والحق يعرفه ذووا الالباب •

يريد انه شاهد ومصدق لنبينا صلى الله عليه وسلم وانما كان القران
مهيمنا على الكتب التي قبله لانه الكتاب الذي لا ينسخ ولا يغير ولا يبدل
واذا كان القران كذلك كانت شهادته على التوراة والانجيل والزبور
وجميع الكتب المنزلة حق وصدق وقيل المهيمن الامين وانما كان القران
امينا على الكتب التي قبله فيما اخبر اهل الكتب عن كتبهم فان قالوا ذلك
في القران فقد صدقوا والا فلا **فاحكم بما انزل الله** يعني اذا ترافع اهل
الكتاب اليك يا محمد فاحكم بينهم بالقران الذي انزله الله اليك **ولا تتبع**
اهواهم يعني ولا تتبع اهوا اليهود في الحكم وقال ابن عباس لا تاخذ
باهوائهم في جلد المحصن **عما جاءك من الحق** يعني ولا تنحرف عن الحق الذي
جاءك من عند الله متبعا اهواهم وقوله تعالى **لكل جعلنا منكم شرعة**
ومنهاجا الخطاب في قوله منكم للامم الثلاثة امة موسى وامة عيسى
وامة محمد صلى الله عليه وسلم اجمعين بدليل ان الله عز وجل قال قبل
هذه انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور ثم قال بعد ذلك وقفينا على
اثارهم بعيسى ابن مريم ثم قال وانزلنا اليك الكتاب ثم جمع فقال
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والشرعة الشريعة يعني لكل امة شريعة
فللتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقران شريعة والدين واحد
وهو التوحيد واصل الشريعة من الشرع وهو البيان والاظهار من شرع
بين واوضح وقيل هو من الشروع في الشي والشريعة في كلام العرب

مهيمن

المشرعة التي يشرعها الناس فيشربون ويستقون منها وقيل الشريعة
الطريقة ثم استعير ذلك للطريقة الالهية المودية الى الدين والمنهاج
الطريق الواضح قال بعضهم الشريعة والمنهاج عبارة عن معنى واحد
والتكرير للتاكيد والمراد بهما الدين وقال اخرون بينهما فرق لطيف
وهو ان الشريعة التي امر الله بها عباده والمنهاج الطريق الواضح المودي
الى الشريعة قال ابن عباس في قوله شرعة ومنهاجا سنة وسبيلا وقال
قتادة سبيلا وسنة فالسنن مختلفة للتوراة شريعة وللانجيل شريعة
وللقران شريعة يحل الله عز وجل فيها ما يشا ويحرم ما يشا ليعلم من
يطيعه ممن يعصيه والدين الذي لا يقبل غيره هو التوحيد والاخلاص
لله الذي جاءت به جميع الرسل عليهم السلام وقال علي بن ابي طالب
الايمان منذ بعث علي بن ابي طالب ادم عليه السلام شهادة ان لا اله
الا الله والاقرار بما جا من عند الله ولكل قوم شريعة او منهاج قال العلما
وردت ايات دالة على عدم التباين في طريقة الانبيا قوله شرع لكم من
الدين ما وصى به نوحا الى قوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه
ومنها قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد وردت
ايات دالة على حصول التباين بينهم منها هذه الاية وهي قوله لكل
جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وطريق الجمع بين هذه الايات ان كل اية دلت
على عدم التباين فهي دالة على اصول الدين من الايمان بالله وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الاخر وكل ذلك جاءت به الرسل من عند الله ولم
يختلفوا فيه واما الايات الدالة على حصول التباين فمحمول على الفروع
وما يتعلق بظواهر العبادات فجائز ان يتعبد الله عباده كل وقت بما شا
فهذه طريق الجمع بين الايات والله اعلم باسرار كتابه واحتج بهذه ان من قال
شرع من قبلنا لا يلزمنا لان قوله لكل جعلنا شرعة ومنهاجا يدل على
ان كل رسول جا بشريعة خاصة فلا يلزم امة رسول الاقتدا بشريعة
رسول اخر قال تعالى **ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة** يعني جماعة متفقة
على شريعة واحدة ودين واحد لا اختلاف فيه **ولكن ليبلوكم** يعني ولكن
اراد ان يختبركم **فيما اتاكم** يعني من الشرائع المختلفة هل تعملون بها ام لا
فيتبين بذلك المطيع من العاصي والموافق من المخالف **فاستبقوا الخيرات**
هذا الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم فبادروا يا امة محمد بالاعمال
الصالحات التي تقربكم الى الله تعالى **الى الله مرجعكم جميعا** يعني المطيع
والعاصي والموافق والمخالف **فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون** يعني فيخبركم
في الاخرة بما كنتم فيه تختلفون من امر الدين والدنيا والمعنى فيخبركم
في الاخرة بما لا تشكون معه فيفصل بين المحق والمبطل والطايع والعاصي

بالثواب والعقاب قوله تعالى **وان احكم بينهم بما انزل الله** قال ابن
عباس ان كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قال
بعضهم لبعض اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فاتوه فقالوا
يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود واشرافهم وسادتهم وانا ان اتبعناك
اتبعنا اليهود ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم
اليك فاقض لنا عليهم نومن بك ونصدقك فابى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانزل الله هذه الاية وان احكم بينهم بما انزل الله يعني احكم بينهم
يا محمد بالحكم الذي انزله الله في كتابه **ولا تتبع اهواهم** يعني فيما امروك
به قال العلما ليس في هذه الاية تكرار لما تقدم وانما انزلت في حكمين
مختلفين اما الاية الاولى فنزلت في شان رجم المحصن وان اليهود طلبوا
منه ان يجلده وهذه الاية نزلت في الدما والديات فيما تحاكموا اليه في امر
قتيل كان بينهم قال بعض العلما هذه الاية ناسخة للتخيير في قوله فاحكم
بينهم او اعرض عنهم وقوله تعالى **واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل
الله اليك** يعني واحذر يا محمد هولا اليهود الذين جاوا اليك ان يصرفوك
ويصدوك بمكرهم وكيدهم فيحملوك على ترك العمل بما انزل الله اليك
في كتابه واتباع اهوايهم **فان تولوا** يعني فان اعرضوا عن الايمان بك
والرضا بالحكم بما انزل الله **فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم**
يعني فاعلم يا محمد ان الله يريد ان يعجل لهم العقوبة في الدنيا ببعض
ذنوبهم وانما خص بعض الذنوب لان الله جازاهم في الدنيا على بعض
ذنوبهم بالقتل والسبي والجلا واخر مجازاتهم على باقي ذنوبهم في الاخرة
وان كثيرا من الناس لفاسقون يعني اليهود لانهم ردوا حكم الله تعالى
افحكم الجاهلية يبغون يعني الحكم الجاهلية يطلب هولا اليهود قال ابن
عباس يعني بحكم الجاهلية ما كانوا عليه من الضلال والجور في الاحكام
وتحريفهم اياها عما امر الله بها وقال مقاتل كانت بين بني قريظة
والنضير دما وهما حيان من اليهود وذلك قبل ان يبعث الله محمدا فلما
بعث وهاجر الى المدينة تحاكموا اليه فقالت بنو قريظة بنو النضير
اخواننا ابونا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد فان قتل بنو النضير
منا قتيلا اعطونا سبعين وسقا من تمر وان قتلنا منهم قتيلا اخذوا
منا مائة واربعين وسقا وارش جراحتنا على النصف من جراحتهم فاقض
بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا احكم ان دم القرظي
ليس لاحدهما فضل على الاخر في دم ولا عقل ولا جراحة فغضبت بنو النضير
وقالوا لا نرضى بحكمك فانك لنا عدو انك لتالوا في وضعنا وتصغيرنا
فانزل الله افحكم الجاهلية يبغون وقري بالتا على الخطاب والمعنى قل لهم

يا محمد

يا محمد الحكم الجاهلية تبغون **ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون** يعني
اي حكم احسن من حكم الله ان كنتم موقنين ان لكم ربا وانه عدل في احكامه
قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
اوليا** اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الاية وان كان حكمها عاما
لجميع المومنين لان خصوص السبب لا يمنع عموم الحكم فقال قوم نزلت هذه
الاية في عبادة بن الصامت رضي الله عنه وعبد الله بن ابي بن سلول
راس المنافقين وذلك انهما اختصما فقال عبادة ان لي اوليا من اليهود
كثير عددهم شديد شوكتهم واني ابرا الى الله والى رسوله من ولايتهم ولا
مولى لي الا الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي لكني لا ابرا من ولاية
اليهود فاني اخاف الدواير ولا بد لي منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
يا ابا الحباب ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت
فهو لك دونه فقال اذا اقبل فانزل الله هذه الاية وقال السدي لما كانت
وقعة احد اشتد الامر على طايفة من الناس وخافوا ان يدال عليهم
الكفار فقال رجل من المسلمين انا الحق بفلان اليهودي واخذ منه امانا
اني اخاف ان يدال علينا اليهود وقال رجل اخر انا الحق بفلان النصراني
من اهل الشام واخذ منه فانزل الله هذه الاية ينهاهم عن موالاة اليهود
والنصارى وقال عكرمة نزلت في ابي لبابة بن عبد المنذر لما بعثه
النبي صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة حين حاصرهم فاستشاروه
في النزول وقالوا ماذا يصنع بنا اذا نزلنا فجعل اصبعه في حلقه
اشارة انه الذبح وانه يقتلكم فانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
اليهود والنصارى اوليا فنهى الله المومنين جميعا ان يتخذوا اليهود
والنصارى انصارا واعوانا على اهل الايمان بالله ورسوله واخبر
انه من اتخذهم انصارا واعوانا وخلفا من دون الله ورسوله والمومنين
فانه منهم وان الله ورسوله والمومنين منه برآء **بعضهم اوليا بعض**
يعني ان بعض اليهود انصار لبعض على المومنين وان النصارى كذلك
يد واحدة على من خالفهم في دينهم وملتهم **ومن يتولهم منكم فانه منهم**
يعني ومن يتول اليهود والنصارى دون المومنين فينصرهم على المومنين
فهو من اهل دينهم وملتهم لانه لا يتولى مولى احدا الا وهو راض به وبدينه
واذا رضيه ورضي دينه فهو صار منهم وهذا تعليم من الله تعالى وتشديد
عظيم في مجانبة اليهود والنصارى وكل من خالف دين الاسلام **ان الله
لا يهدي القوم الظالمين** يعني ان الله لا يوفق من وضع الولاية في غير
موضعها فيتولى اليهود والنصارى مع علمه بعداوتهم لله ولرسوله
وللمومنين روي ان ابا موسى الاشعري قال قلت لعمر بن الخطاب ان لي كاتبا

لنا بعدا

نصرانيا فقال مالك ولده الا اتخذت حنيفا يعني مسلما اما سمعت
قول الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
اوليا بعضهم اوليا بعض فقلت له دينه ولي كتابته فقال لا اكرمهم اذا
اهانهم الله ولا اعزهم اذ اذلهم الله ولا ادنيهم اذ ابعدهم الله قلت
انه لا يتم امر البصرة الا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب
انه مات فما تصنع بعده فما تعمله بعد موته فاعمله الان واستغن
عنه بغيره من المسلمين قوله تعالى **فترى الذين في قلوبهم مرض**
يعني فترى يا محمد الذين في قلوبهم شك ونفاق **يسارعون فيهم**
يعني يسارعون في مودة اليهود وموالاتهم ومناصحتهم لانهم كانوا
اهل ثروة ويسار فكانوا يغشونهم ويخالطونهم لاجل ذلك نزلت
في عبد الله بن ابي المنافق وفي اصحابه من المنافقين **يقولون** يعني
المنافقين **نخشى ان تصيبنا دايرة** الدايرة من دواير الدهر كالدولة
تدول والمعنى ويقول المنافقون انما نخالط اليهود لانا نخشى ان يدور
علينا الدهر بمكروه ويعنون بذلك المكروه الهزيمة في الحرب والقحط
والجدب والحوادث المخوفة قال ابن عباس معناه نخشى ان لا يتم امر
محمد فيدور علينا الامر كما كان قبل محمد **فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر
من عنده** قال المفسرون عسى من الله واجب لان الكريم اذا اطمع في
خير فعله وهو بمنزلة الوعد لتعلق النفس به ورجايها اليه فعسى
الله ان ياتي بالفتح لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم على اعدايه واظهار
دينه على الاديان كلها واظهار المسلمين على اعدايهم من الكفار واليهود
والنصارى وقد فعل الله ذلك بمنه وكرمه واظهر دينه ونصر عبده
وقيل اراد بالفتح فتح مكة وقيل فتح قرى اليهود مثل خيبر وفدك ونحوها
من بلادهم او امر من عنده يعني انه تعالى يقطع اصل اليهود من الحجاز
ويخرجهم من بلادهم بلا كلفة وتعب ولا يكون للناس فيه فعل البتة
كما القى في قلوبهم الرعب فاخلوا ديارهم واخربوها بايديهم ورحلوا
الى الشام وقوله تعالى **فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين**
يعني فيصبح المنافقون الذين كانوا يوالون اليهود نادمين على ما
حدثوا به انفسهم ان امر محمد لا يتم وقيل ندموا على دس الاخبار الى
اليهود **ويقول الذين امنوا** يعني ويقول الذين امنوا في وقت اظهار
الله تعالى المنافقين **اهولاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم
لمعكم** وذلك ان المومنين كانوا يتعجبون من حال المنافقين عندما
اظهروا الميل الى موالاة اليهود والنصارى فقالوا ان المنافقين حلفوا
بالله جهد ايمانهم انهم لمعنا ومن انصارنا والان كيف صاروا موالين

لاعدائنا

لاعدائنا من اليهود محبين للاختلاط بهم فبان كذب المنافقين في
ايمانهم الباطلة **حبطت اعمالهم** اي بطل كل خير يعملونه لاجل ما اظهروه
من النفاق وموالاة اليهود **فاصبحوا خاسرين** يعني انهم خسروا في الدنيا
لافتضاحهم وخسروا في الاخرة باحباط ثواب اعمالهم وحصلوا بالعذاب
الدايم المقيم **قوله** عز وجل **يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم
عن دينه** يعني يرجع منكم عن دينه الحق الذي عليه وهو دين الاسلام
فيبدله ويغيره بدخوله في الكفر بعد الايمان فيختار اما اليهودية او
النصرانية او غير ذلك من اصناف الكفر فلن يضر الله شيا وانما يضر
نفسه برجوعه من الدين الصحيح الذي هو دين الاسلام قال الحسن
علم الله تعالى ان قوما سيرجعون عن الاسلام بعد موت نبيهم صلى الله
عليه وسلم فاخبر انه سياتي بقوم يحبهم ويحبونه وذكر صاحب الكشاف
ان احد عشر فرقة من العرب ارتدت ثلاث في زمن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهم بنو مدلج ورييسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسي
وكان كاهنا تنبا باليمن واستولى على بلاده واخرج عمال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل
والى سادات اليمن فاهلكه الله تعالى على يد فيروز الديلمي فبيته وقتله
فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر المسلمون
بذلك وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد واتى خبر قتله
في اخر ربيع الاول وبنو حنيفة وهم قوم مسيلمة الكذاب تنبا وكتب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله اما بعد
فان الارض نصفها لي ونصفها لك فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض
لله يورثها من يشا من عباده والعاقبة للمتقين وستاتي قصة قتله
فيما بعد وبنو اسد وهم قوم طليحة بن خويلد تنبا فبعث اليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقاتله فانهزم بعد القتال
الى الشام ثم اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه وارتد سبع فرق في خلافة ابي
بكر الصديق وهم فزارة قوم عيينة بن حصن الفزاري وغطفان قوم
قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاة بن عبد ياليل وبنو يربوع
قوم مالك بن نويرة اليربوعي وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبية
التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس
الكندي وبنو بكر بن وايل قوم الحطم بن يزيد فكفى الله امرهم على يد
ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفرقة واحدة ارتدت في خلافة عمر بن
الخطاب وهم غسان قوم جبلة بن الايهم واختلف العلماء في المعني بقوله تعالى

فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه فقال علي بن ابي طالب والحسن
وقتادة هم ابو بكر واصحابه الذين قاتلوا اهل الردة ومانعي الزكوة
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قبض ارتد عامة العرب كما تقدم
تفصيله الا اهل المدينة واهل مكة واهل البحرين من بني عبد القيس
فانهم ثبتوا على الاسلام ونصر الله بهم الدين ولما ارتد من ارتد من
العرب ومنعوا الزكاة همّ ابو بكر بقتالهم وكره ذلك اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال عمر كيف نقاتل الناس وقد قال صلى الله
عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها
فقد عصم مني ماله ودمه الا بحقها وحسابه على الله تعالى فقال ابو
بكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال
والله لو منعوني عناقا او قال عقالا كانوا يودونها الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال انس بن مالك كرهت
الصحابة قتال مانعي الزكاة وقالوا هم اهل القبلة فتقلد ابو بكر سيفه وخرج
وحده فلم يجد بدا من الخروج على اثره فقال ابن مسعود كرهنا ذلك في
الابتدا ثم حمدناه عليه في الانتها وقال ابو بكر بن عياش سمعت ابا حصين
يقول ما ولد بعد النبيين افضل من ابي بكر الصديق قام مقام نبي من
الانبيا في قتال اهل الردة وقالت عايشة توفي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وارتدت العرب واشراب النفاق ونزل بابي بكر ما لو نزل بالجبال
الراسيات لهاضها وبعث ابو بكر الصديق خالد بن الوليد في جيش كثير
الى بني حنيفة باليمامة وهم قوم مسيلمة الكذاب فاهلك الله مسيلمة
على يد وحشي غلام مطعم بن عدي الذي قتل حمزة فكان وحشي يقول
قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد بذلك وحشي
انه في حال الجاهلية قتل حمزة وهو خير الناس وفي حال اسلامه قتل مسيلمة
الكذاب وهو شر الناس وقال قوم المراد بقوله تعالى فسوف ياتي الله
بقوم يحبهم ويحبونه الاشعريون قوم ابي موسى الاشعري روي عن عياض
ابن غنم الاشعري قال لما نزلت هذه الاية فسوف ياتي الله بقوم يحبهم
ويحبونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم قوم هذا يعني ابا موسى
الاشعري اخرجه الحاكم في المستدرك وقيل هم اهل اليمن م عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاكم اهل اليمن هم ارق افيدة
والين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية وقال السدي نزلت في الانصار
لانهم هم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم واعانوه على اظهار
الدين وقيل هم احيا من اهل اليمن الفان من النخع وخمسة الاف من اهل
كندة وبجيلة وثلاثة الاف من اخلاط الناس جاهدوا في سبيل الله يوم

القادسية على خلافة عمر وعلى هذا التقدير تكون الاية اخبارا عن الغيب
وقد وقع الخبر على وفقه بحمد الله تعالى فتكون هذه الاية معجزة واما معنى
المحبة فيقال احببت فلانا بمعنى جعلت قلبي معرضا بان يحبه والمحبة
ارادة ما تراه او تظنه خيرا فمحبة الله تعالى العبد انعامه عليه وتوفيقه
وهدايته الى طاعته والعمل بما يرضى به عنه وان يثيبه الثواب على طاعته
وان يثني عليه ويرضى عنه ومحبة العبد لله عز وجل ان يسارع الى طاعته
وابتغا مرضاته وان لا يفعل ما يوجب سخطه وعقوبته وان يتحبب اليه
بما يوجب له الزلفى لديه جعلنا الله ممن يحبهم ويحبونه بمنه وكرمه وقوله
تعالى اذلة على المومنين اعزة على الكافرين وهذه من صفات الذين هم
اصطفاهم الله تعالى ووصفهم بقوله يحبهم ويحبونه يعني انهم ارقا رحما
لاهل دينهم واخوانهم من المومنين وهم مع رقتهم ورحمتهم ولين جانبهم
اشدا اقويا غلظا على اعدايهم الكافرين قال علي بن ابي طالب اذلة
على المومنين يعني اهل رقة على اهل دينهم اعزة على الكافرين اهل غلظة
على من خالفهم في دينهم وقال ابن عباس تراهم كالولد لوالده وكالعبد
لسيده وهم في الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته وقال ابن
الانباري اثنى الله على المومنين بانهم يتواضعوا للمومنين اذا لقوهم وقيل
ان الذلة هنا بمعنى الشفقة والرحمة لانه قال راحمين للمومنين مشفقين
عليهم على وجه التذلل والتواضع وانما اتى بلفظ على حتى يدل على علو
منصبهم فضيلة التواضع ويدل على صحة هذا سياق الاية وهو قوله
اعزة على الكافرين يعني انهم اشدا اقويا في انفسهم وعلى اعدايهم
يجاهدون في سبيل الله يعني انهم ينصرون دين الله ولا يخافون لومة
لايم يعني لا يخافون عذل عاذل في نصرهم الدين وذلك ان المنافقين
كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم فبين الله تعالى في هذه الاية ان
من كان قويا في الدين وانه لا يخاف في نصره لدين الله بيده او بلسانه
لومة لايم وهذه صفة المومنين المخلصين ايمانهم لله تعالى ق عن عبادة
ابن الصامت قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع
والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى ان لا ننازع الامر اهله
وعلى ان نقول الحق اينما كنا لا نخاف في الله لومة لايم ثم قال تعالى ذلك
فضل الله يوتيه من يشا ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من وصفهم بمحبة
الله ولين جانبهم للمومنين وشدتهم على الكافرين وانهم يجاهدون في سبيل
الله ولا يخافون لومة لايم ذلك من فضل الله تعالى تفضل به عليهم ومن
احسانه اليهم والله واسع عليم يعني انه تعالى واسع الفضل عليهم بمن يستحقه
قوله تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا قال ابن عباس نزلت هذه

الاية في عبادة بن الصامت حين تبرا من موالاة اليهود قال اتولى الله
ورسوله والمومنين يعني اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن
عبد الله نزلت في عبد الله بن سلام وذلك انه جا الى محمد صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله ان قومنا قريظة والنضير قد هجرونا وفارقونا
واقسموا ان لا يجالسونا فنزلت هذه الاية فقراها عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن سلام رضينا بالله ربا وبرسوله
نبيا وبالمومنين اوليا وقيل الاية عامة في حق جميع المومنين لان
المومنين بعضهم اوليا بعض فعلى هذا يكون قوله تعالى الذين يقيمون
الصلاة ويوتون الزكوة وهم راكعون صفة لكل مومن ويكون المراد
بهذه الصفات تمييز المومنين عن المنافقين لان المنافقين كانوا يدعون
انهم مومنين الا انهم لم يكونوا ابدا مداومون على فعل الصلاة والزكاة فوصف
الله تعالى المومنين بانهم يقيمون الصلاة يعني باتمام ركوعها وسجودها
في مواقيتها ويوتون الزكاة يعني ويودون زكوة اموالهم اذا وجبت
عليهم اما قوله تعالى وهم راكعون فعلى هذا التفسير فيه وجوه احدها
ان المراد من الركوع هنا الخضوع والمعنى ان المومنين يصلون ويزكون
وهم منقادون خاضعون لاوامر الله ونواهيه الوجه الثاني ان يكون
المراد منه ان من شانهم اقامة الصلاة وايتا الزكاة وانما خص الركوع
بالذكر تشريفا له الوجه الثالث قيل ان هذه الاية نزلت وهم ركوع
وقيل نزلت في شخص معين وهو علي بن ابي طالب قال السدي مر بعلي
سايل وهو راكع في المسجد فاعطاه خاتمه فعلى هذا قال العلما العمل
القليل في الصلاة لا يفسدها والقول بالعموم اولى وان كان قد وافق
وقت نزولها صدقة علي بن ابي طالب وهو راكع ويدل على ذلك ما روي
عن عبد الملك بن سليمان قال سالت ابا جعفر محمد بن علي الباقر عن هذه
الاية انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا من هم فقال المومنون فقلت
ان ناسا يقولون هو علي فقال علي من الذين امنوا وقوله تعالى ومن
يتول الله ورسوله والذين امنوا يعني ومن يتولى القيام بطاعة الله
ونصرة رسوله والمومنين قال ابن عباس يريد المهاجرون والانصار ومن
ياتي بعدهم فان حزب الله يعني انصار دين الله هم الغالبون لان الله
ناصرهم على عدوهم والحزب في اللغة اصحاب الرجل الذين يكونون
معه على رايه وهم القوم الذين يجتمعون لامر حزبه يعني اهمه قوله
عز وجل يايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا
قال ابن عباس كان رفاعة بن سويد بن التابوت وسويد بن الحارث قد
اظهر الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فانزل الله تعالى

هذه

هذه الاية ومعنى اتخذوا دينكم هزوا ولعبا هو اظهارهم الاسلام بالسنتهم
قولا وهم مع ذلك يبطنون الكفر ويسرونه من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم يعني اليهود والكفار يعني عبدة الاصنام وانما فصل بين اهل
الكتاب والكفار وان كان اهل الكتاب من الكفار لان كفر المشركين من
عبدة الاصنام اغلظ وافحش من كفر اهل الكتاب اوليا يعني لا تتخذوهم
اوليا والمعنى ان اهل الكتاب والكفار اتخذوا دينكم يا معشر المومنين
هزوا وسخرية فلا تتخذوهم انتم اوليا وانصارا واتقوا الله ان كنتم
مومنين يعني مومنين حقا لان المومن يابى موالاة اعدا الله عز
وجل قوله تعالى واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا
قال الكلبي كان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نادى الى
الصلاة وقام المسلمون اليها قالت اليهود قد قاموا لا قاموا وصلوا
لا صلوا ويضحكوا على طريق الاستهزا فانزل الله هذه الاية وقال
السدي نزلت هذه الاية في رجل من النصارى كان بالمدينة فكان اذا
سمع المودن يقول اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله يقول
حرق الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وهو واهله نيام فطارت
منها شرارة فاحترق البيت واحترق هو واهله وقيل ان الكفار والمنافقين
كانوا اذا سمعوا الاذان حسدوا المسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد لقد ابدعت شيا لم يسمع بمثله فيما
مضى من الامم قبلك فان كنت تدعي النبوة فقد خالفت الانبيا قبلك
ولو كان فيه خيرا لكان اولى الناس به الانبيا فمن اين لك صياح كصياح
العير فما اقبح هذا الصوت وهذا الامر فانزل الله عز وجل ومن
احسن قولا ممن دعا الى الله الاية وانزل واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها
هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون يعني ان هزوهم ولعبهم من
افعال السفها والجهال الذين لا عقل لهم قوله تعالى قل يا اهل الكتاب
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني قل يا محمد لهولا اليهود والنصارى
الذين اتخذوا دينك هزوا ولعبا هل تنقمون منا يعني هل تكرهون منا
او يعيبون علينا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وهذا
على سبيل التعجب من فعل اهل الكتاب هل تجدون علينا في الدين الا
الايمان بالله وما انزل الينا وبما انزل على جميع الانبيا من قبل وهذا
ليس مما ينكر او ينقم منه وهذا كما قال بعضهم •
• ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتايب •
يعني انه ليس فيهم عيب الا ذلك وهذا ليس بعيب بل هو مدح عظيم
قال ابن عباس اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فيهم

ابو ياسر بن اخطب ورافع بن ابي رافع وعازر وزيد وخالد وآزر
ابن ابي آزر واشيع فسالوه عمن يومن به من الرسل فقال اومن
بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب
والاسباط الى قوله ونحن له مسلمون الاية فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته
وقالوا والله لا نومن بمن امن به فانزل الله هذه الاية وقيل انهم
قالوا والله ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم ولا دينا
شرا من دينكم فانزل الله هذه الاية قل يا اهل الكتاب هل تنقمون
منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وهذا هو ديننا
الحق وطريقنا المستقيم فلم تنقموه علينا وان اكثركم فاسقون يعني انكم
انما كرهتم اي ديننا ونقمتموه علينا مع علمكم بانا على الحق بسبب فسقكم
واقامتكم على الدين الباطل بحب الرياسة واخذ الاموال بالباطل
وانما قال اكثرهم لان الله علم ان من اهل الكتاب من يومن بالله
وبرسوله قوله عز وجل قل هل انبئكم بشر من ذلك هذا جواب
اليهود لما قالوا ما نعرف دينا شرا من دينكم والمعنى قل يا محمد لهولا
اليهود الذين قالوا هذه المقالة هل اخبركم بشر من ذلك الذي
ذكرتم ونقمتم علينا من ايماننا بالله وما انزل علينا مثوبة عند
الله يعني جزا فان قلت المثوبة مختصة بالاحسان لانها في
معنى الثواب فكيف جات في الاساة قلت وضعت المثوبة موضع
العقوبة على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ومنه قوله تعالى
فبشرهم بعذاب اليم والمعنى قل هل انبئكم بشر من اهل ذلك الدين
مثوبة فان قلت هذا يقتضي ان الموصوفين بذلك الذين
محكوم عليهم بالشر لانه تعالى قال بشر من ذلك ومعلوم ان الامر
ليس كذلك فما جوابه قلت جوابه ان الكلام خرج على حسب
قولهم واعتقادهم فان اليهود حكموا بان اعتقاد ذلك الدين شر
فقال لهم هب ان الامر ليس كذلك لكن من لعنه الله وغضب عليه
وامسخ صورته شر من ذلك وقوله تعالى من لعنه الله معناه هل
انبئكم بمن لعنه الله او هو من لعنه الله ومعنى لعنه ابعده وطرده
من رحمته وغضب عليه يعني وانتقم منه لان الغضب ارادة الانتقام
من العصاة وجعل منهم القردة والخنازير يعني من اليهود من لعنه الله
وغضب عليه ومنهم من جعلهم قردة وخنازير قال ابن عباس ان الممسخين
كلاهما اصحاب السبت فشبابهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير
وقيل ان مسخ القردة كان في اصحاب السبت من اليهود ومسخ الخنازير
كان في الذين كفروا بعد نزول المايدة في زمن عيسى عليه السلام ولما نزلت

هذه الاية عير المسلمون اليهود قالوا لهم اخوان القردة والخنازير
فافتضحوا بذلك وعبد الطاغوت يعني وجعل منهم عبد الطاغوت يعني
من اطاع الشيطان فيما سول له والطاغوت هو الشيطان وقيل هو
العجل وقيل هو الكهان والاحبار وجملته ان كل من اطاع احدا في معصية
الله فقد عبده وهو الطاغوت اوليك يعني الملعونين والمغضوب
عليهم والممسوخين شر مكانا يعني من غيرهم ونسب الشر الى المكان
والمراد به اهله فهو من باب الكناية وقيل اراد ان مكانهم سقر ولا مكان
اشد شرا منه واضل عن سواء السبيل يعني واخطا عن قصد طريق
الحق قوله تعالى واذا جاوكم قالوا امنا قال قتادة نزلت في اناس من
اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه انهم
مومنون راضون بالذي جا به وهم متمسكون بضلالتهم وكفرهم فكان
هولا يظهرون الايمان وهم في ذلك منافقون فاخبر الله تعالى نبيه
صلى الله عليه وسلم بحالهم وشانهم وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا
به يعني انهم دخلوا كافرين وخرجوا كافرين لم يتعلق بقلوبهم شي
من الايمان فهم كافرون في حالتي الدخول والخروج والله اعلم بما كانوا
يكتمون يعني من الكفر الذي في قلوبهم قوله عز وجل وترى كثيرا
منهم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وترى يا محمد كثيرا منهم من اليهود
وكلمة من يحتمل ان تكون للتبعيض ولعل ان هذه الافعال المذكورة في
هذه الاية ما كان يفعلها كل اليهود فلهذا قال تعالى وترى كثيرا منهم
يسارعون والمسارعة في الشي المبادرة اليه بسرعة لكن لفظة
المسارعة انما تستعمل في الخير ومنه قوله تعالى يسارعون في الخيرات
وضدها العجلة ويقال في الشر في الاغلب وانما ذكرت لفظة المسارعة
في قوله يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت لفايدة وهي
انهم كانوا يقدمون على هذه المنكرات كانهم محقون فيها والاثم اسم
جامع لجميع المعاصي والمنهيات فيدخل تحت العدوان واكل السحت
فلهذا ذكر الله العدوان واكل السحت بعد الاثم والمعاصي وقيل
الاثم ما كتموه من التوراة والعدوان ما زادوا فيها والسحت هو
الرشى وما كانوا ياكلونه من غير وجهه لبيس ما كانوا يعملون يعني
لبيس العمل كان هولا اليهود يعملون وهو مسارعتهم الى الاثم والعدوان
واكلهم السحت قوله تعالى لولا يعني هلا وهي هنا بمعنى التحضيض
والتوبيخ ينهاهم الربانيون والاحبار قال الحسن الربانيون علما
اهل الانجيل والاحبار علما اهل التوراة وقال غيره كلهم من اليهود لانه
متصل بذكرهم عن قولهم الاثم يعني الكذب واكلهم السحت والمعنى

هلا ينهى الاحبار والرهبان اليهود عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون يعني الاحبار والرهبان اذا لم ينهوا غيرهم عن المعاصي وهذه الاية تدل على ان ترك النهي عن المنكر بمنزلة مرتكبه لان الله تعالى ذم الفريقين في هذه الاية قال ابن عباس ما في القران اشد توبيخا من هذه الاية وقال الضحاك ما في القران اية اخوف عندي منها قوله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة نزلت هذه الاية في فنحاص اليهودي قال ابن عباس ان الله كان قد بسط على اليهود حتى كانوا اكثر الناس اموالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوا به كف عنهم ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص يد الله مغلولة يعني محبوسة مقبوضة عن الرزق والبذل والعطا فنسبوا الله تعالى الى البخل والقبض تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ولما قال هذه المقالة الخبيثة فنحاص ولم ينهه بقية اليهود ورضوا بقوله لا جرم ان الله تعالى اشركهم معه في هذه المقالة فقال تعالى اخبارا عنهم وقالت اليهود يد الله مغلولة يعني نعمته مقبوضة عنا وقيل معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا الا بقدر ما يبرى به قسمه وذلك قدر ما عبد اباونا العجل والقول الاول اصح لقوله تعالى ينفق كيف يشا واعلم ان غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود بدليل قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط والسبب ان اليد الة لكل الاعمال لا سيما لدفع المال وانفاقه وامساكه فاطلقوا اسم السبب على المسبب واسندوا الجود والبخل الى اليد مجازا فقيل للجواد الكريم فياض اليد ومبسوط اليد وقيل للبخيل مقبوض اليد وقوله تعالى غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا يعني امسكت ايديهم عن كل خير وطردوا عن رحمة الله وقال الزجاج رد الله عليهم فقال انا الجواد الكريم وهم البخلا وايديهم هي المغلولة الممسوكة وقيل هذا دعا على اليهود علمنا الله كيف ندعوا عليهم وقال غلت ايديهم في نار جهنم فعلى هذا هو من الغل حقيقة اي شدت ايديهم الى اعناقهم وطرحوا في النار جزا لهم على هذا القول ومعنى لعنوا بما قالوا عذبوا بسبب ما قالوا فمن لعنتهم انهم مسخوا في الدنيا قردة وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة والجزية وفي الاخرة لهم عذاب النار وقوله تعالى بل يداه مبسوطتان يعني ان الله تعالى جواد كريم ينفق كيف يشا وهو جواب لليهود ورد عليهم عما افتروه واختلقوه تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وانما اجيبوا بهذا الجواب على قدر كلامهم واما الكلام في اليد فقد اختلف العلما في معناها على قولين احدهما وهو مذهب

جمهور السلف وعلما اهل السنة وبعض المتكلمين ان يد الله صفة من صفات ذاته يجب علينا الايمان بها والتسليم ونحوها كما جاءت في الكتاب والسنة بلا كيف ولا تشبيه ولا تعطيل قال الله تعالى لما خلقت بيدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين والقول الثاني هو قول جمهور المتكلمين واهل التاويل فانهم قالوا اليد في اللغة تذكر على وجوه احدها الجارحة وهي معلومة وثانيها النعمة يقال لفلان عندي يد اشكره عليها وثالثها القدرة قال الله تعالى اولوا الايدي والابصار فسروه بذي القوة والعقول ويقال لا يدان لك بهذا الامر والمعنى سلب كمال القدرة ورابعها الملك يقال هذه الضيعة في يد فلان اي في ملكه ومنه قوله تعالى الذي بيده عقدة النكاح اي يملك ذلك اما الجارحة فمنتفية في صفة الله عز وجل لان العقل دل على انه يمتنع ان تكون يد الله عبارة عن جسم مخصوص وعضو مركب من الاجزا والابعاض تعالى الله عن الجسمية والكيفية والتشبيه علوا كبيرا فامتنع بذلك ان تكون يد الله بمعنى الجارحة واما ساير المعاني التي فسرت اليد بها فحاصله لان اكثر العلما من المتكلمين زعموا ان اليد في حق الله عبارة عن القدرة وعن الملك وعن النعمة وهنا اشكالان احدهما ان اليد اذا فسرت انها بمعنى القدرة فقدرة الله واحدة ونص القران ناطق باثبات اليدين في قوله تعالى بل يداه مبسوطتان واجيب عن هذا الاشكال بان اليهود لما جعلوا قولهم يد الله مغلولة كناية عن البخل اجيبوا عن وفق كلامهم فقال بل يداه مبسوطتان اي ليس الامر على ما وصفتموه من البخل بل هو جواد كريم على سبيل الكمال فان من اعطى بيديه فقد اعطى على اكمل الوجوه الاشكال الثاني ان اليد اذا فسرت بالنعمة فنص القران ناطق باثبات اليدين ونعم الله لا محصورة ولا معدودة ومنه قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واجيب عن هذا الاشكال بان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين انواع كثيرة لا نهاية لها مثل نعمة الدنيا ونعمة الدين ونعمة الظاهر ونعمة الباطن ونعمة النفع ونعمة الدفع فالمراد بالتثنية المبالغة في وصف النعمة اجاب اصحاب القول الاول عن هذا بان قالوا ان الله تعالى اخبر عن ادم انه خلقه بيده ولو كان معنى خلقه لادم بقدرته او بنعمته او بملكه لم يكن لخصوصية ادم بذلك وجه مفهوم لان جميع خلقه مخلوقون بقدرته وجميعهم في ملكه ومتقلبين في نعمه فلما خص الله ادم عليه السلام بقوله تعالى لما خلقت بيدي دون خلقه علم بذلك اختصاصه وتشريفه على غيره ونقل الامام فخر الدين الرازي عن ابي الحسن الاشعري

قولان ان اليد صفة قايمة بذات الله وهي صفة سوى القدرة من شانها التكوين على سبيل الاصطفا قال والذى يدل عليه على انه تعالى جعل وقوع خلق ادم بيده على سبيل الكرامة لادم واصطفايه له فلو كانت اليد عبارة عن القدرة امتنع عن كون آدم مصطفى بذلك لان ذلك له حاصل في جميع المخلوقات فلا بد من اثبات صفة اخرى ورا القدرة يقع بها الخلق والتكوين على سبيل الاصطفا هذا اخر كلامه واجيب عن قولهم بان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين انواع كثيرة لان الاسم اذا ثنى لا يودى في كلام العرب الا الى اثنين باعيانهما دون الجمع ولا يودي عن الجنس ايضا قالوا وخطا في كلام العرب ان يقال ما اكثر الدرهمين في ايدى الناس بمعنى ما اكثر الدراهم في ايديهم لان الدرهم هذا اذا ثنى لا يودى في كلام العرب الا الى اثنين باعيانهما ولكن الواحد يودى عن جنسه كما تقول العرب ما اكثر الدرهم في ايدى الناس بمعنى ما اكثر الدراهم في ايديهم لان الدراهم يودى عن الجمع فثبت بهذا البيان قول من قال ان اليد صفة الله تعالى تليق بجلاله وانها ليست بجارحة كما تقول المجسمة تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا **ينفق كيف يشا** يعنى انه تعالى يرزق كما يريد ويختار فيوسع على من يشا ويقتر على من يشا لا اعتراض عليه في ملكه ولا فيما يفعله **ق** عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق انفق عليك وقال يد الله ملاى لا تغيضها نفقة سحا الليل والنهار ارايتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم ينقص ما بيده وكان عرشه على الما وبيده الميزان يخفض ويرفع وهذا الحديث ايضا احد احاديث الصفات فيجب الايمان به وامراره كما جا من غير تشبيه ولا تكييف وقوله تعالى **وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا** يعنى كلما نزلت عليك اية من القران كفروا بها فازدادوا شدة في كفرهم وطغيانا مع طغيانهم والمراد بالكثير علما اليهود وقيل اقامتهم على كفرهم زيادة منهم فيه **والقينا بينهم العداوة والبغضا الى يوم القيمة** يعنى بين اليهود والنصارى وقيل القى ذلك بين طوايف اليهود فجعلهم مختلفين في دينهم متعادين متباغضين الى يوم القيمة فان بعض اليهود جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مشبهة وكذلك النصارى فرقا كالملكية والنسطورية واليعقوبية والمارونية فان قلت هذا المعنى حاصل بين فرق المسلمين فكيف يكون ذلك عيبا على اليهود والنصارى حتى يذموا به قلت هذه البدع التى حصلت في المسلمين انما حدثت بعد عصر النبى صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة

والتابعين

والتابعين اما في الصدر الاول فلم يكن شى من ذلك حاصلا بينهم فحسن جعل ذلك عيبا على اليهود والنصارى في ذلك العصر الذى نزل فيه القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم **كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله** يعنى كلما افسدوا اليهود وخالفوا حكم الله يبعث الله عليهم من يهلكهم فافسدوا فبعث الله عليهم بخت نصر البابلى ثم افسدوا فبعث الله عليهم طيطوس الرومى ثم افسدوا فسلط الله عليهم المجوس وهم الفرس ثم افسدوا وقالوا يد الله فبعث الله المسلمين فلا تزال اليهود في ذلة ابدا وقال مجاهد معنى الاية كلما مكروا مكروا في حرب محمد صلى الله عليه وسلم اطفاه الله تعالى وقال السدى كلما اجمعوا امرهم على شى ليفسدوا امر محمد صلى الله عليه وسلم فرقه الله تعالى وكلما اوقدوا نارا في حرب محمد صلى الله عليه وسلم اطفاها الله واخمد نارهم وقذف في قلوبهم الرعب وقهرهم ونصر نبيه ودينه **ويسعون في الارض فسادا** يعنى ويجتهدون في دفع الاسلام ومحو ذكر محمد صلى الله عليه وسلم من كتبهم وقيل انهم يسعون بالمكر والكيد والحيل ليس يقدرون على غير ذلك **والله لا يحب المفسدين** يعنى ان الله لا يحب من كانت هذه صفته قال قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذل الناس فيها وهم ابغض خلق الله اليه قوله تعالى **ولو ان اهل الكتاب امنوا** يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدقوه فيما جا به **واتقوا** يعنى اليهودية والنصرانية **لكفرنا عنهم سياتهم** يعنى محونا عنهم ذنوبهم التى عملوها قبل الاسلام لان الاسلام يجب ما قبله **ولادخلناهم جنات النعيم** يعنى مع المسلمين يوم القيمة **ولو انهم اقاموا التورية والانجيل** يعنى اقاموا احكامهما بحدودهما وعملوا بما فيهما من الوفا بالعهود والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم لان نعته وصفته موجدان فيهما **فان قلت** كيف يامر اهل الكتاب باقامة التوراة والانجيل مع انهما نسخا وبدلا **قلت** انما امرهم الله تعالى باقامة ما فيهما من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانه غير منسوخ موافق لما في القران وقوله تعالى **وما انزل اليهم من ربهم** فيه قولان احدهما ان المراد به كتب انبيايهم القديمة مثل كتاب شعيا وكتاب ارميا وزبور داود في هذه الكتب ايضا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فيكون المراد باقامة هذه الكتب الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقول الثانى ان المراد بما انزل اليهم من ربهم هو القران لانهم مامورون بالايمان به فكانه نزل اليهم من ربهم **لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم** يعنى ان اليهود لما اصروا على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وثبتوا على كفرهم ويهوديتهم اصابهم الله بالقحط والشدة حتى بلغوا الى حيث قالوا يد الله مغلولة فاخبر الله انهم تركوا اليهودية والكفر

يهلكهم

الذي هم عليه لانقلبت تلك الشدة بالخصب والسعة وهو قوله
تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم قال ابن عباس معناه لانزلت
عليهم المطر واخرجت لهم النبات والمراد من ذلك توسعة الرزق عليهم
منهم امة مقتصدة اي عادلة والاقتصاد الاعتدال في العمل من غير
غلو ولا تقصير واصله من القصد لان من عرف مقصود طلبه من غير
اعوجاج عنه والمراد بالامة المقتصدة من امن من اهل الكتاب
مثل عبد الله بن سلام واصحابه والنجاشي واصحابه الذين اسلموا **وكثير
منهم** يعني من اهل الكتاب الذين اقاموا على كفرهم مثل كعب بن
الاشرف ورؤساء اليهود **ساء ما يعملون** يعني بئس ما يعملون من اقامتهم
على كفرهم قال ابن عباس عملوا بالقبيح مع التكذيب بالنبي صلى الله
عليه وسلم قوله عز وجل **يايها الرسول بلغ ما انزل اليك من
ربك** الاية روي عن الحسن ان الله تعالى لما بعث رسوله صلى الله عليه
وسلم ضاق ذرعا وعرف ان من الناس من يكذبه فانزل الله هذه
الاية وقيل نزلت في عيب اليهود وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
دعاهم الى الاسلام فقالوا اسلمنا قبلك وجعلوا يستهزؤن به ويقولون
تريد ان نتخذك حنانا كما اتخذت النصارى عيسى حنانا فلما راى
النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منهم سكت فانزل الله هذه الاية وامره
ان يقول لهم يا اهل الكتاب لستم على شي الاية وقيل نزلت هذه الاية
في امر الجهاد وذلك ان المنافقين كرهوه فكان النبي صلى الله عليه وسلم
يمسك في بعض الاحايين عن الحث على الجهاد لما علم من كراهية بعضهم
له فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في قصة الرجم والقصاص وما سال
عنه اليهود ومعنى الاية يايها الرسول بلغ جميع ما انزل اليك من
ربك مجاهرا به ولا تراقبن احدا ولا تترك شيا مما انزل اليك من ربك
وان اخفيت شيا من ذلك في وقت من الاوقات فما بلغت رسالته
وهو قوله تعالى **وان لم تفعل فما بلغت رسالته** وقرى رسالاته قال
ابن عباس يعني ان كتمت اية مما انزل اليك من ربك لم تبلغ رسالتي
يعني انه صلى الله عليه وسلم لو ترك ابلاغ البعض كان كمن لم يبلغ
شيا مما انزل الله اليه وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكتم
شيا مما اوحي اليه روي مسروق عن عايشة قالت ومن حدثك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيا مما انزل اليه فقد كذب ثم
قرات يايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك اخرجاه في الصحيحين
بزيادة فيه وقوله تعالى **والله يعصمك من الناس** يعني يحفظك يا
محمد ويمنعك منهم والمراد بالناس هنا الكفار فان قلت اليس قد شج

راسه وكسرت رباعيته يوم احد وقد اوذي بضروب من الاذى فكيف يجمع
بين ذلك وبين قوله والله يعصمك من الناس قلت المراد منه انه
يعصمه من القتل فلا يقدر عليه احد اراده بالقتل ويدل على صحة ذلك
ما روي عن جابر انه غزى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فلما قفل
رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه فادركتهم القايلة في واد كثير
العضاة فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بشجرة وتفرق الناس يستظلون
بالشجر فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة وتفرق الناس فعلق
بها سيفه ونمنا معه نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا
واذا عنده اعرابي فقال ان هذا اخترط علي سيفي وانا نايم فاستيقظت
وهو في يده صلتا فقال من يمنعك مني فقلت الله ثلاثا ولم يعاقبه
وجلس وفي رواية اخرى قال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذات الرقاع فاذا اتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه
وسلم معلق بالشجرة فاخترطه فقال تخافني فقال لا فقال من يمنعك
مني قال الله فهدده اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجاه
في الصحيحين وزاد البخاري في رواية له ان اسم ذلك الرجل غورث بن
الحرث **ق** عن عايشة رضي الله عنها قالت سهر رسول الله صلى الله عليه
وسلم مقدمه المدينة ليلة فقال ليت رجلا صالحا من اصحابي يحرسني
الليلة قالت فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة السلاح فقال من هذا
قال سعد بن ابي وقاص قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك
فقال وقع في نفسي خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت
احرسه فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام وعن عايشة
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس ليلا حتى نزلت والله
يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة
فقال لهم ايها الناس انصرفوا فقد عصمني الله اخرجه الترمذي وقال
هذا حديث غريب وقيل في الجواب عن هذا ان هذه الاية نزلت بعد
ما شج راسه في يوم احد لان سورة المايدة من اخر القران نزولا وقوله
ان الله لا يهدي القوم الكافرين قال ابن عباس معناه لا يرشد من
كذبك واعرض عنك وقال ابن جرير الطبري معناه ان الله لا يوفق
للرشد من حاد عن سبيل الحق وجار عن قصد السبيل وجحد ما جئت به
من عند الله ولم ينته الى امر الله وطاعته فيما فرض اليه واوجبه قوله
تعالى **قل يا اهل الكتاب لستم على شي** يعني قل يا محمد لهولاء اليهود
والنصارى لستم على شي من الدين الحق المرتضى عند الله ولستم على شي

مما تدعون انكم عليه مما جاكم به موسى عليه السلام يا معشر اليهود ولا
ما جاكم به عيسى يا معشر النصارى فانكم احدثتم وغيرتم قال ابن عباس
جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك
ابن الصيف ورافع بن حرملة وقالوا يا محمد الست تزعم انك على ملة
ابراهيم ودينه وتومن بما عندنا من التوراة وتشهد انها حق فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى ولكنكم احدثتم وجحدتم ما فيها مما
اخذ عليكم من الميثاق وكتمتم منها ما امرتم ان تبينوه للناس فانا
برى من احداثكم قالوا فانا ناخذ بما في ايدينا فانا على الحق والهدي
ولا نومن لك ولا نتبعك فانزل الله قل اهل الكتاب لستم على شى
حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم الاية وقد تقدم
معنى اقامة التورية والانجيل وانه يلزمهم العمل مما فيهما وهو الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد تقدم تفسير ما انزل اليكم من ربكم
وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا وقوله
تعالى فلا تاس على القوم الكافرين يعنى ولا تحزن يا محمد على هولاء
اليهود الذين جحدوا نبوتك ولم يومنوا بك فانما يعود ضرر ذلك
الكفر عليهم قوله عز وجل ان الذين امنوا والذين هادوا
والصابيون والنصارى لما بين الله عز وجل ان اهل الكتاب ليسوا
على شى ما لم يومنوا بين في هذه الاية ان الحكم عام في كل اهل الملل
وانه لا يحصل لاحد منهم فضيلة ولا منقبة الا اذا امن بالله واليوم
الاخر وعمل صالحا يرضاه ومن العمل الصالح الايمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم لانه لا يتم الايمان الا به وقد تقدم تفسير هذه الاية في سورة البقرة
وقوله تعالى والصابيون فظاهر الاعراب يقتضى ان يقال والصابين
وكذا قراءة ابي بن كعب وابن مسعود وابن كثير من السبعة وقرا الجمهور بالرفع
ومذهب الخليل وسيبويه انه ارتفع الصابيون بالابتدا على نية التاخير
كانه قال قيل ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى من امن بالله
واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابيون
كذلك فحذف خبره والحكمة في عطف الصابيين على من قبلهم هي ان الصابيين
اشد الفرق المذكورين في هذه الاية ضلالا فكانه قال هولا الفرق اذا امنوا
واتوا بالعمل الصالح قبل الله توبتهم حتى الصابيون فانهم اذا امنوا كانوا
ايضا كذلك وانما سموا صابيين لانهم صبوا عن الاديان كلها بمعنى خرجوا
لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا ما جات به
الرسل من عند الله فان قلت قد قال الله تعالى في اول الاية ان الذين
امنوا ثم قال في اخر الاية من امن فما فايدة هذا التكرار قلت فايدته

ان المنافقين كانوا يظهرون ويزعمون انهم مومنون ففي هذا التكرار اخراج
من قبيل المومنين فيكون معنى الاية ان الذين امنوا بالسنتهم لا بقلوبهم
ثم قال من امن يعنى من ثبت على ايمانه ورجع عن نفاقه منهم وقيل فيه
فايدة اخرى وهي ان الايمان يدخل تحته اقسام كثيرة واشرفها الايمان
بالله واليوم الاخر ففايدة التكرار التنبيه على ان اشرف اقسام الايمان
هذين القسمين وفي قوله من امن بالله حذف تقديره من امن بالله واليوم
الاخر منهم وانما حسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامعين وعمل
صالحا يعنى وضم الى ايمانه العمل الصالح وهو الذى يراد به وجه الله تعالى
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون يعنى في الاخرة قوله عز وجل لقد
اخذنا ميثاق بنى اسرايل يعنى اخذنا العهود عليهم في التورية بان يعملوا
بما فيها من التوحيد والعمل بما امرناهم به والانتهاء عما نهيناهم عنه وارسلنا
اليهم رسلا يعنى لبيان الشرايع والاحكام كلما جاءهم رسول بما لا تهوى
انفسهم يعنى بما يخالف اهواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف
والعمل بالشرايع فريقا كذبوا يعنى من الرسل الذي جاءتهم وفريقا
يقتلون يعنى من الرسل وكان فيمن كذبوا عيسى ومحمدا صلى الله عليه وسلم
وكان فيمن قتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام وانما فعلوا ذلك نقضا للميثاق
وجراة على الله عز وجل ومخالفة لامره قوله تعالى وحسبوا يعنى وظن هولا
الذين كذبوا الرسل وقتلوا الانبيا ان لا تكون فتنة يعنى ان لا يعذبهم
الله ولا يبتليهم بذلك الفعل الذي فعلوه وانما حملهم على هذا الظن
الفاسد انهم كانوا يعتقدون ان كل رسول جاءهم بشرع اخر غير شرعهم
يجب عليهم تكذيبه وقتله فلهذا السبب حسبوا ان لا يكون فعلهم ذلك
فتنة يبتلوا بها وقيل انما قدموا على ذلك لاعتقادهم اباهم واسلافهم
يدفعون عنهم العذاب في الاخرة فعموا وصموا يعنى انهم عموا عن الحق
فلم يبصروه وصموا عنه فلم يسمعوه وهذا العمى هو كناية عن عمى البصيرة
لا البصر وكذلك الصمم هو كناية عن منع نفوذ الحق الى قلوبهم وسبب
ذلك شدة جهلهم وقوة كفرهم واعراضهم عن قبول الحق قال بعض المفسرين
سبب هذا العمى والصمم عبادتهم العجل في زمن موسى عليه السلام ثم
تاب الله عليهم يعنى انهم لما تابوا من عبادتهم العجل تاب الله عليهم ثم
عموا وصموا يعنى بذلك في زمان زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام لانهم
كذبوا عيسى وقتلوا زكريا ويحيى وقيل ان العمى والصمم الاول كان بعد
موسى ثم تاب الله عليهم يعنى ببعثة عيسى عليه السلام ثم عموا وصموا
يعنى بسبب الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم كثير منهم من اليهود لان بعضهم
امن بمحمد صلى الله عليه وسلم مثل عبد الله بن سلام واصحابه والله بصير

بما يعملون يعني من قتل الانبيا وتكذيب الرسل قوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم لما حكى الله عن اليهود ما حكاه من نقضهم الميثاق وقتلهم الانبيا وتكذيبهم الرسل وغير ذلك شرع في الاخبار عن كفر النصارى وما هم عليه من فساد الاعتقاد فقال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وهذا قول اليعقوبية والملكانية من النصارى لانهم يقولون ان مريم ولدت الها لانهم يقولون ان الاله جل وعلا قد حل في ذات عيسى واتحد به فصار الها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال المسيح يا بني اسرايل اعبدوا الله ربي وربكم يعني وكان المسيح قال هذا لبني اسرايل عند مبعثه اليهم وهذا تنبيه على ما هو الحجة القاطعة على فساد قول النصارى وذلك لانه عليه السلام لم يفرق بينه وبين غيره في العبودية والاقرار لله بالربوبية وان دلايل الحدوث ظاهرة عليه انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة يعني انه من يجعل له شريكا من خلقه فقد حرم الله عليه الجنة يعني اذا مات على شركه وماواه النار يعني انه يصير الى النار في الاخرة وما للظالمين يعني وما للمشركين الذين ظلموا انفسهم بالشرك من انصار يعني ما لهم من انصار ينصرونهم ويمنعونهم من العذاب يوم القيمة قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وهذا قول المرقوسية والنسطورية من النصارى ولتفسير قول النصارى طريقان احدهما وهو قول اكثر المفسرين انهم ارادوا بهذه المقالة ان الله ومريم وعيسى الهة ثلاثة وان الالهية مشتركة بينهم وان كل واحد منهم اله وبيان ذلك قوله تعالى للمسيح انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فقوله ثالث ثلاثة فيه اضمار تقديره ان الله احد ثلاثة الهة او واحد من ثلاثة الهة قال الواحدي ولا يكفر من يقول ان الله ثالث ثلاثة ولم يرد به انه ثالث ثلاثة الهة لانه ما من اثنين الا والله ثالثهما بالعلم ويدل عليه قوله تعالى في سورة المجادلة ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما والطريق الثاني ان المتكلمين حكوا عن النصارى انهم يقولون جوهر واحد ثلاثة اقانيم اب وابن وروح القدس وهذه الثلاثة اله واحد كما ان الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالاب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة واثبتوا الذات والكلمة والحياة وقالوا ان الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الما باللبن وزعموا ان الاب اله والابن اله والروح اله وكل اله واحد واعلم ان هذا الكلام معلوم البطلان ببديهة العقل فان الثلاثة

لاتكون

لاتكون واحدا والواحد لا يكون ثلاثة ولا يرى في الدنيا مقالة اشد فسادا ولا اظهر بطلانا من مقالة النصارى وعلى هذا فالذي اخبر الله عنهم في قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة فهذا معنى مذهبهم وان لم يصرحوا بانه واحد من ثلاثة الهة فذلك لازم لهم وانما يمتنعون من هذه العبارة لانهم اذا قالوا ان كل واحد من الاقانيم اله فقد جعلوه ثالث ثلاثة وقولهم بعد هذا هو اله واحد فيه مناقضة لما قالوا ولا هذا ابيان فساد قول النصارى ثم رد الله عليهم فقال تعالى وما من اله الا اله واحد يعني انه ليس في الوجود الا اله واحد موصوف بالوحدانية لا ثاني له ولا شريك له ولا والد له ولا ولد له ولا والدة له ولا صاحبة له الا الله تعالى وان لم ينتهوا عما يقولون يعني وان لم ينته النصارى عن هذه المقالة الخبيثة ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم يعني ليصيبن الذين اقاموا على هذا القول الخبيث وهذا الدين الذي ليس بمرضي عذاب وجيع في الاخرة وانما قال تعالى منهم لعلمه السابق ان من النصارى من سيؤمن ويخلص ويترك هذا القول ويعلم انه فاسد ثم ندب ساير النصارى الى التوبة من هذه المقالة الخبيثة فقال تعالى افلا يتوبون الى الله يعني من قولهم بالتثليث ويستغفرونه وهذا استفهام بمعنى الامر اي توبوا الى الله واستغفروه من هذا الذنب العظيم فانه تعالى يغفر الذنوب والله غفور يعني لمن استغفره وتاب اليه رحيم به وبساير خلقه قوله عز وجل ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل يعني ان المسيح رسول من الله عز وجل ليس باله كما ان الرسل الذين كانوا من قبله لم يكونوا الهة واتى عيسى عليه السلام بالمعجزات الدالة على صدقهم كما ان الذين قبله اتوا بالمعجزات الدالة على صدقهم وامه صديقة يعني انها كثيرة الصدق وقيل سميت مريم صديقة لانها صدقت بايات ربها وكتبه وقوله تعالى كانا ياكلان الطعام فيه احتجاج على فساد قول النصارى بالهية المسيح يعني ان المسيح وامه مريم كانا بشرين ياكلان الطعام ويعيشان به كساير بني ادم فكيف يكون الها من يحتاج الى الطعام ولا يعيش الا به وقيل معناه انه لو كان الها كما يزعمون لدفع عن نفسه الم الجوع والم العطش وقيل هذا كناية عن الحدث وذلك ان كل من اكل وشرب لا بد له من الغايط والبول ومن كانت هذه صفته فكيف يكون الها وبالجملة فان فساد قول النصارى اظهر من ان يحتاج الى اقامة دليل عليه ثم قال تعالى انظر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي انظر يا محمد كيف نبين لهم الايات يعني الدالة على بطلان قولهم ثم انظر اني يوفكون اي كيف يصرفون عن استماع الحق وقبوله قوله تعالى قل اتعبدون

من دون الله الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى قل يا محمد لهولاء
النصارى اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعنى لا
يستطيع ان يضركم مثل ما يضركم الله به من البلايا والمصايب فى الانفس
والاموال ولا يقدر ان ينفعكم بمثل ما ينفعكم الله به من صحة الابدان
وسعة الارزاق فان الضار والنافع هو الله تعالى لا من تعبدون من
دونه ومن لا يقدر على النفع والضر لا يكون الها والله هو السميع العليم
يعنى انه تعالى سميع لاقوالكم وكفركم عليم بما فى ضمايركم قوله عز وجل
قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم الغلو مجاوزة الحد وذلك ان الحق
بين طرفى الافراط والتفريط مجاوزة الحد والتقصير مذمومة فى الدين
غير الحق يعنى لا تغلوا فى دينكم غلوا باطلا غير الحق وذلك انهم خالفوا
الحق فى دينهم ثم غلوا فى الاصرار عليه وكلا الفريقين من اليهود ه
والنصارى غلوا فى عيسى عليه السلام اما غلو اليهود فالتقصير فى
حقه حتى نسبوه الى غير رشده واما غلو النصارى فمجاوزة الحد فى حقه
حتى جعلوه الههم وكلا الغلوين مذموم ولا تتبعوا اهوا قوم قد ضلوا
من قبل الاهوا جمع هوا وهو ما تدعوا شهوة النفس اليه قال الشعبى
ما ذكر الله تعالى الهوا فى القران الا وذمه وقال ابو عبيدة لم نجد الهوى
يوضع الى موضع الشر لانه لا يقال فلان يهوى الخير انما يقال فلان يحب
الخير ويريده والخطاب فى قوله ولا تتبعوا اهوا قوم لليهود والنصارى
الذين كانوا فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهوا عن اتباع
اسلافهم فيما ابتدعوه من الضلالة باهوايهم وهو المراد بقوله اهوا قوم
قد ضلوا من قبل فبين الله تعالى انهم كانوا على ضلالة واضلوا كثيرا يعنى
من اتبعهم على ضلالتهم واهوايهم وضلوا عن سوا السبيل يعنى واخطوا
عن طريق الحق قوله تعالى لعن الذين كفروا من بنى اسرايل على لسان
داود قال اكثر المفسرين هم اصحاب السبت لما اعتدوا فى السبت
واصطادوا الحيتان فيه قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم
قردة فمسخوا قردة وستاتى قصتهم فى سورة الاعراف وعيسى ابن مريم
يعنى وعلى لسان عيسى بن مريم وهم كفار اصحاب المايدة فلما اكلوا
منها وادخروا ولم يومنوا قال عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم
خنازير فمسخوا خنازير وستاتى قصتهم وقال بعض العلما ان اليهود
كانوا يفتخرون بابايهم ويقولون نحن من اولاد الانبيا عليهم السلام فاخبر
الله تعالى بانهم ملعونين على السنة الانبيا عليهم السلام وقيل ان داود
وعيسى بشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولعنا من يكفر به ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون يعنى ذلك اللعن بسبب عصيانهم واعتدايهم ثم فسر الاعتدا

والمعصية

والمعصية فقال تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اى لا ينهى بعضهم
بعضا عن منكر وقيل لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه ولا عن الاصرار
عليه لبيس ما كانوا يفعلون اللام فى لبيس لام القسم اى اقسم لبيس ما
كانوا يفعلون يعنى من ارتكاب المعاصى والعدوان عن عبد الله بن مسعود
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما دخل
النقص على بنى اسرايل انه كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله
ودع ما تصنع فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه
ذلك ان يكون اكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب
بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا من بنى اسرايل على لسان داود
وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن
منكر فعلوه لبيس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا
لبيس ما قدمت لهم انفسهم الى قوله فاسقون ثم قال كلا والله لتامرون
بالمعروف ولتنهون عن المنكر ثم لتاخذن على يد الظالم ولتاطرنه على
الحق اطرا ولتقصرنه على الحق قصرا زاد فى رواية وليضربن الله قلوب
بعضكم ببعض ثم يلعنكم كما لعنهم اخرجه ابو داود واخرجه الترمذى
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو اسرايل
فى المعاصى نهتهم علماوهم فلم ينتهوا فجالسوهم فى مجالسهم وواكلوهم
وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود
وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون فجلس رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان متكيا فقال والذى نفسى بيده حتى تاطروهم على
الحق اطرا قال الترمذى هذا الحديث حسن غريب قوله اكيله
وشريبه وهو المواكل والمشارب والمقاعد فعيل بمعنى فاعل وقوله
لتاطرنه الاطر العطف يعنى لتعطفنه ولتردنه الى الحق الذى خالفه
والقصر القهر على الشى قوله عز وجل ترى كثيرا منهم يعنى من
اليهود مثل كعب بن الاشرف واصحابه يتولون الذين كفروا يعنى يوالون
المشركين من اهل مكة وذلك حين خرجوا اليهم ليجيشوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس معناه ترى كثيرا من المنافقين
يتولون اليهود لبيس ما قدمت لهم انفسهم يعنى بيس ما قدموا من
العمل لمعادهم فى الاخرة ان سخط الله عليهم يعنى بما فعلوا من موالاة
الكفار وفى العذاب هم خالدون يعنى فى الاخرة ولو كانوا يومنون
بالله والنبى يعنى ولو كان هولاء الذين يتولون الكفار يومنون بالله
ويصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم وانه نبى مبعوث الى كافة الخلق وما
انزل اليه يعنى ويومنون بالقران الذى انزل اليه من ربه ما اتخذوهم اوليا

يعني ما اتخذوا الكفار انصارا واعوانا من دون المومنين ولكن كثيرا
منهم فاسقون يعني ولكن اكثرهم خارجون عن طاعة الله وامره وانما
قال كثيرا لانه علم ان منهم من سيومن مثل عبد الله بن سلام واصحابه قوله
تعالى لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا
اللام في قوله لتجدن لام القسم تقديره والله يا محمد انك لتجدن اشد الناس
عداوة للذين امنوا بك وصدقوك اليهود والذين اشركوا وصف الله شدة
عداوة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق وجعلهم قرنا المشركين عبدة الاصنام
في العداوة للمومنين وذلك حسدا منهم للمومنين ولتجدن اقربهم مودة
للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى ووصف لين عريكة النصارى وسهولة
قبولهم الحق وقال بعضهم مذهب اليهود لانه يجب عليهم ايصال الشر
والاذى الى من خالفهم في الدين باي طريق كان مثل القتل ونهب المال
او بانواع من المكر والكيد والحيل ومذهب النصارى خلاف اليهود
فان الايذا في مذهبهم حرام فحصل الفرق بين اليهود والنصارى وقيل
ان اليهود مخصوصون بالحرص الشديد على الدنيا وطلب الرياسة ومن
كان كذلك كان شديد العداوة لغيره واما النصارى فان فيهم من هو
معرض عن الدنيا ولذاتها وترك طلب الرياسة ومن كان كذلك فانه
لا يحسد احدا ولا يعاديه بل يكون لين عريكة في طلب الحق فلهذا قال
تعالى ذلك بان منهم يعني من النصارى قسيسين ورهبانا وانهم
لا يستكبرون ولم يرد به كل النصارى فان معظم النصارى في عداوة
المسلمين كاليهود بل الاية نزلت فيمن امن من النصارى مثل النجاشي
واصحابه والقس والقسيس اسم رئيس النصارى والجمع قسيسين وقال
قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وهذا مما وقع الوفاق به
بين اللغتين يعني العربية والرومية واما الرهبان فهو جمع راهب
وقيل الرهبان واحد وجمعه رهابين وهم سكان الصوامع فان قلت
كيف مدحهم الله بذلك مع قوله ورهبانية ابتدعوها قلت
انما مدحهم في مقابلة ذم اليهود ووصفهم بشدة العداوة للمومنين
ولا يلزم من هذا العذر ان يكون مدحا على الاطلاق وقيل انما مدح من
امن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فوصفهم بالتمسك بدين عيسى الى ان
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنوا به وتبعوه فان قلت
كفر النصارى اشد واغلظ من كفر اليهود واقبح لان النصارى ينازعون
في الالهيات فيدعون ان لله ولدا واليهود انما ينازعون في النبوات
فينكرون بعض النبيين ويكفرون ببعض والاول اقبح فلم ذم اليهود ومدح
النصارى قلت انما هو مدح في مقابلة ذم وليس هو مدح على

الاطلاق وقد تقدم الفرق بين شدة عداوة اليهود ولين النصارى
فلذلك ذم اليهود ومدح النصارى الذين امنوا منهم واختلف
العلما فيمن نزلت هذه الاية فقيل نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه
اصحمه واصحابه الذين اسلموا معه

ذكر قصة الهجرة الاولى

وسبب نزول هذه الاية قال ابن عباس وغيره من المفسرين في قوله تعالى
ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى قالوا ان
قريشا ايتمرت ان يفتنوا المومنين عن دينهم فوثب كل قبيلة على من
اسلم منهم فاذوهم وعذبوهم فافتتن من افتتن منهم وعصم الله من
يشا منهم ومنع الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بعمه ابي طالب فلما
راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل باصحابه ولم يقدر ان يمنعهم
من المشركين ولم يومر بعد بالجهاد امر اصحابه بالخروج الى ارض الحبشة
وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا اليه حتى
يجعل الله للمسلمين فرجا فخرج اليها احد عشر رجلا واربع نسوة سرا
وهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف
وابو حذيفة بن عتبة وامراته سهلة بنت سهيل بن عمرو ومصعب
بن عمير وابو سلمة بن عبد الاسد وزوجته ام سلمة بنت امية وعثمان
بن مظعون وعامر بن ربيعة وامراته ليلى بنت ابي حثمة وحاطب بن عمرو
وسهيل بن بيضا فخرجوا الى البحر واخذوا سفينة بنصف دينار الى ارض
الحبشة وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث النبي صلى الله عليه
وسلم وهذه الهجرة الاولى ثم خرج بعدهم جعفر بن ابي طالب وتتابع
المسلمون فكان جميع من هاجر الى ارض الحبشة من المسلمين اثنان وثمانون
رجلا سوى النسا والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن
العاص وصاحبه بهدايا الى النجاشي وبطارقته ليردهم اليهم فدخل
اليه عمرو وقال يا ايها الملك انه قد خرج فينا رجل سفه عقول قريش واحلامها
وزعم انه نبي وانه قد بعث اليك رهطا من اصحابه ليفسدوا عليك
قومك فاحببنا ان ناتيك ونخبرك خبرهم وان قومهم يسالونك ان
تردهم اليهم فقال حتى نسالهم فامر بهم فاحضروا فلما اتوا باب
النجاشي قالوا يستاذن اوليا الله فقالوا ايذنوا لهم فمرحبا باوليا الله
فلما دخلوا عليه سلموا فقال الرهط من المشركين ايها الملك الا ترى انا
صدقناك انهم لم يحيوك بتحيتك التي تحيا بها فقال لهم الملك ما
منعكم ان تحيوني بتحيتي فقالوا انا حييناك بتحية اهل الجنة وتحية
الملائكة فقال لهم النجاشي ما يقول صاحبكم في عيسى وامه فقال جعفر

ابن ابي طالب يقول هو عبد الله ورسوله وكلمة الله وروح منه القاها
الى مريم العذرا ويقول في مريم انها العذرا البتول قال فاخذ النجاشي
عودا من الارض وقال والله ما زاد صاحبكم على ما قال عيسى قدر
هذا العود فكره المشركون قوله وتغيرت وجوههم فقال هل تعرفون
شيا مما انزل على صاحبكم قالوا نعم قال اقروا فقرا جعفر سورة مريم
وهنالك قسيسين ورهبانا وساير النصاري فعرفوا ما قرا وانحدرت
دموعهم مما عرفوا من الحق فانزل الله فيهم ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا
وانهم لا يستكبرون الى اخر الايتين فقال النجاشي لجعفر واصحابه اذهبوا
فانتم سيوم بارضي يعني انتم امنون فرجع عمرو وصاحبه خايبين واقام
المسلمون عند النجاشي بخير دار وخير جوار الى ان هاجر رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى المدينة وعلا امره وقهر اعداءه وذلك في سنة
ست من الهجرة وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي على
يد عمرو بن امية الضمري ان يزوجه ام حبيبة بنت ابي سفين وكانت
قد هاجرت مع زوجها ومات عنها فارسل النجاشي جارية يقال لها
ابرهة الى ام حبيبة يخبرها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خطبها
فسرت بذلك واعطت الجارية اوضاحا كانت لها واذنت لخالد بن
سعيد في نكاحها فانكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم على صداق
مبلغه اربعماية دينار وكان الخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
النجاشي وانفذ اليها بجميع الصداق على يد جاريته ابرهة فلما
جاءتها بالدنانير وهبتها منها خمسين دينارا فلم تاخذها وقالت ان
الملك امرني ان لا اخذ منك شيا وقالت انا صاحبة دهن الملك
وثيابه وقد صدقت محمدا صلى الله عليه وسلم وامنت به وحاجتي اليك
ان تقريه مني السلام قالت نعم وقالت قد امر الملك نساءه ان يبعثن
اليك بما عندهن من دهن وعود فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يراه عندها فلا ينكره قالت ام حبيبة فخرجنا الى المدينة ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يحاصر خيبر فخرج من خرج اليه ممن قدم من الحبشة
واقمت بالمدينة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه
فكان يسالني عن النجاشي فقرات عليه السلام من ابرهة جارية الملك
فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها السلام وانزل الله عز وجل
عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة يعني ابا سفين
وذلك بتزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة ولما بلغ ابا
سفين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ام حبيبة قال ذلك الفحل
لا يجدع انفه وبعث النجاشي بعد خروج جعفر واصحابه الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم ابنه ارهى في ستين رجلا من اصحابه وكتب اليه يا رسول
الله اني اشهد انك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن
عمك جعفر واسلمت لله رب العالمين وقد بعثت اليك ابني ارهى وان
شيت اتيتك بنفسي فعلت والسلام عليك يا رسول الله فركبوا في سفينة
في اثر جعفر حتى اذا كانوا في وسط البحر غرقوا ووافى جعفر واصحابه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر ووافى مع جعفر سبعون رجلا عليهم
الثياب الصوف منهم اثنان وستون رجلا من الحبشة وثمانية من
الشام فقرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس الى اخرها
فبكا القوم حين سمعوا القران وامنوا وقالوا ما اشبه هذا بما كان
ينزل على عيسى عليه السلام فانزل الله عز وجل فيهم هذه الاية ٥
ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى يعني
وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر وهم السبعون وكانوا من اصحاب
الصوامع وقيل نزلت في ثمانين رجلا اربعين من نصارى نجران من بني
الحرث بن كعب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية روميون من اهل
الشام قال قتادة نزلت في ناس من اهل الكتاب كانوا على شريعة
من الحق مما جاء به عيسى عليه السلام فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم
امنوا به وصدقوه فاثنى الله عليهم بقوله ولتجدن اقربهم مودة ٥
للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا
وانهم لا يستكبرون يعني لا يتعظمون عن الايمان والاذعان للحق قوله
عز وجل **واذا سمعوا ما انزل الى الرسول** يعني واذا سمعوا القران الذي
انزل الى الرسول يريد محمدا صلى الله عليه وسلم **ترى اعينهم تفيض من
الدمع** يقال فاض الاناء اذا امتلا حتى يخرج منه ما فيه وصفهم الله تعالى
بسيل الدمع عند البكاء ورقة القلب عند سماع القران قال ابن عباس يريد
النجاشي واصحابه لما قرا عليهم جعفر بن ابي طالب سورة مريم فما زالوا
يبكون حتى فرغ جعفر من القران **مما عرفوا من الحق** يعني الذي على محمد
صلى الله عليه وسلم وهو الحق **يقولون** يعني القسيسين والرهبان الذين
سمعوا القران من جعفر عند النجاشي **ربنا امنا** يعني بالقران وشهدنا
انه حق وصدق **فاكتبنا مع الشاهدين** يعني مع امة محمد صلى الله عليه
وسلم الذين يشهدون بالحق **وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق** قال
ابن عباس لما رجع الوفد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لامهم قومهم
على ترك دينهم وقيل ان اليهود عيروهم وقالوا اتركتم دينكم فاجابوهم بهذا
الجواب ومعنى الاية وما لنا لا نؤمن بوحدانية الله وما جاءنا من الحق من
عنده على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم **ونطمع** يعني ونرجوا بذلك الايمان

ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين يعنى مع امة محمد صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى فاثابهم الله بما قالوا يعنى بالتوحيد الذى قالوا وانما علق
الثواب وهو قوله جنات تجري من تحتها الانهار بمجرد القول لانه قد سبق
وصفهم بما يدل على اخلاصهم فيما قالوا وهو المعرفة والبكا المؤذنان بحقيقة
الاخلاص واستكانة القلب والقول اذا اقترن بالمعرفة فهو الايمان
الحقيقي الموعود عليه بالثواب وقال ابن عباس انما قالوا يريد بما سالوا
يعنى قولهم فاكتبنا مع الشاهدين خالدين فيها يعنى فى الجنات وذلك
جزاء المحسنين يعنى المومنين الموحدين المخلصين فى ايمانهم والذين كفروا
وكذبوا باياتنا لما ذكر الله عز وجل الوعد لمومنى اهل الكتاب وما اعد
لهم فى الجنات ذكر الوعيد لمن اقام منهم على كفره وتكذيبه واطلق
القول بذلك ليكون هذا الوعيد لهم ولمن جرا مجراهم فى الكفر والتكذيب
فقال والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم قوله
عز وجل يايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قال
علما التفسير ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الناس يوما ووصف القيمة
فرق الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة فى بيت عثمان بن مظعون
الجمحى وهم ابو بكر وعلى وعبد الله بن عمرو وابو ذر الغفارى وسالم مولى
ابى حذيفة والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسى ومعقل بن مقرن وتشاوروا
واتفقوا على انهم يترهبوا ويلبسوا المسوح ويجبوا مذاكيرهم ويصوموا
الدهر ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا
يقربوا النسا ولا الطيب ويسيحوا فى الارض فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه
وسلم فاتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامراته احق ما بلغنى
عن زوجك واصحابه فكرهت ان تكذب وكرهت ان تبدى سر زوجها فقالت
يا رسول الله ان كان قد اخبرك عثمان فقد صدق فانصرف رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلما جا عثمان اخبرته بذلك فاتى هو واصحابه العشرة الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الم انبا انكم اتفقتم على كذا وكذا فقالوا بلى يا رسول الله وما اردنا الا الخير
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لم اومر بذلك ثم قال صلى الله عليه
وسلم ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وناموا فانى اقوم وانام واصوم
وافطر واكل اللحم والدسم واتى النسا فمن رغب عن سنتى فليس منى ثم جمع
الناس وخطبهم فقال ما بال اقوام حرموا النسا والطعام والطيب والدنيا
فانى لست امركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس فى دينى ترك اللحم
والنسا ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتى الصوم ورهبانيتهم الجهاد
اعبدوا الله ولا تشركوا به شيا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلاة واتوا الزكاة

وصوموا

وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد
شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم فى الديارات والصوامع
فانزل الله عز وجل هذه الاية يايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل
الله لكم يعنى الطيبات اللذيذات التى تشتهيها الانفس وتميل اليها
القلوب من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة فاعلم الله عز وجل
بهذه الاية ان شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم غير ما عزموا عليه من
ترك الطيبات وانه لا ينبغى ان يجتنب الطيبات المباحات ومعنى لا
تحرموا لا تعتقدوا تحريم الطيبات المباحات فان من اعتقد تحريم شى
احله الله فقد كفر اما ترك لذات الدنيا وشهواتها والانقطاع الى
الله تعالى والتفرغ لعبادته من غير اضرار بالنفس ولا تفوت حق
الغير ففضيلة لا منع منها بل مامور بها وقوله تعالى ولا تعتدوا
يعنى لا تجاوزوا الحلال الى الحرام وقيل معناه ولا تجبوا انفسكم فسمى جب
المذاكير اعتدا وقيل معناه ولا تعتدوا بالاسراف فى الطيبات ان الله
لا يحب المعتدين يعنى المجاوزين الحلال الى الحرام وقوله تعالى وكلوا مما
رزقكم الله حلالا طيبا يعنى وكلوا ايها المومنون من رزق الله الذى
رزقكم واحله لكم من المطاعم والمشارب قال عبد الله بن المبارك الحلال
ما اخذته من وجهه الطيب ما غذا وانما فاما الجامد كالطين والتراب
وما لا يغذى فمكروه الا على وجه التداوى عن ابن عباس ان رجلا اتى النبى
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى اذا اصبت اللحم انتشرت للنسا
واخذتنى شهوتى فحرمت على اللحم فانزل الله يايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات
ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا
طيبا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وله عن عايشة قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوى والعسل وله عن ابى هريرة
قال اوتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكان يعجبه
فنهس منها قالت عايشة ما كان الذراع احب الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولكن لا يجد اللحم الا غبا وكان يعجل اليه الذراع لانه اعجلها نضجا اخرجه
الترمذى ايضا وقوله تعالى واتقوا الله الذى انتم به مومنون هذا
تاكيد للوصية بما امر به وزاده تاكيدا بقوله انتم به مومنون لان الايمان
به يوجب التقوى فى الانتها الى ما امر به وعما نهى عنه وفى الاية دليل على
ان الله عز وجل قد تكفل برزق كل احد من عباده فانه تعالى لو لم يتكفل بذلك
لما قالوا وكلوا مما رزقكم الله واذا تكفل برزق العبد وجب ان لا يبالغ فى
الطلب والحرص على الدنيا وان يعول على ما وعده الله وتكفل به فانه
تعالى اكرم من ان يخلف الوعد قوله تعالى لا يواخذكم الله باللغو فى ايمانكم

قال ابن عباس لما نزلت يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل لكم قالوا
يا رسول الله كيف نصنع بايماننا التي حلفنا عليها وكانوا قد حلفوا على
ما اتفقوا عليه فانزل الله عز وجل هذه الاية لا يواخذكم الله باللغو
في ايمانكم وقد تقدم تفسير اللغو في الايمان في سورة البقرة وقوله تعالى
ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان يعني ولكن يواخذكم بما تعمدتم وقصدتم
به اليمين ومنه قول الفرزدق

ولست بماخوذ بلغو تقوله ۞ اذا لم تعمد عاقدات العزايم ۞

وفي الاية حذف تقديره ولكن يواخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذف هذا لانه
معلوم عند السامع فكفارته يعني فكفارة ايمانكم التي عقدتموها اذا حنثتم
اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم يعني من اقصد
ذلك لان من الناس من يسرف في اطعام اهله ومنهم من يقتر عليهم
فامر الله بالعدل في اداء الكفارة وقيل اراد بالاوسط في القيمة فلا يكون
غاليا من اعلى الموجود ولا خسيسا التهى من اردى الموجود بل الوسط
في القيمة وقيل اراد بالاوسط الافضل قال ابن عباس كل شي في كتاب الله
اوسط فهو افضل فعلى هذا لا يكون المعنى من خير ما تطعمون اهليكم
وافضله او كسوتهم هو معطوف على محل اوسط اي تطعمون المساكين من
اوسط ما تطعمون اهليكم فكذلك فاكسوهم من اوسط الكسوة او تحرير
رقبة يعني عتق رقبة والمراد به جملة الشخص

فصل في حكم الاية

وفيه مسايل المسيلة الاولى في بيان الكفارة وهي اربعة انواع ۞ النوع
الاول من الكفارات الاطعام فيجب اطعام عشرة مساكين واختلفوا في
قدر ما يطعم لكل مسكين فذهب قوم الى انه يطعم لكل مسكين مدا من الطعام
بمد النبي صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث بالبغدادي من غالب قوت
البلد وكذلك ساير الكفارات وهذا قول ابن عباس وابن عمر وزيد بن
ثابت وبه قال سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وسليمان بن يسار وعطا
والحسن واليه ذهب مالك والشافعي ۞ ويروى عن عمر وعلي وعايشة
انه يطعم لكل مسكين مدان من بر وهو نصف صاع وبه قال اهل العراق وقال
ابو حنيفة ان اطعم من الحنطة فنصف صاع وان اطعم من غيرها فصاع وهو
قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير ومجاهد وقال احمد بن حنبل يطعم
لكل مسكين مدا من البر ونصف صاع من غيرها مثل التمر والشعير ومن
شرط الاطعام تمليك الطعام للمساكين فلو عشاهم وغداهم لم يجزيه وقال
ابو حنيفة يجزيه ذلك ولا يجوز اخراج القيمة في الكفارة كالدراهم
والدنانير وقال ابو حنيفة يجوز ذلك ولا اخراج الدقيق والخبز في
الكفارة بل يجب اخراج الحب وجوزه ابو حنيفة ولا يجوز صرف الكل الى

مسكين واحد في عشرة ايام النوع الثاني من الكفارات الكسوة واختلف العلما
في قدرها فذهب قوم الى انه يكسو لكل مسكين ثوبا واحدا مما يقع عليه اسم
الكسوة ازار او رداء او قميص او عمامة او كسا او نحو ذلك وهذا قول ابن
عباس والحسن ومجاهد وعطا وطاوس واليه ذهب الشافعي وقال مالك
يجب ان يكسو لكل مسكين ما تجوز فيه الصلاة فيكسو الرجل ثوبا والمراة
ثوبين درعا وخمارا وقال احمد للرجل ثوبا وللمراة ثوبين درعا وخمارا وهو
ادنى ما يجزي في الصلاة وقال ابن عمر يجزي قميص وازار ورداء وقال
ابو موسى الاشعري يجب ثوبان وهو قول سعيد بن المسيب وابن سيرين
وقال ابراهيم النخعي يجب ثوب جامع كالملحفة ۞ النوع الثالث من
الكفارات العتق فيجب اعتاق رقبة مومنة وكذلك يجب في جميع
الكفارات واجاز ابو حنيفة والثوري اعتاق الرقبة الكافرة في جميع
الكفارات الا كفارة القتل لان الله قيد الرقبة فيه بالايمان في كفارة
القتل ومذهب الشافعي ان المطلق يحمل على المقيد ولا يجوز اعتاق المرتد
في الكفارة بالاجماع ويشترط ان تكون الرقبة سليمة الرق حتى لو اعتق في
الكفارة مكاتبا او ام ولد او عبدا اشتراه بشرط العتق او اشترى قريبه الذي
يعتق عليه فكل هولا لا يجزي من اعتاق الكفارة وجوز اصحاب الراي عتق
المكاتب في الكفارة اذا لم يود من نجوم الكتابة شيا وجوزوا عتق القريب
في الكفارة ويشترط ان تكون الرقبة سليمة من كل عيب يضر بالعمل فلا يجزي
مقطوع اليد او الرجل ولا الاعمى ولا الزمن والمجنون المطبق ويجوز عتق
الاعور والاصم ومقطوع الاذنين والانف لان هذه العيوب كلها لا تضر
بالعمل وعند ابي حنيفة كل عيب يفوت جنسا من المنفعة يمنع الجواز فيجوز
عتق مقطوع احد اليدين ولم يجز عتق مقطوع الاذنين في الكفارة النوع
الرابع من الكفارات الصوم وهو قوله تعالى فمن لم يجد يعني الكفارة فصيام
ثلاثة ايام يعني فاذا عجز من لزمه كفارة اليمين عن الاطعام او الكسوة او
العتق وجب صيام ثلاثة ايام وهو قوله تعالى فصيام ثلاثة ايام يعني
فعليه صيام ثلاثة ايام قال الشافعي اذا كان عنده قوته وقوت عياله
ليومه وليلته وفضل ما يطعم عشرة مساكين لزمه الكفارة بالاطعام
وان لم يكن عنده هذا القدر جاز له الصيام وقال ابو حنيفة يجوز له
الصيام اذا لم يكن عنده من المال ما يجب فيه الزكاة فجعل من لا زكاة
عليه عادما وقال الحسن اذا لم يجد درهمين صام وقال سعيد بن جبير
ثلاثة دراهم واختلفوا في وجوب التتابع في الصيام عن كفارة اليمين على
قولين احدهما انه يجب التتابع فيه قياسا على كفارة الظهار والقتل وهو
قول ابن عباس ومجاهد وطاوس وعطا وقتادة وهو مذهب ابي حنيفة

واحمد واحد قولي الشافعي والقول الثاني انه لا يجب التتابع في كفارة اليمين فان شا تابع وان شا فرق والتتابع افضل وبه قال الحسن ومالك وهو القول الثاني للشافعي **المسئلة الثانية** كلمة او للتخيير بين الاطعام والكسوة والعتق فان شا اطعم وان شا كسا وان شا اعتق فبايها اخذ المكفر فقد اصاب وخرج عن العهدة **المسئلة الثالثة** لا يجوز صرف شي من الكفارات الا الى مسلم حر محتاج فلو صرف الى ذمي او عبد او غني لا يجزيه وجوز ابو حنيفة صرفها الى اهل الذمة واتفقوا على ان صرف الزكاة الى اهل الذمة لا يجوز **المسئلة الرابعة** اختلفوا في تقديم الكفارة على الحنث فذهب قوم الى جوازه لما روى عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فراي غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير اخرجه الترمذي **ق** عن عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسال الامارة فانك ان اتيتها عن مسئلة وكلت اليها وان اتتك عن غير مسئلة اعنت عليها واذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر عن يمينك وهذا قول عمر وابن عباس وعايشة وبه قال الحسن وابن سيرين واليه ذهب مالك والاوزاعي والشافعي الا ان الشافعي قال ان كفر بالصوم قبل الحنث فانه لا يجوز لانه بدني انما يجوز بالطعام او الكسوة او العتق وقال ابو حنيفة لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث وقوله **ذلك** اشارة الى ما تقدم ذكره من الاطعام او الكسوة او العتق او الصوم عند العجز عن الكفارة **كفارة ايمانكم اذا حلفتم** يعني وحنثتم لان الكفارة لا تجب بمجرد اليمين انما تجب بالحنث بعد اليمين وفيه اشارة الى ان تقديم الكفارة على اليمين لا يجوز بل بعد اليمين وقبل الحنث كما تقدم **واحفظوا ايمانكم** يعني قللوا ايمانكم فقيد النهي عن كثرة الحلف ومنه قول الشاعر ❊ قليل الايا لا حافظ ليمينه ❊ ومنه بانه لا يحلف وقيل في معنى الاية واحفظوا ايمانكم عن الحنث اذا حلفتم لئلا تحتاجوا الى التكفير وهذا اذا لم يحلف على ترك مندوب او فعل مكروه فان حلف على ذلك فالافضل بل الاولى ان يحنث نفسه ويكفر لما روى عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني والله ان شا الله لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا كفرت عن يميني واتيت الذي هو خير اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى **كذلك يبين الله لكم اياته** يعني كما بين لكم كفارة ايمانكم اذا حنثتم كذلك يبين الله لكم جميع ما تحتاجون اليه في امر دينكم **لعلكم تشكرون** يعني نعمه التي انعم بها عليكم اي يبين اياته لكم ومعالم شريعته

قوله عز وجل يا ايها الذين

امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس لما انزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وقوله كلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا وكانت الخمر والميسر مما يستطاب عندهم فبين الله في هذه الاية ان الخمر والميسر غير داخلين في جملة الطيبات الحلالات بل هما من جملة المحرمات والخمر كل ما خامر العقل فغطاه والميسر القمار وقد تقدم تفسيرهما في سورة البقرة والانصاب هي الحجارة التي كانوا ينصبونها للعبادة ه ويذبحون عندها والازلام هي القداح التي كانوا يستقسمون بها وقد تقدم تفسير ذلك الرجس في اللغة الشي المستقذر **من عمل الشيطان** يعني من تزيينه واغوايه ودعايه اياكم اليها وليس المراد انها من عمل يديه **فاجتنبوه** يعني كونوا جانبا منه والضمير في قوله فاجتنبوه عايد الى الرجس لانه اسم جامع للكل كانه قال ان هذه الاربعة اشيا كلها رجس فاجتنبوه **لعلكم تفلحون** يعني لكي تدركوا الفلاح اذا اجتنبتم هذه ه المحرمات التي هي رجس قوله تعالى **انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضا في الخمر والميسر** اختلفوا في سبب نزول هذه الاية فروى ابو ميسرة ان عمر بن الخطاب قال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الاية التي في سورة البقرة ويسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير الاية فدعا عمر فقريت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت التي في النسا يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فدعي عمر فقريت عليه ثم قال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت التي في المايدة انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضا في الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فدعي عمر فقريت عليه فقال انتهينا انتهينا اخرجه الترمذي من طريقين وقال رواية ابي ميسرة هذا اصح ه واخرجه ابو داود والنساي وروى مصعب بن سعيد عن ابيه قال صنع رجل من الانصار طعاما فدعانا فشربنا وذلك قبل ان تحرم حتى انتشينا فتفاخرت الانصار وقريش فقالت الانصار نحن افضل منكم فقال سعد بن ابي وقاص المهاجرون خير منكم فاخذ رجل من الانصار لحي جمل فضرب به انف سعد ففزره فاتي سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فنزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون وقال ابن عباس نزلت تحريم الخمر في قبيلتين من قبايل الانصار شربوا حتى اذا ثملوا عبث بعضهم ببعض فلما صحوا جعل الرجل يرى الاثر بوجهه ولحيته فيقول فعل بي هذا اخي فلان وكانوا اخوة ليس في قلوبهم ضغاين فانزل الله تعالى تحريم الخمر في هذه الاية يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام الى قوله فهل انتم

منتهون واما تفسير الاية فقوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع
بينكم العداوة والبغضا يعني انما يزين لكم الشيطان شرب الخمر والقداح
والقمار وهو الميسر ويحسن ذلك لكم ارادة ان يوقع بينكم العداوة والبغضا
بسبب نزول الخمر والميسر واما العداوة والبغضا بسبب شرب الخمر لانها
تزيل عقل شاربها فيتكلم بالفحش وربما افضى ذلك الى المقاتلة وذلك
سبب ايقاع العداوة والبغضا بين شاربيها ۰ واما الميسر فقال
قتادة كان الرجل في الجاهلية يقامر على اهله وماله فيقمر فيقعد حزينا
سليبا ينظر الى ماله في يد غيره فورثه ذلك العداوة والبغضا فنهى
الله عن ذلك وقدم فيه والله اعلم بما يصلح خلقه فظهر بذلك ان الخمر
والميسر سببان عظيمان في ايقاع العداوة والبغضا بين الناس وهذا
فيما يتعلق بامر الدنيا وفيهما مفاسد تتعلق بامر الدين وهي قوله
تعالى **ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة** لان شرب الخمر يشغل عن الصلاة
وعن ذكر الله وكذلك القمار يشغل صاحبه عن ذكر الله وعن الصلاة
فان قلت لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام في الاية الاولى
ثم افرد الخمر والميسر في هذه الاية **قلت** لان الخطاب مع المومنين
بدليل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا والمقصود نهيهم عن شرب الخمر
واللعب بالقمار وانما ضم الانصاب والازلام الى الخمر والميسر لتاكيد تحريم
الخمر والميسر فلما كان المقصود من الاية النهي عن شرب الخمر والميسر
لا جرم افردهما بالذكر في اخر الاية والله اعلم وقوله تعالى **فهل انتم
منتهون** لفظ استفهام ومعناه الامر اي انتهوا وهذا من ابلغ ما
ينهى به لانه تعالى ذم الخمر والميسر واظهر قبحهما للمخاطب كانه قيل قد
تلي عليكم فيهما من انواع الصوارف والموانع فهل انتم منتهون مع هذه
الامور ام انتم على ما كنتم عليه كانكم لم توعظوا ولم تنزجروا وفي هذه
الاية دليل على تحريم شرب الخمر لان الله تعالى قرن الخمر والميسر بعبادة
الاصنام وعدد انواع المفاسد الحاصلة بهما ووعد بالفلاح عند الاجتناب
بهما وقال فهل انتم منتهون ومعناه الامر وقد صح من حديث عايشة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال كل شراب اسكر فهو حرام اخرجاه في الصحيحين
وزاد الترمذي وابو داود ما اسكر الفرق منه فملؤ الكف منه حرام الفرق
بالتحريك انا يسع ستة عشر رطلا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من شرب الخمر لم يقبل صلاته اربعين صباحا فان تاب
تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله له صلاة اربعين صباحا فان تاب
تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله له صلاة اربعين صباحا فان تاب
تاب الله عليه فان عاد في الرابعة لم يقبل الله له صلاة اربعين صباحا

فان

فان تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال قالوا يا ابا عبد الرحمن وما نهر
الخبال قال صديد اهل النار اخرجه الترمذي وقال حديث حسن واخرجه
النساي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الخمر وشاربها
وساقيها وبايعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه
اخرجه ابو داود **قوله عز وجل** **واطيعوا الله واطيعوا الرسول**
يعني فيما امركم به او نهاكم عنه **واحذروا** يعني مخالفة الله ومخالفة رسوله
صلى الله عليه وسلم فيما امركم به او نهاكم عنه **فان توليتم** يعني فان اعرضتم
عما امركم به ونهاكم عنه **فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين** وهذا وعيد
وتهديد لمن اعرض عن امر الله ونهيه كانه قال فاعلموا انكم بسبب توليكم
واعراضكم قد استحققتم العذاب والسخط قوله تعالى **ليس على الذين امنوا
وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا** الاية ق عن البرا بن عازب قال مات
ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم يشربون الخمر فلما نزل تحريم الخمر
قال ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف باصحابنا الذين ماتوا
وهم يشربونها قال فنزلت ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما
طعموا الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابن عباس قال قالوا
يا رسول الله ارايت الذين ماتوا وهم يشربون الخمر لما نزل تحريم الخمر فنزلت ليس
على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الاية اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن ومعنى الاية ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما
طعموا اي لا حرج ولا اثم عليهم فيما شربوا من الخمر واكلوا من مال القمار في وقت
الاباحة قبل التحريم قال ابن قتيبة يقال لم اطعم خبزا ولا ماء ولا نوما قال
الشاعر ۰ فان شيت حرمت النسا سواكم ۰ وان شيت لم اطعم نقاخا ولا بردا ۰
النقاخ الماء والبرد النوم **اذا ما اتقوا** يعني اذا ما اتقوا الشرك وقيل اتقوا
ما حرم عليهم **وامنوا** يعني بالله ورسوله **وعملوا الصالحات** اي وازدادوا من
عمل الصالحات **ثم اتقوا وامنوا** يعني اتقوا الخمر والميسر بعد التحريم فعلى هذا
تكون الاولى اخبارا عن حال من مات وهو يشربها قبل التحريم انه لا جناح عليه
والثانية خطاب لمن بقي بعد التحريم امروا باتقايها والايمان بتحريمها **ثم
اتقوا** يعني ما حرم عليهم في المستقبل **واحسنوا** واحسنوا يعني العمل وقيل
المراد بالاتقا الاول فعل التقوى وبالثاني المداومة عليها وبالثالث اتقا
الظلم مع ضم الاحسان اليه وقيل ان المقصود من التكرير التاكيد والمبالغة
في الحث على الايمان والتقوى وضم الاحسان اليه ثم قال تعالى **والله يحب
المحسنين** يعني انه تعالى يحب المتقربين اليه بالايمان والاعمال الصالحة
والتقوى والاحسان وهذا ثنا ومدح لهم على الايمان والتقوى والاحسان
لان هذه المقامات من اشرف الدرجات واعلاها م عن عبد الله بن مسعود

قال لما نزلت هذه الاية ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح
فيما طعموا الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لى انت منهم
ومعناه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ان ابن مسعود منهم
يعنى من الذين امنوا وعملوا الصالحات واهل التقوى والاحسان قال نعم
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد نزلت هذه
الاية عام الحديبية وكانوا محرمين فابتلاهم الله بالصيد فكانت الوحوش
تغشى رحالهم من كثرتها فهموا باخذها وصيدها فانزل الله تعالى هذه
الاية يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله اللام فى ليبلونكم لام القسم اى
ليختبرن طاعتكم من معصيتكم والمعنى ليعاملكم معاملة المختبر بشيء
من الصيد يعنى بصيد البر دون البحر وقيل اراد الصيد فى حالة الاحرام
دون الاحلال وليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظا التى تزل عندها
اقدام الثابتين ويكون التكليف عندها صعبا شاقا كالابتلا ببذل المال
والارواح وانما هو ابتلا سهل كما ابتلا اصحاب السبت من صيد السمك فيه
لكن الله عز وجل بفضله وكرمه عصم امة محمد صلى الله عليه وسلم فلم
يصطادوا شيا فى حالة الابتلا ولم يعصم اصحاب السبت فمسخوا قردة
وخنازير قوله تعالى تناله ايديكم يعنى الفرخ والبيض وما لا يقدر ان
يفر من صغار الصيد ورماحكم يعنى كبار الصيد مثل حمر الوحش
ونحوها قال ابن عباس فى قوله تناله ايديكم ورماحكم هو الضعيف من
الصيد وصغيره يبتلى الله به عباده فى احرامهم حتى لو شاوا نالوه بايديهم
فنهاهم الله ان يقربوه ليعلم الله اى ليرى الله لانه قد علمه فهو مجاز لانه
تعالى عالم لم يزل والمعنى يعاملكم معاملة المختبر وقيل معناه ليظهر
العلوم وهو خوف الخايف وقيل هو من باب حذف المضاف والتقدير
ليعلم اوليا الله من يخافه بالغيب يعنى من يخاف الله ولم يره فلا يصطاد
فى حالة الاحرام شيا فمن اعتدى بعد ذلك يعنى فصاد فى حالة الاحرام
بعد النهى فله عذاب اليم يعنى فى الدنيا قال ابن عباس هو ان يوسع
ظهره وبطنه جلدا ويسلب ثيابه وهذا قول اكثر المفسرين فى معنى
هذه الاية لانه قد سمى الجلد عذابا وهو قوله فليشهد عذابهما طايفة
من المومنين قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد
وانتم حرم جمع حرام اى لا تقتلوا الصيد وانتم محرمون بالحج او العمرة
وقيل المراد منه دخول الحرم يقال احرم اذا عقد الاحرام واحرم اذا
دخل الحرم وقيل هما مرادان بالاية فلا يجوز قتل الصيد للمحرم ولا
فى الحرم نزلت هذه الاية فى ابى اليسر شد على حمار وحش فقتله وهو محرم
ثم صار هذا الحكم عام فلا يجوز قتل الصيد ولا التعرض له ما دام محرما

ولا

ولا فى الحرم والمراد بالصيد كل حيوان متوحش ماكول اللحم وهذا
قول الشافعى وقال ابو حنيفة هو كل حيوان متوحش سوا كان ماكولا
او لم يكن فيجب عنده الضمان على من قتل سبعا او نمرا او نحو ذلك واستثنى
الشارع خمس فواسق فاجاز قتلهن ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال خمس من الدواب ليس على المحرم فى قتلهن جناح الغراب
والعقرب والحداة والفارة والكلب العقور وفى رواية خمس لا جناح على
من قتلهن فى الحرم والاحرام ق عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن فى الحرم الغراب والحداة والعقرب
والفارة والكلب العقور ولمسلم خمس فواسق يقتلن فى الحل والحرم وذكر نحوه
وفى رواية النساي قال خمس يقتلن المحرم الحية والعقرب والفارة والغراب
الابقع والكلب العقور قال ابن عيينة الكلب العقور كل سبع ضارى
يعقر وقاس الشافعى عليها جميع ما لا يوكل لحمه قال لان الحديث يشتمل على
الحيات بعضها سباع ضارية وبعضها هوام قاتلة وبعضها طير لا تدخل
فى معنى السباع ولا فى معنى الهوام وانما هو حيوان مستخبث اللحم وتحريم
اللحم يجمع الكل فاعتبره ورتب عليه الحكم وذهب اصحاب الراى الى وجوب
الجزا فى كل ما لا يوكل لحمه الا الاعيان المذكورة فى الحديث وقاسوا عليها
الذيب فلم يوجبوا فيه كفارة وقوله تعالى ومن قتله منكم متعمدا قال
مجاهد والحسن وابن زيد هو الذى يتعمد قتل الصيد مع نسيان الاحرام
فعليه الجزا اما اذا تعمد قتل الصيد ذاكرا لاحرامه فلا جزا عليه لانه اعظم
من ان يكون له كفارة وقال ابن عباس والجمهور يحكم عليه بالجزا وان تعمد
القتل مع ذكر الاحرام وهذا مذهب عامة الفقها اما اذا قتل الصيد خطا
بان قصد غيره بالرمى فاصابه فهو كالعمد فى وجوب الجزا وهذا مذهب
جمهور المفسرين والفقها قال الزهرى نزل القران بالعمد وجرت السنة
فى الخطا يعنى الحقت المخطى بالمتعمد فى وجوب الجزا وقال سعيد بن جبير
لا ادرى فى الخطا شيا وهذا قول شاذ لا يوخذ به فجزا مثل ما قتل من النعم
يعنى فعليه جزا من النعم مثل ما قتل والشبه واحد واختلفوا فى هذه
المماثلة اى بالخلقة ام بالقيمة فالذى عليه جمهور العلما من الصحابة
فمن بعدهم ان المماثلة فى الخلقة معتبرة لان ظاهر الاية يدل على ذلك
وما لا مثل له فالقيمة وقال ابو حنيفة المثل الواجب فى قتل الصيد هو
القيمة لان الصيد المقتول اذا لم يكن مثل فانه يضمن بالقيمة وهذا الانزاع
فيه فكان المراد بالمثل هو القيمة فى هذه الصورة فوجب ان يكون فى ساير
الصور كذلك لان اللفظ الواحد لا يجوز حمله الا على معنى واحد واجيب
عنه بان حقيقة المماثلة امر معلوم فيجب رعايتها باقصى الامكان وان لم

يمكن رعايتها الا بالقيمة وجب الاكتفا به للضرورة وحجة الشافعي ومن
وافقه في اعتبار المماثلة بالخلقة ان الصحابة حكموا في بلدان شتى وازمان
مختلفة بالمثل من النعم فحكموا في النعامة ببدنة وهي لا تساوي بدنة
وكذا في الضبع بكبش فدل ذلك على انهم نظروا الى ما يقرب من
الصيد شبها من حيث الخلقة فحكموا به ولم يعتبروا القيمة ويجب في
الظبي شاة وفي الارنب حمل وفي الضب سخلة وفي اليربوع جفرة ويجب
في الحمام وكل ما عب وهدر كالفواخت والقمري وذوات الاطواق
شاة وما سواه من الطير ففيه القيمة في المكان الذي اصيب فيه ويروى
عن عثمان وابن عباس انهما حكما في حمام الحرم بشاة ويروى عن عمر
انه قضى في الضبع بكبش وفي الغزال بعنز وفي الارنب بعناق وفي
اليربوع بجفرة وقوله تعالى **يحكم به ذوا عدل منكم** يعني يحكم بالجزا في قتل
الصيد رجلان صالحان عدلان من اهل ملتكم ودينكم وينبغي ان يكونا
فقيهين فينظران الى اشبه الاشيا به من النعم فيحكمان به قال ميمون
ابن مهران جا اعرابي الى ابي بكر الصديق فقال اني اصبت من الصيد
كذا وكذا فسال ابو بكر ابي بن كعب فقال الاعرابي اني اتيتك اسالك
وانت تسال غيرك فقال ابو بكر وما انكرت من ذلك قال الله تعالى يحكم
به ذوا عدل منكم فشاورت صاحبي فاذا اتفقنا على شي امرناك به وقوله
تعالى **هديا بالغ الكعبة** يعني ان الكفارة هديا تساق الى الكعبة
وسميت الكعبة كعبة لارتفاعها والعرب تسمي كل بيت مرتفع كعبة
وانما اريد بالكعبة كل الحرم لان الذبح لا يقع في الكعبة وعندها ملاقيا
لها انما يقع في الحرم وهو المراد بالبلوغ فيذبح الهدي بمكة ويتصدق
به على مساكين الحرم هذا مذهب الشافعي وقال ابو حنيفة له ان
يتصدق به حيث شا اذا اوصل الهدي الى الكعبة **او كفارة طعام مساكين
او عدل ذلك صياما** ذهب الشافعي ومالك وابو حنيفة الى ان كل كلمة
او في هذه الاية للتخيير وقال احمد وزفر من اصحاب ابي حنيفة انها
للترتيب وهما روايتان عن ابن عباس قال الشافعي اذا قتل صيدا
له مثل فهو مخير بين ثلاثة اشيا ان شا ذبح المثل من النعم وتصدق
به على مساكين الحرم وان شا قوم المثل دراهم والدراهم طعاما ثم
يتصدق به على مساكين الحرم وان شا صام عن كل مد من الطعام يوما
وقال ابو حنيفة يصوم عن كل نصف صاع صومًا يوما وعن احمد روايتان
كالقولين واصل هذه المسئلة ان الصوم مقدر بطعام اليوم فعند
الشافعي مقدر بالمد وعند ابي حنيفة مقدر بنصف صاع وله ان يصوم
حيث شا لانه لا نفع فيه للمساكين وذهب جمهور الفقها الى الخيار في تعيين

احد هذه الثلاثة اشيا الى قاتل الصيد الذي وجب عليه الكفارة لان
الله اوجب عليه احد هذه الثلاثة على التخيير فوجب ان يكون هو المخير
بين اتيانها شا وقال محمد بن الحسن من اصحاب ابي حنيفة التخيير الى الحكمين
لان الله تعالى قال يحكم به ذوا عدل منكم ومن قال ان كلمة او للترتيب قال
ان لم يجد الهدي اشترى طعاما وتصدق به فان كان معسرا صام وقال
مالك ان لم يخرج المثل من النعم يقوم الصيد ثم يجعل القيمة طعاما
فيتصدق به او يصوم وقال ابو حنيفة لا يجب المثل من النعم بل يقوم
الصيد فان شا صرف تلك القيمة الى شي من النعم وان شا صام عن كل نصف
صاع من بر او صاع من غيره يوما واختلفوا في موضع التقويم فقال جمهور الفقها
يقوم في المكان الذي قتل فيه الصيد وقال الشعبي يقوم بمكة بثمن مكة لانه
يصرف بها وقوله تعالى **ليذوق وبال امره** يعني جزا ذنبه والوبال في اللغة
الشي الثقيل الذي يخاف ضرره يقال مرعى وبيل اذا كان فيه وخامة وانما
سمى الله ذلك وبالا لان اخراج الجزا ثقيل على النفس لان فيه تنقيص
للمال وهو ثقيل على النفس وكذا الصوم ايضا ثقيل على النفس لان فيه
انهاك البدن **عفا الله عما سلف** يعني قبل التحريم **ومن عاد** يعني الى قتل
الصيد مرة ثانية **فينتقم الله منه** يعني في الاخرة والانتقام المبالغة في
العقوبة وهذا الوعيد لا يمنع ايجاب الجزا في المرة الثانية والثالثة فاذا
تكرر من المحرم قتل الصيد تكرر عليه الجزا وهذا قول جمهور العلما وقد
روي عن ابن عباس والنخعي وابي داود الظاهري انه اذا قتل الصيد مرة
ثانية فلا جزا عليه لان الله وعده بالانتقام منه قال ابن عباس اذا
قتل المحرم صيدا متعمدا اسيل هل قتلت قبله شيا من الصيد فان قال نعم
لم يحكم عليه ويقال له اذهب فينتقم الله منك وان قال لم اقتل قبله شيا
حكم عليه فان عاد بعد ذلك لم يحكم عليه ولكن يملا ظهره وصدره ضربا
وكذلك حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيد وج وهو واد بالطائف
والله عزيز ذو انتقام يعني ممن عصاه واذا اتلف المحرم شيا من الصيد
الذي لا مثل له من النعم مثل البيض وطاير صغير دون الحمام ففيه القيمة
فيقوم ثم يشتري بقيمته طعاما ويتصدق به على محاويج الحرم او يصوم
عن كل مد يوما قوله تعالى **احل لكم صيد البحر وطعامه** المراد بالصيد
ما صيد من البحر والمراد بالبحر جميع المياه العذبة والمالحة فاما طعامه
فاختلفوا فيه فقيل هو ما قذفه البحر ورمى به الى الساحل يروى ذلك عن
ابي بكر وعمر وابن عمر وابي ايوب وقتادة وقيل صيد البحر طريه وطعامه مالحه
يروى ذلك عن سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب والسدي ويروى عن
ابن عباس ومجاهد كالقولين وجملة حيوان الما على قسمين سمك وغير

سمك فاما السمك فجميعه حلال على اختلاف اجناسه وانواعه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخرجه
ابوداود والترمذي والنسائي ولا فرق بين ان يموت بسبب او بغير
سبب وما عدا السمك فقسمان قسم يعيش في البحر والبر كالضفدع
والسرطان فلا يحل اكلهما وقال سفيان ارجوا ان لا يكون بالسرطان باسا
واختلفوا في الجراد فقيل هو من صيد البحر فيحل اكله للمحرم وذهب جمهور
العلما الى انه من صيد البر وانه لا يحل للمحرم اكله في حال الاحرام فان اصاب
جرادة فعليه صدقة قال عمر في الجرادة تمرة وعنه وعن ابن عباس قبضة من
طعام وكذلك طير الما فهو من صيد البر ايضا وقال احمد يوكل كل ما في البحر
الا الضفدع والتمساح قال لان التمساح يفترس وياكل الناس وقال ابن
ابي ليلى ومالك يباح كل ما في البحر وذهب جماعة الى ان ما له نظير من البر
يوكل فيوكل نظيره من حيوان البحر مثل بقر الما ونحوه ولا يوكل ما لا يوكل
نظيره من البر مثل كلب الما وخنزير الما فلا يحل اكله وقوله تعالى **مَتَاعًا
لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ** يعني ينتفع به المقيمون والمسافرون فيتزودون منه
وقوله **وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا** ذكر الله عز وجل تحريم الصيد
على المحرم في ثلاثة مواضع من هذه السورة احدها في اول السورة وهو
قوله غير محلي الصيد وانتم حرم والثاني قوله يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا
الصيد وانتم حرم والثالث هذه الاية وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما
كل ذلك لتاكيد تحريم قتل الصيد على المحرم واختلف العلما هل يجوز للمحرم
ان ياكل من لحم صيد صاده غيره فذهب قوم الى انه لا يحل ذلك بحال يروى
ذلك عن ابن عباس وهو قول طاوس واليه ذهب الثوري • واحتجوا
على ذلك بما روي عن الصعب بن جثامة الليثي انه اهدى للنبي صلى الله
عليه وسلم حمارا وحشيا وهو بالابوا او بودان فرده عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما راى ما في وجهه من الكراهة قال انا لم نرده عليك الا انا حرم اخرجاه
في الصحيحين • وذهب جمهور العلما الى انه يجوز للمحرم ان ياكل لحم الصيد اذا لم
يصده بنفسه ولا صيد له ولا باشارته ولا اعان عليه وهذا قول عمر
وعثمان وابي هريرة وبه قال عطا ومجاهد وسعيد بن جبير وهو مذهب
مالك والشافعي واحمد واصحاب الراي ويدل عليه ما روي عن ابي قتادة
الانصاري قال كنت جالسا مع رجال من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم في منزل في طريق مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم امامنا
والقوم محرمون وانا غير محرم عام الحديبية فابصروا حمارا وحشيا وانا
مشغول اخصف نعلا فلم يوذنوا لي واحبوا لو اني ابصرته فالتفت فابصرته
فقمت الى الفرس فاسرجته ثم ركبت ونسيت السوط والرمح فقالوا لا والله

لا نعينك عليه فغضبت فنزلت فاخذتهما ثم ركبت فشددت على الحمار
فعقرته ثم جيت به وقد مات فوقعوا فيه ياكلون ثم انهم شكوا في اكلهم
اياه وهم حرم فرحنا وخبات العضد فادركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسالناه عن ذلك فقال هل معكم منه شي فقلت نعم فناولته العضد فاكلها
وهو محرم زاد في رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انما هي طعمة
اطعمكموها الله وفي رواية هو حلال فكلوه وفي رواية فقال لهم النبي صلى
الله عليه وسلم هل منكم احد امره ان يحمل عليها او اشار اليها قالوا لا قال
كلوا ما بقي من لحمها اخرجاه في الصحيحين • واجاب اصحاب هذا
المذهب عن حديث الصعب بن جثامة بانه انما رده النبي صلى الله عليه
وسلم لانه ظن انه انما صيد لاجله والمحرم لا ياكل ما صيد لاجله **وَاتَّقُوا اللَّهَ**
يعني فلا تستحلوا الصيد في حال الاحرام ولا في الحرم ثم حذرهم بقوله
الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ يعني في الاخرة فيجازيكم باعمالكم

قوله عز وجل

جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يعني بمعنى صير وقيل معناه بين وحكم
قال مجاهد سمي البيت كعبة لتربيعه وقيل لارتفاعه عن الارض وسمي
البيت الحرام لان الله حرمه وعظمه وشرفه وعظم حرمته وحرم ان
يصاد عنده وان يختلى خلاه وان يعضد شجره واراد بالبيت جميع الحرم صح
من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوم فتح مكة
فقال ان هذا البلد حرمه الله تعالى يوم خلق السموات والارض فهو حرام
بحرمة الله الى يوم القيمة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته
الا من عرفها ولا يختلى خلاه وقوله تعالى **قِيَامًا لِلنَّاسِ** اصله قواما لانه
سبب لقوام مصالح الناس في امر دينهم ودنياهم واخرتهم اما في امر الدين
فانه به يقوم الحج وتتم المناسك واما في امر الدنيا فانه يجبى اليه ثمرات
كل شي رزقا ويامنون فيه من النهب والغارة فلو لقي الرجل قاتل ابيه او
ابنه في الحرم لم يهجه واما في الاخرة فان البيت جعل لقيام المناسك
عنده وجعلت تلك المناسك التي تقام عنده اسبابا لعلو الدرجات
وتكفير الخطايات وزيادة الكرامات والمثوبات فلما كانت الكعبة
الشريفة سببا لحصول هذه الاشيا كانت سببا لقيام الناس **وَالشَّهْرَ
الْحَرَامَ** يعني وجعل الشهر الحرام قياما للناس واراد بالشهر الحرام الاشهر
الحرم الاربعة وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الفرد يعني
وكذلك جعل الاشهر الحرم يامنون فيها من القتال وذلك ان العرب كان
يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكانوا اذا دخلت الاشهر الحرم
امسكوا عن القتال والغارة فيها فكانوا يامنون في الاشهر الحرم فكانت
سببا لقيام مصالح الناس **وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ** يعني وكذلك جعل الهدي

والقلايد سببا لقيام مصالح الناس وذلك انهم كانوا يامنون بسوق الهدي الى البيت الحرام على انفسهم بذلك وكذلك كانوا يامنون اذا قلدوا انفسهم من لحى شجر الحرم فلا يتعرض لهم احد **ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض** يعني تعالى علم في الازل بمصالح العباد وما يحتاجون اليه فجعل الكعبة والشهر الحرام والهدي والقلايد يامنون بها لانه يعلم مصالح العباد كما يعلم ما في السموات وما في الارض لانه تعالى علم جميع المعلومات الكليات والجزئيات وهو قوله تعالى **وان الله بكل شي عليم** يعني انه تعالى لا يخفى عليه خافية **اعلموا ان الله شديد العقاب** يعني لمن انتهك محارمه واستحلها **وان الله غفور رحيم** يعني لمن تاب وامن ولما ذكر الله انواع رحمته لعباده ذكر بعدها انه شديد العقاب لان الايمان لا يتم الا بحصول الرجا والخوف ثم ذكر بعده ما يدل على سعة رحمته وانه غفور رحيم قوله تعالى **ما على الرسول الا البلاغ** يعني ليس على رسولنا الذي ارسلناه اليكم الا تبليغ ما ارسل به من الانذار بما فيه قطع الحجج ففي الاية تشديد عظيم في ايجاب القيام بما امر الله وان الرسول صلى الله عليه وسلم قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت الحجة عليكم بذلك ولزمتكم الطاعة فلا عذر في التفريط **والله يعلم ما تبدون وما تكتمون** يعني انه تعالى لا يخفى عليه شي من احوالكم ظاهرا وباطنا **قل لا يستوي الخبيث والطيب** يعني لا يستوي الحلال والحرام في الدرجة والرتبة ولا يعتدل الردي والجيد ولا المسلم والكافر ولا الصالح ولا الطالح **ولو اعجبك كثرة الخبيث** يعني ولو سرك كثرة الخبيث لان عاقبته عاقبة سوء والمعنى ان اهل الدنيا يعجبهم كثرة المال وزينة الدنيا وما عند الله خير وابقى لان زينة الدنيا ونعيمها يزول وما عند الله يدوم قال ابن الجوزي روى جابر بن عبد الله ان رجلا قال يا رسول الله ان الخمر كانت تجارتي فهل ينفعني ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الا الطيب وقال مقاتل نزلت في شريح بن ضبيعة البكري وحجاج بني بكر وقد تقدمت القصة في اول السورة **فاتقوا الله** يعني فيما امركم به او نهاكم عنه ولا تعتدوه **يا اولي الالباب** يعني يا ذوي العقول السليمة **لعلكم تفلحون** قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم** اختلفوا في سبب نزول هذه الاية فروى عن انس بن مالك قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين فقال رجل من ابي فقال فلان فنزلت فقال فلان فنزلت هذه الاية

لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسؤكم وفي رواية اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فقام على المنبر فذكر الساعة فذكر فيها امورا عظاما ثم قال من احب ان يسالني عن شي فليسال فلا تسالوني عن شي الا اخبرتكم به ما دمت في مقامي فاكثر الناس البكا واكثر ان يقول سلوا فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال من ابي فقال ابوك حذافة ثم اكثر ان يقول سلوني فبرك عمر على ركبتيه وقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فسكت ثم قال عرضت علي الجنة والنار في عرض هذا الحايط فلم ار كاليوم في الخير والشر • قال ابن شهاب فاخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال قالت ام عبد الله بن حذافة لعبد الله ابن حذافة ما سمعت قط اعق منك امنت ان تكون امك قارفت بعض ما تقارف اهل الجاهلية فتفضحها على اعين الناس فقال عبد الله بن حذافة لو الحقني بعبد اسود للحقته زاد في رواية اخرى قال قتادة يذكر هذا الحديث عند هذه الاية لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسؤكم اخرجاه في الصحيحين خ عن ابن عباس قال كان قوم يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزا فيقول الرجل من ابي ويقول الرجل تضل ناقته اين ناقتي فانزل الله هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسؤكم الاية كلها وقيل نزلت هذه الاية في شان الحج عن علي بن ابي طالب قال لما نزلت ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قالوا يا رسول الله في كل عام قال لا ولو قلت نعم لوجبت فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسؤكم اخرجه الترمذي وقال حديث غريب م عن ابي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل اكل عام فسكت حتى قالها ثلاثا ثم قال ذروني ما تركتكم ولو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وانما هلك من كان قبلكم كثرة سوالهم واختلافهم على انبيايهم اذا امرتكم بشي فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شي فاجتنبوه وروي عن مجاهد عن ابن عباس لا تسالوا عن اشيا قال هي البحيرة والوصيلة والسايبة والحام الا ترى انه يقول بعد ذلك ما جعل الله من بحيرة ولا كذا ولا كذا وقال عكرمة انهم كانوا يسالونه عن الايات فنهوا عن ذلك ثم قال قد سالها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين ومعنى الاية يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا جمع شي ان تبد لكم تسؤكم اي تظهر لكم وتبين لكم تسؤكم يعني ان امرتم بالعمل بها فان من سال عن الحج لا يامن ان يومر به فلا يقدر عليه فيسوه ذلك ومن سال عن نسبه لم يامن ان يلحقه النبي صلى الله عليه وسلم بغير ابيه فيفتضح ويسوه ذلك **وان تسالوا عنها حين ينزل القران تبد لكم** معناه ان

صبرتم حتى ينزل القرآن بحكم من فرض او نهي او حكم وليس في ظاهره شرح
ما تحتاجون اليه ومست حاجتكم اليه فاذا سألتم عنه حينئذ يبد لكم
ومثال هذا ان الله عز وجل لما بين عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها
والحامل ولم يكن في عدد ه ولا دليل على عدة التي ليست بذات قرو ولا حامل
فسألوا عنها فانزل الله عز وجل لا جوابهم في قوله واللاى يئسن من
المحيض الاية عفا الله عنها يعني مسألتكم عن الاشيا التي سألتم عنها رسول
الله صلى الله عليه وسلم التي كره الله لكم السوال عنها فلم يواخذكم بها ولم
يعاقبكم عليها والله غفور يعني لمن تاب منكم حليم فلم يعجل بعقوبتكم وقال
عطا غفور يعني لما كان في الجاهلية حليم يعني عن عقابكم منذ امنتم وصدقتم
قال بعض العلما الاشيا التي يجوز السوال عنها هي ما يترتب عليه امر
الدين والدنيا من مصالح العباد وما عدا ذلك فلا يجوز السوال عنه
ق عن سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اعظم
المسلمين في المسلمين جرما من سئل عن شي لم يحرم على الناس فحرم من اجل
مسألته ق عن المغيرة بن شعبة انه كتب الى معاوية ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان ينهى عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السوال عن
معاوية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الاغلوطات اخرجه ابو
داود والاغلوطات صعاب المسايل التي تزل فيها اقدام العلما ويوجد
ذلك قول ابي هريرة شرار الناس الذين يسالون عن شرار المسايل كي
يغلطوا بها العلما وعن سلمان قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن اشيا فقال الحلال ما احل الله في كتابه والحرام ما حرمه الله في كتابه
وما سكت عنه فهو مما قد عفى عنه فلا تتكلفوا وعن ابي ثعلبة الخشني ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى فرض فرايض فلا تضيعوها
وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم اشيا فلا تقربوها وترك اشيا من غير
نسيان فلا تبحثوا عنها هذان الحديثان اخرجهما في جامع الاصول ولم
يعزهما الى الكتب الستة ثم قال تعالى قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها
كافرين قال المفسرون يعني قوم صالح سألوا الناقة ثم عقروها فاصبحوا
بها كافرين وقوم موسى قالوا ارنا الله جهرة فكان هذا السوال وبالا
عليهم وقوم عيسى سألوا نزول المايدة عليهم ثم كذبوا بها كانه تعالى يقول
ان اوليك سألوا فلما اعطوا سولهم كفروا به فلا تسألوا انتم شيا فلعلكم
ان اعطيتم سولكم ساءكم ذلك قوله تعالى ما جعل الله اي انزل الله ولا حكم به
ولا شرعه ولا امر به من بحيرة البحيرة من البحر وهو الشق يقال بحر ناقته اذا
شق ناقته اذنها فهي فعيلة بمعنى مفعولة ولا سايبة يعني المسيبة المخلاة
ولا وصيلة الوصيلة هي الشاة وكانت العرب في الجاهلية اذا ولدت لهم ذكر

او انثى قالوا وصلت اخاها ولا حام والحام هو الفحل من الابل يحمى ظهره فلا يركب
ولا ينتفع به قال ابن عباس في بيان هذه الاوصاف هي الناقة اذا ولدت
ولم يركبوها ولم يجزوا وبرها ولم يمنعوها الما والكلا ثم نظروا الى خامس ولدها
فان كان ذكرا نحروه واكله النسا والرجال وان كانت انثى شقوا اذنها وتركوها
وحرموا على النسا منافعها وكانت منافعها للرجال خاصة فاذا ماتت حلت
للرجال والنسا وقيل كانت الناقة اذا انتجت ثنتي عشرة سنة اناثا سيبت
فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فما نتجت بعد
ذلك من انثى شق اذنها ثم سيبت مع امها ويفعل بها كما يفعل بامها
وقيل السايبة البعير الذي يسيب لالهتهم وذلك ان الرجل من اهل الجاهلية
كان اذا مرض او غاب له قريب نذر فقال ان شفاني الله وشفا مريضي او
قدم غايبي فناقتي هذه سايبة ثم يسيبها فلا تحبس عن ما ولا مرعي
ولا يركبها احد فهي بمنزلة البحيرة والوصيلة من الغنم كانت الشاة اذا
ولدت سبعة ابطن نظروا فان كان السابع ذكرا ذبحوه واكل منه الرجال
والنسا وان كانت انثى تركوها في الغنم وان كانت ولدت ذكرا وانثى قالوا
وصلت اخاها واستحلوا الذكر فلم يذبحوه من اجل انثى والحام هو الفحل اذا
ركب ولد ولده وقيل هو الفحل اذا انتج من صلبه عشرة ابطن قالوا حمى ظهره
فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ما ولا مرعى فاذا مات اكله الرجال والنسا
ق عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها
احد من الناس والسايبة كانوا يسيبونها لالهتهم لا يحمل عليها شي وقال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت عمرو بن عامر الخزاعي
يجر قصبه في النار ولمسلم قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رايت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف اخا بني كعب وهو يجر قصبه في النار خ عن عايشة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت جهنم يحطم بعضها بعضا ورايت
عمرو يجر قصبه وهو اول من سيب السوايب والقصب بضم القاف وسكون
الصاد الامعا كان اهل الجاهلية تفعل هذا في جاهليتهم فلما بعث الله عز
وجل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ابطل ذلك كله بقوله ما جعل الله من بحيرة
ولا سايبة ولا وصيلة ولا حام يعني ما بحر الله من بحيرة ولا سيب من
سايبة ولا وصل من وصيلة ولا حما من حام ولا اذن فيه ولا امر به ولكنكم
انتم فعلتم ذلك من عند انفسكم خ عن ابن مسعود ان اهل الاسلام لا يسيبون
وان اهل الجاهلية كانوا يسيبون وقوله تعالى ولكن الذين كفروا يفترون على
الله الكذب يعني بقولهم ان الله امرها واكثرهم لا يعقلون اراد بالاكثر
الاتباع يعني الاتباع لا يعقل ان هذا كذب وافترا من الروسا على الله تعالى
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول يعني واذا قيل لهولا الذين

بحروا البحاير وفعلوا هذه الاشيا ويضيفونها الى الله كذبا عليه تعالوا
الى ما انزل الله يعني في كتابه والى الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
الذي انزل عليه كتابه ليبين لكم كذب ما يضيفونه الى الله ويبين لكم ان
الشرايع والاحكام وان الذي يفعلونه ليس بشي قالوا حسبنا ما وجدنا عليه
ابانا يعني قد اكتفينا بما اخذنا عنهم من الدين ونحن لهم تبع قال الله ردا
عليهم اولو كان اباوهم لا يعلمون شيا ولا يهتدون يعني انما يصح الاقتدا
بالعالم المهتدي الذي يبني قوله على الحجة والبرهان والدليل وان اباهم
ما كانوا كذلك فلا يصح اقتداوهم بهم يايها الذين امنوا عليكم انفسكم
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال بعض العلما هذا امر من الله تعالى ومعناه
احفظوا انفسكم من ملابسة الذنوب والاصرار على المعاصي لانك اذا
قلت عليك زيدا معناه الزم زيدا او قيل معناه عليكم انفسكم فاصلحوها
واعملوا في خلاصها من عذاب الله عز وجل وانظروا لها ما يقربها من الله
عز وجل لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يعني لا يضركم كفر من كفر اذا كنتم
مهتدين واطعتم الله عز وجل فيما امركم ونهاكم عنه قال سعيد بن جبير
ومجاهد نزلت هذه الاية في اهل الكتاب والنصاري يعني عليكم انفسكم
لا يضركم من ضل من اهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم وقيل لما قبل
الجزية من اهل الكتاب قال بعض الكفار كيف يقبل الجزية من بعض دون
بعض فنزلت هذه الاية وقيل ان المومنين كان يشتد عليهم بقا الكفار على
كفرهم فقيل لهم عليكم انفسكم واجتهدوا في صلاحها لا يضركم ضلال الضالين
ولا جهل الجاهلين اذا كنتم انتم مهتدين **فان قلت** هل يدل
ظاهر هذه الاية على جواز ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر **قلت**
لا تدل على ذلك والذي عليه اكثر الناس ان المطيع لربه عز وجل لا يكون
مواخذا بذنوب العاصي فاما وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
فثابت بدليل الكتاب والسنة عن قيس بن ابي حازم عن ابي بكر الصديق
انه قال ايها الناس انكم تقرون هذه الاية يايها الذين امنوا عليكم انفسكم
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الناس اذا راوا الظالم فلم ياخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله منه بعقاب
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح واخرجه ابو داود وزاد فيه ما
من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدروا ان يغيروا ولا يغيروا الا يوشك ان
يعمهم الله بالمعاصي بعقاب وقال قوم في معنى الاية عليكم انفسكم اذا امرتم
بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم يقبل منكم قال ابن مسعود مروا بالمعروف
وانهوا عن المنكر ما قبل منكم فان رد عليكم فعليكم انفسكم ثم قال ان القران
نزل منه اي مضى تاويلهن فلن يرد عليكم فعليكم انفسكم قبل ان يترك

ومنه

ومنه اي وقع تاويلهن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه اي
قد وقع تاويلهن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسير ومنه اي
يقع تاويلهن في اخر الزمان ومنه اي يقع تاويلهن يوم القيمة وهي ما ذكر
من الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم واهواكم واحدة لم تلبسوا شيعا
ولم يذق بعضكم باس بعض فامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فاذا
اختلفت قلوبكم واهواكم والبستم شيعا واذاق بعضكم باس بعض فامرو
نفسه فعند ذلك جا تاويل هذه الاية وقيل لابن عمر لو جلست في
هذه الايام فلم تامر ولم تنه فان الله يقول عليكم انفسكم لا يضركم من ضل
اذا اهتديتم فقال ابن عمر انها ليست لي ولا لاصحابي لان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الا ليبلغ الشاهد الغايب فكنا نحن الشهود وانتم
الغايب ولكن هذه الاية لاقوام يجيون من بعدنا ان قالوا لم يقبل
منهم وعن ابي امية الشعباني قال اتيت ابا ثعلبة الخشني فقلت له كيف
تصنع بهذه الاية قال اية اية قلت يايها الذين امنوا عليكم انفسكم
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال اما والله لقد سالت عنها خبيرا سالت
عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايتمروا بالمعروف وتناهوا
عن المنكر حتى اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا موثرة واعجاب
كل ذي راي برايه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام فان من ورايكم
ايام الصبر فمن صبر فيهن على الجمر للعامل فيهن مثل اجر خمسين رجلا يعملون
مثل عملكم وفي رواية قيل يا رسول الله اجر خمسين رجلا منا او منهم قال
لا بل اجر خمسين منكم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقيل
في معنى الاية ان العبد اذا عمل بطاعة الله واجتنب نواهيه لا يضره من
ضل واهلك قال ابن عباس في قوله عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا
اهتديتم يقول اذا ما العبد اطاعني فيما امرته من الحلال والحرام فلا
يضره من ضل بعده اذا عمل بما امرته به وعن صفوان بن محرز قال
دخل على شاب من اصحاب الاهوا فذكر شيا من امره فقال له صفوان الا
ادلك على خاصة الله التي خص بها اولياءه يايها الذين امنوا عليكم انفسكم
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقال الحسن لم يكن مومن فيما مضى ولا مومن
فيما بقي الا والى جانبه منافق يكره عمله وقيل في معنى الاية لا يضركم من كفر
بالله وحاد عن قصد السبيل من اهل الكتاب اذا اهتديتم انتم قال سعيد
ابن جبير نزلت هذه الاية في اهل الكتاب وقال ابن زيد كان الرجل اذا
اسلم قالوا له سفهت اباك وضللتهم وفعلت وفعلت وكان ينبغي لك ان
تنصرهم وتفعل فقال الله عز وجل يايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم
من ضل اذا اهتديتم قال الطبري واولى هذه الاقوال واصح التاويلات

عندنا فى هذه الاية ما روى عن ابى بكر وهو العمل بطاعة الله واداء
ما لزم من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والاخذ على يد الظالم لان الله
تعالى يقول وتعاونوا على البر والتقوى ومن التعاون على البر والتقوى
الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والاخذ على يد الظالم حتى يرجع عن ظلمه
وقال عبد الله بن المبارك هذه الاية اوكد اية فى وجوب الامر بالمعروف
والنهى عن المنكر لان الله تعالى قال عليكم انفسكم يعنى اهل دينكم بان يعظ
بعضكم بعضا بان يرغبه فى الخيرات وينفره عن القبايح والمكروهات والذى
يوكد ذلك ان معنى قوله عليكم انفسكم اى احفظوا انفسكم وهذا امر
بان يحفظ انفسنا ولا يتم ذلك الا بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر والله
اعلم وقوله تعالى **الى الله مرجعكم جميعا** يعنى فى الاخرة الطايع والعاصى
والضال والمهتدى **فينبيكم بما كنتم تعملون** يعنى فيخبركم باعمالكم ويجزيكم
عليها قوله تعالى **يايها الذين امنوا شهادة بينكم** سبب نزول هذه الاية
ما روى ان تميم بن اوس الدارى وعدى بن بدا خرجا من المدينة فى تجارة
الى الشام وهما نصرانيان ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما
فلما قدم الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه من المتاع والقاه
فى متاعه ولم يخبر صاحبيه بذلك فلما اشتد وجعه اوصى الى تميم وعدى
وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله اذا رجعا الى المدينة ومات بديل
ففتشا متاعه فوجدا فيه اناء من فضة منقوشا بالذهب فيه ثلثماية
مثقال فغيباه ثم انهما قضيا حاجتهما وانصرفا الى المدينة فدفعا المتاع
الى اهل الميت ففتشوه فاصابوا الصحيفة وفيه تسمية ما كان معه فجا
اهل الميت الى تميم وعدى فقالوا هل باع صاحبنا شيا من متاعه قالا
لا قالوا فهل اتجر تجارة قالا لا قالوا فهل طال مرضه فانفق على نفسه شيا
قالا لا فقالوا انا وجدنا فى متاعه صحيفة فيها تسمية ما كان معه وانا
فقدنا اناء من فضة مموها بالذهب فيه ثلثماية مثقال فضة قالا ما ندرى
انما اوصى الينا بشى وامرنا ان ندفعه اليكم فدفعناه وما لنا علم بالاناء
فاختصموا الى النبى صلى الله عليه وسلم فاصرا على الانكار وحلفا فانزل
الله تعالى هذه الاية هذا قول المفسرين • وروى الترمذى عن ابن عباس
عن تميم الدارى فى هذه الاية يايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر
احدكم الموت قال برى الناس منها غيرى وغير عدى بن بدا وكانا نصرانيين
يختلفان الى الشام بتجارتهما قبل الاسلام فاتيا الشام بتجارتهما وقدم
عليهما مولى لبنى سهم يقال له بديل بن ابى مريم بتجارة ومعه جام من فضة
يريد به الملك وهو عظم تجارته فمرض فاوصى اليهما وامرهما ان يبلغا
ما ترك اهله قال تميم فلما مات اخذنا ذلك الجام فبعناه بالف درهم ثم

اقتسمناه انا وعدى فلما اتينا اهله دفعنا اليهم ما كان معنا وفقدوا الجام
فسالونا عنه فقلنا ما ترك غير هذا ولا دفع الينا غيره قال تميم فلما اسلمت
بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة تاثمت من ذلك فاتيت
اهله فاخبرتهم الخبر واديت اليهم خمسماية درهم واخبرتهم ان عند صاحبى
مثلها فاتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالهم البينة فلم يجدوا
فامرهم ان يستحلفوه بما يعظم به على اهل دينه فحلف فانزل الله يايها الذين
امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت الى قوله او يخافوا ان ترد ايمان بعد
ايمانهم فقام عمرو بن العاص ورجل اخر فحلفا فنزعت الخمسماية درهم من
عدى قال الترمذى وقد روى عن ابن عباس شى من هذا على الاختصار
من غير هذا الوجه قال ابن عباس خرج رجل من بنى سهم مع تميم الدارى
وعدى بن بدا فمات السهمى بارض ليس بها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاما
من فضة مخوصا بالذهب فاحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وجدوا
الجام بمكة فقيل اشتريناه من تميم وعدى فقام رجلان من اوليا السهمى
فحلفا بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وان الجام لصاحبهم قال وفيهم نزلت
هذه الاية يايها الذين امنوا شهادة بينكم اخرجه الترمذى وقال حديث
حسن غريب واخرج هذه الرواية الاخيرة البخارى فى صحيحه فاما التفسير
فقوله تعالى يايها الذين امنوا شهادة بينكم يعنى ليشهد ما بينكم لان الشهادة
انما يحتاج اليها عند وقوع التنازع والتشاجر **اذا حضر احدكم الموت**
يعنى اذا قارب وقت حضور الموت **حين الوصية اثنان** لفظه خبر ومعناه
الامر يعنى ليشهد اثنان عند حضور الموت واردتم الوصية **ذوا عدل منكم** يعنى
من اهل دينكم وملتكم يا معشر المومنين واختلفوا فى هذين الاثنين فقيل
هما الشاهدان اللذان يشهدان على الوصية الموصى وقيل هما الوصيان لان
الاية نزلت فيهما ولان الله تعالى قال فيقسمان بالله والشاهد لا يلزمه يمين
وجعل الوصى اثنين تاكيدا فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور كقوله
شهدت وصية فلان بمعنى حضرت **او اخران من غيركم** يعنى من غير دينكم وملتكم
وهذا قول ابن عباس وابى موسى الاشعرى وسعيد بن المسيب وابن جبير والنخعى
والشعبى وابن سيرين وشريح واكثر المفسرين وقيل معناه من غير عشيرتكم
وقبيلتكم وهم مسلمون واختلف العلما فى حكم هذه الاية فقال ابراهيم النخعى
وجماعة هى منسوخة كانت شهادة اهل الذمة مقبولة فى الابتدا ثم نسخت
بقوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم لان اجماع الامة على ان شهادة
الفاسق لا تجوز فشهادة الكفار واهل الذمة لا تجوز بطريق الاولى • وذهب
قوم الى انها ثابتة لم تنسخ وهو قول ابن عباس وابى موسى الاشعرى وسعيد
ابن المسيب وابن جبير وابن سيرين وبه قال احمد بن حنبل قالوا اذا لم يجد مسلمين

يشهدان على وصيته وهو في ارض غربة فليشهد كافران او ذميان او من
اى دين كانا لان هذا موضع ضرورة قال شريح من كان بارض غربة لم يجد
مسلما يشهد وصيته فليشهد كافرين على اى دين كانا من اهل الكتاب
او من عبدة الاوثان فشهادتهم جائزة في هذا الموضع ولا تجوز شهادة
كافر على مسلم بحال الا على وصية في سفر لا يجد فيه مسلما **عن الشعبي**
ان رجلا من المسلمين حضر ليشهده على وصيته فاشهد رجلين من اهل
الكتاب فقدما الكوفة فاتيا ابا موسى الاشعرى فاخبراه وقدما بتركته
ووصيته فقال ابو موسى هذا امر لم يكن بعد الذى كان في عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاحلفهما بعد العصر بالله ما خانا ولا كذبا ولا بدلا ولا
كتما ولا غيرا وانها لوصية الرجل وتركته فامضى شهادتهما اخرجه ابو
داود وقال قوم في قوله ذوا عدل منكم يعني من عشيرتكم وحيكم او اخران
من غيركم يعني من غير عشيرتكم وحيكم وان الاية كلها في المسلمين وهذا
قول الحسن والزهري وعكرمة وقالوا لا تجوز شهادة كافر في شئ من الاحكام
وهذا مذهب الشافعي ومالك وابو حنيفة غير ان ابو حنيفة اجاز شهادة
اهل الذمة فيما بينهم بعضهم على بعض • **واحتج** من قال بان هذه الاية
محكمة بان سورة المائدة من اخر القران نزولا وليس فيها منسوخ واحتج
من اجاز شهادة غير المسلم في هذا الموضع بان الله تعالى قال في اول
الاية يا ايها الذين امنوا فعم بهذا الخطاب جميع المومنين ولان الاية
دالة على وجوب الحلف على هذين الشاهدين • واجمع المسلمون على ان
الشاهد المسلم لا يجب عليه يمين ولان الميت اذا كان في ارض غربة ولم
يجد مسلما يشهده على وصيته ضاع ماله وربما كان عليه ديون او عنده
وديعة فيضيع ذلك كله واذا كان ذلك كذلك احتاج الى اشهاد من
حضره من اهل الذمة وغيرهم من الكفار حتى لا يضيع ماله وتنفذ وصيته
فهذا كالمضطر الذى ابيح له اكل الميتة في حال الاضطرار والضرورات
قد تبيح المحظورات • **واحتج** من منع ذلك بان الله تعالى قال ممن
ترضون من الشهداء والكفار ليسوا مرضيين ولا عدول فشهادتهم غير
مقبولة في حال من الاحوال **وقوله تعالى** **ان انتم ضربتم في الارض**
يعني ان انتم سافرتم في الارض **فاصابتكم مصيبة الموت** يعني نزل بكم
اسباب الموت فاوصيتم اليهما ودفعتم مالكم اليهما **تحبسونهما** يعني ان
اتهمتهما بعض الورثة فلو صيتم اليهما ودفعتما لكم اليهما وادعوا خيانة
فالحكم فيه ان يوقفوهما **من بعد الصلاة** يعني من بعد صلاة العصر لان
جميع اهل الاديان يعظمون ذلك الوقت ويتجنبون فيه الحلف الكاذب
وقيل من بعد صلاة اهل دينهما لانهما اذا كانا كافرين لا يحترمان صلاة

العصر **فيقسمان بالله** يعني فيحلفان بالله • قال الشافعي الايمان تغلظ
في الدما والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ مايتي درهم بالزمان والمكان
فيحلف بعد صلاة العصر ان كان بمكة بين الركن والمقام وان كان بالمدينة
فعند المنبر وفي بيت المقدس عند الصخرة • وفي ساير البلاد عند اشرف
المساجد واعظمها **ان ارتبتم** يعني ان شككتم ايها الورثة في قول الشاهدين
وصدقهما تحلفونهما وهذا اذا كانا كافرين اما اذا كانا مسلمين فلا يمين
عليهما لان تحليف الشاهد المسلم غير مشروع **لا نشتري به ثمنا** يعني لا نبيع
عهد الله بشئ من الدنيا ولا نحلف بالله كاذبين لاجل عوض ناخذه او
حق نجحده **ولو كان ذا قربى** يعني ولو كان المشهود له ذا قرابة منا وانما
خص القربى بالذكر لان الميل اليهم اكثر من غيرهم **ولا نكتم شهادة الله** انما
اضاف الشهادة اليه لانه امر باقامتها ونهى عن كتمانها **انا اذا لمن الاثمين**
يعني ان كتمنا الشهادة او خنا فيها ولما نزلت هذه الاية صلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا تميما وعديا وحلفهما عند المنبر بالله
الذى لا اله الا هو انهما لم يخونا شيا مما دفع اليهما فحلفا على ذلك فخلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ظهر الاناء بعد ذلك قال ابن
عباس وجد الاناء بمكة فقالوا اشتريناه من تميم وعدى وقيل لما طالت
المدة اظهروه فبلغ ذلك بنى سهم فاتوهما في ذلك فقالا انا كنا اشتريناه
منه فقالوا لهما الم تزعما ان صاحبنا لم يبع شيا من متاعه قالا لم يكن عندنا
بينة فكرهنا ان نقر لكم به فكتمناه لذلك فرفعوهما الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم **فان عثر** يعني فان اطلع وظهر والعثور الهجوم على امر لم يهجم
عليه غيره وكل من اطلع على امر كان قد خفى عليه فقيل له قد عثر عليه
على انهما استحقا اثما يعني الوصيين ومعنى الاية فان عثر الوقوف
والعثور على ان الوصيين خانا استوجبا الاثم بسبب خيانتهما وايمانهما
الكاذبة **فاخران** يعني من اوليا الميت واقربايه **يقومان مقامهما** يعني
مقام الوصيين في اليمين **من الذين استحق عليهم** يعني من الذين استحق
عليهم الاثم وهم الورثة والمعنى اذا ظهرت خيانة الحالفين وبان كذبهما
يقوم اثنان اخران من الذين جنى عليهم وهم اهل الميت وعشيرته **الاوليان**
يعني بامر الميت وهم اهله وعشيرته **فيقسمان** يعني فيحلفان **بالله لشهاد**
احق من شهادتهما يعني ان ايماننا احق واصدق من ايمانهما **وما اعتدينا**
يعني في ايماننا وقولنا ان شهادتنا احق من شهادتهما **انا اذا لمن**
الظالمين ولما نزلت هذه الاية قام عمرو بن العاص والمطلب بن ابى
وداعة السهميان وهما من اهل الميت فحلفا بالله بعد العصر ودفع الاناء
اليهما وانما ردت اليمين على اوليا الميت لان الوصيين ادعيا ان الميت

تنا

باعها الانا وانكروا ورثة الميت ذلك ومثل هذا ان الوصي اذا اخذ شيا
من مال الميت وقال انه اوصى له وانكر ذلك الورثة ردت اليمين عليه ولما
اسلم تميم الداري بعد هذه القصة كان يقول صدق الله وصدق رسوله
انا اخذت الانا فانا اتوب الى الله تعالى واستغفره وقوله تعالى ذلك
ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها يعني الذي ذكرناه حكمنا به من رد
اليمين على اوليا الميت بعد ايمانهم ادنى اي اجدر واحرى ان ياتوا بالشهادة
على وجهها يعني ان ياتي الوصيان وساير الناس بالشهادة على وجهها
فلا يخونوا فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم يعني واقرب ان
يخاف الوصيان ان ترد الايمان على اوليا الميت فيحلفوا على خيانتهم
وكذبهم فيفتضحوا او يغرموا فربما لا يحلفون كاذبين اذا خافوا هذا
الحكم واتقوا الله يعني وخافوا الله ان تحلفوا ايمانا كاذبة او تخونوا
امانة واسمعوا يعني المواعظ والزواجر وقيل معناه واسمعوا سمع
اجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين يعني والله لا يرشد من كان
على معصية وهذا تهديد وتخويف ووعيد لمن خالف حكم الله او خان
امانته او حلف ايمانا كاذبة وهذه الاية الكريمة من اصعب ما في
القران من الايات نظما واعرابا وحكما والله اعلم باسرار كتابه قوله
عز وجل يوم يجمع الله الرسل قال الزجاج هي متصلة بما قبلها
تقديرها واتقوا الله يوم يجمع الله الرسل وقيل تقديره والله لا يهدي
القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل اي لا يهديهم الى الجنة في ذلك
اليوم وهو يوم القيمة فيقول ماذا اجبتم يعني فيقول الله تبارك
وتعالى للرسل ماذا اجابكم اممكم وما الذي رد عليكم قومكم حين
دعوتموهم في دار الدنيا الى توحيدي وطاعتي وفايدة هذا السوال
توبيخ امم الانبيا الذين كذبوهم قالوا يعني الرسل لا علم لنا قال ابن
عباس معناه لا علم لنا كعلمك فيهم لانك تعلم ما اضمروا وما اظهروا ونحن
لا نعلم الا ما اظهروا فعلمك فيهم انفذ من علمنا وابلغ فعلى هذا القول
انما نفوا العلم عن انفسهم وان كانوا علما لان علمهم صار كلا علم عند علم الله
وقال في رواية اخرى معناه لا علم لنا الا علم انت اعلم به منا وهذا
القول قريب من الاول وقيل معناه لا علم لنا بوجه الحكمة عن سوالك
ايانا عن امر انت اعلم به منا وقيل معناه لا حقيقة لعلمنا بحقيقة امرهم
بعاقبة لانا كنا نعلم ما كان من افعالهم واقوالهم وقت حياتنا
ولا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا ولا نعلم ما احدثوا من بعدنا ومنه
ما اخبر عن عيسى عليه السلام بقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم
فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم ومنه ما روي عن انس ان رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى
اذا رفعوا الى اختلجوا دوني فلاقولن اي رب اصحابي فيقال لي انك لا
تدري ما احدثوا بعدك زاد في رواية فاقول سحقا لمن بدل بعدي
اخرجاه في الصحيحين وقال جمع من المفسرين ان للقيامة اهوالا وزلازل
تزول فيها القلوب عن مواضعها فيفزعون من هول ذلك ويذهلون
عن الجواب ثم اذا ثابت اليهم عقولهم يشهدون على اممهم بالتبليغ وهذا
فيه ضعف ونظر لان الله تعالى قال في حق الانبيا لا يحزنهم الفزع
الاكبر وذكر الامام فخر الدين الرازي وجها اخر وهو ان الرسل عليهم
السلام لما علموا ان الله تعالى عالم لا يجهل وحليم لا يسفه وعادل لا يظلم
علموا ان قولهم لا يفيد خيرا ولا يدفع شرا فرا وا ان الادب في السكوت
وفي تفويض الامر الى علم الله وعدله انك انت علام الغيوب يعني انك
تعلم ما غاب عنا من باطن الامور ونحن نعلم ما نشاهد ولا نعلم ما في
البواطن وقيل معناه انك لا يخفى عليك ما عندنا من العلوم وان الذي
سالتنا عنه ليس يخاف عليك لانك انت علام الغيوب ومعناه
العالم باصناف المعلومات على تفاوتها ليس يخفى عليه خافية وبنا
فعلال بنا التكثير ودلت الاية على جواز اطلاق العلام على الله تعالى
كما يجوز اطلاق الخلاق عليه قوله عز وجل اذ قال الله يا عيسى
تعالى م
ابن مريم اذكر نعمتي عليك قال بعضهم انه اذ قال الله يا عيسى صلة لما
ذا اجبتم ولما كان المراد بقوله للرسل ماذا اجبتم توبيخ للامم المكذبة
ومن عرد منهم على الله تعالى وكان اشد الامم احتياطا وافتقارا الى التوبيخ
والملامة النصارى الذين يزعمون انهم اتباع عيسى عليه الصلاة والسلام
ووجه ذلك ان جميع الامم انما كان طعنهم في انبيايهم التكذيب لهم
وطعن هولا النصارى تعدى الى جلال الله حيث وصفوه بما لا يليق بجلاله
من اتخاذ الزوجة والولد قد ذكر الله في هذه الاية من انواع نعمه على عيسى
عليه الصلاة والسلام التي تدل على انه عبد وليس باله والفايدة في ذكر
هذه الحكاية تنبيه النصارى على قبح مقالتهم وفساد اعتقادهم وتوكيد
الحجة عليهم وقيل فايدة ذلك اسماع الامم يوم القيمة ما خص الله تعالى
عيسى عليه الصلاة والسلام به من الكرامة وقيل موضع اذ رفع بالابتدا
على القطع ومعناه اذكر اذ قال الله يا عيسى وانما خرج اذ قال الله يا
عيسى على لفظ الماضي دون المستقبل لانه ورد على سبيل حكاية الحال
وقيل تقديره اذ يقول الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك لفظ
واحد والمراد به الجمع لان الله تعالى عدد نعمه عليه في هذه الاية والمراد
من ذكرها شكرها وعلى والدتك يعني بنعمته على مريم عليهما السلام انه

تعالى انبتها نباتا حسنا وطهرها واصطفاها على نسا العالمين ثم ذكر
نعمه على عيسى عليه الصلاة والسلام فقال تعالى اذ ايدتك بروح
القدس يعني بجبريل عليه السلام لان القدس هو الله تعالى واضافه
اليه على سبيل التشريف والتعظيم كاضافة بيت الله وناقة الله وقيل
اراد بروح القدس الروح المطهرة لان الارواح تختلف باختلاف الماهية
فمنها روح طاهرة مقدسة نورانية ومنها روح خبيثة كدرة ظلمانية
فخص الله تعالى عيسى بالروح المقدسة الطاهرة والنورانية المشرقة
تكلم الناس في المهد يعني تكلمهم طفلا في حال الصغر وكهلا يعني
وفي حالة الكهولة من غير ان يتفاوت كلامك في هذين الوقتين
وهذه معجزة عظيمة وخاصة شريفة ليست لاحد قبله قال ابن عباس
ارسل الله عيسى عليه السلام وهو ابن ثلاثين سنة فمكث في رسالته
ثلاثين شهرا ثم رفعه الله اليه واذ علمتك الكتاب والحكمة يعني الكتابة
وهي الخط والحكمة الفهم والاطلاع على اسرار العلوم والتوراة والانجيل
اي وعلمتك التورية والانجيل التي انزلتها على موسى والانجيل الذي
انزلته عليك واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني يعني واذ تجعل
وتصور من الطين كصورة الطير باذني فتنفخ فيها ذكرمنا فيها وفي
سورة ال عمران فيه فالضمير في قوله فيها يعود الى الهيئة ويجعلها مصدرا
كما يقع اسم الخلق على المخلوق وذلك لان النفخ لا يكون في الهيئة انما
يكون في المهيا ذي الهيئة ويجوز ان يعود الضمير الى الطير لانها مونثة
قال الله تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم صافات واما الضمير المذكور
في ال عمران في قوله فيه يعود الى الكاف يعني في ذلك الشي المماثل
لهيئة الطير فتكون طيرا باذني وانما كرر قوله باذني تاكيدا لكون
ذلك الخلق واقعا بقدرة الله تعالى وتخليقه لا بقدرة عيسى عليه
السلام وتخليقه لان المخلوق لا يخلق شيا انما خالق الاشيا كلها هو الله تعالى
لا خالق لها سواه وانما كان الخلق لهذا الطير معجزة لعيسى عليه السلام
اكرمه الله تعالى بها وهو الاعمى المطموس البصر والابرص معروف ظاهر
واذ تخرج الموتى يعني من قبورهم احيا باذني فتفعل ذلك كله بدعايك
والفاعل لهذه الاشيا في الحقيقة هو الله تعالى لانه هو المبري للاكمه
والابرص وهو محيي الموتى وهو على كل شي قدير وانما كانت هذه الاشيا
معجزات لعيسى عليه السلام ووقعت باذن الله وقدرته وقوله تعالى
واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني واذكر نعمتي عليك اذ كففت وصرفت
عنك اليهود ومنعتك منهم حين ارادوا قتلك اذ جيتهم بالبينات يعني
بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التي ذكر في هذه الاية وذكر

وكذا قوله تعالى وتبري الاكمه والابرص
باذني يعني وتشفي الاكمه

اذ عيسى عليه السلام لما اتى بهذه المعجزات العجيبة الباهرة قصد اليهود
قتله فخلصه الله منهم ورفعه الى السما فقال الذين كفروا منهم يعني فقال
الذين استمروا على كفرهم من اليهود ولم يومنوا بهذه المعجزات ان هذا
الا سحر مبين يعني ما جاءهم به عيسى من المعجزات قوله عز وجل
واذ اوحيت الى الحواريين يعني الهمتهم وقذفت في قلوبهم فهو وحي
الهام كما اوحى الى ام موسى والى النحل والحواريون هم اصحاب عيسى وخواصه
ان امنوا بي وبرسولي يعني عيسى عليه السلام قالوا امنا واشهد باننا
مسلمون لما وفقهم الله للايمان قالوا امنا وانما قدم ذكر الايمان على الاسلام
لان الايمان من اعمال القلوب والاسلام هو الانقياد والخضوع في الظاهر
والمعنى انهم امنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم قوله تعالى اذ قال
الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك قال المفسرون هذا على المجاز
ولا يجوز لاحد ان يتوهم على الحواريين انهم شكوا في قدرة الله تعالى لكنه
كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع ان تقوم معي مع علمه بانه يقدر على القيام
وانما قصد بقوله هل يستطيع هل يسهل عليك وهل يخف ان تقوم معي
فكذلك معنى الاية لان الحواريين كانوا مومنين عارفين بالله عز وجل
معترفين بكمال قدرته وانما قالوا ذلك ليحصل لهم مزيد الطمانينة كما
قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولكن ليطمين قلبي ولا شك ان في
مشاهدة هذه الاية العظيمة ثواب مزيد الطمانينة في القلب ولهذا
السبب قالوا وتطمين قلوبنا وقال بعضهم هو على ظاهره وقال غلط القوم
وقالوا ذلك قبل استحكام الايمان والمعرفة في قلوبهم وكانوا بشرا
فقالوا هذه المقالة فرد الله عليهم عند غلطهم بقوله اتقوا الله ان كنتم
مومنين يعني اتقوا الله ان تشكوا في قدرة الله عز وجل والقول الاول
اصح وقيل في معنى الاية هل يقبل ربك دعاك وهل يعطيك باجابة
دعايك وسوالك انزال المايدة فقد ورد في بعض الاثار من اطاع الله
اطاعه ان ينزل علينا مايدة من السما المايدة الخوان الذي عليه الطعام
ولا يسمى مايدة ان لم يكن عليه طعام انما يقال خوان او طبق واصلها
من ماد يميد اذا تحرك كانها تميد بما عليها من الطعام قال يعني عيسى
مجيبا للحواريين اتقوا الله ان كنتم مومنين يعني اتقوا الله في هذا السوال
ان كنتم مومنين لانه سوال تعنت وقيل امرهم بالتقوى ليجعل لهم
هذا السوال وسعى ان كنتم مومنين مصدقين فلا تشكوا في قدرة الله
تعالى وقيل معناه اتقوا الله ان تسالوه شيا لم يسال له احد من الامم قبلكم
فنهاهم عن اقتراح الايات بعد الايمان قالوا نريد ان ناكل منها يعني
قال الحواريون مجيبين لعيسى عليه السلام انما نطلب نزول المايدة

عَلينا لانا ناكل منها فان الجوع قد غلب علينا وقيل معناه انما نطلب
نزول المايدة علينا نريد ان ناكل منها للتبرك بها لا اكل حاجة وتطمئن
قلوبنا يعني وتسكن قلوبنا ونستيقن قدرة الله تعالى لانا وان علمنا
قدرة الله بالدليل فاذا شاهدنا نزول المايدة ازددنا اليقين وقويت
الطمانينة ونعلم ان قد صدقتنا يعني ونزداد ايمانا ويقينا بانك رسول
الله ونكون عليها من الشاهدين يعني لله بالوحدانية ولك بالرسالة
والنبوة وقيل معناه ونكون لك من الشاهدين عند بني اسرايل اذا
رجعنا اليهم فلما قالوا ذلك امرهم عيسى ان يصوموا ثلاثين يوما
وقال انكم اذا صمتم ذلك وافطرتم فلا تسالون الله شيا الا اعطاكم
ففعلوا ذلك وسالوا نزول المايدة فعند ذلك قال عيسى بن مريم
اللهم ربنا انزل علينا مايدة من السما تكون لنا عيدا لاولنا واخرنا
يعني عايدة من الله علينا وحجة وبرهانا والعيد يوم السرور
واصله من عاد يعود اذا رجع والمعنى نتخذ ذلك اليوم الذي تنزل
فيه المايدة عيدا نعظمه ونصلي فيه نحن ومن يجي بعدنا فنزلت في يوم
الاحد فاتخذه النصارى عيدا وقال ابن عباس معناه ناكل منها
اول الناس كما ياكل اخرهم وآية منك اي وتكون المايدة دلالة على
قدرتك ووحدانيتك وحجة بصدق رسولك وارزقنا اي ارزقنا
ذلك من عندك وقيل ارزقنا الشكر على هذه النعمة وانت خير الرازقين
يعني وانت خير من تفضل ورزق قال الله عز وجل مجيبا لعيسى اني
منزلها عليكم يعني المايدة فمن يكفر بعد منكم يعني بعد نزول المايدة
فاني اعذبه عذابا يعني جنسا من العذاب لا اعذبه احدا من العالمين
يعني من عالمي زمانهم فجحدوا وكفروا بعد نزول المايدة فمسخوا خنازير
قال الزجاج ويجوز ان يكون هذا العذاب معجلا في الدنيا ويجوز ان
يكون موخرا الى الاخرة قال عبد الله بن عمران اشد الناس عذابا
يوم القيمة المنافقون ومن كفر من اصحاب المايدة وال فرعون واختلف
العلما في نزول المايدة فقال الحسن ومجاهد لم تنزل المايدة لان الله
تعالى لما وعدهم على كفرهم بالعذاب بعد نزول المايدة خافوا ان يكفر
بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل عليهم فعلى هذا القول
يكون معنى قوله تعالى اني منزلها عليكم ان سالتم نزولها والصحيح
الذي عليه جمهور العلما والمفسرين انها نزلت لان الله تعالى قال اني
منزلها عليكم وهذا وعد من الله بانزالها فلا خلف في خبره ووعده
ولما روي عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انزلت المايدة من السما خبزا ولحما وامروا ان لا يخونوا ولا يدخروا لغد

فخانوا وادخروا ورفعوا لغد فمسخوا قردة وخنازير اخرجه الترمذي ه
وقال وقد روي عن عمار من غير طريق موقوفا وهو اصح قال ابن عباس
ان عيسى عليه الصلاة والسلام قال لهم صوموا ثلاثين يوما ثم اسالوا الله
ما شيتم يعطيكموه فصاموا فلما فرغوا قالوا يا موسى انا لو عملنا عملا لاحد
فقضينا عمله لاطعمنا وسالوا المايدة فاقبلت الملايكة بمايدة يحملونها
عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعوها بين ايديهم فاكل منها
اخر الناس كما اكل اولهم وقال سلمان الفارسي لما سال الحواريون المايدة
لبس عيسى صوفا وبكى وقال اللهم ربنا انزل علينا مايدة من السما الاية فنزلت
سفرة حمرا بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون
اليها وهي تهوي اليهم منقضة حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه
السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها
عقوبة واليهود ينظرون الى شي لم يروا مثله ولم يجدوا ريحا اطيب من ريحه
فقال عيسى عليه السلام ليقم احسنكم عملا فيكشف عنها ويسم الله فقال
شمعون الصفا راس الحواريين انت اولى بذلك منا فقام عيسى عليه السلام
فتوضا وصلى ركعتين صلاة طويلة وبكى بكا كثيرا ثم كشف المنديل عنها
وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو بسمكة مشوية ليس فيها شوك ولا
ولا عليها فلوس تسيل من الدسم وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها
من الالوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون
وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد
فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الجنة فقال عيسى
عليه السلام ليس شي مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الجنة ولكنه
شي افتعله الله بقدرته العالية كلوا مما سالتم يمددكم الله ويزدكم من
فضله فقالوا يا روح الله كن اول من ياكل منها فقال عيسى عليه السلام
معاذ الله ان اكل منها ياكل منها من سالها فخافوا ان ياكلوا منها فدعى لها
اهل الفاقة والمرضى والبرص والجذام والمقعدين فقال كلوا من رزق
الله لكم الهنا ولغيركم البلا فاكلوا منها وهم الف وثلثماية رجل وامراة من
فقير ومريض وزمن ومبتلى وصدروا عنها وهم شباعا واذا السمكة كحالها
حين انزلت ثم طارت المايدة صعودا وهم ينظرون اليها حتى توارت ولم
ياكل منها مريض او زمن او مبتلى الا عوفي ولا فقير الا استغنى وندم من
لم ياكل منها فمكثت اربعين صباحا تنزلت ضحى فاذا نزلت اجتمع عليها
الاغنيا والفقرا والصغار والكبار والرجال والنسا ياكلون منها ولا تزال
منصوبة يوكل منها حتى يفي الفي فاذا فا الفي طارت وهم ينظرون اليها
حتى تتوارى عنهم وكانت تنزل عليهم يوما ويوما لا تنزل فاوحى الله عز

وجل الى عيسى عليه السلام اجعل مايدتي ورزقي للفقرا دون الاغنيا
حتى شكوا وشكوا الناس فيها وقالوا ترون المايدة حقا تنزل من السما
فاوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام اني شرطت ان من كفر بعد نزولها
عذبته عذابا لا اعذبه احدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام
عند ذلك ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز
الحكيم فمسخ الله منهم ثلثماية وثلاثين رجلا باتوا ليلتهم مع نسايهم
على فرشهم ثم اصبحوا خنازير يسعون في الطرقات ياكلون العذرة
من الكناسات والحشوش فلما راى الناس ذلك فزعوا الى عيسى وبكوا
ولما ابصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف به وجعل
عيسى يدعوهم باسمايهم فيشيرون برووسهم ولا يقدرون على الكلام
فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا• قال كعب انزلت المايدة منكوسة تطير
بها الملايكة بين السما والارض عليها كل شي الا اللحم• وقال ابن عباس
انزل على المايدة كل شي الا الخبز واللحم• وقال الكلبي كان عليها خبز
ورز وبقل• وقال وهب بن منبه انزل الله اقرصة من شعير وحيتانا
فكان القوم ياكلون ويخرجون ثم يجي اخرون وياكلون حتى اكلوا
باجمعهم وفضل• وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشيا حيث كانوا
كالمن والسلوي لبني اسرايل• وقال الكلبي ومقاتل انزل الله سمكا
وخمسة ارغفة فاكلوا منها ما شا الله والناس الف ونيف فلما رجعوا
الى قراهم ونشروا الحديث ضحك من لم يشهد منهم وقالوا ويحكم انما سحر
اعينكم فمن اراد الله به خيرا ثبته ومن اراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا
خنازير ليس فيهم صبي ولا امراة فمكثوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا
ولم ياكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ **قوله عز وجل** وَاِذْ قَالَ
اللّٰهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اَاَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَاُمِّيَ اِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ
اللّٰهِ اختلف المفسرون في وقت هذا القول فقال السدي قال الله لعيسى
هذا القول حين رفعه الى السما بدليل ان حرف اذ للماضي وقال ساير
المفسرين انما يقول الله له هذا القول يوم القيمة بدليل قوله يوم يجمع
الله الرسل وذلك يوم القيمة وبدليل قوله هذا يوم ينفع الصادقين
صدقهم وذلك في يوم القيمة **واجيب** عن حرف اذ بانها قد تجي
بمعنى اذا لقوله ولو ترى اذ فزعوا يعني اذا فزعوا وقال الراجز•

ثم جزاك الله عني خيرا اذ جزا• جنات عدن في السموات العلى•

ولفظ الاية في قوله اانت قلت للناس لفظ استفهام ومعناه الانكار
والتوبيخ لمن ادعى ذلك على عيسى عليه السلام من النصارى لان عيسى
لم يقله **فان قلت** اذا كان عيسى عليه السلام لم يقل هذه المقالة فما وجه

هذا

هذا السوال له مع الله تعالى له بانه لم يقله **قلت** وجه هذا السوال
تثبيت الحجة على قومه واكذاب لهم في ادعايهم ذلك عليه وان كفرهم به
فهو كما يقول القايل لاخر افعلت كذا وهو يعلم انه لم يفعله وانما اراد تعظيم
ذلك الفعل فنفى عن نفسه هذه المقالة وقال ما قلت لهم الا ما امرتني
به ان اعبدوا الله ربي وربكم فاعترف بالعبودية وانه ليس باله كما يزعمون
وادعت فيه النصارى **فان قلت** ان النصارى لم يقولوا بالهية
مريم فكيف قال اتخذوني وامي الهين من دون الله **قلت** ان النصارى
لما ادعت في عيسى انه اله وان مريم ولدته لزمهم بهذه المقالة على
سبيل التبعية وقوله تعالى اخبارا عن عيسى عليه السلام قَالَ سُبْحَانَكَ
يعني تنزيها لك عن النقايص وبراة لك من العيوب قال ابو روق اذا
سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب وهو قوله اانت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله ارتعدت مفاصله وانفجرت من اصل كل شعرة
من جسده عين من دم قال مجيبا لله تعالى مَا يَكُونُ لِي اَنْ اَقُولَ مَا لَيْسَ لِي
بِحَقٍّ اي كيف اقول هذا الكلام ولست باهل ولست استحق العبادة حتى
ادعو الناس اليها ولما بين انه ليس له ان يقول هذه وهذا المقام مقام
التواضع والخشوع لعظمة الله تعالى شرع في بيان هل وقع ذلك منه
ام لا فقال اِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ اسند العلم الى الله تعالى وهذا هو غاية
الادب واظهار المسكنة لعظمة الله تعالى وتفويض الامر الى علمه ثم قال
تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا اَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ يعني تعلم ما اعلم ولا اعلم ما تعلم وقال
ابن عباس تعلم ما في غيبي ولا اعلم ما في غيبك وقيل معناه تعلم ما اخفي
ولا اعلم ما تخفي وقيل معناه تعلم ما اقول وافعل ولا اعلم ما تقول وتفعل
والنفس عبارة عن ذات الشي يقال نفس الشي وذاته بمعنى واحد وقال
الزجاج النفس عبارة عن جملة الشي وحقيقته تقول تعلم جميع ما اعلم من
حقيقة امري ولا اعلم حقيقة امرك• وقيل معناه تعلم معلومي ولا اعلم
معلومك وانما ذكر هذا الكلام على طريقة المشاكلة والمطابقة وهو من
فصيح الكلام ثم قال اِنَّكَ اَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ يعني تعلم ما كان وما
سيكون وهذا تاكيد لما تقدم من قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في
نفسك انك انت علام الغيوب• قوله تعالى اخبارا عن عيسى مَا قُلْتُ
لَهُمْ اِلَّا مَا اَمَرْتَنِي بِهِ يعني ما قلت لهم الا قولا امرتني به اَنِ اعْبُدُوا اللّٰهَ
يعني قلت لهم اعبدوا الله رَبِّي وَرَبَّكُمْ يعني وحدوه ولا تشركوا به شيا وَكُنْتُ
عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ يعني وكنت اشهد ما يفعلون واحضره ما دمت
مقيما فيهم فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي يعني فلما رفعتني الى السما فالمراد به وفاة الرفع لا
الموت كُنْتَ اَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ يعني الحفيظ عليهم المراقب لاعمالهم واحوالهم

والرقيب الحافظ الذي لا يغيب عنه شي **وانت على كل شي شهيد** يعني
انت شهدت على مقالتي التي قلتها لهم وانت الشهيد عليهم بعد ما رفعتني
اليك لا يخفى عليك خافية فعلى هذا الشهيد هنا بمعنى الشاهد بما كان
وما يكون ويجوز ان يكون الشهيد هنا بمعنى العليم يعني انت العالم بكل
شي فلا يعزب عن علمه شي **قوله عز وجل** خبرا عن عيسى عليه السلام
ان تعذبهم يعني ان تعذب هولا الذين قالوا هذه المقالة بان تميتهم
على كفرهم **فانهم عبادك** لا يقدرون على دفع ضر نزل بهم ولا جلب نفع
لانفسهم وانت العادل فيهم لانك اوضحت لهم طريق الحق فرجعوا عنه
وكفروا **وان تغفر لهم** يعني لمن تاب من كفره منهم بان تهديهم الى الايمان
فان ذلك بفضلك ورحمتك **فانك انت العزيز** يعني في الانتقام ممن
تريد الانتقام منه لا يمتنع عليك ما تريده **الحكيم** في افعالك كلها
وهذا التفسير انما يصح على قول السدي لانه قال كان سوال الله عز
وجل لعيسى عليه السلام حين رفعه الى السما قبل يوم القيمة واما على
قول جمهور المفسرين ان هذا السوال انما يقع يوم القيمة ففي قوله
وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اشكال وهو انه لا يليق بعيسى عليه
السلام طلب المغفرة لهم مع علمه ان الله تعالى لا يغفر لمن يموت على
الشرك **والجواب** عن هذا الاشكال من وجوه احدها انه ليس هذا
على طريق طلب المغفرة ولو كان كذلك لقال فانك انت الغفور
الرحيم ولكنه على تسليم الامر الى الله وتفويضه الى مراده فيهم لانه العزيز
في ملكه الحكيم في فعله ويجوز في حكمته وسعة مغفرته ورحمته انه يغفر
للكفار لكنه تعالى اخبر انه لا يفعل ذلك بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به
الوجه الثاني قيل معناه ان تعذبهم يعني باقامتهم على كفرهم الى الموت
وان تغفر لهم لمن امن منهم وتاب ورجع عن كفره الوجه الثالث
قال ابن الانباري لما قال الله لعيسى أانت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين من دون الله لم يقع لعيسى الا ان النصارى حكت عنه الكذب
لانه لم يقل ذلك وقول الكذب ذنب فيجوز ان يسال له المغفرة والله اعلم
بمراده في اسرار كتابه م عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله
عليه وسلم تلى قول الله عز وجل في ابراهيم رب انهن اضللن كثيرا من
الناس فمن تبعني فانه مني الاية وقال عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك
وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم امتي
امتي وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد وربك اعلم فسله ما
يبكيك فاتاه جبريل عليه السلام فساله فاخبره رسول الله صلى الله عليه
وسلم بما قال وهو اعلم فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك

في امتك ولا نسوءك عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حتى
اصبح باية والاية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت
العزيز الحكيم اخرجه النسائي **قوله عز وجل** **قال الله هذا يوم ينفع
الصادقين صدقهم** اتفق جمهور العلما على ان المراد بهذا اليوم يوم القيمة
والمعنى ان صدقهم في الدنيا ينفعهم في الاخرة لانه يوم الاثابة والجزا ولما
تقدم من صدقهم في الدنيا بين نفعه يوم القيمة والمراد بالصادقين النبيين
والمومنين لان الكفار لا ينفعهم صدقهم يوم القيمة قال قتادة متكلمان لا
يخطيان يوم القيمة عيسى عليه السلام لانه يقوم فيقول ما قص الله عنهم
ما قلت لهم الا ما امرتني به فكان صادقا في الدنيا والاخرة تنفعه صدقه
واما المتكلم الاخر فابليس فانه يقوم فيقول وقال الشيطان لما قضي الامر
الاية فصدق عدو الله بما قال ولم ينفعه صدقه وقال عطا هذا يوم من
ايام الدنيا لان الاخرة دار جزا لا دار عمل وذهب في هذا القول الى ظاهر
الاية من ان الصدق النافع انما يكون في الدنيا وهذا القول موافق
لمذهب السدي حيث يقول ان هذه المخاطبة جرت مع عيسى عليه السلام
حين رفع الى السما والوجه ما ذهب اليه الجمهور ثم ذكر الله تعالى ما لهم
من الثواب على صدقهم فقال تعالى **لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا** فهذا اشارة الى ما يحصل لهم من الثواب الدايم الذي
لا انقطاع له ولا انتها **رضي الله عنهم** يعني بطاعتهم له **ورضوا عنه** يعني
بما اعطاهم من ثوابه وجزيل كرامته **ذلك** اشارة الى ما ذكره من ثوابهم
هو الفوز العظيم يعني انهم فازوا بالجنة ورضوان الله عنهم ونجوا من النار
لله ملك السموات والارض وما فيهن عظم الله عز وجل نفسه عما قال
فيه النصارى يعني ان الذي له ملك السموات والارض هو الذي يستحق
الالهية لا ما قالت النصارى من الهية المسيح وامه لانهما من جملة من
في السموات والارض فهما عبيده وفي ملكه وقيل هو جواب لسوال مضمر هو
في الكلام كانه لما وعد الصادقين بالثواب العظيم فقيل من يعطيهم ذلك
قال الذي له ملك السموات والارض ومن فيهن **وهو على كل شي قدير**
والله اعلم بمراده واسرار كتابه

فصل تفسير سورة الانعام

في ذكر نزولها روى مجاهد عن ابن عباس ان سورة
الانعام مما نزل بمكة وهذا قول الحسن وقتادة وجابر بن زيد وروى
يوسف بن مهران عن ابن عباس قال نزلت سورة الانعام جملة ليلا بمكة
وحولها سبعون الف ملك وروي ابو صالح عن ابن عباس قال هي مكية
نزلت جملة واحدة نزلت ليلا وكتبوها من ليلتهم غير ست ايات منها

مدنيات وهى قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى اخر الثلاث
ايات وقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره الاية وقوله تعالى ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا او قال اوحى الى الى اخر الايتين وذكر مقاتل
نحو هذا وزاد ايتين وهى قوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يعلمون
انه منزل من ربك بالحق الاية • وقوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب
يعرفونه كما يعرفون ابناهم الاية • وروي عن ابن عباس وقتادة انهما
قالا هى مكية الا ايتين نزلتا بالمدينة • قوله وما قدروا الله حق قدره
وقوله وهو الذى انشا جنات معروشات وغير معروشات الاية ولما
نزلت سورة الانعام ومعها سبعون الف ملك قد سدوا ما بين الخافقين
لهم زجل بالتسبيح والتحميد قال النبى صلى الله عليه وسلم سبحان ربى
العظيم سبحان ربى العظيم وخر ساجدا قال البغوى وروي عنه مرفوعا
من قرا سورة الانعام صلى عليه اوليك السبعون الف ملك ليله ونهاره
وذكره بغير سند بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذى خلق السموات والارض قال كعب الاحبار هذه الاية
اول اية فى التوراة واخر اية فى التوراة قوله تعالى وقل الحمد لله
الذى لم يتخذ ولدا الاية وفى رواية عنه ان اخر اية فى التوراة اخر سورة
هود وقال ابن عباس افتتح الله الخلق بالحمد لله فقال الحمد لله الذى خلق
السموات والارض وختمهم بالحمد فقال تعالى وقضى بينهم بالحق وقيل
الحمد لله رب العالمين وفى قوله الحمد لله تعليما لعباده كيف يحمدونه
اى قولوا الحمد لله وقال اهل المعانى لفظه خبر ومعناه الامر اى احمدوا
الله وانما جا على صيغة الخبر وفيه معنى الامر لانه ابلغ فى البيان من
حيث انه جمع الامرين ولو قيل احمدوا الله لم يجمع الامرين فكان قوله
الحمد لله ابلغ وقد تقدم معنى الحمد فى تفسير فاتحة الكتاب بما فيه
مقنع الذى خلق السموات والارض وانما خصهما بالذكر لانهما اعظم
المخلوقات فيما يرى العباد لان السما بغير عمد ترونها وفيها العبر والمنافع
والارض مسكن الخلق وفيها ايضا العبر والمنافع وجعل الظلمات
والنور الجعل هنا بمعنى الخلق اى وخلق الظلمات والنور قال السدى
يريد بالظلمات ظلمات الليل وبالنور نور النهار وقال الحسن يعنى
بالظلمات الكفر وبالنور الايمان وقيل يعنى بالظلمات الجهل والنور
العلم وقيل الجنة والنار قال قتادة خلق الله السموات قبل الارض
وخلق الظلمة قبل النور وخلق الجنة قبل النار روي عن عبد الله بن عمرو
ابن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله خلق خلقه
فى ظلمة ثم القى عليهم من نوره فمن اصابه ذلك النور اهتدى ومن اخطاه

ضل ذكره البغوى بغير سند ثم الذين كفروا بربهم يعدلون يعنى
والذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يشركون واصل العدل مساواة
الشى بالشى والمعنى انهم يعدلون بالله غير الله ويجعلون له عديلا من خلقه
فيعبدون الحجارة مع اقرارهم بان الله خلق السموات والارض وقال النضر
ابن شميل البا فى قوله بربهم بمعنى عن ربهم يميلون ويعرضون عن العدول
عن الشى وقيل دخول ثم فى قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون دليل على
معنى لطيف وهو انه تعالى دل به على انكاره على الكفار العدل به وعلى
تعجيب المومنين من ذلك ومثال ذلك ان تقول لرجل اعطيتك واحسنت
اليك وانت تشكونى وتجحد احسانى اليك فتقول ذلك منكرا عليه ومتعجبا
من فعله قوله تعالى هو الذى خلقكم من طين يعنى انه تعالى خلق ادم من طين
وانما خاطب ذريته بذلك لانه اصلهم وهم من نسله وذلك لما انكر المشركون
البعث وقالوا من يحيى العظام وهى رميم اعلمهم بهذه الاية انه تعالى خلقهم
وبعثهم بعد الموت قال السدى لما اراد الله عز وجل ان يخلق ادم بعث
جبريل الى الارض لياتيه بقبضة منها فقالت الارض انى اعوذ بالله منك
ان تنقص منى فرجع ولم ياخذ منها شيا فقال يا رب عاذت بك فبعث الله
ميكاييل فاستعاذت فرجع فبعث الله ملك الموت فعاذت منه فقال
وانا اعوذ بالله ان اخالف امره واخذ من وجه الارض فخلط الحمرا والسودا
والبيضا فلذلك اختلف الوان بنى ادم ثم عجنها بالما العذب والملح والمر
فلذلك اختلفت اخلاقهم ثم قال الله لملك الموت رحم جبريل وميكاييل
الارض ولم ترحمها لاجرم اجعل ارواح من اخلق من هذا الطين بيدك عن
ابى موسى الاشعرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الله تبارك وتعالى خلق ادم من قبضة قبضها من جميع الارض فجا بنوا
ادم على قدر الارض منهم الاحمر والاسود والابيض وبين ذلك والسهل
والحزن والخبيث والطيب اخرجه ابو داود والترمذى اما قوله تعالى
ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده فاختلف العلما فى معنى ذلك فقال الحسن
وقتادة والضحاك الاجل الاول من وقت الولادة الى وقت الموت والاجل
الثانى من وقت الموت الى البعث وهو البرزخ ويروى نحو ذلك عن ابن
عباس قال لكل احد اجلان اجل الى الموت واجل من الموت الى البعث
فان كان الرجل برا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث فى اجل العمر
وان كان فاجرا قاطعا للرحم نقص من اجل العمر وزيد فى اجل البعث وذلك
قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب وقال مجاهد
وسعيد بن جبير الاجل الاول اجل الدنيا والاجل الثانى اجل الاخرة وقيل
الاجل هو الوقت المقدر فاجل كل انسان مقدر معلوم عند الله لا يزيد ولا

ينقص والاجل الثاني هو اجل القيمة وهو ايضا معلوم مقدر عند الله لا يعلمه الا هو وقال ابن عباس في رواية عطا عنه ثم قضى اجلا يعني النوم يقبض فيه الروح ثم ترجع عند الانتباه واجل مسمى عنده هو اجل الموت وقيل هما واحد ومعناه **ثم قضى اجلا** يعني قدر مدة لاعماركم تنتهون اليها **واجل مسمى عنده** يعني ان ذلك الاجل مسمى عنده لا يعلمه الا هو والمراد بقوله عنده يعني في اللوح المحفوظ الذي لا يطلع عليه غيره **ثم انتم تمترون** يعني انتم تشكون في البعث **قوله عز وجل** **وهو الله في السموات وفي الارض** يعني وهو اله السموات واله الارض قيل معناه وهو المعبود في السموات وفي الارض وقال محمد بن جرير الطبري معناه وهو الله في السموات **يعلم سركم وجهركم** في الارض وقال الزجاج فيه تقديم وتاخير تقديره وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الارض وقيل معناه وهو المنفرد بالتدبير في السموات وفي الارض لا شريك له فيهما والمراد بالسر ما يخفيه الانسان في ضميره فهو من اعمال القلوب وبالجهر ما يظهره الانسان فهو من اعمال الجوارح والمعنى ان الله لا يخفى عليه خافية في السموات ولا في الارض **ويعلم ما تكسبون** يعني من خير او شر بقي في الاية سوال وهو ان الكسب اما ان يكون من اعمال القلوب وهو المسمى بالسر او من اعمال الجوارح وهو المسمى بالجهر فالافعال لا يخرج عن هذين النوعين يعني السر والجهر فقوله ويعلم ما تكسبون يقتضي عطف الشي على نفسه وذلك غير جايز فما معنى ذلك واجيب عنه بانه يجب حمل قوله ويعلم ما تكسبون على ما يستحقه الانسان على فعله وكسبه من الثواب والعقاب والحاصل فيه انه محمول على المكتسب فهو كما يقال هذا المال كسب فلان اي مكتسبه ولا يجوز حمله على نفس الكسب والا لزم عطف الشي على نفسه ذكره الامام فخر الدين **وما تاتيهم** يعني لاهل مكة **من اية من ايات ربهم** يعني من المعجزات الباهرات التي جا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير ذلك وقيل المراد بالايات ايات القران **الا كانوا عنها معرضين** يعني الا كانوا لها تاركين وبها مكذبين **فقد كذبوا بالحق** يعني بايات القران وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم وما اتى به من المعجزات **لما جاءهم** يعني لما جاءهم الحق من عند ربهم كذبوا به **فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون** يعني فسوف ياتي اخبار استهزائهم اذا عذبوا في الاخرة قوله تعالى **الم يروا** الخطاب لكفار مكة يعني او لم ير هولا المكذبين باياتي **كم اهلكنا من قبلهم من قرن** يعني مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الامم الماضية والقرون الخالية والقرن الامة من الناس واهل كل زمان قرن سموا بذلك لاقترانهم

في الوجود في ذلك الازمان وقيل سمي قرنا لانه زمان بزمان وامة بامة واختلفوا في مقدار القرن فقيل ثمانون سنة وقيل ستون سنة وقيل اربعون سنة وقيل ثلاثون سنة وقيل مائة وعشرون سنة وهو الاصح لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن بسر المازني انك تعيش قرنا فعاش مائة سنة فعلى هذا القول المراد بالقرن اهله الذين وجدوا فيه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم يعني اصحابه وتابعيهم وتابعي التابعين **مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم** يعني اعطيناهم ما لم نعطكم يا اهل مكة وقيل امددنا لهم في العمر والبسطة في الاجسام والسعة في الارزاق مثل ما اعطي قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم **وارسلنا السماء عليهم مدرارا** مفعال من الدر يعني وارسلنا المطر متتابعا في اوقات الحاجة اليه والمراد بالسماء المطر سمي بذلك لنزوله منها **وجعلنا الانهار تجري من تحتهم** يعني وفجرنا لهم العيون تجري من تحتهم والمراد منه كثرة البساتين **فاهلكناهم بذنوبهم** يعني بسبب ذنوبهم وكفرهم **وانشانا من بعدهم قرنا اخرين** يعني وخلقنا من بعد هلاك اوليك القرن اهل قرن اخرين وفي هذه الاية ما يوجب الاعتبار والموعظة بحال من مضى من الامم السالفة والقرون الخالية فانهم مع ما كانوا فيه من القوة وسعة الرزق وكثرة الاتباع اهلكناهم لما كفروا وطغوا وظلموا فكيف حال من هو اضعف منهم واقل عددا وعددا وهذا يوجب الاعتبار والانتباه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة **قوله عز وجل** **ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس** الاية قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحرث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد لن نومن لك حتى تاتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملايكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسول الله فانزل الله تعالى هذه الاية ولو نزلنا عليك كتابا يعني من عندي في قرطاس يعني مكتوبا في قرطاس وهو الكاغذ والصحيفة التي يكتب فيها **فلمسوه بايديهم** يعني فعاينوه ومسوه بايديهم وانما ذكر اللمس ولم يذكر المعاينة لانه ابلغ في ايقاع العلم بالشي من الروية لان المرايات قد يدخلها المحيلات كالسحر ونحوه بخلاف الملموس **لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين** يعني لو انزلت عليهم كتابا كما سالوا لما امنوا به ولقالوا هذا سحر مبين كما قالوا في انشقاق القمر وانهم لا ينفع معهم شي لما سبق فيهم من علمي بهم **وقالوا** يعني مشركي مكة **لولا** يعني هلا **انزل عليه** يعني على محمد **ملك** يعني نراه عيانا **ولو انزلنا ملكا لقضي الامر** يعني لفرغ من الامر ولوجب العذاب وهذا سنة الله في الكفار انهم

من اقترحوا اية ثم لم يومنوا استوجبوا العذاب واستوصلوا به **ثم لا ينظرون** يعني انهم لا يمهلون ولا يوخرون طرفة عين بل يعجل لهم العذاب **ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا** يعني ولو ارسلنا اليهم ملكا لجعلناه في صورة رجل وذلك لان البشر لا يستطيعون ان ينظروا الى الملائكة في صورهم التي خلقوا عليها ولو نظروا الى الملك ناظر لصعق عند رويته ولذلك كانت الملائكة تاتي الانبيا في صورة الانس كما جا جبريل النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي وكما جا الملكان الى داود عليه السلام في صورة رجلين وكذلك اتى الملائكة الى ابراهيم ولوط عليهما السلام ولما راى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته التي خلق عليها صعق كذلك وغشي عليه وقوله تعالى **وللبسنا عليهم ما يلبسون** يقال لبست الامر على القوم اذا شبهته عليهم وجعلته مشكلا ولبست عليه الامر اذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته ومعنى الاية وخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حتى يشكوا فلا يدروا املك هو ام ادمي • وقيل في معنى الاية انا اذا جعلنا الملك في صورة البشر لظنوه بشرا فتعود المسالة بحالها انا لا نرضى برسالة البشر ولو فعل الله عز وجل ذلك صار فعل الله تعالى مثل فعلهم في التلبيس وانما كان تلبيسا لانهم يظنون انه ملك وليس بملك او يظنون انه بشر وليس هو بشرا وانما كان فعلهم تلبيسا لانهم لبسوا على ضعفتهم في امر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انما هو بشر مثلكم ولو راوا الملك رجلا للحقهم من اللبس مثل ما لحق لضعفائهم فيكون اللبس نقمة من الله وعقوبة لهم على ما كان منهم من التخليط في السوال واللبس على الضعفا **قوله عز وجل** **ولقد استهزئ برسل من قبلك** يعني كما استهزءوا بك يا محمد وفي هذه الاية تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له عما كان من تكذيب المشركين اياه واستهزائهم به اذ جعل له اسوة في ذلك بالانبيا الذين كانوا قبله **فحاق** اي فنزل وقيل احاط وقيل حل **بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون** والمعنى فنزل العذاب بهم ووجب عليهم من النقمة والعذاب جزا استهزائهم وفي هذه الاية تحذير للمشركين الذين فعلوا بنبيهم كما فعل من كان قبلهم بانبيائهم فينزل بهم مثل ما نزل بهم **قل سيروا في الارض** اي قل يا محمد لهولا المستهزئين سيروا في الارض معتبرين ومتفكرين وقيل هو سير الاقدام **ثم انظروا** فعلى القول الاول تكون النظر نظر فكرة وعبرة وهو بالبصيرة لا البصر وعلى القول الثاني يكون المراد بالنظر نظر العين والمعنى ثم انظروا باعينكم الى اثار الامم الخالية والقرون السالفة وهو قوله تعالى **كيف كان عاقبة المكذبين** يعني كيف جزا المكذبين وكيف

اورثهم الكفر والتكذيب الهلاك فحذر كفار مكة عذاب الامم الخالية **قوله عز وجل** **قل لمن ما في السموات والارض قل لله** هو سوال وجواب والمعنى قل يا محمد لهولا المكذبين العادلين بربهم لمن ملك ما في السموات والارض فان اجابوك والا فاخبرهم ان ذلك لله الذي قهر كل شي وملك كل شي واستعبد كل شي لا للاصنام التي تعبدونها انتم فانها موات لا تملك شيا ولا تملك لا نفسها ضرا ولا نفعا وانما امره بالجواب عقب السوال ليكون ابلغ في التاكيد واكد في الحجة ولما بين الله تعالى كمال قدرته وتصرفه في ساير مخلوقاته اردفه بكمال رحمته واحسانه اليهم فقال تعالى **كتب ربكم على نفسه الرحمة** يعني ان الله تعالى اوجب وقضى على نفسه الرحمة وهذا استعطاف منه للمتولين عنه الى الاقبال عليه واخبار بانه رحيم بعباده وانه لا يعجل بل يقبل التوبة والانابة ممن تاب واناب ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله الخلق ولمسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي وفي رواية البخاري ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش وفي رواية لهما ان الله لما خلق الخلق وعند مسلم لما قضى الله الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه فهو موضوع عنده زاد البخاري على العرش ثم اتفقا ان رحمتي تغلب غضبي ق عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جعل الرحمة ماية جزا فامسك عنده تسعة وتسعين وانزل في الارض جزا واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلايق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية ان تصيبه زاد البخاري في رواية له ولو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المومن بكل الذي عند الله من العذاب لم يامن من العذاب • ولمسلم ان لله ماية رحمة نزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهايم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها واخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة م عن سلمان الفارسي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق يوم خلق السموات والارض ماية رحمة كل رحمة طباق ما بين السما والارض فجعل منها في الارض رحمة فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فاذا كان يوم القيامة اكملها بهذه الرحمة ق عن عمر قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبي فاذا امراة من السبي تسعى قد تحلب ثديها اذ وجدت صبيا في السبي فالصقته ببطنها فارضعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترون هذه المراة طارحة ولدها في النار وهي تقدر ان لا تطرحه

فقلنا لا والله يا رسول الله فقال الله ارحم بعباده من هذه المرأة بولدها وقوله تعالى **ليجمعنكم** اللام في قوله ليجمعنكم لام قسم تقديره والله ليجمعنكم **الى يوم القيمة** يعني في يوم القيمة وقيل معناه في قبوركم الى يوم القيمة **لا ريب فيه** اي لا شك في انه آت **الذين خسروا انفسهم** يعني بالشرك بالله او غبنوا انفسهم وغبنوها باتخاذهم الاصنام فعرضوا انفسهم لسخط الله واليم عقابه فكانوا كمن خسر شيئا واصل الخسار الغبن يقال خسر الرجل اذا غبن في بيعه **فهم لا يؤمنون** يعني لما سبق عليهم القضاء بالخسران فهو الذي حملهم على الامتناع من الايمان وقوله تعالى **وله ما سكن في الليل والنهار** يعني وله ما استقر وقيل وله ما سكن وما تحرك فاكتفى بذكر احدهما عن الآخر وقيل انما خص السكون بالذكر لان النعمة فيه اكثر وقال ابن جرير كلما طلعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكن الليل والنهار فيكون المراد منه جميع ما حصل في الارض من الدواب والحيوانات والمطر وغير ذلك مما في البر والبحر وهذا يفيد الحصر والمعنى ان جميع الموجودات ملك لله تعالى لا لغيره **وهو السميع** لاقوالهم واصواتهم **العليم** بسرائرهم واحوالهم **قوله عز وجل قل اغير الله اتخذ وليا** قال مقاتل لما دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دين آبائه فانزل الله هذه الآية فقال قل لهم يا محمد اغير الله اتخذ وليا يعني ربا ومعبودا وناصرا ومعينا وهو استفهام ومعناه الانكار اي لا اتخذ غير الله وليا **فاطر السموات والارض** اي خالق السموات والارض ومبدعهما ومبديهما **وهو يطعم ولا يطعم** يعني وهو يرزق ولا يرزق وصف الله عز وجل نفسه بالغنى عن الخلق وباحتياج الخلق اليه لان من كان من صفته انه يطعم الخلق لاحتياجهم اليه وهو لا يطعم لاستغنائه سبحانه وتعالى عن الاطعام من ذلك وجب ان يتخذ ربا وناصرا ووليا ومعبودا **قل اني امرت ان اكون اول من اسلم** يعني من هذه الامة والاسلام بمعنى الاستسلام يعني امرت ان استسلم لامر الله وانقاد الى طاعته **ولا تكونن من المشركين** يعني وقيل لي يا محمد لا تكونن من المشركين **قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم** يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين دعوك الى عبادة غيري ان ربي امرني ان اكون اول من اسلم ونهاني عن عبادة شيء سواه عذاب يوم عظيم وهو عذاب يوم القيمة **من يصرف عنه** يعني العذاب **يومئذ** يعني يوم القيمة **فقد رحمه** يعني بان انجاه من العذاب ومن انجاه من العذاب فقد رحمه واثابه الثواب لا محالة وانما ذكر الرحمة مع صرف العذاب عنه لئلا يتوهم انه صرف العذاب فقط بل تحصل الرحمة مع صرف العذاب عنه **وذلك الفوز المبين** يعني

ان

ان صرف العذاب وحصول الرحمة هو النجاة والفلاح المبين قوله تعالى **وان يمسسك الله بضر** يعني بشدة وبلية والضر اسم جامع لما ينال الانسان من الم ومكروه وغير ذلك مما هو في معناه **فلا كاشف له الا هو** يعني فلا يدفع ذلك الضر الا الله عز وجل **وان يمسسك بخير** يعني بعافية ونعمة والخير اسم جامع لكل ما ينال الانسان من لذة وفرح وسرور ونحو ذلك **فهو على كل شيء قدير** يعني من دفع الضر وجلب الخير وهذه الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تتخذ وليا سوى الله لانه هو القادر على ان يمسك بضر وهو القادر على دفعه عنك وهو القادر على ايصال الخير اليك وانه لا يقدر على ذلك الا الله فاتخذه وليا وناصرا ومعينا وهذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم فهو عام لكل احد والمعنى وان يمسسك الله بضر ايها الانسان فلا كاشف لذلك الضر الا هو وان يمسسك بخير ايها الانسان فانه على كل شيء قدير من دفع الضر وايصال الخير عن ابن عباس قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال لي يا غلام اني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سالت فاسال الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه لك وان اجتمعت على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف اخرجه الترمذي زاد فيه رزين تعرف الى الله في الرخا يعرفك في الشدة وفيه ان استطعت ان تعمل لله بالرضى في اليقين فافعل فان لم تستطع فان الصبر على ما تكره خير كثير واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين قال ابن الاثير وقد جاء نحو هذا او مثله بطوله في مسند احمد بن حنبل **قوله عز وجل وهو القاهر فوق عباده** يعني وهو الغالب لعباده القاهر لهم وهم مقهورون تحت قدرته وهو القهار والقاهر ومعناه الذي يدبر خلقه بما يريد فيقع في ذلك ما يشق عليهم ويثقل ويغم ويحزن ويفقر ويميت ويذل خلقه فلا يستطيع احد من خلقه رده وتدبيره والخروج من تحت قهره وتقديره وهذا معنى القاهر في صفة الله تعالى لانه القادر القاهر الذي لا يعجزه شيء اراده ومعنى فوق عباده هنا ان قهره قد استعلى على خلقه فهم تحت التسخير والتذليل بما علاهم من الاقتدار والقهر الذي لا يقدر احد على الخروج منه ولا ينفك عنه فكل من قهر شيئا فهو مستعل عليه بالقهر والغلبة وقال ابن جرير الطبري معنى القاهر المتعبد خلقه العالي عليهم وانما قال فوق عباده لانه تعالى وصف نفسه بقهره اياهم ومن صفة كل قاهر شيئا ان يكون مستعليا عليه

فمعنى الكلام انه والله الغالب عباده المذلل لهم العالي عليهم بتذليله اياهم فهو فوقهم بقهره اياهم وهم دونه وقيل فوق عباده هو صفة الاستعلاء الذي تفرد به الله عز وجل **وهو الحكيم** يعني في امره وتدبيره عباده **الخبير** يعني باعمالهم وما يصلحهم **قوله عز وجل قل اي شيء اكبر شهادة** قال الكلبي اتى اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ارنا من يشهد انك رسول الله فانا لا نرى احدا يصدقك ولقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انهم ليس لك عندهم ذكر فانزل الله عز وجل قل يعني يا محمد لهولاء المشركين الذين يكذبونك ويجحدون نبوتك من قومك اي شيء اكبر شهادة يعني اعظم شهادة فان هم اجابوك والا **قل** انت يا محمد **الله شهيد بيني وبينكم** قال مجاهد امر محمد صلى الله عليه وسلم ان يسال قريشا اي شيء اكبر شهادة ثم امره ان يخبرهم فيقول الله شهيد بيني وبينكم يعني يشهد لي بالحق وعليكم بالباطل الذي تقولوا والحاصل انهم طلبوا شاهدا مقبول القول يشهد له بالنبوة وهو المراد بقوله **واوحي الي هذا القران لانذركم به** يعني ان الله عز وجل يشهد لي بالنبوة لانه اوحى الي هذا القران وهو معجزة لانكم انتم الفصحاء والبلغاء واصحاب اللسان وقد عجزتم عن معارضته فكان معجزا واذا كان معجزا كان نزوله على شهادة من الله بانه رسوله وهو المراد بقوله لانذركم به يعني اوحي الي هذا القران لاخوفكم به واحذركم مخالفة امر الله عز وجل **ومن بلغ** يعني وانذر من بلغه القران ممن ياتي بعد الى يوم القيمة من العرب والعجم وغيرهم من ساير الامم وكل من بلغ اليه القران وسمعه فان النبي صلى الله عليه وسلم نذير له قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القران فكانما راى النبي صلى الله عليه وسلم وكلمه وقال انس بن مالك لما نزلت هذه الاية كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى وقيصر وكل جبار يدعوهم الى الله عز وجل **خ** عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عني ولو اية وحدثوا عن بني اسرايل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار

شرح ما يتعلق بهذا الحديث

فيه الامر بابلاغ ما جاء به صلى الله عليه وسلم الى من بعده من قران وسنة وقوله حدثوا عن بني اسرايل ولا حرج الحرج الضيق والاثم ومعنى الحديث ان مهما قلتم عن بني اسرايل فانهم كانوا في حال اكثر مما قلتم واوسع وليس هذا فيه اباحة الكذب في الاخبار عن بني اسرايل لكن معناه الرخصة في الحديث عنهم على بعض معنى البلاغ وان لم يتحقق ذلك بنقل لان الامر قد تعذر لبعد المسافة وطول المدة عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم يقول نضر الله امرا سمع منا شيا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ اوعى له من سامع اخرجه الترمذي وله عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو افقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه عن ابن عباس قال قال تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم اخرجه ابو داود موقوفا **وقوله تعالى ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى** يعني قل يا محمد لهولاء المشركين الذين جحدوا نبوتك واتخذوا الهة غيري ائنكم ايها المشركون تشهدون ان مع الله الهة اخرى يعني الاصنام التي كانوا يعبدونها وانما قال اخرى لان الجمع يلحقه التانيث كما قال تعالى ولله الاسماء الحسنى فما بال القرون الاولى ولا الاولين **قل لا اشهد** يعني قل يا محمد لهولاء المشركين لا اشهد بما تشهدون به ان مع الله الهة اخرى بل اجحد ذلك وانكره **قل انما هو اله واحد** يعني قل لهم انما الله اله واحد ومعبود واحد لا شريك له وبذلك اشهد **وانني بري مما تشركون** يعني وانا بري من كل شيء تعبدونه سوى الله وفي هذه الاية دليل على اثبات التوحيد لله عز وجل وابطال كل معبود سواه لان كلمة انما تفيد الحصر ولفظة الواحد صريح في التوحيد ونفي الشريك فثبت بذلك ايجاب التوحيد وسلب كل شريك والتبري من كل معبود سوى الله تعالى قال العلماء يستحب لمن اسلم ان ياتي بالشهادتين ويتبرا من كل دين خالف الاسلام لقوله تعالى وانني بري مما تشركون **قوله عز وجل الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم** المراد بالذين اوتوا الكتاب علماء اليهود والنصارى الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان كفار مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انا سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انهم ليس لهم لك عندهم ذكر وانكروا معرفته فبين الله عز وجل ان شهادتهم له كافية على صحة نبوته وبين في هذه الاية انهم يعرفونه وانهم كذبوا في قولهم انهم لا يعرفونه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة واسلم عبد الله بن سلام قال له عمر بن الخطاب ان الله عز وجل انزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بمكة الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف هذه المعرفة قال عبد الله بن سلام يا عمر لقد عرفته حين رايته كما اعرف ابني ولانا اشد معرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم مني بابني فقال عمر وكيف قال قال اشهد انه رسول الله حقا ولا ادري ما يصنع النسا وقوله تعالى **الذين خسروا انفسهم** يعني اهلكوا انفسهم وغبنوها واوبقوها في نار جهنم بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي الذين خسروا انفسهم

قولان احدهما انه صفة للذين الاولى ويكون المقصود من ذلك وعيد
المعاندين الذين يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم ويجحدون نبوته وهم
كفار اهل الكتابين فهم لا يومنون والقول الثاني انه كلام مبتدا لا تعلق
له بالاول وهم كفار مكة الذين لا يومنون بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكروا
في معنى الخسار وجهين احدهما انه الهلاك الدايم الذى حصل لهم بسبب
كفرهم وانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والوجه الثاني انه جعل لكل
واحد من بني ادم منزلا في الجنة ومنزلا في النار فاذا كان يوم القيمة جعل
الله للمومنين منازل الكفار التي في الجنة فذلك هو الخسران قوله تعالى
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا يعني ومن اشد عنادا واخطا فعلا
واعظم كفرا ممن اختلق على الله كذبا فزعم ان له شريكا من خلقه والهًا
يعبد من دونه تعالى كما قالت المشركون من عبدة الاصنام وادعى ان له صاحبة
وولدا كما قالت النصارى او كذب باياته يعني كذب بحجته واعلام ادلته
التي اعطاها رسله كما كذبت اليهود بمعجزات الانبيا وقيل معناه او كذب
بايات القران الذى انزله على محمد صلى الله عليه وسلم انه لا يفلح الظالمون
يعني انه لا ينجح القايلون على الله الكذب والمفترون على الله الباطل
ويوم نحشرهم جميعًا اى اذكر يوم نحشر العابدين والمعبودين وهو يوم
القيمة ثم نقول للذين اشركوا اين شركاوكم الذين كنتم تزعمون يعني انها
تشفع لكم عند ربكم قوله عز وجل ثم لم تكن فتنتهم يعني قولهم
وجوابهم وقال ابن عباس معذرتهم والفتنة التجربة فلما كان سوالهم
تجربة لاظهار ما في قلوبهم قيل له فتنة قال الزجاج في قوله ثم لم تكن
فتنتهم معنى لطيف وذلك الرجل يفتتن بمحبوب ثم يصيبه فيه محنة
فيتبرا من محبوبه فيقال لم تكن فتنته الا هذا لك المحبوب فكذلك الكفار
فتنوا بمحبة الاصنام لا ان تبروا منها وهو قوله تعالى الا ان قالوا والله
ربنا ما كنا مشركين وذلك اذا شاهدوا يوم القيمة مغفرة الله تعالى
لاهل التوحيد فيقول بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجوا
مع اهل التوحيد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على افواههم
وتشهد جوارحهم عليهم بالشرك والكفر قال الله تعالى انظر كيف كذبوا
على انفسهم يعني انظر يا محمد بعين البصيرة والتامل الى حال هولا
المشركين كيف كذبوا على انفسهم يعني اعتذارهم بالباطل وتبريهم
من الاصنام والشرك الذى كانوا عليه واستعمالهم الكذب مثل
ما كانوا عليه في دار الدنيا وذلك لا ينفعهم وهو قوله وضل عنهم يعني
زال عنهم وذهب ما كانوا يفترون يعني ما كانوا يكذبون وهو قولهم
ان الاصنام تشفع لهم وتنصرهم فبطل ذلك كله في ذلك اليوم قوله

تعالى ومنهم من يستمع اليك الاية قال الكلبي اجتمع ابو سفيان صخر بن حرب
وابو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا
ربيعة وامية وابي ابنا خلف والحرث بن عامر يستمعون القران فقالوا
للنضر يا ابا قتيلة ما يقول محمد قال ما ادرى ما يقول الا انى اراه يحرك
لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما كنت احدثكم عن القرون الماضية
وكان النضر كثير الحديث عن القرون الماضية واخبارها فقال ابو
سفيان انى لا ارى بعض ما يقول حقا فقال ابو جهل كلا لا تقر بشى
من هذا وفي رواية الموت اهون علينا من هذا فانزل الله تعالى ومنهم
من يستمع اليك يعني الى كلامك وقراتك يا محمد وجعلنا على قلوبهم
اكنة يعني اغطية جمع كنان ان يفقهوه يعني لئلا يفقهوه وكراهة
ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا يعني وجعلنا في اذانهم صمما وثقلا وفي
هذا دليل على ان الله تعالى يقلب القلوب فيشرح بعضها للهدى
والايمان فتقبله ويجعل بعضها في اكنة فلا تفقه كلام الله ولا تومن
به وان يروا كل اية لا يومنوا بها يعني كل معجزة من المعجزات الدالة
على صدقك لا يومنوا بها يعني لا يصدقوا بها ولا يقروا انها دالة
على صدقك حتى اذا جاوك يجادلونك يعني انهم اذا راوا الايات
واستمعوا القران انما جاوا ليجادلونك ويخاصمونك لا ليومنوا بها
يقول الذين كفروا ان هذا اى ما هذا القران الا اساطير الاولين
يعني احاديث الاولين من الامم الماضية واخبارهم واقاصيصهم
وما سطروا بمعنى كتبوا والاساطير جمع اسطورة واسطار وقيل
واحدها سطر واسطار جمعه واساطير جمع الجمع فعلى هذا لو قال
قايل لم عابوا القران وجعلوه اساطير الاولين وقد سطر الاولون
في كتبهم الحكم والعلوم النافعة وما لا يعاب قايله واجيب
عنه بانهم انما نسبوا القران الى اساطير الاولين بمعنى انه ليس بوحى
من الله تعالى وانما هو اخبار مجردة كما تروى اخبار الاولين وقيل
في معنى اساطير الاولين انها الترهات وهي عند العرب طرق غامضة
ومسالك وعرة مشكلة يقول قايلهم اخذنا في الترهات بمعنى
عدلنا عن الطريق الواضح الى الطريق المشكل الذى لا يعرف فجعلت
الترهات مثلا لما لا يعرف ولا يتضح من الامور المشكلة الغامضة
التي لا اصل لها قوله عز وجل وهم ينهون عنه يعني ينهون الناس
عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وينأون عنه يعني ويتباعدون
عنه بانفسهم نزلت في كفار مكة كانوا يمنعون الناس عن الايمان بمحمد
صلى الله عليه وسلم وعن الاجتماع به وينهوهم عن استماع القران

وكانوا هم كذلك وقال ابن عباس نزلت في ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى المشركين عن اذى النبي صلى الله عليه وسلم ويمنعه منهم وينأى هو بنفسه عن الايمان به يعني يبعد حتى روي انه اجتمع اليه رؤس المشركين وقالوا له خذ شابا من اصبحنا وجها وادفع الينا محمدا فقال ما انصفتموني ادفع اليكم ابني محمدا لتقتلوه واربي لكم ابنكم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا اباطالب الى الايمان فقال لولا تعيير في قريش لاقررت بها عينك ولكن اذب عنك ما حييت وقال في ذلك ابياتا

والله لن يصلوا اليك بجمعهم • حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة • وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وعرفت انك ناصحي • ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا قد علمت بانه • من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذار مسبة • لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وقوله تعالى **وان يهلكون الا انفسهم** يعني لا يرجع وبال كفرهم وفعلهم الا عليهم **وما يشعرون** يعني بذلك قوله تعالى **ولو ترى اذ وقفوا على النار** يعني في النار وضع على موضع في كقوله على ملك سليمان اي في ملك سليمان وقيل معناه اذ عرضوا على النار وجواب لو محذوف والمعنى ولو ترى الكفار الذين ينهون عنك وينأون عنك يا محمد في تلك الحالة لرايت امرا عجيبا موقفا فضيعا **فقالوا** يعني الكفار **ياليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين** يعني الى الدنيا تمنوا ان يردوا الى الدنيا مرة اخرى حتى يؤمنوا ولا يكذبوا بايات ربهم فرد الله عز وجل عليهم ذلك فقال تعالى **بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل** يعني ليس الامر كما قالوا لو ردوا الى الدنيا لامنوا بل ظهر لهم ما كانوا يسرون في الدنيا من الكفر والمعاصي وقيل ظهر لهم ما كانوا يخفون من قولهم والله ربنا ما كنا مشركين فاخفوا شركهم وكتموه فاظهره الله عليهم حين شهدت عليهم جوارحهم بما كتموا وستروا من شركهم وقيل ظهر لهم ما اخفوا من الكفر فعلى هذا القول الاية في المنافقين **ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون** يعني في قولهم لو رددنا الى الدنيا لم نكذب بايات ربنا وكنا من المؤمنين **وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين** وهذا خبر عن حال منكري البعث وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اخبر الكفار عن احوال القيمة واهوالها وما اعد الله في الاخرة من الثواب للمؤمنين المطيعين وما اعد الله من العقاب للكفار والعاصين قالوا يعني الكفار ان هي اي ما هي الا حياتنا

الدنيا اي ليس لنا غير هذه الدنيا التي نحن فيها وما نحن بمبعوثين يعني بعد الموت وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هذا خبر من الله عن قول الكفار الذين وقفوا على النار انهم لو ردوا الى الدنيا لقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين **قوله عز وجل ولو ترى اذ وقفوا على ربهم** يعني على حكم ربهم وقضائه ومسئلته وقال مقاتل عرضوا على ربهم **قال اليس هذا بالحق** اي يقول الله لهم يوم القيمة اليس هذا البعث والنشر بعد الموت الذي كنتم تنكرونه في الدنيا وتكذبون به ويقولون لا بعث ولا نشور حقا **قالوا بلى وربنا** يعني انهم اعترفوا بما كانوا ينكرونه فاجابوا فقالوا بلى والله انه لحق وقيل تقول لهم خزنة النار بامر الله اليس هذا بالحق يعني البعث حقا فاجابوا بقولهم بلى وربنا قال ابن عباس للقيمة مواقف ففي موقف ينكرون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وفي موقف يعترفون بما كانوا ينكرونه في الدنيا **قال فذوقوا العذاب** اي يقول الله لهم ذلك او الخزنة يقول لهم ذلك بامر الله تعالى وانما خص لفظ الذوق لانهم في كل حال يجدون الم العذاب وجدان الذائق في شدة الاحساس **بما كنتم تكفرون** يعني هذا العذاب بسبب كفركم وجحودكم البعث بعد الموت قوله تعالى **قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله** يعني خسروا انفسهم بسبب تكذيبهم بالمصير الى الله وبالبعث بعد الموت وهذا الخسران هو فوت الثواب العظيم في دار النعيم المقيم وحصول العذاب الاليم في دركات الجحيم **حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة** يعني جاءتهم القيمة فجاة وسميت القيمة ساعة لانها تفجا الناس بغتة في ساعة لا يعلمها احد الا الله تبارك وتعالى وقيل سميت ساعة لسرعة الحساب فيها لان حساب الخلائق يوم القيمة يكون في ساعة او اقل من ذلك **قالوا** يعني منكري البعث وهم كفار قريش ومن سلك سبيلهم في الكفر والاعتقاد **ياحسرتنا** يعني ياندامتنا والحسرة التلهف على الشيء الفائت وذكرت على وجه النداء للمبالغة والمراد تنبيه المخاطبين على ما وقع بهم من الحسرة **على ما فرطنا** يعني قصرنا **فيها** يعني في الدنيا لانها موضع التفريط في الاعمال الصالحة والمعنى ياحسرتنا على الاعمال الصالحة التي فرطنا فيها في الدنيا وقال محمد بن جرير الطبري الهاء والالف في قوله فيها تعود الى الصفقة ولكن اكتفى بدلالة قوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله عليها من ذكرها اذ كان معلوما ان الخسران لا يكون الا في صفقة بيع قد جرى ومعنى الاية قد وكس الذين كذبوا بلقاء الله ببيعهم الايمان الذي يستوجبون به رضوان الله وجنته بالكفر الذي يستوجبون به سخط الله

وعقوبته وهم لا يشعرون بذلك حتى تقوم الساعة فاذا اتاهم الساعة
بغتة راوا ما لحقهم من الخسران في بيعهم قالوا حينئذ على ما فرطنا
فيها وروى الطبري بسنده عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله يا حسرتنا قال يرى اهل النار منازلهم من الجنة فيقولوا يا
حسرتنا وقوله تعالى **وهم يحملون اوزارهم** يعني اثقالهم **على ظهورهم**
والاوزار الخطايا والذنوب واصل الوزر الثقل والحمل يقال وزرته اذا
حملته وانما قيل للذنوب اوزار لانها تثقل ظهر من يحملها قال قتادة
والسدي ان المومن اذا خرج من قبره استقبله احسن شي صورة
واطيبه ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول انا عملك الصالح
فاركبني فقد طال ما ركبتك في الدنيا فذلك قوله يوم نحشر المتقين
الى الرحمن وفدا يعني ركبانا واما الكافر فيستقبله اقبح شي صورة وانتنه
ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول انا عملك الخبيث طال ما
ركبتني في الدنيا فانا اليوم اركبك فذلك معنى قوله وهم يحملون اوزارهم
على ظهورهم وقال عمرو بن هاني يحشر مع كل كافر عمله في صورة رجل
قبيح كلما راى هولا صورته وقبحه زاده خوفا فيقول له بيس الجليس
انت فيقول انا عملك طال ما ركبتني فلاركبنك اليوم حتى اخزيك
على روس الخلايق فيركبه ويتخطى به الناس حتى يقف بين يدي ربه تعالى
فذلك قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقال الزجاج الثقل
كما يذكر في الوزن فقد يذكر في الحال والصفة يقال ثقل علي كلام فلان
بمعنى كرهته فالمعنى يقاسون من الم عقاب ذنوبهم مقاساة يثقل
ذلك عليهم فعلى هذا القول يكون قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم
مجازا عما يقاسونه من شدة العذاب وقيل في معنى الاية ان اوزارهم لا
تزايلهم كما تقول شخصه نصب عيني اي ذكره ملازم لي **الا سا ما يزرون**
يعني بيس الشي شيا يحملونه وقال ابن عباس بيس الحمل ما حملوا قوله
عز وجل **وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو** اي باطل وغرور لا بقاء لها
وهذا فيه رد على منكري البعث في قولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وما
نحن بمبعوثين فقال الله ردا عليهم ومكذبا لهم وما الحياة الدنيا الا
لعب ولهو وهل المراد بهذه الحياة حياة المومن او الكافر فيه قولان
احدهما ان المراد بها حياة الكافر لان المومن لا يزداد بحياته في الدنيا
الا خيرا لانه يحصل في ايام حياته من الاعمال الصالحة والطاعات ما تكون
سببا لحصول السعادة في الاخرة واما الكافر فان كل حياته في الدنيا
وبال عليه قال ابن عباس يريد حياة اهل الشرك والنفاق والقول
الثاني ان هذا عام في حياة المومن والكافر لان الانسان يلتذ باللعب

واللهو ثم عند انقضايه يحصل له الحسرة والندامة لان الذي كان فيه
من اللعب واللهو سريع الزوال لا بقا له فبان بهذا التقرير ان المراد بهذه
الحياة حياة المومن والكافر وانه عام فيهما وانما شبه الحياة الدنيا
باللعب واللهو لسرعة زوالها وقصر عمرها كالشي الذي يلعب به
وقيل معناه ان امر الدنيا والعمل فيها لعب ولهو فاما فعل الخير والعمل
الصالح فهو من فعل الاخرة وان كان وقوعه في الدنيا وقيل معناه وما
اهل الحياة الدنيا الا اهل لعب ولهو لانه لا يجدي شيا ولاشتغالهم
عما امروا به نسبوا الى اللعب واللهو وقوله تعالى **وللدار الاخرة** يعني
الجنة واللام فيه لام القسم تقديره والله لدار الاخرة **خير** يعني من الدنيا
وافضل لان الدنيا سريعة الزوال والانقطاع **للذين يتقون** يعني الشرك
وقيل يتقون اللعب واللهو **افلا يعقلون** ان الاخرة افضل من الدنيا
فيعملون لها قوله تعالى **قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون** يعني قد
نعلم يا محمد انه ليحزنك الذي يقوله المشركون لك قال السدي التقى
الاخنس بن شريق وابو جهل بن هشام فقال الاخنس لابي جهل يا ابا
الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس هنا احد يسمع كلامك
غيري فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن
اذا ذهب بنو قصي باللوا والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فما
ذا يكون لساير قريش فانزل الله هذه الاية وقال ناجية بن
كعب قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم ما نتهمك ولا نكذبك
ولكن نكذب الذي جيت به فانزل الله هذه الاية عن علي بن ابي
طالب ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن
نكذب بما جيت به فانزل الله فيهم فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين
بايات الله يجحدون اخرجه الترمذي من طريقين قال في احدهما
وهذا اصح ففي هذه الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتعزية
له عما يواجهه به قومه لانهم كانوا يعتقدون صدقه وانه ليس بكذاب
وانما حملهم على تكذيبه في الظاهر الحسد والظلم **فانهم لا يكذبونك**
يعني انهم لا يكذبونك في السر لانهم قد عرفوا انك صادق **ولكن
الظالمين** يعني الكافرين **بايات الله يجحدون** يعني في العلانية وذلك
انهم جحدوا القران بعد معرفة صدق الذي نزل عليه لعنادهم
وكفرهم كما قال تعالى في حق غيرهم وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
ظلما وعلوا وقيل ظاهر الاية يدل على انهم لم يكذبوا محمدا صلى الله عليه
وسلم وانما جحدوا ايات الله وهي القران الدال على صدقه فعلى هذا
يكون المعنى فانهم لا يكذبونك لانهم قد عرفوا صدقك وانما جحدوا صحة

نبوتك ورسالتك قوله عزوجل ولقد كذبت رسل من قبلك يعني
ولقد كذبت الامم الخالية رسلهم كما كذبك قومك فصبروا على ما
كذبوا واوذوا يعني ان الرسل عليهم السلام صبروا على تكذيب
قومهم اياهم وصبروا على اذاهم فاصبر انت يا محمد على تكذيب
قومك واذاهم لك كما صبر من كان قبلك من الرسل وهذا فيه
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وازالة حزنه على تكذيب قومه
واذاهم اياه حتى اتاهم نصرنا يعني باهلاك من كذبهم ولا مبدل
لكلمات الله يعني ولا ناقض لما حكم الله به من اهلاك المكذبين
ونصر المرسلين كما قال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم
لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى كتب الله
لاغلبن انا ورسلي ولا خلف فيما وعد الله به ولقد جاك من نبا
المرسلين يعني ولقد انزلت عليك في القران من اخبار المرسلين
ما فيه تسلية لك وتسكين قلبك وقال الاخفش من هنا صلة
كما تقول اصابنا من مطر وقال غيره بل هي للتبعيض لان الواصل الي
رسول الله صلى الله عليه وسلم قصص بعض الانبيا واخبارهم كما
قال تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قوله
تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم ذكر ابن الجوزي في سبب نزول
هذه الاية ان الحرث بن عامر اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في
نفر من قريش فقال ايتنا باية كما كانت الانبيا تاتي قومها بالايات
فان فعلت امنا بك فنزلت هذه الاية رواه ابو صالح عن ابن عباس
ومعنى الاية وان كان عظم عليك يا محمد اعراض هولا المشركين عنك
وعن تصديقك والايمان بك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحرص على ايمان قومه اشد الحرص وكان اذا سالوا اية احب ان يريهم
الله ذلك طمعا في ايمانهم فقال الله عزوجل فان استطعت ان تبتغي
يعني تطلب وتتخذ نفقا في الارض يعني سربا في الارض والنفق سرب
في الارض يخلص منه الى مكان اخر او سلما في السما او تتخذ مصعدا الى
السما والسلم المصعد وهو مشتق من السلامة فتاتيهم باية يعني
بالاية التي سالوه عنها ومعنى الاية وان كان كبر وعظم عليك اعراض
قومك عن الايمان بك فان قدرت ان تذهب في الارض او تصعد الى
السما فتاتيهم باية يدلهم على صدقك فافعل وانما حسن حذف جواب
الشرط لانه معلوم عند السامع والمقصود من هذا ان يقطع رسول الله
صلى الله عليه وسلم طمعه عن ايمانهم ولا يتاذى بسبب اعراضهم
عنه وعن الايمان به ويدل عليه قوله تعالى ولو شا لجمعهم على الهدى

اخبر

اخبر الله عزوجل نبيه صلى الله عليه وسلم انهم انما تركوا الايمان
واعرضوا عنه واقبلوا على الكفر بمشية الله تعالى ونافذ قضايه فيهم
وانه لو شا الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين يعني بان
لو شا الله لجمعهم على الهدى وانه يومن بك بعضهم دون بعض
وقيل معناه لا يشتد تحسرك على تكذيبهم ولا تجزع من اعراضهم
عنك فتقارب حال الجاهلين الذين لا صبر لهم وانما نهاه عن هذه
الحالة وغلظ له الخطاب تبعيدا له عن هذه الحالة قوله عزوجل
انما يستجيب الذين يسمعون يعني المومنين الذين فتح الله اسماع
قلوبهم فهم يسمعون الحق ويستجيبون له ويتبعونه وينتفعون
به دون من ختم الله على سمع قلبه وهو قوله والموتى يعني الكفار
الذين لا يسمعون ولا يستجيبون يبعثهم الله يعني يوم القيمة ثم
اليه يرجعون فيجزيهم باعمالهم وقالوا يعني روسا كفار قريش لولا
يعني هلا نزل عليه اية من ربه يعني الملك ليشهد لمحمد بالنبوة
وقيل المراد من الاية المعجزة الباهرة كمثل معجزات الانبيا قل يعني
قل لهم يا محمد ان الله قادر على ان ينزل اية يعني انه تعالى قادر على
ايجاد ما طلبوه وانزال ما اقترحوه من المعجزات والايات الباهرات
ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني ماذا عليهم في انزالها من العذاب
ان لم يومنوا بها وقيل معناه انهم لا يعلمون ان الله قادر على انزال
الايات وقيل انهم لا يعلمون وجه المصلحة في انزالها قوله تعالى
وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم قال
العلما جميع ما خلق الله عزوجل يخرج عن هاتين الحالتين اما ان
يدب على الارض او يطير في الهوا حتى الحيوان الما بالطير لان
الحيتان تسبح في الما كما ان الطير يسبح في الهوا وانما خص ما في الارض
بالذكر دون ما في السما وان كان ما في السما مخلوقا له لان الاحتجاج
بالمشاهد اظهر واولى مما لا يشاهد وانما ذكر الجناح في قوله بجناحيه
للتاكيد كقوله كتبت بيدي ونظرت بعيني الا امم امثالكم قال مجاهد
اي اصناف مصنفة تعرف باسمايها يريد ان كل جنس من الحيوان
امة فالطير امة والدواب امة والسباع امة تعرف باسمايها مثل
بني ادم يعرفون باسمايهم كما يقال الانس والناس ويدل على ان كل
جنس من الدواب امة ما روي عن عبد الله بن مغفل عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لولا ان الكلاب امة من الامم لامرت بقتلها فاقتلوا
منها كل اسود بهيم اخرجه ابو داود والترمذي والنسايي فان قلت
ثبت بالاية والحديث ان الدواب والطير امم امثالنا وهذه المماثلة

لم يحصل من كل الوجوه فيما يظهر لنا فما وجه هذه المماثلة قلت اختلف العلما فى وجه هذه المماثلة فقيل ان هذه الحيوانات تعرف الله وتوحده وتسبحه وتصلى له كما انكم تعرفون الله وتوحدونه وتسبحونه وتصلون له وقيل انها مخلوقة لله عز وجل كما انكم مخلوقون لله عز وجل وقيل انها يفهم بعضها بعضا عن بعض ويالف بعضها بعضا كما ان جنس الانسان يالف بعضهم بعضا ويفهم بعضهم عن بعض وقيل امثالكم فى طلب الرزق وتوقى المهالك ومعرفة الذكر الانثى وقيل امثالكم فى الخلق والموت والبعث بعد الموت للحساب حتى يقتص للجما من القرنا وهو قوله تعالى **ما فرطنا فى الكتاب من شى** يعنى فى اللوح المحفوظ لانه يشتمل على جميع احوال المخلوقات وقيل ان المراد بالكتاب القران يعنى ان القران مشتمل على جميع الاحوال. **ثم الى ربهم يحشرون** يعنى الدواب والطير قال ابن عباس حشرها موتها وقال ابو هريرة يحشر الله تعالى الخلق كلهم يوم القيمة البهايم والدواب والطير وكل شى فياخذ للجما من القرنا ثم يقول كونى ترابا م عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتردن الحقوق الى اهلها يوم القيمة حتى يقاد للشاة الجلحا من الشاة القرنا **قوله عز وجل** **والذين كذبوا باياتنا** يعنى بالقران وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل كذبوا بحجج الله وادلته على توحيده **صم** يعنى لسماع الحق **وبكم** يعنى عن النطق به والمعنى انهم فى حال كفرهم وتكذيبهم كمن لا يسمع ولا يتكلم ولهذا شبه الكفار بالموتى لان الميت لا يسمع ولا يتكلم **فى الظلمات** يعنى فى ظلمة الكفر حايرين مترددين فيها لا يهتدون سبيلا **من يشا الله يضلله** يعنى عن الايمان **ومن يشا يجعله على صراط مستقيم** يعنى ومن يشا الله جعله على دين الاسلام وفى هذا دليل على ان الهادى والمضل هو الله تعالى فمن احب هدايته وفقه بفضله واحسانه للايمان به ومن احب ضلالته تركه على كفره وذلك عدل منه لانه تعالى هو الفاعل المختار لا يسال عما يفعل وهم يسالون قوله تعالى **قل ارايتكم** يعنى قل يا محمد لهولا الكفار الذين تركوا عبادة الله عز وجل وعبدوا غيره من الاصنام اخبرونى يقول العرب ارايتك بمعنى اخبرنا بحالك واصله ارايتم والكاف فيه للتاكيد **ان اتاكم عذاب الله** يعنى قبل الموت مثل ما نزل بالامم الماضية الكافرة من الغرق والخسف والمسخ والصواعق ونحو ذلك من العذاب **او اتتكم الساعة** يعنى القيمة **اغير الله تدعون** يعنى فى كشف العذاب عنكم **ان كنتم صادقين** يعنى فى

دعواكم ومعنى الاية ان الكفار كانوا اذا نزل بهم شدة وبلا رجعوا الى الله بالتضرع والدعا وتركوا الاصنام فقيل لهم اترجعون الى الله فى حال الشدة والبلا ولا تعبدونه ولا تطيعونه فى حال اليسر والرخا **بل اياه تدعون** يعنى بل تدعون الله ولا تدعون غيره فى كشف ما نزل بكم **فيكشف ما تدعون اليه ان شا** يعنى فيكشف الضر الذى من اجله دعوتموه وانما قيد الاجابة بالمشية رعاية للمصلحة وان كانت الامور كلها بمشية الله تعالى **وتنسون ما تشركون** يعنى وتتركون دعا الاصنام التى تعبدونها فلا تدعونها لعلمكم انها لا تضر ولا تنفع وقيل معناه انكم فى ترككم دعا الاصنام بمنزلة من قد نسيها وهذا معنى قول الحسن لانه قال وتعرضون عنها اعراض الناسى لها قوله تعالى **ولقد ارسلنا الى امم من قبلك** فى الاية محذوف والتقدير ولقد ارسلنا الى امم من قبلك يا محمد رسلا فخالفوهم وكفروا وحسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامع **فاخذناهم بالباسا** يعنى بالفقر الشديد واصله من البوس وهو الشدة والمكروه وقيل الباسا شدة الجوع **والضرا** يعنى الامراض والاوجاع والزمانة **لعلهم يتضرعون** يعنى يخضعون ويتوبون والتضرع التخشع والتذلل والانقياد وترك التمرد واصله من الضراعة وهى الذلة ومقصود الاية ان الله تعالى اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انه قد ارسل من قبله رسلا الى اقوام بلغوا فى القسوة الى ان اخذوا بالبا[سا] والضرا وهى الشدة فى النفس والمال فلم يخضعوا ولم يتضرعوا ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم **فلولا** يعنى فهلا **اذ جاهم باسنا تضرعوا** معناه نفى التضرع اى فلم يتضرعوا **ولكن قست قلوبهم** يعنى ولكن غلظت قلوبهم فلم تتضرع ولم تخشع بل اقاموا على كفرهم وتكذيبهم رسلهم **وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون** يعنى من الكفر والتكذيب وتزيين الشيطان اغواوه بما فى المعصية من اللذة قال ابن عباس يريد زين الشيطان الضلالة التى كانوا عليها فاصروا على معاصى الله عز وجل **قوله عز وجل** **فلما نسوا ما ذكروا به** اى تركوا ما وعظوا به وقيل تركوا العمل بما امرتهم به الرسل وانما كان النسيان بمعنى الترك لان التارك للشى معرضا عنه كانه قد صيره بمنزلة ما قد نسى **فتحنا عليهم ابواب كل شى** يعنى بدلنا مكان الباسا الرخا والسعة فى الرزق والعيش ومكان الضرا الصحة والسلامة فى الابدان والاجسام وذلك استدراجا منه لهم وقيل فتحنا عليهم ابواب كل شى من الخير كان مغلقا عنهم **حتى اذا فرحوا بما اوتوا** يعنى فرحوا بما اوتوا من السعة والرخا والصحة فى الابدان والمعيشة ٥

وظنوا ان ما كان نزل بهم من الشدة لم يكن انتقاما من الله تعالى وانهم لما
فتح عليهم ما فتح من الخير والسعة فرحوا به وظنوا ان ذلك باستحقاقهم
وهذا افرح بطر كما فرح قارون بما اوتي من الدنيا **اخذناهم بغتة** يعني
جاءهم عذابنا فجاة من حيث لا يشعرون قال الحسن مكر بالقوم ورب
الكعبة وقال اهل المعاني انما اخذوا في حال الرخاء والسلامة ليكون
اشد لتحسرهم على ما فاتهم من حال السلامة والعافية والتصرف
في ضروب اللذة فاخذهم في امن ما كانوا واعجب ما كانت الدنيا
اليهم **فاذا هم مبلسون** اي ايسون من كل خير وقال الفرا المبلس اليائس
المنقطع رجاه ولذلك يقال لمن يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون
له جواب قد ابلس وقال الزجاج المبلس الشديد الحزن والحسرة وقال
ابو عبيدة اليائس النادم الحزين والابلاس هو الاطراق من الحزن والندم
روي عن عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رايت الله
يعطي للعبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فانما ذلك استدراج ثم
تلى فلما نسوا ما ذكروا به الاية ذكره البغوي بغير سند واسنده الطبري
وقوله تعالى **فقطع دابر القوم الذين ظلموا** يعني اخرهم الذي يدبرهم
يقال دبر فلان القوم اذا كان اخرهم والمعنى انهم استوصلوا بالعذاب
فلم يبق منهم باقية **والحمد لله رب العالمين** قال الزجاج حمد الله نفسه
على ان قطع دابرهم واستاصل شافتهم ومعنى هذا ان قطع دابرهم
نعمة انعم الله بها على الرسل الذين ارسلوا اليهم فكذبوهم فذكر الحمد
تعليم للرسل ولمن امن بهم ليحمدوا الله على كفايته اياهم شر الذين ظلموا
وليحمد محمد واصحابه ربهم اذا اهلك المشركين المكذبين وقيل معناه الثنا
الكامل والشكر الدائم لله رب العالمين على انعامه على رسله واهل
طاعته باظهار حجتهم على من خالفهم واهلاك اعدائهم واستيصالهم
بالعذاب **قوله تعالى قل ارايتم** اي قل يا محمد لهولاء المشركين **ان
اخذ الله سمعكم** يعني الذين تسمعون به فاصمكم حتى لا تسمعوا شيئا
وابصاركم يعني واخذ ابصاركم التي تبصرون بها فاعماكم حتى لا تبصروا
شيئا اصلا **وختم على قلوبكم** يعني حتى لا تفقهوا شيئا اصلا ولا تعرفوا
شيئا اصلا مما تعرفون من امور الدنيا وانما ذكر هذه الاعضا الثلاثة
لانها اشرف اعضا الانسان فاذا تعطلت هذه الاعضا اختل نظام
الانسان وفسد امره وبطلت مصالحه في الدين والدنيا ومقصود
هذا الكلام ذكر ما يدل على وجود الصانع الحكيم المختار وتقريره ان
القادر على ايجاد هذه الاعضا واخذها هو الله تعالى المستحق للعبادة
لا الاصنام التي تعبدونها وهو قوله تعالى **من اله غير الله ياتيكم به** يعني

ياتيكم

ياتيكم بما اخذ منكم لان الضمير في به يعود على معنى الفعل ويجوز ان يعود
على السمع الذي ذكر اولا ويندرج تحته غيره **انظر** الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم ويدخل معه غيره اي انظر يا محمد **كيف نصرف الايات** يعني
كيف نبين لهم العلامات الدالة على التوحيد والنبوة **ثم هم يصدفون**
يعني يعرضون عنها مكذبين لها **قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة**
يعني فجاة **او جهرة** يعني معاينة ترونه عند نزوله قال ابن عباس ليلا
او نهارا **هل يهلك الا القوم الظالمون** يعني المشركون لانهم ظلموا انفسهم
بالشرك **قوله عز وجل وما نرسل المرسلين الا مبشرين** يعني لمن امن
بالثواب **ومنذرين** يعني لمن اقام على كفره بالعقاب والمعنى ليس في
ارسالهم ان ياتوا الناس بما يقترحون عليهم من الايات انما ارسلوا ٥
بالبشارة والنذارة **فمن امن واصلح** يعني امن بهم واصلح العمل لله **فلا
خوف عليهم** يعني حين يخاف اهل النار **ولا هم يحزنون** اذا حزن غيرهم
والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب يعني يصيبهم العذاب **بما
كانوا يفسقون** يعني بسبب ما كانوا يكفرون ويخرجون عن الطاعة
قوله تعالى **قل لا اقول لكم** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني قل
يا محمد لهولاء المشركين لا اقول لكم **عندي خزاين الله** نزلت حين اقترحوا
عليه الايات فامره الله تعالى ان يقول لهم انما بعثت بشيرا ونذيرا
ولا اقول لكم عندي خزاين الله جمع خزانة وهي اسم للمكان الذي يخزن
فيه الشي وخزن الشي احرازه بحيث لا تناله الايدي والمعنى ليس عندي
خزاين رزق فاعطيكم منها ما تريدون لانهم كانوا يقولون للنبي صلى الله
عليه وسلم ان كنت رسولا من الله فاطلب منه ان يوسع علينا عيشنا
ويغني فقرنا فاخبر ان ذلك بيد الله تعالى لا بيدي **ولا اعلم الغيب**
يعني فاخبركم بما مضى وما سيقع في المستقبل وذلك انهم قالوا اخبرنا
بمصالحنا ومضارنا في المستقبل حتى نستعد لتحصيل المصالح ودفع
المضار فاجابهم بقوله ولا اعلم الغيب فاخبركم بما تريدون **ولا اقول
لكم اني ملك** وذلك لانهم قالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في
الاسواق ويتزوج النسا فاجابهم بقوله ولا اقول لكم اني ملك لان
الملك يقدر على ما لا يقدر عليه البشر ويشاهد ما لا يشاهدون
فلست اقول شيا من ذلك ولا ادعيه فتنكرون قولي وتجحدون امري
وانما نفى عن نفسه الشريفة هذه الاشيا تواضعا لله تعالى والاعتراف
له بالعبودية وان لا يقترحوا عليه الايات العظام **ان اتبع الا ما يوحى
الي** يعني ما اخبركم الا بوحي من الله انزله علي ومعنى الاية ان النبي
صلى الله عليه وسلم اعلمهم انه لا يملك خزاين الله التي منها يرزق ويعطي

وانه لا يعلم الغيب فيخبر بما كان وما سيكون وانه ليس يملك حتى يطلع
على ما لا يطلع عليه البشر انما يتبع ما يوحى اليه من ربه عز وجل
فما اخبر عنه من غيب يوحي الله اليه وظاهر الاية يدل على ان الرسول
صلى الله عليه وسلم ما كان يجتهد في شي من الاحكام بل جميع اوامره
ونواهيه انما كانت بوحي من الله اليه قل هل يستوي الاعمى والبصير
يعني المومن والكافر والضال والمهتدي والعالم والجاهل افلا
تتفكرون يعني انهما لا يستويان قوله عز وجل وانذر به يعني
وخوف بالقران والانذار اعلام مع تخويف الذين يخافون ان يحشروا
الى ربهم قال ابن عباس يريد المومنين لانهم يخافون يوم القيمة
وما فيه من شدة الاهوال وقيل معنى يخافون يعلمون والمراد بهم
كل معترف بالبعث من مسلم وكتابي وانما خص الذين يخافون الحشر
بالذكر دون غيرهم وان كان انذاره صلى الله عليه وسلم لجميع الخلايق
لان الحجة عليهم اوكد من غيرهم لاعترافهم بصحة المعاد والحشر وقيل
المراد بهم الكفار لانهم لا يعتقدون صحته ولذلك قال يخافون ان
يحشروا الى ربهم وقيل المراد بالانذار جميع الخلق فيدخل فيه كل مومن
معترف بالحشر وكل كافر منكر له لانه ليس احد الا وهو يخاف الحشر
سوا اعتقد وقوعه او كان يشك فيه ولان دعوة النبي صلى الله عليه
وسلم وانذاره لجميع الخلق ليس لهم من دونه يعني من دون الله ولي
اي قريب ينفعهم ولا شفيع يعني يشفع لهم وهذا فيه اشكال وهو
ان فسرنا الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ان المراد بهم الكفار فلا
اشكال فيه لقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وان
فسرنا الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ان المراد بهم المومنين ففيه
الاشكال لانه قد ثبت بصحيح النقل شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم
للمذنبين من امته وكذلك يشفع الملايكة والانبيا والمومنون
بعضهم لبعض والجواب عن هذا الاشكال ان الشفاعة لا تكون الا
باذن الله لقوله عز وجل من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه واذا كانت
الشفاعة باذن الله صح قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع يعني
حتى ياذن لهم في الشفاعة فاذا اذن فيها كان للمومنين ولي وشفيع
لعلهم يتقون يعني ما نهيتم عنه قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه قال سلمان وخباب بن الارت
فينا نزلت هذه الاية جا الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن
الفزاري وهما من المولفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم
قاعدا مع صهيب وبلال وعمار وخباب في نفر من ضعفا المومنين فلما

راوهم

راوهم حوله حقروهم فاتوه فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد
ونفيت عنا هولا وارواح جبابهم وكان عليهم جباب صوف لها
رايحة ليس عليهم غيرها لجالسناك واخذنا عنك فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ما انا بطارد المومنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا منك
مجلسا تعرف به العرب فضلنا فان وفود العرب تاتيك فنستحي ان
ترانا العرب مع هولا الاعبد فاذا نحن جيناك فاقمهم عنا فاذا نحن
فرغنا فاقعد معهم ان شيت قال نعم قالوا فاكتب لنا عليك بذلك
كتابا قال فاتي بالصحيفة ودعا عليا ليكتب قال ونحن قعود في
ناحية اذ نزل جبريل عليه السلام بقوله ولا تطرد الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي الى قوله اليس الله باعلم بالشاكرين فالقى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده ثم دعانا فاتيناه
وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه
فاذا اراد ان يقوم قام وتركنا فانزل الله تبارك وتعالى واصبر
نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الاية فكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد ذلك وندنوا منه حتى كادت
ركبنا تمس ركبته فاذا بلغ الساعة التي يريد ان يقوم فيها قمنا
وتركناه حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان
اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات وروي عن
سعد بن ابي وقاص قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر
فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هولاء لا يجترون علينا
قال وكنت انا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست
اسميهما فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شا الله ان
يقع فحدث نفسه فانزل الله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي يريدون وجهه اخرجه مسلم وقال الكلبي قالوا له
يعني اشراف قريش اجعل لنا يوما ولهم يوما قال لا افعل قالوا فاجعل
المجلس واحدا واقبل علينا وولي ظهرك اليهم فانزل الله هذه الاية
قال مجاهد قالت قريش لولا بلال وابن ام عبد يعني ابن مسعود
لبايعناك فانزل الله تعالى هذه الاية وقال ابن مسعود مر ملا من
قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وبلال
وخباب ونحوهم من ضعفا المسلمين فقالوا يا محمد رضيت بهولا بدلا
من قومك اهولا الذين من الله عليهم من بيننا انحن نكون تبعا
لهولا اطردهم فلعلك ان طردتهم ان نتبعك فنزلت هذه الاية
وقال عكرمة جا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي

والحرث بن نوفل في اشراف بني عبد مناف من اهل الكفر الى ابي طالب
عم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا طالب لو ان ابن اخيك محمدا
يطرد عنه موالينا وحلفاونا فانما هم عبيدنا وعسفاونا كان
اعظم في صدورنا واطوع له عندنا وادنا لاتباعنا اياه وتصديقنا
له فاتى ابو طالب النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي كلموه به
فقال عمر بن الخطاب لو فعلت ذلك حتى تنظر ما الذي يريدون
والى ما يصيرون من قولهم فانزل الله عز وجل هذه الاية وانذر به
الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم الى قوله اليس الله باعلم بالشاكرين
فجا عمر فاعتذر من مقالته قلت بين هذه الروايات والرواية
الاولى التي عن سلمان وخباب بن الارت فرق كثير وبعد عظيم وهو
اسلام سلمان وكان بالمدينة وكان اسلام المولفة قلوبهم بعد
الفتح وسورة الانعام مكية والصحيح ما روى عن ابن مسعود ره
والكلبي وعكرمة في ذلك ويعضده حديث سعد بن ابي وقاص
المخرج في صحيح مسلم من ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
اطرد هولا يعني ضعفا المسلمين والله اعلم واما معنى الاية فقوله
ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الخطاب فيه للنبي
صلى الله عليه وسلم يعني لا تطرد هولا الضعفا عنك ولا تبعدهم
عن مجلسك لاجل ضعفهم وفقرهم ثم وصفهم فقال تعالى الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي قال ابن عباس يعني يعبدون ربهم بالغداة
والعشي يعني صلاة الصبح وصلاة العصر وروى عنه ان المراد منه
الصلوات الخمس وانما ذكر هذين الوقتين تنبيها على شرفهما ولانهم
مواظبين عليهما مع لفظة الصلاة ولان الصلاة تشتمل على القراة
والدعا والذكر فعبر بالدعا عن الصلاة لهذا المعنى قال مجاهد
صليت الصبح مع سعيد بن المسيب فلما سلم الامام ابتدر الناس
القاص فقال سعيد بن المسيب ما اسرع الناس الى هذا المجلس
قال مجاهد فقلت يتاولون قوله تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشي
قال او في هذا هو انما ذلك في الصلاة التي انصرفنا عنها الان وقال
ابن عباس ان ناسا من الفقرا كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال
ناس من اشراف الناس نومن لك واذا صلينا فاخر هولا الذين
معك فليصلوا خلفنا وقيل المراد منه حقيقة الدعا والذكر والمعنى
انهم كانوا يذكرون ربهم ويدعونه طرفي النهار يريدون وجهه يعني
يطلبون بعبادتهم وطاعتهم وجه الله مخلصين في عبادتهم له
وقال ابن عباس يطلبون ثواب الله تعالى ما عليك من حسابهم

من شي وما من حسابك عليهم من شي يعني لا تكلف امرهم ولا هم
يكلفون امرك وقيل ليس عليك حساب رزقهم فتملهم فتطردهم
عنك ولا رزقك عليهم انما الرازق لجميع الخلق هو الله تعالى فلا تطردهم
عنك فتكون من الظالمين يعني بطردهم عنك وعن مجلسك فقوله
فتطردهم جواب النفي وهو قوله ما عليك من حسابهم من شي
وقوله فتكون من الظالمين جواب النهي وهو قوله ولا تطرد الذين
يدعون ربهم واحتج الطاعنون في عصمة الانبيا عليهم السلام بهذه
الاية فقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما هم بطرد الفقرا عن مجلسه
لاجل الاشراف عاتبه الله على ذلك ونهاه عن طردهم وذلك يقدح
في العصمة وقوله فتطردهم فتكون من الظالمين والجواب عن هذا
الاحتجاج ان النبي صلى الله عليه وسلم ما طردهم ولا هم بطردهم
لاجل الاستخفاف بهم ولا الاستنكاف من فقرهم وانما كان هذا الهم
لمصلحة وهي التلطف بهولا الاشراف في ادخالهم في الاسلام فكان
ترجيح هذا الجانب اولى وهو اجتهاد منه فاعلمه الله تعالى ان ادنا
هولا الفقرا اولى من الهم بطردهم فقربهم منه وادناهم واما
قوله فتطردهم فتكون من الظالمين ان الظلم في اللغة وضع الشي في غير
موضعه فيكون المعنى ان اوليك الفقرا الضعفا يستحقون التعظيم ه
والتقريب فلا تهم بطردهم عنك فتضع الشي في غير موضعه فهو من
باب ترك الافضل والاولى لا من باب ترك الواجبات والله اعلم

قوله عز وجل وكذلك فتنا بعضهم ببعض يعني وكذلك ابتلينا
الغني بالفقير والفقير بالغني والشريف بالوضيع والوضيع بالشريف
فكل احد مبتلى بضده فكان ابتلا الاغنيا الشرفا حسدهم لفقرا
الصحابة على كونهم سبقوهم الى الاسلام وتقدموا عليهم فامتنعوا من
الدخول في الاسلام لذلك فكان ذلك فتنة وابتلا لهم واما فتنة
الفقرا بالاغنيا فلما يرون من سعة رزقهم وخصب عيشهم فكان
ذلك فتنة لهم ليقولوا يعني الاغنيا والشرفا والروسا اهولا من
الله عليهم من بيننا يعني من على الفقرا والضعفا بالاسلام ومتابعة
الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا اعتراض من الكفار على الله تعالى
فاجابهم بقوله اليس الله باعلم بالشاكرين يعني انه تعالى اعلم بخلقه
وباحوالهم واعلم بالشاكرين من الكافرين قوله تعالى واذا جاءك
الذين يومنون باياتنا فقل سلام عليكم قال عكرمة نزلت في الذين
نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن طردهم فكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا راهم بداهم بالسلام وقال عطا نزلت في

ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وسالم ابي عبيدة ومصعب بن عمير
وحمزة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر والارقم بن ابي
الارقم وابي سلمة بن عبد الاسد وقيل الاية على اطلاقها في كل مومن
وقيل لما جا عمر بن الخطاب واعتذر من مقالته التي تقدمت في
رواية عكرمة وقال ما اردت الا الخير فنزلت واذا جاك الذين
يومنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم يعني فرض ربكم وقضى
ربكم على نفسه الرحمة وهذا يفيد الوجوب وسبب هذا انه سبحانه
وتعالى يتصرف في عباده كيف شا واراد فاوجب على نفسه الرحمة على
سبيل الفضل والكرم لانه اكرم الاكرمين وارحم الراحمين انه من عمل
منكم سوا بجهالة قال مجاهد كل من عمل ذنبا وخطية فهو بها جاهل
واختلفوا في سبب تزول هذا الجهل فقيل لانه جاهل بمقدار ما استحقه
من العقاب وما فاته من الثواب وقيل انه وان علم ان عاقبة
ذلك السو والفعل القبيح مذمومة الا انه اثر اللذة العاجلة
على الخير الكثير الاجل ومن اثر القليل على الكثير فهو جاهل وقيل انه
لما فعل فعل الجهال نسب الى الجهل وان لم يكن جاهلا ثم تاب من
بعده يعني من بعد ارتكابه ذلك السو ورجع عنه واصلح يعني
اصلح العمل في المستقبل وقيل اخلص توبته وندم على فعله فانه
غفور يعني لمن تاب من ذنوبه رحيم بعباده قال خالد بن دينار
كنا اذا دخلنا على ابي العالية قال واذا جاك الذين يومنون باياتنا
فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الاية عن ابي سعيد
الخدري قال جلست في عصابة من ضعفا المهاجرين وان بعضهم
ليستتر ببعض من العري وقاري يقرا علينا اذ جا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقام علينا فلما قام علينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم سكت القاري وسلم ثم قال ما كنتم تصنعون قلنا يا رسول
الله كان قاري لنا يقرا علينا وكنا نسمع الى كتاب الله عز وجل فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل من امتي من امرت
ان اصبر نفسي معهم وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطنا
ليعدل بنفسه فينا ثم قال بيده هكذا فتحلقوا وبرزت وجوههم
قال فما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف منهم غيري ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا يا معشر صعاليك المهاجرين
بالنور التام يوم القيمة يدخلون الجنة قبل اغنيا الناس بنصف يوم
وذلك خمسماية سنة اخرجه ابو داود قوله عز وجل وكذلك نفصل
الايات يعني وكما فصلنا لك يا محمد في هذه السورة دلايلنا على صحة

التوحيد وابطال ما هم عليه من الشرك كذلك نميز ونبين لك ادلة
حججنا وبراهيننا في تقرير كل حق ينكره اهل الباطل ولتستبين قرى
بالتا على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وليظهر لك الحق
يا محمد ونبين لك سبيل المجرمين يعني طريق هولا المجرمين وقرى باليا
على الغيبة ومعناه وليظهر ويتضح سبيل المجرمين يوم القيمة اذا صاروا
الى النار قوله تعالى قل اي قل يا محمد لهولا المشركين اني نهيت ان اعبد
الذين تدعون من دون الله يعني نهيت ان اعبد الاصنام التي
تعبدونها انتم من دون الله وقيل تدعونها عند شدايدكم من دون
الله لان الجمادات اخس من ان تعبد او تدعا وانما كانوا يعبدونها
على سبيل الهوى وهو قوله قل لا اتبع اهواكم يعني في عبادة الاصنام
وطرد الفقرا قد ضللت اذا يعني ان عبدتها وما انا من المهتدين
يعني لو عبدتها قل يعني قل يا محمد لهولا المشركين اني على بينة من
ربي قال ابن عباس يعني على يقين من ربي وقيل البينة الدلالة
التي تفصل بين الحق والباطل والمعنى اني على بيان وبصيرة على
عبادة ربي وكذبتم به يعني وكذبتم بالبينات التي جيت بها من عند
ربي وهو القران والمعجزات الباهرات والبراهين الواضحات التي
تدل على صحة التوحيد وفساد الشرك ما عندي ما تستعجلون به
يعني العذاب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول
العذاب عليهم وكانوا يستعجلون به استهزا وكانوا يقولون يا محمد ايتنا
بما تعدنا يعني من نزول العذاب فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه
وسلم ان يقول لهم ما عندي ما تستعجلون به لان انزال العذاب لا
يقدر عليه الا الله ولا يقدر احد على تقديمه ولا تاخيره وقيل كانوا
يستعجلون بالايات التي طلبوها واقترحوها فاعلم الله ان ذلك
عنده ليس عند احد من خلقه وقيل كانوا يستعجلون بقيام الساعة
ومنه قوله يستعجل بها الذين لا يومنون بها ان الحكم الا لله يعني الحكم
الذي يفصل به بين الحق والباطل والثواب للطايع والعقاب
للعاصي اي ما الحكم المطلق الا لله ليس معه حكم فهو يفصل بين المختلفين
ويقضي بانزال العذاب اذا شا يقص الحق قرى بالصاد المهملة ومعناه
يقول الحق لان كل ما اخبر به فهو حق وقرى بالضاد المعجمة من القضا
يعني انه تعالى يقضي القضا الحق وهو خير الفاصلين يعني وهو خير
من بين وفصل وميز بين المحق والمبطل لانه لا يقع في حكمه وقضايه
جور ولا حيف على احد من خلقه قل لو ان عندي ما تستعجلون به
من انزال العذاب والاستعجال المطالبة بالشي قبل وقته فلذلك كانت

العجلة مذمومة والاسراع لتقديم الشي في وقته فلذلك كانت
الشرعة محمودة والمعنى قل يا محمد لهولا المشركين المستعجلين لنزول
العذاب لو ان عندي ما تستعجلون به لم امهلكم ساعة ولكن الله
حلم ذو اناة لا يعجل بالعقوبة وقوله تعالى **لقضى الامر بيني وبينكم**
يعني لانفصل ما بيني وبينكم ولانتيتكم بما تستعجلون به من العذاب
والله اعلم بالظالمين يعني الله اعلم بما يستحقونه من العذاب والوقت
الذي يستحقونه وقيل علم الله سيؤمن بعض من كان يستعجل بالعذاب
فلذلك اخره عنهم وقال والله اعلم بالظالمين وباحوالهم **قوله**
عز وجل وعنده مفاتح الغيب المفتاح الذي يفتح به المغلاق وجمعه
مفاتيح ويقال فيه مفتح بكسر الميم وجمعه مفاتح والمفتح بفتح الميم
الخزانة وكل خزانة كانت لصنف من الاشيا فهي مفتح وجمعه مفاتح
فقوله وعنده مفاتح الغيب يحتمل ان يكون المراد منه المفاتيح التي
يفتح بها ويحتمل ان يكون المراد منه الخزاين فعلى التفسير الاول
فقد جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة لان المفاتيح هي التي
يتوصل بها الى ما في الخزاين المستوثق منها بالاغلاق فمن علم كيف
يفتح بها ويتوصل الى ما فيها فهو عالم وكذلك هاهنا ان الله تعالى
لما كان عالما بجميع المعلومات ما غاب منها وما لم يغب عنه عبر عن
هذا المعنى بهذه العبارة وعلى التفسير الثاني يكون يكون المعنى
وعنده خزاين الغيب والمراد منه القدرة الكاملة على كل الممكنات
ثم اختلف اقوال المفسرين في قوله وعنده مفاتح الغيب **لا يعلمها الا**
هو فقيل مفاتح الغيب خمس وهي ما روي عن عبد الله بن عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله لا يعلم
احد ما يكون في غد الا الله ولا يعلم احد ما يكون في الارحام الا الله ولا
تعلم نفس ماذا تكسب غدا ولا تدري نفس باي ارض تموت ولا يدري احد
متى يجي المطر وفي رواية اخرى لا يعلم ما تغيض الارحام الا الله ولا
يعلم ما في غد الا الله ولا يعلم متى ياتي المطر احد الا الله ولا تدري نفس
باي ارض تموت الا الله ولا يعلم متى الساعة الا الله اخرجه البخاري
وقال الضحاك ومقاتل مفاتح الغيب خزاين الارض وعلم نزول العذاب
وقال عطا هو ما غاب عنكم من الثواب والعقاب وقيل هو انقضا الاجال
وعلم احوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم اعمالهم وقيل هو
علم ما لم يكن بعد ان يكون ام لا يكون كيف يكون وما لا يكون ان لو كان
كيف يكون وقال ابن مسعود اوتي نبيكم صلى الله عليه وسلم علم كل
شي الا مفاتح الغيب وقال ابن عباس انها خزاين غيب السموات

والارض من الاقدار والارزاق **ويعلم ما في البر والبحر** قال مجاهد البر
المفاوز والقفار والبحر القرى والامصار لا يحدث فيهما شي الا وهو يعلمه
وقال جمهور المفسرين هو البر والبحر المعروف لان جميع الارض اما بر
واما بحر وفي كل واحد منهما من عجايب مصنوعاته وغرايب مبتدعاته
ما يدل على عظيم قدرته وسعة علمه **وما تسقط من ورقة الا يعلمها**
يريد ساقطة وثابتة والمعنى انه يعلم عدد ما يسقط من الورق وما
بقي على الشجر من ذلك ويعلم كم انقلبت ظهرا لبطن الى ان تسقط على
الارض **ولا حبة في ظلمات الارض** قيل هو الحب المعروف يكون في بطن
الارض قبل ان ينبت وقيل هي الحبة التي في الصخرة التي في اسفل الارضين
ولا رطب ولا يابس قال ابن عباس الرطب الما واليابس البادية وقال
عطا يريد ما ينبت وما لا ينبت وقيل المراد بالرطب الحي واليابس الميت
وقيل هو عبارة عن كل شي لان جميع الاشيا اما رطبة واما يابسة فان
قلت ان جميع هذه الاشيا داخلة تحت قوله وعنده مفاتح الغيب
فلم افرد هذه الاشيا بالذكر وما فايدة ذلك **قلت** لما قال تعالى
وعنده مفاتح الغيب على سبيل الاجمال ذكر من بعض ذلك الاجمال
ما يدل على التفصيل فذكر هذه الاشيا المحسوسة ليدل بها على
غيرها فقدم ذكر البر والبحر لما فيهما من العجايب والغرايب من المدن
والقرى والمفاوز والجبال وكثرة ما فيها من المعادن والحيوان واصناف
المخلوقات ما يعجز الوصف عن ادراكها ثم ذكر بعد ذلك ما هو اقل
من ذلك وهو مشاهد لكل احد لان الورقة الساقطة والثابتة
يراها كل احد لكن لا يعلم عددها وكيفية خلقها الا الله الا الله تعالى
ثم ذكر بعد ذلك ما هو اصغر من الورقة وهي الحبة ثم ذكر بعد ذلك
مثالا يجمع الكل وهو الرطب واليابس فذكر هذه الاشيا وانه لا يخرج
شي منها عن علمه سبحانه وتعالى فصارت هذه الامثال منبهة على عظمة
عظيمة وقدرة عالية وعلم واسع فسبحان العليم الخبير قوله تعالى
الا في كتاب مبين فيه قولان احدهما ان الكتاب المبين هو علم الله
الذي لا يتغير ولا يبدل والثاني ان المراد بالكتاب المبين هو اللوح
المحفوظ لان الله كتب فيه علم ما يكون وما قد كان قبل ان يخلق السموات
والارض وفايدة احصا الاشيا كلها في هذا الكتاب لتقف الملايكة
على انفاد علمه وانه نبه بذلك على تعظيم الحساب واعلم عباده انه
لا يفوته شي مما يصنعون لان من اثبت ما لا ثواب فيه ولا عقاب في
كتاب فهو الى اثبات ما فيه ثواب وعقاب اسرع قوله تعالى **وهو**
الذي يتوفاكم بالليل اي يقبض ارواحكم اذا نمتم بالليل **ويعلم ما جرحتم**

ما كسبتم بالنهار ثم يبعثكم فيه اى يوقظكم فيه اى فى النهار ليقضى
اجل مسمى يعنى اجل الحياة الى الممات يريد استيفا العمر على التمام
ثم اليه مرجعكم فى الاخرة ثم ينبئكم اى يخبركم بما كنتم تعملون
قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده يعنى وهو العالى عليهم بقدرته
لان كل من قهر شيا وغلبه فهو مستعل عليه بالقهر والقدرة فهو كما يقال
امر فلان فوق امر فلان يعنى انه اقدر منه واغلب هذا مذهب
اهل التاويل فى معنى لفظة فوق فى قوله وهو القاهر فوق عباده
واما مذهب السلف فيها فامرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تاويل
ولا اطلاق على جهة والقاهر هو الغالب لغيره المذلل له والله تعالى
هو القاهر لخلقه فقهر كل شى بضده فقهر الحياة بالموت والايجاد
بالاعدام والغنى بالفقر والنور بالظلمة وقوله تعالى ويرسل
عليكم حفظة يعنى انه من جملة قهره لعباده ارسال الحفظة عليهم
والمراد بالحفظة الملايكة الذين يحفظون اعمال بنى ادم من الخير
والشر والطاعة والمعصية وغير ذلك من الاقوال والافعال
قيل ان كل مع انسان ملكان ملك عن يمينه وملك عن شماله
فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين واذا عمل سيئة قال صاحب
اليمين لصاحب الشمال اصبر عليه لعله يتوب منها فان لم يتب
منها كتبها صاحب الشمال وفايدة جعل الملايكة موكلين بالانسان
انه اذا علم ان له حافظا من الملايكة موكلا به يحفظ عليه اقواله
وافعاله فى صحايف تنشر له وتقرا عليه يوم القيمة على روس الاشهاد
كان ذلك ازجر له عن فعل القبيح وترك المعاصى وقيل المراد بقوله
ويرسل عليكم حفظة هم الملايكة الذين يحفظون بنى ادم ويحفظون
اجسادهم وقال قتادة حفظة يحفظون على ابن ادم رزقه واجله
وعمله حتى اذا جا احدكم الموت توفته رسلنا يعنى اعوان ملك
الموت الموكلين بقبض ارواح البشر فان قلت
قال الله تعالى فى اية اخرى الله يتوفى الانفس حين موتها وقال
فى اية اخرى قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم وقال هنا
توفته رسلنا فكيف الجمع بين هذه الايات قلت وجه الجمع
بين هذه الايات ان المتوفى فى الحقيقة هو الله تعالى فاذا احضر
اجل العبد امر الله تعالى ملك الموت بقبض روحه ولملك الموت
اعوان من الملايكة فيامرهم بنزع روح ذلك العبد من جسده
فاذا وصلت الى الحلقوم تولى قبضها ملك الموت بنفسه فحصل الجمع
بين الايات وقيل المراد من قوله توفته رسلنا ملك الموت وحده

وانما

وانما ذكر بلفظ الجمع تعظيما له وقال مجاهد جعلت الارض لملك الموت
مثل الطشت يتناول من حيث شاء وجعلت له اعوان ينتزعون الانفس
ثم يقبضها منهم وقال ايضا ما من اهل بيت شعر ولا مدر الا وملك
الموت يطيف بهم كل يوم مرتين وقيل ان الارواح اذا كثرت عليه
يدعوها فتستجيب له وقوله وهم لا يفرطون يعنى الرسل لا يقصرون
فيما امروا به ولا يضيعون قوله عز وجل ثم ردوا الى الله
مولاهم الحق يعنى ثم رد العباد بالموت الى الله فى الاخرة وانما قال
مولاهم الحق لانهم كانوا فى الدنيا تحت ايدى موالى بباطل وهو الله
مولاهم وسيدهم ومالكهم بالحق الا له الحكم يعنى لا حكم الا لله وهو
اسرع الحاسبين يعنى انه تعالى اسرع من حسب لانه لا يحتاج الى
فكر وروية وعقد يد فيحاسب خلقه بنفسه لا يشغله حساب بعضهم
عن بعض قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر يعنى قل يا
محمد لهولا الكفار الذين يعبدون الاصنام من دون الله من ذا الذى
ينجيكم من ظلمات البر والبحر اذا ضللتم فيه وتحيرتم واظلمت عليكم
الطرق ومن ذا الذى ينجيكم من ظلمات البحر اذا ركبتم فيه فاخطاتم
الطريق واظلمت عليكم السبل فلم تهتدوا وقيل ظلمات البر والبحر
مجاز عما فيهما من الشدايد والاهوال وقيل حمله على الحقيقة اولى
فظلمة البر هى ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب فيحصل
منه الخوف الشديد لعدم الاهتدا الى الطريق الصواب وظلمة
البحر ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح
العاصفة والامواج الهايلة فيحصل من ذلك ايضا الخوف الشديد
من الوقوع فى الهلاك فالمقصود ان عند اجتماع هذه الاسباب الموجبة
للخوف الشديد لا يرجع الانسان فيها الا الى الله سبحانه وتعالى
لانه هو القادر على كشف الكروب وازالة الشدايد وهو المراد من
قوله تدعونه تضرعا وخفية يعنى فاذا اشتد بكم الامر تخلصون له
الدعا تضرعا منكم اليه واستكانة جهرا وخفية يعنى سرا حالا وحالا
لين انجيتنا من هذه يعنى قايلين فى حال الدعا والتضرع لين انجيتنا
من هذه الظلمات وخلصتنا من الهلاك لنكونن من الشاكرين يعنى
لك على هذه النعمة والشكر هو معرفة النعمة مع القيام بحقها لمن
انعم بها قل الله ينجيكم منها يعنى من الظلمات والشدايد التى انتم
فيها ومن كل كرب يعنى وهو الذى ينجيكم من كل كرب ايضا والكرب
هو الغم الشديد الذى ياخذ بالنفس ثم انتم تشركون يريد انهم
يقرون بان الذى انجاهم من هذه الشدايد هو الله تعالى ثم انهم بعد

ذلك الاقرار يشركون معه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع قوله عز
وجل **قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم** اي قل يا
محمد لقومك ان الله هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من
فوقكم يعني الصيحة والحجارة والريح والطوفان كما فعل بقوم نوح
وعاد وثمود وقوم لوط **ومن تحت ارجلكم** يعني الرجفة والخسف
كما فعل بقوم شعيب وقارون وقال ابن عباس ومجاهد عذابا
من فوقكم يعني ائمة السوء والسلاطين الظلمة او من تحت ارجلكم يعني
عبيد السوء وقال الضحاك من فوقكم يعني من قبل كباركم او من تحت
ارجلكم يعني السفلة **او يلبسكم شيعا** جمع شيعة وكل قوم اجتمعوا
على امر فهم شيعة واشياع واصله من التشيع ومعنى الشيعة الذين
يتبع بعضهم بعضا وقيل الشيعة هم الذين يتقوى بهم الانسان
قال الزجاج في قوله او يلبسكم شيعا يعني يخلط امركم خلط اضطراب
لا خلط اتفاق فيجعلكم فرقا مختلفين يقاتل بعضكم بعضا وهو معنى
قوله **ويذيق بعضكم باس بعض** وقال ابن عباس في قوله ويلبسكم شيعا
يعني الاهواء المختلفة ويذيق بعضكم باس بعض يعني انه يقتل بعضكم
بيد بعض وقال مجاهد يعني اهواء متفرقة وما كان فيهم من الفتن
والاختلاف وقال ابن زيد هو الذي فيه الناس اليوم من الاختلاف
والاهواء وسفك بعضهم دماء بعض ثم اختلف المفسرون فيمن عني بهذه
الاية فقال قوم عني بها المسلمين من امة محمد صلى الله عليه وسلم وفيهم
نزلت هذه الاية قال ابو العالية في قوله قل هو القادر على ان يبعث
عليكم عذابا من فوقكم الاية قال هن اربع وكلهن عذاب فجاء اثنان بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة فالبسوا شيعا
واذيق بعضهم باس بعض وبقيت اثنتان فهما لا بد واقعتان يعني الخسف
والمسخ وعن ابي بن كعب نحوه من اربع خلال وكلهن عذاب وكلهن واقع
قبل يوم القيمة مضت ثنتان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس
وعشرين سنة ثم البسوا شيعا واذيق بعضهم باس بعض وثنتان هما
واقعتان لا محالة الخسف والرجم وقال مجاهد في قوله من فوقكم او
من تحت ارجلكم لامة محمد صلى الله عليه وسلم فاعفاهم الله منه او يلبسكم
شيعا ما كان فيهم من الفتن والاختلاف زاد غيره ويذيق بعضكم باس
بعض يعني ما كان فيهم من القتل بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه
وسلم خ عن جابر قال لما نزلت هذه الاية قل هو القادر على ان يبعث
عليكم عذابا من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعوذ بوجهك
او من تحت ارجلكم قال اعوذ بوجهك او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم

باس بعض قال هذا اهون او هذا ايسر م عن سعيد بن ابي وقاص انه
اقبل مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم من العالية حتى اذا مر بمسجد بني
معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا ربه دعاء طويلا ثم
انصرف الينا فقال سالت ربي ثلاثا فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة
وسالت ربي ان لا يهلك امتي بالسنة فاعطانيها وسالت ربي ان لا يهلك
امتي بالغرق فاعطانيها وسالت ربي ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعنيها
عن خباب بن الارت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة
فاطالها فقالوا يا رسول الله صليت صلاة لم تكن تصليها قال اجل انها
صلاة رغبة ورهبة اني سالت الله فيها ثلاثا فاعطاني اثنتين ومنعني
واحدة سالته ان لا يهلك امتي بسنة فاعطانيها وسالته ان لا يسلط
عليهم عدوا من غيرهم فاعطانيها وسالته ان لا يذيق بعضهم باس بعض
فمنعنيها اخرجه الترمذي وقوله تعالى **انظر كيف نصرف الايات** اي انظر
يا محمد كيف نبين دلايلنا وحججنا لهولاء المكذبين **لعلهم يفقهون** يعني
يفهمون ويعتبرون فينزجروا ويرجعوا عما هم عليه من الكفر والتكذيب
قوله تعالى **وكذب به قومك** يعني بالقران **وهو الحق** يعني في كونه
كتابا منزلا من عند الله وقيل الضمير في به يرجع الى العذاب وهو الحق
يعني في انه نازل بهم ان اقاموا على كفرهم وتكذيبهم وقيل الضمير يرجع
الى تصريف الايات وهو الحق لانهم كذبوا كونها من عند الله **قل لست
عليكم بوكيل** اي قل يا محمد لهولاء المكذبين لست عليكم بحافظ حتى اجازيكم
على تكذيبكم واعراضكم عن قبول الحق بل انما انا منذر والله هو المجازي
لكم على اعمالكم وقيل معناه اني انما ادعوكم الى الله والى الايمان به ولم اومر
بحربكم فعلى هذا القول تكون الاية منسوخة باية السيف وقيل في معنى
الاية قل لست عليكم بوكيل يعني حافظا وقيل حفيظا يعني انما اطالبكم
بالظاهر من الاقرار والعمل لا بما تحويه الضماير والاسرار فعلى هذا يكون
الاية محكمة **لكل نبا مستقر** اي لكل خبر من اخبار القران حقيقة ومنتهى ينتهي
اليه اما في الدنيا واما في الاخرة وقيل لكل خبر يخبر الله به وقت ومكان
يقع فيه من غير خلف ولا تاخير فكان ما وعدهم به من العذاب في الدنيا
وقع يوم بدر **وسوف تعلمون** يعني صحة ذلك الخبر اما في الدنيا واما في
الاخرة قوله عز وجل **واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا** الخطاب
فيه واذا رايت للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى واذا رايت يا محمد هولاء
المشركين الذين يخوضون في اياتنا يعني القران الذي انزلناه اليك والخوض
في اللغة هو الشروع في الماء والعبور فيه ويستعار في الاخذ في الحديث
والشروع فيه يقال تخاوضوا في الحديث وتفاوضوا فيه لكن كما يستعمل الخوض

في الحديث على وجه اللعب والعبث ومما يذم عليه ومنه قوله تعالى
وكنا نخوض مع الخائضين وقيل الخطاب في واذا رايت لكل فرد من الناس
والمعنى واذا رايت ايها الانسان الذين يخوضون في اياتنا وذلك
ان المشركين كانوا اذا جالسوا المؤمنين وقعوا في الاستهزاء بالقران وبمن
انزله وبمن انزل عليه فنهاهم الله ان يقعدوا معهم في وقت الاستهزاء
بقوله فاعرض عنهم يعني فاتركهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا في حديث
غيره يعني حتى يكون خوضهم في غير القران والاستهزاء به واما ينسينك
الشيطان يعني فقعدت معهم فلا تقعد بعد الذكرى يعني اذا ذكرت
فقم عنهم ولا تقعد مع القوم الظالمين يعني المشركين قوله تعالى وما
على الذين يتقون من حسابهم من شيء قال ابن عباس لما نزلت هذه
الاية واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم قال المسلمون
كيف نقعد في المسجد الحرام ونطوف بالبيت وهم يخوضون ابدا وفي
رواية قال المسلمون انا نخاف الاثم حين نتركهم ولا ننهاهم فانزل
الله هذه الاية وما على الذين يتقون يعني يتقون الشرك والاستهزاء
من حسابهم يعني حساب المشركين من شيء يعني ليس عليهم شيء من
حسابهم والاثام ولكن ذكرى يعني ولكن ذكروهم ذكرى وقيل معناه ولكن
عليكم ان تذكروهم لعلهم يتقون يعني لعل ذلك الذكر يمنعهم من الخوض
والاستهزاء **فصل** قال سعيد بن جبير وابن جريج ومقاتل هذه
هذه الاية منسوخة بالاية التي في سورة النساء وهي قوله تعالى وقد
نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها الاية وذهب
الجمهور الى انها محكمة لا نسخ فيها لانه خبر والخبر لا يدخل النسخ لانها انما
دلت على ان كل انسان انما يختص بحساب نفسه لا بحساب غيره وقيل
انما اباح لهم القعود معهم بشرط التذكر والموعظة فلا تكون منسوخة
قوله عز وجل وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا الخطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم يعني وذر يا محمد هؤلاء المشركين الذين اتخذوا دينهم لعبا
ولهوا يعني اتخذوا دينهم لعبا ولهوا يعني اتخذوا دينهم الذي امروا به ودعوا
اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا وذلك حيث سخروا به واستهزؤا به
وقيل انهم اتخذوا عبادة الاصنام لعبا ولهوا وقيل ان الكفار كانوا اذا
سمعوا القران لعبوا ولهوا عن سماعه وقيل ان الله جعل لكل قوم عيدا
فاتخذ كل قوم دينهم يعني عيدهم لعبا ولهوا يلعبون ويلهون فيه الا
المسلمون فانهم اتخذوا عيدهم صلاة وتكبيرا وفعل الخير فيه مثل عيد
الفطر وعيد الاضحى ويوم الجمعة وغرتهم الحياة الدنيا يعني انهم
اتخذوا دينهم لعبا ولهوا لاجل انهم غرتهم الحياة الدنيا وغلب حبها على

قلوبهم فاعرضوا عن دين الحق واتخذوا دينهم لعبا ولهوا واتركهم ولا
تبال بتكذيبهم واستهزائهم وهذا يقتضي الاعراض عنهم ثم نسخ ذلك الاعراض
باية السيف وهو قول قتادة والسدي وقيل انه خرج مخرج التهديد
فهو كقوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا وهذا قول مجاهد فعلى هذا
تكون الاية محكمة وقيل المراد بالاعراض عنهم ترك معاشرتهم ومخالطتهم
لا تدارك الانذار والتخويف ويدل عليه قوله وذكر به يعني وذكر بالقران
وعظ به هؤلاء المشركين ان تبسل نفس بما كسبت اي لئلا تبسل نفس واصل
البسل في اللغة التحريم وضم الشيء ومنعه وهذا عليك بسل اي حرام
ممنوع فمعنى تبسل نفس بما كسبت ترتهن وتحبس في جهنم وتحرم من الثواب
بسبب ما كسبت من الاثام وقال ابن عباس تبسل تهلك وقال قتادة
تحبس يعني في جهنم وقال الضحاك تحرق بالنار وقال ابن زيد تؤخذ
يعني بما كسبت وقيل تفضح والمعنى وذكرهم بالقران ومواعظه وعرفهم
شرائع الاسلام لكيلا تهلك نفس وترتهن في جهنم بسبب الجنايات التي
اكتسبت في الدنيا وتحرم الثواب في الاخرة ليس لها يعني لتلك النفس
التي هلكت من دون الله ولي اي قريب يلي امرها ولا شفيع يعني يشفع
لها في الاخرة وان تعدل كل عدل يعني وان تفتدي بكل فداء والعدل
الفداء لا يؤخذ منها يعني ذلك العدل وتلك الفدية اولئك الذين
اشارة الى الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا ابسلوا
بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون ذلك لهم بسبب
كفرهم قوله تعالى قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا يعني
قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين دعوك الى دين ابائك اندعوا يعني انعبد
من دون الله يعني الاصنام التي لا تنفع من عبدها ولا تضر من ترك عبادتها
ونرد على اعقابنا يعني ونرد الى الشرك بعد اذ هدانا الله يعني الى دين
الاسلام والتوحيد كالذي استهوته الشياطين في الارض يعني كالذي
ذهبت به الشياطين فالقته في هوية من الارض واصله من الهوى وهو
النزول من اعلى الى اسفل حيران يقال له حار فلان في الامر اذا تردد فيه
فلم يهتد الى الصواب فيه ولا المخرج منه له اصحاب يدعونه الى الهدى يعني
لهذا المتحير الذي استهوته الشياطين اصحاب على الطريق المستقيم
ائتنا يعني يقولون له ائتنا وهذا مثل ضربه الله تعالى لمن يدعوا الى
عبادة الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولمن يدعوا الى عبادة الله عز وجل الذي
يضر وينفع يقول مثلهما كمثل رجل في رفقة ضل به الغول والشيطان عن
الطريق المستقيم فجعل اصحابه من اهل رفقته يدعونه اليهم يقولون هلم
الى الطريق المستقيم وجعل الغيلان يدعونه اليهم فبقي حيران لا يدري

ابن يذهب فان اجاب الغيلان ضل وهلك وان اجاب اصحابه اهتدي
وسلم **قل ان هدى الله هو الهدى** يعني ان طريق الله التي اوضحها
لعباده ودينه الذي شرعه لهم هو الهدى والنور والاستقامة لا عبادة
الاصنام ففيه زجر عن عبادتها كانه يقول لا تفعل ذلك فان هدى الله هو
الهدى لا هدى غيره **وامرنا لنسلم** اي وامرنا ان نسلم ونخلص العبادة
لرب العالمين لانه هو الذي يستحق العبادة لا غيره **وان اقيموا الصلاة**
واتقوه يعني وامرنا باقامة الصلاة والتقوى لان فيهما ما يقرب اليه
وهو الذي اليه تحشرون يعني في يوم القيمة فيجزيكم باعمالكم قوله
عز وجل **وهو الذي خلق السموات والارض بالحق** يعني اظهارا للحق
فعلى هذا تكون الباء بمعنى اللام ولانه جعل صنعه دليلا على وحدانيته
وقيل خلقهما بكمال قدرته وشمول علمه واتقان صنعه وكل ذلك حق وقيل
خلقهما بكلامه الحق وهو قوله كن وفيه دليل على ان كلام الله تبارك
وتعالى ليس بمخلوق لانه لا يخلق مخلوق بمخلوق **ويوم يقول كن فيكون**
قيل انه راجع الى خلق السموات والمعنى اذكر يوم قال للسموات والارض كن
فيكون وقيل يرجع الى القيمة ويدل على سرعة البعث والحساب كانه
قال ويوم نقول للخلق موتوا فيموتون وقوموا للحساب فيقومون احيا
قوله الحق يعني ان قول الله تبارك وتعالى للشي الذي اراده كن فيكون
حق وصدق وهو كاين لا محالة **وله الملك يوم ينفخ في الصور** انما اخبر
عن ملكه يومئذ وان كان الملك له سبحانه وتعالى خالصا في كل وقت في
الدنيا والاخرة لانه لا منازع له يومئذ يدعي الملك وانه المنفرد بالملك
يومئذ وان من كان يدعي الملك بالباطل من الجبابرة والفراعنة وساير
الملوك الذي كانوا في الدنيا قد زال ملكهم واعترفوا بان الملك لله
الواحد القهار وانه لا منازع له فيه وعلموا ان الذي كانوا يدعونه من
الملك في الدنيا باطل وغرور واختلف العلما في الصور المذكور في
الاية فقال قوم هو قرن ينفخ فيه وهو لغة اهل اليمن قال مجاهد الصور
قرن كهيئة البوق ويدل على صحة هذا القول ما روى عن عبد الله بن
عمرو بن العاص قال جا اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
ما الصور قال قرن ينفخ فيه اخرجه ابو داود والترمذي عن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انتم وقد التقم
صاحب القرن القرن وحنى جبهته واصغى سمعه ينتظر ان يومر فينفخ
فكان ذلك ثقل على اصحابه فقالوا كيف نفعل يا رسول الله او كيف نقول
قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وربما قال توكلنا
على الله اخرجه الترمذي وقال ابو عبيدة الصور جمع صورة والنفخ

فيها

فيها احياوها بنفخ الروح فيها وهذا قول الحسن ومقاتل والقول الاول
اصح لما تقدم من الحديث ولقوله تعالى في اية اخرى ثم نفخ فيه اخرى
ولاجماع اهل السنة ان المراد بالصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل
نفختين نفخة الصعق ونفخة البعث للحساب وقوله تعالى **عالم الغيب**
والشهادة يعني انه تعالى يعلم ما غاب عن عباده وما يشاهدونه فلا
يغيب عن علمه شي **وهو الحكيم** يعني في جميع افعاله وتدبير خلقه **الخبير**
يعني بكل ما يفعلونه من خير او شر قوله تعالى **واذ قال ابراهيم لابيه ازر**
اختلف العلما في لفظ ازر فقال احمد بن اسحق والكلبي والضحاك ازر
اسم ابي ابراهيم وهو تارخ ضبطه بعضهم بالحا المهملة وبعضهم بالخا
المعجمة فعلى هذا يكون لابي ابراهيم اسمان ازر وتارخ مثل يعقوب
واسرايل اسمان لرجل واحد فيحتمل ان يكون اسمه الاصلي ازر وتارخ لقب
له وبالعكس فالله سماه ازر وان كان عند النسابين والمورخين اسمه
تارخ ليعرف بذلك وكان ازر ابو ابراهيم من كوثى وهي قرية من سواد
الكوفة وقال سليمان التيمي ازر سب وعيب ومعناه في كلامهم المعوج
وقيل الشيخ الهرم وهو بالفارسية وهذا على مذهب من يجوز ان في
القران الفاظ قليلة فارسية وقيل هو المخطى فكان ابراهيم عابه وذمه
بسبب كفره وزيغه عن الحق وقال سعيد بن المسيب ومجاهد ازر اسم صنم كان
والد ابراهيم يعبده وانما سماه بهذا الاسم لان من عبد شيا او احبه جعل اسم
ذلك المعبود او المحبوب اسما له فهو كقوله يوم ندعوا كل اناس بامامهم وقيل
معناه واذ قال ابراهيم لابيه يا عابد ازر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه والصحيح هو الاول ان ازر اسم لابي ابراهيم لان الله تعالى سماه به وما
نقل عن النسابين والمورخين ان اسمه تارخ ففيه نظر لانهم انما نقلوه عن
اصحاب الاخبار واهل السير من اهل الكتاب ولا عبرة بنقلهم وقد اخرج
البخاري في افراده من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
يلقى ابراهيم عليه السلام اباه ازر يوم القيمة وعلى وجه ازر قترة وغبرة
الحديث فسماه النبي صلى الله عليه وسلم ازر ايضا ولم يقل اباه تارخ فثبت
بهذا ان اسمه الاصلي ازر لا تارخ والله اعلم وقوله **اتتخذ اصناما الهة**
معناه اذكر يا محمد لقومك قول ابراهيم لابيه ازر اتتخذ اصناما الهة تعبدها
من دون الله الذي خلقك ورزقك والاصنام جمع صنم وهو التمثال
الذي يتخذ من خشب او حجارة او حديد او ذهب او فضة على صورة الانسان
وهو الوثن ايضا **اني اراك وقومك في ضلال مبين** يعني يقول ابراهيم
لابيه ازر يا ازر اني اراك وقومك الذين يعبدون الاصنام معك ويتخذونها
الهة في ضلال يعني عن طريق الحق مبين يعني بين لمن ابصر ذلك فانه لا

بيناً ان هذه الاصنام لا تضر ولا تنفع وهذه الاية احتجاج على مشركي
العرب باحوال ابراهيم ومحاجته لابيه وقومه لانهم كانوا يعظمون ابراهيم
صلى الله عليه وسلم مع ابيه وقومه في معرض الاحتجاج على المشركين

قوله عز وجل وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض

معناه وكما اريناه ابراهيم البصيرة في دينه والحق في خلاف قومه وما
كانوا عليه من الضلال في عبادة الاصنام نريه ملكوت السموات والارض
فلهذا السبب عبر عن هذه الروية بلفظ المستقبل في قوله وكذلك
نرى ابراهيم لان الله تعالى كان اراه يعني البصيرة ان اباه وقومه على غير
الحق فخالفهم فجزاه الله بان اراه بعد ذلك ملكوت السموات والارض
فحسنت هذه العبارة لهذا المعنى والملكوت الملك زيدت فيه التا
للمبالغة كالرهبوت والرغبوت والرحموت من الرهبة والرغبة والرحمة
قال ابن عباس يعني خلق السموات والارض وقال مجاهد وسعيد بن
جبير يعني ايات السموات والارض وذلك انه اقيم على صخرة وكشف له
عن السموات حتى راى العرش والكرسي وما في السموات من العجايب
وحتى راى مكانه في الجنة فذلك قوله واتيناه اجره في الدنيا يعني اريناه
مكانه في الجنة وكشف له عن الارض حتى نظر الى اسفل الارضين وراى ما
فيهما من العجايب قال البغوي روي عن سلمان ورفعه بعضهم عن علي
قال لما راى ابراهيم ملكوت السموات والارض ابصر رجلا على فاحشة
فدعا عليه فهلك ثم ابصر اخر فدعا عليه فهلك ثم ابصر اخر فاراد ان يدعو
عليه فقال له تبارك وتعالى يا ابراهيم انك رجل مجاب الدعوة فلا تدعون
على عبادي فانما انا من عبدي على ثلاث خلال اما ان يتوب الي فاتوب
عليه واما ان اخرج منه نسمة تعبدني واما ان يبعث الي فان شئت عفوت
وان شئت عاقبت وفي رواية فان تولى فان جهنم من ورايه وقال قتادة
ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والشجر
والبحار واختلف في هذه الروية هل كانت بعين البصيرة او بعين البصر
على قولين احدهما انها كانت بعين البصر الظاهر فشق لابراهيم
السموات حتى راى العرش وشق له الارض حتى راى ما في باطنها والقول
الثاني ان هذه الروية كانت بعين البصيرة لان ملكوت السموات
والارض عبارة عن الملك وذلك لا يعرف الا بالعقل فبان بهذا ان
هذه الروية كانت بعين البصيرة الا ان يقال المراد بملكوت السموات
والارض نفس السموات والارض وقوله تعالى **وليكون من الموقنين**
عطف على المعنى ومعناه وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض
ليستدل به وليكون من الموقنين واليقين عبارة عن علم حصل بسبب

التامل بعد زوال الشبهة لان الانسان في اول الحال لا ينفك عن شبهة
وشك فاذا كثرت الدلايل وتوافقت صارت سببا لحصول اليقين والطما[نينة]
في القلب وزالت الشبهة عند ذلك قال ابن عباس في وليكون من
الموقنين جلى له الامر سره وعلانيته فلم يخف عليه شي من اعمال الخلايق
فلما جعل يلعن اصحاب الذنوب قال الله تعالى انك لا تستطيع هذا
فرده الله كما كان قبل ذلك فعلى تفسير الاية على هذا القول وكذلك اريناه
ملكوت السموات والارض ليكون ممن يوقن علم كل شي حسابا وخبرا
قوله تعالى **فلما جن عليه الليل** يقال جن الليل واجن اذا اظلم وغطا
كل شي واجنه الليل واجن عليه اذا ستره بسواده **راى كوكبا قال هذا ربي**

ذكر القصة في ذلك قال اهل التفسير واصحاب الاخبار والسير
ولد ابراهيم عليه السلام في زمن نمرود بن كنعان الملك وكان نمرود اول
من وضع التاج على راسه ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون
فقالوا له انه يولد في بلدك في هذه السنة غلام يغير دين اهل الارض
ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك في كتب
الانبيا وقال السدي راى نمرود في منامه كان كوكبا قد طلع فذهب بضوء
الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا فدعا
السحرة والكهان وسالهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك في
هذه السنة يكون هلاكك وهلاك اهل دينك وزوال ملكك على
يديه قالوا فامر بذبح كل غلام يولد في تلك السنة بناحيته وامر
بعزل الرجال عن النسا وجعل على كل عشرة رجلا يحفظهم فاذا حاضت
المراة خلى بينها وبين زوجها لانهم كانوا لا يجامعون في الحيض فاذا
طهرت من الحيض حالوا بينهما قالوا فرجع ازر فوجد امراته قد طهرت من
الحيض فواقعها فحملت بابراهيم قال محمد بن اسحق بعث نمرود الى كل امراة
حبلى بقرية فحبسها عنده الا ما كان من ام ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها لانها
كانت جارية صغيرة لم يعرف الحبل في بطنها وقال السدي خرج نمرود
بالرجال الى العسكر وعزلهم عن النسا تخوفا من ذلك المولود فمكث
بذلك ما شا الله ثم بدت له حاجة الى المدينة فلم يامن عليها احدا من
قومه الا ازر فبعث اليه فاحضره الى عنده وقال له ان لي اليك حاجة
احب ان اوصيك بها ولم ابعثك فيها الا لثقتي بك فاقسمت عليك ان لا
تدنوا من اهلك فقال ازر انا اشح على ديني من ذلك فاوصاه بحاجته
فدخل المدينة وقضى حاجة الملك ثم قال لو دخلت على اهلي فنظرت
اليهم فلما دخل على ام ابراهيم ونظر اليها لم يتمالك حتى واقعها فحملت
من ساعتها بابراهيم ٭ قال ابن عباس لما حملت ام ابراهيم قال الكهان

لنمرود ان الغلام الذى اخبرناك به قد حملت به امه الليلة فامر نمرود
بذبح الغلمان فلما دنت ولادة ام ابراهيم واخذها المخاض خرجت هاربة
مخافة ان يطلع عليها فيقتل ولدها قالوا فوضعته فى نهر يابس ثم لفته
فى خرقة ووضعته فى حلفا ثم رجعت فاخبرت زوجها بانها ولدت وان
الولد فى موضع كذا فانطلق ابوه اليه فاخذه من ذلك المكان وحفر له
سربا فى النهر فواراه فيه وسد بابه بصخرة مخافة السباع وكانت امه
تختلف اليه فترضعه • وقال محمد بن اسحق لما وجدت ام ابراهيم الطلق
خرجت ليلا الى مغارة كانت قريبا منها فولدت فيها ابراهيم واصلحت من
شانه ما يصلح بالمولود ثم سدت عليه باب المغارة ثم رجعت الى
بيتها وكانت تختلف اليه لتنظر ما فعل فتجده حيا وهو يمص ابهامه
وقال ابو روق قالت ام ابراهيم لانظرن الى اصابعه فوجدته يمص من
اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع سمنا ومن اصبع عسلا ومن
اصبع تمرا • وقال محمد بن اسحق كان ازر قد سال ام ابراهيم عن حملها
ما فعل فقالت ولدت غلاما فمات فصدقها وسكت عنها وكان ابراهيم
يشب اليوم كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث فى المغارة الا خمسة عشر
شهرا حتى قال اخرجينى فاخرجته عشاء فنظر وتفكر فى خلق السموات
والارض وقال ان الذى خلقنى ورزقنى واطعمنى وسقانى لربى الذى
ما لى اله غيره ونظر فى السما فراى كوكبا فقال هذا ربى ثم اتبعه بصره
ينظر اليه حتى غاب فلما افل قال لا احب الافلين فلما راى القمر بازغا
قال هذا ربى واتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب ثم طلعت الشمس فقال
هكذا الى اخره ثم رجع الى ابيه ازر وقد استقامت وجهته وعرف ربه
وبرى من دين قومه الا انه لم ينادهم بذلك فلما رجعت به امه
اخبرته انه ابنه واخبرته بما صنعت به فسر بذلك وفرح فرحا شديدا
وقيل انه مكث فى السرب سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل
سبع عشرة سنة قالوا فلما شب ابراهيم وهو فى السرب قال لامه من ربى
قالت انا قال فمن ربك قالت ابوك قالت فمن رب ابى قالت اسكت
ثم رجعت الى زوجها فقالت ارايت الغلام الذى كنا نحدث انه يغير
دين اهل الارض فانه ابنك ثم اخبرته بما قال قال فاتاه ابوه ازر فقال
له ابراهيم يا ابتاه من ربى قال امك قال فمن رب امى قال انا قال فمن
ربك قال نمرود قال فمن رب نمرود فلطمه لطمة وقال اسكت فلما جن
عليه الليل دنا من باب السرب فنظر من خلال الصخرة فابصر كوكبا
قال هذا ربى ويقال انه قال لابويه اخرجانى فاخرجاه من السرب حين
غابت الشمس فنظر ابراهيم الى الابل والخيل والغنم فسال اباه ما هذه

فقال

فقال ابل وخيل وغنم فقال ابراهيم ما لهذه بد من ان يكون لها الها هو ربها
وخالقها ثم نظر فاذا المشترى قد طلع ويقال انه الزهرة وكانت تلك الليلة
من اخر الشهر فتاخر طلوع القمر فراى الكوكب قبل القمر فذلك قوله عز
وجل فلما جن عليه الليل يعنى ستر بظلامه راى كوكبا قال هذا ربى ثم
اختلف العلما فى وقت هذه الروية وفى وقت هذا القول هل كان قبل
البلوغ او بعده على قولين • احدهما انه كان قبل البلوغ فى حال طفوليته
وذلك قبل قيام الحجة عليه فلم يكن لهذا القول الذى صدر من ابراهيم
فى هذا الوقت اعتبار ولا يترتب عليه حكم لان الاحكام انما تثبت بعد
البلوغ • وقيل ان ابراهيم لما اخرج من السرب فى حال صغره ونظر الى
السما وما فيها من العجايب ونظر الى الارض وما فيها من العجايب وكان
قد خصه الله بالعقل الكامل والفطرة السليمة تفكر فى نفسه وقال
لا بد لهذا الخلق من خالق مدبر له وهو اله الخلق ثم نظر فى حال
تفكره فراى الكوكب وقد ازهر فقال هذا ربى على ما سبق الى وهمه
وذلك فى حال طفوليته وقبل استحكام النظر فى معرفة الرب سبحانه
وتعالى • واستدل اصحاب هذا القول على صحته بقوله لين لم يهدنى ربى
لاكونن من القوم الضالين قالوا وهذا يدل على نوع تحير وذلك لا يكون
الا فى حال الصغر وقبل البلوغ وقيام الحجة وهذا القول ليس بسديد
ولا مرضى لان الانبيا معصومون فى كل حال من الاحوال وانه لا يجوز ان
يكون لله عز وجل رسول ياتى عليه وقت من الاوقات الا وهو بالله
عارف وله موحد وله من كل منقصة منزه ومن كل معبود سواه برى
وكيف يتوهم هذا على ابراهيم وقد عصمه وطهره واتاه رشده من قبل
واراه ملكوت السموات والارض وراى الكوكب قال معتقدا هذا
ربى حاشا ابراهيم صلى الله عليه وسلم من ذلك لان منصبه اعلى واشرف
من ذلك صلى الله عليه وسلم • والقول الثانى الذى عليه جمهور المحققين
ان هذه الروية وهذا القول كان بعد بلوغ ابراهيم وحين شرفه الله
بالنبوة واكرمه بالرسالة • ثم اختلف اصحاب هذا القول فى تاويل
الاية ومعناها فذكروا فيها وجوها • الوجه الاول ان ابراهيم عليه
السلام اراد ان يستدرج قومه بهذا القول ويعرفهم جهلهم وخطاهم
فى تعظيم النجوم وعبادتها لانهم كانوا يرون ان كل الامور اليها فاراهم
ابراهيم انه معظم ما عظموه فلما افل الكوكب والشمس والقمر اراهم النقص
الداخل على النجوم بسبب الغيبوبة والافول ليثبت خطا ما كانوا يعتقدون
فيها من الالوهية ومثل هذا الحوارى الذى ورد على قوم كانوا
يعبدون صنما فاظهر تعظيمه فاكرموه لذلك حتى صاروا يصدرون عن

رايدنى كثير من امورهم الى ان دهمهم عدو لاقبل لهم به فشاوروه فى امر
هذا العدو فقال الراى عندى ان تدعوا هذا الصنم حتى يكشف عنا ما
نزل بنا فاجتمعوا حول الصنم يتضرعون اليه فلم يغن شيا فلما تبين لهم
انه لا ينفع ولا يضر ولا يدفع دعاهم الحوارى وامرهم ان يدعوا الله عز
وجل ويسالوه ان يكشف عنهم ما نزل بهم فدعوا الله مخلصين فصرف
عنهم ما كانوا يحذرون فاسلموا جميعا • الوجه الثانى ان ابراهيم
عليه السلام قال هذا القول على سبيل الاستفهام وهو استفهام
انكار وتوبيخ لقومه تقديره اهذا ربى الذى تزعمون واسقاط حرف
الاستفهام كثير فى كلام العرب • ومنه قوله تعالى افان مت فهم الخالدون
يعنى افهم الخالدون والمعنى ايكون هذا ربا ودلايل النقص فيه ظاهرة
الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام قال ذلك على وجه الاحتجاج
على قومه يقول هذا ربى بزعمكم فلما غاب قال لو كان الها كما تزعمون لما
غاب فهو كقوله ذق انك انت العزيز الكريم يعنى عند نفسك وبزعمك
وكما اخبر عن موسى عليه السلام بقوله تعالى انظر الى الهك الذى ظلت عليه
عاكفا يريد الهك بزعمك • الوجه الرابع ان فى هذه الاية اضمارا تقديره يقولون
هذا ربى واضمار القول كثير فى كلام العرب • ومنه قوله تعالى واذ يرفع
ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا • الوجه الخامس ان
الله تعالى قال فى حقه وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض
وليكون من الموقنين ثم قال بعد هذه فلما جن عليه الليل والفا تقتضى
التعقيب فدل هذا على ان هذه الواقعة بعد ان اراه الله ملكوت
السموات والارض بعد الايقان ومن كان فى هذه المنزلة العالية
الشريفة لا يليق بحاله ان يعبد الكواكب او يتخذها ربا فاما الجواب
عن قوله لين لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين فان الانبيا عليهم
السلام لم يزالوا يسالوا الله التثبيت ومنه قوله واجنبنى وبنى ان نعبد
الاصنام اما قوله تعالى فلما افل يعنى غاب والافول غيبوبة النيرات
قال يعنى ابراهيم لا احب الافلين اى لا احب ربا يغيب ويطلع لان
امارات الحدث فيه ظاهرة قوله تعالى فلما راى القمر بازغا يعنى
طالعا منتشرا الضوء قال هذا ربى فمعناه ما تقدم من الكلام فى الكواكب
فلما افل يعنى غاب قال لين لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين
يعنى انه لم يثبتنى على الهدى وليس المراد انه لم يكن مهتديا لان الانبيا
لم يزالوا على الهداية من اول الفطرة وفى الاية دليل على ان الهداية
من الله تعالى لان ابراهيم اضاف الهداية الى الله تعالى فلما راى
الشمس بازغة يعنى طالعة قال هذا ربى يعنى هذا الطالع او انه

اشار الى الضيا والنور لان راى الشمس اضوا من الكواكب والقمر وقيل انما
قال هذا ولم يقل هذه لان تانيث الشمس غير حقيقى فلهذا اتى بلفظ
التذكير هذا اكبر يعنى من الكواكب والقمر فلما افلت يعنى فلما غابت
الشمس قال يا قوم انى برى مما تشركون يعنى انه لما اثبت ابراهيم عليه
السلام بالدليل القطعى ان هذه النجوم ليست بالهة ولا تصلح للربوبية
تبراء منها واظهر لقومه انه برى مما يشركون ولما اظهر خلاف قومه وتبرا
من شركهم اظهر ما هو عليه من الدين الحق فقال انى وجهت وجهى
يعنى انى صرفت وجه عبادتى وقصدت بتوحيدى للذى فطر السموات
والارض يعنى للذى خلقهما وابتدعهما حنيفا يعنى مايلا عن عبادة
كل شى سوى الله تعالى واصل الحنف الميل وهو ميل من طريق الضلال
الى طريق الاستقامة وقيل الحنيف هو الذى يستقبل الكعبة فى صلاته
وما انا من المشركين تبرا من الشرك الذى كان عليه قومه قوله
عز وجل وحاجه قومه يعنى وخاصمه قومه وذلك لما اظهر ابراهيم عليه
السلام عيب الهتهم التى كانوا يعبدونها واظهر التوحيد لله عز وجل
خاصمه قومه وجادلوه فى ذلك فقال اتحاجونى فى الله يعنى اتجادلوننى
فى توحيدى لله وقد هدانى وقد بين لى طريق الهداية الى توحيده
ومعرفته وقال البغوى ولما رجع ابراهيم الى الله وصار من الشباب
بحالة سقط عنه طمع الذابحين وضمه ازر الى نفسه جعل يصنع الاصنام
ويعطيها ابراهيم ليبيعها فيذهب ابراهيم وينادى من يشترى ما يضره
ولا ينفعه فلا يشتريها احد فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فضرب
فيه روسها وقال اشربى استهزا بقومه وبما هم فيه من الضلالة حتى
فشى استهزاوه بها فى قومه واهل قريته حاجه قومه يعنى خاصمه وجادله
قومه فى دينه قال يعنى ابراهيم اتحاجونى فى الله وقد هدان يعنى
الى توحيده ومعرفته ولا اخاف ما تشركون به وذلك انهم قالوا احذر
الاصنام فانا نخاف ان تمسك بخبل او جنون لعيبك اياها فاجابهم
بقوله ولا اخاف ما تشركون به فانها جمادات لا تضر ولا تنفع وانما
يكون الخوف ممن يقدر على النفع والضر وهو قوله الا ان يشا ربى
شيا يعنى الا ان يشا ربى شيا كان ما يشا لانه قادر على النفع والضر
وانما قال ابراهيم ذلك لاحتمال ان الانسان قد يصيبه فى بعض حالاته
وايام عمره ما يكرهه فلو اصابه مكروه لنسبوه الى الاصنام فنفى هذه
الشبهة بقوله الا ان يشا ربى شيا وهذا استثنا منقطع وليس هو
من الاول فى شى والمعنى ولكن ان شا ربى شيا كان وسع ربى كل شى
علما يعنى احاط علمه بكل شى فلا يخرج شى عن علمه افلا تتذكرون

يعني افلا تعتبرون ان هذه الاصنام جماد لا تضر ولا تنفع وان النافع
الضار هو الذي خلق السموات والارض ومن فيهما **وكيف اخاف ما
اشركتم** يعني وكيف اخاف الاصنام التي اشركتم بها لانها جماد لا تبصر
ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع **ولا تخافون انكم اشركتم بالله** يعني وانتم لا
تخافون وانتم اشركتم بالله وهو من اعظم الذنوب **ما لم ينزل به عليكم
سلطانا** يعني ما ليس لكم فيه حجة وبرهانا **فاي الفريقين احق بالامن
ان كنتم تعلمون** يعني يقول من اولى بالامن من العذاب في يوم القيمة
الموحد ام المشرك **الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم** وهذا افصل
قضاه الله بين ابراهيم وبين قومه يعني ان الذي يستحق الامن يوم
القيمة هم الذين امنوا يعني امنوا بالله وحده ولم يشركوا به شيا
ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعني ولم يخلطوا ايمانهم بشرك **ق** عن ابن
مسعود قال لما نزلت الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك
على المسلمين وقالوا اينا لا يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليس ذلك انما هو الشرك الم تسمعوا قول لقمان لابنه يا بني لا
تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وفي رواية ليس هو كما تظنون انما
هو كما قال لابنه وذكره قيل في معنى قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعني
ولم يخلطوا ايمانهم بشي من معاني الظلم وذلك بان يفعل بعض ما نهي
الله عنه او يترك ما امر الله به فعلى هذا القول تكون الاية على العموم
لان الله تعالى لم يخص به معنى من معاني الظلم دون غيره والصحيح ان
الظلم المذكور في هذه الاية هو الشرك لما تقدم من حديث ابن مسعود
ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الظلم هنا بالشرك وفي الاية دليل
على ان مات لا يشرك بالله شيا كان عاقبته الامن من النار لقوله
اولئك يعني الذين لم يلبسوا ايمانهم بظلم **لهم الامن** يوم القيمة من
عذاب النار **وهم مهتدون** يعني الى سبيل الرشاد قوله تعالى **وتلك
حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه** يعني ما جرى بين ابراهيم وبين قومه
واستدل على حدوث الكوكب والقمر والشمس بالافول وقيل لما قالوا
لابراهيم انا نخاف عليك من الهتنا لتمسك اياها فقال افلا تخافون
انتم منها اذ اسويتم بين الصغير والكبير في العبادة ان يغضب الكبير
عليكم وقيل انه خاصم قومه المشركين فقال اي الفريقين احق بالامن
من يعبد الها واحدا مخلصا لله الدين والعبادة ام يعبد اربابا كثيرة
فقالوا من يعبد الها واحدا فقضوا على انفسهم فكانت هذه حجة ابراهيم
عليهم **نرفع درجات من نشا** يعني بالعلم والفهم والعقل والفضيلة كما
رفعنا درجات ابراهيم حتى اهتدى الى محاجة قومه وقيل نرفع درجات

من

من نشا بالنبوة في الدنيا والعلم والحكمة وفي الاخرة بالثواب على الاعمال
الصالحة **ان ربك حكيم عليم** يعني انه تعالى حكيم في جميع افعاله عليم
بجميع احوال خلقه لا يفعل شيا الا بحكمة وعلم والله اعلم قوله عز
وجل **ووهبنا له اسحق ويعقوب** لما اظهر ابراهيم عليه السلام دينه وغلب
خصمه بالحجج القاطعة والبراهين القوية والدلايل الصحيحة التي فهمه
الله تعالى اياها واهداه اليها عدد نعمه عليه واحسانه اليه فانه رفع
درجته في عليين وابقى النبوة في ذريته الى يوم الدين فقال تعالى ووهبنا
له يعني لابراهيم اسحاق يعني ابنا لصلبه ويعقوب يعني ابن اسحاق
وهو ولد الولد **كلا هدينا** يعني هدينا جميعهم الى سبيل الرشاد ووفقنا
الى طريق الحق والصواب **ونوحا هدينا من قبل** يعني من قبل ابراهيم
ارشدنا نوحا ووفقنا للحق والصواب ومننا عليه بالهداية **ومن ذريته**
اختلفوا في هذا الضمير الى من يرجع فقيل يرجع الى ابراهيم يعني ومن ذرية
ابراهيم **داود وسليمان** وقيل يرجع الى نوح وهو اختيار جمهور المفسرين
لان الضمير يرجع الى اقرب مذكور ولان الله ذكر في جملة هذه الذرية لوطا
وهو ابن اخي ابراهيم ولم يكن من ذريته فثبت بهذا ان الكناية ترجع الى
نوح وقال الزجاج كلا القولين جايز لان ذكرهما جميعا جرى وداود
هو ابن ايشا وكان ممن اتاه الله الملك والنبوة وكذلك سليمان
ابن داود **وايوب** هو ايوب بن موص بن رازح بن عيص بن اسحق بن
ابراهيم **ويوسف** هو ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم **وموسى** هو ابن عمران
ابن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب **وهارون** هو اخو موسى وكان
اكبر منه بسنة **وكذلك نجزي المحسنين** اي وكما جزينا ابراهيم على
توحيده وصبره على اذى قومه كذلك نجزي المحسنين على احسانهم
وزكريا هو ابن اذن بن بركنا **ويحيى** هو ابن زكريا **وعيسى** هو ابن مريم
بنت عمران **والياس** قال ابن مسعود هو ادريس وله اسمان مثل
يعقوب واسرايل وقال محمد بن اسحق هو الياس بن يسنا بن فنحاص بن
العيزار بن هارون بن عمران وهذا هو الصحيح لان اصحاب الانساب
يقولون ان ادريس جد نوح لان نوحا بن لملك بن متوشلخ بن اخنوخ
وهو ادريس ولان الله تعالى نسب الياس في هذه الاية الى نوح وجعله
من ذريته **كل من الصالحين** يعني ان كل من ذكرنا وسمينا من الصالحين
واسمعيل هو ابن ابراهيم وانما اخر ذكره الى هنا لانه ذكر اسحق وذكر
اولاده من بعده على نسق واحد فلهذا السبب اخر ذكر اسمعيل الى هنا
واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز **ويونس** هو ابن متى **ولوطا** هو ابن اخي
ابراهيم **وكلا فضلنا على العالمين** يعني على عالمي زمانهم ويستدل بهذه

الاية من يقول ان الانبيا افضل من الملايكة لان العالم اسم لكل موجود
سوى الله تعالى فيدخل فيه الملك فيقتضي ان الانبيا افضل من
الملايكة **واعلم** ان الله تعالى ذكر ثمانية عشر نبيا من الانبيا عليهم
السلام من غير ترتيب لا بحسب الزمان ولا بحسب الفضل لان الواو لا
تقتضي الترتيب ولكن هنا لطيفة اوجبت هذا الترتيب وهي ان الله
تعالى خص كل طايفة من طوايف الانبيا عليهم السلام بنوع من الكرامة
والفضل فذكر اولا نوحا وابراهيم واسحاق ويعقوب لانهم اصول
الانبيا واليهم يرجع انسابهم جميعا ثم من المراتب المعتبرة بعد
النبوة الملك والقدرة والسلطان وقد اعطى الله تعالى داود
وسليمان من ذلك حظا وافرا ومن المراتب الصبر عند نزول البلا
والمحن والشدايد وقد خص الله بهذه ايوب عليه السلام ثم
عطف بهاتين المرتبتين من جمع بينهما وهو يوسف عليه السلام
فانه صبر على البلا والشدة الى ان اعطاه الله ملك مصر مع النبوة
ثم من المراتب المعتبرة في فضل الانبيا عليهم السلام كثرة المعجزات
وقوة البراهين وقد خص الله تعالى موسى وهارون من ذلك ٥
بالحظ الوافر ثم من المراتب المعتبرة الزهد في الدنيا والاعراض
عنها وقد خص الله بذلك زكريا ويحيى وعيسى والياس عليهم السلام
ولهذا السبب وصفهم بانهم من الصالحين ثم ذكر الله من بعد هولاء
الانبيا من لم يبق له اتباع ولا شريعة وهم اسمعيل واليسع ولوط فاذا
اعتبرنا هذه اللطيفة على هذا الوجه كان هذا الترتيب من احسن
شي يذكر والله اعلم بمراده واسرار كتابه قوله تعالى **ومن اباهم** يعني
ومن ابا الذين سميناهم ومن هنا للتبعيض لان من ابا بعضهم من لم
يكن مسلما **وذرياتهم** يعني ومن ذرياتهم اي بعضهم لان عيسى ويحيى لم
يكن لهما ولد وكان في ذرية بعضهم من هو كافر كابن نوح **واخوانهم** يعني
ومن اخوانهم والمعنى ان الله تعالى وفق ابا المذكورين ومن اخوانهم
وذرياتهم للهداية وخالص الدين وهو قوله تعالى **واجتبيناهم** يعني
اخترناهم واصطفيناهم **وهديناهم** يعني وارشدناهم **الى صراط مستقيم**
اي الى دين الحق **ذلك هدى الله** قال ابن عباس ذلك دين الله
الذي كان عليه هولا الانبيا وقيل المراد بهدى الله معرفة الله ٥
وتنزيهه عن الشركا والاضداد والانداد **يهدي به من يشاء من
عباده** يعني يوفق من يشا من عباده ويرشده الى دينه وطاعته
وخلع الاضداد والشركا **ولو اشركوا** يعني هولا الذين سميناهم **لحبط**
يعني ابطل وذهب **عنهم ما كانوا يعملون** من الطاعات قبل ذلك لان

الله

الله تعالى لا يتقبل مع الشرك من الاعمال شيا **قوله عز وجل** **اوليك
الذين اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة** يعني اوليك الذين سميناهم
من الانبيا اعطيناهم الكتب الذي انزلنا عليهم واتيناهم العلم والفهم
وشرفناهم بالنبوة وانما قدم ذكر الكتاب والحكمة على النبوة وان
كانت النبوة هي الاصل لان منصب النبوة اشرف المراتب والمناصب
فذكر اولا الكتاب والحكم لانهما يدلان على النبوة **فان يكفر بها هولا** يعني
فان يجحد بدلايل التوحيد والنبوة كفار قريش **فقد وكلنا بها قوما ليسوا
بها بكافرين** قال ابن عباس هم الانصار واهل المدينة وقيل هم
المهاجرون والانصار وقال الحسن وقتادة الانبيا الثمانية عشر
الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج قال والدليل عليه قوله اوليك
الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال رجا العطاردي هم الملايكة
وفيه بعد لان اسم القوم لا ينطلق الا على بني آدم وقيل هم الفرس قال
ابن زيد كل من لم يكفر فهو منهم سوا كان نبيا او ملكا او من الصحابة
او التابعين وفي الاية دليل على ان الله تعالى ينصر نبيه صلى الله
عليه وسلم ويقوي دينه ويجعله غالبا على الاديان كلها وقد جعل
ذلك فهو اخبار عن الغيب وقوله تعالى **اوليك الذين هدى الله**
يعني النبيين الذين تقدم ذكرهم لانهم هم المخصوصون بالهداية
فبهداهم اقتده اشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم يعني فبشرايعهم
وسنتهم اعمل واصل الاقتدا في اللغة طلب موافقة الثاني للاول
في فعله وقيل امره ان يقتدي بهم في امر الدين الذي امرهم ان يجمعوا
عليه وهو توحيد الله وتنزيهه عن جميع النقايص التي لا تليق بجلاله
في الاسما والصفات والافعال وقيل امره الله ان يقتدي بهم في جميع
الاخلاق الحميدة والافعال المرضية والصفات الرفيعة الكاملة
مثل الصبر على اذى السفها والعفو عنهم وقيل امرهم ان يقتدى
بشرايعهم الا ما خصه دليل آخر فعلى هذا القول يكون في الاية دليل
على ان شرع من قبلنا شرع لنا **فصل** احتج العلما
بهذه الاية على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من جميع
الانبيا عليهم السلام وبيانه ان جميع خصال الكمال وصفات
الشرف كانت متفرقة فيهم فكان نوح صاحب احتمال على اذى قومه
وكان ابراهيم صاحب كرم وبذل ومجاهدة في الله عز وجل ٥ وكان اسحاق
ويعقوب من اصحاب الصبر على البلا والمحن ٥ وكان داود وسليمان
من اصحاب الشكر على النعمة قال الله فيهم اعملوا آل داود شكرا ٥
وكان ايوب صاحب صبر على البلاء قال الله فيه انا وجدناه صابرا نعم

العبد انه اواب • وكان يوسف قد جمع بين الحالتين يعني الصبر والشكر وكان موسى صاحب الشريعة الظاهرة والمعجزة الباهرة • وكان زكريا ويحيى وعيسى والياس من اصحاب الزهد في الدنيا • وكان اسمعيل صاحب صدق • وكان يونس صاحب تضرع واخبات • ثم ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقتدي بهم وجمع له جميع الخصال المحمودة والمتفرقة فيهم فثبت بهذا البيان انه صلى الله عليه وسلم كان افضل الانبيا لما اجتمع فيه من هذه الخصال التي كانت متفرقة في جميعهم والله اعلم وقوله قل لا اسالكم عليه اجرا يعني قل يا محمد لا اطلب على تبليغ الرسالة جعلا وهذا مما امره الله تعالى بالاقتدا بالنبيين وكان من جملة هداهم ترك طلب الاجر على ايصال الدين وابلاغ الشريعة لا جرم اقتدى بهم فقال لا اسالكم عليه اجرا ان هو يعني ما هو يعني القران الا ذكرى للعالمين يعني ان القران موعظة وذكرى لجميع العالم من الجن والانس وفيه دليل على انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى جميع الخلق من الجن والانس وان دعوته عمت جميع الخلايق قوله عز وجل وما قدروا الله حق قدره قال ابن عباس معناه ما عظموا الله حق عظمته وعنه ان معناه ما امنوا ان الله على كل شي قدير • وقال ابو العالية ما وصفوا الله حق صفته • وقال الاخفش ما عرفوا الله حق معرفته • يقال قدر الشي اذا حزره وسبره واراد ان يعلم مقداره يقال قدره يقدره بالضم قدرا • ثم يقال لمن عرف شيا هو يقدر قدره واذا لم يعرفه بصفاته يقال فيه انه لا يقدر قدره فقوله وما قدروا الله حق قدره يصح فيه جميع الوجوه المذكورة في معناه اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي يعني الذين قالوا ما انزل الله على بشر من شي ما قدروا الله حق قدره ولا عرفوه حق معرفته اذ لو عرفوه حق معرفته لما قالوا هذه المقالة • ثم اختلف العلما فيمن نزلت الاية على قولين احدهما انها نزلت في كفار قريش وهذا على قول من يقول ان جميع هذه السورة مكية وهو قول السدي • ويروى ذلك عن مجاهد وصححه الطبري قال لانه من اول السورة الى هذا الموضع هو خبر عن المشركين من عبدة الاصنام وكان قوله وما قدروا الله حق قدره موصولا بذلك غير مفصول عنه فلا يكون قوله اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي خبرا عن غيرهم • واورد فخر الدين الرازي على هذا القول اشكالا وهو ان كفار قريش ينكرون نبوة جميع الانبيا فكيف يمكن الزامهم بنبوة موسى وايضا فما بعد هذه الاية لا يليق بكفار قريش انما يليق بحال اليهود واجاب عنه بان كفار قريش كانوا مختلطين باليهود وقد سمعوا

منهم

منهم ان موسى جاءهم بالتوراة وبالمعجزات الباهرات وانما انكر كفار قريش نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيمكن الزامهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى واجاب عن كون سياق الاية لا يليق الا بحال اليهود بان كفار قريش واليهود لما كانوا مشتركين في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يبعد ان بعض الاية يكون خطابا لكفار قريش وبعضها خطابا لليهود • القول الثاني في سبب نزول هذه الاية وهو قول جمهور المفسرين انها نزلت في اليهود وهذا على قول من يقول ان هذه الاية نزلت بالمدينة وانها من الايات المدنيات التي في السور المكية • قال ابن عباس نزلت سورة الانعام بمكة الا ست ايات منها قوله وما قدروا الله حق قدره فانها نزلت بالمدينة • ثم اختلف القايلون بهذا القول في اسم من نزلت هذه الاية فيه • فقال سعيد بن جبير جاء رجل من اليهود اسمه مالك بن الصيف يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي انزل التورية على موسى اما تجد في التورية ان الله يبغض الحبر السمين وكان حبرا سمينا فغضب وقال والله ما انزل الله على بشر من شي فقال اصحابه الذين معه ويحك ولا على موسى فقال والله ما انزل الله على بشر من شي فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى الاية • قال البغوي وفي القصة ان مالك بن الصيف لما سمعت اليهود منه تلك المقالة عتبوا عليه وقالوا اليس الله انزل التوراة على موسى فلم قلت ما انزل الله على بشر من شي فقال مالك بن الصيف اغضبني محمد فقلت ذلك فقالوا له وانت اذا غضبت تقول على الله غير الحق فنزعوه عن الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف • وقال السدي نزلت هذه الاية في فنحاص بن عازورا اليهودي وهو القايل هذه المقالة • وقال ابن عباس قالت اليهود يا محمد انزل الله عليك كتابا قال نعم فقالوا والله ما انزل من السما كتابا فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى الاية • وقال محمد بن كعب القرظي جا ناس من يهود الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محتب فقالوا يا ابا القاسم الا تاتينا بكتاب من السما كما جاء به موسى الواحا يحملها من عند الله فانزل الله يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السما الاية التي في سورة النسا فلما حدثهم باعمالهم الخبيثة جثى رجل منهم وقال ما انزل الله عليك ولا على موسى ولا عيسى ولا على احد شيا فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي

واورد الرازي على هذا اشكالا ايضا وهو انه قال ان اليهود مقرين بانزال التوراة على موسى عليه السلام فكيف يقولون ما انزل الله على بشر من شي مع اعترافهم بانزال التوراة على موسى ولم يجب عن هذا الاشكال بشي **واجيب** عنه بان مراد اليهود انكار انزال القران على محمد صلى الله عليه وسلم فقط ولهذا الزموا الزموا بما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسى فقال تعالى **قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى** اى قل يا محمد لهولا اليهود الذين انكروا انزال القران عليك بقولهم ما انزل الله على بشر من شي من انزل التوراة على موسى وفي هذا الالزام توبيخ اليهود لسوء جهلهم واقدامهم على انكار الحق الذى لا ينكر **نورا وهدى للناس** يعنى التوراة ضياء من ظلمة الضلالة وبيانا يفرق بين الحق والباطل من دينهم وذلك قبل ان تبدل وتغير **تجعلونه قراطيس** يعنى يكتبونه في قراطيس متقطعة **تبدونها** يعنى القراطيس المكتوبة **وتخفون كثيرا** يعنى وتخفون كثيرا مما كتبوه في القراطيس وهو ما عندهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته في التوراة ومما اخفوه ايضا اية الرجم وكانت مكتوبة عندهم في التوراة **وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباوكم** اكثر المفسرين على ان هذا خطاب لليهود ومعناه انكم علمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا انتم ولا اباوكم من قبل قال الحسن جعل لهم علم ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فضيعوه ولم ينتفعوا به وقال مجاهد هذا خطاب للمسلمين يذكرهم النعمة فيما علمهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم **قل الله** هذا راجع الى قوله قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى فان اجابوك يا محمد والا فقل انت الله الذى انزله **ثم ذرهم في خوضهم يلعبون** يعنى دعهم يا محمد فيما هم فيه يخوضون من باطلهم وكفرهم بالله ومعناه يلعبون يستهزون ويسخرون وقيل معناه يا محمد اذا اقمت الحجة عليهم وبلغت في الاعذار والانذار هذا المبلغ العظيم فحينيذ لم يبق عليك من امرهم شي فذرهم فيما هم فيه من الخوض واللعب وفيه وعيد وتهديد للمشركين وقال بعضهم هذا منسوخ باية السيف وفيه بعد لانه مذكور لاجل التهديد والوعيد قوله تعالى **وهذا كتاب انزلناه مبارك** يعنى وهذا القران كتاب انزلناه من عندنا عليك يا محمد كثير الخير والبركة دايم النفع يبشر المومنين بالثواب والمغفرة ويزجر عن القبيح والمعصية واصل البركة النما والزيادة وثبوت الخير **مصدق الذى بين يديه** يعنى من الكتب الالهية المنزلة من السما على الانبيا يعنى انه موافق لما في التورية والانجيل وساير الكتب

لانها

لانها اشتملت جميعها على التوحيد والتنزيه لله من كل عيب ونقيصة وتدل على البشارة والنذارة فثبت بذلك كون القران مصدقا لجميع الكتب المنزلة **ولتنذر** قرى بالتا يعنى ولتنذر يا محمد وبالياء ومعناه ولتنذر الكتاب **ام القرى** يعنى مكة وفيه حذف تقديره ولتنذر اهل ام القرى وسميت مكة ام القرى لان الارض دحيت من تحتها قاله ابن عباس وقيل لانها اقدم القرى واعظمها بركة وقيل لانها قبلة اهل الارض **ومن حولها** يعنى جميع البلاد والقرى التى حولها شرقا وغربا **والذين يومنون بالاخرة يومنون به** يعنى والذين يصدقون بقيام الساعة وبالمعاد والبعث بعد الموت يصدقون بهذا الكتاب وانه منزل من عند الله عز وجل وقيل يصدقون ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك ان الذى يومن بالاخرة يومن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب ومن كان كذلك فانه يرغب في تحصيل الثواب ودرء العقاب عنه وذلك لا يحصل الا بالنظر التام فاذا انظر وتفكر علم بالضرورة ان دين محمد اشرف الاديان وشريعته اعظم الشرايع **وهم على صلاتهم يحافظون** يعنى يداومون عليها في اوقاتها والمعنى ان الايمان بالاخرة يحمل على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فكذلك يحمل على المحافظة على الصلوات وفايدة تخصيص الصلاة بالذكر دون ساير العبادات التنبيه على انها اشرف العبادات بعد الايمان بالله فاذا حافظ العبد عليها يكون محافظا على جميع العبادات والطاعات **قوله عز وجل**

ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا يعنى ومن اعظم خطا واجهل فعلا ممن اختلق على الله كذبا فزعم ان الله بعثه نبيا وهو في زعمه كذاب مبطل **او قال اوحى الى ولم يوح اليه شي** قال قتادة نزلت هذه الاية في مسيلمة الكذاب وهو ابو ثمامة مسيلمة بن ثمامة وقيل مسيلمة بن حبيب من بنى حنيفة وكان صاحب نيرجات وكهانة وسجع ادعى النبوة باليمن وزعم ان الله اوحى اليه وكان قد ارسل الى النبى صلى الله عليه وسلم رسولين فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اتشهدان ان مسيلمة نبى قالا نعم فقال لهما النبى صلى الله عليه وسلم لولا ان الرسل لا تقتل لضربت اعناقكما **ق** عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نايم اذ اوتيت خزاين الارض فوضع في يدى سوارين من ذهب فكبرا على واهماني فاوحى الى ان انفخهما فنفختهما فطارا فاولتهما الكذابين الذين انا بينهما صاحب صنعا وصاحب اليمامة وفي لفظ الترمذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت في المنام كان في يدى سوارين فاولتهما كذابين يخرجان من بعدى يقال

لاحدهما مسيلمة صاحب اليمامة والعنسي صاحب صنعا قوله
فاوحي الى ان تنخهما يروى بالحا المهملة ومعناه الرمي والدفع من تحت
الدابة برجلها اذا دفعت ورمحت برجلها ويروى بالخا المعجمة من
النفخ يريد انه نفخهما فطارا عنه وهو قريب من الاول واما
مسيلمة الكذاب فانه ادعى النبوة باليمامة من اليمن وتبعه قومه
من بني حنيفة وكان صاحب نيرنجيات فاغتر قومه بذلك وقتل
مسيلمة الكذاب في خلافة ابي بكر الصديق قتله وحشي قاتل
حمزة بن عبد المطلب فكان وحشي يقول قتلت خير الناس يعني
حمزة وقتلت شر الناس يعني مسيلمة الكذاب واما الاسود العنسي
بالنون فهو عبهلة بن كعب وكان يقال له ذو الحمار ادعى النبوة باليمن
في اخر عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقتل والنبي صلى الله عليه وسلم
حي لم يمت وذلك قبل موته بيومين واخبر اصحابه بقتله وقتله
فيروز الديلمي فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاز فيروز يعني بقتله
الاسود العنسي فمن قال ان هذه الاية يعني قوله تعالى ومن اظلم ممن
افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شي نزلت في مسيلمة
الكذاب والاسود العنسي يقول ان هذه الاية مدنية نزلت بالمدينة
وهو قول بعض علما التفسير تقدم ذكره في اول السورة ومن قال
ان هذه الاية مكية وقال انها نزلت في شانهما قال لان انها خبر
عن غيب فظهر ذلك فيهما بعد والله اعلم وقوله تعالى **ومن قال
سانزل مثل ما انزل الله** قال السدي نزلت في عبد الله بن ابي
سرح القرشي وكان قد اسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم
فكان اذا املى عليه سميعا بصيرا كتب عليما حكيما واذا املى عليما
حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من طين املاها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجب عبد الله
من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اكتبها فهكذا انزلت فشك عبد الله بن ابي
سرح وقال لين كان محمد صادقا فقد اوحي الى مثل ما يوحى اليه
فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ثم رجع عبد الله بعد ذلك
الى الاسلام فاسلم قبل فتح مكة والنبي صلى الله عليه وسلم نازل بمر
الظهران وقال ابن عباس نزل قوله ومن قال سانزل مثل ما انزل
الله في المستهزين وهو جواب لقولهم لو نشا لقلنا مثل هذا قال
العلما وقد دخل في حكم هذه الاية كل من افترى على الله كذبا
في ذلك الزمان وبعده لانه لا يمنع خصوص السبب عموم الحكم

ولو

ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت يعني ولو ترى يا محمد حال هولا
الظالمين اذا نزل بهم الموت لرايت امرا عظيما وغمرات شدايده وسكراته
وغمرة كل شي معظمه واصلها الشي الذي يغمر الاشيا فيغطيها ثم وضعت
في موضع الشدايد والمكاره **والملايكة باسطوا ايديهم** يعني بالعذاب
يضربون وجوههم وادبارهم وقيل باسطوا ايديهم لقبض ارواحهم
اخرجوا انفسكم يعني يقولون لهم اخرجوا انفسكم **فان قلت**
انه لا قدرة لاحد على اخراج روحه من بدنه فما فايدة هذا الكلام
قلت معناه يقولون لهم اخرجوا انفسكم كرها لان المومن يحب لقا
الله بخلاف الكافر وقيل معناه يقولون لهم خلصوا انفسكم من هذا
العذاب ان قدرتم على ذلك فيكون هذا القول توبيخا لهم لانهم لا
يقدرون على خلاص انفسهم من العذاب في ذلك الوقت **اليوم
تجزون عذاب الهون** يعني الهوان **بما كنتم تقولون على الله غير الحق**
يعني ذلك العذاب الذي كنتم تجزونه بسبب ما كنتم تقولون على الله
غير الحق **وكنتم عن اياته تستكبرون** يعني وبسبب ما كنتم تتعظمون
عن الايمان بالقران ولا تصدقونه قوله تعالى **ولقد جيتمونا فرادى**
يعني وحدانا لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا خدم وهذا خبر من الله
عز وجل عن حال الكفار يوم القيمة وكيف يحشرون اليه وماذا يقول
لهم في ذلك اليوم وفي قوله للكفار ولقد جيتمونا فرادى تقريع وتوبيخ
لهم لانهم صرفوا هممهم في الدنيا الى تحصيل المال والولد والجاه
وافنوا اعمارهم في عبادة الاصنام فلم يغن عنهم كل ذلك شيا في يوم
القيمة فبعثوا فرادى عن كل ما حصلوه في الدنيا **كما خلقناكم اول مرة**
يعني حفاة عراة غرلا يعني قلفا كما ولدتهم امهاتهم في اول مرة في
الدنيا لا شي عليهم ولا معهم **ق** عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال ايها الناس انكم محشورون الى الله
حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين
ق عن عايشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يحشر الناس حفاة عراة غرلا فقالت عايشة فقلت الرجال والنسا
جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الامر اشد من ان يهمهم ذلك روى
الطبري بسنده عن عايشة انها قرات قول الله عز وجل ولقد جيتمونا
فرادى كما خلقناكم اول مرة فقالت يا رسول الله واسواتاه ان الرجال
والنسا يحشرون جميعا ينظر بعضهم الى سوءة بعض فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لكل امرئ منهم يوميذ شان يغنيه ولا ينظر الرجال
الى النسا ولا النسا الى الرجال شغل بعضهم عن بعض وقوله تعالى **وتركتم**

ما خولناكم وراء ظهوركم يعني وتركتم الذى اعطيناكم وملكناكم من
الاموال والاولاد والخدم والخول كما اعطى الله العبد وخوله فيه من
المال والعبيد وراء ظهوركم يعني في الدنيا وما نرى معكم شفعاكم
الذين زعمتم انهم فيكم شركا يعني ان المشركين زعموا انهم انما عبدوا
هذه الاصنام لانها تشفع لهم عند الله تعالى يوم القيمة لانها شركا
الله تعالى الله عن ذلك فاذا كان يوم القيمة وبخ الله المشركين وقرعهم
بهذه الاية ثم قال تعالى لقد تقطع بينكم قرى بنصب النون من بينكم
ومعناه لقد تقطع ما بينكم من الوصل ويكون معناه لقد تقطع الامر
بينكم وقرى بينكم برفع النون ومعناه لقد تقطع وصلكم والبين
من الاضداد يكون وصلا ويكون هجرا وضل عنكم ما كنتم تزعمون
يعني ذهب وبطل ما كنتم تكذبون في الدنيا **قوله عز وجل**
ان الله فالق الحب والنوى لما تقدم الكلام في تقريرا التوحيد وتقرير
النبوة اردفه بذكر الدلايل الدالة على كمال قدرته وعلمه وحكمته تنبيها
بذلك على ان المقصود الاعظم هو معرفة الله سبحانه وتعالى بجميع
صفاته وافعاله وانه مبدع الاشيا وخالقها ومن كان كذلك كان
هو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التي كانوا يعبدونها وتعريف
منه خطا ما كانوا عليه من الاشراك الذي كانوا عليه والمعنى ان
الذي يستحق العبادة دون غيره هو الله الذى فلق الحب عن النبات
والنواة عن النخلة وفي معنى فلق قولان احدهما انه بمعنى خلق ومعنى
الاية على هذا القول ان الله خالق الحب والنوى وهو قول ابن عباس
في رواية العوفي عنه وبه قال الضحاك ومقاتل قال الواحدي ذهبوا
بفالق مذهب فاطر وانكر الطبري هذا القول وقال لا يعرف في كلام
العرب فلق الله الشي بمعنى خلق • ونقل الازهري عن الزجاج جوازه
فقيل فقال وقيل الفلق الخلق واذا تاملت الخلق تبين لك ان اكثره
عن انفلاق ومعنى هذا الكلام ان جميع الاشيا كانت قبل الوجود في العدم فلما
اوجدها الله تعالى واخرجها من العدم الى الوجود فكانه فلقها واظهرها
والقول الثاني وهو قول الاكثرين ان الفلق هو الشق ثم اختلفوا
في معناه على قولين احدهما وهو مروي عن ابن عباس قال فلق الحبة
عن السنبلة والنواة عن النخلة وهو قول الحسن والسدي وابن
زيد قال الزجاج يشق الحبة اليابسة فيخرج منها ورقا اخضر
والقول الثاني وهو قول مجاهد انه الشقاق اللذان في الحب والنوى
والحب هو الذى ليس له نوى كالحنطة والشعير والارز وما اشبه
ذلك والنوى جمع نواة وهي ما كان على ضد الحب كالرطب والخوخ والمشمش

وما

وما اشبه ذلك ومعنى قوله فالق الحب والنوى وذلك اذا وقعت الحبة
او النواة في الارض الرطبة ثم مر على ذلك قدر من الزمان اظهر الله
تبارك وتعالى فيهما من تلك الحبة ورقا اخضر ثم يخرج من ذلك الورق
سنبلة يكون فيها الحب ويظهر من النواة شجرة صاعدة في الهوا وعروقا
ضاربة في الارض فسبحان من اوجد جميع الاشيا بقدرته وابداعه وخلقه
وقوله تعالى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي قال ابن عباس
في رواية عنه يخرج من النطفة بشرا حيا ويخرج النطفة الميتة من الحي
وهذا قول الكلبي ومقاتل قال الكلبي يخرج النسمة الحية من النطفة
الميتة ويخرج الفرخة من البيضة ويخرج النطفة الميتة والبيضة
الميتة من الحي • وقال ابن عباس في رواية اخرى يخرج المومن من
الكافر ويخرج الكافر من المومن فجعل الايمان بمنزلة الحياة والكفر
بمنزلة الموت وهذا قول الحسن وقيل معناه يخرج الطايع من
العاصي والعاصي من الطايع • وقال السدي يخرج النبات من الحب
والحب من النبات وهذا اختيار الطبري قال لانه عقيب قوله ان الله
فالق الحب والنوى **فان قلت** كيف قال ومخرج الميت من
الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت وما السبب في
عطف الاسم على الفعل **قلت** قوله ومخرج الميت من الحي عطف
على قوله فالق الحب والنوى وقوله يخرج الحي من الميت كالبيان له
والتفسير لقوله فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى اليابس
واخراج النبات والشجر منه من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي
من النبات في حكم الحيوان وقوله ذلكم الله يعني ذلكم الله المدبر الخالق
الصانع لهذه الاشيا المحيي المميت لها فانى توفكون يعني فانى تصرفون
عن الحق فتعبدون غير الله الذى هو خالق الاشيا كلها وفيه دليل ايضا
على صحة البعث بعد الموت لان القادر على اخراج البدن من النطفة
قادر على اخراجه من التراب للحساب **قوله عز وجل** فالق الاصباح
اي شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده والاصباح مصدر يسمى
به الصبح وقال الزجاج الاصباح والصبح واحد وهما اول النهار فان
قلت ظاهر الاية يدل على انه تعالى فلق الصبح والظلمة هي التي
تتعلق بالصبح فما معنى ذلك **قلت** ذكر العلما فيه وجوها الاول
ان يكون المراد فالق ظلمة الصباح وذلك لان الصبح صبحان فالصبح
الاول هو البياض المستطيل الصاعد في الافق كذنب السرحان وهو
الذئب ثم تعقبه ظلمة بعد ذلك ويسمى هذا الصبح الفجر الكاذب
لانه يبدو في الافق الشرقي ثم يضمحل ويذهب ثم يطلع بعده الصبح

الثاني وهو الضوء المستطير في جميع الافق الشرقي ويسمى الفجر الصادق
لانه ليس بعده ظلمة • والحاصل من هذا ان يكون المعنى فالق ظلمة
الصبح الاول بنور الصبح الثاني • الوجه الثاني انه تعالى كما شق
ظلمة الليل بنور الصباح فلذلك يشق نور الصبح بضياء النهار فيكون
معنى قوله فالق الاصباح اي فالق الصباح بنور النهار • الوجه
الثالث ان يراد فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش في اخر الليل الذي
يلي الصبح • الوجه الرابع ان يكون المعنى فالق الاصباح الذي
هو عمود الفجر اذا انصدع الفجر والفلق وسمي الفجر فلقا بمعنى مفلوق
الوجه الخامس الفلق بمعنى المخلوق يعني خالق الاصباح وعلى
هذا القول يزول الاشكال والصبح هو الضوء الذي يبدو اول
النهار والمعنى انه تعالى مبدي ضوء الصبح وخالقه ومنوره وقوله
تعالى وجاعل الليل سكنا السكن ما سكنت اليه واسترحت به يريد
ان الناس يسكنون في الليل سكون راحة لان الله جعل لهم الليل
كذلك • قال ابن عباس ان كل ذي روح يسكن فيه لان الانسان قد
اتعب نفسه في النهار فاحتاج الى زمان يستريح فيه ويسكن عن
الحركة وذلك هو الليل والشمس والقمر حسبانا يعني انه تعالى قدر
حركة الشمس والقمر في الفلك بحساب معين • قال ابن عباس يجريان
الى اجل جعل لهما يعني عدد الايام والشهور والسنين • وقال الكلبي
منازلهما بحساب لا يجاوزانه حتى ينتهيا الى اقصى منازلهما ذلك
اشارة الى ما تقدم ذكره في هذه الاية من الاشياء التي خلقها بقدرته
وكمال علمه وهو المراد بقوله ذلك تقدير العزيز العليم فالعزيز اشارة
الى كمال قدرته والعليم اشارة الى كمال علمه قوله عز وجل وهو الذي
جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر جعل هنا بمعنى خلق
يعني والله الذي خلق لكم هذه النجوم ادلة لتهتدوا بها اذا ضللتم
الطريق وتحيرتم فيه فامتن الله على عباده بان جعل لهم النجوم ليهتدوا
بها الى المسالك والطريق في البر والبحر الى حيث يريدون ويستدلون
بالنجوم ايضا على القبلة فيستدلون على ما يريدون في النهار بحركة الشمس
وفي الليل بحركة الكواكب ومن منافعها ايضا انه تعالى خلقها زينة
للسما كما قال ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما
للشياطين وجعل بعضها رجوما للشياطين قد فصلنا الايات يعني
قد بينا الايات الدالة على توحيدنا وكمال قدرتنا لقوم يعلمون ان ذلك
مما يستدل به على وجود الصانع المختار وكمال علمه وقدرته قوله تعالى
وهو الذي انشاكم من نفس واحدة يعني والله الذي ابتدا خلقكم ايها

الناس

الناس من ادم عليه السلام هو ابو البشر كلهم وحوا مخلوقة منه وعيسى
ايضا لان ابتدا خلقه من مريم وهي من بنات ادم فثبت ان جميع الخلق من
ادم عليه السلام فمستقر ومستودع قرئ فمستقر بكسر القاف وفتحها
يقال قر في مكانه واستقر فمن كسر القاف قال المستقر بمعنى القار
والمعنى منكم مستقر يعني في الارحام ومن فتح القاف جعله مكانا فالمستقر
نفس المقر فيكون المعنى لكم مقر واما المستودع فهو مثل اودع فيجوز ان
يكون اسما للانسان الذي استودع ذلك المكان ويجوز ان يكون
المكان نفسه فمن قرا فمستقر بفتح القاف جعل المستودع مكانا والمعنى
فلكم مكان استقرار ومكان استيداع ومن كسر القاف جعل المعنى
منكم مستقر ومنكم مستودع يعني منكم من استقر والفرق بين المستقر
والمستودع ان المستقر اقرب الى الثبات من المستودع لان المستقر
من القرار والمستودع معرض بان يرد ولهذا اختلفت عبارات
المفسرين في معنى هذين اللفظين فروى عن ابن عباس انه قال
المستقر في ارحام الامهات والمستودع اصلاب الاباء ثم قرا ونقر في
الارحام ما نشا ويؤيد هذا القول ان النطفة لا تبقى في صلب الاب
زمانا طويلا والجنين يبقى في بطن الام زمانا طويلا ولما كان المكث
في بطن الام اكثر من صلب الاب حمل المستقر على الرحم والمستودع
على الصلب وروى عنه انه قال بالعكس يعني ان المستقر صلب
الاب والمستودع رحم الام ووجه هذا القول ان النطفة حصلت
في صلب الاب قبل رحم الام فوجب حمل المستقر على الصلب والمستود
على الرحم وقال ابن مسعود المستقر في الرحم الى ان يولد والمستودع في
القبر الى ان يبعث وقال مجاهد المستقر على ظهر الارض في الدنيا لقوله
ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين والمستودع عند الله في الاخرة
وقال الحسن المستقر في القبر والمستودع في الدنيا وكان يقول يا ابن
ادم انت مستودع في اهلك الى ان تلحق بصاحبك يعني القبر وقيل
المستودع في القبر والمستقر اما في الجنة او النار لان المقام فيهما يقتضي
الخلود والتابيد قد فصلنا الايات يعني قد بينا الدلايل الدالة على
التوحيد بالبراهين الواضحة والحجج القاطعة لقوم يفقهون يعني لقوم
يفهمون عن الله اياته ودلايله الدالة على توحيده لان الفقه هو الفهم
قوله عز وجل وهو الذي انزل من السما ما يعني المطر وقيل ان
الله ينزل المطر من السما الى السحاب الى الارض فاخرجنا به يعني بالما
الذي انزلناه من السما نبات كل شي يعني من كل شي ينبت وينمو من
جميع اصناف النبات وقيل معناه اخرجنا بالما الذي انزلناه من السما

غذا لكل شي من الانعام والبهايم والطير والوحش وارزاق بني آدم واقواتهم
مما يتغذون به فيثبتون عليه وينمون **فاخرجنا منه خضرا** يريد اخضر
مثل عور واعور والاخضر هو جميع الزروع والبقول الرطبة **نخرج منه**
حبا متراكبا يعني نخرج من ذلك الاخضر سنابل فيها الحب يركب بعضها
فوق بعض مثل سنبل القمح والشعير والارز والذرة وساير الحبوب
وفي تقديم الزرع على النخل دليل على الافضلية ولان حاجة الناس
اليه اكثر لانه القوت المالوف **ومن النخل من طلعها قنوان دانية** يعني
من ثمرها يقال اطلعت النخلة اذا اخرجت طلعها وطلعها كيزانها
قبل ان ينشق عن الاغريض والاغريض يسمى طلعا ايضا وهو ما يكون
في قلب الطلع والطلع اول ما يبدو ويخرج من ثمر النخل كالكيزان
يكون فيه العذق فاذا انشق عنه كيزانه يسمى عذقا وهو القنو وجمعه
قنوان مثل صنو وصنوان دانية اي قريبة التناول ينالها القايم
والقاعد وقال مجاهد متدلية وقال الضحاك قصار ملتصقة بالارض
وفيه اختصار وحذف تقديره من النخل ما قنوانها دانية قريبة ومنها
ما هي بعيدة عالية فاكتفى بذكر القريبة عن البعيدة لشدة الاهتمام
بها ولانها اسهل تناولا من البعيدة لان البعيدة تحتاج الى كلفة
وبيان **وجنات من اعناب** يعني واخرجنا من ذلك بساتين من اعناب
والزيتون والرمان يعني واخرجنا شجر الزيتون وشجر الرمان **مشتبها**
قال قتادة مشتبها ورقها مختلفا ثمرها لان ورق الزيتون يشبه ورق
الرمان **وغير متشابه** يعني ومنها غير متشابه في الورق والطعم واعلم
ان الله تعالى ذكر في هذه الاية اربعة انواع من الشجر بعد ذكر الزرع وانما
قدم الزرع على ساير الاشجار لان الزرع غذا وثمار الاشجار فواكه والغذا
مقدم على الفواكه وانما قدم النخلة على غيرها لان ثمرها يجري مجرى الغذا
وفيها من المنافع والخواص ما ليس في غيرها من الاشجار وانما ذكر العنب
عقب النخلة لانه من اشرف انواع الفواكه ثم ذكر عقبه الزيتون لما
فيه من البركة والمنافع الكثيرة في الاكل وساير وجوه الاستعمالات
ثم ذكر عقبيه الرمان لما فيه من المنافع ايضا لانه فاكهة ودواء ثم قال
تعالى **انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه** يعني ونضجه وادراكه والمعنى
انظروا نظر استدلال واعتبار كيف اخرج الله تعالى هذه الثمرة الرطبة
اللطيفة من هذه الشجرة الكثيفة اليابسة وهو قوله **ان في ذلكم لايات**
لقوم يومنون يعني يصدقون ان الذي اخرج النبات هذا وهذه الثمار
قادر على ان يحيي الموتى ويبعثهم وانما احتج الله عليهم لتصريف ما خلق
ونقله من حال الى حال وهو ما يعلمونه قطعا ويشاهدونه من احيا

الارض بعد موتها واخراج ساير انواع النبات والثمار منها وانه لا يقدر
على ذلك احد الا الله تعالى فانه تعالى كذلك قادر على ان يحييهم بعد
موتهم ويبعثهم يوم القيمة وانما احتج عليهم بهذه الاشيا لانهم كانوا
ينكرون البعث قوله تعالى **وجعلوا لله شركا الجن** قال الحسن معناه
اطاعوا الجن في عبادة الاوثان وهو اختيار الزجاج قال معناه انهم
اطاعوا الجن فيما سولت لهم من شركهم فجعلوهم شركا لله وقال الكلبي
نزلت في الزنادقة اثبتوا الشرك لاثنين في الخلق فقالوا الله خالق
النور والناس والدواب والانعام وابليس خالق الظلمة والسباع
والحيات والعقارب ونقل هذا القول ابن الجوزي عن ابن السايب
ونقله الرازي عن ابن عباس قال الامام فخر الدين وهذا مذهب
المجوس وانما قال ابن عباس هذا قول الزنادقة لان المجوس يلبسون
بالزنادقة لان الكتاب الذي زعم زرادشت انه نزل من السما سماه
بالزند والمنسوب اليه يسمى زندي ثم عرب فقيل زنديق فاذا جمع
قيل زنادقة ثم ان المجوس قالوا كل ما في هذا العالم من الخير فهو من
يزدان يعني النور وجميع ما في العالم من الشر فهو من الظلمة يعني ابليس
ثم اختلف المجوس فالاكثرون منهم على ان ابليس محدث ولهم في كيفية
حدوثه اقوال عجيبة والاقلون منهم قالوا انه قديم وعلى القولين فقد
اتفقوا على انه شريك الله في تدبير هذا العالم فما كان من خير فمن الله
وما كان من شر فمن ابليس تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا **فان قلت**
فعلى هذا القول انهم اثبتوا لله شريكا واحدا وهو ابليس فكيف حكى الله
انهم جعلوا لله شركا **قلت** ان ابليس له اعوان من جنسه وحزبه
وهم شياطين الجن يعملون اعماله فصح ما حكاه الله عنهم من انهم جعلوا لله
شركا الجن ومعنى الاية وجعلوا الجن شركا لله واختلفوا في معنى هذه الشركة
فمن قال ان الاية في كفار العرب قال انهم لما اطاعوا الجن فيما امروهم
به من عبادة الاصنام فقد جعلوهم شركا لله ومن قال انها في المجوس
فقد اثبتوا الهين اثنين النور والظلمة وقيل ان كفار العرب قالوا
الملايكة بنات الله وهم شركاوه فعلى هذا القول فقد جعلوا الملايكة
من الجن وذلك لانهم مستورون عن الاعين وقوله **وخلقهم** في معنى
الكناية قولان احدهما انه يعود الى الجن فيكون المعنى والله خلق الجن
فكيف يكون شريك الله من هو محدث مخلوق والقول الثاني انها
تعود الى الجاعلين لله شركا فيكون المعنى وجعلوا لله الذي خلقهم شركا
لا يخلقون شيا وهذا كالدليل القاطع بان المخلوق لا يكون شريكا لله
وكل ما في الكون محدث مخلوق والله تعالى هو الخالق لجميع ما في الكون

فامتنع ان يكون لله شريكا في ملكه وخرقوا له بنين وبنات بغير علم
اي اختلقوا وكذبوا يقال اختلق واخترق على فلان اذا كذب عليه
وذلك ان النصارى وطايفة من اليهود ادعوا ان لله ابنا وكفار
العرب ادعوا ان الملايكة بنات الله وكذبوا على الله جميعا فيما
ادعوه وقوله بغير علم كالتنبيه على ما هو الدليل القاطع على فساد
هذا القول لان الولد جزء من الاب والله سبحانه وتعالى لا يتجزى
فثبت بهذا افساد قول من يدعي ان لله ولدا ثم نزه الله تعالى نفسه
عن اتخاذ الولد وعن هذه الاقاويل الفاسدة فقال تعالى سبحانه
وتعالى عما يصفون فقوله سبحانه فيه تنزيه الله عن كل ما لا يليق
بجلاله وقوله تعالى يعني المتعالي عن كل اعتقاد باطل وقول فاسد ويكون
المعنى المتعالي عن اتخاذ الولد والشريك وقوله عما يصفون يعني
عما يصفونه من الكذب قوله عز وجل بديع السموات والارض
الابداع عبارة عن تكوين الشي على غير مثال سبق والله تعالى خلق
السموات والارض على غير مثال سبق انى يكون له ولد يعني من اين يكون
له الولد ولم تكن له صاحبة لان الولد لا يكون الا من صاحبة انثى ولا ينبغي
ان يكون لله صاحبة لانه ليس كمثله شي وخلق كل شي يعني ان الصاحبة
والولد في جملة من خلق لانه خالق كل شي وليس كمثله شي فكيف يكون
الولد لمن لا مثل له واذا نسب الولد والصاحبة اليه فقد جعل له مثل
والله متعال عن المثلية وهذه الاية حجة قاطعة على فساد قول
النصارى وهو بكل شي عليم يعني انه تعالى عالم بجميع خلقه لا يعزب
عن علمه شي وعلمه محيط بكل شي قوله تعالى ذلكم الله ربكم يعني ذلكم
الله الذي من صفته انه خلق السموات والارض وابدعهما على غير
مثال سبق وانه بكل شي عليم هو ربكم الذي يستحق العبادة لا من تدعون
من دونه من الاصنام لانها جمادات لا تخلق ولا تضر ولا تنفع ولا تعلم
والله تعالى هو الخالق الضار النافع لا اله الا هو خالق كل شي فاعبدوه
يعني هو الذي يستحق العبادة انه تعالى على كل شي خلق رقيب حفيظ
يقوم بارزاق جميع خلقه قوله عز وجل لا تدركه الابصار وهو
يدرك الابصار قال جمهور المفسرين معنى الادراك الاحاطة بكنه الشي
وحقيقته والابصار ترى الباري جل جلاله ولا تحيط به كما ان القلوب
تعرفه ولا تحيط به وقال سعيد بن المسيب في تفسير قوله لا تدركه
الابصار لا تحيط به الابصار وقال ابن عباس كلت ابصار المخلوقين
عن الاحاطة به

فصل

تمسك بظاهر الاية قوم من اهل
البدع وهم الخوارج والمعتزلة وبعض المرجية وقالوا ان الله تبارك

وتعالى

فاعبدوه وهو على كل شي وكيل يعني هو الذي يستحق العبادة

وتعالى لا يراه احد من خلقه وان رويته مستحيلة عقلا لان الله اخبر
ان الابصار لا تدركه وادراك البصر عبارة عن الروية اذ لا فرق بين
قوله ادركته ببصري ورايته ببصري فثبت بذلك ان قوله لا تدركه
الابصار بمعنى لا تراه الابصار وهذا يفيد العموم ومذهب اهل السنة
ان المومنين يرون ربهم يوم القيمة وفي الجنة وان رويته غير مستحيلة
عقلا واحتجوا لصحة مذهبهم بتظاهر ادلة الكتاب والسنة واجماع
الصحابة ومن بعدهم من سلف الامة على اثبات روية الله تبارك
وتعالى للمومنين في الاخرة قال الله تبارك وتعالى وجوه يوميذ
ناضرة الى ربها ناظرة ففي هذه الاية دليل على ان المومنين يرون
ربهم يوم القيمة وفي الجنة وان رويته غير مستحيلة عقلا واحتجوا لصحة
مذهبهم بتظاهر ادلة الكتاب والسنة واجماع الامة الصحابة ومن بعدهم
من سلف الامة على اثبات روية الله تبارك وتعالى للمومنين في الاخرة
قال الله تعالى وجوه يوميذ ناضرة الى ربها ناظرة ففي هذه الاية دليل
على ان المومنين يرون ربهم يوم القيمة وقال تعالى كلا انهم عن ربهم
يوميذ لمحجوبون قال الشافعي رحمه الله حجب قوما بالمعصية وهي
الكفر فثبت ان قوما يرونه بالطاعة وهي الايمان وقال مالك لو لم
يرى المومنون ربهم يوم القيمة لم يعير الكفار بالحجاب وقال تعالى
للذين احسنوا الحسنى وزيادة وفسروا هذه الزيادة بالنظر الى
وجه الله تبارك وتعالى يوم القيمة واما دلايل السنة فما روى عن جرير
ابن عبد الله البجلي قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى
القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون
في رويته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس
وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل
غروبها الغروب اخرجاه البخاري ومسلم عن ابي هريرة ان ناسا قالوا
يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هل تضامون في القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال فهل
تضامون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فانكم ترونه كذلك اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي
وليس عنده في اوله ان ناسا سالوا ولا في اخره ليس دونها سحاب
عن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله اكلنا يرى ربه مخليا به
يوم القيمة قال نعم قلت وما اية من ذلك من خلقه قال يا ابا رزين
اليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالله اعظم
انما هو خلق من خلق الله يعني القمر فالله اجل واعظم اخرجه ابو داود

واما الدلايل العقلية فقد احتج اهل السنة ايضا بهذه الاية على
جواز روية المومنين ربهم يوم القيمة وتقريره انه تعالى تمدح بقوله
لا تدركه الابصار فلو لم يكن جايز الروية لما حصل هذا التمدح لان
المعدوم لا تصح رويته فثبت ان قوله لا تدركه الابصار يفيد المدح
وهذا يدل على كونه تعالى جايز الروية وتحقيق هذا ان الشي
اذا كان في نفسه بحيث تمتنع رويته فحينيذ لا يلزم من عدم روية
مدح وتعظيم اما اذا كان في نفسه جايز الروية ثم ان قدر على حجب
الابصار عنه كانت القدرة دالة على المدح والعظمة فثبت ان
هذه الاية دالة على انه تعالى جايز الروية واذا ثبت هذا وجب
القطع بان المومنين يرونه يوم القيمة لان موسى صلى الله عليه وسلم
سال الروية بقوله ارني انظر اليك وذلك يدل على جواز الروية
اذ لا يسال نبي مثل موسى ما لا يجوز او يمتنع وقد علق الله الروية على
استقرار الجبل بقوله فان استقر مكانه فسوف تراني واستقرار
الجبل جايز والمعلق على الجايز جايز **والجواب**
عن تمسك المعتزلة بظاهر هذه الاية على نفي الروية فاعلم ان
الادراك غير الروية لان الادراك هو الاحاطة بكنه الشي وحقيقته
والروية المعاينة للشي من غير احاطة وقد تكون الروية بغير
ادراك كما قال تعالى في قصة موسى قال اصحاب موسى انا لمدركون
قال كلا وكان قوم فرعون قد راوا قوم موسى ولم يدركوهم لكن قاربوا
ادراكهم اياهم فنفى موسى الادراك مع اثبات الروية بقوله كلا والله
تعالى يجوز ان يرى في الاخرة من غير ادراك ولا احاطة لان الادراك
هو الاحاطة بالمرئي وهو من كان محدودا وله جهات والله تعالى منزه
عن الحد والجهة لانه القديم الذي لا نهاية لوجوده فعلى هذا انه يرى
ولا يدرك وقال قوم ان الاية مخصوصة بالدنيا قال ابن عباس في
معنى الاية لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الاخرة وعلى هذا
القول فلا فرق بين الادراك والروية قالوا ويدل على هذا التخصيص
قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فقوله يومئذ ناضرة مقيد
بيوم القيمة وعلى هذا يمكن الجمع بين الايتين وقال السدي البصر
بصران بصر معاينة وبصر علم فمعنى قوله لا تدركه الابصار لا يدركه
علم العلماء ونظره ولا يحيطون به علما وهذا وجه حسن ايضا والله
اعلم وقوله تعالى وهو يدرك الابصار يعني انه تعالى يرى جميع المرئيات
ويبصر جميع المبصرات لا يخفى عليه شي منها ويعلم حقيقتها ويطلع
على ماهيتها فهو تعالى لا تدركه ابصار المبصرين وهو يدركها وهو

اللطيف الخبير قال ابن عباس اللطيف باوليايه الخبير بهم وقال
الزهري معنى اللطيف الرفيق بعباده وقيل هو الموصل الشي اليك
برفق ولين وقيل هو ينسي عباده ذنوبهم ليلا يخجلوا واصل اللطف دقة
النظر في الاشيا وقال ابو سليمان الخطابي اللطيف هو البر بعباده
يلطف بهم من حيث لا يعلمون ويوصل اليهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون
وقال الازهري اللطيف من اسما الله تعالى معناه الرفيق بعباده وقيل
هو اللطيف حيث لم يامر عباده بفوق طاقتهم وينعم عليهم فوق استحقاقهم
وقيل هو اللطيف بعباده حيث يثني عليهم عند الطاعة ولم يقطع عنهم
بره واحسانه عند المعصية وقيل هو اللطيف بعباده ان تدركه الابصار
وهو يدركها قوله تعالى قد جاءكم بصاير من ربكم البصاير جمع البصيرة وهي
الدلالة التي توجب البصر بالشي والعلم به والمعنى قد جاءكم القران الذي
فيه البيان والحجج التي تبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل
وقيل ان الايات والبراهين ليست في انفسها بصاير الا انها لقوتها
توجب البصاير لمن عرفها ووقف على حقايقها فلما كانت هذه الايات
والحجج والبراهين اسباب لحصول البصاير سميت الايات بصاير فمن
ابصر يعني فمن عرف الايات واهتدى بها الى الحق فلنفسه يعني فلنفسه
ابصر ولها عمل لانه يعود نفع ذلك عليه ومن عمي فعليها يعني ومن جهل
ولم يعرف الايات ولم يستدل بها فعليها يعني فعلى نفسه عمي ولها
ضر وكان وبال ذلك العمى عليه لان الله تعالى غني عن خلقه وما انا
عليكم بحفيظ يعني وما انا عليكم برقيب احصي عليكم اعمالكم وافعالكم
انما انا رسول من ربكم اليكم ابلغكم ما ارسلت به اليكم وهو والله هو
الحفيظ عليكم لا يخفى عليه شي من اعمالكم واحوالكم وقيل معناه لا اقدر ان
ادفع عنكم ما يريده الله بكم وقيل معناه لست اخذكم بالايمان اخذ
الحفيظ الوكيل وهذا كان قبل الامر بقتال المشركين فعلى هذا القول
تكون الاية منسوخة باية السيف وعلى القول الاول ليست منسوخة
والله اعلم **قوله عز وجل** وكذلك نصرف الايات يعني وكذلك
نبين الايات ونفصلها في كل وجه كما صرفناها وبيناها من قبل وليقولوا
دارست يعني وكذلك نصرف الايات لتلزمهم الحجة وليقولوا
دارست وقيل معناه ليلا يقولوا دارست وقيل اللام في لام العاقبة
ومعناه عاقبة امرهم ان يقولوا دارست يعني قرات على غيرك يقال
درس الكتاب يدرسه دراسة اذا اكثر قراته وذلله للحفظ قال ابن
عباس وليقولوا يعني اهل مكة حين تقرا عليهم القران يعني تعلمت من
يسار وجبر وكانا عبدين من سبي الروم ثم قرات علينا تزعم انه من

عند الله وقال الفرا معناه تعلمت من اليهود وقري دارست بالالف بمعنى قارات اهل الكتاب من الدراسة التي هي بين اثنين يعني يقولون قرات على اهل الكتاب وقروا عليك وقري درست بفتح الدال والراو السين وسكون التا ومعناه ان هذه الاخبار التي تتلوها علينا قديمة قد درست وانمحت من قولهم درست الاثر اذا محي وذهب اثره ولنبينه لقوم يعلمون يعني القران وقيل معناه نصرف الايات لقوم يعلمون قال ابن عباس يريد اولياه الذين هداهم الى سبيل الرشاد وقيل معنى الاية وكذلك نصرف الايات ليسعد بها قوم ويشقى بها اخرون فمن اعرض عنها وقال النبي صلى الله عليه وسلم درست اودارست فهو شقي ومن تبين له الحق وفهم معناها وعمل بها فهو سعيد وقال ابو اسحق ان السبب الذي اداهم الى ان قالوا درست هو تلاوة الايات عليهم وهذه اللام تسميها اهل اللغة لام الصيرورة يعني صار عاقبة امرهم ان قالوا دارست فصار ذلك سببا لشقاوتهم وفي هذا دليل على ان الله تعالى جعل تصريف الايات سببا لضلالة قوم وشقاوتهم وسعادة قوم وهدايتهم قوله تعالى اتبع ما اوحي اليك من ربك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني اتبع يا محمد ما امرك به ربك في وحيه الذي اوحاه اليك وهو القران فاعمل به وبلغه الى عبادي ولا تلتفت الى قول من يقول دارست او درست وفي قوله اتبع ما يوحى اليك من ربك تقوية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وازالة الحزن الذي حصل له بسبب قولهم درست ونبه بقوله تعالى لا اله الا هو انه سبحانه وتعالى واحد فرد صمد لا شريك له واذا كان كذلك فانه يجب طاعته ولا يجوز تركها بسبب جهل الجاهلين وزيغ الزايغين وقوله تعالى واعرض عن المشركين قيل المراد منه في الحال لا الدوام واذا كان كذلك لم يكن النسخ وقيل المراد ترك مقاتلتهم فعلى هذا يكون الامر بالاعراض منسوخا باية القتال قوله عز وجل ولو شاء الله ما اشركوا قال الزجاج معناه الله لو شا الله لجعلهم مومنين وهذا نص صريح في ان شركهم كان بمشية الله تعالى خلافا للمعتزلة لم يرد من احد الكفر والشرك فالا يذرد عليهم وما جعلناك عليهم حفيظا يعني وما جعلناك يا محمد على هولا المشركين رقيبا ولا حافظا تحفظ عليهم اعمالهم وقال ابن عباس في رواية عطا وما جعلناك عليهم حفيظا تمنعهم مني ومعناه انك لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب انما بعثت مبلغا فلا تهتم بشركهم فان ذلك بمشية الله تعالى وما انت عليهم بوكيل يعني وما انت عليهم بمقيم يقوم بارزاقهم وما انت

عليهم بمسيطر فعلى هذا التفسير الاول تكون الاية منسوخة باية السيف وعلى قول ابن عباس لا تكون منسوخة قوله عز وجل ولا تسبوا الذين يدعون ربهم من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم الاية قال ابن عباس لما نزلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب الهتنا او لنهجون ربك فنهاهم الله ان يسبوا اوثانهم فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال قتادة كان المومنون يسبون اوثان الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله فانهم قوم جهلة لا علم لهم بالله عز وجل وقال السدي لما حضرت ابا طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا بنا لندخل على هذا الرجل فلنأمره ان ينهى عنا ابن اخيه فانا نستحي ان نقتله بعد موته فتقول العرب كان عمه يمنعه فلما مات قتلوه فانطلق ابو سفيان وابو جهل والنضر بن الحارث وامية وابي ابنا خلف وعقبة بن ابي معيط وعمرو بن العاص والاسود بن ابي البختري الى ابي طالب فقالوا يا ابا طالب انت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد اذانا واذى الهتنا فنحب ان تدعوه تنهاه عن ذكر الهتنا ولندعه والهه فدعاه فجا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ابو طالب ان هولا قومك وبنوا عمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يريدون قالوا نريد ان تدعنا والهتنا وندعك والهك فقال له ابو طالب قد انصفك قومك فاقبل منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارايتم ان اعطيتكم هذا فهل انتم معطي كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم العجم وادت لكم الخراج فقال ابو جهل نعم وابيك لنعطيكها وعشرة امثالها فما هي فقال قولوا لا اله الا الله فابوا ونفروا فقال ابو طالب قل غيرها يا ابن اخي فقال يا عم ما انا بالذي اقول غيرها ولو اتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها ارادة ان يوسيهم فقالوا لتكفن عن شتمك الهتنا او لنشتمنك او نشتمن من يامرك فانزلت ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله يعني ولا تسبوا ايها المومنون الاصنام التي يعبدها المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم يعني فيسبوا الله ظلما بغير علم لانهم جهلة بالله عز وجل قال الزجاج نهوا عن ذلك الوقت القتال ان يلعنوا الاصنام التي كانت تعبدها المشركون قال ابن الانباري هذه الاية منسوخة انزلها الله عز وجل والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة فلما قواه باصحابه نسخ هذه الاية ونظايرها بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقيل انما نهوا عن سب الاصنام وان كان في سبها طاعة وهو مباح لا يترتب على ذلك من المفاسد التي هي اعظم من ذلك وهو سب

الله عز وجل وسب رسوله وذلك من اعظم المفاسد فلذلك نهوا عن
سب الاصنام وقيل لما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا الهتهم فيسبوا ربكم فامسك المسلمون عن سب الهتهم فظاهر
الاية وان كان نهيا عن سب الاصنام فحقيقة النهي عن سب الله تعالى
لانه سبب لذلك وقوله تعالى كذلك زينا لكل امة عملهم كما يعني زينا
لهولا المشركين عبادة الاصنام وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان
كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية وفي
هذه الاية دليل على تكذيب القدرية والمعتزلة حيث قالوا لا يحسن
من الله خلق الكفر وتزيينه وقوله تعالى فينبيهم بما كانوا يعملون
يعني في الدنيا ويجازيهم على ذلك قوله عز وجل واقسموا بالله جهد
ايمانهم قال محمد بن كعب القرظي والكلبي قالت قريش يا محمد انك
تخبرنا ان موسى كان له عصا يضرب بها الحجر فينفجر منه اثنتى عشرة عينا
وتخبرنا ان عيسى كان يحيي الموتى فاتنا باية حتى نصدقك ونومن
بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي شي تحبون قالوا تجعل لنا
الصفا ذهبا وابعث لنا بعض موتانا نسأله عنك احق ما تقول
ام باطل وارنا الملايكة يشهدون لك قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان فعلت بعض ما تقولون اتصدقونني قالوا نعم والله لين فعلت
لنتبعنك اجمعين وسال المسلمون رسول الله صلى الله ان ينزلها عليهم
حتى يومنوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يدعوا الله عز
وجل ان يجعل الصفا ذهبا فجاه جبريل فقال ما شيت ان شيت اصبح
ذهبا ولكن لم يصدقوك لنعذبنهم وان شيت تركتهم حتى يتوب تايبهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب تايبهم فانزل الله عز
وجل واقسموا بالله جهد ايمانهم يعني وحلفوا بالله جهد ايمانهم
يعني اوكد ما قدروا عليه من الايمان واشدها قال الكلبي ومقاتل
اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه لين جاتهم اية يعني كما جات
من قبلهم الامم ليومنن بها يعني ليصدقن بها قل يعني قل يا محمد
انما الايات عند الله يعني ان الله تعالى قادر على انزالها وما يشعركم
يعني وما يدريكم ثم اختلف العلما في المخاطبين بقوله وما يشعركم
فقيل هو خطاب للمشركين الذين اقسموا بالله وقيل هو خطاب للمومنين
واختلفوا في قوله انها اذا جات لا يومنون فقرا ابن كثير واهل البصرة
وابو بكر عن عاصم انها بكسر الالف على الابتدا وقالوا تم الكلام عند
قوله وما يشعركم على معنى وما يدريكم ما يكون منهم ثم ابتدا فقال
انها اذا جات لا يومنون فمن جعل الخطاب للمشركين قال معناه وما

يشعركم

يشعركم ايها المشركون انها يعني الايات اذا جات امنتم ومن جعل الخطاب
للمومنين قال معناه وما يشعركم ايها المومنون انها اذا جات امنوا
لان المومنين كانوا يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو الله
ان يريهم ما اقترحوا حتى يومنوا فخاطبهم الله بقوله وما يشعركم ثم
ابتدا فقال تعالى انها اذا جات لا يومنون وهذا في قوم مخصوصين
حكم الله عز وجل عليهم بانهم لا يومنون وذلك لسابق علمه فيهم وقرا
الباقون انها بفتح الالف وجعلوا الخطاب في ذلك للمومنين لان المومنين
هم الذين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الايات حتى
يومن المشركون بها اذا راوها لان المشركين كانوا حلفوا انهم اذا
جاتهم اية امنوا وصدقوا واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاحب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الايات لذلك
فقال الله تعالى وما يشعركم ايها المومنون ان الايات اذا جات هولا
المشركين لا يومنوا فعلى هذا اختلفوا في لفظة لا من قوله لا يومنون
فقيل هي صلة والمعنى وما يشعركم انها اذا جات يومنون وقيل هي
على بابها وفيه حذف والمعنى وما يشعركم انها اذا جات يومنون او لا
يومنون وقيل ان بمعنى لعل في قوله انها اذا جات وكذلك هو في قراة
ابي بن كعب لعلها اذا جات وهذا شايع في كلام العرب تقول العرب
ايت السوق انك تشتري لنا بمعنى لعلك • ومنه قول عدي بن زيد •
• اعاذل ما يدريك ان منيتي • الى ساعة في اليوم او في ضحى الغد •
يعني لعل منيتي • قوله تعالى ونقلب افيدتهم وابصارهم قال ابن عباس
ونحول بينهم وبين الايمان فلو جيناهم بالايات التي سالوها لما امنوا
بها والتقليب هو تحويل الشي وتحريكه عن وجهه الى وجه اخر لان الله
تعالى اذا صرف القلوب والابصار عن الايمان بقيت على الكفر كما لم
يومنوا به اول مرة يعني كما لم يومنوا ايما قبل ذلك من الايات التي
جا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير ذلك
من المعجزات الباهرات وقيل اول مرة يعني الايات التي جا بها موسى
وغيره من الانبيا وقال ابن عباس المرة الاولى دار الدنيا يعني لو ردوا
من الاخرة الى الدنيا نقلب افيدتهم وابصارهم عن الايمان فلا يومنون
كما لم يومنوا به اول مرة قبل مماتهم وفي الاية دليل على ان الله تعالى
يهدي من يشا ويضل من يشا وان القلوب والابصار بيده وفي
تصرفه فيقيم ما شا منها ويزيغ ما اراد منها • ومنه قوله صلى الله عليه
وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فمعنى قوله ونقلب افيدتهم
فنزيغها عن الايمان ونقلب ابصارهم عن روية الحق ومعرفة الصواب

وان جاتهم الاية التى سالوها فلا يومنون بها كما لم يومنوا بالله ورسوله
وبما جا من عند الله فعلى هذا انكون الكناية فى به عايدة على الايمان
بالقران وبما جا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل سوالهم الايات
التى اقترحوها وقوله تعالى **ونذرهم فى طغيانهم يعمهون** يعنى ونترك
هولا المشركين الذين سبق فى علم الله انهم لا يومنون فى تمردهم على الله
واعتدايهم عليه يترددون لا يهتدون الى الحق **قوله عز وجل**
ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة قال ابن جريج نزلت فى المستهزين وذلك
انهم اتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من قريش فقالوا
يا محمد ابعث لنا بعض موتانا حتى نسالهم عنك احق ما تقول ام باطل
وارنا الملايكة يشهدون لك انك رسول الله او ايتنا بالله والملايكة
قبيلا فنزلت هذه الاية جوابا لهم والمعنى ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة
حتى يشهدون لك بالرسالة **او كلمهم الموتى** يعنى كما سالوا **وحشرنا**
عليهم كل شى قبلا يعنى وجمعنا عليهم كل شى قبيلا وقيل القبيل الكفيل
بصحة ما تقول ما امنوا او هو قوله **ما كانوا ليومنوا الا ان يشا الله**
يعنى الا ان يشا الله الايمان منهم وفيه دليل على ان جميع الاشيا بمشية الله
تعالى حتى الايمان والكفر وموضع المعجزة ان الاشيا المحشورة منها ناطق
ومنها صامت فاذا انطق الله الكل حتى يشهدون له بصحة ما يقول كان
ذلك فى غاية الاعجاز وقيل قبلا من المقابلة والمواجهة والمعنى
وحشرنا عليهم كل شى مواجهة ومعاينة ما كانوا ليومنوا الا ان يشا الله
اخبر الله ان الايمان بمشيته لا كما ظنوا انهم متى شاوا امنوا ومتى شاوا
لم يومنوا وقال ابن عباس ما كانوا ليومنوا هم اهل الشقا الا ان يشا
الله هم اهل السعادة الذين سبق لهم فى علمه انهم يدخلون فى الايمان
وصحح الطبرى قول ابن عباس قال لان الله عم بقوله ما كانوا ليومنوا
القوم الذين تقدم ذكرهم فى قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لين جاتهم
اية ليومنن بها ثم استثنى منهم اهل السعادة وهم الذين شا لهم الايمان
وقوله تعالى **ولكن اكثرهم يجهلون** يعنى يجهلون ان ذلك كذلك ه
ويحسبون ان الايمان اليهم متى شاوا امنوا ومتى شاوا كفروا وليس
الامر كذلك بل الايمان والكفر بمشية الله تعالى فمن شا له الايمان امن
ومن شا له الكفر كفر وفى هذا دليل لمذهب اهل السنة ان الاشيا كلها
بمشية الله تعالى ورد على القدرية والمعتزلة فى قولهم ان الله اراد الايمان
من جميع الكفار وقوله تعالى **وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا** قيل هو منسوق
على قوله تعالى وكذلك زينا لكل امة عملهم اى كما فعلنا ذلك كذلك
جعلنا لكل نبى عدوا وقيل معناه كما جعلنا لمن قبلك من الانبيا اعدآ

كذلك جعلنا لك اعدآ وفيه تعزية للنبى صلى الله عليه وسلم وتسلية
له يقول الله تبارك وتعالى كما ابتليناك بهولا القوم فكذلك جعلنا
لكل نبى قبلك عدوا ليعظم ثوابه على ما يكابده من اذى اعدايه وعدو
واحد يراد به الجمع يعنى جعلنا لكل نبى اعدا **شياطين الانس والجن**
اختلف العلما فى معنى شياطين الانس والجن على قولين احدهما ان
المراد شياطين من الانس وشياطين من الجن والشيطان كل عات
متمرد من الجن والانس وهذا قول ابن عباس فى رواية عطا وهو قول
مجاهد وقتادة قالوا وشيطان الانس اشد تمردا من شيطان الجن اذا عجز
عن اغوا المومن الصالح واعياه ذلك استعان على اغوايه بشيطان
الانس ليفتنه ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ابى ذر قال
قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعوذت بالله من شيطان
الجن والانس **قلت** يا رسول الله وهل للانس من شيطان قال نعم
هم شر من شياطين الجن ذكره البغوى بغير سند واسنده الطبرى وقال
مالك بن دينار ان شيطان الانس اشد من شيطان الجن وذلك انى
اذا تعوذت بالله ذهب عنى شيطان الجن وشيطان الانس يجى فيجرنى
الى المعاصى **القول** الثانى ان الجميع من ولد ابليس واضيف الشياطين
الى الانس على معنى انهم يغوونهم وهذا قول عكرمة والضحاك والكلبى
والسدى ورواية عن ابن عباس قالوا والمراد بشياطين الانس التى مع
الانس وبشياطين الجن التى مع الجن وذلك ان ابليس قسم جنده فسمين
فبعث فريقا منهم الى الجن وفريقا الى الانس فالفريقان شياطين الجن
والانس بمعنى انهم يغوونهم ويضلونهم وكلا الفريقين اعدآ للنبى صلى
الله عليه وسلم ولاوليايه من المومنين والصالحين ومن ذهب الى هذا
القول قال يدل على صحته ان لفظ الاية يقتضى اضافة الشياطين
الى الانس والجن والاضافة تقتضى المغايرة فعلى هذا تكون الشياطين
نوع مغاير للانس والجن وهم اولاد ابليس وقوله تعالى **يوحى بعضهم الى**
بعض يعنى يلقى ويسر بعضهم الى بعض ويناجى بعضهم بعضا وهو ه
الوسوسة التى يلقيها الى من يريد اغوايه فعلى القول الاول ان شياطين
الانس والجن يسر بعضهم الى بعض ما يفتنون به المومنين والصالحين
وعلى القول الثانى ان اولاد ابليس يلقى بعضهم بعضا فى كل حين فيقول
شياطين الانس لشياطين الجن اضللت صاحبى بكذا فاضلل انت
صاحبك بمثله ويقول شياطين الجن لشياطين الانس كذلك فكذلك
وحى بعضهم الى بعض وقوله **زخرف القول** يعنى باطل القول والزخرف
هو الباطل من الكلام الذى قد زين ووشى بالكذب وكل شى حسن مموه

فهو زخرف غرورا يعني ان الشياطين يغرون بذلك القول الكذاب المزخرف
غرورا وذلك ان الشياطين يزينون الاعمال القبيحة لبني ادم ويغرونهم
بها غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه يعني ما فعلوا الوسوسة التي
يلقونها الشياطين في قلوب بني ادم والمعنى ان الله تعالى لو شاء لمنع
الشياطين من القا الوسوسة الى الانس والجن ولكن الله يمتحن من
يشاء من عباده بما يعلم انه الاجزل له في الثواب اذا صبر على المحنة
فذرهم وما يفترون يعني فخلهم يا محمد وما زين لهم ابليس وغرهم به
من الكفر والمعاصي فاني من ورائهم قوله تعالى ولتصغى اليه
افئدة الذين لا يومنون بالاخرة قال ابن عباس ولتميل اليه واصل الصغو
في اللغة الميل يقال صغى الى كذا اماله اليه ويقال صغوت وصغيت
اصغى لغتان قال ابن الانباري اللام في ولتصغى متعلقة بفعل مضمر
معناه وفعلنا بهم ذلك لكي تصغى الى الباطل افئدة الذين لا يومنون
بالاخرة وقال غيره اللام متعلقة بيوحي تقديره يوحي بعضهم الى بعض
زخرف القول ليغروا بذلك ولتصغى اليه افئدة الذين لا يومنون بالاخرة
والضمير في اليه يرجع الى زخرف القول والمعنى ان قلوب الكفار تميل الى
زخرف القول وباطله وتحبه وترضاه به وهو قوله وليرضوه يعني يرضون
بذلك القول المزخرف الباطل وليقترفوا ما هم مقترفون يعني وليكتسبوا
من الاعمال الخبيثة ما هم مكتسبون قوله عز وجل افغير الله ابتغي
حكما اي قل يا محمد لهولاء المشركين افغير الله اطلب حكما قاضيا يقضي
بيني وبينكم وذلك انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل
بيننا وبينك حكما فامره الله تعالى ان يجيبهم بهذا الجواب والحكم والحاكم
واحد عند اهل اللغة غير ان بعض اهل المعاني قال الحكم اكمل من الحاكم
لان الحاكم من شانه ان يحكم والحكم اهل ان يتحاكم اليه وهو الذي لا يحكم
الا بالحق فالله حكم لا يحكم الا بالحق فلما انزل الله على محمد القران فقد
حكم له بالنبوة وهو قوله تعالى وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا
يعني مبينا فيه امره ونهيه ووعده ووعيده وفيه الحكم بيني وبينكم
والذين اتيناهم الكتاب يعني علما اليهود والنصارى يعلمون انه
منزل من ربك بالحق يعني يشهدون ان هذا القران منزل من عند
الله وذلك لما ثبت عندهم بالدلايل الدالة على ذلك وقيل المراد
بهم علما الصحابة ورؤساهم مثل ابي بكر وعمر وعثمان وعلي ونظرايهم
يعلمون ان هذا القران منزل من ربك بالحق فامنوا به وصدقوه
فلا تكونن من الممترين يعني فلا تكونن يا محمد من الشاكين ان علما اهل
الكتاب يعلمون ان هذا القران حق وانه منزل من عند الله وقيل معناه

فلا

فلا تكونن في شك مما قصصنا عليك انه حق وصدق فهو من باب التهييج
لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط وقيل الخطاب وان كان في الظاهر
للنبي صلى الله عليه وسلم الا ان المراد به غيره والمعنى فلا تكونن ايها
الانسان السامع لهذا القران في شك انه منزل من عند الله لما فيه من
الاعجاز الذي لا يقدر على مثله الا الله تبارك وتعالى قوله تعالى وتمت
كلمات ربك وقري كلمات ربك على الجمع فمن قرا على التوحيد قال
الكلمة قد يراد بها الكلمات الكثيرة اذا كانت مضبوطة بضابط واحد
كقولهم قال الشاعر في كلمته يعني في قصيدته فكذلك القران كلمة
واحدة لانه شيا واحدا في اعجاز النظم وكونه حقا وصدقا ومعجزا ومن قرا
بالجمع قال لان الله تعالى قال في سياق الاية ولا مبدل لكلماته فوجب الجمع
في اللفظ الاول اتباعا للثاني صدقا وعدلا يعني صدقا فيما وعد وعدلا
فيما حكم وقيل ان القران مشتمل على الاخبار والاحكام فهو صادق فيما
اخبر عن القرون الماضية والامم الخالية وعما هو كاين الى قيام الساعة
وفيما اخبر عن ثواب المطيع في الجنة وعذاب العاصي في النار وهو عدل فيما
حكم من الامر والنهي والحلال والحرام وساير الاحكام لا مبدل لكلماته
يعني لا مغير لقضاياه ولا راد لحكمه ولا خلف لمواعيده وقيل لما وصف
كلماته بالتمام في قوله وتمت كلمات ربك والتمام في كلام الله لا يقبل
النقص والتغيير والتبديل قال تعالى لا مبدل لكلماته لانها مصونة عن
التحريف والتغيير باقية الى يوم القيمة وفي قوله لا مبدل لكلماته دليل
على ان السعيد لا ينقلب شقيا ولا الشقي ينقلب سعيدا فالسعيد من
سعد في الازل والشقي من شقي في الازل واورد على هذا الكافر يكون
شقيا بكفره فيسلم فينقلب سعيدا باسلامه **واجيب**
عنه بان الاعتبار بالخاتمة فمن ختم له بالسعادة كان قد كتب سعيدا
في الازل ومن ختم له بالشقاوة كان شقيا في الازل والله اعلم وقوله تعالى
وهو السميع يعني لما يقوله العباد العليم يعني باحوالهم **قوله**
عز وجل وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله قال
المفسرون ان المشركين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين
في اكل الميتة وذلك انهم قالوا للمسلمين كيف تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون
ما قتل ربكم فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان تطع اكثر
من في الارض في اكل الميتة وكان الكفار يوميذ اكثر اهل الارض يضلوك
عن سبيل الله يعني يضلوك عن دين الله الذي شرعه لك وبعثك به
وقيل معناه لا تطعهم في معتقداتهم الباطلة فانك ان تطعهم يضلوك
عن سبيل الله يعني يضلوك عن طريق الحق ومنهج الصدق ثم اخبر

عن حال الكفار وما هم عليه فقال تعالى ان يتبعون الا الظن يعني
ان هولا الكفار الذين يجادلونك ما يتبعون في دينهم الذي هم عليه
الا الظن وليسوا على بصيرة وحق في دينهم وليسوا بقاطعين انهم على
حق لانهم اتبعوا اهواهم وتركوا التماس الصواب والحق واقتصروا
على اتباع الظن والجهل وان هم الا يخرصون يعني يكذبون واصل الخرص
الحزر والتخمين ومنه خرص النخلة اذا حزر كمية ثمرتها على الظن من غير
يقين وسمى الكذب خرصا لما يدخله من الظنون الكاذبة وقيل ان
كل قول مقول عن ظن وتخمين يقال له خرص لان قايله لم يقله عن
علم ويقين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد ان ربك هو اعلم منك
ومن جميع خلقه اى الناس يضل عن سبيله وهو ايضا اعلم بمن كان
على هدى واستقامة وسداد لا يخفى عليه شي من احوال خلقه فاخبر
تعالى انه اعلم بالفريقين الضال والمهتدي وانه يجازى كلا بما يستحق
قوله تعالى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه هذا جواب لقول المشركين
حيث قالوا للمسلمين اتاكلون مما قتلتم ولا تاكلون ما قتل ربكم فقال
الله تعالى للمسلمين فكلوا انتم مما ذكر اسم الله عليه من الذبايح ان كنتم
باياته مومنين وقيل كانوا يحرمون اصنافا من النعم ويحلون الميتة
فقيل احلوا ما احل الله وحرموا ما حرم الله فعلى هذا القول تكون
الاية خطابا للمشركين وعلى القول الاول تكون الاية خطابا للمسلمين
وهو الاصح لقوله في اخر الاية ان كنتم باياته مومنين وما لكم الا تاكلوا
مما ذكر اسم الله عليه يعني واى شي لكم من ان لا تاكلوا وما يمنعكم من ان
تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وهذا تاكيد في اباحة ما ذبح على اسم الله
دون غيره وقد فصل لكم ما حرم عليكم يعني وقد بينت لكم الحلال من
الحرام فيما تطعمون وقال جمهور المفسرين المراد بقوله وقد فصل لكم ما
حرم عليكم المحرمات المذكورة في قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم
الخنزير وما اهل لغير الله به واورد الامام فخر الدين الرازي ههنا اشكالا
فقال ان سورة الانعام مكية وسورة المايدة من اخر ما انزل الله تعالى
بالمدينة وقوله وقد فصل يجب ان يكون ذلك المفصل متقدما على
هذا المحل والمدنى متاخر عن المكى فيمتنع كونه متقدما ثم قال بل
الاولى ان يقال قوله تعالى بعد هذه الاية قل لا اجد فيما اوحى الى
محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير
وهذه الاية وان كانت مذكورة بعد هذه الاية بقليل الا ان هذا
القدر من التاخر لا يمنع ان يكون هو المراد قال كاتبه ولما ذكر المفسرون

وجه

وجه وهو ان الله لما علم ان سورة المايدة متقدمة على سورة الانعام
في الترتيب لا في النزول وحسن عود الضمير في قوله وقد فصل لكم ما حرم
عليكم الى ما هو متقدم في الترتيب وهو قوله حرمت عليكم الميتة الاية
والله اعلم بمراده وقوله تعالى الا ما اضطررتم اليه يعني الا ان تدعوكم
الضرورة الى اكله لسبب شدة المجاعة فيباح لكم ذلك عند الاضطرار
وان كثيرا ليضلون باهوايهم بغير علم يعني وان كثيرا من الذين يجادلونكم
في اكل الميتة ويحتجون عليكم في ذلك بقولهم اتاكلون ما تذبحون ولا
تاكلون ما يذبحه الله وانما قالوا هذه المقالة جهلا منهم بغير علم منهم
بصحة ما يقولون بل يتبعون اهواهم ليضلوا انفسهم بذلك وقيل المراد به
عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين لانه اول من بحر البحاير وسيب السوايب
واباح الميتة وغير دين ابراهيم عليه السلام ان ربك هو اعلم بالمعتدين
يعني ان ربك يا محمد هو اعلم بمن تعدى حدوده فاحل ما حرم الله وحرم ما
احل الله فهو يجازيهم على سوء صنيعهم قوله عز وجل وذروا ظاهر الاثم
وباطنه يعني وذروا ايها الناس ما يوجب الاثم وهي الذنوب والمعاصي
كلها سرها وعلانيتها قليلها وكثيرها قال الربيع بن انس نهى الله عن ظاهر
الاثم وباطنه ان يعمل به سرا وعلانية وقال سعيد بن جبير في هذه الاية
الظاهر منه قوله ولا تنكحوا ما نكح اباوكم من النسا الا ما قد سلف ونكاح
المحارم من الامهات والبنات والاخوات والباطن الزنا وقال السدي اما
الظاهر فالزواني في الحوانيت وهن اصحاب الرايات واما الباطن فالمراة يتخذها
الرجل صديقة فياتيها سرا وقال الضحاك كان اهل الجاهلية يستترون بالزنا
ويرون ان ذلك حلال الا ما كان سرا فحرم الله السر منه والعلانية وقال ابن
زيد ظاهر الاثم التجرد من الثياب والتعري في الطواف والباطن الزنا وقال
الكلبي ظاهر الاثم طواف الرجال بالبيت نهارا عراة وكان اهل الجاهلية يفعلون
ذلك الى ان جا الاسلام فنهى الله عن ذلك كله وقيل ان هذا النهى عام في
جميع المحرمات التي نهى الله عنها وهو الاصح لان تخصيص العام بصورة
معينة من غير دليل لا يجوز فعلى هذا القول يكون معنى الاية وذروا ما
اعلنتم به وما اسررتم من الذنوب كلها قال ابن الانباري وذروا الاثم
من جميع جهاته وقيل المراد بظاهر الاثم الاقدام على الذنوب من غير مبالاة
وباطنه ترك الذنوب لخوف الله عز وجل لا لخوف الناس وقيل المراد
بظاهر الاثم افعال الجوارح وباطنه افعال القلوب فيدخل في ذلك الحسد
والكبر والعجب وارادة السوء للمسلمين ونحو ذلك وقوله تعالى ان الذين
يكسبون الاثم يعني ان الذين يعملون بما نهاهم الله عنه ويرتكبون ما حرم
عليهم من المعاصي وغيرها سيجزون يعني في الاخرة بما كانوا يقترفون يعني

بما كانوا يكسبون في الدنيا من الاثام وظاهر هذا النص يدل على عقاب المذنب انه مخصوص بمن لم يتب لان المسلمين اجمعوا على انه اذا تاب العبد من الذنب توبة صحيحة لم يعاقب وزاد اهل السنة في ذلك فقالوا المذنب اذا لم يتب فهو في خطر المشية ان شا عاقبه وان شا عفى عنه بفضله وكرمه قوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال ابن عباس الاية في تحريم الميتات وما في معناها من المنخنقة وغيرها وقال عطا الاية في تحريم الذبايح التي كانوا يذبحونها على اسم الاصنام

فصل اختلف العلما في ذبيحة المسلم اذا لم يذكر اسم الله عليها فذهب قوم الى تحريمها سوا تركها عامدا او ناسيا وهو قول ابن سيرين والشعبي ونقله الامام فخر الدين عن مالك ونقل عن عطا انه قال كل ما لم يذكر اسم الله عليه من طعام او شراب فهو حرام • واحتجوا في ذلك بظاهر هذه الاية وقال الثوري وابو حنيفة ان ترك التسمية عامدا لا تحل وان تركها ناسيا حل • وقال الشافعي تحل الذبيحة سوا ترك التسمية عمدا او ناسيا ونقله البغوي عن ابن عباس ومالك ونقل ابن الجوزي عن احمد روايتين فيما اذا ترك التسمية عامدا وان تركها ناسيا حلت فمن اباح اكل الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها قال المراد من الاية الميتات وما ذبح على اسم اصنام بدليل انه قال تعالى في سياق الاية وانه لفسق واجمع العلما ان اكل ذبيحة المسلم التي ترك التسمية عليها لا يفسق • واحتجوا ايضا في اباحتها بما روى البخاري في صحيحه عن عايشة قالت قلت يا رسول الله ان هنا اقواما حديثا عهد بشرك ياتوننا بلحمان فما ندري يذكرون اسم الله عليها ام لا قال اذكروا انتم اسم الله وكلوا قالوا لو كانت التسمية شرطا للاباحة لكان الشك في وجودها مانعا من اكلها كالشك في اصل الذبح وقال الشافعي في اول الاية وان كان عاما بحسب الصيغة الا ان اخرها لما حصلت فيه هذه القيود الثلاثة وهي قوله تعالى وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليايهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون علمنا ان المراد من هذا العموم هو المخصوص والفسق ذكر اسم غير الله في الذبح كما قال في اخر السورة قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الى قوله او فسقا اهل لغير الله به مفسرا لقوله وانه لفسق واذا كان كذلك كان قوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق مخصوص بما اهل لغير الله به والله اعلم وقوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليايهم ليجادلوكم يعني ان الشياطين يوسوسون الى اوليايهم ليجادلوكم ويخاصموا محمدا صلى الله عليه وسلم

من المشركين حو

وذلك

وذلك ان المشركين قالوا يا محمد اخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا فتزعم ان ما قتلت انت واصحابك حلال وما قتله الكلب والصقر حلال وما قتله الله حرام فانزل الله عز وجل هذه الاية وقال عكرمة لما نزلت هذه الاية في تحريم الميتة كتبت فارس وهم المجوس الى مشركي قريش ان خاصموا محمدا وقولوا له ان ما ذبحت فهو حلال وما ذبحه الله فهو حرام فانزل الله وان الشياطين يعني مردة الانس وهم المجوس ليوحون الى اوليايهم يعني مشركي قريش وكان بين فارس والعرب موالاة ومكاتبة على الروم فعلى هذا يكون المراد بالوحي المكاتبة في خفية وان اطعتموهم يعني في اكل الميتة وما حرم الله عليكم انكم لمشركون يعني انكم اذا مثلهم في الشرك قال الزجاج فيه دليل على كل من احل شيا مما حرم الله او حرم شيا مما احل الله فهو مشرك وانما سمي مشركا لانه اثبت حاكما غير الله عز وجل ومن كان كذلك فهو مشرك **قوله عز وجل** اومن كان ميتا فاحييناه يعني او من كان ميتا بالكفر فاحييناه بالايمان وانما جعل الكفر موتا لانه جعل الايمان حياة لان الحي صاحب بصر يهتدي الى رشده ولما كان الايمان يهدي الى الفوز العظيم والحياة الابدية شبهه بالحياة وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يعني وجعلنا له نورا يستضي به في الناس ويهتدي به الى قصد السبيل قيل النور هو الاسلام لانه يخلص من ظلمات الكفر لقوله يخرجهم من الظلمات الى النور وقال قتادة هو كتاب الله القران لانه بينة من الله مع المومن بما يعمله كمن مثله في الظلمات يعني كمن هو في ظلمة الكفر وظلمة الجهالة وظلمة عمى البصيرة ليس بخارج منها يعني من تلك الظلمات وهذا مثل ضربه الله تعالى لحال المومن والكافر فبين ان المومن المهتدي بمنزلة من كان ميتا فاحياه واعطاه نورا يهتدي به في مصالحه وان الكافر بمنزلة من هو في الظلمات منغمس فيها ليس بخارج منها فيكون متحيرا على الدوام ثم اختلف المفسرون في هذين المثلين هل هما مخصوصان بانسانين معينين او هما عامان في كل مومن وكافر فذكروا في ذلك قولين احدهما ان الاية في رجل معينين ثم اختلفوا فيهما فقال ابن عباس في قوله وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يريد حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم كمن مثله في الظلمات يريد ابا جهل ابن هشام وذلك ان ابا جهل رمى النبي صلى الله عليه وسلم بفرث فاخبر حمزة بما فعل ابو جهل وكان حمزة قد رجع من صيد وبيده قوس وحمزة لم يومن بعد فاقبل حمزة غضبان حتى علا ابا جهل وجعل يضربه بالقوس وجعل ابو جهل يتضرع الى حمزة ويقول يا ابا يعلى اما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب الهتنا

وخالف اباءنا فقال حمزة ومن اسفه منكم عقولا تعبدون الحجارة من
دون الله اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فاسلم حمزة
يومئذ فانزل الله هذه الاية وقال الضحاك نزلت في عمر بن الخطاب
وابي جهل • وقال عكرمة والكلبي نزلت في عمار بن ياسر وابي جهل •
وقال مقاتل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل وذلك
ان ابا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا نحن
وهم كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن الا ان يأتينا
وحي كما يأتيه فنزلت هذه الاية • والقول الثاني وهو قول الحسن
في اخرين ان هذه الاية عامة في كل مؤمن وكافر وهذا هو الصحيح
لان المعنى اذا كان حاصلا في الكل دخل فيه كل احد وقوله تعالى كذلك
زين للكافرين ما كانوا يعملون قال اهل السنة المزين هو الله تعالى
ويدل عليه قوله زينا لهم اعمالهم ولان حصول الفعل يتوقف على
حصول الدواعي وحصوله لا يكون الا بخلق الله تعالى فدل بذلك
على ان المزين هو الله تعالى وقالت المعتزلة المزين هو الشياطين
ويرده ما تقدم وقوله تعالى وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها
يعني وكما جعلنا في مكة اكابر وعظماء جعلنا في كل قرية اكابر وعظماء وقيل
هو معطوف على ما قبله ومعناه كما زينا للكافرين ما كانوا يعملون
كذلك جعلنا في كل قرية اكابر جمع الاكبر ولا يجوز ان يكون مضافا
لانه لا يتم المعنى بل في الاية تقديم وتاخير تقديره وكذلك جعلنا في
كل قرية اكابر مجرميها اكابر وانما جعل المجرمين اكابر لانهم اقدر على
المكر والغدر وترويج الباطل بين الناس من غيرهم وانما حصل ذلك
لاجل رياستهم وذلك سنة الله انه جعل في كل قرية اتباع الرسل
ضعفاءهم وجعل فساقهم اكابرهم ليمكروا فيها قال ابو عبيدة المكر
الخديعة والحيلة والغدر والفجور وزاد بعضهم والغيبة والنميمة
والايمان الكاذبة وترويج الباطل قال ابن عباس معناه ليقولوا فيها
الكذب وقال مجاهد جلس على كل طريق من طرق مكة اربعة نفر
ليصرفوا الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقولون هو كذاب
ساحر كاهن فكان هذا مكرهم وما يمكرون الا بانفسهم يعني ما يحيق هذا
المكر الا بهم لان وبال مكرهم يعود عليهم وما يشعرون يعني ان وبال
ذلك المكر يعود عليهم ويضرهم قوله عز وجل واذا جاءتهم اية قالوا
لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني من النبوة وذلك ان
الوليد بن المغيرة قال للنبي صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا
لكنت انا اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا فانزل الله

هذه

هذه الاية وقال مقاتل نزلت في ابي جهل وذلك انه قال زاحمنا بنو عبد
مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله
لا نؤمن به ولا نتبعه ابدا الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فانزل الله هذه
الاية واذا جاءتهم يعني حجة بينة ودلالة واضحة على صدق محمد صلى
الله عليه وسلم قالوا يعني الوليد بن المغيرة وابا جهل بن هشام او كل
واحد من رؤساء الكفر ويدل عليه الاية التي قبلها وهي قوله وكذلك
جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها فكان من مكر كفار قريش
ان قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني من النبوة وانما
قالوا هذه المقالة الخبيثة حسدا منهم للنبي صلى الله عليه وسلم وفي
قولهم لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله قولان • احدهما وهو
المشهور ان القوم ارادوا ان تحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت
للنبي صلى الله عليه وسلم وان يكونوا متبوعين لا تابعين • والقول
الثاني وهو قول الحسن ومنقول عن ابن عباس ان المعنى واذا جاءتهم
اية من القران تامرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن
لك يعني لن نصدقك حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني حتى يوحى
الينا ويأتينا جبريل يصدقك بانك رسول الله فعلى هذا القول لم يطلبوا
النبوة وانما طلبوا ان تخبرهم الملائكة بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وانه
رسول من الله وعلى القول الاول انهم طلبوا ان يكونوا انبياء ويدل على
صحة هذا القول سياق الاية وهو قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل
رسالاته يعني ان الله تعالى يعلم من يستحق الرسالة فيشرفه بها ويعلم من لا
يستحقها ومن ليس لها باهل وانتم لستم لها باهل ولان النبوة لا تحصل لمن
يطلبها خصوصا لمن عنده حسد ومكر وغدر وقال اهل المعاني الابلغ في
تصديق الرسل الا ان يكونوا قبل البعثة مطاعين في قومهم لان الطعن
كان يتوجه عليهم فيقال انما كانوا رؤساء مطاعين فاتبعهم قومهم
لاجل ذلك فكان الله اعلم بمن يستحق الرسالة فجعلها ليتيم ابي طالب
دون ابي جهل والوليد وغيرهما من اكابر قريش ورؤسائها وقوله تعالى
سيصيب الذين اجرموا صغار اي ذلة وهوان وقيل الصغار هو الذل
تصغر الى المرء نفسه فيه عند الله يعني هذا من عند الله وقيل معناه
ان هذا الصغار ثابت لهم عند الله فعلى هذا القول انما يحصل لهم الصغار
في الاخرة وقيل معناه سيصيبهم صغار بحكم الله حكم به عليهم في الدنيا
وعذاب شديد يعني في الاخرة بما كانوا يمكرون يعني انه حصل لهم هذا
الصغار والعذاب بسبب مكرهم وحسدهم وطلبهم ما لا يستحقون قوله
تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام والايمان يقال

شرح الله صدره وانشرح اى وسعه لقبول الايمان والخير فوسع وذلك
ان الانسان اذا اعتقد في عمل من الاعمال ان نفعه زايد وخيره راجح وربحه
ظاهر مال بطبعه اليه وقويت رغبته فيه فتسمى هذه الحالة سعة
النفس وانشراح الصدر وقيل الشرح الفتح والبيان يقال شرح
فلان امره اذا اوضحه واظهره وشرح المسالة اذا كانت مشكلة واوضحها
وبينها فقد ثبت ان للشرح معنيين احدهما الفتح ومنه يقال شرح
الكافر بالكفر صدرا اى فتحه لقبوله ومنه قوله تعالى ولكن من شرح
بالكفر صدرا • وقوله افمن شرح الله صدره للاسلام يعني فتحه ووسعه
لقبوله والثاني ان الشرح نور يقذفه الله تعالى في قلب العبد فيعرف
بذلك النور الحق فيقبله وينشرح صدره له • ومعنى الاية فمن يرد
الله ان يهديه للايمان بالله ورسوله وبما جا به من عنده يوفقه له
ويشرح صدره لقبوله ويهون عليه ويسهله له بفضله وكرمه ولطفه
به واحسانه اليه فعند ذلك يستنير الاسلام في قلبه فيضي به
ويتسع له صدره • ولما نزلت هذه الاية سيل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن شرح الصدر فقال نور يقذفه الله في قلب المومن
فينشرح له وينفسح قيل فهل لذلك امارة قال نعم الانابة الى دار الخلود
والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت واسنده
الطبري عن ابن مسعود قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين
نزلت عليه هذه الاية فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام
قال اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا فهل لذلك من اية يعرف
بها قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت
قبل لقى الموت وقوله تعالى **ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا**
يعني يجعل صدره ضيقا حتى لا يدخله الايمان وقال الكلبي ليس للخير
فيه منفذ وقال ابن عباس اذا سمع ذكر الله اشماز قلبه واذا سمع ذكر
الاصنام ارتاح لذلك وقرا عمر بن الخطاب هذه الاية وعنده اعرابي
من كنانة فقال له ما الحرجة فيكم قال الحرجة فينا الشجرة تكون بين
الاشجار التي لا تصل اليها راعية ولا وحشية ولا شي فقال عمر كذلك قلب
المنافق لا يصل اليه شي من الخير واصل الحرج الضيق وهو ماخوذ من
الحرجة وهي الاشجار الملتف بعضها على بعض حتى لا يصل اليها شي وقرا
ابن عباس هذه الاية فقال هل هنا احد من بني بكر قال رجل نعم قال
ما الحرجة فيكم قال الوادي الكثير الشجر المستمسك الذي لا طريق فيه
فقال ابن عباس كذلك قلب الكافر قال اهل المعاني لما كان القلب
محلا للعلوم والاعتقادات وصف الله تعالى قلب من يريد هدايته ٥

بالانشراح والانفساح ونوره فيقبل ما اودعه من الايمان بالله ورسوله
ووصف قلب من يريد ضلالته بالضيق الذي هو خلاف الشرح
والانفساح فدل ذلك على ان الله تعالى صير قلب الكافر بحيث لا يعي
علما ولا استدلالا على توحيد الله تعالى والايمان به وفي الاية دليل
على ان جميع الاشيا بمشية الله وارادته حتى ايمان المومن وكفر الكافر
وقوله تعالى **كانما يصعد في السما** يعني ان الكافر اذا دعي الى الاسلام
كانه قد كلف ان يصعد الى السما ولا يقدر على ذلك وقيل يجوز ان يكون
المعنى كان قلب الكافر يصعد الى السما نبوا عن الاسلام وتكبرا • وقيل
ضاق عليه المذهب فلم يجد الا ان يصعد الى السما فليس يقدر على ذلك
وقيل هو من المشقة وصعوبة الامر فيكون المعنى ان الكافر اذا دعي
الى الاسلام فانه يتكلف مشقة وصعوبة في ذلك كما يتكلف الصعود
الى السما وليس يقدر على ذلك **كذلك يجعل الله الرجس على الذين**
لا يومنون الكاف في كذلك تفيد التشبيه وفيه وجهان الاول
معناه ان جعله الرجس عليهم كجعله صدورهم ضيقة حرجة والمعنى
كما جعلنا صدورهم ضيقة حرجة كذلك يجعل الله الرجس عليهم الوجه
الثاني قال الزجاج اي مثل ما قصصنا عليك كذلك يجعل الله الرجس
قال ابن عباس الرجس الشيطان اى يسلطه الله عليهم وقال مجاهد
الرجس ما لا خير فيه • وفي رواية عن ابن عباس الرجس العذاب •
وقال الزجاج الرجس في الدنيا اللعنة وفي الاخرة العذاب **قوله**
عز وجل **وهذا صراط ربك مستقيما** يعني وهذا الذي بيناه لك يا محمد في
هذه السورة وغيرها من سور القران هو صراط ربك يعني دينه الذي
شرعه لعباده ورضيه وجعله مستقيما يعني الاسلام وقال ابن مسعود
يعني القران لانه يودي من تبعه وعمل به الى صراط الاستقامة والسداد
قد فصلنا الايات يعني قد فصلنا ايات القران بالوعد والوعيد
والثواب والعقاب والحلال والحرام والامر والنهي وغير ذلك من احكام
القران **لقوم يذكرون** يعني لمن يتذكرها ويتعظ بما فيها من المواعظ
والعبر قال عطا يعني اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعه
باحسان **لهم دار السلام عند ربهم** يعني الجنة في قول جميع المفسرين
قال الحسن والسدي السلام هو الله تعالى وداره الجنة ومعنى السلام
في اسما الله تعالى ذي السلام وهي جمع سلامة لانه تعالى ذو السلامة
من جميع الافات والنقايص فعلى هذا القول اضيفت الدار الى السلام
الذي هو اسم الله تعالى اضافة تشريف وتعظيم كما قيل للكعبة بيت
الله وللنبي صلى الله عليه وسلم عبد الله في قوله وانه لما قام عبد الله

يدعوه واحتج لصحة هذا ان اضافة الدار الى الله تعالى في نهاية تشريفها وتعظيمها فكان ذكر الاضافة مبالغة في تعظيم امرها وقيل السلام صفة للدار لانها دار السلامة الدايمة التي لا تنقطع فعلى هذا يكون السلام بمعنى السلامة كانهم قال لهم دار السلام التي لا يلقون فيها شيا يكرهونه وقيل سميت بذلك لان جميع حالاتها مقرونة بالسلام كما قال تعالى في وصفها ادخلوها بسلام امنين والملايكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال تحيتهم فيها سلام وقال سلام قولا من رب رحيم لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وقوله عند ربهم يعني ان الجنة مهيئة معدة لهم عند ربهم حتى يوصلهم اليها **وهو وليهم بما كانوا يعملون** يعني انه تعالى يتولى امرهم وايصال المنافع اليهم ويدفع المضار عنهم وقيل معناه انه يتولهم في الدنيا بالتوفيق له والهداية وفي الاخرة بالجزا والجنة وقيل الولي هو الناصر والقريب يعني انه تعالى ينصرهم في الدنيا ويقربهم في الاخرة بسبب اعمالهم الصالحة التي كانوا يتقربون بها اليه في الدنيا فقوله تعالى **ويوم نحشرهم جميعا** اي اذكر يا محمد يوم نحشر المعادلين بالله الاصنام مع اوليايهم من الشياطين يعني نحشر المشركين والشياطين جميعا في يوم القيمة **يا معشر الجن** فيه حذف تقديره يقول لهم يا معشر الجن والمعشر الجماعة والمراد من الجن الشياطين **قد استكثرتم من الانس** يعني من اضلالهم واغوايهم وقال ابن عباس معناه اضللتم كثيرا من الانس وهذا التفسير لا بد له من تاويل اخر لان الجن لا يقدرون على اضلال الانس واغوايهم بانفسهم لانه لا يقدر على الاجبار احد الى الله لانه هو المتصرف في خلقه بما شا فوجب ان يكون المعنى قد استكثرتم من الدعا الى الاضلال مع مصادفة القبول من الانس **وقال اولياوهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض** يعني استمتع الجن بالانس والانس بالجن فاما استمتاع الانس بالجن فقال الكلبي كان الرجل في الجاهلية اذا سافر فنزل بارض قفر خاف على نفسه من الجن قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في جوارهم • واما استمتاع الجن بالانس فهو انهم قالوا سيدنا مع الجن حتى عاذوا بنا فيزدادون بذلك شرفا في قومهم وعظما في انفسهم وقيل استمتاع الانس بالجن هو ما كانوا يلقون اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم الامور التي كانوا يهوونها وتسهيل سبلها عليهم واستمتاع الجن بالانس طاعة الانس للجن فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي • وقيل استمتاع الانس بالجن فيما كانوا يدلونهم على انواع الشهوات واصناف

الطيبات ويسهلونها عليهم واستمتاع الجن بالانس هي طاعة الانس للجن فيما يامرونهم به وينقادون لحكمهم فصاروا كالروسا للانس والانس كالاتباع • وقيل ان قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض هو من كلام الانس خاصة لان استمتاع الانس بعضهم ببعض الجن بالانس وبالعكس امر نادر لا يكاد يظهر اما استمتاع الانس بعضهم ببعض فهو ظاهر فوجب حمل الكلام عليه **وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا** يعني ان ذلك الاستمتاع كان الى اجل معين ووقت محدود ثم ذهب وبقيت الحسرة والندامة قال الحسن والسدي الاجل الموت وقيل هو وقت البعث للحساب في يوم القيمة **قال** يعني قال الله لهولا الذين استمتع بعضهم ببعض من الجن والانس **النار مثواكم** يعني ان النار مقامكم ومقركم فيها ومصيركم اليها **خالدين فيها** يعني مقيمين في نار جهنم ابدا **الا ما شا الله** اختلفوا في معنى هذا الاستثنا فقيل معناه خالدين فيها الا قدر مدة بعثهم ووقوفهم للحساب الى حين دخولهم الى النار فان هذا الوقت ليسوا بخالدين فيه في النار وقيل المراد من هذا الاستثنا هو اوقات تنقلهم من عذاب الى عذاب اخر وذلك انهم يستغيثون من النار فينقلون الى الزمهرير ثم يستغيثون منه فينقلون الى النار فكان مدة تنقلهم هو المراد من هذا الاستثنا ونقل جمهور المفسرين عن ابن عباس انه قال ان هذا الاستثنا يرجع الى قوم سبق فيهم علم الله انهم يسلمون ويصدقون النبي صلى الله عليه وسلم فيخرجون من النار قالوا فعلى هذا التاويل يكون ما في قوله الا ما شا الله بمعنى من يعني الا من شا الله ونقل الطبري عن ابن عباس انه كان يتاول هذا الاستثنا ان الله عز وجل جعل امر هولا القوم في مبلغ عذابهم الى مشيته وقال في هذه الاية انه لا ينبغي لاحد ان يحكم على الله في خلقه لا ينزلهم جنة ولا نارا وقال الزجاج والقول الاول اولى لان معنى الاستثنا انما هو من يوم القيمة لان قوله ويوم نحشرهم جميعا هو يوم القيمة ثم قال خالدين فيها منذ يبعثون الا ما شا الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدة محاسبتهم **ان ربك حكيم** يعني في تدبير خلقه وتصريفه اياهم في مشيته من حال الى حال وغير ذلك من افعاله وقيل حكيم فيما يفعله من ثواب الطايع وعقاب العاصي في ساير وجوه المجازاة **عليم** يعني بعواقب امور خلقه وما اليه صايرون كانه قال انما حكمت لهولا الكفار بالخلود في النار لعلمي بانهم يستحقون ذلك قوله عز وجل **وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا** الكاف في ذلك كاف التشبيه يقتضي شيا تقدم ذكره فالتقدير كما انزلت العذاب بالجن والانس الذي استمتع بعضهم

ببعض كذلك نولي بعض الظالمين بعضا اي نسلط بعضهم على بعض فياخذ من الظالم بالظالم كما جاء في الاثر من اعان ظالما سلطه الله عليه
وقال قتادة نجعل بعضهم اولياء بعض فالمومن ولي المومن حيث كان واين كان والكافر ولي الكافر حيث كان واين كان وفي رواية اخرى عن قتادة قال يتبع بعضهم بعضا في النار من الموالاة وقيل معناه نولي ظلمة الانس ظلمة الجن وظلمة الجن ظلمة الانس يعني نكل بعضهم الى بعض
وقال ابن عباس في تفسير هذه الاية هو ان الله تعالى اذا اراد بقوم خيرا ولى عليهم خيارهم واذا اراد بقوم شرا ولى عليهم شرارهم فعلى هذا القول ان الرعية متى كانوا ظالمين سلط الله عز وجل عليهم ظالما مثلهم فمتى ارادوا ان يتخلصوا من ظلم ذلك الظالم فليتركوا الظلم وقوله تعالى **بما كانوا يكسبون** يعني نسلط عليهم من يظلمهم بسبب اعمالهم الخبيثة التي اكتسبوها قوله تعالى **يا معشر الجن والانس** المعشر كل جماعة امرهم واحد والجمع المعاشر **الم ياتكم رسل منكم** اختلف العلماء في معنى هذه الاية وهل كان من الجن رسول ام لا فذهب اكثر العلماء الى انه لم يكن من الجن رسول وانما كانت الرسل من الانس واجابوا عن قوله رسلا منكم يعني من احدكم وهم الانس فحذف المضاف فهو كقوله تعالى يخرج منهما اللولو والمرجان وانما يخرج من احدهما وهو الملح دون العذب وانما جاز ذلك لان ذكرهما قد جمع في قوله مرج البحرين وهذا جار في كل ما اتفق في اصله فكذلك لما اتفق في ذكر الجن مع الانس جاز مخاطبتهما بما ينصرف الى احد الفريقين وهم الانس وهذا قول الفراء والزجاج ومذهب جمهور اهل العلم قاله الواحدي وعليه دل كلام ابن عباس لانه يريد انبياء من جنسهم ولم يكن من جنس الجن انبياء وذهب قوم الى انه ارسل الى الجن رسلا منهم كما ارسل الى الانس رسلا منهم قال الضحاك ومن الجن رسل كما من الانس رسل وظاهر الاية يدل على ذلك لانه تعالى قال الم ياتكم رسل منكم فخاطب الفريقين جميعا واجيب عن ذلك بان الله عز وجل قال يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم وهذا يقتضي كون الرسل بعضا من ابعاض هذا المجموع واذا كان الرسل من الانس كان الرسل بعضا من ابعاض هذا المجموع وكان هذا القول اولى من حمل لفظ الاية على ظاهرها فثبت بذلك كون الرسل من الانس لا من الجن ويحتمل ايضا ان يقال ان كافة الرسل كانوا من الانس لكن الله تعالى يلقي الداعية في قلوب قوم من الجن حتى يسمعوا كلام الرسل من الانس ثم ياتوا قومهم من الجن فيخبروهم بما سمعوا من الرسل وينذرونهم به كما قال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران فلما قضي

ولوا

ولوا الى قومهم منذرين فكان اوليك النفر من الجن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومهم وهذا احد مذهب مجاهد فانه قال الرسل من الانس والنذر من الجن ونحو ذلك قال ابن جريج وابو عبيدة وقيل كانت الرسل يبعثون الى الجن من الجن ولكن بواسطة رسل الانس والله اعلم بمراده واسرار كتابه وقوله تعالى **يقصون عليكم اياتي** يعني يخبرونكم بما اوحي اليهم من اياتي الدالة على توحيدي وتصديق رسلي **وينذرونكم لقاء يومكم هذا** يعني ويحذرونكم ويخوفونكم وينذرونكم لقاء عذابي في يومكم هذا وهو يوم القيمة وذلك ان الله تعالى يقول يوم القيمة لكفار الجن والانس على سبيل التقريع والتوبيخ ما اخبر في كتابه وهو قوله يا معشر الجن والانس الاية فيجيبوه بما اخبر عنهم في قوله تعالى **قالوا** يعني كفار الجن والانس **شهدنا على انفسنا** اعترفوا بان الرسل قد اتتهم وبلغتهم رسالات ربهم وانذرتهم لقاء يومهم هذا وانهم كذبوا الرسل ولم يومنوا بهم وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال الله تعالى **وغرتهم الحياة الدنيا** يعني انما كان ذلك بسبب انهم غرتهم الحياة الدنيا ومالوا اليها **وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين** يعني في الدنيا فان **قلت** كيف اقروا على انفسهم بالكفر في هذه الاية وجحدوا الشرك والكفر في قوله والله ربنا ما كنا مشركين **قلت** يوم القيمة يوم طويل والاحوال مختلفة فاذا راوا ما حصل للمومنين من الخير والفضل والكرامة انكروا الشرك لعل ذلك الانكار ينفعهم قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فحينئذ يختم على افواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر فذلك قوله وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين فان قلت لم كرر شهادتهم على انفسهم **قلت** شهادتهم الاولى الاعتراف منهم بما كانوا عليه في الدنيا من الشرك والكفر وتكذيب الرسل وفي قوله وشهدوا على انفسهم ذم لهم وتخطئة لرايهم ووصف لقلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرتهم الحياة الدنيا ولذاتها فكان عاقبة امرهم انهم اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والمقصود من شرح حالهم تحذير السامعين وزجر لهم عن الكفر والمعاصي قوله عز وجل **ذلك** اشارة الى ما تقدم ذكره من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وقال الزجاج معناه ذلك الذي قصصنا عليك من امر الرسل وامر عذاب من كذبهم **ان لم يكن ربك** يعني لانه لم يكن ربك **مهلك القرى بظلم واهلها غافلون** قال الكلبي معناه لم يكن ليهلكهم بذنوبهم من قبل ان تاتيهم الرسل فتنهاهم فان رجعوا والا اتاهم العذاب وهذا قول جمهور المفسرين قال الفراء يجوز ان يكون المعنى لم يكن ليهلكهم بظلم منه

وهم غافلون فعلى قول الجمهور يكون الظلم فعلا للكفار وهو شركهم وذنوبهم التي عملوها وعلى قول الفرا انه لو اهلكهم قبل بعثة الرسل لكان ظالما والله عز وجل يتعالى عن الظلم والقول الاول اصح لانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه في شي من افعاله غير انه لا يعذب قبل بعثة الرسل ولو فعل ذلك لم يكن ظالما منه قوله تعالى **ولكل درجات مما عملوا** يعني ولكل عامل بطاعة الله او بمعصيته درجات يعني منازل يبلغها بعمله ان كان خيرا فخيرا وان كان شرا فشرا وانما سميت درجات لتفاضلها في الارتفاع والانحطاط كتفاضل الدرجات وهذا انما يكون في الثواب والعقاب على قدر اعمالهم في الدنيا فمنهم من هو اعظم ثوابا ومنهم من هو اشد عقابا وهذا قول جمهور المفسرين وقيل ان قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا مختص باهل الطاعة لان لفظ الدرجة لا يليق الا بهم وقوله تعالى **وما ربك بغافل عما يعملون** مختص باهل الكفر والمعاصي ففيه وعيد وتهديد لهم والقول الاول اصح لان علمه تعالى شامل لكل المعلومات فيدخل فيه المومن والكافر والطايع والعاصي وانه عالم باعمالهم على التفصيل التام فيجزي كل عامل على قدر عمله ثم بين ان تخصيص المطيعين بالثواب والعاصين بالعقاب ليس لانه يحتاج الى طاعة المطيع او ينتقص بمعصية العاصي بل هو الغني على الاطلاق وان جميع الخلق مفتقر اليه **ذو الرحمة** قال ابن عباس باوليايه واهل طاعته وقال الكلبي بخلقه والتجاوز عنهم فمن رحمته تاخير العذاب عن المذنبين لعلهم يتوبون ويرجعون **ان يشا يذهبكم** يعني يهلككم الخطاب لاهل مكة ففيه وعيد وتهديد لهم **ويستخلف** يعني وينشي ويخلق **من بعدكم ما يشا** من بعد اهلاككم ما يشا يعني خلقا غيركم امثل واطوع منكم **كما انشاكم من ذرية قوم اخرين** اختلفت عبارات المفسرين في هذه اللفظة فقال البغوي يعني ابا الاولين الماضين قرنا بعد قرن ونحوه قال الواحدي وصاحب الكشاف يعني من اولاد قوم اخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام وقال الامام فخر الدين الرازي في قوله ويستخلف من بعدكم يعني من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الا على طريق البدل من فايت واما قوله ما يشا فالمراد منه خلق ثالث ورابع واختلفوا فقال بعضهم خلقا اخر من امثال الجن والانس قال القاضي وهذا الوجه اقرب لان القوم يعلمون بالعادة انه تعالى قادر على انشا امثال هذا الخلق فمتى كمل خلق ثالث ورابع يكون اقوى في دلالة القدرة فكانه تعالى نبه على ان قدرته ليست مقصورة على جنس دون جنس من الخلق الذين يصلحون لرحمته العظيمة

وعا يليق به من ثواب وعقاب قوله عز وجل **وربك الغني** يعني عن خلقه وذلك انه تعالى لما بين ان لكل عامل جزاء او معصية درجة على قدر عمله

التي هي الثواب فبين بهذا الطريق انه تعالى لرحمته لهولاء الاقوام الحاضرين ابقاهم وامهلهم ولو شا لاماتهم وافناهم وابدل منهم سواهم ثم بين تعالى قدرته على ذلك فقال كما انشاكم من ذرية قوم اخرين لان المراد تفكر علم انه تعالى خلق الانسان من نطفة ليس فيها من صورته قليل قليل ولا كثير فوجب ان يكون ذلك لمحض القدرة والحكمة واذا كان كذلك فكما قدر على تصوير هذه الاجسام بهذه الخاصة فكذلك يقدر على تصويرهم خلقا اخر مخالفا لها هذا اخر كلامه وقال الطبري في قوله كما انشاكم من ذرية قوم اخرين يقول كما احدثكم وابتدعكم من بعد خلق اخرين كانوا قبلكم ومعنى من في هذا الموضع التعقيب كما يقال في الكلام اعطيتك من دينارك ثوبا بمعنى مكان دينار ثوبا لان الثوب من الدينار بعض كذلك الذين خوطبوا بقوله كما انشاكم لم يرد باخبار هذا الخبر انهم انشوا من اصلاب قوم اخرين ولكن معنى ذلك ما ذكرنا انهم انشوا مكان قوم اخرين قد هلكوا قبلهم قوله تعالى **انما توعدون لات** يعني ما توعدون به من مجي الساعة والبعث بعد الموت والحشر للحساب يوم القيمة لآت يعني انه كاين قريب **وما انتم بمعجزين** يعني بفايتين حيث ما كنتم يدرككم الموت قوله عز وجل **قل** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد **يا قوم** اي قل لقومك من كفار قريش **اعملوا على مكانتكم** وقري مكاناتكم على الجمع والمكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة كما يقال مقام ومقامة فقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل ان يكون معناه اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانه ويحتمل ان يكون معناه اعملوا على حالتكم التي انتم عليها كما يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حالة مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه لا تتغير عنه وقال ابن عباس معناه اعملوا على ناحيتكم **اني عامل** يعني اني عامل على مكانتي التي انا عليها وما امرني به ربي والمعنى اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر والعداوة فاني ثابت على الاسلام والمصابرة فان قلت ظاهر هذه الاية يدل على امر الكفار بالاقامة على ما هم عليه من الكفر وذلك لا يجوز قلت معنى هذا الامر الوعيد والتهديد والمبالغة في الزجر على ما هم عليه من الكفر فكانه قال اقيموا على ما انتم عليه من الكفران رضيتم لانفسكم بالعذاب الدايم فهو كقوله تعالى اعملوا ما شيتم ففيه تفويض امر العمل اليهم على سبيل الزجر والتهديد وليس اطلاق لهم في عمل ما ارادوه من الكفر والمعاصي وقوله تعالى **فسوف تعلمون** يعني لمن تكون العاقبة المحمودة لنا او لكم وقيل معناه فسوف تعلمون

عند نزول العذاب بكم ايناكان على الحق فى عمله نحن ام انتم من تكون
له عاقبة الدار يعنى فسوف تعلمون غدا فى يوم القيمة لمن تكون عاقبة
الدار وهى الجنة انه لا يفلح الظالمون قال ابن عباس معناه انه لا
يسعد من كفر بى واشرك ثم فى هذه الاية قولان احدهما انها محكمة وهذا
على قول من يقول ان المراد بقوله اعملوا على مكانتكم الوعيد والتهديد
والقول الثانى انها منسوخة باية السيف وهذا على قول من يقول
ان المراد بهذه الاية ترك القتال قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرا من الحرث
والانعام نصيبا الاية لما بين الله عز وجل قبح طريقة الكفار وما
كانوا عليه من انكار البعث وغير ذلك عقبه بذكر انواع من جهالاتهم
واحكامهم الفاسدة تنبيها على ضعف عقولهم وفساد ما كانوا عليه
فى الجاهلية فقال تعالى وجعلوا لله مما ذراء يعنى مما خلق من الحرث
يعنى الزرع والثمر والانعام يعنى ومن الانعام وهى الابل والبقر والغنم
والنعم نصيبا يعنى قسما وجزا قال المفسرون كانوا لحالكان المشركون فى
الجاهلية يجعلون لله من حروثهم وثمارهم وانعامهم وساير اموالهم
نصيبا فما جعلوه من ذلك لله صرفوه الى الضيفان والمساكين وما جعلوه
للاصنام انفقوه عليها وعلى خدمتها فان سقط شى مما جعلوه لله فى نصيب
الاوثان تركوه وقالوا ان الله غنى عن هذا وان سقط شى من نصيب
الاوثان فيما جعلوه لله ردوه الى الاوثان وقالوا انها محتاجة اليه
وكانوا اذا هلك شى مما جعلوه لله لم يبالوا به واذا انتقص شى مما
جعلوه للاوثان جبروه بما جعلوه لله فذلك قوله وجعلوا لله مما ذراء
من الحرث والانعام نصيبا وللاصنام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم
يعنى قولهم الذي غير حقيقة لان معنى زعم حكاية قول يكون مظنة الكذب
ولذلك لا يجى الا فى موضع ذم القايل وانما نسبوا الى الكذب فى قولهم هذا
لله بزعمهم وان كانت الاشيا كلها لله لان افرازهم نصيب الاصنام مع نصيب
الله وهذا لشركائنا يعنى الاصنام وانما سموا الاصنام شركا لانهم
جعلوا لها نصيبا من اموالهم ينفقونه عليها فما كان لشركائهم يعنى
ما جعلوه لها من الحرث والانعام فلا يصل الى الله يعنى فلا يعطونه
المساكين ولا ينفقونه على الضيفان وما كان لله فهو يصل الى شركائهم
والمعنى انهم كانوا يفرون ما جعلوه للاصنام مما جعلوه لله ولا يفرون
ما جعلوه لله مما جعلوه للاصنام وقال قتادة كانوا اذا اصابتهم سنة
اى قحط وشدة استعانوا بما جعلوه لله واكلوا منه ووفروا ما جعلوه لشركائهم
ولم ياكلوا منه شيا وقال السدى والحسن كانوا اذا اهلك ما جعلوه لشركائهم
اخذوا بدله مما جعلوه لله ولا يفعلون ذلك فيما جعلوه لشركائهم فلذلك

دينهم

دينهم فقال تعالى ساء ما يحكمون يعنى بيس ما يحكمون ويقضون وذلك
انهم رجحوا جانب الاصنام على جانب الله فى الرعاية والحفظ وهذا سفه
منهم وقيل ان الاشيا كلها لله عز وجل وهو خلقها فلما جعلوا للاصنام جزا
من المال وهى لا تملك ولا تخلق ولا تضر ولا تنفع نسبوا الى الاساءة فى الحكم
والمقصود من ذلك بيان ما كانوا عليه فى الجاهلية من هذه الاحكام
الفاسدة التى لم يرد بها شرع ولا نص ولا يحسنها عقل قوله عز وجل
وكذلك عطف على قوله وجعلوا لله مما ذراء من الحرث والانعام نصيبا
يعنى كما فعلوا جهلا منهم كذلك زين لكثير منهم قتل اولادهم شركاؤهم والمعنى
ان جعلهم لله نصيبا من اموالهم ولشركائهم نصيبا وذلك فى غاية
الجهل بمعرفة الخالق المنعم لانهم جعلوا الاصنام مثله فى استحقاق
النصيب وكذلك اقدامهم على قتل اولادهم فى نهاية الجهالة
ايضا فكانه قال ومثل ذلك الذى فعلوه فى القسم جهلا وخطاء
وضلالا كذلك زين يعنى حسن لكثير من المشركين قتل اولادهم
يعنى به واد البنات احيا مخافة الفقر والعيلة شركاؤهم يعنى
شياطينهم امروهم ان يقتلوا اولادهم خشية الفقر وسميت الشياطين
شركا لانهم اطاعوهم فيما امروهم به من معصية الله وقتل الاولاد
فاشركوهم مع الله فى وجوب طاعتهم واضيف الشركا الى المشركين لانهم
اطاعوهم واتخذوهم اربابا وقال الكلبى شركاؤهم سدنة الهتهم يعنى
خدامها وهم الذين كانوا يزينون ويحسنون للكفار قتل الاولاد
وكان الرجل فى الجاهلية يقوم فيحلف لين ولد له ولد كذا وكذا غلاما
لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله فعلى هذا القول
الشركا هم السدنة وخدام الاصنام سموا شركا لانهم اشركوهم فى الطاعة
ليردوهم يعنى ليهلكوهم بذلك الفعل الذى امرهم به والارداء فى اللغة
الاهلاك قال ابن عباس ليردوهم فى النار وليلبسوا عليهم دينهم قال
ابن عباس ليدخلوا عليهم الشك فى دينهم وكانوا على دين اسمعيل عليه
السلام فرجعوا عنه بتلبيس الشياطين وانما فعلوا ذلك ليزيلوهم
عن الدين الحق الذي كان عليه اسمعيل وابراهيم عليهم الصلاة والسلام
فوضعوا لهم هذه الاوضاع الفاسدة وزينوها لهم ولو شاء الله ما
فعلوه يعنى ولو شاء الله لعصمهم من ذلك الفعل القبيح الذى زين
لهم من تحريم الحرث والانعام وقتل الاولاد اخبر الله عز وجل ان جميع
الاشيا بمشيته وارادته اذ لو لم يشا لما فعلوا ذلك فذرهم يعنى فاتركهم
يا محمد وما يفترون يعنى وما يختلقون من الكذب على الله فان الله لهم
بالمرصاد قوله تعالى وقالوا يعنى المشركين هذه انعام وحرث حجر اى حرام

واصله المنع لانه منع من الانتفاع به بتحريمه وقيل هو من التضييق
والحبس لانهم كانوا يحبسون اشيا من انعامهم وحروثهم لالهتهم قال
مجاهد يعني بالانعام البحيرة والسايبة والوصيلة والحام **لا يطعمها**
الا من نشا بزعمهم يعني باكلها خدام الاصنام والرجال دون النسا
وانعام حرمت ظهورها يعني الحوامي وهي الانعام التي حموا ظهورها
عن الركوب فكانوا لا يركبونها **وانعام لا يذكرون اسم الله عليها** يعني
لا يذكرون اسم الله عليها عند الذبايح وانما يذكرون عليها اسما الاصنام وقيل
معناه لا يحجون عليها ولا يركبونها لفعل الخير لانه لما جرت العادة بذكر
الله على كل فعل ذم هولاء على ترك فعل الخير **افترا عليه** يعني انهم كانوا
يفعلون هذه الافعال ويزعمون ان الله امرهم بها وذلك اختلاق
وكذب على الله عز وجل **سيجزيهم بما كانوا يفترون** فيه وعيد وتهديد
لهم على افترايهم على الله الكذب **قوله عز وجل** **وقالوا ما في**
بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا يعني نسايِنا
قال ابن عباس وقتادة والشعبي اراد اجنة البحاير والسوايب فما
ولد منها حيا فهو خالص للرجال دون النسا وما ولد منها ميتا اكله الرجال
والنسا جميعا وهو قوله **وان يكن ميتة فهم فيه شركا** وادخلت الها
في خالصة للتاكيد والمبالغة كقولهم رجل علامة ونسابه وقال
الفرا دخلت الها لتانيث الانعام لان ما في بطونها مثلها فانث بتانيثها
وقال الكساي خالص وخالصه واحد مثل وعظ وموعظه وقيل اذا
كان اللفظ عبارة عن مونث جاز تانيثه على المعنى وتذكيره على اللفظ
كما في هذه الاية فانه انث خالصة على المعنى وذكر ومحرم على اللفظ
سيجزيهم وصفهم يعني سيكافيهم بسبب وصفهم على الله الكذب **انه**
حكيم عليم فيه وعيد وتهديد يعني انه تعالى حكيم فيما يفعله عليم
بقدر استحقاقهم قوله تعالى **قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير**
علم قال عكرمة نزلت فيمن يئد البنات من ربيعة ومضر وكان الرجل
يقاضي الرجل على ان يستحيي جارية ويئد اخرى فاذا كانت الجارية
التي يئد غدا الرجل وراح من عند امراته وقال لها انت علي كظهر امي ان
رجعت اليك ولم تئديها فتحفر لها في الارض حدا وترسل الى نسايها
فيجتمعن عندها ثم يتداولنها بينهن حتى اذا بصرت به راجعا دستها في
حفرتها ثم سوت عليها التراب وقال قتادة من صنيع اهل الجاهلية
كان احدهم يقتل ابنته مخافة السبي والفاقة ويغذو كلبه اما سبب
الخسران المذكور في قوله قد خسر الذين قتلوا اولادهم لان الولد نعمة عظيمة
انعم الله بها على الوالد فاذا تسبب الرجل في ازالة هذه النعمة عنه

وابطالها فقد استوجب الذم وخسر في الدنيا والاخرة اما خسارته
في الدنيا فسعى في نقص عدده وازاله ما انعم الله به عليه واما خسارته
في الاخرة فقد استحق بذلك العذاب العظيم وقوله سفها بغير علم يعني
فعلوا ذلك للسفاهة وهي الخفة والجهالة المذمومة وسبب حصول
هذه السفاهة هو قلة العلم بل عدمه لان الجهل كان هو الغالب عليهم
قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا سموا جاهلية وقوله
تعالى **وحرموا ما رزقهم الله** يعني البحاير والسوايب والحامي وبعض
الحروث وبعض ما في بطون الانعام وهذا ايضا من اعظم الجهالة
افتراء على الله يعني انهم فعلوا هذه الافعال المذمومة وزعموا ان
الله امرهم بذلك وهذا افترا على الله وكذب وهذا ايضا من اعظم
الجهالة لان الجراة على الله والكذب عليه من اعظم الذنوب واكبر
الكباير ولهذا قال تعالى **قد ضلوا** يعني في فعلهم عن طريق الحق
والرشاد **وما كانوا مهتدين** يعني الى طريق الحق والصواب في فعلهم
خ عن ابن عباس قال اذا سرك ان تعلم جهل العرب فاقرا ما فوق
الثلثين والماية من سورة الانعام قد خسر الذين قتلوا اولادهم
سفها بغير علم الى قوله قد ضلوا وما كانوا مهتدين **قوله عز وجل**
وهو الذي انشا جنات معروشات يعني الله الذي ابتدع وخلق
جنات يعني بساتين معروشات **وغير معروشات** يعني مسموكات
مرتفعات وغير مرتفعات واصل العرش في اللغة شي مسقف يجعل
عليه الكرم وجمعه عروش يقال عرشت الكرم اعرشه عرشا وعرشته
تعريشا اذا جعلته كهيئة السقف واعترش العنب العريش اذا علاه
وركبه واختلفوا في معنى قوله معروشات فقال ابن عباس ما انبسط
على الارض وانتشر مما يعرش مثل الكرم والقرع والبطيخ ونحو ذلك
وغير معروشات ما قام على ساق وبسق كالنخل والزرع وساير
الشجر وقال الضحاك كلاهما في الكرم خاصة لان منه ما يعرش ومنه
ما لم يعرش بل يبقى على وجه الارض منبسطا وقيل المعروشات ما
عرسه الناس في البساتين واهتموا به فعرشوه من كرم وغيره وغير
معروشات هو ما انبته الله في البراري والجبال من كرم او شجر **والنخل**
والزرع يعني وانشا النخل والزرع وهو جميع الحبوب التي تقتات
وتدخر **مختلفا اكله** يعني به اختلاف الطعوم في الثمار كالحلو والحامض
والجيد والرديء ونحو ذلك **والزيتون والرمان متشابها** يعني في
المنظر **وغير متشابه** يعني في الطعم كالرمانتين لونهما واحد وطعمهما
مختلف وقيل ان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان ولكن ثمرتهما مختلفة

في الجنس والطعم **كلوا من ثمره اذا اثمر** لما ذكر الله ما انعم الله به على
عباده من خلق هذه الجنات المحتوية على انواع من الثمار ذكر ما هو
المقصود الاصلي وهو الانتفاع بها فقال تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر
وهذا امر اباحة وتمسك بهذا بعضهم فقال الامر قد يرد في غير
الوجوب لان هذه الصيغة مفيدة لدفع الحرج وقال بعضهم المقصود
منه اباحة الاكل قبل اخراج الحق لانه تعالى لما اوجب الزكاة في الحبوب
والثمار كان يحتمل ان يحرم على المالك ان لا ياكل منها شيا لمكان شركة
الفقرا والمساكين معه فاباح الله له ان ياكل قبل اخراج الحق الواجب
عليه فيه لان رعاية حق النفس مقدمة على رعاية حق الغير
وقيل انما قال تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر بصيغة الامر ليعلم ان المقصود
من خلق هذه الاشيا التي انعم بها على عباده هو الاكل **واتوا حقه**
يوم حصاده يعني يوم جذاذه وقطعه واختلفوا في هذا الحق المامور
باخراجه فقال ابن عباس وانس بن مالك هو الزكاة المفروضة
وهذا قول طاوس والحسن وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب ومحمد
ابن الحنفية وقتادة قال قتادة في قوله واتوا حقه يوم حصاده هو
الصدقة المفروضة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم سن فيما
سقت السما والعين السايحة او سقاه الغيل والغيل الندا وكان
بعلا العشور كاملا وان سقي بنضح او سانية فنصف العشور وهذا
فيما يكال من الثمرة او الزرع وبلغ خمسة اوسق وذلك ثلثمائة
صاع فقد وجب فيها حق الزكاة وفي رواية عن ابن عباس في قوله
تعالى واتوا حقه يوم حصاده قال هو العشر ونصف العشر فان قلت
على هذا التفسير اشكال وهو ان فرض الزكاة كان بالمدينة وهذه
السورة مكية فكيف يمكن حمل قوله واتوا حقه على الزكاة المفروضة
قلت ذكر ابن الجوزي في تفسيره عن ابن عباس وقتادة ان
هذه الاية نزلت بالمدينة فعلى هذا تكون الاية محكمة نزلت في حكم
الزكاة وان قلنا ان هذه الاية مكية تكون منسوخة باية الزكاة لانه
قد روي عن ابن عباس انه قال نسخت اية الزكاة كل صدقة في القران
وقيل في قوله واتوا حقه يوم حصاده انه حق سوي الزكاة فرض يوم
الحصاد وهو اطعام من حضر وترك ما سقط من الزرع والثمر وهذا
قول علي بن الحسين وعطا ومجاهد وحماد قال ابراهيم هو الضغث
وقال الربيع هو لقاط السنبل وقال مجاهد كانوا يعلقون العذق عند
الصرام فياكل منه من مر وقال يزيد بن الاصم كان اهل المدينة اذا
صرموا النخل فيعلقونه في جانب المسجد فيجي المسكين فيضربه بعصاه

فما سقط منه اكله فعلى هذا القول هل هذا الامر امر وجوب او استحباب
وندب فيه قولان احدهما انه امر وجوب فيكون منسوخا باية
الزكاة ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الاعرابي هل علي غيرها
قال لا الا ان تطوع والقول الثاني انه امر ندب واستحباب فتكون
الاية محكمة وقال سعيد بن جبير كان هذا حقا يومر باخراجه في ابتدا
الاسلام ثم صار منسوخا بايجاب العشر ولقول ابن عباس نسخت
الزكاة كل نفقة في القران واختار هذا القول الطبري وصححه واختار
الواحدي والرازي قوله الاول وصححه **فان قلت** فعلى القول
الاول كيف تودى الزكاة يوم الحصاد والحب في السنبل انما يجب
الاخراج بعد التصفية والجفاف **قلت** معناه قدروا اخراج
الواجب منه يوم حصاده وهو الصرام والزرع محمول عليه الا انه لا
يمكن اخراج الحق منه الا بعد التصفية وقيل معناه واتوا حقه الذي
وجب يوم حصاده بعد التصفية وقيل ان فايدة ذكر الحصاد ان الحق
لا يجب بنفس الزرع وبلوغه انما يجب يوم حصاده وحصوله في يد
مالكه لا فيما يتلف من الزرع وقبل حصوله في يد مالكه وقوله تعالى
ولا تسرفوا الاسراف تجاوز الحد فيما يفعله الانسان وان كان في الانفاق
اشهر وقيل السرف تجاوز ما حد لك وسرف المالك انفاقه في غير
منفعة ولهذا قال سفيان ما انفقت في غير طاعة الله فهو سرف
وان كان قليلا قال ابن عباس في رواية عنه عمد ثابت بن قيس بن
شماس فصرم خمسمائة نخلة فقسمها في يوم واحد ولم يترك لاهله شيا
فانزل الله تعالى هذه الاية ولا تسرفوا قال السدي معناه لا تعطوا
اموالكم وتقعدوا فقرا قال الزجاج فعلى هذا لو اعطى الانسان كل ماله
ولم يوصل الى عياله شيا فقد اسرف لانه قد صح في الحديث ابدا بمن تعول
وقال سعيد بن المسيب معناه لا تمنعوا الصدقة فتاويل الاية
على هذا القول لا تجاوزوا الحد في البخل والامساك حتى تمنعوا الواجب
من الصدقة وهذان القولان يشتركان في ان المراد من الاسراف
مجاوزة الحد الا ان الاول في البذل والاعطا والثاني في الامساك
والبخل وقال مقاتل معناه لا تشركوا الاصنام في الحرث والانعام
وهذا القول ايضا يرجع الى مجاوزة الحد لان من اشرك الاصنام في
الحرث والانعام فقد جاوز ما حد له وقال الزهري معناه لا تنفقوا في
معصية الله عز وجل وقال مجاهد الاسراف ما قصرت به في حق الله عز
وجل ولو كان ابو قبيس ذهبا فانفقته في طاعة الله لم تكن مسرفا ولو
انفقت درهما او مدا في معصية الله كنت مسرفا وقال ابن زيد انما خوطب

بهذا السلطان يعني ان ياخذ من رب المال فوق الذي الزمه الله ماله يقول الله عز وجل للسلاطين لا تسرفوا اي لا تاخذوا بغير حق فكانت هذه الاية بين السلطان وبين الناس وقوله تعالى انه لا يحب المسرفين فيه وعيد وزجر عن الاسراف في كل شي لان من لا يحبه الله فهو من اهل النار وقوله تعالى ومن الانعام حمولة وهي كل ما يحمل عليها من الابل وفرشا يعني صغار الابل التي لا تحمل قال ابن عباس الحمولة هي الكبار من الابل وقال في رواية اخرى عنه ذكرها الطبري اما الحمولة فالابل والخيل والبغال والحمير وكل شي يحمل واما الفرش فالغنم وقال الربيع بن انس الحمولة الابل والبقر والفرش المعز والضان فالحمولة كل ما يحمل عليها من الانعام والفرش ما لا يصلح للحمل سمي فرشا لانه يفرش للذبح ولانه قريب من الارض لصغره كلوا مما رزقكم الله يعني كلوا مما احله الله لكم من الانعام والحرث ولا تتبعوا خطوات الشيطان يعني لا تسلكوا طريقه واثاره في تحريم الحرث والانعام كما فعله اهل الجاهلية انه يعني الشيطان لكم عدو مبين يعني انه مبين العداوة لكم ثم بين الحمولة والفرش فقال عز وجل ثمانية ازواج يعني وانشا من الانعام ثمانية ازواج يعني ثمانية اصناف والزوج في اللغة الفرد اذا كان معه اخر من جنسه لا ينفك عنه فيطلق لفظ الزوج على الواحد كما يطلق على الاثنين فيقال للذكر زوج وللانثى زوج من الضان اثنين يعني الذكر والانثى والضان ذوات الصوف من الغنم والواحد ضان بين ه والانثى ضانية والجمع ضوان ومن المعز اثنين يعني الذكر والانثى والمعز ذوات الشعر من الغنم والواحد ماعز والجمع معزى قل الذكرين حرم ام الانثيين استفهام انكار اي قل يا محمد لهولا الجهلة الذكرين من الضان والمعز حرم عليكم ام الانثيين فيهما منهما فان كان حرم الذكرين من الغنم فكل ذكورها حرام وان كان حرم الانثيين منهما فكل اناثها حرام اما اشتملت عليه ارحام الانثيين يعني ام حرم ما اشتملت عليه ارحام الانثيين من الضان والمعز فانها لا تشتمل الا على ذكر او انثى نبئوني اي اخبروني وفسروا لي ما حرمتم بعلم ان كنتم صادقين يعني ان الله حرم ذلك عليكم ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين وهذه اربعة ازواج اخر بقية الثمانية قل الذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين وتفسير هذه على ما تقدم في هذه الايتين تقريع وتوبيخ من الله تعالى لاهل الجاهلية بتحريمها ما لم يحرمه الله وذلك انهم كانوا يقولون

هذه

هذه انعام وحرث حجر وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وحرموا البحيرة والسايبة والوصيلة والحام وكانوا يحرمون بعضها على الرجال والنسا وبعضها على النسا دون الرجال كما اخبر الله عنهم في كتابه فلما جا الاسلام وثبتت الاحكام جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم وكان خطيبهم مالك بن عوف الجشمي قال يا محمد بلغنا انك تحرم اشيا مما كان اباونا يفعلونه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرمتم اصنافا من النعم على غير اصل وانما خلق الله هذه الازواج الثمانية للاكل والانتفاع بها فمن اين جا هذا التحريم من قبل الذكر ام من قبل الانثى فسكت مالك بن عوف وتحير ولم يتكلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما لك يا مالك لا تتكلم فقال بل انت تكلم واسمع منك قال المفسرون فلو قال جا التحريم من قبل الذكر بسبب الذكورة وجب ان يحرم جميع الذكور ولو قال بسبب الانوثة وجب ان يحرم جميع الاناث وان قال باشتمال الرحم عليه فينبغي ان يحرم الكل لان الرحم لا يشتمل الا على ذكر وانثى واما تخصيص التحريم بالولد الخامس او السابع او بالبعض دون البعض فمن اين ذلك التحريم فاحتج الله على بطلان دعواهم بهذه الايات واعلم نبيه صلى الله عليه وسلم ان كل ما قالوه من ذلك واضافوه الى الله فهو كذب على الله وانه لم يحرم شيا من ذلك وانهم اتبعوا في ذلك اهواءهم وخالفوا امر ربهم، وذكر الامام فخر الدين في معنى الاية وجهين اخرين ونسبهما الى نفسه فقال ان هذا الكلام ما ورد على سبيل الاستدلال على بطلان قولهم بل هو استفهام على سبيل الانكار يعني انكم لا تقرون بنبوة نبي ولا تعرفون شريعة شارع فكيف تحكمون بان هذا يحل وهذا يحرم، والوجه الثاني انكم حكمتم بالبحيرة والسايبة والوصيلة والحام مخصوصا بالابل فالله تعالى بين ان النعم عبارة عن هذه الانواع الاربعة وهي الضان والمعز والبقر والابل فلما لم يحكموا بهذه الاحكام في الانواع الثلاثة وهي الضان والمعز والبقر فكيف خصصتم الابل بهذا الحكم دون هذه الانواع الثلاثة قوله تعالى ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهولا الجهلة من المشركين الذين يزعمون ان الله حرم عليهم ما حرموا على انفسهم من الانعام والحرث هل شاهدتم الله حرم هذا عليكم ووصاكم به فانكم لا تعترفون بنبوة احد من الانبيا فكيف تثبتون هذه الاحكام وتنسبونها الى الله عز وجل ولما احتج الله عليهم بهذه الحجة وبين انه لا مستند لهم في ذلك قال تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل

تعالى

الناس بغير علم يعني فمن اشد ظلما وابعد عن الحق ممن يكذب على
الله ويضيف تحريم ما لم يحرمه الله ليضل الناس بذلك ويصدهم عن
سبيل الله جهلا منه لبس هو على بصيرة وعلم في ذلك الذي ابتدعه
ونسبه الى الله ويقول ان الله امرنا بهذا فقيل اراد به عمرو بن لحي لانه
اول من بحر البحاير وسيب السوايب وغير دين ابراهيم عليه السلام
ويدخل في هذا الوعيد كل من كان على طريقته او ابتدع شيا لم يامر الله
به ولا رسوله ونسب ذلك الى الله تعالى لان اللفظ عام فلا وجه
للتخصيص فكل من ادخل في دين الله ما ليس منه فهو داخل في هذا
الوعيد ان الله لا يهدي القوم الظالمين يعني انه لا يرشد ولا يوفق
من كذب على الله واضاف اليه ما لم يشرعه لعباده **قوله
عز وجل** قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه اعلم انه لما
بين الله عز وجل فساد طريقة اهل الجاهلية وما كانوا عليه من
التحريم والتحليل من عند انفسهم واتباع اهوايهم فيما احلوه
وحرموه من المطعومات اتبعه بالبيان الصحيح في ذلك وبين
ان التحريم والتحليل لا يكون الا بوحي سماوي وشرع نبوي فقال
تعالى قل اي يا محمد لهولا المشركين الجاهلين الذين يحللون ويحرمون
من عند انفسهم لا اجد فيما اوحي الي وقيل انهم قالوا فما المحرم اذا فنزل
قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه يعني على اكل ياكله الا ان
يكون ميتة او دما مسفوحا يعني سايلا مصبوبا او لحم خنزير فانه
رجس اي نجس او فسقا اهل لغير الله به يعني ما ذبح على غير اسم الله
فبين الله في هذه الاية ان التحريم والتحليل لا يكون الا بوحي منه
وان المحرمات محصورة في الاربعة اشيا المذكورة في هذه الاية وهي
الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما ذبح على غير اسم الله وهذا
مبالغة ان التحريم لا يخرج عن هذه الاربعة اشيا وذلك لانه
ثبت انه لا طريق الى معرفة المحرمات الا بالوحي وثبت ان الله
تعالى نص في هذه الاية على هذه الاربعة اشيا ولهذا اختلف العلما
في حكم هذه الاية فذهب بعضهم الى ظاهرها وانه لا يحرم شي من ساير
المطعومات والحيوان الا ما ذكر في هذه الاية يروى ذلك عن
ابن عباس وعايشة وسعيد بن جبير وهو ظاهر مذهب مالك
واحتجوا على ذلك بان هذه الاية محكمة لانها خبر والخبر لا يدخله النسخ
واحتجوا بهذه الاية وان كانت مكية لكن يعضدها اية مدنية وهي
قوله تعالى في سورة البقرة انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
وما اهل به لغير الله وكلمة انما تفيد الحصر فصارت هذه الاية المدنية

مطابقة للاية المكية في الحكم وذهب جمهور العلما الى ان هذا التحريم لا
يختص بهذه الاشيا المنصوص عليها في هذه الاية فان المحرم بنص الكتاب
هو ما ذكر في هذه الاية وقد حرمت السنة اشيا وجب القول بها منها
تحريم الحمر الاهلية وكل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير عن المقدام
ابن معدي كرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا هل عسى
رجل يبلغه الحديث عني وهو متكي على اريكته فيقول بيننا وبينكم
كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه
وانما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن غريب ولابي داود قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا اني اوتيت الكتاب ومثله معه الا يوشك رجل شبعان على
اريكته يقول عليكم بهذا القران فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما
وجدتم فيه من حرام فحرموه الا لا يحل لكم الحمار الاهلي ولا كل ذي ناب من
السباع ولا لقطة معاهد الا ان يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم
فعليهم ان يقروه فان لم يقروه فله ان يعقبهم بمثل قراه عن ابن عباس
كان اهل الجاهلية ياكلون اشيا ويتركون اشيا تقذرا فبعث الله
نبيه وانزل كتابه واحل حلاله وحرم حرامه فما احل فهو حلال وما
حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو وتلى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما
على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الاية اخرجه ابو داود م عن ابن عباس
قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ذي ناب من السباع وكل
ذي مخلب من الطير م عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى يوم
خيبر عن اكل لحوم الحمر الاهلية ق عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية واذن في الخيل وفي رواية اكلنا في خيبر
الخيل وحمر الوحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلي
عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن اكل الهر واكل ثمنه
اخرجه ابو داود وقد استثنى الشارع من الميتة السمك والجراد ومن
الدم الكبد والطحال واباح اكل ذلك وقد تقدم دليله والاصل في
ذلك عند الشافعي ان كل ما لم يرد فيه نص بتحريم او تحليل فما كان امر
الشرع بقتله كما ورد في الصحيح خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم
وهي الحية والعقرب والفارة والحداة والكلب العقور وروي عن
سعد بن ابي وقاص ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتل الوزغ اخرجه
البخاري ومسلم وزاد فيه وسماه فويسقا عن ابن عباس قال نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن قتل اربع من الدواب النملة والنحلة والهدهد
والصرد اخرجه ابو داود فهذا كله حرام لا يحل اكله وما سوى ذلك فالمرجع

فيه الى الاغلب منهم ولا ياكلونه فهو حرام لان الله خاطبهم بقوله احل
لكم الطيبات فما استطابوه فهو حلال فهذا تقرير ما يحل ويحرم من
المطعومات واما الجواب عن الاية الكريمة فمن وجوه **احدها** ان
يكون المعنى لا اجد محرما مما كان اهل الجاهلية يحرمونه من البحاير
والسوايب وغيرها الا ما اوحي الي في هذه الاية **الوجه**
الثاني ان يكون المراد وقت نزول هذه الاية لم يكن محرما غير ما ذكر ونص
عليه في هذه الاية ثم حرم بعد نزولها اشيا اخر **الوجه الثالث**
يحتمل ان هذا اللفظ العام خصص بدليل اخر وهو ما ورد في السنة
الوجه الرابع ان ما ذكر في هذه الاية محرم على لسان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو ما ورد في السنة من المحرمات والله اعلم بقي
في الاية احكام في قوله تعالى او دما مسفوحا وهو ما سال من الحيوان
في حال الحياة او عند الذبح فان ذلك الدم حرام نجس وما سوى
ذلك كالكبد والطحال فانهما حلال لانهما دمان جامدان وقد ورد
الحديث باباحتهما الا ما اختلط باللحم من الدم لانه غير سايل قال
عمران بن جرير سالت ابا مجلز عما يختلط باللحم من الدم وعن القدر
يرى فيها حمرة الدم فقال لا باس بذلك انما نهي عن الدم المسفوح •
وقال ابراهيم النخعي لا باس بالدم في عرق او مخ الا المسفوح وقال عكرمة
لولا هذه الاية لتبع المسلمون الدم من العروق ما يتبع اليهود وقوله
تعالى **فمن اضطر غير باغ ولا عاد** لما بين الله المحرمات في هذه الاية
ثم اباح اكلها عند الاضطرار من غير بغي ولا عدوان وفي قوله **فان ربك
غفور رحيم** دليل على الرخصة والاباحة عند الاضطرار قوله تعالى
وعلى الذين هادوا يعني اليهود **حرمنا كل ذي ظفر** قال ابن عباس
هو البعير والنعامة ونحو ذلك من الدواب وقيل كل ما لم يكن
مشقوق الاصابع من البهايم والطير مثل البعير والنعامة والاوز
والبط قال القتيبي هو كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب
وسمي الحافر ظفرا على الاستعارة **ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما**
يعني شحم الجوف وهي الثروب وشحم الكليتين **الا ما حملت ظهورهما**
يعني الا ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما من الشحم فانه غير
محرم عليهم وقال السدي وابو صالح الالية مما حملت ظهورهما وهذا
القول مختص بالغنم لان البقر ليس لها الية **او الحوايا** وهي المباعر في
قول ابن عباس وجمهور المفسرين واحدتها حاوية وحوية وقيل
الحوايا المباعر والمصارين وهي الدوابر التي تكون في بطن الشاة
والمعنى ان الشحم الملتصق بالمباعر والمصارين غير محرم على اليهود •

او ما اختلط بعظم يعني شحم الالية لانه اختلط بالعصعص وكذا الشحم
المختلط بالعظام التي تكون في الجنب والراس والعين فكل هذه حلال
على اليهود فحاصل هذا ان الذي حرم عليهم هو شحم الثرب وشحم الكلية
وما عدا ذلك فهو حلال عليهم **ق** عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح بمكة ان الله حرم بيع الخمر والميتة
والخنزير والاصنام فقيل يا رسول الله ارايت شحوم الميتة فانه يطلى بها
السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام ثم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك قاتل الله اليهود ان الله
لما حرم عليهم شحومهما جملوه ثم باعوه واكلوا ثمنه قوله جملوه يعني اذابوه
يقال اجملت الشحم وجملته اذا اذبته وجملته اكثر وافصح وقوله تعالى
ذلك جزيناهم اي ذلك التحريم جزيناهم عقوبة **ببغيهم** يعني
بسبب بغيهم وظلمهم وهو قتلهم الانبيا واخذهم الربا واستحلالهم اموال
الناس بالباطل **وانا لصادقون** يعني في الاخبار عن بغيهم وفي الاخبار
عن تخصيصهم بهذا التحريم **فان كذبوك** يعني فان كذبك اليهود يا
محمد فيما اخبرناك انا حرمنا عليهم او حللنا لهم مما بيناه في هذه الاية المتقدمة
فقل ربكم ذو رحمة واسعة يعني بتاخير العقوبة عنكم فان رحمته تسع
المسي والمحسن فلا يعجل بالعقوبة على من كذبه او عصاه **ولا يرد باسه**
يعني فلا يرد عذابه ونقمته اذا جا وقتها **عن القوم المجرمين** يعني الذين
كذبوا الانبيا وهم الكفار واليهود **قوله عز وجل** **سيقول الذين
اشركوا** لما الزمتهم الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك بالله
وتحريم ما لم يحرمه الله اخبر الله عنهم بما سيقولوه فقال تعالى
سيقول الذين اشركوا يعني مشركي قريش والعرب **لو شا الله ما اشركنا
ولا اباونا** يعني من قبل قال المفسرون جعلوا قولهم لو شا الله ما اشركنا
حجة على اقامتهم على الكفر والشرك وقالوا ان الله قادر على ان يحول
بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله فلولا انه رضي ما نحن عليه
واراده منا وامرنا به لحال بيننا وبين ذلك **ولا حرمنا من شي** يعني
ما حرموه من البحاير والسوايب وغير ذلك فقال الله عز وجل تكذيبا
لهم **كذلك كذب الذين من قبلهم** يعني من كفار الامم الخالية الذين
كانوا قبل قومك كذبوا انبياهم وقالوا مثل قول هولا **حتى ذاقوا باسنا**
يعني عذابنا **فصل** استدل القدرية والمعتزلة بهذه الاية
فقالوا ان القوم لما قالوا لو شا الله ما اشركنا كذبهم الله ورد عليهم
بقوله كذلك كذب الذين من قبلهم وايضا فان الله تعالى حكى عن هولا
الكفار صريح مذهب الجبرية وهو قولهم لو شا الله منا ان لا نشرك لم نشرك

ولمنعنا عن هذا الكفر وحيث لم يمنعنا عنه ثبت انه مريد له واذا
اراده منا امتنع تركه منا واجيب عن هذا بان الله تعالى حكى عن
هولاء الكفار انهم قالوا لو شاء الله ما اشركنا ثم ذكر عقيبه كذلك
كذب الذين من قبلهم وهذا التكذيب ليس هو في قولهم لو شاء الله
ما اشركنا بل ذلك القول حق وصدق ولكن الكذب في قولهم ان
الله امرنا به ورضي ما نحن عليه كما اخبر عنهم في سورة الاعراف واذا
فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها فرد الله عليهم
ذلك بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء والدليل ان التكذيب في قولهم
ان الله امرنا بهذا اورضيه منا لا في قولهم لو شاء الله ما اشركنا
قوله كذلك كذب الذين من قبلهم بالتشديد ولو كان خبرا عن كذبهم
في قولهم لو شاء الله ما اشركنا لقال كذلك كذب الذين من قبلهم
بالتخفيف فكان ينسبهم الى الكذب لا الى التكذيب • وقال الحسن بن
الفضل لو قالوا هذه المقالة تعظيما لله واجلالا له ومعرفة بحقه
وبما يقولون لما عابهم بذلك ولكنهم قالوا هذه المقالة تكذيبا
وجدلا من غير معرفة الله وبما يقولون • وقيل في معنى الاية انهم
كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة وهو قوله لو شاء الله ما اشركنا
الا انهم كانوا يعدونه عذرا لانفسهم ويجعلونه حجة لهم في ترك
الايمان والرد عليهم في ذلك ان امر الله بمعزل عن مشيئته وارادته
فانه تعالى مريد لجميع الكائنات غير امر بجميع ما يريد فعلى العبد
ان يتبع امره وليس له ان يتعلق بمشيئته فان مشيئته لا تكون عذرا
لاحد فان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد
عليه في فعله فهو تعالى يشاء الكفر من الكافر ولا يرضى به ولا يامر به
ومع هذا فيبعث الرسل الى العبد ويامره بالايمان وورود الامر على
خلاف الارادة غير ممتنع فالحاصل انه تعالى حكى عن الكفار انهم يتمسكون
بمشيئة الله في شركهم وكفرهم فاخبر الله تعالى ان هذا التمسك فاسد
باطل فانه لا يلزم من ثبوت المشيئة لله تعالى في كل الامور دفع دعوة
الانبياء عليهم السلام والله اعلم وقوله تعالى قل اي قل يا محمد لهولاء
المشركين القائلين لو شاء الله ما اشركنا ولكنه رضي ما نحن عليه من
الشرك هل عندكم من علم يعني بدعواكم ما تدعون من علم يعني من حجة
وكتاب يوجب اليقين من العلم فتخرجوه لنا يعني فتظهروا ذلك العلم
لنا وتبينوه كما بينا لكم خطا قولكم وفعلكم وتناقض ذلك واستحالته
في العقول ان تتبعون الا الظن يعني فيما انتم عليه من الشرك
وتحريم ما لم يحرمه الله عليكم وتحسبون انكم على حق وانما هو باطل

وان انتم الا تخرصون يعني وما انتم في ذلك كله الا تكذبون وتقولون
على الله الباطل قوله تعالى قل فلله الحجة البالغة يعني قل يا محمد
لهولاء المشركين حين عجزوا عن اظهار علم او حجة لهم فلله الحجة البالغة
يعني التامة على خلقه بانزال الكتاب وارسال الرسل قال الربيع
ابن انس لا حجة لاحد عصى الله او اشرك به على الله ولكن لله الحجة البالغة
على عباده فلو شاء لهداكم اجمعين يعني ولو شاء الله لوفقكم اجمعين
للهداية ولكنه لم يشا ذلك وفيه دليل على انه تعالى لم يشا ايمان
الكافر ولو شاء لهداه لا يسال عما يفعل وهم يسالون قل هلم شهداءكم
الذين يشهدون يعني هاتوا وادعوا شهداءكم وهلم كلمة ودعوة الى الشيء
يستوي فيه الواحد والاثنين والجمع والذكر والانثى وفيها لغة اخرى
يقال للواحد هلم وللاثنين هلما وللجميع هلموا وللانثى هلمي واللغة
الاولى افصح ان الله حرم هذا وهذا تنبيه من الله باستدعاء الشهود من
الكافرين على تحريم ما حرموه على انفسهم وقالوا ان الله امرنا به ليظهر
ان لا شاهد لهم على ذلك وانما اختلقوه من عند انفسهم فان شهدوا فلا
تشهد معهم وهذا تنبيه ايضا على كونهم كاذبين في شهادتهم فلا تشهد
انت يا محمد معهم لانهم في شهادتهم كاذبين ولا تتبع اهواء الذين كذبوا
باياتنا يعني ان وقع منهم شهادة فانما هي باتباع الهوى فلا تتبع انت
يا محمد اهواءهم ولكن اتبع ما اوحي اليك من كتابي الذي لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه والذين لا يؤمنون بالاخرة اي ولا تتبع اهواء
الذين لا يؤمنون بالاخرة وهم بربهم يعدلون يعني يشركون قوله
عز وجل قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم لما بين الله تعالى فساد
مقالة الكفار فيما زعموا ان الله امرهم بتحريم ما حرموه على انفسهم
فكانهم سالوا وقالوا اي شيء حرم الله فامر الله عز وجل نبيه محمدا صلى
الله عليه وسلم ان يقول لهم تعالوا تعال من الخاص الذي صار عاما
واصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه ثم كثر واتسع
فيه حتى عم وقيل اصله ان تدعو الانسان الى مكان مرتفع وهو من العلو
والارتفاع المنزلة فكانه دعاه الى ما فيه رفعة وشرف ثم كثر في
الاستعمال والمعنى تعالوا وهلموا ايها القوم اتل يعني اقرا ما حرم ربكم
عليكم يعني الذي حرم ربكم عليكم حقا يقينا لا شك فيه ولا ظنا ولا كذبا
كما تزعمون انتم بل هو وحي اوحاه الله الي ان لا تشركوا به شيئا فان
قلت ترك الاشراك واجب فما معنى قوله الا تشركوا به شيئا
لانه كالتفصيل لما اجمله في قوله حرم ربكم عليكم وذلك لا يجوز قلت
الجواب عنه من وجوه الاول ان يكون موضع ان رفع معناه هو ان لا تشركوا

الوجه الثاني ان يكون محله النصب واختلفوا في وجه انتصابه فقيل
معناه حرم عليكم ان تشركوا وتكون لا صلة وقيل ان حرف لا على اصلها
ويكون المعنى اتل عليكم تحريم الشرك الا تشركوا او يكون المعنى اوصيكم
ان لا تشركوا لان قوله وبالوالدين احسانا محمول على اوصيكم بالوالدين
احسانا **الوجه** الثالث ان يكون الكلام قد تم عند قوله حرم ربكم
عليكم ان لا تشركوا على الاغرا ويعني فرض عليكم ان لا تشركوا به شيا ومعنى
هذا الاشراك الذي حرمه الله ونهى عنه هو ان يجعل لله شريكا من
خلقه او يطيع مخلوقا في معصية الخالق او يريد بعبادته ريا وسمعة
ومنه قوله ولا يشرك بعبادة ربه احدا وقوله تعالى **وبالوالدين
احسانا** اي وفرض عليكم ووصاكم بالوالدين احسانا وانما ثنى بالوصية
بالاحسان الى الوالدين لان اعظم النعم على الانسان نعمة الله لانه هو
اخرجه من العدم الى الوجود وخلقه واوجده بعد ان لم يكن شيا ثم
بعد نعمة الله نعمة الوالدين لانهما السبب في وجود الانسان ثم
ما لهما عليه من حق التربية والشفقة والحفظ من المهالك في حال
صغره **ولا تقتلوا اولادكم من املاق** يعني من خوف الفقر والاملاق
الافتقار والمراد بالقتل واد البنات وهن احيا وكانت العرب تفعل
ذلك في الجاهلية فنهاهم الله عن ذلك وحرمه عليهم **نحن نرزقكم
واياهم** يعني لا تئدوا بناتكم خوف العيلة والفقر فاني رازقكم واياهم
لان الله تعالى اذا تكفل برزق الوالد والولد وجب على الوالد القيام
بحق الولد وتربيته والاتكال في امر الرزق على الله عز وجل **ولا تقربوا
الفواحش** يعني الزنا **ما ظهر منها وما بطن** يعني علانيته وسره وكانت
اهل الجاهلية يستقبحون الزنا في العلانية ولا يرون به باسا في السر
فحرم الله عز وجل الزنا في السر والعلانية وقيل ان الاولى حمل لفظ
الفواحش على العموم في جميع الفواحش المحرمات والمنهيات فيدخل
فيه الزنا وغيره لان المعنى الموجب لهذا النهي هو كونه فاحشة فحمل
اللفظ على العموم اولى من تخصيصه بنوع من الفواحش وايضا فان
السبب اذا كان خاصا لا يمنع من حمل اللفظ على العموم وفي قوله تعالى
ما ظهر منها وما بطن دقيقة وهي ان الانسان اذا احترز عن المعاصي في
الظاهر ولم يحترز منها في الباطن دل ذلك على ان احترازه عنها ليس
لاجل عبودية الله وطاعته فيما امر به او نهاه عنه ولكن لاجل الخوف
من روية الناس ومذمتهم ومن كان كذلك استحق العقاب ومن ترك
المعصية ظاهرا وباطنا لاجل خوف الله وتعظيما لامره استوجب رضوان
الله وثوابه **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق** حرم الله قتل النفس

الا بالحق وقتلها من جملة الفواحش المقدم ذكرها في قوله تعالى ولا تقربوا
الفواحش وانما افرد قتل النفس بالذكر تعظيما لامر القتل وانه من اعظم الفواحش
والكبائر وقيل انما افرده بالذكر لانه تعالى اراد ان يستثني منه ولا يمكن
ذلك الاستثنا من جملة الفواحش الا بالافراد فلذلك قال ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق يعني قتلها الا بالحق وهو الذي يبيح قتلها من
ردة او قصاص او زنا بعد احصان وهو الذي يوجب الرجم **ق** عن ابن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرء مسلم
يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله الا باحد ثلاث الثيب الزاني والنفس
بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة وقوله تعالى **ذلكم** يعني ما ذكر
من الاوامر والنواهي المحرمات **وصاكم به** يعني امركم به واوجبه عليكم
لعلكم تعقلون يعني لكي تفهموا ما في هذه التكاليف من الفوايد والمنافع
فتعملوا بها وقوله تعالى **ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن** يعني ولا
تقربوا مال اليتيم الا بما فيه صلاحه وتثميره وتحصيل الربح له قال مجاهد
هو التجارة فيه وقال الضحاك هو ان يسعى فيه ولا ياخذ من ربحه شيا هذا
اذا كان القيم بالمال غنيا غير محتاج فلو كان الوصي فقيرا فله ان ياكل
بالمعروف **حتى يبلغ اشده** يعني احفظوا مال اليتيم الى ان يبلغ اشده
فاذا بلغ اشده فادفعوا اليه ماله فاما الاشد فهو استحكام قوة الشباب
والسن حتى يتناهى في النبات الى حد الرجال قال الشعبي ومالك الاشد
الحلم حتى تكتب له الحسنات وتكتب عليه السيات وقال ابو العالية
حتى يعقل وتجتمع قوته وقال الكلبي الاشد هو ما بين ثماني عشرة سنة
الى ثلاثين سنة وقيل الى الاربعين وقيل الى ستين سنة وقال الضحاك
الاشد عشرون سنة وقال السدي الاشد ثلاثون سنة وقال مجاهد
الاشد ثلاث وثلاثون سنة وهذه الاقوال التي نقلت عن المفسرين في
هذه الاية انما هي نهاية الاشد لا ابتداوه والمراد بالاشد في هذه
الاية هو الابتدا وبلوغ الحلم مع ايناس الرشد وهذا هو المختار في
تفسير هذه الاية وقوله **واوفوا الكيل والميزان بالقسط** يعني بالعدل
من غير زيادة ولا نقصان **لا نكلف نفسا الا وسعها** يعني طاقتها وما
يسعها في ايفا الكيل والميزان واتمامه لم يكلف المعطي اكثر مما وجب
عليه ولم يكلف صاحب الحق الرضا باقل من حقه حتى لا تضيق نفسه
عنه بل امر كل واحد بما يسعه مما لا حرج عليه فيه **واذا قلتم فاعدلوا**
يعني في الحكم والشهادة **ولو كان ذا قربى** يعني المحكوم عليه وكذا المشهود
عليه وقيل ان الامر بالعدل في القول هو اعم من الحكم والشهادة بل يدخل
فيه كل قول حتى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير زيادة فيه ولا

نقصان فاداء الامانة وغير ذلك من جميع الاقوال التي يتعهد فيها العدل والصدق **وبعهد الله اوفوا** يعني ما عهد الى عباده ووصاهم به واوجب عليهم وما اوجبه الانسان على نفسه كنذر ونحوه فيجب الوفاء به **ذلكم** يعني الذي ذكرت هذه الايات **وصاكم به** يعني بالعمل به **لعلكم تذكرون** يعني لعلكم تتعظون وتتذكرون فتاخذون بما امرتكم به قوله عز وجل **وان هذا صراطي مستقيما** يعني وان هذا الذي وصيتكم به وامرتكم به في هاتين الايتين هو صراطي يعني طريقي وديني الذي ارتضيته لعبادي مستقيما يعني قويما لا اعوجاج فيه **فاتبعوه** يعني فاعملوا به وقيل ان الله تعالى لما بين في الايتين المتقدمتين ما وصى به مفصلا اجمله في هذه الاية اجمالا يقتضي دخول جميع ما تقدم ذكره فيه ويدخل فيه ايضا جميع احكام الشريعة وكل ما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم من دين الاسلام هو المنهج القويم والصراط المستقيم والدين الذي ارتضاه لعباده المؤمنين وامرهم باتباع جملته وتفصيله **ولا تتبعوا السبل** يعني الطرق المختلفة والاهواء المضلة والبدع المردية وقيل السبل المختلفة مثل اليهودية والنصرانية وساير الملل والاديان المخالفة لدين الاسلام **فتفرق بكم عن سبيله** يعني فتميل بكم هذه الطرق المختلفة المضلة عن دينه وطريقه الذي ارتضاه لعباده روى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه وقرا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الاية **ذلكم وصاكم به** يعني باتباع دينه وصراطه الذي لا اعوجاج فيه **لعلكم تتقون** يعني الطرق المختلفة والسبل المضلة قال ابن عباس هذه الايات محكمات في جميع الكتب لم ينسخهن شي وهي محرمات على بني ادم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن ابن مسعود قال من سره ان ينظر الى الصحيفة التي عليها خاتم محمد صلى الله عليه وسلم فليقرا هؤلاء الايات قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الايات الى قوله لعلكم تتقون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله تعالى **ثم اتينا موسى الكتاب** يعني التورية **فان قلت** ايتاء موسى الكتاب كان قبل نزول القران وحرف ثم للتعقيب فما معنى ذلك **قلت** دخلت ثم لتاخير الخبر لا لتاخير النزول والمعنى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم وهو كذا وكذا الى قوله لعلكم تتقون ثم اخبركم انا اتينا موسى الكتاب وقيل ان المحرمات المذكورة

في قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم محرمات على جميع الامم وجميع الشرايع فتقديرا لكلام ذلكم وصاكم به يا بني ادم قديما وحديثا ثم بعد ذلك اتينا موسى الكتاب يعني بعد ايجاب هذه المحرمات وقيل معناه قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ثم قل بعد ذلك يا محمد انا اتينا موسى الكتاب فحذف لفظة قل لدلالة الكلام عليه وقوله تعالى **تماما على الذي احسن** اختلف اهل التفسير فيه فقيل معناه تماما على المحسنين من قومه فيكون الذي بمعنى من اي تماما على من احسن من قومه لانه كان منهم محسن ومسيء وعلى قراءة ابن مسعود تماما على الذين احسنوا وقيل معناه تماما على كل من احسن اي اتممنا فضيلة موسى بالكتاب على المحسنين وهم الانبياء والمؤمنون اي اتممنا فضله عليهم بالكتاب وقيل الذي احسن هو موسى فيكون الذي بمعنى ما اي على ما احسن وتقديره واتينا موسى الكتاب اتماما للنعمة عليه لاحسانه في الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة واداء الامر وقيل الاحسان بمعنى العلم وتقديره واتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن موسى من العلم والحكمة زيادة له على ذلك وقيل معناه تماما على احساني الى موسى **وتفصيلا لكل شي** يعني وفيه بيانا لكل شي يحتاج اليه من شرايع الدين واحكامه **وهدى** يعني فيه هدى من الضلالة **ورحمة** يعني انزلناه عليهم رحمة مني عليهم **لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون** قال ابن عباس لكي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب **قوله عز وجل** **وهذا كتاب انزلناه مبارك** يعني القران لانه كثير الخير والنفع والبركة ولا يتطرق اليه نسخ **فاتبعوه** يعني فاعملوا بما فيه من الاوامر والنواهي والاحكام **واتقوا** يعني مخالفته **لعلكم ترحمون** يعني ليكن الغرض بالتقوى رحمة الله وقيل معناه لكي ترحموا على جزاء التقوى **ان تقولوا** يعني لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية ان تقولوا يعني انزلنا اليكم الكتاب كراهية ان تقولوا انما انزل الكتاب وقيل يجوز ان تكون ان متعلقة بما قبلها فيكون المعنى واتقوا ان تقولوا وهذا خطاب لاهل مكة والمعنى واتقوا يا اهل مكة ان تقولوا **انما انزل الكتاب** اسم جنس لان المراد به التورية والانجيل **على طايفتين من قبلنا** يعني اليهود والنصارى **وان كنا** اي وقد كنا وقيل وانه كنا **عن دراستهم** يعني قراتهم **لغافلين** يعني لا علم لنا بما فيهما لانه ليس بلغتنا والمراد بهذه الاية اثبات الحجة على اهل مكة وقطع عذرهم بانزال القران على محمد صلى الله عليه وسلم بلغتهم والمعنى وانزلنا القران عليهم لئلا يقولوا يوم القيمة ان التورية والانجيل انزلا على طايفتين

من قبلنا بلسانهم ولغاتهم فلم يعرف ما فيهما فقطع الله تعالى عذرهم
بانزال القران عليهم بلغتهم **او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا
اهدى منهم** وذلك ان جماعة من الكفار قالوا لو انزل علينا ما انزله
على اليهود والنصارى لكنا خيرا منهم واهدى وانما قالوا ذلك لاعتمادهم
على صحة عقولهم وجودة فطنتهم وذهنهم قال الله عز وجل **فقد جاءكم
بينة من ربكم** يعني هذا القران فيه بيان وحجة واضحة تعرفونها
وهدى يعني من الضلالة **ورحمة** يعني وهو رحمة ونعمة انعم الله بها
عليكم **فمن اظلم** اي لا احد اظلم واكفر **ممن كذب بايات الله وصدف عنها**
يعني واعرض عنها **سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب**
يعني سوء العذاب واشده **بما كانوا يصدفون** اي ذلك العذاب
جزاؤهم بسبب اعراضهم وتكذيبهم بايات الله قوله تعالى **هل ينظرون**
يعني هل ينتظرون هؤلاء بعد تكذيبهم الرسل وانكارهم القران وصدهم
عن ايات الله وهو استفهام معناه النفي وتقدير الاية انهم لا يومنون بك
الا اذا جاءتهم احدى هذه الامور الثلاثة فاذا جاءهم احدها امنوا
وذلك حين لا ينفعهم ايمانهم **الا ان تاتيهم الملائكة** يعني لقبض ارواحهم
وقيل ان تاتيهم بالعذاب **او ياتي ربك** يعني للحكم وفصل القضاء بين الخلق
يوم القيمة وقد تقدم الكلام في معنى الاية في سورة البقرة عند قوله
هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام بما فيه كفاية وان المجي
والذهاب على الله محال فيجب امرارها بلا تكييف **او ياتي بعض ايات
ربك** قال جمهور المفسرين هو طلوع الشمس من مغربها ويدل على
ذلك ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل طلوع
الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض اخرجه مسلم عن ابي
سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله او ياتي بعض ايات ربك
قال طلوع الشمس من مغربها اخرجه الترمذي وقال حديث غريب
م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل
طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه عن صفوان بن عسال المرادي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب من قبل المغرب مسيرة
عرضه او قال يسير الراكب في عرضه اربعين او سبعين سنة خلقه الله تعالى
يوم خلق السموات والارض مفتوحا للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه
اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا راها
الناس امن من عليها وفي رواية فاذا طلعت وراها الناس امنوا اجمعون

فذلك

فذلك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها
خيرا **م** عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال اطلع رسول الله صلى الله
عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قلنا الساعة قال
انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات فذكر الدخان والدجال والدابة
وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وثلاث خسوف
خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب واخر ذلك نار
تطرد الناس الى محشرهم **م** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال بادروا بالاعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها
والدخان والدجال والدابة وخويصة احدكم وامر العامة **م**
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال حفظت من رسول الله صلى الله
عليه وسلم حديثا لم انسه بعد سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان اول الايات خروجا طلوع الشمس من مغربها ٥
وخروج الدابة على الناس ضحى وايهما ما كانت قبل صاحبتها ٥
فالاخرى على اثرها قريبا وروى الطبري بسنده عن عبد الله
ابن مسعود في تفسير هذه الاية قال يصبحون والشمس والقمر
من هاهنا من قبل المغرب كالبعيرين القرينين زاد في رواية عنه
فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت
في ايمانها خيرا وبسنده عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوما اتدرون اين تذهب الشمس قالوا الله ورسوله اعلم قال
انها تذهب الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك
حتى يقال لها ارتفعي من حيث جئت فتصبح طالعة من مطلعها ثم
تجري حتى تنتهي الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال
كذلك حتى يقال لها ارتفعي فارجعي من حيث جئت فتصبح طالعة
من مطلعها لا تنكر الناس منها شيئا حتى تنتهي فتخر ساجدة في مستقرها
تحت العرش فيقال لها اطلعي من مغربك فتصبح طالعة من مغربها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون اي يوم ذلك قالوا
الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت
من قبل او كسبت في ايمانها خيرا وبسنده عن ابي ذر قال كنت ردف
النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم على حمار فنظر الى الشمس حين
غربت فقال انها تغرب في عين حامية تنطلق حتى تخر لربها ساجدة
تحت العرش حتى ياذن لها فاذا اراد ان يطلعها من مغربها حبسها
فتقول يا رب ان مسيري بعيد فيقول لها اطلعي من حيث غبت
فذلك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل وروي بسنده عن ابن

عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية من العشيات
فقال لهم عباد الله توبوا الى الله قبل ان ياتيكم بعذاب فانكم توشكون
ان تروا الشمس من قبل المغرب فاذا فعلت حبست التوبة وطوي
العمل فقال الناس هل لذلك من اية يارسول الله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اية تلك الليلة ان تطول كقدر ثلاث ليال
فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون له ثم يقضون صلاتهم والليل
مكانه لم ينقص ثم ياتون مضاجعهم فينامون حتى اذا استيقظوا والليل
مكانه فاذا راوا ذلك خافوا ان يكون ذلك بين يدي امر عظيم فاذا
اصبحوا وطال عليهم رات اعينهم طلوع الشمس فبينما هم ينتظرونها
اذ طلعت عليهم من قبل المغرب فاذا فعلت ذلك لم ينفع نفسا ايمانها
لم تكن امنت من قبل قال ابن عباس لا ينفع مشركا ايمانه عند
الايات وينفع اهل الايمان عند الايات ان كانوا اكتسبوا خيرا قبل
ذلك قال ابن الجوزي قيل ان الحكمة في طلوع الشمس من مغربها ان
الملحدة والمنجمين زعموا ان ذلك لا يكون فيريهم الله قدرته فيطلعها
من المغرب كما اطلعها من المشرق فيتحقق عجزهم وقيل بل ذلك
بعض الايات الثلاث الدابة او ياجوج وماجوج او طلوع الشمس
من مغربها لما يروى عن ابن مسعود انه قال التوبة معروضة على
ابن ادم ان قبلها ما لم تخرج احدى ثلاث الدابة او طلوع الشمس
من مغربها او ياجوج وماجوج ويروى عن عايشة قالت اذا خرج
اول الايات طرحت التوبة وحبست الحفظة وشهدت الاجساد على
الاعمال ويروى عن ابي هريرة في قوله تعالى او ياتي بعض ايات ربك
قال هي مجموع الايات الثلاث طلوع الشمس من مغربها والدجال
ودابة الارض ورواه مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث
اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها
خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض واصح الاقوال
في ذلك ما تظاهرت عليه الاحاديث الصحيحة وثبت عن النبي صلى
الله عليه وسلم ان طلوع الشمس من مغربها وقوله تعالى **يوم ياتي
بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل** يعني
لا ينفع من كان مشركا ايمانه ولا تقبل توبة فاسق عند ظهور الاية
العظيمة التي تضطرهم الى الايمان والتوبة **او كسبت في ايمانها خيرا** يعني
او عملت قبل ظهور هذه الاية خيرا من عمل صالح وتصديق قال الضحاك
من ادركه بعض الايات وهو على عمل صالح من ايمانه قبل الله منه
العمل بعد نزول الاية كما قبل منه قبل ذلك فاما من امن من شرك او تاب

من

من معصية عند ظهور هذه الاية فلا يقبل منه لانها حالة الاضطرار
كما لو ارسل الله عذابا على امة فامنوا وصدقوا فانهم لا ينفعهم ذلك
لمعاينتهم الاهوال والشدايد التي تضطرهم الى الايمان والتوبة وقوله
قل انتظروا يعني ما وعدتهم به من مجي الاية ففيه وعيد وتهديد
انا منتظرون يعني ما وعد ربكم به من العذاب يوم القيامة او قبلها
في الدنيا قال بعض المفسرين وهذا انما ينتظره من تاخر في الوجود من
المشركين والملحدين والمكذبين بمحمد صلى الله عليه وسلم الى ذلك الوقت
والمراد بهذا ان المشركين انما يمهلون قدر مدة الدنيا فاذا ماتوا وظهرت
الايات لم ينفعهم الايمان وحلت بهم العقوبة الملازمة ابدا وقيل ان
قوله فانتظروا انا منتظرون المراد منه الكف عن قتال الكفار فتكون
الاية منسوخة باية القتال وعلى القول الاول تكون الاية محكمة
قوله عز وجل **ان الذين فرقوا دينهم** وقرى فارقوا **دينهم وكانوا
شيعا** يعني احزابا متفرقة في الضلالة ومعنى فرقوا دينهم انهم لم
يجتمعوا عليه وكانوا مختلفين فيه فمن قرا فرقوا دينهم يعني انهم لم يجتمعوا
عليه جعلوا دينهم وهو دين ابراهيم الحنيفية السهلة اديانا مختلفة ٥
كاليهودية والنصرانية وعبادة الاصنام ونحو ذلك من الاديان المختلفة
ومن قرا فارقوا دينهم قال معناه باينوه وتركوه من المفارقة للشي
وقيل ان معنى القراءتين يرجع الى شي واحد في الحقيقة وهو ان من
فرق دينه فاقر ببعض وانكر بعضا فقد فارق في الحقيقة ثم اختلفوا
في المعني بهذه الاية فقال الحسن هم جميع المشركين لان بعضهم عبدة
الاصنام وقالوا هذه شفعاونا عند الله وبعضهم عبدوا الملايكة وقالوا
انهم بنات الله وبعضهم عبد الكواكب فكان هذا هو تفريق دينهم وقال
مجاهد هم اليهود وقال ابن عباس وقتادة والسدي والضحاك هم
اليهود والنصارى لانهم تفرقوا فكانوا فرقا مختلفة وقال ابو هريرة
في هذه الاية هم اهل الضلالة من هذه الامة روي ذلك مرفوعا قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين فرقوا دينهم وكانوا
شيعا لست منهم في شي وليسوا منك هل هم اهل البدع واهل الشبهات
واهل الضلالة من هذه الامة اسنده الطبري فعلى هذا يكون المراد
من هذه الاية الحث على ان تكون كلمة المسلمين واحدة وان لا يتفرقوا
في الدين ولا يبتدعوا البدع المضلة ويروى عن عمر بن الخطاب ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعايشة يا عايشة ان الذين
فرقوا دينهم وكانوا شيعا هم اصحاب البدع والاهوا من هذه الامة
ذكره البغوي بغير سند عن العرباض بن سارية قال صلى بنا رسول

الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم اقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة
بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل يا رسول الله كان
هذه موعظة مودع فما تعهد الينا فقال اوصيكم الله بتقوى الله والسمع
والطاعة وان تامر عليكم عبد احبشيا فانه من يعيش منكم بعدى فسيرى
اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفا الراشدين المهديين تمسكوا بها
وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة
وكل بدعة ضلالة اخرجه ابو داود والترمذي عن معاوية قال قام فينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا ان من قبلكم من اهل الكتاب
افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفرق على ثلاث
وسبعين ثنتان وسبعين فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة زاد فى
رواية وانه سيخرج فى امتى اقوام تتجارى بهم الاهوا كما يتجارى الكلب
بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل الا دخله اخرجه ابو داود وعن عبد الله
ابن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بنى
اسرايل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وستفترق امتى على ثلاث
وسبعين ملة كلها فى النار الا امة واحدة قالوا من هى يا رسول الله قال
من كان على ما انا عليه واصحابى واخرجه الترمذى قال الخطابي فى
هذا الحديث دلالة على ان هذه الفرق غير خارجة من الملة والدين
اذ جعلهم من امته • قوله وتتجارى بهم الاهوا كما يتجارى كلب بصاحبه
التجارى تفاعل من الجرى وهو الوقوع فى الاهوا الفاسدة تشبيها بجرى
الفرس والكلب قال ابن مسعود ان احسن الحديث كتاب الله واحسن
الهدي هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها رواه جابر
عن النبى صلى الله عليه وسلم مرفوعا وقوله لست منهم فى شى يعنى فى قتال
الكفار فعلى هذا تكون الاية منسوخة باية القتال وهذا على قول
من يقول ان المراد من الاية اليهود والنصارى والكفار ومن قال ان
المراد من الاية اهل الاهوا والبدع من هذه الامة قال معناه لست منهم
فى شى اى انت منهم برى وهم منك برآء تقول العرب ان فعلت كذا فلست
منك ولست منى اى كل واحد منا برى من صاحبه انما امرهم الى الله يعنى
فى الجزا والمكافاة ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون يعنى اذا وردوا القيمة
قوله تعالى من جا بالحسنة فله عشر امثالها يعنى عشر حسنات امثالها
ومن جا بالسيئة فلا يجزى الا مثلها يعنى مثلها فى مقابلتها واختلفوا فى
هذه الحسنة والسيئة على قولين احدهما ان الحسنة قول لا اله الا الله
والسيئة هى الشرك بالله واورد على هذا القول ان كلمة التوحيد لا مثل لها
حتى يحمل جزا لقايلها عشر امثالها واجيب عنه بان جزا الحسنة قدر

معلوم

معلوم عند الله تعالى فهو يجازى على قدر ايمان المومن بما يشا من الجزا
وانما قال عشر امثالها للترغيب فى الايمان لا للتحديد فكذلك جزاء
السية بمثلها من جنسها والقول الثانى ان اللفظ عام فى كل حسنة يعملها
العبد او سية وهذا اولى لان حمل اللفظ على العموم اولى قال بعضهم
التقدير بالعشرة ليس للتحديد لان الله تعالى يضاعف لمن يشا فى
حسناته الى سبعماية ويعطى من يشا بغير حساب واعطاهذا الثواب
لعامل الحسنة فضل من الله تعالى هذا مذهب اهل السنة وجزاء
السية بمثلها عدل منه سبحانه وتعالى او يغفر وهو قوله تعالى وهم
لا يظلمون يعنى لا ينقص من ثواب الطايع ولا يزاد على عقاب العاصى
ق عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احسن
احدكم اسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر امثالها الى سبعماية ضعف
وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها حتى يلقى الله تعالى م عن ابى ذر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى من جا بالحسنة
فله عشر امثالها وازيد ومن جا بالسية فجزا سية مثلها او اغفر ومن
تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب منى ذراعا تقربت منه
باعا ومن اتانى يمشى اتيته هرولة ومن لقينى بقراب الارض خطيئة
بعد ان لا يشرك بى شيا لقيته بمثلها مغفرة ق عن ابى هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى واذا اراد عبدى
ان يعمل سية فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فان عملها فاكتبوها بمثلها
وان تركها من اجلى فاكتبوها له حسنة فان عملها فاكتبوها له بعشر امثالها
الى سبعماية لفظ البخاري • وفى لفظ مسلم عن محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى واذا تحدث عبدى بان
يعمل حسنة فانا اكتبها له حسنة ما لم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها بعشر
امثالها • واذا تحدث بان يعمل سية فانا اغفرها له ما لم يعملها فاذا
عملها فانا اكتبها له بمثلها • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت
الملايكة رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سية وهو ابصر به فقال ارقبوه
فان عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة فانما
تركها من جراى زاد الترمذى ثم قرا من جا بالحسنة فله عشر امثالها
قوله عز وجل قل يعنى قل يا محمد لهولا المشركين من قومك انني
هدانى ربى الى صراط مستقيم يعنى قل لهم اننى ارشدنى ربى الى طريق
القويم وهو دين الاسلام الذى ارتضاه الله لعباده المومنين دينا
قيما يعنى هدانى صراطا مستقيما دينا قيما وقيل يحتمل ان يكون محمولا على
المعنى تقديره وعرفنى دينا قيما مستقيما لا اعوجاج فيه ولا زيغ وقيل

فيما ثابتا تقوم بها الامور معاشي ومعادي وقيل هو من القيام وهو ابلغ
من القايم ملة ابراهيم والملة بالكسر الدين والشريعة يعني هداني
وعرفني دين ابراهيم وشريعته حنيفا الاصل في الحنف الميل وهو ميل
عن الضلالة الى الاستقامة والعرب تسمي كل من اختتن او حج حنيفا
تنبيها انه على دين ابراهيم عليه السلام وما كان من المشركين
يعني ابراهيم صلى الله عليه وسلم وفيه رد على كفار قريش لانهم يزعمون
انهم على دين ابراهيم فاخبر الله تعالى ان ابراهيم لم يكن من المشركين
وممن يعبد الاصنام قوله تعالى قل اى قل يا محمد ان صلاتي ونسكي
قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والسدي اراد بالنسك في
هذا الموضع الذبيحة في الحج والعمرة وقيل النسك العبادة والناسك
العابد وقيل المناسك اعمال الحج وقيل النسك كل ما يتقرب به الى
الله عز وجل من صلاة وحج وذبح وعبادة • ونقل الواحدي عن
ابن الاعرابي قال النسك سبايك الفضة كل سبيكة منها نسيكة وقيل
للمتعبد ناسك لانه يخلص نفسه عن دنس الاثام وصفاها كالسبيكة
المخلصة من الخبث وفي قوله ان صلاتي ونسكي دليل على ان جميع العبادات
يؤدى بها العبد على الاخلاص لله ويؤكد هذا في اخر قوله لله رب العالمين
لا شريك له وفيه دليل على ان جميع العبادات لا تؤدى الا على وجه
التمام والكمال لان ما كان لله لا ينبغي ان يكون الا كاملا تاما مع اخلاص
العبادة له فما كان بهذه الصفة من العبادات كانت مقبولة ومحيا ي
ومماتي اي حياتي وموتي بخلق الله وقضايه وقدره اى هو يحييني
ويميتني وقيل معناه ان محياي بالعمل الصالح ومماتي اذا امت على
الايمان لله وقيل معناه ان طاعتي في حياتي لله وجزاي بعد مماتي
من الله • وحاصل هذا الكلام ان الله امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يبين ان صلاته ونسكه وساير عباداته وحياته وموته
كلها واقعة بخلق الله وقضايه وقدره وهو المراد بقوله لله رب العالمين
لا شريك له يعني في العبادة والخلق والقضا والقدر وساير افعاله
لا يشاركه فيها احد من خلقه وبذلك امرت يعني قل يا محمد وبهذا
التوحيد امرت وانا اول المسلمين قال قتادة يعني من هذه الامة
وقيل معناه وانا اول المستسلمين لقضايه وقدره **قوله عز وجل**
قل اغير الله ابغي ربا اي قل يا محمد لهولا الكفار من قومك اغير الله
اطلب سيدا والها وهو رب كل شي يعني وهو سيد كل شي ومالكه لا
يشاركه فيه احد وذلك ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع
الى ديننا قال ابن عباس كان الوليد بن المغيرة يقول اتبعوا سبيلي

احمل

احمل عنكم اوزاركم فقال الله عز وجل ردا عليهم ولا تكسب كل نفس الا عليها
يعني ان اثم الجاني عليه لا على غيره ولا تزر وازرة وزر اخرى يعني لا تؤاخذ
نفس آثمة باثم اخرى ولا تحمل نفس حاملة حمل اخرى ولا يؤاخذ احد بذنب
اخر غيره ثم الى ربكم مرجعكم يعني يوم القيمة فينبيكم بما كنتم فيه تختلفون
يعني في الدنيا من الاديان والملل قوله تعالى وهو الذي جعلكم خلايف
الارض يعني والله الذي جعلكم يا امة محمد خلايف في الارض فان الله
اهلك من كان قبلكم من الامم الخالية واستخلفكم فجعلكم خلايف منهم
في الارض تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم وذلك لان محمدا صلى الله عليه
وسلم خاتم الانبيا وهو اخرهم وامته اخر الامم ورفع بعضكم فوق بعض
درجات يعني ان الله تعالى خالف بين احوال عباده فجعل بعضهم فوق
بعض في الخلق والرزق والشرف والعقل والقوة والفضل فجعل منهم
الحسن والقبيح والغني والفقير والشريف والوضيع والعالم والجاهل
والقوي والضعيف وهذا التفاوت بين الخلق في الدرجات ليس لاجل
العجز او الجهل او البخل فان الله سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص
وانما هو لاجل الابتلا والامتحان وهو قوله تعالى ليبلوكم فيما اتاكم يعني
يعاملكم معاملة المبتلى والمختبر وهو اعلم باحوال عباده والمعنى ليبتلي
الغني بغناه والفقير بفقره والشريف بشرفه والوضيع بدناته والعبد
والحر وغيرهم من جميع اصناف خلقه ليظهر منكم ما يكون عليه الثواب
والعقاب لان العبد اما ان يكون مقصرا فيما كلف به واما ان يكون موفيا
ما امر به فان كان مقصرا كان نصيبه التخويف والترهيب وهو قوله
تعالى ان ربك سريع العقاب يعني لاعدايه واهلاكهم في الدنيا وانما
وصف العقاب بالسرعة لان كل ما هو ات فهو قريب وان كان العبد موفيا
حقوق الله فيما امره به او نهاه عنه كان نصيبه الترغيب والتشريف
والتكريم وهو قوله تعالى وانه لغفور يعني لذنوب اوليايه واهل طاعته
رحيم يعني لجميع خلقه والله اعلم باسرار كتابه •

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الاعراف مكية

روي ذلك عن ابن عباس وبه قال الحسن ومجاهد وعكرمة وعطا وجابر
ابن زيد وقتادة روي عن ابن عباس ايضا انها مكية الا خمس ايات
اولها واسالهم عن القرية التي حاضرة البحر الى قوله واذ اخذ ربك
وهي مايتان وست ايات وثلاثة الاف وثلثماية وخمسة وعشرون
كلمة واربعة عشر الف حرف وعشرة احرف بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل المص قال ابن عباس معناه انا الله افضل انا الله

اعلم واخصل وعنه ان المص قسم اقسم الله به وهو اسم من اسما الله تعالى
وقال قتادة المص من اسما القران وقال الحسن هو اسم للسورة وقال
السدى هو بعض اسمه تعالى المصور وقال ابو العالية الالف
مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد
والصاد مفتاح اسمه صادق وصبور وقيل هى حروف مقطعة استاثر
الله بعلمها وهى سره فى كتابه العزيز وقيل هى حروف اسمه الاعظم
وقيل هى حروف تحوى معانى دل الله بها خلقه على مراده وقد تقدم
بسط الكلام فى معانى الحروف المقطعة فى اوايل السور فى اول
سورة البقرة كتاب انزل اليك يعنى هذا كتاب انزله الله اليك يا محمد
وهو القران فلا يكن فى صدرك حرج منه يعنى فلا يضيق صدرك
بالابلاغ وتادية ما ارسلت به الى الناس لتنذر به يعنى انا انزلنا
اليك الكتاب يا محمد لتنذر به من امرتك بانذاره وذكرى للمومنين
يعنى ولتذكر وتعظ به المومنين وهذا من الموخر الذى معناه التقديم
تقديره كتاب انزلناه اليك لتنذر به وذكرى للمومنين فلا يكن فى
صدرك حرج منه قال ابن عباس فلا تكن فى شك منه لان الشك لا
يكون الا من ضيق الصدر وقلة الاتباع لتوجيه ما حصل له قوله
تعالى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم اى قل يا محمد لقومك اتبعوا ايها
الناس ما انزل اليكم من ربكم من القران الذى فيه الهدى والنور والبيان
قال الحسن يا ابن ادم امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه
وسلم والله ما نزلت اية الا ويجب ان تعلم فيما انزلت وما معناها بنحو
هذا قال الزجاج اى اتبعوا القران وما اتى به النبى صلى الله عليه وسلم
فانه مما انزل لقوله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
ومعنى الاية ان الله تعالى لما امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالانذار
فى قوله لتنذر به وتذكر به المومنين فيقول لهم اتبعوا ما انزل اليكم
من ربكم وقيل خطاب للكفار اتبعوا ايها المشركون ما انزل اليكم
واتركوا ما انتم عليه من الكفر والشرك ويدل عليه قوله تعالى ولا تتبعوا
من دونه اوليا معناه ولا تتخذوا الذين يدعونكم الى الكفر والشرك
اوليا فتتبعوهم يعنى والمعنى ولا تتولوا من دونه شياطين الانس
فيامرونكم بعبادة الاصنام واتباع البدع والاهوا الفاسدة قليلا ما تذكرون
يعنى ما تتعظون الا قليلا قوله عز وجل وكم من قرية اهلكناها لما
امر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بالابلاغ والانذار وامر امته باتباع ما
انزل اليهم حذرهم نقمته وباسه ان لم تتبعوا ما امر الله به فذكر فى هذه الاية
ما فى ترك المتابعة والاعراض عن امره من الوعيد فقال تعالى وكم من

قرية اهلكناها قيل فيه حذف تقديره وكم اهل قرية لان المقصود بالاهلا
اهل القرية وقيل ليس فيه حذف لان اهلاك القرية اهلاك لاهلها فجاها
باسنا اى عذابنا فان قلت مجى الباس وهو العذاب انما يكون قبل
الاهلاك فكيف قال اهلكناها فجاها باسنا قلت معناه وكم من
قرية حكمنا باهلاكها فجاها باسنا وقال بعضهم القول ان الاهلاك والباس
قد يقعان معا كما يقال اعطيتنى فاحسنت الى فلم يكن الاحسان قبل
العطا لا بعده وانما وقعا معا وقال غيره لا فرق بين قولك اعطيتنى
فاحسنت الى او احسنت الى فاعطيتنى فيكون احدهما بدلا من الاخر
بياتا يعنى فجاها عذابنا ليلا قبل ان يصبحوا او هم قايلون من القيلولة
وهو نوم نصف النهار واستراحة نصف النهار وان لم يكن معها نوم
والمعنى فجاها باسنا غفلة وهم غير متوقعين له ليلا وهم نايمون
او نهارا وهم قايلون وقت القيلولة ومقصود الاية انه جاهم العذاب
على حين غفلة منهم من غير تقدم امارة تدلهم على وقت نزول
العذاب وفيه وعيد وتخويف للكفار لانه قيل لهم لا تغتروا باسباب
الامن والراحة فان عذاب الله اذا نزل دفعة واحدة فما كان دعواهم
يعنى فما كان دعا اهل القرية التى جاهم باسنا والدعوى تكون بمعنى
الادعا وبمعنى الدعا قال سيبويه تقول العرب اللهم اشركنا فى صالحى
دعوى المسلمين ومنه قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم اذ جاهم
باسنا يعنى عذابنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين يعنى انهم لم يقدروا
على رد العذاب عنهم وكان حاصل امرهم الاعتراف بالجناية وذلك
حين لا ينفع الاعتراف فلنسالن الذين ارسل اليهم يعنى لنسال الامم
الذى ارسلت اليهم الرسل ماذا عملتم فيما جاتكم به الرسل ولنسالن
المرسلين يعنى ولنسالن الرسل الذى ارسلناهم الى الامم هل بلغتم
رسالاتى واديتم الى الامم ما امرتم بتاديته اليهم او قصرتم فى ذلك قال
ابن عباس فى هذه الاية يسال الله الناس عما اجابوا المرسلين ويسال
المرسلين عما بلغوا وعنه انه قال يوضع الكتاب يوم القيمة فيتكلم
الرسل بما كانوا يعملون وقال السدى يسالوا الامم ما عملوا فيما
جات به الرسل ويسال الرسل هل بلغوا ما ارسلوا به فان قلت
قد اخبر عنهم فى الاية الاولى بانهم اعترفوا على انفسهم بالظلم فى قوله
انا كنا ظالمين فما فايدة هذا السوال مع اعترافهم على انفسهم بذلك
قلت لما اعترفوا انهم كانوا ظالمين مقصرين سيلوا بعد ذلك
عن سبب هذا الظلم والتقصير والمقصود من هذا التقريع والتوبيخ
للكفار فان قلت فما الفايدة فى سوال الرسل مع العلم بانهم قد

بلغوا رسالات ربهم الى من ارسلوا اليهم من الامم قلت اذا كان يوم
القيمة انكروا الكفار تبليغ الرسل فقالوا ما جانا من بشير ولا نذير
فكان مسالة الرسل على وجه الاستشهاد لهم على من ارسلوا اليه
من الامم انهم قد بلغوا رسالات ربهم الى من ارسلوا اليه من الامم
فتكون هذه المسئلة كالتقريع والتوبيخ للكفار ايضا لانهم انكروا
تبليغ الرسل فيزداد بذلك خزيهم وهوانهم وعذابهم وقوله تعالى
فلنقصن عليهم بعلم يعني فلنخبرن الرسل ومن ارسلوا اليهم بعلم يقيني
بما عملوا في الدنيا وما كنا غايبين يعني عنهم وعن افعالهم وعن
الرسل فيما بلغوا عن الامم فيما اجابوا فان قلت كيف الجمع
بين قوله فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين وبين قوله
فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غايبين فاذا كان عالما فما فايدة هذا
السوال قلت فايدة سوال الامم والرسل مع علمه سبحانه وتعالى
بجميع المعلومات التوبيخ والتقريع للكفار لانهم اذا اقروا على
انفسهم كان ابلغ في المقصود اما سوال استرشاد واستثبات فهو
منفي عن الله عز وجل لانه عالم بجميع الاشيا قبل كونها وفي حال
كونها وبعد كونها وهو العالم بالكليات والجزئيات وعلمه بظاهر
الاشيا كعلمه ببواطنها قوله تعالى والوزن يومئذ الحق يعني والوزن
يوم سوال الامم والرسل وهو يوم القيمة العدل وقال مجاهد المراد
بالوزن هذا القضا ومعنى الحق العدل وذهب جمهور المفسرين الى ان
المراد بالوزن وزن الاعمال بالميزان وذلك بان الله عز وجل ينصب
ميزانا له لسان وكفتان كل كفة قدر ما بين المشرق والمغرب قال
ابن الجوزي جا في الحديث ان داود عليه السلام سال ربه ان يريه
الميزان فاراه اياه فقال الهي من يقدر ان يملا كفتيه حسنات فقال
يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملاتها بتمرة واحدة وقال حذيفة
جبريل صاحب الميزان يوم القيمة فيقول له ربه عز وجل زن بينهم
ورد بعضهم على بعض وليس ثم ذهب ولا فضة فيرد على المظلوم من
الظالم ما وجد له من حسنة فان لم تكن له حسنة اخذ من سيات
المظلوم فيرد على سيات الظالم فيرجع الرجل وعليه مثل الجبل فان
قلت اليس الله عز وجل يعلم مقادير اعمال العباد فما الحكمة
في وزنها قلت فيه حكم منها اظهار العدل وان الله عز وجل لا
يظلم عباده ومنها امتحان الخلق بالايمان بذلك في الدنيا واقامة
الحجة عليهم في العقبى ومنها تعريف العبد ما له من خير وشر وحسنة
وسيئة ومنها اظهار علامة السعادة والشقاوة ونظيره انه تعالى

اثبت

اثبت اعمال العباد في اللوح المحفوظ ثم في صحايف الحفظة الموكلين ببني
ادم من غير جواز النسيان عليه سبحانه وتعالى ثم اختلف العلما في كيفية
الوزن فقال بعضهم توزن صحايف الاعمال المكتوب فيها الحسنات والسيات
ويدل على ذلك حديث البطاقة وهو ما روي عن عبد الله بن عمرو بن
العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل سيخلص
رجلا من امتي على رؤس الخلايق يوم القيمة فينشر له تسعا وتسعين
سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول له اتنكر من هذا شيا اظلمك كتبتي
الحافظون فيقول لا يا رب فيقول الك عذر فيقول لا يا رب فيقول
الله تعالى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج الله
بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله
فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات
فقال فانه لا ظلم عليك اليوم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة
فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شي اخرجه
الترمذي واحمد بن حنبل وقال ابن عباس يوتى بالاعمال الحسنة على
صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان
فعلى قول ابن عباس ان الاعمال تتصور صورا وتوضع تلك الصور في
الميزان ويخلق الله في تلك الصورة ثقلا وخفة ونقل البغوي
عن بعضهم انما توزن الاشخاص واستدل لذلك بما روي عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليأتي الرجل السمين العظيم
يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة اخرجاه في الصحيحين
وهذا الحديث ليس فيه دليل على ما ذكر من وزن الاشخاص في الميزان
لان المراد بقوله لا يزن عند الله جناح بعوضة مقداره وحرمته
لا وزن جسده ولحمه والصحيح قول من قال ان صحايف الاعمال توزن
او نفس الاعمال تتجسد وتوزن والله اعلم بحقيقة ذلك وقوله تعالى
فمن ثقلت موازينه جمع ميزان واورد على هذا انه ميزان واحد فما
وجه الجمع واجيب عنه بان العرب قد توقع لفظ الجمع على
الواحد وقيل انه ينصب لكل عبد ميزان وقيل انما جمعه لان الميزان
يشتمل على الكفتين والشاهين واللسان ولا يتم الوزن الا باجتماع
ذلك كله وقيل هو جمع موزون يعني رجحت اعماله الحسنة الموزونة
التي لها وزن وقدر فاولئك هم المفلحون يعني هم الناجون غدا
والفايزون بثواب الله وجزايه ومن خفت موازينه يعني موازين
اعمال الكفار بدليل قوله فاولئك الذين خسروا انفسهم يعني غبنوا
انفسهم حظوظها من جزيل ثواب الله وكرامته بما كانوا باياتنا يظلمون

يعنى بسبب ذلك الخسران انهم كانوا بحج الله وادلة توحيده يجحدون ولا
يقرون بما روى عن ابى بكر الصديق انه حين حضره الموت قال فى وصيته
لعمر بن الخطاب انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيمة
باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا
ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيمة باتباع
الباطل وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون
خفيفا **قوله عز وجل** ولقد مكناكم فى الارض يعنى مكنا لكم
ايها الناس فى الارض والمراد من التمكين التمليك وقيل معناه جعلنا
لكم فيها مكانا وقرارا واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها
معايش يعنى به معيشة يعنى به جميع وجوه المنافع التى تحصل بها
الارزاق وتعيشون بها ايام حياتكم وهى على قسمين احدهما ما انعم الله
به على عباده من الزرع والثمار وانواع الماكل والمشارب والثانى
ما يحصل من المكاسب والارباح فى انواع التجارات والصنايع
وكلا القسمين فى الحقيقة انما يحصل بفضل الله وانعامه وتمكينه
لعباده وكثرة الانعام توجب الطاعة للمنعم بها والشكر له عليها
ثم بين تعالى انه مع هذا الافضال على عباده وانعامه عليهم لا
يقومون بشكره كما ينبغى فقال تعالى قليلا ما تشكرون يعنى على ما
صنعت اليكم وانعمت به عليكم وفيه دليل على انهم قد يشكرون
لان الانسان قد يذكر نعم الله فيشكره فلا يخلوا فى بعض الاوقات من
الشكر على النعم وحقيقة الشكر تصور النعمة واظهارها ويضاده الكفر
وهو نسيان النعمة وسترها ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعنى ولقد
خلقناكم ايها الناس المخاطبون بهذا الخطاب وقت نزوله فى ظهر
ابيكم ادم ثم صورناكم فى ارحام النسا صعدا مخلوقة **فان قلت**
على هذا التفسير يكون قوله ثم قلنا للملايكة اسجدوا لادم يقتضى
ان الامر بالسجود لادم كان وقع بعد خلق المخاطبين بهذا الخطاب
وتصويرهم لان كلمة ثم للتراخى ومعلوم ان الامر ليس كذلك بل كان
السجود لادم قبل خلق ذريته **قلت** يحتمل ان يكون المعنى ولقد
خلقناكم ثم صورناكم ايها المخاطبون ثم اخبرناكم انا قلنا للملايكة
اسجدوا لادم فتكون كلمة ثم تفيد ترتيب خبر على خبر ولا تفيد
ترتيب المخبر على الخبر • وقيل فى معنى الاية ولقد خلقناكم يعنى ادم
ثم صورناكم ذريته وهذا قول ابن عباس • وقال مجاهد ولقد خلقناكم
يعنى ادم ثم صورناكم • وقيل ان الخلق والتصوير يرجع الى ادم وحده
والمعنى ولقد خلقناكم يعنى ادم وحكمنا بخلقه ثم صورناكم يعنى ادم يعنى

صورة من طين ثم قلنا للملايكة اسجدوا لادم يعنى بعد اكمال خلقه
وقد تقدم فى سورة البقرة الكلام فى معنى هذا السجود وانه كان على
سبيل التحية • وقيل بل كان السجود له وكان ذلك بامر الله تعالى
فسجدوا يعنى الملايكة الا ابليس يعنى فسجد الملايكة لادم الا ابليس
لم يكن من الساجدين وظاهر الاية يدل على ان ابليس كان من الملايكة
على انه خلق من نار والملايكة من نور وانما استثناه من الملايكة لانه
كان مامورا بالسجود مع الملايكة فلما لم يسجد اخبر الله عنه انه لم يكن
من الساجدين لادم فلهذا استثنى منهم **قوله عز وجل** قال ما
منعك الا تسجد اذ امرتك يعنى قال الله عز وجل لابليس اى شى
منعك من السجود لادم اذ امرتك به فعلى هذا التاويل تكون كلمة
لا فى قوله الا تسجد صلة زايدة وانما دخلت للتوكيد والتقدير ما
منعك ان تسجد فهو كقوله لا اقسم اى اقسم وقوله وحرم على قرية
اهلكناها انهم لا يرجعون اى يرجعون وقوله ليلا يعلم اهل الكتاب
ان لا يقدرون على شى من فضل الله اى ليعلم اهل الكتاب وهذا قول
الكسائى والفرا والزجاج والاكثرين وقيل ان كلمة لا هنا على اصلها
مفيدة وليست بزايدة لانه لا يجوز ان يقال ان كلمة من كتاب الله
زايدة او لا معنى لها وعلى هذا القول حكى الواحدى عن احمد بن يحيى
ان لا فى هذه الاية ليست زايدة ولا توكيدا لان معنى قوله ما
منعك الا تسجد من قال لك لا تسجد فحمل نظم الكلام على معناه
وهذا القول حكاه ابو بكر عن الفرا • قال الطبرى الصواب فى ذلك
ان يقال ان فى الكلام محذوفا تقديره ما منعك من السجود فاحوجك
ان لا تسجد فترك ذكر احوجك استغنا بمعرفة السامعين ونقل
الامام فخر الدين الرازى عن القاضى قال ذكر الله المنع واراد الداعى
فكانه قال ما دعاك الى ان لا تسجد لان مخالفة الله عز وجل حالة
عظيمة يتعجب منها ويسال عن الداعى اليها **فان قلت** لم سال
عن المنع من السجود وهو اعلم به **قلت** للتوبيخ والتقريع
ولاظهار معاندته وكفره وافتخاره باصله وحسده لادم ولذلك لم
يثنى عليه قال يعنى قال ابليس مجيبا لله عما ساله عنه انا خير منه
فان قلت قوله انا خير منه ليس كجواب عما ساله عنه فى قوله ما
منعك الا تسجد فلم يجب بما منعه من السجود فانه كان ينبغى له ان
يقول منعنى كذا او كذا ولكنه قال انا خير منه قلت استانف قصة
اخبر فيها عن نفسه بالفضل على ادم وفيها دليل على موضع الجواب
وهو قوله خلقتنى من نار وخلقته من طين والنار خير من الطين

وانوروانما قال انا خير منه لما راي انه اشد منه قوة وافضل منه
فضلا وذلك الفضل الحبشي الذي خلق منه وهو القادر على الطين
الذي خلق منه ادم فجعل عدو الله ابليس وجد الحق واخطا طريق
الصواب لان من المعلوم ان من جوهر النار الخفة والطيش والارتفاع
والاضطراب وهذا الذي حمل ابليس الخبيث مع الشقا الذي سبق
له من الله تعالى في الكتاب السابق على الاستكبار على السجود لادم
عليه السلام والاستخفاف بامر ربه فاورده ذلك العطبة والهلا
ومن المعلوم ان من جوهر الطين الرزانة والاناة والصبر والحلم والحيا
والتثبت وهذا كان الداعي لادم عليه السلام مع السعادة السابقة
التي سبقت له من الله تعالى في الكتاب السابق الى التوبة من
خطيئته ومسئلته ربه العفو عنه والمغفرة ولذلك كان الحسن
وابن سيرين يقولان اول من قاس ابليس فاخطا وقال ابن سيرين
ايضا ما عبدت الشمس والقمر الا بالقياس واصل هذا القياس الذي
قاسه ابليس لما راي ان النار افضل من الطين واقوى فقال انا خير
منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يدر ان الفضل لمن جعله
الله فاضلا وان الافضلية والخيرية لا تحصل الا بسبب فضيلة
الاصل والجوهر وايضا الفضيلة انما تحصل بسبب الطاعة وقبول
الامر فالمومن الحبشي خير من الكافر القرشي فان الله تعالى خص صفيه
ادم عليه السلام باشيا لم يخص بها غيره وان خلقه بيده ونفخ فيه
من روحه واسجد له ملايكته وعلمه اسما كل شي واورثه الاجتبا والتوبة
والهداية الى غير ذلك مما خص الله به ادم عليه السلام للعناية
التي سبقت له من القدم وقوله تعالى **قال فاهبط منها** يعني قال
الله عز وجل لابليس اهبط من الجنة وقيل من السما الى الارض ٥
والهبوط الانزال والانحدار من فوق الى سبيل القهر والهوان ٥
والاستخفاف **فما يكون لك ان تتكبر فيها** يعني فليس لك ان تستكبر
في الجنة عن امري وطاعتي لانه لا ينبغي ان يسكن في الجنة او في السما
متكبر مخالف لامر الله عز وجل فاما غير الجنة والسما فقد يسكنها
المستكبر عن طاعة الله وهم الكفار الساكنون في الارض **فاخرج
انك من الصاغرين** يعني انك من الاذلا المهانين والصغار والذل
والمهانة قال الزجاج استكبر عدو الله ابليس فابتلاه الله بالصغار
والذلة وقيل كان له ملك الارض فاخرجه الله منها الى جزاير البحر
الاخضر وعرشه عليه فلا يدخل الارض الا خايفا كهيئة السارق مثل
شيخ عليه اطمار رثة يروع فيها حتى يخرج منها **قال** يعني ابليس عند

ذلك

ذلك **انظرني** يعني اخرني وامهلني فلا تمتني **الى يوم يبعثون** يعني
من قبورهم وهي النفخة الاخرة عند قيام الساعة وهذا من جهالة
الخبيث ابليس لانه سال ربه الامهال وقد علم انه لا سبيل لاحد من
خلق الله الى البقا في الدنيا ولكنه كره ان يذوق الموت فطلب البقا
والخلود فلم يجب الى ما سال **قال** الله له **انك من المنظرين** يعني
من المؤخرين الممهلين وقد بين الله تعالى مدة النظر والمهلة في سورة
الحجر فقال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وذلك هو النفخة
الاولى حين يموت الخلق كلهم **فان قلت** ما وجه قوله
انك من المنظرين وليس احد ينظر سواه **قلت** معناه ان الذي
تقوم عليهم الساعة منظرون الى ذلك الوقت باجالهم فهو منهم **قال**
يعني ابليس **فبما اغويتني** يعني فباي شي اضللتني فعلى هذا تكون
ما استفهامية ثم الكلام عند قوله اغويتني ثم ابتدا فقال لاقعدن
لهم صراطك المستقيم وقيل ما القسم تقديره فباغوايك اياي
وقيل معناه فبما اوقعت في قلبي الغي الذي كان سبب هبوطي ٥
الارض من السما واضللتني عن الهدي **لاقعدن لهم صراطك
المستقيم** يعني لاجلس على صراطك القويم وهو طريق الاسلام وقيل
المراد بالصراط المستقيم الطريق الذي يسلكونه الى الجنة وذلك لان
اوسوس اليهم وازين الباطل وما يكسبهم الماثم وقيل المراد بالصراط
المستقيم طريق مكة يعني يمنعهم من الهجرة وقيل المراد به الحج والقول
الاول اولي لانه يعم الجميع ومعنى الاية لاصدن بني ادم عن عبادتك ٥
وطاعتك ولا غوينهم ولاضلنهم كما اضللتني عن سبرة بن الفاكه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قعد لابن ادم
باطرقه فقعد له عن طريق الاسلام فقال تسلم وتذر دين ابايك واباء
ابايك فعصاه واسلم وقعد له بطريق الهجرة وقال تهاجر وتذر ارضك
وسماءك وانما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول فعصاه فقعد له
بطريق الجهاد فقال تجاهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المراة
وتقسم المال فعصاه فجاهد قال فمن فعل كان حقا على الله ان يدخله
الجنة او رفصته دابته كان حقا على الله ان يدخله الجنة اخرجه
النساي وقوله تعالى اخبارا عن ابليس **ثم لاتينهم من بين ايديهم
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمايلهم** قال ابن عباس من بين ايديهم
يعني من قبل الاخرة فاشككهم فيها ومن خلفهم يعني من قبل الدنيا
فارغبهم فيها وعن ايمانهم يشبه عليهم امر دينهم وعن شمايلهم اشهي
لهم المعاصي وانما جعل الاخرة من بين ايديهم في هذا القول لانهم

مستقلبون اليها وصايرون اليها فعلى هذا الاعتبار فالدنيا خلفهم لانهم
يخلفونها وراء ظهورهم • وقال ابن عباس في رواية عنه من بين ايديهم
من قبل دنياهم يعني ازينها في قلوبهم ومن خلفهم من قبل الاخرة فاقول
لا بعث ولا جنة ولا نار وعن ايمانهم من قبل حسناتهم وعن شمائلهم
من قبل سيئاتهم وانما جعل الدنيا من بين ايديهم في هذا القول لان
الانسان يسعى فيها ويشاهدها فهي حاضرة بين يديه والاخرة غايبة عنه
فهي خلفه • وقال الحكم بن عتيبة من بين ايديهم يعني من قبل الدنيا ازينها
لهم ومن خلفهم من قبل الاخرة فاثبطهم عنها وعن ايمانهم يعني من قبل
الحق فاصدهم عنه وعن شمائلهم من قبل الباطل فازينه لهم • وقال قتادة اتاهم
من بين ايديهم فاخبرهم انه لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من امر
الدنيا فزينها لهم ودعاهم اليها وعن ايمانهم من قبل حسناتهم فبطاهم
عنها وعن شمائلهم زين لهم السيئات والمعاصي ودعاهم اليها اتاك يا
ابن ادم من كل وجه غير انه لم ياتك من فوقك فلم يستطع ان يحول
بينك وبين رحمة الله تعالى • وقال مجاهد ياتيهم من بين ايديهم
وعن ايمانهم حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم حيث لا يبصرون
ومعنى هذا انهم يخطئون ويعلمون انهم يخطئون ومن حيث لا
يبصرون انهم يخطئون ولا يعلمون انهم يخطئون • وقيل من بين ايديهم
فيما بقي من اعمارهم فلا يقدمون فيه طاعة ومن خلفهم يعني ما مضى
من اعمارهم فلا يتوبون عما اسلفوا فيه من معصية وعن ايمانهم
يعني من قبل الغنا فلا ينفقون ولا يشكرون ومن خلفهم يعني من
قبل الفقر فلا يمنعون فيه محظورا تاولوه قال شقيق البلخي ما من
صباح الا ويأتيني الشيطان من الجهات الاربع من بين يدي
ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف
فان الله غفور رحيم فاقرا واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا •
واما من خلفي فيخوفني من وقوع اولادي في الفقر فاقرا وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها • واما من قبل يميني فياتيني من الثنا
فاقرا والعاقبة للمتقين • واما من قبل شمالي فياتيني من قبل الشهوات
فاقرا وحيل بينهم وبين ما يشتهون • وقيل انه ذكر الجهات الاربع
انما اريد بها التاكيد والمبالغة في القا الوسوسة في قلب ابن ادم
وانه لا يقصر في ذلك ومعنى الاية على هذا القول ثم لاتينهم من
جميع الوجوه الممكنة لجميع الاعتبارات وقوله تعالى ولا تجد اكثرهم
شاكرين يعني ولا تجد يا رب اكثر بني ادم شاكرين لك على نعمك التي
انعمت بها عليهم وقال معناه ولا تجد اكثرهم موحدين فان قلت

هذه ح

كيف

كيف علم اللعين الخبيث ذلك حتى قال ولا تجد اكثرهم شاكرين قلت
قاله ظنا فاصاب ومنه قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل
انه كان عازما على المبالغة في تزيين الشهوات وتحسين القبائح
وعلم ميل بني ادم الى ذلك فقال هذه المقالة وقيل انه راه مكتوبا
في اللوح المحفوظ فقال هذه المقالة على سبيل اليقين والقطع والله
اعلم بمراده • قوله عز وجل قال اخرج منها اي قال الله لابليس
حين طرده عن بابه وابعده عن جنابه وذلك بسبب مخالفته
وعصيانه اخرج منها يعني من الجنة فانه لا ينبغي ان يسكن فيها العصاة
مذؤما والذام اشد العيب يعني معيبا مدحورا يعني مطرودا مبعدا
وقال ابن عباس صغيرا ممقوتا وقال قتادة لعينا مقيتا وقال الكلبي
ملوما مقصيا من الجنة ومن كل خير لمن تبعك منهم يعني من بني
ادم لاملان جهنم منكم اجمعين اللام لام القسم اقسم الله ان من اتبع
ابليس من بني ادم واطاعه ان يملا جهنم منه وممن كفر من بني ادم
وابليس وذريته ومن تبعه منهم قوله تعالى ويا ادم اسكن انت وزوجك
الجنة وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة يعني حوا الجنة وذلك
بعد ان اهبط منها ابليس واخرجه وطرده من الجنة فكلا من حيث
شئتما يعني فكلا من ثمار الجنة من اي مكان شئتما فان قلت
قال في سورة البقرة وكلا بالواو وقال هنا فكلا بالفا فما الفرق قال
الامام فخر الدين الرازي الواو تفيد الجمع المطلق والفا تفيد الجمع على
سبيل التعقيب فالمفهوم من الفا نوع داخل تحت المفهوم من الواو
ولا منافاة بين النوع والجنس ففي سورة البقرة ذكر الجنس وهنا ذكر
النوع ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين تقدم في سورة البقرة
الكلام على تفسير هذه الاية مستوفى قوله تعالى فوسوس لهما الشيطان
يعني فوسوس اليهما والوسوسة حديث يلقيه الشيطان في قلب
الانسان يقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا مكررا واصله من صوت
الحلي ومعنى وسوس لهما فعل الوسوسة والقاها اليهما فان قلت
كيف وسوس اليهما وادم وحوى في الجنة وابليس قد اخرج منها
قلت ذكر الامام فخر الدين في الجواب عن هذا السوال عن الحسن
انه قال كان يوسوس من الارض الى السما الى الجنة بالقوة الفوقية التي
جعلها الله له وقال ابو مسلم الاصبهاني بل كان ادم وابليس في الجنة
لان هذه الجنة جنات بعض جنات الارض والذي يقوله بعض الناس
من ان ابليس دخل في جوف الحية فدخلت به الحية الى الجنة فقصته
مشهورة ركيكة • وقال اخرون ان ادم وحوا ربما قربا من باب الجنة

قلت ح

وكان ابليس واقفا من خارج الجنة على بابها فقرب احدهما من الاخر
فحصلت الوسوسة هناك **فان قلت** ان ادم عليه السلام قد
عرف ما بينه وبين ابليس من العداوة فكيف قبل قوله **قلت**
يحتمل ان يقال ان ابليس لقي ادم مرارا كثيرة ورغبه في اكل هذه الشجرة
بطرق كثيرة منها نيل الخلد ومنها قوله وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين
فلاجل هذه المواظبة والمداومة على هذا التمويه اثر كلام ابليس في
ادم حتى اكل من الشجرة **ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما**
ليظهر لهما ما غطي وستر من عوراتهما قوله ما ووري مأخوذ من
المواراة وهو الستر يقال واريته بمعنى سترته والسوءة فرج الرجل
والمراة سمي بذلك لان ظهوره يسوء الانسان وفي الاية دليل على ان
كشف العورة من المنكرات المحرمات واللام في قوله ليبدي لهما لام
العاقبة وذلك لان ابليس لم يقصد بالوسوسة ظهور عورتهما وانما
كان حملهما على المعصية فقط فكان عاقبة امرهما ان بدت عوراتهما
وقال يعني قال ابليس لادم وحوا **ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة** يعني
عن الاكل من هذه الشجرة **الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين**
يعني انما نهاكما عن هذه الشجرة لكيلا تكونا ملكين من الملائكة تعلمان
الخير والشر وتكونا من الباقين الذين لا يموتون وانما اطمع ابليس لادم
بهذا لانه علم ان الملائكة لهم المنزلة والقرب من العرش فاستشرف
لذلك ادم واحبه وانه يعيش مع الملائكة لطول اعمارهم او يكون
مع الخالدين الذين لا يموتون ابدا **فان قلت** ظاهر الاية يدل
على ان الملك افضل من الانبيا لان ادم عليه السلام طلب ان يكون
من الملائكة وهذا يدل على فضلهم عليه **قلت** ليس في ظاهر
الاية ما يدل على ذلك لان ادم عليه السلام طلب ان يكون من الملائكة
كان ذلك الطلب قبل ان يشرف بالنبوة وكانت هذه الواقعة قبل
نبوة ادم فطلب ان يكون من الملائكة ومن الخالدين وعلى تقدير ان
تكون هذه الواقعة على زمان النبوة بعد ان شرف بها ادم انما طلب
ان يكون من الملائكة اطول اعمارهم او من الخالدين لا لانهم افضل منه
حتى يلحق بهم في الفضل لانه طلب اما ان يكون من الملائكة لطول
اعمارهم او من الخالدين الذين لا يموتون ابدا وقوله تعالى **وقاسمهما**
اي واقسم وحلف لهما وهذا من المفاعلة التي تختص بالواحد **اني لكما
لمن الناصحين** قال قتادة حلف لهما بالله حتى خدعهما وقد يخدع
المومن بالله تعالى فقال اني حلفت قبلكما وانا اعلم منكما فاتبعاني
ارشدكما وقال بعض العلما من خدعنا بالله خدعنا له **فدلاهما**

بغرور

بغرور يعني خدعهما بغرور يقال ما زال فلان يدل على فلان بغرور
يعني ما زال يخدعه ويكلمه بزخرف من القول باطل قال الازهري
واصله ان الرجل العطشان يتدلى في البير لياخذ الما ولا يجد فيها ما
فوضعت التدلية موضع الطمع فيما لا فايدة فيه والغرور اظهار النصح
مع ابطان الغش وقيل ان ابليس حطهما عن منزلة الطاعة الى حالة
المعصية لان التدلي لا يكون الا من علو الى سفل ومعنى الاية ان
ابليس غر ادم باليمين الكاذبة وكان ادم يظن ان احدا لا يحلف بالله
كاذبا فلما حلف ابليس ظن ادم انه صادق فاغتر به **فلما ذاقا الشجرة**
يعني طعما من ثمرة الشجرة وفيه دليل على انهما تناولا اليسير من ذلك
قصدا الى معرفة طعمه لان الذوق يدل على الاكل اليسير **بدت لهما
سوآتهما** يعني ظهرت لهما عوراتهما قال ابن عباس قبل ان يزدردا اخذتهما
العقوبة والعقوبة ان بدت لهما وظهرت لهما سوآتهما وتهافت عنهما
لباسهما حتى ابصر كل واحد منهما ما ووري عنه من عورة صاحبه وكانا
لا يريان ذلك وقال وهب كان لباسهما من النور لا يرى هذا عورة هذا
ولا هذا عورة هذا فلما اصابا الخطيئة بدت لهما سوآتهما وقال
قتادة كان لباس ادم في الجنة ظفرا كله فلما وقع في الذنب كشط عنه
وبدت سوآته **وطفقا** يعني واقبلا وجعلا **يخصفان عليهما من ورق
الجنة** يعني انهما لما بدت سوآتهما جعلا يرقعان ويلزقان عليهما من
ورق الجنة حتى صار كهيئة الثوب وقال الزجاج جعلا ورقة على
ورقة يستر سوآتهما وفي الاية دليل على ان كشف العورة من ابن
ادم قبيح الا ترى انهما بادرا الى ستر العورة لما تقرر في عقلهما من قبيح
كشفها وقال ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
كان ادم رجلا طويلا كانه نخلة سحوق كثير شعر الراس فلما وقع في
الخطية بدت له سوآته وكان لا يراها في الجنة فانطلق فارا فوضعت
له شجرة من شجر الجنة فحبسته بشعره فقال لها ارسليني قالت لست
بمرسلتك فناداه ربه يا ادم امني تفر قال لا يا رب ولكني استحييتك
ذكره البغوي بغير سند واسنده الطبري من طريقين موقوفا ومرفوعا
قوله تعالى **وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة** يعني ان الله
تعالى نادى ادم وحوى وخاطبهما فقال الم انهكما عن اكل ثمرة هذه
الشجرة **واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين** يعني الم اعلمكما ان
الشيطان قد بان عداوته لكما بترك السجود حسدا وبغيا قال ابن
عباس لما اكل ادم من الشجرة قيل له لم اكلت من الشجرة التي نهيتك
قال حوا امرتني قال فاني اعطيتها ان تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها

قال فرنت حوا عند ذلك رنة فقيل لها الرنة عليك وعلى بناتك قال
محمد بن قيس ناداه ربه يا ادم ولم اكلت منها وقد نهيتك قال
اطعمتني حوا فقال لحوى لم اطعمتيه قالت امرتني الحية قال للحية لم
امرتيها قالت امرني ابليس قال الله تعالى اما انت يا حوى فكما ادميتي
الشجرة تدمين كل شهر • واما انت يا حية فاقطع رجليك فتمشين
على وجهك وسيشدخ راسك من لقيك • واما انت يا ابليس فملعون
مدحور يعني مطرود عن الرحمة وقيل ناداه ربه يا ادم اما خلقتك
بيدي اما نفخت فيك من روحي اما اسجدت لك ملايكتي اما اسكنتك
جنتي **قوله عز وجل** قالا ربنا ظلمنا انفسنا وهذا اخبر من الله تعالى
عن ادم عليه السلام وحوى واعترافهما على انفسهما بالذنب والندم على
ذلك والمعنى قالا ربنا انا فعلنا بانفسنا من الاساة اليها بمخالفة
امرك وطاعة عدونا وعدوك ما لم يكن لنا ان نطيعه فيه من اكل
الشجرة التي نهيتنا عن اكلها وان لم تغفر لنا يعني وان انت لم تستر
علينا ذنبنا وترحمنا يعني وتتفضل علينا برحمتك لنكونن من
الخاسرين يعني من الهالكين قال قتادة قال ادم يا رب ارايت ان
تبت اليك واستغفرتك قال اذا ادخلك الجنة واما ابليس فلم يساله
التوبة وساله النظرة فاعطى كل واحد منهما ما ساله • وقال
الضحاك في قوله ربنا ظلمنا انفسنا قال هي الكلمات التي تلقاها ادم
من ربه عز وجل **فصل** وقد استدل من يرى صدور الذنب
من الانبيا عليهم السلام بهذه الاية واجيب عنه بان درجة الانبيا
في الرفعة والعلو لمعرفة بالله عز وجل مما حملهم على الخوف منه
والاشفاق بالمواخذة بما لم يواخذ به غيرهم وانهم ربما عوقبوا باموره
صدرت منهم على سبيل التاويل والسهو فهم بسبب ذلك خايفون وجلون
وهي ذنوب بالاضافة الى علو منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم
لا انها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاص كمعاصي غيرهم فكان ما صدر منهم
مع طهارتهم ونزاهتهم وعمارة بواطنهم بالوحي السماوي والذكر القدسي
وعمارة ظواهرهم بالعمل الصالح والخشية لله عز وجل ذنوب وهي حسنات
بالنسبة الى غيرهم حسنات كما قيل حسنات الابرار سيات المقربين
يعني انهم يرونها بالنسبة الى احوالهم كالسيات وهي حسنات لغيرهم
وقد تقدم في سورة البقرة ان اكل ادم من الشجرة هل كان قبل النبوة
او بعده والخلاف فيه فاغنى عن الاعادة والله اعلم قوله تعالى قال
اهبطوا قال الامام فخر الدين ان الذي تقدم ذكره هو ادم وحوى
وابليس وقوله اهبطوا يجب ان يتناول هولا الثلاثة وقال الطبري

قال

قال الله تعالى لادم وحوى وابليس والحية اهبطوا يعني من السما
الى الارض من ادم وحوى وابليس بعضكم لبعض عدو يعني ان العداوة
ثابتة بين ادم وابليس ولكم في الارض مستقر يعني موضع قرار تستقرون
فيه • وقال ابن عباس في قوله ولكم في الارض مستقر القبور ومتاع
الى حين يعني ولكم فيها متاع تستمتعون به الى انقطاع الدنيا والى
انقضا اجالكم ومعنى الاية ان الله عز وجل اخبر ادم وحوى وابليس
والحية انه اذا اهبطهم الى الارض موضع قرار يستقرون فيه الى انقضا
اجالهم ثم يستقرون في قبورهم الى انقطاع الدنيا قال ابن عباس في
قوله تعالى ومتاع الى حين يعني الى يوم القيمة والى انقطاع الدنيا
قال فيها تحيون ايضا قال الله عز وجل لادم وذريته وابليس واولاده
فيها تحيون يعني في الارض تعيشون ايام حياتكم وفيها تموتون
يعني في الارض تكون وفاتكم وموضع قبوركم ومنها تخرجون يعني ومن
الارض يخرجكم ربكم ويحشركم للحساب يوم القيمة **قوله عز وجل**
يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم اعلم ان الله عز وجل لما
امر ادم وحوا بالهبوط الى الارض وجعلها مستقرا لهم انزل عليهم كلما
يحتاجون اليه من مصالح الدين والدنيا فكان مما انزل عليهم اللباس
الذي يحتاج اليه في الدين والدنيا فاما منفعته في الدين فانه ستر
للعورة وسترها شرط في صحة الصلاة واما منفعته في الدنيا فانه
يمنع الحر والبرد فامتن الله على عباده بان انزل عليهم لباسا يواري
سواتهم فقال تعالى يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم
يعني لباسا تسترون به عوراتكم **فان قلت** ما معنى قوله انزلنا
عليكم لباسا **قلت** ذكر العلما فيه وجوها احدها انه بمعنى
خلق اي خلقنا لكم لباسا او بمعنى رزقناكم لباسا • الوجه الثاني
ان الله تعالى انزل المطر من السما وهو سبب نبات اللباس فكانه
انزله عليهم • الوجه الثالث ان جميع بركات الارض تنسب الى السما
والى الانزال كما قال تعالى وانزلنا الحديد وريشا الريش للطاير
معروف وهو لباسه وزينته كالثياب للانسان فاستعير للانسان
لانه لباسه وزينته والمعنى وانزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سواتكم
ولباسا لزينتكم لان التزين غرض صحيح كما قال تعالى لتركبوها وزينة
وقال ولكم فيها جمال • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
جميل يحب الجمال • واختلفوا في معنى الريش المذكور في الاية فقال
ابن عباس وريشا يعني مالا وهو قول مجاهد والضحاك والسدي
لان المال ما يتزين به ويقال تريش الرجل اذا تمول وقال ابن زيد

الريش الجمال وهو يرجع الى الزينة ايضا وقيل ان الرياش في كلام العرب
الاثاث وما ظهر من الثياب والمتاع مما يلبس او يفرش والريش ايضا
المتاع والاموال عندهم وربما استعملوه في الثياب والكسوة دون
ساير المال يقال انه لحسن الريش يعني لحسن الثياب وقيل الريش
والرياش يستعمل ايضا في الخصب ورفاهية العيش **ولباس التقوى**
اختلف العلماء في معناه فمنهم من حمله على نفس الملبوس وحقيقته ومنهم
من حمله على المجاز اما من حمله على نفس الملبوس فاختلفوا ايضا في
معناه فقال ابن الانباري لباس التقوى هو اللباس الاول وانما
اعاده اخبارا ان ستر العورة من التقوى وذلك خير وقيل انما اعاده
لاجل ان يخبر عنه بانه خير لان العرب في الجاهلية كانوا يتعبدون
بالتعري وخلع الثياب في الطواف بالبيت فاخبر ان ستر العورة
في الطواف هو لباس التقوى وذلك خير • وقال زيد بن علي لباس
التقوى الات الحرب التي يتقى بها في الحروب كالدروع والمغفر
ونحو ذلك • وقيل لباس التقوى هو الصوف والخشن من الثياب
التي يلبسها اهل الزهد والورع • وقيل هو ستر العورة في الصلاة
واما من حمل لباس التقوى على المجاز فاختلفوا في معناه فقال قتادة
والسدي لباس التقوى هو الايمان لان صاحبه يتقي به من النار •
وقال ابن عباس لباس التقوى هو العمل الصالح • وقال الحسن هو الحيا
لانه يحث على التقوى • وقال عثمان بن عفان لباس التقوى هو
السمت الحسن • وقال عروة بن الزبير لباس التقوى خشية الله •
وقال الكلبي هو العفاف فعلى هذه الاقوال ان لباس التقوى خير
لصاحبه اذا اخذ له مما خلق الله له من لباس التجمل وزينة الدنيا
وهو قوله تعالى **ذلك خير** يعني ان لباس التقوى خير من لباس الجمال
والزينة وانشدوا في المعنى •

اذا انت لم تلبس ثيابا من التقى • عريت وان دان القميص قميص •

وقوله تعالى **ذلك من ايات الله** يعني انزال اللباس عليكم يا بني ادم
من ايات الله الدالة على معرفته وتوحيده **لعلهم يذكرون** يعني لعلهم
يذكرون نعمه عليهم فيشكروها قوله تعالى **يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان**
كما اخرج ابويكم من الجنة قيل هذا خطاب للذين كانوا يطوفون بالبيت
عراة والمعنى لا يخدعنكم بغروره ولا يضلنكم بتزيين لكم كشف عوراتكم في
الطواف وانما ذكر قصة ادم هنا وشدة عداوة ابليس له
ليحذر بذلك اولاد ادم فقال يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج
ابويكم يعني ادم وحوا من الجنة والمعنى ان من قدر على اخراج ابويكم

من

من الجنة بوسوسته وشدة عداوته فبان يقدر على فتنتكم بطريق الاولى
فحذر الله عز وجل بني ادم وامرهم بالاحتراز عن وسوسة الشيطان وغروره
وتزيينه القبايح وتحسينه الافعال الردية في قلوب بني ادم فهذه فتنته
التي نهى الله عنها عباده وحذرهم منها وقوله **ينزع عنهما لباسهما** انما
اضاف نزع اللباس الى الشيطان وان لم يباشر ذلك لان نزع لباسهما
كان بسبب وسوسة الشيطان وغروره فاسند اليه • واختلفوا في اللباس
الذي نزع عنهما فقال ابن عباس كان لباسهما الظفر فلما اصابا
الخطيئة نزع عنهما وبقيت الاظفار تذكرة وزينة ومنافع وقال وهب
ابن منبه كان لباس ادم وحوا نورا • وقال مجاهد كان لباسهما التقى وفي
رواية عنه التقوى • وقيل كان لباسهما من ثياب الجنة وهذا القول
اقرب لان اطلاق اللباس يطلق عليه ولان النزع لا يكون الا بعد اللبس
ليريهما سواتهما يعني ليري ادم عورة حوى وترى حوى عورة ادم
وكان قبل ذلك لا يري بعضهم سوءة بعض **انه يراكم هو وقبيله** يعني
ان ابليس يراكم يا بني ادم هو وقبيله انما اعاد الكناية في قوله ليحسن
العطف والقبيل جمع قبيلة وهي الجماعة المجتمعة التي يقابل بعضهم
بعضا • وقال الليث كل جيل من جن او انس قبيل ومعنى يراكم هو
وقبيله اي من هو من نسله • وحكى ابو عبيد عن ابي يزيد القبيل
ثلاثة فصاعدا من قوم شتى والجمع قبل والقبيلة بنو اب واحد •
وقال الطبري قبيله يعني صنفه وجيله الذي هو منهم وهو واحد
جمع قبل وهم الجن • وقال مجاهد الجن والشياطين • وقال ابن زيد قبيله
نسله • وقال ابن عباس هو وولده وقوله **من حيث لا ترونهم** يعني انتم
يا بني ادم قال العلما ان الله في عيون الجن ادراكا يرون بذلك الادراك
الانس ولم يخلق في عيون الانس هذا الادراك فلم يروا الجن • وقالت
المعتزلة الوجه في ان الانس لا يرون الجن رقة اجسام الجن ولطافتها
والوجه في روية الجن للانس كثافة اجسام الانس والوجه في روية
الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى قوى شعاع ابصار الجن وزاد فيها حتى
يرى بعضهم بعضا ولو جعل في ابصارنا هذه القوة لرايناهم ولكنه لم يجعلها
لنا وحكى الواحدي وابن الجوزي عن ابن عباس انه قال ان الله تعالى
جعلهم يجرون من ابن ادم مجرى الدم وجعل صدور بني ادم مساكن لهم
الا من عصمه الله تعالى كما قال تعالى الذي يوسوس في صدور الناس
فهم يرون بني ادم وبنوا ادم لا يرونهم • وقال مجاهد قال ابليس جعل لنا
اربع نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا فتى • وقال
مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المونة الا من عصم الله

انا جعلنا الشياطين اوليا يعني اعوانا وقرناء للذين لا يومنون
قال الزجاج يعني سلطنا هم عليهم يزيدون في غيهم **قوله عز وجل**
واذا فعلوا فاحشة قال ابن عباس ومجاهد هي طوافهم بالبيت عريانا
الرجال والنساء وقال عطا هي الشرك والفاحشة اسم لكل فعل قبيح فتدخل
فيه جميع المعاصي والكباير فيمكن حملها على الاطلاق وان كان السبب
مخصوصا بما ورد من طوافهم عراة ولما كانت هذه الافعال التي كانت
اهل الجاهلية يفعلونها ويعتقدون انها طاعات في انفسها فواحش
ذمهم الله عليها ونهاهم عنها فاحتجوا عن هذه الافعال بما اخبر الله
عنهم وهو قوله تعالى قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها فذكروا
لانفسهم عذرين احدهما محض التقليد وهو قولهم وجدنا على هذا
الفعل اباءنا وهذا التقليد باطل لانه لا اصل له والعذر الثاني قولهم
والله امرنا بها وهذا العذر ايضا باطل وقد اجاب الله عنه بقوله
قل ان الله لا يامر بالفحشا والمعنى ان هذه الافعال التي كان اهل
الجاهلية يفعلونها هي في انفسها قبيحة منكرة فكيف يامر الله بها والله لا
يامر بالفحشا بل يامر بما فيه مصالح للعباد ثم قال تعالى ردا عليهم
اتقولون على الله ما لا تعلمون يعني انكم ما سمعتم كلام الله ابتداء من
غير واسطة ولا اخذتموه عن الانبيا الذين هم وسايط بين الله وبين
عباده في تبليغ اوامره ونواهيه واحكامه لانكم تنكرون نبوة الانبيا
فكيف تقولون على الله ما لا تعلمون قوله تعالى قل امر ربي بالقسط
اي قل يا محمد لهولا الذين يقولون على الله ما لا يعلمون امر ربي بالقسط
يعني بالعدل وهذا قول مجاهد والسدي وقال ابن عباس بلا اله
الا الله فالامر بالقسط في هذه الاية مشتمل على معرفة الله سبحانه
وتعالى بذاته وصفاته وافعاله وانه واحد لا شريك له واقيموا وجوهكم
عند كل مسجد **فان قلت** قد امر ربي بالقسط خبر وقوله
واقيموا وجوهكم عند كل مسجد امر وعطف الامر على الخبر لا يجوز فما
معناه **قلت** فيه اضمار وحذف تقديره قل امر ربي بالقسط
وقال واقيموا وجوهكم عند كل مسجد فحذف قال لدلالة الكلام عليه
ومعنى الاية في قول مجاهد والسدي وجهوا وجوهكم حيث ما كنتم
في الصلاة الى الكعبة وقال الضحاك معناه اذا حضرت الصلاة وانتم
عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولن احدكم اصلي في مسجدي او في مسجد قومي
وقيل معناه اجعلوا سجودكم لله خالصا وادعوه مخلصين له الدين
اي واعبدوه مخلصين العبادة والطاعة والدعا لله عز وجل لا لغيره
كما بداكم تعودون قال ابن عباس ان الله عز وجل بدا خلق بني ادم مومنا

وكافرا كما قال تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن ثم يعيدهم
يوم القيمة كما بدا خلقهم مومنا وكافرا وحجة هذا القول قوله في سياق
الاية فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة فانه كالتفسير له ويدل
على صحة ذلك ما روي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه اخرجه مسلم زاد البغوي في
روايته المومن على ايمانه والكافر على كفره وقال محمد بن كعب من ابتدا
الله خلقه على الشقوة صار الى ما ابتدا عليه خلقه وان عمل باعمال اهل
السعادة كما ان ابليس كان يعمل بعمل اهل السعادة ثم صار الى الشقاوة
ومن ابتدا خلقه على السعادة صار اليها وان عمل باعمال اهل الشقا كما
ان السحرة كانوا يعملون بعمل اهل الشقا ثم صاروا الى السعادة ويصحح هذا
القول ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل اهل
النار وان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل النار ثم يختم له عمله
بعمل اهل الجنة اخرجه مسلم وقال الحسن ومجاهد في معنى الاية كما
بداكم فخلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيا فاحياكم ثم يميتكم كذلك تعودون
احيا يوم القيمة ويشهد لصحة هذا القول ما روي عن ابن عباس
قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال ايها الناس
انكم محشورون الى الله عز وجل حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده
وعدا علينا انا كنا فاعلين اخرجه البخاري ومسلم وقوله تعالى
فريقا هدى يعني هداهم الله الى الايمان به ومعرفته ووفقهم لطاعته
وعبادته وفريقا حق عليهم الضلالة وخذل فريقا حتى وجبت عليهم الضلالة
للسابقة التي سبقت لهم في الازل بانهم اشقيا وفيه دليل على ان الهدى
والضلال من الله عز وجل ولما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق خلقا في ظلمة
فالقى عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطاه
ضل اخرجه الترمذي **قوله تعالى** انهم اتخذوا الشياطين
اوليا من دون الله يعني ان الفريق الذي حق عليهم الضلالة اتخذوا
الشياطين نصراء واعوانا اطاعوهم فيما امروهم به من الكفر والمعاصي
والمعنى ان الداعي الذي دعاهم الى الكفر والمعاصي هو انهم اتخذوا
الشياطين اوليا من دون الله لان الشياطين لا يقدرون على اضلال
احد وقوله ويحسبون انهم مهتدون يعني انهم مع ضلالتهم يظنون
ويحسبون انهم على هداية وحق وفيه دليل ان الكافر الذي يظن انه
في دينه على الحق والجاحد والمعاند في الكفر سوا قوله عز وجل يا بني ادم

خذوا زينتكم عند كل مسجد عن ابن عباس قال كانت المراة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول من يعيرني تطوافا تجعله على فرجها وتقول اليوم يبدو بعضه او كله فما بدا منه فلا احله فنزلت هذه الاية خذوا زينتكم عند كل مسجد اخرجه مسلم • وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار والنسا بالليل وذكر البيت زاد في رواية اخرى عنه فامرهم الله ان يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا • وقال مجاهد كان حي من اهل اليمن كان احدهم اذا قدم حاجا او معتمرا يقول لا ينبغي لي ان اطوف في ثوب قد عصيت فيه فيقول من يعيرني مئزرا فان قدر عليه والا طاف عريانا فانزل الله فيه ما تسمعون خذوا زينتكم عند كل مسجد • وقال الزهري ان العرب كانت تطوف بالبيت عراة الا الحمس وهم قريش واحلافهم فمن جا من غير الحمس وضع ثيابه وطاف في ثوب احمس فانه لا يحل له ان يلبس ثيابه فان لم يجد من يعيره من الحمس فانه يلقي ثيابه ويطوف عريانا وان طاف في ثياب نفسه القاها اذا قضى طوافه يحرمها فيجعلها حراما عليه فلذلك قال الله خذوا زينتكم عند كل مسجد والمراد من الزينة لبس الثياب التي تستر العورة • قال مجاهد ما يواري عوراتكم ولو عباة وقال الكلبي الزينة ما يواري العورة عند كل مسجد لطواف وصلاة وقوله تعالى خذوا زينتكم امر وظاهره الوجوب ففيه دليل على ان ستر العورة واجب في الصلاة والطواف وفي كل حال وقوله تعالى وكلوا واشربوا قال الكلبي كانت بنو عامر لا ياكلون في ايام حجهم الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون نحن احق بذلك يا رسول الله فانزل الله عز وجل وكلوا واشربوا يعني اللحم والدسم ولا تسرفوا يعني بتحريم ما لم يحرمه الله من اكل اللحم والدسم قال ابن عباس كل ما شيت واشرب ما شيت والبس ما شيت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة • وقال علي بن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب كله في نصف اية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا وفي الاية دليل على ان جميع المطعومات والمشروبات حلال الا ما خصه الشرع بدليل في التحريم لان الاصل في جميع الاشيا الاباحة الا ما حظره الشارع وثبت تحريمه بدليل منفصل انه لا يحب المسرفين يعني ان الله لا يحب من اسرف في الماكول والمشروب والملبوس وفي هذه الاية وعيد وتهديد لمن اسرف في هذه الاشيا لان محبة الله عبارة عن رضاه عن العبد وايصال الثواب اليه واذا لم يحبه علم انه تعالى ليس هو راض عنه فدلت الاية على الوعيد الشديد في الاسراف قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي

اخرج لعباده • يعني قل يا محمد لهولا الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة من حرم عليكم زينة الله التي خلقها لعباده ان يتزينوا بها ويلبسوها في الطواف وغيره ثم في تفسير الزينة قولان • احدهما وهو قول جمهور المفسرين ان المراد من الزينة هنا اللباس الذي يستر العورة • والقول الثاني ذكره الامام فخر الدين الرازي انه يتناول جميع انواع الزينة فيدخل تحته جميع انواع الملبوس والحلي ولولا ان النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال لدخل في هذا العموم ولكن ورد النص بتحريمه على الرجال دون النسا والطيبات من الرزق يعني من حرم الطيبات من الرزق التي اخرجها الله لعباده وخلقها لهم ثم ذكروا في معنى الطيبات في هذه الاية اقوالا • احدها ان المراد بالطيبات اللحم والدسم الذي كانوا يحرمونه على انفسهم ايام الحج يعظمون بذلك حجهم فرد الله عليهم بقوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق • والقول الثاني وهو قول ابن عباس ان الجاهلية كانوا يحرمون اشيا احلها الله من الزرق وغيرها وهو قول الله تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وهو هنا وانزل الله من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق القول الثالث ان الاية على العموم فيدخل تحته كل ما يستلذ ويشتهى من سائر المطعومات التي اخرج الله لعباده الا ما ورد نص بتحريمه قل هي للذين امنوا يعني قل يا محمد ان الطيبات التي اخرج الله من رزقه للذين امنوا في الحياة الدنيا غير خالصة لهم لانه يشركهم فيها المشركون خالصة لهم يوم القيمة يعني لا يشركهم فيها احد لانه لا حظ للمشركين يوم القيمة في الطيبات من الرزق وقيل معناه خالصة لهم يوم القيمة من التكدير والتنغيص والغم لانه قد يقع لهم في الحياة الدنيا في تناول الطيبات من الرزق كدر وتنغيص فاعلمهم الله انها خالصة لهم في الاخرة من ذلك كله كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون يعني كذلك نبين الحلال مما احللت والحرام مما حرمت لقوم علموا اني انا الله وحدي لا شريك لي فاحلوا حلالي وحرموا حرامي

قوله عز وجل قل انما حرم ربي الفواحش جمع فاحشة وهي ما قبح وفحش من قول او فعل والمعنى قل يا محمد لهولا المشركين الذين يتجردون من الثياب ويطوفون بالبيت عراة ويحرمون اكل الطيبات مما احل الله لهم ان الله لم يحرم ما تحرمونه انتم بل احله الله لعباده وطيبه لهم وانما حرم ربي الفواحش من الافعال والاقوال ما ظهر منها وما بطن يعني علانيته وسره ق عن عبد الله بن مسعود قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا احد

اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد
احب اليه المدح من الله من اجل ذلك مدح نفسه • اصل الغيرة ثوران
القلب وهيجان الحفيظة بسبب المشاركة فيما يختص به الانسان ومنه
غيرة احد الزوجين على الاخر لاختصاص كل واحد منهما بصاحبه ولا يرضى
ان يشاركه احد فيه فلذلك يذب عنه ويمنعه من غيره • واما الغيرة
في وصف الله تعالى فهي منعه من ذلك وتحريمه له ويدل على ذلك
قوله ومن غيرته حرم الفواحش وقد يحتمل ان تكون غيرته تغيير حال
فاعل ذلك بعقاب والله اعلم • وقوله عز وجل **والاثم** يعني وحرم
الاثم واختلفوا في الفرق بين الفاحشة والاثم فقيل الفواحش الكباير
لانه قد تفاحش قبحها وتزايد والاثم عبارة عن الصغاير من الذنوب
فعلى هذا يكون معنى الاية قل انما حرم ربي الكباير والصغاير وقيل
الفاحشة اسم لما يجب فيه الحد من الذنوب والاثم اسم لما لا يجب فيه
وهذا القول هو قريب من الاول واعترض على هذين القولين بان
الاثم في اصل اللغة الذنب فيدخل فيه الكباير والصغاير وقيل
ان الفاحشة اسم للكبيرة والاثم اسم لمطلق الذنب سوا كان كبيرا
او صغيرا والفايدة فيه انه يقال لما حرم الله الكبيرة بقوله قل انما حرم
ربي الفواحش اردفه بتحريم مطلق الذنب ليلا يتوهم متوهم ان التحريم
مقصور على الكباير فقط وقيل ان الفاحشة وان كانت بحسب اللغة
اسم لكل ما تفاحش من قول او فعل لكنه قد صار في العرف مخصوصا
بالزنا لانه اذا اطلق لفظ الفاحشة لم يفهم منه الا ذلك فوجب حمل
لفظ الفاحشة على الزنا واما الاثم فقد قيل انه اسم من اسما الخمر
وهو قول الحسن وعطا قاله الجوهري وقد يسمى الخمر اثما واستدل
عليه بقول الشاعر •

• شربت الاثم حتى ضل عقلي • كذاك الاثم يذهب بالعقول •

وقال ابن سيدة صاحب المحكم وعندي ان تسمية الخمر بالاثم صحيح لان
شربها اثم وبهذا المعنى يظهر الفرق بين اللفظين وانكر ابو بكر
الانباري تسمية الخمر بالاثم قال لان العرب ما سمته اثما قط في جاهلية
ولا في اسلام ولكن قد يكون الخمر داخلا تحت الاثم لقوله تعالى قل فيهما
اثم كبير وقوله تعالى **والبغي** اي وحرم البغي **بغير الحق** والبغي هو الظلم
والكبر والاستطالة على الناس ومجاوزة الحد في ذلك كله ومعنى البغي
بغير الحق هو ان يطلب ما ليس له بحق فاذا طلب ما له بحق خرج من
ان يكون بغيا **وان تشركوا** اي وحرم ان تشركوا **بالله ما لم ينزل به
سلطانا** هذا فيه تهكم بالمشركين والكفار لانه لا يجوز ان ينزل حجة

وبرهانا

وبرهانا ممتنع فلما امتنع حصول الحجة والبينة على صحة القول بالشرك
وجب ان يكون باطلا على الاطلاق فان **قلت** البغي والاشراك داخلان
تحت الفاحشة والاثم لان الشرك من اعظم الفواحش واعظم الاثم وكذا
البغي ايضا من الفواحش والاثم **قلت** انما افردهما بالذكر للتنبيه
على عظيم قبحهما كانه قال من الفواحش المحرمة البغي والشرك فكانه
بين جملته ثم تفصيله وقوله تعالى **وان تقولوا على الله ما لا تعلمون**
تقدم تفسيره قوله تعالى **ولكل امة اجل** الوقت الموقت لانقضا وقت المهلة ثم في
هذا الاجل المذكور في الاية قولان احدهما انه اجل العذاب والمعنى
ان لكل امة كذبت رسلها وقتا معينا واجلا مسمى امهلهم الى ذلك
الوقت **فاذا جا اجلهم** يعني فاذا جا وقت عذابهم **لا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون** يعني فلا يوخرون ولا يمهلون قدر ساعة ولا اقل من
ساعة وانما ذكرت الساعة لانها اقل اسما الاوقات في العرف وهذا
حين سالوا نزول العقاب فاخبرهم الله تعالى ان لهم وقتا اذا جا
ذلك الوقت وهو وقت هلاكهم واستيصالهم فلا يوخرون عنه ساعة
ولا يستقدمون والقول الثاني ان المراد بهذا الاجل هو اجل الحياة والعمر
فاذا انقضى ذلك الاجل وحضر الموت فلا يتاخر ساعة ولا يتقدم
ساعة ولا يتقدم ساعة وعلى هذا القول يلزم ان يكون لكل واحد اجل
لا يقع فيه تقديم ولا تاخير وانما قال الله تعالى لكل امة لتقارب اعمار
اهل كل عصر فكانهم كالواحد في مقدار العمر وعلى هذا القول ايضا يكون
المقتول ميتا باجله خلافا لمن يقول قطع عليه اجله **قوله**
عز وجل **يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم** هي ان الشرطية ضمت اليها ما
موكدة لمعنى الشرط وجزا هذا الشرط هو الفا وما بعده من الشرط والجزا
وهو قوله فمن اتقى واصلح يعني منكم وانما قال رسل بلفظ الجمع وان كان
المراد به واحدا وهو النبي صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبيا وهو
مرسل الى كافة الخلق فذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم فعلى هذا
يكون الخطاب في قوله يا بني ادم عام في كل بني ادم وانما قال منكم يعني
من جنسكم ومثلكم من بني ادم لان الرسول اذا كان من جنسهم كان اقطع
لعذرهم واثبت للحجة عليهم لانهم يعرفونه ويعرفون احواله فاذا اتاهم
بما لا يليق بقدرته وبقدرة امثاله علم ان ذلك الذي اتى به معجزة
له وحجة على من خالفه **يقصون عليكم اياتي** يعني يقرون عليكم كتابي
وادلة احكامي وشرايعي التي شرعت لعبادي **فمن اتقى** يعني فمن اتقى
الشرك ومخالفة رسلي **واصلح** يعني العمل الذي امرته به رسلي فعمل
بطاعتي وتجنب معصيتي وما نهيته عنه **فلا خوف عليهم** حين يخاف

ولكل امة اجل

غيرهم يوم القيمة من العذاب ولا هم يحزنون يعني على ما فاتهم من دنياهم
التي تركوها والذين كذبوا باياتنا يعني ومن جحد اياتنا وكذب رسلنا
واستكبروا عنها يعني واستكبر عن الايمان بها وبما جاءت به رسلنا
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يعني لا يخرجون منها ابدا قوله
تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا يعني فمن اظلم ظلما ممن يقول
على الله ما لم يقله او يجعل لله شريكا من خلقه وهو منزه عن الشريك
والولد او كذب باياته يعني او كذب بالقران الذي انزله على
عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم اولئك ينالهم نصيبهم من
الكتاب يعني ينالهم حظهم مما قدر لهم وكتب في اللوح المحفوظ ۵
واختلفوا في ذلك النصيب على قولين احدهما ان المراد به هو العذاب
المعين لهم في الكتاب ثم اختلفوا فيه فقال الحسن والسدي وما كتب
لهم من العذاب وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون وقال
ابن عباس في رواية عنه كتب لمن يفتري على الله الكذب ان وجهه
اسود وقال الزجاج هو المذكور في قوله فانذرتكم نارا تلظى وفي
قوله اذ الاغلال في اعناقهم فهذه الاشيا هي نصيبهم من الكتاب
على قدر ذنوبهم في كفرهم والقول الثاني ان المراد بالنصيب المذكور
في الكتاب هو شي سوي العذاب ثم اختلفوا فيه فقال ابن عباس
في رواية اخرى عنه وعن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية في قوله
ينالهم نصيبهم من الكتاب قالوا هو السعادة والشقاوة وقال ابن
عباس ما كتب عليهم من الاعمال وقال في رواية اخرى عنه من عمل خيرا
جوزي به ومن عمل شرا جوزي به وقال قتادة جزا اعمالهم التي عملوها
وقيل معنى ذلك ينالهم نصيبهم مما وعدوا في الكتاب من خير او شر قاله
مجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس ايضا وقال الربيع بن
انس ينالهم ما كتب لهم في الكتاب من الرزق وقال محمد بن كعب
القرظي عمله ورزقه وعمره وقال ابن زيد ينالهم نصيبهم من الكتاب من
الاعمال والارزاق والاعمار فاذا فني هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وصحح
الطبري هذا القول الاخير وقال لان الله تعالى اتبع ذلك بقوله حتى
اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم فابان ان الذي ينالهم هو ما قدر لهم في
الدنيا فاذا فني توفتهم رسل ربهم قال الامام فخر الدين وانما حصل
الاختلاف لان لفظ النصيب محتمل لكل الوجوه وقال بعض المحققين
حمله على العمر والرزق اولى لانه تعالى بين انهم وان بلغوا في الكفر ذلك
المبلغ العظيم فانه ليس بمانع ان ينالهم ما كتب لهم من رزق وعمر تفضلا
من الله سبحانه وتعالى لكي يصلحوا او يتوبوا قوله تعالى حتى اذا جاءتهم

رسلنا

رسلنا يتوفونهم يعني حتى اذا جاءت هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب
رسلنا يعني ملك الموت واعوانه لقبض ارواحهم عند استكمال اعمارهم
وارزاقهم لان لفظ الوفاة يفيد هذا المعنى قالوا يعني قال رسول الرسل
وهم الملايكة للكفار اين ما كنتم تدعون من دون الله وهذا سوال توبيخ
وتقريع وتبكيت لا سوال استعلام والمعنى اين الذين كنتم تعبدونهم من
دون الله ادعوهم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم وقيل ان هذا يكون في الاخرة
والمعنى حتى جاءتهم رسلنا يعني ملايكة العذاب يتوفونهم يعني يستوفون
عددهم عند حشرهم الى النار قالوا اينما كنتم تدعون يعني الشركا واوليا
تعبدونهم من دون الله فادعوهم ليدفعوا عنكم ما جاءكم من امر الله قالوا
يعني الكفار مجيبين للرسل ضلوا عنا يعني بطلوا وذهبوا عنا وتركونا
عند حاجتنا اليهم فلم ينفعونا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
يقول الله تعالى وشهد هؤلاء الكفار عند معاينة العذاب انهم كانوا
جاحدين وحدانية الله واعترفوا على انفسهم بذلك قوله عز وجل
قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس يعني يقول الله
عز وجل يوم القيمة لمن افترى عليه الكذب وجعل له شريكا من خلقه ادخلوا
على امم اي يعني في جملة امم قد خلت يعني قد مضت وسلفت وانما
قال قد خلت ولم يقل قد خلوا لانه اطلق الضمير على الجماعة يعني في جملة
جماعات قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار اي ادخلوا جميعا
في النار التي هي مستقركم وماواكم وانما عنى بالامم الجماعات والاحزاب
واهل الملل الكافرة من الجن والانس كلما دخلت امة يعني كلما دخلت
جماعة النار لعنت اختها يعني كلما دخلت امة النار لعنت اختها من اهل
ملتها في الدين لا في النسب قال السدي كلما دخلت اهل ملة النار لعنوا
اصحابهم على ذلك الدين فيلعن المشركين المشركون واليهود اليهود
اليهود والنصارى النصارى والصابيون الصابيين والمجوس المجوس
تلعن الاخرى الاولى حتى اذا اداركوا يعني تداركوا وتلاحقوا فيها
جميعا يعني تلاحقوا واجتمعوا في النار جميعا وادرك بعضهم بعضا
واستقروا في النار قالت اخراهم لاولاهم قال ابن عباس يعني قال اخر
كل امة لاولاها وقال السدي قالت اخراهم الذين كانوا في اخر الزمان
لاولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين وقال مقاتل يعني قال اخراهم
دخولا النار وهم الاتباع لاولاهم دخولا وهم القادة يدخلون النار اولا
ربنا هولا اضلونا يعني تقول الاتباع ربنا هولا القادة والروسا اضلونا
عن الهدى وزينوا لنا طاعة الشيطان وقيل انما قال المتاخرون ذلك
لانهم كانوا يعتقدون تعظيم المتقدمين من اسلافهم فسلكوا سبيلهم في

الضلالة واتبعوا طريقهم فيما كانوا عليه من الكفر والضلالة فلما كان
يوم القيمة وتبين لهم فساد ما كانوا عليه قالوا ربنا هولا اضلونا
لاننا اتبعنا سبيلهم **فاتهم عذابا ضعفا من النار** اي اضعف عليهم
العذاب قال ابو عبيدة الضعف هو مثل الشي مرة واحدة قال الازهري
والذي قاله ابو عبيدة هو ما يستعمله الناس في مجاز كلامهم واما
كتاب الله فهو عربي مبين ويرد تفسيره الى موضع كلام العرب والضعف
في كلامهم ما زاد وليس بمقصور على مثلين وجايز في كلام العرب
هذا ضعفه اى مثلاه وثلاثة امثاله لان الضعف في الاصل زيادة
غير محصورة واولى الاشياء ان يجعل عشرة امثاله فاقل الضعف
محصور وهو المثل واكثره غير محصور وقال الزجاج في تفسير
هذه الاية فاتهم عذابا ضعفا اى مضاعفا لان الضعف في كلام العرب
على ضربين احدهما المثل والاخر ان يكون في معنى تضعيف الشي اي
زيادته **قال** يعني قال الله **لكل ضعف** يعني لاولاكم ضعفه ولاخراكم
ضعفه وقيل معناه للتابع ضعف وللمتبوع ضعف لانهم قد دخلوا
في الكفر جميعا **ولكن لا تعلمون** يعني ما اعد الله لكل فريق من العذاب
وقرى باليا ومعناه لا يعلم كل فريق ما اعد الله من العذاب
للفريق الاخر قوله تعالى **وقالت اولاهم** يعني في الكفر وهم القادة
لاخراهم يعني الاتباع **فما كان لكم علينا من فضل** يعني قد ضللتم
كما ضللنا وكفرتم كما كفرنا وقيل في معنى الاية وقالت امة سلفت
في الدنيا لاخراها الذين جاوا من بعدهم فسلكوا سبيل من مضى قبلهم
فما كان لكم علينا من فضل وقد علمتم ما حل بنا من عقوبة الله بسبب
كفرنا ومعصيتنا اياه وجاتكم بذلك الرسل والنذر فما رجعتم عن
ضلالتكم وكفركم **فذوقوا العذاب** وهذا يحتمل ان يكون من قول
القادة للاتباع والاولى للاخرى التي بعدها ويحتمل ان يكون من
قول الله يعني يقول الله للجميع فذوقوا العذاب **بما كنتم تكسبون**
يعني بسبب ما كنتم تكسبون من الكفر والاعمال الخبيثة قوله
عز وجل **ان الذين كذبوا باياتنا** يعني كذبوا بدلايل التوحيد فلم
يصدقوا بها ولم يتبعوا رسلنا **واستكبروا عنها** اى وتكبروا عن
الايمان بها والتصديق لها وانفوا عن اتباعها والانقياد لها والعمل
بمقتضاها تكبرا **لا تفتح لهم ابواب السما** يعني لا تفتح لارواحهم اذا
خرجت من اجسادهم ولا يصعد لهم الى الله عز وجل في وقت حياتهم
قول ولا عمل لان ارواحهم واقوالهم كلها خبيثة وانما يصعد الى الله الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه قال ابن عباس لا تفتح ابواب السما

لارواح

لارواح الكفار وتفتح لارواح المومنين وفي رواية عن ابن عباس قال لا
يصعد لهم قول ولا عمل وقال ابن جريج لا تفتح ابواب السما لارواحهم
ولا لاعمالهم وروى الطبري بسنده عن البرا بن عازب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح الفاجر فانه يصعد به الى السما قال
فيصعدون بها فلا يمرون على ملا من الملايكة الا قالوا ما هذا
الروح الخبيث قال فيقولون فلان باقبح اسمايه التي كان يدعى بها
في الدنيا حتى ينتهوا بها الى السما فيستفتحون له فلا يفتح له ثم قرا
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم ابواب السما ولا يدخلون
الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط • وقيل في معنى الاية لا ينزل عليهم البركة
والخير لان ذلك لا ينزل الا من السما فاذا لم تفتح لهم ابواب السما فلا ينزل
عليهم من البركة والخير والرحمة شي وقوله تعالى **ولا يدخلون الجنة
حتى يلج الجمل في سم الخياط** الولوج الدخول والجمل معروف وهو الذكر من
من الابل وسم الخياط ثقب الابرة • قال الفرا الخياط والمخيط ما يخاط به
والمراد الابرة في هذه الاية وانما خص الجمل بالذكر من بين ساير الحيوانات
لانه اكبر من ساير الحيوانات جسما عند العرب قال الشاعر •
جسم الجمال واحلام العصافير • وصف من هجاه بعظم الجسم مع صغر
العقل فجسم الجمل من اعظم الاجسام وثقب الابرة من اضيق المنافذ فكان
ولوج الجمل مع عظم الاجسام مع عظم جسمه في ثقب الابرة الضيق محالا فكذلك
دخول الكفار الجنة محال لما وصف الله دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط
وكان وقوع هذا الشرط محالا فثبت ان الوقوع على المحال محال فوجب بهذا
الاعتبار ان دخول الكفار الجنة مايوس منه قطعا وقال بعض اهل
المعاني لما علق الله دخولهم الجنة بولوج الجمل في سم الخياط وهو خرق
الابرة كان ذلك نفيا لدخولهم الجنة على التابيد وذلك لان العرب
اذا علقت ما يجوز كونه بما لا يجوز كونه استحال كون ذلك الجايز وهذا
كقولك لا اتيك حتى يشيب الغراب ويبيض القار ومنه قول الشاعر •

• اذا شاب الغراب اتيت اهلي • وصار القار كاللبن الحليب •

وقوله تعالى **وكذلك نجزي المجرمين** اى ومثل الذى وصفنا نجزى
المجرمين يعني الكافرين لانه تقدم من صفتهم انهم كذبوا بايات الله
واستكبروا عنها وهذه صفة الكفار فوجب حمل لفظ المجرمين على انهم
الكفار ولما بين الله عز وجل ان الكفار لا يدخلون الجنة ابدا بين انهم
من اهل النار ووصف ما اعد لهم فيها فقال تعالى **لهم من جهنم مهاد**
يعني لهم من نار جهنم فراش واصل المهاد التمهيد الذى يقعد عليه
ويضطجع عليه كالفراش واللباس والبساط **ومن فوقهم غواش** جمع غاشية

وهو الغطا كاللحاف ونحوه ومعنى الاية ان النار محيطة بهم من تحتهم
ومن فوقهم قال محمد بن كعب القرظي والضحاك والسدي المهاد
الفراش والغواش اللحف وكذلك نجزي الظالمين يعني وكذلك نكافي
ونثيب المشركين الذين وضعوا العبادة في غير موضعها قوله
عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها
لما ذكر الله تعالى وعيد الكافرين وما اعد لهم في الاخرة واتبعه بذكر
وعد المومنين وما اعد لهم في الاخرة فقال والذين امنوا وعملوا
الصالحات يعني والذين صدقوا الله ورسوله واقروا بما جاءهم به
من وحي الله اليه وتنزيله عليه من شرايع دينه وعملوا بما امرهم به
واطاعوه في ذلك وتجنبوا ما نهاهم عنه لا نكلف نفسا الا وسعها
يعني لا نكلف نفسا الا ما يسعها من الاعمال وما سهل عليها ودخل في
طوقها وقدرتها وما لا حرج فيه عليها ولا ضيق قال الزجاج الوسع
ما يقدر عليه • وقال مجاهد معناه الا ما افترض عليها يعني ان الذي
افترض عليها من وسعها الذي تقدر عليه ولا تعجز عنه وقد غلط
من قال ان الوسع بذل المجهود قال اكثر اصحاب المعاني ان قوله
تعالى لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض وقع بين المبتدا والخبر ه
والتقدير والذين امنوا وعملوا الصالحات اوليك اصحاب الجنة هم
فيها خالدون وانما حسن وقوع هذا الكلام بين المبتدا والخبر لانه من
جنس هذا الكلام لانه تعالى لما ذكر عملهم الصالح ذكر ان ذلك العمل من
وسعهم وطاقتهم وغير خارج عن قدرتهم وفيه تنبيه للكفار على ان الجنة
مع عظم قدرها ومحلها يوصل اليها بالعمل السهل من غير تحمل كلفة ولا ه
مشقة صعبة • وقال قوم من اصحاب المعاني موضعه رفع من تمام الخبر
والعايد محذوف كانه قال لا نكلف نفسا منهم الا وسعها فحذف العايد
للعلم به وقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل يعني وقلعنا
واخرجنا ما في صدور المومنين من غش وحسد وحقد وعداوة كانت
بينهم في الدنيا ومعنى الاية ازلنا تلك الاحقاد التي كانت لبعضهم على
بعض في الدنيا فجعلناهم اخوانا على سرر متقابلين لا يحسد بعضهم
بعضا على شي خص الله به بعضهم دون بعض ومعنى نزع الغل تصفية
الطباع واسقاط الوساوس ومنعها عن ان ترد على القلب روي عن
علي قال فينا والله اهل بدر نزلت ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا
على سرر متقابلين • وروي عنه ايضا انه قال اني لارجو ان اكون انا
وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم ونزعنا ما في صدورهم
من غل وقيل ان الحسد والغل يزول بدخولهم الجنة خ عن ابي سعيد

الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المومنين من
النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من
بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن الله لهم
في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة
منه بمنزله في الدنيا • وقال السدي في هذه الاية ان اهل الجنة اذا
اذا سيقوا الى الجنة فبلغوا وجدوا عند بابها شجرة في اصل ساقها
عينان فشربوا من احدهما فينزع ما في صدورهم من غل فهو الشراب الطهور
واغتسلوا من الاخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فلم يشعثوا ولن يشحبوا
بعدها ابدا • وقيل ان درجات الجنة متفاوتة في العلو والكمال
فبعض اهل الجنة اعلى من بعض فاخرج الله الغل والحسد من صدورهم
وازاله عنهم ونزعه من قلوبهم فلا يحسد صاحب الدرجة النازلة
صاحب العالية • واورد على هذا القول كيف يعقل بان الانسان
يرى الدرجات العالية والنعم العظيمة وهو محبوس عنها ولا يصل
اليها فكيف لا يميل بطبعه اليها ولا يغتم لسبب حرمانه عنها وان كان
في نعيم ولذة واجيب عن هذا بان الله عز وجل قد وعد
بازالة الحقد والحسد من قلوب اهل الجنة حتى تكمل لهم اللذة والسرور
حتى ان احدهم لا يرى لنفسه الا في كمال وزيادة من النعيم الذي هو
فيه فيرضى بما هو فيه ولا يحسد احدا ابدا وبهذا تتم نعيمه ولذته وكمل
سروره وبهجته وقوله تعالى تجري من تحتهم الانهار لما اخبر الله بما
انعم على اهل الجنة من ازالة الغل والحسد من صدورهم اخبر بما انعم
عليهم من اللذات والخيرات والمسرات وقالوا الحمد لله الذي هدانا
لهذا يعني ان المومنين اذا دخلوا الجنة قالوا الحمد لله الذي وفقنا
وارشدنا للعمل الذي هذا ثوابه وتفضل علينا به رحمة منه واحسانا
فلله الحمد على ذلك وصرف عنا عذاب جهنم بفضله وكرمه وما كنا
لنهتدي لولا ان هدانا الله يعني وما كنا نترشد لذلك العمل الذي
هذا ثوابه لولا ارشدنا الله اليه ووفقنا بفضله ومنه وكرمه وفيه
دليل على ان المهتدي من هداه الله ومن لم يهده الله فليس بمهتد
لقد جاءت رسل ربنا بالحق يعني ان اهل النعيم اذا دخلوها وراوا
ما اعد الله لهم فيها من النعيم قالوا لقد جاءت رسل ربنا بالحق يعني
انهم راوا ما وعدهم الرسل عيانا ونودوا ان تلكم الجنة يعني ونادى
مناد يا اهل الجنة ان هذه تلكم الجنة التي كانت الرسل وعدتكم بها
في الدنيا واختلفوا في المنادي فقيل هو الله عز وجل وقيل الملايكة
ينادون بامر الله عز وجل وقيل هذا النداء يكون في الجنة م عن ابي

سعيد وابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل
اهل الجنة الجنة نادي مناد ان لكم ان تحيوا فلن تموتوا ابدا وان لكم
ان تنعموا فلا تباسوا ابدا فذلك قوله عز وجل ونودوا ان تلكموا
الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون وقوله تعالى **اورثتموها بما كنتم
تعملون** روي ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من
احد الا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فاما الكافر فانه يرث
المؤمن منزله من النار والمومن يرث الكافر منزله من الجنة زاد
في رواية فذلك قوله اورثتموها بما كنتم تعملون قال بعضهم لما سمى
الله الكافر ميتا بقوله اموات غير احيا وسمى المومن حيا بقوله
لينذر من كان حيا وفي الشرع ان الاحيا يرثون الاموات فقال
اورثتموها يعني ان المومن حي وهو يرث الكافر منزله من الجنة لانه
في حكم الميت وقيل معناه ان امرهم يوول الى الجنة كما ان الميراث يوول
الي الوارث وقيل اورثتموها عن الاعمال الصالحة التي عملتموها لان
الجنة جعلت جزا وثوابا لهم على الاعمال ولا يعارض هذا القول ما
ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لن يدخل الجنة احد بعمله
وانما يدخلونها برحمة الله فان دخول الجنة برحمة الله واقتسام
الدرجات والمنازل بالاعمال وقيل ان العمل الصالح لن يناله المومن
ولم يبلغه الا برحمة الله وتوفيقه واذا كان العمل الصالح بسببية
الرحمة كان دخول الجنة في الحقيقة برحمة الله وجعلها الله ثوابا
وجزا لهم على تلك الاعمال الصالحة التي عملوها في دار الدنيا والله
اعلم قوله تعالى **ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار** يعني ونادي
اهل الجنة اهل النار وهذا الندا انما يكون بعد استقرار اهل الجنة
في الجنة واهل النار في النار يقول اهل الجنة يا اهل النار **قد وجدنا
ما وعدنا ربنا** يعني ما وعدنا ربنا يعني ما وعدنا في الدنيا على
السن الرسل من الثواب على الايمان به وبرسله وطاعته **حقا فهل
وجدتم ما وعد ربكم حقا** يعني من العذاب على الكفر **قالوا نعم** قال
اهل النار مجيبين لاهل الجنة نعم وجدنا ذلك حقا **فان قلت**
هذا الندا من كل اهل الجنة لكل اهل النار او من البعض للبعض
قلت ظاهر قوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار يفيد العموم
والجمع اذا قابل الجمع يوزع الفرد على الفرد فكل فريق من اهل الجنة
ينادي من كان يعرفه من الكفار في دار الدنيا فان قلت اذا كانت
الجنة في السما والنار في الارض فكيف يمكن ان يبلغ هذا الندا وكيف
يصح ان يقع **قلت** ان الله قادر على ان يقوى الاصوات والاسماع

فيصير

فيصير البعيد كالقريب وقوله تعالى **فاذن موذن بينهم** يعني
نادي مناد واعلم ان اصل الاذان في اللغة الاعلام والمعنى نادي مناد
اسمع الفريقين وهذا المنادي من الملايكة وقيل انه اسرافيل صاحب
الصور ذكره الواحدي **ان لعنة الله على الظالمين** يعني يقول الموذن
ان لعنة الله على الظالمين ثم فسر الظالمين من هم فقال تعالى **الذين
يصدون عن سبيل الله** يعني الذين يمنعون الناس عن الدخول في دين
الاسلام **ويبغونها عوجا** يعني ويحاولون ان يغيروا دين الله وطريقته
التي شرع لعباده ويبدلونها وقيل معناه انهم يصلون لغير الله
ويعظمون ما لم يعظمه الله وذلك انهم طلبوا سبيل الله بالصلاة
لغير الله وتعظيم ما لم يعظمه فاخطاوا الطريق وضلوا عن السبيل
وهم بالاخرة كافرون يعني وهم بكون الاخرة واقعة جاحدون منكرون
لها قوله عز وجل **وبينهما حجاب** يعني وبين الجنة والنار وقيل
بين اهل الجنة واهل النار حجاب وهو المذكور في قوله تعالى فضرب
بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب قال
مجاهد الاعراف حجاب بين الجنة والنار وقال السدي وبينهما
حجاب هو السور وهو الاعراف وقوله **وعلى الاعراف رجال** الاعراف
جمع عرف وهو كل مرتفع من الارض ومنه قيل عرف الديك لارتفاعه
على ما سواه من جسده سمي بذلك لانه بسبب ارتفاعه صار اعرف
وابين مما انخفض وقال السدي انما سمي الاعراف لان اصحابه يعرفون
الناس وقال ابن عباس الاعراف الشي المشرف وعنه قال الاعراف
سور كعرف الديك وعنه ان الاعراف تل بين الجنة والنار يجلس
عليه ناس من اهل الذنوب بين الجنة والنار واختلف العلما في
صفة الرجال الذين اخبر الله عنهم انهم على الاعراف وما السبب
الذي من اجله صاروا هنالك فروي عن حذيفة انه سيل عن
اصحاب الاعراف فقال هم قوم استوت حسناتهم وسياتهم فقصرت
بهم سياتهم عن الجنة وخلفت بهم حسناتهم عن النار فوقفوا هنالك
على السور حتى يقضي الله فيهم قال بعضهم انما جعلوا على الاعراف
لانها درجة متوسطة بين الجنة والنار فهم لا من اهل الجنة ولا
من اهل النار لكن الله يدخلهم الجنة بفضله ورحمته لانه ليس في
الاخرة دار الا الجنة او النار وقال ابن مسعود يحاسب الناس يوم
القيمة فمن كانت حسناته اكثر بواحدة دخل الجنة ومن كانت سياته
اكثر بواحدة دخل النار وان الميزان يخف ويثقل بمثقال حبة ومن
استوت حسناته وسياته كان من اصحاب الاعراف فوقفوا على الاعراف

فاذا نظروا الى اهل الجنة نادوا سلام عليكم واذا نظروا الى اهل النار
قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين وهنالك يقول الله لم يدخلوها
وهم يطمعون فكان الطمع دخولا • قال ابن مسعود ان العبد اذا عمل
حسنة كتب له بها عشرا واذا عمل سيئة لم تكتب الا واحدة ثم قال
هلك من غلب وحدانه عشراته وقال ابن عباس الاعراف سور بين
الجنة والنار واصحاب الاعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فهم
بذلك المكان حتى اذا اراد ان يعافيهم انطلق بهم الى نهر يقال له
الحياة حافتاه قصب الذهب مكلل باللولوء ترابه المسك فالقوا
فيه حتى تصلح الوانهم وتبدو في نحورهم شامة بيضا يعرفون بها
حتى اذا اصلحت الوانهم اتى بهم الى الرحمن تبارك وتعالى فقال تمنوا ما
شئتم فيتمنوا حتى اذا انقطعت امنيتهم قال لهم لكم الذى تمنيتم مثل ما
تمنيتم ومثله سبعون ضعفا فيدخلون الجنة وفي نحورهم شامة بيضا
يعرفون بها يسمون مساكين اهل الجنة ذكره ابن جرير في تفسيره وقال
شرحبيل بن سعد اصحاب الاعراف قوم خرجوا في الغزو بغير اذن اباهم
ورواه الطبري بسنده الى يحيى بن شبل مولى لبني هاشم عن محمد بن
عبد الرحمن عن ابيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
اصحاب الاعراف فقال هم قوم قتلوا عصاة لاباهم فمنعهم قتلهم في
سبيل الله عن النار ومنعهم معصية اباهم ان يدخلوا الجنة زاد في
رواية فهم اخر من يدخل الجنة • وذكر ابن الجوزي انهم قوم رضي اباوهم
دون امهاتهم وامهاتهم دون اباهم ورواه عن ابراهيم وذكر عن ابي صالح
مولى التوءمة عن ابن عباس انهم اولاد الزنا وقيل انهم الذين ماتوا
في الفترة الله اعلم بحالهم وهو متولى امرهم • وقيل انهم اولاد المشركين
الذين ماتوا اطفالا وهذا القول يرجع معناه الى الذى قبله لانه
داخل في حكمه فهذه الاقوال تدل على ان اصحاب الاعراف دون اهل
الجنة في الدرجات وان كانوا يدخلون الجنة برحمة الله • وقال مجاهد
اصحاب الاعراف قوم صالحون فقها علما فعلى هذا القول انما يكون
لبثهم على الاعراف على سبيل النزهة او ليرى غيرهم شرفهم وفضلهم
وقيل انهم انبيا حكاه ابن الانباري وانما اجلسهم الله على ذلك
المكان العالى تميزا لهم على ساير اهل القيمة واظهارا لفضلهم وعلو
مرتبتهم وليكونوا مشرفين على اهل الجنة والنار ومطلعين على احوالهم
ومقادير ثواب اهل الجنة وعقاب اهل النار وقال ابو مجلز اصحاب
الاعراف ملايكة يعرفون الفريقين بسيماهم يعني يعرفون اهل الجنة
واهل النار فقيل لابي مجلز ان الله تعالى يقول وعلى الاعراف رجال

القولهم

وانت

وانت تقول انهم ملايكة فقال ان الملايكة ذكور ليسوا باناث وضعف
الطبري قول ابي مجلز قال لان لفظ الرجال في لسان العرب لا يطلق
الا على الذكور من بني ادم دون اناثهم ودون ساير الخلق وحاصل
هذه الاقوال ان اصحاب الاعراف افضل من اهل الجنة لانهم اعلى منهم
منزلة وافضل • وقيل انما اجلسهم الله في ذلك المكان العالى ليميزوا
بين اهل الجنة واهل النار والله اعلم بمراده واسرار كتابه وقوله تعالى
يعرفون كلا بسيماهم يعني ان اصحاب الاعراف يعرفون اهل الجنة
بسيماهم وذلك ببياض في وجوههم من نضرة النعيم عليها ويعرفون
اهل النار بسيماهم وذلك سواد وجوههم وزرقة عيونهم والسيما
العلامة الدالة على الشي واصله من السمة • قال ابن عباس اصحاب
الاعراف اذا راوا اصحاب الجنة عرفوهم ببياض الوجوه واذا راوا اصحاب
النار عرفوهم بسواد الوجوه فان قلنا ان اصحاب الاعراف من استوت
حسناتهم وسيئاتهم وهم دون اهل الجنة في الدرجة فاوقفهم الله على
الاعراف ليكونوا درجة متوسطة بين الجنة والنار فاذا راوا اهل
الجنة عرفوهم ببياض وجوههم نادوهم ان سلام عليكم وهو قوله تعالى
ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم يعني نادى اصحاب الاعراف
اصحاب الجنة ان سلام عليكم يعني سلمتم من الافات وحصل لكم
الامن والسلامة واذا راوا اهل النار يعرفونهم بسواد وجوههم قالوا
ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين وان قلنا ان اصحاب الاعراف هم
الاشراف والافاضل من اهل الجنة كان جلوسهم على الاعراف ليطلعوا
على احوال اهل الجنة واهل النار ثم لينقلهم الله عز وجل الى الدرجات
العالية في الجنة وقوله تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون يعني في
دخول الجنة قال الحسن ما جعل الله ذلك الطمع في قلوبهم الا لكرامة
يريدها بهم وقوله تعالى واذا صرفت ابصارهم تلقا اصحاب النار
يعني واذا صرفت ابصار اصحاب الاعراف اصحاب النار يعني وجاههم
وحيالهم فنظروا الى اليهم والى سواد وجوههم وما هم فيه من العذاب
قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين يعني الذين ظلموا انفسهم
بالشرك وقال ابن عباس ان اصحاب الاعراف اذا نظروا الى اهل
النار عرفوهم وقالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين والمعنى
ان اصحاب الاعراف اذا نظروا الى اهل النار وما هم فيه من العذاب
تضرعوا الى الله وسالوه ان لا يجعلهم منهم وقوله تعالى ونادى اصحاب
الاعراف رجالا يعني ونادى اصحاب الاعراف رجالا كانوا عظما في
الدنيا وهم من اهل النار يعرفونهم بسيماهم يعني بسيما اهل النار

قالوا يعني اصحاب الاعراف لهولا الذين عرفوهم في النار ما اغنى
عنكم جمعكم يعني ما كنتم تجمعون من الاموال والعدد في الدنيا وما
كنتم تستكبرون يعني وما اغنى عنكم تكبركم عن الايمان شيا قال
الكلبي ينادونهم وهم على السور ياوليد بن المغيرة يا ابا جهل بن
هشام يا فلان يا فلان ثم ينظرون الى الجنة فيرون فيها الفقرا
والضعفا ممن كانوا يستهزون بهم مثل سلمان وصهيب وخباب
وبلال واشباههم فيقول اصحاب الاعراف لاوليك الكفار اهولاء
لفظ استفهام يعني هولا الضعفا الذين اقسمتم بالله لاينالهم
الله برحمة يعني انكم حلفتم انهم لايدخلون الجنة ثم يقول الله لاصحاب
الاعراف ادخلوا الجنة بفضلي ورحمتي لاخوف عليكم ولا انتم تحزنون
وقيل ان اصحاب الاعراف اذا قالوا لاهل النار ما اخبر الله عنهم قال
لهم اهل النار ان اوليك دخلوا الجنة وانتم لم تدخلوها فيعيرونهم
بذلك ويقسمون انهم لايدخلون الجنة ولاينالهم الله برحمة فتقول
الملايكة لاهل النار يعني اصحاب الاعراف اهولا الذين اقسمتم لا
ينالهم الله برحمة ثم تقول الملايكة لاصحاب الاعراف اهولا الذين
اقسمتم لاينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة برحمة الله لاخوف عليكم ولا
انتم تحزنون قوله عز وجل ونادى اصحاب النار اصحاب
الجنة ان افيضوا علينا من الما قال ابن عباس لما صار اصحاب
الاعراف الى الجنة طمع اهل النار في الفرج فقالوا يارب ان لنا قرابات
من اهل الجنة فاذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فياذن لهم فينظروا الى ما
قراباتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم وينظر اهل الجنة
الى قراباتهم من اهل النار فلم يعرفوهم لسواد وجوههم فينادون
اصحاب النار اصحاب الجنة باسمايهم فينادي الرجل اباه واخاه فيقول
قد احترقت افض علي من الما فيقال لهم اجيبوهم فيقولون ان الله
حرمهما على الكافرين ومعنى الاية ان اهل النار يستغيثون باهل
الجنة اذا استقروا فيها وذلك عند نزول البلا باهل النار وما
يلقون من شدة العطش والجوع عقوبة من الله على ما سلف
منهم في الدنيا من الكفر والمعاصي يقول اهل النار لاهل الجنة يا
اهل الجنة افيضوا علينا من الما يعني صبوا علينا من الما او مما
رزقكم الله قالوا يعني واطعمونا مما رزقكم الله ووسعوا علينا
من طعام الجنة فيجيبهم اهل الجنة ان الله حرمهما على الكافرين
وهذا الجواب يفيد الحرمان قال بعضهم لما كانت شهواتهم في
الدنيا في لذة الاكل والشرب عذبهم الله في الاخرة بشدة الجوع

والعطش فسالوا ما كانوا يعتادونه في الدنيا من طلب الاكل والشرب
فاجيبوا بان الله حرمهما على الكافرين يعني طعام الجنة وشرابها
ثم وصف الكافرين فقال تعالى الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا
يعني انهم تلاعبوا بدينهم الذي شرع لهم ولهوا عنه واصل اللهو
ما يشغل الانسان عما يعنيه ويهمه يقال لهوت بكذا ولهيت عن
كذا اي اشتغلت عنه قال ابن عباس هم المستهزون وذلك انهم
اذا دعوا الى الايمان سخروا ممن دعاهم اليه وهزوا به اغترارا بالله
عز وجل وقيل هو ما زين لهم الشيطان من تحريم البحاير والسوايب
والمكا والتصدية حول البيت وساير الخصال الذميمة التي كانوا
يفعلونها في الجاهلية وقيل معنى اتخذوا دينهم يعني عيدهم
اتخذوه لهوا ولعبا لايذكرون الله فيه وغرتهم الحياة الدنيا يعني
وخدعتهم عاجل ما هم فيه من خفض العيش والدعة وشغلهم ما هم
فيه من ذلك عن الايمان بالله ورسوله وعن الاخذ بنصيبهم من
الاخرة حتى اتتهم المنية وهم على ذلك والغرة غفلة في اليقظة
وهو طمع الانسان في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال والجاه
ونيل الشهوات فاذا حصل له ذلك صار محجوبا عن الدين وطلب
الخلاص لانه غريق في الدنيا بلذاته وما هو فيه من ذلك ولما
وصفهم الله بهذه الصفات الذميمة قال فاليوم يعني يوم القيمة
ننساهم كما نسوا لقا يومهم هذا يعني نتركهم في العذاب المهين
جياعا عطاشا كما تركوا العمل للقا يومهم هذا وهذا قول ابن
عباس ومجاهد والسدي قال ابن عباس نسيهم من الخير ولم
ينسهم من الشر وقيل معناه نعاملهم معاملة من نسي فنتركهم
في النار كما تركوا العمل واعرضوا عن النظر الايمان اعراض الناس
سمى الله جزا نسيانهم بالنسيان على المجاز لان الله تعالى لاينسى
شيا فهو كقوله وجزا سيية سيية مثلها فيكون المراد من هذا النسيان
ان الله تعالى لايجيب دعاهم ولايرحم ضعفهم وذلتهم بل يتركهم في النار
كما تركوا الايمان والعمل وما كانوا باياتنا يجحدون يعني ونتركهم
في النار كما كانوا بدلايل وحدانيتنا يكذبون قوله تعالى ولقد جيناهم
بكتاب يعني ولقد جينا هولا الكفار بالقران الذي انزلناه عليك
يا محمد فصلناه اي بيناه على علم منا بما نفصله ونبينه هدى
ورحمة لقوم يؤمنون اي جعلنا القران هاديا وذا رحمة لقوم يومنون
هل ينظرون الا تاويله يعني ينظرون هولا الكفار الذين كذبوا
باياتنا وجحدوها ولم يومنوا بها الا تاويله يعني هل ينتظرون

ويتوقعون الا ما وعدوا به على السنة الرسل من العذاب وان
مصيركم الى النار والتاويل ما يؤول اليه الشي **يوم ياتي تاويله**
يعني يوم القيمة لانه يوم الجزا وما يؤول اليه **يقول الذين نسوه**
من قبل يعني يقول الذين تركوا العمل بالقران ولم يؤمنوا به يوم
القيمة عند معاينة العذاب **قد جات رسل ربنا بالحق** اقروا على
انفسهم واعترفوا حين لا ينفعهم ذلك الاعتراف والاقرار والمعنى
ان الكفار اقروا بان الذى جات به الرسل من الايمان والتصديق
والحشر والنشر والبعث يوم القيمة والثواب والعقاب حق وصدق
وانما اقروا بهذه الاشيا لانهم شاهدوا معاينة ذلك حين لا
ينفعهم ولما راوا انفسهم في العذاب قالوا **فهل لنا من شفعا فيشفعوا**
لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل يعني انه ليس لنا طريق الى الخلاص
مما نحن فيه من العذاب الا ان يشفع لنا شفيع عند ربنا فيقبل
شفاعته فينا فيخلصنا من هذا العذاب او نرد الى الدنيا فنعمل
غير الذى كنا نعمله فيها فنبدل الكفر بالتوحيد والايمان والمعاصي
بالطاعة والانابة **قد خسروا انفسهم** يعني ان الذى طلبوه لا يحصل
لهم فتبين خسرانهم وهلاكهم انفسهم لانهم كانوا في الدنيا اول مرة
لم يعملوا بطاعة الله ولو ردوا الى الدنيا لعادوا لما كانوا عليه من
الكفر والعصيان لسابق علم الله فيهم وخذله **وضل عنهم ما كانوا**
يفترون يعني وبطل وذهب عنهم ما كانوا يزعمون ويكذبون في
الدنيا من ان الاصنام تشفع لهم فلما افضوا الى الاخرة ذلك ذهب
عنهم وعلموا انهم كانوا في دعواهم كاذبين **قوله عز وجل** **ان**
ربكم الله يعني ان سيدكم ومالككم ومصلح اموركم والذى يوصل
الخيرات اليكم ويدفع عنكم المكاره هو الله **الذي خلق السموات**
والارض في ستة ايام اصل الخلق في اللغة التقدير المستقيم ويستعمل
في ابداع الشي من غير اصل سبق ولا ابتدا تقدم فقوله خلق السموات
والارض يعني ابدعهما وانشا خلقهما على غير مثال سبق وقدر احوالها
في ستة ايام **فان قلت** اليوم عبارة عن مقدار من الزمان
وذلك المقدار هو من طلوع الشمس الى غروبها فكيف قال في ستة
ايام ولم يكن شمس ولا سما **قلت** في معناه في مقدار ستة ايام
فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا يعني على مقادير البكر والعشي
في الدنيا لان الجنة لا ليل فيها ولا نهار واختلف العلما في اليوم
الذي ابتدا الله عز وجل بخلق الاشيا فقيل في يوم السبت وهو قول
محمد بن اسحاق وغيره ويدل على صحة هذا القول ما روى مسلم في افراده

من حديث ابي هريرة قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي
فقال خلق الله تعالى التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم
الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثا وخلق
النور يوم الاربعا وخلق فيها الدواب يوم الخميس وخلق ادم بعد
العصر من يوم الجمعة في اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات
الجمعة فيما بين العصر الى الليل وهذا الحديث وان كان في صحيح
مسلم ففيه مقال وقد انكره بعض العلما لما فيه من المخالفة للاية
الكريمة لان الله تعالى يقول ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام وقال في اية اخرى ولقد خلقنا السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام فدل بهذا النص على ان جميع
الخلق تم وكمل في ستة ايام والذي في الحديث ان بعض الخلق
وقع في سبعة ايام وذلك مجموع ايام الاسبوع فلهذا السبب
انكره من انكره من العلما وقد ذكر الازهري في كتابه تهذيب
اللغة ما يقوي الحديث فقال وقال ابن الانباري السبت القطع
وسمي يوم السبت لان الله ابتدا الخلق يوم السبت وقطع فيه بعض
خلق الارض وقيل ان ابتدا الخلق كان يوم الاحد وهو قول عبد الله
ابن سلام وكعب الاحبار والضحاك ومجاهد واختاره ابن جرير
الطبري قال الطبري خلق الله السموات والارض في ستة ايام وذلك
يوم الاحد والاثنين والثلاثا والاربعا والخميس والجمعة وروى
بسنده عن مجاهد قال بدو الخلق العرش والما والهوا وخلقت
الارض من الما وبدو الخلق يوم الاحد والاثنين والثلاثا والاربعا
والخميس وجمع الخلق في يوم الجمعة وتهودت اليهود يوم السبت
ويوم من الستة الايام كالف سنة مما تعدون ويعضد هذا القول ما
حكاه صاحب المحكم ابن سيده قال وسمي سابع الاسبوع سبتا لان
ابتدا الخلق كان من يوم الاحد الى يوم الجمعة ولم يكن في السبت خلق
قال اصحاب الاخبار والسير والتواريخ ان الله عز وجل خلق التربة
التي هي الارض بلا دحو ولا بسط في يوم الاحد والاثنين ثم استوى
الى السما فسواهن سبع سموات في يومين وهما الثلاثا والاربعا ثم
دحى الارض وبسطها وطحاها واخرج ماها ومرعاها وخلق دوابها
وحشيشها وجميع ما فيها في يومين وهما الخميس والجمعة وخلق ادم
في يوم الجمعة اخر النهار في اخر ساعة من ساعات الجمعة وقيل خلق
الله عز وجل التربة يوم الاحد ثم استوى الى السما فخلقها وجميع
ما فيها يوم الاثنين والثلاثا ثم مد الارض ودحاها يوم الاربعا

والخميس وخلق ادم يوم الجمعة واسكنه الجنة موونه وخته حوا ثم اهبطهما
الى الارض في اخر ساعة من يوم الجمعة • وقيل اول ما خلق الله القلم
ثم اللوح فكتب فيه ما كان وما سيكون وما خلق وما هو خالق
الى يوم القيمة ثم خلق الظلمة والنور ثم خلق العرش ثم خلق
السما من درة بيضا ثم خلق التربة ثم خلق السموات وما فيها من
نجوم وشمس وقمر ثم مد الارض وبسطها من التربة التي خلقها
اولا ثم خلق جميع ما فيها من جبال وشجر ودواب وغير ذلك
ثم خلق ادم اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات يوم الجمعة
وفيه اهبط الى الارض فتكامل جميع الخلق في ستة ايام كل يوم
مقدار الف سنة من ايام الدنيا **فان قلت** ان الله عز وجل
قادر ان يخلق جميع الخلق في لحظة واحدة ومنه قوله وما امرنا الا
واحدة كلمح بالبصر او هو اقرب فما الفايدة في خلق السموات والارض
في ستة ايام وما الحكمة في ذلك **قلت** ان الله سبحانه وتعالى
وان كان قادرا على خلق جميع الاشيا في لحظة واحدة الا انه تعالى
جعل لكل شي حدا محدودا ووقتا معلوما فلا يدخل في الوجود الا
في ذلك الوقت والمقصود من ذلك تعليم عباده التثبت والتاني
في الامور وقال سعيد بن جبير كان الله عز وجل قادرا على خلق
السموات والارض في لمحة ولحظة فخلقهن في ستة ايام تعليما لخلقه
التثبت والتاني في الامور كما في الحديث التاني من الله والعجلة
من الشيطان • وقيل ان الشي اذا احدث دفعة واحدة فلعله ان
يخطر ببال بعضهم ان ذلك الشي انما وقع على سبيل الاتفاق فاذا
احدث شيا بعد شي على سبيل المصلحة والحكمة كان ذلك ابلغ في
القدرة واقوى في الدلالة وقيل ان الله تعالى اراد ان يوقع في كل
يوم امرا من امره حتى تستعظمه الملايكة وغيرهم من شاهده وقيل
ان التعجيل في الخلق ابلغ في القدرة والتثبت ابلغ في الحكمة فاراد الله
تعالى اظهار حكمته في خلق الاشيا في التثبت كما اظهر قدرته في خلق
الاشيا بكن فيكون وقوله تعالى **ثم استوى على العرش** العرش
في اللغة السرير وقيل هو ما علا فاظل وسمي مجلس السلطان
عرشا اعتبارا بعلوه ويكنى عن العز والسلطان والمملكة بالعرش
على الاستعارة والمجاز يقال فلان ثل عرشه بمعنى ذهب عزه
وملكه وسلطانه • قال الراغب في كتاب مفردات القران وعرش
الله عز وعلا مما لا يعلمه البشر الا بالاسم الا على الحقيقة وليس كما
يذهب اليه اوهام العامة فانه لو كان كذلك لكان حاملا له

تعالى من ذلك وليس كما قال قوم انه الفلك الاعلا والكرسي فلك
الكوكب واما استوى بمعنى استقر فقد رواه البيهقي في كتابه الاسما
والصفات بروايات كثيرة عن جماعة من السلف وضعفها كلها وقال
اما الاستوا فالمتقدمون من اصحابنا كانوا لا يفسرونه ولا يتكلمون فيه
كنحو مذهبهم في امثال ذلك • وروي بسنده عن عبد الله بن وهب
قال كنا عند مالك بن انس فدخل رجل فقال يا ابا عبد الله الرحمن
على العرش استوى كيف استواه قال فاطرق مالك واخذته
الرحضا ثم رفع راسه فقال الرحمن على العرش كما وصف نفسه ولا
يقال له كيف عنه مرفوع وانت رجل سو صاحب بدعة اخرجوه
فاخرج الرجل • وفي رواية يحيى بن يحيى قال كنا عند مالك بن انس
فجاه رجل فقال يا ابا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواه
فاطرق مالك براسه حتى علاه الرحضا ثم قال الاستوا غير مجهول
والكيف غير معقول والايمان به واجب والسوال عنه بدعة وما
اراك الا مبتدعا فامر به ان يخرج • وروى البيهقي بسنده عن
ابن عيينة قال كلما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته
والسكوت عنه • قال البيهقي والاثار عن السلف في مثل هذا
كثيرة وعلى هذه الطريقة يدل مذهب الشافعي واليه ذهب
احمد بن حنبل والحسن بن الفضل البجلي ومن المتاخرين ابو سليمان
الخطابي قال البغوي اهل السنة يقولون الاستوا على العرش صفة
الله تعالى وبلا كيف يجب على الرجل الايمان به ويكل العلم به الى الله
عز وجل وذكر حديث مالك بن انس مع الرجل الذي ساله عن
الاستوا وقد تقدم • وروى عن سفين الثوري والاوزاعي والليث
ابن سعد وسفين بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم من
العلما السنة في هذه الايات التي جات عن الصفات المتشابهة
امروها كما جات بلا كيف • وقال الامام فخر الدين الرازي بعد
ذكره الدلايل العقلية والسمعية انه لا يمكن حمل قوله تعالى ثم
استوى على العرش على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز
وعند هذا حصل للعلما الراسخين مذهبان الاول ان نقطع بكونه
تعالى متعاليا عن المكان والجهة ولا نخوض في تاويل الاية على
التفصيل بل نفوض علمها الى الله عز وجل وهو الذي قررنا في
تفسير قوله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون
امنا به وهذا المذهب هو الذي نختاره ونقول به ونعتمد عليه •
والمذهب الثاني ان نخوض في تاويله على التفصيل وفيه قولان

ملخصات • الاول ماذكره القفال فقال العرش في كلامهم هو
السرير الذي يجلس عليه الملك ثم جعل العرش كناية عن نفس
الملك يقال ثل عرشه اي انتقض ملكه واذا استقام له ملكه
واطرد امره وحكمه قالوا استوى على عرشه واستوى على سرير
ملكه هذا ما قاله القفال والذي قاله القفال حق وصواب
ثم قال والله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفية تدبيره
العالم على الوجه الذي الفوه من ملوكهم واستقر في قلوبهم
عظمة الله جل جلاله وكمال قدرته وذلك مشروط بنفي
التشبيه والمراد منه نفاذ القدرة وجريان المشية • قال
ويدل على صحة هذا قوله في سورة يونس ثم استوى على
العرش يدبر الامر جرى مجرى التفسير لقوله استوى على
العرش • واورد على هذا القول بان الله تعالى لم يكن مستويا
على الملك قبل خلق السموات والارض والله تعالى منزه عن
ذلك • واجيب عنه بان الله تعالى كان قبل خلق السموات
والارض مالكها لكن لا يصح ان يقال شبع زيد الا بعد اكله الطعام
فان فسر العرش بالملك صح ان يقال انه تعالى انما استوى ملكه بعد
خلق السموات والارض • والقول الثاني ان يكون استوى بمعنى
استولى وهذا مذهب المعتزلة وجماعة من المتكلمين واحتجوا
عليه بقول الشاعر •

• ثم استوى بشر على العراق • من غير سيف ودم مهراق •

وعلى هذا القول انما خص العرش بالاخبار عنه بالاستيلا عليه
لانه اعظم المخلوقات وورد هذا القول بان العرب لا تعرف استوى
بمعنى استولى وانما يقال استولى فلان على كذا اذا لم يكن في ملكه
ثم ملكه واستولى عليه والله تعالى لم يزل مالكا للاشيا كلها
ومستولي عليها فاي تخصيص للعرش هنا دون غيره من المخلوقات
ونقل البيهقي عن ابي الحسن الاشعري ان الله فعل في العرش فعلا
سماه استوى كما فعل في غيره فعلا سماه رزقا ونعمة او غيرهما من
افعاله ثم لم يكيف الاستوا الا انه جعله من صفات الفعل لقوله
تعالى ثم استوى على العرش وثم للتراخي والتراخي انما يكون في
الافعال وافعال الله تعالى توجد بلا مباشرة منه اياها ولا حركة
وحكى الاستاذ ابو بكر بن فورك عن بعض اصحابنا انه قال
استوى بمعنى علا من العلو قال ولا يريد ذلك علوا بالمسافة
والتحيز والكون في المكان متمكنا فيه ولكن نريد معنى تلى الخبر عنه

وانه

وانه ليس مما يحويه طبق ولا يحيط به قطر ووصف الله تعالى بذلك
طريقة الخبر ولا يتعدى ما ورد به الخبر • قال البيهقي وهو على
هذه الطريقة من صفات الذات وكلمة ثم تعلقت بالمستوى
عليه لا بالاستوا وقد اشار ابو الحسن الاشعري الى هذه الطريقة
حكاية فقال بعض اصحابنا انه صفة ذات قال وجوابي هو الاول
وهو ان الله تعالى مستو على عرشه وانه فوق الاشيا باين منها
يعني انه لا تحله ولا يحلها ولا يماسها ولا يشبهها وليست البينونة
بالعزلة تعالى الله ربنا عن الحلول والمماسة علوا كبيرا وقد قال
بعض اصحابنا ان الاستوا صفة لله تعالى تنفي الاعوجاج عنه وروي
ان ابن الاعرابي جاءه رجل فقال يا ابا عبد الله ما معنى قوله الرحمن
على العرش استوى قال انه مستولي على عرشه كما اخبر فقال الرجل
انما معنى قوله استوى اي استولى فقال له ابن الاعرابي ما يدريك
العرب لا تقول استولى على الشي فلان حتى يكون له فيه مضاد فايهما
غلب قيل لمن غلب قد استولى عليه والله تعالى لا مضاد له فهو على
عرشه كما اخبر لا كما يظنه البشر والله اعلم وقوله تعالى يغشي الليل
النهار يعني انه تعالى ياتي بالليل على النهار فيغطيه ويلبسه
حتى يذهب بنوره وفيه حذف تقديره ويغشي النهار الليل وانما
لم يذكر النهار لدلالة **يطلبه حثيثا** يعني سريعا وذلك انه اذا كان
يعقب احدهما الاخر ويخلفه فكانه يطلبه • حكى الامام فخر الدين
عن القفال انه قال ان الله لما اخبر عباده باستوائه على العرش
اخبر عن استمرار امور المخلوقات على وفق مشيته واراهم ذلك
فيما يشاهدونه منها لينضم العيان الى الخبر وتزول الشبهة من كل
الجهات • قال الامام واعلم انه سبحانه وتعالى وصف هذه الحركة
بالسرعة الشديدة وذلك لان تعاقب الليل والنهار انما يحصل
بحركة الفلك الاعظم وتلك الحركة اشد الحركات سرعة فان
الانسان اذا كان في اشد عدوه بمقدار رفع رجله ووضعها يتحرك
الفلك الاعظم ثلاثة الاف ميل وهي الف فرسخ فلهذا قال يطلبه
حثيثا لسرعة حركته والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره يعني
التسخير التذليل وقال الزجاج وخلق هذه الاشيا جارية في مجاريها
بامره وقال المفسرون يعني يسخرهن تذليلهن لما يراد منها من
طلوع وغروب وسير ورجوع اذ ليس هن قادرات بانفسها وانما
هن يتصرفن في تصرفاتهن على ارادة المدبر لهن الحكيم في تدبيرهن
وتصريفهن على ما اراد منهن والمراد بالامر في قوله بامره ونفاذ ارادته

لان الغرض من هذه الاية تعين عظمة قدرته ومنهم من حمل الامر
على الامر الذي هو الكلام وقال انه تعالى امر هذه الاجرام بالسير
الدايم والحركة المستمرة الى انقضا الدنيا وخراب هذا العالم **فان**
قلت ان الشمس والقمر من النجوم فلم افردهما بالذكر ثم
عطف عليهما ذكر النجوم **قلت** انما افردهما بالذكر لبيان شرفهما
على سائر الكواكب لما فيهما من الاشراق والنور وسيرهما في المنازل
معرفة الاوقات نحو كقوله من كان عدوا لله وملايكته ورسله
وجبريل وميكال فعطف جبريل وميكال على ذكر الملايكة لبيان
شرفهما وفضلهما على غيرهما من الملايكة وقوله تعالى الا له
الخلق والامر يعني الا له الخلق لانه خلقهم وله ان يامرفيهم بما اراد
ان يحكم فيهم بما يشا وعلى هذا المعنى الامر هنا الذي هو نقيض النهي
واستخرج سفيان بن عيينة من هذا المعنى الامر هنا الذي هو
نقيض النهي ان كلام الله عز وجل ليس بمخلوق فقال ان الله تعالى
فرق بين الخلق والامر فمن جمع بينهما فقد كفر لان المخلوق لا يقوم
مثله وقيل معناه ان جميع ما في العالم لله عز وجل والخلق له لانه
خلقهم وجميع الامور تجرى بقضايه وقدره نحو مجريها ومنشيها
فلا يبقى بعد هذا الاحد شي • وقيل المراد بالامر هنا الارادة لان الغرض
من الاية تعظيم القدرة وفي الاية دليل على انه لا خالق الا الله عز
وجل ففيه رد على من يقول على ان للشمس والقمر والكواكب تاثيرات
في هذا العالم فاخبر انه هو الخالق المدبر لهذا العالم لا الشمس
والقمر والكواكب وله الامر المطلق وليس لاحد امر غيره فهو
الامر والناهي الذي يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد
من خلقه عليه تبارك الله يعني تمجد وتعظم وارتفع • وقال الزجاج
تبارك تفاعل من البركة ومعنى البركة الكثيرة من كل خير وقيل
معناه تعالى وتعظم الله رب العالمين يعني هو الذي يستحق
التعظيم وذلك ان الله تعالى افتتح هذه الاية بقوله ان ربكم الله
الذي خلق السموات والارض وذكر اشيا من عظم خلقه وان له
الخلق والامر والنهي والقدرة عليهم حتى ختم الاية بالثنا عليه
لانه هو المستحق للمدح المطلق والثنا والتعظيم • وقال ابن عباس
معناه تبارك باسمه تبرك في كل شي • وقال المحققون معنى هذه
الصفة ثبت ودام كما لم يزل ولا يزال واصل البركة الثبوت ويقال
تبارك الله ولا يقال متبارك ولا مبارك لانه لم يرد فيه التوقيف
قوله عز وجل ادعوا ربكم قيل معناه اعبدوا ربكم لان الدعا طلب

الخير

الخير من الله وهذه صفة العبادة ولانه تعالى عطف عليه قوله
وادعوه خوفا وطمعا والمعطوف يجب ان يكون مغايرا للمعطوف
عليه • وقيل المراد به حقيقة الدعا وهو الصحيح لان الدعا هو السوال
والطلب هو نوع من انواع العبادة لان الداعي لا يقدم على الدعا الا
اذا عرف من نفسه الحاجة الى ذلك المطلوب وهو عاجز عن تحصيله
وعرف ان ربه تبارك وتعالى يسمع الدعا ويعلم حاجته وهو قادر
على ايصالها الى الداعي فعند ذلك يعرف العبد نفسه بالعجز والنقص
ويعرف ربه بالقدرة والكمال وهو المراد من قوله تضرعا يعني ادعوا
ربكم تذللا واستكانة وهو اظهار الذل في النفس والخشوع يقال
ضرع فلان لفلان اذا ذل له وخشع • وقال الزجاج تضرعا يعني
تملقا وحقيقته ان يدعوه خاضعين خاشعين متعبدين بالدعا
له تعالى وخفية يعني سرا في انفسكم وهو ضد العلانية والادب
في الدعا ان يكون خفيا لهذه الاية • قال الحسن بين دعوة السر
ودعوة العلانية سبعون ضعفا ولقد كان المسلمون يجتهدون في
الدعا ولا يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك
ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وان الله تعالى ذكر
عبدا صالحا وارضى فعله فقال تعالى اذ نادى ربه ندا خفيا ق عن
ابي موسى الاشعري قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ايها الناس اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون اصم ولا غايبا انكم تدعون
سميعا بصيرا وهو معكم والذي تدعون اقرب الى احدكم من عنق
راحلته قال ابو موسى وانا خلفه اقول لا حول ولا قوة الا بالله في نفسي
فقال يا عبد الله بن قيس الا ادلك على كنز من كنوز الجنة قلت
بلى يا رسول الله قال لا حول ولا قوة الا بالله قوله صلى الله عليه وسلم
اربعوا على انفسكم يعني ارفقوا بها واقصروا عن الصياح في الدعا
وقوله تعالى انه لا يحب المعتدين يعني في الدعا • وقال ابو مجلز
هم الذين يسالون منازل الانبيا • عن عبد الله بن مغفل انه سمع ابنه
يقول اللهم اني اسالك القصر الابيض عن يمين الجنة ان ادخلتها
قال اي بني سل الله الجنة وتعوذ به من النار فاني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في هذه الامة قوم يعتدون
في الطهور والدعا اخرجه ابو داود وقال ابن جريج من الاعتدا
رفع الصوت والندا والصياح في الدعا وقيل الاعتدا مجاوزة الحد
في كل شي فكل من خالف امر الله ونهيه فقد اعتدى ودخل تحت قوله

تعالى ان الله لا يحب المعتدين وفرع بعض ارباب الطريقة على
قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعًا وخفية هل الافضل اظهار العبادات
ام لا فذهب بعضهم الى ان اخفا العبادات والطاعات افضل من اظهارها
اظهارها لهذه الاية لكونها ابعد عن الريا وذهب بعضهم الى ان
اظهارها افضل ليقتدى به الغير فيعمل مثل عمله • وتوسط الشيخ
ابن على الحكيم الترمذي فقال ان كان خايفا على نفسه من الريا فالاولى
اخفا العبادات صونا لعمله عن البطلان وان كان قد بلغ في الصفا
وقوة اليقين الى التمكين حيث صار مباينا عن شايبة الريا كان
الاولى في حقه الاظهار ليحصل فايدة الاقتدا به • وذهب بعضهم
الى اظهار العبادات المفروضات افضل من اخفايها فصلاة
المكتوبة في المسجد افضل من صلاته في بيته وصلاة النفل في البيت
افضل من صلاته في المسجد • وكذا اظهار الزكاة افضل من اخفايها
واخفا صدقة التطوع افضل من اظهارها ويقاس على هذا ساير
العبادات قوله تعالى ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها
يعني ولا تفسدوا ايها الناس في الارض بالمعاصي والكفر والدعا
الى غير طاعة الله بعد اصلاح الله اياها ببعثة الرسل وبيان
الشرايع والدعا الى طاعة الله عز وجل وهذا معنى قول الحسن
والسدى والضحاك والكلبى وقال عطية لا تعصوا في الارض
فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بسبب معاصيكم فعلى هذا
يكون معنى قوله بعد اصلاحها يعني بعد اصلاح الله اياها
بالمطر والخصب • وقيل معنى الاية ولا تفسدوا في الارض شيا بعد
ان اصلحه الله تعالى فيدخل فيه المنع من اتلاف النفس بالقتل او
افسادها بقطع بعض الاعضا وافساد الاموال بالغصب والسرقة
واخذه من الغير بوجوه الحيل وافساد الاديان بالكفر واعتقاد
البدع والاهوا المضلة وافساد الانساب بالاقدام على الزنا
وافساد العقول بسبب شرب المسكر وذلك لان المصالح المعتبرة
في الدنيا هي هذه الخمسة فمنع الله من ادخال الفساد في ماهيتها
وقوله وادعوه خوفا وطمعا اصل الخوف انزعاج في الباطن لما لا
يومن من المضار وقيل هو توقع مكروه يحصل فيما بعد والطمع توقع
محبوب يحصل له والمعنى وادعوه خوفا منه ومن عقابه وطمعا فيما
عنده من جزيل ثوابه • وقال ابن جريج معناه خوف العدل وطمع
الفضل وقيل معناه ادعوه خوفا من الريا والذكر في الدعا وطمعا
في الاجابة فان قلت قال في اول الاية ادعوا ربكم تضرعا

وخفية

وخفية وقال هنا وادعوه وهذا اعطف الشي على نفسه فما الفايدة
في ذلك قلت الفايدة فيه ان المراد بقوله تعالى ادعوا ربكم اي
ليكن الدعا مقرونا بالتضرع والاخبار وقوله وادعوه خوفا وطمعا
ان فايدة الدعا احد هذين الامرين فكانت الاية الاولى في بيان شرط
صحة الدعا والاية الثانية في بيان فايدة الدعاء • وقيل معناه كونوا
جامعين في انفسكم بين الخوف والرجا في اعمالكم كلها ولا تطمعوا انكم
وفيتم حق الله في العبادة والدعا وان اجتهدتم فيهما ان رحمت الله
اصل الرحمة رقة تقتضي الاحسان الى المرحوم ويستعمل تارة في الرقة
المجردة وتارة في الاحسان المجرد عن الرقة واذا وصف بها البارى
جل وعز فليس يراد بها الا الاحسان المجرد دون الرقة فرحمة الله عز
وجل عبارة عن الافضال والانعام على عباده وايصال الخير اليهم
وقيل هي عبارة عن ارادة ايصال الخير والنعمة على عباده فعلى القول
الاول تكون الرحمة من صفات الافعال وعلى القول الثاني تكون
تكون من صفات الذات قريب من المحسنين قال سعيد بن جبير
الرحمة ههنا الثواب فرجع النعت الى المعنى دون اللفظ وقيل ان
تانيث الرحمة ليس بحقيقي وما كان كذلك جاز فيه التانيث
والتذكير عند اهل اللغة وكون الرحمة قريبة من المحسنين لان
الانسان في كل ساعة من الساعات في ادبار عن الدنيا واقبال
على الاخرة واذا كان كذلك كان الموت اقرب اليه من الحياة وليس
بينهم وبين الرحمة التي هي الثواب في الاخرة الا الموت فانه قريب
من الانسان قوله عز وجل وهو الذى يرسل الرياح هذا
عطف على ما قبله والمعنى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض
وهو الذي يرسل الرياح نشرا قرى نشرا بالنون اراد جمع نشور وهى
الريح الطيبة الهبوب التي تهب من كل ناحية وقيل هو جمع ناشر يقال
انشر الله الريح بمعنى احياها • وقال الفرا النشر الريح الطيبة اللينة
التي تنشى السحاب • وقال ابن الانبارى النشر المنتشرة الواسعة
الهبوب • وقيل النشر خلاف الطى فيحتمل انها كانت بانقطاعها
كالمطوية فانشرت بمعنى ارسلت وقرى بشرا بالباء جمع بشيرة وهي
التي تبشر بالمطر والريح هو الهوا المتحرك يمنة ويسرة والرياح اربع
الصبا وهي الشرقية والدبور وهي الغربية والشمال وهي التي تهب
من تحت القطب الشمالي والجنوب وهي القبلية • وعن ابن عمر
ان الرياح ثمان اربع منها عذاب وهي القاصف والعاصف والصرصر
والعقيم • واربع منها رحمة وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات

والذاريات **بين يدي رحمته** يعني امام المطر الذي هو رحمة وانما
سماه رحمة لانه سبب لحياة الارض الميتة • قال ابو بكر بن الانباري
اليدان تستعملها العرب في المجاز على معنى التقدمة تقول هذه
تكون الفتن بين يدي الساعة يريدون قبل ان تقوم الساعة
تمثيلا وتشبيها اذ الكانت يد الانسان يتقدمه كذلك الرياح
تتقدم المطر وتوذن به • عن ابي هريرة قال اخذت الناس ريح
بطريق مكة وعمر حاج فاشتدت فقال عمر لمن حوله ما بلغكم في
الريح فلم يرجعوا اليه شيا وبلغني الذي سال عمر عنه من امر الريح
فاستحثت راحلتي حتى ادركت عمر وكنت في موخر الناس فقلت
يا امير المومنين انك سالت عن الريح فاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الريح من روح الله تاتي بالرحمة وتاتي
بالعذاب فاذا رايتموها فلا تسبوها واسيلوا الله من خيرها
واستعيذوا بالله من شرها رواه الشافعي بطوله • واخرج
ابو داود المسند منه • وقال كعب الاحبار لو حبس الله الريح
عن عباده ثلاثة ايام لانتن اكثر اهل الارض قوله تعالى **حتى
اذا اقلت سحابا ثقالا** اقل فلان الشي اذا حمله واشتقاق الاقلال
من القلة فان من يرفع شيا يراه قليلا والسحاب جمع سحابة وهو
الغيم فيه ما او لم يكن فيه ما وسمي سحابا لانسحابه في الهوا والمعنى
حتى اذا حملت هذه الرياح سحابا ثقالا بما فيها من الما قال
السدي ان الله تبارك وتعالى يرسل الرياح فتاتي بالسحاب
من بين الخافقين وهو طرف السما والارض حيث يلتقيان فتخرجه
من ثم ثم تنشره فتبسطه في السما كيف يشا ثم تفتح له ابواب
السما فيسيل الما على السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك وقيل
ان الله تعالى دبر بحكمته ان الرياح تحرك تحريكا شديدا فتثير
السحاب ثم تضم بعضه الى بعض فيتراكم وينعقد ويحمل الما ثم
تسوقه الى حيث يشا الله عز وجل وهو قوله تعالى **سقناه لبلد
ميت** يعني الى بلد فتكون اللام بمعنى الى وقيل معناه لاحل حياة
بلد ميت وانما قال سقناه لان لفظ السحاب مذكر وان كان جمع
سحابة فكان ورود الكناية عنه على سبيل التذكير جايزا نظرا الى
اللفظ قال الازهري قال الليث البلد كل موضع من الارض عامرا
او غير عامر خال او مسكون والطايفة منها بلدة والجمع بلاد زاد
غيره والمفازة تسمى بلدة لكونها مسكن للوحش والجن قال
الاعشى • وبلدة مثل ظهر الترس موحشة • للجن بالليل في حافاتها زجل •

ومعنى

ومعنى الاية انا سقنا السحاب الى بلد ميت يحتاج الى الما ثم ينزل فيه
غيث ولم ينبت خضرة **فانزلنا به الما** اختلفوا في الضمير في قوله تعالى
به الى ماذا يعود فقال الزجاج وابن الانباري جايز ان يكون المعنى
فانزلنا بالبلدة الميت الما وجايز ان يكون المعنى وانزلنا بالسحاب
الما لان السحاب اله لانزال الما **فاخرجنا به** اي بذلك الما لان انزال الما
كان سببا لاخراج الثمرات وقيل يحتمل ان يكون المعنى فاخرجنا بذلك
الميت **من كل الثمرات** يعني فاخرجنا بذلك البلد بعد موته وجدوبه
من اصناف الثمار والزروع **كذلك نخرج الموتى** يعني كما احيينا
البلد الميت كذلك نخرج الموتى احيا من قبورهم بعد فنايهم ودروس
اثارهم واختلفوا في وجه التشبيه فقيل ان الله تعالى كما يخلق النبات
بواسطة انزال المطر كذلك يحيي الموتى بواسطة انزال المطر ايضا
قال ابو هريرة وابن عباس ان الناس اذا ماتوا في النفخة الاولى امطر
عليهم ما من تحت العرش يدعى ما الحيوان اربعين سنة فينبتون كما
ينبت الزرع من الما • وفي رواية اربعين يوما فينبتون في قبورهم
نبات الزرع حتى اذا استكملت اجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقى
عليهم النوم فينامون في قبورهم فاذا نفخ في الصور النفخة الثانية
عاشوا ثم يحشرون من قبورهم وهم يجدون طعم الموت في روسهم
واعينهم كما يجد النايم حين يستيقظ من نومه فعند ذلك يقولون
يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فيناديهم المنادي هذا ما وعد
الرحمن وصدق المرسلون • قال مجاهد اذا اراد الله ان يخرج الموتى
امطر السما حتى تنشق الارض ثم يرسل الارواح فتعود كل روح الى
جسدها فكذلك يحيي الموتى بالمطر كاحيايه الارض وقيل انما وقع
التشبيه باصل الاحيا والمعنى انه تعالى كما احيا هذا البلد الميت بعد
خرابه وموته فانبت فيه الزرع والشجر وجعل فيه الثمر كذلك يحيي
الله الموتى ويخرجهم من قبورهم احيا بعد ان كانوا امواتا ورمما بالية
لان من قدر على اخراج الثمر الرطب من الخشب اليابس قادر على ان
يحيي الموتى ويخرجهم من قبورهم الى حشرهم ونشورهم **لعلكم تذكرون**
الخطاب لمنكري البعث يقول انكم شاهدتم الاشجار وهي مزهرة
مورقة مثمرة في ايام الربيع والصيف ثم انكم شاهدتموها يابسة
عارية من تلك الازهار والاوراق والثمار ثم انه تعالى احياها مرة
اخرى فالقادر على احيايها بعد موتها قادر على احيا الاجساد بعد
موتها والمعنى انما وصفت ما وصفت من التشبيه والتمثيل لكي
تعتبروا وتتذكروا وتعلموا ان من فعل ذلك كان هو الذي يعبد

ويحيى قوله تعالى والبلد الطيب يعني والارض الطيبة التربة السهلة
السمحة يخرج نباته باذن ربه يعني انه اذا اصابه المطر اخرج
نباته باذن الله عز وجل والذي خبث لا يخرج الا نكدا يعني والذي
والبلد الذي خبث ارضه فهي سبخة لا يخرج يعني لا يخرج نباته الا نكدا
يعني عسرا بمشقة وكلفة قال الشاعر يذم انسانا
لا تنجز الوعدان وعدت • وان اعطيت اعطيت تافها نكدا •
يعني بالنافه القليل بالنكد العسير ومعناه انك ان اعطيت
اعطيت القليل بعسر ومشقة • قال المفسرون هذا مثل ضربه الله
للمومن والكافر فشبه المومن بالارض الحرة الطيبة وشبه نزول القران
على قلب المومن بنزول المطر على الارض الطيبة فاذا نزل المطر عليها
اخرجت انواع الازهار والثمار • وكذلك المومن اذا سمع القران امن
به وانتفع به وظهرت منه الطاعات والعبادات وانواع الاخلاق
الحميدة • وشبه الكافر بالارض الردية الغليظة السبخة التي لا ينتفع
بها وان اصابها المطر فكذلك الكافر اذا سمع القران لا ينتفع به
ولا يصدقه ولا يزيده الا عتوا وكفرا وان عمل الكافر حسنة في الدنيا
كانت بمشقة وكلفة ولا ينتفع بها في الاخرة • قال ابن عباس هذا
مثل ضربه الله للمومن يقول هو طيب وعمله طيب كما ان البلد الطيب
ثمره طيب ثم ضرب مثل الكافر كالبلدة السبخة المالحة التي خرجت
منها البركة فالكافر خبيث وعمله خبيث • وقال مجاهد هذا مثل
ضربه الله لادم وذريته كلهم منهم خبيث وطيب ويدل على صحة
هذا التاويل ما روي عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثني الله به من الهدى
والعلم كمثل غيث اصاب ارضا فكانت منها طايفة طيبة قبلت الما
فانبتت الكلا والعشب الكثير وكانت منها اجاذب امسكت الما
فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا واصاب طايفة منها
اخرى انما هي قيعان لا تمسك ما ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه
في دين الله عز وجل ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم
يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به اخرجاه
في الصحيحين وقوله تعالى كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون
يعني كما ضربنا هذا المثل كذلك نبين الايات الدالة على التوحيد
والايمان اية بعد اية وحجة بعد حجة لقوم يشكرون الله على انعامه
عليهم بالهداية وجنبهم سبيل الضلالة وانما خص الشاكرين بالذكر
لانهم هم الذين ينتفعون بسماع القران قوله عز وجل لقد ارسلنا

نوحا الى قومه اعلم ان الله تبارك وتعالى لما ذكر في الايات المتقدمة
دلايل اثار قدرته وعزايب خلقه وصنعته الدالة على توحيده وربوبيته
واقام الدلالة القاطعة على صحة البعث بعد الموت اتبع ذلك
بقصص الانبيا عليهم السلام وما جرى لهم مع اممهم وفي ذلك تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن اعراض قومه عن قبول الحق فقط
بل قد اعرض عنه غالب الامم الخالية والقرون الماضية وفيه تنبيه
على ان عاقبة اوليك الذين كذبوا الرسل كانت الى الخسار والهلاك
في الدنيا وفي الاخرة الى العذاب العظيم فمن كذب محمدا صلى الله عليه
وسلم من قومه كانت عاقبته مثل اوليك الذين خلوا من قبلهم من
الامم المكذبة وفي ذكر هذه القصص دليل على صحة نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم لانه كان اميا لا يقرا ولا يكتب ولم يلق احدا من علما
زمانه وقد اتى بمثل هذه القصص والاخبار عن القرون الماضية
والامم الخالية بما لم ينكره عليه احد علم بذلك انه انما اتى به من
عند الله عز وجل وانه اوحى اليه ذلك فكان ذلك دليلا واضحا
وبرهانا قاطعا على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم فقوله
تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه لقد ارسلنا جواب قسم محذوف
تقديره والله لقد ارسلنا نوحا وهو نوح بن ملك بن متوشلخ بن
اخنوخ وهو ادريس عليه السلام ومعنى ارسلنا يعني بعثنا
نوحا وهو اول نبي بعثه الله بعد ادريس وكان نوح نجارا وقيل
معنى الارسال ان الله تعالى حمله رسالته ليوديها الى قومه فعلى
هذا التقدير فالرسالة تكون متضمنة للبعث ايضا ويكون البعث
كالتابع لا انه اصل • قال ابن عباس بعثه الله وهو ابن اربعين
سنة • وقيل وهو ابن خمسين سنة • وقيل وهو ابن مايتي سنة • قال
ابن عباس سمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه • واختلفوا في سبب نوحه
فقيل لدعوته على قومه بالهلاك • وقيل لمراجعته ربه في شان
كنعان • وقيل لانه مر بكلب مجذوم فقال له اخس يا قبيح فاوحى
الله اليه اعبتني ام عبت الكلب فقال يعني نوحا لقومه ياقوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره يعني اعبدوا الله فانه هو الذي
يستحق العبادة لا غيره فانه ليس لكم اله معبود سواه فانه هو الذي
يستوجب ان يعبد اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم يعني ان لم
تقبلوا ما امركم به من عبادة الله واتباع امره وطاعته واليوم الذي
خافه عليهم هو اما يوم الطوفان واهلاكهم فيه او يوم القيمة وانما قال
اخاف على الشك وان كان على يقين من حلول العذاب بهم ان لم يومنوا

به لانه لم يعلم وقت نزول العذاب بهم ايعاجلهم ام يتاخر عنهم العذاب
الى يوم القيمة **قال الملأ** وهم الجماعة الاشراف **من قومه انا لنراك**
يعنى يا نوح **فى ضلال مبين** يعنى فى خطا وزوال عن الحق بين **قال**
يعنى نوح **يا قوم ليس بى ضلالة** يعنى ما بى ما تظنون من الضلال
ولكنى رسول من رب العالمين يعنى هو ارسلنى اليكم لانذركم ٥
واخوفكم ان لم تومنوا به وهو قوله **ابلغكم رسالات ربى وانصح لكم**
يعنى فى تحذيرى اياكم عقابه على كفركم ان لم تومنوا به وهو قوله
وانصح لكم يقال نصحته ونصحت له كما يقال شكرته وشكرت له والنصح
ارادة الخير لغيره كما يريده لنفسه • وقيل النصح تحرى قول او فعل
فيه صلاح للغير • وقيل حقيقة النصح تعريف وجه المصلحة مع
خلوص النية من شوايب المكروه والمعنى انه قال ابلغكم جميع
تكاليف الله وشرايعه وارشدكم الى وجه الاصلح والاصوب لكم
وادعوكم الى ما دعانى اليه واحب لكم ما احب لنفسى قال بعضهم
والفرق بين ابلاغ الرسالة وبين النصيحة هو ان تبليغ الرسالة
ان يعرفهم جميع اوامر الله ونواهيه وجميع انواع التكاليف التى
اوجبها الله عليهم واما النصيحة فهو ان يرغبهم فى قبول تلك الاوامر
والنواهى والعبادات ويحذرهم عقابه ان عصوه **واعلم من الله**
ما لا تعلمون يعنى واعلم انكم ان عصيتم امره عاقبكم بالطوفان
والغرق فى الدنيا ويعذبكم فى الاخرة عذابا عظيما وقيل اعلم ان
مغفرة الله لمن تاب وعقوبته لمن اصر على الكفر • وقيل لعل الله تعالى
اطلعه على سر من اسراره فقال اعلم من الله ما لا تعلمون **اوعجبتم** الالف
الف استفهام والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف وهذا
الاستفهام استفهام انكار معناه اكذبتم وعجبتم **ان جاءكم ذكر من ربكم**
يعنى وحيا من ربكم **على رجل منكم** تعرفونه وتعرفون نسبه وذلك لان
كونه منهم يزيل التعجب وقيل المراد بالذكر الكتاب الذى انزله الله على
نوح عليه السلام سماه ذكرا كما سمى القران ذكرا • وقيل المراد بالذكر المعجزة
التى جاء بها نوح عليه السلام فعلى هذا تكون على بمعنى مع اى مع
رجل منكم قال الفراء على هنا بمعنى مع **لينذركم** يعنى جاءكم لاجل ان ينذركم
ولتتقوا اى ولاجل ان تتقوا **ولعلكم ترحمون** لان المقصود من ارسال
الرسول الانذار والمقصود من الانذار التقوى على كل ما لا ينبغى ٥
والمقصود بالتقوى الفوز بالرحمة فى الدار الاخرة **فكذبوه** يعنى
فكذبوا نوحا **فانجيناه** يعنى من الطوفان والغرق **والذين معه**
يعنى من آمن من قومه معه **فى الفلك** يعنى فى السفينة **واغرقنا**

الذين

الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين قال ابن عباس عميت قلوبهم
عن معرفة الله تعالى وقال الزجاج عموا عن الحق والايمان يقال رجل
عم فى البصيرة واعمى فى البصر وانشدوا قول زهير •
• واعلم ما فى اليوم والامس قبله • ولكننى عن علم ما فى غد عمى •
قال مقاتل عموا عن نزول العذاب بهم وهو الغرق قوله تعالى **والى**
عاد اى وارسلنا الى عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح
وهى عاد الاولى **اخاهم هودا** يعنى اخاهم فى النسب لا فى الدين وهو
هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص وقال ابن
اسحق هو هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح واتفقوا على ان
هود عليه السلام لم يكن اخاهم فى الدين ثم اختلفوا فى سبب الاخوة
من اين حصلت فقيل انه كان واحدا من القبيلة فيتوجه قوله
اخاهم لانه واحد منهم • وقيل انه لم يكن من القبيلة • ثم ذكروا فى
تفسير هذه الاخوة وجهين • الاول قال الزجاج انه كان من بنى ادم
ومن جنسهم لا من الملايكة ويكفى هذا القدر فى تسمية الاخوة والمعنى
والمعنى انا ارسلنا الى عاد واحدا من جنسهم من البشر ليكون الفهم
والانس بكلامه اتم واكمل ولم نبعث اليهم من غير جنسهم مثل الملك
او الجن والثانى انه اخاهم وكانت منازل عاد بالاحقاف باليمن
والاحقاف الرمل الذى عند عمان وحضرموت **قال يا قوم اعبدوا**
الله ما لكم من اله غيره اى اعبدوا الله وحده ولا تجعلوا معه الها
اخر فانه ليس لكم اله غيره • والفرق بين قوله فى قصة نوح فقال
وهنا قال ان نوحا كان مواظبا على دعوته قومه غير متوان فيها
لان الفاء تدل على التعقيب واما هود فلم يكن كذلك بل كان دون نوح
فى المبالغة فى الدعاء فاخبر الله عنه بقوله قال يا قوم اعبدوا الله ما
لكم من اله غيره **افلا تتقون** يعنى افلا تخافون عقابه بعبادتكم غيره
ولما كانت هذه القصة مسوقة على قصة قوم نوح وقد علموا ما
حل بهم من الغرق وحسن قوله هنا افلا تتقون يعنى افلا تخافون ما
نزل بهم من العذاب ولما لم يكن قبل واقعة قوم نوح شى حسن تخويفهم
من العذاب فقال هناك انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم **قال**
الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة يعنى انا لنراك
يا هود فى حمق وجهالة وضلالة عن الحق والصواب اخبر الله عن
قوم نوح انهم قالوا له انا لنراك فى ضلال مبين واخبر عن قوم هود
انهم قالوا له انا لنراك فى سفاهة والفرق بينهما ان نوحا لما
خوف قومه بالطوفان وطفق فى عمل السفينة فعند ذلك قال له

قومه انا لنراك في ضلال مبين حيث تتعب في اصلاح سفينة في ارض
ليس فيها من الماء شي واما هود عليه السلام فانه لما زيف عبادة
الاصنام ونسب من عبدها الى السفه وهو قلة العقل قابلوه بمثله
فقالوا انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين يعني
في ادعايك انك رسول من رب العالمين قال يعني قال هود لهولا
الملا الذين نسبوه الى السفه يا قوم ليس بي سفاهة يعني ليس
الامر كما تدعون ان بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين يعني
اليكم ابلغكم رسالات ربي يعني اودي اليكم ما ارسلني به من اوامره
ونواهيه وشرايعه وتكاليفه وانا لكم ناصح يعني فيما امركم به من عبادة
الله عز وجل وترك ما سواه امين يعني على تبليغ الرسالة وادا
النصح والامين الثقة على ما اوتمن عليه حكى الله عن نوح وانصح لكم
وحكى عن هود وانا لكم ناصح فالاول بصيغة الفعل والثاني بصيغة
اسم الفاعل والفرق بينهما ان صيغة الفعل تدل على تجدده ساعة
بعد ساعة فكان نوح يدعو قومه ليلا ونهارا كما اخبر الله عنه بقوله
قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلما كان ذلك من عادته ذكره
بصيغة الفعل فقال وانصح لكم واما هود فلم يكن كذلك بل كان يدعوهم
وقتا دون وقت فلهذا قال وانا لكم ناصح امين ومدح النفس باعظم
صفات المدح غير لايق بالعقلاء وانما فعل هود ذلك وقال هذا القول
لانه كان يجب عليه اعلام قومه بذلك ومقصوده الرد عليهم في قولهم
وانا لنظنك من الكاذبين فوصف نفسه بالامانة وانه امين في
تبليغ ما ارسل به من عند الله ففيه تقرير الرسالة والنبوة وفيه
دليل على جواز مدح الانسان نفسه في موضع الضرورة الى مدحها
او عجبتم ان جاكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم يعني اعجبتم ان انزل
الله وحيه على رجل تعرفونه لينذركم بامر ربكم ويخوفكم عقابه واذكروا
اذ جعلكم خلفا من بعد قوم نوح يعني واذكروا نعمة الله عليكم اذ اهلك
قوم نوح وجعلكم تخلفونهم في الارض وزادكم يعني في الخلق بسطة
يعني طولا وقوة قال الكلبي والسدي كانت قامة الطويل منهم مايه
ذراع وقامة القصير ستين ذراعا • وقال مقاتل اثني عشر ذراعا •
وقال وهب كان راس احدهم مثل القبة العظيمة فاذكروا الا الله
يعني نعم الله وفيه اضمار تقديره واذكروا نعمة الله عليكم واعملوا عملا
يليق بذلك الانعام وهو ان تومنوا به وتتركوا ما انتم عليه من عبادة
الاصنام لعلكم تفلحون يعني لكي تفوزوا بالفلاح وهو البقا في
الاخرة قالوا يعني قال قوم هود مجيبين له اجيتنا يا هود لنعبد الله

وحده ونذر ما كان يعبد اباونا يعني من الاصنام فاتنا بما تعدنا
يعني من العذاب ان كنت من الصادقين يعني في قولك انك رسول
الله قال يعني قال هود مجيبا لهم قد وقع يعني نزل ووجب عليكم
رجس وغضب اي عذاب وسخط اتجادلونني في اسما سميتموها
انتم واباوكم يعني وصفتم لها اسما من عند انفسكم والمراد منه الاستفهام
على سبيل الانكار عليهم لانهم سموا الاصنام بالالهية وذلك معدوم
فيهم ما نزل الله بها من سلطان يعني من حجة وبرهان على هذه
التسمية وانما سميتموها انتم من عند انفسكم بغير دليل فانتظروا
يعني العذاب اني معكم من المنتظرين يعني نزول العذاب بكم
فانجيناه يعني فانجينا هودا عند نزول العذاب بقومه والذين
امنوا معه برحمة منا يعني وانجينا اتباعه الذين امنوا به وصدقوه
لانهم كانوا مستحقين للرحمة وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا
يعني واهلكنا الذين كذبوا هودا من قومه واراد بالايات معجزات
هود الدالة على صدقه وهذا اهلاك استيصال فاهلكهم جميعا
ولم يبق منهم احدا وما كانوا مومنين يعني لانهم لم يكونوا يصدقون بالله
ولا برسوله هود عليه السلام

وكانت قصة عاد •

على ما ذكره محمد بن اسحق واصحاب السير والاخبار قالوا جميعا كانت
منازل عاد وجماعتهم حين بعث الله فيهم هودا عليه السلام الاحقاف
والاحقاف الرمل فيما بين عمان وحضرموت من ارض اليمن وكانوا قد
فسقوا في الارض كلها وقهروا اهلها بفضل قوتهم التي جعلها الله فيهم
وكانوا اصحاب اوثان يعبدونها من دون الله عز وجل صنم يقال له صدا
وصنم يقال له صمود وصنم يقال له الهبا فبعث الله عز وجل فيهم هودا
عليه السلام وهو من اوسطهم نسبا وافضلهم موضعا فامرهم ان يوحدوا
الله ولا يجعلوا معه الها غيره وان يكفوا عن ظلم الناس لم يامرهم بغير
ذلك فيما ذكر فابوا عليه وكذبوه وقالوا من اشد منا قوة واتبعه منهم
ناس فامنوا به وهم يسير يكتمون ايمانهم وكان ممن صدقه وامن به
رجل يقال له مرثد بن سعيد بن عفير وكان يكتم ايمانه فلما عتوا على
الله وكذبوا نبيهم واكثروا في الارض الفساد وتجبروا وبنوا بكل ريع
اية واتخذوا المصانع لعلهم يخلدون فلما فعلوا ذلك امسك الله عنهم
المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان اذا
نزل بهم بلا وجهد يطلبون الفرج من الله عز وجل وذلك عند بيته الحرام
بمكة مومنهم ومشركهم وكان يجتمع بمكة ناس كثير مختلفة اديانهم وكلهم
يعظم مكة معترف بحرمتها ومكانها من الله عز وجل وكان البيت معروفا

مكانه من الحرم وكان سكان مكة يومئذ العماليق وانما سموا العماليق
لان اباهم كان عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيد العماليق يومئذ
رجل يقال له معاوية بن بكر وكانت ام معاوية كلهدة بنت الخيبري
وهو رجل من عاد فكانت عاد اخوال معاوية سيد العماليق فلما قحط
عاد وقل عنهم المطر قالوا جهزوا منكم وفدا الى مكة ليستسقوا لكم فانكم
قد هلكتم فبعثوا قيل بن عنز ولقيم بن هزال من هذيل وعقيل بن ضد
ابن عاد الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلما يكتم اسلامه
وجلهمة بن الخيبري خال معاويه بن بكر سيد العماليق ولقمان بن عاد
فانطلق كل رجل من هولا القوم ومعه جماعة من قومه فبلغ عدد
عاد سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو
بظاهر مكة خارجا عن الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره
فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان له
لمعاوية بن بكر فلما راى معاوية بن بكر طول مقامهم عنده وقد بعثهم
قومهم يستغيثون لهم من البلا الذي اصابهم شق ذلك عليه وقال
هلك اخوالي واصهاري وهولا مقيمون عندي وهم ضيفي نازلون علي
والله ما ادري كيف اصنع فاني استحي ان امرهم بالخروج لما بعثوا
اليه فيظنون انه ضيق مني بمكانهم عندي وقد هلك من وراهم من
قومهم جهدا وعطشا قال وشكا ذلك من امرهم الى قينتيه الجرادتان
فقالتا قل شعرا نغنيهم به ولا يدرون من قاله لعل ذلك ان يحركهم
فقال معاوية •

الا يا قيل ويحك قم فهينم • لعل الله يمنحنا غماما
فتسقي ارض عاد ان عادا • قد امسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجوا • به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساوهم بخير • فقد امست نساوهم ايا ما
وان الوحش تاتيهم جهارا • ولا تخشى لعادي سهاما
وانتم ههنا فيما اشتهيتم • نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم • ولا لقوا التحية والسلاما

فلما قال معاوية هذا الشعر وغنتهم به الجرادتان وسمع القوم ما
غنتا به قال بعضهم لبعض يا قوم انما بعثكم قومكم ليستغيثوا بكم من
هذا البلا الذي نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا له
لقومكم فقال مرثد بن سعد بن عفير انكم والله لا تسقون بدعائكم
ولكن ان اطعتم نبيكم وانبتم الى ربكم سقيتم واظهر اسلامه عند ذلك
وقال شعرا •

عصت عاد رسولهم فامسوا • عطاشا ما تبلهم السماء
لهم صنم يقال له صمود • يقابله صداء والهباء
فبصرنا الرسول سبيل رشد • فابصرنا الهدى وخلى العماء
وان اله هود هو الهي • على الله التوكل والرجاء

زاد في رواية •

لقد حكم الاله وليس جورا • وحكم الله اذ غلب الهواء
على عاد وعاد شر قوم • فقد هلكوا وليس لهم بقاء
واني لن افارق دين هود • طوال الدهر او ياتي الفنا

فقال جلهمة بن الخيبري مجيبا لمرثد بن سعد حين فرغ من مقالته
وعرف انه قد اتبع دين هود وامن به •

ابا سعد فانك من قبيل • ذوي كرم وامك من ثمود
فانا لا نطيعك ما بقينا • ولسنا فاعلين لما تريد
اتامرنا لنترك دين رفد • ورمل وال صد والعبود
ونترك دين ابا كرام • ذوي راي ونتبع دين هود

ثم قال جلهمة لمعاوية بن بكر وابنه بكر احبسا عنا مرثدا فلا يقدمن
معنا مكة فانه قد تبع دين هود وترك ديننا ثم خرجوا الى مكة يستسقون
بها لعاد فلما ولوا الى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية
ابن بكر حتى ادركهم بمكة قبل ان يدعوا الله عز وجل بشي مما خرجوا
اليه فلما انتهى اليهم قام يدعوا الله وبها وفد عاد يدعون فقال مرثد
اللهم اعطني سولي وحدي ولا تدخلني فيما يدعوك به وفد عاد وقام
قيل بن عنز راس وفد عاد يدعوا فقال اللهم اعط قيلا ما سالك
وقال الوفد معه واجعل سولنا مع سوله وكان قد تخلف عن وفد
لقمان بن عاد وكان سيد عاد حتى اذا فرغوا من دعوتهم قام لقمان
فقال اللهم اني جيتك وحدي في حاجتي فاعطني سولي وسال طول
العمر فعمر عمر سبعة انسر • وقال قيل بن عنز حين دعا يا الهنا ان كان
هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشا الله تعالى سحايب ثلاثا
بيضا وحمرا وسودا ثم ناداه مناد من السحاب يا قيل اختر لقومك
ولنفسك من هذه السحايب فقال قيل قد اخترت السحابة السودا
فانها اكثر السحايب ما فناداه مناد رمدا رمددا لا تبقي من ال عاد
احدا وساق الله السحابة السودا التي اختارها قيل بما فيها من
النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما راوها
استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله عز وجل بل هو ما
استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شي اي كل شي مرت عليه بامر

ريحا وكان اول من ابصر ما فيها وعرف انها ريح مهلكة امراة من عاد يقال
لها مهدد فلما عرفت ما فيها من العذاب صاحت ثم صعقت فلما
ان افاقت قالوا لها ما ذا رايت قالت الريح فيها كشهب النار امامها
رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما
فلم تدع من آل عاد احدا الا اهلكته واعتزل هود ومن معه من المومنين
في حظيرة ما يصيبه ومن معه من الريح الا ما تلين عليه
الجلود وتلذه الانفس وانها في قوتها لتمر بالظعن من عاد فتحملهم
بين السما والارض وتدمغهم بالحجارة وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا
بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه فبينما هم عنده اذ اقبل اليه رجل على ناقة
لدى ليلة مقمرة وذلك مسا ثالثة من مصاب عاد فاخبرهم الخبر
فقالوا له فاين فارقت هودا واصحابه فقال فارقتهم بساحل البحر فكانهم
شكوا فيما حدثهم به فقالت هذيلة بنت بكر صدق ورب الكعبة
وقال السدي بعث الله عز وجل على عاد الريح العقيم فلما دنت
منهم نظروا الى الابل والرحال تطير بهم الريح بين السما والارض فلما
راوها تبادروا الى البيوت فدخلوها واغلقوا الابواب فجاءت الريح
ففتحت ابوابهم ودخلت عليهم فاهلكتهم فيها ثم اخرجتهم من البيوت
فلما اهلكتهم ارسل الله تعالى عليهم طيرا اسود فنقلتهم الى البحر فالقتهم
فيه • وقيل ان الله تعالى امر الريح فامالت عليهم الرمال فكانوا تحتها
سبع ليال وثمانية ايام يسمع لهم انين تحت الرمل ثم امر الريح فكشفت
عنهم الرمل حتى احتملتهم فرمت بهم في البحر ولم تخرج ريح قط الا بمكيال
الا يومئذ فانها عتت على الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها وفي الحديث
انها خرجت على مثل خرق الخاتم • وقيل ان مرثد بن سعد ولقمان بن عاد
وقيل ابن عنز حين دعوا بمكة قيل لهم قد اعطيتم مناكم فاختاروا
لانفسكم غير انه لا سبيل الى الخلود ولا بد من الموت فقال مرثد اللهم
اعطني برا وصدقا فاعطي ذلك • وقال اللهم اعطني عمرا فقيل له اختر
عمر سبعة انسر فكان ياخذ الفرخ حين يخرج من البيضة وكان ياخذ
الذكر لقوته فيربيه حتى يموت فاذا مات اخذ غيره فلم يزل يفعل
ذلك حتى اتى على السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة وكان السابع
من النسور اسمه لبد فلما مات لبد كان لقمان معه واما قيل فانه اختار
لنفسه ما يصيب قومه فقيل له انه الهلاك فقال لا ابالي لا حاجة لي
في البقا بعد قومي فاصابه الذي اصاب عادا فهلك ومن معه من
الوفد الذين خرجوا يستسقون لعاد فاتت الريح لما خرجوا من الحرم
فاهلكتهم جميعا فلما اهلك الله عادا ارتحل هود ومن معه من المومنين

من ارضهم بعد هلاك قومه الى موضع يقال له الشحر من بلاد اليمن فنزل
هناك ثم ادركه الموت فدفن بارض حضرموت يروى عن علي بن ابي طالب
ان قبر هود عليه السلام بحضرموت في كثيب احمر • وقال عبد الرحمن بن
سابط بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وان قبر
هود وصالح وشعيب واسمعيل في تلك البقعة • ويروى ان اي نبي
من الانبيا اذا هلك قومه جا هو والصالحون من قومه معه الى مكة
يعبدون الله حتى يموتوا بها **قوله عز وجل** وَالَى ثَمُودَ اخَاهُمْ صَالِحًا
يعني وارسلنا الى ثمود وهو ثمود بن ارم بن سام بن نوح وهو اخو جديس
بن عابر وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام الى وادي
القرى وما حوله ومعنى الكلام والى بني ثمود اخاهم صالحا لان ثمود قبيلة
قال ابو عمرو بن العلا سميت ثمود لقلة مائها والثمد الما القليل وقيل
سموا ثمود باسم ابيهم الذي ينسبون اليه اخاهم صالحا يعني في النسب
وهو صالح بن عبيد بن اسف بن ماشيخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره يعني قال لهم صالح حين ارسله
الله اليهم يا قوم وحدوا الله ولا تشركوا به شيا فما لكم من اله يستحق ان
يعبد سواه قد جاتكم بينة من ربكم يعني جاتكم حجة من ربكم وبرهان
على صدق ما اقول وادعو اليه من عبادة الله تعالى وعلى تصديقي باني
رسول الله اليكم ثم فسر تلك البينة فقال هذه ناقة الله لكم اية
يعني انها علامة على صدقي • قال العلما ووجه كون هذه الناقة اية
على صدق صالح ومعجزة له خارقة للعادة خرجت من صخرة في الجبل وكونها
لا من ذكر ولا من انثى وكمال خلقها من غير حمل ولا تدريج لانها خلقت في ساعة
وخرجت من الصخرة • وقيل لانه كان لها شرب يوم ولجميع قبيلة ثمود
شرب يوم وهذا من المعجزات ايضا لان ناقة تشرب ما يشربه قبيلة معجزة
وكانوا يحلبونها في يوم شربها قدر ما يكفيهم جميعهم ويقوم لهم مقام الما
وهذا ايضا معجزة • وقيل ان سائر الوحوش والحيوانات كانت تمتنع من
شرب الما في يوم شرب الناقة وتشرب الحيوانات الما في غير يوم الناقة
وهذا ايضا معجز وانما اضافها الى الله تعالى في قوله هذه ناقة الله على
سبيل التفضيل والتشريف كما يقال بيت الله وقيل لان الله خلقها بغير
واسطة ذكر وانثى • وقيل لانه لم يملكها احد الا الله تعالى • وقيل لانها
كانت حجة الله على قوم صالح فذروها تاكل في ارض الله يعني فذروا
الناقة تاكل العشب من ارض الله فان الارض لله والناقة لله وليس
لكم في ارض الله شي لانه هو الذي انبت فيها العشب ولا تمسوها بسوء
يعني ولا تطردوها ولا تقربوها بشي من انواع الاذى ولا تعقروها

فيأخذكم عذاب اليم يعني بسبب عقرها واذاها واذكروا اذ جعلكم
خلفاء من بعد عاد يعني ان الله اهلك عادا وجعلكم تخلفونهم
في الارض وتعمرونها وبوأكم يعني واسكنكم وانزلكم في الارض تتخذون
من سهولها قصورا يعني تبنون القصور من سهولة الارض لان
القصور انما تبنى من اللبن والاجر المتخذ من الطين السهل اللين
وتنحتون من الجبال بيوتا يعني وتشقون بيوتا من الجبال وقيل
كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتا وهذا يدل على
انهم كانوا متنعمين مترفهين فاذكروا آلاء الله يعني فاذكروا نعمة الله
عليكم واشكروه عليها ولا تعثوا في الارض مفسدين قال قتادة
معناه ولا تسيروا في الارض مفسدين والعيث اشد الفساد وقيل اراد
به النهي عن عقر الناقة وقيل هو على ظاهره فيدخل فيه النهي عن جميع
انواع الفساد قال الملأ الذين استكبروا من قومه يعني قال الاشراف
الذين تعظموا عن الايمان بصالح للذين استضعفوا منهم يعني المساكين
لمن آمن منهم يعني قال الاشراف المتعظمون في انفسهم لاتباعهم الذين
آمنوا بصالح وهم الضعفاء من قومهم أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه
يعني ان الله ارسله الينا واليكم قالوا انا بما ارسل به مومنون
يعني قال الضعفاء انا بما ارسل الله به صالحا من الدين والهدى
والحق مصدقون قال الذين استكبروا يعني عن الله والايمان به
وبرسوله صالح انا بالذي آمنتم به كافرون اي جاحدون منكرون ٥
فعقروا الناقة يعني فعقرت ثمود الناقة والعقر قطع عرقوب
البعير ثم جعل النحر عقرا لان ناحر البعير يعقره ثم ينحره وعتوا عن
امر ربهم اي تكبروا عن امر ربهم وعصوه والعتو الغلو في الباطل
والتكبر عن الحق والمعنى انهم عصوا الله وتركوا امره في الناقة وكذبوا
نبيهم صالحا عليه السلام وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا يعني من
العذاب ان كنت من المرسلين يعني ان كنت كما تزعم انك رسول
الله فان الله ينصر رسله على اعدايه وانما قالوا ذلك لانهم كانوا مكذبين
في كل ما اخبرهم به من العذاب فعجل الله ذلك لهم فقال تعالى
فاخذتهم الرجفة قال الفرا والزجاج الرجفة الزلزلة الشديدة العظيمة
وقال مجاهد والسدي هي الصيحة فيحتمل انهم اخذتهم الزلزلة من تحتهم
والصيحة من فوقهم حتى هلكوا وهو قوله فاصبحوا في دارهم جاثمين
يعني فاصبحوا في ارضهم وبلدتهم جاثمين ولذلك وحد الدار كما يقال دار
الحرب الى بلد الحرب ودار بني فلان يعني موضعهم ومجمعهم وجمع في آية
اخرى فقال ديارهم لانه اراد ما لكل واحد منهم من الديار والمساكن

وقوله

وقوله جاثمين يعني باركين والجثوم للناس والطير بمنزلة البروك ٥
للبعير وجثوم الطير هو وقوعه لاطيا بالارض في حال نومه وسكونه
بالليل والمعنى انهم اصبحوا جاثمين موتى على وجوههم لا يتحركون فتولى
عنهم يعني فاعرض عنهم صالح وفي وقت هذا التولي قولان ٥ احدهما
انه تولى عنهم بعد ان ماتوا وهلكوا ويدل عليه قوله فاصبحوا في دارهم
جاثمين فتولى عنهم والفا للتعقيب فدل على انه حصل هذا التولي
بعد جثومهم وهو موتهم ٥ والقول الثاني انه تولى عنهم وهم احيا
قبل موتهم وهلاكهم ويدل عليه انه خاطبهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم
رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين وهذا الخطاب
لا يليق الا بالاحيا فعلى هذا القول يحتمل ان يكون في الآية تقديم
وتاخير تقديره فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي
ولكن لا تحبون الناصحين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين
واجاب اصحاب القول الاول عن هذا انه خاطبهم بعد هلاكهم
وموتهم توبيخا وتقريعا كما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم الكفار من
قتلى بدر حين القوا في القليب فجعل يناديهم باسمايهم الحديث في
الصحيح وفيه فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم اقواما قد جيفوا فقال
ما انتم باسمع لما اقول منهم ولكن لا يجيبون وقيل انما خاطبهم صالح بذلك
ليكون عبرة لمن ياتي بعدهم فينزجر عن مثل تلك الطريقة التي كانوا
عليها وكانت قصة ثمود على ما ذكره محمد بن
اسحق ووهب بن منبه وغيرهما من اصحاب السير والاخبار قالوا
جميعا ان عادا لما هلكت وانقضى امرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا
في الارض فدخلوا فيها وكثروا وعمروا حتى ان احدهم يبني المسكن من المدر
فينهدم والرجل حي فلما راوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا وكانوا في سعة
من العيش والرخا فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا غير الله فبعث
الله اليهم صالحا نبيا وكانوا قوما عربا وكان صالح من اوسطهم نسبا
وافضلهم بيتا وحسبا فبعثه الله اليهم وهو غلام فلم يزل يدعوهم الى الله
والى عبادته حتى شمط وكبر فلم يتبعه منهم الا قليل مستضعفون فلما الح
عليهم صالح بالدعا والتبليغ واكثر لهم التحذير والتخويف سالوه ان يريهم
آية تكون مصداقا على ما يقول فقال صالح اي آية تريدون فقالوا تخرج
معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون فيه اصنامهم وذلك يوم معلوم
من السنة قالوا فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك
قال لهم صالح نعم فخرجوا باصنامهم الى عيدهم وخرج صالح معهم فدعوا
اوثانهم وسالوها ان لا يستجاب لصالح في شي مما يدعو به ثم قال جندع

ابن عمرو بن جواش وهو يومئذ سيد ثمود يا صالح اخرج لنا من هذه
الصخرة لصخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة
جوفاء وبراء عشراء والمخترجة ما شاكلت البخت من الابل فان فعلت
امنا بك وصدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت لتصدقني
ولتؤمنن بي قالوا نعم قال فصلى صالح ركعتين ودعا ربه عز وجل ۵
فتمخضت الصخرة فانمخض النتوج لولدها ثم تحركت الهضبة عن
ناقة عشراء جوفاء وبراء كما سالوه ووصفوا غير انه لا يعلم ما بين جنبيها
الا الله عظما وهم ينظرون اليها ثم نتجت سقبا مثلها في العظم فامن به
جندع بن عمرو ورهط من قومه واراد بقية اشراف ثمود ان يومنوا
به ويصدقوه فمنعهم ذواب بن عمرو بن لبيد والحباب وكانا صاحبا
اوثانهم ورباب بن صمعر وكان كاهنهم وكانوا من اشراف ثمود فلما
خرجت الناقة من الصخرة قال لهم صالح هذه ناقة لها شرب ولكم
شرب يوم معلوم فمكثت الناقة ومعها سقبها في ارض ثمود ترعى الشجر
وتشرب الماء وكانت ترد الماء غبا فاذا كان يوم ورودها وضعت راسها
في بير في الحجر يقال لها بير الناقة فما ترفع راسها حتى تشرب كل ما فيها
فلا تدع قطرة ثم ترفع راسها فتتفشج حتى تفحج لهم فيحلبون ما شاءوا
من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملاوا اوانيهم كلها ثم تصدر الناقة
من غير الفج الذي وردت منه ولا تقدر ان تصدر من حيث وردت
حتى اذا كان من الغد كان يوم ثمود فيشربون ما شاء الله من الماء ويدخرون
ما شاءوا ليوم الناقة فهم على ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة
تصيف اذا كان الحر بظهر الوادي فتهرب منها مواشيهم الابل والبقر
والغنم فتهبط الى بطن الوادي فتكون في حره وجدبه واذا كان الشتاء
فتشتو الناقة في بطن الوادي فتهرب المواشي الى ظهره فتكون في
البرد والجدب فاضر ذلك بمواشيهم للامر الذي يريده الله بهم والبلاء
والاختبار فكبر ذلك عليهم وعتوا عن امر ربهم وحملهم ذلك على
عقر الناقة فاجمعوا على عقرها وكانت امراتان من ثمود يقال
لاحدهما عنيزة بنت غنم بن مجلز وتكنى بام غنم وكانت عجوزا مسنة
وهي امراة ذواب بن عمرو وكانت ذات بنات حسان وذات مال
من ابل وبقر وغنم والامراة الاخرى يقال لها صدوق بنت المحيا وكانت
جميلة غنية ذات مواش كثيرة وكانت من اشد الناس عداوة لصالح
عليه السلام وكانتا تحبان عقر الناقة لما اضرت بمواشيها فتحيلتا
في عقر الناقة فدعت صدوق رجلا من ثمود يقال له الحباب لعقر الناقة
وعرضت عليه نفسها ان هو فعل فابى عليها فدعت ابن عم لها يقال له

مصدع

مصدع بن مهرج بن المحيا وجعلت له نفسها على ان يعقر الناقة وكانت
من احسن الناس وجها واكثرهم مالا فاجابها الى ذلك ودعت
عنيزة بنت غنم قدار بن سالف وكان رجلا احمر ازرق قصيرا يزعمون
انه كان ابن زانية ولم يكن لسالف ولكنه ولد على فراشه فقالت
عنيزة لقدار اي بناتي شئت اعطيتك على ان تعقر الناقة وكان
قدار عزيزا منيعا في قومه ق عن عبد الله بن زمعة انه سمع النبي
صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اذ انبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز
عارم منيع في رهطه مثل ابي زمعة قوله انبعث يعني قام بسرعة
والعارم الخبيث الشرير والعرامة الشدة والقوة والشراسة والمنيع
الممتنع ممن اراده • قال اصحاب الاخبار فانطلق قدار بن سالف ۵
ومصدع بن مهرج فاستغويا غواة ثمود فاتبعهم سبعة نفر وكانوا تسعة
رهط فانطلق قدار ومصدع واصحابهما فرصدوا الناقة حتى صدرت
عن الماء وقد كمن لها قدار في اصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع
في اصل صخرة اخرى فمرت على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة
ساقها وخرجت ام غنم وامرت ابنتها فسفرت عن وجهها وكانت
من احسن الناس وجها ليراها قدار ثم ذمرته يعني حثته على
عقرها واغرته به فشد قدار على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت
ورغت رغاة واحدة فتحدر سقبها من الجبل ثم طعن قدار في لبتها
فنحرها فخرج اهل البلدة فاقتسموا لحمها فلما راى سقبها ذلك انطلق
هاربا حتى اتى جبلا منيعا يقال له صنو وقيل فاره واتى صالح فقيل
له ادرك الناقة فقد عقرت فاقبل نحوها وخرج اهل البلد يتلقونه
ويعتذرون اليه ويقولون يا نبي الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا
فقال صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان ادركتموه فعسى ان يرفع
عنهم عنكم العذاب فخرجوا في طلبه فراوه على الجبل فذهبوا لياخذوه
فاوحى الى الجبل ان تطاول فتطاول حتى ما تناله الطير وجا صالح فلما
راه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغى ثلاثا ثم انفجرت الصخرة
فدخلها فقال صالح لكل رغوة اجل يوم تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك
وعد غير مكذوب • وقال ابن اسحاق تبع السقب اربعة نفر من التسعة
الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع بن مهرج واخوه ذواب فرماه
مصدع بسهم فاصاب قلبه ثم جذبه فانزله والقوا لحمه مع لحم امه وقال
لهم صالح انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله ونقمته قالوا وهم
يهزؤن به ومتى ذلك يا صالح وما اية ذلك وكانوا يسمون الايام في ذلك

الوقت الاحد اول والاثنين اهون والثلاثاء دبار والاربعاء جبار ٥
والخميس مونس والجمعة العروبة والسبت شيار وكانوا عقروا الناقة
يوم الاربعاء فقال لهم صالح حين قالوا ذلك تصبحون غدا يوم
مونس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة ووجوهكم مسودة
ثم يصبحكم العذاب يوم اول فلما قال لهم صالح ذلك قال التسعة
الذين عقروا الناقة هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلناه قبلنا
وان كان كاذبا كنا قد الحقناه بناقته فاتوه ليلا ليبيتوه في اهله
فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما ابطاوا على اصحابهم اتوا منزل صالح
فوجدوهم قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح انت قتلتهم ثم هموا به
فقامت عشيرته دونه وقالوا لا تقتلوه ابدا فانه قد وعدكم العذاب
انه نازل بكم بعد ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم الا غضبا
عليكم وان كان كاذبا فانتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنه تلك
الليلة فاصبحوا يوم الخميس وجوههم مصفرة كانما طليت بالخلوق
صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وانثاهم فايقنوا بالعذاب وعرفوا
ان صالحا قد صدقهم فيما قال فطلبوه ليقتلوه فخرج منهم ولحق بحي
من بطون ثمود يقال لهم بنو تميم فنزل على سيدهم واسمه نفيل
ويكنى بابي هدب وهو مشرك فغيب صالحا فلم يقدروا عليه فقعدوا الى
اصحاب صالح ليدلوهم عليه فقال رجل من اصحاب صالح يقال له
مبدع بن هرم يا نبي الله انهم يعذبوننا لندلهم عليك قال نعم فدلوهم
عليه فاتوا ابا هدب فكلموه في امر صالح فقال هو عندي وليس لكم
اليه سبيل فاعرضوا عنه وتركوه وشغلهم ما نزل بهم من العذاب
فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون في وجوههم فلما امسوا صاحوا باجمعهم
الا قد مضى يوم من الاجل فلما اصبحوا في اليوم الثاني اذا وجوههم
محمرة كانما خضبت بالدم فصاحوا وضجوا وبكوا وايقنوا انه العذاب
فلما اصبحوا اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كانما طليت بالقار
فصاحوا جميعا الا قد حضركم العذاب فلما كان ليلة الاحد خرج
صالح من بين اظهرهم ومن اسلم معه الى الشام فنزل رملة فلسطين
فلما اصبحوا في اليوم الثالث تكفنوا وتحنطوا والقوا بانفسهم الى
الارض يقلبون ابصارهم فلما اشتد الضحى من يوم الاحد اتتهم صيحة
عظيمة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت في
الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وهلكوا جميعا الا جارية مقعدة
يقال لها ذريعة بنت سلف وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح
فاطلق الله رجليها بعد ما عاينت العذاب وما اصاب ثمود فخرجت

مسرعة

مسرعة حتى اتت وادي القرى فاخبرتهم بما عاينت من العذاب
الذي بثمود ثم استسقت ماء فسقيت فلما شربت ماتت في الحال
وذكر السدي في عقر الناقة فقال اوحى الله عز وجل الى صالح عليه
السلام ان قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك فقالوا ما كنا
لنفعل فقال صالح انه سيولد في شهركم غلام يعقرها فيكون هلاككم
على يديه فقالوا لا يولد لنا في هذا الشهر ولد الا قتلناه قال فولد
لتسعة في ذلك الشهر اولاد فذبحوهم ثم ولد للعاشر ولد فابى
ان يذبحه لانه كان يولد له قبل ذلك وكان الولد الذي ولد له
احمر ازرق فنبت نباتا سريعا فكان اذا مر بالتسعة فراوه قالوا
لو كان ابناؤنا احياء لكانوا مثل هذا الغلام فغضبت التسعة على
صالح لانه كان سبب قتل ابنائهم فتقاسموا بالله يعني فتحالفوا بالله
لنبيتنه واهله وقالوا نخرج فترى الناس انا قد خرجنا الى سفر فناتي
الغار فنكون فيه حتى اذا جاء الليل وخرج صالح الى مسجده اتيناه ٥
فقتلناه ثم نرجع الى الغار فنكون فيه ثم ننصرف الى رحلنا فنقول ما
شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون فيصدقوننا يظنون انا قد
خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام معهم في القرية فاذا اصبح اتاهم
فيعظهم ويذكرهم فاذا امسى خرج الى مسجده فتعبد فيه قال فانطلق
رجال ممن كان قد اطلع على امرهم لينظروا ما فعل اولئك النفر فراوهم
وهم رضخ فرجعوا الى القرية يصيحون يا عباد الله ما رضي صالح بقتل اولادهم
حتى قتلهم فاجتمع اهل القرية على عقر الناقة • وقال ابن اسحاق كانت
التسعة قد تقاسموا على تبييت صالح بعد عقر الناقة • وقال
السدي وغيره لما ولد للعاشر ولد سماه قدار فكان يشب شبابا سريعا
فلما كبر جلس مع اناس يشربون الخمر فارادوا ماء يمزجون به شرابهم وكان
ذلك اليوم يوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد
ذلك عليهم وقالوا ما نصنع نحن بلبن هذه الناقة ولو كنا ناخذ هذا
الماء الذي تشربه الناقة فنسقيه لانعامنا وزروعنا كان خيرا لنا
فقال العاشر هل لكم ان اعقرها لكم قالوا نعم فعقرها ق عن ابن عمر
قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن
الذين ظلموا انفسهم ان يصيبكم ما اصابهم الا ان تكونوا باكين ثم قنع
راسه واسرع السير حتى جاوز الوادي وفي رواية لمسلم لا تدخلوا على
هولاء المعذبين ثم ذكر مثله ولهما عنه ان الناس نزلوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم على الحجر ارض ثمود فاستقوا من ابارها وعجنوا به
العجين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهريقوا ما استقوه

وَيعلفوا الابل العجين وَامرهم ان يستقوا من البير الذى كانت ترد ها
الناقة وللبخارى ان رَسُول الله صَلى الله عَليه وسَلم لما نزل الحجر في
غزوة تبوك امرهم ان لا يشربوا من ابيارها ولا يستقوا منها فقالوا
قد عجنا واستقينا فامرهم النبي صَلى الله عَليه وَسلم ان يطرحُوا
ذلك العجين ويهريقوا ذلك الما وَفي بعض الاحاديث قال
رسُول الله صَلى الله عليه وَسلم لا تسالوا رَسولكم الايات هولا قوم
صَالح سالوا رسولهم فبعث الله الناقة وَكانت ترد من هذا
الفج وتصدر من هذا الفج وتشرب ماهم يوم وردها واراهم سر تعمى
التفصيل من القارة فعتوا عن امر ربهم وعقروها فاهلك من تحت
اديم السما منهم في مشارق الارض وَمغاربها الا رجلا واحدا يقال
له ابو رغال وهو ابو ثقيف كان في حرم الله فمنعه حرم الله من
عذاب الله فلما اخرج اصابه ما اصَاب قومه فدفن وَدفن معه
غصن من ذهب واراهم النبي صَلى الله عليه وَسَلم قبر ابي رغال فنزل
القوم فابتدروه باسيافهم وعقروا عنه فاستخرجوا ذلك الغصن
وكانت الفرقة المومنة من قوم صَالح اربعة الاف خرج صَالح الى
حضرموت فلما دخلها مات صَالح فسمي حضرموت ثم بنى اربعة الاف
مَدينة وسموها حاضورا وَقال قوم من اهل العلم توفي صالح عليه
السّلام بمكة وَهو ابن ثمان وَخمسين سَنة واقام في قومه عشرين سنة
قوله تعالى **وَلوطا** يعني وارسَلنا لوطا وَقيل معناه واذكر يا محمد لوطا
وهو لوط بن هَاران بن تارح وهو ابن اخي ابراهيم وابراهيم عمه
اذ قال لقومه يعني اهل سدوم والَيهم قد كان ارسل وذلك ان لوطا
عليه السّلام لما هاجر مع عمه ابراهيم عليهما السّلام الى الشام فنزل
ابراهيم ارض فلسطين ونزل لوط الاردن فارسله الله الى اهل سدوم
يدعوهم الى الله وَينهاهم عن فعلهم القبيح وَهو قوله **اتاتون
الفاحشة** يعني اتفعلون الفعلة الخبيثة التي هي غاية في القبح ه
وكانت فاحشتهم اتيان الذكران في ادبارهم **مَا سبقكم بها من احد
من العَالمين** من الاولى زايدة لتوكيد النفي وافادة معنى الاستغراق
والثانية للتبعيض والمعنى مَا سبقكم ايها القوم بهذا الفعل ه
الفاحشة احد من العَالمين قبلكم وفي هذا الكلام توبيخ لهم وتقريع
على فعلهم تلك الفاحشة قال عمرو بن دينار مَا نزا ذكر على ذكر في
الدنيا حتى كان قوم لوط **اينكم لتاتون الرجَال** يعني في ادبارهم
شهوة من دون النسَا يعني ان ادبار الرجال اشهى عندكم من فروج
النسا **بل انتم** يعني ايها القوم **قوم مسرفون** اي مجاوزون الحلال الى

الحرام وَاتيانهم وَغيرهم ووبخهم بهذا الفعل الخبيث لان الله تبارك
وَتعالى خلق الانسان وركب فيه شهوة النكاح لبقا النسل وعمران
الدنيا وَجعل النسا محلا لتلك الشهوة وَموضع النسل فاذا تركهن
الانسان وعدل عنهن الى غيرهن من الرجَال فكانما قد اسرف وَجار
واعتدى لانه وضع الشي في غير موضعه الذى خلق له لان ادبار الرجال
ليست محلا للولادة التي هي مقصودة لتلك الشهوة المركبة في الانسان

وَكانت قصة قوم لوط على مَا ذكره محمد بن

اسحق وَغيره من اهل الاخبار والسير انه كانت قرى قوم لوط مخصبة
وَثمار وزروع لم يكن في الارض مثلها فقصدهم الناس فاذوهم وَضيقوا
عَليهم فعرض لهم ابليس في صفة شيخ وقال لهم ان فعلتم بهم كذا وكذا
نجوتم منهم فابوا فلما الح الناس عَليهم وقصدوهم فاصابوا غلمانا ه
حسانا صباحا فاخبثوا واستحكم ذلك فيهم قال الحسن كانوا لا ينكحون
الا الغربا وَقيل استحكم ذلك الفعل فيهم حتى نكح بعضهم بعضا
وقال الكلبي ان اول من عمل عمل قوم لوط ابليس وذلك لان بلادهم
اخصبت فقصدها اهل البلدان فتمثل لهم ابليس في صورة شاب امرد
فدعا الى نفسه فكان اول من نكح في دبره فامر الله تعالى السما ان تحصبهم
والارض ان تخسف بهم وقوله تعالى **وما كان جواب قومه** يعني وَما كان
جواب قوم لوط للوط اذ وبخهم على فعله القبيح وركوبهم مَا حرم الله
تعالى عليهم من العمل الخبيث **الا ان قالوا** يعني قال بعضهم لبعض
اخرجوهم من قريتكم يعني اخرجوا لوطا واتباعه واهل دينه من بلدكم
انهم اناس يتطهرون يعني انهم يتنزهون عن فعلكم وَعن ادبار الرجال
لانه موضع النجاسة وَمن تركه فقد تطهر وقيل ان البعد عن المعاصي والاثام
يسمى طهارة فمن تباعد عن المعاصي والاثام فقد تطهر فلهذا قالوا انهم
اناس يتطهرون يعني من فعل المعاصي والاثام **فانجيناه وَاهله**
يعني فانجينا لوطا وَمن امن به واتبعه على دينه وقيل ان المراد
باهله المتصلين به بسبب النسب والمراد باهله ابنتاه **الا امراته** يعني
زوجته **كانت من الغابرين** يعني كانت من الباقين في العذاب لانها
كانت كافرة وَقيل معناه كانت من الباقين المعمرين قد اتى عليها دهر
طويل ثم هلكت مع من هلك من قوم لوط وانما قال من الغابرين ولم
يقل من الغابرات لانها هلكت مع الرجال فغلب ذكر الرجال فقال
من الغابرين **وامطرنا عليهم مَطرا** يعني حجارة من سجيل قد عجنت
بالكبريت والنار يقال مطرت السما وامطرت وقال ابو عبيدة يقال
في العذاب امطر وفي الرحمة مطر **فانظر كيف كان عَاقبة المجرمين**

يعني انظر يا محمد كيف كان عاقبة هولا الذين كذبوا بالله ورسوله
وعملوا الفواحش كيف اهلكناهم • قال مجاهد نزل جبريل فادخل جناحه
تحت مداين قوم لوط فاقتلعها ورفعها الى السما ثم قلبها فجعل
اعلاها اسفلها ثم اتبعوا بالحجارة وقوله فانظر كيف كان عاقبة
المجرمين وان كان هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لكن المراد
به غيره من امته ليعتبروا بما جرى على اوليك وينزجروا بذلك
الاعتبار عن الافعال القبيحة والفواحش الخبيثة قوله
عز وجل **والى مدين اخاهم شعيبا** يعني وارسلنا الى مدين
اكثر المفسرين على ان مدين اسم رجل وهو مدين وقيل مديان بن
ابراهيم الخليل عليه السلام فعلى هذا يكون المعنى وارسلنا الى
ولد مدين ومدين اسم للقبيلة كما يقال بنو تميم وبنو عدي وبنو
اسد • وقيل مدين اسم للما الذي كانوا عليه وقيل اسم للمدينة وعلى
هذين القولين يكون المعنى وارسلنا الى اهل مدين والصحيح هو
الاول لقوله اخاهم شعيبا يعني في النسب لا في الدين وشعيب هو
ابو ثوبة بن مدين بن ابراهيم عليه السلام • قال عطا وقال محمد بن
اسحاق هو شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم عليه السلام
وام ميكيل بنت لوط عليه السلام • وقيل هو شعيب بن يثرون بن
ثويب بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وكان شعيب اعمى وكان
يقال له خطيب الانبيا لحسن مراجعته قومه وكان قومه اهل كفر
وبخس في المكيال والميزان **قال** يعني شعيبا **يا قوم اعبدوا الله ما**
لكم من اله غيره • قد جاتكم بينة من ربكم يعني قد جاتكم حجة وبرهان
من ربكم بحقيقة ما اقول وصدق ما ادعي من النبوة والرسالة اليكم
لانه لا بد لكل نبي معجزة تدل على صدق ما جا به من عند الله غير ان
تلك المعجزة التي كانت لشعيب لم تذكر في القران وليست كل ايات
الانبيا مذكورة في القران • وقيل اراد بالبينة مجي شعيب بالرسالة
اليهم • وقيل اراد بالبينة الموعظة وهي قوله **فاوفوا الكيل والميزان**
يعني فاتموا المكيال والميزان واعطوا الناس حقوقهم وهو قوله **ولا**
تبخسوا الناس اشياءهم يعني لا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم
اياها فتطففوا الكيل والوزن يقال بخس فلان في الكيل والوزن
اذا انقصه وطففه **ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها** يعني بعد
ان اصلحها الله ببعثة الرسل واقامة العدل وكل نبي يبعث
الى قوم فهو صلاحهم **ذلكم** يعني الذي ذكرت لكم وامرتكم به من الايمان
بالله ووفا الكيل والميزان وترك الظلم والبخس **خير لكم** مما انتم عليه من

الكفر

الكفر وظلم الناس **ان كنتم مؤمنين** يعني مصدقين بما اقول **ولا تقعدوا**
بكل صراط توعدون يعني ان شعيبا قال لقومه الكفار ولا تقعدوا
على كل طريق من الدين والحق تمنعون الناس من الدخول فيه وتهددونهم
على ذلك وذلك انهم كانوا يجلسون على الطرقات ويخوفون من يريد
الايمان بالله وبرسوله شعيب وهو قوله **وتصدون عن سبيل الله**
من امن به يعني وتمنعون من يريد الايمان بالله وتقولون ان شعيبا
كذاب وتخوفونه بالقتل • قال ابن عباس كانوا يجلسون على الطريق
فيخبرون من اتى عليهم ان شعيبا الذي تريدون كذاب فلا يفتننكم
عن دينكم **وتبغونها عوجا** يعني وتريدون اعوجاج الطريق عن
الحق وعدولها عن القصد وقيل معناه وتلتمسون بها الزيغ والهلا
ولا تستقيموا على طريق الهدى والرشاد **واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم**
يعني ان شعيبا عليه السلام ذكرهم نعمة الله عليهم قال الزجاج
يحتمل ذلك ثلاثة اوجه كثر عددكم بعد وكثركم بالغنا بعد الفقر
وكثركم بالقوة بعد الضعف ووجه ذلك انهم اذا كانوا فقرا
ضعفا فهم بمنزلة القليل والمعنى انه كثركم بعد القلة واعزكم بعد
الذلة فاشكروا نعمة الله عليكم وامنوا به **وانظروا كيف كان عاقبة**
المفسدين يعني وانظروا اعتبار ما نزل بمن كان قبلكم من الامم
السالفة والقرون الخالية حتى عتوا عن ربهم وعصوا رسله من العذاب
والهلاك واقرب الامم اليكم قوم لوط فانظروا كيف ارسل الله عليهم
حجارة من السما بما عصوه وكذبوا رسله **وان كان طايفة منكم امنوا**
بالذي ارسلت به وطايفة لم يومنوا يعني وان اختلفتم في رسالتي
فصرتم فرقتين فرقة امنت بي وصدقت برسالتي وفرقة كذبت
وجحدت رسالتي **فاصبروا** فيه وعيد وتهديد **حتى يحكم الله بيننا**
يعني حتى يقضي الله بيننا فينصر المومنين المصدقين وينصرهم
ويهلك المكذبين الجاحدين ويعذبهم **وهو خير الحاكمين** يعني انه
حاكم عادل منزه عن الجور والميل والحيف في حكمه وانما قال خير
الحاكمين لانه قد يسمى بعض الاشخاص حاكما على سبيل المجاز والله
تعالى هو الحاكم في الحقيقة فلهذا قال وهو خير الحاكمين **قال الملا**
الذين استكبروا من قومه يعني قال الجماعة من اشراف قومه الذين
تكبروا عن الايمان بالله ورسوله وتعظموا عن اتباع شعيب •
لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن
في ملتنا يعني ان قوم شعيب اجابوه بان قالوا لا بد من احد الامرين
اما اخراجك ومن تبعك على دينك من بلدنا او لترجعن الى ديننا

وملتنا وما نحن عليه وهذا فيه اشكال وهو ان شعيبا عليه السلام
لم يكن قط على ملتهم حتى يرجع الى ما كان عليه فما معنى قوله او
لتعودن في ملتنا • واجيب عن هذا الاشكال ان اتباع شعيب
كانوا قبل الايمان به على ملة اوليك الكفار فخاطبوا شعيبا واتباعه
جميعا فدخل هو في الخطاب وانا لم يكن على ملتهم قط وقيل معناه
لتصيرن على ملتنا فوقع العود على معنى الابتدا كما تقول قد عاد
الي من فلان مكروه بمعنى قد لحقني منه ذلك وان لم يكن قد سبق
منه مكروه فهو كما قال الشاعر •

• فان تكن الايام تحسن مرة • الي فقد عادت لهن ذنوب •

اراد فقد صارت لهن ذنوب ولم يرد ان ذنوبا كانت لهن قبل
الاحسان وقوله قال اولو كنا كارهين يعني لا نعود في ملتكم
وان اكرهتمونا واجبرتمونا على الدخول فيها فلا نقبل ولا ندخل
قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها
يعني ان شعيبا اجاب قومه اذ دعوه ومن امن الى العود الى
العود الى ملتهم والدخول فيها فقال قد افترينا يعني قد اختلقنا
على الله كذبا وتخرصنا عليه من القول باطلا ان نحن رجعنا الى
ملتكم وقد علمنا فساد ما انتم عليه من الملة والدين وقد انقذنا
الله وخلصنا منها وبصرنا خطاها وهذا ايضا فيه من الاشكال
مثل ما في الاول وهو ان شعيبا عليه السلام ما كان في ملتهم قط
حتى يقولوا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها والجواب عنه
مثل ما اجيب عن الاشكال الاول وهو ان تقول ان الله نجى قومه
الذين امنوا به من تلك الملة الباطلة الا ان شعيبا نظم نفسه
في جملتهم وان كان بريا مما كانوا عليه من الكفر فاجرى الكلام على
حكم التغليب • وقيل معنى نجانا الله منها علمنا قبح ملتكم وفسادها
فكانه خلصنا منها وقوله وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشا الله
ربنا يعني وما يكون لنا ان نرجع الى ملتكم ونترك الحق الذي نحن
عليه الا ان يشا الله ربنا يعني الا ان يكون قد سبق لنا في علم الله
ان نعود فيها فحينيذ يمضي قضا الله وقدره فينا وينفذ سابق
مشيته علينا • وقال الواحدي معنى العود هنا الابتدا والذي
عليه اهل العلم والسنة في هذه الاية ان شعيبا واصحابه قالوا
ما كنا لنرجع الى ملتكم بعد اذ وقفنا على انها ضلالة تكسب
دخول النار الا ان يريد الله اهلاكنا فامورنا راجعة الى الله غير
خارجة عن قبضته يسعد من يشا بالطاعة ويشقي من يشا

بالمعصية

بالمعصية وهذا من شعيب وقومه استسلام للمشية ولم تزل
الانبيا والاكابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر الا ترى الى قول الخليل
عليه السلام واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وكان نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على
دينك • قال الزجاج المعنى وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان
يكون قد سبق في علم الله ومشيته ان نعود فيها وتصديق ذلك
قوله وسع ربنا كل شي علما يعني انه تعالى يعلم ما يكون قبل ان يكون
وما سيكون وانه تعالى كان عالما في الازل بجميع الاشيا فالسعيد
من سعد في علم الله والشقي من شقي في علم الله تعالى على الله توكلنا
يعني على الله نعتمد واليه نستند في امورنا كلها فانه الكافي لمن
توكل عليه والمعنى على الله توكلنا لا على غيره فكانه ترك الاسباب
ونظر الى مسبب الاسباب ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
لما ايس شعيب من ايمان قومه دعا بهذا الدعا فقال ربنا افتح
اي اقض وافصل واحكم بيننا وبين قومنا بالحق يعني بالعذاب
الذي لا جور فيه ولا ظلم ولا حيف وانت خير الفاتحين يعني خير
الحاكمين قال الفرا ان اهل عمان يسمون القاضي الفاتح وقال غيره
من اهل اللغة هو لغة مراد وانشد لبعضهم •

• الا ابلغ بني عصم رسولا • فاني عن فتاحكم غني •

اراد انه غني عن حاكمهم وقاضيهم • وقال ابن عباس ما كنت ادري
ما معنى قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين
حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول تعال افاتحك يعني اقاضيك
وهذا قول قتادة والسدي وابن جريج وجمهور المفسرين ان الفاتح
هو القاضي والحاكم سمي بذلك لانه يفتح اغلاق الاشكال بين
الخصوم ويفصلها • وقال الزجاج وجايز ان يكون معناه ربنا
اظهر امرنا حتى يتضح بيننا وبين قومنا وينكشف والمراد منه
ان ينزل عليهم عذابا يدل على كونهم مبطلين وعلى كون شعيب
وقومه محقين وعلى هذا الوجه فالفتح يراد به الكشف والتمييز
وقال الملا الذين كفروا من قومه لين اتبعتم شعيبا انكم اذا
لخاسرون يعني وقال جماعة من اشراف قوم شعيب ممن كفر به
لاخرين منهم لين اتبعتم شعيبا على دينه وتركتم دينكم وملتكم
وما انتم عليه انكم اذا لخاسرون يعني انكم لمغبونون في فعلكم فاخذ
الرجفة يعني الزلزلة الشديدة فاصبحوا في دارهم جاثمين
قال ابن عباس وغيره فتح الله عليهم بابا من جهنم فارسل عليهم

تهم

حرا شديدا من جهنم فاخذ بانفاسهم فلم ينفعهم ظل ولا ما فدخلوا
فى الاسراب ليبردوا فيها فوجدوها اشد حرا من الظاهر فخرجوا
هربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فيها ريح طيبة باردة
فاظلتهم فى الظلة فوجدوا لها بردا ونسيما فنادى بعضهم بعضا حتى
اذا اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساهم وصبيانهم الهبها الله
عليهم نارا ورجفت بهم الارض من تحتهم فاحترقوا كما يحترق الجراد فى
المقلى وصاروا رمادا • وروى ان الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة
ايام ثم سلط عليهم الحر حتى هلكوا • وقال قتادة بعث الله شعيبا
الى اصحاب الايكة والى اهل مدين فاما اصحاب الايكة فاهلكوا
بالظلة واما اهل مدين فاخذتهم الصيحة صاح بهم جبريل صيحة
فهلكوا جميعا • قال ابو عبد الله البلخى كان ابو جاد وهوز وحطى
وكلمن وسعفص وقرشيات ملوك مدين وكان ملكهم فى زمن
شعيب يوم الظلة اسمه كلمن فلما هلك قالت ابنته شعرا تبكيه
وترثيه به • كلمن هدركنى • هلكه وسط المحله • سيد القوم اتاه •
هلكه نار تحت ظله • جعلت نارا عليهم • دارهم كالمضمحله • وقوله
تعالى الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها يعنى كان لم يقيموا
فيها ولم ينزلوها يوما من الدهر يقال غنيت بالمكان اى اقمت
به والمغانى المنازل التى بها اهلها واحدها مغنى قال الشاعر •
ولقد غنوا فيها بانعم عيشة • فى ظل ملك ثابت الاوتاد •
اراد فيها اقاموا وقيل فى معنى الاية كان لم يعيشوا فيها متنعمين
مستغنين يقال غنى الرجل اذا استغنى وهو من الغنا الذى هو
ضد الفقر الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين يعنى خسروا
انفسهم بهلاكهم فتولى عنهم يعنى فاعرض عنهم شعيب شاخصا
من بين اظهرهم حين اتاهم العذاب وقال يا قوم لقد ابلغتكم
رسالات ربى ونصحت لكم يعنى انه قال لهم ذلك لما تيقن نزول
العذاب بقومه واختلفوا هل كان هذا القول قبل نزول العذاب
او بعده على قولين سبقا فى قصة هود عليه السلام وقوله فكيف
اسى يعنى احزن على قوم كافرين والاسى اشد الحزن وانما اشتد
حزنه على قومه لانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاستجابة
والايمان فلما نزل بهم ما نزل من العذاب عزى نفسه فقال كيف
احزن على قوم كافرين لانهم هم الذين هلكوا انفسهم باصرارهم على
الكفر • وقيل فى معنى الاية ان شعيبا قال لقد اعذرت اليكم فى
الابلاغ والنصيحة والتحذير فلم تسمعوا قولى ولم تقبلوا نصحى فكيف

احزن عليكم يعنى انكم لستم مستحقين بان يحزن عليكم فعلى القول الاول
انه حصل لشعيب حزن على قومه وعلى القول الثانى لم يحزن عليهم
والله اعلم • قوله تعالى وما ارسلنا فى قرية من نبى فيه اضمار وحذف
تقديره فكذبوه الا اخذنا اهلها بالباسا والضرا قال ابن مسعود
الباسا الفقر والضرا المرض وهذا معنى قول الزجاج فانه قال
الباسا كلما نالهم من الشدة فى اموالهم والضرا كلما نالهم من
الامراض • وقيل الباسا الشدة وضيق العيش والضراء الضر
وسوء الحال لعلهم يضرعون يعنى انما فعلنا بهم ذلك لكى
يتضرعوا ويتوبوا والتضرع الخضوع والانقياد لامر الله عز
وجل والمراد من هذه الاية ان الله عز وجل لما عرف نبيه صلى
الله عليه وسلم احوال الانبياء مع اممهم المكذبة وقص عليه من
اخبارهم وعرفه سنته فى الامم الذين خلوا من قبله وما صاروا
اليه من الهلاك والعذاب عرفه فى هذه الاية انه قد ارسل رسلا
الى امم اخر فكذبوا رسلهم فاخذهم بالباسا والضرا كما فعل بمن كذب
رسله وفيه تخويف وتحذير لكفار قريش وغيرهم من الكفار ليزجروا
عما هم عليه من الكفر والتكذيب ثم بين انه تعالى انه لا يجرى
تدبيره فى اهل القرى على نمط واحد وسنة واحدة انما يدبرهم بما
يكون الى الايمان اقرب وهو قوله تعالى ثم بدلنا مكان السيئة
الحسنة لان ورود النعمة على البدن والمال بعد الشدة والضيق
يستدعى الانقياد للطاعة والاشتغال بالشكر قال اهل اللغة
السيئة كل ما يسوء صاحبه والحسنة كل ما يستحسنه الطبع والعقل
فالسيئة والحسنة هنا الشدة والرخا والمعنى انه تعالى بدل مكان
الباسا والضرا النعمة والسعة والخصب والصحة فى الابدان فاخبر
الله تعالى فى هذه الاية انه ياخذ اهل المعاصى والكفر تارة بالشدة
وتارة بالرخا على سبيل الاستدراج وهو قوله حتى عفوا يعنى انه
فعل ذلك بهم حتى كثروا وكثرت اموالهم يقال عفى الشعر اذا كثر
وطال قال مجاهد حتى كثرت اموالهم واولادهم وقالوا يعنى من
غرتهم وغفلتهم بعد ما صاروا الى الرخا والسعة قد مس آبانا الضرا
والسراء يعنى انهم قالوا هكذا عادة الدهر قديما وحديثا لنا ولابائنا
ولم يكن ما مسنا من الشدة والضرا عقوبة لنا من الله تعالى على ما
نحن فيه فكونوا على ما انتم عليه كما كان اباؤكم من قبل فانهم لم يتركوا
دينهم لما اصابهم من الضرا والسراء قال الله تعالى فاخذناهم بغتة يعنى
اخذناهم فجاة امن ما كانوا ليكون ذلك اعظم لحسرتهم وهم لا يشعرون

يعني بنزول العذاب بهم والمراد بذكر هذه القصة اعتبار من سمعها
ليزدجر عما هو عليه من الذنوب **قوله عز وجل** ولو ان اهل
القرى امنوا واتقوا يعني لما بين الله تعالى في هذه الاية الاولى
ان الذين عصوا وتمردوا اخذتهم بعذابه بين في هذه الاية انهم
لو امنوا يعني بالله وبرسله واطاعوه فيما امرهم به واتقوا يعني ما
نهى الله عنه وحرمه عليهم لفتحنا عليهم بركات من السما والارض
فبركات السما في المطر وبركات الارض النبات والثمار وجميع ما
فيهما من الخيرات والانعام والارزاق والامن والسلامة من الافات
وكل ذلك من فضل الله واحسانه على عباده واصل البركة ثبوت
الخير الالهي في الشي وسمي المطر بركة السما لثبوت البركة فيه وكذا
ثبوت البركة في نبات الارض لانه نشا عن بركات السما وهي المطر
وقال البغوي اصل البركة المواظبة على الشي اي تابعنا عليهم بالمطر
من السما والنبات من الارض ورفعنا عنهم القحط والجدب ولكن
كذبوا يعني فعلنا بهم ذلك ليومنوا فما امنوا ولكن كذبوا يعني
الرسل فاخذناهم يعني بانواع العذاب بما كانوا يكسبون يعني
اخذناهم بسبب كسبهم الاعمال الخبيثة قوله تعالى افامن اهل القرى
هو استفهام بمعنى الانكار وفيه وعيد وتهديد وزجر والمراد
بالقرى مكة وما حولها وقيل هو عام في كل اهل القرى كفروا وكذبوا
ان ياتيهم باسنا يعني عذابنا بياتا يعني ليلا وهم نايمون اوامن
اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى يعني نهارا لان الضحى صدر النهار
وهم يلعبون يعني وهم ساهون لاهون غافلون عما يراد بهم والمقصود
من الاية ان الله خوفهم بنزول العذاب وهم في غاية الغفلة وهو حال
النوم بالليل وحال الضحى بالنهار لانه الوقت الذي يغلب على الانسان
التشاغل فيه بامور الدنيا وامور الدنيا كلها لعب ويحتمل ان يكون
المراد خوضهم في كفرهم وذلك لعب ايضا لانه يضر ولا ينفع افامنوا
مكر الله يعني استدراجه اياهم بما انعم عليهم من الدنيا وقيل المراد
به ان ياتيهم عذابه من حيث لا يشعرون وعلى هذا الوجه فيكون
بمعنى التحذير وسمي هذا العذاب مكرا لنزوله وهم في غفلة عنه لا يشعرون
به فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون يعني انه لا يامن ان يكون
ما اعطاهم من النعمة مع كفرهم استدراجا الا من خسر في اخراه وهلك
مع الهالكين اولم يهد يعني اولم يبين للذين يرثون الارض من بعد
اهلها يعني من بعد هلاك اهلها الذين كانوا من قبلهم فورثوها عنهم
وخلفوهم فيها ان لو نشا اصبناهم بذنوبهم يعني لو نشا اخذناهم

وعاقبناهم

وعاقبناهم بسبب كفرهم ونطبع اي نختم على قلوبهم فهم لا يسمعون
يعني لا يسمعون موعظة ولا يقبلون الايمان ونطبع منقطع عما قبله
والمعنى ونحن نطبع على قلوبهم ويجوز ان يكون معطوفا على الماضي
ولفظه لفظ المستقبل والمعنى ولو شينا طبعنا على قلوبهم تلك
القرى يعني هذه القرى التي ذكرنا لك يا محمد امرها وامر اهلها
وهي قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب نقص عليك
من انبايها يعني نخبرك عنها وعن اخبار اهلها وما كان من امرهم
وامر رسلهم الذين ارسلوا اليهم لتعلم يا محمد انا ننصر رسلنا والذين
امنوا معهم على اعداينا واعدايهم من اهل الكفر والعناد وكيف
اهلكناهم بكفرهم ومخالفتهم رسلهم ففيه تسلية للنبي صلى الله
عليه وسلم وتحذير لكفار قريش ان يصيبهم مثل ما اصابهم ولقد
جاتهم يعني لاهل تلك القرى رسلنا بالبينات يعني جاتهم بالمعجزات
الباهرات والبراهين الدالة على صدقهم فما كانوا ليومنوا بما
كذبوا من قبل اختلف اهل التفسير في معنى ذلك فقيل معناه
فما كان هولا المشركون الذين اهلكناهم من اهل القرى ليومنوا عند
ارسالنا اليهم رسلهم بما كذبوا من قبل ذلك وهو يوم اخذ ميثاقهم
حين اخرجهم من ظهر ادم عليه السلام فاقروا باللسان واضمروا
التكذيب وهذا معنى قول ابن عباس والسدي قال السدي
امنوا كرها يوم اخذ الميثاق • وقال مجاهد فما كانوا لو احييناهم
بعد الهلاك ومعاينتهم العذاب ليومنوا بما كذبوا من قبل هلاكهم
وقيل معناه فما كانوا ليومنوا عند مجي الرسل بما سبق لهم في علم
الله انهم يكذبون به حين اخرجهم من صلب ادم عليه السلام قال
ابي بن كعب كان سبق لهم في علمه يوم اقروا لهم بالميثاق انهم لا يومنون
وقال الربيع بن انس يحق على العباد ان ياخذوا من العلم ما ابدى
لهم ربهم وان لا ياتوا ولو اعلم ما اخفى الله عنهم فان علمه نافذ فيما
كان وفيما يكون وفي ذلك قال تعالى ولقد جاتهم رسلنا بالبينات
فما كانوا ليومنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب
الكافرين قال نفذ علمه فيهم ايهم المطيع من العاصي حيث خلقهم
في صلب ادم • قال الطبري واولى الاقوال بالصواب قول ابي ابن
كعب والربيع بن انس وذلك ان من سبق في علم الله انه لا يومن به
فلا يومن ابدا وقد كان سبق في علم الله لمن هلك من الامم الذين
قص خبرهم في هذه السورة انهم لا يومنون ابدا فاخبر عنهم انهم لم
يكونوا ليومنوا بما هم به مكذبون في سابق علمه قبل مجي الرسل عند

يجيبهم اليهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين يعني كما طبع
الله على قلوب كفار الامم الخالية واهلكهم كذلك يطبع الله على
قلوب الكافرين الذين كتب عليهم انهم لا يؤمنوا من قومك وما
وجدنا لاكثرهم من عهد يعني وما وجدنا لاكثر الامم الخالية
والقرون الماضية الذين قصصنا خبرهم عليك يا محمد من وفا
العهد الذي عهدناه اليهم واوصينا هم به يوم اخذ الميثاق قال
ابن عباس انما اهلك الله اهل القرى لانهم لم يكونوا حفظوا ما
وصاهم به وان وجدنا اكثرهم لفاسقين اي ما وجدنا اكثرهم الا
فاسقين خارجين عن طاعتنا وامرنا قوله عز وجل
ثم بعثنا من بعدهم يعني ثم بعثنا بعد الانبيا الذين تقدم
ذكرهم وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام موسى
باياتنا يعني بحجتنا وادلتنا الدالة على صدقه مثل اليد والعصا
ونحو ذلك من الايات التي جاءها موسى عليه السلام الى فرعون
وملايه قيل ان كل من ملك مصر كان يسمى فرعون في ذلك الزمان
مثل ما كان يسمى ملك الفرس كسرى وملك الروم قيصر وملك
الحبشة النجاشي وكان اسم فرعون الذي ارسل اليه موسى عليه
السلام الوليد بن مصعب بن الريان وكان ملك القبط والملا اشراف
قومه وانما خصوا بالذكر لانه اذا امن الاشراف امن الاتباع فظلموا بها
يعني فجحدوا بها لان الظلم وضع الشي في غير موضعه ولما كانت هذه
الايات معجزات ظاهرة قاهرة ثم كفروا بها فوضعوا الكفر موضع
الايمان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين اي انظر يا محمد بعين
العقل والبصيرة كيف فعلنا بهم وكيف اهلكناهم وقال موسى يا
فرعون اني رسول من رب العالمين يعني ان موسى عليه السلام لما
دخل على فرعون دعاه الى الله والى الايمان به وقال له اني رسول يعني
مرسل اليك والى قومك من رب العالمين يعني ان الله الذي خلق
الخلق وهو سيدهم ومالكهم هو الذي ارسلني اليك حقيق اي واجب
على ان لا اقول على الله الا الحق يعني اني رسول والرسول لا يقول
على الله الا الحق في وصفه وتنزيهه وتوحيده وانه لا اله غيره قد
جيتكم ببينة من ربكم برهان على صدقي فيما ادعي من الرسالة والمراد
ببينته معجزته وهما العصا واليد البيضا ثم ان موسى عليه السلام لما
فرغ من تبليغ رسالة ربه رتب على ذلك الحكم فقال موسى فارسل معي
بني اسرايل يعني خل عني واطلقهم من اسرك وكان فرعون قد استعبد
بني اسرايل واستعملهم في الاعمال الشاقة مثل ضرب اللبن ونقل التراب

ونحو ذلك من الاعمال الشاقة قال ان كنت جيت باية فات بها ان
كنت من الصادقين يعني ان فرعون قال لموسى عليه السلام بعد تبليغ
الرسالة ان كنت جيت من عند من ارسلك ببينة تدل على صدقك
فاتني بها واحضرها عندي لتصح دعواك ويثبت صدقك فيما قلت
فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين اي بين والثعبان اي الذكر من
الحيات وصفه هنا بانه ثعبان والثعبان من الحيات العظيم الضخم
ووصفه في اية اخرى كانها جان والجان الحية الصغيرة والجمع بين
هذين الوصفين بانها كانت في عظم الجثة كالثعبان العظيم وفي خفة
الحركة كالحية الصغيرة وهي الجان • قال ابن عباس والسدي انه
لما القى العصا صارت حية عظيمة صفرا شعرا فاغرة فاها بين لحييها
ثمانون ذراعا وارتفعت من الارض بقدر ميل وقامت على ذنبها واضعة
لحيها الاسفل في الارض ولحيها الاعلى على سور القصر وتوجهت نحو
فرعون لتاخذه فوثب فرعون عن سريره هاربا واحدث • وقيل انه
احدث في ذلك اليوم اربعماية مرة • وقيل انها اخذت قبة فرعون
بين انيابها وحملت على الناس فانهزموا وصاحوا وقتل بعضهم
بعضا فمات منهم في ذلك اليوم خمسة وعشرون الفا ودخل فرعون
البيت وصاح يا موسى انشدك بالذي ارسلك ان تاخذها
وانا اومن بك وارسل معك بني اسرايل فعادت في يده عصى
كما كانت وفي كون الثعبان المبين وجوه • الاول انه تميز وبان
ذلك عما عملته السحرة من التمويه والتلبيس وبذلك تتميز معجزات
الانبياء عن تمويه السحرة وتخيلهم • الوجه الثاني انهم شاهدوا
العصا قد انقلبت حية ولم يشتبه ذلك عليهم فلذلك قال ثعبان
مبين اي بين • الوجه الثالث ان ذلك الثعبان لما كان معجزة
لموسى عليه السلام كانه ابان صدق قول موسى في انه رسول من
رب العالمين وقوله تعالى ونزع يده النزع في اللغة عبارة عن
اخراج الشي عن مكانه والمعنى انه اخرج يده عن جيبه او من تحت
جناحيه فاذا هي بيضا للناظرين قال ابن عباس وغيره اخرج
يده من جيبه فراها بيضا من غير سوء يعني من غير برص • وقيل
ان موسى ادخل يده تحت جيبه ثم نزعها منه • وقيل اخرج يده
من تحت ابطه فاذا هي بيضا لها شعاع غلب نور الشمس وكان
موسى عليه السلام ادم اللون ثم ردها الى جيبه ثم اخرجها فاذا هي
كما كانت ولما كان البياض المفرط عيب في الجسد وهو البرص قال
الله تعالى في اية اخرى بيضا من غير سوء يعني من غير برص والمعنى

فاذا هي بيضا للنظارة ولا تكون بيضا للنظارة الا اذا كان بياضها عجيبا خارجا عن العادة يتعجب منه

فصل في بيان المعجزة

وكونها دليلا على صدق الرسول اعلم ان الله تبارك وتعالى كان قادرا على خلق المعرفة والايمان في قلوب عباده ابتداء من غير واسطة ولكن ارسل اليهم رسلا تعرفهم معالم دينه وجميع تكليفاته وتلك الرسول واسطة بين الله عز وجل وبين عباده يبلغهم كلامه ويعرفهم احكامه وجاز ان يكون ذلك الواسطة من غير البشر كالملائكة مع الانبيا مع اممهم ولا مانع لهذا من جهة العقل واذا جاز هذا في دليل العقل وقد جات الرسل عليهم السلام بمعجزات دلت على صدقهم فوجب تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجز مع التحدي من النبي قايم مقام الله قول عز وجل صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه ولان معجز النبي شاهد على صدقه فيما يقوله وسميت المعجزة معجزة لان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين فضرب منها هو نوع قدرة البشر ولكن عجزوا عنه فتعجيزهم عنه دل على انه من فعل الله ودل على صدق نبيه صلى الله عليه وسلم كتمني الموت في قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فلما صرفوا عن تمنيه مع قدرتهم عليه علم انه من عند الله ودل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم الضرب الثاني ما هو خارج عن قدرة البشر كاحيا الموتى وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام الشجر والجماد والحيوان ونبع الما من بين الاصابع وغير ذلك من المعجزات الخارقة للعادات علم ان ذلك من عند الله وان الله عز وجل هو الذي اظهر ذلك المعجز على يد نبيه لتكون حجة له على صدقه فيما يخبر به عن الله عز وجل وقد ثبت بدليل العقل والبرهان القاطع ان الله تعالى قادر على خلق الاشيا وابداعها من غير اصل سبق لها واخراجها من العدم الى الوجود وانه قادر على قلب الاعيان وخوارق العادات والله اعلم • قوله تعالى **قال الملا من قوم فرعون ان هذا** يعني موسى **لساحر عليم** يعنون انه ليا خذ باعين الناس حتى يخيل لهم ان العصا صارت حية ويرى الشي بخلاف ما هو عليه كما اراهم يده بيضا وهو ادم اللون وانما قالوا ذلك لان السحر كان هو الغالب في ذلك الزمان فلما اتى بما يعجز عنه غيره قالوا انه لساحر عليم **فان قلت** قد اخبر الله في هذه السورة ان هذا الكلام من قول الملا لفرعون وقال في سورة الشعراء وقال فرعون للملا حوله ان هذا الساحر عليم فكيف الجمع بينهما **قلت** لا يمتنع ان يكون قاله فرعون اولا ثم انهم قالوا

بعده

بعده فاخبر الله عنهم هنا واخبر عن فرعون في سورة الشعراء • وقيل يحتمل ان فرعون قال هذا القول ثم ان الملا من قومه وهم خاصته سمعوه منه ثم انهم بلغوه الى العامة فاخبر الله عز وجل هنا عن الملا واخبر هنالك عن فرعون وقوله **يريد ان يخرجكم من ارضكم** يعني يريد موسى ان يخرجكم ايها القبط من ارض مصر **فماذا تامرون** يعني فاي شي يشيرون ان نفعل به • وقيل ان قوله فماذا تامرون من قول الملا كان كلام فرعون تم عند قوله يريد ان يخرجكم من ارضكم فقال الملا مجيبين لفرعون فماذا تامرون وانما خاطبوه بلفظ الجمع وهو واحد على عادة الملوك في التعظيم والتفخيم والمعنى فماذا تامرون اي نفعل به والقول الاول اصح لسياق الاية التي بعدها وهو قوله تعالى **قالوا ارجه واخاه** يعني اخرامرهما ولا تعجل فيه فتصير عجلتك عليك لا لك والارجاء التاخير في اللغة • وقيل معنى ارجه احبسه واخاه وهذا القول ضعيف لان الارجا في اللغة هو التاخير لا الحبس ولان فرعون ما كان يقدر على حبس فرعون بعد ما راى من اثر العصا ما راي **وارسل في المداين** جمع مدينة واشتقاقها من مدن بالمكان اي اقام به يعني مداين صعيد مصر **حاشرين** يعني رجالا يحشرون اليك السحرة من جميع مداين الصعيد والمعنى انهم قالوا لفرعون الى ارسل هذه المداين رجالا من اعوانك وهم الشرط يحشرون اليك من فيها من السحرة وكان روسا السحرة باقصى مداين الصعيد فان غلبهم موسى صدقناه وتبعناه وان غلبوه علمنا انه ساحر فذلك قوله **ياتوك** يعني الشرط **بكل ساحر** وقرى سحار والفرق بين الساحر والسحار ان الساحر هو المبتدي في صناعة السحر يتعلم ولا يعلم والسحار هو الماهر الذي يتعلم منه السحر • وقيل الساحر من يكون سحره وقتا دون وقت والسحار الذي يدوم سحره ويعمل في كل وقت **عليم** يعني ماهرا بصناعة السحر • وقال ابن عباس وابن اسحاق والسدي ان فرعون لما راى من سلطان الله وقدرته في العصا قال انا لا نقاتل موسى الا بمن هو منه فاتخذ غلمانا من بني اسرايل وبعث بهم الى مدينة يقال لها الغوصا يعلمونهم السحر فعلموهم سحرا كبيرا وواعد فرعون موسى موعدا ثم بعث الى السحرة فجاوا معهم معلمهم فقال فرعون للمعلم ماذا صنعت قال علمتهم سحرا لا يطيقه سحر اهل الارض الا ان يكون امرا من السما فانه لا طاقة لهم به ثم بعث فرعون في مملكته فلم يترك ساحرا الا اتى به • واختلفوا في عدد السحرة الذي جمعهم فرعون • فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط وهم رييسا القوم وسبعون من بني اسرايل • وقال الكلبي

كان الذين يعلمونهم رجلين مجوسيين من اهل نينوى وكانوا سبعين غير
رئيسهم • وقال كعب الاحبار كانوا اثني عشر الفا • وقال محمد بن اسحاق
كانوا خمسة عشر الفا • وقال عكرمة كانوا سبعين الفا • وقال محمد بن
المنكدر كانوا ثمانين الفا • وقال السدي كانوا بضعا وثمانين الفا •
ويقال رئيس القوم شمعون • وقيل يوحنه **قوله عز وجل**
وجاء السحرة فرعون يعني لما اجتمعوا وجاؤا الى فرعون **قالوا اين لنا**
لاجرا يعني جعلا وعطا تكرمنا به **ان كنا نحن الغالبين** يعني لموسى قال
الامام فخر الدين الرازي ولقايل ان يقول كان حق الكلام ان يقول وجا
السحرة فرعون فقالوا ابا لنا وجوابه هو على تقدير سايل سال ما قالوا
اذا جاؤا فاجيب بقوله قالوا اين لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين **قال نعم**
يعني قال لهم فرعون لكم الاجر والعطا **وانكم لمن المقربين** يعني ولكم
المنزلة الرفيعة عندي مع الاجر والمعنى ان فرعون قال للسحرة اني لا
اقتصر بكم على الاجر بل ازيدكم عليه وتلك الزيادة اجعلكم من المقربين
عندي قال الكلبي تكونوا اول من يدخل علي واخر من يخرج من
عندي **قالوا** يعني السحرة **يا موسى اما ان تلقي** يعني عصاك **واما**
ان نكون نحن الملقين يعني عصينا وحبالنا في هذه الاية دقيقة لطيفة
وهي ان السحرة راعوا مع موسى عليه السلام حسن الادب حيث قدموه
على انفسهم في الالقا لا جرم ان الله عز وجل عوضهم حيث تادبوا مع نبيه
موسى صلى الله عليه وسلم ان من عليهم بالايمان والهداية ولما راعوا
الادب اولا واظهروا ما يدل على رغبتهم في ذلك **قال** يعني قال **لهم**
موسى القوا يعني انتم فقدمهم على نفسه في الالقا **فان قلت**
كيف جاز لموسى ان يامر بالالقا وقد علم انه سحر وفعل السحر كفر **قلت**
ذكر العلما عنه اجوبة • احدها ان معناه ان كنتم محقين في فعلكم فالقوا
والا فلا تلقوا • الجواب الثاني انما امرهم بالالقا لتظهر معجزته
لانه ان لم يلقوا حبالهم وعصيهم لم تظهر معجزة موسى في عصاه • الجواب
الثالث ان موسى علم انهم لا بد ان يلقوا تلك الحبال والعصي وانما وقع
التخيير في التقديم والتاخير فاذن لهم في التقديم لتظهر معجزته ادا يعنا
بغلبهم لانه لو القى اولا لم يكن لهم غلب وظهور عليهم فلهذا المعنى امرهم
بالالقا اولا **فلما القوا** يعني حبالهم وعصيهم **سحروا اعين الناس** يعني
صرفوا اعين الناس عن ادراك حقيقة ما فعلوه من التمويه والتخييل
وهذا هو السحر وهذا هو الفرق بين السحر الذي هو فعل البشر وبين
معجزة الانبيا التي هي فعل الله وذلك لان السحر قلب الاعين وصرفها
عن ادراك ذلك الشي والمعجزة قلب نفس الشي وحقيقته كقلب عصى

موسى عليه السلام حية تسعى **واسترهبوهم** يعني ارهبوهم وافزعوهم
بما فعلوه من السحر وهو قوله تعالى **وجاؤا** يعني السحرة **بسحر عظيم** وذلك
انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي حيات كامثال الجبال قد
ملات الوادي يركب بعضها بعضا ويقال انهم طلوا تلك الحبال
بالزيبق وجعلوا داخل تلك العصي زيبقا ايضا والقوها على الارض
فلما اثر حر الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض حتى تخيل
للناس انها حيات ويقال ان الارض كانت سعتها ميل في ميل
فصارت كلها حيات وافاعي ففزع الناس من ذلك واوجس
في نفسه خيفة موسى وهذه الخيفة لم تحصل لموسى عليه السلام
لاجل سحرهم لانه عليه السلام كان على ثقة ويقين من الله انهم
لن يغلبوه وانه غالبهم وكانوا عالما بان ما اتوا به على وجه
المعارضة لمعجزته فهو من باب السحر والتخييل وذلك باطل ومع
هذا الجزم يمتنع حصول الخوف لموسى من ذلك بل كان خوفه
عليه السلام لاجل فزع الناس واضطرابهم مما راوا من امر تلك
الحيات فخاف موسى عليه السلام ان يتفرقوا قبل ظهور معجزته
وحجته فلذلك اوجس في نفسه خيفة موسى • قوله تعالى **واوحينا**
الى موسى ان الق عصاك يعني فالقاها **فاذا هي تلقف** تبتلع **ما**
يافكون يعني ما يكذبون فيه السحرة لان اصل الافك قلب الشي
عن وجهه ومنه قيل للكذاب افاك لانه يقلب الكلام عن وجهه
الصحيح الى الباطل • قال المفسرون اوحى الله عز وجل الى موسى ان لا
تخف والق عصاك فالقاها فصارت حية عظيمة حتى سدت
الافق قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية فيقال بلغ ذنب
الحية من وراء البحر ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا فاذا هي تلقف يعني
تبتلع كل شي اتوا به من السحر فكانت تبتلع حبالهم وعصيهم واحدا
واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك المجمع
ففزعوا ووقع الزحام عليهم فمات من ذلك الزحام خمسة وعشرون
الفا ثم اخذها موسى فصارت في يده عصى كما كانت اول مرة
فلما راى السحرة ذلك عرفوا انه من امر السما وليس بسحر وعرفوا
ان ذلك ليس من قدرة البشر وقوتهم فعند ذلك خروا سجدا وقالوا
امنا برب العالمين وذلك قوله تعالى **فوقع الحق** يعني فظهر الحق
الذي جاء به موسى **وبطل ما كانوا يعملون** يعني من السحر وذلك
ان السحرة قالوا لو كان ما صنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا
فلما فقدت وتلاشت في عصى موسى علموا ان ذلك من امر الله وقدرته

فغلبوا هنالك يعني فعند ذلك غلب فرعون وسحرته وجموعه
وانقلبوا صاغرين يعني ورجعوا ذليلين مقهورين **والقي السحرة**
ساجدين يعني ان السحرة لما عاينوا من عظيم قدرة الله ما عاينوا
وليس في قدرتهم مقابلته بسحر خروا لله ساجدين وذلك ان الله عز
وجل الهمهم معرفته والايمان به **قالوا امنا برب العالمين** فقال
فرعون اياي تعنون قالوا بل **رب موسى وهارون** قال مقاتل
قال موسى لكبير السحرة تومن بي ان غلبتك فقال لاتين بسحر لا
يغلبه سحر ولئن غلبتني لاومنن بك وقيل ان الحبال والعصي التي
كانت مع السحرة كانت حمل ثلثماية بعير فلما ابتلعتها عصى
موسى كلها قال بعضهم لبعض هذا امر خارج عن حد السحر وما
هو الا من امر السما فامنوا وصدقوا **فان قلت** كان يجب
ان ياتوا بالايمان قبل السجود فما فايدة تقديم السجود على الايمان
قلت لما قذف الله في قلوبهم الايمان والمعرفة جاوا سجدا
لله تعالى شكرا على ما هداهم اليه والهمهم به من الايمان بالله
وتصديق رسوله ثم اظهروا بعد ذلك ايمانهم وقيل لما راوا من
عظيم قدرة الله وسلطانه في امر العصى وانه ليس يقدر على ذلك
احد من البشر وزالت كل شبهة كانت في قلوبهم بادروا الى السجود لله
تعظيما لشانه لما راوا من عظيم قدرته ثم انهم اظهروا الايمان باللسان
قال ابن عباس لما رات السحرة ما رات عرفت ان ذلك من امر السما
وليس بسحر خروا سجدا وقالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون
قوله عز وجل **قال فرعون امنتم به قبل ان اذن لكم** يعني قال
فرعون للسحرة امنتم بموسى وصدقتموه قبل ان امركم بذلك واذنت
لكم **ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة** يعني ان هذا الصنع الذي
صنعتموه انتم وموسى في مدينة مصر قبل خروجكم الى هذا الموضع
وذلك ان فرعون راى موسى يحدث كبير السحرة فظن فرعون ان
موسى وكبير السحرة قد تواطوا عليه وعلى اهل مصر وهو قوله **لتخرجوا**
منها اهلها وتستولوا عليها انتم **فسوف تعلمون** فيه وعيد وتهديد
يعني فسوف تعلمون ما افعل بكم ثم فسر ذلك الوعيد فقال **لاقطعن**
ايديكم وارجلكم من خلاف وهو ان يقطع احدى اليدين واحدى
الرجلين فيخالف بينهما في القطع **ثم لاصلبنكم اجمعين** يعني على
شاطي نيل مصر قال ابن عباس اول من صلب واول من قطع الايدي
والارجل فرعون **قالوا** يعني مجيبين لفرعون حين وعدهم بالقتل
انا الى ربنا منقلبون يعني الى ربنا راجعون والينا صابرون في

الآخرة

الاخرة **وما تنقم منا** يعني وما تكره منا وما تطعن علينا • وقال عطا
معناه وما لنا عندك من ذنب تعذبنا عليه **الا ان امنا بايات**
ربنا لما جاتنا ثم فزعوا الى الله تعالى وسالوه الصبر على تعذيب
فرعون اياهم فقالوا **ربنا افرغ علينا صبرا** اي اصبب علينا صبرا
كاملا تاما ولهذا اتى بلفظ التنكير يعني صبرا واي صبر عظيم •
وتوفنا مسلمين يعني واقبضنا على دين الاسلام وهو دين خليلك
ابراهيم عليه السلام • قال ابن عباس كانوا في اول النهار سحرة
وفي اخر النهار شهدا • قال الكلبي ان فرعون قطع ايديهم وارجلهم
وصلبهم • وقال غيره انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى لا يصلون
اليكما باياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون • قوله تعالى **وقال الملا**
من قوم فرعون اتذر موسى وقومه وقال جماعة من اشراف قوم
فرعون لفرعون اتدع موسى وقومه من بني اسرايل **ليفسدوا في**
الارض يعني ارض مصر واراد بالافساد فيها انهم يامرونهم بمخالفة
فرعون وهو قوله **ويذرك والهتك** يعني وتذروه ليذرك ويذر
الهتك ولا يعبدك ولا يعبدها • قال ابن عباس كانت لفرعون
بقرة وكان يعبدها وكان اذا راى بقرة حسنة امرهم بعبادتها
ولذلك اخرج لهم السامري عجلا • وقال السدي كان فرعون قد
اتخذ لقومه اصناما وكان يامرهم بعبادتها وقال لهم انا ربكم
ورب هذه الاصنام وذلك قوله انا ربكم الاعلى والاقرب ان يقال
ان فرعون كان دهريا منكرا لوجود الصانع وكان يقول مدبر هذا
العالم السفلي الكواكب فاتخذ اصناما على صورة الكواكب وكان يعبدها
ويامر بعبادتها وكان يقول في نفسه انه هو المطاع والمخدوم في الارض
فلهذا قال انا ربكم الاعلى وقرا ابن عباس وابن مسعود والشعبي
والضحاك ويذرك والاهتك بكسر الالف ومعناه ويذرك وعبادتك
فلا يعبدك لان فرعون كان يُعبد ولا يَعبُد • وقيل اراد بالالهة
الشمس والكواكب لانه كان يعبدها قال الشاعر •
• تروحنا من اللعبا قصرا • فاعجلنا الالهة ان توبا •
اراد بالالهة الشمس **قال** يعني فرعون مجيبا لقومه حين قالوا
اتذر موسى وقومه **سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم** يعني نتركهن
احيا وذلك ان قوم فرعون لما ارادوا حمل فرعون على قتل موسى وقومه
او حبس موسى وانزال العذاب بقومه ولم يقدر فرعون ان يفعل بموسى
عليه السلام شيا مما ارادوا به لقوة موسى بما معه من المعجزة عدل
الى قومه فقال سنقتل ابناهم ونستحيي نساهم وقال ابن عباس

كان قد ترك القتل في بني اسرايل بعد ما ولد موسى فلما جاء موسى
بالرسالة وكان من امره ما كان قال فرعون اعيدوا عليهم القتل
فاعادوا القتل على بني اسرايل والمعنى ان فرعون قال انما يتقوى
موسى بقومه فنحن نسعى في تقليل عدد قومه بالقتل لتقل شوكته
ثم بين فرعون انه قادر على ذلك بقوله وانا فوقهم قاهرون
يعني بالغلبة والقدرة عليهم ولما نزل ببني اسرايل ما نزل شكوا الى
موسى ما نزل بهم قال موسى لقومه يعني لما شكوا اليه استعينوا
بالله واصبروا يعني استعينوا بالله على فرعون وقومه فيما
نزل بكم من البلا فان الله هو الكافي لكم واصبروا على ما نالكم من
المكاره في انفسكم ان الارض لله يعني ارض مصر وان كانت الارض
كلها لله تعالى يورثها من يشا من عباده وهذا اطماع من موسى
لبني اسرايل ان يهلك فرعون وقومه ويملك بنوا اسرايل ارضهم
وبلادهم بعد اهلاكهم وهو قوله والعاقبة للمتقين يعني ان
النصر والظفر للمتقين على عدوهم وقيل اراد الجنة يعني ان
عاقبة المتقين الصابرين الى الجنة قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا
ومن بعد ما جيتنا قال ابن عباس لما امنت السحرة تبع موسى
ستمائة الف من بني اسرايل والمعنى ان بني اسرايل لما سمعوا ما قال
فرعون ووعد به من القتل مرة ثانية قالوا لموسى قد اوذينا من
قبل ان تاتينا يعني بالرسالة وذلك ان بني اسرايل كانوا
مستضعفين في يد فرعون وقومه وكان يستعملهم في الاعمال
الشاقة الى نصف النهار فلما جا موسى بالرسالة وجرى له ما جرى
شدد فرعون في استعمالهم فكان يستعملهم في جميع النهار واعاد
القتل عليهم فقالوا اوذينا من بعد ما جيتنا يعني بالرسالة
وظاهر هذا الكلام موهوم بان بني اسرايل كرهوا مجي موسى بالرسالة
وذلك كفر والجواب عن هذا الايهام بان موسى عليه السلام
كان قد وعدهم بزوال ما كانوا فيه من الشدة والمشقة فظنوا ان
ذلك يكون على الفور فلما راوا انه قد زادت الشدة عليهم قالوا
اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جيتنا فمتى يكون ما وعدتنا
به من زوال ما نحن فيه فقال موسى مجيبا لهم قال عسى ربكم ان
يهلك عدوكم يعني فرعون وقومه ويستخلفكم في الارض يعني
ويجعلكم تخلفونهم في ارضهم بعد هلاكهم فينظر كيف تعملون يعني
فيرى ربكم كيف تعملون من بعدهم قال الزجاج فيرى ذلك بوقوع
ذلك منهم لان الله تعالى لا يجازيهم بما يعلمه منهم انما يجازيهم على ما

يتبع العمل منهم قوله عز وجل ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين
يعني بالجدب والقحط تقول العرب مستهم السنة بمعنى اخذهم
الجدب في السنة ويقال اسنتوا كما يقال اجدبوا قال الشاعر
• ورجال مكة مسنتون عجاف • ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف ومعنى الاية ولقد اخذنا ال
فرعون بالجدب والقحط سنة بعد سنة ونقص من الثمرات يعني
وتلاف الغلات بالافات قال قتادة اما السنون فلاهل البوادي
واما نقص الثمرات فلاهل الامصار لعلهم يتذكرون يعني لعلهم
يتعظون فيرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي وذلك لان
الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل من الخير ثم
بين الله تعالى انه عند نزول تلك المحن عليهم والشدة لم يزدادوا الا
تمردا وكفرا فقال تعالى فاذا جاتهم الحسنة يعني الغيث
والخصب والسعة والعافية والسلامة من الافات قالوا لنا
هذه اي نحن مستحقون لها ونحن اهلها على العادة التي جرت لنا
في سعة الارزاق وصحة الابدان ولم يروا ذلك من فضل الله عليهم
فيشكروه على انعامه وان تصبهم سيئة يعني القحط والجدب
والمرض والبلا وراوا ما يكرهون في انفسهم يطيروا يعني يتشاموا
واصله يتطيروا والتطير التشام في قول جميع المفسرين بموسى
ومن معه يعني انهم قالوا ما اصابنا بلاء الا حين رايناهم وما ذلك
الا بشوم موسى وقومه قال سعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر كان
ملك فرعون اربعمائة سنة وعاش ستمائة سنة وعشرين سنة لم
ير مكروها قط ولو كان حصل له في تلك المدة جوع يوم او حمى ليلة
او وجع ساعة لما ادعى الربوبية قط الا انما طايرهم عند الله يعني
انما يصيبهم من الخير والجدب والخير والشر كله من الله قال ابن عباس
طايرهم ما قضي لهم وقدر عليهم من عند الله وفي رواية عنه شومهم
عند الله ومعناه انما جاهم بكفرهم بالله وقيل الشوم العظيم هو
الذي لهم عند الله من عذاب النار ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني
ان ما اصابهم من الله تعالى وانما قال اكثرهم لا يعلمون لكن اكثر
الخلق يضيفون الحوادث الى الاسباب ولا يضيفونها الى القضا
والقدر قوله تعالى وقالوا يعني قوم فرعون وهم القبط لموسى عليه
السلام مهما تاتنا به من اية يعني من عند ربك فهي عندنا سحر وهو
قولهم لتسحرنا بها يعني لتصرفنا عما نحن عليه من الدين فما نحن لك
بمومنين يعني بمصدقين وكان موسى عليه السلام رجلا حديدا مستجابا

الدعوة فدعا عليهم فاستجاب الله دعاه فقال تعالى **فارسلنا**
عليهم الطوفان قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد
ابن اسحاق دخل كلام بعضهم في بعض قالوا لما امنت السحرة ورجع
فرعون مغلوبا ابى هو وقومه الا الاقامة على الكفر والتمادي
في الشر فتابع الله عز وجل عليهم بالايات فاخذهم اولا بالسنين
وهو القحط ونقص الثمرات واراهم قبل ذلك من المعجزات اليد
والعصا فلم يومنوا فدعا عليهم موسى وقال يارب ان عبدك
فرعون علا في الارض وبغى وعتى وان قومه قد نقضوا العهد
رب فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة ولقومي عظة ولمن بعدهم
اية وعبرة فبعث الله عليهم الطوفان وهو الما فارسل الله عليهم
المطر من السما وبيوت بني اسرايل وبيوت القبط مختلطة
مشتبكة فامتلات بيوت القبط حتى قاموا في الما الى تراقيهم
ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الما في بيوت بني اسرايل
شي وركد الما على ارضهم فلم يقدروا على التحرك ولم يعملوا شيا ودام
ذلك الما عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت • وقال مجاهد
وعطا الطوفان الموت • وقال وهب الطوفان الطاعون بلغة
اهل اليمن • قال ابو قلابة الطوفان الجدري وهو اول من عذبوا
به ثم بقي في الارض • وقال مقاتل الطوفان الما طفا فوق حروثهم • وفي
رواية ابن عباس ان الطوفان امر من امر الله عز وجل طاف بهم فعند
ذلك قالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا المطر فنحن نومن بك
ونرسل معك بني اسرايل فدعا موسى عليه السلام ربه فرفع عنهم
الطوفان وانبت الله لهم تلك السنة شيا لم ينبته قبل ذلك من
الكلا والزرع والثمر واخصب بلادهم فقالوا ما كان هذا الما الا نعمة
علينا فلم يومنوا واقاموا شهرا في عافية فبعث الله عليهم الجراد
فاكل عامة زرعهم وثمارهم وورق الشجر حتى اكل الابواب وسقوف
البيوت والخشب والثياب والامتعة حتى اكل مسامير الحديد التي
في الابواب وغيرها وابتلى الجراد بالجوع فكان لا يشبع وامتلات
دور القبط ولم يصب بني اسرايل من ذلك شي فعجزوا وضجوا وقالوا
ياموسى ادع لنا ربك لين كشفت عنا الرجز لنومنن لك واعطوه
عهد الله وميثاقه بذلك فدعا موسى ربه عز وجل فكشف الله
عنهم الجراد بعد ما اقام عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت
وفي الخبر مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الاعظم ويقال ان موسى
عليه السلام خرج الى الفضا فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع

الجراد من حيث جا وكان قد بقي من زروعهم وثمارهم بقية فقالوا قد بقي
لنا ما هو كافينا فما نحن بتاركي ديننا فلم يومنوا ولم يفوا بما عاهدوا
عليه وعادوا الى اعمالهم الخبيثة فاقاموا شهرا في عافية ثم بعث الله
عز وجل عليهم القمل واختلفوا فيه فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس
ان القمل هو السوس الذي يخرج من الحنطة • وقال مجاهد وقتادة
والسدي والكلبي القمل الدبا وهو صغار الجراد الذي لا اجنحة له
وقال ابو عبيدة هو الحمنان وهو ضرب من القراد • وقال عطا
الخراساني هو القمل نفسه • وكان الحسن يقرا بفتح القاف وسكون
الميم • قال اصحاب الاخبار امر الله عز وجل موسى عليه السلام
ان يمشي الى كثيب رمل اعفر بقرية من قرى مصر يسمى عين
الشمس فمشى الى ذلك الكثيب فضربه بعصاه فانهار عليهم القمل
فتتبع ما بقي من حروثهم وزروعهم وثمارهم فاكلها ولحس
الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم وجلده فيعضه فاذا اكل
احدهم طعاما امتلا قملا • وقال سعيد بن المسيب القمل السوس
الذي يخرج من الحبوب وكان الرجل منهم يخرج بعشرة اجربة الى
الرحا فلا يرد منها بثلاثة اقفزة فلم يصابوا ببلا كان عليهم اشد من
القمل واخذت اشعارهم وابشارهم وحواجبهم واشفار عيونهم ولزم
جلودهم كانه الجدري ومنعهم النوم والقرار فصرخوا بموسى انا نتوب
فادع لنا ربك يكشف عنا هذا البلا فدعا موسى ربه فرفع الله عنهم
القمل بعد ما اقام عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت فنكثوا
بعد ذلك ورجعوا الى اخبث ما كانوا عليه من الاعمال الخبيثة
وقالوا ما كنا قط احق ان نستيقن انه ساحر منا اليوم يجعل الرمل
دواب فدعا موسى عليهم بعد ما اقاموا شهرا في عافية فارسل الله عليهم
الضفادع فامتلات منها بيوتهم وافنيتهم واطعمتهم وامتعتهم وانيتهم
فلا يكشف احد انا ولا طعاما الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل منهم
يجلس في الضفادع فيبلغ الى حلقه فاذا اراد ان يتكلم يثب الضفدع
فيدخل في فيه وكانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم طعامهم وتطفي
نيرانهم وكان احدهم اذا اضطجع ركبته الضفادع حتى تكون عليه
ركاما فلا يستطيع ان ينقلب الى شقه الايمن واذا اراد ان ياكل سبقه
الضفدع الى فيه ولا يعجن احدهم عجينا الا امتلا ضفادع ولا يفتح
قدرا الا امتلا ضفادع فلقوا من ذلك بلا شديدا • وروى عكرمة
عن ابن عباس قال كانت الضفادع برية فلما ارسلها الله عز وجل على
ال فرعون وسمعت واطاعت وجعلت تقذف بانفسها في القدور وهي

تغلي على النار وفي التنانير وهي تفور فاتاها الله عز وجل بحسن
طاعتها برد الما فلما راوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى ما يلقونه من
الضفادع وقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود فاخذ موسى عليهم
العهود والمواثيق ثم دعا الله عز وجل فكشف عنهم الضفادع بعد
ما اقامت سبعا من السبت الى السبت فاقاموا شهرا في عافية
ثم نقضوا العهد وعادوا الى كفرهم فدعا عليهم موسى فارسل الله
عز وجل عليهم الدم فسال النيل عليهم دما وصارت مياههم كلها
دما وكلما يستقون من الابار والانهار وجدوه دما عبيطا
فشكوا ذلك الى فرعون وقالوا ليس لنا شراب الا الدم فقال
سحركم فقالوا من اين يسحرنا ونحن لا نجد في اوعيتنا شيا من الما
الا دما عبيطا فكان فرعون يجمع القبطي والاسرائيلي على اناء واحد
فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويقومان للجرة
فيها الما فيخرج للقبطي دما وللاسرائيلي ماء حتى ان المراة من ال
فرعون تاتي الى المراة من بني اسرائيل حين جهدهم العطش فتقول
لها اسقيني من مائك فتصب لها من قربتها فتصير في الاناء دما
حتى كانت تقول اجعليه في فمك ثم مجيه في فمي فتفعل ذلك فيصير
دما ثم ان فرعون اعتراه العطش حتى انه ليضطر الى مضغ الاشجار
الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها دما فمكثوا على ذلك سبعة ايام
لا يشربون الا الدم • وقال زيد بن اسلم ان الدم الذي سلطه الله
عز وجل عليهم كان الرعاف فاتوا موسى وشكوا اليه ما يلقون
وقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنحن نؤمن بك ونرسل
معك بني اسرائيل فدعا موسى ربه فكشف ذلك عنهم فلم يؤمنوا
فذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم ايات مفصلات يعني يتبع بعضها بعضا وتفصيلها ان كل
عذاب كان يقيم عليهم اسبوعا وبين كل عذابين مدة شهر فاستكبروا
يعني عن الايمان فلم يؤمنوا وكانوا قوما مجرمين يعني ال فرعون
قوله تعالى ولما وقع عليهم الرجز يعني ولما نزل بهم العذاب الذي
ذكره في الاية المتقدمة من الطوفان وما بعده • قال سعيد بن جبير
الرجز الطاعون وهو العذاب السادس بعد الايات الخمس التي
تقدمت فنزل بهم الطاعون حتى مات منهم في يوم واحد سبعون
الفا فامسوا وهم لا يتدافنون ق عن اسامة بن زيد قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون رجز ارسل على طايفة من
بني اسرائيل او على من كان قبلكم فاذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه

واذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وقوله تعالى قالوا يا
موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك يعني بما اوصاك وقيل بما
نباك وقيل بما عهد عندك من اجابة دعوتك لين كشفت عنا
الرجز يعني العذاب الذي وقع بنا لنؤمنن لك ولنرسلن معك
بني اسرائيل يعني لنصدقن بما جيت به ولنخلين بني اسرائيل حتى
يذهبوا حيث شاوا فلما كشفنا عنهم الرجز يعني بدعوة موسى الى
اجل هم بالغوه يعني الى الوقت الذي اجل لهم وهو وقت اهلاكهم
بالغرق في اليم اذا هم ينكثون يعني اذا هم ينقضون العهد الذي
التزموه فلم يفوا به واعلم ان ما ذكر الله تعالى من هذه الايات هي معجزات
في الحقيقة دالة على صدق موسى عليه السلام • ووجه ذلك
ان العذاب كان مختصا بال فرعون دون بني اسرائيل فاختصاصه
بالقبطي دون الاسرائيلي معجز وكون بني اسرائيل في امان منه وعافية
وقوم فرعون في شدة وعذاب وبلا مع اتحاد المساكن معجز ايضا
فان اعترض معترض وقال ان الله تعالى علم من حال آل فرعون انهم
لا يؤمنون بتلك المعجزات فما الفايدة بتواليها عليهم واظهار التكثير
منها فالجواب على مذهب اهل السنة ان الله تعالى يفعل ما
يشا ويحكم ما يريد لا يسال عما يفعل واما على قول المعتزلة في رعاية
المصلحة فلعله تعالى علم من قوم فرعون ان بعضهم كان يؤمن
بتوالي تلك المعجزات وظهورها فلهذا السبب والاها عليهم والله
اعلم بمراده قوله عز وجل فانتقمنا منهم يعني كافيناهم عقوبة
لهم على سوء صنيعهم واصل الانتقام في اللغة سلب النعمة بالعذاب
فاغرقناهم في اليم والمعنى انه تعالى لما كشف عنهم العذاب مرات
فلم يؤمنوا ولم يرجعوا عن كفرهم فلما بلغوا الاجل الذي اجل لهم انتقم
منهم بان اهلكهم بالغرق فذلك قوله فاغرقناهم في اليم يعني البحر واليم
الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مايه • قال الازهري
اليم معروف لفظة سريانية عربتها العرب ويقع اسم اليم على البحر المالح
والبحر العذب ويدل على ذلك قوله فاقذفيه في اليم والمراد به نيل
مصر وهو عذب بانهم كذبوا باياتنا يعني اهلكناهم واغرقناهم
بسبب انهم كذبوا باياتنا الدالة على وحدانيتنا وصدق نبينا •
وكانوا عنها غافلين يعني معرضين وقيل كانوا عن حلول النقمة بهم
غافلين ولما كان الاعراض عن الايات وعدم الالتفات اليها كالغفلة
عنها سموا غافلين تجوزا لان الغفلة ليست من فعل الانسان قوله
تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون يعني ومكنا القوم

يعني عن اياتنا

الذين كانوا يقهرون ويغلبون على انفسهم وهو ان فرعون وقومه
كانوا قد تسلطوا على بني اسرايل فقتلوا ابناءهم واستخدموهم
فصاروا مستضعفين تحت ايديهم مشارق الارض ومغاربها
يعني ارض الشام والمصر واراد بمشارقها ومغاربها جميع جهاتها
ونواحيها وقيل المراد بمشارق الارض ومغاربها الارض المقدسة
وهو بيت المقدس وما يليه من الشرق والغرب وقيل اراد جميع جهات
الارض وهو اختيار الزجاج قال لان داود وسليمان كانا من بني
اسرايل وقد ملكا الارض وقوله التي باركنا فيها يدل على انها الارض
المقدسة يعني باركنا فيها بالثمار والاشجار والزروع والخصب
والسعة وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرايل يعني وفت
كلمة الله وهي وعدهم والنصر على عدوهم والتمكين في الارض من بعدهم
وقيل كلمة الله هي قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض
الاية والحسنى صفة للكلمة وهي تانيث الاحسن واتمامها انجاز ما
وعدهم به من تمكينهم في الارض واهلاك عدوهم بما صبروا يعني
انما حصل لهم ذلك التمام وهو ما انعم الله به عليهم من انجاز وعده
لهم بسبب صبرهم على دينه واذى فرعون لهم ودمرنا يعني
واهلكنا والدمار والهلاك باستيصال ما كان يصنع فرعون
وقومه في ارض مصر من العمارات والبنيان وما كانوا يعرشون
يعني يسقفون من ذلك البنيان ۝ وقال مجاهد ما كانوا
يبنون من البيوت والقصور ۝ وقال الحسن ما كانوا يعرشون
من الثمار والاعناب قوله عز وجل وجاوزنا ببني اسرايل
البحر يعني وقطعنا ببني اسرايل البحر بعد اهلاك فرعون
وقومه واعراقهم فيه يقال جاز الوادي وجاوزه اذا قطعه
وخلفه وراه ۝ وقال الكلبي عبر موسى البحر يوم عاشورا بعد مهلك
فرعون وقومه فصامه شكرا لله عز وجل فاتوا على قوم يعكفون
على اصنام لهم يعني فمر بنو اسرايل بعد مجاوزة البحر على قوم
يعكفون اي يقيمون ويواظبون على اصنام لهم يعني تماثيل لهم
كانوا يعبدونها من دون الله قال ابن جريج كانت تلك الاصنام
تماثيل بقر وذلك اول شان العجل قال قتادة اوليك القوم من
لخم كانوا نزولا بالرقة يعني بالرقة ساحل البحر وقيل كان اوليك
الاقوام من الكنعانيين الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم
قالوا يعني قالوا بني اسرايل لموسى لما راوا ذلك التمثال ياموسى
اجعل لنا الها يعني تمثالا نعبده ونعظمه كما لهم الهة يعني كما لهم

اصنام يعبدونها ويعظمونها فاجعل لنا انت الها نعبده ونعظمه
قال البغوي ولم يكن ذلك من بني اسرايل في وحدانية الله تعالى
وانما معناه اجعل لنا شيا نعظمه ونتقرب بتعظيمه الى الله تعالى وظنوا
ان ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم وقال غيره هذه
تدل على غاية جهل بني اسرايل وذلك انهم توهموا انه يجوز عبادة
غير الله بعد ما راوا الايات الدالة على وحدانية الله تعالى
وكمال قدرته وهي الايات التي توالت على قوم فرعون حتى غرقهم
الله في البحر بكفرهم وعبادتهم غير الله فحملهم جهلهم على ان قالوا
لنبيهم موسى عليه السلام اجعل لنا الها كما لهم الهة فرد موسى
عليه السلام بقوله قال انكم قوم تجهلون يعني تجهلون عظمة الله
وانه لا يستحق ان يعبد سواه لانه هو الذي انجاكم من فرعون وقومه
فاغرقهم في البحر وانجاكم منه عن ابي واقد الليثي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما خرج الى غزوة حنين مر بشجرة المشركين كانوا
يعلقون عليها اسلحتهم يقال لها ذات انواط فقالوا يا رسول
الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا الها
كما لهم الهة والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم اخرجه
الترمذي وقوله تعالى ان هولاء متبر ما هم فيه اي مهلك والتتبير
الهلاك وباطل ما كانوا يعملون البطلان عبارة عن عدم الشي
اما بعدم ذاته او بعدم فايدته ونفعه والمراد من بطلان عملهم انه
لا يعود عليهم من ذلك العمل نفع ولا يدفع عنهم ضر لانه عمل لغير الله
فكان باطلا لا نفع فيه قال اغير الله ابغيكم الها لما قال بنو
اسرايل لموسى اجعل لنا الها كما لهم الهة حكم عليهم بالجهالة وقال
مجيبا لهم على سبيل التعجب والانكار اغير الله ابغيكم الها يعني
اطلب لكم وابغي لكم الها وهو فضلكم على العالمين والمعنى ان الاله
ليس هو شيا يطلب ويلتمس ويتخير بل الاله هو الذي فضلكم على
العالمين لانه القادر على الانعام والافضال فهذا هو الذي
يستحق ان يعبد ويطاع لا عبادة غيره ومعنى قوله فضلكم على
العالمين يعني على عالمي زمانكم وقيل فضله بما خصهم به من
الايات الباهرة التي لم تحصل لغيرهم وان كان غيرهم افضل منهم
قوله تعالى واذ انجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب
يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم
هذه الاية تقدم تفسيرها في سورة البقرة والفايدة في ذكرها

في هذا الموضع انه تعالى هو الذي انعم عليكم بهذه النعم العظيمة
فكيف يليق بكم الاشتغال بعبادة غيره حتى تقولوا اجعل لنا الها
كما لهم آلهة **قوله عز وجل** **ووعدنا موسى ثلاثين ليلة**
يعني وواعدنا موسى لمناجاتنا ثلاثين ليلة وهي ذو القعدة
واتممناها بعشر يعني عشر ذي الحجة وهذا قول ابن عباس
ومجاهد قال المفسرون ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل
اذا اهلك الله عدوهم فرعون ان يأتيهم بكتاب من عند الله عز
وجل فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل
موسى ربه عز وجل ان ينزل عليه الكتاب الذي وعد به بني
اسرائيل فامره ان يصوم ثلاثين يوما فصامها فلما تمت انكر خلوف
فمه فتسوك بعود خرنوب وقيل بل اكل من ورق الشجر فقالت
الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره
الله ان يصوم عشر ذي الحجة وقال له اما علمت ان خلوف فم الصائم
اطيب عندي من ريح المسك فكانت فتنة بني اسرائيل في تلك
العشر التي زادها الله لموسى وقيل ان الله امر موسى عليه السلام
ان يصوم ثلاثين يوما و يعمل فيها بما يتقرب به ثم كلمه واعطاه
الالواح في العشر الذي زاده فلهذا قال واتممناها بعشر وهذا
التفصيل الذي ذكره هنا هو تفصيل ما اجمله في سورة البقرة
وهو قوله تعالى وواعدنا موسى اربعين ليلة فذكره هناك على
الاجمال وذكره هنا على التفصيل وقوله تعالى **فتم ميقات ربه**
ليلة يعني فتم الوقت الذي قدره الله لصوم موسى وعبادته
اربعين ليلة لان الميقات هو الوقت الذي قدر ان يعمل فيه
عملا من الاعمال وهذا قيل مواقيت الحج **وقال موسى لاخيه هارون**
اخلفني في قومي يعني كن انت خليفتي فيهم من بعدي حتى ارجع
اليك **واصلح** يعني واصلح امور بني اسرائيل واحملهم على عبادة
الله تعالى وقال ابن عباس يريد الرفق بهم والاحسان اليهم **ولا تتبع**
سبيل المفسدين يعني ولا تسلك طريق المفسدين في الارض
ولا تطعهم والمقصود من هذا الامر التأكيد لان هارون عليه
السلام لم يكن ممن يتبع سبيل المفسدين فهو كقوله ولكن ليطمئن
قلبي وكقوله للقاعد اقعد بمعنى دم على ما انت عليه من القعود
قوله تعالى **ولما جاء موسى لميقاتنا** يعني للوقت الذي وقتناه له
ان يأتي فيه لمناجاتنا وهو قوله **وكلمه ربه** وفي الاية دليل على ان الله
عز وجل كلم موسى عليه السلام • واختلف الناس في كلام الله تعالى

فقال الزمخشري كلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق
الكلام منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في الالواح هذا
كلامه وهذا مذهب المعتزلة ولا شك في بطلانه وفساده لان
الشجرة وذلك الجرم لا يقول انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم
الصلاة لذكري فثبت بذلك بطلان ما قالوه وذهبت الحنابلة
ومن وافقهم الى ان كلام الله حروف واصوات متقطعة وانه قديم
وذهب جمهور المتكلمين الى ان كلام الله تعالى صفة مغايرة لهذه
الحروف والاصوات وتلك الصفة قديمة ازلية والقائلون بهذا
القول قالوا ان موسى عليه السلام سمع تلك الصفة الازلية
الحقيقية قالوا كما انه لا يبعد رؤية ذاته وليست جسما ولا عرضا
كذلك لا يبعد سماع كلامه مع ان كلامه ليس بصوت ولا حرف
ومذهب اهل السنة وجمهور العلما من السلف والخلف ان الله
تعالى متكلم بكلام قديم وسكتوا عن الخوض في تاويله وحقيقته
قال اهل التفسير والاخبار لما جاء موسى عليه السلام لميقات ربه
تطهر وطهر ثيابه وصام ثم اتى طور سيناء وفي القصة ان الله تعالى
انزل ظلة تغشت الجبل على اربع فراسخ من كل ناحية وطرد عنه
الشيطان وهوام الارض ونحى عنه الملكين وكشط له السما فرأى
الملائكة قياما في الهوى ورأى العرش بارزا وادناه ربه حتى سمع
صريف الاقلام على الالواح وكلمه الله تبارك وتعالى وناجاه
واسمعه كلامه وكان جبريل عليه السلام معه فلم يسمع ما كلم الله
تعالى به موسى فاستحلى كلام ربه عز وجل واشتاق الى رؤيته **قال**
رب ارني انظر اليك قال الزجاج فيه اختصار تقديره ارني نفسك
انظر اليك وقال ابن عباس معناه اعطني انظر اليك وانما سأل
موسى عليه السلام الرؤية مع علمه بان الله تعالى لا يرى في الدنيا
لما هاج به من الشوق وفاض عليه من انوار الجلال واستغرق في
بحر المحبة فعند ذلك سأل الرؤية • وقيل انما سأل الرؤية ظنا منه
بانه تعالى يرى في الدنيا فقال تعالى له لن تراني يعني انه ليس لبشر
ان يراني في الدنيا ولا يطيق النظر الي في الدنيا ومن نظر الي في الدنيا
مات فقال موسى عليه السلام الهي سمعت كلامك فاشتقت
النظر اليك ولان انظر اليك ثم اموت احب الي من ان اعيش ولا
اراك • وقال السدي لما كلم الله موسى عليه السلام غاص عدو
الله ابليس في الارض حتى خرج من بين قدمي موسى فوسوس اليه
ان مكلمك شيطان فعند ذلك سأل موسى الرؤية فقال رب ارني

فصل

قال يعني قال الله تبارك وتعالى لموسى لن تراني انظر اليك
وقد تمسك من نفى الروية من اهل البدع والخوارج والمعتزلة وبعض
المرجية بظاهر الاية وهو قوله تعالى لن تراني قالوا ولن تكون للتابيد
والدوام ولا حجة لهم في ذلك ولا دليل ولا يشهد لهم في ذلك كتاب
ولا سنة وما قالوا في ان لن للتابيد خطاء بين ودعوي على اهل اللغة
اذ ليس يشهد لما قالوه نص على اهل اللغة والعربية ولم يقل به احد
منهم ويدل على صحة ذلك قوله تعالى في صفة اليهود ولن يتمنوه ابدا
مع انهم يتمنون الموت يوم القيمة يدل عليه قوله ونادوا يا مالك
ليقض علينا ربك وقوله يا ليتها كانت القاضية فان قالوا ان لنا
لن معناها تاكيد النفي كلا التي تنفي في المستقبل قلنا ان صح هذا
التاويل فيكون معنى لن تراني محمولا على الدنيا اي لن تراني في الدنيا
جمعا بين دلايل الكتاب والسنة فانه قد ثبت في الحديث الصحيح
ان المومنين يرون ربهم عز وجل يوم القيمة في الدار الاخرة وايضا فان
موسى عليه السلام كان عارفا بالله وبما يجب ويجوز ويمتنع على الله
عز وجل وفي الاية دليل على انه سال الروية ولو كان الروية ممتنعة
على الله تعالى لما سالها موسى وحيث سالها علمنا ان الروية جايزة
على الله تعالى وايضا فان الله تعالى عز وجل علق رويته على امر جايز
والمعلق على الجايز جايز فيلزم من ذلك كون الروية في نفسها جايزة
وانما قلنا ذلك لانه تعالى علق رويته على استقرار الجبل وهو قوله
تعالى **ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني** امر
جايز الوجود في نفسه واذا كان كذلك ثبت ان رويته جايزة الوجود
لان استقرار الجبل غير مستحيل عند التجلي اذا جعل الله له تعالى له
قوة على ذلك والمعلق بما لا يستحيل لا يكون محالا والله اعلم بمراده
قال وهب ومحمد بن اسحق لما سال موسى عليه السلام ربه عز
وجل الروية ارسل الله الضباب والصواعق والرعد والبرق والظلمة
حتى احاطت بالجبل الذي عليه موسى اربع فراسخ من كل جانب وامر
الله اهل السموات ان يعترضوا على موسى عليه السلام فمرت به
ملايكة السما الدنيا كثيران البقر تنبع افواهم بالتسبيح والتقديس
باصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد فقال موسى رب اني كنت عن
هذا غنيا ثم امر الله تعالى ملايكة السما الثانية ان اهبطوا على
موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه مثال الاسود لهم لجب بالتسبيح
والتقديس ففزع العبد الضعيف موسى بن عمران مما راى وسمع
واقشعرت كل شعرة في راسه وبدنه ثم قال ندمت على مسالتي

فهل

فهل يحييني من المكان الذي انا فيه شي فقال له خير الملايكة ورييسهم
اصبر لما سالت فقليل من كثير ما رايت ❊ ثم امر الله ملايكة السما
الثالثة ان اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه امثال
النسور لهم قصف ورجف ولجب شديد وافواههم تنبع بالتسبيح
والتقديس لهم جلب كجلب الجيش العظيم الوانهم كلهب النار ففزع
موسى واشتد فزعه وايس من الحياة فقال له خير الملايكة ورييسهم
مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا صبر لك عليه ❊ ثم امر الله
ملايكة السما الرابعة ان اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا
عليه لا يشبههم شي من الذين مروا قبلهم الوانهم كلهب النار وساير
خلقهم كالثلج الابيض اصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقاربهم
شي من اصوات الذين مروا به قبلهم فاصطكت ركبتاه وارعد
قلبه واشتد بكاه فقال له خير الملايكة ورييسهم يا ابن عمران اصبر
لما سالت فقليل من كثير ما رايت ❊ ثم امر الله تعالى ملايكة السما
الخامسة اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لهم سبعة
الوان فلم يستطع موسى ان يتبعهم بصره ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل اصواتهم
فامتلا جوفه خوفا واشتد حزنه وكثر بكاوه فقال له خير الملايكة
ورييسهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه ❊ ثم امر الله
تعالى ملايكة السما السادسة ان اهبطوا على موسى فهبطوا عليه
وفي يد كل واحد منهم مثل النخلة العظيمة الطويلة نارا اشد ضوا من
الشمس ولباسهم كلهيب النار اذا سبحوا وقدسوا اجابهم من كان قبلهم
من الملايكة كلهم يقولون بشدة اصواتهم سبوح قدوس رب العزة
ابدا لا يموت في راس كل منهم اربعة اوجه فلما راهم موسى رفع صوته
يسبح معهم وهو يبكي ويقول يا رب اذكرني ولا تنس عبدك فلا ادري
انفلت مما انا فيه ام لا ان خرجت احترقت وان اقمت مت فقال له
كبير الملايكة ورييسهم قد اوشكت يا ابن عمران ان يشتد خوفك وينخلع
قلبك فاصبر للذي سالت ❊ ثم امر الله ان يحمل عرشه في ملايكة السما
السابعة فلما بدا نور العرش انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه
وتعالى ورفعت الملايكة اصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس
رب العزة ابدا لا يموت فارتج الجبل لشدة اصواتهم واندك كل شجرة
كانت فيه وخر العبد الضعيف موسى صعقا على وجهه ليس معه
روحه فارسل الله تعالى برحمته الروح فتغشته وقلب عليه الحجر الذي
كان جلس عليه موسى فصار عليه كهيئة القبة لئلا يحترق موسى
واقامت الروح عليه مثل السلاسل فلما افاق موسى قام يسبح ويقول

امنت بك وصدقت انه لا يراك احد فنحي ومن نظر الى ملايكتك انخلع
قلبه فما اعظمك واعظم ملايكتك انت رب الارباب وملك الملوك
والاله العظيم لا يعدلك شي ولا يقوم لك شي رب تبت اليك الحمد لك
لا شريك لك ما اعظمك وما اجلك يا رب العالمين فذلك قوله تعالى
فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال ابن عباس ظهر نور ربه للجبل فصار
ترابا واسم الجبل زبير وقال الضحاك اظهر الله عز وجل نور الحجب
مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ما تجلى
للجبل من عظمة الله تعالى الا مثل سم الخياط حتى صار دكا وقال
السدي ما تجلى الا قدر الخنصر يدل عليه ما روي ثابت عن انس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية وقال هكذا او وضع
الابهام على المفصل الاعلى من الخنصر فساخ الجبل ذكره البغوي
هكذا بغير سند واخرجه الترمذي ايضا عن انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قرا هذه الاية فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال حماد
هكذا وامسك سليمان بطرف ابهامه على انملة اصبعه اليمنى فساخ
الجبل وخر موسى صعقا • قال الترمذي حديث حسن صحيح غريب
لا نعرفه الا من حديث حماد بن سلمة • ويروى عن سهل بن سعد
الساعدي ان الله اظهر من سبعين الف حجاب نورا قدر الدرهم
فجعل الجبل دكا يعني مستويا بالارض • وقال ابن عباس جعله ترابا
وقال سفيان ساخ الجبل حتى وقع في البحر فهو يذهب فيه وقال
عطية العوفي صار رملا هايلا • وقال الكلبي جعله دكا يعني كسيرا
جبالا صغارا وقيل انه صار لعظمة الله تعالى ستة اجبل فوقع ثلاث
بالمدينة وهي احد وورقان ورضوى ووقع ثلاثة بمكة وهي ثور
وثبير وحرا • وقوله تعالى **وخر موسى صعقا** قال ابن عباس والحسن
يعني مغشيا عليه • وقال قتادة يعني ميتا والاول اصح لقوله فلما
افاق والميت لا افاقة له انما يقال افاق من غشيه • قال الكلبي صعق
موسى يوم الخميس وهو يوم عرفة واعطي التورية يوم الجمعة يوم النحر
وقال الواقدي لما خر موسى صعقا قالت ملايكة السموات ما لابن
عمران وسوال الروية • وفي بعض الكتب ان ملايكة السموات اتوا
موسى وهو في غشيته فجعلوا يركلونه ويقولون يا ابن النسا الحيض
اطمعت في روية رب العزة **فلما افاق** يعني من غشيته ورجع عقله
اليه وعرف انه سال امرا عظيما لا ينبغي له **قال سبحانك** يعني
تنزيها لك من النقايص كلها **تبت اليك** يعني من مسئلتي الروية
بغير اذنك وقيل من سوال الروية في الدنيا • وقيل لما كانت الروية

مخصوصة بمحمد صلى الله عليه وسلم فمنعها قال سبحانك تبت اليك
يعني من سوالي ما ليس لي • وقيل لما سال الروية ومنعها قال تبت
اليك يعني من هذا السوال وحسنات الابرار سيات المقربين
وانا اول المومنين يعني بانك لا ترى في الدنيا وقيل وانا اول
المومنين يعني من بني اسرايل بقي في الاية سوالان الاول الروية
عين النظر فكيف قال ارني انظر اليك وعلى هذا يكون التقدير
ارني حتى اراك • والجواب ان معنى قوله ارني اجعلني متمكنا
من رويتك حتى انظر اليك واراك • السوال الثاني كيف
قال لن تراني ولم يقل لن تنظر الي حتى يكون مطابقا لقوله
انظر اليك والجواب ان النظر لما كان مقدمة الروية كان
المقصود هو الروية لا النظر الذي لا روية معه • السوال
الثالث كيف اتصل الاستدراك من قوله ولكن انظر الى الجبل
بما قبله والجواب ان المقصود منه تعظيم امر الروية وان احدا
لا يقوى على روية الله تعالى الا من قواه الله بمعونته وتاييده الا
ترى انه لما ظهر اثر التجلي للجبل اندك وتقطع فهذا هو المراد من
هذا الا انه يدل على تعظيم امر الروية والله اعلم بمراده **قوله**
عز وجل **قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي**
وبكلامي يعني قال الله تعالى لموسى يا موسى اني اخترتك واتخذتك
صفوة والاصطفا استخلاص من الصفوة والاجتبا والمعنى اني
فضلتك واجتبيتك على الناس وفي هذا تسلية لموسى عليه
السلام عن منع الروية حين طلبها لان الله تعالى عدد عليه نعمه
التي انعم بها عليه وامره ان يشتغل بشكرها كانه قال له ان كنت
منعت من الروية التي طلبت فقد اعطيتك من النعم العظيمة
كذا وكذا فلا يضيقن صدرك بسبب منع الروية وانظر الى ساير
انواع النعم التي خصصتك بها وهي الاصطفا على الناس برسالاتي
وبكلامي يعني من غير واسطة لان غيره من الرسل سمع كلام الله
تعالى بواسطة الملك **فان قلت** كيف قال اصطفيتك
على الناس برسالاتي مع ان كثيرا من الانبيا قد ساواه في الرسالة
قلت ذكر العلما من هذا السوال جوابين • احدهما ذكره
البغوي فقال لما لم تكن الرسالة على العموم في حق الناس كافة
استقام قوله اصطفيتك على الناس وان شاركه فيه غيره كما
يقول الرجل للرجل خصصتك بمشورتي وان كان قد شاور غيره
اذا لم تكن المشورة على العموم فيكون مستقيما وفي هذا الجواب نظر

لان من جملة من اصطفاه الله برسالته محمدا صلى الله عليه وسلم
وهو افضل من موسى عليه السلام فلا يستقيم هذا الجواب •
الجواب الثاني ذكره الامام فخر الدين الرازي فقال ان الله تعالى
بين انه خصه بمجموع امرين وهما الرسالة مع الكلام بغير واسطة
وانما كان الكلام بغير واسطة سببا لمزيد الشرف بناء على العرف
الظاهر لان من سمع كلام الملك المعظم من فيه كان اعلى واشرف
ممن سمعه بواسطة الحجاب والنواب وهذا الجواب فيه نظر ايضا
لان محمدا صلى الله عليه وسلم اصطفاه برسالته وكلمه ليلة المعراج
بغير واسطة وفرض عليه وعلى امته الصلوات وخاطبه بيا محمد
يدل عليه قوله فاوحى الى عبده ما اوحى ورفعه ورفعه الى حيث
سمع صريف الاقلام وهذا كله يدل على مزيد الشرف والفضل
على موسى وغيره من الانبيا فلا يستقيم هذا الجواب ايضا
والذي يعتمد في الجواب عن هذا السؤال ان الله اصطفى موسى
عليه السلام برسالته وبكلامه على الناس الذين كانوا في زمانه
وذلك انه لم يكن في ذلك الوقت اعلى منصبا ولا اشرف ولا افضل
منه وهو صاحب الشريعة وعليه نزلت التوراة فدل ذلك على
انه اصطفاه على ناس زمانه كما اصطفاه قومه على عالمي زمانهم
وهو قوله تعالى يا بني اسرايل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني
فضلتكم على العالمين قال المفسرون يعني على عالمي زمانهم وقوله
تعالى **فخذ ما اتيتك** يعني ما فضلتك وكرمتك به **وكن من
الشاكرين** يعني على انعامي عليك وفي القصة ان موسى عليه
السلام كان بعد ما كلمه ربه لا يستطيع احد ان ينظر اليه لما غشي
وجهه من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات وقالت له
زوجته انا لم ارك منذ كلمك ربك فكشف لها عن وجهه فاخذها
مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت ساجدة
وقالت ادع الله ان يجعلني زوجتك في الجنة قال ذلك لك ان لم
تتزوجي بعدي فان المراة لاخر ازواجها • قوله تعالى **وكتبنا
له في الالواح** قال عباس يريد الواح التوراة والمعنى وكتبنا
لموسى في الواح التوراة قال البغوي وفي الحديث كانت من سدر
الجنة طول اللوح اثني عشر ذراعا وجاء في الحديث خلق الله آدم
بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده • وقال الحسن
كانت الالواح من خشب • وقال الكلبي من زبرجدة خضرا وقال
سعيد بن جبير من ياقوتة حمرا وقال ابن جريج من زمرد امر الله

جبريل

جبريل حتى جاء بها من جنة عدن وكتبها بالقلم الذي كتب به الذكر
واستمد من نهر النور • وقال الربيع بن انس كانت الالواح من برد
وقال وهب امر الله بقطع الالواح من صخرة صما لينها له بيده
ثم شقها باصبعه وسمع موسى صرير القلم بالكلمات العشرة وكان
ذلك في اول يوم من ذي الحجة وكان طول الالواح عشرة اذرع
على طول موسى • وقيل ان موسى خر صعقا يوم عرفة واعطاه
الله تعالى التورية يوم النحر وهذا اقرب الى الصحيح واختلفوا
في عدد الالواح فروي عن ابن عباس انها كانت سبعة الواح
وروي عنه انها لوحان واختاره الفرا • قال وانما جمعت على
عادة العرب اطلاق الجمع على الاثنين • وقال وهب كانت عشرة
الواح • وقال مقاتل كانت تسعة • وقال الربيع بن انس نزلت
التوراة وهي وقر سبعون بعيرا يقرا الجزء منها في سنة ولم يقراها
الا اربعة نفر موسى ويوشع بن نون وعزير وعيسى عليهم السلام
والمراد بقوله لم يقروها يعني لم يحفظها ويقراها على ظهر قلبه
الا هولا الاربعة • وقال الحسن هذه الاية في التوراة بالف اية
يعني قوله وكتبنا له في الالواح **من كل شي** يعني يحتاج اليه من امر
ونهي **موعظة** يعني نهيا عن الجهل وحقيقة الموعظة التذكير
والتحذير مما يخاف عاقبته **وتفصيلا لكل شي** يعني وتبيينا لكل
شي من الامر والنهي والحلال والحرام والحدود والاحكام مما يحتاج
اليه في امور الدين روى الطبري بسنده عن وهب بن منبه
قال كتب له يعني في التوراة لا تشرك بي شيا من اهل السما ولا
من اهل الارض فان كل ذلك خلقي ولا تحلف باسمي كاذبا فان من
حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه • وروى البغوي باسناد الثعلبي عن
كعب الاحبار ان موسى عليه السلام نظر في التوراة فقال اني اجد
امة خير الامم اخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن
المنكر ويومنون بالكتاب الاول والكتاب الاخر ويقاتلون اهل
الضلالة حتى يقاتلون الاعور الدجال رب اجعلهم امتي قال
هي امة محمد يا موسى فقال يا رب اني لاجد امة هم الحمادون رعاة
الشمس المحكمون اذا ارادوا امرا قالوا نفعل ان شا الله فاجعلهم
امتي قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة ياكلون كفاراتهم وصدقا
وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار وهم المستجيبون والمستجاب
لهم الشافعون المشفوع لهم فاجعلهم امتي قال هي امة محمد فقال
يا رب اني اجد امة اذا اشرف احدهم على شرف كبر الله واذا اهبط

تهم •

وادبا احمد الله الصعيد لهم طهور والارض لهم مسجد حيث ما كانوا
يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد طهورهم بالماء حيث لا يجدون
الماء غر محجلون من اثار الوضوء فاجعلهم امتي قال هي امة محمد
قال رب اني اجد امة اذا هم احدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له
حسنة مثلها وان عملت كتبت له بعشر امثالها الى سبعماية ضعف
فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال اني اجد امة مرحومة ضعفا
يرثون الكتاب الذي اصطفيتهم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد
ومنهم سابق بالخيرات فلا اجد احدا منهم الا مرحوما فاجعلهم امتي
قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة مصاحفهم في صدورهم يلبسون
الوان ثياب اهل الجنة يصفون في صلاتهم صفوف الملايكة اصواتهم
في مساجدهم كدوي النحل لا يدخل النار احد منهم ابدا الا من يرى
الحساب مثل ما يرى الحجر من وراء الشجر فلما عجب موسى من الخير
الذي اعطاه الله محمدا وامته قال يا ليتني من اصحاب محمد فاوحى
الله اليه ثلاث ايات يرضيه بهن يا موسى اني اصطفيتك على
الناس برسالاتي وبكلامي الى قوله ساريكم دار الفاسقين ومن
قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضي موسى كل
الرضا وقوله تعالى **فخذها بقوة** يعني وقلنا لموسى اذا كتبنا له في
الالواح من كل شيء خذ بجد واجتهاد وقيل معناه فخذها بقوة قلب وصحة
عزيمة ونية صادقة لان من اخذ شيا بضعف نيته اداه الى الفتور
وامر قومك ياخذوا باحسنها قال ابن عباس يحلوا حلالها ويحرموا
حرامها ويتدبروا امثالها ويعملوا بمحكمها ويقفوا عند متشابهها وكان
موسى اشد عبادة من قومه فامر بما لم يومروا به وقيل ظاهر قوله
وامر قومك ياخذوا باحسنها يدل على ان بين التكليفين فرقا ليكون
في هذا الفصل فايدة وهي ان التكليف كان على موسى اشد لانه تعالى
لم يرخص له ما رخص لغيره من قومه **فان قلت** ظاهر قوله
ياخذوا باحسنها يدل على ان فيها ما ليس بحسن وذلك لم يقل به
احد فما معنى قوله ياخذوا باحسنها **قلت** ان التكليف كله حسن
وبعضه احسن كالقصاص حسن والعفو عنه احسن والانتصار حسن
والصبر احسن منه فامروا ان ياخذوا بالاشد على انفسهم ليكون ذلك
اعظم في الثواب وهو كقوله اتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وكقوله
الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقيل ان الحسن يدخل
تحته الواجب والمندوب والمباح والاحسن الاخذ بالاشد والاشق
على النفس وقيل معناه باحسنها بحسنها وكلها حسن وقوله تعالى

ساريكم

سأريكم دار الفاسقين وقال مجاهد يعني مصيركم في الاخرة
وقال الحسن وعطاء يريد جهنم يحذران يكونوا مثلهم وقال قتادة
سادخلكم الشام فاريكم منازل القرون الماضية الذين خالفوا الله
لتعتبروا وقال عطية العوفي يعني دار فرعون وقومه وهي مصر وقال
السدي يعني منازل الكفار وقال الكلبي هي منازل عاد وثمود والقرون
الذين اهلكوا فكانوا يمرون عليهم اذا سافروا **قوله عز وجل**
ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال ابن
يريد الذين يتجبرون على عباده ويحاربون اوليائي ساصرفهم عن
قبول اياتي والتصديق بها حتى لا يومنوا بي عوقبوا بحرمان الهداية
لعنادهم الحق وقال سليمان بن عيينة سامنعهم فهم القران وقيل
معناه ساصرفهم عن التفكير في خلق السموات والارض وما فيهما
من الايات والعبر وقيل حكم الاية لاهل مصر خاصة واراد بالايات
الايات التسع التي اعطاها الله موسى والاكثرون على ان الاية
عامة وفيها دليل لمذهب اهل السنة على ان الله تعالى يهدي
من يشاء ويضل من يشاء ويصرف عن اياته وقبول الحق من يشاء ويوفق
للتفكر في اياته وقبول الحق من يشاء لانه قادر على ما يشاء لا يسال
عما يفعل وهم يسالون ومعنى الذين يتكبرون انهم يرون انهم افضل
الخلق وان لهم من الحق ما ليس لغيرهم والتكبر على هذه الصفة
لا يكون الا لله عز وجل لانه هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس
لاحد سواه فالتكبر في صفة الله عز وجل صفة مدح وفي صفة المخلوق
صفة ذم لانه تكبر بما ليس له ولا يستحقه وقيل التكبر اظهار كبر
النفس على غيرها وهو صفة ذم في حق جميع العباد وقوله يتكبرون
من الكبر لا من التكبر اي يتفعلون التكبر ويرون انهم افضل من غيرهم
فلذلك يتكبرون في الارض بغير الحق بل بالباطل **وان يروا كل اية**
لا يومنوا بها وان يروا سبيل الرشد يعني طريق الحق والهدى
والسداد والصواب **لا يتخذوه سبيلا** يعني لا يختاروه لانفسهم طريقا
يسلكونه الى الهداية **وان يروا سبيل الغي** يعني طريق الضلال **يتخذوه**
سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا يعني ذلك الذي اختاروه لانفسهم
من ترك الرشد واتباع الغي بسبب انهم كذبوا بايات الله الدالة
على توحيده **وكانوا عنها غافلين** يعني عن التفكر فيها والاتعاظ بها
والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة يعني ولقاء الدار الاخرة التي فيها
الثواب والعقاب **حبطت اعمالهم** يعني بطلت وصارت كانه لم
تكن والمعنى انه قد يكون في الذين يكذبون بايات الله من يعمل

البر والاحسان والخير فبين الله تعالى بهذه الاية ان ذلك ليس
ينفعهم مع كفرهم وتكذيبهم بايات الله وانكار الدار الاخرة
والبعث هل يجزون الا ما كانوا يعملون يعني هل يجزون في العقبى
الاجزاء العمل الذي كانوا يعملونه في الدنيا قوله تعالى واتخذ
قوم موسى من بعده يعني من بعد انطلاق موسى الى الجبل ٥
لمناجاة ربه من حليهم يعني التي استعاروها من قوم فرعون
وذلك ان بني اسرائيل كان لهم عيد فاستعاروا من القبط الحلي ٥
ليتزينوا به في عيدهم فبقي عندهم الى ان اهلك الله فرعون
وقومه فبقي الحلي لبني اسرائيل ملكا لهم فلذلك قال تعالى من
حليهم فلما ابطا موسى عليهم جمع السامري ذلك الحلي وكان
رجلا مطاعا في بني اسرائيل فلذلك قال تعالى واتخذ قوم موسى
والمتخذ هو واحد فنسب الفعل الى الكل لانه كان برضاهم فكانهم
اجمعوا عليه وكان السامري رجلا صايغا فصاغ لهم عجلا جسدا
من ذلك الحلي وهو الذهب والفضة والقى في ذلك العجل من
تراب اثر فرس جبريل فتحول عجلا جسدا لحما ودما له خوار وهو
صوت البقر وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة وجمهور
اهل التفسير وقيل كان جسدا لا روح فيه وكان يسمع منه صوت
وقيل ان ذلك الصوت كان خفيف الريح وذلك انه جعله مجوفا
ووضع في جوفه انابيب على وضع مخصوص فاذا هبت الريح دخلت
في تلك الانابيب يسمع لها صوت كصوت البقر والقول الاول
اصح لانه كان يخور كثيرا وكلما خار سجدوا له واذا سكت رفعوا
روسهم قال وهب كان يسمع منه الخوار ولا يتحرك ٥ وقال السدي
كان يخور ويمشي الم يروا يعني الذين عبدوا العجل قيل ان بني اسرائيل
كلهم عبدوا العجل الا هارون عليه السلام بدليل قوله واتخذ قوم
موسى وهذا يفيد العموم ٥ وقيل ان بعضهم عبدوا العجل وهو الصحيح
واجيب عن قوله واتخذ قوم موسى انه خرج على الاغلب وكذا
قوله الم يروا انه يعني العجل الذي عبدوه انه لا يكلمهم ولا يهديهم
سبيلا يعني ان هذا العجل لا يمكنه ان يتكلم بصواب ولا يهدي الى
رشد ولا يقدر على ذلك ومن كان كذلك كان جمادا او حيوانا
ناقصا عاجزا وعلى كلا التقديرين لا يصلح لان يعبد اتخذوه وكانوا
ظالمين يعني لانفسهم حيث اعرضوا عن عبادة الله الذي يضر وينفع
واشتغلوا بعبادة العجل الذي لا يضر ولا ينفع ولا يتكلم ولا يهديهم
الى رشد وصواب ٥ قوله عز وجل ولما سقط في ايديهم

يعني

يعني ولما ندموا على عبادة العجل تقول العرب لكل نادم على امر قد
سقط في يده وذلك لان من شان من اشتد ندمه على امر ان يعض
يده ثم يضرب على فخذه فتصير يده ساقطة لان السقوط عبارة عن
النزول من اعلى الى اسفل ورأوا انهم قد ضلوا يعني وتيقنوا انهم على
الضلالة في عبادتهم العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا يعني
يتب علينا ويتجاوز عنا لنكونن من الخاسرين يعني الذين خسروا
انفسهم بوضعهم العبادة في غير موضعها وهذا كلام من اعترف
بعظيم ما اقدم عليه من الذنب وندم على ما صدر منه ورغب الى
الله تعالى في اقالة عثرته واعترافهم على انفسهم بالخسران ان لم
يغفر لهم ربهم ويرحمهم وهذا كلام التايب النادم على ما فرط
منه وانما قالوا ذلك لما رجع موسى عليه السلام اليهم وهو قوله
تعالى ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا يعني ولما رجع
موسى من مناجاة ربه الى قومه من بني اسرائيل رجع غضبان اسفا
لان الله كان قد اخبره انه قد فتن قومه وان السامري قد اضلهم
فكان موسى في حال رجوعه غضبان اسفا ٥ قال ابو الدرداء الاسف
اشد الغضب ٥ وقال ابن عباس والسدي الاسف الحزن والاسيف
الحزين ٥ قال الواحدي والقولان متقاربان لان الغضب من الحزن
والحزن من الغضب فاذا جاءك ما تكره ممن هو دونك غضبت
واذا جاءك ممن هو فوقك حزنت فتسمى احدى هاتين الحالتين حزنا
والاخرى غضبا فعلى هذا كان موسى عليه السلام غضبان على
قومه لاجل عبادتهم العجل اسفا حزينا لان الله فتنهم وان الله تعالى
كان قد اعلمه بذلك فحزن لاجل ذلك قال يعني موسى بئسما خلفتموني
من بعدي اي بئس الفعل فعلتم بعد فراقي اياكم وهذا الخطاب يحتمل
ان يكون لعبدة العجل من السامري واتباعه او لهارون والمومنين
من بني اسرائيل فعلى الاحتمال الاول في انه خطاب لعباد العجل يكون
المعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل وتركتم عبادة الله وعلى
الاحتمال الثاني وهو ان يكون الخطاب لهارون ومن معه من
المومنين يكون المعنى بئسما خلفتموني حيث لم تمنعوهم من عبادة
غير الله وقد رايتم مني الامر بتوحيد الله واخلاص العبادة له ونفي
الشركاء عنه وحمل بني اسرائيل على ذلك ومن حق الخلفاء ان يسيروا
بسيرة مستخلفهم وقوله اعجلتم امر ربكم معنى العجلة التقديم بالشي
قبل وقته ولذلك صارت مذمومة والسرعة غير مذمومة لان
معناها عمل الشي في اول وقته ولقايل ان يقول لو كانت العجلة

مذمومة لم ينل موسى عليه السلام وعجلت اليك رب لترضى ومعنى
الاية اعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له • وقال الحسن وعد ربكم الذى
وعدكم من الاربعين وذلك انهم قدروا انه ان لم يات على راس
الثلاثين فقد مات • وقيل معناه اعجلتم سخط ربكم بعبادة العجل
وقال الكلبى معناه اعجلتم بعبادة العجل قبل ان ياتيكم امر ربكم ولما
ذكر الله ان موسى رجع الى قومه غضبان ذكر بعده ما اوجبه
الغضب فقال تعالى **والقى الالواح** يعنى التى فيها التورية وكان
حاملا لها فالقاها من شدة الغضب قالت الرواة واصحاب الاخبار
كانت التوراة سبعة اسباع فلما القى موسى تكسرت فرفع منها
ستة اسباع وبقى سبع واحد فرفع منها ما كان من اخبار الغيب
وبقى ما فيه المواعظ والاحكام والحلال والحرام وروى ان الله
تعالى اخبر موسى بفتنة قومه وعرف موسى ان ما اخبره الله به
وصدق ومع ذلك لم يلق التورية من يده فلما رجع الى قومه
وعاين ذلك وشاهده القى التورية وهذا كما قيل ليس الخبر
كالمعاينة **واخذ براس اخيه يجره اليه** قيل انما اخذ بشعر راسه
ولحيته من شدة غضبه وقال ابن الانبارى لما رجع موسى ه
ووجد قومه مقيمين على المعصية اكبر ذلك واستعظمه فاقبل
على اخيه هرون يلومه ومد يده الى راسه لشدة مواخذته عليه
اذ لم يلحق به فيعرفه خبر بنى اسرائيل فيرجع وئيلا فاعلمه
هرون انه انما اقام بين اظهرهم خوفا على نفسه من القتل وهو
قوله تعالى **قال** يعنى هرون **ابن ام** انما قال هرون لموسى ابن ام
وان كان لاب وام ليرققه وليستعطفه عليه **ان القوم** يعنى
الذين عبدوا العجل **استضعفونى** اى استذلونى وقهرونى **وكادوا
يقتلوننى** اى وقاربوا وهموا ان يقتلوننى **فلا تشمت بى الاعدا**
اصل الشماتة الفرح ببلية من تعاديه ويعاديك يقال شمت
فلان بفلان اذا سر بمكروه نزل به والمعنى لا تسر الاعدا بما تناله
منى من مكروه **ولا تجعلنى مع القوم الظالمين** يعنى الذين
عبدوا العجل **قال رب اغفر لى** يعنى ان موسى عليه السلام لما
تبين له عذر اخيه هرون قال رب اغفر لى ما صنعت الى اخى
هرون يريد ما اظهر من المواخذة عليه فى وقت الغضب **ولاخى**
يعنى واغفر لاخى هرون ان كان وقع منه تقصير فى الانكار على عبدة
العجل **وادخلنا** يعنى جميعا **فى رحمتك** يعنى فى سعة رحمتك **وانت
ارحم الراحمين** وهذا فيه دليل على الترغيب فى الدعا لان من هو

ارحم الراحمين لعبد يؤمل منه الرحمة وفيه تقوية لطمع الداعى فى
نجاح طلبته **ان الذين اتخذوا العجل** يعنى الها عبدوه من دون الله
سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا يعنى سينالهم
عقوبة من ربهم وهوان بسبب كفرهم وعبادتهم العجل وذلك فى
عاجل الحياة الدنيا ثم للمفسرين فى هذه الاية قولان احدهما ان
المراد بالذين اتخذوا العجل باشروا عبادته وعلى هذا القول ففى
الاية سؤال وهو ان اوليك الاقوام الذين اتخذوا العجل تابوا الى
الله بقتلهم انفسهم كما امر الله فتاب عليهم فكيف ينالهم الغضب
والذلة مع التوبة **والجواب** ان ذلك الغضب انما حصل لهم
فى الدنيا وهو نفس القتل فكان ذلك القتل غضبا عليهم والمراد
بالذلة هو استسلامهم انفسهم للقتل واعترافهم على انفسهم بالضلال
والخطا **فان قلت** السين فى قوله سينالهم للاستقبال
فكيف تكون للماضى **قلت** هذا الكلام انما هو خبر عما اخبر
الله به موسى عليه السلام حين اخبره بافتتان قومه واتخاذهم
العجل ثم اخبره الله فى ذلك الوقت انه سينالهم غضب من ربهم
وذلة فكان هذا الكلام سابقا لوقوعه وهو القتل الذى امرهم
الله به بعد ذلك • وقال ابن جريج فى هذه الاية ان هذا الغضب
والذلة لمن مات منهم على عبادة العجل ولمن فر من القتل وهذا
الذى قاله ابن جريج وان كان له وجه لكن جميع المفسرين على خلافه
القول الثانى ان المراد بالذين اتخذوا العجل اليهود الذين كانوا
فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم • قال ابن عباس هم الذين ادركوا
النبى صلى الله عليه وسلم واباوهم هم الذين عبدوا العجل واراد بالغضب
عذاب الاخرة وبالذلة فى الدنيا الجزية • وقال عطية العوفى سينال
اولاد الذين عبدوا العجل وهم الذين كانوا على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم واراد بالغضب والذلة ما اصاب بنى النضير وبنى
قريظة من القتل والجلا وعلى هذا ففى تقدير الاية وجهان • الاول
ان العرب تعير الابنا بقبايح افعال الابا كما تفعل ذلك فى المناقب
فتقول للابنا فعلتم كذا وفعلتم كذا وانما فعل ذلك من مضى من
ابايهم فكذلك ههنا وصف اليهود الذين كانوا فى زمان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بانهم اتخذوا العجل وان كان اباوهم فعلوا ذلك
ثم حكم على اليهود الذين كانوا فى زمنه بانهم سينالهم غضب من ربهم
فى الاخرة وذلة فى الحياة الدنيا • **الوجه** الثانى ان تكون الاية
من باب حذف المضاف والمعنى ان الذين اتخذوا العجل وباشروا

عبادته سبيل اولادهم ثم حذف المضاف لدلالة الكلام عليه وقوله تعالى **وكذلك نجزي المفترين** يعني وكما جزينا هؤلاء الذين اتخذوا العجل الها كذلك نجزي كل من افترى على الله كذبا او عبد غيره • قال ابو قلابة هي والله جزاء كل مفتر الى يوم القيمة ان يذله الله • وقال سفين بن عيينة هذا في كل مبتدع الى يوم القيمة • وقال مالك بن انس ما من مبتدع الا وهو يجد فوق راسه ذلة ثم قرا هذه الاية • قال والمبتدع مفتر في دين الله **والذين عملوا السيئات** يعني عملوا الاعمال السيئة ويدخل في ذلك كل ذنب كبير وصغير حتى الكفر فما دونه **ثم تابوا من بعدها** يعني ثم رجعوا الى الله من بعد اعمالهم السيئة **وامنوا** يعني وصدقوا بالله تعالى وانه يقبل توبة التايب ويغفر الذنوب **ان ربك** يا محمد او ايها الانسان التايب **من بعدها** يعني من بعد توبتهم **لغفور رحيم** يعني انه تعالى يغفر الذنوب ويرحم التايبين وفي الاية دليل على ان السيات باسرها صغيرها وكبيرها مشتركة في التوبة وان الله تعالى يغفرها جميعا بفضله ورحمته وتقدير الاية ان من اتى جميع السيات ثم تاب الى الله واخلص التوبة فان الله يغفرها له ويقبل توبته وهذا من اعظم البشاير للمذنبين التايبين قوله تعالى **ولما سكت عن موسى الغضب** يعني سكن لان السكوت اصله الامساك عن الشيء ولما كان السكوت بمعنى السكون استعير في سكوت الغضب لان الغضب لا يتكلم لكنه لما كان بفورته دالا على نفس الغضب بمنزلة الناطق فاذا سكنت تلك الفورة كان بمنزلة السكوت عما كان متكلما به وقيل معناه ولما سكت عن موسى الغضب فهو من المقلوب كما تقول ادخلت القلنسوة في راسي والمعنى ادخلت راسي في القلنسوة والقول الاول اصح لانه قول اهل اللغة والتفسير **اخذ الالواح** يعني التي القاها قال الامام فخر الدين وظاهر هذا يدل على ان الالواح لم تتكسر ولم يرفع من التورية شي **وفي نسختها** النسخ عبارة عن النقل والتحويل فاذا نسخت كتابا من كتاب حرفا بحرف فقد نسخت ذلك الكتاب فهو نقلك ما في الاصل الى الفرع فعلى هذا قيل اراد بها الالواح لانها نسخت من اللوح المحفوظ • وقيل اراد بها النسخة المكتتبة من اللوح التي اخذها موسى بعد ما انكسرت وقال ابن عباس وعمرو بن دينار لما القى موسى الالواح فتكسرت صام اربعين يوما فردت عليه في لوحين وفيها ما في الاولى بعينه

فتكون

فتكون نسختها • وعلى قول من قال ان الالواح لم تتكسر واخذها موسى بعينها بعد القاها يكون معنى وفي نسختها المكتوب فيها **هدى ورحمة** قال ابن عباس يعني هدى من الضلالة ورحمة من العذاب **للذين هم لربهم يرهبون** يعني للخايفين من ربهم •

قوله عز وجل وَاختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا

الاختيار افتعال من لفظ الخير يقال اختار الشي اذا اخذ خيره وخياره والمعنى واختار موسى من قومه فحذف كلمة من وذلك شايع في العربية لدلالة الكلام عليه قال اصحاب الاخبار ان موسى عليه السلام اختار من كل سبط من قومه ستة نفر فكانوا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال لمن قعد منكم اجر مثل من خرج فقعد يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وقيل انه لم يجد الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار من الشباب عشرا فاختارهم فاصبحوا شيوخا فامرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم ذهب بهم الى ميقات ربه • واختلف اهل التفسير في ذلك الميقات فقيل انه الميقات الذي كلمه فيه ربه وسال فيه الروية وذلك انه لما خرج الى طور سينا اخذ معه هولا السبعين فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود من الغمام حتى احاط بالجبل كله ودخل موسى فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا وسمعوا الله وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل كذا لا تفعل كذا فلما انكشف الغمام اقبلوا على موسى وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهي المراد من الرجفة المذكورة في هذه الاية • وقال السدي ان الله امر موسى ان ياتيه في ناس من بني اسرايل يعتذرون اليه من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار موسى من قومه سبعين رجلا ثم ذهب بهم الى ميقات ربه ليعتذروا فلما اتوا ذلك المكان قالوا لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة فانك قد كلمته وارناه فاخذتهم الصاعقة فماتوا فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول رب ماذا اقول لبني اسرايل اذا اتيتهم وقد اهلكت احبارهم رب لو شيت اهلكتهم من قبل واياي • وقال محمد بن اسحاق اختار موسى من بني اسرايل سبعين رجلا الخير فالخير وقال انطلقوا الى الله فتوبوا اليه مما صنعتم وسلوه التوبة على من تركتم وراكم من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم فخرج بهم الى طور سينا لميقات وقته له ربه وكان لا ياتيه الا باذن منه وعلم فقال له السبعون فيما ذكر لي حين فعلوا ما امرهم به وخرجوا

معه للمقام للقاء ربه فقالوا لموسى اطلب لنا لنسمع كلام ربنا فقال
افعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى غشى الجبل
كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا فكان موسى اذا كلمه
ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع احد من بنى ادم ان
ينظر اليه فضرب الله دونه بالحجاب ودنوا القوم حتى دخلوا فى الغمام
ووقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل لا
تفعل فلما فرغ اليه من امره انكشف عن موسى الغمام فاقبل
اليهم فقالوا لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة
وهى الصاعقة فماتوا جميعا فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب
اليه يقول رب لو شيت اهلكتهم من قبل واياى وقال ابن عباس
كان الله امر موسى ان يختار من قومه سبعين رجلا فاختار
سبعين رجلا فبرزبهم ليدعوا ربهم فكان فيما دعوا الله ان قالوا
اللهم اعطنا ما لم تعطه احدا قبلنا ولا تعطه احدا بعدنا فكره
الله ذلك من دعايهم فاخذتهم الرجفة قال رب لو شيت اهلكتهم
من قبل واياى • وقيل انما اخذتهم الرجفة من اجل انهم ادعوا على
موسى انه قتل هرون • قال على بن ابى طالب انطلق موسى وهرون
الى سفح جبل فنام هرون على سرير فتوفاه الله فلما رجع موسى الى
بنى اسرايل قالوا له انت قتلته حسدتنا على خلقه ولينه وكان
هرون حسن الخلق محببا فى بنى اسرايل فقال لهم موسى اختاروا
من شيتم فاختاروا سبعين رجلا فلما انتهوا اليه قالوا يا هارون
من قتلك قال ما قتلنى احد ولكن الله توفانى فاخذتهم الرجفة
فجعل موسى يرجع يمينا وشمالا ويقول رب لو شيت اهلكتهم من قبل
واياى الاية قال فاحياهم الله عز وجل وصاروا انبيا • وقيل
انما اخذتهم الرجفة لتركهم فراق عبدة العجل لانهم كانوا احب
عبدته قال ابن عباس انما تناولتهم الرجفة لانهم لم يزايلوا القوم
حين نصبوا العجل وقد كرهوا ان يجالسوا عليه • قال ابن جريج
فلما خرجوا ودعوا الله اماتهم ثم احياهم • وقال مجاهد واختار
قومه سبعين رجلا لميقاتنا والميقات الموعد فلما اخذتهم
الرجفة بعد ان خرج موسى بالسبعين من قومه يدعون الله
ويسالونه ان يكشف عنهم البلا فلم يستجب لهم علم موسى انهم
قد اصابوا من المصيبة ما اصاب قومهم • وقال محمد بن كعب
القرظى لم يستجب لهم من اجل انهم لم ينهوهم عن المنكر ولم يامروهم
بالمعروف فاخذتهم الرجفة فماتوا ثم احياهم الله وقوله تعالى

فلما

فلما اخذتهم الرجفة اصل الرجف الاضطراب الشديد الذى يحصل
معه التغير او الهلاك ولهذا اختلفوا فى تلك الرجفة التى حصلت
لهولا وهل كان معها موت ام لا فمعظم الروايات التى تقدمت انهم ماتوا
بسبب تلك الرجفة وقال وهب بن منبه لم تكن الرجفة موتا
ولكن القوم لما راوا تلك الهيبة اخذتهم الرعدة وقلقوا ورجفوا
حتى كادت ان تبين مفاصلهم فلما راى موسى ذلك رحمهم وخاف
عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا له وزرا على الخير
سامعين مطيعين فعند ذلك دعا موسى وبكى وناشد ربه
فكشف الله عنهم تلك الرجفة فاطمانوا وسمعوا كلام الله فذلك
قوله فلما اخذتهم الرجفة **قال** يعنى موسى **رب** اى يا رب **لو
شيت اهلكتهم من قبل** يعنى من قبل عبادتهم العجل **واياى**
وذلك انه خاف ان يتهمه بنوا اسرايل على السبعين اذا رجع اليهم
وما هم معه ولم يصدقوه بانهم ماتوا فقال رب لو شيت اهلكتهم
من قبل يعنى قبل خروجهم الى الميقات واياى معهم فكان بنوا
اسرايل يعاينون ذلك ولا يتهمونى **اتهلكنا بما فعل السفها منا**
قال الفراطى موسى انهم اهلكوا باتخاذ اصحاب العجل فقال
اتهلكنا بما فعل السفها منا يعنى عبدة العجل وانما اهلكوا بسبب
مسالتهم الروية وهو قولهم ارنا الله جهرة وهذا قول الكلبى وجماعة
وقال جماعة من اهل العلم لا يجوز ان يظن بموسى ان الله تعالى
يهلك قوما بذنوب غيرهم ولكن اتهلكنا بما فعل السفها منا استفهام
بمعنى الجحد اى لست تفعل ذلك وهذا قول ابن الانبارى وقال
المبرد هذا استفهام استعطاف اى لا تهلكنا **ان هى الا فتنتك**
قال الواحدى الكناية فى هى تعود الى الفتنة كما تقول انا هو الا زيد
والمعنى ان تلك الفتنة التى وقع فيها السفها لم تكن الا فتنتك
اى اختبارك وابتلاوك وهذا تاكيد لقوله اتهلكنا بما فعل
السفها منا لان معناه لا تهلكنا بفعلهم فان تلك الفتنة كانت
اختبارا منك وابتلاء اضللت بها قوما فافتتنوا وهديت
قوما فعصمتهم حتى ثبتوا على دينك وهو المراد من قوله **تضل
بها من تشا وتهدى من تشا** قال الواحدى وهذه الاية من
الحجج الظاهرة على القدرية التى لا يبقى معهم عذر **انت ولينا**
يعنى انت يا ربنا ناصرنا وحافظنا وهذا يفيد الحصر اى لا ولى
لنا ولا ناصر ولا حافظ الا انت **فاغفر لنا** سال موسى عليه
السلام لنفسه ولقومه الغفران اما لنفسه فلقوله ان هى الا

فتنتك وهذا فيه اقدام على الحضرة المقدسة واما لقومه فلقولهم
ارنا الله جهرة وفي هذا اقدام على الحضرة المقدسة فلهذا السبب
سال موسى الغفران له ولقومه وارحمنا اي واشملنا برحمتك التي
وسعت كل شي وانت خير الغافرين يعني ان كل من سواك انما
يغفر الذنب طلبا للثنا الجميل او لدفع ضرر واما انت يا رب
فتغفر ذنوب عبادك لا لطلب عوض ولا غرض بل لمحض الفضل
والكرم فانت خير الغافرين قوله تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا
حسنة وفي الاخرة يعني قال موسى في دعائه واكتب لنا في هذه
الدنيا حسنة اي واجعلنا ممن كتبت له حسنة وهي ثواب ٥
الاعمال الصالحة وفي الاخرة اي واكتب لنا في الاخرة مغفرة لذنوبنا
انا هدنا اليك قال ابن عباس معناه انا تبنا اليك وهذا قول
جميع المفسرين واصل الهود الرجوع برفق قال بعضهم وبه سميت
اليهود وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم فلما نسخت شريعتهم صار
اسم ذم وهو لازم لهم قال يعني قال الله عز وجل لموسى عليه السلام
عذابي اصيب به من اشا يعني من خلقي وليس وليس لاحد على
اعتراض لان الكل ملكي وعبيدي ومن تصرف في خالص ملكه
فليس لاحد عليه اعتراض ورحمتي وسعت كل شي يعني ان رحمته
سبحانه وتعالى عمت خلقه كلهم وقال بعضهم هذا من العام اريد به
الخاص فرحمة الله عمت البر والفاجر في الدنيا وهي للمومنين خاصة
في الاخرة • وقيل للمومنين خاصة في الدنيا والاخرة ولكن الكافر
يرزق ويدفع عنه ببركة المومن لسعة رحمة الله له فاذا كان
يوم القيمة وجبت للمومنين خاصة • قال جماعة من المفسرين
لما نزلت ورحمتي وسعت كل شي تطاول ابليس اليها وقال انا
من ذلك فنزعها الله من ابليس فقال تعالى فساكتبها للذين
يتقون ويوتون الزكاة والذين هم باياتنا يومنون فايس ٥
ابليس منها وقالت اليهود نحن نتقي ونوتي الزكاة ونومن بايات
ربنا فنزعها الله من اليهود واثبتها لهذه الامة فقال الذين
يتبعون الرسول النبي الامي الاية وقال نوفل البكالي لما اختار
موسى من قومه سبعين رجلا قال تعالى لموسى اجعل لك الارض
مسجدا وطهورا تصلون حيث ادركتم الصلاة الا عند مرحاض او
حمام او قبر واجعل السكينة في قلوبكم واجعلكم تقرون التوراة عن
ظهر قلوبكم يقراها الرجل والمراة والحر والعبد والصغير والكبير
فقال موسى ذلك لقومه فقالوا لا نريد نصلي الا في الكنائس ولا

نستطيع

قال اجعلني
نسخه

نستطيع ان نقرا التوراة عن ظهر قلوبنا ولا نريد ان نقراها الا نظرا
قال الله تعالى فساكتبها للذين يتقون الى قوله اولئك هم
المفلحون فجعلها الله لهذه الامة فقال موسى رب اجعلني
نبيهم قال انك لن تدركهم • قال موسى يا رب اتيتك بوفد بني
اسرايل فجعلت وفادتنا لغيرنا فانزل الله ومن قوم موسى امة
يهدون بالحق وبه يعدلون فرضي موسى اما التفسير فقوله الذين
يتقون يعني الشرك وساير ما نهوا عنه لان جميع التكاليف محصورة
في نوعين • الاول المتروك وهي الاشيا التي يجب على الانسان تركها
والاحتراز عنها ولا يقربها واليه الاشارة بقوله الذين يتقون والثاني
الافعال المامور بها وتلك الاعمال بدنية او قلبية • اما البدنية
فاليه الاشارة بقوله ويوتون الزكاة وهذه وان كانت في حق المال
لكن يختص البدن باخراجها والاعمال القلبية فالايمان والمعرفة
واليه الاشارة بقوله والذين هم باياتنا يومنون قوله عز وجل
الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم
في التوراة ذكر الامام فخر الدين في معنى هذه التبعية وابد الضحاك
والربيع قالوا هم قوم خلف الصين باقصى المشرق على نهر يجري الرمل ٥
يسمى نهر اردان ليس لاحد منهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويصحون
بالنهار الى وجهين • احدهما ان المراد بذلك ان يتبعوه باعتقاد نبوته
من حيث وجدوا صفته في التوراة اذ لا يجوز ان يتبعوه في شرايعه
قبل ان يبعث الى الخلق قال وفي قوله والانجيل ان المراد وسيجدونه
مكتوبا في الانجيل لان من المحال ان يجدوه فيه قبل ما انزل الله ٥
الانجيل الوجه الثاني ان المراد من الحق من بني اسرايل زمان
رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين تعالى ان هولا اللاحقين لا
يكتب لهم رحمة الا اذا اتبعوه قال وهذا القول اقرب لان اتباعه
قبل ان يبعث لا يمكن فبين بهذه الاية ان هذه الرحمة لا يفوز بها
من بني اسرايل الا من اتقى واتى الزكاة وآمن بالايات في زمن موسى
ومن كانت هذه صفته في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
مع ذلك متبعا للنبي صلى الله عليه وسلم في شرايعه فعلى هذين
الوجهين يكون المراد بقوله الذين يتبعون الرسول من بني اسرايل
خاصة وجمهور المفسرين على خلاف ذلك فانهم قالوا المراد بهم جميع
امته الذين امنوا به واتبعوه سوا كان من بني اسرايل او غيرهم
واجمع المفسرون على ان المراد بقوله الذين يتبعون الرسول محمد صلى
الله عليه وسلم وصفه بكونه رسولا لانه الواسطة بين الله وبين خلقه

المبلغ رسالاته واوامره ونواهيه وشرايعه اليهم ثم وصفه بكونه
نبيا وهذا ايضا من اعلى المراتب واشرفها وذلك يدل على انه رفيع
القدر والدرجة عند الله المخبر عنه ثم وصفه بالامى قال ابن عباس
هو نبيكم صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يقرا ولا يكتب ولا يحسب
قال الزجاج فى معنى الامى هو الذى على صفة امة العرب لان العرب
اكثرهم لا يكتب ولا يقرا ولا يحسب فالنبى صلى الله عليه وسلم كان
كذلك فلهذا وصفه الله تعالى بكونه اميا وصح فى الحديث انه صلى
الله عليه وسلم قال نحن امة امية لا نكتب ولا نحسب قال اهل
التحقيق وكونه صلى الله عليه وسلم كان اميا فهو من اكبر معجزاته
واعظمها وبيانه انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذا الكتاب العظيم
الذى اعجز الخلايق فصاحته وبلاغته وكان يقراه عليهم بالليل
والنهار من غير زيادة فيه ولا نقصان منه ولا تغيير فدل ذلك
على معجزته وهو قوله تعالى سنقريك فلا تنسى وقيل انه لو كان
يحسن الكتابة ثم انه اتى بهذا القران العظيم لكان متهما فيه لاحتمال
انه كتبه ونقله عن غيره فلما كان اميا واتى بهذا الكتاب العظيم الذى
فيه علم الاولين والاخرين والمغيبات دل ذلك على كونه معجزة له
صلى الله عليه وسلم • وايضا فان الكتابة تعين الانسان على الاشتغال
بالعلوم وتحصيلها ثم انه اتى بهذه الشريعة الشريفة والاداب
الحسنة مع علوم كثيرة وحقايق دقيقة من غير مطالعة كتب ولا
اشتغال على احد دل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم
وقيل فى معنى الامى الذى هو منسوب الى امه كانه لم يخرج بعد عن
ما ولدته • وقيل سمى اميا لانه منسوب الى ام القرى وهى مكة وقوله
تعالى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يعنى
يجدون صفته ونعته ونبوته مكتوبة عندهم يعرفونها علماؤهم
واحبارهم ولكنهم كتموا ذلك وبدلوه وغيروه حسدا منهم له وخوفا
على زوال رياستهم وقد حصل لهم ما كانوا يخافونه فقد زالت رياستهم
ووقعوا فى الذل والهوان خ عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله
ابن عمرو بن العاص فقلت اخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى التوراة فقال اجل انه لموصوف فى التوراة ببعض
صفته فى القران يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وحرزا للاميين انت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا
غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو
ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا بان يقولوا لا اله الا

الله

الله ويفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا • شرح غريب
الفاظه الفظ السيئ الخلق • والغليظ الجافى القاسى • وقوله
سخاب يقال سخاب بالسين والصاد وهو الكثير الصياح فى الاسواق
والاعوجاج ضد الاستقامة واراد بالملة العوجا الكفر والقلب
الاغلف الذى لا يصل اليه شى ينفعه شبهه بالاغلف كانه فى غلاف
وروى البغوى بسنده عن كعب الاحبار • قال انى اجد فى التوراة
مكتوبا محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا
يجزى بالسيئة ولكن يعفو ويصفح امته الحامدون يحمدون الله
فى كل منزلة ويكبرونه على كل نجد يا تزرون على انصافهم ويوضوون
اطرافهم صفهم فى الصلاة وصفهم فى القتال سواء منادبهم ينادى
فى جو السما لهم فى جوف الليل دوى كدوى النحل مولده بمكة
ومهاجره بطيبة وملكه بالشام وقوله يامرهم بالمعروف يعنى
بالايمان وتوحيد الله وينهاهم عن المنكر يعنى عن الشرك بالله
وقيل المعروف ما عرف فى الشريعة والسنة والمنكر ما لا يعرف فى
شريعة ولا سنة • وقال عطا يامرهم بالمعروف بخلع الانداد
ومكارم الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم عن المنكر عن عبادة الاوثان
وقطع الارحام ويحل لهم الطيبات يعنى بذلك ما كان محرما عليهم
فى التوراة من الطيبات وهو لحوم الابل وشحم الغنم والمعز والبقر
وقيل هو ما كانوا يحرمونه على انفسهم فى الجاهلية من البحاير والسوايب
والوصايل والحامى • وقيل هى المستلذات التى تستطيبها الانفس ويحرم
عليهم الخبايث قال ابن عباس يريد الميتة والدم ولحم الخنزير وقيل
هو ما يستخبثه الطبع وتستقذره النفس فان الاصل فى المضار الحرمة
الا ما له دليل منفصل بالحل ويضع عنهم اصرهم يعنى ثقلهم واصل الاصر
الثقل الذى ياصر صاحبه اى يحبسه عن الحركة لثقله والمراد بالاصر
هنا العهد والميثاق الذى اخذ على بنى اسرايل ان يعملوا بما فى التوراة
من الاحكام وكانت تلك شديدة والاغلال التى كانت عليهم يعنى
ويضع الانقال والشدايد التى كانت عليهم فى الديانة الدين والشرايعة
وذلك مثل قتل النفس فى التوبة وقطع الاعضا الخاطية وقرض
النجاسة عن البدن والثوب بالمقراض وتعيين القصاص فى القتل
وتحريم اخذ الدية وترك العمل فى السبت وان صلاتهم لا تجوز الا فى
الكنايس وتتبع العروق من اللحم وغير ذلك من الشدايد التى كانت
لبنى اسرايل شبهت بالاغلال مجازا لان التحريم يمنع من الفعل كما ان
الغل يمنع من الفعل • وقيل شبهت بالاغلال التى تجمع اليد الى العنق

كما ان اليد لا تمتد مع وجود الغل فكذلك لا تمتد الى الحرام التي نهيت
عنه وكانت هذه الاثقال في شريعة موسى عليه السلام فلما جاء
محمد صلى الله عليه وسلم نسخ ذلك كله ويدل عليه قوله صلى الله
عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحة **فالذين امنوا به**
يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم **وعزروه** يعني وقروه وعظموه واصل
التعزير المنع والنصرة وتعزير النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمه
واجلاله ودفع الاعداء عنه وهو قوله **ونصروه** يعني على اعدائه
واتبعوا النور الذي انزل معه يعني القران سمي القران نورا لانه
يستنير به قلب المومن فيخرج به ظلمات الشك والجهالة الى ضيا
اليقين والعلم **اولئك هم المفلحون** يعني هم الناجون الفايزون
بالهداية قوله تعالى **قل يايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا**
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد للناس اني رسول الله
اليكم جميعا لا الى بعضكم دون بعض ففي الاية دليل على عموم رسالته
الى كافة الخلق لان قوله يايها الناس خطاب عام يدخل فيه جميع
الناس ثم امره الله عز وجل بان يقول اني رسول الله اليكم جميعا
وهذا يقتضي كونه مبعوثا الى جميع الناس **ق** عن جابر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي
كان كل نبي يبعث الى قومه خاصا وبعثت الى كل احمر واسود واحلت
لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض طيبة وطهورا ومسجدا
فايما رجل ادركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب على العدو
بين يدي مسيرة شهر واعطيت الشفاعة • وفي رواية اعطيت
خمسا لم يعطهن احد من الانبيا نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت
لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل
واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان
النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة • وقوله في
الرواية الاولى وبعثت الى كل احمر واسود • قيل اراد بالاحمر العجم
وبالاسود العرب وقيل اراد بالاحمر الانس وبالاسود الجن فعلى
هذا تكون رسالته صلى الله عليه وسلم عامة الى كافة الخلق من
الانس والجن **م** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فضلت على الانبيا بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب
واحلت لي الغنايم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى
الخلق كافة وختم بي النبيون وقوله تعالى **الذي له ملك السموات
والارض** لما امر الله عز وجل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بان

يقول

يقول يايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا اردفه بما يدل على صحة
دعواه يعني ان الذي له ملك السموات والارض وهو مدبرهما
ومالك امرهما هو الذي ارسلني اليكم وامرني ان اقول اليكم اني
رسوله اليكم جميعا **لا اله الا هو يحيي ويميت** وصف الله نفسه
بالالهية وانه لا شريك له فيهما وانه القادر على ارسال الرسل الى
خلقه فامنوا بالله ورسوله لما امر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم
بان يقول للناس اني رسول الله اليكم جميعا امر الله جميع خلقه
بالايمان به وبرسوله وذلك بان الايمان بالله هو الاصل والايمان
برسوله فرع عليه فلهذا ابتدا بالايمان بالله ثم ثنى بالايمان
برسوله فقال **فامنوا بالله ورسوله** ثم وصفه فقال تعالى
النبي الامي وتقدم معناهما **الذي يومن بالله وكلماته** قال قتادة
يعني اياته وتعم وهي القران • وقال مجاهد والسدي اراد بكلماته
عيسى بن مريم لانه خلق بقوله كن فكان • وقيل هو العموم يعني يومن
بجميع كلمات الله تعالى **واتبعوه** يعني واقتدوا به ايها الناس فيما
يامركم به او ينهاكم عنه • وقيل المتابعة على قسمين متابعة في الاقوال
ومتابعة في الافعال • اما المتابعة في الاقوال بان يمتثل التابع
جميع ما يامر به المتبوع على طريقة الامر والنهي والترغيب والترهيب
واما المتابعة في الافعال بان يقتدي به في جميع افعاله وادابه
الا ما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت الدليل انه
من خصايصه فلا متابعة فيه وقوله تعالى **لعلكم تهتدون**
اي لكي تهتدوا وترشدوا وتصيبوا الحق والصواب في متابعتكم
اياه **قوله عز وجل ومن قوم موسى** يعني من بني اسرايل **امة** اي
جماعة **يهدون بالحق** يعني يهتدون بالحق ويستقيمون عليه
ويعملون به ويرشدون اليه **وبه يعدلون** يعني وبالحق يحكمون
وبالعدل ياخذون ويعطون وينصفون واختلفوا في هولاء من
هم الذين اسلموا من بني اسرايل مثل عبد الله بن سلام واصحابه فانهم
امنوا بموسى والتورية وامنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران
واعترض على هذا بانهم كانوا قليلين ولفظ الامة يقتضي الكثرة
واجيب عنه بانهم لما كانوا مخلصين في الدين جاز اطلاق لفظ
الامة عليهم كما في قوله ان ابراهيم كان امة • وقيل هم قوم بقوا على
الدين الحق الذي جاء به موسى عليه السلام قبل التحريف والتبديل
ودعوا الناس اليه • وقال السدي وابن جريج وجماعة من المفسرين
ان بني اسرايل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرا

سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله ان يفرق بينهم وان يبعدهم
عنهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه حتى خرجوا من وراء
الصين فهم هنالك حنفاء مسلمون مستقبلون قبلتنا • قال ابن
جريج قال ابن عباس ساروا في السرب سنة ونصفا رواه الطبري
وحكى البغوي عن الكلبي والضحاك والربيع قالوا هم قوم خلف
الصين باقصى الشرق على نهر يجري الرمل يسمى نهر اردان ليس
لاحد منهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويصحون بالنهار
ويزرعون ولا يصل اليهم احد منا وهم على الحق • وذكر لنا ان جبريل
ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به فكلمهم فقال لهم
جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي
فامنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا ان من ادرك منكم
احمد فليقرأ مني السلام فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على
موسى وعليهم السلام واقرأهم عشر سور من القران نزلت عليه بمكة
وامرهم بالصلاة والزكاة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون
فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت وهذه حكاية ضعيفة من وجوه
الاول ان قولهم ان احدا منا لا يصل اليهم واذا كان الامر كذلك فمن ذا
الذي اوصل خبرهم الينا • الوجه الثاني قولهم ان جبريل ذهب
بالنبي صلى الله عليه وسلم اليهم ليلة اسري به وهذا لم يرد بنقل
صحيح ولا رواه احد من ائمة الحديث ولا يلتفت الى قول الاخباريين
والقصاص في ذلك • الوجه الثالث قولهم انهم بلغوا النبي صلى
الله عليه وسلم سلام موسى وقد صح في حديث المعراج انه سلم عليه
في السماء السادسة وايضا قولهم اقرأهم عشر سور وقد نزلت عليه
بمكة اكثر من ذلك وكان فرض الزكاة بالمدينة فكيف يامرهم بها قبل
فرضها فاذا ثبت بما ذكرناه بطلان هذه الرواية فالمختار في تفسير
هذه الاية اما انها ان تكون نزلت في قوم متمسكين بدين موسى قبل
التبديل والتغيير ثم ماتوا وهم على ذلك واما ان تكون نزلت فيمن
اسلم من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبد الله
واصحابه والله اعلم بمراده قوله تعالى وقطعناهم يعني وفرقنا بني
اسرائيل اثنتي عشرة اسباطا يعني من اولاد يعقوب لان يعقوب هو
اسرائيل واولاده الاسباط وكانوا اثني عشر ولدا امما يعني جماعات
وقبائل واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه يعني في التيه ان اضرب
بعصاك الحجر فانبجست يعني انفجرت وقيل عرقت وهو الانبجاس
منه اي من الحجر اثنتي عشرة عينا يعني لكل سبط عين قد علم كل اناس

مشربهم يعني لا يدخل سبط على سبط في مشربهم وظللنا عليهم الغمام
يعني في التيه يقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن هو الترنجبيل
والسلوى جنس من الطير جعل الله عز وجل ذلك طعاما لهم في
التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم اي وقلنا كلوا وما ظلمونا ولكن
كانوا انفسهم يظلمون في الكلام حذف ترك ذكره للاستغناء عنه
ولدلالة الكلام عليه تقديره وكلوا من طيبات ما رزقناكم فاجمعوا
ذلك وسئموه وقالوا لن نصبر على طعام واحد وسألوا غيره لان
المكلف اذا امر بشيء فتركه وعدل عنه الى غيره يكون عاصيا بفعله
ذلك فلهذا قال وما ظلمونا وما ادخلوا علينا في ملكنا وسلطاننا
نقصا بمسألتهم ما سألوا ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعني بمخالفتهم
ما امروا به وقد تقدم بسطه على تفسير هذه الاية في سورة البقرة
وقوله تعالى واذ قيل لهم اي اذكر يا محمد لقومك اذ قيل لهم يعني لبني
اسرائيل اسكنوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل في سورة البقرة
ادخلوا هذه القرية ولا منافاة بينهما لان كل ساكن في موضع لا بد له
من الدخول اليه وكلوا منها حيث شئتم يعني وكلوا من ثمار القرية
وزروعها وحبوبها وبقولها حيث شئتم ومن شئتم قال في البقرة
فكلوا بالفاء وهنا بالواو والفرق بينهما ان الدخول حالة مقتضية للاكل
عقب الدخول فحسن دخول الفاء التي هي للتعقيب ولما كانت السكنى
حالة استمرار حسن دخول الواو وعقب السكنى فيكون الاكل حاصلا
متى شاؤوا وانما قال في سورة البقرة رغدا ولم يقله هنا لان الاكل
عقيب الدخول الذ واكمل فاما الاكل مع السكنى والاستمرار فليس
كذلك فحسن دخول لفظة رغدا هناك بخلاف هنا وقولوا حطة اي
حط عنا ذنوبنا وادخلوا الباب سجدا وقال في سورة البقرة عكس
اللفظ ولا منافاة في ذلك لان المقصود من ذلك تعظيم امر الله واظهار
الخشوع والخضوع له فلم يتفاوت الحال بحسب التقديم والتاخير نغفر
لكم خطاياكم يعني نغفر لكم ذنوبكم ولا نؤاخذكم بها وانما قال هنا
خطيئتكم في البقرة خطاياكم لان المقصود غفران ذنوبهم سواء كانت قليلة
او كثيرة اذا اتوا بالدعاء والتضرع سنزيد المحسنين وقال في سورة البقرة
وسنزيد المحسنين بالواو ومعناه انه قد وعد للمحسنين بالغفران
وبالزيادة للمحسنين من الثواب واسقاط الواو لا يخل بذلك المعنى
لانه استئناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران
فقيل له سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل
لهم يعني فغير الذين ظلموا انفسهم بمخالفة امرنا من بني اسرائيل

فقالوا غير الذى قيل لهم وامروا بذلك وذلك انهم امروا ان يقولوا
حطة فقالوا حنطة فى شعير فكان ذلك تبديلهم وتغييرهم **فارسلنا
عليهم رجزا من السما** يعنى بعثنا عليهم عذابا من السما اهلكهم ولا
منافاة بين قوله فى سورة البقرة انزلنا لانهما لا يكونا الا من اعلى الى
اسفل • وقيل بينهما فرق وهو ان الانزال لا يشعر بالكثرة والارسال
يشعر بذلك فكانه تعالى بدا بانزال العذاب قليلا ثم ارسل عليهم
كثيرا **بما كانوا يظلمون** يعنى ارسال العذاب عليهم بسبب ظلمهم
ومخالفتهم امر الله تعالى وقال فى البقرة بما كانوا يفسقون والجمع
بينهما انهم لما ظلموا انفسهم بما غيروا وبدلوا فسقوا بذلك وخرجوا
عن طاعة الله تعالى وقد تقدمت هذه القصة ايضا فى سورة البقرة
قوله عز وجل واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر
الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى سل يا محمد هولا اليهود الذين هم
جيرانك اى حال اهل القرية وهذا السوال سوال توبيخ وتقريع
لا سوال استعلام لانه صلى الله عليه وسلم كان قد علم حال هذه
القرية بوحى الله عز وجل واخباره اياه حالهم وانما المقصود من
هذا السوال تقريرا عند اليهود واقدامهم على الكفر والمعاصى وان
اصرارهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وانكار نبوته ومعجزته
ليس بشى قد حدث منهم فى زمانه بل اصرارهم على الكفر كان حاصلا
لاسلافهم فى قديم الزمان وفى الاخبار بهذه القصة معجزة للنبى صلى
الله عليه وسلم لانه كان اميا لم يقرا الكتب القديمة ولم يعرف
اخبار الاولين ثم اخبرهم بما جرى لاسلافهم فى قديم الزمان وانه بسبب
مخالفتهم امر الله عز وجل مسخوا قردة • واختلفوا فى هذه القرية قال
ابن عباس بين مصر والمدينة والمغرب • وقيل بين مدين والطور
على شاطى البحر • وقال الزهرى هى طبرية الشام • وفى رواية ابن
عباس قال هى مدين • وقال وهب هى مقنا بين مدين وعيونا
يعنى عن القرية التى كانت على ساحل البحر قريبة منه **اذ يعدون فى
السبت** يعنى يتجاوزون حد الله فيه وما امرهم به من تعظيمه
فخالفوا امر الله وصادوا فيه السمك **اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم
شرعا** يعنى ظاهرة على الما كثيرة وقال الضحاك تاتيهم متتابعة
يتبع بعضها بعضا وقيل كانت تاتيهم يوم السبت مثل الكباش السمان
البيض **ويوم لا يسبتون لا تاتيهم** يعنى الحيتان **كذلك نبلوهم** يعنى
مثل هذا الاختبار الشديد نختبرهم ونحن اعلم بحالهم **بما كانوا يفسقون**
يعنى ان ذلك الابتلا والاختبار بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله

وما

وما امروا به قال اهل التفسير ان اليهود امروا بيوم الجمعة فتركوه
واختاروا السبت فابتلوا به وهو ان الله امرهم بتعظيمه ونهاهم
عن العمل فيه وحرم عليهم فيه الصيد فلما اراد الله ان يبتليهم كانت
الحيتان تظهر لهم فى يوم السبت ينظرون اليها فى البحر فاذا انقضى
السبت ذهبت فلم تظهر الى السبت المقبل بل ابتلوا به فوسوس
اليهم الشيطان وقال ان الله لم ينهكم عن الاصطياد وانما نهاكم عن
الاكل فاصطادوا • وقيل انه وسوس اليهم انكم انما نهيتم عن الاخذ
فاتخذوا حياضا على ساحل البحر فتاتى اليها الحيتان يوم السبت
فاذا كان يوم الاحد اخذوها ففعلوا ذلك زمانا ثم انهم تجرؤا على
السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد حل لنا فاصطادوا واكلوا
وباعوا وصار اهل القرية اجزا ثلاثا وكانوا نحو من سبعين
الفا فثلث نهوا عن الاصطياد وثلث سكتوا ولم ينهوا وقالوا
للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم وثلث هم اصحاب الخطيئة
الذين خالفوا امر الله واصطادوا وباعوا واكلوا فلم ينتهوا عما
هم فيه من المعصية قال الناهون لا نساكنكم فى قرية واحدة فقسموا
القرية بينهم بجدار للناهين باب يدخلون ويخرجون به وللعاصين
باب ولعنهم داود عليه السلام وكانوا فى زمنه فاصبح الناهون
ذات يوم ولم يخرج من المعتدين فقالوا ان لهم شانا لعل الخمر قد غلبتهم
فعلوا الجدار الذى بينهم فاذا هم قد مسخوا قردة ففتحوا عليهم الباب
ودخلوا اليهم فصار القردة يعرفون انسابهم من الناس ولم يعرف
الناس انسابهم من القردة فجعلت القردة تاتى انسابها من الناس
فتشم ثيابهم فيقولون لهم الم ننهكم فتقول القردة براسها نعم فنجا
الناهون وهلك سايرهم فذلك قوله تعالى **واذ قالت امة منهم
لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة
الى ربكم** واختلفوا فى القايلين هذه المقالة فقال بعض المفسرين
ان اهل القرية افترقوا ثلاث فرق فرقة اعتدت واصابت الخطيئة
وفرقة نهتهم عن ذلك الفعل وفرقة امسكت عن الصيد وسكتت
عن موعظة المعتدين وقالوا للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم
يعنى انهم لامرهم عن موعظة قوم يعلمون انهم غير متعظين ولا منزجرين
فقالت الفرقة الناهية الذين لاموهم معذرة الى ربكم يعنى ان
موعظتنا اياهم معذرة الى ربكم لان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
واجب علينا فوعظناهم لئلا يقولوا لا عذر لنا عند الله **ولعلهم يتقون** اى وجايز
عندنا ان ينتفعوا بالموعظة فيتقوا الله ويتركوا ما هم فيه من
الصيد وقال بعضهم ان اهل القرية كانوا فرقتين فرقة نهت وزجرت

عن الشر وفرقة عملت السوء فعلى هذا يكون الذي قالوا لم تعظون قوما
الله مهلكهم الفرقة المعتدية وذلك ان الفرقة الناهية كانوا للفرقة
المعتدية انتهوا قبل ان ينزل بكم عذابا شديدا والمعنى لم تعظونا
وقد علمتم ان الله مهلكنا او ينزل بنا عذابه والقول الاول اصح لانهم لو
كانوا فرقتين لكان قولهم معذرة الى ربكم خطابا من الناهية للمعتد
وقوله تعالى **فلما نسوا ما ذكروا به** اي فلما تركوا ما وعظوا به **انجينا**
الذين ينهون عن السوء وهم الفرقة الناهية **واخذنا الذين**
ظلموا يعني الفرقة المعتدية العاصية **بعذاب بئيس** اي شديد
وجيع من الباس وهو الشدة **بما كانوا يفسقون** يعني انا اخذناهم
بالعذاب بسبب فسقهم واعتدائهم وخروجهم عن طاعتنا وروى
عكرمة عن ابن عباس قال اسمع الله عز وجل يقول انجينا الذين
ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس فلا ادري ما
فعلت الفرقة الساكتة وجعل يبكي قال عكرمة فقلت له
جعلني الله فداك الا تراهم قد انكروا وكرهوا ما هم عليه وقالوا لم
تعظون قوما الله مهلكهم وان لم يقل الله انجيتهم لم يقل اهلكتهم
قال فاعجبه قولي ورضي به وامر لي ببردين فكسانيهما وقال
نجت الساكتة وقال يمان بن رباب نجت الطائفتان الذين
قالوا لم تعظون والذين قالوا معذرة واهلك الذين اخذوا الحيتان
وهذا قول الحسن • وقال ابن زيد نجت الناهية وهلكت الفرقتان
وهذه اشد اية في ترك النهي عن المنكر وقوله تعالى **فلما عتوا عما**
نهوا عنه قال ابن عباس ابوا ان يرجعوا عن المعصية والعتو
عبارة عن الاباء والعصيان والمعنى فلما عتوا عن ترك ما نهوا
عنه وتمردوا في العصيان من اعتدائهم في السبت واستحلالهم ما
حرم الله عليهم من صيد السمك واكله **قلنا لهم كونوا قردة خاسئين**
يعني صاغرين مبعدين من كل خير قال قتادة فلما عتوا عما نهوا عنه
مسخهم فصيرهم قردة تتعاوى بعد ما كانوا رجالا ونساء • وقال
ابن عباس جعل الله منهم القردة والخنازير فزعم ان شباب القوم
صاروا قردة وان الشيخة صاروا خنازير قيل انهم بقوا ثلاثة ايام
ينظر الناس اليهم ثم هلكوا جميعا قوله تعالى **واذ تاذن ربك**
الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ومعنى تاذن اذن والاذان
الاعلام يعني اعلم ربك وقيل تعناه وقال ربك وقيل حكم ربك
وقيل قال ربك بمعنى اقسم ربك لان اللام في قوله ليبعثن جواب
القسم لان قوله واذ تاذن ربك جاري مجرى القسم لكونه جزما
وجواب القسم ليبعثن عليهم واختلفوا في الضمير عليهم الى من يرجع

فقيل

فقيل يقتضي ان يكون راجعا الى قوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه
قلنا لهم كونوا قردة خاسئين لكن قد علم ان الذين مسخوا لم يبق منهم
احد فيحتمل ان يكون المراد الذين بقوا منهم فالحق الذل بهم • وقيل
بان المراد ساير اليهود من بعدهم لان الذين بقوا منهم من اهل القرية
كانوا صالحين والذي بعثه الله على اليهود وهم بخت نصر وبخاريب
وملوك الروم فساموهم سوء العذاب • وقيل المراد بقوله ليبعثن
عليهم اليهود والذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي بعثه الله عليهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته
فالزم من لم يسلم منهم الصغار والذلة والجزية لازمة اليهود الى يوم
القيمة واورد على هذا بان في اخر الزمان يكون لهم عزة وذلك عند
خروج الدجال لان اليهود اتباعه واشياعه واجيب
عنه بان تلك العزة الذي تحصل لهم في نفسه غاية الذلة لانهم
يدعون الهية الدجال فيزدادون كفرا الى كفرهم فاذا اهلك الدجال
اهلكهم المسلمون جميعا وقتلوهم فذلك هو الذلة والصغار المشار
اليه بقوله **ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب**
وهذا نص في ان العذاب انما يحصل لهم في الدنيا مستمرا عليهم الى
يوم القيمة ولهذا فسر هذا العذاب بالاهانة والذلة واخذ الجزية
فاذا انصتوا الى الاخرة كان عذابهم اشد واعظم وهو قوله تعالى **ان ربك**
لسريع العقاب يعني لمن اقام على الكفر ففيه دليل على انه يجمع
لهم مع ذلة الدنيا عذاب الاخرة فيكون العذاب مستمرا عليهم
ثم ختم الاية بقوله تعالى **وانه لغفور رحيم** يعني لمن امن منهم
ورجع عن الكفر واليهودية ودخل في دين الاسلام **قوله عز**
وجل **وقطعناهم في الارض امما** يعني وفرقنا بني اسرايل في
الارض جماعات متفرقة فلا تجد بلدا الا وفيه من اليهود طايفة
وجماعة قال ابن عباس في كل الارض يدخلها قوم من اليهود **منهم**
الصالحون يعني من هولا الذين وصفهم الله من بني اسرايل صالحون
وهم ممن امن بالله ورسوله وثبت على دينه قبل مبعث عيسى عليه
السلام وانما وصفهم بذلك قبل انذارهم عن دينهم وكفرهم بربهم
ذكره الطبري ولم يذكر غيره • وروى البغوي وغيره من المفسرين
عن ابن عباس ومجاهد ان المراد بالصالحين الذين ادركوا النبي
صلى الله عليه وسلم من اليهود وامنوا به والصحيح ما ذكره الطبري
يدل عليه قوله بعده فخلف من بعدهم خلف والخلف انما كان بعد
هولا الذين وصفهم بالصلاح من بني اسرايل وقوله تعالى **ومنهم دون**

ذلك يعني الذين كفروا من بني اسرائيل وبدلوا وغيروا **وبلوناهم** يعني جميعا الصالح وغيره وهي بلوى اختبار وامتحان **بالحسنات** يعني الخصب والعافية **والسيئات** يعني الجدب والشدة **لعلهم يرجعون** يعني لكي يرجعوا الى طاعة ربهم ويتوبوا اليه • قال اهل المعاني كل واحد من الحسنات والسيئات اذا قرنت بالنعم والشدة تدعوا الى طاعة الله تعالى • اما النعمة فيزداد عليها شكرا ويرغب في الطاعة • واما الشدة فيخاف سوء عاقبتها فيرهب منها قوله تعالى **فخلف من بعدهم** يعني من بعد هولاء الذين وصفناهم **خلف** يعني خلف سوء يعني حدث من بعدهم وتبدل من بعدهم بدل سوء يقال منه هو خلف صدق بفتح اللام وخلف سوء بسكونها فاكثر ما يقال بالمدح بفتح اللام وفي الذم بسكونها وقد تحرك في الذم وتسكن في المدح قال حسان بن ثابت في المدح • لنا القدم الاول اليك وخلفنا • لاولنا في طاعة الله تابع • فسكن اللام في قوله وخلفنا وهو يريد المدح وقال لبيد في الذم • ذهب الذين يعاش في اكنافهم • وبقيت في خلف كجلد الاجرب • فسكن اللام وهو يريد الذم واصله من الفساد يقال خلف اللبن اذا فسد وتغير السقا ويقال للردى من القول خلف وخلف الشي تغير ومنه خلوف فم الصايم والمعنى جا من بعد هولاء الذين وصفناهم خلف والخلف القرن الذي يجي بعد قرن كان قبله **ورثوا الكتاب** يعني انتقل اليهم الكتاب عن ابايهم والمراد بالكتاب التوراة • **ياخذون عرض هذا الادنى** العرض بفتح الراجيع متاع الدنيا كما يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر والعرض بسكون الراجيع المال سوا الدراهم والدنانير والمعنى انهم كانوا ياخذون الرشا في الاحكام وعلى تبديل الكلام وتغييره وذلك الذي ياخذونه من حطام الدنيا هو الشي التافه الخسيس الحقير لان الدنيا باسرها فانية حقيرة والراغب فيها احقر منها فاليهود ورثوا التوراة وعلموا ما فيها وضيعوا العمل بما فيها وتركوه واخذوا الرشا في الاحكام ويعلمون انه حرام ثم انهم مع اقدامهم على هذا الذنب العظيم واصرارهم عليه **ويقولون سيغفر لنا** يعني ذنوبنا فيتمنون على الله الاماني الباطلة الكاذبة عن شداد بن اوس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله اخرجه الترمذي

وقال

وقال في قوله صلى الله عليه وسلم دان نفسه يعني حاسبها في الدنيا قبل ان يحاسب قبل يوم القيمة وموضع استشهاد من الحديث على الاية قوله وتمنى على الله لان اليهود كانوا يقدمون على الذنوب ويقولون سيغفر لنا وهذا هو التمني بعينه وقوله تعالى **وان ياتهم عرض مثله ياخذوه** وهذا اخبار عنهم عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب والمعنى انهم اذا اتاهم شي من الدنيا اخذوه حلالا كان او حراما ويتمنون على الله المغفرة وان وجدوا من الغد مثله اخذوه • قال السدي كانت بنوا اسرائيل لا يستقضون قاضيا الا ارتشى في الحكم فيقال له مالك ترتشي فيقول سيغفر لي فيطعن عليه الاخرون فاذا مات او نزع من الحكم وجعل مكانه اخر ممن كان يطعن عليه ارتشى ايضا يقول الله عز وجل وان ياتهم عرض مثله ياخذوه **الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب** يعني الم يوخذ على هولاء المرتشين في احكامهم العهود والمواثيق في الكتاب وهو التوراة **الا يقولوا على الله الا الحق** يعني انا اخذنا عليهم الميثاق على ان لا يقولوا فقالوا الباطل وخالفوا امر الله وهو قولهم سيغفر لنا والمراد من هذا التوبيخ والتقريع لليهود في ادعايهم على الله الباطل قال ابن عباس هو ما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها **ودرسوا ما فيه** يعني ما في الكتاب والمعنى انهم ذاكرون لما اخذ عليهم من العهود والمواثيق في الكتاب لانهم دارسون له لم يتركوه ولكن درسوه وضيعوا العمل به **والدار الاخرة** يعني وما في الدار الاخرة مما اعد الله لاوليايه واهل طاعته العاملين بما امرهم الله به من كتابه ولم يغيروا ولم يبدلوا ولم يرتشوا في الاحكام **خير للذين يتقون** يعني يتقون الله ويخافون عقابه **افلا يعقلون** يعني افلا يعقل هولاء الذين يرضون بعرض الدنيا ان ما في الاخرة خير وابقى لانها دار المتقين **والذين يمسكون بالكتاب** يقال مسكت الشي وتمسكت به واستمسكت والمراد بالتمسك بالكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه لانهم تمسكوا بالكتاب الاول ولم يحرفوه ولم يغيروه فاداهم ذلك التمسك الى الايمان بالكتاب الثاني وهو القران **واقاموا الصلاة** يعني وداوموا على اقامتها في مواقيتها وانما افرد وما بالذكر وان كانت الصلاة واحدة في التمسك بالكتاب تنبيها على عظم قدرها وانها من اعظم العبادات بعد الايمان بالله ورسوله **انا لا نضيع اجر المصلحين** قوله عز وجل **واذ نتقنا الجبل فوقهم**

كانه ظلة يعني واذكر يا محمد اذ قلعنا الجبل فرفعناه فوق بني اسرائيل
كانه ظلة يعني جعلناه فوقهم كالظلة والظلة كلما علا على الانسان
كالسقف ونحوه وظنوا يعني وعلموا وايقنوا انه واقع بهم يعني
الجبل خذوا يعني وقلنا لهم خذوا واضمار القول كثير في القران وكلام
العرب ما آتيناكم يعني التوراة بقوة يعني بجد واجتهاد واذكروا ما
فيه يعني واعملوا بما فيه من الاحكام لعلكم تتقون قال اصحاب
الاخبار ان بني اسرائيل لما ابوا ان يقبلوا احكام التوراة لما فيها من التكاليف
الشاقة امر الله جبريل فرفع جبلا عظيما حتى صار على رؤوسهم
كالظلة فلما نظروا الى الجبل فوق رؤوسهم خروا ساجدين فسجد
كل واحد على خده وحاجبه الايسر وجعل ينظر بعينه اليمنى الى
الجبل خوفا ان يسقط عليه وكذلك لا تسجد اليهود الا على شق
وجوههم اليسرى قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم
ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى الاية عن مسلم
ابن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب سئل عن قوله تعالى واذ اخذ ربك
من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم الاية قال سئل عنها رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ان الله تبارك وتعالى خلق ادم ثم مسح ظهره
بيمينه فاستخرج منه ذريته فقال خلقت هولاء للنار وبعمل اهل النار
يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هولاء للجنة
وبعمل اهل الجنة يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا خلق العبد للجنة
استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة
فيدخل الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار
حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخل النار اخرجه مالك
في موطئه وابو داود والترمذي وقال حديث حسن ومسلم بن يسار
لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم في هذا الاسناد بين مسلم بن يسار
وعمر رجلا قلت ذكر الطبري في بعض طرق هذا الحديث الرجل
فقال عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة عن عمر عن النبي صلى الله
عليه وسلم بنحوه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما خلق الله ادم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها
من ذريته الى يوم القيامة وجعل بين عيني كل انسان وبيصا من
نور ثم عرضهم على ادم فقال اي رب من هولاء قال هولاء ذريتك
فراى رجلا منهم فاعجبه وبيص ما بين عينيه فقال يا رب من
هذا قال داود قال رب كم جعلت عمره قال ستين سنة قال

يارب

يا رب زده من عمري اربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما انقضى عمر ادم الا اربعين جاءه ملك الموت فقال ادم اولم
يبق من عمري اربعين سنة قال اولم تعطها ابنك داود فجحد ادم
فجحدت ذريته ونسي ادم فاكل من الشجرة فنسيت ذريته وخطي
فخطيت ذريته اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح فاما
تفسير الاية فقوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم
يعني من ظهور بني ادم واعلم انه لم يذكر ظهر ادم وان كان الله اخرج
جميع الذرية من ظهره لان الله تعالى اخرج ذرية ادم بعضهم من
ظهر بعض على نحو ما يتوالد الابناء من الاباء فلذلك قال تعالى من
بني ادم من ظهورهم فاستغنى عن ذكر ظهر ادم عليه السلام لما علم
انهم كلهم بنو ادم واخرجوا من ظهره فترك ذكر ظهر ادم استغناء
ثم للعلماء في تفسير هذه الاية مذهبان احدهما وهو مذهب
اهل التفسير والاثر وظاهر ما جاءت به الروايات عن السلف
فيما روى عن ابن عباس من طرق كثيرة روايات مختلفة رواها
عنه الطبري باسانيد منها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اخذ الله الميثاق من ظهر ادم
بنعمان يعني عرفة فاخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرهم
بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا وقال الست بربكم قالوا بلى شهدنا
ان يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وعن ابن عباس
في هذه قال مسح ربك ظهر ادم فخرجت كل نسمة هو خالقها الى يوم
القيمة بنعمان هذا الذي وراء عرفة واخذ ميثاقهم الست بربكم
قالوا بلى شهدنا وعن ابن عباس ايضا قال ان اول ما اهبط الله
ادم الى الارض اهبطه بدهنا ارض الهند فمسح ظهره فاخرج منه كل
نسمة هو بارئها الى يوم القيمة ثم اخذ عليهم الميثاق واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا
كنا عن هذا غافلين زاد في رواية عنه جف القلم بما هو كائن
الى يوم القيمة وفي رواية لما خلق ادم اخذ ميثاقه انه ربه وكتب
رزقه واجله ومصائبه واستخرج ذريته كالذر وكتب ارزاقهم
واجالهم ومصائبهم وفي رواية عنه قال ان الله عز وجل مسح
صلب ادم فاستخرج كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فاخذ
منهم الميثاق ان يعبدوه ولا يشركوا به شيا وتكفل لهم بالارزاق
ثم اعادها في صلبه فلن تقوم الساعة حتى يولد كل من اعطى
الميثاق يوميذ فمن ادرك منهم الميثاق الاخر فوفى به نفعه الميثاق الاول

ومن ادرك الميثاق فلم يف به لم ينفعه الاول ممن مات صغيرا ولم
يدرك الميثاق الاخر مات على الميثاق الاول على الفطرة وروى
الطبري بسنده عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اخذوا من ظهره كما يوخذ بالمشط من الراس فقال
لهم الست بربكم قالوا بلى قالت الملايكة شهدنا ان يقولوا يوم
القيمة انا كنا عن هذا غافلين فقال ابن عباس اخرج من ذرية
ادم من ظهره فكلمهم الله وانطقهم فقال لهم الست بربكم قالوا بلى
ثم اعادها في صلبه فليس احد من الخلق الا وقد تكلم فقال ربي الله
وان القيامة لا تقوم حتى يولد من كان يوميذ اشهد على نفسه
وقال السدي واخرج الله ادم من الجنة ولم يهبطه من السما
ثم انه مسح صفحة ظهره اليمنى واخرج منه كهيئة الذر بيضا
فقال ادخلوا الجنة برحمتي ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج
منه كهيئة الذر سودا فقال ادخلوا النار ولا ابالي فذلك حين
يقول اصحاب اليمين واصحاب الشمال ثم اخذ منهم الميثاق فقال
الست بربكم قالوا بلى فاعطاه طايفة طايعين وطايفة كارهين
على وجه التقية زاد في رواية وذلك حين يقول وله اسلم من
في السموات والارض طوعا وكرها وقال محمد بن كعب القرظي اقول
بالايمان والمعرفة الارواح قبل خلق اجسادها وقال مقاتل مسح
صفحة ظهر ادم اليمنى فاخرج منها ذرية بيضا كهيئة الذر يتحركون
ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منها ذرية سودا مثل الذر
يتحركون فقال يا ادم هولا ذريتك ثم قال لهم الست بربكم قالوا
بلى فقال للبيض هولا في الجنة برحمتي وهم اصحاب اليمين وقال
للسود هولا للنار ولا ابالي وهم اصحاب الشمال ثم اعادهم جميعا
في صلب ادم فاهل القبور محبوسون حتى يخرج اهل الميثاق جميعا
وروى ان الله تعالى قال لهم جميعا اعلموا انه لا اله لكم غيري وانا
ربكم لا رب لكم غيري فلا تشركوا بي شيا فاني سانتقم ممن اشرك بي
ولم يومن بي واني مرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدي وميثاقي
ومنزل عليكم كتبا فتكلموا جميعا وقالوا شهدنا انك ربنا لا رب
لنا غيرك فاخذ بذلك مواثيقهم ثم كتب اجالهم وارزاقهم
ومصايبهم فنظر اليهم آدم فراى منهم الغني والفقير وحسن الصورة
ودون ذلك فقال هلا سويت بينهم فقال اني احب ان اشكر فلما
قررهم بتوحيده واشهد بعضهم على بعض اعادهم الى صلبه فلا تقوم
الساعة حتى يولد كل من اخذ الميثاق وقال الزجاج وجايز ان يكون

الله تعالى جعل لامثال الذر عقلا وفهما تعقل به كما في النملة قالت
نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وكما قال وسخرنا مع داود الجبال
يسبحن والطير وقال ابن الانباري مذهب اهل الحديث وكبرا
اهل العلم في هذه الاية ان الله تعالى اخرج ذرية ادم من صلبه
واصلاب اولاده وهم الذر واخذ عليهم الميثاق انه خالقهم وانهم
مصنوعه فاعترفوا بذلك وقبلوه وذلك بعد ان ركب فيهم
عقولا عرفوا بها ما عرض عليهم كما جعل للجبال عقولا حتى خوطبوا
بقوله يا جبال اوبي معه وكما جعل للبعير عقلا حين سجد للنبي
صلى الله عليه وسلم وكذلك الشجرة حين سمعت لامره وانقادت
ومعنى قوله الست بربكم على هذا التفسير قال للذرية الست
بربكم فهو ايجاب للربوبية عليهم قالوا بلى يعني قالت الذرية
بلى انت ربنا فهو جواب منهم واقرار منهم له بالربوبية واعتراف
على انفسهم بالعبودية وفي قوله **شهدنا** قولان احدهما
انهم لما اقروا له بالربوبية قال الله عز وجل للملايكة اشهدوا
قالوا شهدنا على اقرارهم فعلى هذا القول يحسن الوقف على
قوله تعالى بلى لان كلام الذرية تم وانقطع وقوله شهدنا كلام
مستانف والقول الثاني ان قوله شهدنا من كلام الذرية والمعنى
شهدنا على انفسنا بهذا القول الاقرار وعلى هذا لا يحسن الوقف
على بلى لتعلقه بما بعده وقوله تعالى **ان يقولوا** قرا بالتا على
خطاب الذرية معناه ليلا تقولوا ايها الذرية **يوم القيامة انا
كنا عن هذا** يعني الميثاق **غافلين** وقرى ان يقولوا باليا على
الغيبة ومعناه ليلا يقولوا الذرية انا كنا عن هذا غافلين
والمذهب الثاني في معنى هذه الاية وهو مذهب اهل الكلام
والنظر انه تعالى اخرج الذرية وانشاهم بعد ان كانوا نطفا
في اصلاب الاباوم اولاد بني ادم فاخرج الذرية الى الدنيا على
ترتيبهم في الوجود واشهدهم على انفسهم بما ركب عليهم من العقول
واراهم من عجايب خلقه وغرايب صنعه ودلايل وحدانيته
وبراهينه التي تضطرهم الى ان يعلموا انه خالقهم وبارئهم وربهم
ونافذ الحكم فيهم فلما عرفوا ذلك دعاهم الى التصديق بوحدانيته
وربوبيته فقالوا بلى شهدنا على انفسهم انفسنا على المجاز لا على
الحقيقة وهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهورة في كلام
العرب فكل من بلغ وعقل فقد اخذ عليه الميثاق وهو العقل
والتكليف فيكون معنى الاية واذ ياخذ ربك من بني ادم ويشهدهم

على انفسهم بما ركب فيهم من العقل الذي يكون به الفهم والتكليف
ويترتب على صاحبه الثواب والعقاب يوم القيمة **فان قلت**
فما المختار من هذين المذهبين في تفسير هذه الاية **قلت**
المذهب الاول هو المختار لانه مذهب جمهور المفسرين من السلف
وورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم **فان قلت**
اذا كان المختار من تفسير هذه الاية هو مذهب السلف في ذلك
وان الله تعالى اخرج الذرية من ادم ظهره لاخذ الميثاق عليهم
كما ورد في الحديث ايضا فكيف يحمل تفسير هذه الاية على هذا
القول **قلت** قد صح الحديث بان الله مسح ظهر ادم فاخرج
ذريته واخذ عليهم الميثاق ولا منافاة بين الاية والحديث كما
تقدم في تفسير الفاظ الاية من ان الله اخرج ذرية ادم من ظهره
على سبيل التوالد بعضهم من بعض كما في الخارج وكلهم باجمعهم
من ظهر ادم الذي هو اصلهم فبهذا الطريق امكن الجمع بين الاية
والحديث اذ ليس في معنى الفاظ الاية ما يدل على بطلان ذلك
ونفيه وقد ورد الحديث بثبوت ذلك وصحته فوجب المصير
اليه والاخذ به جمعا بين الاية والحديث ٥ وحكى الواحدي
عن صاحب النظم انه قال ليس بين قوله صلى الله عليه وسلم
ان الله مسح ظهر ادم فاخرج منه ذريته وبين الاية اختلاف بحمد
الله لانه تعالى اذا اخرجهم من ظهر ادم فقد اخرجهم من ظهر ذرية
آدم كذرية بعضهم من بعض قال وحصل الفايدة بهذا الفصل
بانه تعالى اثبت الحجة على كل منفوس ممن بلغ ولم يبلغ بالميثاق
الذي اخذه عليهم وزاد على من بلغ منهم الحجة بالاية والدلايل
التي نصبها الرسل المتقدمة اليهم مبشرين ومنذرين وبالمواعظ
وقال غيره فايدة اخذ الميثاق عليهم في القدم ان من مات منهم
صغيرا ادخل الجنة باقراره بالميثاق الاول وعلى هذا قول من
يقول ان اطفال المشركين يدخلون الجنة اذا ماتوا صغارا فاما
من لا يحكم لهم بالجنة فانه يقول من كان من اهل الشقاوة من
الذرية السود انما اقروا بالمعرفة كرها فلم يغن عنهم ذلك
شيا ومن بلغ وعقل ولم يغن عنه اقراره بالميثاق الاول شيا حتى
يومن ويصدق عند بلوغه وعقله بان الله ربه وخالقه ويصدق
رسوله فيما جاء به من عنده وانما فعل ذلك لئلا يقول الكفار انا
كنا عن هذا الميثاق والايمان بان الله ربنا غافلين او لئلا
يقول اخلافهم انما اشرك اباونا ونحن نسير على اثارهم ظنا منهم ان

الحق ما كانوا عليه **فان قلت** ذلك الميثاق لا يذكره احد اليوم
فكيف يكون حجة عليهم اليوم وكيف يذكرونه يوم القيامة حتى
يحتج عليهم به **قلت** لما اخرج الذرية من صلب ادم وركب
فيهم العقول واخذ عليهم الميثاق فلما اعيدوا الى صلب ادم بطل
ما ركب فيهم فتوالدوا ناسين ذلك الميثاق لاقتضاء الحكمة
الالهية نسيانهم له ثم ابتداهم بالخطاب على السنة الرسل ٥
واصحاب الشرايع فقام ذلك مقام الذكر اذ الدار دار تكليف
وامتحان ولو لم ينسوه لانتفت المحنة والابتلاء والتكليف فقامت
الحجة عليهم لامدادهم بالرسل واعلامهم بجريان اخذ الميثاق
بذلك قامت الحجة عليهم ايضا يوم القيامة لاخبار الرسل
اياهم بذلك الميثاق في الدنيا فمن انكره كان معاندا ناقضا
للعهد ولزمتهم الحجة ولا تسقط الحجة عنهم بنسيانهم وعدم
حفظهم بعد اخبار الصادق صاحب الشرع والمعجزات الباهرات
وقوله تعالى **او تقولوا** يعني الذرية **انما اشرك اباونا من قبل** يعني
انما اخذت الميثاق عليهم لئلا يقول المشركون اباونا من قبل
وكنا ذرية من بعدهم يعني وكنا اتباعا لهم فاقتدينا بهم في
الشرك **افتهلكنا** يعني افتعذبنا **بما فعل المبطلون** قال المفسرون
هذا قطع لعذر الكفار فلا يستطيع احد من الذرية ان يقول
يوم القيمة انما اشرك اباونا من قبلنا ونقضوا العهد والميثاق
وكنا نحن الذرية من بعدهم فقلدناهم واقتدينا بهم وكنا في
غفلة عن هذا الميثاق فلا ذنب لنا فلا يمكنهم ان يحتجوا بمثل
هذا وقد اخذ عليهم جميعا الميثاق وجاءتهم الرسل وذكروهم به وثبتت
عليهم الحجة بذلك يوم القيامة واما الذين حملوا معنى الاية على
ان المراد منه مجرد نصب الدلايل وهو مذهب اهل النظر قالوا
معناه ان الله نصب هذه الدلايل واظهرها للعقول لئلا يقولوا
انما اشركه اباونا على سبيل التقليد لابائنا لان نصب ادلة
التوحيد قايم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال على
تقليد الاباء في الشرك وقوله تعالى **وكذلك نفصل الايات** يعني
ليتدبرها العباد فيرجعوا الى الحق والايمان ويعرضوا عن الباطل
والكفر وهو المراد من قوله **ولعلهم يرجعون** يعني عن الشرك
الى التوحيد وقيل معناه ولعلهم يرجعون الى الميثاق الاول فيذكرونه
ويعملون بواجبه ومقتضاه وقوله تعالى **واتل عليهم** يعني واقرا على
قومك يا محمد **نبا** يعني خبر **الذي اتيناه اياتنا** اختلفوا فيه فقال

ابن عباس هو بلعام بن باعورا وقال مجاهد بلعام بن باعر وقال
ابن مسعود هو بلعم بن ابر وقال عطية قال ابن عباس انه كان من
بني اسرايل وفي رواية اخري عنه انه كان من الكنعانيين من بلد
الجبارين وقال مقاتل هو من مدينة البلقا **وكانت قصته**
على ما ذكره ابن عباس ومحمد بن اسحاق والسدي وغيرهم من اصحاب
الاخبار والسير قالوا ان موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين
نزل ارض كنعان من ارض الشام اتى قوم بلعام اليه وكان عنده
اسم الله الاعظم فقالوا ان موسى رجل حديد وان معه جنودا له
كثيرة وانه قد جا يخرجنا ويقتلنا ويحلها بنى اسرايل وانت رجل
مجاب الدعوة فاخرج وادعوا الله ان يردهم علينا فقال
ويلكم نبي الله ومعه الملايكة والمومنون فكيف ادعوا عليهم
وانا اعلم من الله ما اعلم واني ان فعلت هذا ذهبت دنياى
واخرتى فراجعوه والحوا عليه فقال حتى او امر ربي وكان لا يدعى
حتى يوامر ربه في المنام فاتى في المنام فقيل له لا تدعو عليهم فقال
لقومه اني قد وامرت ربي فنهاني ان ادعوا عليهم فاهدوا اليه
هدية فقبلها وراجعوه فقال حتى اوامر ربي فوامر فلم يحي اليه
شي فقال قد وامرت ربي فلم يحي شي فقالوا له لو كره ربك ان تدعو
عليهم لنهاك كما نهاك اول مرة فلم يزالوا يتضرعون اليه حتى فتنوا
فركب اتانا له متوجها الى جبل يطلعه على عسكر بنى اسرايل يقال
لذلك الجبل جبل حسبان فلما سار عليها غير بعيد ربضت
فنزل عنها وضربها فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت فضربها
حتى اذلقها فاذن الله عز وجل في الكلام فانطقها له فكانت حجة
عليه فقالت ويحك يا بلعام اتدرى اين تذهب اما ترى الملايكة
امامي يردوني عن وجهي هذا ويحك تذهب الى نبي الله والمومنين
فتدعو عليهم فلم ينزع فخلى الله سبيل الاتان فانطلقت به حتى اذا
اشرفت على جبل حسبان ومعه قومه فجعل يدعو عليهم فلم يدع
عليهم بشي الا صرف الله به لسانه الى قومه ولا يدعو لقومه بخير
الا صرف الله لسانه الى بنى اسرايل فقال له قومه يا بلعام اتدرى ما
تصنع انما تدعو لهم وتدعو علينا فقال هذا ما لا املكه هذا شي قد
غلب الله عليه واندلع لسانه فوقع على صدره فقال لقومه قد ذهبت
مني الدنيا والاخرة ولم يبق الا المكر والحيلة فسامكر لكم واحتال ثم
جملوا النسا وزينوهن واعطوهن السلاح ثم ارسلوهن الى عسكر بنى
اسرايل ليبعها عليهم وامروهن ان لا تمنع امراة نفسها من رجل اراد ها

فانه ان زنى رجل منهم بواحدة منكم كفيتموهم ففعلوا ذلك فلما دخل
النسا العسكر مرت امراة من الكنعانيين اسمها سكتى بنت صور على
رجل من عظما بني اسرايل يقال له زمري بن شلوم وكان راس سبط
شمعون بن يعقوب فقام الى المراة واخذ بيدها حين اعجبه جمالها
ثم اقبل بها حتى وقف بها على موسى عليه السلام وقال اني لاظنك
تقول هذه حرام عليك فقال اجل هي حرام عليك لا تقربها فقال
والله لا نطيعك في هذا ثم دخل بها في قبته فوقع الله عليها
فارسل الله عز وجل الطاعون على بنى اسرايل في ذلك الوقت وكان
فنحاص بن العيزار بن هارون وكان صاحب امر موسى وكان رجلا
قد اعطى بسطة في الخلق وقوة في البطش وكان غايبا حين
صنع زمري بن شلوم وما صنع فجا والطاعون يحوس بني اسرايل
فاخبر الخبر فاخذ حربته وكانت من حديد كلها ثم دخل عليهما القبة
وهما متضاجعان فطعنهما بحربته فانتظمهما ثم خرج بهما وهو رافعهما
الى السما وقد اخذ الحربة بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته واسند
الحربة الى لحيته وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن
عصاك ورفع الطاعون عن بني اسرايل فحسب من مات منهم في ذلك
الطاعون فيما بين ان اصاب ذلك الرجل المراة الى قتله فنحاص وجدوا
قد هلكوا سبعين الفا في ساعة واحدة من النهار فمن هنالك يعطى
بنو اسرايل لولد فنحاص من كل ذبيحة يذبحونها القشي والذراع
واللحي لاعتماده بالحربة على خاصرته واخذه اياها بذراعه واسناده
اياها بلحيته ويعطونهم البكر من كل اموالهم لانه كان بكر العيزار
وفي بلعام انزل الله عز وجل واتل عليهم نبا الذى اتيناه اياتنا
الاية وقال مقاتل ان ملك البلقا قال لبلعام ادعوا الله على موسي
فقال بلعام انه من اهل ديني ولا ادعو عليه فنصب له خشبة ليصلبه
عليها فلما راي ذلك خرج الى اتان له ليدعو على موسى فلما عاين
عسكرهم قامت به الاتان ووقفت فضربها فقالت لم تضربني فاني مامورة
وهذه نار امامي قد منعتني ان امشي فارجع الى الملك فاخبره بذلك
فقال لتدعون عليه والا صلبتك فدعى على موسى بالاعظم ان لا يدخل
المدينة فاستجيب له ووقع موسى ومن معه من بنى اسرايل في
التيه بدعا بلعام عليهم فقال موسى يا رب باي ذنب وقعت في التيه
قال بدعا بلعام قال فكما سمعت دعاه علي فاسمع دعاي عليه
ان تنزع عنه الاسم الاعظم والايمان فنزع الله منه المعرفة وسلخه
منها فخرجت من صدره كحمامة بيضا فذلك قوله تعالى اتيناه اياتنا

فانسلخ منها قلت هذه القصة ذكرها جماعة من المفسرين وفيها
ان موسى دعا على بلعام بان ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان
فان قلت كيف يجوز لموسى عليه السلام مع علو منصبه
في النبوة ان يدعوا على انسان بالكفر بعد الايمان او يرضى له
بذلك **قلت** الجواب من وجوه احدها منع صحة هذه
القصة لانها من الاسرائيليات ولا يلتفت الى ما سطره اهل الاخبار
اذا خالف الاصول **الوجه** الثاني ان سبب وقوع بني اسرائيل
في التيه هو عبادتهم العجل او قولهم لموسى اجعل لنا الها فكان
ذلك هو سبب وقوعهم في التيه لا دعا بلعام عليهم **الوجه**
الثالث على تقدير صحة هذه القصة وان موسى عليه السلام
دعا على بلعام ان موسى عليه السلام لم يدع عليه الا بعد ان
ثبت عنده ان بلعام كفر وارتد عن الايمان بدعائه على موسى
وايثاره الحياة الدنيا فدعا عليه مقابلة لدعائه عليه والله اعلم
بحقيقة ذلك كله والمقصود من ذلك تنزيه منصب النبوة عما
تنقله اصحاب الاخبار في كتبهم من غير نظر ولا بحث عن معناه
وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم
نزلت هذه الاية في امية بن الصلت الثقفي وكانت قصته انه
كان قد قرا الكتب القديمة وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا فرجا
ان يكون هو ذلك الرسول فلما ارسل محمد صلى الله عليه وسلم وشرفه
الله بالنبوة حسده وكذبه وكان امية بن الصلت صاحب شعر وحكمة
ومواعظ حسنة فقصد بعض الملوك فلما رجع مر على قتلى بدر
فسال عنهم فقيل له قتلهم محمد فقال لو كان نبيا ما قتل اقرباءه
فلما مات امية اتت اخته فارغة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسالها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وفاة اخيها فقالت بينا
هو راقد اتاه اثنان فكشف سقف البيت فنزلا فقعد احدهما عند
راسه والاخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند راسه
اوعى قال وعى قال ازكى قال ابى قالت فسالته عن ذلك قال خير
اريد بي فصرف عني ثم غشي عليه فلما افاق من غشيته **قال**

• كل عيش وان تطاول دهرا • صائر مرة الى ان يزولا •
• ليتني كنت قبل ما قد بدا لي • في قلال الجبال ارعى الوعولا •
• ان يوم الحساب يوم عظيم • شاب فيه الصغير يوما ثقيلا •

ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم انشديني من شعر اخيك
فانشدت بعض قصائده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امن

شعره وكفر بقلبه فانزل الله عز وجل واتل عليهم نبا الذي
اتيناه اياتنا فانسلخ منها الاية • وفي رواية عن ابن عباس انها
نزلت في البسوس وهو رجل من بني اسرائيل وكان قد اعطي ثلاث
دعوات مستجابات وكانت له امراة له منها اولاد فقالت له
اجعل لي منها دعوة فقال لك منها واحدة فما تريدين فقالت
ادع الله ان يجعلني اجمل امراة في بني اسرائيل فدعا لها فصارت
اجمل النسا فلما علمت انه ليس في بني اسرائيل مثلها رغبت عنه فغضب
ودعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان فجا بنوها
الى ابيهم وقالوا ليس لنا على هذا الامر قرار قد صارت امنا كلبة نباحة
والناس يعيرونا بذلك فادع الله ان يردها الى حالها الاول فدعا
الله فعادت كما كانت فذهبت فيها الدعوات جميعا والقول الاول
الاول اشهر • وقال الحسن وابن كيسان نزلت في منافقي اهل الكتاب
الذين كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم بنعته وصفته كما
يعرفون ابناهم ثم انكروه • وقال قتادة هذا مثل ضربه الله لمن
عرض عليه الهدى فلم يقبله • وقوله تعالى اتيناه اياتنا قال
ابن عباس كان يعلم اسم الله الاعظم • وقال ابن زيد كان لا يسال
الله شيا الا اعطاه • وقال السدي كان يعلم اسم الله الاعظم وفي
رواية اخرى عن ابن عباس اوتي كتابا وقال ان الله تعالى اتاه
حججه وادلته وهي الايات التي اوتيها **فانسلخ منها** يعني فخرج من
الايات التي كان الله اتاه اياها كما تنسلخ الحية من جلدها وقال
ابن عباس نزع منه العلم **فاتبعه الشيطان** يعني لحقه وادركه وصيره
الشيطان لنفسه تابعا في معصية الله ويخالف امر ربه ويطيع
الشيطان وهواه وقوله تعالى **فكان من الغاوين** يعني من الهالكين
الضالين بما خالف ربه واطاع هواه وشيطانه قوله تعالى **ولو شئنا
لرفعناه بها** يعني رفعنا درجته ومنزلته بتلك الايات التي
اوتيها وقال ابن عباس لرفعناه بعلمه بها • وقال مجاهد وعطا
معناه ولو شئنا لرفعنا عنه الكفر وعصمناه بالايات **ولكنه اخلد
الى الارض** يعني ولكنه سكن الى الدنيا ومال اليها ورضي بها واصله
من الخلود وهو الدوام والمقام والارض هنا عبارة عن الدنيا لان
الارض عبارة عن المفاوز وفيها المدن والضياع والمعادن والنبات
يستخرج ما يعاش به في الدنيا فالدنيا كلها هي الارض **واتبع هواه**
يعني انه اعرض عن التمسك بما اتاه الله من الايات واتبع هواه
فخسر دنياه واخرته ووقع في هاوية الردى والهلاك وهذه الاية من اشد

الهلاك على العلماء الذين يريدون بعلمهم الدنيا وشهوات النفس
ويتبعون الهوى وذلك لان الله عز وجل خص هذا الرجل باياته
وحكمته وعلمه اسمه الاعظم وجعل دعاه مستجابا ثم انه لما اتبع
هواه وركن الى الدنيا ورضي بها عوضا عن الاخرة فنزع منه
ما كان اعطيه وانسلخ من الدين فخسر الدنيا والاخرة ومن الذي
يسلم من الميل الى الدنيا واتباع الهوى الا من عصمه الله بالورع
وشغله بالعلم وبصره بعيوب نفسه ٭ عن كعب بن مالك الانصاري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذئبان جائعان
ارسلا في غنم بافسد لها من حرص المرء على المال والشرف
لدينه اخرجه الترمذي ثم ضرب الله عز وجل مثلا لهذا
الرجل الذي اتاه الله اياته فانسلخ منها واتبع هواه فقال
تعالى فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث
يقال لهث الكلب يلهث اذا ادلع لسانه من العطش وشدة
الحر وعند الاعيا والتعب وهذا مثل ضربه الله عز وجل لمن
اتاه اياته وحكمته فتركها وعدل عنها واتبع هواه واثر دنياه
ونزلت اخرته باخس الحيوانات وهو الكلب في اخس احواله
وهو اللهث لان الكلب في حال اللهث لا يقدر على نفع نفسه
ولا ضرها في الاخرة لان التمثيل به على انه يلهث على كل حال
حملت عليه او تركته كان لاهثا وذلك عادة منه وطبيعة
وهي مداومته على اللهث دائما فكذلك من اتاه الله العلم
والدين واغناه عن التعرض لحطام الدنيا الخسيسة ثم انه
مال اليها وطلبها كانت حاله كحالة الكلب اللاهث وقيل
ان العالم اذا توصل به الى طلب الدنيا فانه يظهر علومه عند
غير اهلها ويدلع لسانه في تقدير تلك المسالك وبيانها
وذلك لاجلها لاجل ما يحصل عنده من حرارة الحرص الشديد
وشدة العطش الى الفوز بمطلوبه فكانت حالته شبيهة
بحالة الكلب الذي ادلع لسانه من اللهث في غير حاجة ولا
ضرورة ومعنى ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي شددت
عليه واهجته لهث او تركته على حاله لهث لان اللهث طبيعة
اصلية فيه فكذلك حال الحريص على الدنيا ان وعظته فهو
حريص لا يقبل الوعظ ولا ينجع فيه وان تركته ولم تعظه فهو
حريص ايضا لان الحرص على طلب الدنيا صار طبيعة له لازمة
كما ان اللهث طبيعة لازمة للكلب ذلك مثل القوم الذين

كذبوا باياتنا يعني من المثل الذي ضربناه للذي اتيناه
اياتنا فانسلخ منها مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فعم بهذا
المثل جميع من كذب بايات الله وجحدها فوجه التمثيل بينهم وبين
الكلب اللاهث انهم ان جاءتهم الرسل لتهديهم فلم يهتدوا وان تركوا
فلم يهتدوا ايضا بل هم ضلال في كل حال ثم قال تعالى فاقصص القصص
وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني فاقصص القصص
يا محمد على قومك اخبار من كفر بايات الله لعلهم يتفكرون يعني
فيتعظون وقيل هذا المثل لكفار مكة انهم كانوا يتمنون هاديا
يهديهم ويدعوهم الى طاعة الله فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم
يدعوهم الى الله والى طاعته وهم يعرفون صدقه فكذبوه ولم يقبلوا
منه ثم قال تعالى ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا يعني بئس
مثلا مثل القوم الذين كذبوا باياتنا وانفسهم كانوا يظلمون
يعني بتكذيبهم باياتنا قوله عز وجل من يهدي الله فهو المهتدي
يعني من يرشده الى دينه فهو المهتدي وقيل معناه من يتولى الله
هدايته وارشاده فهو المهتدي ومن يضلل يعني ومن يتولى اضلاله
له
فاولئك هم الخاسرون يعني في الاخرة وفي الاية دليل على ان الله
تعالى هو الهادي المضل ولقد ذرانا يعني خلقنا لجهنم كثيرا من
الجن والانس اخبر الله انه خلق كثيرا من الجن وهم الذين حقت عليهم
الكلمة الازلية بالشقاوة ومن خلقه للنار فلا حيلة له في الخلاص
منها واستدل البغوي على صحة هذا الحديث بما روي عن عائشة
قالت دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبي من الانصار
فقلت يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل
السوء ولم يدركه فقال او غير ذلك يا عائشة ان الله خلق للجنة
اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب ابائهم اخرجه مسلم قال الشيخ محيي
الدين النواوي في شرح مسلم اجمع من يعتد به من علماء المسلمين
ان من مات من اطفال المسلمين فهو من اهل الجنة لانه ليس مكلفا
وتوقف فيهم بعض من لا يعتد به لحديث عائشة هذا واجاب
العلماء عنه بانه لعله صلى الله عليه وسلم نهاها عن المسارعة الى
القطع من غير ان يكون عندها دليل قاطع كما انكر على سعد بن
ابي وقاص اني لاراه مؤمنا فقال او مسلما الحديث ويحتمل انه
صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل ان يعلم ان اطفال المسلمين في
الجنة فلما علم قال ذلك واما اطفال المشركين ففيهم ثلاثة
مذاهب قال الاكثرون هم في النار تبعا لابائهم وتوقف طائفة

فيه والثالث وهو الصحيح الذي ذهب اليه المحققون انهم من اهل
الجنة ويستدل له باشيا منها حديث ابراهيم الخليل صلى الله عليه
وسلم حين راه النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة وحوله اولاد الناس
فقالوا يا رسول الله واولاد المشركين فقال واولاد المشركين رواه
البخاري في صحيحه ومنها قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا ولا يتوجه على المولود التكليف ولا يلزمه قبول قول
الرسول حتى يبلغ وهذا متفق عليه والله اعلم وفي الاية دليل
وحجة واضحة لمذهب اهل السنة في ان الله خلق اعمال العباد جميعا
خيرها وشرها لان الله تعالى بين بصريح اللفظ انه خلق كثيرا من
الجن والانس للنار ولا مزيد على بيان الله عز وجل لان العاقل لا
يختار لنفسه دخول النار فلما علم بما يوجب دخول النار به علم ان
له من يضطره الى ذلك العمل الموجب لدخول النار وهو الله عز وجل
وقيل اللام في لجهنم للعاقبة اي عاقبتهم جهنم ثم وصفهم فقال
تعالى **لهم قلوب لا يفقهون بها** يعني لا يفهمون بها ولا يعقلون
بها واصل الفقه في اللغة الفهم والعلم بالشي ثم صار علما على اسم العلم
في الدين لشرفه على غيره من العلوم يقال فقه للرجل فهو فقيه اذا
فهم ومعنى الاية لهم قلوب لا يتفكرون بها في ايات الله ولا يتدبرونها
ولا يعلمون بها الخير والهدى لاعراضهم عن ترك طلبهم الحق وتركهم قوله
ولهم اعين لا يبصرون بها يعني لا يبصرون بها طريق الحق ولا ينظرون
بها الى ايات الله وادلة توحيده **ولهم اذان لا يسمعون بها** يعني لا
يسمعون ايات القران ومواعظه فيعتبرون بها قال اهل المعاني
ان الكفار لهم قلوب يفقهون بها مصالحهم المتعلقة بالدنيا ولهم اعين
يبصرون بها المرئيات واذان يسمعون بها الكلمات وهذا لا يشك فيه
ولما وصفهم الله عز وجل بانهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون
مع وجود هذه الحواس الدراكة علم بذلك ان المراد بذلك يرجع الى
مصالح الدين وما فيه نفعهم في الاخرة وحاصل هذا الكلام انهم
مع وجود هذه الحواس لا ينتفعون بها فيما ينفعهم من امور الدين
والعرب تقول مثل ذلك لمن ترك استعمال بعض جوارحه فيما لا
يصلح له ومنه قول الشاعر

وعوراء الكلام صممت عنها • واني ان اشاء بها سميع

فانه اثبت له صمم مع وجود السمع قال مجاهد لهم قلوب لا يفقهون
بها شيا من امر الاخرة ولهم اعين لا يبصرون بها الهدى ولهم اذان
لا يسمعون بها الحق ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى **اولئك كالانعام**

يعني ان الذين ذراهم لجهنم وهم الذين حلت عليهم الكلمة الازلية انهم
كالانعام وهم البهايم التي لا تفهم ولا تعقل وذلك ان الانسان وساير
الحيوانات مشارك في هذه الحواس الثلاث التي هي القلب والبصر
والسمع وانما فضل الانسان على ساير الحيوانات بالعقل والادراك
والفهم المودي الى معرفة الحق من الباطل والخير والشر فاذا كان
الكافر لا يعرف ذلك ولا يدركه فلا فرق بينه وبين الانعام التي
لا تدرك شيا ثم قال تعالى **بل هم اضل** يعني بل الكفار اضل من
الانعام لان الانعام تعرف ما يضرها وما ينفعها والكافر لا يعرف
ذلك فصار اضل من الانعام ولان الانعام لم تعط القوة العقلية
والانسان قد اعطيها فاذا لم يستعمل العقل فيما ينفعه صار اخس
حالا من الحيوان وقيل ان الانعام مطيعة لله عز وجل والكافر
غير مطيع لله عز وجل فصارت الانعام افضل ثم قال تعالى **اولئك**
هم الغافلون يعني عن ضرب هذه الامثال لهم قوله تعالى **ولله الاسما**
الحسنى قال مقاتل ان رجلا دعا الله في صلاته ودعا الرحمن فقال
بعض مشركي مكة قال ابن الجوزي هو ابو جهل ان محمدا واصحابه
يزعمون انهم يعبدون ربا واحدا فما بال هذا يدعو اثنين فانزل الله
الاية ولله الاسما الحسنى والحسنى تانيث الاحسن ومعنى الاية
ان اسما الله المقدسة كلها حسنى وليس المراد ان فيها ما ليس بحسن
والمعنى ان الاسما الحسنى ليست الا لله لان هذا اللفظ يفيد الحصر
وقيل ان الاسما دالة على معاني فهي انما تحسن بمعانيها ولا معنى
للحسن في حق الله تبارك وتعالى الا ذكره بصفات الكمال ونعوت
الجلال وهي محصورة في نوعين احدهما عدم افتقاره الى غيره الثاني
افتقار غيره اليه وانه هو المسمى بالاسما الحسنى ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعون اسما
من حفظها دخل الجنة والله وتر يحب الوتر • وفي رواية من
احصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر • وفي رواية اخرى تسعة
وتسعون اسما مائة الا واحد لا يحفظها احد الا دخل الجنة وهو وتر
يحب الوتر • قال البخاري احصاها حفظها • وفي رواية الترمذي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعون
اسما من احصاها دخل الجنة • هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن •
الرحيم • الملك • القدوس • السلام • المومن • المهيمن • العزيز •
الجبار • المتكبر • الخالق • البارى • المصور • الغفار • القهار •
الوهاب • الرزاق • الفتاح • العليم • القابض • الباسط •

الخافض • الرافع • المعز • المذل • السميع • البصير • الحكم العدل
اللطيف • الخبير • الحليم • العظيم • الغفور • الشكور • العلى •
الكبير • الحفيظ • المقيت • الحسيب • الجليل • الكريم • الرقيب •
المجيب • الواسع • الحكيم • الودود • المجيد • الباعث • الشهيد
الحق • الوكيل • القوى • المتين • الولي • الحميد • المحصى • المبدى
المعيد • المحيي • المميت • الحي • القيوم • الواجد • الماجد •
الواحد • الصمد • القادر • المقتدر • المقدم • المؤخر • الاول •
الاخر • الظاهر • الباطن • الوالى • المتعال • البر • التواب •
المنتقم • العفو • الروف • مالك الملك • ذو الجلال والاكرام •
المقسط • الجامع • الغنى • المغنى • المانع • الضار • النافع •
النور • الهادي • البديع • الباقي • الوارث • الرشيد • الصبور •
قال الترمذى حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ولا نعرفه
الا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند اهل الحديث قال
وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الاسما التى
في هذا الحديث قال ابن الاثير وفي رواية ذكرها رزين ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم تلى قوله ولله الاسما الحسنى فادعوه بها
وذروا الذين يلحدون في اسمايه سيجزون ما كانوا يعملون فقال
ان الله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسما الحديث قال الشيخ
محيي الدين النواوى رحمه الله اتفق العلما على ان هذا الحديث
ليس فيه حصر لاسمايه سبحانه وتعالى وليس معناه انه ليس له اسما
غير هذه التسعة وتسعين وانما المقصود من الحديث ان هذه
التسعة والتسعين اسما من احصاها دخل الجنة فالمراد الاخبار
عن دخول الجنة باحصايها لا الاخبار الاسما ولهذا جا في الحديث
الاخر اسيلك بكل اسم سميت به نفسك او استاثرت به في علم الغيب
عندك وقد ذكر الحافظ ابو بكر بن العربي المالكي عن بعضهم ان
لله الف اسم • قال ابن العربى وهذا قليل • وقوله صلى الله عليه
وسلم من احصاها دخل الجنة تقدم فيه قول البخارى ان معناه
حفظها وهو قول اكثر المحققين ويعضده الرواية الاخرى من
حفظها دخل الجنة وقيل المراد من الاحصا العد اى عدها في
الدعا بها وقيل معناه من اطاقها واحسن المراعاة لها والمحافظة
على ما يقتضيه وصدق بمعانيها وعمل بمقتضاها دخل الجنة وقيل
معنى احصاها احضر بباله عند ذكرها معناها وتفكر في مدلولها

معتبرا

معتبرا متدبرا ذاكرا راغبا راهبا معظما لها ولمسماها ومقدسا لذات
الله سبحانه وتعالى وانه يخطر بباله عند ذكر كل اسم الوصف الدال
عليه وقوله ان الله وتر يحب الوتر الفرد ومعناه في وصف الله تعالى
انه الواحد الذى لا شريك له ولا نظير وفيه تفضيل الوتر في الاعمال
لان اكثر الطاعات وتر وفيه دليل على اشهر اسمايه سبحانه وتعالى
لاضافة الاسما اليه فيقال الروف والكريم واللطيف الله وقد
قيل ان لفظة الله هو الاسم الاعظم • قال ابو القاسم القشيرى
فيه دليل على ان الاسم هو المسمى اذ لو كان غيره لكانت الاسما
لغيره وقوله ولله الاسما الحسنى فادعوه بها • وقال الامام فخر
الدين دلت الاية على ان الاسم غير المسمى لانها تدل على ان اسما
الله كثيرة ولا شك ان الله واحد فلزم القطع بان الاسم المسمى
وايضا قوله ولله الاسما الحسنى يقتضى اضافة الاسما الى الله واضافة
الشى الى نفسه محال وقال غيره الاسم عبارة عن اللفظ الدال
على الشى المسمى به هو غيره • وقال اهل اللغة انما جعل الاسم تنويها
على المعنى لان المعنى تحت الاسم والتسمية غير الاسم لان التسمية
عبارة عن تخير اللفظ المعين لتعريف ذات الشى والاسم عبارة
عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر • قال العلما كما يجب
تنزيه الله عن جميع النقايص فكذلك يجب تنزيه اسمايه ايضا
وقوله تعالى فادعوه بها يعنى ادعوا الله باسمايه التى سمى بها
نفسه او سماه بها رسوله ففيه دليل على ان اسما الله توقيفية
لا اصطلاحية ومما يدل على صحة هذا القول ويوكده انه يجوز ان
يقال يا جواد ولا يجوز ان يقال يا سخى ويجوز ان يقال يا عالم ولا يجوز
ان يقال يا عاقل ويجوز ان يقال يا حكيم ولا يجوز ان يقال يا طبيب
وللدعا شرايط منها ان يعرف الداعى معانى الاسما التى يدعو بها
ويستحضر في قلبه عظمة المدعو سبحانه وتعالى ويخلص النية في
دعايه مع كثرة التعظيم والتبجيل والتقديس لله تعالى ويعزم
المسيلة مع اعتقاد الاجابة ويعترف لله عز وجل بالربوبية
وعلى نفسه بالعبودية فاذا فعل العبد ذلك عظم موقع الدعا
وكان اثرا عظيما وقوله تعالى وذروا الذين يلحدون في اسمايه معنى
الالحاد في اللغة الميل عن القصد والعدول الى الاستقامة وقال
ابن السكيت الملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس فيه يقال
الحد في الدين الحاد اذا عدل عنه ومال الى غيره قال المحققون
الالحاد يقع في اسما الله على وجوه احدها اطلاق اسماء الله

فتـ

عز وجل فسموا اللات والعزى ومنات واشتقاق اللات من الإلهة
والعزى من العزيز ومنات من المنان وهذا معنى قول ابن عباس
ومجاهد الوجه الثاني وهو قول أهل المعاني أن الإلحاد في تسمية
الله هو تسميته بما لم يسم بها نفسه ولم يرد فيه نص من كتاب ولا
سنة لأن أسماء الله كلها توقيفية كما تقدم فلا يجوز فيها غير ما ورد
في الشرع بل ندعو الله بأسمائه التي وردت في الدعاء والسنة على
وجه التعظيم الوجه الثالث مراعاة حسن الأدب في الدعاء
فلا يجوز أن يقال يا ضار يا نافع يا خالق الخلق الوجه الرابع
أن لا يسمي الله العبد باسم لا يعرف معناه فإنه ربما سماه باسم
لا يليق إطلاقه على جلال الله سبحانه وتعالى ولا يجوز أن يسميه
لما فيه من الغرابة وقوله تعالى **سيجزون ما كانوا يعملون**
يعني في الآخرة ففيه وعيد وتهديد لمن ألحد في أسماء الله عز
وجل **وممن خلقنا أمة** يعني جماعة وعصابة **يهدون بالحق وبه
يعدلون** قال ابن عباس يريد أمة محمد صلى الله عليه وسلم
وهم المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان قال قتادة
بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ هذه الآية قال
هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة
يهدون بالحق وبه يعدلون **ق** عن معاوية قال وهو يخطب سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال من أمتي أمة قائمة
بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم
على ذلك وفي الآية دليل على أنه لا يخلو زمان من قائم بالحق يعمل
به ويهدي إليه **والذين كذبوا بآياتنا** يريد به جميع المكذبين بآيات
الله وهم الكفار وقيل المراد بهم أهل مكة والأول أولى لأن صيغة
العموم تتناول الكل إلا ما دل الدليل على خروجه منه **سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون** وقال الأزهري سنستدرجهم قليلا من حيث
لا يحتسبون وذلك أن الله يفتح عليهم من النعيم ما يغتبطون به
ويركنون إليه ثم يأخذهم على غرتهم أغفل ما يكونون وقيل معناه سنقربهم
إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم لأنهم
كانوا إذا أتوا بجرم أو أقدموا على ذنب فتح الله عليهم من أبواب
الخير والنعمة في الدنيا فيزدادوا بذلك تماديا في الغي والضلال
ويتدرجون في الذنوب والمعاصي فيأخذهم الله أخذة واحدة أغفل
ما يكونون عليه وقال الضحاك معناه كلما جددوا معصية جددنا
نعمة وقال الكلبي نزين أعمالهم ثم نهلكهم بها وقال سفيان الثوري

لنسبغ عليهم النعم ثم ننسيهم الشكر وروي أن عمر بن الخطاب لما حمل
إليه كنوز كسرى قال اللهم إني أعوذ بك أن أكون مستدرجا فإني
سمعتك تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون • قال أهل
المعاني الاستدراج أن يندرج الشيء إلى الشيء في خفية قليلا ومندرج
البصير إذا قارب في المشي ومنه درج الكتاب إذا طواه شيئا بعد
شيء **وأملي لهم** يعني وأمهلهم وأطيل مدة أعمارهم ليتمادوا في
الكفر والمعاصي ولا أعاجلهم بالعقوبة ولا أفتح لهم باب التوبة
إن كيدي متين يعني أخذي شديد والمتين من كل شيء هو القوي
الشديد • وقال ابن عباس إن مكري شديد قال المفسرون نزلت
هذه الآية في المستهزئين من قريش وذلك أن الله تعالى أمهلهم ثم
قتلهم في ليلة واحدة وفي الآية دليل على مسألة القضاء والقدر
وأن الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل وهم
يسألون قوله تعالى **أولم يتفكروا ما بصاحبهم** يعني محمد صلى الله عليه
وسلم **من جنة** يعني من جنون قال قتادة ذكر لنا أن النبي صلى الله
عليه وسلم قام على الصفا ليلا فجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يا بني
فلان يا بني فلان إني لكم نذير مبين وكان يحذرهم بأس الله ووقائعه
فقال قائلهم إن صاحبكم هذا المجنون بات يصوت إلى الصباح فأنزل
الله عز وجل أولم يتفكروا والتفكر التأمل وإعمال في عاقبة الأمر
والمعنى أولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم يعني محمدا صلى الله عليه
وسلم من جنة والجنة حالة من الجنون وإدخال لفظة من في قوله
من جنة يوجب أن لا يكون به نوع من أنواع الجنون وإنما نسبوه إلى
الجنون وهو بريء منه لأنهم رأوا أنه صلى الله عليه وسلم خالفهم في
الأقوال والأفعال لأنه كان معرضا عن الدنيا ولذاتها مقبلا على
الآخرة ونعيمها مشتغلا بالدعاء إلى الله عز وجل وإنذارهم بأسه
ونقمته ليلا ونهارا من غير ملال ولا ضجر فعند ذلك نسبوه إلى الجنون
فبرأه الله من الجنون قوله تعالى **إن هو** يعني ما هو **إلا نذير مبين** ثم
حثهم على النظر المؤدي إلى العلم بالوحدانية فقال تعالى **أولم ينظروا**
يعني نظر اعتبار واستدلال **في ملكوت السموات والأرض وما خلق
الله من شيء** والمقصود التنبيه على أن الدلالة على الوحدانية ووجود
الصانع القديم غير مقصورة على ملك السموات والأرض بل كل شيء
خلقه الله ويراه فيه دليل على وحدانية الله تعالى وآثار قدرته كما
قال الشاعر • وفي كل شيء له آية • تدل على أنه واحد •
وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم والمعنى ولعل أجلهم يكون قد

اقترب فيموتوا على الكفر قبل ان يومنوا فيصيروا الى النار واذا
كان الامر كذلك وجب على العاقل المبادرة الى التفكر والاعتبار
والنظر المودى الى الفوز بالنعيم المقيم **فباي حديث بعده** يعنى
بعد القران **يومنون** يعنى يصدقون والمعنى فباى كتاب بعد
الكتاب الذى جابه محمد صلى الله عليه وسلم يصدقون وليس
بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبى ولا بعد كتابه كتاب لانه خاتم
الانبيا وكتابه خاتم الكتب لانقطاع الوحى بعد محمد صلى الله
عليه وسلم ثم ذكر علة اعراضهم عن الايمان فقال تعالى **من يضلل
الله فلا هادى له** يعنى ان اعراض هولا عن الايمان لاضلال الله
اياهم ولو هداهم لامنوا **ويذرهم فى طغيانهم يعمهون** يعنى نتركهم
فى ضلالهم وتماديهم فى الكفر يترددون متحيرين لا يهتدون
سبيلا وقوله عز وجل **يسالونك عن الساعة ايان مرساها**
قال قتادة قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان بيننا
وبينك قرابة فاسر الينا متى الساعة فانزل الله تعالى هذه الاية
قال ابن عباس قال جبل بن ابى قشير وشمول بن زيد وهما من اليهود
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا
كما تقول فانا نعلم متى هى فانزل الله عز وجل يسالونك يا محمد عن
الساعة يعنى عن خبر القيامة سميت ساعة لانها تقوم فى ساعة
غفلة بغتة ولان حساب الخلايق ينقضى فيها فى ساعة واحدة
ايان سوال استفهام عن الوقت الذى تقوم فيه الساعة ومعناه
متى مرساها قال ابن عباس يعنى منتهاها متى وقوعها قال
والساعة الذى تموت الخلايق فيه واصل الارسا الثبات يقال
ارسا يرسوا اذا ثبت **قل** اى قل لهم يا محمد **انما علمها عند ربى** اى لا
يعلم الوقت الذى تقوم فيه الا الله استاثر الله بعلمها فلم يطلع
عليه احد ومن حديث الايمان وسوال جبريل النبى صلى الله عليه
وسلم قال فاخبرنى عن الساعة قال ما المسئول عنها باعلم من
السايل قال المحققون وسبب اخفا علم الساعة ووقت قيامها
عن العباد ليكونوا على خوف وحذر منها لانهم اذا لم يعلموا متى
يكون ذلك الوقت كانوا على وجل وخوف واشفاق منها فيكون
ذلك ادعى لهم الى الطاعة والتوبة وزجرهم عن المعصية **لا
يجليها لوقتها الا هو** قال مجاهد لا ياتى بها الا هو وقال السدى لا
يرسلها لوقتها الا هو والتجلية اظهار الشى بعد خفايه والمعنى لا
يظهرها لوقتها المعين الا الله ولا يقدر على ذلك غيره **ثقلت فى**

السموات

السموات والارض يعنى ثقل امرها وخفى علمها على اهل السموات
والارض وكل شى خفى فهو ثقيل شديد وقال الحسن اذا جات ثقلت
وعظمت على اهل السموات وانما ثقلت عليهم لان فيه فناوهم وموتهم
وذلك ثقيل على القلوب **لا تاتيكم الا بغتة** يعنى فجاة على حين
غفلة من الخلق **ق** عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا
يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن
لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى
ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها اللقحة بفتح
اللام وكسرها الناقة القريبة العهد بالنتاج **قوله** يليط
حوضه ويروى يلوط حوضه يعنى يطينه ويصلحه يقال لاط
حوضه يليطه ويلوطه اذا طينه واصله من اللصوق والاكلة
بضم الهمزة اللقمة وقوله تعالى **يسالونك كانك حفى عنها** سالك
قومك عن الساعة كانك حفى بهم بارهم شفيق عليهم فعلى
هذا القول فيه تقديم وتاخير يسالونك عنها كانك حفى بهم قال
ابن عباس يقول كان بينك وبينهم مودة وكانك صديق لهم
قال ابن عباس لما سال الناس محمدا صلى الله عليه وسلم عن الساعة
سالوه سوال قوم كانهم يرون ان محمدا صلى الله عليه وسلم حفى بهم
فاوحى الله اليه انما علمها عنده استاثر بعلمها فلا يطلع عليه
ملكا ولا رسولا وقيل معناه يسالونك عنها كانك حفى بها اى
عالم بها من قولهم احفيت فى المسئلة اذا بالغت فى السوال
عنها حتى علمتها **قل** يعنى يا محمد **انما علمها عند الله** يعنى استاثر
الله بعلمها فلم يعلم متى الساعة الا الله عز وجل **فان قلت**
قوله يسالونك عن الساعة ايان مرساها وقوله ثانيا
يسالونك كانك حفى عنها فيه تكرار **قلت** ليس فيه
تكرار لان السوال الاول سوال عن وقت قيام الساعة والسوال
الثانى سوال عن احوالها فى ثقلها وشدايدها فلم يلزم التكرار
فان **قلت** عبر عن الجواب فى السوال الاول بقوله علمها
عند ربى وعن الجواب فى السوال الثانى علمها عند الله فهل
من فرق بين الصورتين فى الجوابين **قلت** فيه فرق
لطيف وهو انه لما كان السوال الاول واقعا عن وقت قيام
الساعة عبر عن الجواب فيه بقوله علم وقت قيامها عند ربى
ولما كان السوال الثانى واقعا فى احوالها وشدايدها وثقلها

عجز عن الجواب فيه بقوله علم ذلك عند الله لانه اعظم الاشيا ولكن
اكثر الناس لا يعلمون يعني لا يعلمون ان علمها عند الله وانه
استاثر بعلم ذلك حتى لا يسئلوا عنها عنه وقيل ولكن اكثر الناس
لا يعلمون السبب الذي من اجله اخفى علم وقت قيامها المغيب
عن الخلق **قوله عز وجل** قل لا املك لنفسي نفعا ولا
ضرا قال ابن عباس ان اهل مكة قالوا يا محمد الا يخبرك ربك
بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فتشتريه فتربح فيه عند الغلاء
وبالارض التي تريد ان تجدب فترحل منها الى ما قد اخصب فانزل
الله قل لا املك لنفسي نفعا اي اجتلاب نفع بان اربح فيما
اشتريه ولا ضرا يعني ولا اقدر ان ادفع عن نفسي ضرا نزل بها
بان ارتحل عنها اشتريه ارحل الى الارض الخصبة واترك المجدبة
الا ما شاء الله يعني املكه واقدر عليه ولو كنت اعلم الغيب
لاستكثرت من الخير يعني لو كنت اعلم الخصب والجدب
لاستكثرت من المال وما مسني السوء يعني الضر والفقر
والجوع وقال ابن جريج معناه لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا
من الهدى والضلالة ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير
يعني من العمل الصالح • وقيل ان اهل مكة لما سالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الساعة انزل الله الاية الاولى وهذه
الاية ومعناه انا لا ادعي علم الغيوب فذكر ان قدرته قاصرة على علم
الغيب **فان قلت** قد اخبر صلى الله عليه وسلم عن المغيبات
وقد جاءت احاديث في الصحيح بذلك وهو من اعظم معجزاته صلى الله
عليه وسلم فكيف الجمع بينه وبين قوله ولو كنت اعلم الغيب ه
لاستكثرت من الخير **قلت** يحتمل ان يكون قاله صلى الله عليه
وسلم على سبيل التواضع والادب والمعنى لا اعلم الغيب الا ان
يطلعني الله عليه ويقدره لي ويحتمل ان يكون ذلك قبل ان يطلعه
الله عز وجل على الغيب فلما اطلعه الله اخبر به كما قال فلا يظهر على
غيبه احدا الا من ارتضى من رسول او يكون خرج هذا الكلام مخرج
الجواب عن سؤالهم ثم بعد ذلك اظهره الله تعالى على شيا من
المغيبات فاخبر عنها ليكون ذلك معجزة له ودلالة على صحة نبوته
صلى الله عليه وسلم وقوله وما مسني السوء يعني الجنون وذلك انهم
نسبوه الى الجنون • وقيل معناه ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت
من تحصيل الخير واحترزت عن الشر حتى اصير بحيث لا يمسني السوء
وقيل معناه ولو كنت اعلم الغيب لاعلمتكم وقت قيام الساعة حتى

تومنوا

تومنوا وما مسني السوء يعني قولكم لو كنت نبيا لعلمت متى تقوم
الساعة ان انا الا نذير يعني ما انا الا رسول ارسلني الله اليكم انذركم
واخوفكم عقابه ان لم تومنوا وبشير يعني وابشر بثوابه لقوم يومنون
يعني يصدقون **قوله عز وجل** هو الذي خلقكم من نفس واحدة
يعني ادم عليه السلام وجعل منها زوجها يعني وخلق منها زوجها
وقد تقدم كيفية خلق حوا من ضلع ادم في سورة النسا ليسكن اليها
يعني ليانس بها وياوي اليها فلما تغشاها يعني واقعها وجامعها
كني به عن الجماع احسن كناية لان الغشيان اتيان الرجل المراة وقد
غشيها وتغشاها اذا علاها وتجللها حملت حملا خفيفا يعني النطفة
والمني لان اول ما تحمل النطفة وهي خفيفة عليها فمرت به يعني انها
استمرت بذلك الحمل فقامت وقعدت وهو خفيف عليها فلما اثقلت
اي صارت الى حال الثقل وكبر ذلك الحمل ودنت ولادتها دعوا الله
ربهما يعني ان ادم وحوا دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا يعني
لئن اعطيتنا بشرا سويا مثلنا لنكونن من الشاكرين يعني لك على
انعامك علينا قال المفسرون لما اهبط ادم وحوا الى الارض القيت
الشهوة في نفس آدم فاصاب حوى فحملت من ساعتها فلما ثقل الحمل
وكبر الولد اتاها ابليس فقال لها ما الذي في بطنك قالت ما ادري
قال اني اخاف ان يكون بهيمة او كلبا او خنزيرا انزي من الارض الا
بهيمة او نحوها قال اني اخاف بعض ذلك قال وما يدريك من
اين يخرج من دبرك ام من فيك او يشق بطنك فيقتلك فخافت
حوى من ذلك وذكرت لادم فلم يزالا في غم من ذلك ثم عاد اليها
ابليس فقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا
سويا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسم
ابليس في الملايكة الحارث فذكرت حوا ذلك لادم فقال لعله صاحبنا
الذي علمت فعاودها ابليس فلم يزل بهما حتى غرهما فلما ولدت سمياه
عبد الحارث وقال ابن عباس كانت حوى تلد لادم فتسميه عبد الله
وعبيد الله وعبد الرحمن فيصيبهم الموت فاتاهما ابليس فقال لهما ان
سركما ان يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث فولدت فسمياه عبد
الحارث فعاش • عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما حملت حوى طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال
سميه عبد الحارث فسمته فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وامره
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث
عمر بن ابراهيم عن قتادة وقال وقد رواه بعضهم ولم يرفعه وقوله وذلك

وحوى الشيطان يعني من سوسته وحدته كما جا انه خدعهما مرتين مرة في الجنة ومرة في الارض قال ابن عباس لما ولد له اول ولد اتاه ابليس فقال اني سانصح لك في شان ولدك هذا اسميه عبد الحارث وكان اسمه في السما الحارث فقال آدم اعوذ بالله من طاعتك اني اطعتك في اكل الشجرة فاخرجتني من الجنة فلن اطيعك فمات ولده ثم ولد له بعده ولد اخر فقال اطعني والامات كما مات الاول فعصاه فمات ولده فقال لا ازال اقتلهم حتى تسميه عبد الحارث فلم يزل به حتى سماه عبد الحارث فذلك قوله عز وجل **فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما** قال ابن عباس اشركه في طاعته في غير عبادته ولم يشرك بالله ولكن اطاعه وقال قتادة اشركا في الاسم ولم يشركا في العبادة وقال عكرمة ما اشرك ادم ولا حوى وكان لا يعيش لهما ولد فاتاهما ابليس فقال ان سركما ان يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث فهو قوله جعلا له شركا فيما اتاهما قرى شركا بكسر الشين مع التنوين ومعناه شركة وقال ابو عبيدة معناه حظا ونصيبا وقرى شركا بضم الشين مع المد جمع شريك يعني ان ابليس عبر عن الواحد بلفظ الجمع يعني جعلا له شريكا اذ سميا ولدهما عبد الحارث وقال العلما ولم يكن ذلك شركا في العبادة لا ان الحارث ربا لهما لان آدم عليه السلام كان نبيا معصوما من الشركة ولكن قصدا بتسميتهما الولد بعبد الحارث لان الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامته وسلامة امه وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به انه مملوك كما قال الشاعر

واني لعبد الضيف ما دام ثاويا • اخبر عن نفسه انه عبد الضيف ما اقام عنده مع بقا الحرية عليه وانما اراد بالعبودية خدمة الضيف والقيام بواجب حقوقه كما يقوم العبد بواجب حقوق سيده وقد يطلق اسم الرب بغير الف ولام على غير الله كقول يوسف عليه السلام لعزيز مصر انه ربي احسن مثواي اراد به التربية ولم يرد به انه ربه ومعبوده فكذلك هذا وانما اخبر عن ادم بقوله جعلا له شركا فيما اتاهما لان حسنات الابرار سيات المقربين ولان منصب النبوة اشرف المناصب واعلاها فعاتبه الله على ذلك لانه نظر الى السبب ولم ينظر الى المسبب والله اعلم بمراده واسرار كتابه قال العلما وعلى هذا فقد تم الكلام عند قوله فيما اتاهما ثم ابتدا في الخبر عن الكفار فقال تعالى **فتعالى الله عما يشركون** نزه نفسه سبحانه وتعالى عن اشراك المشركين من اهل مكة وغيرهم وهذا على العموم ولو اراد ادم وحوى

لقال

لقال فتعالى الله عما يشركون بشركان على التثنية لا على الجمع وقال بعض اهل المعاني ولو اراد به ما سبق من معنى الاية فيستقيم ايضا من حيث انه كان الاولى ان لا يفعلا ما اتيا به من الاشراك في التسمية وكان الاولى ان يسمياه عبد الله لا عبد الحارث وفي معنى الاية قول اخر وهو انه راجع الى جميع المشركين من ذرية ادم وهو قول الحسن و عكرمة ومعناه وجعل اولادهما له شركا فحذف ذكر الاولاد واقامهما مقامهم كما اضاف فعل الابا الى الابنا بقوله ثم اتخذتم العجل واذ قتلتم نفسا فعيره اليهود الذين كانوا موجودين زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك من فعل ابائهم • قال عكرمة خاطب كل واحد من الخلق بقوله خلقكم من نفس واحدة اي خلق كل واحد من ابيه وجعل منها زوجها اي وجعل من جنسها زوجها ادمية مثله وهذا قول حسن الا ان القول الاول اصح لانه قول السلف مثل ابن عباس ومجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهم من المفسرين وورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هم اليهود والنصارى رزقهم الله اولادا فهودوهم ونصروهم • وقال ابن كيسان هم الكفار سموا اولادهم بعبد العزى وعبد شمس وعبد الدار ونحو ذلك وقوله تعالى **ايشركون** قرى بالتا على خطاب الكفار وقرى باليا على الغيبة **ما لا يخلق شيا** يعني ابليس والاصنام **وهم يخلقون** اي وهم مخلوقون **فان قلت** كيف وحد يخلق ثم جمع فقال وهم يخلقون **قلت** ان لفظ ما يقع على الواحد والاثنين فهو من صيغ الوحدان بحسب ظاهر اللفظ وجمع قوله وهم يخلقون رعاية لجانب المعنى **فان قلت** كيف جمع بالواو والنون لمن لا يعقل وهو جمع من يعقل من الناس **قلت** لما اعتقدوا عابدوا الاصنام انها لا تعقل وتميز ورد هذا الجمع بنا على ما يعتقدونه ويتصورونه وقوله تعالى **ولا يستطيعون لهم نصرا** يعني ان الاصنام لا تقدر على نصر من اطاعها وعبدها ولا تقدر من عصاها والنصر المعونة على الاعدا والمعنى ان المعبود الذي يجب عبادته يكون قادرا على ايصال النفع ودفع الضر وهذه الاصنام ليست كذلك فكيف يليق بالعاقل ان يعبدها ثم قال تعالى **ولا انفسهم ينصرون** يعني ولا يقدرون ان يدفعوا عن انفسهم مكروها فان من اراد كسرها ودفع فكيف تقدر عليه وهي لا تقدر على دفعه عنها ثم خاطب المومنين فقال تعالى **وان تدعوهم الى الهدى** يعني وان تدعوا ايها المومنون المشركين الى الهدى **لا يتبعوكم** لان الله تعالى حكم عليهم بالضلالة فلا

يبتغوا الهداية **سواء عليكم أدعوتموهم** يعني الى الدين والهدى **ام انتم صامتون** اي ساكتون عن دعائهم فهم في كلا الحالين لا يؤمنون وقيل ان الله تعالى لما بين في الاية المتقدمة عجز الاصنام بين في هذه الاية انه لا علم لها بشي البتة والمعنى ان هذه الاصنام التي يعبدها المشركون معلوم من حالها انها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع لمن دعاها الى خير وهدى ثم قوى هذا المعنى بقوله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وذلك ان المشركين كانوا اذا وقعوا في شدة وبلا تضرعوا الى اصنامهم فاذا لم يكن الى الاصنام حاجة سكتوا وصمتوا فقيل لهم لا فرق بين دعائكم الاصنام او سكوتكم عنها فانها عاجزة في كل حال قوله تعالى **ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم** يعني ان الاصنام التي يعبدها هولاء المشركون انما هي مملوكة لله امثالهم وقيل انها مسخرة من الله مثل ما انتم مسخرون مذللون • وقال مقاتل في قوله عباد امثالكم انها الملايكة والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الملايكة والقول الاول اصح وفيه سوال وهو انه وصفها بانها عباد مع انها جماد والجواب ان المشركين لما ادعوا ان الاصنام تضر وتنفع وجب ان يعتقدوا كونها عاقلة فاهمة فوردت هذه الالفاظ على وفق معتقدهم تبكيتا لهم وتوبيخا ولذلك قال تعالى **فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين** في كونها الهة وجواب اخر وهو ان هذا اللفظ انما ورد في معرض الاستهزا بالمشركين والمعنى ان قصارى هذه الاصنام التي تعبدونها احيا عاقلة على معتقدكم فهم عباد الله امثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم عبدتموهم وجعلتموهم الهة وجعلتم انفسكم لهم عبيد ثم وصفهم بالعجز فقال تعالى **الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها** يعني ان قدرة الانسان المخلوق انما تكون بهذه الجوارح الاربعة فانها الات يستعين بها في جميع اموره والاصنام ليس لها من هذه الاعضا والجوارح شي فهم يفضلون عليهم بهذه الاعضا لان الرجل الماشية افضل من الرجل العاجزة عن المشي وكذلك اليد الباطشة افضل من اليد العاجزة عن البطش والعين الباصرة افضل من العين العاجزة عن الادراك والاذن السامعة افضل من الاذن العاجزة عن السمع فظهر بهذا البيان ان الانسان افضل من هذه الاصنام العاجزة بكثير بل لا فضل لها البتة لانها حجارة وجماد لا تضر ولا تنفع وان كان الامر كذلك فكيف يليق بالانسان العاقل الافضل

ان يشتغل بعبادة الاخس الادون الارذل الذي لا فضل له البتة ولا يضر ولا ينفع فامتنع بهذه الحجة كون الاصنام الهة ثم قال تعالى **قل ادعوا شركاكم** اي قل يا محمد لهولا المشركين ادعوا شركاكم هذه الاصنام التي تعبدونها حتى يتبين عجزها **ثم كيدون** يعني انتم وشركاوكم وهذا متصل بما قبله في استكمال الحجة عليهم لانهم لما فزعوا بعبادة من لا يملك ضرا ولا نفعا قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم قل ان معبودي يملك الضر والنفع فلو اجتهدتم في كيدي لم تصلوا الى ضري لان الله يدفع عني وقال الحسن كانوا يخوفونه بالهتهم فقال الله تعالى قل ادعوا شركاكم ثم كيدون **فلا تنظرون** اي لا تمهلوا واجعلوا في كيدكم انتم وشركاوكم **ان وليي الله** يعني ان الذي يتولى حفظي وينصرني عليكم هو الله **الذي نزل الكتاب** يعني القران والمعنى كما ايدني بانزال الكتاب علي كذلك يتولى حفظي وينصرني **وهو يتولى الصالحين** يعني يتولاهم بنصره وحفظه فلا يضرهم عداوة من عاداهم من المشركين وغيرهم ممن ارادهم بسوء وكادهم بشر قال ابن عباس يريد بالصالحين الذين لا يعدلون بالله شيا ولا يعصونه وفي هذا امدح للصالحين لان من تولاه الله بحفظه فلا يضره شي

قوله عز وجل **والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون** هذه الاية قد تقدم تفسيرها والفايدة في تكريرها ان الاية الاولى مذكورة على جهة التقريع والتوبيخ وهذه الاية مذكورة على جهة الفرق بين من يجوز له العبادة وهو الله الذي يتولى الصالحين بنصره وحفظه وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تكون معبودة وقوله تعالى **وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون** قال الحسن المراد بهذا المشركون ومعناه وان تدعوا ايها المومنون المشركين الى الهدى لا يسمعوا دعاكم لان اذانهم قد صمت عن سماع الحق وتراهم ينظرون اليك يا محمد وهم لا يبصرون يعني ببصاير قلوبهم وذهب اكثر المفسرين الى ان هذه الاية ايضا واردة في صفات الاصنام لانها جماد لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر قوله تعالى **خذ العفو** العفو هنا الفضل وما جا بلا كلفة والمعنى اقبل الميسور من اخلاق الناس ولا تستقص عليهم فيستقصون عليك فتتولد منه العداوة والبغضا وقال مجاهد يعني خذ العفو من اخلاق الناس واعمالهم من غير تجسس وذلك مثل قبول الاعتذار منهم وترك البحث عن الاشيا والعفو المساهلة في كل شي خ عن عبد الله بن الزبير قال ما نزلت

خذ العفو وامر بالعرف الا من اخلاق الناس وفي رواية قال امر الله
نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياخذ العفو من اخلاق الناس كذا في
جامع الاصول وفي الجمع بين الصحيحين للحميدي قال امر الله نبيه
صلى الله عليه وسلم ان ياخذ العفو من اقوال الناس او كما قال
وقال ابن عباس خذ ما عفا لك من اموالهم فما اتوك به من شي
فخذه وكان هذا قبل ان تنزل براة بفرايض الصدقات وتفصيلها
وما انتهت اليه وقال السدي خذ العفو اي الفضل من المال
نسختها اية الزكاة • وقال الضحاك خذ ما عفا من اموالهم
وهذا قبل ان تفرض الصدقة المفروضة **واعرض عن الجاهلين**
امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصفح عن الجاهلين
وهذا قبل ان يومر بقتال الكفار فلما امر بقتالهم صار الامر بالاعراض
عنهم منسوخا باية القتال • قال بعضهم اول هذه الاية واخرها
منسوخ ووسطها محكم يريد بنسخ اولها اخذ الفضل من الاموال
فنسخ بفرض الزكاة والامر بالمعروف محكم والاعراض عن الجاهلين
منسوخ باية القتال • روي انه لما نزلت هذه الاية قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ما هذا قال لا ادري حتى اسال ثم
رجع فقال ان ربك يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك
وتعفو عمن ظلمك ذكره البغوي بغير سند • وقال جعفر الصادق
امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الاخلاق وليس في
القران اجمع اية لمكارم الاخلاق من هذه • عن عايشة رضي الله عنها
قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا
سخابا في الاسواق ولا يجزي بالسيية السيية ولكن يعفو ويصفح اخرجه
الترمذي • وروى البغوي بسنده عن جابر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتمام
محاسن الافعال **قوله عز وجل** **واما ينزغنك من الشيطان
نزغ** قال ابن زيد لما نزل قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض
عن الجاهلين قال النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بالغضب يا رب
فانزل الله واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه
سميع عليم ونزغ الشيطان عبارة عن وساوسه ونخسه في القلب
وقيل النزغ الانزعاج واكثر ما يكون عند الغضب واصله الازعاج
بالحركة الى الشر والافساد يقال نزغت بين القوم اذا افسدت بينهم
وقال الزجاج في النزغ ادنى حركة تكون ومن الشيطان ادنى وسوسة
والمعنى واما يصيبك يا محمد ويعرض لك من الشيطان وسوسة

او نخسة **فاستعذ بالله** يعني فاستجر بالله والجا اليه في دفعه عنك
انه سميع يعني لدعايك **عليم** بحالك وقيل ان الشيطان يجد
مجالا في حمل الانسان على ما لا ينبغي في حالة الغضب والغيظ فامر
الله بالالتجا اليه والتعوذ به في تلك الحالة فهي تجري مجرى العلاج
لذلك المرض **فصل** واحتج الطاعنون في عصمة الانبيا
بهذه الاية فقالوا لو كان النبي معصوما لم يجد للشيطان عليه سبيل
حتى ينزغ في قلبه ويحتاج الى الاستعاذة **والجواب** عنه من
وجوه الاول ان معنى الكلام ان حصل في قلبك نزغ من الشيطان
فاستعذ بالله وانه لم يحصل له ذلك البتة فهو كقوله لين اشركت
وهو بري من الشرك البتة **والوجه** الثاني على تقدير انه لو
حصل وسوسة من الشيطان لكن الله عز وجل قد عصم نبيه صلى الله
عليه وسلم عن قبولها وثبوتها في قلبه م عن ابن مسعود قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وقد وكل به
قرينه من الجن وقرينه من الملايكة قالوا واياك يا رسول الله قال
واياي الا ان الله اعانني عليه فاسلم فلا يامرني الا بخير • قال
الشيخ محيي الدين النواوي فاسلم بفتح الميم وضمها فمن رفع قال
معناه فاسلم انا من شره وفتنته ومن فتح قال معناه ان القرين
اسلم من الاسلام يعني صار مومنا لا يامرني الا بخير قال الخطابي
الصحيح المختار الرفع ورجح القاضي عياض الفتح قال الشيخ وهو
المختار لقوله فلا يامرني الا بخير • قال القاضي عياض واعلم ان الامة
مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان في جسمه
وخاطره ولسانه • وفي الحديث اشارة الى التحذير من فتنة القرين
ووسوسته واغوايه اعلمنا انه معنا لنحترز منه بحسب الامكان والله
اعلم **الوجه** الثالث يحتمل ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمراد به غيره ومعناه واما ينزغنك ايها الانسان من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله فهو كقوله واذا قرات القران فاستعذ بالله
قوله تعالى **ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف** وقرى طايف **من الشيطان**
وهما لغتان ومعناه الشي يلم بالانسان وقيل بينهما فرق فالطايف ما
يطوف حول الانسان والطيف الوسوسة وقيل الطايف ما طاف به
من وسوسة الشيطان والطيف اللمم والمس • وقال الازهري
الطيف في كلام العرب الجنون وقيل للغضب طيف لان الغضبان
يشبه المجنون وقيل سمي الجنون والغضب والوسوسة طيفا لانه
لمة من الشيطان تشبه لمة الخيال فذكر في الاية الاولى النزغ وهو اخف

من الطايفة المذكورة في هذه الاية لان حالة الشيطان مع الانبيا
اضعف من حاله مع غيرهم **تذكروا** يعني عرفوا ما حصل لهم من
وسوسة الشيطان وكيده قال سعيد بن جبير هو الرجل يغضب
الغضب فيذكر الله فيكظم غيظه وقال مجاهد الرجل يلم بالذنب ه
فيذكر الله فيقوم ويدعه **فاذا هم مبصرون** يعني انهم يبصرون مواقع
الخطا بالتذكر والتفكر وقال السدي اذا زلوا تابوا وقال مقاتل
اذا اصابه نزغ من الشيطان تذكر وعرف انه معصية فابصر ونزع
عن مخالفة الله عز وجل **واخوانهم** يعني واخوان الشياطين من
المشركين **يمدونهم** اي يمدهم الشياطين **في الغي** وقال الكلبي لكل
كافر اخ من الشياطين يمدونهم اي يطيلون لهم في الاغوا حتى
يستمروا عليه وقيل يزيدونهم من الضلالة **ثم لا يقصرون**
يعني لا يكفون عن الضلالة ولا يتركونها وهذا بخلاف حال
المومنين المتقين لان المومن اذا اصابه طيف من الشيطان
تذكر وعرف ذلك فنزع عنه وتاب واستغفر والكافر يستمر
في ضلالته لا يتذكر ولا يرعوي وقال ابن عباس لا الانس لا يقصرون
عما يعملون من السيات ولا الشياطين يمسكون عنهم فعلى هذا
القول يحمل قوله لا يقصرون على فعل الانس والشياطين جميعا
قوله عز وجل **واذا لم تاتهم باية** يعني وان لم تات المشركين
يا محمد باية معجزة باهرة **قالوا** يعني قال المشركون **لولا اجتبيتها**
يعني افتعلتها وانشاتها من قبل نفسك واختيارك تقول
العرب اجتبيت الكلام اذا اختلقته فافتعلته وقال الكلبي
كان اهل مكة يسالون النبي صلى الله عليه وسلم الايات تعنتا
فاذا تاخرت اتهموه وقالوا لولا اجتبيتها وانشاتها من عندك
قل اي قل يا محمد لهولا المشركين الذين سالوا الايات **انما اتبع**
ما يوحى الي من ربي يعني من القران الذي انزله علي وليس لي ان
اقترح الايات والمعجزات **هذا بصاير من ربكم** يعني هذا القران
فيه حجج وبرهان واصل البصاير الابصار وهو ظهور الشي حتى
يبصره الانسان ولما كان القران سببا لبصاير العقول في
دلايل التوحيد والنبوة والمعاد واطلق عليه اسم البصيرة
فهو من باب تسمية السبب باسم المسبب **وهدى** يعني وهو
هدى **ورحمة** يعني وهو رحمة من الله **لقوم يومنون** وهنا لطيفة
وهو الفرق بين هذه المراتب الثلث وذلك ان الناس ه
متفاوتون في درجات العلوم فمنهم من بلغ الغاية في علم التوحيد

حتى

حتى صار كالمشاهد وهم اصحاب عين اليقين ومنهم من بلغ درجة
الاستدلال والنظر وهم اصحاب علم اليقين ومنهم المسلم المستسلم
وهم عامة المومنين وهم اصحاب حق اليقين فالقران في حق
الاولين وهم السابقون بصاير وفي حق القسم الثاني وهم المستدلون
هدى وفي حق القسم الثالث وهم عامة المومنين رحمة قوله
تعالى **واذا قرى القران فاستمعوا له وانصتوا** لما ذكر الله تعالى
عظم شان القران بقوله هذا بصاير من ربكم وهدى ورحمة
اتبعه بما يجب من تعظيم شانه عند قراته فقال تعالى واذا
قرى عليكم ايها المومنون القران فاستمعوا له يعني اصغوا
اليه اسماعكم لتفهموا معانيه وتدبروا مواعظه وانصتوا يعني
عند قراته والانصات السكوت للاستماع يقال نصت وانصت
وانتصت بمعنى واحد واختلف العلما في الحال التي امر الله
عز وجل بالاستماع لقاري القران والانصات له اذا قرى لان قوله
فاستمعوا له وانصتوا امر وظاهر الامر للوجوب فمقتضاه ان
يكون الاستماع والسكوت واجبين وللعلما في ذلك اقوال
القول الاول وهو قول الحسن واهل الظاهر ان تجري هذه الاية
على العموم ففي اي وقت واي موضع قرى القران يجب على كل احد
الاستماع له والسكوت القول الثاني انها نزلت في تحريم
الكلام في الصلاة روى عن ابي هريرة انهم كانوا يتكلمون في الصلاة
بحوايجهم فامروا بالسكوت والاستماع لقراة القران ه وقال
عبد الله كنا يسلم بعضنا على بعض في الصلاة سلام على فلان
وسلام على فلان ه فجا القران واذا قرى القران فاستمعوا
له وانصتوا القول الثالث انها نزلت في ترك الجهر بالقراة
خلف الامام روي عن ابي هريرة قال نزلت هذه الاية في رفع
الاصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ه وعن ابن
مسعود انه سمع اناسا يقرون مع الامام فلما انصرف قال اما
ان لكم ان تفقهوا واذا قرى القران فاستمعوا له وانصتوا كما امركم
الله وقال الكلبي كانوا يرفعون اصواتهم في الصلاة حين يسمعون
ذكر الجنة والنار القول الرابع انها نزلت في السكوت عند
الخطبة يوم الجمعة وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطا قال
مجاهد الانصات للامام يوم الجمعة وقال عطا وجب الصموت
في اثنتين عند الرجل يقرا القران وعند الامام وهو يخطب وهذا
القول قد اختاره جماعة وفيه بعد لان الاية مكية والخطبة انما

وجبت بالمدينة واتفقوا على انه يجب الانصات حال الخطبة بدليل
السنة وهو ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا قلت لصاحبك انصت والامام يخطب يوم الجمعة فقد
لغوت اخرجاه في الصحيحين • واختلف العلما في القراة خلف
الامام فذهب جماعة الى ايجابها سوا جهر الامام بالقراة او اسر
يروى ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن عباس ومعاذ وهو قول
الاوزاعي واليه ذهب الشافعي • وذهب قوم الى انه يقرا فيما
اسر الامام فيه القراة ولا يقرا اذا جهر يروى عن ابن عمر وهو قول
عروة بن الزبير والقاسم بن محمد وبه قال الزهري ومالك وابن
المبارك واحمد واسحاق وذهب قوم الى انه لا يقرا سوا اسر
الامام ام جهر يروى ذلك عن جابر واليه ذهب اصحاب الراى
حجة من لا يرى القراة خلف الامام ظاهر هذه الاية وحجة من قال
يقرا في السرية دون الجهرية قال ان الاية تدل على ان الامر بالاستماع
لقراة القران ودلت السنة على وجوب القراة خلف الامام فحملنا
مدلول الاية على صلاة السرية جمعا بين دلايل الكتاب والسنة
وحجة من اوجب القراة خلف الامام في صلاة السرية والجهرية
قال الاية واردة في غير الفاتحة لان دلايل السنة قد دلت على
وجوب قراة الفاتحة خلف الامام ولم يفرق بين السرية والجهرية
قالوا وانما اقرا الفاتحة خلف الامام يتبع سكتاته ولا ينازعه في
القراة ولا يجهر بالقراة خلفه • ويدل عليه ما روي عن عبادة
ابن الصامت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فثقلت
عليه القراة فلما انصرف قال اراكم تقرؤون ورا امامكم قال قلنا يا
رسول الله اي والله قال لا تفعلوا الا بام القران فانه لا صلاة لمن لم
يقرا بها اخرجه الترمذي بطوله واخرجاه في الصحيحين اقصر منه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرا بفاتحة
الكتاب **م** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صلى صلاة لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج يقولها غير
تمام فقيل انا نكون ورا الامام قال اقرا بها في نفسك وذكر الحديث
قوله تعالى **لعلكم ترحمون** يعني لكي يرحمكم ربكم باتباعكم ما امركم به
من اوامره ونواهيه **قوله عز وجل** **واذكر ربك في نفسك** الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من امته لانه عام لسائر
المكلفين قال ابن عباس يعني بالذكر القراة في الصلاة يريد تقرا
سرا في نفسك والفايدة فيه ان انتفاع الانسان بالذكر انما يكمل اذا

وقع

وقع الذكر بهذه الصفة لان ذكر النفس اقرب الى الاخلاص والبعد
عن الريا وقيل المراد بالذكر في النفس ان يستحضر في قلبه عظمة
المذكور جل جلاله واذا كان الذكر باللسان عاريا عن ذكر القلب كان
عديم الفايدة لان فايدة الذكر حضور القلب واستشعاره عظمة
المذكور تعالى **تضرعا** يقال ضرع الرجل يضرع ضراعة اذا خضع
وذل واستكان لغيره **وخيفة ودون الجهر من القول** يعني
وخوفا والمعنى يتضرع الي ويخاف من عذابي وقال مجاهد وابن
جريج امروا ان يذكروه في الصدور بالتضرع والاستكانة دون رفع
الصوت في الدعا وها هنا لطيفة وهي ان قوله تعالى واذكر ربك
في نفسك فيه اشعار بقرب العبد من الله عز وجل وهو مقام
الرجا لان لفظ الرب يشعر بالتربية والرحمة والفضل والاحسان
فاذا تذكر العبد انعام الله عليه واحسانه اليه فعند ذلك يقوى
مقام الرجا ثم اتبعه بقوله تضرعا وهذا مقام الخوف فاذا حصل في
قلب العبد داعية الخوف اغلب على العبد في حال صحته وقوته فاذا
قارب الموت ودنا اجله فيستحب ان يغلب رجاوه على خوفه
عن انس بن مالك رضي الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم على
شاب وهو في الموت فقال له كيف تجدك قال ارجو الله يا رسول الله
واني اخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في
قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله ما يرجوه وامنه مما
يخاف اخرجه الترمذي وقوله تعالى **بالغدو** جمع غدوة **والاصال**
جمع اصيل وهو ما بين صلاة العصر الى المغرب والمعنى اذكر ربك
بالبكر والعشيات وانما خص هذين الوقتين بالذكر لان الانسان يقوم
بالغداة من النوم الذي هو اخو الموت فاستحب له ان يستقبله بالذكر
لانها حالة تشبه الموت ولعله لا يقوم من تلك النومة فيكون موته
على ذكر الله تعالى وهو المراد من قوله عز وجل **ولا تكن من الغافلين**
يعني عما يقربك الى الله عز وجل وقيل ان اعمال العباد تصعد اول
النهار واخره فيصعد عمل الليل عند صلاة الفجر ويصعد عمل النهار
بعد العصر الى المغرب فاستحب له الذكر في هذين الوقتين ليكون
ابتدا عمله بالذكر واختتامه بالذكر • وقيل لما كانت الصلاة بعد صلاة
الصبح وبعد صلاة العصر مكروهة استحب للعبد ان يذكر الله في هذين
الوقتين ليكون في جميع اوقاته مشتغلا بما يقربه الى الله تعالى من
صلاة او ذكر **قوله عز وجل** **ان الذين عند ربك**
يعني الملايكة المقربين لما امر الله عز وجل رسوله والمومنين

بالذكر في حالة التضرع والخوف اخبر ان الملايكة الذين عنده مع
علو مرتبتهم وشرفهم وعصمتهم لا يستكبرون عن عبادته وطاعته
لانهم عبيده خاضعين لعظمته وكبريايه عز وجل ويسبحونه يعني
وينزهونه عن جميع النقايص ويقولون سبحان الله ربنا وله يسجدون
لا لغيره فان قلت التسبيح والسجود داخلان في قوله لا
يستكبرون عن عبادته لانهما من جملة العبادة فكيف افردهما بالذكر
قلت اخبر الله عز وجل عن حال الملايكة انهم خاضعين لعظمته
لا يستكبرون عن عبادته ثم اخبر عن صفة عبادتهم وانهم يسبحونه
وله يسجدون ولما كانت الاعمال تنقسم الى قسمين اعمال القلوب
واعمال الجوارح فاعمال القلوب هي تنزيه الله عن كل سوء وهو
الاعتقاد القلبي عبر عنه بقوله ويسبحونه وعبر عن اعمال الجوارح
بقوله وله يسجدون وهذه السجدة من عزايم سجود القران فيستحب
للقاري والمستمع ان يسجد عند قوله وله يسجدون ليوافق الملايكة
المقربين في عبادتهم ق عن عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يقرا القران فيقرا سورة فيها سجدة فيسجد ونسجد معه حتى
ما يجد بعضنا موضعا لمكان جبهته في غير وقت صلاة م عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن ادم السجدة
فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلنا امر ادم بالسجود فسجد
فله الجنة وامرت بالسجود فابيت فلي النار م عن ثوبان مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول عليك بكثرة السجود لله فانك لا تسجد لله سجدة الا رفعك
الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة والله اعلم باسرار كتابه

• تفسير سورة الانفال مدنية •

كلها الا سبع ايات منها نزلت بمكة وهي من قوله تعالى واذ يمكر بك الذين
كفروا الى اخر سبع ايات والاصح انها نزلت بالمدينة وان كانت الواقعة
بمكة وهي خمس وسبعون اية والف وخمس وسبعون كلمة وخمسة
الاف وثمانون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم •

قوله عز وجل يسالونك عن الانفال ق عن سعيد بن جبير
قال قلت لابن عباس سورة الانفال قال نزلت في بدر واختلف
اهل التفسير في سبب نزولها فقال ابن عباس لما كان يوم بدر
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع كذا وكذا فله كذا
وكذا ومن اتى مكان كذا فله كذا ومن قتل قتيلا فله كذا فتسارع
الشباب وبقيت الشيوخ تحت الرايات فلما فتح الله عليهم جاوا

يطلبون ما جعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم الاشياخ لا
تذهبوا به دوننا ولا تستاثروا به علينا فانا كنا ردا لكم ولو انكشفتم
انكشفتم الينا فتنازعوا فانزل الله عز وجل يسالونك عن الانفال
الاية قال اهل التفسير وقام ابو اليسر بن عمرو الانصاري اخو بني
سلمة فقال يا رسول الله انك وعدت ان من قتل قتيلا فله كذا
وانا قد قتلنا سبعين واسرنا سبعين وقام سعد بن معاوية
فقال والله ما منعنا ان نطلب ما طلب هولا زهادة في الاجرة ولا
جبن عن العدو ولكن كرهنا ان نعري مصافك فتعطف عليه خيل
من المشركين فيصيبونك فاعرض عنهما رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال سعد يا رسول الله ان الناس كثير والغنيمة دون ذلك
فان تعط هولا الذين ذكرت لا يبقى لاصحابك كبير شي فنزلت هذه
الاية يسالونك عن الانفال وقال محمد بن اسحق امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بما في العسكر فجمع فاختلف المسلمون فيه فقال
من جمعه هو لنا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل كل امرء
ما اصاب وقال الذين كانوا يقاتلون العدو لولا نحن ما اصبتموه
وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنا
نقدر ان نقاتل العدو ولكن خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
غرة العدو فقمنا دونه فما انتم باحق منا فنزلت هذه الاية وروى
مكحول عن ابي امامة الباهلي قال سالت عبادة بن الصامت عن
الانفال فقال فينا معشر اصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل
وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا وجعله الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا عن
بوا يقول على سوا وكان فيه تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات
البين وعن سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم بدر جيت بسيف فقلت
يا رسول الله ان الله قد شفى صدري من المشركين او كذا هذا هب لي
هذا السيف فقال هذا ليس لي ولا لك فقلت عسى ان يعطى هذا من
لا يبلي بلاي فجاني الرسول فقال انك سالتني وانه قد صار لي وهو
لك فنزلت يسالونك عن الانفال الاية اخرجه ابو داود والترمذي
وقال حديث حسن صحيح واخرجه مسلم في جملة حديث طويل يتضمن
فضايل سعد ولفظ مسلم فيه قال اصاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم غنيمة عظيمة فاذا فيها سيف فاخذته فاتيت به رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت نفلني هذا السيف فانا من قد علمت حاله
فقال رده حيث اخذته فانطلقت حتى اردت ان القيه في القبض لامتني

نفسي فرجعت اليه فقلت اعطنيه قال فشد على صوته رده من حيث
اخذته فانزل الله عز وجل يسألونك عن الانفال وقال ابن عباس
كانت الغنائم لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد
فيها شي وما اصاب من سرايا المسلمين من شي اتوه به فمن حبس منه
ابرة او سلكا فهو غلول • واما التفسير فقوله تعالى يسألونك عن
الانفال استفتاء يعني يسألك يا محمد عن حكم الانفال وعلمها وهو
سؤال استفتاء لا سؤال تعنت وقال الضحاك وعكرمة هو سؤال
طلب وقوله عن الانفال اي عن الانفال وعن بمعنى من وقيل من صلة
اي يسألونك والانفال هي الغنائم في قول ابن عباس وعكرمة
ومجاهد وقتادة واصله الزيادة سميت الغنائم انفالا لانها
زيادة من الله عز وجل لهذه الامة على الخصوص واكثر المفسرين
على انها نزلت في غنائم بدر وقال عطا هي ما شذ عن المشركين الى
المسلمين بغير قتال من عبد او امة او متاع فهو للنبي صلى الله عليه
وسلم يصنع فيه ما يشا قل الانفال لله والرسول اي قل يا محمد
لهم لان الانفال حكمها لله وللرسول يقسمانه كيف شاءا واختلف
العلما في حكم هذه الاية فقال مجاهد وعكرمة والسدي هذه
الاية منسوخة نسخها الله بقوله واعلموا انما غنمتم من شي فان لله
خمسه وللرسول الاية كانت الغنائم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يقسمها كيف شا ولمن شا ثم نسخها الله تعالى بالخمس وقال بعضهم
هذه الاية ناسخة من وجه منسوخة من وجه وذلك ان الغنائم
كانت حراما على الامم الذين من قبلنا في شرائع انبيائهم فاباحها
الله لهذه الامة بهذه الاية وجعلها ناسخة لشرع من قبلنا ثم
نسخت باية الخمس • وقال عبد الرحمن بن زيد انها محكمة وهي احدى
الروايات عن ابن عباس ومعنى الاية على هذا القول قل الانفال
لله وللرسول يضعها حيث امره الله وقد بين الله مصارفها في قوله
واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه وللرسول الاية وصح من
حديث ابن عمر قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية
فغنمنا ابلا واصاب كل واحد منا اثنى عشر بعيرا ونفلنا بعيرا بعيرا
اخرجاه في الصحيحين فعلى هذا تكون الاية محكمة وللامام ان
ينفل من شاء من الجيش قبل التخميس فاتقوا الله يعني اتقوا الله بطاعته
واتقوا مخالفته واتركوا المنازعة والمخاصمة في الغنائم فاتقوا الله
واصلحوا ذات بينكم اي اصلحوا الحال فيما بينكم بترك المنازعة والمخالفة
وتسليم امر الغنائم الى الله ورسوله واطيعوا الله ورسوله فيما

يامركم

يامركم به وينهاكم عنه ان كنتم مؤمنين يعني ان كنتم مصدقين بوعد
الله ووعيده • قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم لما امر الله بطاعته وطاعة رسوله في الاية المتقدمة
ثم قال بعده ان كنتم مؤمنين لان الايمان يستلزم الطاعة بين في
هذه الاية صفات المؤمنين واحوالهم فقال تعالى انما المؤمنون
ولفظة انما تفيد الحصر والمعنى ليس المؤمنون الذين يخالفون
الله ورسوله انما المؤمنون الصادقون في ايمانهم الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم اي خضعت وخافت ورقت قلوبهم وقيل
اذا خوفوا بالله انقادوا خوفا من عقابه • وقال اهل الحقائق
الخوف على قسمين خوف العقاب وهو خوف العصاة وخوف
الهيبة والعظمة وهو خوف الخواص لانهم يعلمون عظمة الله عز
وجل فيخافونه اشد خوفا • واما العصاة فيخافون عقابه فالمؤمن
اذا ذكر الله وجل قلبه وخافه على قدر مرتبته في ذكر الله عز وجل
فان قلت انه تعالى قال في هذه الاية وجلت قلوبهم بمعنى
خافت وقال في اية اخرى وتطمئن قلوبهم بذكر الله فكيف
الجمع بينهما قلت لا منافاة بين هاتين الحالتين لان الوجل
هو خوف العقاب والاطمينان انما يكون من ثلج اليقين وشرح
الصدور بنور المعرفة والتوحيد وهذا مقام الخوف والرجا وقد
جمعا في اية واحدة وهي قوله تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله والمعنى ان تقشعر جلودهم
من خوف عقاب الله ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند ذكر رحمته ورجا
ثوابه وهذا حاصل في قلب المؤمن قال تعالى واذا تليت عليهم
اياته زادتهم ايمانا يعني واذا قرئت عليهم ايات القران زادتهم
تصديقا قال ابن عباس والمعنى انه كلما جاءهم شي من عند الله امنوا
به فيزدادون بذلك ايمانا وتصديقا لان زيادة الايمان بزيادة
التصديق وذلك على وجهين • الوجه الاول وهو الذي عليه
عامة اهل العلم على ما حكاه الواحدي ان كل من كانت الدلايل
عنده اكثر واقوى كان ايمانه ازيد لانه عند حصول كثرة الدلايل
وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين فيكون معرفته بالله اقوى
فيزداد ايمانه • الوجه الثاني وهو انهم يصدقون بكل ما
يتلى عليهم من عند الله ولما كانت التكاليف متوالية في زمن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلما تجدد تكليف صدقوا به فيزدادوا
بذلك الاقرار تصديقا وايمانا ومن المعلوم ان من صدق انسانا

في شيئين كان اكثر مما يصدقه في شي واحد فقوله تعالى واذا تليت عليهم
اياته زادتهم ايمانا معناه انه كلما سمعوا اية جديدة اتوا باقرار
جديد وتصديق جديد وكان ذلك زيادة في ايمانهم واختلف
الناس في ان الايمان هل يقبل الزيادة والنقصان ام لا فالذي
قالوا ان الايمان عبارة عن التصديق بالقلب قالوا لا يقبل الزيادة
لاجماع اهل اللغة على ان الايمان هو التصديق والاعتقاد ٥
بالقلب وذلك لا يقبل الزيادة ومن قال ان الايمان عبارة مجموع
ثلاثة وهي التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح
والاركان فقد استدل على ذلك بهذه من وجهين احدهما
ان قوله زادتهم ايمانا صريح في ان الايمان يقبل الزيادة ولو كان
عبارة عن التصديق بالقلب فقط لما قبل الزيادة فاذا قبل ٥
الزيادة فقد قبل النقص الوجه الثاني انه ذكر في هذه
الاية اوصافا متعددة من احوال المومنين ثم قال بعد ذلك اولئك
هم المومنون حقا وذلك يدل على ان تلك الاوصاف داخلة في مسمى
الايمان ٥ وروي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله
وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحيا شعبة من الايمان ٥
اعلاها شهادة ان لا اله الا الله اخرجاه في الصحيحين ففي هذا
الحديث دليل على ان الايمان اعلا وادنى واذا كان كذلك فقابل
للزيادة والنقص ٥ قال عمير بن حبيب وكانت له صحبة ان للايمان
زيادة ونقصانا قيل له فما زيادته قال اذا ذكرنا الله وحمدناه فذلك
زيادته واذا اسهرنا وغفلنا فذلك نقصانه ٥ وكتب عمر بن عبد
العزيز الى عدي بن عدي ان للايمان فرايض وشرايط وشرايع
وحدودا وسننا فمن استكملها فقد استكمل الايمان ومن لم يستكملها
لم يستكمل الايمان وقوله تعالى وعلى ربهم يتوكلون معناه
يفوضون جميع امورهم اليه ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه
واعلم ان المومن اذا كان واثقا بوعد الله ووعيده كان من
المتوكلين عليه لا على غيره وهي درجة عالية ومرتبة شريفة
لان الانسان يصير بحيث لا يبقى له اعتماد في شي من اموره الا على
الله عز وجل واعلم ان هذه المراتب الثلاث اعني الوجل
عند ذكر الله وزيادة الايمان عند تلاوة القران والتوكل على
الله من اعمال القلوب ولما ذكر الله تعالى هذه الصفات الثلاث
اتبعها بصفتين من اعمال الجوارح فقال تعالى الذين يقيمون

الصلاة ومما رزقناهم ينفقون يعني يقيمون الصلاة المفروضة
بحدودها واركانها في اوقاتها وينفقون اموالهم فيما امر الله به
من الانفاق فيه ويدخل فيه النفقة في الزكاة وفي الحج والجهاد
وغير ذلك من الانفاق في انواع البر والقربات ثم قال تعالى
اولئك يعني من هذه صفتهم هم المومنون حقا يعني يقينا لا
شك في ايمانهم قال ابن عباس بريوا من الكفار وقال قتادة
استحقوا الايمان واحقه الله لهم وفيه دليل على انه لا يجوز ان
يصف احد نفسه بكونه مومنا حقا لان الله انما وصف بذلك اقواما
مخصوصين على اوصاف مخصوصة وكل احد لا يتحقق وجود تلك
الاوصاف فيه وهذا يتعلق بمسيلة اصولية وهي ان العلما اتفقوا
على انه يجوز للرجل ان يقول انا مومن واختلفوا في انه هل يجوز
له ان يقول انا مومن حقا ام لا فقال اصحاب ابي حنيفة الاولى
ان يقول انا مومن حقا ولا يجوز ان يقول انا مومن ان شا الله ٥
واستدلوا على صحة هذا القول بوجوه الاول ان المتحرك لا يجوز
ان يقول انا متحرك ان شا الله وكذا القول في القايم والقاعد
فكذلك هذه المسيلة يجب فيها ان يكون المومن مومنا حقا
ولا يجوز ان يقول انا مومن ان شا الله ٥ الوجه الثاني انه تعالى
قال اولئك هم المومنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مومنين حقا وفي
قوله انا مومن ان شا الله تشكيك فيما قطع الله لهم به وذلك لا يجوز
وقال اصحاب الشافعي الاولى ان يقول الرجل انا مومن ان شا الله واحتجوا
بصحة هذا القول بوجوه الاول ان الايمان عندهم عبارة عن الاعتقاد
والاقرار والعمل وكون الانسان آتيا بالاعمال الصالحة المقبولة امر
مشكوك فيه والشك في احد اجزاء الماهية يوجب الشك في الماهية
فيجب ان يقول انا مومن ان شا الله وان كان اعتقاده واقراره صحيحا
وعند اصحاب ابي حنيفة ان الايمان عبارة عن الاعتقاد فيخرج العمل
عن مسمى الايمان فلم يزل حصول الشك الوجه الثاني ان قولنا
انا مومن ان شا الله ليس هو على سبيل الشك ولكن اذا قال الرجل
انا مومن فقد مدح نفسه باعظم المدايح فربما حصل له بذلك عجب
فاذا قال ان شا الله زال ذلك العجب وحصل له الانكسار وروي
ان ابا حنيفة قال لقتادة لم تستثني في ايمانك فقال قتادة اتباعا
لابراهيم عليه السلام في قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين
فقال ابو حنيفة هلا اقتديت به في قوله اولم تومن قال بلى فانقطع
قتادة قال بعضهم كان لقتادة ان يقول ان ابراهيم قال بعد قوله بلى

وَلكن ليطمئن قلبي فطلب مزيد الطمانينة **الوجه** الثالث ان
الله تعالى ذكر ادل الاية انما المؤمنون ولفظة انما تفيد الحصر يعني
انما المؤمنون الذين هم كذا وكذا وذكر بعد ذلك اوصافا خمسة
وهي الخوف من الله والاخلاص لله والتوكل على الله والاتيان
بالصلاة كما امر الله وايتاء الزكاة كذلك ثم قال بعد ذلك اولئك
هم المؤمنون حقا يعني من اتى لمجموع هذه الاوصاف كان مؤمنا
حقا ولا يمكن لاحد ان يقطع بحصول هذه الصفات له فكان الاولى
له ان يقول انا مؤمن ان شاء الله ۰ وقال ابن ابي نجيح سال رجل
الحسن فقال امؤمن انت فقال الحسن ان كنت سالتني عن
الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنة
والنار والبعث والحساب فانا بها مؤمن وان كنت سالتني عن
قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الاية
فلا ادري انا منهم ام لا ۰ قال علقمة كنا في سفر فلقينا قوما فقلنا
من القوم فقالوا نحن المؤمنون حقا فلم ندر ما نجيبهم حتى لقينا
عبد الله بن مسعود فاخبرناه بما قالوا قال فما رددتم عليهم قلنا
لم نرد عليهم شيئا قال هلا قلتم لهم من اهل الجنة انتم ان المؤمنين
هم اهل الجنة وقال سفيان الثوري من زعم انه مؤمن حقا
عند الله ثم لم يشهد انه في الجنة فقد آمن بنصف الاية دون
النصف الاخر **الوجه** الرابع ان قلنا ان قولنا انا مؤمن ان
شاء الله للتبرك لا للشك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا بكم
ان شاء الله لاحقون مع العلم القطعي بانه لاحق باهل القبور
الوجه الخامس ان المؤمن لا يكون مؤمنا حقا الا ختم له
بالايمان ومات عليه وهذا لا يحصل الا عند الموت فلهذا السبب
حسن ان يقال انا مؤمن ان شاء الله فالمراد بحرف هذا الاستثنا
الى الخاتمة **واجاب** اصحاب هذا القول وهم اصحاب الشافعي
عن استدلال اصحاب ابي حنيفة بقولهم ان المتحرك لا يجوز ان
يقول انا متحرك ان شاء الله ان الفرق بين وصف الانسان
بكونه مؤمنا وبين وصفه بكونه متحركا ان الايمان يتوقف حاله
على الخاتمة والحركة فعل يقيني فحصل الفرق بينهما والجواب
عن الوجه الثاني وهو قوله انه تعالى قال اولئك هم المؤمنون
حقا فقد حكم لهم بكونهم مؤمنين حقا انه تعالى حكم للموصوفين
بتلك الصفات المذكورة في الاية بكونهم مؤمنين حقا اذا اتوا
بتلك الاوصاف الخمسة وهذا لا يقدر عليه احد ان ياتي بتلك

الاوصاف على الحقيقة كان مؤمنا حقا ولكن لا يقدر على ذلك احد
والله اعلم **لهم درجات عند ربهم** يعني لهم مراتب بعضها اعلى
من بعض لان المؤمنين تتفاوت احوالهم في الاتصاف بتلك
الاوصاف المذكورة فلهذا تتفاوت مراتبهم في الجنة لان درجات
الجنة على قدر الاعمال قال عطا درجات الجنة يرتقوا فيها باعمالهم
وقال الربيع بن انس سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر
الفرس المضمر ستين سنة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام اخرجه
الترمذي ۰ **وله** عن ابي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان في الجنة مائة درجة لو ان العالمين اجتمعوا في احدها
لوسعتهم **ومغفرة** يعني ولهم مغفرة لذنوبهم **ورزق كريم**
يعني ما اعد لهم في الجنة وصفه بكونه كريما لان منافعه خالصة
لهم دائمة عليهم مقرونة بالاكرام والتعظيم قوله تعالى **كما اخرجك
ربك من بيتك بالحق** اختلفوا في الجالب لهذه الكاف ما هو فقال
المبرد تقديره قل الانفال لله والرسول وان كرهوا كما اخرجك
ربك من بيتك بالحق وان كرهوا وقيل معناه امض لامر ربك في
الانفال وان كرهوا كما مضيت لامر ربك في الخروج من البيت
لطلب العير وهم كارهون وقيل معناه فاتقوا الله واصلحوا ذات
بينكم فان ذلك خير لكم كما ان اخراج محمد صلى الله عليه وسلم من
بيته بالحق خير لكم وان كرهه فريق منكم وقيل هو راجع الى قوله
لهم درجات عند ربهم تقديره وعد الله المؤمنين بالدرجات
حق حتى ينجزه الله تعالى كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وانجز
الوعد بالصبر والظفر وقيل هي متعلقة بما بعدها تقديره كما اخرجك
ربك من بيتك بالحق على كون فريق منهم كذلك يكرهون القتال
ويجادلونك فيه وقيل الكاف بمعنى على اي امض على الذي اخرجك
ربك فانه حق وقيل الكاف بمعنى القسم تقديره والذي اخرجك
ربك من بيتك بالحق وجوابه يجادلونك في الحق وقيل الكاف
بمعنى اذ تقديره واذكر يا محمد اذ اخرجك ربك من بيتك بالحق
وقيل المراد بهذا الاخراج اخراجه من مكة الى المدينة للهجرة
وقال جمهور المفسرين المراد بهذا الاخراج هو خروجه من المدينة
الى بدر ومعناه كما امرك ربك بالخروج من بيتك بالمدينة بالحق
يعني بالوحي لطلب المشركين **وان فريقا من المؤمنين لكارهون**
يعني للقتال وانما كرهوه لقلة عددهم وقلة سلاحهم وكثرة

لهم

عدوهم وكثرة سلاحهم **يجادلونك في الحق** وذلك ان المومنين
لما ايقنوا بالقتال كرهوا ذلك وقالوا لم تعلمنا انا نلقى العدو
فنستعد لقتالهم وانما خرجنا للعير فذلك جدالهم **بعد ما**
تبين يعنى تبين لهم انك لا تصنع شيا الا بامر ربك وتبين لهم
صدقك في الوعد **كانما يساقون الى الموت** يعنى لشدة كراهتهم
القتال **وهم ينظرون** يعنى الى الموت شبه حالهم في فرط فزعهم
بحال من يجر الى القتل ويساق الى الموت وهو ينظر اليه ويعلم
انه آتيه **قوله عز وجل** **واذ يعدكم الله احدى الطايفتين**
يعنى احدى الفرقتين فرقة ابى سفين مع العير وفرقة ابى جهل
مع النفير **انها لكم** يعنى احدى الفرقتين لكم قال ابن عباس
وعروة بن الزبير ومحمد بن اسحاق والسدى اقبل ابو سفيان بن
حرب من الشام في عير قريش في اربعين راكبا من كفار قريش
منهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزهرى ومعهم تجارة كثيرة
وهى اللطيمة يريد اللطيمة الجمال التى تحمل العطر والبر غير الميرة
حتى اذا كانوا قريبا من بدر بلغ النبى صلى الله عليه وسلم خبرهم
فندب اصحابه اليهم فاخبرهم بكثرة المال وقلة العدو وقال هذه
عير قريش فيها اموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها
فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك انهم لم يظنوا ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا فلما سمع ابو سفيان بمسير
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه استاجر ضمضم بن عمرو الغفارى
فبعثه الى مكة وامره ان ياتى قريشا يستنفرهم ويخبرهم ان محمدا في
اصحابه قد عرض لعيرهم فخرج ضمضم سريعا الى مكة وكانت عاتكة
بنت عبد المطلب قد رات رويا قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال
افزعتها فبعثت الى اخيها العباس بن عبد المطلب فقالت يا اخى
والله لقد رايت الليلة رويا افزعتنى وخشيت ان يدخل على قومك
منها شر ومصيبة قال لها وما رايت قالت رايت راكبا اقبل على
بعير له حتى وقف بالابطح ثم صرخ باعلى صوته الا انفروا يا ال غدر
لمصارعكم في ثلاث فارى الناس قد اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد
والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة
فصرخ مثلها باعلا صوته الا فانفروا يا ال غدر الى مصارعكم في
ثلاث ثم مثل به بعيره على راس ابى قبيس فصرخ مثلها ثم اخذ
صخرة فارسلها فاقبلت تهوى حتى اذا كانت باسفل الجبل ارفضت
فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها الا ودخلها منها فلقة

فقال

فقال العباس والله ان هذه الرويا فاكتميها ولا تذكريها لاحد ثم
خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة وكان صديقا للعباس فذكر رويا
عاتكة له واستكتمه اياها فذكرها الوليد لابيه عتبة ففشى الحديث
حتى تحدثت به قريش بمكة قال العباس فغدوت اطوف بالبيت
وابو جهل بن هشام في نفر من قريش فقال يا ابا الفضل اذا فرغت من
طوافك فاقبل الينا قال العباس فلما فرغت من طوافي اقبلت
اليهم حتى جلست معهم فقال لى ابو جهل يا بنى عبد المطلب متى حدثت
هذه النبية فيكم قلت وما ذاك قال الرويا التى راتها عاتكة قلت
وما رات قال يا بنى عبد المطلب اما رضيتم ان يتنبا رجالكم حتى
يتنبا نساوكم لقد زعمت عاتكة في رويا ها انه قال انفروا
في ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان كانت ما قالت حقا
فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شى نكتب عليكم
كتابا بانكم اكذب اهل بيت في العرب قال العباس فوالله ما كان
منى اليه من كبير شى الا انى جحدت ذلك وانكرت ان تكون عاتكة
رات شيا ثم تفرقنا فلما امسيت لم يبق امراة من بنى عبد المطلب
الا اتتنى فقلن اقررتم لهذا الفاسق الخبيث ان يقع في رجالكم
حتى تناول النسا وانت تسمع ولم يكن عندك غيرة لشى مما سمعت
قال قلت والله قد فعلت ما كان منى اليه من شى وايم الله لاتعرضن
له فان عاد لاكفينكه قال فغدوت في اليوم الثالث من رويا عاتكة
وانا حديد مغضب ارى انى قد فاتنى شى احب ان ادركه منه قال
فدخلت المسجد فرايته فوالله انى لامشى نحوه اتعرضه ليعود لبعض
ما قال فاقع به وكان ابو جهل رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان
حديد النظر اذ خرج نحو باب المسجد يشتد قال العباس فقلت
في نفسى ما له لعنه الله اكل هذا فرقا منى ان اشاتمه قال واذا هو
قد سمع ما لم اسمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادى واقفا
على بعيره وقد جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول
يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة هذه اموالكم مع ابى سفيان وقد
عرض لها محمد في اصحابه ولا ارى ان تدركوها الغوث الغوث
قال فشغلنى عنه وشغله عنى ما جاء من الامر قال فتجهز الناس
سراعا ولم يتخلف من اشراف قريش احد الا ان ابا لهب قد تخلف وبعث
مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما اجتمعت قريش للمسير ذكرت
الذى بينها وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب فقالوا
نخشى ان ياتونا من خلفنا فكاد ذلك ان يثنيهم فتبدا لهم ابليس في صورة

سراقة بن مالك بن جعشم وكان من اشراف بني بكر فقال انا جار لكم
من ان تاتيكم كنانة من خلفكم بشي تكرهونه فخرجت قريش سراعا
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه لليال مضت من
شهر رمضان حتى بلغ واديا يقال له ذفران فاتاه الخبر عن مسير قريش
ليمنعوا عن عيرهم فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا
كان بالروحا اخذ عينا للقوم فاخبروه بخبرهم وبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم عينا له من جهينة حليفا للانصار يدعا اريقط
فاتاه بخبر القوم وسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزل جبريل عليه السلام وقال له ان الله وعدكم احدى الطايفتين
اما لكم اما العير واما قريش وكانت العير احب اليهم فاستشار
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه في طلب العير وحرب النفير
فقام ابو بكر فقال واحسن وقام عمر فقال واحسن ثم قام المقداد
ابن عمرو فقال يا رسول الله امض لما امرك الله فنحن معك والله
ما نقول كما قالت بنو اسرايل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا
هاهنا قاعدون ولكن نقول اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما
مقاتلون فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد يعني
مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشيروا علي ايها الناس وانما يريد الانصار
وذلك انهم عدد الناس وانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول
الله انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا
فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابنانا ونسانا وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليها نصرته
الا ممن دهمه بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم ان يسير وا معه الى
عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
له سعد بن معاذ والله لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال
قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جيت به هو الحق واعطيناك
على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول
الله لما اردت فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر
فخضته لخضناه معك ما تخلف منا احد وما نكره ان تلقى بنا
عدونا وعدوك انا لصبر عند الحرب صدق ولعل الله عز وجل يريك منا
ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بقول سعد ونشطه ذلك فقال سيروا على بركة الله وابشروا
فان الله عز وجل قد وعدني احدى الطايفتين والله لكاني انظر

الي

الى مصارع القوم م عن انس بن مالك ان عمر بن الخطاب حدثه عن اهل
بدر فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع اهل
بدر بالامس يقول هذا مصرع فلان غدا ان شا الله وهذا مصرع
فلان غدا ان شا الله تعالى قال عمر فو الذي بعثه بالحق ما اخطا
الحدود التي حدها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلوا في
بير بعضهم على بعض فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
انتهى اليهم فقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما
وعد الله ورسوله حقا فاني قد وجدت ما وعدني الله حقا فقال
عمر يا رسول الله كيف تكلم اجسادا لا ارواح لها فيها فقال ما انت
باسمع لما اقول منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا علي شيا فذلك
قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطايفتين يعني طايفة ابي
سفيان مع العير وطايفة ابي جهل مع النفير وتودون اي وتريدون
وتتمنون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني وتتمنون ان العير
التي ليس فيها قتال ولا شوكة تكون لكم والشوكة الشدة والقوة
ويقال السلاح ويريد الله ان يحق الحق اي يظهر الحق ويعليه
بكلماته يعني بامره اياكم بالقتال وقيل بعداته التي سبقت لكم
من اظهار الدين واعزازه ويقطع دابر الكافرين اي ويستاصلهم
حتى لا يبقى احد منهم ليحق الحق يعني ليثبت الاسلام ويبطل الباطل
يعني ويفني الكفر ولو كره المجرمون يعني المشركون وفي الاية سوال
وهو قوله ويريد الله ان يحق الحق قال بعده ليحق الحق وهذا تكرير
فما معناه والجواب انه ليس فيه تكرار لان المراد بالاول تثبيت
ما وعد في هذه الواقعة من النصرة والظفر بالاعدا والمراد بالثاني
تقوية القران والدين واظهار منار الشريعة لان الذي وقع يوم بدر
من نصر المومنين مع قلتهم وقهر الكافرين مع كثرتهم كان سببا
لاعزاز الدين وقوته ولهذا السبب قرنه بقوله ويبطل الباطل
يعني الذي هو الشرك السوال الثاني الحق حق لذاته والباطل
باطل لذاته فما المراد من تحقيق الحق وابطال الباطل والجواب
ان المراد من تحقيق الحق اظهار كون ذلك الحق حقا والمراد من اظهار
الباطل اظهار ذلك الباطل باطلا وذلك باظهار دلايل الحق وتقويته
وقمع روسا الباطل وقهرهم قوله عز وجل اذ تستغيثون ربكم
اي فاذكر يا محمد اذ تستجيرون بربكم من عدوكم وتطلبون منه الغوث
والنصر وفي المستغيثين قولان احدهما انه رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمسلمون معه قاله الزهري والقول الثاني انه رسول الله صلى

الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم له
م عن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر
نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم الف واصحابه
ثلثماية وبضعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم
القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه يقول اللهم انجز لي ما وعدتني
اللهم ان تهلك هذه العصابة من اهل الاسلام لا تعبد في الارض
فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداوه عن منكبيه فاتاه
ابو بكر فاخذ رداه فالقاه على منكبيه ثم التزمه من ورايه وقال
يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك
فانزل الله عز وجل اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم
بالف من الملايكة مردفين فامده بالملايكة قال سماك
فحدثني ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يشتد في اثر رجل
من المشركين امامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس
يقول اقدم حيزوم اذ نظر الى المشرك امامه خر مستلقيا فنظر اليه
فاذا هو قد خطم انفه وشق وجهه كضربة السيف فاخضر ذلك اجمع
فجا الانصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
صدقت ذلك من مدد السما الثالثة فقتلوا يوميذ سبعين
واسروا سبعين **فاستجاب لكم** يعني فاجاب دعاكم **اني ممدكم**
اصله باني ممدكم اي مرسل اليكم مددا ورد الكم **بالف من الملايكة**
مردفين يعني يردف بعضهم بعضا يعني يتبع بعضهم بعضا
روي انه نزل جبريل عليه السلام في خمسماية وميكايل عليه
السلام في خمسماية في صورة الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض
وعمايم بيض قد ارخوها على اكتافهم • وروي ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما ناشد ربه قال ابو بكر ان الله ينجز لك ما وعدك
فخفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العريش ثم انتبه
فقال يا ابا بكر اتاك نصر الله هذا جبريل اخذ بعنان فرسه يقوده
على ثناياه النقع **خ** عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال يوم بدر هذا جبريل اخذ براس فرسه عليه اداة الحرب يعني
الة الحرب قال ابن عباس كان سيما الملايكة يوم بدر عمايم بيض
ويوم حنين عمايم خضر ولم تقاتل الملايكة في يوم سوى يوم بدر
من الايام وكانوا يكونون فيما سواه عددا ومددا وروي عن ابي
اسيد مالك بن ربيعة وكان قد شهد بدرا انه قال بعدما ذهب
بصره لو كنت معكم اليوم ببدر ومعي بصري لاريتكم الشعب الذي

خرجت

خرجت منه الملايكة وقد تقدم الكلام في سورة ال عمران هل قاتلت
الملايكة ام لا والصحيح انهم قاتلوا يوم بدر لما تقدم من حديث ابن
عباس في الذي ضربه بالسوط فخطم انفه وشق وجهه وكانوا فيما
سوى يوم بدر مددا وعونا وقيل انهم لم يقاتلوا وانما نزلوا ليكثروا
سواد المسلمين ويثبتوهم ويدل عليه قوله تعالى **وما جعله الله**
الا بشرى يعني وما جعل الله الارداف بالملايكة الا بشرى **ولتطمين**
به قلوبكم ومن هذا المحقق انهم لما نزلوا لذلك لا للقتال والصحيح هو
الاول وانهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا سواه من الايام وقوله تعالى
وما النصر الا من عند الله يعني ان الله هو ينصركم ايها المومنون
فثقوا بنصره ولا تتكلوا على قوتكم وشدة باسكم وفيه تنبيه على الواجب
على العبد المسلم ان لا يتوكل الا على الله في جميع احواله ولا يثق بغيره فان
الله تعالى بيده النصر والاعانة **ان الله عزيز** يعني انه تعالى قوي
منيع لا يقهره شي ولا يغلبه غالب بل هو يغلب كل شي ويقهره **حكيم**
يعني في تدبيره ونصره ينصر من يشا ويخذل من يشا من عباده قوله
تعالى **اذ يغشيكم النعاس امنة منه** اي واذكروا اذ يلقي عليكم النعاس
وهو النوم الخفيف امنة منه اي امانا من الله لكم من عدوكم ان يغلبكم
قال ابن مسعود النعاس في القتال امنة من الله وفي الصلاة من الشيطان
والفايدة في كون النعاس امنة من الله في القتال ان الخايف على نفسه
لا ياخذه النوم فصار حصول النوم وقت الخوف الشديد دليلا على الامن
وازالة الخوف وقيل انهم لما خافوا على انفسهم لكثرة عدوهم وعددهم
وقلة المسلمين وقلة عددهم وعددهم وعطشوا عطشا شديدا القى
عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال عنهم الكلال والعطش وتمكنوا
من قتال عدوهم وكان ذلك النوم نعمة في حقهم لانه كان خفيفا بحيث
لو قصدهم العدو لعرفوا وصوله اليهم وقدروا على دفعه عنهم وقيل في
كون هذا النوم كان امنة من الله انه وقع عليهم النعاس دفعة واحدة
فناموا كلهم مع كثرتهم وحصول النعاس لهذا الجمع العظيم مع وجود
الخوف الشديد امر خارج عن العادة فلهذا السبب قيل ان ذلك
النعاس كان في حكم المعجزة لانه امر خارق للعادة وقوله تعالى **وينزل**
عليكم من السما ما يعني المطر **ليطهركم به** وذلك ان المسلمين نزلوا يوم
بدر على كثيب رمل اعفر تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وكان
المشركون قد سبقوهم الى ما بدر فنزلوا عليه واصبح المسلمون على غير
ما وبعضهم محدث وبعضهم جنب فاصابهم العطش فوسوس اليهم
الشيطان وقال تزعمون انكم على الحق وفيكم نبي الله وانتم اولياء الله

وقد غلبكم المشركون على الما وانتم تصلون محدثين ومجنبين فكيف ترجوا
ان تظهروا على عدوكم فانزل الله مطرا سال منه الوادي فشرب منه
المسلمون واغتسلوا وتوضوا وسقوا الركاب وملاوا الاسقية واطفا
الغبار ولبد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت عنهم وسوسة
الشيطان وطابت انفسهم وعظمت النعمة من الله عليهم بذلك وكان
دليلا على حصول النصر والظفر فذلك قوله تعالى وينزل عليكم من
السما ما ليطهركم به يعني من الاحداث والجنابة **ويذهب عنكم
رجز الشيطان** يعني وسوسته التي القاها في قلوبكم **وليربط على
قلوبكم** يعني بالنصر واليقين والربط في اللغة الشد وكل من صبر
على امر فقد ربط نفسه عليه قال الواحدي ويشبه ان يكون لفظة على
صلة والمعنى وليربط على قلوبكم بالصبر وما اوقع من اليقين وقيل
ان لفظة على ليست بصلة لانها تفيد الاستعلا فيكون ان القلوب
قد امتلات من ذلك الربط حتى كانه علا عليها وارتفع فوقها **ويثبت
به الاقدام** يعني ان ذلك المطر لبد الارض وقوى الرمل حتى يثبت
عليه الاقدام وحوافر الدواب وقيل المراد به تثبيت الاقدام بالصبر
وقوة القلب لان من يكون ضعيف القلب لا يثبت قدمه بل يفر
ويهرب عند اللقا وقوله تعالى **اذ يوحي ربك الى الملايكة اني معكم**
يعني ان الله تعالى اوحى الى الملايكة الذين امدهم النبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه اني معكم بالنصر والمعونة **فثبتوا الذين امنوا** اي قووا
قلوبهم واختلفوا في كيفية هذه التقوية والتثبيت فقيل كما ان
للشيطان قوة في القا الوسوسة في قلب ابن ادم بالشر فكذلك للملك
قوة في القا الالهام في قلب ابن ادم بالخير ويسمى ما يلقي الشيطان وسوسة
وما يلقي الملك لمة والهاما فهذا هو التثبيت وقيل ان ذلك التثبيت
هو حضورهم معهم القتال ومعونتهم لهم اي ثبتوهم بقتالكم للمشركين
وقيل معناه بشروهم بالنصر والظفر فكان الملك يمشي في صورة
رجل امام الصف ويقول ابشروا فان الله ناصركم عليهم **سالقي في قلوب
الذين كفروا الرعب** يعني الخوف وكان ذلك نعمة من الله عز وجل
على المومنين حيث القى الرعب والخوف في قلوب الكافرين **فاضربوا
فوق الاعناق** قيل هو خطاب مع المومنين فيكون منقطعا عما قبله
وقيل هو خطاب مع الملايكة فيكون متصلا بما قبله قال ابن الانباري
ما كانت الملايكة تعرف مقاتل بني آدم فعلمهم الله ذلك بقوله فاضربوا
فوق الاعناق قال عكرمة يعني الروس لانها فوق الاعناق وقال
الضحاك فاضربوا فوق الاعناق وفوق صلة وقيل معناه فاضربوا على

الاعناق

الاعناق فيكون فوق بمعنى على **واضربوا منهم كل بنان** يعني كل مفصل وقال
ابن عباس يعني الاطراف وهي جمع بنانة وهي اطراف اصابع اليدين
سميت بذلك لان بها اصلاح الاحوال التي يمكن الانسان ان يبين ما يريد
انما يعمل بيديه وانما خصت بالذكر دون سائر الاطراف لاجل ان الانسان
بها يقاتل وبها يمسك السلاح في الحرب وقيل ان الله تعالى امرهم بضرب اعلا
الجسد وهو الراس وهو اشرف الاعضا وبضرب البنان وهو اضعف
الاعضا فيدخل في ذلك كل عضو في الجسد وقيل امرهم بضرب الراس
وفيه هلاك الانسان وبضرب البنان وفيه تبطيل حركة الانسان عن
الحرب لان بالبنان يتمسك حتى يتمكن من مسك السلاح وحمله والقتال
به فاذا قطع بنانه تعطل عن ذلك كله • روي عن ابي داود المازني وكان
شهد بدرا قال اني لاتبع رجلا من المشركين لاضربه اذ وقع راسه قبل ان
يصل اليه سيفي فعرفت انه قد قتله غيري وعن سهل بن حنيف قال
لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه الى المشرك فيقع راسه
عن جسده قبل ان يصل اليه السيف • وروي عن عكرمة عن ابي رافع
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت غلاما للعباس بن
عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الاسلام قد
دخل علينا اهل البيت فاسلمت ام الفضل واسلمت وكان العباس
يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم اسلامه وكان ذا مال كثير
متفرق في قومه وكان عدو الله ابو لهب قد تخلف عن بدر وبعث
مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما جا الخبر عن مقتل اصحاب
بدر كبته الله واخزاه ووجدنا في انفسنا قوة وعزا قال ابو رافع
وكنت رجلا ضعيفا وكنت اعمل القداح وانحتها في حجرة زمزم فوالله
اني لجالس انحت القداح وعندي ام الفضل جالسة اذا قبل الفاسق
ابو لهب يجر رجليه حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره الى ظهري
فبينما هو جالس اذ قال الناس هذا ابو سفيان بن حرب بن عبد
المطلب قدم فقال ابو لهب الي يا ابن اخي فعندك الخبر اليقين
فجلس اليه والناس قيام عليه فقال ابو لهب يا ابن اخي اخبرني كيف
كان احوال الناس قال لا شي والله ان كان الا ان لقيناهم فمنحناهم
اكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاوا وايم الله ما لمت الناس
لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السما والارض والله ما تليق
كذا شيا ولا يقوم لهم شي قال ابو رافع فرفعت طرف الحجرة بيدي
وقلت تلك والله الملايكة فرفع ابو لهب يده فضرب وجهي ضربة
شديدة فثاورته فاحتملني فضرب بي الارض ثم برك على صدري

وكنت رجلا مغيبا فقامت ام الفضل بعمود من عمد الحجرة فضربته به ضربة فلقت رأسه شجة منكرة فقالت تستضعفه ان غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته وروى مقسم عن ابن عباس قال كان الذي اسر العباس ابو اليسر كعب بن عمرو اخو بني سلمة وكان ابو اليسر رجلا مجموعا وكان العباس رجلا جسيما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي اليسر اسرت العباس قال يا رسول الله لقد اعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اعانك عليه ملك كريم وكانت وقعة بدر في صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة وقوله تعالى **ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله** يعني بانهم خالفوا الله ورسوله والمشاقة المخالفة واصلها المجانبة لانهم صاروا في شق وجانب عن شق المومنين وجانبهم وهذا مجاز معناه انهم شاقوا اولياء الله وهم المومنون وشاقوا دين الله ثم قال تعالى **ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب** يعني ان الذي نزل بهم في ذلك اليوم من القتل والاسر شيء قليل فيما اعد الله لهم في الاخرة من العذاب وهو قوله من العقاب يوم القيامة ثم قال تعالى **ذلكم** اشارة الى القتل والاسر الذي نزل بهم **فذوقوه** يعني عاجلا في الدنيا لان ذلك يسير بالاضافة الى المؤجل الذي اعد الله لهم في الاخرة من العذاب وهو قوله **وان للكافرين عذاب النار** يعني في الاخرة عن ابن عباس قال لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر قيل له عليك بالعير ليس دونها شيء قال فناداه العباس من وثاقه لا يصلح ان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك قال صدقت اخرجه الترمذي وقال حديث حسن **قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا** يعني مجتمعين متزاحمين بعضهم الى بعض والتزاحم التداني في القتال واصل الزحف مشي مع جر الرجل كانبعاث الصبي قبل ان يمشي وسمي مشي الطائفتين بعضهم الى بعض في القتال زحفا لانه تمشي كل طائفة الى صاحبتها شيئا رويدا اول ذلك قبل التداني للقتال وقال ثعلب الزحف المشي قليلا قليلا الى الشيء **فلا تولوهم الادبار** يعني فلا تولوهم ظهوركم منهزمين منهم فان المنهزم يولي ظهره ودبره **ومن يولهم يومئذ دبره** يعني ومن ينهزم ويولي دبره يوم الحرب والقتال **الا متحرفا**

لقتال

لقتال يعني الا مستطردا عن القتال يري عدوه من نفسه الانهزام وقصده طلب الكر على العدو والعود اليه وهذا هو احد ابواب الحرب وخدعها ومكايدها **او متحيزا الى فئة** يعني او منضما وسائرا الى جماعة من المومنين يريدون العود الى القتال **فقد باء بغضب من الله** يعني من انهزم من المومنين المسلمين وقت الحرب الا في هاتين الحالتين وهي المتحرف للقتال والمتحيز الى فئة من المسلمين فقد رجع بغضب من الله **ومأواه جهنم وبئس المصير**

فصل في حكم هذه الاية اختلف العلماء في ذلك فقال ابو سعيد الخدري هذا في اهل بدر خاصة لانه ما كان يجوز لهم الانهزام يوم بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان معهم ولم يكن فئة يتحيزون اليها دون النبي صلى الله عليه وسلم ولو انحازوا انحازوا الى المشركين ولانه اول غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه والمسلمون معه فشدد الله عليهم امر الانهزام وحرمه عليهم يوم بدر فاما بعد ذلك اليوم فان المسلمين بعضهم فئة لبعض فيكون الفار متحيزا الى فئة فلا يكون فراره كبيرة وهذا قول الحسن وقتادة والضحاك قال يزيد بن ابي حبيب اوجب الله النار لمن فر يوم بدر فلما كان يوم احد قال تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ثم كان يوم حنين بعده فقال تعالى ثم وليتم مدبرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء وقال عبد الله بن عمر كنا في جيش بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاص الناس حيصة فانهزمنا فقلنا يا رسول الله نحن الفرارون قال لا بل انتم الكرارون انا فئة المسلمين قوله فحاص الناس حيصة يعني جالوا جولة يطلبون الفرار من العدو والمحيص المهرب وقال محمد بن سيرين لما قتل ابو عبيد جاء الخبر الى عمر بن الخطاب فقال لو انحاز الي كنت له فئة انا فئة كل مسلم • وقال بعضهم حكم الاية عام في حق كل من ولى ظهره منهزما بدليل ان قوله يا ايها الذين امنوا وهذا الخطاب عام يتناول جميع الصور وان كانت الاية نزلت في غزاة بدر لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وجاء في الحديث من الكبائر الفرار من الزحف • وقال عطاء بن ابي رباح هذه الاية منسوخة بقوله الان خفف الله عنكم فليس لقوم ان يفروا من مثليهم فنسخت بذلك الاية هذه العدة وعلى هذا اكثر اهل العلم ان المسلمين اذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم ان يفروا منهم ويولوهم ظهورهم فان العدو اكثر من مثلي المسلمين جاز لهم ان يفروا منهم قال ابن عباس من فر من ثلاثة لم يفر ومن فر من اثنين فقد فر قوله

تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم قال مجاهد سبب نزول هذه الاية
انهم لما انصرفوا عن قتال اهل بدر كان الرجل يقول انا قتلت فلانا
فنزلت هذه الاية ومعناه فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم
يعني بنصره اياكم وتقويتكم عليهم وقيل معناه لكن الله قتلهم بامداده
اياكم بالملايكة قال الزمخشري الفا في قوله فلم تقتلوهم جواب
شرط محذوف تقديره وان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قال اهل التفسير والمغازي لما
ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس انطلقوا يعني نزلوا بدرا
ووردت عليهم روايا قريش وفيهم اسلم غلام اسود لبني الحجاج وابو
يسار غلام لبني العاص بن سعد فاخذوهما واتوا بهما الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
اين قريش قال هم ورا الكثيب الذي يرى بالعدوة القصوى له
والكثيب العقنقل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم
والاكثر قال ما عددهم قالا لا ندري قال كم ينحرون قال يوما عشرة
ويوما تسعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ما بين
التسعماية الى الالف ثم قال لهما فمن فيهم من اشراف قريش قالا عتبة
ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابو البختري بن هشام وحكيم بن حزام
والحرث بن عامر وطعمة بن عدي والنضر بن الحرث وابو جهل بن
هشام وامية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد القت اليكم افلاذ كبدها فلما
اقبلت قريش وراها رسول الله صلى الله عليه وسلم قضوب من
العقنقل وهو الكثيب الرمل وجا الى الوادي قال اللهم هذه
قريش قد اقبلت بخيلايها وفخرها تجادل وتكذب رسولك اللهم
فنصرك الذي وعدتني فاتاه جبريل عليه السلام وقال له خذ
قبضة من تراب فارميهم به فلما التقى الجمعان تناول رسول الله
صلى الله عليه وسلم كفا من حصبا عليه تراب فرمى في وجوه القوم
وقال شاهت الوجوه يعني قبحت الوجوه فلم يبق مشرك الا دخل في
عينيه وفمه ومنخريه من ذلك التراب شي فانهزموا وتبعهم المومنون
يقتلونهم وياسرونهم وقال قتادة وابن زيد ذكر لنا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في
ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين اظهرهم وقال
شاهت الوجوه فانهزموا فذلك قوله عز وجل وما رميت اذ رميت
ولكن الله رمى اذ ليس في وسع احد من البشر ان يرمي كفا من حصى في

وجوه جيش فلا يبقى عين الا وقد دخل فيها شي من ذلك فصورة الرمي
صدرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتاثيرها صدر من الله عز
وجل فلهذا المعنى صح النفي والاثبات وقيل في معنى الاية وما بلغت
اذ رميت ولكن الله بلغ رميك وقيل وما رميت بالرعب في قلوبهم
اذ رميت بحصباتك ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم حتى انهزموا
وليبلي المومنين منه بلاء حسنا يعني ولينعم على المومنين نعمة
عظيمة بالنصر والغنيمة والاجر والثواب وهذا اجماع المفسرين
ان البلا هنا بمعنى النعمة ان الله سميع يعني لدعايكم عليم باحوالكم
وقوله تعالى ذلكم يعني الذي ذكرت من امر القتل والرمي والبلا
الحسن من الظفر بهم والنصر عليهم فعلنا ذلك الذي فعلنا وان
الله يعني واعلموا ان الله مع ذلك موهن اي مضعف كيد الكافرين
يعني مكرهم وكيدهم قوله عز وجل ان تستفتحوا فقد جاكم
الفتح هذا خطاب من المشركين الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم بدر وذلك ان ابا جهل قال يوم بدر لما التقى الجمعان اللهم ايناكان
كان افجر يعني نفسه ومحمدا صلى الله عليه وسلم قاطع للرحم فاحنه اليوم
وقيل انه قال اللهم كان خيرا عنده فانصره وقيل قال اللهم انصر
احدى الفيتين وخير الفريقين وافضل الجمعين اللهم من كان افجر
واقطع لرحمه فاحنه اليوم فانزل الله ان تستفتحوا ومعنى الاية ان
تستحكموا الله على اقطع الحزبين للرحم واظلم الفيتين فتنصر المظلوم
على الظالم فقد جاكم الفتح يعني جاكم حكم الله بنصره المظلوم على الظالم
والمحق على المبطل والمقطوع على القاطع • عن عبد الرحمن بن عوف
قال اني لواقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وعن شمالي واذا
انا بغلامين من الانصار حديثة اسنانهما فتمنيت ان اكون بين
اضلع منهما فغمزني احدهما فقال اي عم هل تعرف ابا جهل قلت
نعم فما حاجتك اليه يا ابن اخي قال اخبرت انه يسب رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لين رايته لا يفارق سوادي
سواده حتى يموت الاعجل منا فتعجبت لذلك قال وغمزني الاخر
فقال مثلها فلم انشب ان نظرت الى ابي جهل يجول في الناس فقلت الا
تريان هذا صاحبكما الذي تسالاني عنه قال فابتدراه بسيفيهما ه
فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه
فقال ايكما قتله فقال كل واحد منهما انا قتلته فقال هل مسحتما
سيفيكما قالا لا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السيفين
فقال كلاكما قتله وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح والرجلان معاذ

ابن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراق عن انس بن مالك قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما يصنع ابو جهل فانطلق ابن
مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفرا حتى برد قال فاخذ بلحيته فقال
انت ابو جهل وفي كتاب البخاري انت ابا جهل هكذا قاله انس فقال
وهل فوق رجل قتلتموه اوقال قتله قومه وفي رواية فقال ابو جهل
فلو غير اكار قتلني • عن عبد الله بن مسعود قال مررت فاذا ابو
جهل صريع قد ضربت رجله فقلت يا عدو الله يا ابا جهل قد اخذ
الله الاخر ولا اصابه عند ذلك فقال ابعد من رجل قتله قومه فضربته
بسيف غير طايل فلم يغن شيا حتى سقط سيفه من يده فضربته حتى
برد اخرجه ابو داود واخرجه البخاري مختصرا قال انه اتى ابا جهل
يوم بدر وبه رمق فقال هل اعمد من رجل قتلتموه وقال عكرمة
قال المشركون والله ما نعرف ما جابه محمد صلى الله عليه وسلم فافتح
بيننا وبينه بالحق فانزل الله عز وجل ان تستفتحوا فقد جاكم الفتح
يعني ان تستفتحوا فقد جاكم القضا • وقال السدي والكلبي لما خرج
المشركون الى النبي صلى الله عليه وسلم من مكة اخذوا باستار الكعبة
وقالوا اللهم انصر اعلا الجندين واهدى الفيتين واكرم الحزبين
وافضل الدينين ففيه نزلت ان تستفتحوا فقد جاكم الفتح يعني ان
تستنصروا فقد جاكم النصر وهو على ما سالوه وكان النصر لاهدى
الفيتين وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم • وقال محمد بن اسحق
حدثني محمد بن عبد الله بن ابي بكر قال معاذ بن عمرو بن الجموح لما فرغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه امر بابي جهل بن هشام ان
يلتمس في القتلى وقال اللهم لا يعجزك فلما سمعتها جعلته في شاني
فعمدت نحوه فضربته ضربة طيرت قدمه بنصف ساقه قال وضربني
ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي واجهدني
القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومي واني لاسحبها خلفي فلما اذتني
جعلت عليها قدمي ثم تمطيت بها حتى طرحتها ثم مر بابي جهل وهو
عقير معوذ بن عفرا فضربه حتى اثبته وتركه وبه رمق فمر به عبد الله
ابن مسعود قال عبد الله بن مسعود وجدته باخر رمق فعرفته فوضعت
رجلي على عنقه ثم قلت هل اخزاك الله يا عدو الله قال وبماذا اخزاني
اعمد من رجل قتلتموه اخبرني لمن الدبرة قلت لله ولرسوله وروي
عن ابن مسعود انه قال قال لي ابو جهل لقد ارتقيت يا رويعي مرتقا
صعبا ثم احتززت راسه ثم جيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت يا رسول الله هذا راس عدو الله ابي جهل فقال والله الذي لا اله

واجهدني

غيره فقلت نعم والذي لا اله غيره ثم القيته بين يدي رسول الله صلى
الله عليه وسلم فحمد الله وقال ابي بن كعب هذا خطاب لاصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل للمسلمين ان تستفتحوا فقد
جاكم الفتح اي النصر خ عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا
الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يوخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل
فيها ثم يوتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط
الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا
الامر حتى يسير الراكب من صنعا الى حضرموت لا يخاف الا الله والذيب
على غنمه ولكنكم تستعجلون • قلت استدل البغوي بهذا الحديث
على ما فسر به ابي بن كعب الاية وفيه نظر لان هذه الواقعة المذكورة في
الحديث كانت بمكة والاية مدنية فلا تعلق للحديث بتفسير الاية
والله اعلم ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا الله ببدر وساله
انجاز ما وعده من احدى الطايفتين والح في الدعا والمسئلة حتى
سقط رداه قال الله تعالى مجيبا له ان تستفتحوا يعني تطلبوا النصر
وانجاز ما وعدكم به فقد جاكم الفتح يعني فقد حصل لكم ما طلبتم فاشكروا
الله على ما انعم عليكم من اجابة دعايكم وانجاز ما وعدكم وهذا القول
اولى لان قوله فقد جاكم الفتح لا يليق الا بالمومنين هذا اذا فسرنا الفتح
بالنصر والظفر على الاعدا اما اذا فسرنا بالقضا والحكم لم يمتنع ان يراد
به الكفار اما قوله تعالى وان تنتهوا فهو خير لكم هذا خطاب للكفار
يعني وان تنتهوا عن قتال محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه
فهو خير لكم في الدين والدنيا اما في الدين بان تومنوا به وتكفوا عنه
فيحصل لكم بذلك الفوز بالثواب والخلاص من العقاب واما في
الدنيا فهو الخلاص من القتل والاسر وان تعودوا نعد يعني وان
تعودوا لقتال محمد صلى الله عليه وسلم نعد لقتله عليكم ونصره
عليكم ولن تغني عنكم فيتكم يعني جماعتكم شيا يعني لا تغني عنكم شيا
ولو كثرت يعني جماعتكم وان الله مع المومنين يعني بالنصر لهم
عليكم يا معشر الكفار قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله
ورسوله يعني في امر الجهاد لان فيه بذل المال والنفس ولا تولوا
عنه يعني عن الرسول صلى الله عليه وسلم لان التولي لا يصح الا في حق
الرسول صلى الله عليه وسلم لا في حق الله عز وجل والمعنى لا تعرضوا عنه
وعن معونته ونصرته في الجهاد وانتم تسمعون يعني القران يتلى عليكم
ولا تكونوا كالذين قالوا بالسنتهم سمعنا وهم لا يسمعون يعني وهم

ط

لايتعظون ولاينتفعون بما سمعوا من القران والمواعظ وهذه صفة
المنافقين ان شر الدواب عند الله يعني ان شر من دب على وجه الارض
من خلق الله الصم عن سماع الحق البكم عن النطق به فلا يقولونه الذين
لا يعقلون يعني لا يفهمون عن الله امره ونهيه ولا يقبلونه وانما سماهم
دواب لقلة انتفاعهم بعقولهم قال ابن عباس هم نفر من بني عبد
الدار من قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد صلى الله عليه
وسلم فقتلوا جميعا يوم احد وكانوا اصحاب اللواء ولم يسلم منهم الا
رجلان مصعب بن عمير وسويبط بن حرملة ولو علم الله فيهم خيرا
لاسمعهم يعني تفهم وانتفاع وقبول للحق ومعنى ولو علم الله قال
الامام فخر الدين ان كان ما كان حاصلا فيجب ان يعلمه الله فقدم
علم الله بوجوده من لوازم عدمه فلاجرم حسن التعبير عن عدمه
في نفسه بعدم علم الله بوجوده وتقدير الكلام لو حصل فيهم خير لاسمعهم
الله الحجج والمواعظ سماع تعليم وتفهم ولو اسمعهم يعني بعد ان علم انه لا
خير فيهم فلم ينتفعوا بما سمعوا من المواعظ لفساد نيتهم وجحودهم الحق
بعد ظهوره وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم احيي
لنا قصيا وسمعوا كلامه لتولوا عنه وهم معرضون يا ايها الذين
امنوا استجيبوا لله وللرسول يعني اجيبوهما بالطاعة والانقياد
لامرهما اذا دعاكم يعني الرسول صلى الله عليه وسلم انما وحد الضمير
في قوله اذا دعاكم اذا استجابة الرسول صلى الله عليه وسلم استجابة الله
تعالى وانما يذكر احدهما مع الاخر للتوكيد واستدل اكثر الفقهاء بهذه
الاية مع ان ظاهر الامر للوجوب لان كل من امره الله ورسوله صلى الله
عليه وسلم بفعل فقد دعاه اليه وهذه الاية تدل على انه لا بد من الاجابة
فيما وعد الله ورسوله اليه خ عن ابي سعيد بن المعلى قال كنت اصلي في
المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه ثم اتيته
فقلت يا رسول الله اني كنت اصلي فقال الم يقل الله استجيبوا لله
وللرسول اذا دعاكم ثم ذكر الحديث عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم خرج على ابي بن كعب وهو يصلي فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا ابي فالتفت ابي فلم يجبه وصلى ابي وخفف ثم
انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول
الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ما منعك
يا ابي ان تجيبني اذ دعوتك فقال يا رسول الله اني كنت في الصلاة
قال افلم تجد فيما اوحى الله الي استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما
يحييكم قال بلى ولا اعود ان شاء الله وذكر الحديث اخرجه الترمذي وقال

حديث

حديث حسن صحيح قيل هذه الاجابة مختصة بالنبي صلى الله عليه وسلم
فعلى هذا ليس لاحد ان يقطع صلاته لدعاء احد اخر وقيل لو دعاه احد
لامر مهم لا يحتمل التاخير فله ان يقطع صلاته وقوله تعالى لما يحييكم
يعني اذا دعاكم لما فيه حياتكم قال السدي هو الايمان لان الكافر ميت
فيحيى بالايمان وقال قتادة هو القران لانه حياة القلوب وفيه النجاة
والعصمة في الدارين • وقال مجاهد هو الحق وقال محمد بن اسحاق
هو الجهاد لان الله اعز به بعد الذل • وقيل هي الشهادة لان الشهداء
احياء عند ربهم يرزقون واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه قال
ابن عباس يحول بين المومن وبين الكفر ومعاصي الله ويحول بين
الكافر وبين الايمان وطاعة الله وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك
ومجاهد وقال السدي يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع ان
يومن او يكفر الا باذنه وقد دلت البراهين العقلية على هذا القول
لان احوال القلوب اعتقادات ودواعي وتلك الاعتقادات والدواعي
لا بد ان تتقدمها الارادة وتلك الارادة لا بد لها من فاعل مختار وهو
الله تعالى فثبت بذلك ان المتصرف في القلب كيف شاء هو الله تعالى
م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان قلوب العباد بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب
واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم
مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك • عن انس بن مالك قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول يا مثبت القلوب
ثبت قلبي على دينك قلت يا رسول الله قد امنا بك وبما جيت به فهل
تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها
كيف شاء اخرجه الترمذي وهذا الحديث من احاديث الصفات فيجب
على المرء المسلم ان يمر على ما جاء مع الاعتقاد الجزم بتنزيه الله تعالى عن
الجارحة والجسم وقيل في معنى الاية ان الله عز وجل يحول بين المرء وقلبه
حتى لا يدري ما يصنع ولا يعقل شيا • وقيل ان القوم لما دعوا الى
القتال والجهاد وكانوا في غاية الضعف والقلة خافت قلوبهم
وضاقت صدورهم فقيل لهم قاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله يحول
بين المرء وقلبه فيبدل الخوف امنا والجبن جراة وقوله تعالى وانه
اليه تحشرون يعني في الاخرة فيجزي كل عامل فيثيب المحسن ويعاقب
العاصي واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة لما اخبر عز
وجل انه يحول بين المرء وقلبه حذر من وقوع الفتن والمعنى واحذروا
فتنة ان نزلت بكم لم تقتصر على الظالم خاصة بل تتعدى اليكم جميعا

عه

وتفضل الى الصالح والطالح واراد بالفتنة الابتلاء والاختبار وقيل تقديره
واتقوا فتنة ان لم تتقوها اصابتكم جميعا الظالم وغير الظالم قال
الحسن نزلت هذه الاية في علي وعمار وطلحة والزبير قال الزبير
لقد قرانا هذه الاية زمانا وما ارى انا من اهلها فاذا نحن المعنيون
بها يعني ما كان منهم في يوم الجمل • وقال السدي ومقاتل والضحاك
وقتادة هذا في قوم مخصوصين من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
اصابتهم الفتنة يوم الجمل وقال ابن عباس امر الله عز وجل ان لا
يقروا المنكر بين اظهرهم فيعمهم الله بالعذاب فيصيب الظالم وغير
الظالم روى البغوي بسنده عن عدي بن عدي الكندي قال حدثنا
مولانا انه سمع جدي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم
وهم قادرون على ان ينكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الله العامة
والخاصة والذي ذكره ابن الاثير في جامع الاصول عن عدي بن عميرة
الكندي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا عملت الخطيئة في
الارض كان من شهدها فانكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها
كان كمن شهدها اخرجه ابو داود عن جرير بن عبد الله قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يكون في قوم يعمل
فيهم بالمعاصي يقدرون على ان يغيروا عليهم ولم يغيروا الا اصابهم
الله منه بعقاب قبل ان يموتوا اخرجه ابو داود وقال ابن زيد
اراد بالفتنة افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضا ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتنة القاعد فيها خير
من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي خير من الساعي من تشرف
لها تستشرفه ومن وجد ملجا او معاذا فليعذ به **فان قلت**
ظاهر قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة يشمل
الظالم وغير الظالم كما تقدم تفسيره فكيف يليق برحمة الله وكرمه ان
يوصل الفتنة الى من لم يذنب **قلت** انه تعالى مالك الملك
وخالق الخلق وهم عبيده وفي ملكه يتصرف فيهم كيف يشاء لا يسأل عما
يفعل وهم يسألون فيحسن ذلك منه على سبيل المالكية او لانه تعالى
علم اشتمال ذلك على انواع من انواع المصلحة والله اعلم بمراده قوله
تعالى **واعلموا ان الله شديد العقاب** فيه تحذير ووعيد لمن واقع
الفتنة التي حذره الله منها **قوله عز وجل** **واذكروا اذ انتم قليل
مستضعفون في الارض** لما امر الله المؤمنين بطاعة الله وطاعة
رسوله وحذر من الفتنة ذكرهم نعمته عليهم فقال تعالى واذكروا يا معشر

المومنين المهاجرين اذ انتم قليل يعني في العدد مستضعفون في الارض
يعني في ارض مكة في ابتداء الاسلام **تخافون ان يتخطفكم الناس** يعني
كفار مكة وقال عكرمة كفار العرب وقال وهب بن منبه يعني فارس
والروم **فآواكم** يعني الى المدينة **وايدكم بنصره** يعني وقواكم بالانصار
وقال الكلبي وقواكم يوم بدر بالملائكة **ورزقكم من الطيبات** يعني الغنائم
احلها لكم ولم يحلها لاحد قبلكم **لعلكم تشكرون** يعني تشكرون الله على
نعمه عليكم **قوله عز وجل** **يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله
والرسول** قال الزهري والكلبي نزلت هذه الاية في ابي لبابة هارون
ابن عبد المنذر الانصاري من بني عوف بن مالك وذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة احدا وعشرين ليلة فسالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على ما صالح عليه اخوانهم بني
النضير على ان يسيروا الى اخوانهم الى اذرعات من ارض الشام فابى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيهم ذلك الا ان ينزلوا على حكم
سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة بن عبد المنذر وكان
مناصحا لهم لان ماله وولده وعياله كان عندهم فبعثه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاتاهم فقالوا يا ابا لبابة ما ترى انتزل على حكم
سعد بن معاذ فاشار ابو لبابة بيده الى حلقه يعني انه الذبح فلا تفعلوا
قال ابو لبابة والله ما زالت قدماي عن مكانهما حتى عرفت اني قد
خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه ولم يات رسول الله صلى الله
عليه وسلم وشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله
لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فلما بلغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم خبره قال اما لو جاءني لاستغفرت له اما اذا
فعل ما فعل فاني لا اطلقه حتى يتوب الله عليه فمكث سبعة ايام لا
يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له
يا ابا لبابة قد تيب عليك فقال والله لا احل نفسي حتى يكون رسول الله
صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه صلى الله عليه وسلم فحله بيده
ثم قال ابو لبابة ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب
وان انخلع من مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث
ان تصدق به ونزل فيه يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وقال
السدي كانوا يسمعون الشيء من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفشونه
حتى يبلغ المشركين فنزلت هذه الاية • وقال جابر بن عبد الله ان ابا
سفيان خرج من مكة فاتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان
ابا سفيان في مكان كذا وكذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه

ان ابا سفيان في موضع كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتموا فكتب رجل من
المنافقين اليه ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم فانزل الله لا تخونوا الله
والرسول وتخونوا اماناتكم ومعنى الاية لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا
اماناتكم وانتم تعلمون انها امانة وقيل معناه وانتم تعلمون ما فعلتم
من الاشارة الى الخلق خيانة واصل الخيانة من الخون وهو النقص
لان من خان شيا فقد انتقصه والخيانة ضد الامانة وقيل في معنى الاية
لا تخونوا الله والرسول فانكم ان فعلتم ذلك فقد خنتم اماناتكم وقال
ابن عباس معناه لا تخونوا الله بترك فرايضه ولا تخونوا الرسول
بترك سنته ولا تخونوا اماناتكم قال ابن عباس هي ما يخفى عن
اعين الناس من فرايض الله تعالى والاعمال التي ايتمن عليها
العباد وقال قتادة اعلموا ان دين الله امانة فادوا الى الله ما
ايتمنكم عليه من فرايضه وحدوده ومن كانت عليه امانة فليودها
الى من ايتمنه عليها ومنه الحديث عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ادى الامانة الى من ايتمنك ولا تخن من خانك
اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب **قوله**
عز وجل واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة قيل هذا مما نزل
في ابي لبابة وذلك ان امواله واولاده كانت في بني قريظة فلذلك قال
ما قال خوفا عليهم وقيل انه عام في جميع الناس وذلك انه لما كان
الاقدام على الخيانة في الامانة موجب المال والولد نبه الله تعالى
بقوله واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة على انه يجب على العاقل
ان يحذر من المضار المتولدة من حب المال والولد ان ذلك يشغل
القلب ويصير محجوبا عن خدمة الرب المولى وهذا من اعظم الفتن
روى البغوي بسنده عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي
فقبله وقال اما انهم مبخلة مجبنة وانهم لمن رياحين الجنة واخرج
الترمذي عن عمر بن عبد العزيز قال زعمت المراة الصالحة خولة
بنت حكيم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم
وهو محتضن احدى ابني ابنته وهو يقول انكم لتبخلون وتجبنون
وتجهلون وانكم لمن ريحان الجنة اي لمن رزق الله والريحان في اللغة
الرزق وقوله تعالى وان الله عنده اجر عظيم يعني لمن ادى الامانة
ولم يخن وفيه تنبيه على ان سعادة الاخرة وهو ثواب الله افضل
من سعادة الدنيا وهو المال والولد **قوله عز وجل** يا ايها الذين
امنوا ان تتقوا الله يعني بطاعته وترك معاصيه يجعل لكم فرقانا
يعني يجعل لكم نورا وتوفيقا في قلوبكم تفرقون به بين الحق والباطل

واصله

واصله الفرق بين الشيئين لكنه ابلغ من اصله لانه يستعمل في التفرق
بين الحق والباطل والحجة والشبهة قال مجاهد يجعل لكم مخرجا في
الدنيا والاخرة وقال مقاتل مخرجا في الدين من الشبهات وقال
عكرمة نجاة اي يفرق بينكم وبين ما تخافون وقال محمد بن اسحاق
فصلا بين الحق والباطل يظهر الله به حقكم ويطفي بطلان من خالفكم
وقيل يفرق بينكم وبين الكفار بان يظهر دينكم ويعليه ويبطل الكفر
ويوهنه ويكفر عنكم سياتكم يعني ويمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم
ويغفر لكم ويستر عليكم بان لا يفضحكم في الدنيا ولا في الاخرة والله
ذو الفضل العظيم لانه هو الذي يفعل ذلك بكم فله الفضل العظيم
عليكم وعلى غيركم من خلقه ومن كان كذلك فانه اذا وعد بشي وفى
به قيل انه يتفضل على الطايعين بقبول الطاعات ويتفضل على
العاصين بغفران السيات وقيل معناه ان بيده الفضل العظيم
فلا يطلب من عند غيره قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا
لما ذكر الله تعالى المومنين نعمه عليهم بقوله واذكروا اذ كنتم قليلا
فكثركم ذكر نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه عليه فيما جرى عليه بمكة
من قومه لان هذه السورة مدنية وهذه الواقعة كانت بمكة قبل
ان هاجر الى المدينة والمعنى واذكر يا محمد اذ يمكر بك الذين كفروا
وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من اهل التفسير قالوا
جميعا ان قريشا لما عرفوا ان الناس قد اسلمت الانصار راوا ان يتفاقم امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويظهر فاجتمع نفر من كفار قريش في دار الندوة
ليتشاوروا في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان روسهم عتبة
وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل وابو سفيان وطعيمة بن عدي والنضر
ابن الحارث وابو البختري بن هشام وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام
ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وامية بن خلف واعترضهم ابليس في صورة
شيخ فلما راوه قالوا له من انت قال انا شيخ من نجد سمعت باجتماعكم
فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقالوا ادخل فدخل فقال
ابو البختري اما انا فارى ان تاخذوا محمدا او تحبسوه في بيت مقيدا
وتشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون منها طعامه
وشرابه وتتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من
الشعرا فصرخ عدو الله ابليس وهو الشيخ النجدي وقال بيس الراي
رايتم لين حبستموه ليخرجن امره من وراء الباب الذي اغلقتم دونه
الى اصحابه فيوشك ان يثبوا عليكم فيقاتلوكم ويا خذوه من ايديكم
فقالوا صدق الشيخ النجدي فقام هشام بن عمرو من بني عامر بن لوي

فقال اما انا فارى ان تحملوه على بعير من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع
واين وقع اذا غاب عنكم واسترحتم منه فقال ابليس ما هذا لكم براى
تعمدون الى رجل قد افسد سفهاكم فتخرجوه الى غيركم فيفسدهم الم تروا
الى حلاوة منطقه وطلاقة لسانه واخذ القلوب ما تسمع من حديثه
والله لئن فعلتم ذلك يذهب ويستميل قلوب اخرين ثم يسيرهم
اليكم فيخرجكم من بلادكم فقالوا صدق الشيخ النجدى فقال ابو جهل
والله لاشيرن عليكم براى ما ارى غيره ان تاخذوا من كل بطن من
قريش شابا نسيبا وسطا فينا ثم نعطى كل فتى سيفا صارما ثم يضربوه
جميعا ضربة واحدة ضربة رجل واحد فاذا اقتلوه تفرق دمه فى القبايل
كلها ولا اظن هذا الحى من بنى هاشم يقدرون على حرب قريش كلها
وانهم اذا ارادوا ذلك قالوا العقل فتودى قريش ديته فقال ابليس
اللعين صدق هذا الفتى هو اجودكم رايا والقول ما قال لا ارى
غيره فتفرقوا على قول ابى جهل وهم مجتمعين عليه فاتى جبريل صلى
الله عليه وسلم فاخبره بذلك وامره ان لا يبيت فى مضجعه الذى كان
يبيت فيه واذن الله عز وجل له عند ذلك بالخروج الى المدينة فامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن ابى طالب ان يبيت فى مضجعه
وقال تسبح ببردتى فانه لن يخلص اليك منهم امر تكرهه ثم خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ قبضة من تراب واخذ الله عز
وجل ابصارهم عنه فخرج ينثر التراب على روسهم وهو يقرا انا جعلنا
فى اعناقهم اغلالا الى قوله فهم لا يبصرون ومضى الى الغار من ثور هو
وابو بكر وخلف عليا بمكة حتى يودى عنه الودايع التى قبلها وكانت
الودايع توضع عنده لصدقه وامانته فالوا وبات المشركون يحرسون
عليا وهو على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبون انه
النبى صلى الله عليه وسلم فلما اصبحوا ثاروا عليه ليقتلوه فراوا عليا
فقالوا اين صاحبك قال لا ادرى فاقتصوا اثره وارسلوا فى طلبه فلما
بلغوا الغار راوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخله لم يكن نسج
عنكبوت على بابه اثر فمكث فى الغار ثلاثا ثم خرج الى المدينة فذلك
قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا واصل المكر احتيال فى خفية
ليثبتوك اى يحبسوك ويوثقوك لان كل من شد شيا واوثقه فقد اثبته
لانه لا يقدر على الحركة او يقتلوك يعنى كما اشار عليهم ابو جهل او يخرجوك
يعنى من مكة ويمكرون يعنى ويحتالون ويدبرون فى امرك ويمكر
الله يعنى ويجازيهم الله جزا مكرهم فسمى الجزا مكرا لانه فى مقابلته
وقيل معناه ويعاملهم الله معاملة مكرهم والمكر التدبير وهو من الله

التدبير

التدبير بالحق والمعنى انهم احتالوا فى ابطال امر محمد صلى الله عليه وسلم
والله تعالى اظهره وقواه فنصره فضاع فعلهم وتدبيرهم وظهر فعل
الله وتدبيره والله خير الماكرين فان قلت كيف قال والله
خير الماكرين ولا خير فى مكرهم قلت يحتمل ان يكون المراد والله
اقوى الماكرين فوضع خير موضع اقوى وفيه تنبيه على ان كل مكر يبطل
بفعل الله وقيل يحتمل ان يكون المراد ان مكرهم التفضيل بل ان فعل
الله خير مطلقا قوله عز وجل واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا
لو نشا لقلنا مثل هذا نزلت فى النضر بن الحرث بن علقمة من بنى عبد
الدار وذلك انه كان يختلف الى ارض فارس والحيرة فيسمع اخبارهم
عن رستم واسفنديار واحاديث العجم وكان يمر بالعباد من اليهود
والنصارى فيراهم يقرون التوراة والانجيل ويركعون ويسجدون
ويبكون فلما جا مكة وجد النبى صلى الله عليه وسلم قد اوحى اليه
وهو يقرا ويصلى فقال النضر بن الحارث قد سمعنا يعنى مثل هذا الذى
جا به محمد لو نشا لقلنا مثل هذا فذمهم الله به فهم الحق الذى لا شبهة
فيه بادعايهم الباطل بقولهم لو نشا لقلنا مثل هذا بعد التحدى
وابان عجزهم عن ذلك ولو قدروا ما تخلفوا عنه وهم اهل الفصاحة
وفرسان البلاغة فبان بذلك كذبهم فى قولهم لو نشا لقلنا مثل
هذا ان هذا الا اساطير الاولين يعنى اخبار الماضين قوله تعالى
واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السما او ايتنا بعذاب اليم نزلت فى النضر بن الحرث ايضا قال ابن
عباس لما قص رسول الله صلى الله عليه وسلم شان القرون الماضية
قال النضر بن الحرث لو شيت لقلت مثل هذا فقال له عثمان بن
مظعون اتق الله فان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول الحق قال
وانا اقول الحق قال فان محمدا يقول لا اله الا الله قال وانا اقول
لا اله الا الله ولكن هذه بنات الله يعنى الاصنام ثم قال اللهم
ان كان هذا هو الحق يعنى القران الذى جا به محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل يعنى ان كان الذى يقوله محمد صلى الله عليه وسلم من امر التوحيد
وادعا النبوة وغير ذلك هو الحق فامطر علينا حجارة من السما كما
امطرت على قوم لوط او ايتنا بعذاب اليم يعنى ما عذبت به الامم
الماضية وفى النضر بن الحرث نزل سال سايل بعذاب واقع قال عطا
لقد نزل فى ابن الحرث بضع عشرة اية فحاق به ما سال من العذاب
يوم بدر قال سعيد بن جبير قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاثة من قريش صبرا طعيمة بن عدى وعقبة بن ابى معيط والنضر

ابو جهل

ابن الحرث وروى انس بن مالك ان الذى قال ذلك ابو جهل ف
عن انس قال قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة من السما الاية فنزلت وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم الاية فلما اخرجوه نزلت وما لهم ان لا يعذبهم الله وهم
يصدون عن المسجد الحرام قوله عز وجل وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم اختلفوا فى معنى هذه الاية فقال محمد بن اسحاق هذه
الاية متصلة بما قبلها وهى حكاية عن المشركين وذلك انهم قالوا
ان الله لا يعذبنا ونحن نستغفر ولا يعذب امة ونبيها معها فقال
الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكر جهالتهم وغرتهم
واستفتاحهم على انفسهم اذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من
عندك الاية وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون ثم قال تعالى ردا عليهم وما لهم الا يعذبهم الله
وان كنت بين اظهرهم وان كانوا يستغفرون وهم يصدون عن المسجد
الحرام وقال اخرون هذا كلام مستانف يقول الله عز وجل اخبارا
عن نفسه تعالى وتقدس وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم يا محمد مقيم
فيهم واختلفوا فى معناه فقال الضحاك وجماعة تاويلها وما كان
الله ليعذبهم وانت يا محمد مقيم فيهم بين اظهرهم قالوا نزلت هذه
الاية على النبى صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بمكة ثم لما هاجر منها
بقى بقية من المسلمين يستغفرون فانزل الله وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون ثم لما خرج اوليك المسلمون من بين اظهر الكافرين
اذن الله فى فتح مكة فهو العذاب الذى وعدهم وقال ابن عباس
لم يعذب الله قرية حتى يخرج نبيها منها والذين امنوا معه ويلحق
بحيث امر فقال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم مقيم
وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعنى المسلمين فلما خرجوا قال
الله تعالى وما لهم الا يعذبهم الله وقال بعضهم هذا الاستغفار راجع
الى المشركين وذلك انهم كانوا يقولون بعد فراغهم من الطواف غفرانك
غفرانك وقال يزيد بن رومان قالت قريش اللهم ان كان هذا هو
الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما فلما امسوا ندموا
على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم قال الله تعالى وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون وقال قتادة والسدى معناه وما كان
الله معذبهم وهم يستغفرون اى لو استغفروا ولكنهم لم يكونوا
يستغفرون ولو اقروا بالذنب واستغفروا لكانوا مومنين وقيل هذا
دعا لهم الى الاسلام والاستغفار بهذه الكلمة كالرجل يقول لعبده

لا اعاقبك وانت تطيعنى اى اطعنى حتى لا اعاقبك وقال مجاهد وعكرمة
وهم يستغفرون اى يسلمون يعنى ولو اسلموا لما عذبوا وقال ابن عباس
وفيهم من سبق له من الله العناية انه يومن ويستغفر مثل ابى سفيان
ابن حرب وصفوان بن امية وعكرمة بن ابى جهل وسهيل بن عمرو وحكيم
ابن حزام وغيرهم وقال مجاهد وهم يستغفرون اى وفى اصلابهم
من يستغفر وقيل فى معنى الاية ان الكفار لما بالغوا وقالوا ان كان محمد
محقا فى قوله فامطر علينا حجارة من السما فاخبر الله ان محمدا الحق فى
قوله وانه مع ذلك لا يمطر على اعدايه ومنكرى نبوته حجارة من السما
ما دام بين اظهرهم وذلك تعظيما له صلى الله عليه وسلم واورد
على هذا انه لما كان اقامته مانعا من نزول العذاب بهم فكيف قال
فى غير هذه الاية قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فالجواب
ان المراد من العذاب الاول هو عذاب الاستيصال والمراد من
العذاب الثانى وهو قولهم يعذبهم الله بايديكم هو عذاب القتل
والسبى والاسر وذلك دون عذاب الاستيصال قال اهل المعانى
دلت هذه الاية على ان الاستغفار امان وسلامة من العذاب
عن ابى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله انزل على امانين لامتى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما
كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار
الى يوم القيمة اخرجه الترمذى وقوله تعالى وما لهم ان لا يعذبهم
الله يعنى اى شى يمنعهم من ان يعذبهم الله يعنى بعد خروجك من بين
اظهرهم لانه تعالى بين فى الاية الاولى انه لا يعذبهم وهو مقيم فيهم وبين
فى هذه انه معذبهم ثم اختلفوا فى هذا العذاب فقيل هو القتل والاسر
يوم بدر وقيل اراد به عذاب الاخرة وقيل اراد بالعذاب الاول عذاب
الاستيصال واراد بهذه الاية العذاب بالسيف وقيل اراد بالعذاب
الاول عذاب الدنيا وبهذا العذاب عذاب الاخرة • وقال الحسن
الاية الاولى وهو قوله وما كان الله ليعذبهم منسوخة بقوله وما لهم
الا يعذبهم الله وفيه بعد لان الاخبار لا يدخله النسخ ثم بين ما لاجله
يعذبهم فقال تعالى وهم يصدون عن المسجد الحرام يعنى وهم يمنعون
المومنين عن الطواف بالبيت وذلك حين صدوا رسوله صلى الله عليه
وسلم واصحابه عن البيت الحرام عام الحديبية وما كانوا اولياءه قال
الحسن كان المشركون يقولون نحن اوليا المسجد الحرام فرد الله عليهم بقوله
وما كانوا اولياءه يعنى ليسوا اوليا المسجد الحرام ان اولياوه الا المتقون
ولكن اكثرهم لا يعلمون يعنى ولكن اكثر المشركين لا يعلمون ذلك قوله

تعالى **وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية** لما ذكر الله
عز وجل ان الكفار ليسوا باوليا للبيت الحرام ذكر عقبه السبب في ذلك
وهو ان صلاتهم عنده كانت مكاء وتصدية والمكاء في اللغة الصفير
يقال مكا الطير يمكو اذا صفر والمكا اسم طاير ابيض يكون بالحجاز له
صفير وقيل هو طاير يالف الريف سمي بذلك لكثرة مكايه يعني صفيره
والتصدية التصفيق وفي اصله واشتقاقه قولان احدهما
انه من الصدي وهو الصوت الذي يرجع من الجبل كالمجيب للمتكلم
ولا يرجع قوله الى شي والثاني قال ابو عبيدة اصله تصديدا فابدلت
الدال الواحدة ياء قال الازهري والمكا والتصدية ليسا بصلاة ولكن
الله اخبر انهم جعلوا مكان الصلاة التي امروا بها المكا والتصدية
قال حسان بن ثابت ❊ صلاتهم التصدي والمكاء ❊ قال ابن عباس
كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون وقال
مجاهد كان نفر من بني عبد الدار يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم
في الطواف ويستهزون به ويدخلون اصابعهم في افواههم ويصفقون
فالمكا جعل الاصابع في الشدق والتصدية الصفير ❊ وقال جعفر بن
ربيعة سالت ابا سلمة بن عبد الرحمن عن قوله الا مكا وتصدية فجمع
كفيه ثم نفخ فيهما صفيرا وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا دخل المسجد قام رجلان عن يمينه يصفران ورجلان يصفران عن
يساره يصفقان ليخلطوا على النبي صلى الله عليه وسلم صلاته وهم
من بني عبد الدار فعلى قول ابن عباس كان المكا والتصدية نوع عبادة
لهم وعلى قول غيره كان نوع اذي للنبي صلى الله عليه وسلم وقول
ابن عباس اصح لان الله عز وجل سمى ذلك صلاة **فان قلت**
كيف سماها صلاة وليس ذلك من جنس الصلاة **قلت**
انهم كانوا يعتقدون ذلك المكا والتصدية صلاة فخرج ذلك على
حسب معتقدهم وفيه وجه اخر وهو ان من كان المكا والتصدية
صلاته فلا صلاة له وهو كقول العرب من كان السخا عيبه فلا عيب
له وقال سعيد بن جبير التصدية صدهم المومنون عن المسجد الحرام
وعن الدين والصلاة فعلى هذا التصدية من الصد وهو المنع
وقوله تعالى **فذوقوا العذاب** يعني عذاب القتل والاسر في الدنيا
وقيل يقال لهم في الاخرة فذوقوا العذاب **بما كنتم تكفرون** يعني
بسبب كفركم في الدنيا **قوله عز وجل ان الذين كفروا ينفقون
اموالهم ليصدوا عن سبيل الله** لما ذكر الله عبادة الكفار البدنية
وهي المكا والتصدية ذكر عقبيه عبادتهم المالية التي لا جدوى لها

في

في الاخرة قال الكلبي ومقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني
عشر رجلا ابو جهل بن هشام وعقبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس
ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وابو البختري بن هشام والنضر بن الحارث
وحكيم بن حزام وابي بن خلف وزمعة بن الاسود والحرث بن عامر
ابن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش فكان يطعم كل
واحد منهم الجيش في كل يوم عشر جزور اسلم من هولا العباس بن عبد
المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وحكيم بن حزام ❊ وقال الحكم بن
عتيبة نزلت في ابي سفيان بن حرب حين انفق على المشركين اربعين
اوقية كل اوقية اثنان واربعون مثقالا ❊ وقال ابن ابزى استاجر
ابو سفيان يوم احد الفين ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم سوى من استجاش من العرب وقيل استاجر يوم احد الفين
من الاحابيش من كنانة فقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل لما اصيب من اصيب من قريش يوم بدر ورجع ابو سفيان
بعيره الى مكة مشى عبد الله بن ابي ربيعة وعكرمة بن ابي جهل ٥
وصفوان بن امية في رجال من قريش قد اصيب اباوهم وابناوهم
واخوانهم يوم بدر فكلموا ابا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك
العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمد قد وتركم وقتل خياركم
فاعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثارا بمن اصيب منا
ففيهم نزلت ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله
اي ليصرفوا الناس عن الايمان بالله ورسوله وقيل ينفقون اموالهم
على امثالهم من المشركين ليتقووا بها على قتال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمومنون **فسينفقونها** يعني اموالهم في ذلك الوجه
ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون يعني ما انفقوا من اموالهم يكون
عليهم حسرة وندامة يوم القيامة لان اموالهم تذهب ويغلبون ولا
يظفرون بما يا ملون **والذين كفروا** يعني منهم لان منهم من اسلم فلهذا
قال والذين كفروا يعني من المنفقين اموالهم **الى جهنم يحشرون**
يعني يساقون الى النار **ليميز الله الخبيث من الطيب** يعني ليفرق
الله بين فريق الكفار وهم الفريق الخبيث وبين فريق المومنين وهم
الفريق الطيب وهذا معنى قول ابن عباس فانه قال يميز اهل السعادة
من اهل الشقاوة وقال ليميز العمل الخبيث من العمل الطيب فيجازي على
العمل الخبيث النار وعلى العمل الطيب الجنة وقيل المراد به انفاق الكفار
في سبيل الشيطان وانفاق المومنين في سبيل الله **ويجعل الخبيث
بعضه على بعض** يعني بعضه فوق بعض **فيركمه جميعا** يعني فيجمعه جميعا

فيجعله

ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكم فيجعله في جهنم يعني الخبيث اوليك
اشارة الى المنفقين في سبيل الشيطان او الى الخبيث هم الخاسرون
يعني انهم خسروا الدنيا والاخرة لانهم اشتروا باموالهم عقاب الاخرة
قل يعني قل يا محمد للذين كفروا ان ينتهوا يعني عن الشرك يغفر لهم
ما قد سلف يعني ما قد مضى من كفرهم وذنوبهم قبل الاسلام وان
يعودوا فقد مضت سنة الاولين يعني في اهلاك اعدايه ونصر
اوليايه ومعنى الاية ان هولاء ان انتهوا عن الكفر ودخلوا في الاسلام
والتزموا شرايعه غفر الله لهم ما قد سلف من كفرهم وشركهم
وان عادوا الى الكفر واصروا عليه فقد مضت سنة الاولين باهلاك
اعدايه ونصر انبيايه واوليايه واجمع العلما على ان الاسلام يجب ما
قبله واذا اسلم الكافر لم يلزمه شي من قضا العبادات البدنية
والمالية وهو ساعة اسلامه كيوم ولدته امه يعني بذلك انه
ليس عليه ذنب • قال يحيى بن معاذ الرازي توحيد من لم يعجز عن
هدم ما قبله من كفر ارجو ان لا يعجز عن هدم ما بعده من ذنب
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال ابن عباس حتى لا يكون شرك
وقال الحسن حتى لا يكون بلا ويكون الدين كله لله يعني تكون الطاعة
والعبادة كلها لله خالصة دون غيره وقال قتادة حتى يقال لا اله الا
الله عليها قاتل نبي الله صلى الله عليه وسلم واليها دعا وقال محمد بن
اسحاق في قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله يعني
لا يفتتن مومن عن دينه ويكون التوحيد لله خالصا ليس فيه شرك ولا
ويخلع ما دونه من الانداد والشركا فان انتهوا يعني عن الشرك وافتان
المومنين وايذاوهم فان الله بما يعملون بصير يعني فان الله لا يخفى عليه
شي من اعمال العباد وبنياتهم حتى يوصل اليهم ثوابهم وان تولوا
يعني وان اعرضوا عن الايمان واصروا على الكفر وعادوا الى قتال
المومنين وايذايهم فاعلموا يعني ايها المومنون ان الله مولاكم يعني
ان الله وليكم وناصركم وحافظكم نعم المولى ونعم النصير يعني ان الله
هو نعم المولى لمن كان في حفظه ونصره وكفايته وكلايته وهو له نعم
المولى ونعم النصير قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه
وللرسول المغنم الفوز بالشي يقال غنم يغنم غنما فهو غانم واختلف
العلما هل الغنيمة والفي اسمان لمسمى واحد ام يختلفان في التسمية
فقال عطا بن السايب الغنيمة ما ظهر المسلمون عليه من اموال
المشركون فاخذوه عنوة واما الارض فهي في وقال سفيان الثوري
الغنيمة ما اصاب المسلمون من مال الكفار عنوة بقتال ففيه الخمس

واربعة اخماسه لمن شهد الوقعة والفي ما صولحوا عليه بغير قتال
فليس فيه خمس هو لمن سمى الله وقيل الغنيمة ما اخذ من اموال الكفار
عنوة عن قهر وغلبة والفي ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب كالعشور
والجزية واموال الصلح والمهادنة وقيل ان الفي والغنيمة معناهما
واحد وهما اسمان لشي واحد والصحيح انهما يختلفان فالفي ما اخذ
من اموال الكفار بغير ايجاف خيل وركاب فذكر الله في هذه الاية
حكم الغنيمة فقال تعالى واعلموا انما غنمتم من شي يعني من اي شي
كان حتى الخيط والمخيط فان لله خمسه وللرسول فذكر اكثر المفسرين
والفقها ان قوله لله افتتاح كلام على سبيل التبرك وانما اضافه الى
نفسه تعالى لانه هو الحاكم فيه فيقسمه كيف شا وليس المراد منه ان سهما
منه لله مفرد الا ان الدنيا والاخرة كلها لله وهذا قول الحسن وقتادة
وعطا وابراهيم النخعي قالوا سهم الله وسهم رسوله واحد والغنيمة
تقسم خمسة اخماس اربعة اخماس لمن قاتل عليها واحرزها والخمس
الباقي لخمسة اصناف كما ذكر الله عز وجل للرسول ولذي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل • وقال ابو العالية يقسم خمس
الخمس على ستة اسهم سهم لله عز وجل فيصرف الى الكعبة والقول الاول
اصح ان خمس الغنيمة يقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه
وسلم كان له في حياته واليوم هو لمصالح المسلمين وما فيه قوة الاسلام
وهذا قول الشافعي واحمد • وروى الاعمش عن ابراهيم قال كان ابو بكر
وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم في الكراع
والسلاح • وقال قتادة هو للخليفة قال ابو حنيفة سهم النبي صلى الله
عليه وسلم بعد موته مردود في الخمس فيقسم الخمس على اربعة اصناف
المذكورين في الاية وهم ذوو القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل فقوله تعالى ولذي القربى يعني ان سهما من خمس الخمس لذوي
القربى وهم اقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا فيهم فقال
قوم هم جميع قريش وقال قوم هم الذين لا تحل لهم الصدقة وقال مجاهد
وعلي بن الحسين هم بنو هاشم وقال الشافعي رحمه الله هم بنو هاشم
وبنو المطلب وليس لبني عبد شمس ولا لبني نوفل منه شي وان كانوا اخوة
يدل عليه ما روي عن جبير بن مطعم قال مشيت انا وعثمان بن عفان
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اعطيت بني المطلب
وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما بنو المطلب وبنو هاشم شي واحد • وفي رواية اعطيت بني المطلب
من الخمس وتركتنا وفي رواية قال جبير ولم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم

لبني عبد شمس ولا لبني نوفل شيا اخرجه البخاري وفي رواية ابي داود
ان جبير بن مطعم جاء هو وعثمان بن عفان يكلمان رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما يقسم من الخمس في بني هاشم وبني المطلب فقلت يا
رسول الله قسمت لاخواننا بني المطلب ولم تعطنا شيا وقرابتنا
وقرابتهم واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنوا هاشم
وبنوا المطلب شي واحد • وفي رواية النسايي قال لما كان يوم خيبر
وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذي القربى في بني هاشم وبني
المطلب وترك بني نوفل وبني عبد شمس فانطلقت انا وعثمان حتى اتينا
النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله هولا بنوا هاشم لا ينكر
فضلهم للموضع الذي وضعك الله به منهم فما بال اخواننا بني المطلب
اعطيتهم وتركتنا وقرابتنا واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا وبنوا المطلب لا نفترق في جاهلية ولا اسلام وانما نحن واحد
شي واحد وشبك بين اصابعه واختلف اهل العلم في سهم ذوي القربى
هل هو ثابت اليوم ام لا فذهب اكثرهم الى انه ثابت فيعطى فقراوهم
واغنياوهم من خمس الخمس للذكر مثل حظ الانثيين وهو قول مالك
والشافعي • وذهب ابو حنيفة واصحاب الراي الى انه غير ثابت قالوا
سهم النبي صلى الله عليه وسلم وسهم ذوي القربى مردود في الخمس فيقسم
الغنيمة على ثلاثة اصناف اليتامى والمساكين وابن السبيل ه
فيصرف الى فقرا ذوي القربى مع هذه الاصناف دون اغنيايهم وحجة
الجمهور ان الكتاب والسنة يدلان على ثبوت سهم ذوي القربى وكذا
الخلفا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعطون ذوي القربى
ولا يفضلون فقيرا على غني لان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى العباس
ابن عبد المطلب مع كثرة ماله وكذا الخلفا بعده كانوا يعطونه والحقه
الشافعي بالميراث الذي يستحق باسم القرابة غير انه يعطى القريب
والبعيد ويفضل الذكر على الانثى فيعطى الذكر سهمين والانثى سهما
وقوله تعالى **واليتامى** جمع يتيم ويعطى من خمس الخمس لليتامى واليتيم
الذي له سهم في الخمس هو الصغير المسلم الذي لا اب له فيعطى مع الحاجة
اليه **والمساكين** وهم اهل الفاقة والحاجة من المسلمين **وابن السبيل**
وهو المسافر البعيد عن ماله فيعطى من خمس الخمس مع الحاجة اليه
فهذا مصرف خمس الغنيمة ويقسم اربعة اخماسها الباقية بين
الغانمين الذين يشهدون الواقعة وحازوا الغنيمة فيعطى للفارس
ثلاثة اسهم سهم له وسهمان لفرسه وللراجل سهما وفي رواية نحوه
باسقاط لفظ النفل اخرجه البخاري ومسلم وفي رواية ابي داود ان رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم اسهم للرجل ولفرسه ثلاثة اسهم سهما له
وسهمان لفرسه وهذا قول اكثر اهل العلم واليه ذهب الثوري
والاوزاعي ومالك وابن المبارك والشافعي واحمد واسحاق وقال ابو
حنيفة للفارس سهمان وللراجل سهم ويرضخ للعبد والنسوان والصبيان
اذا حضروا القتال ويقسم العقار الذي استولى عليه المسلمون كالمنقول
وعند ابي حنيفة يتخير الامام في العقار بين ان يقسمه بينهم وبين ان
يجعله وقفا على المصالح وظاهر الاية يدل على انه لا فرق بين العقار
والمنقول ومن قتل مشركا من المسلمين في القتال يستحق سلبه من
راس الغنيمة لما روي عن ابي قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه اخرجه الترمذي واخرجه
البخاري ومسلم في حديث طويل والسلب هو ما يكون على المقتول
من ملبوس وسلاح والفرس الذي كان راكبه ويجوز للامام ان
ينفل بعض الجيش من الغنيمة لزيادة عناء وبلاء يكون منهم في الحرب
يخصهم به من بين ساير الجيش ثم يجعلهم اسوة الجماعة في سهام الغنيمة
ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينفل من يبعث
من السرايا لانفسهم خاصة سوي عامة الجيش • عن حبيب بن
سلمة الفهري قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل
الربع في البداة والثلث في الرجعة اخرجه ابو داود • واختلف
العلما في ان النفل من اين يعطى فقال قوم من خمس الخمس من سهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول سعيد بن المسيب وبه
قال الشافعي وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر
ومرة من جنب بعير فقال ايها الناس انه لا يحل لي مما افا الله عليكم
قدر هذه الا الخمس والخمس مردود عليكم اخرجه النسايي • وقال قوم
هو من الاربعة الاخماس بعد افراز الخمس كسهام الغزاة وهو قول احمد
واسحاق وذهب قوم الى ان النفل من راس الغنيمة قبل التخميس كالسلب
للقاتل واما الفي وهو ما اصابه المسلمون من اموال الكفار بغير
ايجاف خيل ولا ركاب بان صالحهم على مال يودونه وكذا الجزية وما اخذ
من اموالهم اذا دخلوا دار الاسلام للتجارة او يموت منهم احد في دار
الاسلام ولا وارث له فهذا كله في ومال الفي كان خالصا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم في مدة حياته • وقال عمر ان الله قد خص
رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الفي بشي لم يخص به احدا غيره
ثم قرا ما افا الله على رسوله منهم الاية فكانت هذه لرسول الله صلى
الله عليه وسلم خالصة وكان ينفق على اهله وعياله نفقة سنتهم

من هذا المال ثم ما بقي يجعله يجعل مال الله في الكراع والسلاح
واختلف اهل العلم في مصرف الفيء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال قوم هو للائمة بعده وللشافعي فيه قولان احدهما انه للمقاتلة الذين
اثبت اسماوهم في ديوان الجهاد لانهم هم القايمون مقام النبي صلى الله
عليه وسلم في ارهاب العدو والقول الثاني انه لمصالح المسلمين ويبدا
بالمقاتلة فيعطون كفايتهم ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلف
اهل العلم في خمس الفيء فذهب الشافعي الى انه يخمس وخمسه لاهل
الخمس من الغنيمة على خمسة اسهم واربعة اخماسه للمقاتلة وللمصالح
وذهب الاكثرون الى انه لا يخمس بل يصرف جميعه مصرف واحد ولجميع
المسلمين فيه حق • عن مالك بن انس قال ذكر عمر يوما الفيء فقال
ما انا احق بهذا الفيء منكم وما احد منا احق به من احد الا انا على
منازلنا من كتاب الله وقسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم والرجل
وقدمه والرجل وبلاوه والرجل وعياله والرجل وحاجته اخرجه
ابو داود • واخرج البغوي بسنده عنه انه سمع عمر بن الخطاب
يقول ما على وجه الارض مسلم الا له في هذا الفيء حق الا ما ملكت
ايمانكم وقوله تعالى ان كنتم امنتم بالله يعني واعلموا ايها المومنون
ان خمس الغنيمة مصروف الى من ذكر من الاصناف فاقطعوا عنه
اطماعكم فاقنعوا باربعة اخماس الغنيمة ان كنتم امنتم بالله وصدقتم
بوحدانيته وما انزلنا على عبدنا يعني وامنتم بالمنزل على عبدنا
محمد صلى الله عليه وسلم وهذه اضافة تشريف وتعظيم للنبي صلى الله
عليه وسلم والذي انزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يسالونك
عن الانفال الاية يوم الفرقان يعني يوم بدر قال ابن عباس يوم
الفرقان يوم بدر فرق الله فيه عز وجل فيه بين الحق والباطل يوم
التقى الجمعان يعني جمع المومنين وجمع الكافرين وهو يوم بدر قال
عروة بن الزبير يوم الفرقان يوم فرق الله بين الحق والباطل وهو
يوم بدر وهو اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان راس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة
او لسبع عشرة من رمضان واصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوميذ ثلاثماية وبضعة عشر رجلا والمشركون ما بين
الالف والتسعماية فهزم الله المشركين وقتل منهم زيادة على سبعين
واسر منهم مثل ذلك والله على كل شيء قدير يعني على نصركم ايها
المومنون مع قلتكم وكثرة اعدايكم قوله تعالى اذ انتم اي واذكروا
نعمة الله عليكم يا معشر المسلمين اذ انتم بالعدوة الدنيا يعني بشفير

الوادي الادنى من المدينة والدنيا هنا تانيث الادنى وهم يعني
المشركين بالعدوة القصوى يعني بشفير الوادي الاقصى من المدينة
مما يلي مكة والقصوى تانيث الاقصى والركب اسفل منكم يعني
ابا سفيان واصحابه وهم عير قريش التي خرجوا لاجلها وكانوا في موضع
اسفل من موضع المومنين الى ساحل البحر على ثلاثة اميال من بدر
ولو تواعدتم يعني انتم والمشركين لاختلفتم في الميعاد وذلك ان
المسلمين خرجوا لياخذوا العير وخرج الكفار ليمنعوها من المسلمين
فالتقوا على غير ميعاد ولو تواعدتم انتم والكفار على القتال
لاختلفتم انتم وهم لقلتكم وكثرة عدوكم ولكن يعني الله جمعكم
على غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا يعني من نصر اوليايه
واهلاك اعدايه واعداء دينه ليهلك من هلك عن بينة يعني
ليموت من مات عن بينة راها وعبرة عاينها وحجة قامت عليه
ويحيى من حي عن بينة يعني ويعيش من عاش عن بينة راها
وعبرة شاهدها وحجة قامت عليه وقال محمد بن اسحاق معناه
ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه ويومن من امن على مثل ذلك
لان الهلاك هو الكفر والحياة هو الايمان ونحوه وقال قتادة ليضل
من ضل عن بينة ويهتدي من اهتدى على بينة وان الله لسميع
عليم يعني يسمع دعاكم ويعلم نياتكم ولا يخفى عليه خافية قوله
عز وجل اذ يريكهم الله يعني اذكر يا محمد نعمة الله عليك اذ يريك
المشركين في منامك يعني في نومك قليلا قال مجاهد اراهم الله في
منامه قليلا فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بذلك وكان تثبيتا
وقال محمد بن اسحاق فكان ما اراه الله من ذلك نعمة من نعمه عليهم
يشجعهم بها على عدوه فكف بها عنهم ما يخوف عليهم من ضعفهم لعلمه
بما فيهم • وقيل لما راى النبي صلى الله عليه وسلم كفار قريش في منامه
قليلا فاخبر بذلك اصحابه فقالوا رويا النبي صلى الله عليه وسلم
حق فكان ذلك سبب لجراتهم على عدوهم وقوة لقلوبهم • وقال
الحسن ان هذه الاراة كانت اليقظة والمراد من المنام العين لانها
موضع النوم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم يعني لجبنتم والفشل ضعف
مع جبن والمعنى ولو اراكهم كثيرا فذكرت ذلك لاصحابك لفشلوا وجبنوا
عنهم ولتنازعتم في الامر يعني اختلفتم في الاقدام عليهم والاحجام عنهم
وقيل معنى التنازع في الامر هو الاختلاف الذي تكون معه مضاخمة
ومجاهدة ومحاربة كل واحد الى ناحية والمعنى لاضطرب امركم واختلفت
كلمتكم ولكن الله سلم يعني من الهزيمة والفشل انه عليم بذات الصدور

يعني انه تعالى يعلم ما يحصل في الصدور من الجراة والجبن والصبر
والجزع وقال ابن عباس معناه انه عليم بما في صدوركم من الحب لله
عز وجل **واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا** يعني ان الله تعالى
قلل عدد المشركين في اعين المومنين يوم بدر لما التقوا في القتال
ليتاكد في اليقظة ما راه النبي صلى الله عليه وسلم في منامه واخبر به
اصحابه • قال ابن مسعود لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي
تراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال
الفا **ويقللكم في اعينهم** يعني ويقللكم يا معشر المومنين في اعين
المشركين قال السدي قال ناس من المشركين ان العير قد انصرفت
فارجعوا فقال ابو جهل الان اذ برز لكم محمد واصحابه فلا ترجعوا حتى
تستاصلوهم انما محمد واصحابه اكلة جزور يعني لقلتهم في عينه ثم
قال فلا تقتلوهم واربطوهم في الحبال يقوله من القدرة على نفسه
والحكمة في تقليل المشركين في اعين المومنين تصديق رويا النبي صلى
الله عليه وسلم ويتقوى بذلك قلوب المومنين ويزداد جراتهم
عليهم ولا يجبنوا عند قتالهم والحكمة في تقليل في اعين المشركين لئلا
ينهزموا واذا استقلوا عدد المومنين لم يبالغوا في الاستعداد والتاهب
لقتالهم فيكون ذلك سببا لظهور المومنين عليهم **فان قلت**
كيف يمكن تقليل الكثير وتكثير القليل **قلت** ذلك ممكن في
القدرة الالهية فان الله تعالى على ما يشا قدير ويكون ذلك معجزة
للنبي صلى الله عليه وسلم والمعجزة هي من خوارق العادات فلا ينكر
ذلك **ليقضي الله امرا كان مفعولا** يعني امرا كائنا من اعلا كلمة
الاسلام ونصر اهله واذلال كلمة الشرك وخذلان اهله **فان قلت**
قد قال في الاية المتقدمة ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا فما
معنى هذا التكرار **قلت** المقصود من ذكره في الاية المتقدمة هو
ليحصل استيلا المومنين على المشركين على وجه القهر والغلبة ليكون
ذلك معجزة دالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقصود
من ذكره في هذه الاية لانه تعالى عدد الفريقين في اعين بعضهم
بعضا للحكمة التي ذكرناها فلذلك قال ليقضي الله امرا كان مفعولا
والى الله ترجع الامور يعني في الاخرة فيجازي كل عامل على قدر
عمله فالمحسن باحسانه والمسيء باسائته او يغفر قوله تعالى **يا ايها
الذين امنوا اذا لقيتم فية** يعني جماعة كافرة **فاثبتوا** يعني لقتالهم
وهو ان يوطنوا انفسهم على لقا العدو وقتاله ولا يحدثوها بالتولي •
واذكروا الله كثيرا يعني كونوا ذاكرين الله عند لقا عدوكم ذكرا كثيرا

بقلوبكم

بقلوبكم والسنتكم امر عباده المومنين واوليائه الصالحين بان يذكروه
في اشد الاحوال وذكر عند لقا العدو وقتاله وفيه تنبيه على ان الانسان
لا يجوز ان يخلو قلبه ولسانه عن ذكر الله وقيل المراد من هذا الذكر
هو الدعا بالنصر على العدو وذلك لا يحصل الا بمعونة الله تعالى فامر
الله عباده ان يسالوه النصر على العدو وعند اللقا ثم قال تعالى
لعلكم تفلحون يعني وكونوا على رجا الفلاح والنصر والظفر **فان
قلت** ظاهر الاية يوجب الثبات على كل حال وذلك يوهم انها
ناسخة لاية التحرف والتحيز **قلت** المراد من الثبات هو الثبات
عند المحاربة والمقاتلة في الجملة واية التحرف والتحيز لا يقدح في خصوص
هذا الثبات في المحاربة بل كان الثبات في المقصود لا يحصل الا
بذلك التحرف والتحيز ثم قال تعالى موكدا لذلك **واطيعوا الله
ورسوله** يعني في امر الجهاد والثبات عند لقا العدو **ولا تنازعوا
فتفشلوا وتذهب ريحكم** يعني ولا تختلفوا فان التنازع والاختلاف
يوجب الفشل والضعف والجبن وقوله تعالى وتذهب ريحكم يعني
قوتكم وقال مجاهد نصرتكم قال وذهب اصحاب ريح محمد صلى الله عليه
وسلم حين نازعوه يوم احد • وقال السدي جراتكم وحدكم قال مقاتل
حدتكم وقال الاخفش وابو عبيدة دولتكم والريح هنا كناية عن نفاذ
الامر وجريانه على المراد تقول العرب هبت ريح فلان اذا اقبل امره
على ما يريد وقال قتادة وابو زيد هي ريح النصر ولم يكن نصر قط الا بريح
يبعثها الله تضرب وجوه العدو ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم
نصرت بالرعب واهلكت عاد بالدبور • وعن النعمان بن مقرن قال
شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا لم يقاتل من اول النهار
اخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر اخرجه ابو
داود وقوله تعالى **واصبروا** يعني عند لقا عدوكم ولا تنهزموا عنهم **ان الله
مع الصابرين** يعني بالنصر والمعونة **ق** عن عبد الله بن ابي اوفى ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض ايامه التي لقي فيها العدو
وانتظر حتى اذا مالت الشمس قام فيهم فقال ايها الناس لا تتمنوا لقا
العدو واسالوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان
الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا
عليهم **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
تمنوا لقا العدو فاذا لقيتموهم فاصبروا قوله عز وجل **ولا تكونوا
كالذين خرجوا من ديارهم بطرا** يعني فخرا واشرا وقيل البطر الطغيان

في المنعة وذلك ان النعم اذا كثرت من الله على العبد فان صرفها
في المفاخرة على الاقران وكاثر بها ابنا الزمان وانفقها في غير طاعة
الرحمن فذلك هو البطر في النعمة وان صرفها في طاعة الله وابتغا
مرضاته فذلك شكرها وهذا معنى قول الزجاج البطر الطغيان
في النعمة وترك شكرها **ورئاء الناس** الريا اظهار الجميل ليراه الناس
مع ابطان القبيح والفرق بين الريا والنفاق ان النفاق اظهار الايمان
مع ابطان الكفر والريا اظهار الطاعة مع ابطان المعصية **ويصدون
عن سبيل الله** يعني ويمنعون الناس عن الدخول في دين الاسلام الله
نزلت هذه الاية في كفار قريش حين خرجوا الى بدر ولهم فخر وبغي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم هذه قريش قد اقبلت
بخيلائها وفخرها تحاد ولك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي
وعدتني قال ابن عباس ان ابا سفيان لما راي انه قد احرز عيره
ارسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم واموالكم فقد
نجاها الله فارجعوا فقال ابو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان
بدر موسم من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق في كل عام قال
فنقيم عليه ثلاثا وننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمور وتعزف
علينا القينات وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابونا ابدا فامضوا زاد
غيره نعال فلما وافوا بدرا سقوا كؤوس الحمام عوضا عن الخمر وناحت
عليهم النوايح مكان القينات فنهى الله عباده المومنين ان يكونوا
مثلهم والمعنى لا يكونن امركم ايها المومنون رئاء وسمعة ولا التماس
ما عند الناس ولكن اخلصوا لله عز وجل النية وقاتلوا خشية في
نصر دينكم وموازرة نبيكم صلى الله عليه وسلم ولا تعملوا الا لذلك
ولا تطلبوا غيره وقوله تعالى **والله بما يعملون محيط** فيه وعيد
وتهديد يعني انه تعالى عالم بجميع الاشيا لا يخفى عن علمه شي لانه محيط
باعمال العباد كلها فيجازي المحسنين ويعاقب المسيئين قوله تعالى
واذ زين لهم الشيطان اعمالهم يعني اذكروا ايها المومنون نعمة الله
عليكم اذ زين الشيطان يريد ابليس للمشركين اعمالهم الخبيثة **وقال
لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم** قال بعضهم كان تزيينه
ووسوسته القاها في قلوبهم من غير ان يتحول في صورة غير صورته
وقال جمهور المفسرين تصور ابليس في صورة سراقة بن مالك بن
جعشم وكان تزيينه ان قريشا لما اجتمعت على السير الى بدر ذكرت
الذي بينها وبين بكر بن الحرث من الحروب فكاد ذلك ان يثنيهم فتبدى
لهم ذلك في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي وكان من اشراف

بني كنانة فقال انا جار لكم من ان ياتيكم من كنانة شي تكرهونه فخرجوا
سراعا وقال ابن عباس جا ابليس يوم بدر في جند من الشياطين معه
رايته في صورة رجل من رجال بني مدلج سراقة بن مالك بن جعشم فقال
الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما اصطف
الناس اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب فرمى بها
في وجوه المشركين فولوا مدبرين واقبل جبريل عليه السلام الى ابليس
لعنه الله فلما راه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع ابليس
يده ثم ولى مدبرا وشيعته فقال الرجل يا سراقة اتزعم انك جار لنا
فقال اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب وذلك
حين راى الملائكة وقوله اني جار لكم يعني مجير لكم من كنانة **فلما تراءت
الفئتان** اي التقى الجمعان راى ابليس الملائكة قد نزلوا من السماء علم
عدو الله ابليس انه لا طاقة له بهم **نكص على عقبيه وقال اني بريء
منكم** يعني رجع القهقرى وولى مدبرا هاربا على قفاه وقال الكلبي
لما التقى الجمعان كان ابليس في صف المشركين على صورة سراقة بن مالك
ابن جعشم وهو اخذ بيد الحرث بن هشام فنكص عدو الله ابليس على
عقبيه فقال له الحرث افرارا من غير قتال وجعل يمسكه فدفع في
صدره وانطلق فانهزم الناس فلما قدم مكة قالوا هزم الناس سراقة
فبلغ ذلك سراقة فقال بلغني انكم تقولون هزمت الناس سراقة
فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فقالوا ما اتيتنا في
يوم كذا وكذا فحلف لهم فلما اسلموا علموا ان ذلك كان شيطان قال
الحسن في قوله **اني ارى ما لا ترون** قال راى ابليس جبريل عليه
السلام معتجرا ببرد يمشي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وفي
يده اللجام يقود الفرس ما ركب وقال قتادة قال ابليس اني ارى
ما لا ترون وصدق وقال **اني اخاف الله** وكذب ما به مخافة الله
ولكن علم انه لا قوة له ولا منعة فاوردهم واسلمهم وتلك عادة عدو
الله ابليس لمن اطاعه اذا التقى الحق والباطل اسلمهم وتبرا منهم
وقيل انه خاف ان يهلك فيمن هلك • وقيل خاف ان ياخذه جبريل
فيعرفون حاله فلا يطيعوه • وقيل معناه اني اخاف الله اعلم صدق
وعده لاوليايه لانه كان على ثقة من امره • وقيل لما راى الملائكة
قد نزلت من السما خاف ان تكون القيامة **والله شديد العقاب**
قيل معناه اني اخاف الله لانه شديد العقاب فعلى هذا يكون من
تمام قول ابليس وقيل تم كلامه عند قوله اني اخاف الله وقوله
والله شديد العقاب ابتدا كلام يقول الله والله شديد العقاب

لمن خالف الله وكفر به • عن طلحة بن عبيد الله بن كريز ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما راى الشيطان يوما هو فيه اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه في يوم عرفة وما ذلك الا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله من الذنوب العظام الا ما رأى يوم بدر فانه قد راى جبريل يزع الملايكة اخرجه مالك في الموطا • قوله ولا ادحر هو بالدال والحا المهملتين من الدحور وهو الابعاد والطرد مع الاهانة وقوله يزع الملايكة اي يكفهم ويحبسهم ليلا يتقدم بعضهم الى بعض والوازع هو الذي يتقدم ويتاخر في الصف ليصلحه **فان قلت** كيف يقدر ابليس ان يتصور بصورة البشر واذا تشكل بصورة البشر فكيف يسمى شيطانا **قلت** ان الله عز وجل اعطاه قوة واقدره على ذلك كما اعطى الملايكة قوة واقدرهم على ان يتصوروا بصور البشر لكن النفس الباطنة لم تتغير فلم يلزم من تغيير الصورة تغيير الحقيقة **قوله عز وجل** اذ يقول المنافقون يعني من اهل المدينة والذين في قلوبهم مرض اي شك وارتياب وهم قوم من اهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يقوى الاسلام في قلوبهم ولم يتمكن فلما خرج كفار قريش الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم الى بدر فلما نظروا الى قلة المسلمين ارتدوا وارتابوا وقالوا غر هولا دينهم يعني ان هولا نفر قليلون يقاتلون اضعافهم فقد غرهم دينهم الاسلام على ذلك وحملهم على قتل انفسهم رجا الثواب في الاخرة فقتلوا جميعا يوم بدر وقال مجاهد ان فية من قريش وهم قيس بن الوليد بن المغيرة وابو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحارث بن زمعة بن الاسود بن المطلب وعلي بن امية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب فحبسهم ارتيابهم فلما راوا قلة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا غر هولا دينهم ثم قال تعالى ومن يتوكل على الله يعني ومن يسلم امره الى الله ويثق بفضله ويعول على احسانه فان الله حافظه وناصره لانه عزيز لا يغلبه شي حكيم يعني فيما قضى وحكم فيوصل الثواب الى اوليايه والعقاب الى اعدايه قوله تعالى ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملايكة يعني ولو عاينت يا محمد وشاهدت اذ تقبض الملايكة ارواح الذين كفروا عند الموت لرايت امرا عظيما ومنظرا فظيعا وعذابا شديدا ينالهم في ذلك الوقت يضربون وجوههم وادبارهم اختلفوا في وقت هذا الضرب فقيل هو عند الموت تضرب الملايكة وجوه الكفار وادبارهم بسياط من نار وقيل ان الذين قتلوا يوم بدر من المشركين كانت الملايكة تضرب وجوههم

وادبارهم • وقال ابن عباس كان المشركون اذا اقبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربت الملايكة وجوههم بالسيوف واذا ولوا ادبارهم ضربت الملايكة ادبارهم • قال ابن جريج يريد ما اقبل من اجسادهم وادبر يعني يضربون جميع اجسادهم وذوقوا عذاب الحريق يعني وتقول لهم الملايكة عند القتل ذوقوا عذاب الحريق قيل مع الملايكة مقامع من الحديد محمية بالنار يضربون بها الكفار فتلتهب النار في جراحاتهم وقال ابن عباس تقول لهم الملايكة ذلك بعد الموت • وقال الحسن هذا يوم القيمة تقول لهم الزبانية ذوقوا عذاب الحريق ذلك يعني الذي نزل بكم من القتل والضرب والحريق بما قدمت ايديكم يعني انما حصل لكم ذلك بسبب ما كسبت ايديكم من الكفر والمعاصي **فان قلت** اليد ليست محلا للكفر وانما محله القلب لان الكفر اعتقاد والاعتقاد محله القلب وظاهر الاية يقتضي ان فاعل هذا الكفر هي اليد وذلك ممتنع **قلت** اليد هنا عبارة عن القدرة لان اليد الة العمل والقدرة هي المؤثرة في العمل فجعل اليد كناية عن القدرة وقوله وان الله ليس بظلام للعبيد يعني انه تعالى لا يعذب احدا من خلقه الا بجرم اجترمه لانه لا يظلم احدا من خلقه وانما نفى الله الظلم عن نفسه مع انه يعذب الكافر على كفره والعاصي على عصيانه لانه متصرف في ملكه كيف يشا ومن كان كذلك استحال نسبة الظلم اليه فلا يتوهم متوهم انه تعالى مع خلقه كفر الكافر وتعذيبه عليه ظلم فلهذا قال الله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد لانه في ملكه وتحت قدرته فهو يتصرف فيهم كيف شا قوله تعالى كداب ال فرعون يعني ان عادت هولا الكفار في كفرهم كعادة ال فرعون في كفرهم فجوزي هولا بالقتل والاسر يوم بدر كما جوزي ال فرعون بالاغراق واصل الداب في اللغة ادامة العمل يقال فلان يداب في كذا اذا دام عليه واتعب نفسه ثم سميت العادة دابا لان الانسان يدام على عادته ويواظب عليها وقال ابن عباس معناه ان ال فرعون ايقنوا ان موسى عليه السلام نبي من الله تعالى فكذبوه فكذلك هولا لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالصدق كذبوه فانزل الله بهم عقوبته كما انزل بال فرعون والذين من قبلهم يعني من قبل آل فرعون كفروا بايات الله يعني ان عادة الامم السالفة هو كفرهم بايات الله فاخذهم الله بذنوبهم يعني بسبب كفرهم وذنوبهم ان الله قوي يعني في اخذه وانتقامه ممن كفر به وكذب رسله شديد العقاب يعني لمن كفر به وكذب رسله ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم يعني ان الله تعالى انعم على اهل مكة

بأن اطعمهم من جوع وامنهم من خوف وبعث اليهم محمدا صلى الله عليه
وسلم فقابلوا هذه النعم بان تركوا شكرها وكذبوا رسوله محمدا صلى الله
عليه وسلم وغيروا ما بانفسهم فسلبهم الله تعالى النعمة واخذهم بالعقاب
قال السدي نعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم انعم به على قريش فكفروا
به فكذبوه فنقله الله الى الانصار **وان الله سميع** لاقوال خلقه لا يخفى
عليه شيء من كلامهم **عليم** يعني بما في صدورهم من خير او شر فيجازي كل
واحد على عمله **كداب ال فرعون** يعني ان هولاء الكفار الذين قتلوا يوم
بدر غيروا نعمة الله عليهم كصنيع ال فرعون **والذين من قبلهم كذبوا
بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم** يعني اهلكنا بعضهم بالرجفة وبعضهم
بالخسف وبعضهم بالحجارة وبعضهم بالريح وبعضهم بالمسخ كذلك
اهلكنا كفار قريش بالسيف **واغرقنا ال فرعون وكل كانوا ظالمين**
يعني الاولين والاخرين **فان قلت** ما الفايدة في تكرير هذه
الاية مرة ثانية **قلت** فيها فوايد منها ان الكلام الثاني جرى
مجرى التفصيل للكلام الاول لان الاية الاولى فيها ذكر اخذهم وفي الاية
الثانية ذكر اغراقهم فكذلك تفسير للاول • الفايدة الثانية انه
ذكر في الاية الاولى انهم كفروا بايات الله وفي الاية الثانية كذبوا
بايات ربهم ففي الاية الاولى اشارة الى انهم انكروا ايات الله وجحدوها
وفي الثانية اشارة الى انهم كذبوا بها مع جحودهم لها وكفرهم بها •
الفايدة الثالثة ان تكرير هذه القصة للتاكيد وفي قولهم كذبوا بايات
ربهم زيادة دالة على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الاغراق بيان
الاخذ بالذنوب قوله تعالى **ان شر الدواب عند الله** يعني في علمه وحكمه
الذين كفروا فهم لا يؤمنون والمعنى ان شر الدواب من الانس الكفار
المصرين على الكفر نزلت في يهود بني قريظة رهط كعب بن الاشرف **الذين
عاهدت منهم** قيل من صلة يعني الذين عاهدتهم وقيل هو للتبعيض
لان المعاهدة مع بعض القوم وهم الروسا والاشراف **ثم ينقضون
عهدهم في كل مرة** قال المفسرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
عاهد يهود بني قريظة ان لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه فنقضوا العهد
واعانوا مشركي مكة بالسلاح على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه فقالوا نسينا واخطانا فعاهدهم الثانية فنقضوا العهد
ايضا ومالوا الكفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق
وركب كعب بن الاشرف الى مكة فوافقهم على مخالفة رسول الله صلى
الله عليه وسلم **وهم لا يتقون** يعني انهم لا يخافون في نقض العهد لان
عادة العرب من يرجع الى دين وعقل وحزم ان يتقي نقض العهد حتى يسكن

الناس الى قوله ويثقون بكلامه فبين الله عز وجل ان من جمع بين الكفر
ونقض العهد انه من شر الدواب **فاما تثقفنهم في الحرب** يعني فاما
تجد هولاء الذين نقضوا عهدك وتظفر بهم في الحرب **فشرد بهم من
خلفهم** قال ابن عباس معناه فنكل بهم من وراءهم وقال سعيد بن جبير
انذر بهم من خلفهم واصل التشريد في اللغة التفريق مع اضطراب
ومعنى الاية انك اذا ظفرت بهولاء الكفار الذين نقضوا العهد فافعل
بهم فعلا من القتل والتنكيل تفرق به جمع كل ناقض للعهد حتى
يخافك من وراءهم من اهل مكة واليمن **لعلهم يذكرون** يعني لعل
ذلك النكال يمنعهم من نقض العهد **واما تخافن** يعني واما تعلمن
يا محمد **من قوم** يعني معاهدين **خيانة** يعني نقضا للعهد بما يظهر لك
منهم من اثار الغدر كما ظهر من بني قريظة والنضير **فانبذ** اي فاطرح **اليهم**
يعني عهدهم وارم به اليهم **على سواء** يعني على طريق ظاهر مستو يعني
اعلمهم قبل حربك اياهم انك قد نقضت العهد اولا بنصب الحرب
معهم **ان الله لا يحب الخاينين** يعني في نقض العهد عن سليم بن عامر
عن رجل من حمير قال كان بين معاوية وبين الروم عهد وكان يسير
نحو بلادهم ليقترب حتى اذا انقضى العهد وغزاهم فجاء رجل على فرس
او برذون وهو يقول الله اكبر الله اكبر وفا لا غدر فاذا هو عمرو بن عبسة
فارسل اليه معاوية فسأله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى
ينقضي امدها او ينبذ اليهم على سواء فرجع معاوية اخرجه ابو داود
واخرج الترمذي عن سليم بن عامر نفسه بلا زيادة رجل من حمير ٥
وعنده الله اكبر مرة واحدة وفيه جاء على دابة او فرس واما حكم الاية
فقال اهل العلم اذا ظهرت اثار نقض العهد ممن هادنهم الامام من ٥
المشركين بامر ظاهر مستفيض استغنى الامام عن نبذ العهد واعلامهم
في الحرب وان ظهرت الخيانة بامارات تلوح وتتضح له من غير امر مستفيض
فحينئذ يجب على الامام ينبذ اليهم العهد ويعلمهم بالحرب وذلك لان
قريظة كانوا عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم اجابوا ابا سفيان
ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وباصحابه
فههنا يجب على الامام ان ينبذ اليهم على سوا ويعلمهم بالحرب واما اذا ظهر
نقض العهد ظهورا مقطوعا به فلا حاجة للامام الى نبذ العهد فليفعل
كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة لما نقضوا العهد بقتل
خزاعة في ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرعهم الا وجيش رسول

الله صلى الله عليه وسلم بمرّ الظهران وذلك على اربع فراسخ من مكة
وقوله تعالى **ولا تحسبن** قرئ بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمعنى ولا تحسبن يا محمد **الذين كفروا سبقوا** يعني فاتوا وانهزموا يوم
بدر وقرئ بالياء على الغيبة ومعناه ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا
يعني خلصوا من القتل والاسر يوم بدر **انهم لا يعجزون** انهم يعني بهذا
السبق لا يعجزون من الانتقام منهم اما في الدنيا فالقتل واما في الاخرة
بعذاب النار وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فيمن فات من
المشركين ولم ينتقم منهم فاعلم الله انهم لا يعجزون قوله تعالى **واعدوا لهم
ما استطعتم من قوة** الاعتداد اتخاذ الشيء لوقت الحاجة اليه وفي
المراد بالقوة اقوال احدها انها جميع الاسلحة والالات التي تكون لكم
قوة في الحرب على قتال عدوكم • الثاني انها الحصون والمعاقل الثالث
الرمي وقد جاءت مفسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عقبة بن
عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول
واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الا ان القوة الرمي اخرجه مسلم **خ** عن
ابي اسيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين صففنا
لقريش اذا اكثبوا لكم يعني غشوكم وفي رواية اكثروكم فارموهم واستبقوا
نبلكم وفي رواية اذا اكثبوكم فعليكم بالنبل **م** عن عقبة بن عامر قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم الروم ويكفيكم
الله فلا يعجز احدكم ان يلهو باسهمه **ق** عن نعيم اللخمي قال قلت لعقبة
ابن عامر تختلف بين هذين الغرضين وانت شيخ كبير يشق عليك
فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم
اعانه قال قلت وما ذاك قال سمعته يقول من تعلم الرمي فتركه
فليس منا او قد عصى • عن ابي نجيح السلمي قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من بلغ بسهم فله درجة في الجنة فبلغت
يومئذ عشر اسهما قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرر اخرجه النسائي والترمذي
بمعناه وعنده قال عدل رقبة محررة واخرجه ابو داود ايضا عن عقبة
بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز
وجل ليدخل بالسهم الواحد ثلاث نفر الجنة صانعه يحتسب في عمله
الخير والرامي به والممد به وفي رواية ومنبله فارموا واركبوا وان احب الي
ان ترموا من ان تركبوا كل لهو باطل ليس من اللهو محمود الا ثلاث
تاديب الرجل فرسه وملاعبته اهله ورميه بقوسه الى نبله فانهن
من الحق ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فانها نعمة تركها

وكفرها اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي مختصرا الى نبله **خ** عن سلمة
ابن الاكوع قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من اسلم ينتضلون
بالسيوف فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم لا ترمون فقالوا كيف
نرمي وانت معهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا وانا معكم كلكم
القول الرابع ان المراد بالقوة جميع ما يتقوى به في الحرب على العدو
فكل ما هو الة يستعان بها في الجهاد فهو من جملة القوة المامور
باستعدادها • وقوله صلى الله عليه وسلم الا ان القوة الرمي لا ينفي
كون غير الرمي من القوة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وقوله
الندم توبة وقوله فهذا لا ينفي اعتبار غيره بل يدل على ان هذا المذكور
من افضل المقصود واجل فكذا ههنا يحمل معنى الاية على الاستعداد
للقتال في الحرب وجهاد العدو وبجميع ما يمكن من الالات كالرمي
بالنبل والنشاب والسيف والدرع وتعليم الفروسية كل ذلك
مامور به الا انه من فروض الكفاية وقوله **ومن رباط الخيل** يعني
اقتناها وربطها للغزو في سبيل الله والربط شد الفرس وغيره
بالمكان للحفظ وسمي المكان الذي يخص باقامة حفظه فيه رباط
والمرابطة اقامة المسلمين بالثغور للحراسة فيها وربط الخيل للجهاد
من اعظم ما يستعان به • روي ان رجلا قال لابن سيرين ان فلانا
اوصى بثلث ماله للحصون فقال ابن سيرين يشترى به الخيل وتربط
في سبيل الله • وقال عكرمة القوة الحصون ومن رباط الخيل يعني
الاناث ووجه هذا ان العرب تربط الاناث من الخيل بالافنية للنسل
وروي ان خالد بن الوليد كان لا يركب في القتال الا الاناث لقلة
صهيلها • وعن ابي محيريز قال كانت الصحابة يستحبون ذكور الخيل
عند الصفوف واناث الخيل عند البيات والغارات وقيل ربط
الفحول اولى من الاناث لانها اقوى على الكر والفر والعدو وكانت
المحاربة عليها اولى من الاناث • وقيل ان لفظ الخيل عام فيتناول
الفحول والاناث فاي ذلك ربط بنية الغزاة كان في سبيل الله **ق**
عن عروة بن الجعد البارقي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل
معقود في نواصيها الخير الى يوم القيمة الاجر والغنيمة **م** عن ابن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيمة
خ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا
في سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وبوله في
ميزانه يوم القيمة يعني حسنات **ق** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الخيل ثلاثة هي لرجل اجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر

فاما الذي هي له اجر فرجل ربطها في سبيل الله زاد في رواية لاهل الاسلام فاطال لها في مرج او روضة فما اصابت في طيلها ذلك من المرج او الروضة كانت له حسنات ولو انها قطعت طيلها فاستنت شرفا او شرفين كانت له اثارها وارواثها حسنات ولو انها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد ان يسقيها كان له ذلك حسنات فهي لذلك الرجل اجر ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي لذلك الرجل ستر ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء لاهل الاسلام فهي على ذلك وزر وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمر فقال ما انزل علي فيها شي الا هذه الاية الفاذة الجامعة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الطيل الحبل الذي تشد به الفرس وقت الرعي والاستنان الجري والشرف الشوط الذي يجري فيه الفرس وقوله تغنيا يعني استغنا بها عن الطلب لما في ايدي الناس اما حق ظهورها فهو ان يحمل عليها منقطعا الى اهله واما حق رقابها فقيل اراد به الاحسان اليها وقيل اراد به الحمل عليها فعبر بالرقبة عن الذات وقوله نواء لاهل الاسلام النوى المعادات يقال ناوات الرجل مناواة اذا عاديته وقوله تعالى **ترهبون به عدو الله وعدوكم** يعني تخوفون بتلك القوة وبذلك الرباط عدو الله وعدوكم يعني الكفار من اهل مكة وغيرهم وقال ابن عباس تخزون به عدو الله وعدوكم وذلك لان الكفار اذا علموا ان المسلمين متهيين للجهاد مستعدين له مستكملين لجميع الاسلحة والات الحرب واعداد الخيل مربوطة للجهاد خافوهم فلا يقصدون دخول دار الاسلام بل يصير ذلك سببا لدخول الكفار في الاسلام وبذل الجزية للمسلمين وقوله تعالى **واخرين من دونهم** يعني وترهبون اخرين من دونهم اختلف العلما فيهم فقال مجاهد بنو قريظة وقال السدي هم فارس وقال ابن زيد هم المنافقون لقوله تعالى **لا تعلمونهم** لانهم معكم يقولون بالسنتهم لا اله الا الله **الله يعلمهم** يعني انهم منافقين واورد على هذا القول ان المنافقين لا يقاتلون لاظهار كلمة الاسلام فكيف يخوفون باعداد القوة ورباط الخيل **واجيب** عن هذا الايراد ان المنافقين اذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة الاتهم واسلحتهم كان ذلك مما يخوفهم ويحزنهم فكان ذلك ارهابهم وقال الحسن هم كفار الجن وصحح هذا القول الطبري قال لان الله تعالى قال لا تعلمونهم ولا شك ان المومنين كانوا عالمين بعداوة قريظة وفارس لعلمهم بانهم مشركون ولانهم حرب للمومنين اما الجن فلا يعلمونهم الله

يعلمهم يعني يعلم احوالهم وما كانهم دونكم ويعضد هذا القول ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هم الجن وان الشياطين لا يخبل احدا في داره فرس عتيق ذكر هذا الحديث ابن الجوزي وغيره من المفسرين بغير اسناد وقال الحسن صهيل الخيل يرهب الجن وقوله تعالى **وما تنفقوا من شي في سبيل الله** قيل اراد به نفقة الجهاد والغزو وقيل هو عام في كل وجوه الخير والطاعة فيدخل فيه نفقة الجهاد وغيره **يوف اليكم** يعني اجره في الاخرة ويعجل له عوضه في الدنيا **وانتم لا تظلمون** يعني وانتم لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيا قوله تعالى **وان جنحوا للسلم فاجنح لها** لما امر الله عباده المومنين باعداد القوة وما يرهب العدو وامرهم بعد ذلك ان يقبلوا منهم الصلح ان مالوا اليه وسالوه فقال تعالى وان جنحوا للسلم يعني مالوا الى السلم يعني المصالحة فاقبلوا منهم الصلح وهو قوله فاجنح لها اي مل اليها يعني المصالحة وروي عن الحسن وقتادة ان هذه الاية منسوخة باية السيف وقيل انها غير منسوخة لكنها تتضمن الامر بالصلح اذا كان فيه مصلحة ظاهرة فان راي الامام ان يصالح اعداه من الكفار وفيه قوة فلا يجوز ان يهادنهم سنة كاملة وان كانت القوة للمشركين جاز ان يهادنهم عشر سنين ولا يجوز الزيادة عليها اقتدا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صالح اهل مكة مدة عشر سنين ثم انهم نقضوا العهد قبل انقضا المدة وقوله تعالى **وتوكل على الله** يعني فوض امرك الى الله فيما عقدته معهم ليكون عونا لك في جميع احوالك **انه هو السميع** يعني لاقوالهم **العليم** باحوالهم **قوله عز وجل** **وان يريدوا ان يخدعوك** يعني يغدروا بك قال مجاهد يعني بني قريظة والمعنى وان ارادوا باظهار الصلح خديعتك لتكف عنهم **فان حسبك الله** يعني فان الله كافيك بنصره ومعونته **هو الذي ايدك بنصره** يعني هو قواك واعانك بنصره يوم بدر وفي ساير ايامك **وبالمومنين** يعني وايدك بالمومنين يعني الانصار **فان قلت** اذا كان الله قد ايده بنصره فاي حاجة الى نصر المومنين حتى يقول وبالمومنين **قلت** التاييد والنصر من الله عز وجل لكنه يكون باسباب باطنة غير معلومة وباسباب ظاهرة معلومة فاما الذي يكون بالاسباب الباطنة فهو المراد بقوله هو الذي ايدك بنصره لان اسبابه باطنة بغير وسايط معلومة واما الذي يكون بالاسباب الظاهرة فهو المراد بقوله وبالمومنين لان اسبابه ظاهرة بوسايط وهم المومنون والله تعالى هو مسبب الاسباب وهو الذي اقامهم لنصره ثم بين كيف ايده بالمومنين فقال تعالى

والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعًا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وذلك ان العرب كان فيهم من الحمية
الشديدة والانفة العظيمة والانفس القوية والعصبية والانطوا
على الضغينة في ادنى شي حتى لوان رجلا من قبيلة لطمه لطمة واحدة
قاتل عنه اهل قبيلة حتى يدركوا ثارهم لايكاد يأتلف فيهم قلبان
فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وامنوا به واتبعوه
انقلبت تلك الحالة فايتلفت قلوبهم واستجمعت كلمتهم وزالت
حمية الجاهلية من قلوبهم وابدلت تلك الضغاين والتحاسد
بالمودة والمحبة لله وفي الله واتفقوا على الطاعة وصاروا انصارا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم واعوانا يقاتلون عنه ويحمونه وهم
الاوس والخزرج وكانت بينهم في الجاهلية حروب عظيمة ومعاداة
شديدة ثم زالت تلك الحروب وحصلت الالفة والمحبة وهذا
مما لايقدر عليه الا الله عز وجل وصار ذلك معجزة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ظاهرة باهرة دالة على صدقه ومنه قوله صلى
الله عليه وسلم يا معشر الانصار الم اجدكم ضلالا فهداكم الله بي
وعالة فاغناكم الله بي وفي الاية دليل على ان القلوب بيد الله
يصرفها كيف شاء واراد وذلك لان تلك الالفة والمحبة وانما
حصلت بسبب الايمان واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انه
تعالى ختم هذه بقوله **انه عزيز حكيم** يعني انه تعالى قادر قاهر يمكنه
التصرف في القلوب يقلبها من العداوة الى المحبة ومن النفرة الى
الالفة وكل ذلك على وجه الحكمة والصواب قوله تعالى **يا ايها النبي
حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين** روى سعيد بن جبير عن
ابن عباس ان هذه الاية نزلت في اسلام عمر بن الخطاب قال سعيد
ابن جبير اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا
وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت هذه الاية فعلى هذا القول تكون
الاية مكية كتبت في سورة مدنية بامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل انها نزلت بالبيدا في غزوة بدر قبل القتال فعلى هذا
القول اراد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين يعني الى غزوة بدر
وقيل اراد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين الانصار والاية
نزلت بالمدينة • وقيل اراد جميع المهاجرين والانصار ومعنى
الاية يا ايها النبي حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين
وقيل معناه حسبك الله ومتبعوك من المؤمنين **قوله عز وجل
يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال** يعني حثهم على قتال عدوهم

والتحريض في اللغة الحث على الشي بكثرة التزيين وتسهيل الخطب
فيه كانه في الاصل ازالة الحرض وهو الهلاك **ان يكن منكم عشرون** يعني
رجلا **صابرون** يعني عند اللقا محتسبين انفسهم **يغلبوا مائتين** يعني
من عدوهم وظاهر لفظ الاية خبر ومعناه الامر فكانه قال ان يكن منكم
عشرون فليصبروا وليجتهدوا في قتال عدوهم حتى يغلبوا مائتين
ويدل على ان المراد بهذا الخبر الامر قوله الان خفف الله عنكم لان
النسخ لايدخل على الاخبار انما يدخل على الامر فدل ذلك على ان الله تعالى
اوجب اولا على المؤمنين هذا الحكم وانما حسن هذا التكليف لان الله لما
وعدهم بالنصر ومن تكفل الله له بالنصر سهل عليه الثبات مع الاعدا **وان
يكن منكم مائة** يعني صابرة **يغلبوا الفا من الذين كفروا** فحاصله وجوب
ثبات الواحد من المؤمنين في مقابلة العشرة من الكفار **بانهم قوم
لا يفقهون** يعني ان المشركين لايقاتلون لطلب ثواب وخوف عقاب
انما يقاتلون حمية فاذا اصدقتموهم في القتال فانهم لايثبتون معكم
**الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة
يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله** خ عن ابن
عباس قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين كتب
عليهم ان لا يفر واحد من عشرة ولا عشرين من مائتين ثم نزلت الان خفف
الله عنكم الاية فكتب ان لا يفر مائة من مائتين وفي رواية اخرى عنه
قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين شق ذلك على
المسلمين فنزلت الان خفف الله عنكم الاية فلما خفف الله عنهم من العدة
نقص عنهم من الصبر بقدر ما خفف عنهم فظاهر هذا ان قوله الان خفف
الله عنكم ناسخ لما في الاية الاولى وكان هذا الامر يوم بدر فرض الله تعالى
على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين فثقل ذلك
على المؤمنين فنزل الان خفف الله عنكم ايها المؤمنون وعلم ان فيكم ضعفا
يعني في قتال الواحد للعشرة فان يكن منكم مائة صابرة محتسبة يغلبوا
مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله فرد من العشرة الى
اثنين فاذا كان المسلمون على قدر النصف من عدوهم لا يجوز لهم ان يفروا
فايما رجل فر من ثلاثة فلم يفر ومن فر من اثنين فقد فر **والله مع
الصابرين** يعني بالنصر والمعونة قال سفين قال ابن شبرمة واري
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل ذلك قوله تعالى **ما كان لنبي
ان تكون له اسرى** روي عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم بدر
وجي بالاسارى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول في هولا
فقال ابو بكر يا رسول الله قومك واهلك استبقهم واستان بهم لعل الله

ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار • وقال عمر
يا رسول الله كذبوك واخرجوك قدمهم نضرب اعناقهم مكن عليا من
عقيل فيضرب عنقه ومكنى من فلان نسيب لعمر فاضرب عنقه فان
هولاء ايمة الكفر وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا
كثير الحطب فادخلهم فيه ثم اضرم عليهم نارا فقال له العباس من قطعتك
رحمك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ثم دخل فقال
ناس يقول ياخذ ابى بكر وقال ناس ياخذ بقول عمر وقال ناس ياخذ
بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله
ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن ويشد قلوب رجال
حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن
تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم • ومثلك يا ابا بكر
مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت
العزيز الحكيم • ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من
الكافرين ديارا • ومثلك كمثل موسى قال ربنا اطمس على اموالهم
واشدد على قلوبهم الاية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليوم انتم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفدا او ضرب عنق قال عبد
الله بن مسعود الا سهيل بن بيضا فاني سمعته يذكر الاسلام فسكت
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما رايتني في يوم اخوف ان تقع
على الحجارة من السما مني ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا سهيل بن بيضا قال ابن عباس قال عمر بن الخطاب فهوى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت واخذ منهم الفدا فلما
كان من الغد جيت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر قاعدين
يبكيان قلت يا رسول الله اخبرني من اي شي تبكي انت وصاحبك فان
وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابكي للذي عرض على اصحابك من اخذهم الفدا
لقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة قريبة من نبي الله صلى
الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ما كان لنبي ان تكون له اسرى حتى
يثخن في الارض الاية اخرج هذا الحديث الترمذي مختصرا وقال
في الحديث قصة وهي هذه القصة التي ذكرها البغوى • واخرج
مسلم في افراده من حديث عمر بن الخطاب قال ابن عباس لما اسروا الاسارى
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر ما ترون في هولاء
الاسارى فقال ابو بكر يا رسول الله هم بنو العم والعشيرة ارى ان تاخذ
منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار فعسى الله ان يهديهم الى الاسلام

فقال

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت
لا والله يا رسول الله ما ارى الذي راي ابو بكر ولكني اري ان تمكننا
فنضرب اعناقهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكني من فلان
نسيبا لعمر فاضرب عنقه فان هولاء ايمة الكفر وصناديده فهوي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت فلما
كان من الغد جيت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر
قاعدين يبكيان فقلت يا رسول الله اخبرني من اي شي تبكي انت
وصاحبك فان وجدت بكا بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت لبكائكما
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكي للذي عرض على اصحابك
من اخذهم الفدا لقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة
قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم وانزل الله عز وجل ما كان
لنبي ان تكون له اسرى حتى يثخن في الارض الى قوله فكلوا مما غنمتم
حلالا طيبا فاحل الله الغنيمة لهم ذكره الحميدي في مسند عمر بن
الخطاب من افراد مسلم بزيادة فيه اما تفسير الاية فقوله تعالى
ما كان لنبي ان تكون له اسرى يعني ما كان ينبغي ولا يجب لنبي وقال
ابو عبيدة معناه لم يكن لنبي ذلك فلا يكون لك يا محمد والمعنى ما
كان لنبي ان يحتبس كافرا قدر عليه وصار في يده اسيرا للفدا او المن
والاسرى جمع اسير واسارى جمع الجمع **حتى يثخن في الارض** الاثخان في كل
شي عبارة عن قوته وشدته يقال اثخنه المرض اذا اشتدت قوته عليه
والمعنى حتى يبالغ في قتل المشركين ويغلبهم ويقهرهم فاذا حصل ذلك
فله ان يقدم على الاسر فياسر الاسارى **تريدون عرض الدنيا** الخطاب
لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعني تريدون ايها المومنون عرض
الدنيا باخذكم الفدا من المشركين وانما سمي منافع الدنيا عرضا لانه
لا ثبات لها ولا دوام فكانها تعرض ثم تزول بخلاف منافع الاخرة
فانها دايمة لا انقطاع لها وقوله تعالى **والله يريد الاخرة** يعني انه
تعالى يريد لكم ثواب الاخرة بقهركم المشركين ونصركم الدين لانها دايمة
بلا زوال ولا انقطاع **والله عزيز** لا يقهر ولا يغلب **حكيم** يعني في تدبير
مصالح عباده قال ابن عباس كان ذلك يوم بدر والمسلمون يوميذ قليل
فلما كثروا واشتد سلطانهم انزل الله في الاسارى فاما منا بعد واما
فدا فجعل الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم والمومنين بالخيار ان
شاوا قتلوهم وان شاوا استعبدوهم وان شاوا فادوهم وان شاوا
اعتقوهم قال الامام فخر الدين ان هذا الكلام يوهم ان قوله فاما منا
بعد واما فدا يزيل حكم الاية التي نحن في تفسيرها وليس الامر كذلك

لان كلتا الايتين متوافقتان وكلاهما يدلان علي انه لا بد من تقديم
الاثخان ثم بعده اخذ الفداء • قال العلما كان الفدا لكل اسير اربعين
اوقية والاوقية اربعون درهما فيكون مجموع ذلك الف وستماية درهم
وقال قتادة كان الفدا يوميذ لكل اسير اربعة الاف

فصل

قد استدل بهذه الاية من يقدح في عصمة الانبيا وبيانه من وجوه الاول
ان قوله ما كان لنبي ان تكون له اسرى صريح في النهي عن اخذ الفدا من الاسارى
فقد وجد ذلك يوم بدر الوجه الثاني ان الله امر النبي صلى الله عليه
وسلم وقومه بقتل المشركين يوم بدر فلما لم يقتلوهم بل اسروهم دل
ذلك على صدور الذنب منهم الوجه الثالث ان النبي صلى الله
عليه وسلم حكم باخذ الفدا وهو محرم وذلك ذنب الوجه الرابع
ان النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر قعدا يبكيان لاجل اخذ الفدا
وخوف العذاب وقرب نزوله والجواب عن الوجه الاول ان
قوله تعالى ما كان لنبي ان تكون له اسرى حتى يثخن في الارض يدل على انه
كان له الاسر مشروعا ولكن بشرط الاثخان في الارض وقد حصل لان الصحابة
قتلوا يوم بدر سبعين رجلا من عظما المشركين وصناديدهم واسروا
سبعين وليس من شرط الاثخان في الارض قتل جميع الناس فدلت هذه
الاية على جواز الاسر بعد الاثخان وقد حصل والجواب عن الوجه
الثاني ان الامر بالقتل انما كان مختصا بالصحابة لاجماع المسلمين ان النبي
صلى الله عليه وسلم لم يومر بمباشرة قتال الكفار بنفسه واذا ثبت ان الامر
بالقتل كان مختصا بالصحابة كان الذنب صادرا منهم لا من النبي صلى الله
عليه وسلم والجواب عن الوجه الثالث وهو ان النبي صلى الله عليه
وسلم حكم باخذ الفدا وهو محرم فنقول لا نسلم ان اخذ الفدا كان محرما
واما قوله تعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة ففيه عتاب
لطيف لعرض اخذ الفدا من الاسارى والمبادرة اليه ولا يدل ايضا
على تحريم الفدا اذ لو كان حراما في علم الله لمنعهم من اخذه مطلقا
والجواب عن الوجه الرابع وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم
وابا بكر قعدا يبكيان يحتمل ان يكون لاجل ان بعض الصحابة لما خالف
الامر بالقتال واشتغل بالاسر استوجب بذلك الفعل العذاب فبكى
النبي صلى الله عليه وسلم خوفا واشفاقا من نزول العذاب عليهم بسبب
ذلك الفعل وهو الاسر واخذ الفدا والله اعلم **قوله عز وجل** لولا كتاب
من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عذاب عظيم قال ابن عباس
كانت الغنايم محرمة على الانبيا والامم فكانوا اذا اصابوا مغنما جعلوه
للقربات فكانت النار تنزل من السما فتاكله فلما كان يوم بدر اسرع

المومنون في اخذ الغنايم والفدا انزل الله لولا كتاب من الله سبق يعني
لولا قضا من الله سبق في اللوح المحفوظ بانه يحل لكم الغنايم لمسكم فيما
اخذتم عذاب عظيم • وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير لولا كتاب
من الله سبق انه لا يعذب احدا ممن شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه
وسلم وقال ابن جريج لولا كتاب من الله سبق انه لا يضل قوما
بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وانه لا يواخذ قوما فعلوا بجهالة
لمسكم يعني لاصابكم بسبب ما اخذتم من الفدا قبل ان تومروا به
عذاب عظيم • قال محمد بن اسحاق لم يكن من المومنين احد ممن حضر
بدرا الا واحب الغنايم الا عمر بن الخطاب فانه اشار على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقتل الاسرا وسعد بن معاذ فانه قال يا رسول
الله كان الاثخان في القتل احب الي من استبقاء الرجال فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السما ما نجى منه
غير عمر وسعد بن معاذ وقوله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا
يعني فقد احلت لكم الغنايم واخذ الفدا فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا
وروي انه لما نزلت هذه الاية الاولى كف اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ايديهم عما اخذوا من الفدا فنزلت فكلوا مما غنمتم
حلالا طيبا فاحل الله الغنايم بهذه الاية لهذه الامة وكانت قبل
ذلك حراما على ساير الامم الماضية صح من حديث جابر بن عبد الله
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي
ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلم تحل الغنايم
لاحد قبلنا ثم احل الله لنا الغنايم ذلك بان الله راي ضعفنا وعجزنا
فاحلها لنا وقوله تعالى واتقوا الله ان الله غفور رحيم يعني وخافوا
الله ان تعودوا وان تفعلوا شيا من قبل انفسكم قبل ان تومروا به واعلموا
ان الله قد غفر لكم ما اقدمتم عليه من هذا الذنب ورحمكم وقيل في قوله
واتقوا الله اشارة الى المستقبل وقوله ان الله غفور رحيم اشارة الى
الحالة الماضية قوله تعالى يا ايها النبي قل لمن في ايديكم نزلت في العباس
ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان احد العشرة
الذين ضمنوا ان يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة الى بدر وكان
قد خرج ومعه عشرون اوقية من ذهب ليطعم بها اذا جات نوبته
فكان يوم الوقعة ببدر نوبته فاراد ان يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا فلم
يطعم شيا وبقيت العشرون اوقية معه فلما اسر اخذت منه فكلم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يحسب العشرين اوقية من فدايه فابى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اما شي خرجت به لتستعين به علينا

فلا تركه لك وكلف فداء ابن اخيه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن
الحرث فقال العباس يا محمد تتركني اتكفف قريشا ما بقيت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين الذهب الذي دفنته ام الفضل
وقت خروجك من مكة وقلت لها انى لا ادري ما يصيبني
في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهذا لك ولعبد الله ولعبيد
الله وللفضل وقثم يعني بنيه فقال العباس وما يدريك يا ابن اخي
قال اخبرني به ربي فقال العباس اشهد انك لصادق واشهد ان لا اله
الا الله وانك عبده ورسوله لم يطلع عليه احد الا الله وامر ابني اخيه
عقيل ونوفل بن الحرث فاسلما ففي ذلك قوله تعالى يا ايها النبي قل لمن في
ايديكم من الاسارى يعني الذين اسرتموهم واخذتم منهم الفدا ان يعلم
الله في قلوبكم خيرا يعني ايمانا وتصديقا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم
يعني من الفداء ويغفر لكم يعني ما سلف منكم قبل الايمان والله
غفور يعني لمن امن وتاب من كفره ومعاصيه رحيم يعني باهل
طاعته قال العباس فابدلني الله خيرا مما اخذ مني عشرين عبدا
كلهم تاجر يضرب بمال كثير ادناهم يضرب بعشرين الف درهم مكان
العشرين اوقية واعطاني زمزم وما احب ان لي بها جميع اموال
اهل مكة وانما انتظر المغفرة من ربي عز وجل وقوله تعالى وان يريدوا
يعني الاسرى خيانتك يعني يكفروا بك فقد خانوا الله يعني فقد
كفروا بالله من قبل وقيل معناه وان نقضوا العهد ورجعوا الى الكفر
فقد خانوا الله بذلك فامكن يعني فامكن المؤمنين منهم ببدر حتى
قتلوا منهم واسروا منهم وهذا نهاية الامكان وفيه بشارة للنبي
صلى الله عليه وسلم بانه يتمكن من كل احد يخونه او ينقض عهده والله
عليم يعني بما في بواطنهم وضمايرهم من ايمان وتصديق او خيانة
ونقض عهد حكيم يعني حكم بانه يجازي كلا بعمله الخير بالثواب والشر
بالعقاب **قوله عز وجل** ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا
باموالهم وانفسهم في سبيل الله يعني ان الذين امنوا بالله ورسوله
محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوا بما جاءهم به وهاجروا يعني وهجروا
ديارهم وقومهم في ذات الله عز وجل وابتغاء رضوانه وهم المهاجرون
الاولون وجاهدوا يعني بذلوا انفسهم في سبيل الله يعني طاعة الله
وابتغاء رضوانه والذين اووا ونصروا يعني اووا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومن معه من اصحابه من المهاجرين واسكنوهم
منازلهم ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الانصار اولئك
يعني المهاجرين والانصار بعضهم اولياء بعض يعني في العون والنصر

دون اقربائهم من الكفار وقال ابن عباس في الميراث وكانوا يتوارثون
بالهجرة فكان المهاجرون والانصار يتوارثون دون اقربائهم وذوي
ارحامهم وكان من امن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان
فتح مكة وانقطعت الهجرة فتوارثوا بالارحام حيث ما كانوا
وصار ذلك منسوخا بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب
الله وقوله تعالى والذين امنوا ولم يهاجروا يعني امنوا واقاموا
بمكة ما لكم من ولايتهم من شيء يعني من الميراث حتى يهاجروا يعني
الى المدينة وان استنصروكم في الدين يعني ان استنصركم الذين
امنوا ثم يهاجروا فعليكم النصر يعني فعليكم نصرهم واعانتهم
الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق اي عهد فلا تنصروهم عليهم والله
بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض يعني في النصر
والمعونة وذلك ان كفار قريش كانوا معادين لليهود فلما بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاونوا عليه جميعا قال ابن
عباس يعني في الميراث وهو ان يرث الكفار بعضهم من بعض الا
تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير قال ابن عباس الا
تاخذوا في الميراث بما امركم به وقال ابن جريج الا تتعاونوا وتنا
صرواه
وقال ابن اسحق جعل الله المهاجرين والانصار اهل ولايته في
الدين دون من سواهم وجعل الكافرين بعضهم اولياء بعض ثم قال
تعالى الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير فالفتنة في الارض
هي قوة الكفار والفساد الكبير هو ضعف المسلمين والذين امنوا
وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك
هم المؤمنون حقا يعني لا شك في ايمانهم ولا ريب لانهم حققوا
ايمانهم بالهجرة والجهاد وبذل النفس والمال في نصر الدين لهم
مغفرة يعني لذنوبهم ورزق كريم يعني في الجنة **فان قلت**
ما معنى هذا التكرار **قلت** ليس فيه تكرار لانه تعالى ذكر
في الاية الاولى حكم ولاية المهاجرين والانصار بعضهم بعضا ثم ذكر
في هذه الاية ما من به عليهم من المغفرة والرزق الكريم وقيل ان
اعادة الشيء مرة اخرى يدل على مزيد الاهتمام به فلما ذكرهم اولا
ثم اعاد ذكرهم ثانيا دل على تعظيم شانهم وعلو مرتبتهم ودرجاتهم
وهذا هو الشرف العظيم لانه تعالى ذكر في هذه الاية من وجوه المدح
ثلاثة انواع احدها قوله اولئك هم المؤمنون حقا وهذا يفيد الحصر
وقوله تعالى حقا يفيد المبالغة في وصفهم بكونهم محققين في طريق الدين
وتحقيق هذا القول ان من فارق اهله وداره التي نشا فيها وبذل

النفس والمال كان مؤمنا حقا • النوع الثاني قوله تعالى لهم مغفرة
وتنكير لفظا لمغفرة يدل على ان لهم مغفرة واى مغفرة لا ينالها
غيرهم والمعنى لهم مغفرة تامة كاملة ساترة لجميع ذنوبهم
النوع الثالث قوله تعالى ورزق كريم لا يلحقهم فيه غضاضة ولا تعب
وقيل ان المهاجرين كانوا على طبقات • فمنهم من هاجروا الى المدينة
وهم المهاجرون والاولون • ومنهم من هاجر الى الحبشة ثم هاجر الى
المدينة فهم اصحاب الهجرتين • ومنهم من هاجر بعد صلح الحديبية
وقبل فتح مكة فذكر الله في الاولى اصحاب الهجرة الاولى وذكر في
الثانية اصحاب الهجرة الثانية والله اعلم بمراده وقوله تعالى
والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم اختلفوا في قوله
من بعد فقيل من بعد صلح الحديبية وهي الهجرة الثانية لانها بعد
الهجرة الاولى لان الهجرة انقطعت بعد فتح مكة لانها صارت دار
الاسلام بعد الفتح ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة
بعد الفتح ولكن جهاد ونية اخرجاه في الصحيحين • وقال الحسن
الهجرة غير منقطعة ويجاب عن هذا بان المراد منه الهجرة المخصوصة
من مكة الى المدينة فاما من كان من المومنين في بلد يخاف على
اظهار دينه من الكفار وجب ان يهاجر الى بلد لا يخاف فيه على اظهار
دينه وقوله تعالى **فاوليك منكم** يعني انهم منكم وانتم منهم لكن فيه دليل
على ان مرتبة المهاجرين الاولين اشرف واعظم من مرتبة المهاجرين
المتاخرين بالمهاجرين السابقين وجعلهم منهم وذلك معرض المدح
والشرف ولولا ان المهاجرين الاولين افضل واشرف لما صح هذا الالحا
وقوله تعالى **واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله** قال
ابن عباس كانوا يتوارثون الهجرة والاخا حتى نزلت هذه الاية واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض في الميرات فبين بهذه الاية ان سبب القرابة
اقوى واولى من سبب الهجرة والاخا ونسخ بهذه الاية ذلك التوارث
وقوله في كتاب الله يعني في حكم الله • وقيل اراد به في اللوح المحفوظ
وقيل اراد به القران وهو ان قسمة الوارث مذكورة في سورة النسا
من قسمة المواريث واعطا اهل الفروض فروضهم وما بقي فللعصبات
وقوله تعالى **ان الله بكل شي عليم** يعني انه تعالى عالم بكل شي لا يخفى عليه
خافية والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه •

• سورة التوبة وهي مدنية باجماعهم •

قال ابن الجوزي سوى ايتين في اخرها لقد جاكم رسول من انفسكم فانها
نزلت بمكة وهي ماية وتسع وعشرون اية وقيل ماية وثلاثون اية وهي

ق • ث •

اربعة

اربعة الاف كلمة وعشرة الاف واربعماية وثمانون حرفا ولهذه السورة
اسما عشرة سورة التوبة • وسورة براة وهذان الاسمان مشهوران •
وهي المقشقشة • قال ابن عمر سميت بذلك لانها تقشقش من النفاق
اي تبري منه • وهي المبعثرة لانها تبعثر عن اخبار المنافقين وتبحث
عنها وتثيرها • والفاضحة قاله ابن عباس لانها فضحت المنافقين •
وسورة العذاب قال حذيفة • وهي المخزية لان فيها خزي المنافقين •
وهي المدمدمة سميت بذلك لان فيها هلاك المنافقين • وهي المشردة
سميت بذلك لانها شردت جميع المنافقين وفرقتهم • وهي المثيرة سميت
بذلك لانها اثارت مخازي المنافقين وكشفت عن احوالهم وهتكت
استارهم **عن سعيد** بن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة
فقال بل هي الفاضحة ما زالت تنزل ومنهم ومنهم حتى ظنوا ان لا يبقى
احد الا ذكر فيها قال قلت سورة الانفال قال نزلت في بدر قال
قلت سورة الحشر قال بل هي سورة النضير اخرجاه في الصحيحين

فصل في سبب ترك كتابة التسمية في اول هذه

السورة عن ابن عباس قال قلت لعثمان ما حملكم على ان عمدتم الى الانفال
وهي من المثاني والى براة وهي من المبين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر
بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال ما حملكم على
ذلك قال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ياتي عليه
الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد وكان اذا نزل عليه شي
دعى من كان يكتب فيقول ضعوا هولا الايات في السورة التي يذكر فيها
كذا وكذا وكانت الانفال من اوايل ما نزل بالمدينة وكانت براة من
اخر القران نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت انها منها
وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها من
اجل ذلك قرنت بينهما ولم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في
السبع الطوال • اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن قال
الزجاج والشبه الذي بينهما ان في الانفال ذكر العهود وفي براة
نقضها • وكان قتادة يقول هما سورة واحدة • وقال محمد بن الحنفية
قلت لابي يعني علي بن ابي طالب لم لا تكتبوا في براة بسم الله الرحمن الرحيم
قال يا بني ان براة نزلت بالسيف وان بسم الله الرحمن الرحيم امان
وسيل سفيان بن عيينة عن هذا فقال لان التسمية رحمة والرحمة
امان وهذه السورة نزلت في المنافقين • وقال المبرد لم تفتتح هذه
السورة ببسم الله الرحمن الرحيم لان التسمية افتتاح الخير واول هذه
السورة وعيد ونقض عهود فلذلك لم تفتتح بالتسمية • وسيل

ابى بن كعب عن هذا فقال انها نزلت فى اخر القران وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يامرنى كل سورة بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم ولم
يامرنى براءة بذلك فضممت الى الانفال لشبهها بها وقيل ان الصحابة
اختلفوا فى ان سورة الانفال وسورة براة هل هما سورة واحدة ام سورتان
فقال بعضهم سورة واحدة لانها نزلت فى القتال ومجموعهما مائتان
وخمس ايات فكانت هى السورة السابعة من السبع الطوال وقال
بعضهم هما سورتان فلما حصل هذا الاختلاف بين الصحابة تركوا
فرجة بينهما على قول من يقول انهما سورتان ولم يكتبون بسم الله
الرحمن الرحيم على قول من يقول هما سورة واحدة اما التفسير فقوله
تعالى **براة من الله ورسوله** يعنى هذه براة من الله ورسوله واصل
البراة فى اللغة انقطاع العصمة يقال بريت من فلان ابراء براة
اى انقطعت بيننا العصمة ولم يبق بيننا علقة • وقيل معناه هذا
التباعد مما يكره مجاورته • قال المفسرون لما خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى تبوك فكان المنافقون يرجفون الاراجيف وجعل المشركون
ينقضون عهودا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه
وسلم فامر الله عز وجل بنقض عهودهم وذلك قوله تعالى واما تخافن
من قوم خيانة الاية ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امره به
ونبذ اليهم عهودهم • قال الزجاج اى قد برى الله ورسوله من
اعطائهم العهود والوفا بها اذا نكثوا **الى الذين عاهدتم من المشركين**
الخطاب مع اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وان كان النبى صلى الله عليه
وسلم هو الذى عاهدهم وعاقدهم الا انه هو الذى عاقدهم واصحابه
بذلك راضون فكانهم هم عقدوا وعاهدوا وقوله تعالى **فسيحوا فى
الارض** اى فسيروا فى الارض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين
احدا من المسلمين واصل السياحة الضرب فى الارض والاتساع فيها
والبعد عن مواضع العمارة • قال ابن الانبارى قوله فسيحوا فيه مضمر
اى قل لهم سيحوا وليس هذا من باب الامر بل المقصود منه الاباحة
والاطلاق والاعلام بحصول الامان وزوال الخوف يعنى سيحوا فى الارض
وانتم آمنون من القتل والقتال **اربعة اشهر** يعنى مدة اربعة اشهر
واختلف العلماء فى هذا التاجيل وفى هولاء الذين برى الله ورسوله اليهم
من العهود التى كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
مجاهد هذا التاجيل من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده اقل من
اربعة اشهر رفعه الى اربعة اشهر ومن كانت مدته اكثر حطه الى الاربعة
اشهر ومن كان عهده بغير اجل معلوم محدود حده باربعة اشهر ثم هو بعد

ذلك

ذلك حرب لله ولرسوله يقتله حيث ادرك ويوسر الى ان يتوب
ويرجع الى الايمان • وقيل ان المقصود من هذا التاجيل ان يتفكروا
ويحتاطوا لانفسهم ويعلموا انه ليس لهم بعد هذه المدة الا الاسلام
او القتل فيصير هذا داعيا لهم الى الدخول فى الاسلام ولئلا ينسب
المسلمون الى الغدر ونكث العهد وكان ابتدا هذا الاجل يوم الحج
الاكبر وانقضاوه الى عشر من ربيع الاخر فاما من لم يكن له عهد فانما
اجله انسلاخ الاشهر الحرم وذلك خمسون يوما • وقال الازهرى
والاشهر الاربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لان هذه
الاية نزلت فى شوال والقول الاول اصوب وعليه الاكثرون • قال
الكلبى انما كانت الاربعة اشهر لمن كان له عهد دون الاربعة اشهر
فاتم له الاربعة اشهر فاما من كان عهده اكثر من اربعة اشهر فهذا
امر باتمام عهده بقوله فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم • وقيل كان
ابتداوها فى العاشر من ذى القعدة واخرها العاشر من ربيع
الاول لان الحج فى تلك السنة فى العاشر من ذى القعدة بسبب النسى
ثم صار فى السنة المقبلة فى العاشر من ذى الحجة وفيها حج رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الزمان قد استدار الحديث •
وقال الحسن امر الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم بقتال
من قاتله ثم امره بقتال المشركين فقال تعالى وقاتلوا فى سبيل الله
الذين يقاتلونكم فكان لا يقاتل الا من قاتله ثم امره بقتال المشركين
والبراة منهم واجلهم اربعة اشهر فلم يكن لاحد منهم اجل اكثر من اربعة
اشهر لا من كان له عهد قبل البراة ولا من لم يكن له عهد وكان الاجل
لجميعهم اربعة اشهر واحل دما جميعهم من اهل العهود وغيرهم ثم انقضى
الاجل وقال محمد بن اسحق ومجاهد وغيرهما نزلت فى اهل مكة وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشا عام الحديبية على
ان يضعوا الحرب عشر سنين يامن فيه الناس ودخلت خزاعة فى عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلت بنو بكر فى عهد قريش ثم
عدت بنو بكر على خزاعة فنالوا منهم واعانتهم قريش بالسلاح فلما
تظاهروا بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن
سالم الخزاعى حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

لاهم انى ناشد محمدا • حلف ابينا وابيه الاتلدا
كنت لنا ابا وكنا ولدا • ثمت اسلمنا ولم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا اعتدا • وادعوا عباد الله ياتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا • فى فلق كالبحر يجرى مزبدا

ابيض مثل الشمس يسمو اصعدا • ان يسم خطا وجهه تربدا •
ان قريشا اخلفوك الموعدا • ونقضوا ميثاقك الموكدا •
وزعموا ان لست تدعو احدا • وهم اذل واقل عددا •
هم بيتونا بالحطيم هجدا • وقتلونا ركعا وسجدا •

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم انصركم وتجهز الى فتحها سنة ثمان من الهجرة فلما كانت سنة تسع اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحج فقيل له المشركون يحضرون ويطوفون بالبيت عراة فبعث ابو بكر تلك السنة اميرا على الموسم ليقيم للناس الحج وبعث معه اربعين اية من صدر براءة ليقراها على اهل الموسم ثم بعث بعده عليا على ناقته العضباء ليقرا على الناس صدر براءة وامره ان يوذن بمكة ومنى وعرفة ان قد بريت ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم من كل مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فرجع ابو بكر فقال يا رسول الله بابي انت وامي انزل في شاني شيء فقال لا ولكن لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي اما ترضى يا ابا بكر انك كنت معي في الغار وانك معي على الحوض فقال بلى يا رسول الله فسار ابو بكر اميرا على الحاج وعلي بن ابي طالب يوذن ببراءة فلما كان قبل يوم التروية بيوم قام ابو بكر فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم واقام للناس الحج والعرب في تلك السنة على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية من امر الحج حتى اذا كان يوم النحر قام علي بن ابي طالب رضي الله عنه فاذن في الناس بالذي امره به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا عليهم اول سورة براءة قال يزيد بن تبيع سالنا عليا بن ابي طالب رضي الله عنه باي شيء بعثت في الحجة قال بعثت باربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ومن لم يكن له عهد فاجله اربعة اشهر ولا يدخل الجنة الا نفس مومنة ولا يجتمع المشركون والمومنون والمسلمون بعد عامهم هذا في حج ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع ق عن ابي هريرة ان ابا بكر بعثه في الحجة التي امره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع في رهط يوذنون في الناس يوم النحر لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان • وفي رواية ويوم الحج الاكبر يوم النحر والحج الاكبر الحج وانما قيل الحج الاكبر من اجل قول الناس للعمرة الحج الاصغر قال فنبذ ابو بكر الى الناس في ذلك فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك وانزل الله في العام الذي نبذ فيه ابو بكر الى المشركين يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد

الحرام

الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله الاية

فصل قد يتوهم متوهم ان في بعث علي بن ابي طالب ببراءة اول براءة عزل ابي بكر عن الامارة وتفضيله على ابي بكر وذلك جهل من هذا المتوهم ويدل على ان ابا بكر لم يزل اميرا على الموسم في تلك السنة اول حديث ابي هريرة المتقدم ان ابا بكر بعثه في رهط يوذنون في الناس الحديث وفي لفظ ابي داود والنسائي قال بعثني ابو بكر فيمن يوذن يوم النحر بمنى ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فقوله بعثني ابو بكر فيه دليل على ان ابا بكر كان هو الامير على الناس وهو الذي اقام للناس حجهم وعلمهم مناسكهم واجاب العلماء عن بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ليوذن في الناس ببراءة لان عادة العرب جرت ان لا يتولى تقرير العهد ونقضه الا سيد القبيلة وكبيرها او رجل من اقاربه وكان علي بن ابي طالب اقرب الى النبي صلى الله عليه وسلم من ابي بكر لانه ابن عمه ومن رهطه فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم ليوذن عنه ببراءة ازاحة لهذه العلة لئلا يقولوا هذا على خلاف ما نعرفه من عادتنا في عقد العهود ونقضها وقيل لما خص ابو بكر بتوليته على الموسم خص عليا بتبليغ هذه الرسالة تطييبا للقلب ورعاية لجانبه وقيل انما بعث عليا في هذه الرسالة حتى يصلي خلف ابا بكر ويكون جاريا مجرى التنبيه على امامة ابي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا بكر اميرا على الحاج وولاه الموسم وبعث عليا خلفه ليقرا على الناس براءة فكان ابو بكر الامام وعلي الموتم وكان ابو بكر الخطيب وعلي المستمع وكان ابو بكر المتولي امر الموسم والامير على الناس ولم يكن ذلك لعلي فدل ذلك على تقديم ابي بكر على علي وفضله عليه والله اعلم وقوله تعالى **واعلموا انكم غير معجزي الله** يعني ان هذا الامهال ليس لعجز عنكم ولكن لمصلحة ولطف ليتوب تائب وقيل معناه فسيحوا في الارض اربعة اشهر عالمين انكم لا تعجزون الله بل هو يعجزكم ويأخذكم لانكم في ملكه وقبضته وتحت قهره وسلطانه وقيل معناه انما امهلكم هذه المدة لانه لا يخاف الفوت ولا يعجزه شيء **وان الله مخزي الكافرين** يعني بالقتل والعذاب في الاخرة **قوله عز وجل واذان من الله ورسوله** الاذان في اللغة الاعلام ومنه الاذان للصلاة لانه اعلام بدخول وقتها والمعنى اعلام صادر من الله ورسوله واصل **الى الناس يوم الحج الاكبر** اختلفوا في يوم الحج الاكبر فروي عكرمة عن ابن عباس انه يوم عرفة ويروى ذلك عن ابن عمر وابن الزبير وهو قول عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن المسيب وعلي بن ابي طالب قال

سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الاكبر فقال يوم
النحر اخرجه الترمذي وقال ويروى موقوفا عليه وهو اصح ٭ وعن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر بين الجمرات في الحجة
التي حج فيها فقال اي يوم هذا فقالوا يوم النحر فقال هذا يوم الحج الاكبر
اخرجه ابو داود ويروى ذلك عن عبد الله بن ابي اوفى والمغيرة بن
شعبة وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير والسدي ويروي
ابن جريج عن مجاهد ان يوم الحج الاكبر ايام منى كلها ٭ وكان سفيان
الثوري يقول يوم الحج الاكبر ايام منى كلها لان اليوم قد يطلق ويراد
به الحين والزمان كقولك يوم صفين ويوم الجمل لان الحروب دامت
في هذه الايام ويطلق عليها يوم واحد ٭ وقال عبد الله بن الحرث بن
نوفل يوم الحج الاكبر الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
قول ابن سيرين لانه اجتمع حج المسلمين وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد
للمشركين ولم يجتمع مثل ذلك قبله ولا بعده فعظم ذلك اليوم عند المومنين
والكافرين واختلفوا لم سمي الحج الاكبر فقال مجاهد الحج الاكبر القران
لانه قرن بين الحج والعمرة ٭ وقيل الحج الاكبر لاجتماع الملل في ذلك اليوم
وقال الزهري والشعبي وعطا الحج الاكبر الحج والحج الاصغر العمرة وانما
قيل لها الاصغر لنقصان اعمالها عن الحج ٭ وقيل سمي الحج الاكبر لموافقة
حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان ذلك اليوم يوم
الجمعة وودع الناس فيه وخطبهم وعلمهم مناسكهم وذكر في الخطبة ان
الزمان قد استدار وابطل النسي وجميع احكام الجاهلية وقوله تعالى
ان الله بري من المشركين فيه حذف والتقدير واذان من الله ورسوله
بان الله بري من المشركين وانما حذف الباء لدلالة الكلام عليه وفي
رفع رسوله وجوه الاول انه رفع بالابتدا وخبره مضمر والتقدير
ان الله بري من المشركين ورسوله ايضا بري الثاني تقديره بري الله
ورسوله من المشركين ٭ الثالث ان الله في محل الرفع بالابتدا وبري
خبره ورسوله عطف على المبتدا الاول **فان قلت** المقصود من
الاية بين قوله براة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين
وبين قوله ان الله بري من المشركين ورسوله فما فايدة هذا التكرار
قلت المقصود من الاية الاولى البراة من العهد ومن الاية الثانية
البراة التي هي نقيض الموالاة الجارية مجرى الزجر والوعيد والذي
يدل على صحة هذا القول انه قال في الاول براة من الله ورسوله
الى يعني بري اليهم وفي الثانية بري منهم وقوله تعالى فان تبتم يعني
فان رجعتم عن شرككم وكفركم فهو خير لكم يعني من الاقامة على الشرك

وهذا

وهذا ترغيب من الله تعالى في التوبة والاقلاع عن الشرك الموجب
لدخول النار وان توليتم يعني اعرضتم عن الايمان والتوبة من الشرك
فاعلموا انكم غير معجزي الله فيه وعيد عظيم واعلام لهم بان الله تعالى
قادر على انزال العذاب بهم وهو قوله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم
يعني في الاخرة ولفظ البشارة هنا انما ورد على سبيل الاستهزا كما
يقال تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم وقوله تعالى الا الذين عاهدتم
من المشركين هذا استثنا راجع الى قوله تعالى براة من الله ورسوله
الى الذين عاهدتم من المشركين الا من عهد الذين عاهدتم من
المشركين وهم بني ضمرة حي من كنانة امر الله رسوله صلى الله عليه
وسلم باتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة اشهر وكان
السبب فيه انهم لم ينقضوا العهد وهو قوله ثم لم ينقصوكم شيئا
يعني من عهودهم التي عاهدتموهم عليها ولم يظاهروا يعني ولم
يعاونوا عليكم احدا من عدوكم قال صاحب الكشاف وجهه ان يكون
مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه
براة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم فاتموا اليهم
عهدهم الى مدتهم والاستثنا بمعنى الاستدراك كانه قيل امروا في
الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم
ولا تجعلوا الوافي كالغادر ان الله يحب المتقين يعني ان قضية التقوى
تقتضي ان لا يسوي بين القبيلتين يعني الوفي بالعهد والناكث له
والغادر فيه **قوله عز وجل** فاذا انسلخ الاشهر الحرم يعني فاذا
انقضت الاشهر الحرم ومضت وهي رجب وذوا القعدة وذوا الحجة والمحرم
وقال مجاهد ومحمد بن اسحق هي شهور العهد سميت حرما لحرمة نقض العهد
فيها فمن كان له عهد فعهده اربعة اشهر ومن لا عهد له فاجله الى انقضا
المحرم وذلك خمسون يوما ٭ وقيل انما قيل لها حرم لان الله حرم على
المومنين دما المشركين والتعرض لهم **فان قلت** على هذا القول
هي المدة وهي الخمسون يوما بعض الاشهر الحرم والله تعالى يقول فاذا
انسلخ الاشهر الحرم **قلت** لما كان هذا القدر من الاشهر الحرم متصلا
بما مضى اطلق اليه اسم الجمع والمعنى فاذا مضت المدة المضروبة التي يكون
معها انسلاخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم يعني
في الحل والحرم وهذا امر اطلاق يعني اقتلوهم في اي وقت واي مكان
وجدتموهم وخذوهم يعني واسروهم واحصروهم اي يعني واحبسوهم
وقال ابن عباس يريد ان تحصنوا فاحصروهم وامنعوهم من الخروج
وقيل امنعوهم من دخول الحرم مكة والتصرف في بلاد الاسلام واقعدوا

لهم كل مرصد يعني على كل طريق والمرصد الذي يقعد فيه للعدو من
رصدت الشيء ارصده اذا ترقبته والمعنى كونوا لهم رصدا حتى تاخذوهم
من اي وجه توجهوا ٭ وقيل معناه اقعدوا لهم بطريق مكة حتى لا
يدخلوها فان تابوا يعني من الشرك ورجعوا الى الايمان واقاموا
الصلاة يعني واتموا اركان الصلاة المفروضة واتوا الزكاة الواجبة
عليهم طيبة بها انفسهم فخلوا سبيلهم يعني الى الدخول الى مكة والتصرف
في بلادهم ان الله غفور يعني لمن تاب ورجع الى الشرك الى الايمان
ومن المعصية الى الطاعة رحيم يعني باوليايه واهل طاعته قال
الحسين بن الفضل نسخت هذه الاية كل اية فيها ذكر الاعراض للمشركين
والصبر على اذى الاعداء قوله تعالى وان احد من المشركين استجارك
فاجره حتى يسمع كلام الله يعني وان استامنك يا محمد احد من المشركين
الذين امرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الاشهر ليسمع كلام الله
الذي انزله عليك وهو القران فاجره حتى يسمعه ويعرف ما له
من الثواب ان امن وما عليه من العقاب ان اصر على الشرك
ثم ابلغه مامنه يعني ان لم يسلم ابلغه الى الموضع الذي يامن فيه
وهو دار قومه وان قاتلك بعد ذلك وقدرت عليه فاقتله ذلك
بانهم قوم لا يعلمون اي لا يعلمون دين الله وتوحيده فهم يحتاجون الى
سماع كلام الله عز وجل قال الحسن هذه الاية محكمة الى يوم القيمة كيف
يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله هذا على وجه التعجب
ومعناه الجحد اي لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يغدرون
وينقضون العهد ثم استثنى فقال تعالى الا الذين عاهدتم عند
المسجد الحرام قال ابن عباس هم قريش وقال قتادة هم اهل مكة الذين
عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وقال السدي
ومحمد بن عباد ومحمد بن اسحاق هم بنو خزيمة وبنو الديل قبايل من بني
بكر الذين كانوا دخلوا في عهد قريش وعقدهم يوم الحديبية وقال
مجاهد هم اهل العهد من خزاعة فما استقاموا لكم يعني على العهد
فاستقيموا لهم يعني ما اقاموا على العهد ثم انهم لم يستقيموا ونقضوا
العهد واعانوا بني بكر على خزاعة فضرب لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد الفتح اربعة اشهر يختارون من امرهم اما ان يسلموا واما
يلحقوا باي بلاد شاؤوا فاسلموا بعد الاربعة اشهر والصواب من
ذلك قول من قال انهم من قبايل بني بكر وهم خزيمة وبنو مدلج من
ضمرة وبنو الديل وهم الذين كانوا قد دخلوا في عهد قريش يوم
الحديبية ولم يكن نقض العهد الا قريش وبنو الديل من بني بكر فامر

باتمام

باتمام العهد لمن لم ينقض وهم بنو ضمرة وانما كان الصواب هذا القول
لان هذه الايات نزلت بعد نقض قريش العهد وذلك قبل فتح مكة لانه
بعد الفتح كيف يقول لشيء قد مضى فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم
وانما هم الذين قال الله عز وجل فيهم الا الذين عاهدتم من المشركين
ثم لم ينقصوكم شيا كما نقضكم قريش ولم يظاهروا عليكم احدا كما ظاهرت
قريش بني بكر على خزاعة وهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقوله تعالى ان الله يحب المتقين يعني انه تعالى يحب الذين يوفون
بالعهد اذا عاهدوا ويتقون نقضه كيف وان يظهروا عليكم قيل هذا
مردود على الاية الاولى تقديره كيف يكون لهم عهد وان يظهروا عليكم
لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة وقال الاخفش معناه كيف لا يقتلونهم وهم
ان يظهروا عليكم اي يظفروا بكم ويغلبوكم ويعلوا عليكم لا يرقبوا
اي لا يحفظوا ٭ وقيل معناه لا ينتظروا وقيل معناه لا يراعوا فيكم
الا قال ابن عباس يعني قرابة وقيل رحما وهذا بمعنى قول ابن عباس
ايضا وقال قتادة الال الحلف ٭ وقال السدي هو العهد وكذلك
الذمة وانما كرر للتاكيد او لاختلاف اللفظين ٭ وقال ابو مجلز ومجاهد
الال هو الله عز وجل ٭ ومنه قول ابي بكر الصديق لما سمع كلام مسيلمة
الكذاب ان هذا الكلام لم يخرج من ال يعني من الله وعلى هذا القول
يكون معنى الاية لا يرقبون الله فيكم الا يحفظونه ولا يراعونه ولا ذمة
يعني ولا يحفظون عهدا يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم يعني
يعطونكم بالسنتهم بخلاف ما في قلوبكم واكثرهم فاسقون فان قلت
ان الموصوفين بهذه الصفة كفار والكفر اخبث واقبح من الفسق
فكيف وصفهم بالفسق في معرض الذم وما الفايدة في قوله واكثرهم
فاسقون مع ان الكفار كلهم فاسقون قلت قد يكون الكافر عدلا
في دينه وقد يكون فاسقا خبيث الفسق في دينه فالمراد بوصفهم فاسقين
لانهم نقضوا العهد وبالغوا في العداوة فوصفهم بكونهم فاسقين مع
كفرهم فيكون ابلغ في الذم وانما قال اكثرهم ولم يقل كلهم فاسقين لان
منهم من وفى بالعهد ولم ينقضه واكثرهم نقضوا العهد فلهذا قال
تعالى واكثرهم فاسقون وقوله تعالى اشتروا بايات الله ثمنا قليلا
يعني استبدلوا بايات القران والايمان بها عرضا قليلا من متاع الدنيا
وذلك انهم لما نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم بسبب اكلة اطعمهم ابو سفيان بن حرب ذمهم الله بذلك
قال مجاهد اطعم ابو سفيان حلفاه وترك حلفاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم فصدوا عن سبيله يعني ومنعوا الناس عن الدخول في دين

الله قال ابن عباس وذلك ان اهل الطايف امدوهم بالاموال ٥ ليتقووا بها على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم **انهم ساء ما كانوا يعملون** يعني من الشرك ونقضهم العهد ومنعهم الناس عن الدخول في دين الاسلام **لا يرقبون في مومن الا ولا ذمة** يعني ان هولا المشركون لا يراعون في مومن عهدا ولا ذمة اذا قدروا عليه قتلوه فلا تبقوا انتم عليه كما لم يبقوا عليكم اذا ظهروا عليكم **واوليك هم المعتدون** يعني في نقض العهد **قوله عز وجل فان تابوا** يعني فان رجعوا عن الشرك الى الايمان وعن نقض العهد الى الوفا به **واقاموا الصلاة** يعني المفروضة عليهم بجميع حدودها واركانها **واتوا الزكاة** يعني وبذلوا الزكاة المفروضة عليهم طيبة بها انفسهم **فاخوانكم في الدين** يعني اذا فعلوا ذلك فهم اخوانكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم **ونفصل الايات لقوم يعلمون** يعني ونبين حجج ادلتنا ونوضح بيان اياتنا لمن يعلم ذلك ويفهمه قال ابن عباس حرمت هذه الاية دماء اهل القبلة وقال ابن مسعود امرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يزك فلا صلاة له ٥ وقال ابن زيد افترضت الصلاة والزكاة جميعا فلم يفرق بينهما وابى ان يقبل الصلاة الا بالزكاة وقال يرحم الله ابا بكر ما كان افقهه بذلك يعني ما ذكره ابو بكر في حق من منع الزكاة وهو قوله والله لا افرق بين شيئين جمع الله بينهما يعني الصلاة والزكاة **ق** عن ابي هريرة قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف ابو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لابي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله عز وجل فقال ابو بكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يودونها وفي رواية عقالا كانوا يودونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها فقال عمر فوالله ما هو الا ان رايت ان الله شرح صدر ابي بكر للقتال فعرفت انه الحق ٥ عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله وقوله عز وجل **وان نكثوا ايمانهم** يعني وان نقضوا عهودهم **من بعد عهدهم** يعني من بعد ما عاهدوكم عليه ان لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم احدا من اعدايكم **وطعنوا في دينكم** يعني وعابوا دينكم الذي انتم عليه وقدحوا فيه وعيبوه وفي هذا دليل على ان الذمي اذا طعن

في دين الاسلام وعابه ظاهرا لا يبقى له عهد والمراد بهولاء الذين نقضوا العهد كفار قريش وهو قوله **فقاتلوا ايمة الكفر** يعني روس المشركين وقادتهم قال ابن عباس نزلت في ابي سفيان بن الحرث والحرث ابن هشام وسهيل بن عمرو وابي جهل وابنه عكرمة وساير روسا قريش وهم الذين نقضوا عهدهم وهموا باخراج الرسول ٥ وقيل اراد جميع الكفار وانما ذكر الايمة لانهم الروسا والقادة ففي قتالهم قتال الاتباع ٥ وقال مجاهد هم فارس والروم ٥ وقال حذيفة بن اليمان ما قوتل اهل هذه الاية بعد ولم يات اهلها ولعل حذيفة اراد بذلك الذين يظهرون مع الدجال من اليهود فانهم ايمة الكفر في ذلك الزمان والله اعلم بمراد حذيفة وقوله تعالى **انهم لا ايمان لهم** جمع يمين اي لا عهد لهم ٥ وقيل معناه انهم لا وفا لهم بالعهد وقرئ لا ايمان لهم بكسر الهمزة ومعناه لا دين لهم ولا تصديق ٥ وقيل هو من الامان اي اقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تومنوهم **لعلهم ينتهون** اي لكي ينتهوا عن الطعن في دينكم ويرجعون عن الكفر الى الايمان ثم حض المومنين على جهاد الكفار وبين السبب في ذلك فقال تعالى **الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم** يعني نقضوا عهدهم وهم الذين نقضوا عقد الصلح ٥ بالحديبية واعانوا بني بكر على خزاعة **وهموا باخراج الرسول** يعني من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة **وهم بدءوكم** يعني بالقتال **اول مرة** يعني يوم بدر وذلك انهم قالوا لا ننصرف حتى نستاصل محمدا واصحابه وقيل اراد بدءوا انهم بدءوا بقتال خزاعة حلفا رسول الله صلى الله عليه وسلم **اتخشونهم** يعني اتخافونهم ايها المومنون فتتركون قتالهم **فالله احق ان تخشوه** يعني في ترك القتال **ان كنتم مومنين** يعني لان كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده قوله تعالى **قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم** يريد بالتعذيب القتل يعني يقتلهم الله بايديكم فان **قلت** كيف الجمع بين قوله يعذبهم الله بايديكم وبين قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم **قلت** المراد بقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم عذاب الاستيصال يعني وما كان الله ليستاصلهم بالعذاب جميعا وانت فيهم والمراد بقوله قاتلوهم يعني الذين نقضوا وبدءوا بالقتال فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين بقتال من قاتلهم او نقض عهدهم والفرق بين العذابين ان عذاب الاستيصال يتعدى الى المذنب وغير المذنب والى المخالف والموافق وعذاب القتل لا يتعدى الا الى المذنب المخالف وقوله تعالى **ويخزهم** يعني ويذلهم بالقهر والاسر وينزل بهم الذل والهوان ٥

ويَنصركم عليهم يعني بان يظفركم بهم ويَشف صدور قوم مؤمنين
يعني ويبرى دا قلوبهم مما كانوا ينالونه من الاذي منهم ومن
المعلوم ان من طال تاذيه من خصمه ثم مكنه الله منه فانه
يفرح بذلك ويعظم سروره ويصير ذلك سببا لقوة اليقين وثبات
العزيمة قال مجاهد والسدي اراد صدور خزاعة حلفا
رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث اعانت قريش بني بكر على
خزاعة يعني فتكوا فيهم ثم شفى الله صدور خزاعة من بني بكر
حتى احذوا ثارهم منهم بالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ويذهب
غيظ قلوبهم يعني ويذهب وجد قلوبهم بما نالوه من بني بكر
روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ارفعوا ٥
السيف الا خزاعة من بني بكر الى العصر ذكره البغوي بغير سند
ثم قال تعالى ويتوب الله على من يشا وهذا الكلام مستانف
ليس له تعلق بالاول والمعنى ويهدى الله من يشا الى الاسلام
فيمن عليه بالتوبة عن الشرك والكفر ويهديهم الى الاسلام كما
فعل بابي سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو
فانهم كانوا من ايمة الكفر ورؤسا المشركين ثم من الله عليهم
بالاسلام يوم فتح مكة فاسلموا والله عليم يعني بسراير عباده
ومن سبقت له العناية الازلية بالسعادة فيتوب عليه ويهديه
الى الاسلام حكيم يعني في جميع افعاله **قوله عز وجل** ام حسبتم
أن تتركوا هذا من الاستفهام المعترض في وسط الكلام ولذلك
ادخلت فيه ام لتفرق بينه وبين الاستفهام المبتدا والمعنى
اظننتم ايها المؤمنون ان تتركوا فلم تؤمروا بالجهاد ولا تمتحنوا ٥
ليظهر الصادق من الكاذب ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
يعني بالعلم المعلوم لان وجود الشي يلزمه معلوم الوجود عند الله
لا جرم جعل علم الله بوجوده كناية عن وجوده قال الامام فخر الدين
الرازي ونقل الواحدي عن الزجاج اي العلم الذي يجازى عليه
لانه انما يجازى على ما عملوا ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله
ولا المؤمنين وليجة قال الفرا الوليجة البطانة من المشركين يتخذونهم
يفشون اليهم اسرارهم • وقال قتادة وليجة يعني خيانة وقال الضحاك
خديعة وقال عطا اوليا يعني لا تتخذوا المشركين اوليا من دون الله
ورسوله والمؤمنين • وقال ابو عبيدة كل شي ادخلته في شي ليس منه
فهو وليجة والرجل يكون في القوم وليس منهم وليجة من الولوج ٥
فوليجة الرجل من يختصه بدخيلة امره دون الناس وقال الراغب

الوليجة كل ما يتخذه الانسان معتمدا عليه وليس من قولهم فلان
وليجة في القوم اذا دخل فيهم وليس منهم والمقصود من هذا نهي ٥
المؤمنين من موالاة المشركين وان يفشوا اليهم اسرارهم والله خبير
بما تعملون يعني موالاة المشركين او اخلاص العمل لله وحده قوله
تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مسجد الله يعني به المسجد الحرام
وقرى مساجد الله على الجمع والمراد به المسجد الحرام لانه قبلة المساجد كلها
وسبب نزول هذه الاية ان جماعة من رؤسا كفار قريش اسروا يوم بدر
ومنهم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل
عليهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيرونهم بالشرك
وجعل علي بن ابي طالب يوبخ العباس بسبب قتال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقطيعة الرحم فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا ٥
وتكتمون محاسننا فقيل له وهل لكم من محاسن قال نعم نحن افضل منكم
نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني يعني
الاسير فنزلت هذه الاية ما كان للمشركين اي ما ينبغي للمشركين ان
يعمروا مساجد الله اوجب الله على المسلمين منعهم من ذلك لان المساجد
انما تعمر لعبادة الله تعالى وحده فمن كان كافرا بالله فليس له ان يعمر
مساجد الله • واختلفوا في المراد بالعمارة العمارة المعروفة من بناء
المساجد وتشييدها ومرمتها عند خرابها فيمنع منه الكافر حتى لو
اوصى ببنا مسجد لم يقبل وصيته • والقول الثاني ان المراد بالعمارة
دخول المسجد والقعود فيه فيمنع الكافر من دخول المسجد بغير اذن
مسلم حتى لو دخل بغير اذن مسلم عزر وان دخل باذن لم يعزر ويدل
على جواز دخول الكافر المسجد بالاذن ان النبي صلى الله عليه وسلم
شد ثمامة بن اثال الى سارية من سواري المسجد وهو كافر والاولى
تعظيم المساجد ومنعهم من دخولها وقوله تعالى شاهدين على انفسهم
بالكفر يعني لا يدخلون المساجد في حال كونهم شاهدين وقيل تقديره
وهم شاهدون فلما حذفت وهم نصب قال ابن عباس شهادتهم على انفسهم
بالكفر سجودهم للاصنام وذلك ان كفار قريش كانوا قد نصبوا اصنامهم
خارج البيت الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما
طافوا طوفة سجدوا للاصنام فلم يزدادوا بذلك من الله الا بعدا
وقال الحسن انهم لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شهادة عليهم
بالكفر وقال السدي شهادتهم على انفسهم بالكفر هو ان النصراني يسال
من انت فيقول نصراني واليهودي يقول يهودي والمشرك يقول مشرك
وقال ابن عباس في رواية عنه شاهدين على رسولهم بالكفر لانه من

رح •

انفسهم **اولئك حبطت اعمالهم** يعني الاعمال التي عملوها في حال
الكفر من اعمال البر مثل اقراء الضيف وسقي الحاج وفك العاني لانها
لم تكن لله فلم يكن لها تاثير مع الكفر **وفي النار هم خالدون** يعني
من مات منهم على كفره **قوله عز وجل** **انما يعمر مساجد الله من
آمن بالله واليوم الاخر** لما بين الله عز وجل ان الكافر ليس له ان يعمر
مساجد الله بين في هذه الاية من هو المستحق لعمارة المساجد وهو
من آمن بالله فان الايمان شرط فيمن يعمر المسجد لان المسجد عبارة
عن الموضع الذي يعبد الله فيه فمن لم يكن مؤمنا بالله امتنع ان
يعمر موضعا يعبد الله فيه واليوم الاخر يعني وآمن باليوم الاخر
وانه حق كائن لان عمارة المسجد لاجل عبادة الله وجزاء اجره انما يكون
في الاخرة فمن انكر الاخرة لم يعبد الله ولم يعمر له مسجدا **فان قلت**
لم لم يذكر الايمان برسول الله مع ان الايمان به شرط في صحة الايمان
قلت ان الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم داخل
في الايمان بالله فان من آمن بالله واليوم الاخر فقد امن برسول الله
صلى الله عليه وسلم لانه من جهته عرف الايمان بالله واليوم الاخر
لانه هو الداعي الى ذلك • وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا انما
ادعى النبوة طلبا للرياسة والملك فاخبر الله عز وجل ان محمدا صلى
الله عليه وسلم انما دعى الى الايمان بالله واليوم الاخر لا لطلب الرياسة
والملك فلذلك قال انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر
وترك ذكر الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم • وقيل انه تعالى ذكر الايمان
بالله واليوم الاخر **واقام الصلاة واتى الزكاة** وكان ذلك مما جاء به رسول
الله صلى الله عليه وسلم فمن اقام الصلاة واتى الزكاة فقد آمن برسول
الله صلى الله عليه وسلم **واعلم** ان الاعتبار باقامة الصلاة
وايتاء الزكاة في عمارة المساجد ان الانسان اذا عمر المسجد لازمه لاقامة
الصلاة فيه ولا يشتغل بعمارة المساجد الا اذا كان مؤديا للزكاة لان
الزكاة واجبة وعمارة المساجد نافلة ولا يشتغل الانسان بالنافلة
الا بعد اكمال الفريضة الواجبة عليه وقوله تعالى **ولم يخش الا الله** يعني
ولم يخف في الدين غيره ولم يترك امر الله لخشية الناس **فعسى اولئك ان
يكونوا من المهتدين** وعسى من الله واجب يعني واولئك هم المهتدون
المتمسكون بطاعة الله التي تؤدي الى الجنة عن ابي سعيد الخدري ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا
له بالايمان فان الله عز وجل يقول انما يعمر مساجد الله من آمن بالله
واليوم الاخر الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن **ق** عن ابي هريرة

عن

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من غدا الى المسجد او راح اعد الله
له في الجنة نزلا كلما غدا او راح النزل كل ما يهيأ للضيف عند نزوله
بالقوم **ق** عن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من بنى مسجدا يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتا في الجنة وفي
رواية بنى الله له في الجنة مثله • وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من بنى لله مسجدا صغيرا كان او كبيرا بنى الله له بيتا في الجنة
اخرجه الترمذي عن عمرو بن عبسة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من بنى لله مسجدا ليذكر الله فيه بنى الله له بيتا في الجنة اخرجه
النسائي قوله تعالى **اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام** الاية **م**
عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال
رجل ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اعمر المسجد الحرام وقال
الاخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا اصواتكم
عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة
دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فانزل الله عز وجل اجعلتم سقاية
الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الاخر الى اخرها • وقال
ابن عباس قال العباس حين اسر يوم بدر لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام
والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج فانزل الله هذه الاية
واخبر ان عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا ينفعهم مع الشرك
بالله وان الايمان والجهاد مع نبيه خير مما هم عليه وقال الحسن والشعبي
ومحمد بن كعب القرظي نزلت في علي بن ابي طالب والعباس بن عبد المطلب
وطلحة بن شيبة افتخروا فقال طلحة انا صاحب البيت بيدي مفاتحه •
وقال العباس وانا صاحب السقاية والقيام عليها • وقال علي ما ادري
ما تقولون لقد صليت الى القبلة ستة اشهر قبل الناس وانا صاحب الجهاد
فانزل الله هذه الاية اجعلتم سقاية الحاج والسقاية مصدر كالرعاية
والحماية وهي سقي الحاج • وكان العباس بن عبد المطلب بيده سقاية
الحاج وكان يليها في الجاهلية فلما جاء الاسلام واسلم العباس اقره
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وعمارة المسجد الحرام يعني بناءه
وتشييده ومرمته **كمن آمن بالله واليوم الاخر** فيه حذف تقديره كايمان
من امن بالله واليوم الاخر **وجاهد في سبيل الله** اي وكجهاد من جاهد
في سبيل الله وقيل السقاية والعمارة بمعنى الساقي والعامر تقديره
اجعلتم ساقي الحاج وعامر المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد
في سبيل الله **لا يستوون عند الله** يعني لا يستوي حال هؤلاء الذين
امنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله بحال من سقى الحاج وعمر المسجد الحرام

وهو مقيم على شركه وكفره لان الله لا يقبل عملا الا مع ايمان به **والله لا**
يهدي القوم الظالمين **خ** عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم جا الى السقاية فاستسقى فقال العباس يا فضل اذهب الى امك
فات رسول الله صلى الله بشراب من عندها فقال اسقني فقال يا رسول
الله انهم يجعلون ايديهم فيه قال اسقني فشرب منه ثم اتى زمزم وهم
يسقون ويعملون فيها فقال اعملوا فانكم على عمل صالح ثم قال ان تغلبوا
لنزلت حتى اضع الحبل على هذه يعني عاتقه **م** عن بكر بن عبد الله
المزني قال كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة فاتاه اعرابي
فقال ما لي ارى بني عمكم يسقون العسل واللبن وانتم تسقون
النبيذ امن حاجة بكم ام من بخل فقال ابن عباس الحمد لله ما بنا من
حاجة ولا بخل انما قدم النبي صلى الله عليه وسلم على راحلته وخلفه
اسامة فاستسقى فاتيناه باناء من نبيذ فشرب وسقى فضله اسامة
فقال احسنتم واجملتم كذا فاصنعوا فلا نريد تغيير ما امر به رسول
الله صلى الله عليه وسلم النبيذ تمر ينقع في الما غدوة ويشرب عشيا
وينقع عشيا ويشرب غدوة وهذا حلال فان غلا وحمض حرم قوله
عز وجل **الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم**
وانفسهم اعظم درجة عند الله يعني ان من كان موصوفا بهذه الصفا
يعني الايمان والهجرة والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس كان اعظم
درجة عند الله ممن افتخر بالسقاية وعمارة المسجد الحرام واعالم بذكر
القسم المرجوح لبيان فضل القسم الراجح على الاطلاق على من سواهم
والمراد بالدرجة المنزلة والرفعة عند الله في الاخرة **واوليك** يعني
من هذه صفته **هم الفايزون** يعني بسعادة الدنيا والاخرة **يبشرهم**
ربهم يعني يخبرهم ربهم والبشارة الخبر السار الذي يفرح الانسا
عند سماعه وتستنير بشرة وجهه عند سماع ذلك الخبر السار ثم ذكر
ذلك الذي يبشرهم به فقال تعالى **برحمة منه ورضوان** وهذا اعظم
البشارات لان الرحمة والرضوان من الله عز وجل على العبد نهاية
مقصوده **وجنات لهم فيها نعيم مقيم** يعني ان نعيم الجنة دايم غير
منقطع ابدا **خالدين فيها** يعني في الجنات وفي النعيم **ابدا** يعني لا انقطا
له **ان الله عنده اجر عظيم** يعني لمن عمل بطاعته وجاهد في سبيله
قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباكم واخوانكم اولياء** قال
مجاهد هذه الاية متصلة بما قبلها نزلت في قصة العباس وطلحة له
وامتناعهما من الهجرة وقال ابن عباس لما امر النبي صلى الله عليه وسلم
الناس بالهجرة الى المدينة فمنهم من تعلق به اهله واولاده يقولون ننشدك

ع ٠

بالله

بالله ان تضيعنا فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة فانزل الله هذه
الاية وقال مقاتل نزلت في التسعة الذين ارتدوا عن الاسلام
ولحقوا بمكة فنهى الله المومنين عن موالاتهم وانزل يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا اباكم واخوانكم اوليا يعني بطانة واصدقا تفشون
اليهم اسراركم وتوثرون المقام معهم على الهجرة **٥** قال بعضهم حمل هذه
الاية على ترك الهجرة مشكل لان هذه السورة نزلت بعد الفتح وهي
من اخر القران نزولا والاقرب ان يقال ان الله تعالى لما امر المومنين
بالتبري من المشركين قالوا كيف يمكن ان يقاطع اباه واخاه وابنه
فذكر الله ان مقاطعة الرجل اهله واقاربه في الدين واجبة ٥
فالمومن لا يوالي الكافر وان كان اباه واخاه وابنه وهو قوله **ان استحبوا**
الكفر على الايمان يعني ان اختاروا الكفر واقاموا عليه وتركوا الايمان
بالله ورسوله **ومن يتولهم منكم فاوليك هم الظالمون** يعني ومن
يختار المقام معهم على الهجرة والجهاد فقد ظلم نفسه بمخالفة امر الله
واختيار الكفار على المومنين ولما نزلت هذه الاية قال الذين اسلموا
ولم يهاجروا ان نحن هاجرنا ضاعت اموالنا وذهبت تجارتنا وخربت
دورنا وقطعنا ارحامنا فانزل الله تعالى **قل** اي قل يا محمد لهولا الذين
قالوا هذه المقالة **ان كان اباوكم وابناوكم واخوانكم وازواجكم**
وعشيرتكم وقرى على الجمع وعشيراتكم العشيرة هم الادنون من اهل
الانسان الذين يعاشرونه دون غيرهم **واموال اقترفتموها** يعني
اكتسبتموها **وتجارة تخشون كسادها** يعني بفراقكم لها **ومساكن**
ترضونها يعني تستوطنونها راضين بسكناها **احب اليكم من الله**
ورسوله يعني احب اليكم من الهجرة الى الله ورسوله **وجهاد في سبيله**
فبين الله تعالى انه يجب تحمل المضار جميع في الدنيا ليبقى الدين سليما
واخبر انه ان كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم اولى من
طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة في سبيل الله **فتربصوا**
اي فانتظروا **حتى ياتي الله بامره** يعني بقضايه وهذا امر تهديد ٥
وتخويف وقال مجاهد ومقاتل يعني بفتح مكة **والله لا يهدي القوم**
الفاسقين يعني الخارجين عن طاعته وفي هذه دليل على انه اذا وقع
تعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب على المسلم ترجيح مصالح
الدين على مصالح الدنيا قوله عز وجل **لقد نصركم الله** النصر المعونة
على الاعدا باظهار المسلمين عليهم **في مواطن كثيرة** يعني اماكن كثيرة
والمراد به غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه وبعوثه وكانت
غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكره في الصحيحين من حديث

زيد بن ارقم تسع عشرة غزوة زاد بريدة في حديثه قاتل في ثمان
منهن ويقال ان جميع غزواته وسراياه وبعوثه سبعون وقيل ثمانون
وهو قوله تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين يعني
ونصركم الله في يوم حنين ايضا فاعلم الله انه هو الذي يتولى نصر
المؤمنين في كل موقف وموطن ومن يتولى الله نصره فلا غالب
له وحنين اسم واد قريب من الطايف بينه وبين مكة بضعة
عشر ميلا وقال عروة هو الى جنب ذي المجاز وكانت

قصة حنين على ما نقله الرواة

ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم فتح مكة وقد بقيت عليه ايام من شهر رمضان
فخرج الى حنين لقتال هوازن وثقيف في اثني عشر الفا عشرة
الاف من المهاجرين والانصار والفان من الطلقا وقال عطا كانوا
ستة عشر الفا • وقال الكلبي كانوا عشرة الاف وكانوا يوميذ اكثر
ما كانوا قط وكان المشركون اربعة الاف من هوازن وثقيف
وكان على هوازن مالك بن عوف النصري وعلى ثقيف كنانة بن
عبد ياليل فلما التقى الجمعان قال رجل من الانصار يقال له سلمة
ابن سلامة بن رقيش لن نغلب اليوم عن قلة فساء رسول الله صلى
الله عليه وسلم كلامه ووكلوا الى كلمة الرجل وفي رواية فلم يرض الله
قوله ووكلهم الى انفسهم • وذكر ابن الجوزي عن سعيد بن المسيب ان
القايل لذلك ابو بكر الصديق • وحكى ابن جرير الطبري ان القايل
لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم واسناد هذه الكلمة الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيه بعد لانه صلى الله عليه وسلم كان في جميع
احواله متوكلا على الله عز وجل لا يلتفت الى كثرة عدد ولا الى عدده
بل نظره الى ما ياتي من عند الله عز وجل من النصر والمعونة قالوا
فلما التقى الجمعان اقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا عن
الذراري ثم تنادوا يا حماة السواد اذكروا الفضايح فتراجعوا وانكشف
المسلمون • وقال قتادة ذكر لنا ان الطلقا انجفلوا يوميذ بالناس فلما
انجفل القوم هربوا ق عن ابي اسحاق قال جا رجل الى البرا فقال اكنتم
وليتم يوم حنين يا ابا عمارة فقال اشهد على نبي الله صلى الله عليه وسلم
ما ولى ولكنه انطلق اخفا من الناس وحسر الى هذا الحي من هوازن وهم
قوم رماة ترموهم برشق من نبل كانها رجل من جراد فانكشفوا فاقبل
القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو سفيان بن الحرث يقود
به بغلته فنزل ودعا واستنصر وهو يقول • انا النبي لا كذب • انا ابن
عبد المطلب • اللهم انزل نصرك زاد ابو خيثمة ثم صفهم قال البرا كنا

والله اذا احمر الباس نتقي به وان الشجاع منا الذي يحاذي به يعني النبي
صلى الله عليه وسلم • ولمسلم عن ابي اسحاق قال جا رجل للبرا بن عازب
يا ابا عمارة فررتم يوم حنين قال لا والله ما ولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولكنه خرج شبان اصحابه واخفاوهم حسر ليس عليهم سلاح او كثير
سلاح فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم جمع هوازن وبني
نصر فرشقوهم رشقا ما يكادون يخطون فاقبلوا هناك الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضا
وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب يقود به فنزل واستنصر وقال
انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب ثم صفهم ورَوى شعبة عن ابي
اسحق قال قال البرا ان هوازن كانوا قوما رماة ولما لقيناهم حملنا
عليهم فانهزموا فاقبل المسلمون على الغنايم فاستقبلونا بالسهام
فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفر • قوله ولكنه انطلق اخفا
الناس الاخفا جمع خفيف وهم المسرعون من الناس الذين ليس لهم ما
يعوقهم والحسر جمع حاسر وهو الذي لا درع عليه يقال اذا رمى القوم باسرهم
الى جهة واحدة رمينا رشقا والرجل من الجراد القطعة الكبيرة منه
وقوله كنا اذا احمر الباس يعني اشتد الحرب والباس بالبا الموحدة من
تحت الشدة والخوف • قال الكلبي كان حول رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلثماية من المسلمين وانهزم ساير الناس وقال غيره لم يبق مع النبي
صلى الله عليه وسلم يوميذ غير عمه العباس بن عبد المطلب وابن عمه ابي
سفيان ابن الحرث وايمن ام ايمن قتل يوم حنين بين يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهذا ايمن اخو اسامة بن زيد لامه امهما بركة
مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته م عن العباس بن
عبد المطلب قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين
فلزمت انا وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلم نفارقه ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة
له بيضا اهداها له فروة بن نفاثة الجذامي فلما التقى المسلمون
والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم
يركض بغلته قبل الكفار قال العباس وانا اخذ بركاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عباس ناد
اصحاب الشجرة فقال العباس وكان رجلا صيتا فقلت باعلا صوتي اين
اصحاب الشجرة قال فوالله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة
البقرة على اولادها فقالوا لبيك قال فاقتتلوا والكفار والدعوة في
الانصار يقولون يا معشر الانصار ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن

الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول
عليها الى قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حمي
الوطيس قال ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمي
بهن وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب محمد قال فذهبت انظر فاذا
القتال على هيئته فيما ارى قال فوالله ما هو الا ان رماهم بحصياته
فما زلت ارى حدهم كليلا وامرهم مدبرا • قوله حمي الوطيس اي
اشتد الحرب قال الخطابي هذه الكلمة لم تسمع قبل ان يقولها النبي
صلى الله عليه وسلم من العرب وهي مما اقتضبه وانشاه والوطيس
في اللغة التنور • وقوله حدهم كليلا يعني لا يقطع شيا وعن سلمة
ابن الاكوع قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا قال
فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن بغلته ثم قبض قبضة
من تراب الارض ثم استقبل به وجوههم وقال شاهت الوجوه فما
خلق الله منهم انسانا الا ملاء عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا
مدبرين فهزمهم الله وقسم غنايمهم بين المسلمين اخرجه • قال سعيد
ابن جبير امد الله نبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة الاف من الملايكة
مسومين • وروي ان رجلا من بني نصر يقال له شجره قال للمومنين بعد
القتال اين الخيل البلق والرجال عليهم ثياب بيض ما كنا نراهم فيكم
الا كهيئة الشامة وما كان قتلنا الا بايديهم فاخبر بذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك الملايكة وروي ان رجلا من المشركين
قال يوم حنين لما التقينا واصحاب محمد لم يقفوا لنا حلب شاة ان كشفناهم
فبينا نحن نسوقهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضا فاذا هو
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه
حسان الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزموا
وركبوا اكتافنا فكانت اياها • واختلفوا هل قاتلت الملايكة يوم
حنين على قولين والصحيح انها لم تقاتل الا يوم بدر وانما كانت
الملايكة يوم حنين وانا اريد قتله بطلحة بن عثمان وعثمان بن ابي
طلحة وكانا قد قتلا يوم احد فاطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم
على ما في نفسي فالتفت الي وضرب في صدري وقال اعيذك بالله
يا شيبة فارعدت فرايصي فنظرت اليه وهو احب الي من سمعي
وبصري فقلت اشهد انك رسول الله قد اطلعك على ما في نفسي فلما
هزم الله المشركين وولوا مدبرين انطلقوا حتى اتوا اوطاس وبها عيالهم
واموالهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الاشعريين
يقال له ابو عامر وامره على الجيش فسار الى اوطاس فاقتتلوا بها

وقتل

وقتل دريد بن الصمة وهزم الله المشركين وسبى المسلمون عيالات
المشركين وهرب اميرهم مالك بن عوف النضري فاتى الطايف فتحصن
بها واخذ ماله واهله فيمن اخذ وقتل ابو عامر امير المسلمين قال
الزهري اخبرني سعيد بن المسيب انهم اصابوا يوميذ ستة الاف
سبي ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى الطايف فحاصرهم بقية
ذلك الشهر فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم واتى
الجعرانة فاحرم منها بعمرة وقسم بها غنايم حنين واوطاس وتالف
اناسا منهم ابو سفيان بن حرب والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو
والاقرع بن حابس فاعطاهم ق عن انس بن مالك ان ناسا من
الانصار قالوا يوم حنين حين افا الله على رسوله من اموال
هوازن ما افا الله فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي
رجالا من قريش المائة من الابل فقالوا يغفر الله لرسول الله يعطي
قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمايهم • قال انس فحدث بذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم فارسل الى الانصار فجمعهم
في قبة من ادم ولم يدع معهم غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال حديث بلغني عنكم فقال له
فقهاء الانصار اما ذوو راينا يا رسول الله لم يقولوا شيا واما اناس منا
حديثة اسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله يعطي قريشا ويتركنا
وسيوفنا تقطر من دمايهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني
اعطي رجالا حديثي عهد بكفر اتالفهم افلا ترضون ان يذهب الناس
بالاموال وترجعوا الى رحالكم برسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله
ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا بلى يا رسول الله قد رضينا
قال فانكم ستجدون بعدي اثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله
على الحوض قالوا سنصبر زاد في رواية قال انس فلم نصبر ق عن عبد
الله بن زيد بن عاصم قال لما افا الله على رسوله يوم حنين قسم في الناس
في المولفة قلوبهم ولم يعط الانصار شيا فكانهم وجدوا اذ لم يصبهم ما
اصاب الناس فخطبهم فقال يا معشر الانصار الم اجدكم ضلالا فهداكم
الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي وعالة فاغناكم الله بي كلما قال
شيا قالوا الله ورسوله امن قال لو شيتم قلتم جيتنا كذا وكذا اترضون
ان يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي الى رحالكم لولا
الهجرة لكنت امرا من الانصار ولو سلكت الناس واديا او شعبا لسلكت
وادي الانصار وشعبهم الانصار شعار والناس دثار م عن رافع بن
خديج قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو سفيان بن حرب

وصفوان بن امية وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس مائة من
الابل واعطى العباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس

أتجعل نهبي ونهب العبيد • بين عيينة والاقرع •
لما كان حصن ولا حابس • يفوقان مرداس في مجمع •
وما كنت دون امرئ منهما • ومن يخفض اليوم لا يرفع •

قال فاتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة خ عن المسور ومروان
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين
فسالوه ان يرد عليهم اموالهم وسبيهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان معي من ترون واحب الحديث الي اصدقه فاختاروا احدى
الطائفتين اما المال واما السبي وقد كنت استانيت بكم وفي رواية
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظرهم بضع عشرة ليلة حين
قفل من الطائف فلما تبين لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم غير راد عليهم
الا احدى الطائفتين قالوا انا نختار سبينا فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الناس فاثنى على الله بما هو اهله ثم قال اما بعد
فان اخوانكم هولاء جاؤنا تائبين واني رايت ان ارد اليهم سبيهم فمن
احب منكم ان يطيب ذلك فليفعل قال الناس قد طيبنا ذلك لهم
يا رسول الله فقال لهم في ذلك انا لا ندري من اذن منكم ممن لم
ياذن فارجعوا حتى يرجع الينا عرفاؤكم امركم فرجع الناس فكلمهم
عرفاؤهم ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه
انهم قد طيبوا واذنوا هذا الذي بلغنا من سبي هوازن فانزل
الله في قصة حنين لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ
اعجبتكم كثرتكم يعني حتى قلتم لن نغلب اليوم عن قلة فلم تغن عنكم
كثرتكم شيئا يعني ان الظفر بالعدو ليس بكثرة العدد ولكن انما يكون
بنصر الله ومعونته وضاقت عليكم الارض بما رحبت يعني بسعتها
وفضائها ثم وليتم مدبرين يعني منهزمين ثم انزل الله سكينته
يعني بعد الهزيمة والسكينة الطمانينة والامنة وهي فعيلة من
السكون وذلك ان الانسان اذا خاف رجف فؤاده فلا يزال متحركا
واذا امن سكن فؤاده وثبت فلما كان الامن موجبا للسكون جعل
لفظ السكينة كناية عن الامن وقوله تعالى على رسوله وعلى
المومنين انما كان انزال السكينة على المؤمنين لان الرسول صلى
الله عليه وسلم كان ساكن القلب ليس عنده اضطراب كما حصل
للمومنين من الهزيمة والاضطراب في هذه الوقعة ثم من الله عليهم
بانزال السكينة عليهم حتى رجعوا الى قتال عدوهم بعد الهزيمة

ورسول

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت لم يفر وانزل جنودا لم تروها
يعني الملائكة لتثبيت المؤمنين وتشجيعهم وتخذيل المشركين وتجبينهم
لا للقتال لان الملائكة لم تقاتل الا يوم بدر وعذب الذين كفروا
يعني بالقتل والاسر وسبي العيال وسبي الاموال وذلك جزاء
الكافرين يعني في الدنيا اذا افضوا الى الاخرة كان لهم عذابا
اشد من ذلك العذاب واعظم ثم يتوب الله من بعد ذلك على
من يشاء يعني فيهديه الى الاسلام كما فعل بمن بقي من هوازن حيث
اسلموا وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم تائبين
فمن الله عليهم واطلق سبيلهم والله غفور لمن تاب رحيم بعباده
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس قيل اراد بالمشركين
عبدة الاصنام وغيرهم من اليهود والنصارى والنجس الشيء
القذر من الناس وغيرهم وقيل النجس الشيء الخبيث واراد بهذه
النجاسة نجاسة الحكم لا نجاسة العين سموا نجسا من الذم لان
الفقهاء اتفقوا على طهارة ابدانهم ولا قيل هم انجاس العين كالكلب
والخنزير حتى قال الحسن بن صالح من مس مشركا فليتوضأ ويروى
عن الزيدية من الشيعة والقول الاول اصح وقال قتادة سماهم نجسا
لانهم يجنبون فلا يغتسلون ويحدثون فلا يتوضؤن فلا يقربوا
المسجد الحرام والمراد منعهم من دخول الحرم لانهم اذا دخلوا الحرم
فقد قربوا من المسجد الحرام ويؤكد هذا قوله تعالى سبحان الذي
اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام اراد به الحرم لانه اسري به صلى
الله عليه وسلم من بيت ام هانئ قال العلماء وجملة بلاد الاسلام
في حق الكفار ثلاثة اقسام احدها الحرم فلا يجوز للكافر ان
يدخله بحال ذميا كان او مستامنا لظاهر هذه الاية وبه قال
الشافعي واحمد ومالك فلو جاء رسول من دار الكفر والامام في
الحرم فلا ياذن له في دخول الحرم بل يخرج اليه بنفسه او يبعث
اليه من يسمع رسالته خارج الحرم وجوز ابو حنيفة واهل الكوفة
للمعاهد دخول الحرم القسم الثاني من بلاد الاسلام الحجاز وحده
بين اليمامة وبين اليمن وبين نجد والمدينة الشريفة قيل نصفها
تهامي ونصفها حجازي وقال ابن الكلبي حد الحجاز ما بين جبلي طي
وطريق العراق سمي حجازا لانه حجز بين تهامة ونجد وقيل لانه حجز
بين نجد والسراة وقيل لانه حجز بين نجد وتهامة والشام قال
الحربي وتبوك من الحجاز فيجوز للكفار دخول ارض الحجاز بالاذن
ولكن لا يقيم فيها اكثر من مقام المسافر وهو ثلاثة ايام م عن عمر انه

سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاخرجن اليهود والنصارى
من جزيرة العرب فلا اترك فيها مسلما زاد في رواية لغير مسلم واوصى
فقال اخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك ابوبكر
واجلاهم عمر في خلافته واجل لمن يقدم تاجرا ثلاثا ٥ عن ابن
شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع دينان في
جزيرة العرب اخرجه مالك في الموطا مرسلا م عن جابر قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قد يئس
ان يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في ٣ قال سعيد بن
عبد العزيز جزيرة العرب من اقصى ابين الى ريف العراق في الطول
ومن جدة وما والاها من ساحل البحر الى اطراف الشام عرضا
والقسم الثالث ساير بلاد الاسلام فيجوز للكافر ان يقيم فيها بعهد
وامان وذمة ولكن لا يدخلون المساجد الا باذن مسلم وقوله تعالى
بعد عامهم هذا يعني العام الذي حج فيه ابوبكر الصديق بالناس
وفيه نادى علي ببراءة وان لا يحج بعد العام مشرك وهو سنة تسع
من الهجرة **وان خفتم عيلة** يعني فقرا وفاقة وذلك ان اهل
مكة كانت معايشهم من التجارات وكان المشركون يجلبون الى
مكة الطعام ويتجرون فلما منعوا من دخول الحرم خاف اهل
مكة الفقر وضيق العيش فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فانزل الله عز وجل وان خفتم عيلة **فسوف يغنيكم
الله من فضله** قال عكرمة فاغناهم الله بان انزل عليهم المطر
مدرارا وكثر خيرهم وقال مقاتل اهل جدة وصنعا وجرش من
اليمن وجلبوا الميرة الكثيرة الى مكة فكفاهم الله ما كانوا
يخافون وقال الضحاك وقتادة عوضهم الله منها الجزية فاغناهم
بها **ان شا** قيل انما اشترط المشية في الغنى المطلوب ليكون
الانسان دايم التضرع والابتهال الى الله تعالى في طلب الخيرات
ودفع الافات وان يقطع العبد امله من كل احد الا من الله عز
وجل فانه هو القادر على كل شي وقيل ان المقصود من ذكر هذا
الشرط تعليم رعاية الادب كما في قوله لتدخلن المسجد الحرام ان
شا الله **ان الله عليم** يعني بما يصلحكم **حكيم** يعني انه تعالى لا يفعل شيا
الا عن حكمة وصواب ومن حكمه ان منع المشركين من دخول الحرم واوجب
الجزية والذل والصغار على اهل الكتاب فقال تعالى **قاتلوا الذين
لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر** قال مجاهد نزلت هذه الاية حين
امر النبي صلى الله عليه وسلم فغزا بعد نزولها غزوة تبوك وقال

الكلبي

الكلبي نزلت في قريظة والنضير من اليهود فصالحهم فكانت اول
جزية اصابها اهل الاسلام واول ذل اصاب اهل الكتاب بايدي
المسلمين وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه المسلمين
والمعنى قاتلوا ايها المومنون القوم الذين لا يومنون بالله ولا
باليوم الاخر **فان قلت** اليهود والنصارى يزعمون انهم
يومنون بالله واليوم الاخر فكيف اخبر عنهم انهم لا يومنون بالله
ولا باليوم الاخر **قلت** ان ايمانهم بالله ليس كايمان المومنين
وذلك ان اليهود يعتقدون التجسيم والتشبيه والنصارى يعتقدون
الحلول ومن اعتقد ذلك ليس بمومن بالله . واما ايمانهم بالله
واليوم الاخر فليس كايمان المومن وذلك انهم يعتقدون بعثة
الارواح دون الاجساد ويعتقدون ان اهل الجنة لا ياكلون فيها
ولا يشربون ولا ينكحون ومن اعتقد ذلك فليس ايمانه كايمان
المومنين وان زعم انه مومن وقوله تعالى **ولا يحرمون ما حرم الله
ورسوله** يعني لا يحرمون الخمر والخنزير وقيل معناه انهم لا يحرمون
ما حرم الله في القران ولا ما حرم رسوله في السنة وقيل معناه لا
يعملون بما في التوراة والانجيل بل حرفوهما واتوا باحكام من قبل
انفسهم **ولا يدينون دين الحق** يعني ولا يعتقدون صحة الاسلام
الذي هو دين الحق وقيل الحق هو الله تعالى ومعناه ولا يدينون دين
الله ودينه الاسلام بدليل قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام
وقيل معناه ولا يدينون دين اهل الحق وهم المسلمون ولا يطيعون الله
كطاعتهم **من الذين اوتوا الكتاب** يعني اعطوا الكتاب وهم
اليهود والنصارى **حتى يعطوا الجزية** وهو ما يعطي المعاهد
من اهل الكتاب على عهده وهي الخراج المضروب على رقابهم
سميت جزية للاجتزاء بها في حقن دمائهم **عن يد** يعني عن
قهر وغلبة يقال لكل من اعطى شيا كرها من غير طيب نفس
اعطى عن يد قال ابن عباس يعطونها نقدا لا نسيئة وقيل
يعطونها مع اقرارهم بانعام المسلمين عليهم بقبولها منهم **وهم
صاغرون** من الصغار والاهانة يعطون الجزية وهم اذلا مقهورون
وقال عكرمة يعطون الجزية وهم قيام والقابض جالس وقال
ابن عباس توخذ الجزية من احدهم وتوطا عنقه . وقال الكلبي
اذا اعطى يصفع قفاه . وقيل هو ان يوخذ بلحيته ويضرب
لهزمتيه ويقال اد حق الله يا عدو الله . وقال الشافعي الصغار
هو جريان احكام المسلمين عليهم **فصل** في بيان حكم الاية

اجمعت الامة على جواز اخذ الجزية من اهل الكتاب وهم اليهود
والنصارى اذا لم يكونوا عربا واختلفوا في الكتابي العربي وفي
غير اهل الكتاب من كفار العجم فذهب الشافعي الى ان الجزية على
الاديان لا على الانساب فيوخذ من اهل الكتاب عربا كانوا او
عجما ولا يوخذ من عبدة الاوثان بحال واحتج بما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه بعث خالد بن الوليد الى كيدر دومة
فاخذوه فاتوا به فحقن دمه وصالحه على الجزية اخرجه ابو
داود وقال الشافعي وهو رجل من العرب يقال انه من غسان
واخذ من اهل دومة اليمن وعامتهم عرب • وذهب مالك
والاوزاعي الى ان الجزية توخذ من جميع الكفار الا المرتد وقال
ابو حنيفة توخذ من اهل الكتاب على العموم ويوخذ من مشركي
العجم ولا توخذ من مشركي العرب وقال ابو يوسف لا توخذ من
العربي كتابيا كان او مشركا وتوخذ من العجمي كتابيا كان او
مشركا واما المجوس فاتفقت الصحابة على الاخذ منهم ويدل
عليه ما روي عن بجالة بن عبيدة لم يكن عمر اخذ الجزية من
المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخذها من مجوس هجر اخرجه البخاري عن جعفر
ابن محمد عن ابيه ان عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال ما ادري
كيف اصنع في امرهم فقال عبد الرحمن بن عوف ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بهم سنة اهل الكتاب
اخرجه مالك في موطائه عن ابن شهاب قال بلغني ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ الجزية من مجوس البحرين
وان عمر اخذها من مجوس فارس وان عثمان اخذها من البربر
اخرجه مالك في الموطا وفي امتناع عمر عن اخذ الجزية من المجوس
حتى شهد عبد الرحمن ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذها منهم
دليل على ان راي الصحابة كان على انها لا توخذ من كل مشرك
وانما توخذ من اهل الكتاب • واختلفوا في ان المجوس هل
هم من اهل الكتاب فروي عن علي بن ابي طالب انه قال كان
لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد اسري على كتابهم فرفع
من بين اظهرهم واتفقوا على تحريم ذبائحهم ومناكحتهم بخلاف
اهل الكتاب واما من دخل في دين اليهود والنصارى من
غيرهم من المشركين نظر فان كانوا دخلوا فيه قبل النسخ والتبديل
يقرون بالجزية وتحل مناكحتهم وذبائحهم وان دخلوا في دينهم بعد

النسخ

النسخ بمجي محمد صلى الله عليه وسلم والنسخ شريعتهم بشريعته فلا
يقرون بالجزية ولا تحل ذبائحهم ومناكحتهم ومن شككنا في امرهم
انهم هل دخلوا فيه بعد النسخ او قبله يقرون بالجزية تغليبا
لحقن الدم ولا تحل ذبائحهم ومناكحتهم تغليبا للتحريم فمنهم
نصارى العرب من تنوخ وبهرا وبني تغلب اقرهم عمر بالجزية
وقال لا تحل لنا ذبائحهم واما الصابئة والسامرة فسبيلهم سبيل
اهل الكتاب فهم من اهل الكتاب كاهل البدع في المسلمين واما
اقل الجزية فاقلها دينار ولا يجوز ان ينقص ويقبل الدينار
من الغني والفقير والمتوسط ويدل عليه ما روي عن معاذ
ابن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وجهه الى اليمن
امره ان ياخذ من كل حالم يعني محتلم دينارا او عدله من المعافري
ثياب تكون باليمن اخرجه ابو داود فالنبي صلى الله عليه وسلم
امره ان ياخذ من كل محتلم وهو البالغ دينارا ولم يفرق بين
الغني والفقير والمتوسط وفيه دليل على انه لا توخذ الجزية
من الصبيان والنسا وانما توخذ من الاحرار البالغين وذهب
قوم الى ان على كل موسر اربعة دنانير وعلى كل متوسط دينارين
وعلى كل فقير دينارا وهو قول اصحاب الراي • ويدل عليه ما روي
عن اسلم ان عمر بن الخطاب جعل الجزية على اهل الذهب اربعة
دنانير وعلى اهل الورق اربعين درهما ومع ذلك ارزاق المسلمين
وضيافة ثلاثة ايام اخرجه مالك في الموطا • قال
اصحاب الشافعي اقل الجزية دينار ولا يزاد على الدينار الا
بالتراضي فاذا رضي اهل الذمة بالزيادة ضربنا على المتوسط
دينارين وعلى الغني اربعة دنانير • قال العلما انما اقروا
اهل الكتاب على دينهم الباطل بخلاف اهل الشرك حرمة لابائهم
الذين انقرضوا على الدين من شريعة التوراة والانجيل قبل
النسخ والتبديل وايضا فان بايديهم كتبا قديمة فربما تفكروا
فيها فيعرفون صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدق نبوته
فامهلوا لهذا المعنى وليس المقصود من ذلك حقن دمايهم
وامهالهم رجا ان يعرفوا الحق فيرجعوا اليه بان يومنوا ويصد قوا •
اذا راوا محاسن الاسلام وقوة دلايله وكثرة الداخلين فيه قوله
عز وجل **وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم** الاية لما ذكروا في الاية
المتقدمة ان اليهود والنصارى لا يومنون بالله ولا يدينون

دين الحق بينه في هذه الاية واخبر عنهم انهم اثبتوا لله ولدا ومن
جوز ذلك على الله فقد اشرك به لانه لا فرق بين من يعبد صنما
وبين من يعبد المسيح فقد بان بهذا انهم لا يؤمنون بالله ولا يدينون
دين الحق وقد تقدم سبب اخذ الجزية منهم وابقاوهم على هذا
الشرك وهو حرمة الكتب القديمة التي بايديهم ولعلهم يتفكرون
فيها ويعرفون الحق فيرجعون اليه • روي سعيد بن جبير وعكرمة
عن ابن عباس قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من
اليهود سلام بن مشكم والنعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك
ابن الصيف فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وانت لا تزعم ان
عزير ابن الله فانزل الله هذه الاية • وقال عبيد بن عمير انما قال
هذه المقالة رجل من اليهود اسمه فنحاص بن عازورا وهو الذي
قال ان الله فقير ونحن اغنيا فعلى هذين القولين القايل لهذه المقالة
جماعة من اليهود او واحد وانما نسب ذلك الى اليهود في وقالت
اليهود جريا على عادة العرب في ايقاع اسم الجماعة على الواحد تقول
العرب فلان يركب الخيل وانما يركب فرسا واحدا منها وتقول
العرب فلان يجالس الملوك واصله لم يجالس الا واحدا منهم وروى
عطية العوفي عن ابن عباس انه قال انما قالت اليهود ذلك من اجل
ان عزيرا كان فيهم وكان التوراة عندهم والتابوت فاضاعوا التوراة
وعملوا بغير الحق فرفع الله عنهم التابوت وانساهم التوراة ونسخها
من صدورهم فدعا الله عزير وابتهل اليه ان يرد اليه التوراة فبينما
هو يصلي مبتهلا الى الله عز وجل نزل نور من السما فدخل جوفه فعادت
اليه فاذن في قومه وقال يا قوم قد اتاني الله التوراة وردها الي
فعلقوا به يعلمهم ثم مكثوا ما شا الله ثم ان التابوت نزل بعد ذهابه
منهم فلما راوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير عليه في التابوت
فوجدوه مثله فقالوا ما اوتي عزير هذا الا انه ابن الله • وقال الكلبي
ان بخت نصر لما غزا بيت المقدس وظهر على بني اسرايل وقتل من قرا
التوراة وكان عزير اذ ذاك صغيرا فلم يقتله لصغره فلما رجع بنوا
اسرايل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرا التوراة بعث الله عزيرا
ليجدد لهم التوراة ويكون لهم اية بعد ما اماته الله مائة سنة قال
فاتى ملك باناء فيه ما فشرب منه فمثلت له التوراة في صدره فلما
اتاهم قال انا عزير فكذبوه وقالوا ان كنت كما تزعم فامل علينا التوراة
فكتبها لهم من صدره ثم ان رجلا منهم قال ان ابي حدثني عن جدي ان
التوراة في خابية ودفنت في كرم فانطلقوا معه حتى اخرجوها فعارضوها

بما كتب عزير فلم يجدوه غادر حرفا فقالوا ان الله لم يقذف التوراة في
قلب عزير الا انه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله فعلى هذين
القولين ان هذا القول كان فاشيا في اليهود جميعا ثم انه انقطع ودرس
فاخبر الله عنهم واظهره الله عليهم ولا عبرة بانكار اليهود وذلك فان
خبر الله عز وجل اصدق واثبت من انكارهم • واما قول النصارى
المسيح ابن الله فكان السبب فيه انهم كانوا على الدين الحق بعد رفع
عيسى عليه السلام احدى وثمانين سنة يصلون الى القبلة ويصومون
حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع يقال له
بولص فقتل جماعة من اصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص
لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا فنحن مغبونون
ان دخلنا النار ودخلوا الجنة فاني ساحتال واضلهم حتى يدخلوا النار
معنا ثم انه عمد الى فرس كان يقاتل عليه فعرقبه واظهر الندامة والتوبة
ووضع التراب على راسه ثم انه اتى الى النصارى فقالوا له من انت
قال انا عدوكم بولص قد نوديت من السما انه ليست لك توبة حتى
تتنصر وقد تبت واتيتكم فادخلوه الكنيسة ونصروه ودخل بيتا
فيها فلم يخرج منه سنة حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت ان
الله قد قبل توبتك فصدقوه واحبوه وعلا شانه فيهم ثم انه عمد
الى ثلاثة رجال اسم الواحد منهم نسطور والاخر يعقوب والاخر ملكا
فعلم نسطور عيسى ومريم والاله ثلاثة وعلم يعقوب ان عيسى ليس
بانسان ولكنه ابن الله وعلم ملكا ان عيسى هو الله لم يزل ولا يزال
فلما استمكن ذلك فيهم دعا كل واحد منهم في الخلوة وقال له انت خالصتي
وادع الناس ما علمتك وامره ان يذهب الى ناحية من البلاد ثم
قال لهم اني رايت عيسى في المنام وقد رضي عني وقال لكل واحد منهم
اني ساذبح نفسي تقربا الى عيسى ثم ذهب الى المذبح فذبح نفسه وتفرق
اوليك الثلاثة فذهب واحد الى الروم وواحد الى بيت المقدس
والاخر الى ناحية اخرى واظهر كل واحد مقالته ودعا الناس اليها
فتبعه على ذلك طوايف من الناس فتفرقوا واختلفوا ووقع القتال
فكان ذلك سبب قولهم المسيح ابن الله • قال الامام فخر الدين بعد ان
حكى هذه الحكاية والاقرب عندي ان يقال لعله ورد لفظ الابن في
الانجيل على سبيل التشريف كما ورد لفظ الخليل في حق ابراهيم على سبيل
التشريف فبالغوا وفسروا لفظ الابن بالبنوة الحقيقية والجهال قبلوا
ذلك منهم ففشا هذا المذهب الفاسد في اتباع عيسى عليه السلام
والله اعلم بحقيقة الحال ذلك قولهم بافواههم يعني انهم يقولون ذلك

القول بالسنتهم من غير علم يرجعون اليه قال اهل المعانى لم
يذكر الله قولا مقرونا بالافواه والالسن الا كان ذلك القول زورا
وكذبا لا حقيقة له **يضاهون** قال ابن عباس يشابهون والمضاهاة
المشابهة وقال مجاهد يواطئون وقال الحسن يوافقون **قول
الذين كفروا من قبل** قال قتادة والسدى معناه ضاهت النصارى
قول اليهود من قبلهم فقالوا المسيح بن الله كما قالت اليهود عزير بن
الله وقال مجاهد معناه يضاهون قول المشركين من قبل لان المشركين
كانوا يقولون ان الملايكة بنات الله • وقال الحسن شبه الله كفر
اليهود والنصارى بكفر الذين مضوا من الامم الخالية الكافرة
وقال القتيبى يريد ان من كان فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم من
اليهود والنصارى يقولون ما قاله اولوهم **قاتلهم الله** قال ابن
عباس لعنهم الله • وقال ابن جريج قتلهم الله وقيل ليس هو على
تحقيق القتال ولكنه بمعنى التعجب اى حقا ان يقال لهم هذا
القول تعجبا من بشاعة قولهم كما يقال لمن فعل فعلا يتعجب منه
قاتله الله ما اعجب فعله **انى يوفكون** يعنى انى يصرفون عن الحق
بعد وضوح الدليل فى اقامة الحجة بان الله واحد احد فجعلوا له
ولد تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا او هذا التعجب راجع الى الخلق
لان الله تعالى لا يتعجب من شى ولكن هذا الخطاب على عادة العرب
فى مخاطباتهم فالله تعالى عجب نبيه صلى الله عليه وسلم من تركهم
الحق واصرارهم الباطل قوله تعالى **اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله** يعنى اتخذ اليهود والنصارى علماءهم وقراءهم
والاحبار العلماء من اليهود والرهبان اصحاب الصوامع من النصارى
اربابا من دون الله يعنى انهم اطاعوهم فى معصية الله تعالى وذلك
انهم احلوا لهم اشيا وحرموا عليهم اشيا من قبل انفسهم فاطاعوهم
فيها فاتخذوهم كالارباب لانهم عبدوهم واعتقدوا فيهم الالهية عن
عدى بن حاتم قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم وفى عنقى صليب
من ذهب فقال يا عدى اطرح عنك هذا الوثن وسمعته يقرا
فى سورة براة اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال
اما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا اذا احلوا لهم شيا استحلوه
واذا حرموا عليهم شيا حرموه اخرجه الترمذى وقال حديث غريب
قال عبد الله بن المبارك وهل بدل الدين الا الملوك واحبار سوء
ورهبانها **والمسيح بن مريم** يعنى اتخذوه الها وذلك لما اعتقدوا فيه
البنوة والحلول اعتقدوا فيه الالهية **وما امروا** يعنى وما امروا فى

الكتب الالهية المنزلة عليهم وعلى السنة انبيايهم **الا ليعبدوا الها
واحدا** لانه هو المستحق للعبادة لا غير **لا اله الا هو سبحانه عما يشركون**
اى تعالى الله وتنزه عن ان يكون له شريك فى العبادة والاحكام او ان
يكون له شريك فى الالهية يستحق التعظيم والاجلال **يريدون** يعنى
يريد روسا اليهود والنصارى **ان يطفيوا نور الله بافواههم** يعنى
يريدون ابطال دين الله الذى جا به محمد صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم
اياه وقيل المراد من النور الدلايل الدالة على صحة نبوته صلى الله عليه
وسلم وهى امور احدها المعجزات الباهرات الخارقة للعادة التى ظهرت
على يد النبى صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه • وثانيها ان دينه
الذى امر به وهو دين الاسلام ليس فيه شى سوى تعظيم الله والثنا
عليه والانقياد لامره ونهيه واتباع طاعته والامر بعبادته والتبرى
من كل معبود سواه فهذه امور نيرة ودلايل واضحة فى صحة نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم فمن اراد ابطال ذلك بكذب وتزوير فقد خاب
سعيه وبطل عمله ثم ان الله وعد نبيه صلى الله عليه وسلم بمزيد النصر
واعلا الكلمة واظهار الدين بقوله **ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره
الكافرون** يعنى ويابى الله الا ان يعلى دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذى
بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ولو كره الكافرون **قوله
عز وجل** **هو الذى ارسل رسوله** يعنى ان الله الذى يابى الا ان
يتم دينه هو الذى ارسل رسوله يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم **بالهدى**
يعنى بالقران الذى انزله عليه وجعله هاديا اليه **ودين الحق** يعنى
دين الاسلام **ليظهره** اى ليعليه **على الدين كله** يعنى على ساير الاديان
وقال ابن عباس الهاء فى ليظهره عايدة على الرسول صلى الله عليه
وسلم والمعنى ليعلمه شرايع الدين كلها ويظهره عليها حتى لا يخفى عليه
شى منها وقال غيره من المفسرين الهاء راجعة الى الدين الحق والمعنى
ليظهر دين الاسلام على الاديان كلها وهو ان لا يعبد الا الله قال ابو هريرة
والضحاك وذلك عند نزول عيسى عليه السلام فلا يبقى اهل دين الا
دخلوا فى الاسلام ويدل على صحة هذا التاويل ما روى عن ابى هريرة
فى حديث نزول عيسى عليه السلام قال النبى صلى الله عليه وسلم ويهلك
فى زمانه الملل كلها الا الاسلام • عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يبقى على وجه الارض بيت مدر ولا وبر الا ادخله الله
كلمة الاسلام اما بعز عزيز او بذل ذليل اما يعزهم فيجعلهم من اهله
فيعزوا به واما ان يذلهم فيدينون له اخرجه البغوى بغير سند **م**
عن عايشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا

بذهب اللات والعزى فقلت يا رسول الله ما كنت لاظن حين انزل الله
تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
ان ذلك تام قال انه سيكون ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحا
طيبة فيتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فيبقى
من لا خير فيه فيرجعون الى دين ابائهم • قال الشافعي فقد اظهر الله
رسوله صلى الله عليه وسلم على الاديان بان ابان لكل من سمعه انه
الحق وما خالفه من الاديان باطل قال واظهره بان جماع الشرك
دينان دين اهل الكتاب ودين الاميين فقهر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الاميين حتى دانوا بالاسلام طوعا وكرها وقتل اهل الكتاب
وسبى حتى دان بعضهم بالاسلام واعطى بعضهم الجزية صاغرون
وجرى عليهم حكمه فهذا ظهوره على الدين كله **ولو كره المشركون**
قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان** قد
تقدم معنى الاحبار والرهبان وان الاحبار من اليهود والرهبان من
النصارى وفي قوله تعالى ان كثيرا دليل على ان الاقل من الاحبار
والرهبان لم يأكلوا اموال الناس بالباطل ولعلهم الذين كانوا قبل
مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وعبر عن اخذ الاموال بالاكل في قوله
تعالى **ليأكلون اموال الناس بالباطل** لان المقصود من جمع المال الاكل
فسمى الشيء باسم ما هو اعظم مقاصده واختلفوا في السبب الذي من اجله
اكلوا اموال الناس بالباطل فقيل انهم كانوا يأخذون الرشا من سفلتهم
في تخفيف الشرائع والمسامحة في الاحكام وقيل انهم كانوا يكتبون ه
بايديهم كتبا يحرفونها ويبدلونها ويقولون هذه من عند الله ويأخذ
بها ثمنا قليلا وهي الماكل التي يصيبونها من سفلتهم على تغيير نعت
النبي صلى الله عليه وسلم وصفته من كتبهم لانهم كانوا يخافون ولو
امنوا وصدقوه لذهب عنهم تلك الماكل وقيل ان التوراة كانت مشتملة
على ايات دالة على نعت النبي صلى الله عليه وسلم وكان الاحبار
والرهبان يذكرون في تاويلها وجوها فاسدة باطلة ويحرفون معانيها
طلبا للرياسة واخذ الاموال ومنع الناس عن الايمان وذلك قوله
تعالى **ويصدون عن سبيل الله** يعني ويمنعون الناس عن الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم والدخول في دين الاسلام **والذين يكنزون الذهب
والفضة** اصل الكنز في اللغة جعل بعضه على بعض وحفظه ومال مكنوز
اي مجموع واختلفوا في المراد بهولاء الذين ذمهم الله بسبب كنزهم الذهب
والفضة فقيل هم اهل الكتاب قال معاوية بن ابي سفيان لان الله
تعالى وصفهم بالحرص الشديد على اخذ اموال الناس بالباطل ثم وصفهم

بالبخل

بالبخل الشديد وهو جمع المال ومنع اخراج الحقوق الواجبة وقال
ابن عباس والسدي نزلت في مانعي الزكاة من المسلمين وذلك انه لما
ذكر قبح طريقة الاحبار والرهبان في الحرص على اخذ الاموال بالباطل
والمسلمين من ذلك وذكر وعيد من جمع المال ومنع حقوق الله منه
وقال ابو ذر نزلت في اهل الكتاب بالحرص على اخذ المال بالباطل
ثم ذكر بعده وعيد من جمع المال ومنع الحقوق الواجبة فيه سواء
كان من اهل الكتاب او من المسلمين خ عن زيد بن وهب قال مررت
بالربذة فاذا انا بابي ذر فقلت ما انزلك هذا المنزل قال كنت في الشام
فاختلفت انا ومعاوية في هذه الاية والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله فقال معاوية نزلت في اهل الكتاب فقلت
نزلت فينا وفيهم فكان بيني وبينه في ذلك كلام فكتب الى عثمان
يشكوني فكتب الي عثمان ان اقدم المدينة فقدمتها فكثر علي الناس
حتى كانهم لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت تنحيت
فكنت قريبا فذاك الذي انزلني هذا المنزل ولو امروا علي حبشيا
لسمعت واطعت • واختلف العلماء في معنى الكنز فقيل هو كل مال
وجبت فيه الزكاة فلم يؤد زكاته • روي عن ابن عمر انه قال لاعرابي
اخبرني عن قول الله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقو[نها]
في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم • قال ابن عمر من كنزها فلم يؤد زكاتها
فويل له هذا كان قبل ان تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهرا للاموال
اخرجه البخاري وفي رواية مالك عن عبد الله بن دينار قال سمعت
عبد الله بن عمر وهو يسأل عن الكنز ما هو فقال هو المال الذي لا
تؤدى منه الزكاة ورواه الطبري بسنده عن ابن عمر قال كل مال اديت
زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا • وروي عن علي بن ابي طالب قال
اربعة الاف فما دونها نفقة وما فوقها كنز وقيل الكنز كل فضل من المال
عن حاجة صاحبه اليه • روى الطبري بسنده عن ابي امامة قال توفي
رجل من اهل الصفة فوجدوا في مئزره دينارا فقال النبي صلى الله عليه
وسلم كية ثم توفي اخر فوجد في مئزره ديناران فقال النبي صلى الله عليه
وسلم كيتان كان هذا في اول الاسلام قبل ان تفرض الزكاة فكان يجب
على كل من فضل معه شيء من المال اخراجه لاحتياج غيره اليه فلما
فرضت الزكاة نسخ ذلك الحكم • عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الاية
والذين يكنزون الذهب والفضة كبر ذلك على المسلمين فقال عمر انا
افرج عنكم فانطلق فقال يا نبي الله انه كبر على اصحابك هذه الاية فقال
ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب ما بقي من اموالكم وانما فرض المواريث

وذكو كلمة لتكون لمن بعدكم قال فكبر عمر ثم قال له الا اخبرك بخير ما
يكنز المرء والمرأة الصالحة اذا نظر اليها سرته واذا امرها اطاعته
واذا غاب عنها حفظته اخرجه ابو داود عن ثوبان قال لما نزلت
والذين ينفقون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله كنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره فقال بعض
اصحابه انزلت في الذهب والفضة فلو علمنا اي المال خير اتخذناه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضله لسان ذاكر وقلب
شاكر وزوجة صالحة تعين المؤمن على ايمانه اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن والصحيح من هذه الاقوال القول وهو ما ذكره
عن ابن عمر وهو ان كل مال اديت زكاته فليس بكنز ولا يحرم على صاحبه
اكتنازه وان كثر وان كل مال لم تود زكاته فصاحبه معاقب عليه
وان قل اذا كان مما تجب فيه الزكاة ويستحق على منع الزكاة الوعيد
من الله الا ان يتفضل الله عز وجل عليه بعفوه وغفرانه ويدل
على ذلك ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يودي منها حقها الا اذا كان يوم
القيامة صفحت له صفائح من نار فاحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها
جبينه وجنبه وظهره كلما بردت اعيدت له في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار
قيل يا رسول الله فالابل قال ولا صاحب ابل لا يودي منها حقها ومن حقها
حلبها يوم ورودها الا اذا كان يوم القيمة بطح لها بقاع قرقر اوفر ما
كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطاه باخفافها وتعضه بافواهها
كلما مر عليه اولاها رد عليه اخراها في يوم كان مقداره خمسين الف سنة
حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل
يا رسول الله فالبقر والغنم قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يودي حقها
الا اذا كان يوم القيمة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيا ليس فيها
عقصا ولا جلحا ولا عضبا تنطحه بقرونها وتطاوه باظلافها كلما مر عليه
اولاها رد عليه اخراها في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى
بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار اخرجه مسلم بزيادة
فيه قوله كلما بردت اعيدت له هكذا هو في صحيح مسلم ردت بضم الراوي
بعضها بردت بالبا وهذا هو الصواب والرواية الاولى هو رد وانه الجمهور
قوله حلبها هو بفتح اللام على المشهور وحكى اسكانها وهو ضعيف قوله
بقاع قرقر هو المستوي من الارض الواسع الاملس والعقصا هي الشاة
الملتوية القرنين وانما استثناها لانها لا تولم بنطحها وكذا الجلحا

وهي

وهي الشاة التي لا قرن لها وكذا العضبا وهي الشاة المكسورة القرن ح
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله
مالا فلم يود زكاته مثل له ماله شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم
القيمة ثم ياخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول انا مالك انا
كنزك ثم تلا ولا تحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله
هو خيرا لهم الاية الشجاع الحية والاقرع صفة له بطول العمر لان من
طال عمره تمزق شعره وذهب وهي صفة اخبث الحيات والزبيبتان
هما الزبدتان في الشدقين واللهزمتان عظمان ناتيان في اللحيين
تحت الاذنين قوله تعالى **ولا ينفقونها في سبيل الله** يعني لا يودون
زكاتها وانما قال ينفقونها ولم يقل ينفقونهما لانه رد الكناية
الى المال المكنوز وهو اعيان الذهب والفضة وقيل رد الكناية
الى الفضة لانها اغلب اموال الناس **فبشرهم بعذاب اليم** يعني
للكافرين الذين لا يودون زكاة اموالهم ق عن ابي ذر قال انتهيت
الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما راني
قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم اتقار حتى
قمت فقلت يا رسول الله فداك ابي وامي من هم قال الاكثرون ه
اموالا الا من قال هكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن
شماله وقليل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يودي زكاتها
الا جاءت يوم القيمة اعظم ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطاوه
باظلافها كلما نفدت اخراها عادت عليه اولاها حتى يقضى بين
الناس هذا لفظ مسلم وفرقه البخاري في موضعين وقوله تعالى
يوم يحمى عليها يعني الكنوز فتدخل النار فيوقد عليها حتى تبيض
من شدة الحرارة **في نار جهنم فتكوى بها جباههم** يعني بالكنوز
جباه كانزيها **وجنوبهم وظهورهم** قال ابن مسعود لا يوضع دينار
على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار
ودرهم في موضع على حدته قال بعض العلما انما خص هذه الاعضا
بالكي من بين ساير الاعضا لان الغني صاحب المال اذا اتاه السايل
وطلب منه شيا فتبدو منه اثار الكراهة والمنع فعند ذلك يقطب
وجهه ويكلح وتجتمع اسارير وجهه فيتجعد جبينه ثم ان كرر السايل
الطلب ازاح في السوال ولاه ظهره واعرض عنه واستقبل جهة اخرى
وهي النهاية في الرد والغاية في المنع الدال على كراهة العطا والبذل
وهي داب مانعي البر والاحسان وعادة البخلا فلذلك خص هذه الاعضا
الثلاثة بالكي يوم القيمة وهو قوله **هذا ما كنزتم لانفسكم** اي يقال لهم

ذلك يوم القيمة **فذوقوا ما كنتم تكنزون** اى فذوقوا عذاب ما كنزتم
فى الدنيا من الاموال ومنعتم حق الله منها **ق** عن الاحنف بن قيس
قال قدمت المدينة فبينا انا فى حلق فيها ملا من قريش اذ جا رجل
خشن الثياب خشن الجسد خشن الوجه فقام عليهم فقال بشر الكانزين
برضف يحمى عليه فى نار جهنم فيوضع على حلمة ثدى احدهم حتى يخرج
من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثديه
يتزلزل قال فوضع القوم روسهم فما رايت احدا منهم رجع اليه شيا قال
فادبر فاتبعته حتى جلس الى سارية فقلت ما رايت هولاء الا كرهوا
ما قلت لهم فقال ان هولاء لا يعقلون شيا هذا لفظ مسلم وفيه زيادة
لم اذكرها وزاد البخارى فقلت من هذا قالوا ابو ذر قال فقمت اليه
فقلت ما شى سمعتك تقول قبيل ما قلت فقال الا شيا سمعته من
نبيهم صلى الله عليه وسلم **قوله عز وجل ان عدة الشهور عند الله
اثنى عشر شهرا** وهى المحرم • وصفر • وربيع الاول • وربيع الاخر •
وجمادى الاول • وجمادى الاخر • ورجب • وشعبان • ورمضان •
وشوال • وذو القعدة • وذو الحجة • وهذه شهور السنة القمرية
التى هى مبنية على سير القمر فى المنازل وهى شهور العرب التى يتعبد
بها المسلمون فى صيامهم ومواقيت حجهم واعيادهم وساير امورهم
واحكامهم وايام هذه الشهور ثلاثماية وخمسة وخمسون يوما والسنة
الشمسية عبارة عن دور الشمس فى الفلك دورة تامة وهى ثلاثماية
وخمسة وستون يوما وربع يوم فتنقص السنة الهلالية عن السنة
الشمسية عشرة ايام فبسبب هذا النقصان تدور السنة الهلالية
فيقع الصوم والحج تارة فى الشتا وتارة فى الصيف قال المفسرون
وسبب نزول هذه الاية من اجل النسى الذى كانت العرب تفعله
فى الجاهلية فكان يقع حجهم تارة فى وقته وتارة فى المحرم وتارة فى صفر
وتارة فى غيره من الشهور فاعلم الله عز وجل ان عدد الشهور سنة
المسلمين التى تعبدوا بها اثنى عشر شهرا على منازل القمر وسيره فيها
وهو قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله يعنى فى علمه وحكمه اثنى عشر
شهرا **فى كتاب الله** يعنى فى اللوح المحفوظ الذى كتب فيه جميع احوال
الخلق وما ياتون وما يذرون وقيل اراد بكتاب الله القران لان فيه
ايات تدل على الحساب ومنازل القمر لان فيه ايات تدل على الحساب وقيل
اراد بكتاب الله الحكم الذى اوجبه وامر عباده بالاخذ به **يوم خلق
السموات والارض** يعنى ان هذا الحكم حكم به وقضاه يوم خلق السموات
والارض السنة اثنى عشر شهرا **منها** يعنى من الشهور **اربعة حرم** وهى رجب

فرد وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثلاثة متوالية وانما سميت حرما
لان العرب فى الجاهلية كانت تعظمها وتحرم فيها القتال حتى لو ان احدهم
لقى قاتل ابيه وابنه واخيه فى هذه الاربعة اشهر لم يهجه ولما جاء
الاسلام لم يزدها الا حرمة وتعظيما ولان الحسنات والطاعات فيها
تتضاعف وكذلك السيات ايضا اشد من غيرها فلا يجوز انتهاك
حرمة الاشهر الحرم **ذلك الدين القيم** يعنى ذلك الحساب المستقيم والعدد
الصحيح المستوى فالدين هنا بمعنى الحساب ومنه قوله صلى الله عليه
وسلم الكيس من دان نفسه يعنى حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت
وقيل اراد بالدين القيم الحكم الذى لا يغير ولا يبدل والقيم هنا بمعنى
الدايم الذى لا يزول فالواجب على المسلمين الاخذ بهذا الحساب ٥
والعدد فى صومهم وحجهم واعيادهم وبياعاتهم واجل ديونهم وغير ذلك
من ساير احكام المسلمين المرتبة على الشهور **ق** عن ابى بكرة ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق
السموات والارض السنة اثنى عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مفرد الذى بين جمادى وشعبان
اى شهر هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه
بغير اسمه فقال اليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماكم واموالكم واعراضكم
عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا وستلقون
ربكم فيسالكم عن اعمالكم الا فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم
رقاب بعض الا ليبلغ الشاهد الغايب فلعل بعض من يبلغه
ان يكون اوعى له من بعض من سمعه ثم قال الا هل بلغت قلنا
نعم قال اللهم اشهد وقوله تعالى **فلا تظلموا فيهن انفسكم** قيل الكناية
فى فيهن ترجع الى جميع الاشهر اى لا تظلموا انفسكم فى جميع اشهر السنة
بفعل المعاصى وترك الطاعات لان المقصود منع الانسان من الاقدام
على المعاصى والفساد مطلقا فى جميع الاوقات الى الممات وقيل ان
الكناية ترجع الى الاشهر الحرم وهو قول اكثر المفسرين وقال قتادة العمل
الصالح اعظم اجرا فى الاشهر الحرم والظلم فيهن اعظم فيما سواهن وان
كان الظلم على كل حال عظيما وقال ابن عباس لا تظلموا فيهن انفسكم
يريد استحلال الحرام والغارة فيهن قال محمد بن اسحاق لا تجعلوا
حلالها حراما ولا حرامها حلالا كفعل اهل الشرك وهو النسى وقيل
ان الانفس مجبولة بطبعها على الظلم والفساد والامتناع عنه
على الاطلاق شاق على النفس لا جرم ان خص بعض الاوقات بمزيد
التعظيم والاحترام ليمتنع الانسان فى تلك الاوقات من فعل الظلم

والقبايح والمنكرات فلربما تركها في بعض الاوقات فتصير هذه
الاوقات الشريفة والاشهر المحرمة العظيمة سببا لترك الظلم وفعل
المعاصي في غيرها من الاشهر هذا اوجه الحكمة في تخصيص بعض الاشهر
على بعض بمزيد الشرف والتعظيم وكذلك الامكنة وقوله تعالى
وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة يعني قاتلوا المشركين باجمعكم
مجتمعين على قتالهم كما انهم يقاتلونكم على هذه الصفة والمعنى
تعاونوا وتناصروا على قتالهم وكونوا عباد الله مجتمعين على قتالهم
ولا تخاذلوا ولا تدابروا ولا تفشلوا ولا تجبنوا عن قتالهم وكونوا
عباد الله مجتمعين متوافقين في مقاتلة اعدايكم من المشركين ۵
واختلف العلما في تحريم القتال في الاشهر الحرم فقال قوم كانوا
كثيرا حراما ثم نسخ بقوله وقاتلوا المشركين كافة يعني في الاشهر
الحرم وفي غيرهن وهو قول قتادة وعطا الخراساني والزهري وسفيان
الثوري قالوا لان النبي صلى الله عليه وسلم غزا هوازن بحنين والطايف
بثقيف وحاصرهم في شوال وبعض ذي القعدة وقال اخرون انه
منسوخ قال ابن جريج حلف بالله عطا بن ابي رباح ما يحل للناس
ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم وما نسخت الا ان يقاتلوا فيها
واعلموا ان الله مع المتقين يعني بالنصر والمعونة على اعدايهم قوله تعالى
انما النسي زيادة في الكفر النسي في اللغة عبارة عن التاخير في الوقت
ومنه النسيئة في البيع ومعنى النسي المذكور في الاية هو تاخير شهر حرام
الى شهر اخر وذلك ان العرب في الجاهلية كانت تعتقد حرمة الاشهر
الحرم وتعظيمها وكان ذلك مما تمسكت به من ملة ابراهيم صلى الله عليه
وسلم وكانت عامة معايش العرب من الصيد والغارة فكان يشق
عليهم الكف عن ذلك ثلاثة اشهر متوالية وربما وقعت حروب في بعض
الاشهر الحرم فكانوا يكرهون تاخير حربهم الى الاشهر الحلال فنسبوا يعني
اخروا تحريم شهر الى اخر فكانوا يوخرون تحريم المحرم الى صفر فيستحلون
المحرم ويحرمون صفر فاذا احتاجوا الى تاخير تحريم صفر اخروه الى ربيع
الاول فكانوا يصنعون هكذا يوخرون شهرا بعد شهر حتى استدار التحريم
على السنة كلها وكانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجة عامين
ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذلك باقي شهور السنة
فوافقت حجة ابي بكر في السنة التاسعة قبل حجة الوداع في السنة
الثانية من ذي القعدة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام
المقبل حجة الوداع فوافق حجه في شهر ذي الحجة وهو شهر الحج المشروع فوقف
بعرفة في اليوم التاسع وخطب الناس في اليوم العاشر بمنى واعلمهم

ان

ان اشهر النسي قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الامر الى ما وضع
الله عليه حساب الاشهر يوم خلق السموات والارض وهو قوله صلى
الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض
الحديث المتقدم وامرهم بالمحافظة على ذلك لئلا يتبدل في مستانف
الايام • واختلفوا في اول من نسا النسي • فقال ابن عباس والضحاك
وقتادة ومجاهد اول من نسا بنو مالك بن كنانة وكان يليه ابو ثمامة
جنادة بن عوف بن امية الكناني • وقال الكلبي اول من فعل ذلك
كان رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان يكون على الناس
في الموسم فاذا هم الناس بالصدر قام فخطب الناس فيقول لا مرد لما
قضيت انا الذي لا اعاب ولا اجاب فيقول له المشركون لبيك ثم
يسالونه ان ينسيهم شهرا يغزون فيه فيقول ان صفر في هذا العام حرام
فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة من الرماح
وان قال حلال عقدوا اوتار القسي وركبوا الاسنة في الرماح واغاروا
وكان من بعد نعيم بن ثعلبة رجل يقال له جنادة بن عوف وهو الذي
ادرك النبي صلى الله عليه وسلم قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هو
رجل من بني كنانة يقال له القلمس قال شاعرهم وفينا ناسي الشهر
القلمس وكانوا يفعلون ذلك اذا اجتمعت العرب في الموسم • وروى
جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ان اول من سن النسي عمرو بن لحي بن
قمعة بن خندف والذي صح من حديث ابي هريرة وعايشة ان عمرو بن
لحي اول من سيب السوايب وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم رايت
عمرو بن لحي يجر قصبه في النار هذا ما ورد في تفسير النسي الذي ذكره
الله في قوله انما النسي زيادة في الكفر يعني زيادة كفر على كفرهم وسبب
هذه الزيادة انهم امروا بايقاع فعل في وقته من الاشهر الحرم ثم انهم
بسبب اغراضهم الفاسدة اخروه الى وقت اخر بسبب ذلك النسي
فاوقعوه في غير وقته من الاشهر الحرم وكان ذلك الفعل زيادة في كفرهم
يضل به الذين كفروا قرى يضل بفتح اليا وكسر الضاد ومعناه يضل
بالنسي الذين كفروا واتباعهم من الناس وهم ايضا ضلال في انفسهم وقرى
يضل بضم اليا وفتح الضاد ومعناه ان كبارهم اضلوهم وحملوهم عليه
وقرى يضل به الذين كفروا بضم اليا وكسر الضاد ومعناه يضل الله به
الذين كفروا او يضل به الشيطان الذين كفروا بتزيين ذلك لهم وقيل
معناه يضل به الذين كفروا اتباعهم تابعيهم والاخذين بافعالهم وهذا
الوجه اقوى الوجهين في تفسير قراة من قرا يضل بضم اليا وكسر الضاد
يحلونه عاما ويحرمونه عاما يعني يحلون ذلك الانسا عاما ويحرمونه

عاما والمعنى يحلون الشهر المحرم عاما فيجعلونه حلالا ليغيروا فيه
ويحرمونه عاما فيجعلونه محرما فلا يغيروا فيه ليواطئوا يعني ليوافقوا
عدة ما حرم الله يعني انهم ما احلوا شهرا من المحرم الا حرموا مكانه
شهرا من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا احلوا مكانه شهرا من المحرم
لاجل ان يكون عدد الاشهر الحرم اربعة كما حرم الله فيكون ذلك موافقة
في العدد لا في الحكم فذلك قوله تعالى فيحلوا ما حرم الله فيحلوا ما
حرم الله زين لهم سوء اعمالهم قال ابن عباس زين لهم الشيطان هذا
العمل والله لا يهدي القوم الكافرين يعني انه تعالى لا يرشد من هو
كافر اثيم لما سبق له في الازل انه من اهل النار **قوله عز وجل**
يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى
الارض نزلت هذه الاية في الحث على غزوة تبوك وذلك ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطايف امر بالجهاد لغزوة الروم
وكان ذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحر حين طاب الظلال
ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها
حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر
شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا وعددا كثيرا فجلى للمسلمين امرهم
ليتاهبوا اهبة عدوهم فشق عليهم الخروج وتثاقلوا فانزل الله عز
وجل هذه الاية يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا يعني قال
لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم انفروا في سبيل الله اي اخرجوا الى
الجهاد يقال استنفر الامام الناس اذا حثهم على الخروج الى الجهاد
ودعاهم اليه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا استنفرتم فانفروا
والاسم النفير اثاقلتم اي تثاقلتم وتباطيتم عن الخروج الى الغزو الى
الارض ولزمتم ارضكم ومساكنكم وانما استثقل ذلك الغزو لشدة
الزمان وضيق الوقت وشدة الحر وبعد المسافة والحاجة الى كثرة
الاستعداد من العدد والزاد وكان ذلك الوقت وقت ادراك ثمار
المدينة وطيب ظلالها وكان العدو كثيرا فاستثقل الناس تلك
الغزوة فعاتبهم بقوله ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة يعني ارضيتم
بخفض العيش وزهرة الدنيا ونعيمها من نعيم الاخرة فما متاع الحياة
الدنيا في الاخرة الا قليل يعني ان لذات الدنيا ونعيمها فان زايل ينفذ
عن قليل ونعيم الاخرة باق على الابد فلهذا السبب كان متاع الدنيا
قليل بالنسبة الى نعيم الاخرة وفي الاية دليل على وجوب الجهاد في كل
حال وفي كل وقت لان الله تعالى نص على ان تثاقلتم عن الجهاد امر
منكر فلو لم يكن الجهاد واجبا لما عاتبهم على ذلك التثاقل ويوكد هذا

الوعيد المذكور في الاية وهي قوله الا تنفروا يعني فان لم تنفروا ايها
المومنون الى من استنفركم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعذبكم
اي الله عذابا اليما يعني في الاخرة لان العذاب الاليم لا يكون الا في
الاخرة وقيل ان المراد به احتباس المطر في الدنيا قال نجدة بن نفيع
سالت ابن عباس عن هذه الاية قال استنفر رسول الله صلى الله عليه
وسلم حيا من احيا العرب فتثاقلوا فامسك الله عنهم المطر فكان
ذلك عذابهم ويستبدل قوما غيركم يعني خيرا منكم واطوع قال سعيد
ابن جبير هم ابنا فارس وقيل هم اهل اليمن وفيه تنبيه على ان الله عز
وجل قد تكفل بنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم واعزاز دينه فان سارعوا
معه الى الخروج الى حيث استنفروا حصلت النصرة بهم ووقع اجرهم
على الله عز وجل وان تثاقلوا وتخلفوا عنه حصلت النصرة بغيرهم
وحصلت العقبى لهم ولئلا يتوهموا ان اعزاز رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونصرته لا تحصل الا بهم وهو قوله تعالى ولا تضروه شيئا قيل الضمير
راجع الى الله تعالى يعني ولا تضروا الله شيئا لانه غني عن العالمين وانما
تضرون انفسكم بترككم الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
الضمير راجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ولا تضروا محمدا صلى
الله عليه وسلم شيئا فان الله ناصره على اعدايه ولا يخذله والله على
كل شيء قدير يعني انه تعالى قادر على كل شيء فهو ينصر نبيه ويعز دينه قال
الحسن وعكرمة هذه الاية منسوخة بقوله وما كان المومنون لينفروا
كافة وقال الجمهور هذه الاية محكمة لانها خطاب لقوم استنفرهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفروا كما نقل عن ابن عباس وعلى هذا
التقدير فلا نسخ **قوله عز وجل** الا تنصروه فقد نصره الله يعني ان لا
تنصروا محمدا صلى الله عليه وسلم ايها المومنون هذا خطاب لمن تثاقل
عن الخروج معه الى تبوك فاعلم الله عز وجل انه هو المتكفل بنصرة رسوله
واعزاز دينه واعلا كلمته اعانوه او لم يعينوه وانه قد نصره عند قلة
الاوليا وكثرة الاعدا فكيف به اليوم وهو في كثرة من العدد والعدد
اذ اخرجه الذين كفروا يعني انه تعالى نصره في الوقت الذي اخرجه
كفار مكة من مكة حين مكروا به وارادوا قتله ثاني اثنين يعني هو
واحد اثنين وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديق اذ هما في
الغار يعني اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر في الغار والغار
نقب عظيم يكون في الجبل وهذا الغار في جبل ثور وهو قريب من مكة
اذ يقول لصاحبه لا تحزن يعني يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
لابي بكر الصديق لا تحزن وذلك ان ابا بكر خاف من الطلب ان يعلموا بمكانهم

تخوج من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله
معنا يعني بالنصر والمعونة قال الشعبي عاتب الله عز وجل اهل
الارض جميعا في هذه الاية غير ابا بكر وقال الحسين بن الفضل من
قال ان ابا بكر لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر
لانكاره نص القران وفي سائر الصحابة اذا انكر يكون مبتدعا ولا يكون
كافرا ه عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر انت
صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب ق عن ابي بكر الصديق قال نظرت الى اقدام المشركين
ونحن في الغار وهم على رؤسنا فقلت يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى
قدميه ابصرنا تحت قدميه فقال ما ظنك يا ابا بكر باثنين الله ثالثهما
قال الشيخ محيي الدين النواوي معناه ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ
والتسديد وهو داخل في قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم
محسنون وفيه بيان عظم توكل النبي صلى الله عليه وسلم حتى في هذا
المقام وفيه فضيلة لابي بكر وهي من اجل مناقبه والفضيلة من اوجه
منها اللفظ الدال على ان الله ثالثهما ومنها بذله نفسه ومفارقته
اهله وماله ورياسته في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم
وملازمته النبي صلى الله عليه وسلم ومعاداة الناس فيه ومنها جعله
نفسه وقاية وغير ذلك روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه ذكر
عنده ابا بكر فقال وددت ان عملي كله مثل عمله يوما واحدا من ايامه
وليلة واحدة من لياليه اما ليلته فليلة سار مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى الغار فلما انتهى اليه قال والله لا تدخله حتى ادخل قبلك
فان كان فيه شيء اصابني دونك فدخله فكسحه ووجد في جانبه ثقبا فشق
ازاره وسدها به وبقي منها ثقبان فالقمهما رجليه ثم قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع
راسه في حجره ونام فلدغ ابو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك مخافة ان
ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك يا ابا بكر قال لدغت
فداك ابي وامي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما
يجده ثم انتقض عليه وكان سبب موته واما يومه فلما قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب وقالوا لا نؤدي الزكاة فقال
لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه فقلت يا خليفة رسول الله تالف
الناس وارفق بهم فقال لي اجبار في الجاهلية وخوار في الاسلام انه
قد انقطع الوحي وتم الدين اينقص وانا حي اخرجه في جامع الاصول ولم يرقم

عليه

عليه علامة لاحد قال البغوي وروي عنه انه حين انطلق مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى الغار جعل يمشي ساعة بين يديه وساعة
خلفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك يا ابا بكر فقال
اذكر الطلب فامشي خلفك ثم اذكر الرصد فامشي بين يديك فلما
انتهينا الى الغار قال مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الغار
فدخل فاستبراه ثم قال انزل يا رسول الله فنزل وقال له ان اقتل
فانا رجل واحد من المسلمين وان قتلت هلكت الامة ذكر
سياق حديث الهجرة وهو من افراد البخاري عن عائشة
قالت لم اعقل ابوي الا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم الا ياتينا
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرة وعشية فلما ابتلي المسلمون خرج
ابو بكر مهاجرا نحو ارض الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة
وهو سيد القارة فقال اين تريد يا ابا بكر فقال ابو بكر اخرجني قومي فاريد
ان اسيح في الارض فاعبد ربي فقال ابن الدغنة فان مثلك لا يخرج يا ابا
بكر ولا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري
الضيف وتعين على نوائب الحق فانا لك جار فارجع واعبد ربك
ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة في
اشراف كفار قريش فقال ان ابا بكر لا يخرج مثله اتخرجون رجلا يكسب
المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب
الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وامنوا ابا بكر وقالوا لابن
الدغنة مر ابا بكر فليعبد ربه في داره وليصل فيها وليقرا ما شاء ولا
يؤذينا بذلك ولا يستعلن فانا نخشى ان تفتن نساءنا وابناءنا
فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر فلبث ابو بكر بذلك يعبد ربه في
داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرا في غير داره ثم بدا لابي بكر
فابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلي فيه ويتقصف عليه المشركين نسا
وابناؤهم يعجبون منه وينظرون اليه فكان ابو بكر رجلا بكاء لا يملك
عينيه اذا قرا القران فافزع ذلك اشراف قريش من المشركين فارسلوا
الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا اجرنا ابا بكر بجوارك
على ان يعبد ربه في داره فجاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره
فاعلن بالصلاة والقراءة وانا قد خشينا ان يفتن نساءنا وابناءنا
فانه فان احب ان يقتصر على ان يعبد ربه في داره فليفعل وان ابى
الا ان يعلن بذلك فسله ان يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا ان نخفرك
ولسنا مقرين لابي بكر الاستعلان قالت عائشة فاتى ابن الدغنة

الى ابى بكر فقال قد علمت الذى عاهدت لك عليه فاما ان تقتصر
على ذلك واما ان ترجع الى ذمتى فانى لا احب ان تسمع العرب انى
اخفرت فى رجل عقدت له فقال ابو بكر انى ارد اليك جوارك وارضى
بجوار الله والنبى صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة فقال النبى صلى
الله عليه وسلم انى رايت دار هجرتكم سبخة ذات نخل بين لابتين
وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان بارض
الحبشة الى المدينة وتجهز ابو بكر قبل المدينة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم على رسلك فانى ارجو ان يوذن لى فقال ابو
بكر وهل ترجو ذلك بابى انت وامى قال نعم فحبس ابو بكر نفسه على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلف راحلتين كانتا عنده من
ورق السمر وهو الخبط اربعة اشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت
عائشة فبينما نحن يوما جلوس فى بيت ابى بكر فى نحو الظهيرة قال
قائل هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا فى ساعة لم يكن
ياتينا فيها فقال ابو بكر فدى له ابى وامى والله ما جاء به فى هذه
الساعة الا امر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذن
فاذن له فدخل فقال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بكر اخرج من
عندك فقال ابو بكر انما هم اهلك بابى انت وامى يا رسول الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال ابو بكر فخذ بابى انت وامى يا
رسول الله احدى راحلتى هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالثمن قالت فجهزناهما احب الجهاز ووضعنا لهما سفرة فى جراب
فقطعت اسماء بنت ابى بكر قطعة من نطاقها فربطت به فم الجراب ة
فبذلك سميت ذات النطاقين قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه
وسلم وابو بكر بغار فى جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد
الرحمن بن ابى بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر
فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع امرا يكادان به الا وعاه
حتى ياتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن
فهيرة مولى ابى بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة
من العشاء فيبيتان فى رسل حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس
يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالى الثلاث واستاجر رسول
الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بنى الديل وهو من بنى عبد بن
عدى هاديا خريتا والخريت الماهر بالهداية وقد غمس حلفا فى ال
العاص بن وائل السهمى وهو على دين كفار قريش فامناه فدفعا اليه
راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما صبح ثلاث

فارتحلا

فارتحلا وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل الديلى فاخذ بهم
طريق السواحل وفى رواية الساحل • قال ابن شهاب فاخبرنى عبد
الرحمن بن مالك المدلجى وهو ابن اخى سراقة بن جعشم ان اباه اخبره
انه سمع سراقة بن جعشم يقول جانا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكفار قريش يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر دية
لكل واحد منهما لمن قتله واسره فبينما انا جالس فى مجلس قومى بنى مدلج
اقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة انى رايت
انفا اسودة بالساحل اراها محمدا واصحابه قال سراقة فعرفت انهم
هم فقلت له انهم ليسوا بهم ولكنك رايت فلانا وفلانا انطلقوا
باعيننا ثم لبثت فى المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فامرت جاريتى
ان تخرج بفرسى وهى من وراء اكمة فتحبسها على واخذت رمحى فخرجت به
من ظهر البيت فخططت بزجه الارض وخفضت عاليه حتى اتيت فرسى
فركبتها فرفعتها تقرب حتى دنوت منهم فعثرت بى فرسى فخررت عنها
فقمت فاهويت بيدى الى كنانتى فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت
بها اضرهم ام لا فخرج الذى اكره فركبت وعصيت الازلام تقرب بى
حتى اذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو
بكر يكثر الالتفات ساخت يدى فرسى فى الارض حتى بلغتا الركبتين
فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة
اذا لاثر يديها غبار ساطع فى السماء مثل الدخان فاستقسمت بالازلام
فخرج الذى اكره فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسى حتى جئتهم ووقع
فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم ان سيظهر امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك الدية واخبرتهم
عما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزانى ولم يسالانى
الا ان قالا اخف عنا ما استطعت فسالته ان يكتب لى كتابا فامر
عامر بن فهيرة فكتب لى فى رقعة من ادم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ابن شهاب عن عروة بن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقى الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام
فكسى الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر ثياب بيض
وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة
فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة
فانقلبوا يوما بعد ما اطالوا انتظارهم فلما اووا الى بيوتهم اوفى رجل
من اليهود على اطم من اطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك

اليهودى ان قال با علا صوته يا معشر العرب هذا احدكم الذى
تنتظرونه قال فثار المسلمون الى السلاح فلقوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى
بنى عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام ابو
بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق
من جا من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيى ابا
بكر حتى اصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل ابو
بكر حتى ظلل عليه بردايه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه
وسلم عند ذلك فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى عمرو
ابن عوف بضع عشرة ليلة واسس المسجد الذى اسس على
التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته
فسار يمشى معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول الله صلى الله
عليه وسلم بالمدينة وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين
وكان مربدا للتمر لسهل وسهيل غلامين يتيمين فى حجر اسعد
ابن زراره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت ناقته
هذا ان شا الله تعالى المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا فقالا بل نهبه لك
يا رسول الله ثم بناه مسجدا فطفق رسول الله صلى الله عليه
وسلم ينقل معهم اللبن فى بنيانه ويقول وهو ينقل اللبن هذا
الحمال لا حمال خيبر • هذا ابر ربنا واطهر ويقول اللهم ان الاجر
اجر الاخرة • فارحم الانصار والمهاجره فتمثل بشعر رجل من المهاجرين
لم يسم لى قال ابن شهاب ولم يبلغنا فى الحديث ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذه الابيات اخرجه البخارى
بطرقه

شرح غريب الفاظ الحديث

قولها لم اعقل
ابوى الا وهما يدينان الدين يعنى انهما كانا ينقادان الى الطاعة وبرك
الغماد بفتح البا من برك وكسر الغين المعجمة اسم موضع بينه وبين
مكة خمس ليال مما يلى ساحل البحر الى المدينة من بلاد غفار وقيل
موقلب مما لبنى ثعلبة قوله تكسب المعدوم فيه قولان احدهما
انه لقوة سعده وحظه من الدنيا لا يتعذر عليه كسب كل شى حتى
المعدوم الذى يتعذر كسبه على غيره والقول الثانى انه يملك الشى
المعدوم المتعذر لمن لا يقدر عليه فقيد وصفه بالاحسان والكرم
والكل ما يثقل حمله من حقوق الناس وصلة الارحام والقيام بامر
العيال واقرا الضيف ونوايب الحق ما ينوب الانسان من المعادم

وقضا

وقضا الحقوق لمن يقصده انالك جارای حام وناصر ومدافع عنك
والاستعلان الاعلان اظهار المختفى وقوله تنتقض الناس عليه
يعنى ازدحموا عليه والذمة العهد والامان واحقارهما نقضهما واللا
الجبل والحرة الارض التى يعلوها حجارة سود يقال افعل الشى على
رسلك بكسر الراى على هينتك والراحلة البعير القوى على الحمل
والستر والظهيرة وقت شدة الحر والنطاق حبل اونحوه تشد به المراة
وسطها فترفع ثوبها من تحتها فتعطف طرفا من اعلاه الى اسفل لئلا
يصل الى الارض وقوله ثقف لقن يقال ثقف الرجل ثقافة اذا صار
حاذقا فطنا واللقن السريع الفهم والادلاج بتخفيف الدال سير اول
الليل وبتشديدها سير اخره والمنيحة الشاة ذات اللبن والرسل
بكسر الرا وسكون السين وهو اللبن يقال ثقف الراعى بالغنم اذا
دعاها لتجتمع اليه والغلس ظلام اخر الليل والخريت تقدم شرحه
فى الحديث وهو الماهر بالهداية واراد به هداية الطريق وهو الدليل
وقد غمس فلان حلفا فى ال فلان اذا اخذ بنصيب من عهدهم وحلفهم
والاسودة الاشخاص والاكمة التل المرتفع من الارض يقال قرب الفرس
يقرب تقريبا اذا اعدا عدوا دون الاسراع والكنانة هى اى الجعبة التى
تجعل فيها السهام والازلام القداح التى كانوا يستقسمون بها عند طلب
الحوايج كالفال والعثان الغبار يقال ما رزات فلانا شيا اى ما اصبت
منه شيا والمراد انهم يأخذوا منه شيا وقوله اوفى اى اشرف واطلع
والاطم البنا المرتفع كالحصن وقوله مبيضين هو بكسر اليام ذوا ثيابات
بيض والمربد الذى فيه موضع التمر كالبيدر وقوله هذا الحمال هو
بالحا المهملة يعنى هذا الحمل والمحمول من اللبن ابر عند الله واطهر
وابقى ذخرا وادوم منفعة فى الاخرة لا حمال خيبر يعنى ما يحمل من
خيبر من التمر والزبيب والطعام المحمول منها والمعنى ان ذلك
الحمل الذى يحمله من اللبن لاجل عمارة المسجد افضل مما يحمل من
خيبر وقد روى هذا الجمال بالجيم من الجمال والرواية الاولى اشهر
واكثر والله اعلم • قال الزهرى لما دخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم وابو بكر الغار ارسل الله تعالى زوجا من حمام حتى باضتا فى اسفل
النقب ونسجت العنكبوت بيتا وقيل اتت يمامة على فم الغار وقال
النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعل الطلب يضربون
يمينا وشمالا حول الغار يقولون لو دخلا هذا الغار لتكسر بيض الحمام
وتفسخ بيت العنكبوت ووجدت فى بعض التفاسير شعرا وقد نسبه
الى ابى بكر الصديق وهو قوله • • •

قال النبي ولم يجزع يوقرني • ونحن في سدف في ظلمة الغار •
لا تخش شيئا فان الله ثالثنا • وقد تكفل لي منه باظهار •
وانما كيد من تخشى بوادره • كيد الشياطين قد كادت لكفار •
والله مهلكهم طرا بما صنعوا • وجاعل المنتهى منهم الى النار •

وقوله تعالى **فانزل الله سكينته عليه** يعني فانزل الله الطمانينة والسكون على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس على ابي بكر لان النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليه السكينة من قبل ذلك

فصل

في الوجوه المستنبطة من هذه الاية الدالة على فضل ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه • منها ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اختفى في الغار من الكفار كان مطلعا على باطن ابي بكر الصديق في سره واعلانه وانه من المومنين الصادقين المصدقين المخلصين فاختار صحبته في ذلك المكان المخوف لعلمه بحاله • ومنها ان هذه الهجرة كانت باذن الله تعالى فخص الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ابا بكر دون غيره من اهله وعشيرته وهذا التخصيص يدل على شرف ابي بكر وفضله على غيره • ومنها ان الله عاتب اهل الارض بقوله الا تنصروه فقد نصره الله سوى ابا بكر الصديق وهذا دليل على فضله ومنها ان ابا بكر لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر بل كان ملازما له وهذا دليل على صدق محبته وصحة صحبته له • ومنها ان مواسته للنبي صلى الله عليه وسلم في الغار وبذل نفسه وفي هذا دليل على فضله • ومنها ان الله تعالى جعله ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ثاني اثنين اذ هما في الغار وفي هذا نهاية الفضيلة لابي بكر وقد ذكر بعض العلما ان ابا بكر كان ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في اكثر الاحوال • ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا الخلق الى الايمان فكان ابو بكر اول من آمن ثم دعا ابو بكر الى الايمان بالله ورسوله فاستجاب له عثمان وطلحة والزبير فامنوا على يد ابي بكر ثم حملهم الى النبي صلى الله عليه وسلم • ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقف في موقف من غزواته الا وابو بكر معه في ذلك الموقف • ومنها انه لما مرض صلى الله عليه وسلم قام مقامه في الامامة فكان ثانيه • ومنها انه ثانيه في تربته وفي هذا دليل على فضل ابي بكر رضي الله عنه • ومنها ان الله تعالى نص على صحبة ابي بكر دون غيره بقوله اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا • ومنها انزال السكينة على ابي

بكر واختصاصه بها دليل على فضله والله اعلم وقوله تعالى **وايده بجنود لم تروها** يعني وايد النبي صلى الله عليه وسلم بانزال الملايكة ليصرفوا وجوه الكفار وابصارهم عن رويته • وقيل القى الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا • وقال مجاهد والكلبي اعانه بالملايكة يوم بدر فاخبر الله تعالى انه نصره وصرف عنه كيد الاعدا وهو في الغار في حال القلة والخوف ثم نصره بالملايكة يوم بدر **وجعل كلمة الذين كفروا السفلى** يعني كلمة الشرك فهي سفلى الى يوم القيامة **وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم** قال ابن عباس هي قول لا اله الا الله فهي باقية الى يوم القيمة عالية وقيل ان كلمة الذين كفروا هي ما كانوا قدروا فيما بينهم من الكيد بالنبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه وكلمة الله ما وعده بالنصر والظفر بهم فكان ما وعده الله حقا وصدقا قوله تعالى **انفروا خفافا وثقالا** يعني انفروا على الصفة التي يخف عليكم الجهاد وعلى الصفة التي يثقل عليكم وهذان الوصفان يدخل تحتهما اقسام كثيرة فلهذا اختلف عبارات المفسرين فيها فقال الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة يعني شبابا وشيوخا • قال ابن عباس نشاطا وغير نشاط • وقال عطية العوفي ركبانا ومشاة • وقال ابو صالح خفافا من المال يعني فقرا وثقالا يعني اغنيا • وقال ابن زيد الخفيف الذي لا ضيعة له والثقيل الذي له الضيعة يكره ان يدع ضيعته وروي عن ابن عباس قال خفافا اهل اليسرة من المال وثقالا يعني مستكثرين منه وقيل مشاغيل وغير مشاغيل • وقيل اصحاء ومرضى وقيل عزابا ومتاهلين • وقيل خفافا من الحاشية والاتباع وثقالا يعني بعد التروي فيه والاستعداد له والصحيح ان هذا عام لان هذه الاحوال كلها داخل تحت قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا يعني على اي حالة كنتم فيها **فان قلت** فعلى هذا يلزم الجهاد لكل احد حتى المريض والزمن والفقير وليس الامر كذلك فما معنى هذا الامر **قلت** من العلما من حمله على الوجوب ثم انه نسخ قال ابن عباس نسخت هذه الاية بقوله وما كان المومنون لينفروا كافة الاية • وقال السدي نسخت بقوله ليس على الضعفا ولا على المرضى الاية • ومنهم من حمل هذا الامر على الندب • قال مجاهد ان ابا ايوب الانصاري شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف عن غزوة غزاها المسلمون بعده فقيل له في ذلك فقال سمعت الله عز وجل يقول

انفروا خفافا وثقالا ولا احد في الا خفيفا او ثقيلا • وقال الزهري
خرج سعيد بن المسيب وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك
عليل صاحب ضر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم
يمكني الحرب فكثرة السواد وحفظ المتاع • وقال صفوان بن
عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا قد سقط حاجباه على
عينيه من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم
انت معذور عند الله فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخي استنفرنا
الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه يبتليه والصحيح هو القول
الاول انها منسوخة ولان الجهاد من فروض الكفايات ويدل
عليه ان هذه الاية نزلت في غزوة تبوك وان النبي صلى الله عليه
وسلم خلف في المدينة في تلك الغزوة النساء وبعض الرجال
فدل على ان الجهاد من فروض الكفايات ليس على الاعيان
والله اعلم وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله فيه قولان
الاول ان الجهاد انما يجب على من له مال يتقوى به على تحصيل
الات الجهاد ونفس سليمة قوية صالحة للجهاد فيجب عليه فرض
الجهاد والقول الثاني ان من كان له مال وهو مريض او مقعد
او ضعيف لا يصلح للحرب فعليه الجهاد بماله بان يعطيه غيره
ممن يصلح للجهاد فيغزو بماله فيكون مجاهدا بماله دون نفسه
ذلكم خير لكم يعني ذلك الجهاد خير لكم من القعود والتثاقل عنه
وقيل معناه ان الجهاد خير حاصل لكم ثوابه ان كنتم تعلمون يعني
ان ثواب الجهاد خير لكم من القعود عنه ثم نزل في المنافقين الذين
تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قوله
عز وجل لو كان عرضا قريبا فيه اضمار تقديره لو كان ما تدعوهم
اليه عرضا يعني غنيمة سهلة قريبة التناول والعرض ما عرض
لك من منافع الدنيا ومتاعها يقال الدنيا عرض حاضر ياكل
منه البر والفاجر وسفرا قاصدا يعني سهلا قريبا لاتبعوك
يعني لخرجوا معك ولكن بعدت عليهم الشقة اي المسافة
والشقة السفر البعيد لانه يشق على الانسان سلوكها ومعنى
الاية لو كان العرض قريبا والغنيمة سهلة والسفر قاصدا
لاتبعوك طمعا في تلك المنافع التي تحصل لهم ولكن لما كان
السفر بعيدا وكانوا يستعظمون غزو الروم لا جرم انهم تخلفوا
لهذا السبب ثم اخبر الله تعالى عنهم انه اذا رجع من هذا الجهاد انهم
يحلفون بالله وهو قوله تعالى وسيحلفون بالله يعني ان المنافقين

الذين

الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة لو
استطعنا لخرجنا معكم يعني الى هذه الغزوة يهلكون انفسهم يعني
بسبب هذه الايمان الكاذبة والنفاق وفيه دليل على ان الايمان
الكاذبة تهلك صاحبها والله يعلم انهم لكاذبون في ايمانهم وهو
قولهم لو استطعنا لخرجنا معكم لانهم كانوا مستطيعين الخروج
قوله عز وجل عفا الله عنك لم اذنت لهم قال الطبري هذا عتاب
من الله عز وجل عاتب به نبيه صلى الله عليه وسلم اي في اذنه لمن اذن
له في التخلف عنه من المنافقين حين شخص الى تبوك لغزو الروم والمعنى
عفا الله عنك يا محمد ما كان منك في اذنك لهؤلاء المنافقين الذين
استاذنوك في ترك الخروج معك الى تبوك قال عمرو بن ميمون الازدي
اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء اذنه
للمنافقين واخذه الفدا من اسارى بدر فعاتبه الله كما تسمعون وقال
سفيان بن عيينة انظر هذا اللطف بداه بالعفو قبل ان يعيره بالذنب

فصل استدل بهذه الاية من يرى جواز صدور الذنوب من الانبيا
وبيانه من وجهين احدهما انه تعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعي
سابقة الذنب • الوجه الثاني انه قال تعالى لم اذنت لهم وهذا
استفهام معناه الانكار والجواب عن الاول انا لا نسلم ان قوله تعالى عفا
الله عنك يوجب صدور الذنب بل نقول ان ذلك يدل على المبالغة
في التعظيم والتوقير فهو كما يقول الرجل لغيره اذا كان معظما له عفا
الله عنك ما صنعت في امري رضي الله عنك ما جوابك عن كلامي
وعافاك الله وغفر لك على هذه الالفاظ في ابتدا الكلام وافتتاحه
يدل على تعظيم المخاطب به قال علي بن الجهم يخاطب المتوكل

عفا الله عنك الا • تجود بفضلك يا ابن العلا •
الم تر عبدا عدا طوره • ومولى عفا ورشيدا اهدى •
اقلني اقالك من لم يزل • يقيك ويصرف عنك الردى •

والجواب عن الثاني انه لا يجوز ان يكون المراد بقوله لم اذنت لهم
الانكار عليه وبيانه اما ان يكون قد صدر منه ذنب في هذه الواقعة
او لا فان كان قد صدر عنه ذنب فذكر الذنب بعد العفو لا يليق فقوله
عفا الله عنك يدل على حصول العفو وبعد حصول العفو يستحيل ان
يتوجه الانكار عليه وان لم يكن قد صدر عنه ذنب امتنع الانكار فثبت
بهذا ان هذا الانكار ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم • وقال القاضي عياض
في كتابه الشفا في الجواب عن قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فانه امر
لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعده معصية

بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك او قال به
وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له
ان يفعل ما يشا فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله له فاذن
لمن شيت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه
لو لم ياذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هنا بمعنى
غفر بل كما قال النبي صلى الله عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق
ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه قال القشيري وانما يقول
العفو لا يكون الا عن ذنب من يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله
عنك اي لم يلزمك ذنب • قال الداودي انها تكرمة • وقال مكي
هو افتتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك • وحكى السمرقندي ان
ان معناه عافاك الله • وقيل معناه ادام الله لك العفو **لم اذنت لهم**
يعني في التخلف عنك وهذا يحمل على ترك الاولى والاكمل لا سيما
وهذه كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا **حتى يتبين**
لك الذين صدقوا يعني في اعتذادهم **وتعلم الكاذبين** يعني فيما
يعتذرون به قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت براة قوله تعالى **لا يستاذنك الذين**
يومنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في ان
يجاهدوا وانما حسن هذا الحذف لظهوره **والله عليم بالمتقين** يعني
الذين يتقون مخالفته ويسارعون الى طاعته **انما يستاذنك الذين**
يعني في التخلف عن الجهاد معك يا محمد من غير عذر **الذين لا يومنون**
بالله واليوم الاخر وهم المنافقون لقوله **وارتابت قلوبهم** يعني شكت
قلوبهم في الايمان وانما اضاف الشك والارتياب الى القلب لانه محل
المعرفة والايمان ايضا فاذا دخله الشك كان ذلك نفاقا **فهم في ريبهم**
يترددون يعني ان المنافقين متحيرين لا مع الكفار ولا مع المومنين
وقد اختلف علما الناسخ والمنسوخ في هذه الايات فقيل انها منسوخة
بالاية التي في سورة النور وهي قوله تعالى ان الذين يستاذنونك اوليك
الذين يومنون بالله ورسوله فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن
شيت منهم الاية وقيل انها محكمات كلها ووجه الجمع بين هذه الاية ان
الذين كانوا يسارعون الى طاعة الله وجهاد عدوهم من غير استيذان
فاذا عرض لاحدهم عذر واستاذن في التخلف فكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم مخيرا في الاذن لهم بقوله تعالى فاذن لمن شيت منهم واما المنافقون
فكانوا يستاذنونك في التخلف من غير عذر فعيرهم الله تعالى بهذا ه
الاستيذان لكونه بغير عذر **ولو ارادوا الخروج** يعني الى الغزو معكم

لاعدوا

لاعدوا له عدة لتاهبوا له باعداد آلات السفر وآلات القتال من الكراع
والسلاح **ولكن كره الله انبعاثهم** يعني خروجهم الى الغزو معكم **فثبطهم**
يعني منعهم وحبسهم عن الخروج معكم والمعنى ان الله تعالى كره خروج
المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصرفهم عنهم وههنا يتوجه
سوال وهو ان خروج المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اما
ان يكون فيه مصلحة او مفسدة فان كان فيه مصلحة فلم قال ولكن
كره الله انبعاثهم فثبطهم وان كان فيه مفسدة فلم عاتب نبيه صلى الله عليه
وسلم في اذنه لهم بالعفو والجواب عن هذا السوال ان خروجهم
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيه مفسدة عظيمة بدليل انه
تعالى اخبر عن تلك المفسدة بقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا
نفي فلم عاتب الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم فيقول
انه صلى الله عليه وسلم اذن لهم قبل تمام الفحص واكمال التامل والتدبر
في حالهم فلهذا السبب قال تعالى لم اذنت لهم • وقيل انما عاتبه لاجل
انه اذن لهم قبل ان يوحى اليه في امرهم بالقعود **وقيل اقعدوا مع القا** عدين
معناه انهم لما استاذنوه في القعود قيل لهم اقعدوا مع القاعدين وهم
النسا والصبيان والمرضى واهل الاعذار ثم اختلفوا في القايل من هو
فقيل قال بعضهم لبعض اقعدوا مع القاعدين • وقيل القايل هو رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانما قال ذلك لهم على سبيل الغضب لما
استاذنوه في القعود فقال لهم اقعدوا مع القاعدين فاغتنموا ذلك
وقعدوا وقيل ان القايل ذلك هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الله
تعالى بان القى في قلوبهم القعود لما كره انبعاثهم مع المسلمين الى الجهاد
ثم بين الله تعالى ما في خروجهم من المفاسد فقال تعالى **لو خرجوا فيكم**
ما زادوكم الا خبالا يعني لو خرجوا هولا المنافقين معكم الى الغزو ما زادوكم
الا فسادا وشرا واصل الخبال اضطراب ومرض يوثر في العقل كالجنون
قال بعض النحاة هذا من الاستثنا المنقطع والمعنى لو خرجوا فيكم ما زادوكم
قوة لكن خبالا والمراد به هنا الافساد وايقاع الجبن والفشل بين المومنين
بتهويل الامر وشدة السفر وكثرة العدو وقوتهم **ولاوضعوا خلالكم** يعني
ولاسرعوا فيكم وساروا بينكم بالقا النميمة والاحاديث الكاذبة فيكم ه
يبغونكم الفتنة يعني يطلبون لكم ما تفتنون به وذلك انهم يقولون للمومنين
لقد جمع كذا وكذا ولا طاقة لكم بهم ولكنكم ستهزمون منهم وسيظهرون عليكم
ونحو ذلك من الاحاديث الكاذبة التي تجبن وقيل معناه يطلبون العيب
والشر **وفيكم سماعون لهم** قال مجاهد يعني وفيكم عيون لهم يودون اليهم
اخباركم وما يسمعون منكم وهم الجواسيس قال قتادة وفيكم مطيعون لهم

يسمعون كلام المنافقين ويطيعونهم وذلك بانهم يلقوا اليهم انواعًا
من الشبهات الموجبة لضعف القلب فيتقبلوها منهم **فان قلت**
كيف يجوز ان يكون في المؤمنين المخلصين من يسمع ويطيع للمنافقين
قلت يحتمل ان يكون بعض المؤمنين لهم اقارب من المنافقين كبار
المنافقين ورؤسائهم فاذا قالوا قولا ربما اثر ذلك القول في قلوب
ضعفة المؤمنين في بعض الاحوال **والله عليم بالظالمين** وهذا
وعيد وتهديد للمنافقين الذين يلقون الفتن والشبهات بين المؤمنين
وقوله تعالى **لقد ابتغوا الفتنة من قبل** يعني لقد طلبوا صد اصحابك
يا محمد عن الدين وردهم الى الكفر وتخذيل الناس عنكم قبل هذا اليوم
كما فعل عبد الله بن ابي سلول يوم احد حين انصرف باصحابه عنكم **وقلبوا
لك الامور** يعني واجالوا فيك امرك وفي ابطال دينك الراي وبالغوا
في تخذيل الناس عنك وقصدهم تشتيت امرك **حتى جاء الحق** يعني
النصر والظفر **وظهر امر الله وهم كارهون** يعني ذلك **قوله عز وجل**
ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني نزلت في الجد بن قيس وكان من
المنافقين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تجهز الى غزوة تبوك قال
للجد بن قيس يا ابا وهب هل لك في جلاد بني الاصفر يعني الروم تتخذ
منهم سراري ووصفاء فقال الجد يا رسول الله لقد عرف قومي اني رجل مغرم
بالنساء واني اخشى اني ان رايت بنات بني الاصفر ان لا اصبر عنهن ائذن
لي في القعود ولا تفتني بهن واعينك بمالي ♦ قال ابن عباس اعتل الجد
ابن قيس ولم تكن به علة الا النفاق فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال قد اذنت لك فانزل الله عز وجل فيه ومنهم من يقول ائذن لي
ولا تفتني يعني في التخلف والقعود في المدينة ولا تفتني يعني ببنات
بني الاصفر وهم الروم **الا في الفتنة سقطوا** يعني انهم وقعوا في الفتنة
العظيمة وهي النفاق ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود
عنه **وان جهنم لمحيطة بالكافرين** يعني يوم القيمة تحيط بهم وتجمعهم فيها
قوله تعالى **ان تصبك حسنة تسؤهم** يعني ان تصبك يا محمد حسنة من
نصر وغنيمة تحزن المنافقين **وان تصبك مصيبة** يعني من هزيمة
وشدة **يقولوا** يعني المنافقين **قد اخذنا امرنا** يعني قد اخذنا بالجد والحزم
في القعود عن الغزو **من قبل** يعني من قبل هذه المصيبة **ويتولوا وهم
فرحون** يعني مسرورون بما نالك من المصيبة وسلامتهم منها **قل لن يصيبنا
الا ما كتب الله لنا** يعني قل يا محمد لهولاء الذين يفرحوا بما يصيبك من
المصايب والمكروه ان يصيبنا الا ما قدره الله لنا وعلينا وكتبه في
اللوح لان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيمة من خير وشر فلا يقدر احد

حـــ الجد بفتح الجيم وتشديد الدال

ان يدفع عن نفسه مكروهًا نزل به او يجلب لنفسه نفعًا اراده ما لم يقدره
له **هو مولانا** يعني ان الله هو ناصرنا وحافظنا وهو اولى بنا من انفسنا
في الموت والحياة **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** يعني في جميع امورهم
قل هل تربصون بنا يعني قل يا محمد لهولاء المنافقين هل تنتظرون
بنا ايها المنافقون **الا احدى الحسنيين** يعني اما النصر والغنيمة
واما الشهادة والمغفرة وذلك ان المسلم اذا ذهب الى الغزو والجهاد
في سبيل الله اما ان يغلب عدوه فيفوز بالنصر والغنيمة واما ان
يقتل في سبيل الله فتحصل له الشهادة وهي الغاية القصوى ويدل
على ذلك ما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
تكفل الله وفي رواية تضمن الله لمن خرج في سبيل الله لا يخرجه الا
جهاد في سبيلي وايمان بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن ان ادخله
الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة
اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى **ونحن نتربص بكم** يعني ونحن ننتظر بكم
احدى السوءتين **ان يصيبكم الله بعذاب من عنده** يعني فيهلككم
كما اهلك من كان قبلكم من الامم الخالية **او بايدينا** يعني او يصيبكم
بايدي المؤمنين بان يظفروا بكم ويظهرنا عليكم **فتربصوا انا معكم
متربصون** قال الحسن فتربصوا مواعيد الشيطان انا متربصون
مواعيد الله من اظهار دينه واستيصال من خالفه **قل انفقوا طوعًا
او كرهًا** نزلت في الجد بن قيس المنافق وذلك انه استاذن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في القعود عنه وقال انا اعطيكم مالي فانزل الله
ردًا عليه قل اي قل يا محمد لهذا المنافق وامثاله في النفاق انفقوا طوعًا
او كرهًا يعني انفقوا طايعين من قبل انفسكم او مكرهين بالانفاق
بالزام الله ورسوله اياكم بالانفاق **لن يتقبل منكم** لان هذا الانفاق انما
وقع لغير الله وهذه الاية وان كانت خاصة في انفاق المنافقين فهي عامة
في كل حق من انفق ماله لغير وجه الله بل انفقه رياء وسمعة فانه لا
يقبل منه ثم علل سبب منع القبول بقوله **انكم** اي لانكم **كنتم قومًا
فاسقين** والمراد بالفسق هنا الكفر ويدل عليه قوله تعالى **وما منعهم
ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله** اي المانع من قبول
نفقاتهم هو كفرهم بالله وبرسوله **ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالى** جمع
كسلان يعني متثاقلين في الاتيان الى الصلاة وذلك لانهم لا يرجون
على فعلها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا ولذلك ذمهم على فعلها
ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم كانوا يعتقدون الانفاق في سبيل الله
مغرمًا ومنع ذلك الانفاق مغنمًا **فلا تعجبك** يا محمد **اموالهم ولا اولادهم**

وهذا الخطاب وان كان مختصا بالنبي صلى الله عليه وسلم الا ان المراد
به جميع المؤمنين والمعنى فلا تعجبوا باموال المنافقين واولادهم
والاعجاب السرور بالشيء مع نوع من الافتخار به مع الاعتقاد انه ليس
لغيره مثله وهذا يدل على استغراق النفس بذلك الشيء ويكون سبب
انقطاعه عن الله عز وجل فينبغي للانسان ان لا يعجب بشيء من امور
الدنيا ولذا تهافت العبد اذا كان من الله عز وجل في استدراج كثر
ماله وولده فيكثر اعجابه بماله وولده فيبطر ويكفر نعمة الله عليه
ولهذا قال تعالى **انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا** **فان**
قلت كيف يكون المال والولد عذابا في الدنيا وفيهما اللذة
والسرور في الدنيا **قلت** قال مجاهد وقتادة في الاية تقديم
وتاخير تقديرها فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحياة الدنيا
انما يريد الله ليعذبهم بها في الاخرة • وقيل ان سبب كون المال
والولد عذابا في الدنيا هو ما يحصل من المتاعب والمشاق في تحصيلها
فاذا حصلا ازداد التعب وتحمل المشاق في حفظهما ويزداد الحزن والغم
بسبب المصائب الواقعة فيهما فعلى هذا القول لا حاجة الى التقديم
والتاخير في نظم الاية واورد على هذا القول بان هذا التعذيب حاصل
لكل احد من بني ادم مؤمنهم وكافرهم فما فائدة تخصيص المنافقين بهذا
التعذيب في الدنيا **واجيب** عن هذا الايراد بان المنافقين
مخصوصون بزيادة من هذا العذاب وهو ان المؤمن قد علم انه مخلوق
للاخرة وانه يثاب بالمصائب الحاصلة له في الدنيا فلم يكن المال
والولد في حقه عذابا في الدنيا واما المنافق فانه لا يعتقد كون الاخرة
وانه ليس فيها ثواب زايد بالمصائب الحاصلة له في الدنيا فلم يكن
المال والولد في حقه عذابا في الدنيا فبقي ما يحصل له في الدنيا من
التعب والشدة والغم والحزن على المال والولد عذابا عليه في
الدنيا فثبت بهذا الاعتبار ان المال والولد عذاب على المنافق في
الدنيا دون المؤمن وقيل ان تعذيبهم بها في الدنيا اخذ الزكاة منهم
والنفقة في سبيل الله عز وجل مشقة عليهم على ذلك وربما قتل الولد في الغزو
فلا يثاب الوالد المنافق على قتل ولده وذهاب ماله • وقيل يعذبهم
بالتعب في جمعه وحفظه والكره في انفاقه والحسرة على تخليفه عند
من لا يحمده ثم يقدم في الاخرة على ملك لا يعذره **وتزهق انفسهم**
اي وتخرج انفسهم **وهم كافرون** والمعنى انهم يموتون على الكفر فيكون
عاقبتهم بعد عذاب الدنيا عذاب الاخرة قوله عز وجل **ويحلفون**
بالله يعني المنافقين **انهم لمنكم** يعني على دينكم وملتكم **وما هم منكم**

يعني

يعني انهم كاذبون في ايمانهم **ولكنهم قوم يفرقون** يعني انهم يخافون
ان يظهروا على ما هم عليه من النفاق **لو يجدون ملجأ** اي حرزا وحصنا
ومعقلا يلجأون اليه وقيل لو وجدوا مهربا لهربوا اليه • وقيل لو يجدون
قوما يامنون عندهم على انفسهم منكم لصاروا اليهم ولفارقوكم **او مغارات**
يعني غيرانا في الجبال جمع مغارة وهي الموضع الذي يغور فيه الانسان
اي يستتر **او مدخلا** يعني موضع دخول يدخلون فيه وهو السرب في
الارض كنفق اليربوع وقال الحسن وجها يدخلونه على خلاف رسول
الله صلى الله عليه وسلم **لولوا اليه** والمعنى انهم لو وجدوا مكانا بهذه
الصفة او على هذه الوجوه الثلاثة وهي شر الامكنة واضيقها لولوا
اليه اي لرجعوا اليه وتحرزوا فيه **وهم يجمحون** يعني وهم يسرعون الى
ذلك المكان والمعنى ان المنافقين لشدة بغضهم لرسول الله صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين لو قدروا ان يهربوا منكم الى احد هذه الامكنة لصاروا
اليه لشدة بغضهم اياكم قوله تعالى **ومنهم من يلمزك في الصدقات**
نزلت في ذي الخويصرة التميمي واسمه حرقوص بن زهير وهو اصل الخوارج
ق عن ابي سعيد الخدري قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يقسم قسما اتاه ذو الخويصرة رجل من بني تميم فقال يا رسول الله
اعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك من يعدل اذا لم
اعدل وفي رواية قد خبت وخسرت ان لم اعدل فقال عمر بن الخطاب
ايذن لي فيه فاضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه
فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم زاد
في رواية يقرؤن القران لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام وفي
رواية من الدين كما يمرق السهم من الرمية • وقال الكلبي قال رجل من
المنافقين يقال له ابو الجواظ لم تقسم بالسوية فنزلت هذه الاية •
وقال قتادة ذكر لنا ان رجلا من اهل البادية حديث عهد باعرابية
اتى نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهبا وفضة فقال يا محمد والله
لئن كان الله امرك ان تعدل فما عدلت فقال نبي الله صلى الله عليه
وسلم ويلك فمن ذا يعدل عليك بعدي • وقال ابن زيد قال المنافقون
والله ما يعطيها محمد الا من احب ولا يؤثر بها الا هواه فانزل الله تعالى
ومنهم من يلمزك في الصدقات يعني ومن المنافقين من يعيبك
في قسم الصدقات وفي تفريقها ويطعن عليك في امرها يقال همزه
ولمزه بمعنى واحد اي عابه **فان اعطوا منها** يعني من الصدقات
رضوا يعني رضوا عنك في قسمها **وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون**
يعني وان لم تعطهم منها عابوا عليك وسخطوا **ولو انهم رضوا** يعني ولو ان

المنافقين الذين عابوا عليك رضوا بما قسم الله لهم وقنعوا بما اتاهم
الله ورسوله وقالوا حسبنا الله اى كافينا الله سيوتينا الله من فضله
ورسوله اى ما نحتاج اليه انا الى الله راغبون يعنى فى ان يوسع علينا
من فضله فيغنينا عن الصدقة وعن غيرها من اموال الناس وجواب
لو محذوف تقديره لكان خيرا لهم واعود عليهم **قوله عز وجل**
انما الصدقات للفقرا والمساكين الاية اعلم ان المنافقين لما لمزوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعابوه فى قسم الصدقات بين الله عز وجل فى
هذه الاية ان المستحقين للصدقات هولا الاصناف الثمانية ومصرفها
اليهم ولا تعلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها بشى ولم ياخذ لنفسه
منها شيا فلم يلمزوه ويعيبوا عليه فلا مطمع لهم فيه بسبب قسم
الصدقات عن زياد بن الحرث الصداى قال اتيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فبايعته فاتاه رجل فقال اعطنى من الصدقة فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم نبى ولا غيره فى
الصدقات حتى حكم فيها هو فجزاها ثمانية اجزا فان كنت من تلك
الاجزا اعطيتك حقك اخرجه ابو داود **فصل فى بيان**
حكم الاية وفيه مسايل **المسئلة الاولى** فى بيان وجه الحكمة فى
ايجاب الزكاة على الاغنياء وصرفها الى المحتاجين من الناس وذلك
من وجوه **الوجه الاول** ان المال محبوب بالطبع وسببه ان
القدرة صفة من صفات الكمال وصفة الكمال محبوبة لذاتها والمال
سبب لتحصيل تلك القدرة فكان المال محبوبا بالطبع واذا استغرق
القلب فى حب المال اشتغل به عن حب الله عز وجل وعن الاشتغال
بالطاعات المقربة الى الله فاقتضت الحكمة الالهية بايجاب الزكاة
فى ذلك المال الذى هو سبب البعد عن الله فيصير سببا للقرب من
الله عز وجل باخراج الزكاة منه **الوجه** الثانى ان كثرة المال
توجب قسوة القلب وحب الدنيا والميل الى شهواتها ولذاتها فاوجب
الله تعالى الزكاة ليقل ذلك المال الذى هو سبب لقساوة القلب **الوجه**
الثالث سبب وجوب الزكاة امتحان العبد المومن لان التكاليف البدنية
غير شاقة على العبد واخراج المال مشق على النفس فاوجب الله عز
وجل الزكاة على العباد ليمتحن باخراج الزكاة اصحاب الاموال ليميز
بين المطيع المخرج لها طيبة بها نفسه من العاصى المانع لها **الوجه**
الرابع ان المال مال الله والاغنيا خزان الله والفقرا عيال الله فامر
الله تعالى خزانه الذين هم اغنيا بدفع طايفة من ماله الى عياله
فيثيب العبد المومن المطيع المسارع الى امتثال الامر المشفق على عياله

ويعاقب العبد العاصى المانع لعياله ماله **ق** عن ابى موسى الاشعرى
عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الخازن المسلم الامين الذى ينفذ
وربما قال يعطى ما امر به كاملا موفرا طيبة به نفسه فيدفعه الى الذى
امر له به احد المتصدقين • **الوجه** الخامس ان الفقراء ربما تعلقت
قلوبهم بالاموال التى بايدى الاغنيا فاوجب الله عز وجل نصيبا
للفقرا فى ذلك المال تطييبا لقلوبهم • **الوجه** السادس ان المال
الفاضل عن حاجة الانسان الاصلية اذا امسك بقى معطلا عن المقصود
الذى لاجله خلق المال فامر بدفع الزكاة الى الفقرا حتى لا يصير ذلك
المال معطلا بالكلية **المسئلة الثانية** الاية تدل على انه لا حق لاحد
فى الصدقات الا لهولا الاصناف الثمانية وذلك مجمع عليه لان كلمة
انما تفيد الحصر وذلك لانها مركبة من ان وما فكلمة ان للاثبات
وكلمة ما للنفى فعند اجتماعهما يفيد الحكم المذكور وصرفه عما عداه
فدل بذلك على ان الصدقات لا تصرف الا الى الاصناف الثمانية
المسئلة الثالثة فى بيان الاصناف الثمانية فالصنف الاول الفقرا
والثانى المساكين وهم المحتاجون الذين لا يفى خرجهم بدخلهم ثم اختلف
العلما فى الفرق بين الفقير والمسكين والمسكين فقال ابن عباس والحسن
ومجاهد وعكرمة والزهرى الفقير الذى لا يسال والمسكين السايل قال
ابن عمر ليس بفقير من جمع الدرهم الى الدرهم والتمرة الى التمرة ولكن الفقير
من انقى ثيابه ونفسه لا يقدر على شى يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف
وقال قتادة الفقير المحتاج الزمن والمسكين الصحيح المحتاج وقال
الشافعى الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا زمنا كان او غير
زمن والمسكين من له مال او حرفة ولكن لا تقع منه موقعا لكفايته
سايلا كان او غير سايل فالمسكين عنده احسن حالا من الفقير وقال
ابو حنيفة واصحاب الراى الفقير احسن حالا من المسكين ومن الناس
من قال لا فرق بين الفقير والمسكين حجة الشافعى ومن وافقه ان
الله تعالى حكم بصرف الصدقات الى هولا الاصناف الثمانية دفعا لحاجتهم
وتحصيلا لمصلحتهم فبدا بالفقرا وانما يبدا بالاهم فالاهم فلو لم يكن حاجتهم
اشد من حاجة المساكين لما بدا بهم واصل الفقير المكسور الفقار •
قال **لبيد** •
• لما راى لبد النسور تطايرت • رفع القوادم كالفقير الاعزل •
قال ابن الاعرابى الفقير فى هذا البيت المكسور الفقار فثبت بهذا
ان الفقير انما سمى فقيرا لزمانته وحاجة شديدة وتمنعه الزمانة
من التقلب فى الكسب ولان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من

الفقر وقال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة
المساكين يوم القيمة رواه الترمذي من حديث انس فلو كان المسكين
اسوا حالا من الفقير لما تعوذ من الفقر وسال المسكنة فثبت بهذا
ان المسكين احسن حالا من الفقير ولان الله تعالى قال اما السفينة
فكانت لمساكين يعملون في البحر فاثبت لهم ملكا مع اسم المسكنة لان
السفينة من سفن البحر تساوي دنانير كثيرة ولان الغنى والفقر ضدان
والمسكنة قسم ثالث بينهما فثبت بهذا ان الفقير اشد حالا من المسكين
وحجة ابي حنيفة ومن وافقه على ان المسكين اسوا حالا من
الفقير قوله او مسكينا ذا متربة وهو الذي لصق جلده بالتراب
وهذا يدل على غاية الضر والشدة ولان الله تعالى جعل الكفارات
للمساكين فلو لم يكن المسكين اشد حاجة من غيره لما جعلها له
واحتج ايضا بقول الراعي •

• ان الفقير الذي كانت حلوبته • وفق العيال فلم يترك له سبد •

واحتج ايضا بقول الاصمعي وابي عمرو بن العلا ان الفقير الذي
له ما ياكل والمسكين الذي لا شي له • وكذا قال القتيبي الفقير الذي
له البلغة من العيش والمسكين الذي لا شي له • وقيل الفقير الذي
له المسكن والخادم والمسكين الذي لا ملك له وقيل ان كل محتاج الى شي
فهو مفتقر اليه وان كان غنيا عن غيره قال الله تعالى انتم الفقرا الى الله
فاثبت لهم اسم الفقر مع وجدان المال والجواب عن هذه
الحجج اما قوله او مسكينا ذا متربة فدل على انه قد يوجد مسكين لا بهذه
الصفة والا لم يبق لهذا القيد فايدة والجواب عن الاستدلال
ببيت الراعي انه ذكر الفقير وحده فكل فقير افرد بالاسم جاز اطلاق
المسكين عليه فسقط الاستدلال به واما الروايات المذكورة فهي معارضة
بما تقدم من الروايات عن ابن عباس وغيره من المفسرين وفي الجملة
ان الفقر والمسكنة عبارتان عن شدة الحاجة وضعف الحال ٥
فالفقير هو الذي ضعفت نفسه وسكنت عن الحركة في طلب القوت
عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي اخرجه النسائي وابو داود
وله في رواية اخرى ولا لذي مرة قوي عن عبيد الله بن عدي بن
الخيار قال اخبرني رجلان انهما اتيا النبي صلى الله عليه وسلم وهو في حجة
الوداع وهو يقسم الصدقة فسالاه منها فرفع فينا النظر وخفضه فرانا
جلدين فقال ان شئتما اعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لذي قوة مكتسب
واختلف العلما في حد الغنى الذي يمنع من اخذ الصدقة فقال الاكثرون

حده ان يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة وهو قول مالك والشافعي وقال
اصحاب الراي حده ان يملك مايتي درهم وقال قوم من ملك خمسين درهما
او قيمتها لا تحل له الصدقة لما روي عن ابن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سال الناس وله ما يغنيه جا يوم القيمة
ومسيلته في وجهه خموش او خدوش او كدوح قيل يا رسول الله وما
يغنيه قال خمسون درهما او قيمتها من الذهب اخرجه ابو داود
والترمذي والنسائي وهذا قول الثوري وابن المبارك واحمد
واسحاق وقالوا لا يجوز ان يعطى الرجل اكثر من خمسين درهما من
الزكاة وقيل اربعون درهما • لما روي عن ابي سعيد الخدري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال وله قيمة اوقية فقد الحف
اخرجه ابو داود وكانت قيمة الاوقية في ذلك الزمان اربعين
درهما الصنف الثالث قوله والعاملين عليها وهم السعاة الذين
يتولون جباية الصدقات وقبضها من اهلها ووضعها في جهتها
فيعطون من مال الصدقات بقدر اجور اعمالهم سوا كانوا فقرا
او اغنيا وهذا قول ابن عمر وبه قال الشافعي وقال مجاهد
والضحاك يعطون الثمن من الصدقات وظاهر اللفظ مع مجاهد
الا ان الشافعي يقول هو اجرة عمل فيتقدر بقدر العمل والصحيح ان
الهاشمي والمطلبي لا يجوز ان يكون عاملا على الصدقات لما روي
عن ابي رافع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا من بني
مخزوم على الصدقة فاراد ابو رافع ان يتبعه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تحل لنا الصدقة وان مولى القوم منهم اخرجه الترمذي
والنسائي الصنف الرابع قوله تعالى والمولفة قلوبهم وهم قسمان
قسم مسلمون وقسم كفار فاما قسم المسلمين فقسمان القسم الاول هم
قوم من اشراف العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم
من الصدقات يتالفهم بذلك كما اعطى عيينة بن بدر بن حصن ٥
والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس السلمي فهولاء اسلموا وكانت
نيتهم ضعيفة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم لتقوى
رغبتهم في الاسلام وقوم اسلموا وكانت نيتهم قوية في الاسلام وهم
اشراف قومهم مثل عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعطيهم تالفا لقلوبهم وترغيبا لامثالهم في الاسلام
فيجوز للامام ان يعطي امثال هولاء من خمس خمس والفي من سهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يعطيهم من ذلك ومن الصدقات ايضا • القسم الثاني من مولفة

المسلمين وهم قوم من المسلمين يكونوا بازاء قوم كفار في موضع لا تبلغهم
جيوش المسلمين الا بكلفة كبيرة ومؤنة عظيمة وهولاء الذين بازايهم
من المسلمين لا يجاهدونهم لضعف نيتهم او لضعف حالهم فيجوز
للامام ان يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة وقيل من سهم
المؤلفة قلوبهم ومن هولاء قوم بازاء جماعة من مانعي الزكاة
فياخذون منهم الزكاة ويحملونها الى الامام فيعطيهم الامام من سهم
المولفة من الصدقات • وقيل من سهم سبيل الله روي ان عدي
ابن حاتم جا ابا بكر بثلثمائة من الابل من صدقات قومه فاعطاه
ابو بكر منها ثلاثين بعيرا اما مولفة الكفار فهم قوم يخشى شرهم او
يرجى اسلامهم فيجوز للامام ان يعطي من يخاف شره او يعطيه رجا
اسلامه فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس
الخمس كما اعطى صفوان بن امية لما كان يرى من ميله الى الاسلام اما
اليوم فقد اعز الله الاسلام وله الحمد على ذلك واغناه عن ان يتالف
عليه احدا من المشركين فلا يعطى مشرك تالفا بحال وقد قال بهذا
كثير من اهل العلم وراوا ان المولفة منقطعة وسهمهم ساقط يروى
ذلك عن ابن عمر وعكرمة وقول الشعبي وبه قال مالك والثوري
واصحاب الراي واسحاق بن راهويه • وقال قوم سهمهم ثابت لم يسقط
يروى ذلك عن الحسن وهو قول الزهري وابي جعفر محمد بن علي
وابي ثور وقال احمد يعطون ان احتاج المسلمون الى ذلك الصنف
الخامس قوله تعالى **وفي الرقاب** قال الزجاج فيه حذف تقديره
وفي فك الرقاب وفي تفسير الرقاب اقوال الاول ان سهم الرقاب
موضوع في الكاتبين فيدفع اليهم ليعتقوا به وهذا مذهب الشافعي
وهو قول اكثر الفقها منهم سعيد بن جبير والنخعي والزهري والليث
ابن سعد ويدل عليه ايضا قوله واتوهم من مال الله الذي اتاكم
القول الثاني وهو مذهب مالك واحمد واسحق ان سهم الرقاب
موضوع لعتق الرقاب فيشترى به عبيد ويعتقون ويدل عليه
ما روي عن ابن عباس انه قال لا باس ان يعتق الرجل من الزكاة
القول الثالث وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه انه لا يعتق
من الزكاة رقبة كاملة ولكن يعطى منها في عتق رقبة ويعان بها
مكاتبا لان قوله وفي الرقاب يقتضي التبعيض القول الرابع
وهو قول الزهري ان سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين ونصف
يشترى به عبيد ممن صلوا وصاموا وقدم اسلامهم فيعتقون
من الزكاة قال اصحابنا الاحوط في سهم الرقاب ان يدفع الى السيد

باذن المكاتب ويدل عليه انه تعالى اثبت الصدقات للاصناف الاربعة
المتقدمة بلام التمليك فقال انما الصدقات للفقرا وقال في الصنف
الخامس وفي الرقاب فلا بد لهذا الفرق من فايدة وهي ان الاصناف
الاربعة المتقدم ذكرها يدفع اليهم نصيبهم من الصدقات فيصرفوا
ذلك فيما شاوا واما الرقاب فيوضع نصيبهم في تخليص رقابهم
من الرق ولا يدفع اليهم ولا يمكنون من التصرف فيه وكذا القول
في الغارمين فيصرف نصيبهم في قضا ديونهم وفي الغزاة يصرف
نصيبهم فيما يحتاجون اليه في الغزو وكذا في ابن السبيل فيصرف
اليه ما يحتاج في سفره الى بلوغ غرضه • الصنف السادس قوله
تعالى **والغارمين** اصل الغرم في اللغة لزوم ما يشق وسمي الدين
غرما لكونه شاقا على الانسان والمراد بالغارمين هنا المديونون
وهم قسمان قسم ادانوا لانفسهم في غير معصية فيعطون من مال الصدقات
بقدر ديونهم اذا لم يكن له مال يفي بديونهم فان كان عندهم وفاء فلا
يعطون وقسم ادانوا في المعروف واصلاح ذات البين فيعطون من
مال الصدقات ما يقضون به ديونهم وان كانوا اغنيا لما روي عن
عن عطا بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة
لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لعامل عليها او لغارم او لرجل
اشتراها بماله او لرجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى
المسكين للغني اخرجه ابو داود مرسلا لان عطا لم يدرك النبي
صلى الله عليه وسلم ورواه معمر عن زيد بن اسلم عن ابي سعيد الخدري
عن النبي صلى الله عليه وسلم متصلا بمعناه اما من كان دينه في معصية
فلا يعطى من الصدقات شيا الصنف السابع قوله تعالى **وفي سبيل
الله** يعني وفي النفقة في سبيل الله واراد بهم الغزاة فلهم سهم من مال
الصدقات فيعطون اذا ارادوا الخروج الى الغزو وما يستعينون به
على امر الجهاد من النفقة والكسوة والسلاح والحمولة فيعطون
ذلك وان كانوا اغنيا لما تقدم من حديث عطا وابي سعيد الخدري
ولا يعطى من سهم في سبيل الله لمن اراد الحج عند اكثر اهل العلم وقال
قوم يجوز ان يصرف سهم في سبيل الله الى الحج يروى ذلك عن ابن عباس
وهو قول الحسن واليه ذهب احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وقال
بعضهم ان اللفظ عام فلا يجوز قصره على الغزاة فقط ولهذا اجاز بعض
الفقها صرف سهم سبيل الله الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى
وبنا الحصون وعمارة المساجد وغير ذلك قال لان قوله
في سبيل الله وهو عام في الكل فلا يختص بصنف دون غيره والقول

الاول هو الصحيح لاجماع الجمهور عليه الصنف الثامن قوله تعالى
وابن السبيل يعني المسافر من بلد الى بلد والسبيل الطريق سمي
المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق قال الشاعر
• انا ابن الحرب ربتني وليدا • الى ان شبت واكتهلت لذاتي •
فكل من يريد سفرا مباحا ولم يكن له ما يقطع به مسافة سفره فيعطى
من الصدقات ما يكفيه لمؤنة سفره سوا كان له مال في البلد الذي
يقصده او لم يكن له • وقال قتادة ابن السبيل هو الضيف وقال
فقها العراق ابن السبيل هو الحاج المنقطع وقوله تعالى فريضة
من الله يعني ان هذه الاحكام التي ذكرها في هذه الاية فريضة
واجبة من الله وقيل فرض الله هذه الاشيا فريضة والله عليم
يعني بمصالح خلقه حكيم يعني فيما فرض لهم لا يدخل في حكمه وتدبيره
نقص وخلل **المسئلة الرابعة** في احكام متفرقة تتعلق
بالزكاة اتفق العلما على ان المراد بقوله انما الصدقات للفقراء
هي الزكاة المفروضة بدليل قوله خذ من اموالهم صدقة واختلفوا
في كيفية قسمتها وفي جواز صرفها الى بعض الاصناف دون بعض
فذهب جماعة من الفقها الى انه لا يجوز صرفها كلها الى بعض الاصناف
مع وجود الباقين وهو قول عكرمة واليه ذهب الشافعي قال
الشافعي يجب ان يقسم زكاة ماله على الموجودين من الاصناف الستة
الذين سهمانهم ثمانية قسمة على السوا لان سهم المولفة ساقط وسهم
العامل ساقط اذا قسم زكاته بنفسه ثم حصة كل صنف من الاصناف
الستة لا يجوز ان يصرف الى اقل من ثلاثة منهم ان وجد منهم ثلاثة او اكثر
فلو فاوت بين اوليك الثلاثة جاز فاذا لم يجد من بعض الاصناف
الا واحدا دفع حصة ذلك الصنف اليه ما لم يخرج عن حد الاستحقاق
فان انتهت حاجته وفضل شي رده الى الباقين • وذهب جماعة من
العلما الى انه لو صرف الكل الى صنف واحد من هذه الاصناف او الى
شخص واحد منهم جاز لان الله تعالى انما سمى هذه الاصناف الثمانية
اعلاما منه ان الصدقة لا تخرج عن هذه الثمانية الا ايجابا منه
لقسمها بينهم جميعا وهذا قول عمر وابن عباس وبه قال سعيد بن
جبير وعطا واليه ذهب سفين الثوري واصحاب الراي واحمد بن
حنبل قال احمد يجوز ان يضعها في صنف واحد ويفرقها اولا وقال
ابراهيم النخعي ان كان المال كثيرا يحتمل الاجزا قسمه على الاصناف
وان كان قليلا وضعه في صنف واحد • وقال مالك يتحرى موضع
الحاجة منهم ويقدم الاولى فالاولى من اهل الخلة والحاجة فان راى

الخلة في الفقراء في عام قدمهم وان راها في عام في صنف آخر حولها
اليهم وكل من دفع اليه شيا من الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق
فلا يزيد الفقير على قدر غناه وهو ما يحتاج اليه فان حصل ادنى اسم
الغنى فلا يعطى بعده شي وان كان محترفا لكنه لا يجد آلة حرفته فيعطى
قدر ما يحصل به آلة حرفته غالا كان او رخيصا عند الشافعي ما يدفع الحاجة
من غير حد وقال احمد لا يعطى الفقير اكثر من خمسين درهما وقال
ابو حنيفة اكره ان يعطى رجل واحد من الزكاة مايتي درهم فان
اعطيه اجزا فان اعطى من يظنه فقيرا فبان انه غني فهل يجزي فيه
قولان ولا يجوز ان يعطي صدقته لمن تلزمه نفقته وبه قال مالك
والثوري واحمد • وقال ابو حنيفة والشافعي لا يعطي الوالد وان علا
ولا الولد وان سفل ولا الزوجة ويعطي من عداهم وتحرم الصدقة على ذوي
القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب فلا يدفع اليهم من الزكاة شي لقوله
صلى الله عليه وسلم انا لا تحل لنا الصدقة • وقال ابو حنيفة تحرم على
بني هاشم ولا تحرم على بني المطلب دليلنا قوله صلى الله عليه وسلم انا
وبنو المطلب شي واحد لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وتحرم الصدقة
على موالي بني هاشم وبني المطلب لقوله صلى الله عليه وسلم مولى القوم
منهم • واختلفوا في نقل الصدقة من بلد المال الى بلد اخر مع وجود
المستحقين في بلد فكرهه اكثر اهل العلم لتعلق قلوب فقراء ذلك البلد
بذلك المال • ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ واعلمهم ان الله افترض
عليهم صدقة توخذ من اغنيايهم وترد في فقرايهم الحديث بطوله في الصحيحين
واتفقوا على انه اذا نقل المال الى بلد آخر واداه الى فقرا ذلك البلد سقط
عنه الفرض الا ما حكي عن عمر بن عبد العزيز فانه رد صدقة حملت من
خراسان الى الشام وردها الى مكانها من خراسان والله اعلم قوله تعالى
ومنهم الذين يوذون النبي ويقولون هو اذن نزلت في جماعة من المنافقين
كانوا يوذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه ويقولون ما لا
ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ما تقولون فيقع بنا
فقال الجلاس بن سويد وهو من المنافقين بل نقول ما شينا ثم ناتيه
وننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا فيما نقول فانما محمد اذن اي ذو اذن
سامعة كل ما يقال له ويقبله وقيل معنى اذن اي ذو اذن سامعة
وقال محمد بن اسحق نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحرث
وكان ارقم اشعر الشعر احمر العينين اسفع الخدين مشوه الخلقة
وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان ينظر الى الشيطان
فلينظر الى نبتل بن الحرث وكان ينم حديث النبي صلى الله عليه وسلم

الى المنافقين فقيل له لا تفعل ذلك فقال انما محمد اذن فمن حدثه شيا
صدقه فنقول ما شينا ثم ناتيه ونحلف له فيصدقنا فانزل الله
هذه الاية ومقصود المنافقين بقوله هو اذن انه ليس بعيد غور
بل هو سليم سريع الاغترار بكل ما يسمع فاجاب الله تعالى
بقوله **قل اذن خير لكم** يعنى هب انه اذن لكنه اذن خير لكم كقولك
رجل صدق وشاهد عدل والمعنى انه مستمع خير وصلاح لا مستمع
شر وفساد وقرى اذن خير مرفوعين منونين ومعناه يسمع منكم
ويصدقكم خير لكم من ان يكذبكم ولا يقبل قولكم ثم وصف الله تعالى
نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله **يومن بالله ويومن للمومنين** يعنى
انه يصدق المومنين ويقبل قولهم ولا يقبل قول المنافقين وانما
عدى الايمان بالله بالبا والايمان للمومنين باللام لان الايمان
بالله هو نقيض الكفر فلا يتعدى الا بالبا فيقال امنت بالله ٥
والايمان للمومنين معناه تصديق المومنين فيما يقولونه فلا يقال
الا باللام ومنه قوله انومن لك وقوله امنت له **ورحمة** اى هو رحمة
للذين امنوا منكم وانما قال منكم لان المنافقين كانوا يزعمون انهم
مومنون فبين الله تعالى انه رحمة للمومنين المخلصين لا للمنافقين
وقيل فى كونه صلى الله عليه وسلم هو رحمة لانه يجرى احكام الناس على
الظاهر ولا ينقب عن احوالهم ولا يهتك اسرارهم **والذين يوذون**
رسول الله لهم عذاب اليم يعنى فى الاخرة قوله عز وجل
يحلفون بالله لكم ليرضوكم قال قتادة والسدى اجتمع ناس من
المنافقين فيهم الجلاس بن سويد ووديعة بن ثابت فوقعوا فى النبى
صلى الله عليه وسلم ثم قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من
الحمير وكان عندهم غلام من الانصار واسمه عامر بن قيس فحقروه
وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام من قولهم وقال والله ما يقول
محمد حق وانتم شر من الحمير ثم اتى النبى صلى الله عليه وسلم واخبره فدعاهم
فسالهم فانكروا وحلفوا ان عامرا كذاب وحلف عامر انهم كذبة
فصدقهم النبى صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعوا ويقول اللهم
صدق الصادق وكذب الكاذب فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل
والكلبى نزلت فى رهط من المنافقين تخلفوا فى غزوة تبوك فلما رجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتوه يعتذرون ويحلفون فانزل الله
هذه الاية والمعنى يحلفون لكم ايها المومنون هولاء المنافقون ٥
ليرضوكم يعنى فيما بلغكم عنهم من اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والله ورسوله احق ان يرضوه اختلفوا فى معنى هذا الضمير الى ما ذا

يعود

يعود فقيل الضمير عايد على الله تعالى لان فى رضى الله رضى رسوله
صلى الله عليه وسلم والمعنى والله ورسوله احق ان يرضوه بالتوبة
والاخلاص وقيل يجوز ان يكون المراد يرضوهما فاكتفى بذكر احدهما عن
الاخر وقيل والمعنى والله احق ان يرضوه وكذلك ورسوله **ان كانوا**
مومنين يعنى ان كان هولا المنافقين مصدقين بوعد ووعيد فى الاخرة
قوله تعالى **الم يعلموا** قال اهل المعانى الم تعلم خطاب لمن علم شيا
ثم نسيه او انكره فيقال له الم تعلم انه كان كذا وكذا ولما مكث رسول
الله صلى الله عليه وسلم بين اظهر المومنين والمنافقين وعلمهم من احكام
الدين ما يحتاجون اليه فخاطب المنافقين الم يعلموا يعنى من شرايع
الدين التى علمهم رسولنا **انه من يحادد الله ورسوله** يعنى انه من يخالف
الله ورسوله واصل المحادة فى اللغة المخالفة والمجانبة والمعاداة
واشتقاقه من الحد يقال حاد فلان فلانا اذا صار فى غير حده وخالفه
فى امره وقيل معنى يحادد الله ورسوله اى يحارب الله ورسوله ٥
ويعاند الله ورسوله **فان له نار جهنم** اى فحق ان له نار جهنم **خالدا فيها**
يعنى على الدوام **ذلك الخزى العظيم** يعنى ذلك الخلود فى نار جهنم
هى الفضيحة العظيمة قوله عز وجل **يحذر المنافقون** يعنى يخشى
المنافقون **ان تنزل عليهم سورة** يعنى على المومنين **تنبيهم** يعنى
تخبر المومنين **بما فى قلوبهم** يعنى بما فى قلوب المنافقين من الحسد
والعداوة للمومنين وذلك ان المنافقين كانوا فيما بينهم يذكرون
المومنين بسوء ويسترونه ويخافون الفضيحة ونزول القران فى شانهم
قال قتادة وهذه السورة كانت تسمى الفاضحة والمبعثرة والمثيرة
يعنى انها فضحت المنافقين وبعثرت عن اخبارهم واثارتها وصفرت
عن مخازيهم ومثالبهم وقال ابن عباس انزل الله ذكر سبعين رجلا من
المنافقين باسمايهم واسما ابايهم ثم نسخ ذلك الاسما رحمة منه على
المومنين لئلا يعير بعضهم بعضا لان اولادهم كانوا مومنين **قل استهزوا**
امر تهديد نحو قوله اعملوا ما شيتم **ان الله مخرج** اى مظهر **ما تحذرون**
والمعنى ان الله يظهر الى الوجود ما كان المنافقون يسترونه ويخفونه
عن المومنين قال ابن كيسان نزلت هذه الاية فى اثنى عشر رجلا من المنافقين
وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة تبوك
ليفتكوا به اذا علاها وتنكروا له فى ليلة مظلمة فاخبر جبريل رسول
الله صلى الله عليه وسلم بما قد اضمروا وامره ان يرسل اليهم من يضرب
وجوه رواحلهم وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقة رسول الله صلى الله
وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضربها حذيفة

حتى يخامهم من الطريق فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم
قال لم اعرف منهم احدا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانهم فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال حذيفة هلا بعثت
اليهم من يقتلهم فقال اكره ان تقول العرب لما ظفر باصحابه
اقبل يقتلهم بل يكفيناهم الله بالدبيلة م عن قيس بن عباد قال
قلت لعمار ارايتكم قتالكم ارايا رايتموه فان الراى يخطى ويصيب
ام عهدا عهده اليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عهد
الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا لم يعهده الى الناس كافة
وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى امتى قال شعبة
واحسبه قال حدثنى حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان فى امتى اثنى عشر منافقا لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى
سم الخياط ثمانية منهم يكفيهم الدبيلة سراج من نار يظهر فى اكتافهم
حتى ينجم فى صدورهم وقوله تعالى ولين سالتهم ليقولن انما كنا نخوض
ونلعب الاية وسبب نزولها على ما قال زيد بن اسلم ان رجلا قال
لعوف بن مالك فى غزوة تبوك ما لقرائنا ارغبنا بطونا واكذبنا
السنة واجبنا عند اللقا فقال له عوف بن مالك كذبت ولكنك
منافق ولاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القران قد سبقه قال
زيد قال عبد الله بن عمر فنظرت اليه يعنى الى المنافق متعلقا بحقب
ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة يقول انما كنا
نخوض ونلعب فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم ابالله واياته
ورسوله كنتم تستهزءون ما يزيده قال محمد بن اسحاق الذى قال
هذه المقالة فيما بلغنى هو وديعة بن ثابت اخو بنى امية
ابن زيد بن عمرو بن عوف وقال قتادة بينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يسير فى غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا
يرجو هذا الرجل ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات
فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال نبى الله صلى الله
عليه وسلم احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبى
الله انما كنا نخوض ونلعب فانزل الله فيهم ما تسمعون وقال الكلبى
ومقاتل كان يسير رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى غزوة تبوك
وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان يستهزءان بالقران والرسول
والثالث يضحك قيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه يغلب الروم
ويفتح مدائنهم ما ابعده من ذلك وقيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم

انه نزل فى اصحابنا قرانا انما هو قوله وكلامه فاطلع الله نبيه صلى الله
عليه وسلم على ذلك فقال احبسوا على الركب فدعاهم وقال لهم قلتم
كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب ومعنى الاية ولين سالت يا
محمد هولا المنافقين عما كانوا يقولون فيما بينهم ليقولن انما كنا نخوض
ونلعب يعنى كنا نتحدث ونخوض فى الكلام كما يفعله الركب يقطعون
الطريق بالحديث واللعب واصل الخوض الدخول فى مايع كالماء مع
الطين ثم كثر استعماله حتى صار يستعمل فى كل دخول فى تلويث واذى
قل اى قل يا محمد لهولاء المنافقين ابالله واياته ورسوله كنتم
تستهزءون فيه توبيخ وتقريع للموبخين للمنافقين وانكار عليهم والمعنى
كيف تقدمون على ايقاع الاستهزا بالله يعنى بفرايضه وحدوده
واحكامه والمراد باياته كتابه وبرسوله يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم
فيحتمل ان المنافقين لما قالوا كيف يقدر محمد على اخذ حصون الشام
قال بعض المسلمين الله يعينه على ذلك فذكر بعض المنافقين
كلاما يشعر بالقدح فى قدرة الله تعالى وانما ذكروا ذلك على طريق
الاستهزا قوله عز وجل لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم يعنى
قل لهولا المنافقين لا تعتذروا بالباطل ومعنى الاعتذار محوا اثر الموجدة
من قلب المعتذر اليه وقيل معنى العذر قطع الملايمة عن الجانى قد
كفرتم بعد ايمانكم يعنى ان الاستهزا بالله كفر والاقدام عليه يوجب
الكفر فلهذا قال تعالى لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم فان قلت
ان المنافقين لم يكونوا مومنين فكيف قال قد كفرتم بعد ايمانكم قلت
معناه اظهرتم الكفر بعد ما كنتم قد اظهرتم الايمان وذلك ان المنافقين
كانوا يكتمون الكفر ويظهرون الايمان فلما حصل ذلك الاستهزا منهم
وهو كفر قيل لهم قد كفرتم بعد ايمانكم وقيل معناه قد كفرتم عند
المومنين بعد ان كنتم عندهم مومنين وقوله تعالى ان يعف عن
طايفة منكم نعذب طايفة بانهم كانوا مجرمين ذكر المفسرون ان الطايفتين
كانوا ثلاثة قالوا واحد طايفة والاثنان طايفة والعرب توقع لفظ الجمع
على الواحد فلهذا اطلق لفظ الطايفة على الواحد قال محمد بن
اسحق الذى عفى عنه رجل واحد وهو مخشى بن حمير الاشجعى يقال انه
هو الذى كان يضحك ولا يخوض وقيل انه كان يمشى مجانبا لهم وينكر
بعض ما يسمع فكان ذنبه اخف فلما نزلت الاية تاب من نفاقه ورجع
الى الاسلام وقال اللهم انى لا ازال اسمع اية تقرا اعنى بها تقشعر
منها الجلود وتجلب منها القلوب اللهم اجعل وفاتى قتلا فى سبيلك
لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت فاصيب يوم اليمامة

محمد

ولم يعرف احد من المسلمين مصرعه قوله تعالى **المنافقون**
والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمنكر يعني يامر بعضهم
بعضا بالشرك والمعصية وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم
وينهون عن المعروف يعني عن الايمان والطاعة وتصديق
الرسول صلى الله عليه وسلم **ويقبضون ايديهم** يعني عن النفاق
في سبيل الله وفي كل خير **نسوا الله فنسيهم** هذا الكلام لا يمكن
اجراوه على ظاهره لانا لو حملناه على النسيان الحقيقي لم يستحقوا
ذما عليه لان النسيان ليس في وسع البشر دفعه وايضا فان
النسيان في حق الله تعالى محال فلا بد من التاويل وقد ذكروا
فيه وجهين الاول معناه انهم تركوا امره حتى صاروا بمنزلة
الناسين له فجازاهم بان صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه ورحمة
فخرج من مزاوجة الكلام فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها
الوجه الثاني ان النسيان ضد الذكر فلما تركوا ذكر الله
وعبادته ترك الله ذكرهم يعني ذكرهم بالرحمة والاحسان فجعل
النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من ترك شيئا لم يذكره وقيل
لما تركوا طاعة الله والايمان به تركهم توفيقه وهدايته في الدنيا
ومن رحمته في العقبى **ان المنافقين هم الفاسقون** يعني هم
الخارجون عن الطاعة **وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار**
يقال وعده بالخير وعدا ووعد بالشر وعيدا فالوعد يكون في الخير
والشر **نار جهنم خالدين فيها** فيه حذف تقديره بان يصلوها خالدين
يعني مقيمين فيها **هي حسبهم** يعني هي كافيتهم جزاء على كفرهم ونفاقهم
وتركهم للايمان والطاعة **ولعنهم الله** يعني وابعدهم من رحمته
وطردهم عن بابه **ولهم عذاب مقيم** اي دايم لا ينقطع فان قلت
قوله خالدين فيها بمعنى ولهم عذاب مقيم وهذا تكرار فما معناه
قلت ليس ذلك تكرار وبيان الفرق من وجهين الاول ان
معناه ولهم نوع اخر من العذاب المقيم سوى الصلي بالنار
ولقايل ان يقول هذا التاويل مشكل لانه تعالى قال في النار هي
حسبهم وذلك يمنع من ضم شي اخر الى عذاب النار واجيب
عن هذا الاشكال بان قوله هي حسبهم في الايلام ولا يمنع ان يحصل نوع
من العذاب من جنس النار كالزمهرير ونحوه ويكون ذلك زيادة
في عذابهم الوجه الثاني ان العذاب المقيم هو العذاب المعجل
لهم في الدنيا وهو ما يقاسونه من خوف اطلاع المسلمين عليهم
وما هم فيه من النفاق وكشف فضايحهم وهذا هو العذاب المقيم

وقوله

وقوله تعالى **كالذين من قبلكم** هذا رجوع عن الغيبة الى خطاب
الحضور والكاف في كالذين للتشبيه والمعنى فعلتم كافعال الذين
من قبلكم شبه فعل المنافقين بفعل الكفار الذين كانوا من قبلهم في
الامر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض الايدي عن فعل الخير
والطاعة وقيل انه تعالى شبه المنافقين في عدولهم عن طاعة الله
واتباع امره لاجل طلب الدنيا بمن قبلهم من الكفار ثم وصف
الكفار بانهم كانوا اشد من هولاء المنافقين قوة واكثر اموالا واولادا
فقال تعالى **كانوا اشد منكم قوة** يعني بطشا ومنعة **واكثر اموالا
واولادا فاستمتعوا بخلاقهم** يعني فتمتعوا بنصيبهم من الدنيا
باتباع الشهوات ورضوا بها عن الاخرة والخلاق النصيب وهو
ما خلق الله للانسان وقدر له من خير كما يقال قسم له **فاستمتعتم
بخلاقكم** وهذا خطاب للحاضرين يعني فتمتعتم ايها المنافقون
والكافرون **كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم** فان قلت
ما الفايدة في ذكر الاستمتاع بالخلاق في حق الاولين مرة ثم ذكره
في حق الاولين ثالثا قلت فايدته ان يذم الاولين بالاستمتاع
بما اوتوا من حظوظ الدنيا وشهواتها ورضاهم بها وتركوا النظر
فيما يصلحهم في الدار الاخرة ثم شبه حال المخاطبين من المنافقين
والكفار بحال من تقدمهم ثم ذكر رجع الى ذكر حال الاولين ثالثا وهذا كما
يريد ان يبكت بعض الظلمة على قبح ظلمه فيقول انت مثل فرعون كان يقتل
بغير حق ويعذب بغير جرم فانت تفعل مثل ما كان فعل فالتكرير هنا
للتاكيد وتقبيح فعلهم وفعل من شابههم في فعلهم وقوله **وخضتم كالذي
خاضوا** معطوف على ما قبله ومستند اليه يعني وسلكتم في فعلكم مثل ما
سلكوا في اتباع الباطل والكذب على الله وتكذيب رسله والاستهزا بالمومنين
اوليك حبطت اعمالهم يعني بطلت اعمالهم **في الدنيا والاخرة** يعني ان
اعمالهم لا تنفعهم ولا في الاخرة بل يعاقبون عليها **واوليك هم الخاسرون**
والمعنى انه كما بطلت اعمال الكفار الماضين وخسروا ابطل اعمالكم ايها المنافقون
وتخسرون **ق** عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا
جحر ضب لاتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقوله
الم ياتهم رجع من الخطاب الى الغيبة يعني الم يات هولاء المنافقين والكفار
وهو استفهام بمعنى التقرير اي قد اتاهم **نبا** يعني خبر **الذين من قبلهم**
يعني الامم الماضية الذين خلوا من قبلهم كيف اهلكناهم حين خالفوا
امرنا وعصوا رسلنا ثم ذكرهم فقال تعالى **قوم نوح** يعني انهم اهلكوا

بالطوفان **وعاد** اهلكوا بالريح العقيم **وثمود** اهلكوا بالرجفة **وقوم ابراهيم** بسلب النعمة وكان هلاك نمرود ببعوضة **واصحاب مدين** وهم قوم شعيب اهلكوا بعذاب يوم الظلة **والموتفكات** يعني المنقلبات التي جعل الله عاليها سافلها وهي مداين قوم لوط وانما ذكر الله هذه الطوايف الستة لان اثارهم باقية وبلادهم بالشام والعراق واليمن وكل ذلك قريب من ارض العرب فكانوا يمرون عليهم ويعرفون اخبارهم **اتتهم رسلهم بالبينات** يعني بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم وخالفوا امرنا كما فعلتم ايها الكفار والمنافقون فاحذروا ان يصيبكم مثل ما اصابهم يعجل لكم النقمة كما عجلت لهم **فما كان الله ليظلمهم** يعني بتعجيل العقوبة لهم **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** يعني ان الذين استحقوا من العقوبة بسبب ظلمهم انفسهم **قوله عز وجل والمومنون والمومنات بعضهم اوليا بعض** لما وصف الله تعالى المنافقين ٥ بالاعمال الخبيثة والاحوال الفاسدة ثم ذكر بعده ما اعد لهم من انواع الوعيد في الدنيا والاخرة عقبه بذكر اوصاف المومنين واعمالهم الحسنة وما اعد لهم من انواع الكرامات والخيرات في الدنيا والاخرة فقال تعالى والمومنون والمومنات بعضهم اوليا بعض يعني الموالاة في الدنيا واتفاق الكلمة والعون والنصرة **فان قلت** انه تعالى قال في وصف المنافقين بعضهم من بعض وقال في وصف المومنين بعضهم اوليا بعض فما الفايدة في ذلك **قلت** لما كان نفاق الاتباع وكفرهم انما حصل بتقليد المتبوعين وهم الروسا والاكابر وحصل بمقتضى الطبيعة ايضا قال فيهم بعضهم من بعض ولما كانت الموافقة الحاصلة بين المومنين بتسديد الله وتوفيقه وهدايته لا بمقتضى الطبيعة وهوى النفس وصفهم بان بعضهم اوليا بعض فظهر الفرق بين الفريقين وظهرت الفايدة وقوله تعالى **يامرون بالمعروف** يعني بالايمان بالله ورسوله واتباع امره والمعروف كلما عرف في الشرع من خير وبر وطاعة **وينهون عن المنكر** يعني عن الشرك والمعصية والمنكر كلما ينكره الشرع وهذا ويتنفر منه الطبع وهذا في مقابلة ما وصف به المنافقون وضده **ويقيمون الصلاة** يعني الصلاة المفروضة ويتمون اركانها وحدودها **ويوتون الزكاة** يعني الواجبة عليهم وهو في مقابلة ويقبضون ايديهم **ويطيعون الله ورسوله** يعني فيما يامرهم به وهو في مقابلة قوله نسوا الله فنسيهم **اوليك** يعني المومنين والمومنات الموصوفين بهذه الصفات **سيرحمهم الله** لما ذكر الله ما

وعد

وعد به المومنين المنافقين من العذاب في نار جهنم ذكر ما وعد به المومنين من الرحمة والرضوان وما اعد لهم في الجنات والسين في سيرحمهم للمبالغة والتوكيد **ان الله عزيز حكيم** وهذا يوجب المبالغة في الترغيب والترهيب لان العزيز هو الذي لا يمتنع عليه شي اراده فهو قادر على ايصال الرحمة لمن ارادوا ايصال العقوبة لمن اراد والحكيم هو الذي يدبر عباده على ما يقتضيه العدل والانصاف **وعد الله المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار** لما ذكر الله في اياته المتقدمة وعيد المنافقين وما اعد لهم في نار جهنم من العذاب ذكر في هذه الاية ما وعد به المومنين من الخير والثواب والمراد بالجنات التي تجري من تحتها الانهار البساتين التي يحير في حسنها الناظر لانه تعالى قال ومساكن طيبة في جنات عدن والمعطوف يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه فتكون مساكنهم في جنات عدن ومناظرهم الجنات التي هي البساتين فتكون جنات عدن هي المساكن التي يتقلبوا فيها والجنات الاخرى البساتين التي يتنزهون فيها فهذه فايدة المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه والفرق بينهما **ومساكن طيبة** يعني ومنازل يسكنونها طيبة **في جنات عدن** يعني في بساتين خلد واقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به روى الطبري بسنده عن عمران بن حصين وابي هريرة قالا سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصر من لولوة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمرا في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضرا في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مايدة على كل مايدة سبعون لونا من طعام في كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المومن من القوة في غداة ما ياتي على كل ذلك كله اجمع وروي بسنده عن ابي هريرة الدردا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر وهي مسكنه ولا يسكنها معه من بني ادم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهدا يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك هكذا رواه الطبري فان صحت هذه الرواية فلا بد من تاويلها فقوله عدن دار الله يعني داره هو من باب حذف المضاف تقديره عدن دار الله التي اعدها لاوليايه واهل طاعته ٥ والمقربين من عباده عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة انيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب انيتهما وما

فيها وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبر على وجهه
في جنة عدن **اخرجه** البخاري ومسلم وقال عبد الله بن
مسعود عدن بطنان الجنة يعني في وسطها وقال عبد الله بن عمرو
ابن العاص ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج
له خمسة الاف باب لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد ٭ وقال عطا
ابن السايب عدن نهر في الجنة على حافتيه وقال مقاتل والكلبي
عدن اعلا درجة في الجنة فيها عين التسنيم والجنان حولها محدقة بها
وهي مغطاة من حين خلقها الله حتى ينزلها اهلها الانبيا والصديقون
والشهدا والصالحون ومن شا الله وفيها قصور الدر والياقوت
والذهب فتهب ريح طيبة من تحت العرش فتدخل كثبان المسك
الابيض ٭ قال الامام فخر الدين حاصل هذا الكلام ان في جنات
عدن قولين احدهما انه اسم لموضع معين في الجنة وهذه الاخبار
والاثار تقوي هذا القول ٭ قال صاحب الكشاف وعدن علم بدليل
قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده والقول الثاني انه صفة
للجنة قال الازهري العدن ماخوذ من قولك عدن بالمكان اذا
اقام به يعدن عدونا فبهذا الاشتقاق قالوا الجنات كلها جنات
عدن وقوله تعالى **ورضوان من الله اكبر** يعني ان رضوان الله الذي
ينزل عليهم اكبر من كل ما سلف ذكره من نعيم الجنة **ذلك هو الفوز
العظيم** اشارة الى ما تقدم ذكره من نعيم الجنة والرضوان **ق** عن ابي
سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك
وتعالى قال لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك
والخير في يديك فيقول رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى يا ربنا
وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل
من ذلك فيقولون واي شي افضل من ذلك فيقول احل عليكم
رضواني فلا اسخط بعده ابدا قوله تعالى **يا ايها النبي جاهد الكفار**
يعني بالسيف والمحاربة **والمنافقين** يعني وجاهد المنافقين
واختلفوا في صفة جهاد المنافقين وسبب هذا الاختلاف ان
المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الاسلام ولما كان الامر كذلك
لم تجز مجاهدته بالسيف والقتال لاظهاره الاسلام فقال ابن عباس
امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين
باللسان واذهاب الرفق بهم وهذا قول الضحاك ايضا وقال ابن
مسعود بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه فان لم
يستطع فليكفهر في وجهه وقال الحسن وقتادة باقامة الحدود عليهم

يعني

عليهم يعني اذا تعاطوا اسبابها وهذا القول فيه بعد لان اقامة
الحدود واجبة على من ينافق فلا تعلق لاقامة الحدود على المنافق
وانما قال الحسن وقتادة ذلك لان غالب من كان يتعاطى اسباب
الحدود فتقام عليهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين
قال الطبري واولى الاقوال قول ابن مسعود لان الجهاد عبارة عن
بذل الجهد وقد دلت الاية على وجوب جهاد المنافقين وليس في الاية
ذكر كيفية ذلك الجهاد فلا بد من دليل متصل وقد دلت الدلايل
المنفصلة ان الجهاد مع الكفار انما يكون بالسيف ومع المنافقين
باظهار الحجة عليهم تارة وبترك الرفق بهم تارة وهذا قول ابن مسعود
واغلظ عليهم يعني اشدد عليهم بالجهاد والارهاب **وماواهم جهنم وبيس
المصير** يعني ان جهنم مسكنهم وبيس المصير مصيرهم اليها فان **قلت**
كيف ترك النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين بين اظهر اصحابه مع
علمه بهم وبحالهم **قلت** انما امر الله عز وجل فيه صلى الله عليه
وسلم بقتال من اظهر كلمة الكفر واقام على اظهارها فاما من تكلم بالكفر
في السر فاذا اطلع عليه اظهره وانكره ورجع عنه وقال اني مسلم فانه
يحكم باسلامه في الظاهر في حقن دمه وماله وولده وان كان معتقدا
غيره في الباطن لان الله تعالى امر باجرا الاحكام على الظواهر فلذلك
اجرى النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين على ظواهرهم ووكل سرايرهم
الى الله لانه العالم باحوالهم وهو مجازيهم في الاخرة بما يستحقونه قوله
عز وجل **يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد
اسلامهم** اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الاية فقال عروة بن
الزبير نزلت في الجلاس بن سويد اقبل هو وابن امراته مصعب من
قبا فقال الجلاس ان كان ما جا به محمد حقا لنحن شر من حميرنا هذه التي
نحن عليها فقال مصعب اما والله يا عدو الله لاخبرن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بما قلت وخفت ان ينزل في القران وان تصيبني
قارعة وان اخلط بخطيته فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا
رسول الله اقبلت انا والجلاس من قبا فقال كذا وكذا ولولا اني اخاف
ان اخلط بخطيته او تصيبني قارعة ما اخبرتك قال فدعا الجلاس
فقال يا جلاس اقلت ما قال مصعب فحلف ما قال فانزل الله عز
وجل يحلفون ما قالوا الاية ٭ **وروي** عن مجاهد نحوه وقال ابن عباس
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل حجرة فقال انه سياتيكم
انسان فينظر اليكم بعيني الشيطان فاذا جا فلا تكلموه فلم يلبثوا ان
طلع رجل ازرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشتمني

انت واصحابك فانطلق الرجل فجا باصحابه فحلفوا بالله ما قالوا وما
فعلوا حتى تجاوز عنهم فانزل الله يحلفون بالله ما قالوا ثم نعتهم جميعا
الى اخر الاية وقال قتادة ذكر لنا ان رجلين اقتتلا احدهما من جهينة
والاخر من غفار وكانت جهينة حلفا الانصار فظهر الغفاري على
الجهني فقال عبد الله بن ابي بن سلول للاوس انصروا اخاكم
فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القايل سمن كلبك ياكلك
وقال لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسعى بها رجل
من المسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه فساله
فحلف بالله ما قاله فانزل الله هذه الاية هذه روايات الطبري
وذكر البغوي عن الكلبي قال نزلت في الجلاس بن سويد وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك وذكر
المنافقين وسماهم رجسا وعابهم فقال الجلاس لين كان محمد صادقا
لنحن شر من الحمير فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة
اتاه عامر بن قيس فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب يا رسول الله
فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلفا عند المنبر فقام الجلاس
عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب
علي عامر فحلف بالله الذي لا اله الا هو لقد قاله وما كذبت عليه ثم
رفع عامر يده الى السما فقال اللهم انزل على نبيك تصديق الصادق
منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنون امين فنزل جبريل
عليه السلام قبل ان يتفرقا بهذه الاية حتى بلغ وان يتوبوا يك خيرا
لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله اسمع الله قد عرض علي التوبة
صدق عامر بن قيس فيما قاله لقد قلته وانا استغفر الله واتوب
اليه فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه ثم تاب وحسنت
توبته فذلك قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
وكفروا بعد اسلامهم يعني اظهروا كلمة الكفر بعد الاسلام وذلك الكلمة
هي سب النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هي كلمة الجلاس بن سويد لين
كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير وقيل كلمة ابي بن سلول لين رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وستاتي القصة ان شاء الله
تعالى في سورة المنافقين في موضعها **وهموا بما لم ينالوا** قال مجاهد
هم الجلاس بقتل الذي سمع مقالته خشية ان يفشيها عليه وقيل هم عبد
الله بن ابي بن سلول وكان الذي هم قوله لين رجعنا الى المدينة فلم
ينله وقيل هم اثنى عشر من المنافقين بقتل رسول الله صلى الله عليه
وسلم توقفوا على العقبة وقت رجوعه من تبوك ليقتلوه فجاه جبريل

عليه السلام فاخبره وامره ان يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم
فارسل حذيفة لذلك وقال السدي قال المنافقون اذا رجعنا الى
المدينة عقدنا على راس عبد الله بن ابي بن سلول تاجا فلم يصلوا اليه
وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله يعني وما انكروا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله
ان المنافقين عملوا بضد الواجب فجعلوا موضع شكر النبي صلى
الله عليه وسلم ان نقموا عليه وقيل انهم بطروا النعمة فنقموا اشرا
وبطرا وقال ابن قتيبة معناه ليس ينقمون شيا ولا يتعرفون من
الله الا الصنع وهذا كقول الشاعر •

• ما نقم الناس من امية الا • انهم يحلمون ان غضبوا •
وهذا ليس مما ينقم وانما اراد ان الناس لا ينقمون عليهم شيا فهو كقول
النابغة •

• ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتايب •
اي ليس فيهم قال الكلبي كانوا قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة في ضنك العيش فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم استغنوا
بالغنايم فعلى هذا القول يكون الكلام عاما وقال عروة كان الجلاس
قتل له مولى فامر له النبي صلى الله عليه وسلم بديته فاستغنى وقال
قتادة كانت لعبد الله بن ابي دية فاخرجها رسول الله صلى الله عليه
وسلم • وقال عكرمة ان مولى لبني عدي قتل رجلا من الانصار فقضى
له النبي صلى الله عليه وسلم بالدية اثنى عشر الفا وفيه نزلت وما نقموا الا
ان اغناهم الله ورسوله من فضله **فان يتوبوا يك خيرا لهم** يعني فان
يتوبوا عن كفرهم ونفاقهم يك ذلك خيرا لهم في العاجل والاجل **وان
يتولوا** يعني وان يعرضوا عن الايمان ويصروا على النفاق والكفر ٥
يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا يعني بالخزي والاذلال **والاخرة** اي
ويعذبهم في الاخرة بالنار **وما لهم في الارض من ولي ولا نصير** يعني وليس
لهم احد يمنعهم من عذاب الله او ينصرهم في الدنيا والاخرة قوله تعالى
ومنهم من عاهد الله لين اتانا من فضله لنصدقن الاية روى البغوي
بسند الثعلبي عن ابي امامة الباهلي قال جا ثعلبة بن حاطب ٥
الانصاري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع
الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة
قليل تودي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم اتاه بعد ذلك فقال يا رسول
الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اما لك في رسول الله اسوة حسنة والذي نفسي بيده لو اردت ان تسير

الجبال معي ذهبا وفضة لسارت ثم اتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله
ادع الله ان يرزقني مالا والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا
لاعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم
ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود فضاقت عليه
المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها وهي تنمى كما ينمى الدود فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ويصلي في غنمه ساير الصلوات
ثم كثرت ونمت حتى تباعدت عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة
ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة ايضا حتى كان لا يشهد جمعة ولا
جماعة فكان اذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الناس يسالهم عن الاخبار
فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة
فقالوا يا رسول الله اتخذ ثعلبة غنما ما يسعها واد فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة فانزل الله اية
الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني سليم ورجلا
من جهينة وكتب لهما اسنان الصدقة وكيف ياخذان وقال لهما مرا
على ثعلبة بن حاطب وبرجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا
حتى اتيا ثعلبة فسالاه الصدقة واقراه كتاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية انطلقا
حتى تفرغا ثم عودا الي فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار اسنان
ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما راياها قالا ما هذا عليك
قال خذاها فان نفسي بذلك طيبة فمرا على الناس واخذا الصدقات
ثم رجعا الى ثعلبة فقال اروني كتابكما فقراه ثم قال ما هذه الا جزية
ما هذه الا اخت الجزية اذهبا حتى ارى رايي قال فاقبلا فلما راهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل ان يتكلما يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة
يا ويح ثعلبة ثم دعا للسلمي بخير فاخبراه بالذي صنع ثعلبة فانزل
الله فيه ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن الاية
الى قوله وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل
من اقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى اتاه فقال ويحك يا ثعلبة
لقد انزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبي صلى الله عليه
وسلم فساله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله منعني ان اقبل منك
صدقتك فجعل يحثي على راسه التراب فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فلما ابى ان يقبل رسول
الله صلى الله عليه وسلم صدقته رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاتى ابو بكر فقال اقبل صدقتي فقال ابو بكر لم يقبلها

منك

يصلي مع ح

منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابو بكر انا لا اقبلها منك فانا
لا اقبلها فقبض ابو بكر ولم يقبلها • فلما ولي عمر اتاه فقال اقبل صدقتي
فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابو بكر انا لا اقبلها
منك فلم يقبلها • ثم ولي عثمان فاتاه فلم يقبلها منه وهلك في خلافة
عثمان واخرجه الطبري ايضا بسنده • قال بعض العلماء وانما لم يقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة ثعلبة لان الله منعه من قبولها
مجازاة له على خلافه ما عاهد الله عليه واهانة له على قوله انما
هي جزية او اخت الجزية فلما صدر هذا القول منه ردت صدقته
عليه اهانة وليعتبر غيره به فلا يمتنع من بذل الصدقة عن طيب
نفس باخراجها ويرى انها واجبة عليه وانه يثاب على اخراجها
ويعاقب على منعها • وقال ابن عباس ان ثعلبة اتى مجلسا من مجالس
الانصار فاشهدهم لئن اتاني الله من فضله اتيت منه كل ذي حق
حقه وتصدقت منه ووصلت منه القرابة فمات ابن عم له فورث
منه مالا فلم يف بما عاهد الله عليه فانزل الله فيه هذه الاية •
وقال الحسن ومجاهد نزلت في ثعلبة ومعتب بن قشير وهما من بني
عمرو بن عوف خرجا على ملاء قعود فقالا لئن رزقنا الله من فضله
لنصدقن فلما رزقهما الله بخلا به • وقال ابن السايب ان حاطب بن
ابي بلتعة كان له مال بالشام فابطا عليه فجهد لذلك جهدا شديدا
فحلف بالله لئن اتاني الله من فضله يعني ذلك المال لاصدقن منه
ولاصلن فلما اتاه ذلك المال لم يف بما عاهد الله عليه فنزلت
هذه الاية • وحاصله ان ظاهر الاية يدل على ان بعض المنافقين
عاهد الله لئن اتاه من فضله ليتصدقن وليفعلن فيه اعمال الخير
والبر والصلة فلما اتاه الله من فضله ما سال لم يف بما عاهد الله
عليه ومعنى الاية ومن المنافقين من اعطى الله عهدا لئن رزقنا من
فضله بان يوسع علينا في الرزق لنصدقن يعني لنتصدقن ولنخرجن
من ذلك المال صدقة ولنكونن من الصالحين يعني ولنعملن في ذلك
المال ما يعمله اهل الصلاح باموالهم من صلة الارحام والانفاق
في سبيل الله وجميع وجوه البر والخير واخراج الزكاة وايصالها الى
اهلها والصالح ضد المفسد والمفسد هو الذي يخل بما يلزمه في حكم
الشرع وقيل ان المراد بقوله لنصدقن اخراج الزكاة الواجبة وقوله
لنكونن من الصالحين اشارة الى كل ما يفعله اهل الصلاح على الاطلاق
من جميع البر والطاعة فلما اتاهم من فضله بخلوا به يعني فلما رزقهم
الله فلم يفعلوا من اعمال البر شيا وتولوا يعني عما عاهدوا الله عليه

تعالى ح

وهم معرضون يعني عن العهد فاعقبهم نفاقا في قلوبهم يعني
فاعقبهم الله نفاقا بان صيرهم منافقين يقال اعقبت فلانا ندامة
اذا صيرت عاقبة امره ذلك • وقيل معناه انه تعالى عاقبهم بنفاق
قلوبهم الى يوم يلقونه يعني انه تعالى حرمهم التوبة الى يوم القيمة
فيوا خونه على النفاق فيجازيهم عليه بما اخلفوا الله ما وعدوه يعني
الصدقة والانفاق في سبيله وبما كانوا يكذبون يعني في قولهم
لنصدقن ولنكونن من الصالحين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف
واذا ائتمن خان عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن
كانت فيه خلة وفي رواية خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق
حتى يدعها اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا وعد اخلف واذا
خاصم فجر وقال الشيخ محيي الدين النواوي هذا الحديث مما عده
جماعة من العلما مشكلا من حيث ان هذه الخصال قد توجد في المسلم
المصدق الذي ليس فيه شك وقد اجمع العلما على ان من كان مصدقا
بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق مخلد
في النار فان اخوة يوسف عليهم السلام جمعوا هذه الخصال وكذا قد
توجد لبعض السلف ولبعض العلما بعض هذا او كله قال الشيخ هذا
ليس بحمد الله اشكال ولكن اختلف العلما في معناه فالذي قاله المحققون
والاكثرون وهو الصحيح المختار ان معناه ان هذه الخصال خصال نفاق
وصاحبها يشبه بالمنافقين في هذه الخصال ويتخلق باخلاقهم فان
النفاق هو اظهار ما يبطن خلافه وهذا موجود في صاحب هذه الخصال
فيكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من
الناس لا انه منافق في الاسلام فيظهره وهو يبطن الكفر ولم يرد النبي
صلى الله عليه وسلم بهذا انه منافق نفاق الكفار المخلد في الدرك
الاسفل من النار وقوله صلى الله عليه وسلم كان منافقا خالصا معناه
كان شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال قال بعض العلما
وهذا لمن كانت هذه الخصال غالبة عليه فاما من يندر ذلك منه
فليس داخلا فيه هذا هو المختار في معنى الحديث وقال جماعة
من العلما المراد به المنافقون الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه
وسلم فانهم حدثوا في ايمانهم فكذبوا وائتمنوا على دينهم فخانوا ووعدوا
في امر الدين ونصره فاخلفوا وفجروا في خصوماتهم وهذا قول سعيد
ابن جبير وعطا بن ابي رباح ورجع اليه الحسن البصري بعد ان كان على

خلافه

خلافه وهو مروي عن ابن عباس وابن عمر ورواه ايضا عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال القاضي عياض واليه مال اكثر ائمتنا وحكى
الخطابي قولا اخر ان معناه التحذير للمسلم ان يعتاد هذه الخصال وحكى
ايضا عن بعضهم ان الحديث ورد في رجل بعينه منافق وكان النبي
صلى الله عليه وسلم لا يواجههم بصريح القول فيقول فلان منافق
وانما يشير اشارة كقوله صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام يفعلون كذا
والله اعلم وقال الامام فخر الدين الرازي ظاهر هذه الاية يدل على
ان نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فيجب على المسلم ان
يبالغ في الاحتراز عنه فاذا عاهد امرا فليجتهد في الوفا به وقوله تعالى
الم يعلموا يعني هولا المنافقين ان الله يعلم سرهم يعني ما تنطوي
عليه صدورهم من النفاق ونجواهم يعني ويعلم ما يفاوض به بعضهم
بعضا فيما بينهم والنجوى هو الخفي يكون بين القوم والمعنى انهم يعلمون
ان الله يعلم جميع احوالهم لا يخفى عليه شي منها وان الله علام الغيوب
وهذا مبالغة في العلم يعني ان الله عالم بجميع الاشيا فكيف يخفى عليه
احوالهم قوله عز وجل الذين يلمزون المطوعين من المومنين
في الصدقات الاية ق عن ابي مسعود البدري قال لما نزلت اية
الصدقة كنا نحامل على ظهورنا فجا رجل فتصدق بشي كثير فقالوا مرائي
وجا رجل فتصدق بصاع فقالوا ان الله لغني عن صاع هذا فنزلت الذين
يلمزون المطوعين من المومنين في الصدقات والذين لا يجدون الا
جهدهم الاية • قال ابن عباس وغيره من المفسرين ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجا عبد الرحمن بن عوف باربعة
الاف درهم وقال يا رسول الله مالي ثمانية الاف جيتك باربعة الاف
فاجعلها في سبيل الله وامسكت اربعة الاف فاجعلها لعيالي فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما
امسكت فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى انه خلف امراتين يوم
مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين الف درهم وتصدق يومئذ
عاصم بن عدي العجلاني بمائة وسق من تمر وجا ابو عقيل الانصاري
واسمه الحبحاب بصاع من تمر وقال يا رسول الله بت ليلتي اجر بالجرير
الما حتى نلت صاعين من تمر فامسكت احدهما لعيالي واتيتك
بالاخر فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره في الصدقات
فلمزهم المنافقون فقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا ريا وان الله
ورسوله لغنيان عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر نفسه
ليعطى من الصدقة فانزل الله تعالى الذين يلمزون المطوعين يعيبون

المطوعين يعني المتبرعين من المؤمنين يعني عبد الرحمن بن
عوف وعاصم بن عدي في الصدقات والمتطوع المتنفل بما ليس
واجب عليه والذين لا يجدون الا جهدهم يعني ابا عقيل الانصاري
والجهد بالضم الطاقة وهي لغة اهل الحجاز وبالفتح لغيرهم وقيل
الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقد يكون القليل من المال
الذي ياتي به فيتصدق به اكثر موقعا عند الله تعالى من الكثير
الذي ياتي به فيتصدق به لان الغني اخرج ذلك المال عن قدرة
وهذا الفقير الذي اخرج القليل انما اخرجه عن ضعف وجهد
وقد يوثر المحتاج الى المال لغيره رجاء ما عند الله تعالى كما قال
تعالى ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فيسخرون منهم
يعني ان المنافقين كانوا يستهزون بالمؤمنين في انفاقهم المال في طاعة
الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو قوله لقد كان الله غني
عن صدقة هولا اغنيا وكانوا يعيرون الفقير الذي يتصدق بالقليل
ويقولون انه لفقره محتاج اليه فكيف يتصدق به وجوابهم ان كل
من يرجو ما عند الله من الخير والثواب يبذل الموجود لينال ذلك
الثواب الموعود به وقوله تعالى سخر الله منهم يعني انه تعالى جازاهم
على سخريتهم ثم وصف ذلك وهو قوله ولهم عذاب اليم يعني في
الاخرة قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم
سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال المفسرون لما نزلت الايات المتقدمة
في المنافقين وبيان نفاقهم وظهر للمؤمنين جاوا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعتذرون اليه ويقولون استغفر لنا فنزلت استغفر
لهم او لا تستغفر لهم وهذا الكلام خرج مخرج الامر ومعناه الخبر
تقديره استغفر لهم يا محمد او لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم وانما
خص السبعين من العدد في الذكر لان العرب كانت تستكثر السبعين
ولهذا اكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صلى على عمه حمزة رضي الله
عنه سبعين تكبيرة ولان احاد السبعين سبعين وهو عدد شريف
فان السموات سبع والارضين سبع والايام سبع والاقاليم سبع والبحار
سبع والنجوم السيارة سبع فلهذا خص السبعين بالذكر للمبالغة في
الياس من طمع المغفرة لهم قال الضحاك لما نزلت هذه الاية قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رخص لي فسازيد على
السبعين لعل الله ان يغفر لهم ق عن ابن عمر قال لما توفي عبد الله
يعني ابن ابي بن سلول جاء ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فساله ان يعطيه قميصه يكفن فيه اباه ثم سالوه ان يصلي عليه فقام

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر فاخذ بثوب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك
الله ربك ان تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خيرني
الله عز وجل فقال استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين
مرة وسازيد على السبعين قال انه منافق فصلى عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا تصل على احد منهم مات
ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون
زاد في رواية فترك الصلاة عليهم وقوله تعالى ذلك بانهم كفروا
بالله ورسوله يعني ان هذا الفعل من الله وهو ترك عفوه عنهم
وترك المغفرة لهم من اجل انهم اختاروا الكفر على الايمان بالله
ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين يعني والله لا يوفق
للايمان به وبرسوله من اختار الكفر والخروج عن طاعة الله وطاعة
رسوله قوله عز وجل فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله
يعني فرح المخلفون عن غزوة تبوك والمخلف المتروك بمقعدهم
يعني بقعودهم في المدينة خلاف رسول الله يعني بعده وعلى هذا
المعنى خلاف بمعنى خلف وهو اسم للجهة المعينة لان الانسان اذا
توجه الى قدامه فمن تركه خلفه فقد تركه بعده وقيل معناه مخالفة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار الى تبوك واقاموا بالمدينة
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد امرهم بالخروج الى الجهاد
فاختاروا القعود مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
قوله تعالى وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله
والمعنى انهم فرحوا بسبب التخلف وكرهوا الخروج الى الجهاد وذلك
ان الانسان يميل بطبعه الى ايثار الراحة والقعود مع الاهل والولد
ويكره اتلاف النفس والمال وهو قوله تعالى وقالوا لا تنفروا في الحر
وكانت غزوة تبوك في شدة الحر فاجاب الله عن هذا بقوله قل نار
جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون يعني قل يا محمد لهولا الذين اختاروا
الراحة والقعود خلافك عن الجهاد في الحر فان نار جهنم التي هي
موعدهم في الاخرة هي اشد حرا من حر الدنيا لو كانوا يعلمون قال
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الناس ان ينبعثوا
معه وذلك في الصيف فقال رجال يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع
الخروج فلا تنفر في الحر فقال الله عز وجل قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا
يفقهون فامره الله بالخروج فليضحكوا قليلا يعني فليضحك هولاء
الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحين قليلا في الدنيا

الفانية بمقعدهم خلافه وليبكوا كثيرا يعني مكان ضحكهم في الدنيا
الفانية بمقعدهم خلافه وهذا وان ورد بصيغة الامر الا ان معناه
الاخبار والمعنى انهم وان فرحوا وضحكوا طول اعمارهم في الدنيا فهو قليل
بالنسبة الى بكايهم في الاخرة لان الدنيا فانية والاخرة باقية والمنقطع
الفاني بالنسبة الى الدايم الباقي قليل جزاء بما كانوا يكسبون يعني ان
ذلك البكا في الاخرة جزا لهم على ضحكهم واعمالهم الخبيثة في الدنيا
خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما
اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ٥ وروى البغوي بسنده عن انس
ابن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها
الناس ابكوا فان لم تستطيعوا ان تبكوا فتباكوا فان اهل النار يبكون
في النار حتى تسيل دموعهم في خدودهم كانها جداول حتى تنقطع
الدموع فتسيل الدما فتقرح العيون فلو ان سفنا اجريت فيها
لجرت قوله تعالى فان رجعك الله يعني فان ردك الله يا محمد من
غزاتك هذه الى طايفة منهم يعني الى المتخلفين عنك وانما قال
منهم لانه ليس كل من تخلف بالمدينة عن غزوة تبوك كان منافقا
مثل اصحاب الاعذار فاستاذنوك للخروج يعني فاستاذنك المنافقون
الذين تخلفوا عنك وتحققت نفاقهم في الخروج معك الى غزوة اخرى
فقل لن تخرجوا معي ابدا يعني فقل يا محمد لهولا الذين طلبوا الخروج وهم
مقيمون على نفاقهم لن تخرجوا معي ابدا لا الى غزاة ولا الى سفر ولن
تقاتلوا معي عدوا انكم يعني لانكم رضيتم بالقعود اول مرة يعني انكم
رضيتم بالتخلف عن غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين يعني مع المتخلفين
النسا والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى وقال ابن عباس مع الذين
تخلفوا بغير عذر وقيل مع المخالفين يقال صاحبه خالف اذا كان
مخالفا كثير الخلاف وفي الاية دليل على ان الرجل اذا ظهر منه مكر وخداع
يجب الانقطاع عنه وترك مصاحبته لان الله تعالى منع المنافقين
من الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجهاد مشعر باظهار
نفاقهم وذمهم وطردهم وابعادهم لما علم من مكرهم وخداعهم اذا خرجوا
الى الغزوات **قوله عز وجل** ولا تصل على احد منهم مات ابدا الاية
قال قتادة بعث عبد الله بن ابي سلول الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو مريض ليأتيه قال فنهاه عمر عن ذلك فاتاه نبي الله صلى
الله عليه وسلم فلما دخل عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اهلكك
حب اليهود فقال يا نبي الله اني لم ابعث اليك لتانيبني ولكن بعثت
اليك لتستغفر لي وساله قميصه ان يكفن فيه فاعطاه اياه واستغفر له

رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات فكفن في قميص رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونفث في جلده ودلاه في قبره فانزل الله ولا تصل على احد
منهم مات ابدا ولا تقم على قبره الاية خ عن عمر بن الخطاب قال لما مات
عبد الله بن ابي بن سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي
عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت اليه فقلت يا رسول
الله اتصلي على ابن ابي بن سلول وقد قال يوم كذا وكذا كذا اعدد عليه قوله
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اخر عني يا عمر فلما
اكثرت عليه قال اما اني خيرت فاخترت لو اني اعلم اني ان زدت على
السبعين يغفر له لزدت عليها قال فصلى عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى انزلت الايتان من براة
ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره الى قوله وهم فاسقون
قال فعجبت بعد من جراتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ
والله ورسوله اعلم ٥ واخرجه الترمذي وزاد فيه فما صلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعده على المنافق ولا قام على قبره حتى قبضه
الله تعالى ق عن جابر قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله
ابن ابي بعد ما ادخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه
ونفث فيه من ريقه والبسه قميصه والله اعلم قال وكان كسا عباسا
قميصا قال سفين وقال ابو هارون وكان على رسول الله صلى الله عليه
وسلم قميصان فقال له ابن عبد الله يا رسول الله البس عبد الله قميصك
الذي يلي جلدك قال سفين فيرون ان النبي صلى الله عليه وسلم البس
عبد الله قميصه مكافاة لما صنع ٥ وفي رواية عن جابر قال لما كان يوم
بدر اتي بالاسارى واتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي
صلى الله عليه وسلم له قميصا فوجدوا قميص عبد الله بن ابي يقدر
عليه وكساه النبي صلى الله عليه وسلم اياه فلذلك نزع النبي صلى الله
عليه وسلم قميصه الذي لبسه **فصل** وقد وقع في هذه الاحاديث
التي تتضمن قصة موت عبد الله بن ابي بن سلول المنافق صورة اختلاف
الروايات ففي حديث ابن عمر المتقدم انه لما توفي عبد الله ابن ابي اتى
ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله ان يعطيه
قميصه ليكفنه فيه وان يصلي عليه فاعطاه قميصه وصلى عليه ٥ وفي
حديث عمر بن الخطاب من افراد البخاري ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم دعي له ليصلي عليه ٥ وفي حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم
اتاه بعد ما ادخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه ونفث
عليه من ريقه والبسه قميصه ووجه الجمع بين هذه الروايات انه

صلى الله عليه وسلم اعطاه قميصه فكفن فيه ثم انه صلى عليه وليس
في حديث جابر ذكر الصلاة عليه فالظاهر والله اعلم انه صلى عليه اولا
كما في حديث عمر وابن عمر ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه ثانيا
بعد ما ادخل حفرته فاخرجه منها ونزع عنه القميص الذي اعطاه
وكفن فيه لينفث عليه من ريقه ثم انه صلى الله عليه وسلم البسه
قميصه بيده الكريمة فعلى هذا كله لعبد الله بن ابي تطييبا لقلب
ابنه عبد الله فانه كان صحابيا مسلما صالحا مخلصا • واما قول
قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاده في مرضه وانه ساله
ان يستغفر له وان يعطيه قميصه وان يصلي عليه فاعطاه قميصه
واستغفر له وصلى عليه ونفث في جلده ودلاه في حفرته فهذه جمل
من القول ظاهرها الترتيب • واما المراد بهذا الترتيب توفيقا
بين الاحاديث فيكون قوله ونفث في جلده ودلاه في قبره جملة
منقطعة عما قبلها يعني انه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك بعدما
اعطاه القميص وبعد ان صلى عليه والله اعلم • وقال القرطبي في شرح
صحيح مسلم له ان عبد الله بن ابي بن سلول كان سيد الخزرج في آخر
جاهليتهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم حسده وناصبه العداوة
غير ان الاسلام غلب عليه فنافق فكان راسا في المنافقين واعظمهم
نفاقا واشدهم كفرا وكان المنافقون كثيرا حتى لقد روي عن ابن عباس
انه قال كانوا ثلثماية رجل وماية وسبعين امراة وكان ولده عبد
الله يعني ولد عبد الله بن ابي من فضلاء الصحابة واصدقهم اسلاما
واكثرهم عبادة واشرحهم صدرا وكان ابر الناس بابيه ومع ذلك فقد
قال يوما للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انك لتعلم اني من ابر
الناس لابي واني ان امرتني ان اتيك براسه فعلت فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم نعفو عنه وكان من احرص الناس على اسلام
ابيه وعلى ان ينتفع من بركات النبي صلى الله عليه وسلم ان يعطيه
قميصه ليكفنه فيه فينال من بركته فاعطاه وساله ان يصلي عليه
كل ذلك اكراما لابنه عبد الله واسعافا له ولطلبته وقول عمر انصلي
عليه وقد نهاك الله ان تصلي عليه يحتمل ان يكون قبل نزول ولا تصل
على احد منهم مات ابدا ويظهر من هذا السياق ان عمر وقع في خاطره
ان الله نهاه عن الصلاة عليه فيكون هذا من قبيل الالهام والتحديث
بالذي شهد له به النبي صلى الله عليه وسلم • ويحتمل ان يكون فهمه
من سياق قوله استغفر لهم او لا تستغفر لهم وهذان التاويلان
فيما بعد قال القرطبي والذي يظهر لي والله اعلم ان البخاري ذكر هذا

الحديث

الحديث من رواية ابن عباس وساقه هي ابين من هذه وليس فيها
هذا اللفظ فقال عن ابن عباس عن عمر لما مات عبد الله بن ابي بن
سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال عمر وثبت اليه الحديث الى قوله فصلى عليه ثم
انصرف فلم يلبث الا يسيرا حتى انزلت عليه الايتان من براة قال
القرطبي وهذا سياق حسن وتنزيل متقن ليس فيه شي من الاشكال
المتقدم فهو اولى • وقوله صلى الله عليه وسلم بما زيد على السبعين
وعده الزيادة وهو مخالف في حديث ابن عباس عن عمر فانه فيه لو
اعلم اني زدت على السبعين وهو مخالف في حديث ابن عباس عن عمر
غفر له لزدت وهذا التقييد لذلك الوعد المطلق فان الاحاديث
يفسر بعضها بعضا ويقيد بعضها بعضا فكذلك قالوا لو اعلم اني
اذا زدت على السبعين غفر له لزدت فقد علم انه لا يغفر له وقوله
صلى الله عليه وسلم اني خيرت مشكل مع قوله تعالى ما كان للنبي والذين
امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية وهذا ابينهما النهي عن الاستغفار
لمن مات كافرا وهو متقدم على الاية التي فيها التخيير والجواب
عن هذا الاشكال ان المنهي عنه استغفار لمن تحقق موته على الكفر
والشرك واما استغفاره لاوليك المنافقين المخير فيهم فهو قد علم
صلى الله عليه وسلم انه لا يقع ولا ينفع وغايته انه وقع كان تطييبا
لقلوب الاحيا من قراباتهم فانفصل الاستغفار المنهي عنه من المخير
فيه فارتفع الاشكال بحمد الله والله اعلم • قال الشيخ محيي الدين
النواوي انما اعطاه قميصه ليكفنه فيه تطييبا لقلب ابنه عبد الله
فانه كان صحابيا صالحا وقد سال ذلك فاجابه اليه • وقيل بل اعطاه
الله مكافاة لعبد الله بن ابي المنافق الميت لانه البس العباس حين
اسر يوم بدر قميصا وفي هذا الحديث مكارم اخلاق النبي صلى الله عليه
وسلم فقد علم ما كان من هذا المنافق من الايذا له وقابله بالحسنى
والبسه قميصه كفنا وصلى عليه واستغفر له قال الله تعالى وانك لعلى
خلق عظيم • وقال البغوي قال سفيان بن عيينة كانت له يد عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحب ان يكافيه بها ويروى ان النبي
صلى الله عليه وسلم كلم فيما فعل بعبد الله بن ابي فقال صلى الله عليه
وسلم وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله والله اني كنت ارجو ان
يسلم به الف من قومه لما راه تبرك بقميص النبي صلى الله عليه وسلم وقوله
تعالى ولا تقم على قبره يعني لا تقف عليه ولا تتولى دفنه من قولهم قام
فلان بامر فلان اذا كفاه امره وناب عنه فيه انهم كفروا بالله ورسوله

وما توا وهم فاسقون وهذا تعليل لسبب المنع من الصلاة عليه
والقيام على قبره ولما نزلت هذه الاية ما صلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره بعد ما **فان قلت**
الفسق ادنى حالا من الكفر ولما ذكر في تعليل هذا النهي كونه كافرا
فيدخل تحته الفسق وغيره فما الفايدة في وصفه فاسقا بعد وصفه
بالكفر **قلت** ان الكافر قد يكون عدلا في نفسه بان يودى الامانة
ولا يضمر لاحد سوءا وقد يكون خبيثا في نفسه كثير الكذب والمكر
والخداع واضمار السوء للغير وهذا امر مستقبح عند كل احد ولما
كان المنافق بهذه الصفة الخبيثة وصفهم الله تعالى بكونهم فاسقين
بعد ان وصفهم بالكفر قوله تعالى **ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما
يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون** الكلام
على هذه الاية في مقامين المقام الاول في وجه التكرار والحكمة فيه ان
تجدد النزول له شان في تقرير ما نزل اولا وتاكيده وارادته ان يكون
المخاطب به على بال ولا يغفل عنه ولا ينساه وان يعتقد ان العمل به
مهم وانما اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه وهو ان اشد
الاشياء جذبا للقلوب والخواطر الاشتغال بالاموال والاولاد وما
كان كذلك يجب التحذير منه مرة بعد اخرى وبالجملة فالتكرير يراد
به التاكيد والمبالغة في التحذير من ذلك الشيء الذي وقع الاهتمام
به وقيل ايضا انما كرر هذا المعنى لانه اراد بالاية الاولى قوما من
المنافقين كان لهم اموال واولاد عند نزولها وبالاية الاخرى اقواما
اخرين منهم • المقام الثاني في وجه بيان ما حصل من التفاوت
في الالفاظ في هاتين الايتين وذلك انه تعالى قال في الاية الاولى
فلا تعجبك بالفاء وقال هنا ولا تعجبك بالواو والفرق بينهما انه
عطف الاية الاولى على قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون وصفهم
بكونهم كارهين للانفاق لشدة المحبة للاموال والاولاد فحسن
العطف عليه بالفاء في قوله فلا تعجبك واما هذه الاية فلا تعلق
لها بما قبلها فلهذا اتى بحرف الواو وقال تعالى في الاية الاولى فلا
تعجبك اموالهم ولا اولادهم واسقط حرف لا هنا فقال واولادهم
والسبب فيه ان حرف لا دخلت هناك لزيادة التاكيد فيدل عليه
انهم كانوا معجبين بكثرة الاولاد والاموال وكان اعجابهم باولادهم
اكثر وفي اسقاط حرف لا هنا دليل على انه لا تفاوت بين الامرين
وقال تعالى في الاية الاولى انما يريد الله ليعذبهم بحرف اللام
وقال هنا ان يعذبهم بحرف ان والفايدة فيه التنبيه على ان التعليل

في

في احكام الله محال وانه اينما ورد حرف لا فمعناه ان كقوله وما امروا
الا ليعبدوا الله معناه وما امروا الا ان يعبدوا الله وقال تعالى في
الاية الاولى في الحياة الدنيا وقال هنا في الدنيا والفايدة في اسقاط
لفظة الحياة تنبيها على ان الحياة الدنيا بلغت في الخسة الى حيث
انها لا تستحق ان تذكر ولا تسمى حياة بل يجب الاقتصار عند ذكرها
على لفظ الدنيا تنبيها على كمال دناءتها فهذه جمل في ذكر الفرق
بين هذه الالفاظ والله اعلم بمراده واسرار كتابه **قوله
عز وجل** **واذا انزلت سورة** ان يراد بالسورة بعضها لان اطلاق
لفظ الجمع على البعض جائز ويحتمل ان يراد جميع السورة فعلى هذا
المراد بالسورة سورة براءة لانها مشتملة على الامر بالايمان والامر
بالجهاد **ان** اي بان **امنوا بالله وجاهدوا مع رسوله** **فان قلت**
كيف يامرهم بالايمان مع كونهم مومنين فهو من باب تحصيل الحاصل
قلت معناه الامر بالدوام على الايمان والجهاد في المستقبل
وقيل ان الامر بالايمان متوجه على كل احد في كل ساعة وقيل ان هذا
الامر وان كان ظاهره العموم لكن المراد به الخصوص وهم المنافقون
والمعنى اخلصوا الايمان بالله وجاهدوا مع رسوله وانما قدم الامر
بالايمان على الامر بالجهاد لان الجهاد بغير ايمان لا يفيد اصلا فكانه
قيل للمنافقين الواجب عليكم ان تؤمنوا بالله اولا وتجاهدوا مع
رسوله ثانيا حتى يفيدكم ذلك الجهاد فايدة يرجع عليكم نفعها في
الدنيا والاخرة وقوله تعالى **استاذنك اولوا الطول منهم** قال ابن
عباس يعني اهل الغنى وهم اهل القدرة والثروة والسعة من المال
وقيل هم رؤساء المنافقين وكبراؤهم وفي تخصيص اولي الطول بالذكر
قولان احدهما ان الذم لهم الزم لكونهم قادرين على اهبة السفر والجهاد
والقول الثاني انما خص اولوا الطول بالذكر لان العاجز عن السفر
والجهاد لا يحتاج الى الاستيذان **وقالوا** يعني اولوا الطول **ذرنا
نكن مع القاعدين** يعني في البيوت مع النساء والصبيان وقيل مع
المرضى والزمنى **رضوا بان يكونوا مع الخوالف** قيل الخوالف النساء
اللواتي يتخلفن في البيوت فلا يخرجن منها والمعنى رضوا بان يكونوا
في تخلفهم عن الجهاد كالنساء وقيل خوالف جمع خالفة وهم ادنياء الناس
وسفلتهم يقال فلان خالفة قومه اذا كان دونهم **وطبع على قلوبهم
فهم لا يفقهون** يعني وختم على قلوب هؤلاء المنافقين فهم لا يفقهون مراد
الله في الامر بالجهاد **لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم**
اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم يعني الرسول

والمومنين واوليك لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة في
الدنيا والجنة والكرامة في الاخرة وقيل الحور العين لقوله فيهن خيرات
حسان هي جمع خيرة تخفيف خيرة واوليك هم المفلحون اى الفايزون
بالمطالب قوله تعالى اعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات الاخروية
قوله تعالى وجا المعذرون من الاعراب ليوذن لهم يعني وجا
المعتذرون من اعراب البوادي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعتذرون اليه في التخلف عن الغزو قال الضحاك هم رهط
عامر بن الطفيل جاوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معتذرين
اليه دفاعا عن انفسهم فقالوا يا نبي الله ان نحن غزونا معك تغير
اعراب طي على حلايلنا واولادنا ومواشينا فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد انباني الله من اخباركم وسيغني الله عنكم
وقيل هم نفر من بني غفار رهط خفاف بن ايما بن رحضة وقيل هم
اسد وغطفان • وقال ابن عباس هم الذين تخلفوا بعذر فاذن لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم • ومعنى الاية وجا المعذرون اى
المقصرون يعني انهم قصروا ولم يبالغوا فيما اعتقدوا اعتذروا به
والمعذور من يرى ان له عذرا ولا عذر له وقيل ان الاصل في
هذا اللفظ عند النحاة المعتذرون ادغمت التاء في الذال لقرب
مخرجهما والاعتذار في كلام العرب على قسمين يقال اعتذر اذا
كذب في عذره ومنه قوله تعالى يعتذرون اليكم فرد الله عليهم
بقوله قل لا تعتذروا فدل ذلك على فساد عذرهم وكذبهم فيه
ويقال اعتذر اذا اتى بعذر صحيح وقيل هو من التعذير
الذي هو التقصير يقال عذر تعذيرا اذا قصر ولم يبالغ فعلى هذا
المعنى يحتمل انهم كانوا صادقين بدليل انه تعالى لما ذكرهم قال
بعده وقعد الذين كذبوا الله ورسوله فلما فصل بينهم وميزهم
عن الكاذبين دل ذلك على انهم ليسوا الكاذبين ويروى عن ابي
عمرو بن العلا انه لما قيل هذا الكلام فقال ان قوما تكلفوا عذرا
بباطل فهم الذين عناهم الله تعالى بقوله وجا المعذرون وتخلف
اخرون لا لعذر ولا لشبهة عذر جراة على الله فهو المراد بقوله وقعد
الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين ما
جاوا وما اعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله يعني في
ادعايهم الايمان سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم يعني
في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار وانما قال منهم لانه تعالى علم ان

منهم

منهم من سيومن ويخلص في ايمانه فاستثناهم الله من المنافقين الذين
اصروا على الكفر والنفاق وماتوا عليه **قوله عز وجل** ليس على
الضعفا لما ذكر الله عز وجل المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد واعتذروا
باعذار باطلة عقبه بذكر اصحاب الاعذار الحقيقة الصحيحة وعذرهم
واخبران فرض الجهاد عنهم ساقط فقال تعالى ليس على الضعفا له
والضعيف هو الصحيح في بدنه العاجز عن الغزو وتحمل مشاق السفر
والجهاد مثل الشيوخ والصبيان والنسا ومن خلق في اصل الخلقة ضعيفا
نحيفا ويدل على ان هولا الاصناف هم الضعفا ان الله عطف المرضى
فقال تعالى ولا على المرضى والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فاما المرضى
فيدخل فيهم اهل العمى والعرج والزمانة وكل من كان موصوفا بمرض
يمنعه من التمكن من الجهاد والسفر للغزو ولا على الذين لا يجدون
ما ينفقون يعني الفقرا العاجزين عن اهبة الغزو والجهاد فلا
يجدون الزاد والراحلة والسلاح ومونة السفر لان العاجز عن نفقة
الغزو معذور حرج اى ليس على هولا الاصناف الثلاثة حرج اي
اثم في التخلف عن الغزو • قال الامام فخر الدين الرازي ليس في الاية
انه يحرم عليهم لان الواحد من هولاء لو خرج ليعين المجاهدين بمقدار
القدرة اما بحفظ متاعهم او بتكثير سوادهم بشرط ان لا يجعل نفسه
كلا ووبالا عليهم فان ذلك طاعة مقبولة ثم انه تعالى شرط على الضعفا
في جواز التخلف عن الغزو شرطا معينا وهو قوله تعالى اذا نصحوا لله
ورسوله ومعناه انهم اذا اقاموا في البلد احترزوا عن افشا الاراجيف
واثارة الفتن وسعوا في ايصال الخير الى اهل المجاهدين الذين خرجوا
الى الغزو وقاموا بمصالح بيوتهم واخلصوا الايمان والعمل لله وتابعوا
الرسول صلى الله عليه وسلم فان جملة هذه الامور تجرى مجرى النصح لله
ولرسوله ما على المحسنين من سبيل اى ليس على من احسن فنصح لله
ولرسوله في تخلفه عن الجهاد بعذر قد اباحه الشارع طريق يتطرق
عليه فيعاقب عليه والمعنى انه سد باحسانه طريق العقاب عن
نفسه ويستنبط من قوله ما على المحسنين من سبيل ان كل مسلم يشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله مخلصا من قلبه بان ما عليه سبيل
في نفسه وماله الا ما اباحه الشرع بدليل منفصل والله غفور يعني
لمن تخلف عن الجهاد بعذر ظاهر اباحه الشرع رحيم يعني انه تعالى
رحيم بجميع عباده قال قتادة نزلت هذه الاية في عايذ بن عمرو واصحابه
وقال قتادة نزلت في عبد الله بن ام مكتوم وكان ضرير البصر ولما ذكر
الله عز وجل هذه الاقسام الثلاثة من المعذورين اتبعه بذكر قسم

رابع وهو قوله تعالى **ولا على الذين اذا ما اتوك** يعني ولا حرج ولا
اثم في التخلف عنك على الذين اذا ما اتوك **لتحملهم** يعني يسالونك
الحملان ليبلغوا الى غزو عدوك وعدوهم والجهاد معك يا محمد قال
ابن اسحق نزلت في البكائين وكانوا سبعة ونقل الطبري عن محمد بن
كعب وغيره قالوا لما جا ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يستحملونه فقال لا احد ما احملكم عليه فانزل الله هذه الاية
وهم سبعة نفر من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير ومن بني نغلب
واقف حرمي بن عمير ومن بني مازن ابن النجار عبد الرحمن بن كعب
يكنى ابا ليلى ومن بني المعلى سلمان بن صخر ومن بني حارثة عبد
الرحمن بن زيد ابو عبلة وهو الذي تصدق بعرضه فقبل الله منه
ذلك ومن بني سلمة عمرو بن عنمة وعبد الله بن عمرو المزني وقال
البغوي هم سبعة نفر سموا البكائين معقل بن وصخر بيسار بن خنسا
وعبد الله بن كعب الانصاري وعلبة بن زيد الانصاري وسالم بن
عمير وثعلبة بن عنمة وعبد الله بن مغفل المزني قال اتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان الله عز وجل قد ندبنا
الى الخروج معك فاحملنا فقال لا اجد ما احملكم عليه وقال مجاهد
هم بنو مقرن من مزينة وكانوا ثلاثة اخوة معقل وسويد والنعمان
بنو مقرن • وقيل نزلت في العرباض بن سارية ويحتمل انها نزلت
في كل من ذكر قال ابن عباس سالوه ان يحملهم على الدواب • وقيل بل
سالوه ان يحملهم على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لا اجد ما احملكم عليه تولوا وهم يبكون ولذلك
سموا البكائين فذلك قوله تعالى **قلت لا اجد ما احملكم عليه**
تولوا واعينهم تفيض من الدمع قال صاحب الكشاف هو كقوله
تفيض دمعا وهو ابلغ من تفيض دمعها لان العين جعلت كانها
كلها دمع فايض ومن للبيان كقوله افديك من رجل **حزنا الا يجدوا**
ما ينفقون يعني على انفسهم في الجهاد **انما السبيل** لما قال تعالى ما
على المحسنين من سبيل قال في حق من يعتذر ولا عذر له انما السبيل
يعني انما يتوجه الطريق بالعقوبة **على الذين يستاذنوك** يا محمد
في التخلف عنك والجهاد معك **وهم اغنيا** يعني قادرين على الخروج
معك **رضوا بان يكونوا مع الخوالف** يعني رضوا بالدناة والضيعة ٥
والانتظام في جملة الخوالف وهم النسا والصبيان والقعود معهم **وطبع**
الله على قلوبهم يعني ختم عليها **فهم لا يعلمون** ما في الجهاد من الخير في
الدنيا والاخرة اما في الدنيا فالفوز بالنعمة والظفر بالعدو واما في

الاخرة

الاخرة فالثواب والنعيم الدايم الذي لا ينقطع قوله تعالى **يعتذرون**
اليكم اذا رجعتم اليهم يعني يعتذر هولا المنافقون المتخلفون عنك يا
محمد اليك وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له صلى الله عليه وسلم ويحتمل
انهم اعتذروا اليه والى المومنين فلهذا قال تعالى يعتذرون اليكم يعني
بالاعذار الباطلة الكاذبة اذا رجعتم اليهم يعني من سفركم **قل** اي
قل لهم يا محمد **لا تعتذروا** قال البغوي روي ان المنافقين الذين تخلفوا
عن غزوة تبوك كانوا بضعة وثمانين فقال الله تعالى قل لا تعتذروا
لن نومن لكم يعني لن نصدقكم فيما اعتذرتم به **قد نبانا الله من اخباركم**
يعني قد اخبرنا الله فيما سلف من اخباركم **وسيرى الله عملكم ورسوله**
يعني في المستانف اتتوبون من نفاقكم ام تقيمون عليه وقيل يحتمل
انهم وعدوا بان ينصروا المومنين في المستقبل فلهذا قال وسيرى الله
عملكم ورسوله هل تفون بما قلتم ام لا **ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة**
فينبئكم يعني فيخبركم **بما كنتم تعملون** لانه هو المطلع على ما في ضمايركم
من الخيانة والكذب واخلاف الوعد

قوله عز وجل

سيحلفون
بالله لكم اذا انقلبتم يعني اذا رجعتم من سفركم **اليهم** يعني الى المتخلفين
بالمدينة من المنافقين **لتعرضوا عنهم** يعني لتصفحوا عنهم ولا توبخوهم
بسبب تخلفهم **فاعرضوا عنهم** يعني فدعوهم وما اختاروا لانفسهم من
النفاق وقيل يريد ترك الكلام يعني لا تكلموهم ولا تجالسوهم فلما قدم
النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال لا تجالسوهم ولا تكلموهم قال اهل
المعاني ان هولا المنافقين طلبوا اعراض الصفح فاعطوا اعراض المقت
ثم ذكر العلة في سبب الاعراض عنهم فقال تعالى **انهم رجس** يعني ان
بواطنهم خبيثة نجسة واعمالهم قبيحة **وماواهم** يعني في الاخرة **جهنم**
جزاء بما كانوا يكسبون يعني من الاعمال الخبيثة في الدنيا قال ابن
عباس نزلت في الجد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين
رجلا من المنافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجالسوهم ولا تكلموهم
وقال مقاتل نزلت في عبد الله بن ابي حلف للنبي صلى الله عليه وسلم
بالله الذي لا اله الا هو انه لا يتخلف عنه بعدها وطلب من النبي صلى
الله عليه وسلم ان يرضى عنه فانزل الله عز وجل هذه الاية والتي
بعدها **يحلفون لكم لترضوا عنهم** يعني يحلف لكم هولا المنافقون لترضوا
عنهم **فان ترضوا عنهم** يعني فان رضيتم عنهم ايها المومنون بما حلفوا لكم
وقبلتم عذرهم **فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين** يعني لانه تعالى يعلم
ما في قلوبهم من النفاق والشك فلا يرضى عنهم ابدا قوله تعالى **الاعراب**
اشد كفرا ونفاقا نزلت في سكان البادية يعني اهل البدو واشد كفرا

ونفاقا من اهل الحضر قال اهل اللغة يقال رجل عربي اذا كان نسبه
في العرب وجمعه العرب ورجل اعرابي اذا كان بدويا يطلب مساقط
الغيث والكلا وجمع الاعرابي على الاعراب والاعاريب فمن استوطن
القرى والمدن العربية فهم عرب ومن نزل البادية فهم الاعراب ه
فالاعرابي اذا قيل له يا عربي فرح بذلك والعربي اذا قيل له يا
اعرابي غضب والعرب افضل من الاعراب لان المهاجرين والانصار
وعلما الدين من العرب والسبب في كون الاعراب اشد كفرا ونفاقا
لبعدهم عن مجالسة العلما وسماع القران والسنن والمواعظ وهو
قوله تعالى واجدر يعني واخلق واحرى الا يعلموا اي بان لا يعلموا
حدود ما انزل الله على رسوله يعني الفرايض والسنن والاحكام
والله عليم يعني بما في قلوب عباده حكيم فيما فرض من فرايضه واحكامه
ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما يعني لا يرجوا على انفاقه
ثوابا ولا يخاف على امساكه عقابا انما ينفق خوفا او رياء والغرم التزام
ما لا يلزم والمعنى ان من الاعراب من يعتقد ان الذي ينفقه في سبيل
الله غرامة لانه ينفق ذلك خوفا من المسلمين او مراآة لهم ولم يرد
بذلك الانفاق وجه الله وثوابه ويتربص يعني وينتظر بكم الدواير
يعني بالدواير تقلب الزمان وصروفه التي تاتي مرة بالخير ومرة
بالشر قال يمان بن رباب يعني تقلب الزمان فيموت الرسول ويظهر
المشركون عليهم دايرة السوء يعني بل ينقلب عليهم الزمان ويدور
السوء والبلاء والحزن ولا يرون في محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه
ودينه الا ما يسوءهم والله سميع يعني لاقوالهم عليم يعني بما يخفون
في ضمايرهم من النفاق والغش وارادة السوء للمومنين نزلت هذه
الاية في اعراب اسد وغطفان وتميم ثم استثنى الله عز وجل فقال
تعالى ومن الاعراب من يومن بالله واليوم الاخر قال مجاهد هم
بنو مقرن من مزينة وقال الكلبي هم اسلم وغفار وجهينة ق عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايتم ان كان جهينة
ومزينة واسلم وغفار خيرا من بني تميم وبني اسد وبني عبد الله بن غطفان
ومن بني عامر بن صعصعة فقال رجل خابوا وخسروا قال نعم هم خير
من بني تميم وبني اسد وبني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن
صعصعة وفي رواية ان الاقرع بن حابس قال للنبي صلى الله عليه
وسلم انما تابعك سراق الحجيج من اسلم وغفار ومزينة واحسبه
قال وجهينة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارايت ان كان اسلم وغفار
ومزينة واحسبه قال وجهينة خيرا من بني تميم وبني عامر واسد وغطفان

قال خابوا وخسروا قال نعم ق عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها زاد مسلم في رواية له اما اني
لم اقلها لكن الله قالها ق عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
قريش والانصار وجهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار موالي ليس
لهم مولى دون الله ورسوله وقوله تعالى ويتخذ ما ينفق قربات عند
الله جمع قربة اي يطلب بما ينفق القربة الى الله تعالى وصلوات الرسول
يعني ويرغبون في دعا النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يدعوا للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر
لهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على ال ابي اوفى الا
انها قربة لهم يحتمل ان يعود الضمير في انها الى صلوات الرسول ويحتمل
ان يعود الى الانفاق وكلاهما قربة عند الله وهذه شهادة من الله
تعالى للمومن المتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات
عند الله وصلوات الرسول له مقبولة عند الله لان الله اكد ذلك
بحرف التنبيه وهو قوله الا وبحرف التحقيق وهو قوله انها قربة لهم
سيدخلهم الله في رحمته وهذه النعمة من اقصى مرادهم ان الله غفور
للمومنين المنفقين في سبيله رحيم يعني بهم حيث وفقهم لهذه الطاعات

قوله عز وجل والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار

اختلف العلما في السابقين الاولين قال سعيد بن المسيب وقتادة
وابن سيرين وجماعة هم الذين صلوا الى القبلتين وقال عطا بن ابي
رباح هم اهل بدر وقال الشعبي هم اهل بيعة الرضوان وكانت
بيعة الرضوان بالحديبية وقال محمد بن كعب القرظي هم جميع الصحابة
لانهم حصل لهم السبق بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
حميد بن زياد قلت يوما لمحمد بن كعب الا تخبرني عن اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما بينهم واردت الفتن فقال ان الله قد غفر
لجميعهم محسنهم ومسيئهم واوجب لهم الجنة في كتابه فقلت له في اي
موضع اوجب لهم الجنة فقال الله الا تقروا والسابقون الاولون
الى اخر الاية فاوجب الله الجنة لجميع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
زاد في رواية في قوله والذين اتبعوهم باحسان قال شرط في التابعين
شريطة وهي ان يتبعوهم في افعالهم الحسنة دون السيئة قال حميد
فكاني لم اقرا هذه الاية قط ه واختلف العلما في اول الناس اسلاما
بعد اتفاقهم على ان خديجة اول الخلق اسلاما واول من صلى مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ه وقال بعض العلما اول من امن بعد خديجة
علي بن ابي طالب وهذا قول جابر بن عبد الله ثم اختلفوا في سنه وقت

اسلامه فقيل كان ابن عشر سنين وقيل اقل من ذلك وقيل اكثر من ذلك
وقيل كان بالغا والصحيح انه لم يكن بالغا وقت اسلامه ۰ وقال بعضهم
اول من اسلم بعد خديجة ابوبكر الصديق وهذا قول ابن عباس والنخعي
والشعبي وقال الزهري وعروة بن الزبير اول من اسلم بعد خديجة زيد
ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسحق بن ابراهيم
الحنظلي يجمع بين الروايات فيقول اول من اسلم من الرجال ابوبكر
ومن النسا خديجة ومن الصبيان علي بن ابي طالب ومن العبيد زيد
ابن حارثة رضي الله عنهم وهولا الاربعة سابقوا الخلق الى الاسلام
وقال ابن اسحاق فلما اسلم ابوبكر اظهر اسلامه ودعا الناس الى الله
والى رسوله وكان رجلا محببا سهلا وكان انسب قريش لقريش واعلمها
بما كان فيها وكان رجلا تاجرا وكان ذا خلق حسن ومعروف وكان
رجال قومه ياتونه ويالفونه لعلمه وحسن مجالسته فجعل يدعوا
الى الاسلام من يثق به من قومه فاسلم على يده عثمان بن عفان والزبير
ابن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد
الله فجاء بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلموا على يده وصلوا معه
فكان هولا النفر الثمانية اول من سبق الناس الى الاسلام ثم تتابع
الناس بعدهم في الدخول الى الاسلام ۰ واما السابقون من الانصار
فهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهي
الاولى وكانوا ستة نفر سعد بن زرارة وعوف بن مالك ورافع بن مالك
ابن العجلان وقطبة بن عامر وجابر بن عبد الله بن رباب ثم اصحاب
العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر رجلا ثم اصحاب العقبة
الثالثة وكانوا سبعين رجلا منهم البراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن
حرام ثم ابو جابر وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع وسعد بن رواحة
هولا سباق الانصار ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب
ابن عمير الى اهل المدينة يعلمهم القران فاسلم على يده خلق كثير من
الرجال والنسا والصبيان من اهل المدينة وذلك قبل ان يهاجر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ۰ وقيل ان المراد بالسابقين
الاولين من سبق الهجرة والنصرة والذي يدل عليه ان الله تعالى ذكر
كونهم سابقين ولم يبين بماذا سبقوا فبقي اللفظ مجملا فلما قال تعالى
من المهاجرين والانصار وصفهم بكونهم مهاجرين وانصار فوجب صرف
اللفظ المجمل اليه وهو الهجرة والنصرة والذي يدل عليه ايضا ان الهجرة
طاعة عظيمة ومرتبة عالية من حيث ان الهجرة امر شاق على النفس
لمفارقة الوطن والعشيرة وكذلك النصرة مرتبة عالية ومنقبة

شريفة لانهم نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدايه واووه ونصروه
وواسوه واووا اصحابه وواسوهم فلذلك اثنى الله عليهم ومدحهم فقال
تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقوله تعالى **والذين**
اتبعوهم باحسان قيل بقية المهاجرين والانصار سوى السابقين
الاولين فعلى هذا القول يكون الجميع من الصحابة وقيل هم الذين
سلكوا سبيل المهاجرين والانصار في الايمان والهجرة والنصرة الى يوم
القيمة قال عطا هم الذين يذكرون المهاجرين والانصار فيترحمون
عليهم ويدعون لهم ويذكرون محاسنهم ق عن عمران بن حصين ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم قال عمران
فلا ادري اذكر بعده قرنين او ثلاثة ق عن ابي سعيد الخدري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو ان احدا وفي
رواية احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه المراد
بالقرن في الحديث الاول اصحابه والقرن الامة من الناس يقارن
بعضهم بعضا ۰ واختلفوا في مدته من الزمان فقيل من عشر سنين
الى عشرين ۰ وقيل من ماية الى ماية وعشرين والمدة المذكورة في الحديث
هو ربع صاع والنصيف نصفه والمعنى لو ان احدا عمل مهما قدر عليه
من اعمال البر والانفاق في سبيل الله ما بلغ هذا القدر اليسير
التافه من اعمال الصحابة وانفاقهم لانهم انفقوا وبذلوا المجهود في
وقت الحاجة وقوله تعالى **رضي الله عنهم ورضوا عنه** يعني رضي الله
اعمالهم ورضوا عنه بما جازاهم عليها من الثواب وهذا اللفظ عام
يدخل فيه كل الصحابة **واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين**
فيها ابدا ذلك الفوز العظيم ذكر جماعة من المفسرين من المتاخرين
البغوي والواحدي وابن الجوزي انهم من اعراب مزينة وجهينة
واشجع وغفار واسلم وكانت منازلهم حول المدينة يعني ومن هولاء
منافق وما ذكره مشكل لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لهولا القبايل
ومدحهم فان صح نقل المفسرين فيحمل قوله تعالى **وممن حولكم من الاعراب**
منافقون على التقليل فان لفظه على التبعيض ويحمل دعا النبي صلى
الله عليه وسلم على الاكثر والاغلب وبهذا يمكن الجمع بين قول المفسرين
وقول النبي صلى الله عليه وسلم فيه واما الطبري فانه اطلق القول ولم
يعين احدا من القبايل المذكورة في تفسير هذه الاية من القوم الذين
حول مدينتكم ايها المومنون من الاعراب منافقون ومن اهل مدينتكم
ايضا امثالهم قوم منافقون ۰ وقال البغوي ومن اهل المدينة الاوس
والخزرج منافقون مردوا على النفاق فيه تقديم وتاخير تقديره وممن

وممن حولكم من الاعراب ومن اهل المدينة منافقون مردوا على النفاق
اي يعني مردوا عليه يقال تمرد فلان على ربه اذا عتى وتجبر ومنه
الشيطان المارد وتمرد في معصيته اي مرن وثبت عليها واعتادها ولم
يتب منها ، قال ابن اسحاق لجوا فيه وابوا غيره وقال ابن زيد واقاموا
عليه ولم يتوبوا منه كما قال تعالى لا تعلمهم يعني انهم بلغوا في النفاق الى
حيث انك لا تعلمهم يا محمد مع صفاء خاطرك واطلاعك على الاسرار نحن
نعلمهم اي يعني لكن نحن نعلمهم لانه لا يخفى عليه خافية وان دقت سنعذبهم
مرتين اختلف المفسرون في العذاب الاول مع اتفاقهم ان العذاب
الثاني هو عذاب القبر بدليل قوله تعالى ثم يردون الى عذاب عظيم
وهو عذاب النار في الاخرة فثبت بهذا ان الله تعالى يعذب المنافقين
ثلاث مرات مرة في الدنيا ومرة في القبر ومرة في الاخرة اما المرة
الاولى وهي التي اختلفوا فيها فقال الكلبي والسدي قام النبي صلى الله
عليه وسلم خطيبا في يوم جمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق فخرج
من المسجد اناس وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني هو عذاب
القبر فان صح هذا القول فيحتمل ان يكون العذاب الذي اعلمه الله
حالهم وما هم عليه لان الله تعالى قال لا تعلمهم نحن نعلمهم ثم بعد ذلك
اعلمه وقال مجاهد هذا العذاب الاول هو القتل والاسر وهذا القول
ضعيف لان احكام الاسلام في الظاهر كانت جارية على المنافق فلم
يقتلوا ولم يسبوا وعن مجاهد رواية اخرى انهم عذبوا بالجوع مرتين
وقال قتادة المرة الاولى هي الدبيلة في الدنيا وقد جا تفسيرها في
الحديث بانها خراج من نار تظهر في اكتافهم حتى تلجم من صدورهم يعني
تخرج من صدورهم ، وقال ابن زيد الاولى المصائب في الاموال والاولاد
في الدنيا والاخرى عذاب القبر ، وقال ابن اسحاق الاولى اقامة الحدود
عليهم في الدنيا والاخرى عذاب القبر ، وقال ابن اسحاق الاولى هي ما
يدخل عليهم من غيظ الاسلام ودخولهم فيه كرها غير حسبة والاخرى
عذاب القبر ، وقيل الاولى احراق مسجدهم مسجد الضرار والاخرى احراقهم
بنار جهنم فهو قوله تعالى ثم يردون الى عذاب عظيم يعني عذاب جهنم
يخلدون فيه **قوله عز وجل** واخرون اعترفوا بذنوبهم فيه قولان
احدهما انهم قوم من المنافقين تابوا من نفاقهم واخلصوا وحجة هذا
القول ان قوله واخرون عطف على قوله وممن حولكم من الاعراب منافقون
والعطف يوهم ويعضده ما نقله الطبري عن ابن عباس انه قال
هم الاعراب والقول الثاني وهو قول جمهور المفسرين ايضا نزلت في
جماعة من المسلمين من اهل المدينة تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه

عباس م

وسلم

وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك واختلف المفسرون في عددهم
فروي عن ابن عباس انهم كانوا عشرة منهم ابو لبابة ، وروي عنه انهم
كانوا خمسة احدهم ابو لبابة ، وقال سعيد بن جبير وزيد بن اسلم كانوا
ثمانية احدهم ابو لبابة وقيل كانوا ثلاثة ابو لبابة بن عبد المنذر
واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وذلك انهم كانوا تخلفوا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا بعد ذلك وتابوا
وقالوا انكون في الظلال مع النسا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه في الجهاد واللاواء فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من
سفره وقرب المدينة قالوا والله لنوثقن انفسنا بالسواري فلا نطلقها
حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقها ويعذرنا
فربطوا انفسهم في سواري المسجد فلما رجع رسول الله صلى الله عليه
وسلم مر بهم فراهم فقال من هولاء فقالوا هولا تخلفوا عنك فعاهدوا
الله ان لا يطلقوا انفسهم حتى تكون انت تطلقهم وترضى عنهم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى اومر
باطلاقهم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فانزل الله عز وجل
هذه الاية فاطلقهم واعذرهم فلما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا
التي خلفتنا عنك خذها فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امرت ان اخذ من اموالكم شيا فانزل
الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم الاية وقال قوم نزلت هذه
الاية في ابي لبابة خاصة ، واختلفوا في ذنبه الذي تاب منه فقال
مجاهد نزلت في ابي لبابة حين قال لبني قريظة ان نزلتم على حكمه فهو الذبح
واشار الى حلقه فندم على ذلك وربط نفسه بسارية وقال والله لا احل
نفسي ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة
ايام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه فانزل الله هذه الاية
فقيل له قد تيب عليك فقال والله لا احل نفسي حتى يكون رسول الله صلى
الله عليه وسلم هو يحلني فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحله بيده
فقال ابو لبابة يا رسول الله ان من توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت
فيها الذنب وان انخلع من مالي كله صدقة الى الله والى رسوله صلى الله
عليه وسلم فقال يجزيك الثلث يا ابا لبابة قالوا جميعا فاخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلث اموالهم وترك لهم الثلثين لان الله تعالى قال خذ
من اموالهم ولم يقل خذ اموالهم ولان لفظة من تقتضي التبعيض قال
الحسن وقتادة وهولا الثلاثة الذين تخلفوا سياتي خبرهم واما تفسير
الاية فقوله تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم قال اهل المعاني الاعتراف

الاقرار بالشى ومعناه انهم اقروا بذنبهم وفيه دقيقة وهى انهم لم يعتذروا
عن تخلفهم باعذار باطلة كغيرهم من المنافقين ولكن اعترفوا على
انفسهم بذنوبهم وندموا على ما فعلوا **فان قلت** ان الاعتراف
بالذنوب توبة ام لا **قلت** مجرد الاعتراف بالذنب لا يكون توبة
فاذا اقترن الاعتراف بالندم على الماضى من الذنب والعزم على
تركه فى المستقبل فيكون ذلك الاعتراف والندم توبة قوله تعالى
خلطوا عملا صالحا واخر سيا قيل اراد بالعمل اقرارهم بالذنب وتوبتهم
منه والعمل السيئ هو تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى ساير الغزوات والسيئ هو تخلفهم عن غزوة تبوك • وقيل ان العمل
الصالح يعم جميع البر والطاعة والسيئ ما كان ضده فعلى هذا تكون
الاية فى حق المسلمين والحمل على العموم اولى وان كان السبب مخصوصا
عن تخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك • روى الطبرى
عن ابى عثمان قال ما فى القران اية اعدل عندى من هذه الاية قوله
واخرون اعترفوا بذنوبهم الاية **فان قلت** قد جعل كل واحد من
العمل الصالح والسيئ مخلوطا فما المخلوط به **قلت** ان الخلط عبارة
عن الجمع المطلق فاما قولك خلطوا فانما يحسن فى الموضع الذى
يمتزج كل واحد من الخليطين بالاخر ويتغير به عن صفته الاصلية
كقولك خلطت الما باللبن وخلطت الما واللبن فتكون الواو عبارة
عن البا فيكون معنى الاية على هذا خلطوا عملا صالحا باخر سيا ذكره
غالب المفسرين وانكره الامام فخر الدين الرازى وقال الاليق بهذا الموضع
الجمع المطلق لان العمل الصالح والعمل السيئ اذا حصلا معا بقى كل واحد
منهما على حاله كما هو مذهبنا فان القول بالاختلاط باطل فالطاعة تبقى
موجبة للمدح والثواب والمعصية تبقى موجبة للذم والعذاب فقوله
تعالى خلطوا عملا صالحا واخر سيا فيه تنبيه على نفى القول بالمخالطة
وانه بقى كل واحد منهما كما كان من غير ان يتاثر احدهما بالاخر فليس الا الجمع
المطلق وقال الواحدى العرب تقول خلطت الما باللبن وخلطت الما
واللبن كما تقول جمعت زيدا وعمرا والواو فى الاية احسن من البا لانه اريد
معنى الجمع لا حقيقة الخلط الا ترى ان العمل الصالح لا يختلط بالسيئ كما
يختلط الما باللبن لكن قد يجمع بينهما قوله تعالى عسى الله ان يتوب عليهم
قال ابن عباس وجمهور المفسرين عسى من الله واجب والدليل عليه قوله
تعالى فعسى الله ان ياتى بالفتح وقد صح فعل ذلك وقال اهل المعانى
عسى هنا تفيد الطمع والاشفاق لانه ابعد من الانكال والاهمال وقيل ان
الله تعالى لا يجب عليه شى بل كل ما يفعله على سبيل التفضيل والتطول

والاحسان

والاحسان فذكر لفظة عسى التى هى للترجى والطمع حتى يكون العبد بين
الترجى والاشفاق ولكن هو الى نيل ما يرجوه منه اقرب لانه ختم الاية
بقوله تعالى ان الله غفور رحيم وهذا يفيد انجاز الوعد قوله تعالى
خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها قال ابن عباس لما اطلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا لبابة وصاحبيه انطلق ابا لبابة وصاحباه
فاتوا باموالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خذ من اموالنا
وتصدق بها عنا وصل علينا يعنى يقولان استغفر لنا وطهرنا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا اخذ منها شيا حتى اومر به فانزل الله عز وجل خذ
من اموالهم صدقة تطهرهم الاية وهذا قول زيد بن اسلم وسعيد بن جبير
وقتادة والضحاك • ثم اختلف العلما فى المراد بهذه الصدقة فقال
بعضهم هو راجع الى هولا الذين تابوا وذلك انهم بذلوا اموالهم صدقة
فاوجب الله تعالى اخذها وصار ذلك معتبرا فى كمال توبتهم فتكون جارية
فى مجرى الكفارة واصحاب هذا القول يقولون ليس المراد بها الصدقة
الواجبة • وقال بعضهم ان الزكاة كانت واجبة عليهم فلما تابوا من تخلفهم
عن الغزو وحسن اسلامهم وبذلوا الزكاة امر الله تعالى رسوله صلى الله
عليه وسلم ان ياخذها منهم • وقال بعضهم ان الاية كلام مبتدا والمقصود
منها ايجاب اخذها من الاغنيا ودفعها الى الفقرا وهذا قول اكثر الفقها
واستدلوا بها على ايجاب اخذ الزكاة اما حجة اصحاب القول الاول فانهم
قالوا ان الايات لا بد وان تكون منتظمة متناسبة فلو حملناها على اخذ
الزكاة الواجبة لم يبق لهذه الاية تعلق لما قبلها ولا لما بعدها ولان
جمهور المفسرين قالوا فى سبب نزولها انها نزلت فى شان التايبين واما
اصحاب القول الاخير فانهم قالوا المناسبة حاصلة ايضا على هذا التقدير
وذلك لانهم تابوا واخلصوا واقروا ان السبب الموجب للتخلف هو حب
المال فامروا باخراج الزكاة التى هى طهرة فلما اخرجوها علم صحة قولهم
وصحة توبتهم ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فان قالوا ان الزكاة
قدر معلوم لا يبلغ ثلث المال وقد اخذ منهم ثلث اموالهم قلنا لا يمنع هذا
صحة ما قلنا لانهم رضوا ببذل الثلث من اموالهم فلان يكونوا راضيين
باخراج الزكاة اولى ثم فى هذه الاية احكام الاول قوله تعالى خذ من
اموالهم صدقة تطهرهم الخطاب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم اى يا محمد
خذ من اموالهم صدقة فكان النبى صلى الله عليه وسلم ياخذها منهم ايام
حياته ثم اخذها الايمة من بعده فيجوز للامام او نايبه ان ياخذ
الزكاة من الاغنيا ويدفعها الى الفقرا • الحكم الثانى قوله خذ من اموالهم
ولفظة من تقتضى التبعيض وهذا البعض الماخوذ غير معلوم ولا مقدر

بعض القران فلم يبق الا الصدقة التي بين رسول الله صلى الله عليه
وسلم قدرها وصفتها في اخذ الصدقة • الحكم الثالث ظاهر قوله خذ
من اموالهم صدقة تقييد العموم فتجب الزكاة في جميع المال حتى في
الديون وفي مال الزكاة • الحكم الرابع ظاهر قوله تطهرهم ان الزكاة
انما وجبت لكونها طهرة من الاثام وصدور الاثام لا يمكن حصولها
الا من البالغ دون الصبي وهذا قول ابي حنيفة ثم اجاب
الشافعي بانه لا يلزم من انتفا السبب سبب معين انتفا الحكم مطلقا
وللعلما في قوله تطهرهم اقوال الاول ان معناه خذ يا محمد من اموالهم
صدقة فانها تطهرهم باخذها من دنس الاثام • القول الثاني ان يكون
تطهرهم متعلقا بالصدقة تقديره خذ من اموالهم صدقة فانها طهر
لهم وانما حسن جعل الصدقة مطهرة لما جا ان الصدقة من اوساخ
الناس فاذا اخذت فقد اندفعت تلك الاوساخ وكان ذلك الاندفاع
جاريا مجرى التطهير فعلى هذا القول يكون قوله تعالى وتزكيهم بها
منقطعا عن قوله تطهرهم ويكون التقدير خذ يا محمد من اموالهم صدقة
تطهرهم تلك الصدقة وتزكيهم انت بها • القول الثالث ان تجعل
التا في قوله تطهرهم وتزكيهم ضمير المخاطب ويكون المعنى تطهرهم
انت يا محمد باخذها منهم وتزكيهم بواسطة تلك الصدقة • القول
الرابع ان معناه تطهرهم من ذنوبهم وتزكيهم يعني ترفع منازلهم من
منازل المنافقين الى منازل الابرار المخلصين • وقيل معنى وتزكيهم
اي تنمي اموالهم ببركة اخذها منهم • الحكم الخامس قوله تعالى وصل
عليهم يعني ادع لهم واستغفر لهم لان اصل الصلاة في اللغة الدعا قال
الشافعي السنة للامام اذا اخذ الصدقة ان يدعو للمتصدق فيقول
اجرك الله فيما اعطيت وبارك لك فيما ابقيت • وقال بعضهم يجب
على الامام ان يدعو للمتصدق • وقال بعضهم يستحب ذلك وقيل يجب
في صدقة الفرض ويستحب في صدقة التطوع وقيل يجب على الامام ويستحب للفقير ان يدعو
للمعطي • وقال بعضهم يستحب ان يقول اللهم صل على محمد ويدل عليه ما
روي عن عبد الله بن ابي اوفى وكان من اصحاب الشجرة قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقة قال اللهم صل عليهم فاتاه
ابي بصدقته فقال اللهم صل على ال ابي اوفى اخرجاه في الصحيحين
وقوله تعالى ان صلواتك وقرئ صلواتك على الجمع سكن لهم يعني
ان دعاك رحمة لهم وقال ابن عباس طمانينة وسكن لهم وقيل ان الله
قد قبل منهم وقال ابو عبيدة تثبيت لقلوبهم وقيل ان السكن ما سكنت
اليه والمعنى ان صلواتك توجب سكون نفوسهم اليها وان الله قد قبل توبتهم

او

او قبل زكاتهم والله سميع يعني لاقوالهم او لدعائك لهم عليم يعني بنياتهم
الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده هذه صيغة استفهام الا ان
المقصود منه التقرير فبشر الله عز وجل هولا التائبين بقبول توبتهم
وصدقاتهم ومعنى الاية الم يعلم هولا الذين تابوا ان الله تعالى يقبل
التوبة الصادقة والصدقة الخالصة • وقيل ان المراد بهذه الاية غير
التائبين ترغيبا لهم في التوبة وبذل الصدقات وذلك انه لما نزلت
توبة هولا التائبين قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هولاء كانوا
معنا بالامس لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم اليوم فانزل الله هذه الاية
ترغيبا لهم في التوبة وقوله تعالى عن عباده لا فرق بين قوله عن عباده
ومن عباده اذ لا فرق بين قولك اخذت هذا العلم منك او عنك وقيل
بينهما فرق ولعل عن في هذا الموضع ابلغ لان فيه تبشيرا لقبول التوبة
مع تسهيل سبيلها قوله تعالى ويأخذ الصدقات يعني ويقبلها
ويثيب عليها وانما ذكر بلفظ الاخذ ترغيبا في بذل الصدقة واعطايها
الفقرا وقيل معناه اخذ الله الصدقات تضمنه الجزا عليها ولما كان هو
المجازي عليها والمثيب بها اسند الاخذ الى نفسه وان كان الفقير او السا
هو الاخذ لها وفي هذا تعظيم اخذ الصدقات وتشريفها وان الله تعالى
يقبلها من عباده المتصدق ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما تصدق احدكم بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا
الطيب الا اخذها بيمينه وان كان تمرة فتربوا في كف الرحمن حتى تكون
اعظم من الجبل كما يربي احدكم فلوه او فصيله لفظ مسلم وفي لفظ البخاري
من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله الا الطيب
فان الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي احدكم فلوه حتى
تكون مثل الجبل واخرجه الترمذي ولفظه ان الله يقبل الصدقة
وياخذها بيمينه فيربيها لاحدكم كما يربي احدكم فلوه حتى اللقمة لتصير
مثل احد وتصديق ذلك في كتاب الله الم يعلموا ان الله هو يقبل
التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ويمحق الله الربا ويربي الصدقات
وقوله من كسب طيب اي حلال وذكر اليمين والكف في الحديث
كناية عن قبول الصدقة وان الله تعالى قد قبلها من المعطي لان من
عادة الفقير او السايل اخذ الصدقة بكف اليمين فكان المتصدق
قد وضع صدقته في القبول والاثابة وقوله فتربوا اي تكبر يقال ربا الشي
يربوا اذا زاد وكبر الفلو بضم الفا وفتحها لغتان المهر اول ما يولد والفصيل
ولد الناقة الى ان ينفصل عنها قوله تعالى وان الله هو التواب الرحيم
تاكيد لقوله تعالى الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وتبشير لهم

وان الله هو التواب الرحيم قوله تعالى وقل اى وقل يا محمد لهولاء
التايبين اعملوا يعني لله بطاعته واداء فرايضه فسيرى الله عملكم
ورسوله فيه ترغيب عظيم للمطيعين ووعيد عظيم للمذنبين فكانه
قال اجتهدوا في العمل في المستقبل فان الله تعالى يرى اعمالكم ويجازيكم
عليها والمومنون اى ويرى رسوله والمومنون اعمالكم اما روية رسول
الله صلى الله عليه وسلم باطلاع الله اياه على اعمالكم واما روية المومنين
فبما يقذف الله عز وجل في قلوبهم من محبة الصالحين وبغضة المفسدين
وستردون الى عالم الغيب والشهادة يعني وسترجعون يوم القيمة
الى من يعلم سركم وعلانيتكم ولا يخفى عليه شي من بواطنكم وظواهركم
فينبيكم اى فيخبركم بما كنتم تعملون يعني في الدنيا من خير او شر
فيجازيكم على اعمالكم واخرون مرجون اى موخرون لارجاء التاخير
لامر الله يعني لحكم الله فيهم قال بعضهم ان الله تعالى قسم المتخلفين
على ثلاثة اقسام اولهم المنافقون وهم الذين مردوا على النفاق
واستمروا عليه والقسم الثاني التايبون وهم الذين سارعوا الى التوبة
بعد ما اعترفوا بذنوبهم وهم ابو لبابة واصحابه فقبل الله توبتهم
والقسم الثالث موقوفون وموخرون الى ان يحكم الله فيهم وهو المراد
بقوله واخرون مرجون لامر الله ۝ والفرق بين القسم الثاني
والقسم الثالث ان القسم الثاني سارعوا الى التوبة فقبل الله توبتهم
والقسم الثالث توقفوا ولم يسارعوا الى التوبة فاخر الله امرهم نزلت
هذه الاية في هذه الثلاثة الذين تخلفوا وهم كعب بن مالك وهلال
ابن امية ومرارة بن الربيع وستاتي قصتهم عند قوله تعالى وعلى الثلاثة
الذين خلفوا وذلك انهم لم يبالغوا في التوبة والاعتذار كما هو فعل ابو
لبابة واصحابه فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة ونهى
الناس عن كلامهم وكانوا من اهل المدينة فجعل بعض الناس يقولوا هلكوا
وبعضهم يقول عسى الله ان يتوب عليهم ويغفر لهم وهو قوله تعالى اما يعذبهم
واما يتوب عليهم يعني امرهم الى الله ان شا عذبهم بسبب تخلفهم وان شا
غفر لهم وعفى عنهم والله عليم يعني بما في قلوبهم حكيم يعني فيما يقضي
عليهم قوله عز وجل والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا نزلت
في جماعة من المنافقين بنوا مسجدا ايضا يريدون به مسجد قبا وكانوا اثنى
عشر رجلا من اهل النفاق وديعة بن ثابت وحرام بن خالد ومن داره
اخرج هذا المسجد وثعلبة بن حاطب وحارثة بن عمرو وابناه مجمع وزيد
ومعتب بن قشير وعبادة بن حنيف اخو سهل بن حنيف وابو حبيبة بن
الازعر ونبتل بن الحرث وبجاد بن عثمان وخرج بنوا هذا المسجد ضرارا

نخ
يضارون

يعني

يعني مضارة للمومنين يعني فيكفروا فيه بالله تعالى ورسوله وتفريقا بين
المومنين لانهم كانوا جميعا يصلون في مسجد قبا فبنوا مسجد الضرار ليصلي
فيه بعضهم فيودي ذلك الى الاختلاف وافتراق الكلمة وكان يصلي فيه
مجمع بن حارثة وكان شابا يقرا القران ولم يدر ما ارادوا ببنيانه فلما فرغوا
من بنايه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا
يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا فتصلي لنا فيه لانه لذي العلة والحاجة
والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب ان تاتينا وتصلي فيه وتدعو
بالبركة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر ولو قدمنا
ان شا الله اتيناكم فصلينا فيه وقوله تعالى وارصادا لمن حارب الله ورسوله
من قبل يعني انهم بنوا هذا المسجد للضرار والكفر وبنوه ارصادا يعني
انتظارا واعدادا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني من قبل بنا
هذا المسجد وهو ابو عامر الراهب والد حنظلة غسيل الملايكة وكان
ابو عامر قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وتنصر فلما قدم النبي صلى الله
عليه وسلم المدينة قال له ابو عامر ما هذا الدين الذي جيت به فقال
النبي صلى الله عليه وسلم جيت بالحنيفية دين ابراهيم قال ابو عامر فانا
عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك لست عليها قال ابو عامر بلى
ولكنك ادخلت في الحنيفية ما ليس فيها قال النبي صلى الله عليه وسلم
ما فعلت ولكن جيت بها بيضا نقية فقال ابو عامر امات الله الكاذب
منا طريدا وحيدا غريبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم امين وسماه الناس
ابا عامر الكذاب فلما كان يوم احد قال ابو عامر الفاسق للنبي صلى الله عليه
وسلم لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل كذلك الى يوم حنين
فلما انهزمت هوازن ييس ابو عامر وخرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين
ان استعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا لي مسجدا فاني ذاهب الى
قيصر ملك الروم فاتي بجند من الروم فاخرج محمدا واصحابه فبنوا مسجد
الضرار الى جانب مسجد قبا فذلك قوله تعالى وارصادا يعني انتظارا لمن
حارب الله ورسوله يعني ابا عامر الفاسق ليصلي فيه اذا رجع من الشام
من قبل يعني ان ابا عامر الفاسق حارب الله ورسوله من قبل بنا المسجد
الضرار وليحلفن يعني الذين بنوا ان اردنا يعني ما اردنا ببنايه الا الحسنى
يعني الا الفعلة الحسنى وهي الرفق بالمسلمين والتوسعة على اهل الضعف
والعجز عن الصلاة في مسجد قبا او مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم لما
انصرف من تبوك راجعا نزل بذي اوان وهو موضع قريب من المدينة
فاتاه المنافقون فسالوه ان ياتي في مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه
وياتيهم فانزل الله تعالى هذه الاية واخبر خبر مسجد الضرار وما هموا به

فذ عار رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ومعن بن عدي
وعامر بن السكن ووحشيا وقال انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله
فاخذ من سعف النخل فاشعله ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد
وفيه اهله فحرقوه وهدموه وتفرق اهله عنه وامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يتخذوا ذلك الموضع كناسة تلقى فيه الجيف والنتن لا
والقمامة ومات ابن عامر الراهب بالشام غريبا وحيدا ٥ وروى ان بني
عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد قبا اتوا عمر بن الخطاب في خلافته
فسالوه ان ياذن لمجمع بن حارثة ان يومهم في مسجدهم فقال لا ونعمة عين
اليس هو امام مسجد الضرار وقال مجمع يا امير المومنين لا تعجل علي فوالله
لقد صليت فيه وانا لا اعلم ما اضمروا عليه ولو علمت ما صليت فيه
معهم وكنت غلاما قاريا للقران وكانوا شيوخا لا يقرون فصليت بهم
ولا احسب الا انهم يتقربون الى الله ولا اعلم ما في انفسهم فعذره عمر
وصدقه وامره بالصلاة في مسجد قبا ٥ قال عطا لما فتح الله على عمر بن
الخطاب الامصار امر المسلمين ان يبنوا المساجد وامرهم ان لا يبنوا في
موضع واحد مسجدين يضار احدهم الاخر وقوله تعالى **والله يشهد انهم
لكاذبون لا تقم فيه ابدا** قال ابن عباس معناه لا تصل فيه ابدا منع الله
نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي في مسجد الضرار **لمسجد اسس على
التقوى** اللام فيه لام الابتدا وقيل لام القسم تقديره والله لمسجد اسس
يعني اصله بني ووضع اساسه كان ذلك البنا على التقوى **احق ان تقوم
فيه** يعني مصليا واختلفوا في المسجد الذي اسس على التقوى فقال
عمر وزيد بن ثابت وابو سعيد الخدري وهو مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعني مسجد المدينة ويدل عليه ما روي عن ابي سعيد
الخدري قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض
نسايه فقلت يا رسول الله اي المسجد اسس على التقوى قال فاخذ
كفا من حصا فضرب به الارض ثم قال هو مسجدكم هذا المسجد المدينة
اخرجه مسلم ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي ٥ عن
عبد الله بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي
ومنبري روضة من رياض الجنة ٥ عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان قوايم منبري هذا رواتب في الجنة اخرجه النساي قوله
رواتب يعني ثوابت يقال رتب بالمكان اذا اقام فيه وثبت وفي رواية
عن ابن عباس وعروة بن الزبير وسعيد بن جبير وقتادة انه مسجد قبا
ويدل عليه سياق الاية وهو قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله

يحب

من اول يوم يعني من اول يوم بني ووضع اساسه كان ذلك البنا على التقوى

يحب المطهرين ويدل على انهم اهل قبا ما روي عن ابي هريرة قال نزلت هذه
الاية في اهل قبا فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال
وكانوا يستنجون بالما فنزلت هذه الاية فيهم اخرجه ابو داود والترمذي
موقوفا على ابي هريرة ورواه البغوي من طريق ابي داود مرفوعا عن
ابي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الاية في اهل قبا فيه
رجال يحبون ان يتطهروا قال كانوا يستنجون بالما فنزلت فيهم هذه الاية
ومما يدل على فضل مسجد قبا ما روي عن ابن عمر قال كان النبي صلى الله
عليه وسلم يزور قبا او ياتي قبا راكبا وماشيا زاد في رواية فيصلي فيه
ركعتين وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ياتي مسجد قبا كل
سبت راكبا وماشيا وكان ابن عمر يفعله اخرج الرواية الاولى والزيادة
البخاري ومسلم واخرج الرواية الثانية البخاري عن سهل بن حنيف قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج حتى ياتي هذا المسجد مسجد
قبا فيصلي فيه كان له كعدل عمرة اخرجه النساي عن اسد بن ظهير قال
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلاة في مسجد قبا كعمرة اخرجه
الترمذي وقوله تعالى **فيه رجال يحبون ان يتطهروا** يعني من الاحداث
والجنابات وساير النجاسات وهذا قول اكثر المفسرين قال ولما كانوا
يستنجون بالما ولا ينامون بالليل على الجنابة ٥ عن ابي هريرة قال نزلت
هذه الاية في اهل قبا رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال
كانوا يستنجون بالما فنزلت هذه الاية فيهم اخرجه ابو داود والترمذي
وقال حديث غريب هكذا ذكره صاحب جامع الاصول موقوفا على
ابي هريرة ورفعه البغوي وغيره فقالوا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم وذكره وروى الطبري بسنده عن عويمر بن ساعدة وكان من
اهل بدر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قبا اني اسمع
الله عز وجل قد احسن عليكم الثنا في الطهور فما هذا الطهور قالوا
يا رسول الله ما نعمل شيا الا ان جيرانا لنا من اليهود رايناهم يغسلون
ادبارهم من الغايط فغسلنا كما غسلوا ٥ وعن قتادة قال ذكر لنا ان
نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قبا ان الله قد احسن عليكم الثنا
في الطهور فما تصنعون قالوا انا نغسل عنا اثر الغايط والبول وقال
الامام فخر الدين الرازي المراد من هذه الطهارة الطهارة من الذنوب
والمعاصي وهذا القول متعين لوجوه الاول ان التطهر من الذنوب هو
المو ثر في القرب الى الله تعالى واستحقاق ثوابه ومدحه ٥ الوجه
الثاني ان الله وصف اصحاب المسجد الضرار بمضارة المسلمين والتفريق
بينهم والكفر بالله وكون هولا يعني اهل قبا بالضد من صفاتهم وما ذاك

الا لكونهم مبرين من الكفر والمعاصي وهي الطهارة الباطنة الوجه
الثالث ان طهارة الظاهر انما يحصل لها اثر عند الله اذا حصلت
الطهارة الباطنة من الكفر والنفاق والمعاصي وقيل يحتمل ان
يكون محمولا على كلا الامرين يعني طهارة الباطن من الكفر والنفاق
والمعاصي وطهارة الاعضا يعني الظاهر من الاحداث والنجاسات
بالما **والله يحب المطهرين** فيه مدح لهم وثنا عليهم والرضا عنهم
بما اختاروه لانفسهم والمداومة على محبة الطهارة قوله تعالى **افمن
اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان** يعني طلب ببنايه
المسجد الذي بناه على تقوى الله ورضاه والمعنى ان الباني لما
بنى ذلك البنا كان قصده تقوى الله وطلب رضاه والمعنى وثوابه
خيرا من اسس بنيانه على شفا جرف هار الشفا هو الشفير
وشفا كل شي هو حرفه ومنه يقال اشفا على ذلك اذا دنا منه
وقرب ان يقع فيه والجرف المكان الذي اكل الما تحته فهو الى السقوط
قريب قال ابو عبيد الجرف المكان الذي هو الهوة وما يجرفه السيل
من الاودية فينحفر بالما فيبقى واهيا هار اي هاير وهو الساقط
يقال هار يهور وهو هاير وقيل هو من هار يهار اذا انهدم وسقط
وهو الذي تداعى بعضه في اثر بعض كما يهار الرمل والشي الرخو ٥
فانهار به يعني سقط بالبنا **في نار جهنم والله لا يهدي القوم
الظالمين** والمعنى ان بنا هذا المسجد الضرار كالبنا على شفير جهنم
يتهور باهله فيها وهذا مثل ضربه الله تعالى للمسجدين مسجد
الضرار ومسجد التقوى مسجد قبا او مسجد الرسول صلى الله عليه
وسلم لمعنى المثل افمن اسس بنيانه دينه على قاعدة قوية محكمة
وهو الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خيرا ممن اسس دينه على
اضعف القواعد واقلها بقاء وثباتا وهو الباطل والنفاق الذي
مثله على بنا على غير اساس ثابت وهو شفا جرف هار فانهار به
اذا كان كذلك كانا اسرع الى السقوط في نار جهنم ولان الباني الاول
قصد ببنايه تقوى الله ورضوانه فكان بناه اشرف البنا والبنا
الثاني قصد ببنايه الكفر والنفاق واضرار المسلمين وكان بناوه
اخس البنا وكان عاقبته الى جهنم • قال ابن عباس صيرهم نفاقهم
الى النار • وقال قتادة صيرهم نفاقهم والله ما تناهى بناوهم حتى
وقع في النار ولقد ذكر لنا انه حفرت بقعة منه فروي الدخان يخرج
منها وقال جابر بن عبد الله رايت الدخان يخرج من مسجد الضرار
لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة يعني شكا ونفاقا **في قلوبهم**

والمعنى

والمعنى ان ذلك البنيان صار سببا لحصول الريبة في قلوبهم لان
المنافقين فرحوا ببنا مسجدهم فلما امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بتخريبه ثقل ذلك عليهم وازدادوا غما وحزنا وبغضا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فكان ذلك سبب الريبة في قلوبهم • وقيل انهم
كانوا يحسبون انهم محسنين في بنايه كما حبب العجل الى بني اسرايل
فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه بقوا شاكين مرتابين
لاي سبب امر بتخريبه • وقال السدي لا يزال هدم بنيانهم ريبة اي
حرارة وغيظا في قلوبهم **الا ان تقطع قلوبهم** اي تجعل قلوبهم
قطعا وتفرق اجزا اما بالسيف واما الموت والمعنى ان هذه الريبة
باقية في قلوبهم الى ان يموتوا عليها **والله عليم** يعني باحوالهم
واحوال جميع عباده **حكيم** يعني بما حكم به عليهم **قوله عز وجل**
ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة
الاية قال محمد بن كعب القرظي لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلا قال عبد الله بن رواحة
اشترط لربك ولنفسك ما شيت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا
تشركوا به شيا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعوا منه انفسكم واموالكم
قالوا اذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل
فنزلت ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة قال
ابن عباس بالجنة • قال اهل المعاني لا يجوز ان يشتري الله شيا له في
الحقيقة لان المشتري انما يشتري ما لا يملك والاشيا كلها ملك لله تعالى
ولهذا قال الحسن انفسنا هو خلقها واموالنا هو رزقنا واياها لكن جري
هذا مجري التلطف في الدعا الى الطاعة والجهاد وذلك لان المومن اذا
قاتل في سبيل الله حتى يقتل او ينفق ماله في سبيل الله عوضه الله
الجنة في الاخرة جزا لما فعل في الدنيا فجعل ذلك استبدالا واشترا فهذا
معنى الاشترا من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والمراد
بالاموال انفاقها في سبيل الله وفي جميع وجوه البر والطاعة **يقاتلون
في سبيل الله** اي تفسير لتلك المبايعة وقيل معنى الامر اي قاتلوا في سبيل
الله **فيقتلون ويقتلون** هذا التفسير لتلك المبايعة وقيل معنى الامر
اي قاتلوا في سبيل الله يعني فيقتلون اعداء الله فيقتلون ويقتلون
في طاعة الله وسبيله **وعدا عليه حقا** يعني ذلك الوعد **في التوراة
والانجيل والقران** يعني ان هذا الوعد الذي وعده الله للمجاهدين
في سبيله قد اثبته في التوراة والانجيل كما اثبته في القران وفيه دليل على
ان الامر بالجهاد موجود في جميع الشرايع ومكتوب على جميع اهل الملل **ومن**

اوفى بعهده من الله يعنى لا احد اوفى بالعهد من الله فاستبشروا
ببيعكم الذى بايعتم به يعنى فاستبشروا ايها المؤمنون بهذا البيع
الذى بايعتم به وذلك يعنى هذا البيع هو الفوز العظيم لانه رابح فى
الاخرة قال عمر ان الله بايعك وجعل الصفقتين لك • وقال الحسن
اسمعوا الى بيعة ربيحة بايع الله بها الجنة كل مومن • وعنه قال ان
الله تعالى اعطاك الدنيا فاشترى الاخرة ببعضها • وقال قتادة ثامنهم
فاغلى لهم • قوله تعالى التايبون قال الفرا استونف لفظ التايبين
بالرفع لتمام الاية الاولى وانقطاع الكلام وقال الزجاج التايبون
رفع بالابتداء وخبره مضمر المعنى التايبون الخ لهم الجنة ايضا من لم يجاهدهم
غير معاند ولا قاصد لترك الجهاد فله الجنة ايضا وهذا وجه الحسنى
كانه وعد الجنة لجميع المومنين كما قال وكلا وعد الله الحسنى ومن
جعله تابعا للاول كان الوعد بالجنة خاصا للمجاهدين الموصوفين
بهذه الصفات فيكون رفع التايبون على المدح يعنى المومنين
المذكورين فى قوله ان الله اشترى • واما التفسير فقوله تعالى التايبون
يعنى تابوا من الشرك وبريوا من النفاق • وقيل التايبون من كل
معصية فيدخل فيه التوبة من الكفر والنفاق وجميع المعاصى لان
لفظ التايبين لفظ عموم فيتناول الكل واعلم ان التوبة المقبولة
انما تحصل بحصول اربعة امور اولها احتراق القلب عند صدور المعصية
وثانيها الندم على فعلها فيما مضى وثالثها العزم على تركها فى المستقبل
ورابعها ان يكون الحامل له على التوبة طلب رضوان الله وعفوه فيه
فان كان غرضه بالتوبة تحصيل مدح الناس له ودفع مذمتهم فليس بمخلص
فى توبته العابدون يعنى المطيعين لله الذين يرون عبادة الله واجبة
عليهم وقيل هم الذين اتوا بالعبادة على اقصى وجوه التعظيم لله تعالى
وهى ان تكون العبادة خالصة لله تعالى الحامدون يعنى الذين يحمدون
الله تعالى على كل حال فى السرا والضراء وروى البغوى بغير سند عن ابن
عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اول من يدعى الى الجنة يوم القيمة
الذين يحمدون الله فى السراء والضرا وقيل هم يحمدون الله ويقومون بشكره
على جميع نعمه دينا واخرى السايحون قال ابن عباس وابن مسعود
هم الصايمون قال سفين بن عيينة انما سمى الصايم سايحا لتركه اللذات
كلها من المطعم والمشرب والنكاح وقال الازهرى قيل للصايم سايح لان
الذى يسيح فى الارض متعبدا لا زاد معه فكان ممسكا عن الاكل وكذلك
الصايم ممسك عن الاكل وقيل اصل السياحة استمرار الذهاب فى الارض
كالما الذى يسيح والصايم مستمر على فعل الطاعة وترك المنهى وقال عطا

السايحون

السايحون هم الغزاة المجاهدون فى سبيل الله ويدل عليه ما روى عن
عثمان بن مظعون قال قلت يا رسول الله ايذن لنا فى السياحة فقال ان
سياحة امتى الجهاد فى سبيل الله ذكره البغوى بغير سند وقال عكرمة
السايحون هم طلبة العلم لانهم ينتقلون من بلد الى بلد فى طلبه وقيل ان
السياحة لها اثر عظيم فى تهذيب النفس وتحسين اخلاقها لان السايح
لابد ان يلقى انواعا من الضر والبوس ولا بد له من الصبر عليها ويلقى
العلما والصالحين فى سياحته فيستفيد منهم ويعود عليه من بركتهم
ويرى العجايب واثار قدرة الله تعالى فيتفكر فى ذلك فيدله على
وحدانية الله تعالى وعظيم قدرته الراكعون الساجدون يعنى
المصلين وانما عبر عن الصلاة بالركوع والسجود لانهما معظم اركانها
وبهما يتميز المصلى من غير المصلى بخلاف حالة القيام والقعود
لانهما حالة المصلى وغيره الامرون بالمعروف يعنى يامرون الناس
بالايمان بالله وحده والناهون عن المنكر يعنى الشرك بالله وقيل
انهم يامرون الناس بالحق فى اديانهم واتباع الرشد والهدى
والعمل الصالح وينهون عن كل فعل وقول نهى الله عباده عنه ونهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحسن اما انهم لم يامروا الناس
بالمعروف حتى كانوا من اهله ولم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه
واما دخول الواو فى والناهون عن المنكر فان العرب تعطف بالواو
على السبعة ومنه قوله تعالى وثامنهم كلبهم وقوله فى صفة الجنة وفتحت
ابوابها وقيل فيه وجه اخر وهو ان الموصوفين بهذه الصفات الست
هم الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر فعلى هذا يكون قوله
التايبون الى قوله الساجدون مبتدا خبره هم الامرون بالمعروف •
والناهون عن المنكر فعلى هذا يكون خبر التايبون الى قوله
الساجدون والحافظون لحدود الله قال ابن عباس يعنى القايمين
بطاعة الله وقال الحسن الحافظون لفرايض الله وهم اهل الوفا ببيعة
الله وقيل هم المؤدون فرايض الله المنتهون الى امره ونهيه فلا يضيعون
شيا من العمل الذى الزمهم به ولا يرتكبون منهيا نهاهم عنه وبشر المومنين
يعنى وبشر يا محمد المصدقين بما وعدهم الله به اذا وفوا الله بعهده انه
موف لهم بما وعدهم من ادخال الجنة • وقيل وبشر المومنين من فعل
هذه الافعال السبعة وهى قوله تعالى التايبون الى اخر الاية فانه له

**قوله عز وجل ما كان للنبى والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين ولو كانوا اولى قربى** اختلف اهل التفسير فى سبب نزول
هذه الاية فقال قوم فى شان ابى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم

والد علي كرم الله وجهه ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان يستغفر له
بعد موته فنهاه الله عن ذلك ويدل على ذلك ما روي عن سعيد بن
المسيب عن ابيه المسيب بن حزن قال لما حضرت ابا طالب الوفاة
جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده ابا جهل وعبد الله بن
ابي امية بن المغيرة فقال اي عم فقال له قل لا اله الا الله كلمة احاج لك
بها عند الله تعالى فقال ابو جهل وعبد الله بن ابي امية اترغب عن ملة
عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه
ويعودان لتلك المقالة حتى قال ابو طالب اخر كلمة كلمهم انا على ملة
عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لاستغفرن لك ما لم انه عنك فانزل الله ما كان للنبي والذين
امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى وانزل الله في ابي
طالب انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء اخرجاه
في الصحيحين **فان قلت** قد استبعد بعض العلما نزول هذه
الاية في شان ابي طالب وذلك لان وفاته كانت بمكة اول الاسلام ونزول
هذه السورة بالمدينة وهي اخر القران نزولا **قلت** الذي نزل
في ابي طالب قوله تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي
من يشاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم انه عنك
كما في الحديث فيحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يستغفر له في بعض
الاوقات الى ان نزلت هذه الاية ومنع من الاستغفار والله اعلم بمراده
واسرار كتابه م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعمه عند الموت قل لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيمة فابى فانزل
الله انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشا الاية وفي
رواية لولا تعيرني قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لاقررت
بها عينك فانزل الله الاية ق عن ابي سعيد الخدري انه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه ابو طالب فقال لعله تنفعه
شفاعتي يوم القيمة فيجعل في ضحضاح من نار تبلغ كعبيه تغلي منه
ام دماغه وفي رواية يغلي منه دماغه من حرارة نعليه ق عن ابي
سعيد الخدري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه
العباس ابو طالب العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال قلت يرسول الله ما اغنيت عن عمك فانه كان يحوطك
ويغضب لك قال هو في ضحضاح من نار ولولا انا لكان في الدرك
الاسفل من النار وفي رواية قال قلت يرسول الله ان عمك ابا طالب
كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار

فاخرجه

فاخرجه الى ضحضاح من نار وقال ابو هريرة وبريدة لما قدم النبي صلى الله
عليه وسلم مكة اتى قبر امه امنة فوقف حتى حميت الشمس رجاء ان يوذن
له فيستغفر لها فنزلت ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين الاية وروى الطبري بسنده عن بريدة ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما قدم مكة اتى رسما قال واكثر ظني انه قال قبر فجلس اليه فجعل
يخاطب ثم قام مستعبرا فقلنا يا رسول الله انا راينا ما صنعت قال
اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار
لها فلم يوذن لي فما ارى باكيا اكثر من يومئذ وحكى ابن الجوزي
عن بريدة قال ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبر امه فتوضا وصلى
ركعتين ثم بكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكى الناس لبكائه ثم
انصرف اليهم فقالوا ما ابكاك قال مررت بقبر امي وصليت ركعتين
ثم استاذنت ربي ان استغفر لها فنهيت فبكيت ثم عدت فصليت
ركعتين فاستاذنت ان استغفر لها فزجرت زجرا فابكاني ثم دعا
براحلته فركبها فما سار الا هنيهة حتى قامت الناقة لثقل الوحي
فنزلت ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا
اولي قربى الاية م عن ابي هريرة قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر
امه فبكى وابكى من حوله فقال استاذنت ربي ان استغفر لها فلم
يوذن لي فاستاذنته في ان ازور قبرها فاذن لي فزوروا القبور
فانها تذكركم الموت وقال قتادة قال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن
لابي كما استغفر ابراهيم لابيه فانزل الله هذه الاية وروى الطبري
بسنده عنه قال ذكرت ان رجالا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
قالوا يا نبي الله ان من ابائنا من كان يحسن الجوار ويصل الرحم ويفك
العاني ويوفي الذمم افلا نستغفر لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
والله لاستغفرن لابي كما استغفر ابراهيم لابيه فانزل الله ما كان للنبي
والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية ثم عذر الله ابراهيم فقال
وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه الاية عن علي
ابن ابي طالب قال سمعت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له
اتستغفر لابويك وهما مشركان فقال استغفر ابراهيم لابيه وهو مشرك
فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ما كان للنبي والذين
امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية اخرجه النسائي والترمذي وقال
حديث حسن واخرجه الطبري وقال فيه فانزل الله عز وجل وما كان
استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه
عدو لله تبرا منه الاية ومعنى الاية ما كان ينبغي للنبي والذين امنوا ان

يستغفروا للمشركين وليس لهم ذلك لان الله تعالى لا يغفر للمشركين
ولا يجوز ان يطلب منه ما لا يفعله ففيه النهي عن الاستغفار للمشركين
ولو كانوا اولي قربى لان الاستغفار للمشركين عام فيستوي فيه
القريب والبعيد ثم ذكر الله عز وجل سبب المنع فقال تعالى
من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم يعني تبين لهم ان
لهم الشرك وماتوا عليه فهم من اصحاب الجحيم وايضا فقد قال
الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به والله لا يخلف وعده واما
قوله تعالى **وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها
اياه** فمعناه وما كان طلب ابراهيم لابيه المغفرة من الله الا من اجل
موعدة وعدها ابراهيم اباه ان يستغفر له رجا السلامة قال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما انزل الله خبر عن ابراهيم انه
قال سلام عليك ساستغفر لك ربي سمعت رجلا يستغفر
لابويه وهما مشركان فقال اولم يستغفر ابراهيم لابويه وهما
مشركان فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له
فانزل الله تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم الى قوله الا
قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك يعني ان ابراهيم ليس بقدوة في
الاستغفار انما استغفر لابيه وهو مشرك لما كان الوعد الذي
وعده رجا الاسلام فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه فعلى هذا
الهاء في اياه راجعة الى ابراهيم والوعد كان من ابيه وذلك ان
ابا ابراهيم وعد ابراهيم ان يسلم فقال ابراهيم ساستغفر لك ربي
يعني اذا اسلمت وقيل الهاء راجعة الى اب ابراهيم وذلك ان له
ابراهيم وعد اباه ان يستغفر له رجا السلامة ويؤكد هذا قوله
ساستغفر لك ربي ويدل عليه ايضا قوله قراة الحسن وعدها
اباه بالبا الموحدة **فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه** يعني فلما
ظهر لابراهيم وبان له ان اباه عدو الله تبرا منه وقيل انما تبين له
في الاخرة انه عدو لله يعني بموته على الكفر وقيل يحتمل ان الله
اوحى الى ابراهيم ان اباه عدو له تبرا منه ويدل على ذلك ما روى
ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم عليه السلام
اباه يوم القيمة وعلى وجه ازر قترة وغبرة فيقول ابراهيم الم
اقل لك لا تعصيني فيقول ابوه اليوم لا اعصيك فيقول ابراهيم
يا رب انك قد وعدتني لا تخزني يوم يبعثون فاي خزي اخزى
الى الابعد فيقول الله تعالى اني حرمت الجنة على الكافرين ثم
يقال يا ابراهيم ما تحت رجليك فينظر فاذا هو بذبح متلطخ فيوخذ

بقوايمه

بقوايمه فيلقى في النار اخرجه البخاري زاد غيره فتبرا منه
القترة غبرة يعلوها سواد والذبح بذال معجمة ثم يا مثناة من
تحت ثم خا معجمة وهو ذكر الضباع والانثى ذبيحة وقوله تعالى **ان
ابراهيم لاواه حليم** وقد جا في الحديث الاواه الخاشع المتضرع
وقال ابن مسعود الاواه الكثير الدعا وقال ابن عباس هو المومن
التواب وقال الحسن وقتادة الاواه الرحيم بعباد الله وقال مجاهد
الاواه الموقن • وقال كعب الاحبار الاواه هو الذي يكثر التاوه
وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام يكثر ان يقول اواه من النار قبل
ان لا ينفع اواه • وقال عقبة بن عامر الاواه الكثير الذكر لله عز
وجل وقال سعيد بن جبير هو المسبح وعنه انه المعلم للخير وقال
عطا هو الراجع عما يكره الله الخايف من النار وقال ابو عبيدة هو
المتاوه شفقا وفرقا المتضرع يقينا ولزوما للطاعة • وقال
الزجاج انتظم في قول ابي عبيدة جميع ما قيل في الاواه واصله من
التاوه وهو ان يسمع للصدر صوت بتنفس الصعدا والفعل اواه
وهو قول الزجاج عند شدة خوفه وحزنه اواه والسبب فيه ان عند
الحزن تحمى الروح داخل القلب ويشتد حرها فالانسان يخرج ذلك
النفس المحترق في القلب ليخف بعض ما به من الحزن والشدة واما
الحليم فمعناه ظاهر وهو الصفوح عمن سبه او اتاه بمكروه ثم يقابله
بالاحسان واللطف كما فعل ابراهيم بابيه حين قال له لين لم تنته
لارجمنك فاجابه ابراهيم بقوله سلام عليك ساستغفر لك ربي وقال
ابن عباس الحليم السيد وانما وصف الله ابراهيم عليه السلام بهذين
الوصفين ومرشدة الرقة والخوف والوجل والشفقة على عباده
فبين الله تعالى انه مع هذه الصفات الجميلة الحميدة تبرا من ابيه
لما ظهر له اصراره على الكفر فاقتدوا به انتم في هذه الحالة ايضا قوله
تعالى **وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما
يتقون** يعني ما يأتون وما يذرون ويتقدم عليهم بالنهي عن ذلك الفعل
فاما قبل النهي فلا حرج عليهم في فعله وقيل ان جماعة من المسلمين
كانوا قد ماتوا قبل النهي عن الاستغفار للمشركين فلما سمعوا من ذلك
وقع في قلوب المومنين خوف على من مات على ذلك فانزل الله عز
وجل هذه الاية وبين انه لا يواخذهم بعمل الا بعد ان يبين لهم في
معصيته وطاعته عامة وقال انه يجب عليهم ان يتقوه ويتركوه له
وقال مجاهد بيان الله للمومنين في ترك الاستغفار للمشركين خاصة
وبيانه له في معصيته وطاعته عامة وقال الضحاك وما كان الله

ليعذب قوما حتى يبين لهم ما يأتون وما يذرون وقال مقاتل
والكلبي هذا في المنسوخ وذلك ان قوما قدموا على النبي صلى الله
عليه وسلم بعد ذلك فرجعوا الى قومهم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت
القبلة الى الكعبة ولا علم لهم بذلك ثم قدموا بعد ذلك الى المدينة
فوجدوا الخمر قد حرمت والقبلة قد صرفت الى الكعبة فقالوا يا
رسول الله قد كنت على دين ونحن على غيره فنحن على ضلال فانزل
الله وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم يعني وما كان الله
ليضل عمل قوم قد عملوا بالمنسوخ حتى يبين الناسخ **ان الله بكل شي
عليم** يعني انه تعالى عليم بما خالط نفوسكم من الخوف عندما ذكر
ونهاكم عن الاستغفار للمشركين ويعلم ما يبين لكم من اوامره ونواهيه
ان الله له ملك السموات والارض يعني انه تعالى هو القادر على
ملك السموات والارض وما فيهما عبيده وملكه يحكم فيهم بما يشا
يحيي ويميت يعني انه تعالى يحيي من يشا على الايمان ويميته عليه
ويحيي من يشا على الكفر ويميته لا اعتراض لاحد عليه في ملكه وعبيده
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يعني انه تعالى هو وليكم وناصركم
ليس لكم غيره يمنعكم من عدوكم وينصركم عليهم **قوله عز وجل**
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الاية تاب الله يعني
تجاوز الله وصفح عن النبي والمهاجرين والانصار ومعنى توبته على
النبي صلى الله عليه وسلم باذنه للمنافقين للتخلف عنه في غزوة
تبوك وهو كقوله عفى الله عنك لم اذنت لهم فهو من باب ترك
الافضل لا انه ذنب يوجب عقابا وقال اصحاب المعاني هو مفتاح
كلام فهو كقوله تعالى فان لله خمسه ومعنى هذا ان ذكر النبي بالتوبة
عليه تشريف للمهاجرين والانصار في ضم توبتهم الى توبة النبي صلى الله
عليه وسلم كما ضم اسم الرسول الى اسم الله في قوله فان لله خمسه وللرسول
فهو تشريف له اما معنى توبة الله على المهاجرين والانصار فلاجل ما
وقع في قلوبهم من الميل الى القعود عن غزوة تبوك لانها في وقت
شديد وبما وقع في قلوب بعضهم انها لا تقدر على قتال الروم كيف
لنا بالخلاص منهم فتاب الله عنهم وعفا عنهم ما وقع في قلوبهم من هذه
الخواطر والوساوس النفسانية وقيل ان الانسان لا يخلوا من زلات
وتبعات في مدة عمره اما من باب الصغاير من باب ترك الافضل
ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه لما تحملوا مشاق هذا
السفر ومتاعبه وصبروا على تلك الشدايد العظيمة التي حصلت لهم
في ذلك السفر وغفر لهم وتاب عليهم ما تحملوا من الشدايد العظيمة في تلك

الغزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم وانما ضم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
الى ذكرهم تنبيها على عظم مراتبهم في الدين فانهم قد بلغوا الى الرتبة
التي ضم النبي صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم **الذين اتبعوه** في ساعة تلك
الغزوة من المهاجرين والانصار وقد ذكر بعض العلما ان النبي صلى الله
عليه وسلم سار الى تبوك في سبعين الفا ما بين راكب وماش من المهاجرين
والانصار وغيرهم من ساير القبايل **في ساعة العسرة** يعني في وقت
العسرة ولم يرد ساعة بعينها والعسرة الشدة والضيق وكانت
تبوك تسمى غزوة العسرة والجيش الذي سار فيه يسمى جيش العسرة
لانه كان عليهم عسرة في الظهر والزاد والما قال الحسن العشرة منهم
يخرجون على بعير واحد يعتقبونه بينهم يركب الرجل ساعة ثم ينزل
فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير
وكان النفر منهم يخرجون وما معهم التمرات اليسيرة بينهم فاذا بلغ
الجوع من احدهم اخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يخرجها من
فيه ويعطيها صاحبه ثم يشرب عليها جرعة من الما كذلك حتى ياتي
على اخرهم ولا يبقى من التمرة الا النواة فمضوا مع النبي صلى الله عليه
وسلم على صدقهم ويقينهم رضي الله عنهم. وقال عمر بن الخطاب خرجنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك في قيظ شديد فنزلنا
منزلا اصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا ان رقابنا تنقطع وحتى
ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده وحتى
ان الرجل كان يذهب يلتمس الما فلا يرجع حتى يظن ان رقبته تنقطع
فقال ابو بكر الصديق يا رسول الله ان الله عز وجل عودك في الدعا
خيرا فادع الله فقال اتحب ذلك قال نعم فرفع يديه صلى الله عليه وسلم
فلم يرجعهما حتى قالت السما فاظلت حتى سكبت فملؤوا ما معهم من الاوعية
ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر اسنده الطبري عن عمر
كذلك **من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم** يعني من بعد ما قارب
ان تميل قلوب بعضهم عن الحق من اجل المشقة والشدة التي نالتهم
والزيغ في اللغة الامالة وقيل هم بعضهم ان يفارق الرسول صلى الله
عليه وسلم عند تلك الشدة التي نالتهم لكنهم صبروا واحتسبوا وندموا
على ما خطر في قلوبهم فلاجل ذلك قال الله تعالى **ثم تاب عليهم**
يعني انه علم اخلاص نيتهم وصدق توبتهم فرزقهم الانابة والتوفيق له
فان قلت قد ذكر التوبة اولا ثم ذكرها ثانيا فما فايدة التكرار قلت
انه تعالى ذكر التوبة اولا قبل ذكر الذنب تفضلا منه وتطييبا لقلوبهم ثم
ذكر الذنب بعد ذلك واردفه بذكر التوبة مرة اخرى تعظيما لشانهم وليعلموا

الله تعالى قد قبل توبتهم وعفا عنهم ثم اتبعه بقوله انه بهم روف رحيم
تاكيدا لذلك ومعنى الروف في صفة الله تعالى انه الرفيق بعباده لانه
لم يحملهم ما لا يطيقون من العبادات وبين الروف والرحيم فرق لطيف
وان تقاربا في المعنى قال الخطابي قد تكون الرحمة مع الكراهة للمصلحة
ولا تكاد الرافة تكون في الكراهة قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا
هذا معطوف على ما قبله تقديره لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا وفايدة هذا العطف بيان قبول
توبتهم وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع وكلهم
من الانصار وهم المرادون بقوله تعالى واخرون مرجون لامر الله وفي معنى
خلفوا قولان احدهما انهم خلفوا عن توبة ابي لبابة واصحابه وذلك
انهم لم يخضعوا كما خضع ابو لبابة واصحابه فتاب الله على ابي لبابة واصحابه
واخر امر هولا الثلاثة مدة ثم تاب عليهم بعد ذلك والقول الثاني انهم
خلفوا عن غزوة تبوك ولم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها
واما حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه فقد روي عن ابن شهاب
الزهري قال اخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ان
عبد الله بن كعب كان قايد كعب من بنيه حين عمي قال وكان اعلم قومه
واوعاهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت كعب
ابن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزوة تبوك قال كعب لم اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزوة غزاها قط الا في غزوة تبوك غير اني قد تخلفت في غزوة
بدر ولم يعاتب احدا تخلف عنها انما خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم
على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك
في قيظ شديد فنزلنا منزلا ليلة العقبة حتى تواثقنا على الاسلام
وما احب ان لي بها مشهد بدر وان كانت بدر اذكر في الناس وكان من
خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك
اني لم اكن قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة
والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتها في تلك الغزوة ولم
يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها
حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا واستقبل عدوا كثيرا
فجلى للمسلمين امرهم ليتاهبوا اهبة غزوهم واخبرهم بوجههم الذي
يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب

حافظ

حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب فقل رجل يريد ان يتغيب
الا ظن ان ذلك سيخفى ما لم ينزل فيه وحي من الله عز وجل وغزا
رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال
وانا اليها اصعر فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه
وطفقت اغدو لكي اتجهز معهم فارجع ولم اقض شيا واقول في نفسي انا
قادر على ذلك اذا اردت فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس
الجد فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه
ولم اقض من جهازي شيا ثم غدوت فرجعت ولم اقض شيا فلم يزل
ذلك يتمادى حتى اسرعوا وتفارط الغزو فهممت ان ارتحل فادركهم
فيا ليتني فعلت ثم لم يقدر لي ذلك فطفقت اذا خرجت في الناس
بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني اني لا ارى رجلا مغموصا
عليه في النفاق او رجلا ممن عذر الله من الضعفا ولم يذكرني رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك
ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من الانصار بني سلمة يا رسول الله
حبسه برداه والنظر في عطفيه فقال له معاذ بن جبل بيس ما قلت
والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فبينا هو كذلك راى رجلا مبيضا يزول به السراب فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ابا خيثمة فاذا هو ابو خيثمة
الانصاري وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون فقال
كعب فلما بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا
من تبوك حضرني بثي فطفقت اتذكر الكذب واقول بما اخرج من
سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذي راي من اهلي فلما قيل ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اظل قادما زاح عني الباطل حتى
عرفت اني لن انجو منه بشي ابدا فاجمعت صدقه واصبح رسول الله
صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفر بدا بالمسجد فركع
فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا
يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم
علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرايرهم الى الله حتى جيت فلما
سلمت تبسم المغضب ثم قال تعال فجيت امشي حتى جلست بين يديه
فقال ما خلفك الم تكن قد ابتعت ظهرك قلت يا رسول الله اني لو جلست
عند غيرك من اهل الدنيا لرايت اني ساخرج من سخطه بعذر لقد
اعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لين حدثتك اليوم حديث كذب
ترضى به عني ليوشكن الله ان يسخطك علي ولين حدثتك حديث صدق

تجد على فيه انى لارجو فيه عقبى الله وفي رواية عفو الله عز وجل
والله ما كان لي من عذر والله ما كنت قط اقوى ولا ايسر مني حين
تخلفت عنك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان هذا
فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك فقمت وثار رجال من بني سلمة
فاتبعوني فقالوا والله ما علمناك اذنبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت
في ان لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر
اليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى اردت ان ارجع الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكذب نفسي قال ثم قلت لهم هل
لقي هذا معي من احد قالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت
وقيل لهما مثل ما قيل لك قلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العامري
وهلال بن امية الواقفي قال فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا
بدرا فيهما اسوة قال ومضيت حين ذكروهما لي قال ونهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا ايها الثلاثة من بين من تخلف
عنه قال فاجتنبنا الناس او قال تغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي
الارض فما هي بالارض التي اعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فاما
صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان واما انا فكنت اشب
القوم واجلدهم فكنت اخرج فاشهد الصلاة واطوف في الاسواق
فلا يكلمني احد واتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه
وهو في مجلسه بعد الصلاة فاقول في نفسي هل حرك شفتيه برد
السلام ام لا ثم اصلي قريبا منه واسارقه النظر فاذا اقبلت على
صلاتي نظر الي فاذا التفت نحوه اعرض عني حتى اذا طال علي ذلك
من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حايط ابي قتادة وهو
ابن عمي واحب الناس الي فسلمت عليه فوالله ما رد السلام فقلت
يا ابا قتادة انشدك بالله هل تعلمني احب الله ورسوله قال فسكت
فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله
اعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار فبينا انا امشي
في سوق المدينة اذا نبطي من نبط اهل الشام ممن قدم بطعام يبيعه
بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك قال فطفق الناس
يشيرون له الي حتى جاءني فدفع الي كتابا من ملك غسان وكنت
كاتبا فقراته فاذا فيه اما بعد فانه قد بلغنا ان صاحبك قد جفاك
ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك قال
فقلت حين قراتها وهذه ايضا من البلا فتيممت بها التنور فسجرتها

حتى اذا مضت اربعون من الخمسين واستلبث الوحي واذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ياتيني فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يامرك ان تعتزل امراتك قال فقلت اطلقها ام ماذا افعل قال لا
بل اعتزلها فلا تقربها قال وارسل الى صاحبي مثل ذلك قال فقلت
لامراتي الحقي باهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الامر فجاءت
امراة هلال بن امية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول
الله ان هلال بن امية شيخ ضايع ليس له خادم فهل تكره ان اخدمه
قال لا ولكن لا يقربنك فقالت والله انه ما به من حركة الى شي والله
ما زال يبكي منذ ما كان من امره ما كان الى يومه هذا قال فقال
لي بعض اهلي لو استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امراتك
فقد اذن لامراة هلال بن امية ان تخدمه قال فقلت لا استاذن
فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريني ما يقول لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا استاذنته فيها وانا رجل شاب قال
فلبثت بذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهي عن كلامنا
قال ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من
بيوتنا فبينا انا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل قد ضاقت
علي نفسي وضاقت علي الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ
اوفى على سلع يقول باعلا صوته يا كعب بن مالك ابشر فقد تاب
الله عليك قال فخررت ساجدا وعلمت ان قد جا فرج قال واذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى
صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون
وركض رجل الي فرسا وسعى ساع من اسلم قبلي واوفى على الجبل فكان
الصوت اسرع من الفرس فلما جاني الذي سمعت صوته يبشرني
نزعت له ثوبي فكسوته اياهما ببشارته والله ما املك غيرهما يوميذ
واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتلقاني الناس فوجا فوجا يهنوني بالتوبة ويقولون ليهنك
توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه
وسلم حوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني
وهناني والله ما قام رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا
ينساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور ابشر بخير يوم مر عليك منذ
ولدتك امك قال قلت امن عندك يا رسول الله ام من عند الله فقال
بل من عند الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اسر استنار

وجهه حتى كان وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست
بين يديه قلت يا رسول الله ان من توبتي ان انخلع من مالي صدقة
الى الله والى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك بعض
مالك فهو خير لك قال فقلت فاني امسك سهمي الذي بخيبر قال
وقلت يا رسول الله ان الله انما نجاني بالصدق وان من توبتي ان لا
احدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما علمت احدا من المسلمين
ابلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله
عليه وسلم احسن مما ابلاني الله والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا واني لارجو ان يحفظني الله
فيما بقي قال فانزل الله عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة حتى بلغ انه بهم رؤوف رحيم
وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت
حتى بلغ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما انعم الله
علي من نعمة قط بعد ان هداني للاسلام اعظم في نفسي من صدقي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا اكون كذبته فاهلك كما هلك
الذين كذبوا ان الله عز وجل قال للذين كذبوا حين انزل الوحي شر
ما قال لاحد فقال الله سبحانه وتعالى سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم
اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا
يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى
عن القوم الفاسقين قال كعب كنا خلفنا ايها الثلاثة عن امر اولئك
الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم ٥
واستغفر لهم وارجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا حتى قضى
الله تعالى فيه بذلك قال الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا
وليس الذي ذكر مما خلفنا عن الغزو وانما هو تخليفه ايانا وارجاؤه
امرنا عمن حلف له واعتذر اليه وفي رواية ونهى النبي صلى الله
عليه وسلم عن كلامي وكلام صاحبي ولم ينه عن كلام احد من المتخلفين
غيرنا فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال على الامر
ما من شيء اهم الي من ان اموت فلا يصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم
او يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكون من الناس بتلك ٥
المنزلة فلا يكلمني احد منهم ولا يسلم علي ولا يصلي علي قال وانزل الله
عز وجل توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقي الثلث الاخر
من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند ام سلمة وكانت ام سلمة
محسنة في شاني معتنية بامري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

يا ام سلمة تيب على كعب بن مالك قالت افلا ارسل اليه فابشره قال
اذا يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم ساير الليل حتى اذا صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة
الله علينا اخرجه البخاري ومسلم **شرح غريب** هذا الحديث
قوله حتى تواثقنا على الاسلام تفاعل من الميثاق وهو العهد ٥
والراحلة الجمل والناقة او القوي منها على الحمل والسفر وقوله ورّى
بغيرها يقال ورّى عن الشيء اذا اخفاه واظهر غيره والمفازة البرية
القفر سميت بذلك تفاؤلا بالفوز والنجاة منها وقوله تعالى الفوز
العظيم قال فجلا لهم بالتخفيف يعني كشف لهم مقصدهم واظهره لهم
والاهبة الجهاز وما يحتاج اليه المسافر **قوله** وانا اليها اصعر هو
بالعين المهملة اي اميل والصعر الميل **قوله** وتفارط الغزو اي تباعد
ما بيني وبين الجيش من المسافة وطفق مثل جعل والمغموص المعيب
المشار اليه بالعيب يقال فلان ينظر في عطفيه اذا كان معجبا بنفسه
يقال زال به السراب يزول اذا ظهر شخص الانسان خيالا فيه من بعد
والسراب هو ما يظهر للانسان في البرية في وقت الهاجرة كانه ماء
والمبيض بكسر الياء لابس البياض كن ابا خيثمة معناه انت ابو خيثمة
وقيل معناه اللهم اجعله ابا خيثمة اي ليوجد هذا الشخص ابا خيثمة
حقيقة الذي لمزه المنافقون يعني عابوه واحتقروه والقافل
الراجع من سفره الى وطنه **قوله** حضرني بثي البث اشد الحزن
كانه لشدته يظهره بثه صاحبه اي يظهره زاح عني الباطل اي زال
وذهب عني واجمعت صدقه اي عزمت عليه لقد اعطيت جدلا
اي فصاحة وقوة في الكلام بحيث اخرج عن عهدة ما اردت بما اشاء
من اشاء من الكلام والمغضب بفتح الضاد هو الغضبان **قوله**
فما زالوا يؤنبونني اي يلومونني اشد اللوم **قوله** حتى تنكرت في نفسي
الارض فما هي بالارض التي اعرف معناه تغير علي كل شيء من الارض ٥
وتوحشت علي وصارت كانها ارض لا اعرفها وقوله فاما صاحباي
فاستكانا يعني خضعا وسكنا **قوله** تسورت حايطا اي قتادة اي علوته
وتصعدت سوره وهو اعلاه والانباط الفلاحون والزراعون وهم من العجم
او الروم والمضيعة مفعلة من الضياع والاطراح **قوله** فتيممت بها
التنور فسجرتها اي فقصدت بالصحيفة التي ارسل بها ملك غسان ٥
فاحرقتها في التنور وسلع جبل بالمدينة معروف وقوله فانطلقت
اتأمم يعني اقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم والفوج الجماعة من الناس
يقال برق وجهه اذا لمع وظهر عليه امارات الفرح والسرور **قوله** انخلع

من مالي اي اخرج منه جميعه واتصدق به كما يخلع الانسان قميصه قوله
ما علمت احدا من المسلمين ابلاه في صدق الحديث احسن مما ابلاني البلا
والابتلا يكون في الخير وفي الشر واذا اطلق كان في الشر غالبا فاذا اريد به
الخير قيد كما قيد هنا بقوله احسن مما ابلاني اي انعم علي قوله ان لا
اكون كذبته هذا هو في جميع روايات الحديث بزيادة لفظة لا قال
العلما لفظة لا زايدة ومعناه ان اكون كذبته وقوله فاهلك بكسر اللام
وارجاوه امرنا اي اخره وقوله في الرواية الاخري يحطمكم الناس اي
يطاوكم ويزدحمون عليكم واصل الوطء الكسر وقوله سائر الليل يعني
باقي الليل وقوله واذن بتوبة الله علينا اي اعلم والاذان الاعلام والله
اعلم وقوله عز وجل حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت
يعني بما اتسعت والرحب سعة المكان والمعنى انه ضاق عليهم
المكان بعد ان كان واسعا وضاقت عليهم انفسهم يعني من شدة
الغم والحزن ومجانبة الناس اياهم وترك كلامهم وظنوا يعني ايقنوا
وعلموا ان لا ملجا يعني لا مفزع ولا مفر من الله الا اليه ولا عاصم من
عذابه الا هو ثم تاب عليهم فيه اضمار تقديره وظنوا ان لا ملجا من الله
الا اليه فرحمهم ثم تاب عليهم وانما حسن هذا الحذف لدلالة الكلام
عليه وقوله ثم تاب عليهم تاكيد لقبول توبتهم لانه قد تقدم ذكر توبتهم
في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا كما تقدم بيانه وانه عطف على قوله
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار وتاب الله على الثلاثة
الذين خلفوا وقوله ليتوبوا معناه ان الله تاب عليهم في الماضي ليكون
ذلك داعيا لهم الى التوبة في المستقبل ويدوموا عليها وقيل ان
اصل التوبة الرجوع ومعناه ثم تاب عليهم ليرجعوا الى حالهم الاول
وعادتهم في الاختلاط بالناس ومكالمتهم فتسكن نفوسهم بذلك ان الله
هو التواب يعني على عباده الرحيم بهم وفيه دليل على ان قبول التوبة
بمحض الرحمة والكرم والفضل والاحسان وانه لا يجب على الله تعالى شي
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله يعني في مخالفة امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكونوا مع الصادقين يعني مع النبي صلى الله
عليه وسلم واصحابه في الغزوات ولا تكونوا مع المتخلفين من المنافقين
الذين قعدوا في البيوت وتركوا الغزو وقال سعيد بن جبير مع الصادقين
يعني ابي بكر وعمر وقال ابن جريج مع المهاجرين وقال ابن عباس مع
الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم واعمالهم وخرجوا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك باخلاص نية وقيل كونوا مع الذين
صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالاعذار الباطلة الكاذبة

وهذه الاية تدل على فضيلة الصدق لان الصدق يهدي الى الجنة والكذب
الى الفجور كما ورد في الحديث • وقال ابن مسعود الكذب لا يصلح في جد ولا
هزل ولا ان يعد احدكم صاحبه شيا ثم لا ينجز له اقروا ان شيتم وكونوا مع
الصادقين • وروي ان ابا بكر الصديق احتج بهذه الاية على الانصار
في يوم السقيفة وذلك ان الانصار قالوا منا امير ومنكم امير فقالوا
فقال ابو بكر يا معشر الانصار ان الله يقول في كتابه للفقرا المهاجرين
الى قوله اوليك هم الصادقون من هم قالت الانصار انتم هم فقال ابو بكر
ان الله تعالى يقول يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
فامركم ان تكونوا معنا ولم يامرنا ان نكون معكم نحن الامرا وانتم الوزرا
وقيل مع بمعنى من والمعنى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع
الصادقين قوله تعالى ما كان لاهل المدينة يعني لساكني المدينة
مع من المهاجرين والانصار ومن حولهم من الاعراب يعني سكان
البوادي مزينة وجهينة واسلم واشجع وغفار وقيل هو عام في كل
الاعراب لان اللفظ عام وحمله على العموم اولي ان يتخلفوا عن رسول
الله يعني اذا غزا وهذا ظاهره خبر ومعناه النهي اي ليس لهم ان
يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يرغبوا يعني ولا ان يرغبوا
بانفسهم عن نفسه يعني ليس لهم ان يكرهوا لانفسهم ما يختار رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويرضاه لنفسه ولا يختاروا لانفسهم الخفض له
والدعة ويتركوا مصاحبته والجهاد معه في حال الشدة والمشقة
وقال الحسن ولا يرغبوا بانفسهم ان يصيبهم من الشدايد فيختاروا
الخفض والدعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مشقة السفر ومقاساة
التعب ذلك بانهم لا يصيبهم في سفرهم وغزواتهم ظما اي عطش
ولا نصب اي تعب ولا مخمصة اي مجاعة شديدة في سبيل الله ولا يطؤن
موطيا يغيظ الكفار يعني ولا يضعون قدما على الارض يكون ذلك
القدم سببا لغيظ الكفار وغمهم وحزنهم ولا ينالون من عدو نيلا يعني
اسرا او قتلا او هزيمة او غنيمة ونحو ذلك قليلا كان او كثيرا الا كتب لهم
به عمل صالح يعني الا كتب لهم الله بذلك ثواب عمل صالح قد ارتضاه الله
لهم وقبله منهم وقوله ان الله لا يضيع اجر المحسنين يعني ان الله لا يدع
محسنا من خلقه قد احسن في عمله واطاعه فيما امره به او نهاه عنه ان
يجازيه على احسانه وعمله الصالح وفي الاية دليل على ان من قصد طاعة
الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات
مكتوبة عند الله وكذا القول في قصد المعصية فان حركته فيها كلها
سيات الا ان يغفرها الله بفضله وكرمه واختلف العلما في حكم هذه

الاية فقال قتادة هذه خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا
بنفسه لم يكن لاحد ان يتخلف عنه الا بعذر فاما غيره من الايمة والولاة
فيجوز لمن شاء من المومنين ان يتخلف عنه اذا لم يكن للمسلمين اليه
ضرورة وقال الوليد بن مسلم سمعت الاوزاعي وابن المبارك وابن جابر
وسعيد بن عبد العزيز يقولون في هذه الاية انها لاول هذه الامة
واخرها فعلى هذا تكون محكمة لم تنسخ وقال ابن زيد هذا حين كان
اهل الاسلام قليلا فلما كثروا نسخها الله عز وجل واباح التخلف لمن
شا فقال وما كان المومنون لينفروا كافة ونقل الواحدي عن
عطية انه قال وما كان لهم ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا دعاهم وامرهم قال الواحدي هذا هو الصحيح لانه
تتعين الطاعة والاجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امر
وكذا غيره من الايمة والولاة اذا ندبوا وعينوا لانا لو سوغنا
للمندوب ان يتقاعد و لم يختص بذلك بعض دون بعض لادى ذلك
الى تعطيل الجهاد والله اعلم وقوله عز وجل **ولا ينفقون** يعني في سبيل
الله **نفقة صغيرة ولا كبيرة** يعني تمرة فما دونها او اكثر منها حتى علاقة
سوط **ولا يقطعون واديا** يعني ولا يجاوزون في سيرهم واديا مقبلين
او مدبرين فيه **الا كتب لهم** يعني كتب الله لهم اثارهم وخطاهم
ونفقاتهم **ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون** قال الواحدي
معناه باحسن ما كانوا يعملون قال الامام فخر الدين فيه وجهان الاول
ان الاحسن من افعالهم وهي الواجب والمندوب والمباح فالله تعالى
يجزيهم على الاحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح والثاني ان
الاحسن صفة للجزاء اي يجزيهم جزا هو احسن من اعمالهم واجل وافضل
وهو الثواب وفي الاية دليل على فضل الجهاد وانه من احسن اعمال
العباد **ق** عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع
سوط احدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها وفي رواية وما فيها
ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله
لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيل الله وايمان بي وتصديق
برسلي فهو علي ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي خرج
منه نايلا ما نال من اجر او غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم
يكلم في سبيل الله الا جا يوم القيمة كهيئته يوم كلم لونه لون دم وريحه ريح
مسك والذي نفس محمد بيده لولا ان اشق على المسلمين ما قعدت خلاف
سرية تغزو في سبيل الله ابدا ولكن لا اجد سعة فاحملهم ولا يجدون

سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لوددت ان
اغزو في سبيل الله فاقتل ثم اغزو فاقتل لفظ مسلم وللبخاري بمعناه
ق عن ابي سعيد الخدري قال جا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اي الناس افضل قال مومن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله
قال ثم من قال ثم رجل في شعب من الشعاب يعبد الله وفي رواية
يتقي الله ويدع الناس من شره **خ** عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار **خ** عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل
الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه
يوم القيمة يعني حسنات **م** عن ابن مسعود الانصاري البدري قال
جا رجل بناقة مخطومة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه
في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيمة
سبعماية ناقة كلها مخطومة • عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من انفق نفقة في سبيل الله كتبت له سبعماية ضعف
اخرجه الترمذي والنسايي **قوله عز وجل** **وما كان المومنون
لينفروا كافة** الاية قال عكرمة لما نزلت هذه الاية كان لاهل المدينة
ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله قال ناس من المنافقين
هلك من تخلف فنزلت هذه الاية وما كان المومنون لينفروا كافة
قال ابن عباس انها ليست في الجهاد ولكن لما دعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم على مضر بالسنين اجدبت بلادهم فكانت القبيلة
منهم تقبل باسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ويعتلوا بالاسلام وهم
كاذبون فضيقوا على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واجهدوهم
فانزل الله عز وجل يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم انهم ليسوا مومنين
فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عشايرهم وحذر قومهم ان
يفعلوا فعلهم فذلك قوله ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وفي رواية
اخرى عن ابن عباس قال انه كان ينطلق من كل حي من العرب عصابة
فياتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسالونه عما يريدون من امر دينهم
ويتفقهون في دينهم ويقولون لنبي الله صلى الله عليه وسلم ما تامرنا
ان نفعله واخبرنا عما نقول لعشايرنا اذا انطلقنا اليهم فيامرهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم بطاعة الله وطاعة رسوله ويبعثهم الى قومهم
نادوا ان من اسلم فهو منا وينذرونهم حتى ان الرجل ليفارق اباه وامه
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم بما يحتاجون اليه من امر
الدين وينذرون قومهم اذا رجعوا اليهم ويدعونهم الى الاسلام وينذرو

النار ويبشرونهم بالجنة وقال مجاهد ان ناسا من اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم خرجوا في الوادي فاصابوا من الناس معروفا ومن
الخطب ما ينتفعون به ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى
فقال الناس لهم ما نراكم الا وقد تركتم اصحابكم وجيتمونا فوجدوا
في انفسهم تحرجا واقبلوا من البادية كلهم حتى خرجوا دخلوا على النبي
صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل **فلولا نفر من كل فرقة منهم
طايفة** يبتغون الخير وقعد طايفة ليتفقهوا في الدين وليسمعوا
ما انزل الله ولينذروا قومهم من الناس اذا رجعوا اليهم لعلهم
يحذرون وقال ابن عباس ما كان المومنون لينفروا جميعا ويتركوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الله قد انزل على نبيكم بعدكم
قرانا وقد تعلمناه فتمكث السرايا يتعلمون ما انزل الله على نبيهم بعدهم
ويبعث سرايا اخرى فذلك قوله **ليتفقهوا في الدين** بقول ليتعلموا
ما انزل الله على نبيهم ويعلموا السرايا اذا رجعت اليهم لعلهم يحذرون
نقل هذه الاقوال كلها الطبري واما تفسير الاية فيمكن ان يقال انها
من بقية احكام الجهاد ويمكن ان يقال انها كلام مبتدا لا تعلق لها
بالجهاد فعلى الاحتمال الاول فقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا خرج الى الغزو لم يتخلف عنه الا منافق او صاحب عذر فلما
بالغ الله في الكشف عن عيوب المنافقين وفضحهم في تخلفهم في غزوة
تبوك قال المنافقون والله لا نتخلف عن شي من الغزوات مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية يبعثها فلما قدم المدينة وبعث
السرايا نفر المسلمون جميعا الى الغزو وتركوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وحده فنزلت هذه الاية فيكون المعنى ما كان ينبغي للمومنين
ولا يجوز لهم ان ينفروا بكليتهم الى الجهاد ويتركوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بل يجب ان ينقسموا قسمين فطايفة يكونوا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وطايفة ينفروا الى الجهاد لان ذلك الوقت
كانت الحاجة داعية الى انقسام اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى قسمين قسم للجهاد وقسم لتعلم العلم والتفقه في الدين لان
الاحكام والشرايع كانت تجدد شيا بعد شي فالملازمون لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يحفظون ما نزل من الاحكام وتجدد من الشرايع
فاذا قدم الغزاة اخبروهم بذلك فيكون معنى الاية وما كان المومنون
لينفروا كافة فلولا يعني فهلا نفر من كل فرقة طايفة للجهاد وقعد
طايفة **ولينذروا قومهم** الذين نفروا الى الجهاد **اذا رجعوا اليهم**
من غزوهم **لعلهم يحذرون** يعني مخالفة امر الله وامر رسوله وهذا

معنى

معنى قول قتادة وقيل التفقه في الدين صفة للطايفة النافرة
قال الحسن ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم من الظهور على المشركين
والنصرة وينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ومعنى ذلك ان الفرقة النافرة
اذا شاهدوا النصر الله لهم على اعدايهم وان الله يريد اعلا دينه وتقوية
نبيه صلى الله عليه وسلم وان الفية القليلة قد غلبت جمعا كثيرا فاذا
رجعوا من ذلك النفير الى قومهم من الكفار انذروهم بما شاهدوا
من دلايل النصر والفتح والظفر لعلهم يحذرون فيتركوا الكفر والنفاق
واورد على هذا القول ان هذا النوع لا يعد تفقها في الدين ويمكن ان
يجاب عنه بانهم اذا علموا ان الله هو ناصرهم ومقويهم على عدوهم
كان زيادة في ايمانهم فيكون ذلك تفقها في الدين واما الاحتمال الثاني
وهو ان يقال ان هذه الاية كلام مبتدا لا تعلق لها بالجهاد وهو ما
ذكرناه عن مجاهد ان ناسا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
خرجوا الى البوادي فاصابوا معروفا ودعوا من وجدوا من الناس
الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا وقد تركتم صاحبكم وجيتمونا
فوجدوا في انفسهم من ذلك حرجا فاقبلوا كلهم من البادية حتى
دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية
والمعنى هلا نفر من كل فرقة طايفة وتقعد طايفة ليتفقهوا
في الدين ويبلغوا ذلك الى النافرين لينذروا قومهم اذا رجعوا
اليهم لعلهم يحذرون يعني باس الله ونقمته اذا خالفوا امره وفي
الاية دليل انه يجب ان يكون المقصود من العلم والفقه دعوة
الخلق الى الحق وارشادهم الى الدين القويم والصراط المستقيم فكل
من تفقه وتعلم لهذا المقصد كان على المنهج القويم والصراط المستقيم
ومن عدل عنه وتعلم العلم لطلب الدنيا كان من الاخسرين اعمالا
الاية ق عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما انا قاسم ويعطي
الله ولن يزال امر هذه الامة مستقيما حتى تقوم الساعة وحتى
ياتي امر الله ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام
اذا فقهوا عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقيه
واحد اشد على الشيطان من الف عابد اخرجه الترمذي واصل الفقه
في اللغة الفهم يقال فقه الرجل اذا فهم وفقه فقاهة اذا صار فقيها
وقيل الفقه هو التوصل الى علم غايب بعلم شاهد فهو اخص من العلم
وفي الاصطلاح ان الفقه عبارة عن العلم باحكام الشرع واحكام الدين

وذلك ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين معرفة
احكام الطهارة واحكام الصلاة والصوم فعلى كل مكلف معرفة
ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم
ذكره البغوي بغير سند وكذلك كل عبادة وجبت على المكلف
بحكم الشرع يجب عليه معرفة علمها مثل علم الزكاة اذا صار له مال
تجب فى مثله الزكاة وعلم احكام الشرع الحج اذا وجبت عليه واما
فرض الكفاية من الفقه فهو ان يتعلم حتى يبلغ رتبة الاجتهاد ودرجة
الفتيا واذا قعد اهل بلد عن تعلمه عصوا جميعا واذا قام به من
كل بلد واحد فتعلم حتى بلغ درجة الفتوي سقط الفرض عن
الباقين وعليهم تقليده فيما يقع لهم من الحوادث • عن ابي امامة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد
كفضلي على ادناكم اخرجه الترمذي مع زيادة فيه • عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس
فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة اخرجه الترمذي •
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج فى طلب
العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع اخرجه الترمذي • عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العلم ثلاثة
وما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قايمة او فريضة
عادلة اخرجه ابو داود الاية المحكمة هي التي لا اشتباه فيها ولا
اختلاف فى حكمها او ما ليس بمنسوخ والسنة القايمة هي المستمرة
الدايمة التي يعمل بها متصل لا يترك والفريضة العادلة هي التي لا
جور فيها ولا حيف فى قضايها • قال الفضيل بن عياض عالم عامل
معلم يدعا عظيما فى ملكوت السما اخرجه الترمذي موقوفا وقال
الشافعي طلب العلم افضل من صلاة النافلة قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب
فالاقرب اليهم فى الدار والنسب قال ابن عباس مثل قريظة
والنضير وخيبر ونحوها وقال ابن عمر هم الروم لانهم كانوا
سكان الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وقال
بعضهم هم الديلم وقال ابن زيد كان الذين يلونهم من كفار
العرب فقاتلوهم حتى فرغ منهم امر بقتال اهل الكتاب وجهادهم
حتى يومنوا او يعطوا الجزية نقل عن بعض العلما انه قال نزلت
هذه الاية قبل الامر بقتال المشركين كافة فلما نزلت وقاتلوا
المشركين كافة صارت ناسخة لقوله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار

وقال المحققون من العلما لا وجه للنسخ لانه تعالى لما امرهم بقتال
المشركين كافة ارشدهم الطريق الاصوب الاصلح وهو ان يبدو بقتال
الاقرب فالاقرب حتى يصلوا الى الابعد فالابعد وبهذا الطريق يحصل
الغرض من قتال المشركين كافة لان قتالهم فى دفعة واحدة لا يتصور
ولهذا السبب قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا قومه ثم انتقل
منهم الى قتال ساير العرب ثم الى قتال اهل الكتاب وهم قريظة ٥
والنضير وخيبر وفدك ثم انتقل الى غزو الروم فى الشام فكان فتح
الشام فى زمن الصحابة ثم انهم انتقلوا الى المسلم العراق ثم بعد
ذلك الى ساير الانصار لانه اذا قاتل الاقرب تقوى بما ينال منهم من
الغنايم على الابعد وقوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة يعني شدة
وقوة وشجاعة والغلظة ضد الرقة وقال الحسن صبرا على جهادهم
واعلموا ان الله مع المتقين يعني بالعون والنصر وقوله تعالى واذا
ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا يعني واذا
انزل الله سورة من القران فمن المنافقين من يقول يعني لبعضهم
بعضا ايكم زادته هذه ايمانا يعني نزول السورة ايمانا وتصديقا
ويقينا وانما يقول ذلك المنافقون استهزا وقيل يقول المنافقون
ذلك لبعض المومنين فقال تعالى فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا
يعني تصديقا ويقينا وقربة من الله تعالى ومعنى الزيادة فيهم ضم
الشي الى جنسه مما هو فى صفته فالمومنون اذا اقروا بنزول سورة من
القران عن ثقة واعترفوا انها من عند الله عز وجل زادهم ذلك
الاقرار والاعتراف ايمانا وقد تقدم بسط الكلام على زيادة الايمان
فى اول سورة الانفال وهم يستبشرون يعني المومنين يفرحون بنزول
القران شيا بعد شي لانهم كلما نزل ازدادوا ايمانا وذلك يوجب
مزيد الثواب فى الاخرة وكما تحصل الزيادة فى الايمان بسبب نزول
القران كذلك تحصل الزيادة فى الكفر وهو قوله تعالى واما الذين
فى قلوبهم مرض اى شك ونفاق سمي الشك فى الدين مرضا
لانه فساد فى القلب يحتاج الى العلاج فزادتهم يعني نزول السورة
من القران رجسا الى رجسهم يعني كفرا الى كفرهم وذلك كلما جحدوا
نزول القران او سورة او استهزوا بها ازدادوا كفرا مع كفرهم الاول
وسمي الكفر رجسا لانه اقبح الاشيا واصل الرجس فى اللغة الشي ٥
المستقذر وماتوا يعني هولا المنافقين وهم كافرون يعني وهم
جاحدون لما انزل الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال مجاهد فى هذه الاية الايمان يزيد وينقص كان عمر ياخذ بيد

الرجل والرجلين من اصحابه ويقول تعالوا حتى نزداد ايمانا وقال
علي بن ابي طالب يبدو لمظة بيضا في القلب كلما ازدادوا في الايمان
عظما ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله وان النفاق يبدو
لمظة سودا في القلب فكلما ازدادوا النفاق ازداد السواد حتى يسود
القلب كله وايم الله لو شققتم عن قلب مومن لوجدتموه ابيض
ولو شققتموه عن قلب منافق لوجدتموه اسود قوله تعالى **اولا
يرون** قرى ترون بالتا على خطاب المومنين وقرى باليا على انه خبر
عن المنافقين المذكورين في قوله في قلوبهم مرض **انهم يفتنون**
يعني يبتلون **في كل عام مرة او مرتين** يعني بالامراض والشدايد
وقيل بالقحط والجدب وقيل بالغزو والجهاد وقيل يفتضحون باظهار
نفاقهم وقيل انهم ينافقون ثم يومنون ثم ينافقون وقيل انهم
ينقضون عهدهم في السنة مرة او مرتين **ثم لا يتوبون** يعني من
النفاق ونقض العهد ولا يرجعون الى الله **ولا هم يذكرون** يعني ولا
يتعظون بما يرون من صدق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين **واذا
ما انزلت سورة** يعني فيها عيب المنافقين وتوبيخهم **نظر بعضهم
الى بعض** يريدون بذلك الهرب ويقول بعضهم لبعض اشارة **هل
يراكم من احد** يعني هل احد من المومنين يراكم ان قمتم من مجلسكم فان لم
يرهم احد خرجوا من المسجد وان علموا ان احدا من المومنين يراهم اقاموا
ولبثوا على تلك الحال **ثم انصرفوا** يعني عن الايمان بتلك السورة
النازلة وقيل انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون فيها ما يكرهون **صرف
الله قلوبهم** يعني عن الايمان وقال الزجاج اضلهم الله مجازاة لهم على فعلهم
بانهم قوم لا يفقهون يعني لا يتفقهون عن الله دينه ولا شيا فيه نفعهم
والله اعلم قوله عز وجل **لقد جاكم رسول من انفسكم** هذا خطاب
للعرب يعني لقد جاكم ايها العرب رسول من انفسكم تعرفون نسبه
وجنسه وانه ولد اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام • قال ابن عباس
ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم وله
فيهم نسب • وقال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شي من ولادة الجاهلية
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني خرجت من نكاح ولم
اخرج من سفاح هكذا ذكره الطبري وذكر البغوي باسناد الثعلبي
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني
من سفاح اهل الجاهلية شي ما ولدني الا نكاح كنكاح اهل الاسلام
قال قتادة جعله الله من انفسهم فلا يحسدونه على ما اعطاه الله
من النبوة والكرامة • قال بعض العلما في تفسير قول ابن عباس

ليس قبيلة من العرب الا ولدت النبي صلى الله عليه وسلم يعني من
مضريها وربيعيها ويمانيها فاما ربيعة ومضر فهم من ولد معد بن
عدنان واليه تنتسب قريش وهو منهم • واما نسبه الى عرب اليمن
وهم القحاطنة فان امنة لها نسب في الانصار وان كانت من قريش
والانصار اصلهم من عرب اليمن من ولد قحطان من سبا فعلى هذا
القول يكون المقصود من قوله لقد جاكم رسول من انفسكم ترغيب
العرب في نصره والايمان به فان شرفهم بشرفه وعزتهم بعزته
وفخرهم بفخره فانه من عشيرتكم تعرفونه بالصدق والامانة والصيانة
والعفاف وطهارة النسب والاخلاق الحميدة • وقرا ابن عباس
والزهري من انفَسكم بفتح الفا ومعناه انه من اشرفكم وافضلكم
خ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من
خير قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه
م عن واثلة بن الاسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من
كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم • عن
العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
قلت يا رسول الله ان قريشا جلسوا فتذاكروا احسابهم بينهم فجعلوا
مثلك كمثل نخلة في كبوة من الارض فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم وخير الفريقين ثم
خير القبايل فجعلني في خير قبيلة ثم خير البيوت فجعلني في خير بيوتهم
فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا اخرجه الترمذي • وقيل ان قوله
لقد جاكم رسول من انفسكم عام فحمله على العموم اولى فيكون المعنى
على هذا القول لقد جاكم يا ايها الناس رسول من انفسكم يعني من
جنسكم بشر مثلكم اذ لو كان من الملايكة لضعفت قوى البشر عن سماع
كلامه والاخذ عنه وقوله **عزيز عليه ما عنتم** اي شديد عليه عنتكم
اي مكروهكم وقيل يشق عليه ضلالتكم **حريص عليكم** يعني حريص
على ايمانكم وايصال الخير اليكم وقال قتادة حريص على هدايتكم وان
يهديكم الله **بالمومنين روف رحيم** يعني انه صلى الله عليه وسلم روف
بالمطيعين رحيم بالمذنبين ق عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسما • انا محمد وانا احمد • وانا الماحي الذي
يمحو الله بي الكفر • وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي • وانا العاقب
والعاقب الذي ليس بعده نبي وقد سماه الله روفا رحيما • قال
الحسين بن الفضل لم يجمع الله لاحد من انبيايه بين اسمين من اسمايه

الا للنبي صلى الله عليه وسلم فسماه رؤفا رحيما وقال ان الله بالناس
لرؤف رحيم • قوله تعالى **فان تولوا** يعني فان اعرض هولا الكفار
والمنافقون عن الايمان بالله ورسوله وناصبوك الحرب **فقل
حسبي الله** يعني يكفيني الله وينصرني عليكم **لا اله الا هو عليه
توكلت** يعني لا على غيره وبه وثقت **وهو رب العرش العظيم**
انما خص العرش بالذكر لانه اعظم المخلوقات فيدخل ما دونه في
الذكر فيكون المعنى وهو رب العرش فما دونه او يكون خصه بالذكر
تشريفا له كما يقال بيت الله روي عن ابي بن كعب انه قال هاتان
الايتان لقد جاكم رسول من انفسكم الى اخر السورة اخر القران
نزولا وفي رواية عنه قال احدث القران عهدا بالله هاتان الايتان
لقد جاكم رسول من انفسكم الى اخر الايتين والله تعالى اعلم •

• تفسير سورة يونس عليه السلام •

نزلت بمكة الا ثلاث ايات وهي فان كنت في شك مما انزلنا اليك
الى اخر ثلاث ايات قاله ابن عباس وبه قال قتادة • وفي رواية
اخرى عن ابن عباس ان فيها من المدني في قوله ومنهم من يومن به
ومنهم من لا يومن به الاية • وقال مقاتل هي مكية الا ايتين وهي قوله
قل بفضل الله وبرحمته والتي تليها وهي ماية وتسع ايات والف
وثمان ماية واثنان وثلاثون كلمة وتسع الاف وستون حرفا •

بسم الله الرحمن الرحيم • **قوله عز وجل الر**
قال ابن عباس والضحاك معناه انا الله ارى وقال ابن عباس في
رواية اخرى عنه الر وحم ونون حروف الرحمن مقطعة وبه قال
سعيد بن جبير وسالم بن عبد الله • وقال قتادة الر اسم من اسما
القران • وقيل هو اسم للسورة وقد تقدم الكلام في معنى الحروف المقطعة
في اول سورة البقرة بما فيه كفاية **تلك ايات الكتاب** يعني المراد من
لفظ تلك الاشارة الى الايات الموجودة في هذه السورة ويكون
التقدير تلك الايات هي ايات الكتاب وهو القران الذي انزله الله
اليك يا محمد وذلك ان الله وعده ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الما
ولا تغيره الدهور وقيل ان لفظ تلك اشارة الى ما تقدم هذه السورة
من ايات القران والمعنى ان تلك الايات هي ايات الكتاب الحكيم
وفيه قول اخر ان المراد بايات الكتاب الكتب التي قبل القران
حكاه الطبري عن قتادة • وروى الطبري عن مجاهد انها التورية
والانجيل فعلى هذا القول يكون التقدير ان الايات المذكورة في هذه
السورة هي الايات المذكورة في التورية والانجيل والمراد من الايات

القصص المذكورة في هذه السورة هي الايات المذكورة في التورية والانجيل
وهذا وان كان له وجه فهو ضعيف لان التورية والانجيل لم يجر لهما ذكر
قريب حتى يشار اليهما • وقيل المراد من الايات حروف الهجا التي منها
الر سميت ايات لانها افتتاح السور ورؤس القران **الحكيم** يعني المحكم بالحلال
والحلال والحدود والاحكام فعيل بمعنى مفعول وقيل الحكيم بمعنى الحاكم
فعيل بمعنى فاعل لان القران حاكم يميز بين الحق والباطل ويفصل
الحلال من الحرام • وقيل حكيم بمعنى المحكوم فعيل بمعنى المفعول • قال
الحسن حكم بالعدل والاحسان وايتاذي القربى • وقيل ان الحكيم هو
الذي يفعل الحكمة والصواب فمن حيث انه يدل على الاحكام صار كانه
هو الحكيم في نفسه قوله تعالى **اكان للناس عجبا** سبب نزول هذه الاية
قال ابن عباس ان الله عز وجل لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم
رسولا انكرت العرب ذلك ومن انكر منهم وقال المشركون الله اعظم من
ان يكون رسوله بشرا مثل محمد فقال الله تعالى اكان للناس عجبا **ان اوحينا
الى رجل منهم** وقال وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم والهمزة في
كان همزة استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ والمعنى لا يكون ذلك
عجبا ان اوحينا الى رجل منهم والعجب حالة تعتري الانسان عند
الجهل بسبب الشي ولهذا قال بعض الحكما العجب ما لا يعرف سببه
والمراد بالناس هنا اهل مكة وبالرجل محمد صلى الله عليه وسلم منهم
يعني من اهل مكة من قريش يعرفون نسبه وصدقه وامانته **ان
انذر الناس** يعني خوفهم بعقاب الله ان اصروا على الكفر والمخالفة
والانذار اخبار مع تخويف كما ان البشارة اخبار مع سرور وهو قوله
تعالى **وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم** اختلفت
عبارات المفسرين واهل اللغة في معنى قدم صدق فقال ابن عباس
اجرا حسنا بما قدموا من اعمالهم • وقال الضحاك ثواب صدق وقال
مجاهد الاعمال الصالحة صلاتهم وصومهم وصدقتهم وتسبيحهم
وقال الحسن عمل صالح اسلفوه يقدمون عليه • وفي رواية اخرى
عن ابن عباس انه قال سبقت لهم السعادة في الذكر الاول يعني
في اللوح المحفوظ • وقال زيد بن اسلم هو شفاعة محمد صلى الله عليه
وسلم وهو قول قتادة • وقيل لهم منزلة رفيعة عند ربهم واضيف
القدم الى الصدق وهو نعته كقوله مسجد الجامع وصلاة الاولى
وحب الحصيد والفايدة في هذه الاية التنبيه على زيادة الفضل
ومدح القدم لان كل شي اضيف الى الصدق فهو ممدوح ومثله في
مقعد صدق • وقال ابو عبيدة كل سابق في خير او شر فهو عند العرب

تفسير هذا م

قدم يقال لفلان قدم في الاسلام وقدم في الخير ولفلان عندي قدم
صدق وقدم سوء وقال حسان بن ثابت

لنا القدم العليا اليك وخلفنا • لاولنا في طاعة الله تابع

وقال الليث وابو الهيثم القدم السابقة والمعنى انه سبق لهم عند
الله خير قال ذو الرمة حيث يقول •

وانت امرؤ من اهل بيت ذوابة • لهم قدم معروفة والمفاخر

قال والسبب في اطلاق لفظ القدم على هذه المعاني ان السعي
والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمي السبب باسم المسبب كما سميت النعمة
يدا لانها تعطى باليد • وقال ذو الرمة في شعره

لكم قدم لا ينكر الناس انها • مع الحسب العادي طمت على البحر

معناه لكم سابقة عظيمة لا ينكرها الناس وقال اخر

صل لذي العرش واتخذ قدما • ينجيك يوم العثار والزلل

وقوله تعالى قال الكافرون ان هذا لسحر مبين وقرئ لساحر مبين
وفيه حذف تقديره اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم فلما
جاءهم بالوحي وانذرهم قال الكافرون ان هذا الساحر يعنون محمدا
صلى الله عليه وسلم وانما نسبوه الى السحر لما اتاهم بالمعجزات
الباهرات التي لا يقدر احد من البشر ان يصل الى مثلها ومن قرا السحر
فانهم عنوا به القران المنزل عليه وانما نسبوه الى السحر لان فيه الاخبار
بالبعث والنشور وكانوا ينكرون ذلك قوله عز وجل ان ربكم الله
الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش
تقدم في سورة الاعراف بما فيه كفاية وقوله تعالى يدبر الامر قال مجاهد
يقضيه وحده وقيل معنى التدبير تنزيل الامور في مراتبها وعلى احكام
عواقبها وقيل انه تعالى يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة وهو
النظر في ادبار الامور وعواقبها لئلا يدخل في الوجود ما لا ينبغي وقيل
معناه انه تعالى يدبر احوال الخلق واحوال ملكوت السموات والارض
فلا يحدث حدث في العالم العلوي ولا في العالم السفلي الا بارادته
وتدبيره وقضائه وحكمته ما من شفيع الا من بعد اذنه يعني لا يشفع
عنده شافع يوم القيمة الا من بعد ان ياذن له في الشفاعة لانه عالم
بمصالح عباده وبموضع الصواب والحكمة في تدبيرهم فلا يجوز لاحد
ان يساله ما ليس له به علم فاذا اذن له في الشفاعة كان له ان يشفع
في من ياذن له فيه وفيه رد على كفار قريش في قولهم ان الاصنام تشفع
لهم عند الله يوم القيمة فاخبر الله انه لا يشفع احد عند الله الا باذنه
لانه له التصرف المطلق في جميع العالم ذلكم الله ربكم يعني الذي خلق هذه

سميت

الاشيا ودبرها هو ربكم وسيدكم لا رب لكم سواه فاعبدوه اي فاجعلوا
عبادتكم له لا لغيره لانه المستحق للعبادة بما انعم عليكم من النعم العظيمة
افلا تذكرون يعني افلا تتعظون وتعتبرون بهذه الدلايل والايات
التي تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى قوله تعالى اليه مرجعكم
جميعا يعني الى ربكم الذي خلق جميع المخلوقات مصيركم جميعا
ايها الناس يوم القيامة والمرجع بمعنى المرجوع وعد الله حقا
يعني وعدكم الله ذلك وعدا حقا انه يبدؤ الخلق ثم يعيده
اي يحييهم ابتداء ثم يميتهم ثم يحييهم وهذا معنى قول مجاهد فانه
قال يحييه ثم يميته ثم يحييه وفي هذه الاية دليل على امكان
الحشر والنشر والمعاد وصحة وقوعه ورد على منكري البعث ووقوعه
لان القادر على خلق هذه الاجسام المولفة والاعضا المركبة على
غير مثال سبق قادر على اعادتها بعد تفرقها بالموت والبلى فيركب
تلك الاجزا المتفرقة تركيبا ثانيا ويخلق الانسان الاول مرة اخرى
وكما لم يمتنع تعلق هذه النفس بالبدن في المرة الاولى لم يمتنع تعلقها
بالبدن مرة اخرى فاذا اثبت القول بصحة المعاد والبعث بعد
الموت كان المقصود منه ايصال الثواب للمطيع والعقاب للعاصي
وهو قوله تعالى ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط
يعني بالعدل لا ينقص من اجورهم شيا والذين كفروا لهم شراب
من حميم هو ماء حار قد انتهى حره وعذاب اليم بما كانوا يكفرون
قوله عز وجل هو الذي جعل الشمس ضياء يعني ذات ضيا والقمر
نورا ذا نور واختلف اصحاب الكلام في ان الشعاع الفايض من
الشمس هل هو جسم او عرض والحق انه عرض وهو كيفية مخصوصة
فالنور اسم لاصل هذه الكيفية والضوء اسم لهذه الكيفية اذا كانت
كاملة تامة قوية فلهذا اخص الشمس بالضيا لانه اقوى واكمل من
النور وخص القمر بالنور لانه اضعف من الضيا ولانهما لو تساويا
لم يعرف الليل من النهار فدل ذلك على ان الضيا المختص بالشمس
اكمل واقوى من النور المختص بالقمر وقدره منازل قيل الضمير في
وقدره يرجع الى الشمس والقمر والمعنى قدر لهما منازل اي وقدر
لسيرهما منازل لا يجاوزانها في السير ولا يقصرا عنها وانما وحد
الضمير في وقدره للاختصار فاكتفى بذكر احدهما دون الاخر كقوله
والله ورسوله احق ان يرضوه وقيل الضمير في وقدره يرجع الى القمر
وحده لان سير القمر في المنازل اسرع وبه يعرف انقضا الشهور
والسنين وذلك لان الشهور المعتبرة في الشرع مبنية على روية

الاهلة والسنة المعتبرة في الشرع هي السنة القمرية لا الشمسية ٥
ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلا وهي الشرطين • والبطين • والثريا
والدبران • والهقعة • والهنعة • والذراع • والنثرة • والطرف
والجبهة • والزبرة • والصرفة • والعوا • والسماك • والغفر والزبانا
والاكليل • والقلب • والشولة • والنعايم • والبلدة • وسعد
الذابح • وسعد بلع • وسعد السعود • وسعد الاخبية • وفرع الدلو
المقدم • وفرع الدلو الموخر • وبطن الحوت • فهذه منازل القمر •
وهي مقسومة على اثني عشر برجا • وهي الحمل • والثور والجوزا والسرطان
والاسد • والسنبلة • والميزان • والعقرب • والقوس • والجدي •
والدلو • والحوت • لكل برج منزلان وثلث منزل وينزل القمر كل ليلة
منزلا منها الى انقضا ثمانية وعشرون ليلة ثم يستتر ليلتين ان كان
الشهر ثلاثين وان كان تسعا وعشرين اختفى ليلة واحدة لتعلموا
عدد السنين يعني قدر هذه المنازل لتعلموا بها عدد السنين ووقت
دخولها او نقضا بها والحساب يعني ولتعلموا احساب الشهور والايام
ونقصانها وزيادتها ما خلق الله ذلك الا بالحق يعني للحق واظهار
قدرته ودلايل وحدانيته ولم يخلق ذلك باطلا ولا عبثا يفصل الايات
لقوم يعلمون يعني يبين دلايل التوحيد بالبراهين القاطعة
لقوم يستدلون بها على قدرة ووحدانيته ان في اختلاف الليل
والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون
تقدم تفسير هذه الاية في نظايرها ان الذين لا يرجون لقانا
يعني لا يخافون لقانا يوم القيمة فهم مكذبون بالثواب والعقاب والرجا
يكون بمعنى الخوف تقول العرب فلان لا يرجو فلانا بمعنى لا يخافه
ومنه قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا ومنه قول ابي ذويب الهذلي
اذا لسعته النحل لم يرج نخلها • اى لم يخفه والرجا يكون بمعنى الطمع
فيكون المعنى لا يطمعون في ثوابنا ورضوا بالحيوة الدنيا يعني
اختاروها وعملوا في طلبها فهم راضون بزينة الدنيا وزخرفها واطمانوا
بها يعني وسكنوا اليها مطمئنين فيها وهذه الطمانينة التي حصلت
في قلوب الكفار من الميل الى الدنيا ولذاتها ازالت من قلوبهم الوجل
والخوف فاذا سمعوا الانذار والتخويف لم يصل ذلك الى قلوبهم
والذين هم عن اياتنا غافلون قيل المراد بالايات ادلة التوحيد
وقال ابن عباس عن اياتنا يعني عن محمد صلى الله عليه وسلم والقران
غافلون اي معرضون اوليك ماواهم النار بما كانوا يكسبون يعني
من الكفر والتكذيب والاعمال الخبيثة قوله عز وجل ان الذين

امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم يعني يهديهم ربهم
الى الجنان ثوابا لهم بايمانهم واعمالهم الصالحة • وقال يهديهم الى
الصراط الى الجنة يجعل لهم نورا يمشون به • وقال قتادة بلغنا ان المومن
اذا خرج من قبره يصور له عمله في صورة حسنة فيقول له من انت
فيقول انا عملك فيكون له نورا وقايدا الى الجنة والكافر بالضد
فلا يزال به عمله حتى يدخله النار • وقال ابن الانباري يجوز ان يكون
المعنى ان الله يزيدهم هداية بخصايص ولطايف وبصاير ينور بها
قلوبهم ويزيل بها الشكوك عنهم ويجوز ان يكون المعنى ويثبتهم على
الهداية وقيل معناه بايمانهم يهديهم ربهم لدينه الحق اى يسددهم
تجري من تحتهم الانهار يعني بين ايديهم ينظرون اليها من اعالي
اسرتهم وقصورهم فهو كقوله قد جعل ربك تحتك سريا لم يرد به انه
تحتها وهي قاعدة عليه بل اراد بين يديها وقيل تجري بامرهم في جنات
النعيم يعني ذلك لهم في جنات النعيم دعواهم فيها اى قولهم
وكلامهم فيها وقيل الدعوى بمعنى الدعا اى دعاوهم فيها سبحانك
اللهم وهي كلمة تنزيه لله من كل سوء ونقيصة قال اهل التفسير
هذه الكلمة علامة بين اهل الجنة والخدم في الطعام فاذا ارادوا ٥
الطعام قالوا سبحانك اللهم فاتوهم في الوقت بما يشتهون على الموايد
كل مايدة ميل في ميل على كل مايدة سبعون الف صحيفة في كل صحيفة
لون من طعام لا يشبه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا
الله على ما اعطاهم فذلك قوله واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين
وقيل ان المراد بقوله سبحانك اللهم اشتغال اهل الجنة بالتسبيح ٥
والتقديس لله عز وجل والثنا عليه بما هو اهله وفي هذا الذكر
والتحميد سرورهم وابتهاجهم وكمال لذتهم ويدل عليه ما روي عن جابر
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اهل الجنة ياكلون
فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون قالوا
فما بال الطعام قال جشا ورشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما
يلهمون النفس وفي رواية التسبيح والحمد اخرجه مسلم • قوله جشاء
اى يخرج ذلك الطعام جشا وعرقا • وقوله تعالى تحيتهم فيها
سلام يعني يحيي بعضهم بعضا بالسلام وقيل تحيهم الملايكة بالسلام
وقيل تاتيهم الملايكة من عند ربهم بالسلام واخر دعواهم ان الحمد لله
رب العالمين قد ذكرنا ان جماعة من المفسرين حملوا التسبيح والتحميد
على احوال اهل الجنة بسبب الماكول والمشروب وانهم اذا اشتهوا شيا
قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك الشي واذا فرغوا منه قالوا الحمد لله

رب العالمين فترفع الموايد عند ذلك وقال الزجاج اعلم الله
ان اهل الجنة يبتدؤن بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بشكره والثنا
عليه وقيل انهم يفتتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالتحميد وقيل
انهم يلهمون ذلك كما ذكر في الحديث قوله تعالى ولو يعجل الله للناس
الشر يعني ولو يعجل الله للناس اجابة دعائهم في الشر فيما لهم فيه
مضرة ومكروه في نفس او مال قال ابن عباس هذا في قول الرجل
لاهله وولده عند الغضب لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال
قتادة هو دعا الرجل على نفسه واهله وماله بما يكره ان يستجاب
له فيه استعجالهم بالخير يعني كما يستعجلهم بالخير لما يحبون ان
يعجل لهم اجابة دعائهم بالخير لقضي اليهم اجلهم يعني لفرغ
من هلاكهم وماتوا جميعا والتعجيل تقديم الشي قبل وقته والاستعجال
طلب العجلة وقال ابن قتيبة ان الناس عند الغضب والضجر قد
يدعون على انفسهم واهليهم واولادهم بالموت وتعجيل البلا كما يدعونه
بالرزق والرحمة واعطا السؤال يقول لو اجابهم الله اذا دعوا بالشر
الذي يستعجلون به استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم يعني لفرغ من
هلاكهم ولكن الله عز وجل بفضله وكرمه يستجيب للداعي بالخير ولا
يستجيب له في الشر وقيل ان هذه الاية نزلت في النضر بن الحرث
حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السما فعلى هذا يكون المعنى ولو يعجل الله للكافرين العذاب كما
عجل لهم خير الدنيا من المال والولد لعجل قضا اجلهم ولهلكوا جميعا ويدل
على صحة هذا القول قوله تعالى فنذر الذين لا يرجون لقانا يعني
فندع الذين لا يخافون عقابنا ولا يومنون بالبعث بعد الموت
في طغيانهم يعني في تمردهم وعتوهم يعمهون يعني يترددون ق عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اتخذت
عندك عهدا لن تخلفنيه فانما انا بشر اغضب كما يغضب البشر فايما
رجل من المسلمين سببته او لعنته او جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة
وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة واجعل ذلك كفارة له يوم القيمة
قوله عز وجل واذا مس الانسان الضر اي الشدة والجهد والمراد
بالانسان في هذه الاية الكافر دعانا لجنبه اي على جنبه مضطجعا
او قاعدا او قايما يريد جميع حالاته لان الانسان لا ينفك عن احدى
هذه الحالات الثلاث والمعنى ان المضرور لا يزال داعيا في كل حالاته
الى ان ينكشف ضره سوا كان مضطجعا او قاعدا او قايما وقال الزجاج
وجايز ان يكون المعنى اذا مس الانسان الضر لجنبه او مسه قاعدا او

ل.

مسه قايما وهذا القول فيه بعد لان ذكر الدعا الى هذه الاحوال
اقرب من ذكر الضر فلما كشفنا عنه ضره يعني فلما ازلنا عنه ما نزل
به من الضر ودفعنا عنه مر يعني على طريقته الاولى قبل مس الضر
كان لم يدعنا فيه حذف تقديره كانه لم يدعنا وانما اسقط الضمير
على سبيل التخفيف الى ضر مسه والمعنى انه استمر على حالته الاولى
قبل ان يمسه الضر ونسي ما كان فيه من الجهد والبلا والضيق والفقر
كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون يعني مثل ما زين لهذا
الكافر هذا العمل القبيح كذلك زين للمسرفين والمزين هو الله
تعالى لانه مالك الملك والخلق كلهم عبيده يتصرف فيهم كيف شا
وقيل المزين هو الشيطان وذلك باقدار الله اياه على ذلك والمسرف
هو المجاوز الحد في كل شي وانما سمي الكافر مسرفا لانه اتلف نفسه
وضيعها في عبادة الاصنام واتلف ماله وضيعه في البحاير والسوايب
وما كانوا ينفقونه على الاصنام وسدنتها يعني خدامها وقال ابن
جريج في قوله كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون يعني من الدعا
عند المصيبة وترك الشكر عند الرخا وقيل كما زين لكم اعمالكم كذلك
زين للكافرين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم اعمالهم بيان مقصود
الاية وهو ان الانسان قليل الصبر عند نزول البلا قليل الشكر عند
حصول النعما والرخا فاذا امسه الضر اقبل على الدعا والتضرع في جميع ٥
حالاته يجتهد في الدعا طالبا من الله ازالة ما نزل به من المحنة والبلا
فاذا كشف الله ذلك عنه اعرض عن الشكر ورجع الى ما كان عليه اولا
وهذه حالة الغافل الضعيف اليقين فاما المومن العاقل فانه بخلاف
ذلك فيكون صابرا عند البلا شاكرا عند الرخا والنعما كثير التضرع والدعا
في اوقات الراحة والرفاهية وههنا مقام اعلى من هذا وهو ان المومن
اذا ابتلي ببلية او نزل به مكروه يكون مع صبره على ذلك راضيا بقضا
الله غير معترض بالقلب عنه بل يكون شاكرا لله عز وجل في جميع احواله
ويعلم العبد المومن ان الله تبارك وتعالى مالك الملك على الاطلاق
وحكيم في جميع افعاله وله التصرف في خلقه بما يشا ويعلم انه ان القى
عليه تلك المحنة فهو عدل وان ازالها فهو فضل قوله عز وجل
ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يعني اهلكنا الامم الماضية من قبلكم
يخوف بذلك كفار مكة لما ظلموا يعني لما اشركوا وجاءتهم رسلهم بالبينات
يعني فكذبوهم فما كانوا ليومنوا يعني هذه الامم برسلهم وبعد فهم
بما جاوا به من عند الله كذلك نجزي القوم المجرمين يعني كما اهلكنا الامم
الخالية لما كذبوا رسلهم كذلك نهلككم ايها المشركون بتكذيبكم محمدا صلى الله

عليه وسلم ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم الخطاب لاهل
مكة الذين ارسل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ثم جعلناكم
ايها الناس خلفا في الارض من بعد القرون الماضية الذين اهلكناهم
لننظر كيف تعملون يعني خيرا او شرا فيعاملكم على حسب اعمالكم
والنظر هنا بمعنى العلم يريد ليختبر اعمالكم وهو يعلم ما يكون قبل ان يكون
قال اهل المعاني معنى النظر هو طلب العلم وجاز في وصف الله تعالى
اظهارا للعدل لانه تعالى يعامل العباد معاملة من يطلب العلم بما
يكون منهم ليجازيهم بحسبه كقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا ذكره الواحدي
والرازي م عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون
فاتقوا الدنيا واتقوا النسا اخرجه مسلم • قوله فاتقوا الدنيا معناه
احذروا فتنة الدنيا واحذروا فتنة النسا **قوله عز وجل** واذا
تتلى عليهم اياتنا بينات يعني واذا قرى على هولا المشركين ايات
كتابنا الذي انزلناه اليك يا محمد بينات يعني واضحات تدل على
وحدانيتنا وصحة صدقك في نبوتك قال الذين لا يرجون لقانا
يعني قال هولا المشركين الذين لا يخافون عقابنا ولا يرجون ثوابنا
لانهم لا يومنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكرا للبعث
فانه لا يرجوا ثوابا ولا يخاف عقابا ايت بقران غير هذا او بدله
قال قتادة قال ذلك مشركوا مكة وقال مقاتل هم خمسة نفر عبد
الله بن امية المخزومي والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن
عبد الله بن ابي قيس العامري والعاصي بن عامر بن هشام قال
هولا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تريد ان نومن بك فات بقران
غير هذا ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه
عيبها وان لم ينزله الله عليك فقل انت من عند نفسك او بدله
فاجعل مكان اية عذاب اية رحمة ومكان حرام حلالا ومكان حلال
حراما قال الامام فخر الدين الرازي اعلم ان اقدام الكفار على هذا
الالتماس يحتمل وجهين احدهما انهم ذكروا ذلك على سبيل السخرية
والاستهزا وهو قولهم لو جيتنا بالية بقران غير هذا القران او بدلته
لامنا بك وغرضهم السخرية والاستهزا الثاني ان يكونوا قالوا ذلك على
سبيل التجربة والامتحان حتى انه لو فعل ذلك علموا انه كان كذابا في
قوله ان هذا القران ينزل عليه من عند الله ومعنى قوله ايت بقران
غير هذا او بدله يحتمل ان ياتي بقران اخر مع وجود هذا القران
والتبديل لا يكون الا مع وجوده وهو ان يبدل بعض اياته بغيرها كما

طلبوه ولما سالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم امره الله ان يجيبهم
بقوله قل اي قل يا محمد لهولا ما يكون لي ان ابدله من تلقا نفسي يعني
ان هذا الذي طلبتموه من التبديل ليس الي وما ينبغي لي ان اغيره
من قبل نفسي ولم اومر به ان اتبع الا ما يوحى الي يعني فيما امركم به
او انهاكم عنه وما اخبركم الا ما يخبرني الله به وان الذي اتيتكم به
من عند الله لا من عندي اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم
عظيم اي قل لهم يا محمد اني اخشى من الله ان خالفت امره او غيرت
احكام كتابه او بدلته فعصيته بذلك ان يعذبني بعذاب اليم
في يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت قوله تعالى قل اي قل يا محمد لهولا
المشركين الذين طلبوا منك تغيير القران وتبديله لو شا الله ما
تلوته عليكم يعني لو شا الله لم ينزل علي هذا القران ولم يامرني بقراته
عليكم ولا ادراكم به قال ابن عباس ولا اعلمكم به وقيل لا ادراكم الله
به ولا اعلمكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله يعني فقد مكثت فيكم قبل
ان يوحى هذا القران مدة اربعين سنة لم اتيكم بشي ووجه هذا
الاحتجاج ان كفار مكة كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل مبعثه وعلموا احواله وانه كان اميا لم يطالع كتابا ولا تعلم من
احد مدة عمره قبل الوحي وذلك اربعون سنة ثم بعد الاربعين جاهم
بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نفايس العلوم واخبار الماضين
وفيه من الاحكام والاداب ومكارم الاخلاق والفصاحة والبلاغة ما
اعجز العلما والفصحا والبلغا عن معارضته فكل من له عقل سليم وفهم
ثاقب يعلم ان هذا لم يحصل الا بوحي من الله تعالى لا من عند نفسه وهو
قوله افلا تعقلون يعني ان هذا القران من عند الله اوحاه الله لا
من قبل نفسي ق عن ابن عباس قال انزل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو ابن اربعين فمكث ثلاث عشرة ثم امر بالهجرة فهاجر الى
المدينة فمكث بها عشر سنين ثم توفي صلى الله عليه وسلم وفي رواية
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى اليه
وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة • وفي رواية ان النبي صلى الله عليه
وسلم اقام بمكة خمسة عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء ولا يرى
شيا سبع سنين وثمان سنين يوحى اليه واقام بالمدينة عشرا وتوفي
وهو ابن خمس وستين سنة اخرجاه في الصحيحين ق عن عايشة ان
النبي صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة اخرجاه
في الصحيحين م عن انس قال توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
ابن ثلاث وستين وعمر وهو ابن ثلاث وستين اخرجه مسلم ق عن ربيعة

ابن ابي عبد الرحمن قال انس بن مالك يصف رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول كان ربعة من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ازهر
اللون ليس بالابيض الامهق ولا بالآدم ليس بجعد ولا قطط ولا سبط
رجل انزل عليه وهو ابن اربعين سنة فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه
الوحي وبالمدينة عشرا وتوفاه الله على راس ستين سنة وليس في
راسه ولحيته عشرون شعرة بيضا اخرجاه في الصحيحين قال الشيخ
محيي الدين النووي وردت في عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث روايات
احدها انه صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ستين سنة والثانية
خمس وستون سنة والثالثة ثلاث وستون سنة وهي اصحها واشهرها
رواها مسلم من حديث انس وعايشة وابن عباس واتفق العلما على
ان اصحها ثلاث وستون وتاولوا الباقي عليه فرواية ستين اقتصر
فيها على العقود وترك الكسر ورواية الخمس متاولة ايضا وحصل فيها
اشتباه **قوله** يسمع الصوت يعني صوت الهاتف من الملايكة
ويرى الضوء يعني نور الملايكة او نور ايات الله حتى راى الملك ٥
بعينه وشافهه بالوحي من الله عز وجل • وقوله ليس بالابيض
الامهق المراد به الشديد البياض كلون الجص وهو كريه المنظر وربما
توهم الناظر انه برص والمراد انه كان ازهر اللون بين البياض
والسمرة **قوله عز وجل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا**
يعني فزعم ان له شريكا وولدا والمعنى اني لم افتر على الله كذبا ولم
اكذب عليه في قولي ان هذا القران من عند الله وانتم قد افتريتم على
الله الكذب فزعمتم ان له شريكا وولدا والله منزه عن الشريك والولد
وقيل معناه ان هذا القران لو لم يكن من عند الله لما كان احد في الدنيا
اظلم على نفسه مني حيث افتريته على الله ولما كان هذا القران من عند
الله اوحاه الي وجب ان يقال ليس احد في الدنيا اجهل ولا اظلم على نفسه
منكم من حيث انكم انكرتم ان يكون هذا القران من عند الله فقد كذبتم
باياته وهو قوله **او كذب باياته** يعني جحد بكون القران من الله وانكر
دلايل التوحيد **انه لا يفلح المجرمون** يعني المشركين وهذا وعيد وتاكيد
لما سبق **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم** يعني ويعبد
هولا المشركون الاصنام التي لا تضرهم ان عصوها وتركوا عبادتها ولا ينفعهم
ان عبدوها لانها حجارة وجماد لا تضر ولا تنفع ولان العبادة اعظم انواع
التعظيم فلا تليق الا بمن يضر وينفع ويحيي ويميت وهذه الاصنام
جماد وحجارة لا تضر ولا تنفع **ويقولون هولاء** يعني الاصنام التي يعبدونها
شفعاونا عند الله قال اهل المعاني توهموا ان عبادتها اشد في تعظيم الله

من

من عبادتهم اياه وقالوا لسنا باهل ان نعبد الله ولكن نشتغل بعبادة
هذه الاصنام فانها تكون لنا شافعة عند الله ومنه قوله اخبارا عنهم
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وفي هذه الشفاعة قولان احدهما
انهم يزعمون انها تشفع لهم في الاخرة قاله ابن جريج عن ابن عباس
والثاني انها تشفع لهم في الدنيا في اصلاح معايشهم قاله الحسن
لانهم كانوا لا يعتقدون بعثا بعد الموت **قل** اي قل يا محمد **اتنبئون
الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض** يعني اتخبرون الله ان له شريكا
ولا يعلم الله لنفسه شريكا في السموات ولا في الارض وهذا على طريق
الالزام والمقصود نفي علم الله بذلك التشفيع وانه لا وجود له البتة لانه
لو كان موجودا لعلمه الله وحيث لم يكن معلوما لله وجب ان لا يكون
موجودا ومثل هذا مشهور في العرف فان اذا اراد نفي شي حصل في نفسه
يقول ما علم الله ذلك مني مقصوده انه ما حصل ذلك الشي منه قط
ولا وقع **سبحانه وتعالى عما يشركون** نزه الله تعالى نفسه عن الشركا ٥
والاضداد والانداد وتعالى ان يكون له شي في السموات والارض ولا
يعلمه قوله تعالى **وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا** يعني
فتفرقوا الى مومن وكافر يعني كانوا جميعا على الدين الحق وهو دين
الاسلام ويدل على ذلك ان آدم عليه السلام وذريته كانوا على دين
الاسلام الى ان قتل قابيل هابيل ثم اختلفوا وقيل بقوا على ذلك
الى زمن نوح عليه السلام ثم اختلفوا فبعث نوحا وقيل انهم كانوا
على دين الاسلام وقت خروج نوح ومن معه من السفينة ثم اختلفوا
بعد ذلك • وقيل كانوا على دين الاسلام من عهد ابراهيم الخليل
عليه السلام الى ان غيره عمرو بن لحي فعلى هذا يكون المراد من الناس
في قوله وما كان الناس الا امة واحدة العرب خاصة • وقيل كان
الناس امة واحدة يعني في الكفر وهذا القول منقول عن جماعة من
المفسرين ويدل عليه قوله في سورة البقرة فبعث الله النبيين
وتقريره انه لا مطمع في ان يصير الناس على دين واحد فانهم كانوا اولا
على الكفر وانما اسلم بعضهم ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
وقيل كان الناس امة واحدة وليس في الاية ما يدل على اي دين كانوا
من ايمان او كفر فهو موقوف على دليل خارج • وقيل معناه انهم كانوا
في اول الخلق على الفطرة السليمة الصحيحة ثم اختلفوا في الاديان
واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة ٥
فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه والمراد بالفطرة في الحديث فطرة
الاسلام وقوله تعالى **ولولا كلمة سبقت من ربك** يعني انه تعالى جعل

لكل امة اجلا وقضى في سابق الازل قال الكلبي هي امهال هذه
الامة وانه لا يهلكهم بالعذاب لقضي بينهم يعني بنزول العذاب
وتعجيل العقوبة للمكذبين لكان ذلك فصلا بينهم فيما فيه يختلفون
وقال الحسن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني مضت في حكمة الله
انه لا يقضي عليهم فيما اختلفوا فيه في الثواب والعقاب دون يوم
القيمة لقضي بينهم في الدنيا فادخل المومنين الجنة بايمانهم وادخل
الكافرين النار بكفرهم ولكن سبق من الله الاجل فجعل موعدهم
يوم القيمة. وقيل سبق من الله انه لا ياخذ احدا الا بعد اقامة
الحجة عليه. وقيل الكلمة التي سبقت من الله هي قوله ان رحمتي
سبقت غضبي ولولا رحمة لعجل لهم العقوبة في الدنيا ولكن
اخرهم برحمته الى يوم القيمة ثم يقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون
يعني في الدنيا ويقولون يعني كفار مكة لولا انزل عليه اية من ربه
يعني هلا نزل على محمد ما يقترحه عليه من الايات فقل اي قل لهم
يا محمد انما الغيب لله يعني ان الذي سالتموني هو من الغيب وانما
الغيب لله لا يعلم احد ذلك الا هو والمعنى لا يعلم احد متى نزول
الاية الا هو فانتظروا يعني نزولها اني معكم من المنتظرين وقيل
معناه فانتظروا قضا الله بيننا باظهار المحق على المبطل اني معكم من
المنتظرين قوله عز وجل واذا اذقنا الناس رحمة يعني رخا
ونعمة من بعد ضراء مستهم يعني من بعد شدة وبلا وضيق في العيش
اصابهم والمراد بالناس هنا كفار مكة وذلك ان الله حبس عنهم
المطر سبع سنين حتى هلكوا من الجوع والقحط ثم ان الله تعالى
رحمهم فانزل عليهم المطر الكبير حتى اخصبت البلاد وعاش الناس
بعد ذلك الضر فلم يتعظوا بذلك بل رجعوا الى الفساد والكفر والمكر
وهو قوله تعالى اذا لهم مكر في اياتنا قال مجاهد اي تكذيب واستهزا
وقال مقاتل بن حيان لا يقولون هذا رزق الله انما يقولون سقينا
بنوا كذا وكذا ويدل على صحة هذا القول ما روي عن زيد بن خالد
الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح
بالحديبية على اثر سما كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس
فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قال
اصبح من عبادي مومن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله
ورحمته فذلك مومن بي وكافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنوا
كذا وكذا فذلك كافر بي مومن بالكوكب اخرجاه في الصحيحين قوله
على اثر سما اي مطر كان قد وقع في الليل وسمي المطر سما لانه ينزل من

السما والانواء عند العرب هي منازل القمر اذا طلع نجم سقط نظيره وكانوا
يعتقدون في الجاهلية انه لا بد ذلك من وجود مطر وريح كما يزعم المنجمون
ايضا فمن العرب من يجعل ذلك التاثير للطالع لانه نا اي ظهر وطلع
ومنهم من ينسبه للغارب فنفى النبي صلى الله عليه وسلم صحة ذلك
ونهى عنه وكفر معتقده اذا اعتقد ان النجم فاعل ذلك التاثير واما
من يجعله دليلا فهو جاهل بمعنى الدلالة واما من اسند ذلك الى العادة
التي يجوز انخرامها فقد كرهه قوم وحرمه قوم ومنهم من تاول الكفر
كفر نعمة الله والله اعلم وسمى تكذيبهم بايات الله مكرا لان المكر عبارة عن
صرف الشي عن وجهه الظاهر بنوع من الحيلة وكان كفار مكة
يحتالون في دفع ايات الله بكل ما يقدرون عليه من المفاسد قل
الله اسرع مكرا اي قل لهم يا محمد الله اعجل عقوبة واشد اخذا واقدر
على الجزا وان عذابه في هلاككم اسرع اليكم مما ياتي منكم في دفع الحق ولما
قابلوا نعمة الله بالمكر قابل مكرهم بمكر اشد منه وهو امهالهم الى يوم
القيمة ان رسلنا يكتبون ما تمكرون يعني الحفظة الكرام الكاتبين
يكتبون ويحفظون عليهم اعمالهم القبيحة السيئة الى يوم القيمة حتى
يفتضحوا بها ويجزون على مكرهم قوله تعالى هو الذي يسيركم في البر
والبحر يعني والله الذي يسيركم ويحملكم في البر على ظهر الدواب وفي
البحر في الفلك وقيل معناه والله الهادي لكم في السير في البر والبحر طلبا
للمعاش وهو المهيئ لكم اسباب السير في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك
يعني السفن ولفظة الفلك يطلق على الواحد والجمع وتقديرهما مختلفان
فان اريد به الواحد كان كبنا حمر والمراد به هنا الجمع لقوله تعالى وجرين
بهم يعني وجرت السفن بركابها فان قلت ما فائدة صرف
الكلام عن الخطاب الى الغيبة قلت قال صاحب الكشاف
المقصود منه المبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي
منهم مزيد الانكار والتقبيح وقال غيره ان مخاطبة الله لعباده على
لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فهو بمنزلة الخبر عن الغايب وكل من
اقام الغايب مقام المخاطب حسن منه ان يرده الى الغايب وقيل ان
الالتفات في الكلام من الغيبة الى الحضور وبالعكس هو من فصيح
كلام العرب بريح طيبة يعني وجرت السفن بريح طيبة ساكنة
وفرحوا بها يعني وفرح ركبان تلك الفلك بتلك الريح الطيبة
الموافقة للمقصود لحصول النفع التام والمسرة العظيمة بذلك
جاتها ريح عاصف قيل ان الضمير في جاتها يرجع الى الريح فيكون المعنى
جات الريح الطيبة ريح عاصف شديدة فاقلبتها وقيل الضمير في جاتها

يرجع الى الفلك يعنى جاءت الفلك ريح عاصف يقال ريح عاصف
وعاصفة ومعنى عصفت الريح اشتدت واصل العصف السرعة
وانما قال عاصف لانه يراد ذات عصوف او لان الريح قد تذكر •
وجاءهم الموج من كل مكان يعنى وجاء ركبان السفينة الموج وهو
ما ارتفع وعلا من غوارب الما فى البحر وقيل هو شدة حركة الما
واختلاطه وظنوا انهم احيط بهم يعنى وظنوا ان الهلاك قد احاط
بهم واحدق وقيل المراد من الظن اليقين اى وايقنوا انه الهلاك
وقيل بل المراد منه المقاربة من الهلاك والدنو منه والاشراف عليه
دعوا الله مخلصين له الدين يعنى انهم اخلصوا فى الدعا لله عز
وجل ولم يدعوا احدا سواه من الهتهم وقيل فى معنى هذا الاخلاص
العلم الحقيقى لا اخلاص ايمان لانهم كانوا يعلمون حقيقة انهم انه لا
ينجيهم من جميع الشدايد والبلايا الا الله تعالى فكانوا اذا وقعوا
فى شدة وضر وبلا اخلصوا لله الدعا لئن انجيتنا اى قايلين
لئن انجيتنا يا ربنا من هذه يعنى من هذه الشدايد التى نحن
فيها وهى الريح العاصفة الامواج الشديدة لنكونن من الشاكرين
يعنى من الشاكرين لك على انعامك علينا بخلاصنا مما نحن فيه
من هذه الشدة التى كانوا فيها اذا هم يبغون فى الارض بغير
الحق يعنى انهم اخلصوا لله ما وعدوه وبغوا فى الارض فتجاوزوا فيها
الى غير ما امر الله به من الكفر والعمل بالمعاصى على ظهرها واصل
البغى مجاوزة الحد قال صاحب المفردات والبغى على ضربين احدهما
محمود وهو مجاوزة العدل الى الاحسان والفرض الى التطوع ٥
والثانى مذموم وهو مجاوزة الحق الى الباطل او الى الشبه قال
صاحب الكشاف **فان قلت** ما معنى قوله بغير الحق ٥
والبغى لا يكون بحق **قلت** بلى قد يكون بحق وهو استيلا
المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع ٥
اشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنى قريظة يا ايها
الناس انما بغيكم على انفسكم يعنى ان وبال بغيكم راجع اليكم
متاع الحياة الدنيا قيل هو كلام مبتدا والمعنى ان بغى بعضكم
على بعض هو متاع الحياة الدنيا لا يصلح لزاد الاخرة وقيل هو
كلام متصل بما قبله والمعنى يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم
لا يتهيا ان يبغى بعضكم على بعض الا اياما قليلة وهى مدة حياتكم
مع قصرها فى سرعة انقضائها والبغى فى منكرات الذنوب العظام
قال بعضهم لو بغى جبل على جبل لاندك الباغى وقد نظم بعضهم هذا

المعنى

المعنى شعرا وكان المامون يتمثل به •

• يا صاحب البغى ان البغى مصرعه • فارجع فخير مقال المرء اعدله •
• فلو بغى جبل يوما على جبل • لاندك منه اعاليه واسفله •

وقوله تعالى ثم الينا مرجعكم يوم القيمة فننبيكم اى فنخبركم بما كنتم
تعملون يعنى فى الدنيا من البغى والمعاصى فنجازيكم عليها قوله
عز وجل انما مثل الحياة الدنيا يعنى فى فنائها وزوالها كماء انزلناه
من السما يعنى المطر فاختلط به اى بالمطر نبات الارض قال ابن
عباس نبت بالمياه من كل لون مما ياكل الناس يعنى من الحبوب
والثمار والانعام يعنى ومما ياكل الانعام من الحشيش ونحوه حتى
اذا اخذت الارض زخرفها يعنى حسنها ونضارتها وبهجتها واظهرت
الوان زهرها من ابيض واحمر واصفر وغير ذلك من الزهور ٥
وازينت اى وتزينت وظن اهلها يعنى اهل تلك الارض انهم قادرون
عليها يعنى على جدادها وقطافها وحصادها رد الكناية الى الارض
والمراد النبات اذ كان مفهوما وقيل رده الى الثمرة والغلة وقيل
الى الزينة اتاها امرنا يعنى قضانا بهلاكها ليلا او نهارا يعنى فى
الليل او النهار فجعلناها حصيدا يعنى محصودة مقطوعة كان لم
تغن بالامس يعنى كان لم تكن تلك الاشجار والنبات والزروع
ثابتة قايمة على ظهر الارض واصله من غنى فلان بالمكان اذا اقام به
وهذا مثل ضربه الله تعالى للمتشبث بالدنيا الراغب فى زهرتها
وحسنها وذلك انه تعالى لما قال يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم
متاع الحياة الدنيا اتبعه بهذا المثل لمن بغى فى الارض وتجبر فيها وركن
الى الدنيا واعرض عن الاخرة لان النبات فى اول بروزه من الارض
ومبدا خروجه يكون ضعيفا فاذا نزل عليه المطر واختلط به قوى
وحسن واكتسى كمال الرونق والزينة وهو المراد من قوله حتى اذا
اخذت الارض زخرفها وازينت يعنى بالنبات والزخرف عبارة عن
كمال حسن الشى فجعلت الارض اخذة زخرفها على التشبيه بالعروس
اذا لبست الثياب الفاخرة من كل لون حسن من حمرة وخضرة وصفرة
وبياض ولا شك ان الارض متى كانت على هذه الصفة فانه يفرح بها
صاحبها ويعظم رجاوه فى الانتفاع بها وبما فيها ثم ان الله تعالى ارسل
على هذه الارض صاعقة او بردا او ريحا فجعلها حصيدا كان لم تكن من
قبل قال قتادة ان المتشبث بالدنيا ياتيه امر الله وعذابه اغفل ما
يكون ووجه التمثيل ان غاية هذه الحياة الدنيا التى ينتفع بها المرء
كغاية هذا النبات الذى لما عظم الرجا فى الانتفاع به وقع الياس منه

ولان المتمسك بالدنيا اذا نال منها بغيته اتاه الموت بغتة فسلبه
مما هو فيه من نعيم الدنيا ولذاتها وقيل يحتمل ان يكون ضرب هذا
المثل لمن ينكر المعاد والبعث بعد الموت وذلك لان الزرع اذا
انتهى وتكامل في الحسن الى الغاية القصوى اتاه افة فتلف بالكلية
ثم ان الله تعالى قادر على اعادته كما كان اول مرة فضرب الله تعالى
مثلا المثل ليدل على ان من قدر على اعادة ذلك النبات بعد
التلف كان قادرا على اعادة الاموات احيا في الاخرة ليجازيهم
على اعمالهم فيثيب الطايع ويعاقب العاصي كذلك نفصل
الايات لقوم يتفكرون يعني كما بينا لكم مثل الحياة الدنيا وعرفناكم
حكمها كذلك نبين حججنا وادلتنا لمن تفكر واعتبر فيكون ذلك
موجبا وسببا لزوال الشك والشبهة من القلوب قوله تعالى
والله يدعوا الى دار السلام لما ذكر الله زهرة الحياة الدنيا وانها
فانية زايلة لا محالة دعا الى داره دار السلام قال قتادة الله هو
السلام وداره الجنة فعلى هذا السلام اسم من اسما الله عز وجل ومعناه
انه تعالى سلم من جميع النقايص والعيوب والفنا والتغير وقيل
انه تعالى يوصف بالسلام بمعنى دار السلام اي لا يقدر على تخليص ه
العاجزين من المكاره والافات الا هو وقيل دار السلام اسم للجنة وهو
جمع سلامة والمعنى ان من دخلها فقد سلم من جميع الافات كالموت
والمرض والمصايب والحزن والغم والتعب والنكد وقيل سميت الجنة
دار السلام لان الله تعالى يسلم على اهلها او تسلم الملايكة عليهم وقيل
ان من كمال رحمة الله وجوده وكرمه على عباده ان دعاهم الى جنته التي
هي دار السلام وفيه دليل على ان فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر لان العظيم لا يدعوا الا الى عظيم ولا يصف الا
عظيما وقد وصف الله الجنة في ايات كثيرة من كتابه ويهدي من يشا
الى صراط مستقيم يعني والله يهدي من يشا من خلقه الى صراطه
المستقيم وهو دين الاسلام عم بالدعوة اولا اظهارا للحجة وخص
بالدعوة ثانيا استغنا عن الخلق واظهارا للقدرة فحصلت المغايرة
بين الدعوتين خ عن جابر قال جات ملايكة الى النبي صلى الله عليه
وسلم وهو نايم فقال بعضهم العين نايمة والقلب يقظان فقالوا
ان لصاحبكم مثلا فاضربوا له مثلا فقالوا مثله كمثل رجل بنا دارا وجعل
فيها مادبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبة
ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة فقالوا اولوها
يفقهها فقال بعضهم ان العين نايمة والقلب يقظان فالدار الجنة

والداعي

والداعي محمد فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى
الله ومحمد فرق بين الناس وفي رواية قال جابر خرج علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يزد قال الحميدي وذكر ابو مسعود اوله
فقال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رايت
في المنام كان جبريل عند راسي وميكايل عند رجلي يقول احدهما
لصاحبه اضرب له مثلا وذكره عن النواس بن سمعان قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب مثلا صراطا مستقيما
على كتفي الصراط زوران لهما ابواب مفتحة على الابواب ستور وداع
يدعوا على راس الصراط وداع يدعوا فوقه والله يدعوا الى دار السلام
ويهدي من يشا الى صراط مستقيم والابواب التي كتفي الصراط حدود
الله فلا يقع احد في حدود الله حتى يكشف الستر والذي يدعوا من
فوقه واعظ ربه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
قوله عز وجل للذين احسنوا الحسنى قال ابن عباس للذين
شهدوا ان لا اله الا الله الجنة وقيل معناه للذين احسنوا عبادة الله
في الدنيا من خلقه واطاعوه فيما امرهم به ونهاهم عنه الحسنى قال
ابن الانباري الحسنى في اللغة تانيث الاحسن والعرب توقع هذه
اللفظة على الخلة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها وقيل معناه
للذين احسنوا المثوبة الحسنى وزيادة اختلف اهل التفسير في معنى
هذه الحسنى وهذه الزيادة على اقوال القول الاول ان الحسنى هي
الجنة والزيادة هي النظر الى وجه الله الكريم وهذا قول جماعة من
الصحابة منهم ابو بكر الصديق وحذيفة وابو موسى الاشعري وعبادة
ابن الصامت وهو قول الحسن وعكرمة والضحاك ومقاتل والسدي
ويدل على صحة هذا القول المنقول والمعقول اما المنقول فما
روي عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل
الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيا ازيدكم فيقولون
الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب
فما اعطوا شيا احب من النظر الى ربهم تبارك وتعالى زاد في رواية
ثم تلا هذه الاية للذين احسنوا الحسنى وزيادة اخرجه مسلم وروى
الطبري بسنده عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله
في قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة النظر الى وجه
الله وبه عن ابي بن كعب انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول
الله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة
النظر الى وجه الله وبه عن ابي بكر الصديق للذين احسنوا الحسنى

وزيادة قال النظر الى وجه الله وبه عن ابي موسى الاشعري قال
اذا كان يوم القيامة بعث الله الى اهل الجنة مناديا ينادي هل انجزكم
الله ما وعدكم فينظرون الي ما اعد الله لهم من الكرامات فيقولون
نعم فيقول الله للذين احسنوا الحسنى وزيادة النظر الى وجه
الرحمن تبارك وتعالى • وفي رواية رفعه ابو موسى قال عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث يوم القيمة وذكره بمعناه
وبه عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال اذا دخل اهل الجنة الجنة
قال لهم قد بقي من خلقكم شي لم تعطوه قال فيتجلى لهم عز وجل
قال فيصغر عندهم كل شي اعطوه ثم قال للذين احسنوا
الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه
ربهم فهذه الاخبار والاثار قد دلت على ان المراد بهذه الزيادة
هي النظر الى وجه الله تبارك وتعالى • واما المعقول فنقول
ان الحسنى لفظة مفردة دخل عليها حرف التعريف فانصرف
الى المعهود السابق وهو الجنة في قوله والله يدعوا الى دار السلام
فثبت بهذا ان المراد من لفظة الحسنى هي الجنة واذا ثبت هذا
وجب ان يكون المراد من الزيادة امر مغاير لكل ما في الجنة من النعيم
والا لزم التكرار واذا كان كذلك وجب حمل الزيادة على روية الله
تعالى ومما يوكد ذلك قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة
فاثبت لاهل الجنة امرين احدهما النضارة وهي حسن الوجوه وذلك
من نعم الجنة والثاني النظر الى وجه الله تعالى وايات القران يفسر
بعضها بعضا فوجب حمل الحسنى على الجنة ونعيمها وحمل الزيادة
على روية الله تعالى • وقالت المعتزلة لا يجوز حمل هذه الزيادة على
الروية لان الدلايل العقلية دلت على روية الله تعالى ممتنعة ولان
الزيادة تجب ان تكون من جنس المزيد عليه وروية الله تعالى ليست
من جنس نعيم الجنة ولان الاخبار التي تقدمت توجب التشبيه ولان
جماعة من المفسرين حملوا هذه الزيادة على الروية فانتفى ما قلتم
فاجاب اصحابنا عن هذه الاعتراضات بان الدلايل العقلية
قد دلت على امكان وقوع روية الله تعالى في الاخرة وان لم يوجد في
العقل ما يمنع من روية الله تعالى وجاءت الاحاديث الصحيحة باثبات
الروية وجب المصير اليها واجراوها على ظواهرها من غير تشبيه ولا
احاطة واجيب عن قولهم بان الزيادة تجب ان تكون من
جنس المزيد عليه فنقول المزيد عليه اذا كان مقدرا بمقدار معين
وجب ان تكون الزيادة مخالفة لها فالمذكور في الاية لفظ الحسنى

وهي الجنة ونعيمها غير مقدر بقدر معين وجب ان الزيادة عليها
يكون شيا مغايرا لنعيم الجنة وذلك المغاير هو الروية واجيب
عن قولهم بان جماعة من المفسرين حملوا الزيادة على غير الروية
معارض بقول جماعة من المفسرين بان الزيادة هي الروية والمثبت
مقدم على النافي والله اعلم القول الثاني في معنى هذه الاية
ما روي عن علي بن ابي طالب انه قال الزيادة غرفة من لولوة
واحدة لها اربعة ابواب القول الثالث الحسنى واحدة الحسنات
والزيادة التضعيف الى تمام العشرة والى سبعماية • قال ابن عباس
هو مثل قوله تعالى ولدينا مزيد يقول تجزيهم بعملهم ويزيدهم من
فضله قال قتادة كان الحسن الزيادة بالحسنة عشر امثالها الى سبعماية
ضعف القول الرابع ان الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة
مغفرة من الله ورضوان قاله مجاهد القول الخامس قول ابن
زيد ان الحسنى هي الجنة والزيادة ما اعطاهم الله في الدنيا لا يحاسبهم
به يوم القيمة وقوله تعالى ولا يرهق وجوههم يعني ولا يغشى وجوه
اهل الجنة قتر اي كآبة ولا كسوف ولا غبار وقال ابن عباس هو
سواد الوجه ولا ذلة يعني ولا هوان قال ابن ابي ليلى هذا بعد
نظرهم الى الله تعالى ربهم تبارك وتعالى اوليك اصحاب الجنة هم
فيها خالدون يعني ان هولاء وصفت صفتهم هم اصحاب الجنة لا غيرهم
وهم فيها مقيمون لا يخرجون منها ابدا قوله تعالى والذين كسبوا
السيات جزاء سيئة بمثلها اعلم انه لما شرح الله احوال المحسنين
وما اعد لهم من الكرامات شرح في هذه الاية حال من اقدم على
من اقدم على السيئات والمراد بهم الكفار فقال تعالى والذين كسبوا
السيات يعني والذين عملوا الكفر والمعاصي جزاء سيئة بمثلها يعني
فلهم جزاء السيئة يعني عملوها مثلها من العقاب والمقصود من
هذا التقييد التنبيه على الفرق بين الحسنات والسيات لان
الحسنات يضاعف ثوابها لعاملها من الواحدة الى العشرة الى
السبعماية الي اضعاف كثيرة وذلك تفضلا منه وتكرما واما السيات
فانه يجازي عليها بمثلها عدلا منه سبحانه وتعالى وترهقهم ذلة
قال ابن عباس تغشاهم ذلة وشره وقيل تغشاهم ذلة وهوان بعقاب
الله اياهم ما لهم من الله من عاصم يعني ما لهم مانع يمنعهم من
عذاب الله اذا انزل بهم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل
مظلما يعني كانما البست وجوههم سوادا من الليل المظلم اوليك
اصحاب النار هم فيها خالدون قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا

الحشر الجمع من كل جانب وناحية الى موضع واحد والمعنى ويوم نجمع
الخلايق جميعًا لموقف الحساب وهو يوم القيمة **ثم نقول للذين**
اشركوا مكانكم اي الزموا مكانكم واثبتوا فيه حتى تسالوا وفي هذا
وعيد وتهديد للعابدين والمعبودين **انتم وشركاوكم** يعني انتم
ايها المشركون والاصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله **فزيلنا**
بينهم يعني ففرقنا بين العابدين والمعبودين وميزنا بينهم
وانقطع ما كان بينهم من التواصل في الدنيا **فان قلت**
قوله فزيلنا بينهم جا على لفظ الماضي بعد قوله ثم نقول للذين
اشركوا وهو منتظر في المستقبل فما وجهه **قلت** السبب فيه
ان الذي حكم الله فيه بانه سيكون صار كالكاين الآن اما قوله
وقال شركاوهم يعني الاصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله
وانما سماهم شركاوهم لانهم جعلوا لهم نصيبا من اموالهم اولانه
تعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله مكانكم فقد صاروا
شركا في هذا الخطاب **ما كنتم ايانا تعبدون** تبرا المعبودين من
العابدين **فان قلت** كيف صدر هذا الكلام عن الاصنام وهي
جماد لا روح فيها ولا عقل لها **قلت** يحتمل ان الله خلق لها في ذلك
اليوم الحياة والعقل والنطق حتى قدرت على هذا الكلام **فان قلت**
اذا احياهم الله في ذلك اليوم فهل يفنيهم او يبقيهم **قلت**
الكل محتمل ولا اعتراض على الله في شي من افعاله واحوال القيامة
غير معلومة الا ما دل عليه الدليل من كتاب او سنة **فان قلت**
ان الاصنام قد انكرت ان الكفار كانوا يعبدونها وقد كانوا يعبدونها
قلت قد تقدمت هذه المسيلة وجوابها في تفسير سورة
الانعام ونقول هنا قال مجاهد يكون في يوم القيمة ساعة فيها شدة
تنصب لهم الالهة التي كانوا يعبدونها من دون الله فتقول الالهة
والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم انكم تعبدوننا فيقولون
والله اياكم كنا نعبد فتقول لهم الالهة **فكفى بالله شهيدا بيننا**
وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين والمعنى قد علم الله وكفى به
شهيدا انا ما علمنا انكم كنتم تعبدوننا وما كنا عن عبادتكم ايانا
من دون الله الا غافلين لا نشعر بذلك اما قوله تعالى **هنالك**
تبلوا كل نفس ما اسلفت فهو كالتتمة للاية المتقدمة والمعنى
ان في ذلك المقام او ذلك الوقت او في ذلك الوقت على معنى
استعارة اطلاق اسم المكان على الزمان وفي قوله تبلوا قراآت قرى
بتايين ولها معنيان احدهما انه من تلاه اذا اتبعه اي تتبع كل نفس

ما اسلفت لان العمل هو الذي يهدي النفس الى الثواب او العقاب
الثاني ان يكون من التلاوة والمعنى ان كل نفس تقرا صحيفة عملها
من خير او شر وقرى تبلوا بالنا والبا ومعناه تخبر وتعلم والبلو
الاختبار ومعناه اختبارها ما اسلفت ان قدم خيرا او شرا قدم عليه
وجوزي به **وردوا الى الله مولاهم الحق** الرد عبارة عن صرف الشي
الى الموضع الذي جا منه والمعنى وردوا الي ما يظهر لهم من الله
الى الله الذي هو مالكهم ومتولي امورهم **فان قلت**
قد قال الله تعالى في اية اخرى وان الكافرين لا مولى لهم فما الفرق
قلت المولي في اللغة يطلق على المالك ومعنى المولى هناك
الناصر فحصل الفرق بين الايتين **وضل عنهم ما كانوا يفترون**
يعني وبطل وذهب ما كانوا يكذبون فيه في الدنيا وهو قولهم ان
هذه الاصنام تشفع لنا **قوله عز وجل** **قل من يرزقكم من السما**
والارض اي قل يا محمد لهولا المشركين من يرزقكم من السما يعني المطر
والارض يعني النبات **ام من يملك السمع والابصار** يعني ومن
اعطاكم هذه الحواس التي تسمعون بها وتبصرون بها **ومن يخرج الحي**
من الميت ويخرج الميت من الحي يعني انه تعالى يخرج الانسان حيا
من النطفة وهي ميتة وكذلك الطير من البيضة وكذلك يخرج
النطفة الميتة من الانسان الحي ويخرج البيضة الميتة من الطاير
الحي وقيل معناه انه يخرج المومن من الكافر والكافر من المومن والقول
الاول اقرب الى الحقيقة **ومن يدبر الامر** يعني ان مدبر امر السموات
وما فيها ومدبر امر الارض وما فيها هو الله تعالى وكذلك قوله
فسيقولون الله يعني انهم يعترفون بان فاعل هذه الاشيا هو الله
واذا كانوا يقرون بذلك **فقل** لهم يا محمد **افلا تتقون** يعني افلا تخافون
عقابه حيث تعبدون هذه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تقدر
على شي من هذه الامور **فذلكم الله ربكم الحق** يعني فذلكم الذي
يفعل هذه الاشيا ويقدر عليها هو الله ربكم الحق الذي يستحق
العبادة لا هذه الاصنام **فماذا بعد الحق الا الضلال** يعني اذا
ثبت بهذه البراهين الواضحة والدلايل القطعية ان الله هو الحق
وجب ان يكون ما سواه ضلالا وباطلا **فانى تصرفون** يعني اذا عرفتم
هذا الامر الظاهر الواضح فكيف تستجيزون العدول عن الحق الى
الضلال الباطل **كذلك** اي كما ثبت انه ليس بعد الحق الا الضلال
حقت اي وجبت **كلمة ربك** في الازل **على الذين فسقوا انهم لا يومنون**
قيل المراد بكلمة الله قضاوه عليهم في اللوح المحفوظ انهم لا يومنون

وقضا الله لا يرد ولا يدافع **قل هل من شركائكم** اى قل يا محمد لهولا المشركين هل من شركايكم يعنى هذه الاصنام التى تزعمون انها الهة **من يبدو الخلق** يعنى من يقدر على ان ينشى الخلق على غير مثال سبق **ثم يعيده** اى ثم يعيده بعد الموت كهيئة اول مرة وهذا السوال استفهام انكار **قل** انت يا محمد **الله يبدو الخلق ثم يعيده** يعنى الله هو القادر على ابداء الخلق واعادته **فانى تؤفكون** يعنى فانى تصرفون عن قصد السبيل والمراد من هذا التعجيب من احوالهم كيف تركوا هذا الامر الواضح وعدلوا عنه الى غيره **قل** اى قل يا محمد **هل من شركائكم من يهدى الى الحق** يعنى هل من هذه الاصنام من يقدر على ان يرشد الى الحق فاذا قالوا لا ولا بد لهم من ذلك **قل** اى قل لهم انت **الله يهدى للحق** يعنى ان الله هو الذى يرشد الى الحق لا غيره • **افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع ام من لا يهدى الا ان يهدى** يعنى ان الله هو الذي يهدى الى الحق فهو احق بالاتباع لا هذه الاصنام التى لا تهدى الا ان تهدي **فان قلت** الاصنام جماد لا يتصور هدايتها ولا تهدى فكيف قال الا ان يهدى **قلت** ذكر العلما عن هذا السوال وجوها الاول ان معنى الهداية فى حق الاصنام الانتقال من مكان الى مكان فيكون المعنى انها لا تنتقل من مكان الى مكان اخر الا ان تحمل وتنقل فبين بهذا عجز الاصنام الوجه الثانى ان ذكر الهداية فى حق الاصنام على وجه المجاز وذلك ان المشركين لما اتخذوا الاصنام الهة وانزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يعبر عمن يسمع ويعقل ويعلم ووصفها بهذه الصفة وان كان الامر ليس كذلك • الوجه الثالث يحتمل ان يكون المراد من قوله هل من شركائكم من يبدو الخلق ثم يعيده الاصنام والمراد من قوله هل من شركائكم من يهدي الى الحق روسا الكفر والضلالة فالله تعالى هدي الخلق الى الدين بما اظهر من الدلايل الدالة على وحدانيته واما روسا الكفر والضلالة فانهم لا يقدرون على هداية غيرهم الا اذا هداهم الله الى الحق فكان اتباع دين الله والتمسك بهدايته اولى من اتباع غيره وقوله تعالى **فما لكم كيف تحكمون** قال الزجاج فما لكم كلام تام كانه قيل لهم اى شى لكم فى عبادة هذه الاصنام ثم قال كيف تحكمون يعنى على اى حال تحكمون وقيل معناه كيف تقضون لانفسكم بالجور حين تزعمون ان مع الله شريكا وقيل معناه بيس ما حكمتم اذ جعلتم لله شريكا من ليس بيده منفعة ولا مضرة ولا هداية **وما يتبع اكثرهم الا ظنا** يعنى وما يتبع اكثر هولا المشركين الا ما لا علم

لهم بحقيقته وصحته بل هم فى شك منه وريبة قيل المراد بالاكثر الكل لان جميع المشركين يتبعون الظن فى دعواهم ان الاصنام تشفع لهم وقيل المراد بالاكثر الروسا **ان الظن لا يغنى من الحق شيا** يعنى ان الشك لا يغنى عن الحق شيا ولا يقوم مقامه وقيل فى الاية ان قولهم ان الاصنام الهة وانها تشفع لهم ظنا منهم لم يرد به كتاب ولا رسول ان الظن لا يغنى عن الحق شيا يعنى ولا يدفع عنهم من عذاب الله شيا **ان الله عليم بما يفعلون** يعنى من اتباع الظن وتكذيبهم الحق اليقين **وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله** يعنى وما كان ينبغى لهذا القران ان يختلق ويفتعل لان معنى الافترا الاختلاق والمعنى ليس وصف القران وصف شى يمكن ان يفترى به على الله لان المفترى هو الذي ياتى به البشر وذلك ان كفار مكة زعموا ان محمدا صلى الله عليه وسلم اتى بهذا القران من عند نفسه على سبيل الافتعال والاختلاق فاخبر الله عز وجل ان القران وحى انزله الله عليه وانه مبرى عن الافترا والكذب وانه لا يقدر عليه احد الا الله ثم ذكر ما يوكد ذلك بقوله **ولكن تصديق الذي بين يديه** يعنى ولكن الله انزل هذا القران مصدقا لما قبله من الكتب التى انزلها على انبيايه كالتوراة والانجيل وتقرير هذا ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يقرا ولا يكتب ولا يجتمع باحد من العلما ثم انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذا القران العظيم المعجز وفيه اخبار الاولين وقصص الماضين وكل ذلك موافق لما فى التوراة والانجيل والكتب المنزلة قبله ولو لم يكن كذلك لقدحوا فيه لعداوة اهل الكتاب له ولما لم يقدح فيه احد من اهل الكتاب علم بذلك ان ما فيه من القصص والاخبار مطابقة لما فى التوراة والانجيل مع القطع بانه ما علم ما فيها فثبت بذلك انه وحى من الله انزله عليه وانه مصدق لما بين يديه وانه معجزة له وقيل فى معنى قوله ولكن تصديق الذي بين يديه يعنى من اخبار الغيوب الاتية فانها جاءت على وفق ما اخبر **وتفصيل الكتاب** يعنى وتبيين ما فى الكتاب من الحلال والحرام والفرايض والاحكام **لا ريب فيه من رب العالمين** يعنى ان هذا القران لا شك فيه انه من رب العالمين وانه ليس مفترا على الله وانه لا يقدر احد من البشر على الاتيان بمثله وهو قوله تعالى **ام يقولون افتراه** يعنى ام يقول هولا المشركين افترى محمد هذا القران واختلقه من قبل نفسه وهو استفهام انكار وقيل ام بمعنى الواو ويقولون افتراه

م٥

قل يا محمد ان كان الامر كما تقولون فاتوا بسورة مثله يعني سورة
شبيهة الفصاحة والبلاغة وحسن النظم عربا مثلي في الفصاحة
والبلاغة فان قلت فاتوا بسورة من مثله في سورة البقرة
وقال هنا بسورة مثله فما فايدة ذلك وما الفرق بينهما ه
قلت لما كان محمد صلى الله عليه وسلم اميا لم يقرا ولم يكتب
واتى بهذا القران كان معجزا في نفسه فقيل لهم فاتوا بسورة من
مثله يعني من انسان اي مثل محمد صلى الله عليه وسلم يساويه في
عدم الكتابة والقراة واما قوله فاتوا بسورة مثله اي فاتوا بسورة
تساوي سور القران في الفصاحة والبلاغة وهو المراد بقوله
بسورة مثله يعني ان السورة في نفسها معجزة فان الخلق لو اجتمعوا
على ذلك لم يقدروا عليه وهو المراد من قوله وادعوا من استطعتم
من دون الله يعني وادعوا على الاستقامة على ذلك من استطعتم
من خلقه ان كنتم صادقين يعني في قولكم ان محمدا افتراه ثم قال
تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه يعني القران اي كذبوا بما لم
يعلموه قال عطا يريد انه ليس خلق يحيطوا بجميع علوم القران
وقيل بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه معناه بل كذبوا بما في القران من
ذكر الجنة والنار والحشر والقيامة والثواب والعقاب بما لم يحيطوا
بعلمه لانهم كانوا ينكرون ذلك كله • وقيل انهم لما سمعوا اما في القران
من القصص واخبار الامم الخالية ولم يكونوا سمعوها قبل ذلك
انكروها لجهلهم فرد الله عليهم بقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه
لان القران العظيم مشتمل على علوم كثيرة لا يقدر احد على استيفايها
وتحصيلها ولما ياتهم تاويله يعني انهم كذبوا به ولما ياتهم بعد بيان
ما يوول اليه ذلك الوعيد الذي توعدهم الله في القران به من
العقوبة والمعنى انهم لم يعلموا ما يوول اليه عاقبة امرهم وقيل
معناه انهم لم يعلموا التنزيل ولا تاويلا فكذبوا به وذلك لانهم جهلوا
القران وعلمه وعلم تاويله كذلك كذب الذين من قبلهم يعني كما
كذب هولا بالقران كذلك كذبت الامم الماضية انبياوهم فيما
وعدوهم به فانظر كيف كان عاقبة الظالمين الخطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم اي فانظر يا محمد كيف عاقبة من ظلم من الامم
كذلك عاقبة من كذبك من قومك ففيه تسلية للنبي صلى الله
عليه وسلم وقيل يحتمل ان يكون الخطاب لكل فرد من الناس والمعنى
فانظروا ايها الناس كيف كان عاقبة من ظلم فاحذروا ان تفعلوا مثل
فعله قوله عز وجل ومنهم من يؤمن به يعني ومن قومك يا محمد

من

من سيؤمن بالقران ومنهم من لا يؤمن به لعلم الله السابق فيه انه
لا يؤمن وربك اعلم بالمفسدين يعني الذين لا يؤمنون فان كذبوك
يعني فان كذبك قومك يا محمد فقل اي فقل لهم لي عملي يعني
الطاعة وجزا ثوابها ولكم عملكم يعني الشرك وجزا عقابه انتم
بريئون مما اعمل وانا بري مما تعملون قيل المراد منه الزجر والردع
وقال مقاتل والكلبي هذه الاية منسوخة باية السيف قال
الامام فخر الدين الرازي وهو بعيد لان شرط الناسخ ان يكون رافعا
بحكم المنسوخ ومدلول الاية اختصاص كل واحد بافعاله وبثمرات
افعاله من الثواب والعقاب واية القتال ما رفعت شيا من
مدلولات هذه الاية فكان القران بالنسخ باطلا قوله تعالى ومنهم
يعني من هولا المشركين من يستمعون اليك يعني باسماعهم الظاهرة
ولا ينفعهم شدة بغضهم وعداوتهم افانت تسمع الصم يعني كما
انك لا تقدر على اسماع الاصم فكذلك لا تقدر على اسماع من اصم
الله قلبه ولو كانوا لا يعقلون يعني ان الله صرف قلوبهم عن
الانتفاع بما يسمعون ولم يوافقهم كذلك فهو بمنزلة الجهال اذا لم
ينتفعون بما يسمعوا وهم ايضا كالصم الذين لا يعقلون شيا ولا يفهمونه
لعدم التوفيق ومنهم من ينظر اليك يعني بابصارهم الظاهرة
افانت تهدي العمي يريد عمي القلوب ولو كانوا لا يبصرون
لان الله اعمى بصاير قلوبهم فلا يبصرون بها شيا من الهدى وفي هذا
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انك لا تسمع تقدر
ان تسمع من سلبته السمع ولا تقدر ان تهدي من سلبته البصر ولا تقدر
ان توفق للايمان من حكمت عليه ان لا يومن ان الله لا يظلم الناس شيا
ولكن الناس انفسهم يظلمون قال العلما لما حكم الله عز وجل على
اهل الشقوة بالشقاوة لقضايه وقدره السابق فيهم اخبر في هذه
الاية ان تقدير الشقوة عليهم ما كان ذلك ظلما منه لانه يتصرف
في ملكه لا يكون ظالما وانما قال ولكن الناس انفسهم يظلمون لان
الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب وان كان قد سبق قضا الله وقدره
فيهم قوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا يعني واذكر يا محمد يوم نجمع هولاء
المشركين لموقف الحساب واصل الحشر اخراج الجماعة وازعاجهم عن مكانهم
كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يعني كانهم لم يلبثوا في الدنيا الا قدر
ساعة من النهار وقيل معناه كان لم يلبثوا في قبورهم الا قدر ساعة
من النهار والوجه الاول اولى لان حال المومن والكافر سوا في عدم
المعرفة مقدار لبثهم في القبور الى وقت الحشر فيتعين حمله على

امر يختص بحال الكفار وهو انهم لما لم ينتفعوا باعمارهم في الدنيا
استقلوها والمومن لما انتفع بعمره في الدنيا لم يستقله وسبب
استقلال الكفار مدة مقامهم في الدنيا انهم لما ضيعوا اعمارهم
في طلب الدنيا والحرص على ما فيها ولم يعملوا بطاعة الله فيها كان
وجود ذلك كالعدم فلذلك استقلوه وقيل انهم لما شاهدوا اهوال
يوم القيمة وطال عليهم ذلك استقلوا مدة مقامهم في الدنيا لان
مقامهم في الدنيا في جنب مقامهم في الاخرة قليل جدا يتعارفون
بينهم يعني يعرف بعضهم بعضا اذا خرجوا من قبورهم كما كانوا
يتعارفون في الدنيا ثم تنقطع المعرفة بينهم اذا عاينوا اهوال
يوم القيمة وفي بعض الاثار ان الانسان يوم القيمة يعرف من بجنبه
ولا يقدر ان يكلمه هيبة وخشية وقيل ان احوال يوم القيمة مختلفة
ففي بعضها يعرف بعضهم بعضا وفي بعضها ينكر بعضهم بعضا لهول
ما يعاينوا في ذلك اليوم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله يعني ان
من باع اخرته الباقية بدنياه الفانية قد خسر لانه اثر الفاني
على الباقي وما كانوا مهتدين الى ما يصلحهم وينجيهم من هذا الخسار
واما نرينك يعني يا محمد بعض الذي نعدهم يعني ما نعدهم به
من العذاب في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريك هذا
الوعد في الدنيا فانك ستراه في الاخرة وهو قوله فالينا مرجعهم
يعني في الاخرة وفيه دليل على ان الله يري رسوله صلى الله عليه وسلم
انواعا من عذاب الكافرين وذلهم وخزيهم في حال حياته في الدنيا
وقد اراه ذلك في يوم بدر وغيره من الايام وسيريه ما اعد لهم
من العذاب في الاخرة بسبب كفرهم وتكذيبهم ثم الله شهيد على
ما يفعلون فيه وعيد وتهديد لهم يعني انه تعالى شاهد على
افعالهم التي فعلوها في الدنيا ليجازيهم عليها يوم القيمة **قوله
عز وجل** ولكل امة رسول لما بين الله عز وجل حال محمد صلى الله
عليه وسلم مع قومه بين ان حال الانبياء مع اممهم كذلك فقال تعالى
ولكل امة رسول يعني قد خلت وتقدمت قبلكم رسل يعني بعثوا
اليهم يدعوهم الى الله والى طاعته والايمان به فاذا جاء رسولهم
قضي بينهم بالقسط في هذا الكلام اضمار تقديره فاذا جاء رسولهم
وبلغهم ما ارسل به اليهم فكذبه قومه وصدقه اخرون قضي بينهم
بالقسط يعني حكم بينهم بالعدل وفي وقت هذا القضاء والحكم بينهم
قولان احدهما انه في الدنيا وذلك ان الله تعالى لما ارسل لكل امة
رسولا لتبليغ الرسالة واقامة الحجة وازالة العذر فاذا كذبوا على

رسولهم وخالفوا الله قضي بينهم وبين رسولهم في الدنيا فيهلك
الكافرين وينجي رسوله والمومنين ويكون ذلك عدلا لا ظلما لان قبل
مجي الرسول لا يكون ثوابا ولا عقابا ٥ القول الثاني ان وقت
القضاء في الاخرة وذلك ان الله اذا جمع الامم يوم القيمة للحساب
والقضاء بينهم والفصل بين المومن والكافر والطايع والعاصي جي
بالرسل لتشهد عليهم والمراد من ذلك المبالغة في اظهار العدل
وهو قوله تعالى وهم لا يظلمون يعني من جزاء اعمالهم شيئا ولكن يجازي
كل احد على قدر عمله وقيل معناه انهم لا يعذبون بغير ذنب ولا يواخذون
بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سياتهم ويقولون
يعني هولا الكفار متى هذا الوعد يعني الذي تعدنا به يا محمد من
نزول العذاب وقيل قيام الساعة وانما قالوا ذلك على وجه
التكذيب والاستبعاد ان كنتم صادقين يعني فيما تعدونا به
وانما قالوا بلفظ الجمع لان كل امة قالت لرسولها كذلك او يكون
المعنى ان كنتم صادقين انت واتباعك يا محمد او ذكروه بلفظ الجمع
على سبيل التعظيم قل اي قل لهم يا محمد لا املك لنفسي ضرا ولا
نفعا يعني لا املك لنفسي دفع ضر او جلب نفع ولا اقدر على ذلك
الا ما شا الله يعني ان اقدر عليه واملكه والمعنى ان انزال العذاب
على الاعدا واظهار النصر للاوليا وعلم قيام الساعة لا يقدر عليه
الا الله فتعيين الوقت الى الله تعالى بحسب مشيته ثم اذا حضر
ذلك الوقت الذي وقته الله لحدوث هذه الاشيا فانه يحدث
لا محالة وهو قوله تعالى لكل امة اجل اي مدة مضروبة ووقت معين
اذا جا اجلهم يعني اذا انقضت مدة اعمارهم فلا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون يعني لا يتاخرون عن ذلك الاجل الذي اجل لهم
ولا يتقدمونه قل اي قل يا محمد لهولا المشركين من قومك ارايتم
ان اتاكم عذابه بياتا يعني ليلا يقال بات يفعل كذا اذا فعله
بالليل والسبب فيه ان الانسان في الليل لا يكون الا في البيت غالبا
فجعل الله هذا اللفظ كناية عن الليل او نهارا يعني في النهار ما
ذا يستعجل منه المجرمون يعني ما الذي يستعجل من نزول العذاب
وقد وقعوا فيه وحقيقة المعنى انهم كانوا يستعجلون بنزول العذا
كما اخبر الله عنهم بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة من السما او ائتنا بعذاب اليم فاجابهم الله بقوله ماذا
يستعجل منه المجرمون يعني اي شي يعلم المجرمون ما يطلبون ويستعجلو
كما يقول الرجل لغيره وقد فعل فعلا قبيحا ماذا جنيت على نفسك

اثم اذا ما وقع يعني اذا ما نزل العذاب ووقع امنتم به يعني امنتم
به بعد نزول العذاب وهو وقت الياس وقيل معناه صدقتم بالعذاب
عند نزوله ودخلت همزة الاستفهام على ثم للتوبيخ والتقريع الآن
فيه اضمار تقديره يقال لهم الآن تومنون حين وقع العذاب وقد
كنتم به تستعجلون يعني تكذيبا واستهزا ثم قيل للذين ظلموا يعني
ظلموا انفسهم بسبب شركهم وكفرهم بالله ذوقوا عذاب الخلد هل
تجزون الا بما كنتم تكسبون يعني في الدنيا من الاعمال قوله تعالى
ويستنبئونك احق هو يعني ويستخبرونك يا محمد احق ما تعدنا به
من نزول العذاب وقيام الساعة قل اي وربي اي قل لهم يا محمد
نعم وربي انه لحق يعني ان الذي اعدكم به حق لا شك فيه وما انتم
بمعجزين يعني بفائتين من العذاب لان من عجز عن شي فقد فاته
ولو ان لكل نفس ظلمت يعني اشركت ما في الارض يعني من شي لافتدت
به يعني يوم القيمة والافتدا بمعنى البدل بما تنجوا به من العذاب
الا انه لا ينفعه الفدا ولا يقبل منه واسروا الندامة يعني يوم
القيامة وانما جا بلفظ الماضي والقيمة من الامور المستقبلة لان
احوال يوم القيمة لما كانت واجبة الوقوع جعل الله مستقبلها
كالماضي والاسرار يكون بمعنى الاخفا وبمعنى الاظهار فهو من الاضداد
فلهذا اختلفوا في قوله واسروا الندامة وقال ابو عبيدة معناه
واظهروا الندامة لان ذلك اليوم ليس يوم تصبر وتصنع وقيل معناه
اخفوا يعني اخفى الروسا الندامة من الضعفا والاتباع خوفا من
ملامتهم اياهم وتعييرهم لهم لما راوا العذاب يعني حين عاينوا
العذاب وابصروا وقضي بينهم بالقسط يعني وحكم بينهم بالعدل
قيل بين المومنين والكافرين وقيل بين الروسا والاتباع وقيل
بين الكفار لاحتمال ان بعضهم قد ظلم بعضا فيوخذ للمظلوم من
الظالم وهو قوله تعالى وهم لا يظلمون يعني الحكم لهم وعليهم بان
يخفف من عذاب المظلوم ويشدد في عذاب الظالم الا ان لله ما
في السموات والارض يعني ان كل شي في السموات والارض لله ملك
له لا يشركه فيه غيره فليس للكافر شي يفتدي به من عذاب الله
يوم القيمة لان الاشيا كلها لله وهو ايضا ملك لله فكيف يفتدي
من هو مملوك لغيره بشي لا يملكه الا ان وعد الله حق يعني ما
وعد الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من ثواب الطايع
وعقاب العاصي حق لا شك فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني حقيقة
ذلك هو يحيي ويميت يعني الذي يملك ما في السموات والارض قادر

على الاحيا والاماتة لا يتعذر عليه شي مما اراد واليه ترجعون يعني
بعد الموت للجزا

قوله عز وجل

يا ايها الناس قد جاتكم موعظة
من ربكم قيل اراد بالناس قريشا وقيل هو العموم وهو الاصح وهو
اختيار الطبري قد جاتكم موعظة من ربكم يعني القران والوعظ زجر
مقترن بتخويف وقال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب
وقيل الموعظة الانابة عما يدعو الى الصلاح بطريق الرغبة
والرهبة والقران داع الى كل خير وصلاح بهذا الطريق وشفا
لما في الصدور يعني ان القران دوا وشفا لما في القلوب من دا
الجهل وذلك لان دا الجهل اضر للقلب من دا المرض للبدن وامراض
القلب هي الاخلاق الذميمة والعقايد الفاسدة والجهالات المهلكة
فالقران مزيل لهذه الامراض كلها لان فيه المواعظ والزجر والتخويف
والترغيب والترهيب والتحذير والتذكير فهو الدوا والشفا
لهذه الامراض القلبية وانما خص الصدر بالذكر لانه موضع
القلب في غلافه وهو اعز موضع في بدن الانسان لمكان القلب
فيه وهدى يعني هو هدى من الضلالة ورحمة للمومنين
يعني ونعمة على المومنين لانهم هم الذين انتفعوا بالقران دون
غيرهم قل بفضل الله وبرحمته البا في بفضل الله متعلق بمضمر استغنى
عن ذكره لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله قد جاتكم موعظة من ربكم
والفضل هنا بمعنى الافضال ويكون معنى الاية على هذا يا ايها
الناس قد جاتكم موعظة من ربكم وشفا لما في الصدور وهو القران
بافضال الله عليكم ورحمته بكم وارادته الخير لكم ثم قال تعالى
فبذلك فليفرحوا اشار بذلك الى القران لان المراد بالموعظة
والشفا القران فترك اللفظ واشار الى المعنى وقيل فبذلك
اشارة الى معنى الفضل والرحمة والمعنى فبذلك التطوع والانعام
فليفرحوا زايدة كقول الشاعر واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي
الفا في قوله فاجزعي زايدة وقال صاحب الكشاف في معنى الاية
بفضل وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتاكيد
والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما
عداهما من فوايد الدنيا فحذف احدى الفعلين لدلالة المذكور
عليه والفا داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشي فليخصوها
بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما والفرح لذة في القلب بادراك
المحبوب والمشتهى يقال فرحت بكذا اذا ادركت المامول وكذلك
اكثر ما يستعمل الفرح في اللذات البدنية الدنيوية واستعمل

هنا في ما يرغب فيه من الخيرات ومعنى الاية ليفرح المومنون
بفضل الله ورحمته فان ما اتاهم الله من المواعظ وشفا ما في
الصدور وثلج اليقين بالايمان وسكون النفس اليه **هو خير مما**
يجمعون يعني من متاع الدنيا ولذاتها الفانية هذا مذهب
اهل المعاني في هذه الاية واما مذهب المفسرين فغير هذا فان
ابن عباس والحسن وقتادة قالوا فضل الله الاسلام ورحمته
القران • وقال ابو سعيد الخدري فضل الله القران ورحمته ان
جعلنا من اهله • وقال ابن عمر فضل الله الاسلام ورحمته تزيينه
في قلوبنا • وقيل ففضل الله الاسلام ورحمته الجنة • وقيل فضل
الله القران ورحمته السنن فعلى هذا الباقي بفضل الله تتعلق
بمحذوف تفسيره ما بعده تقديره قل فليفرحوا بفضل الله وبرحمته
قل اى قل يا محمد لكفار مكة **ارايتم ما انزل الله لكم من رزق** يعني
من رزق وضع عبر عما في الارض بالانزال لان جميع ما في الارض
من خير ورزق فانما هو من بركات السما **فجعلتم منه** يعني من
ذلك الرزق **حراما وحلالا** يعني ما حرموه على انفسهم في
الجاهلية من الحرث والانعام كالبحيرة والسايبة والوصيلة
والحام • قال الضحاك وهو قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث
والانعام نصيبا **قل الله اذن لكم** يعني قل لهم يا محمد اذن لكم في
هذا التحريم والتحليل **ام على الله تفترون** يعني بل انتم على الله
تكذبون في ادعايكم ان الله امرنا بهذا **وما ظن الذين يفترون**
على الله الكذب يوم القيمة يعني اذا القوه يوم القيمة ايحسبون
انه لا يواخذهم ولا يجازيهم على اعمالهم هو استفهام بمعنى
التوبيخ والتقريع والوعيد العظيم لمن يفترى على الله الكذب
ان الله لذو فضل على الناس يعني ببعثة الرسل وانزال الكتب
لبيان الحلال والحرام **ولكن اكثرهم لا يشكرون** يعني لا يشكرون
الله على ذلك الفضل والاحسان قوله تعالى **وما تكون في شان**
وما تتلوا منه من قران الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده
والشان الخطب والحال والامر الذي يتفق ويصلح ولا يقال الا
فيما يعظم من الاحوال والامور والجمع الشوون تقول العرب ما
شان فلان اى حاله والشان اسم اذا كان بمعنى الخطب والحال
ويكون مصدرا اذا كان معناه القصد والذي في هذه الاية يجوز ان
يكون المراد به الاسم فان ابن عباس قال معناه وما تكون يا محمد في
شان تريد من اعمال البر وقال الحسن في شان من شان الدنيا

وحوايجكم

وحوايجكم ويجوز ان يكون المراد منه القصد يعني قصد الشي وما تتلوا
منه من قران اختلفوا في الضمير في قوله منه الى ماذا يعود فقيل
يعود الى الشان لان تلاوة القران شان من شان رسول الله صلى
الله عليه وسلم بل هو اعظم شانه فعلى هذا يكون داخلا تحت قوله
وما تكون في شان الا انه تعالى خصه بالذكر لشرفه وعلو مرتبته
وقيل انه راجع الى القران لانه قد تقدم ذكره في قوله قل بفضل الله
وبرحمته فعلى هذا يكون المعنى وما تتلوا من القران من قران يعني
من سورة وشي منه لان لفظ القران يطلق على جميعه وعلى بعضه
وقيل الضمير في منه راجع الى الله والمعنى وما يتلوا من الله من
قران نازل عليك • واما قوله **ولا تعملون من عمل** خطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم وامته داخلون فيه ومرادون به لان من المعلوم
انه اذا خوطب رئيس قوم وكبيرهم كان القوم داخلين في ذلك
الخطاب ويدل عليه قوله ولا تعملون من عمل على صيغة الجمع فدل
على انهم داخلون في الخطابين الاولين وقوله تعالى **الا كنا عليكم**
شهودا يعني شاهدين عليكم لاعمالكم وذلك لان الله تعالى شاهد
على كل شي وعالم بكل شي لانه لا محدث ولا خالق ولا موجد الا الله
تعالى فكل ما يدخل في الوجود من احوال العباد واعمالهم الظاهرة
والباطنة داخل في علمه وشاهد عليه **اذ تفيضون فيه** يعني انه
تعالى شاهد عليكم حين تدخلون وتفيضون وتخوضون في ذلك
العمل والافاضة الدخول في العمل على جهة الانصباب اليه والانبساط
فيه وقال ابن الانباري معناه اذ تندفعون فيه وتنبسطون في
ذكره وقيل الافاضة الدفع بكثرة • وقال الزجاج اذ تنتشرون فيه
يقال افاض القوم في الحديث اذا انتشروا فيه **وما يعزب عن**
ربك يعني وما يبعد وما يغيب عن ربك يا محمد من عمل خلقه
شي لانه عالم به وشاهد عليه واصل العزوب البعد يقال منه
كلاء عازب اذا كان بعيد الطلب **من مثقال ذرة** يعني وزن ذرة
والمثقال الوزن والذرة النملة الصغيرة الحمرا وهي خفيفة الوزن
جدا **في الارض ولا في السما** **فان قلت** لم قدم ذكر الارض على
السما هنا وقدم ذكر السما على الارض في سورة سبا فما فايدة ذلك
قلت كان حق السما ان تقدم على الارض كما في سورة سبا الا
انه تعالى لما ذكر في هذه الاية شهادته على اهل الارض واحوالهم
واعمالهم ثم وصل ذلك بقوله وما يعزب عن ربك حسن تقديم
الارض على السما في هذا الموضع لهذه الفايدة **ولا اصغر من ذلك**

يعني من الذرة ولا اكبر يعني منها الا في كتاب مبين يعني في
اللوح المحفوظ قوله عز وجل الا ان اوليا الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون اعلم انا نحتاج اولا في تفسير هذه الاية ان نبين اسم
من يستحق اسم الولاية ومن هو الولي فنقول اختلف العلما فيمن
يستحق هذا الاسم فقال ابن عباس في هذه الاية هم الذين
يذكرون الله لرويتهم • وروى الطبري بسنده عن سعيد بن جبير
مرسلا قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اوليا الله
من اوليا الله فقال هم الذين اذا ذكروا ذكر الله • وقال زيد
هم الذين امنوا وكانوا يتقون ولن يقبل الايمان الا بالتقوى
وقال قوم هم المتحابون في الله ويدل على ذلك ما روي عن عمر
ابن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من
عباد الله لاناسا ما هم بانبيا ولا شهدا يغبطهم الانبيا والشهدا
يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم قال
هم قوم تحابوا بروح الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها
فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور لا يخافون اذا خاف الناس
ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرى هذه الاية الا ان اولياء الله
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اخرجه ابو داود م عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى
يوم القيمة اين المتحابون بجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا
ظلي اخرجه مسلم عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى المتحابون بجلالي لهم منابر
من نور يغبطهم النبيون والشهدا اخرجه الترمذي وروى
البغوي بسنده عن ابي مالك الاشعري قال كنت عند النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ان لله عبادا ليسوا بانبيا ولا شهدا
يغبطهم النبيون والشهدا بقربهم ومقعدهم من الله يوم
القيمة قال وفي ناحية القوم اعرابي فجثى على ركبتيه ورمى
بيديه ثم قال حدثنا يا رسول الله عنهم من هم قال فرايت في
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم البشر فقال هم عباد من
عباد الله ومن بلدان شتى وقبايل شتى لم يكن بينهم ارحام يتواصلون
بها ولا دنيا يتبادلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم
نورا ويجعل لهم منابر من لولو قدام الرحمن يفزع الناس ولا يفزعون
ويخاف الناس ولا يخافون ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال قال الله تعالى ان اوليايي من عبادي الذين يذكرون بذكري

واذكر

واذكر بذكرهم هكذا ذكره البغوي بغير سند وروى الطبري بسنده
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من
عباد الله عبادا يغبطهم الانبيا والشهدا قيل من هم يا رسول الله
لعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله من غير اموال ولا انساب
وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا
يحزنون اذا حزن الناس ثم قرا الا ان اوليا الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون الغبطة نوع من الحسد الا ان الحسد مذموم و
والغبطة محمودة والفرق بين الحسد والغبطة ان الحاسد يتمنى
زوال ما على المحسود من النعمة ونحوها والغبطة هي ان يتمنى
الغابط مثل تلك النعمة التي هي على المغبوط من غير زوال عنه
قال ابو بكر الاصم اوليا الله هم الذين تولى الله هدايتهم وتولوا
القيام بحق العبودية لله والدعوة اليه واصل الولي من الولا
وهو القرب والنصرة فولي الله هو الذي يتقرب الى الله بكل ما
افترض عليه ويكون مشتغلا بالله مستغرق القلب في نور معرفة
جلال الله فان راى راى دلايل قدرة الله وان سمع سمع ايات
الله وان نطق نطق بالثنا على الله وان تحرك تحرك في طاعة الله وان
اجتهد اجتهد فيما يقربه الى الله لا يفتر عن ذكر الله ولا يرى قلبه
غير الله فهذه صفة اوليا الله واذا كان العبد كذلك كان الله
وليه وناصره ومعينه قال الله تعالى الله ولي الذين امنوا وقال
المتكلمون ولي الله من كان آتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على
الدليل ويكون آتيا بالاعمال الصالحة على وفق ما وردت به
الشريعة واليه الاشارة بقوله الذين امنوا وكانوا يتقون وهو
ان الايمان مبني على جميع الاعتقاد والعمل ومقام التقوى هو
ان يتقي العبد كل ما نهى الله عنه • وقوله تعالى لا خوف عليهم
يعني في الاخرة اذا خاف غيرهم ولا هم يحزنون يعني على شي
فاتهم من نعيم الدنيا ولذاتها • قال بعض المحققين زوال
الخوف والحزن منهم انما يحصل لهم في الاخرة لان الدنيا لا تخلو من
هم وغم وانكاد وحزن • قال بعض العارفين ان الولاية عبارة
عن القرب من الله ودوام الاشتغال بالله واذا كان العبد
بهذه الحالة فلا يخاف من شي ولا يحزن على شي لان مقام الولاية
والمعرفة منعه من ان يخاف او يحزن • واما قوله الذين
امنوا وكانوا يتقون فقد تقدم تفسيره وانه صفة لاوليا الله
وقوله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة اختلفوا في

هذه البشرى نزوي عن عبادة بن الصامت قال سالت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا
وفي الاخرة قال هي الرؤيا الصالحة يراها المومن او ترى له
اخرجه الترمذي • وله عن رجل من اهل مصر قال سالت ابا
الدرداء عن هذه الاية لهم البشرى في الحياة الدنيا قال ما سالني
عنها احد منذ سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها قال
ما سالني عنها احد غيرك منذ انزلت هي الرؤيا الصالحة
يراها المسلم او ترى له • قال الترمذي حديث حسن خ عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يبق بعدي من
النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة
ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا
اقترب الزمان لم تكد رويا المومن تكذب ورؤيا المومن جزء
من ستة واربعين جزا من النبوة لفظ البخاري • ولمسلم اذا
اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب واصدقكم رؤيا
اصدقكم حديثا ورويا المسلم جزء من خمسة واربعين جزا
من النبوة الرؤيا ثلاث فالرويا الصالحة بشرى من الله ورويا
تحزين من الشيطان ورؤيا مما يحدث المرء نفسه • قال بعض
العلما ووجه هذا القول هو انا اذا حملنا قولهم البشرى على
الرويا الصالحة الصادقة فظاهر هذا النص يقتضي ان لا تحصل
هذه الحالة الا لهم وذلك لان ولي الله هو الذي يكون مستغرق
القلب والروح بذكر الله عز وجل ومن كان كذلك فانه عند
النوم لا يبقى في قلبه غير ذكر الله ومعرفته ومن المعلوم ان معرفة
الله في القلب لا يفيد الا الحق والصدق فاذا راى الولي رويا او
رويت له كانت تلك الرويا بشرى من الله عز وجل لهذا الولي
قال الخطابي في هذه الاحاديث توكيد لامر الرويا وتحقيق منزلتها
وانما كانت جزا من اجزا النبوة في حق الانبيا دون غيرهم وكان
الانبيا عليهم السلام يوحى اليهم في اليقظة • قال الخطابي قال
بعض العلما معنى الحديث ان الرويا تاتي على موافقة النبوة لا
انها جزا من النبوة قال الخطابي وغيره في معنى قوله الرويا جزء
من ستة واربعين جزا من النبوة اقام النبي صلى الله عليه وسلم
في النبوة ثلاثا وعشرين سنة على الصحيح وكان قبل ذلك ستة
اشهر يرى في المنام الوحي فهي جزء من ستة واربعين جزا • وقيل
ان المنام لعله ان يكون فيه اخبار بغيب وهو احدى ثمرات النبوة

وهو ليس في جنب النبوة لانه لا يجوز ان يبعث الله بعد محمد صلى
الله عليه وسلم نبيا يشرع الشرايع ويبين الاحكام ولا يخبر بغيب
ابدا فاذا وقع لاحد في المنام الاخبار بغيب يكون هذا القدر
جزاء من النبوة لا انه نبي واذا وقع ذلك لاحد في المنام يكون صدقا
والله اعلم • وقيل في تفسير الاية ان المراد بالبشرى في الحياة الدنيا
هي الثنا الحسن وفي الاخرة الجنة ويدل على ذلك ما روي عن ابي
ذر قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارايت الرجل يعمل
العمل من الخير ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المومن
اخرجه مسلم قال الشيخ محيي الدين النواوي قال العلما معنى
هذه البشرى المعجلة له بالخير وهي دليل للبشرى المؤخرة في الاخرة
بقوله بشراكم اليوم جنات وهذه البشرى المعجلة دليل على رضى الله
عنه ومحبته له وتحبيبه الى الخلق كما قال ثم يوضع له القبول في
الارض هذا كله اذا احمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم والا
فالتعرض مذموم • قال بعض المحققين اذا اشتغل العبد بالله
عز وجل استنار قلبه وامتلا نورا فيفيض من ذلك النور الذي
في قلبه على وجهه فتظهر عليه اثار الخشوع والخضوع فيحبه
الناس ويثنون عليه فتلك عاجل بشراه بمحبة الله له ورضوانه
عليه وقال الزهري وقتادة في تفسير البشرى هي نزول الملايكة
بالبشارة من الله عند الموت ويدل عليه قوله تتنزل عليهم الملايكة
الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون • وقال
عطا عن ابن عباس البشرى في الدنيا عند الموت تاتيهم الملايكة
بالبشارة وفي الاخرة عند خروج نفس المومن يعرج بها الى الله تعالى
ويبشروه برضوان الله تعالى • قال الحسن هي ما بشر الله به المومنين
في كتابه من جنته وكريم ثوابه ويدل عليه قوله لا تبديل لكلمات
الله يعني لا خلف لوعد الله الذي وعد اولياه واهل طاعته في
كتابه وعلى السنة رسله ولا تغيير لذلك الوعد ذلك هو الفوز
العظيم يعني ما وعدهم به في الاخرة ولا يحزنك قولهم يقول الله
لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك يا محمد قول هولا المشركين
لك ولا يغمك تخويفهم اياك ان العزة لله جميعا يعني ان القهر
والغلبة والقدرة لله جميعا هو المنفرد بها دون غيره وهو ناصرك
عليهم والمنتقم منهم • قال سعيد بن المسيب ان العزة لله جميعا فيعز
من يشا وهذا كما قال تعالى في اية اخرى ولله العزة ولرسوله وللمومنين
ولا منافاة بين الايتين فان عزة الرسول صلى الله عليه وسلم وعزة

المومنين باعزاز الله اياهم فثبت بذلك ان العزة لله جميعا وهو
الذي يعز من يشا ويذل من يشاء • وقيل ان المشركين كانوا يعتزون
بكثرة اموالهم واولادهم وعبيدهم فاخبر الله ان جميع ذلك لله وفي
ملكه فهو قادر على ان يسلبهم جميع ذلك ويذلهم بعد العز هو
السميع يعني لاقوالكم ودعايكم العليم يعني بجميع احوالكم لا يخفى
عليه خافية قوله تعالى الا ان لله من في السموات ومن في الارض
الا كلمة تنبيه معناه انه لا ملك لاحد في السموات ولا في الارض
الا لله عز وجل فهو يملك من في السموات ومن في الارض فان
قلت قال تعالى في الاية التي قبل هذه الا ان لله ما في
السموات بلفظة ما وقال في هذه الاية بلفظة من فما فايدة
ذلك قلت ان لفظة ما تدل على من لا يعقل ولفظة من
تدل على من يعقل فمجموع الايتين تدل على ان الله عز وجل يملك
جميع شي في السموات وفي الارض من العقلا وغيرهم وهم عبيده
وفي ملكه • وقيل ان لفظة من لمن يعقل فيكون المراد بمن في السموات
الملايكة العقلا ومن في الارض الانس والجن وهم العقلا ايضا
وانما خصهم بالذكر لشرفهم واذا كان هولا العقلا المميزون في ملكه
وتحت قدرته فالجمادات بطريق الاولى ان يكونوا ملكه اذا ثبت
هذا فتكون الاصنام التي يعبدها المشركون ايضا في ملكه وتحت
قبضته وقدرته ويكون ذلك قدحا في جعل الاصنام شريكا لله ٥
معبودة دون الله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء
لفظة ما استفهامية معناه واي شي يتبع الذين يدعون من دون
الله شركا والمقصود تقبيح فعلهم يعني انهم ليسوا على شي لانهم
يعبدونها على انها شركا الله يشفعون لهم وليس الامر على ما
يظنون وهو قوله تعالى ان يتبعون الا الظن يعني ان فعلهم ذلك
ظنا منهم انها تشفع لهم وانها تقربهم الى الله وذلك ظنا منهم لا
حقيقة له وان هم الا يخرصون يعني انهم يكذبون في دعواهم ذلك
قوله عز وجل هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار
مبصرا يعني هو الله ربكم الذي خلق لكم الليل راحة لتسكنوا فيه
وليزول التعب والكلال بالسكون فيه واصل السكون الثبوت بعد
الحركة والنهار مبصرا يعني وجعل النهار مضيا لتهتدوا فيه لحوايجكم
واسباب معايشكم اضاف الابصار الى النهار وانما يبصر فيه وليس
النهار مما يبصر ولكن لما كان مفهوما في كلام العرب معناه خاطبهم
بلغتهم وما يفهمونه قال جرير •

لقد

• لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى • ونمت وما ليلي المطي بنايم •
فاضاف النوم الى الليل ووصفه به وانما عنى نفسه وانه لم يكن نايما
هو ولا بعيره وهذا من باب نقل الاسم من المسبب الى السبب
قال قطرب تقول العرب اظلم الليل وابصر النهار بمعنى صار ذا
ظلمة وذا ضيا ان في ذلك لايات لقوم يسمعون يعني يسمعون
سمع اعتبار وتدبر فيعلمون بذلك ان الذي خلق هذه الاشيا كلها
هو الاله المعبود المنفرد بالوحدانية في الوجود قالوا يعني
المشركين اتخذ الله ولدا يعني به قولهم الملايكة بنات الله سبحانه
نزه الله نفسه عن اتخاذ الولد هو الغني يعني انه تعالى هو الغني
عن جميع خلقه فكيف يليق بجلاله اتخاذ الولد وانما يتخذ الولد
من هو محتاج اليه والله هو الغني المطلق وجميع الاشيا محتاجة
اليه وهو غني عنها له ما في السموات وما في الارض يعني انه
مالك ما في السموات وما في الارض وكلهم عبيده وفي قبضته وتصرفه
وهو محدثه وخالقه ولما نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد عطف
على من قال ذلك بالانكار والتوبيخ والتقريع فقال تعالى ان عندكم
من سلطان بهذا يعني انه لا حجة عندكم على هذا القول البتة ثم
بالغ في الانكار عليهم بقوله اتقولون على الله ما لا تعلمون يعني
اتقولون على الله قولا لا تعلمون حقيقته وصحته وتضيفون اليه
ما لا يجوز اضافته اليه جهلا منكم بما تقولون بغير حجة ولا برهان قل
ان الذين يفترون على الله الكذب اي قل يا محمد لهولا الذين
يختلقون على الله الكذب فيقولون عليه الباطل ويزعمون ان له
ولدا لا يفلحون يعني لا يسعدون وان اغتروا بطول السلامة
والبقا في النعمة والمعنى ان قايل هذا القول لا ينجح في سعيه
ولا يفوز بمطلوبه بل خاب وخسر قال الزجاج هذا وقف تام يعني
على قوله لا يفلحون ثم ابتدا فقال تعالى متاع في الدنيا وفيه اضمار
تقديره لهم متاع في الدنيا يتمتعون به مدة اعمارهم وانقضا اجالهم
في الدنيا وهي ايام يسيرة بالنسبة الى طول مقامهم في العذاب وهو قوله
تعالى ثم الينا مرجعهم يعني بعد الموت ثم نذيقهم العذاب الشديد
بما كانوا يكفرون يعني ذلك العذاب بسبب ما كانوا يجحدون في
الدنيا نعمة الله عليهم ويصفونه بما لا يليق بجلاله قوله تعالى واتل
عليهم نبا نوح لما ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة احوال
كفار قريش وما كانوا عليه من الكفر والعناد شرع بعد ذلك في بيان
قصص الانبيا وما جرى لهم مع اممهم ليكون في ذلك لرسول الله صلى

الله عليه وسلم اسوة بمن سلف من الامم الانبيا وتسلية له ليخف عليه ما
يلقى من اذى قومه وان الكفار من قومه اذا سمعوا هذه القصص وما جرى
لكفار الامم الماضية من العذاب والهلاك في الدنيا كان ذلك سببا
لخوف قلوبهم وداعيا لهم الى الايمان ولما كان قوم نوح اول الامم هلاكا
واعظم كفرا وجحودا فذكر الله قصتهم وانه اهلكهم بالغرق ليصير ذلك
موعظة وعبرة لكفار قريش فقال تعالى **واتل عليهم نبا نوح** يعني
واقرا على قومك يا محمد خبر نوح **اذ قال لقومه يا قوم** وهم بنو قابيل
ان كان كبر يعني ثقل **عليكم مقامي** يعني فيكم **وتذكيري بايات الله**
يعني ووعظي اياكم بايات الله وقيل معناه ان كان كثر وشق عليكم طول
مقامي فيكم وذلك انه عليه السلام اقام فيهم الف سنة الا خمسين عاما
يدعوهم الى الله تعالى ويذكرهم بايات الله وهو قوله وتذكيري بايات
الله يعني ووعظي بايات الله وحججه وبيناته فعزمتم على طردي وقتلي
فعلى الله توكلت يعني هو حسبي وثقتي **فاجمعوا امركم** يعني
فاحكموا امركم واعزموا عليه قال الفرا الاجماع الاعداد والعزيمة
على الامر قال ابن الانباري المراد من الامر هنا وجوه كيدهم ومكرهم
فالتقدير لا تدعوا من امركم شيا الا احضرتموه **وشركاكم** يعني وادعوا
شركاكم يعني الهتكم فاستعينوا بها لتجتمع معكم وتعينكم على مطلوبكم
وانما حثهم على الاستعانة بالاصنام بنا على مذهبهم واعتقادهم على انها
تضر وتنفع مع اعتقاده انها جماد لا تضر ولا تنفع فهو كالتبكيت والتوبيخ
لهم **ثم لا يكن امركم عليكم غمة** يعني لا يكن امركم خفيا مبهما ولكن ليكن
امركم ظاهرا منكشفا من قولهم غم الهلال فهو مغموم اذا خفي والتبس
على الناس **ثم اقضوا الي** ثم امضوا الى بما في انفسكم من مكروه
وما توعدوني به من قتل وطرد وافرغوا منه تقول العرب قضى فلان
اذا مات ومضى وقيل معناه ثم افتوا ما انتم قاضون **ولا تنظرون**
اي ولا تؤخرون ولا تمهلون بعد اعلامكم اياي ما انتم عليه وهذا الكلام
من نوح عليه السلام على سبيل التعجيز لهم اخبر الله عز وجل عن
نوح انه كان قد بلغ الغاية في التوكل على الله وانه كان واثقا بنصره
اياه غير خايف علما منه بانهم والهتهم ليس لهم نفع ولا ضر وان مكرهم
لا يصل اليه **فان توليتم** يعني اعرضتم عن قولي وقبول نصحي **فما سالتكم
من اجر** يعني من جعل وعوض على تبليغ الرسالة فاذا لم ياخذ على
تبليغ الدعوة الى الله شيا كان اقوى تاثيرا في النفس **ان اجري الا على
الله** اي ما ثوابي وجزاي على تبليغ الرسالة الا على الله **وامرت
ان اكون من المسلمين** يعني اني امرت بدين الاسلام وانا ماض فيه

غير

غير تارك له سوا قبلتموه او لم تقبلوه وقيل معناه وامرت ان اكون
من المستسلمين لامر الله ولكل مكروه يصل الى منكم لاجل هذه الدعوة
فكذبوه يعني فكذبوا نوحا عليه السلام **فنجيناه ومن معه في الفلك**
يعني السفينة **وجعلناهم خلايف** يعني وجعلنا الذين نجينا هم
معه في الفلك سكان الارض بعد الهالكين **واغرقنا الذين كذبوا
باياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين** اي فانظر يا محمد او يا ايها
الانسان كيف كان اخر من انذرتهم الرسل فلم يومنوا ولم يقبلوا ذلك
ثم بعثنا من بعده يعني من بعد نوح **رسلا الى قومهم** لم يسم هنا من
كان بعد نوح من الرسل وقد كان من بعد نوح هود وصالح وغيرهما
من الرسل **فجاوهم بالبينات** يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات
الباهرات التي تدل على صدقهم **فما كانوا ليومنوا بما كذبوا به من
قبل** يعني ان هولا الاقوام والامم التي جاتهم رسلهم جروا على منهاج
قوم نوح في التكذيب ولم يزجرهم ما جاتهم به الرسل ولم يرجعوا عما
هم فيه من الكفر والتكذيب **كذلك نطبع على قلوب المعتدين** يعني
كمثل اغراقنا قوم نوح بسبب تكذيبهم نوحا كذلك نختم على قلوب
من اعتدى وسلك سبيلهم في التكذيب **قوله عز وجل ثم بعثنا
من بعدهم** يعني من بعد الرسل **موسى وهارون الى فرعون وملايه**
يعني اشراف قومه **باياتنا فاستكبروا** يعني عن الايمان بما جا به موسى
وهارون **وكانوا قوما مجرمين** اي مستكسبين للاثم **فلما جاهم الحق من
عندنا** يعني فلما جا فرعون وقومه الحق الذي جا به موسى من عند
الله **قالوا ان هذا لسحر مبين** يعني ان الذي جا به موسى سحر مبين
يعرفه كل احد **قال موسى اتقولون للحق لما جاكم اسحر هذا** فيه حذف
تقديره اتقولون للحق لما جاكم هو سحر هذا فحذف السحر الاول اكتفا
بدلالة الكلام عليه ثم قال اسحر هذا وهو استفهام على سبيل الانكار
يعني انه ليس بسحر ثم احتج على صحة قوله فقال تعالى **ولا يفلح الساحرون**
يعني حاصل السحر تمويه وتخيل وصاحب ذلك لا يفلح ابدا **قالوا** يعني
قال قوم فرعون لموسى **اجيتنا لتلفتنا** يعني لتصرفنا وتلوينا **عما
وجدنا عليه اباءنا** يعني من الدين **وتكون لكما الكبرياء** يعني الملك
والسلطنة **في الارض** يعني ارض مصر والخطاب لموسى وهارون قال
الزجاج سمي الملك كبريا لانه اكبر ما يطلب من امر الدنيا **وما نحن لكما
بمومنين** يعني بمصدقين **وقال فرعون ايتوني بكل ساحر عليم**
يعني ان فرعون اراد ان يعارض معجزة موسى عليه الصلاة والسلام
بانواع من التلبيس ليظهر ان ما اتى به موسى سحر **فلما جا السحرة قال**

لهم موسى القوا ما انتم ملقون انما امرهم موسى بالقا ما معهم من
الحبال والعصى التي فيها سحرهم ليظهر الحق ويبطل الباطل ويتبين ان
ما اتوا به فاسد فلما القوا يعني ما معهم من الحبال والعصى قال
موسى ما جيتم به السحر يعني ان الذي جيتم به هو السحر الباطل وهذا
على سبيل التوبيخ لهم ان الله سيبطله يعني يهلكه ويظهر فضيحة ه
صاحبه ان الله لا يصلح عمل المفسدين يعني لا يقويه ولا يكمله ولا يحسنه
ويحق الله الحق يعني ويظهر الله الحق ويقويه ويعليه بكلماته يعني
بوعده الصادق لموسى انه يظهره وقيل بما سبق في قضايه وقدره لموسى
انه يغلب السحرة ولو كره المجرمون قوله تعالى فما امن لموسى الا ذرية
من قومه لما ذكر الله عز وجل ما اتى به من المعجزات العظيمة الباهرة
اخبر الله تعالى انه مع مشاهدته هذه المعجزات ما امن لموسى الا ذرية
من قومه وانما ذكر الله هذا التسلية لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لانه
كثيرا لاهتمام بايمان قومه وكان يغتم بسبب اعراضهم عن الايمان به ه
واستمرارهم على الكفر والتكذيب فبين الله تعالى ان له اسوة بالانبيا عليهم
الصلاة والسلام لان الذي جا به موسى عليه السلام من المعجزات كان
امرا عظيما ومع ذلك فما امن لموسى الا ذرية من قومه والذرية اسم
يقع على القليل من القوم قال ابن عباس الذرية القليل وقيل المراد
به التصغير وقلة العدد واختلفوا في هاء الكناية في قومه فقيل انها
راجعة الى موسى واراد بهم قوم موسى وهم بنوا اسرايل الذين كانوا
معه بمصر من اولاد يعقوب • قال مجاهد اولاد يعقوب الذى ارسل
اليهم موسى من بني اسرايل اهلك الابا وبقي الابنا • وقيل هم قوم نجوا
من قتل فرعون وذلك ان فرعون لما امر بقتل ابنا بني اسرايل كانت
المراة من بني اسرايل اذا ولدت ولدا وهبته لقبطية خوفا عليه من القتل
فنشاوا بين القبطية فلما كان اليوم الذي غلب فيه موسى السحرة
امنوا به وقال ابن عباس ذرية من قومه يعني من بني اسرايل وقيل الها
راجعة الى فرعون يعني الا ذرية من قوم فرعون • وروي عطية عن ابن
عباس قال هم ناس يسير من قوم فرعون امنوا منهم امرات فرعون ومومن
ال فرعون وخازنه وامرات خازنه وماشطته قال الفرا سموا ذرية
لان اباهم كانوا من القبط من ال فرعون وامهاتهم من بني اسرايل وكان
الرجل يتبع امه واخواله في الايمان وذلك كما يقال لاولاد فارس الذين
دخلوا الى اليمن الابنا لان امهاتهم من غير جنس الابا على خوف من فرعون
وملايهم الملا الاشراف فعلى هذا يكون معنى الاية على خوف من فرعون
ومن اشرافهم وهم ملا الذرية لانه كان اباوهم من القبط وامهاتهم من

قبل

قبل بني اسرايل وقيل اراد بالملا ملا فرعون وانما قال وملايهم بالجمع
وفرعون واحد على سبيل التفخيم له ان يفتنهم اي يصرفهم ويبعدهم
عن الايمان وانما قال ان يفتنهم ولم يقل ان يفتنوهم لان قوم فرعون
كانوا على مراده وتابعين لامره وان فرعون لعال في الارض يعني
لغالب قاهر متكبر فيها وانه لمن المسرفين يعني لغالب قاهر متكبر
فيها وانه لمن المسرفين يعني من المجاوزين الحد لانه كان عبدا فادعى
الربوبية وكان كثير القتل والتعذيب لبني اسرايل وقال موسى
يعني لقومه يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا يعني فبه ثقوا
ولامره فسلموا فانه ناصر اوليايه ومهلك اعدايه ان كنتم مسلمين
يعني ان كنتم مستسلمين لامره وقيل انما عيد قوله ان كنتم مسلمين بعد
قوله ان كنتم امنتم بالله يعني ان كنتم موصوفين بالايمان القلبي ه
وبالاسلام الظاهر ودلت الاية على ان التوكل على الله والتفويض
لامره من كمال الايمان وان من كان يومن بالله فلا يتوكل الا على الله
لا على غيره فقالوا يعني قال قوم موسى مجيبين له على الله توكلنا
يعني عليه اعتمدنا لا على غيره ثم دعوا ربهم فقالوا ربنا لا تجعلنا
فتنة للقوم الظالمين يعني لا تظهرهم علينا ولا تهلكنا بذنوبهم
فيظنوا انا لم نكن على الحق فيزدادوا طغيانا وكفرا وقال مجاهد
لا تعذبنا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق
لما عذبوا ويظنوا انهم خير منا فيفتتنوا بذلك • وقيل معناه لا
تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين يعني
وخلصنا برحمتك من ايدي قوم فرعون الكافرين لانهم كانوا يستعبدو
ويستعملونهم في الاعمال الشاقة **قوله عز وجل** واوحينا الى
موسى واخيه ان تبوا لقومكما بمصر بيوتا يعني اتخذوا لقومكما بيوتا
للصلاة فيها يقال تبوا فلان لنفسه بيتا اذا اتخذه مباءة اي
وطنا والمعنى اجعلا بمصر لقومكما بيوتا ترجعون اليها للصلاة والعبادة
قوله تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة اختلف اهل التفسير في معنى هذه
الاية البيوت والقبلة فمنهم من قال اراد بالبيوت المساجد التي
يصلى فيها وفسروا القبلة بالجانب الذي يستقبل في الصلاة فعلى
هذا يكون معنى الكلام واجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها لاجل
الصلاة وقيل معناه اجعلوا بيوتكم الى القبلة واختلفوا في هذه
القبلة وظاهر القران لا يدل على تعيينها الا انه قد نقل عن ابن
عباس انه قال كانت الكعبة قبلة لموسى وهارون وهو قول مجاهد
ايضا قال ابن عباس قالت بنوا اسرايل لموسى لا نستطيع ان نظهر

نهم •

صلا تتابع الفراعنة فاذن الله لهم ان يصلوا في بيوتهم وان يجعلوا
بيوتهم قبلة وقيل كانت القبلة على جهة بيت المقدس وقيل اراد مطلق
البيوت وعلى هذا يكون معنى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة اي متقابلة
يعني متقابل بعضها بعضا • وقيل معناه واجعلوا في بيوتكم قبلة
تصلون اليها **فان قلت** انه تعالى قد خص موسى وهارون
بالخطاب في اول الاية بقوله واوحينا الى موسى واخيه ان تبوا
لقومكما بمصر بيوتا ثم انه عم هذا الخطاب فقال واجعلوا بيوتكم
قبلة فما السبب فيه **قلت** انه تعالى امر موسى بهذا الخطاب
وهارون بان يتبوا لقومهما بيوتا للعبادة وذلك مما يختص به
الانبيا فخصا بالخطاب لذلك ثم لما كانت العبادة عامة تجب
على الكافة عم بالخطاب الجميع فقال واجعلوا بيوتكم قبلة **واقيموا
الصلاة** يعني في بيوتكم وذلك حين خاف موسى ومن آمن معه
من بني اسرايل من فرعون وقومه اذا صلوا في الكنايس والبيع
الجامعة يوذوهم فامرهم الله ان يصلوا في بيوتهم خفية من فرعون
وقومه وقيل كانت بنوا اسرايل لا يصلون الا في الكنايس الجامعة
وكانت ظاهرة فلما ارسل موسى امر فرعون بتلك بتخريب الكنايس
ومنعهم من الصلاة فيها فامروا ان يتخذوا في بيوتهم مساجد يصلوا
فيها خوفا من فرعون • وقيل ان الله لما ارسل موسى وهارون
واظهرهما على فرعون امرهما باتخاذ المساجد ظاهرة على رغم الاعدا
وتكفل لهم بصونهم من شرهم وهو قوله تعالى واقيموا الصلاة
وبشر المومنين يعني انهم لا يصلون اليهم بمكروه قوله تعالى **وقال
موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا في الحياة الدنيا**
لما اتى موسى عليه السلام بالمعجزات الباهرات وراي القوم مصرون
على الكفر والعناد والانكار لما جاء به اخذ في الدعا عليهم ومن حق
ان يدعوا على الغير ان يذكر اولا السبب اقدامهم على الجرايم التي
كانت بسبب اصراره على ما يوجب الدعا عليه ولما كان سبب كفرهم
وعنادهم هو حب الدنيا وزينتها لا جرم ان موسى لما اخذ في الدعا
قدم هذه المقدمة فقال ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة
واموالا في الحياة الدنيا والزينة عبارة عن ما يتزين به كاللباس
والدواب والغلمان واثاث البيت الفاخر والاشياء الجميلة والمال
ما زاد على هذه الاشيا من الصامت ونحوه ثم قال **ربنا ليضلوا
عن سبيلك** اختلفوا في هذه اللام فقال هي لام كي فعلى هذا
يكون المعنى ربنا انك جعلت هذه الاموال سببا لضلالتهم

لانهم بطروا وطغوا في الارض واستكبروا عن الايمان وقال الاخفش
انما هي لما يول اليه الامر والمعنى انك اتيت فرعون وملاه زينة
فضلوا فعلى هذا هي لام العاقبة يعني فكان عاقبتهم الضلال
وقال ابن الانباري هي لام الدعا وهي لام مكسورة تجزم المستقبل
ويفتتح بها الكلام فيكون المعنى ربنا انك ابتليتهم بالضلال
عن سبيلك **ربنا اطمس على اموالهم** الطمس ازالة اثر الشي
بالمحو ومعنى اطمس على اموالهم ازل صورها او هيايتها وقال
مجاهد اهلكها وقال اكثر المفسرين وغيرها عن هيايتها قال
قتادة بلغنا ان اموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم صارت
حجارة وقال محمد بن كعب القرظي صار سكرهم حجارة وكان الرجل
مع اهله في فراشه فصارا حجرين والمراة قايمة تخبز صارت حجرا
وهذا فيه ضعف لان موسى عليه السلام دعى على اموالهم ولم يدع
على انفسهم بالمسخ • قال ابن عباس بلغنا ان الدراهم والدنانير
صارت حجارة منقوشة هيايتها صحاحا وانصافا واثلاثا • وقيل
ان عمر بن عبد العزيز دعى بخريطة فيها شي من بقايا ال فرعون
فاخرج منها البيضة مشقوقة وهي حجارة والجوزة مشقوقة وهي
حجارة وقال السدي مسخ الله اموالهم حجارة النخل والثمار والدقيق
والاطعمة وهذا الطمس هو احد الايات التسع التي اوتيها موسى
عليه السلام **واشدد على قلوبهم** يعني اربط على قلوبهم واطبع
عليها وقسها حتى لا تلين ولا تنشرح للايمان ومعنى الشد على
القلوب استيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان • قال الواحدي
وهذا دليل على ان الله يفعل ذلك لمن يشا ولولا ذلك لما اخبر
موسى عليه السلام عن هذا السوال **فلا يومنوا حتى يروا العذاب
الاليم** يعني الغرق قاله ابن عباس وقال ابن عباس في رواية اخرى
عنه قال موسى قبل ان ياتي فرعون ربنا اشدد على قلوبهم فلا
يومنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله له فحال بين فرعون
وبين الايمان حتى ادركه الغرق فلم ينفعه الايمان • قال بعض
العلما انما دعى موسى عليهم بهذا الدعا لما علم ان سابق قضا الله
وقدره فيهم انهم لا يومنون وذلك ان الله كتب عليهم في الازل انهم
لا يومنون فوافق دعا موسى ما قدره وقضى عليهم قال الله عز وجل
لموسى وهارون عليهما السلام **قال قد اجيبت دعوتكما** انما نسب
الدعا اليهما وان الداعي هو موسى وحده لان هارون كان يومن
والتامين دعا لانه طلب وسوال ايضا ومعناه اللهم استجب فصار

ذلك شريك موسى في الدعا فلذلك قال قد اجيبت دعوتكما **فاستقيما** يعني على تبليغ الرسالة وامضيا لا تريبا الى ان ياتيهم العذاب **ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون** يعني ولا تسلكان طريق الذين يجهلون حقيقة وعدي فان وعدي لا خلف فيه ووعيدي نازل بفرعون وقومه فلا تستعجلا قيل كان بين دعا موسى عليه السلام وبين الاجابة اربعين سنة • قال الامام فخر الدين واعلم ان هذا النهي لا يدل على ان ذلك قد صدر من موسى وهارون كما ان قوله لين اشركت ليحبطن عملك لا يدل على صدور الشرك منه **قوله عز وجل** **وجاوزنا ببني اسرائيل البحر** اي وقطعنا ببني اسرائيل البحر وعبرنا بهم اياه حتى جاوزوه وعبروه **فاتبعهم فرعون وجنوده** يعني لحقهم وادركهم **بغيا وعدوا** اي ظلما وعدوانا • وقيل البغي طلب الاستعلا بغير الحق والعدوان الظلم • وقيل بغيا في القول وعدوا في الفعل • قال اهل التفسير اجتمع يعقوب وبنوه الى يوسف وهم اثنان وسبعون وخرجوا مع موسى من مصر وهم ستمائة الف وذلك لما اجاب الله دعا موسى وهارون امرهما بالخروج ببني اسرائيل من مصر في الوقت الذي امره ان يخرج فيه ويسر لهم اسباب الخروج وكان فرعون غافلا عنهم فلما سمع بخروجهم من مملكته ومفارقتهم خرج بجنوده في طلبهم فلما ادركهم فرعون قالوا لموسى اين المخلص والمخرج البحر امامنا وفرعون من ورائنا وقد كنا نلتقي من فرعون البلا العظيم فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وكشف الله عز وجل عن وجه الارض وايبس لهم البحر فلحقهم فرعون وكان على حصان ادهم وكان معه في عسكره ثمانية الف حصان على لونه حصانه سوى ساير الالوان وكان يقدمهم جبريل وكان على فرس انثى وديقا وميكايل يسوقهم حتى لا يشذ منهم احد فلما خرج اخر بني اسرائيل من البحر دنا جبريل بفرسه فلما وجد الحصان ريح الانثى لم يملك فرعون من امره شيا فنزل البحر وتبعه جنوده حتى اذا اكتملوا جميعا في البحر وهم اولهم بالخروج التطم البحر عليهم فلما ادرك فرعون الغرق اتى بكلمة الاخلاص ظنا منه انه ينجيه من الهلاك وهو قوله تعالى **حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين** قال ابن عباس لم يقبل الله ايمانه عند نزول العذاب وقد كان في مهل قال العلما ايمانه غير مقبول وذلك ان الايمان والتوبة عند معاينة الملايكة والعذاب غير مقبولة ويدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقيل انه قال هذه الكلمة ليتوصل بها الى دفع ما نزل

به

به من البلية الحاضرة ولم يكن قصده بها الاقرار بوحدانية الله تعالى والاعتراف له بالربوبية لاجرم لم ينفعه ما قال في ذلك الوقت • وقيل ان فرعون كان من الدهرية المنكرين لوجود الصانع الخالق سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فلهذا قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرائيل فلم ينفعه ذلك لحصول الشك في ايمانه ولما رجع فرعون الى الايمان والتوبة حين اغلق بابها بحضور الموت ومعاينة الملايكة قيل له **الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين** يعني الان تتوب وقد اضعت التوبة في وقتها واثرت دنياك الفانية على اخرتك الباقية والمخاطب لفرعون بهذا هو جبريل عليه السلام وقيل انها الملايكة • وقيل ان القايل هو الله تعالى عرّف فرعون قبح صنعه وما كان عليه من الفساد في الارض ويدل على هذا القول قوله **فاليوم ننجيك ببدنك** والقول الاول اشهر ويعضد هذا القول ما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما اغرق الله فرعون وجنوده قال فرعون امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرائيل قال جبريل يا محمد فلو رايتني وانا اخذ من حال البحر فاسده في فيه مخافة ان تدركه الرحمة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن • وفي رواية اخرى عنه عن عدي بن ثابت وعطا بن السايب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس ذكر احدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر ان جبريل جعل يدس في في فرعون الطين مخافة ان يقول لا اله الا الله فيرحمه الله او خشية ان يرحمه الله اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

فصل في الكلام على هذا الحديث

لانه في الظاهر مشكل فيحتاج الى بيان وايضاح فنقول قد ورد هذا الحديث على طريقين مختلفين عن ابن عباس ففي الطريق الاول عن ابن زيد بن جدعان وان كان قد ضعفه يحيى بن معين وغيره فانه كان شيخا نبيلا صدوقا ولكنه كان سيء الحفظ ويغلط وقد احتمل حديثه وانما يخشى من حديثه ما لم يتابع عليه وخالفه فيه الثقات وكلاهما منتف في هذا الحديث لان في الطريق الاخر شعبة عن عدي ابن ثابت عن سعيد بن جبير وهذا الاسناد على شرط البخاري رواه ايضا شعبة عن عطا بن السايب عن سعيد بن جبير وعطا بن السايب ثقة قد اخرج له مسلم فهو على شرط مسلم وان كان عطا قد تكلم فيه من قبل اختلاطه فانما يخاف منه ما انفرد به او يخالف فيه وكلاهما منتف فيه فقد علم بهذا ان لهذا الحديث اصلا وان رواته ثقات ليس فيهم متهم وان كان فيهم من هو سيء الحفظ فقد تابعه عليه غيره فان قلت

نخه خشية

فذلك

ففي الحديث الثاني شك في رفعه لانه قال فيه وذكر احدهما عن النبي
صلى الله عليه وسلم قلت ليس يشك في رفعه انما هو جزم باحد
الرجلين رفعه وشك شعبة في تعيينه هل هو عطا بن السايب
او عدي بن ثابت وكلاهما ثقة فاذا رفعه احدهما شك في تعيينه
لم يكن هذا علة في تعييبه الحديث **فصل** ووجه اشكال ما اعترض
عليه الامام فخر الدين الرازي في تفسيره فقال ان جبريل اخذ يملا
فمه بالطين ليلا يتوب غضبا عليه **الجواب** الاقرب انه لا
يصح لانه في تلك الحال التكليف هل كان باقيا اولا فان كان باقيا
لم يجز لجبريل ان يمنعه من التوبة بل يجب عليه ان يعينه على التوبة
وان كان التكليف زايلا عن فرعون في ذلك الوقت فحينيذ لا يبقى لهذا
الذي نسب الى جبريل فايدة وايضا لو منعه من التوبة لكان قد
رضي ببقايه على الكفر والرضى بالكفر كفر. وايضا فكيف يليق بجلال
الله ان يامر جبريل ان يمنعه عن الايمان. ولو قيل ان جبريل فعل
ذلك من عند نفسه لا بامر الله فهذا يبطله قول جبريل وما نتنزل
الا بامر ربك فهذا وجه الاشكال الذي اورده الامام على هذا
الحديث في كلام اكثر من هذا. و**الجواب** عن هذا الاعتراض
ان الحديث قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا اعتراض
عليه لاحد واما قول الامام ان التكليف هل كان باقيا في تلك
الحالة اولا فان كان باقيا لم يجز لجبريل ان يمنعه من التوبة فان
هذا القول لا يستقيم على اصل المثبتين للقدر القايلين بخلق
الافعال وان الله يضل من يشا ويهدي من يشا وهو قول اهل السنة
المثبتين للقدر فانهم يقولون ان الله يحول بين الكفار والايمان
ويدل على ذلك قوله تعالى ان الله يحول بين المرء وقلبه وقوله
وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم. وقال تعالى ونقلب
افيدتهم وابصارهم كما لم يومنوا به اول مرة فاخبر الله تعالى انه
قلب افيدتهم على تركهم للايمان به اول مرة وهكذا فعل بفرعون منعه
من الايمان عند الموت جزا على تركه للايمان اولا فدس الطين في فم
فرعون من جنس الختم والطبع على القلب ومنع عن الايمان وصون
الكافر عنه وذلك جزا على كفره السابق وهذا قول طايفة من
المثبتين للقدر القايلين بخلق الافعال لله ومن المنكرين لخلق الافعال
من اعترف ايضا بان الله تعالى يفعل هذا عقوبة للعبد على كفره
السابق فيحسن منه ان يضله ويطبع على قلبه ويمنعه من الايمان
فاما قصة جبريل عليه السلام مع فرعون فانها من هذا الباب

فانه في غاية ما يقال فيه ان الله منع فرعون من الايمان وحال بينه
وبينه عقوبة له على كفره ورده للايمان لما جاه. واما فعل جبريل
من دس الطين في فيه فانما فعل ذلك بامر الله تعالى لا من تلقا نفسه
فاما قول الامام لم يجز لجبريل ان يمنعه من التوبة بل يجب عليه ان
يعينه عليها وعلى كل طاعة هذا اذا كان تكليف جبريل كتكليفنا
ويجب عليه ما يجب علينا واما اذا كان جبريل انما يفعل ما امره الله
تعالى به فهو الذي منع فرعون من الايمان وجبريل منفذ لامر الله
فكيف لا يجوز له منع من منعه الله من التوبة وكيف يجب عليه اعانة
من لم يعنه الله بل قد حكم عليه واخبر عنه انه لا يومن حتى يرى العذاب
الاليم حين لا ينفعه الايمان. وقد يقال ان جبريل اما ان يتصرف
بامر الله فلا يفعل الا ما امر الله به واما ان يفعل ما يشا من تلقا
نفسه لا بامر الله وعلى هذين التقديرين فلا يجب عليه اعانة فرعون
على التوبة ولا يحرم عليه منعه منها لانه انما يجب عليه فعل ما امر به
ويحرم عليه فعل ما نهي عنه والله تعالى لم يخبر انه امره باعانة فرعون
ولا حرم عليه منعه من التوبة وليست الملايكة مكلفين كتكليفنا
وقوله وان كان التكليف زايلا عن فرعون في ذلك الوقت فحينيذ لا
يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل فايدة فجوابه ان يقال ان للناس في
تعليل افعال الله قولان. احدهما ان افعاله لا تعلل وعلى هذا
التقدير فلا يرد هذا السوال اصلا وقد زال الاشكال. والقول
الثاني ان افعاله تعالى لها غاية بحسب المصالح لاجلها فعلها وكذا
اوامره ونواهيه لها غاية محمودة محبوبة لاجلها امر بها ونهى عنها
وعلى هذا التقدير فقد يقال لما قال فرعون امنت انه لا اله الا الذي
امنت به بنوا اسرايل وقد علم جبريل انه ممن حقت عليه كلمة العذاب
وان ايمانه لا ينفعه فدس الطين في فيه لتحقق معاينته للموت
فلا تكون تلك الكلمة نافعة له وانه وان كان قالها في وقت لا ينفعه
فدس الطين في فيه تحقيقا لهذا المنع والفايدة فيه تعجيل ما قد قضي
عليه وسد الباب عنه سدا محكما بحيث لا ينفع ولا يبقى للرحمة فيه
منفذ ولا يبقى من عمره زمن ينفع للايمان فان موسى لما دعا ربه بان
فرعون لا يومن حتى يري العذاب الاليم والايمان عند روية العذاب
غير نافع فاجاب بقول الله دعاه فلما قال فرعون تلك الكلمة
عند معاينة الغرق استعجل جبريل فدس الطين في فيه ليايس من
الحياة ولا ينفعه تلك الكلمة وتحقق اجابة الدعوة التي وعد الله
موسى بقوله قد اجيبت دعوتكما فيكون سعي في تكميل ما سبق في

حكم الله انه يفعله فيكون سعي جبريل في مرضات الله منفذا لما امره
به وقدره وقضاه على فرعون وقوله لو منعه من التوبة لكان قد
رضي ببقايه على الكفر والرضى بالكفر كفر فجوابه ما تقدم من ان الله
يضل من يشا ويهدي من يشا وجبريل انما يتصرف بامر الله تعالى
ولا يفعل الا ما امره الله به واذا كان جبريل قد فعل ما امره الله
به ونفذه وانما رضي بالامر لا بالمامور به فاي كفر يكون هنا وايضا
فان الرضى بالكفر انما يكون كفرا في حقنا لانا مامورون بازالته
بحسب الامكان فاذا اقررنا الكافر على كفره ورضينا به كان كفرا في
حقنا لمخالفتنا ما امرنا به واما من ليس مامورا كامرنا ولا مكلفا
كتكليفنا بل يفعل ما يامره به ربه فاذا انفذ ما امره به لم يكن
رضي بالكفر ولا يكون كفرا في حقه وعلى هذا التقدير فان جبريل
لما دس الطين في فم فرعون كان ساخطا لكفره غير راض عنه والله
تعالى خالق افعال العباد خيرها وشرها وهو غير راض بالكفر
فغاية امر جبريل مع فرعون ان يكون منفذا لقضا الله وقدره
في فرعون من الكفر وهو ساخط له غير راض به وقوله كيف يليق
بجلال الله ان يامر جبريل بان يمنعه من الايمان **فجوابه**
ان الله يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا يسال عما يفعل • **قوله**
وان قيل ان جبريل انما فعل ذلك من عند نفسه لا بامر الله •
فجوابه انما فعل ذلك بامر الله منفذا لامر الله والله اعلم
بمراده • **قوله** فاليوم ننجيك ببدنك معناه انا نلقيك على
نجوة من الارض وهي المكان المرتفع • قال اهل التفسير لما اغرق الله
تعالى فرعون وقومه قالت بنوا اسرايل ما مات فرعون وانما قالوا
ذلك لعظمته عندهم وما حصل في قلوبهم من الرعب لاجله فامر
الله عز وجل البحر فالقى فرعون على الساحل احمرا قصيرا كانه
ثور فراه بنوا اسرايل فعرفوه فمن ذلك الوقت لا يقبل الما ميتا
ابدا ومعنى قوله تعالى ببدنك يعني نلقيك وانت جسد بلا روح
فيه وقيل هذا الخطاب على سبيل التهكم والاستهزا كانه قيل له ننجيك
ولكن هذه النجاة انما تحصل لبدنك لا لروحك وقيل اراد بالبدن
الدرع وكان لفرعون درع من ذهب مرصع بالجواهر يعرف به
فلما راوه في درعه ذلك عرفوه **لتكون لمن خلفك اية** يعني عبرة
وموعظة وذلك انهم ادعوا ان مثل فرعون لا يموت فاظهره الله لهم
حتى شاهدوه وهو ميت لتزول الشبهة من قلوبهم ويعتبرون به
لانه كان في غاية العظمة فصار الى نهاية الخسة والذلة ملقى على

الارض لا يهابه احد **وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون ولقد
بوانا بني اسرايل مبوا صدق** يعني اسكناهم مكان صدق وانزلناهم
منزل صدق بعد خروجهم من البحر واغراق عدوهم فرعون والمعنى
انزلناهم منزلا محمودا صالحا وانما وصف المكان بالصدق لان
عادة العرب اذا امدحت شيا اضافته الى الصدق تقول العرب
هذا رجل صدق وقدم صدق والسبب فيه ان الشي اذا كان كاملا
صالحا لا بد ان يصدق الظن فيه وفي المراد بالمكان الذي بوؤا قولان
احدهما انه مصر فيكون المراد ان الله اورث بني اسرايل جميع ما كان
تحت ايدي فرعون وقومه من ناطق وصامت وزرع وغيره
والقول الثاني انه ارض الشام والقدس والاردن لانها بلاد ٥
الخصب والخير والبركة • قوله تعالى **ورزقناهم من الطيبات**
يعني تلك المنافع والخيرات التي رزقهم الله تعالى **فما اختلفوا
حتى جاءهم العلم** يعني فما اختلف هولاء الذين فعلنا بهم هذا
الفعل من بني اسرايل حتى جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك كانوا
قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مقرين به مجمعين على نبوته
غير مختلفين فيه لما يجدونه مكتوبا عندهم فلما بعث محمدا صلى
الله عليه وسلم اختلفوا فيه فامن به بعضهم كعبد الله بن سلام
واصحابه وكفر به بعضهم بغيا وحسدا فعلى هذا المعنى يكون المراد
من العلم المعلوم والمعنى فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذي كانوا
يعلمونه حقا فوضع العلم مكان المعلوم • وقيل المراد من العلم القران
النازل على محمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه العلم لانه سبب العلم
وتسمية السبب بالمسبب مجاز مشهور وفي كون القران سببا لحدوث
الاختلاف وجهان • الاول ان اليهود كانوا يخبرون بمبعث محمد صلى
الله عليه وسلم وصفته ونعته ويفتخرون بذلك على المشركين فلما
بعث كذبوه بغيا وحسدا وايثارا لبقا الرياسة لهم فامن به طايفة
قليلة وكفر به غالبهم • والوجه الثاني ان اليهود كانوا على دين
واحد قبل نزول القران فلما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم فامن
به طايفة وكفر به اخرى • وقوله عز وجل **ان ربك** يعني يا محمد **يقضي
بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** يعني في امرك وامر
نبوتك في الدنيا فيدخل من امن بك الجنة ومن كفر بك وجحد
لنبوتك دخل النار وقوله تعالى **فان كنت في شك مما انزلنا
اليك** الشك في موضوع اللغة خلاف اليقين والشك اعتدال
النقيضين عند الانسان لوجود امارتين او لعدم الامارة والشك

ضرب من الجهل وهو اخص منه فكل شك جهل وليس كل جهل شكا
فاذا قيل فلان يشك في هذا الامر معناه انه توقف فيه حتى يتبين
له فيه الصواب او خلافه وظاهر هذا الخطاب في قوله فان كنت في
شك للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فان كنت يا محمد في شك مما
انزلنا اليك يعني من حقيقة ما اخبرناك به وانزلناه يعني القران
فاسال الذين يقرون الكتاب من قبلك يعني على اهل الكتاب
يخبرونك انك مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وانك نبي
يعرفونك بصفتك عندهم في التوراة والانجيل وقد توجه هنا
سوال واعتراض وهو ان يقال هل شك النبي صلى الله عليه وسلم
فيما انزل اليه او في نبوته حتى يسال اهل الكتاب عن ذلك واذا
كان شاكا في نبوة نفسه كان غيره اولى منه بالشك **قلت**
الجواب عن هذا السوال والاعتراض ما قاله القاضي عياض في
كتابه الشفا فانه اورد هذا السوال ثم قال احذر ثبت الله
قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس
او غيره من اثبات شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه
وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم جملة بل
قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسال
ونحوه عن سعيد بن جبير والحسن البصري • وحكي عن قتادة انه
قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسال
وعامة المفسرين على هذا انتهى كلام القاضي عياض رحمه الله ثم اختلفوا
في معنى الاية ومن المخاطب بهذا الخطاب على قولين احدهما ان الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد به غيره فهو كقوله لئن
اشركت ليحبطن عملك ومعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرك
فثبت ان المراد به غيره ومن امثلة العرب اياك اعني واسمعي يا جاره
فعلى هذا يكون معنى الاية قل يا محمد يا ايها الانسان الشاك ان كنت
في شك مما انزلنا اليك على لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم
فاسال الذين يقرون الكتاب يخبرونك بصحته ويدل على صحة
هذا التاويل قوله تعالى في اخر هذه السورة قل يا ايها الناس ان
كنتم في شك من ديني الاية فبين ان المذكور في هذه الاية على سبيل
الرمز هم المذكورون في هذه الاية على سبيل التصريح وايضا لو كان
النبي صلى الله عليه وسلم شاكا في نبوته لكان غيره اولى بالشك
في نبوته وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية معاذ الله من ذلك
وقيل ان الله تعالى علم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فيكون

المراد بهذا التهييج فانه صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذا الكلام فانه
يقول لا اشك يا رب ولا اسال اهل الكتاب بل اكتفي بما انزلته علي من
الدلايل الظاهرة • وقال الزجاج ان الله خاطب الرسول صلى الله عليه
وسلم في قوله فان كنت في شك وهو شامل للخلق فهو كقوله يا ايها
النبي اذا طلقتم النسا وهذا وجه حسن لكن فيه بعد وهو ان يقال
متى كان الرسول صلى الله عليه وسلم داخلا في هذا الخطاب كان الاعتراض
موجودا والسوال واردا وقيل ان لفظة ان في قوله فان كنت في شك
للنفي ومعناه وما انت في شك مما انزلنا اليك حتى تسال فلا تسال
ولين سالت لازددت يقينا • والقول الثاني وهو ان يقال ان هذا
الخطاب ليس هو للنبي صلى الله عليه وسلم البتة • ووجه هذا القول
ان الناس كانوا في زمانه على ثلاث فرق فرقة له مصدقون وبه مومنون
وفرقة على الضد من ذلك والفرقة الثالثة المتوقفون في امره
الشاكون فيه فخاطبهم الله عز وجل بهذا الخطاب فقال تعالى فان
كنت ايها الانسان في شك مما انزلنا اليك من الهدى على لسان محمد
فاسال اهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته • وانما وحد الله الضمير
في قوله فان كنت وهو يريد الجمع لانه خطاب لجنس الانسان كما في قوله
يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم لم يرد في الاية انسانا بعينه
بل اراد الجمع واختلفوا في المسوول عنه في قوله تعالى فاسال الذين
يقرون الكتاب من قبلك من هم فقال المحققون من اهل التفسير
هم الذين امنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه لانهم هم
الموثوق باخبارهم • وقيل المراد به كل اهل الكتاب سوا مومنهم وكافرهم
لان المقصود من هذا السوال الاخبار بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وانه مكتوب عندهم صفته ونعته فاذا اخبروا بذلك فقد حصل
المقصود والاول اصح • قال الضحاك يعني اهل التقوى واهل الايمان
من اهل الكتاب ممن ادرك النبي صلى الله عليه وسلم **لقد جاك الحق
من ربك** هذا كلام مبتدا منقطع عما قبله وفيه معنى القسم تقديره
اقسم لقد جاك الحق اليقين من الخبر بانك رسول الله حقا وان اهل
الكتاب يعلمون صحة ذلك **فلا تكونن من الممترين** يعني من الشاكين
في صحة ما انزلنا اليك **ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله** يعني
بدلايله وبراهينه الواضحة **فتكون من الخاسرين** يعني الذين خسروا
انفسهم واعلم ان هذا الكلام على ما تقدم من الظاهرة خطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم والمراد به غيره ممن عنده شك وارتياب فان النبي صلى
الله عليه وسلم لم يشك ولم يرتاب ولم يكذب بايات الله فثبت بذلك

ان المراد غيره والله اعلم قوله تعالى **ان الذين حقت عليهم** يعني وجبت
عليهم **كلمة ربك** يعني حكم ربك وهو قوله خلقت هولا للنار ولا ابالي
وقال قتادة سخط ربك • وقيل هو ما قدره عليهم وقضاه في الازل
لا يؤمنون ولو جاتهم كل اية فانهم لا يؤمنون بها **حتى يروا العذاب**
الاليم فحينيذ لا ينفعهم الايمان لان الله تعالى قد حكم عليهم وصرفهم
عن الايمان فلا ينفعهم شي **قوله عز وجل** **فلولا** يعني فهلا **كانت**
قرية وقيل معناه فما كانت قرية وقيل لم يكن قرية لان في الاستفهام
معنى الجحد والمراد اهل كان قرية **امنت** يعني عند معاينة العذاب
فنفعها ايمانها يعني في حال الباس **الا قوم يونس** هذا استثنا منقطع
يعني لكن قوم يونس فانهم امنوا فنفعهم ايمانهم في ذلك الوقت وهو
قوله **لما امنوا** يعني اخلصوا الايمان **كشفنا عنهم عذاب الخزي في**
الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين يعني الى وقت انقضا اجالهم
واختلفوا هل راوا العذاب عيانا ام لا فقال بعضهم راوا دليل
العذاب فامنوا • وقال الاكثرون انهم راوا العذاب عيانا بدليل
قوله كشفنا عنهم عذاب الخزي والكشف لا يكون الا بعد الوقوع او
اذا قرب وقوعه **ذكر القصة في ذلك** على ما ذكره
عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم قالوا ان قوم
يونس كانوا بقرية بنينوى من ارض الموصل وكانوا اهل كفر وشرك
فارسل الله عز وجل اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى الايمان بالله
وترك عبادة الاصنام فدعاهم فابوا عليه فقيل له اخبرهم ان العذاب
مصبحهم الى ثلاث فاخبرهم بذلك فقالوا انا لم نجرب عليه كذبا قط
فانظروا فان بات فيكم الليلة فليس بشي وان لم يبت فاعلموا ان العذاب
مصبحكم فلما كان جوف الليل خرج يونس من بين اظهرهم فلما اصبحوا
تغشاهم العذاب فكان فوق روسهم • قال ابن عباس ان العذاب
كان اهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه الا قدر ثلثي ميل
فلما دعوا كشف الله عنهم • وقال مقاتل قدر ميل • وقال سعيد
ابن جبير غشي قوم يونس العذاب كما يغشي الثوب القبر • وقال
وهب غامت السما غيما اسود هايلا يدخن دخانا شديدا فهبط
حتى غشي مدينتهم واسودت اسطحتهم فلما راوا ذلك ايقنوا بالهلاك
فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه فقذف الله في قلوبهم التوبة فخرجوا
الى الصحرا بانفسهم ونسايهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح
واظهروا الايمان والتوبة وفرقوا بين والدة وولدها من الناس
والدواب فحن البعض الى البعض فحنت الاولاد الى الامهات والامهات

الى الاولاد وعلت الاصوات وعجوا جميعا الى الله وتضرعوا اليه وقالوا
امنا بما جا به يونس وتابوا الى الله واخلصوا النية فرحمهم ربهم فاستجاب
دعاهم وكشف ما نزل بهم من العذاب بعد ما اظلهم وكان ذلك اليوم
يوم عاشورا وكان يوم الجمعة • قال ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا
المظالم فيما بينهم حتى ان كان الرجل لياتي الى الحجر وقد وضع اساس بنيانه
عليه فيقلعه فيرده • وروى الطبري بسنده عن ابي الجلد جيلان قال
لما غشي قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمايهم فقالوا له
انه قد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي
الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف الله عنهم العذاب
ومتعوا الى حين • وقال الفضيل بن عياض انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا
قد عظمت وجلت وانت اعظم واجل فافعل بنا ما انت اهله ولا تفعل
بنا ما نحن اهله • قالوا وخرج يونس وجعل ينتظر العذاب فلم ير
شيا فقيل له ارجع الى قومك قال وكيف ارجع اليهم فيجدوني كذابا
وكان من كذب ولا بينة له قتل فانصرف اليهم مغاضبا فالتقمه الحوت
وستاتي القصة في سورة الصافات ان شا الله **فان قلت**
كيف كشف العذاب عن قوم يونس بعد ما نزل بهم وقبل توبتهم ولم
يكشف العذاب عن فرعون حين آمن ولم يقبل توبته **قلت**
اجاب العلما عن هذا باجوبة احدها ان ذلك كان خاصا لقوم يونس
والله يفعل ما يشا ويحكم ما يريد • **الجواب** الثاني ان فرعون
ما آمن الا بعد ما باشره العذاب وهو وقت الياس من الحياة وقوم
يونس دنا منهم العذاب ولم ينزل بهم ولم يباشرهم فكانوا كالمريض يخافون
الموت ويرجوا العافية • **الجواب** الثالث ان الله عز وجل
علم صدق نياتهم في التوبة فقبل توبتهم بخلاف فرعون انه ما صدق في
ايمانه ولا اخلص فلم يقبل الله منه والله اعلم قوله تعالى **ولو شا ربك**
لآمن من في الارض كلهم جميعا يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله
عليه وسلم ولو شا ربك يا محمد لامن بك وصدقك من في الارض كلهم
جميعا ولكن لا يشا ان يصدقك ويومن بك الا من سبقت له السعادة
في الازل قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص ان
يومن به جميع الناس ويتابعوه على الهدى فاخبر الله عز وجل انه لا يومن
الا من سبق له من الله السعادة في الذكر الاول وفي هذا تسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم لانه كان حريصا على ايمانهم فاخبره انه لا يومن به
الا من سبقت له العناية الازلية فلا تتعب نفسك على ايمانهم وهو قوله
افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين يعني ليس ايمانهم اليك حتى

تكرههم عليه او تحرص عليه انما ايمان المومن واضلال الكافر بمشية الله وقدره
لبس لاحد ذلك سواه وما كان لنفس ان تومن الا باذن الله يعني وما
كان ينبغي لنفس خلقها الله ان تومن وتصدق الا بقضا الله لها بالايمان
فان هدايتها الى الله هو الهادي المضل. وقال ابن عباس معني باذن
الله بامر الله. وقال عطا بمشية الله ويجعل قري بالنون على سبيل التعظيم
اي ونحن نجعل وقري باليا ومعناه ويجعل الله الرجس يعني العذاب
وقال ابن عباس يعني السخط على الذين لا يعقلون يعني لا يفهمون عن
الله امره ونهيه **قوله عز وجل** قل انظروا اي قل يا محمد لهولاء
المشركين الذين يسالونك الايات انظروا يعني انظروا بقلوبكم نظر
اعتبار وتفكر وتدبر ماذا في السموات والارض يعني ماذا خلق الله
في السموات والارض من الايات الدالة على وحدانيته ففي السموات
الشمس والقمر وهما دليلان على الليل والنهار والنجوم تسخيرها طالعة
وغاربة وانزال المطر من السما وفي الارض الجبال والبحار والمعادن
والانهار والاشجار والنبات كل ذلك ايات دالات على وحدانية الله
وانه خالقها كما قال الشاعر.

وفي كل شي له اية • تدل على انه واحد •

وما تغني الايات والنذر يعني الرسل عن قوم لا يومنون وهذا في حق
اقوام علم الله انهم لا يومنون لما سبق لهم في الازل من الشقا فهل ينتظرون
يعني مشركي مكة الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم يعني من مضى قبلهم
من الامم السالفة المكذبة للرسل قال قتادة يعني وقايع الله في قوم نوح
وعاد وثمود والعرب تسمي العذاب اياما كقوله وذكرهم بايام الله والمعنى
فهل ينتظر هولا المشركون من قومك يا محمد الا يوما يعاينون فيه العذاب
مثل ما فعلنا بالامم السالفة المكذبة اهلكناهم جميعا فان كانوا ينتظرون
ذلك العذاب قل فانتظروا يعني قل لهم يا محمد فانتظروا العذاب
اني معكم من المنتظرين يعني هلاككم قال الربيع بن انس يخوفهم عذابه
ونقمته ثم اخبرهم انه اذا وقع ذلك بهم انجى الله رسله والذين امنوا معهم
من ذلك العذاب وهو قوله تعالى ثم ننجي رسلنا والذين امنوا يعني
من الهلاك والعذاب كذلك حقا علينا ننجي المومنين يعني كما انجينا
رسلنا والذين معهم من الهلاك كذلك ننجيك يا محمد والذين امنوا
معك وصدقوك من الهلاك والعذاب قال بعض المتكلمين المراد
بقوله حقا علينا الوجوب لان تخليص الرسول والمومنين من العذاب
واجب واجيب عن هذا بانه حق واجب بحيث الوعد والحكم
لا انه واجب بسبب الاستحقاق لانه قد ثبت ان العبد لا يستحق على

خالقه شيا قوله تعالى قل يا ايها الناس الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
اي قل يا محمد لهولا الذين ارسلتك اليهم فشكوا في امرك ولم يومنوا انك
ان كنتم في شك من ديني يعني الذي ادعوكم اليه وانما حصل الشك
لبعضهم في امره صلى الله عليه وسلم لما راى الايات التي كانت تظهر على
يد النبي صلى الله عليه وسلم فحصل لهم الاضطراب والشك فقال ان
كنتم في شك من ديني الذي ادعوكم اليه فلا ينبغي لكم ان تشكوا فيه
لانه دين ابراهيم عليه السلام وانتم من ذريته وتعرفونه فلا تشكون
فيه وانما ينبغي لكم ان تشكوا في عبادتكم لهذه الاصنام التي لا اصل لها
البتة فان اصررتم على ما انتم عليه فلا اعبد الذين تعبدون من
دون الله يعني هذه الاوثان وانما وجب تقديم هذا النفي لان العبادة
هي غاية التعظيم للمعبود فلا يليق لاخس الاشيا وهي الحجارة التي لا
تنفع لمن عبدها ولا تضر لمن تركها ولكن تليق العبادة لمن بيده النفع
والضر وهو قادر على الاماتة والاحيا وهو قوله ولكن اعبد الله الذي
يتوفاكم والحكمة في وصف الله عز وجل في هذا المقام بهذه الصفة لان
الذي يستحق العبادة فاعبده انا وانتم هو الذي خلقكم اولا ولم تكونوا
شيا ثم يميتكم ثم يحييكم بعد الموت ثالثا فاكتفى بذكر الوفاة تنبيها
على الباقي وقيل لما كان الموت اشد الاشيا على النفس فذكر في هذا
المقام ليكون اقوى في الزجر والردع. وقيل انهم لما استعجلوا بطلب العذاب
فاجابهم بقوله ولكن اعبد الله الذي هو قادر على اهلاككم ونصري
عليكم وامرت ان اكون من المومنين يعني وامرني ربي ان اكون من
المصدقين لما جاني من عنده وقيل لما ذكر العبادة وهي من اعمال الجوارح
اتبعه بذكر الايمان لانه من اعمال القلوب وان اقم وجهك للدين حنيفا
الواو في قوله وان واو عطف معناه وامرت ان اقيم وجهك يعني اقم نفسك
على دين الاسلام حنيفا يعني مستقيما عليه غير معوج عنه الى دين اخر
وقيل معناه اقم عملك على الدين الحنيف. وقيل اراد بقوله وان اقم
وجهك للدين صرف نفسه بكليته الى طلب الدين الحنيف غير مايل
عنه ولا تكونن من المشركين يعني ولا تكونن ممن يشرك في عبادة ربه غيره
فتهلك وقيل ان النهي عن عبادة الاوثان قد تقدم في الاية المتقدمة فوجب
حمل هذا النهي على معنى زايد وهو ان من عرف الله عز وجل وعرف جميع
اسمايه وصفاته وانه المستحق للعبادة لا غيره فلا ينبغي له ان يلتفت
الى غيره بالكلية وهذا هو الذي تسميه اصحاب القلوب بالشرك الخفي
ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك يعني ان عبدته ودعوته ولا يضرك
يعني ان تركت عبادته فان فعلت يعني ما نهيتك عنه فعبدت غيري

او طلبت النفع ودفع الضر من غيره فانك اذا من الظالمين يعني لنفسك لانك وضعت العبادة في غير موضعها وهذا الخطاب وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يدع من دون الله شيئا البتة فيكون المعنى ولا تدع ايها الانسان من دون الله ما لا ينفعك الاية قوله عز وجل وان يمسسك الله بضر يعني وان يصيبك الله بشدة وبلا فلا كاشف له يعني لذلك الضر الذي انزله بك الا هو وان يردك بخير يعني بسعة ورخا فلا راد لفضله يعني فلا دافع لرزقه يصيب به يعني بكل واحد من الضر والخير من يشا من عباده وقيل انه تعالى لما ذكر الاوثان وبين انها لا تقدر على ضر ولا نفع بين تعالى انه هو القادر على ذلك كله وان جميع الكاينات محتاجة اليه وجميع الممكنات مستندة اليه لانه هو القادر على كل شي وانه ذو الجود والكرم والرحمة ولهذا المعنى ختم الاية بقوله وهو الغفور الرحيم وفي الاية لطيفة اخرى وهي ان الله تعالى رجح جانب الخير على جانب الشر وذلك انه تعالى لما ذكر اساس الضر بين انه لا كاشف له الا هو وذلك يدل على انه تعالى يزيل جميع المضار ويكشفها لان الاستثنا من النفي اثبات ولما ذكر الخير قال فيه فلا راد لفضله يعني ان جميع الخيرات منه فلا يقدر احد على ردها لانه هو الذي يفيض جميع الخيرات على عباده وعضده بقوله وهو الغفور يعني الستار لذنوب عباده الرحيم يعني بهم قوله تعالى قل يا ايها الناس قد جاكم الحق من ربكم يعني القران والاسلام وقيل الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم جاء بالحق من الله عز وجل فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه لان نفع ذلك يرجع اليه ومن ضل فانما يضل عليها اي على نفسه لان وباله راجع اليه فمن حكم الله له بالاهتدا في الازل انتفع ومن حكم عليه بالضلال ضل ولم ينتفع بشي ابدا وما انا عليكم بوكيل يعني وما انا عليكم بحفيظ احفظ عليكم اعمالكم قال ابن عباس هذه الاية منسوخة باية السيف واتبع ما يوحى اليك يعني الامر الذي يوجبه الله اليك يا محمد واصبر يعني على اذى من خالفك من كفار قومك مكة وهي قومك حتى يحكم الله يعني بنصرك عليهم واظهار دينك قوله عز وجل وهو خير الحاكمين يعني انه تعالى حكم بنصر نبيه واظهار دينه وبقتل المشركين واخذ الجزية من اهل الكتاب وفيها ذلهم وصغارهم والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه انه عليم حكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة هود عليه السلام

وهي

وهي مكية في قول ابن عباس وبه قال الحسن وعكرمة ومجاهد وابن زيد وقتادة وفي رواية عن ابن عباس انها مكية غير اية وهي قوله تعالى واقم الصلاة طرفي النهار • وعن قتادة نحوه • وقال مقاتل هي مكية الا قوله سبحانه وتعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك • وقوله اوليك يومنون به وقوله ان الحسنات يذهبن السيات وهي ماية وثلاث وعشرون اية والف وتسعماية كلمة وتسعة الاف وخمسماية وسبعة وستون حرفا عن ابن عباس قال قال ابو بكر يا رسول الله قد شبت قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتسالون واذا الشمس كورت اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب • وفي رواية غيره قال قلت يا رسول الله عجل اليك الشيب قال شيبتني هود واخواتها الحاقة والواقعة وعم يتسالون وهل اتاك حديث الغاشية • قال بعض العلما سبب شيبه صلى الله عليه وسلم من هذه السور المذكورة في الحديث لما فيها من ذكر القيمة والبعث والحساب والجنة والنار والله اعلم بمراد رسوله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الر كتاب احكمت اياته قال ابن عباس لم ينسخها كتاب كما نسخت به الكتب والشرا ثم فصلت يعني بينت قال الحسن احكمت اياته بالامر والنهي وفصلت بالثواب والعقاب • وفي رواية عنه بالعكس قال احكمت بالثواب والعقاب وفصلت بالامر والنهي • وقال قتادة احكمها الله من الباطل ثم فصلها بعلمه فبين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته فيها وقيل احكمها الله فليس فيها تناقض ثم فصلها وبينها • وقيل معناه نظمت اياته نظما رصينا محكما بحيث لا يقع فيها نقص ولا خلل كالبنا المحكم الذي ليس فيه خلل ثم فصلت اياته سورا سورة سورة وقيل ان ايات هذا الكتاب دالة على التوحيد وصحة النبوة والمعاد واحوال القيمة وكل ذلك لا يدخله النسخ ثم فصلت بدلايل الاحكام والمواعظ والقصص والاخبار عن المغيبات • وقال مجاهد فصلت بمعنى فسرت وثم في قوله ثم فصلت ليس هي للتراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة احسن الكلام ثم مفصلة احسن التفصيل فان قلت كيف عم الايات هنا بالاحكام وخص بعضها في قوله منه ايات محكمات قلت اما الاحكام الذي عم به هنا غير الذي خص به هناك فمعنى الاحكام العام هنا انه لا يتطرق الى اياته التناقض والفساد كاحكام البنا وان هذا الكتاب بجميعه نسخ الكتب المتقدمة عليه والمراد بالاحكام الخاص المذكور في قوله منه ايات محكمات ان بعض اياته منسوخة نسخها بايات منه ايضا لم ينسخها غيره

ربع •

وقيل احكمت اياته ان معظم ايات الكتاب محكمة وان كان قد دخل النسخ
على البعض فاجرى الكل على البعض لان الحكم للغالب واجرا الكل على
البعض يستعمل في كلامهم تقول اكلت طعام زيد وانما اكلت بعضه
وقوله تعالى **من لدن حكيم** يعني احكمت ايات الكتاب من عند حكيم
في جميع افعاله **خبير** يعني باحوال عباده وما يصلحهم **الا تعبدوا الا
الله** هذا معطوف على ما قبله معناه كتاب احكمت اياته ثم فصلت
بان لا تعبدوا الا الله والمراد بالعبادة التوحيد وخلع الانداد والاصنام
وما كانوا يعبدونه والرجوع الى الله تعالى والى عبادته والدخول في
دين الاسلام **انني لكم منه** اي قل لهم يا محمد انني لكم من عند الله **نذير** ينذركم
عقابه ان ثبتم على كفركم ولم ترجعوا عنه **وبشير** يعني وابشر بالثواب
الجزيل لمن آمن بالله ورسوله واطاع واخلص العمل لله وحده **وان
استغفروا ربكم ثم توبوا اليه** اختلفوا في بيان الفرق بين هذين
المرتبتين فقيل معناه اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم ارجعوا
اليه لان الاستغفار هو طلب المغفرة هو الستر والتوبة الرجوع
عما كان فيه من شرك او معصية الى خلاف ذلك فلهذا السبب
قدم الاستغفار على التوبة • وقيل معناه استغفروا ربكم لسالف
ذنوبكم ثم توبوا اليه في المستقبل • وقال الفرا ثم هنا بمعنى الواو
لان الاستغفار والتوبة بمعنى واحد فذكرهما للتاكيد **يمتعكم متاعا
حسنا** يعني انكم اذا فعلتم ما امرتم به من الاستغفار والتوبة
واخلصتم العبادة لله عز وجل بسط عليكم من الدنيا واسباب
الرزق بما تعيشون فيه في امن وسعة وخير • قال بعضهم العيش
الحسن هو الرضى بالميسور والصبر على المقدور **الى اجل مسمى** يعني
يمتعكم متاعا حسنا الى حين الموت ووقت انقضا اجالكم **فان قلت**
قد ورد في الحديث ان الدنيا سجن المومن وجنة الكافر وقد يضيق
على الرجل في بعض اوقاته حتى لا يجد ما ينفقه على نفسه وعياله
فكيف الجمع بين هذا وبين قوله يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى
قلت اما قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن فهو
بالنسبة الى ما اعد الله له في الاخرة من الثواب الجزيل والنعيم
المقيم فانه في سجن في الدنيا حتى يفضي الى ذلك المعد له • واما كون
الدنيا جنة الكافر فهو بالنسبة الى ما اعد له في الاخرة من العذاب
الاليم الدايم الذي لا ينقطع فهو في الدنيا في جنة حتى يفضي الى ما
اعد الله له في الاخرة واما ما يضيق على الرجل المومن في بعض
الاوقات انما ذلك لاجل رفع الدرجات وتكفير السيات وبيان

الصبر عند المصيبات فعلى هذا يكون المومن في جميع احواله في عيشة
حسنة لانه راض عن الله في جميع احواله وقوله تعالى **ويوت كل ذي فضل
فضله** اي ويعط كل ذي عمل صالح في الدنيا اجره وثوابه في الاخرة
قال ابو العالية من كثرت طاعاته في الدنيا زادت درجاته في الجنة
لان الدرجات تكون على قدر الاعمال • وقال ابن عباس من زادت
حسناته على سياته دخل الجنة ومن زادت سياته على حسناته دخل
النار ومن استوت حسناته وسياته كان من اهل الاعراف ثم يدخلون
الجنة وقال ابن مسعود من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل
حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التي عملها في الدنيا
بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بها في الدنيا اخذ من حسناته
العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات ثم يقول ابن مسعود هلك
من غلب احاده اعشاره • وقيل معنى الاية من عمل لله وفقه الله في
المستقبل لطاعته **وان تولوا** يعني اعرضوا عما جيتهم به من الهدى
فاني اخاف عليكم اي قل لهم اني اخاف عليكم **عذاب يوم كبير** يعني
عذاب النار في الاخرة **الى الله مرجعكم** يعني في الاخرة فيثيب المحسن
على احسانه ويعاقب المسيء على اسائته **وهو على كل شي قدير** يعني
من ايصال الرزق اليكم في الدنيا وثوابكم وعقابكم في الاخرة قوله
تعالى **الا انهم يثنون صدورهم** قال ابن عباس نزلت في الاخنس بن
شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر وكان يلقى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره فنزلت الا انهم يثنون
صدورهم يعني يخفون ما في صدورهم من الشحنا والعداوة من
ثنيت الثوب اذا طويته • وقال عبد الله بن شداد بن عبد الهاد
نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم
ثنى صدره وظهره وطاطا راسه وغطى وجهه كي لا يراه رسول الله
صلى الله عليه وسلم • وقال قتادة كانوا يحنون صدورهم كي لا يسمعوا
كتاب الله ولا ذكره • وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي
ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي وقال
السدي يثنون صدورهم اي يعرضون بقلوبهم من قولهم ثنيت
عناني **ليستخفوا منه** يعني من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
مجاهد من الله عز وجل ان استطاعوا **الا حين يستغشون ثيابهم**
يعني يغطون رؤسهم بثيابهم **يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم
بذات الصدور** ومعنى الاية على ما قاله الازهري ان الذين اضمروا
عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفى علينا حالهم في كل حال

وقد نقل عن ابن عباس غير هذا التفسير وهو ما اخرجه البخاري في
افراده عن محمد بن عباس بن جعفر المخزومي انه سمع ابن عباس يقرا
الا انهم يثنون صدورهم قال فسالته عنها فقال كان اناس يستحيون
ان يتخلوا فيفضوا الى السما وان يجامعوا نساهم فيفضوا الى السما
فنزل ذلك فيهم وقوله تعالى **وما من دابة في الارض** الدابة اسم
لكل حيوان دب على وجه الارض واطلق لفظ الدابة على كل ذي
اربع من الحيوان على سبيل العرف والمراد منه الاطلاق فيدخل
فيه الادمي وغيره من جميع الحيوان **الا على الله رزقها** يعني هو
المتكفل برزقها فضلا منه لا على سبيل الوجوب فهو الى مشيته ان شا
رزق وان لم يشا لم يرزق • وقيل ان لفظة على بمعنى من اي من الله
رزقها • قال مجاهد ما جاها من رزق فمن الله وربما لم يرزقها
فتموت جوعا **ويعلم مستقرها ومستودعها** قال ابن عباس مستقرها
المكان الذي تاوي اليه في ليل او نهار ومستودعها المكان الذي
تدفن فيه بعد الموت • وقال ابن مسعود مستقرها ارحام الامهات
والمستودع المكان الذي تموت فيه وقيل المستقر الجنة او النار
والمستودع القبر **كل في كتاب مبين** اي كل ذلك مثبت في اللوح
المحفوظ قبل خلقها **قوله عز وجل** **وهو الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام وكان عرشه على الما** يعني قبل خلق السموات
والارض قال كعب خلق الله ياقوتة خضرا ثم نظر اليها بالهيبة فصارت
ما يرتعد ثم خلق الريح فجعل الما على بطنها ثم وضع العرش على الما
وقال ضمرة ان الله تعالى كان عرشه على الما ثم خلق السموات والارض
وخلق القلم فكتب به ما هو خالق وما هو كاين من خلقه الى يوم القيمة
ثم ان ذلك الكتاب سبح الله ومجده الف عام قبل ان يخلق شيا من خلقه
وقال سعيد بن جبير سُيل ابن عباس عن قوله وكان عرشه على الما
على اي شي كان الما قال على متن الريح • وقال وهب بن منبه ان العرش
كان قبل ان يخلق الله السموات والارض ثم قبض قبضة من صفا الما
ثم فتح القبضة فارتفع دخانا ثم قضاهن سبع سموات في يومين
ثم اخذ طينة من الما فوضعها مكان البيت ثم دحا الارض منها ثم
خلق الاقوات في يومين والسموات في يومين والارض في يومين ثم فرغ
اخر الخلق في اليوم السابع • قال بعض العلما وفي خلق جميع الاشيا وجعلها
على الما يدل على كمال القدرة لان البنا الضعيف اذا لم يكن له اساس
على ارض صلبة لم يثبت فكيف بهذا الخلق العظيم وهو العرش والسموات
والارض على الما فهذا يدل على كمال قدرة الله تعالى خ عن عمران بن حصين

قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقتي بالباب فاتى ناس
من بني تميم فقال اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا بشرتنا فاعطنا مرتين
فتغير وجهه ثم دخل عليه ناس من اهل اليمن فقال اقبلوا البشرى
يا اهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قد قبلنا يا رسول الله ثم قالوا
جينا لنتفقه في الدين ولنسالك عن اول هذا الامر ما كان قال كان
الله ولم يكن معه شي قبله وكان عرشه على الما ثم خلق السموات والارض
وكتب في الذكر كل شي ثم اتاني رجل فقال يا عمران ادرك ناقتك فقد
ذهبت فانطلقت اطلبها فاذا السراب يقطع دونها وايم الله لوددت
انها ذهبت ولم اقم **عن** ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله اين كان
ربنا قبل ان يخلق خلقه قال كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء
وكان عرشه على الما اخرجه الترمذي وقال قال احمد قال يزيد العما
اي ليس معه شي قال ابو بكر البيهقي في كتاب الاسما والصفات لـه
قوله صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن شي قبله يعني لا الما ولا
العرش ولا غيرهما فجميع ذلك غير الله • وقوله كان عرشه على الما يعني
وخلق الما وخلق العرش على الما ثم كتب في الذكر كل شي • وقوله في
عماء وجدته في كتابي عما مقيدا بالمد فان كان في الاصل ممدودا فمعناه
سحاب رقيق وتريد بقوله في عما اي فوق سحاب مدبر له وعاليا
عليه كما قال امنتم من في السما يعني من فوق السما وقال لاصلبنكم في
جذوع النخل يعني على جذوعها وقوله ما فوقه هوا اي ما فوق السحاب
هوا وكذلك قوله وما تحته هوا اي ما تحت السحاب هوا وقد قيل ان
ذلك من العما مقصور والعما اذا كان مقصورا فمعناه لا شي ثابت لانه
مما عمي على الخلق لكونه غير شي فكانه قال في جوابه كان قبل ان يخلق
خلقه ولم يكن شي غيره ثم قال ما فوقه هوا وما تحته هوا اي ليس
فوق العمي الذي هو لا شي موجود لا فوقه هوا ولا تحته هوا لان ذلك
اذا كان غير شي فليس يثبت له هوا بوجه والله اعلم • وقال الهروي
صاحب الغريبين قال بعض اهل العلم معناه اين كان عرش ربنا فحذف
المضاف اختصارا كقوله واسال القرية • ويدل على ذلك قوله وكان
عرشه على الما هذا اخر كلام البيهقي • وقال ابن الاثير العما في اللغة
السحاب الرقيق وقيل الكثيف وقيل هو الضباب ولا بد في الحديث
من حذف مضاف تقديره اين كان عرش ربنا فحذف ويدل على هذا
المحذوف قوله تعالى وكان عرشه على الما • وحكي عن بعضهم في عما
مقصورا وهو كل امر لا يدركه الفطن وقال الازهري قال ابو عبيد انما
تاولنا هذا الحديث على كلام العرب المعقول عنهم والا فلا ندري كيف

كان ذلك العما قال الازهري فنحن نومن به ولا يكيف صفته م عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
كتب الله مقادير الخلايق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف
سنة قال وعرشه على الماء • وفي رواية فرغ الله من المقادير وامور
الدنيا قبل ان يخلق السموات والارض وكان عرشه على الما بخمسين الف
سنة • قوله فرغ يعني اتمام خلق المقادير لا انه كان مشغولا ففرغ منه
لان الله تعالى لا يشغله شان عن شان فانما امره اذا اراد شيا ان يقول
له كن فيكون وقوله تعالى ليبلوكم يعني ليختبركم وهو اعلم بكم منكم ايكم
احسن عملا يعني بطاعة الله واورع من محارم الله ولين قلت يعني
ولين قلت يا محمد لهولا الكفار من قومك انكم مبعوثون من بعد الموت
يعني للحساب والجزا ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين يعنون
القران ولين اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة يعني الى اجل
محدود واصل الامة في اللغة الجماعة من الناس فكانه قال الى انقراض
امة ومجي امة اخري ليقولن ما يحبسه يعني اي شي يحبس العذاب
وانما يقولون ذلك استعجالا بالعذاب واستهزاء يعنون انه ليس بشي
قال الله عز وجل الا يوم ياتيهم يعني العذاب ليس مصروفا عنهم
اي لا يصرفه عنهم شي وحاق بهم ما كانوا به يستهزون يعني ونزل بهم
وبال استهزايهم قوله تعالى ولين اذقنا الانسان منا رحمة يعني رخا
وسعة في الرزق والعيش وبسطنا عليه من الدنيا ثم نزعناها منه
يعني سلبناه ذلك كله واصابته المصايب فاجتاحته وذهبت به انه
ليوس كفور يعني يظل قانطا من رحمة الله ايسا من كل خير كفور اي جحود
لنعمتنا عليه اولا قليل الشكر لربه • قال بعضهم يا ابن ادم اذا كانت
بك نعمة من الله من امن وسعة وعافية فاشكرها ولا تجحدها فان
نزعت عنك فينبغي لك ان تصبر ولا تايس من رحمة الله فانه العواد
على عباده بالخير وهو قوله تعالى ولين اذقناه نعما بعد ضراء مسته
يعني ولين نحن انعمنا على الانسان فبسطنا عليه من العيش ليقولن
يعني الذي اصابه الخير والسعة ذهب السيات عني يعني ذهبت
الشدايد والعسر والضيق وانما قال ذلك عزة بالله عز وجل
وجراة عليه لانه لم يضف الاشيا كلها الى الله وانما اضافها الى العوايد
فلهذا ذمه الله تعالى فقال انه لفرح فخور اي انه اشر بطر والفرح
لذة تحصل في القلب بنيل المراد والمشتهى والفخر هو التطاول على
الناس بتعديد المناقب وذلك منهي عنه ثم استثنى فقال تعالى
الا الذين صبروا وعملوا الصالحات قال الفرا هذا استثنا منقطع ه

معناه

معناه لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات فانهم ليسوا كذلك فانهم
ان نالتهم شدة صبروا وان نالوا نعمة شكروا عليها اوليك يعني من هذه
صفته لهم مغفرة يعني لذنوبهم واجر كبير يعني الجنة قوله
عز وجل فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلعلك
يا محمد تارك بعض ما يوحى اليك فلا تبلغه اياهم وذلك ان كفار مكة
قالوا ايت بقران غير هذا ليس فيه سب الهتنا فهم النبي صلى الله
عليه وسلم ان يترك ذكر الهتهم ظاهرا فانزل الله تعالى فلعلك
تارك بعض ما يوحى اليك يعني من ذكر الهتهم هذا ما ذكره
المفسرون في معنى هذه الاية واجمع المسلمون على انه صلى الله عليه
وسلم فيما كان طريقه البلاغ فانه معصوم فيه من الاخبار عن شي منه
بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه صلى الله عليه
وسلم بلغ جميع ما انزل الله عليه الى امته ولم يكتم منه شيا واجمعوا
على انه لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيانة في الوحي
والانذار ولا يترك بعض ما يوحى اليه لقول احد لانه تجويز ذلك يودي
الى الشك في ادا الشرايع والتكاليف لان المقصود من ارسال الرسول
التبليغ الى من ارسل اليه فاذا لم يحصل ذلك فقد فاتت فايدة
الرسالة والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك كله واذا ثبت
هذا وجب ان يكون المراد بقوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك
شيا اخر سوي ما ذكره المفسرون وللعلما في ذلك اجوبة • احدها قال
ابن الانباري قد علم الله سبحانه وتعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم لا
يترك شيا مما يوحى اليه اشفاقا من موجدة احد وغضبه ولكن الله تعالى
اكد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في متابعة الابلاغ كما قال يا ايها
الرسول بلغ ما انزل اليك الاية • الثاني ان هذا ادب من الله لنبيه
صلى الله عليه وسلم وتحريض على ادا ما انزل اليه والله تعالى من ورا
ذلك في عصمته ممن يخافه ويخشاه • الثالث ان الكفار كانوا يستهزون
بالقران ويضحكون منه ويتهاونون به وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يضيق صدره لذلك وان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويستهزون به
فامره الله تعالى بتبليغ ما اوحى اليه وان لا يلتفت الى استهزايهم وان
هذا الضرر اهون من كتم شي من الوحي والمقصود من هذا الكلام التنبيه
على هذه الدقيقة لان الانسان اذا علم ان كل واحد من طرفي الفعل
والترك مشتمل على ضرر عظيم ثم علم ان الضرر في باب الترك اعظم سهل عليه
الاقدام على الفعل • وقيل ان الله تعالى مع علمه بان رسول الله صلى الله

زيادة ان ما تبلغه الى ما امر تبليغه ان تبلغ ذلك اليهم وضائق به صدرك يعني وضائق صدرك بما يوحى اليك

عليه وسلم لايترك شيا من الوحي هيجه لادا الرسالة وطرح المبالات باستهزا
بهم وردهم الى قبوله قوله **فلعلك تارك** اى لعلك تترك ان تلقيه اليهم
مخافة ردهم واستهزايهم به وضايق به صدرك بان تتلوه عليهم **ان يقولوا**
يعنى مخافة ان يقولوا **لولا انزل عليه كنز** يعنى يستغنى به وينفقه **او جا**
معه ملك يعنى يشهد بصدقه وقايل هذه المقالة هو عبد الله بن
ابي امية المخزومى والمعنى انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان كنت صادقا فى قولك بانك رسول الله الذي تصفه بالقدرة على
كل شي وانت عزيز عنده مع انك فقير فهلا انزل اليك ما تستغنى به
انت واصحابك وهلا انزل عليك ملك ملكا يشهد لك بالرسالة فتزول
الشبهة فى امرك فاخبر الله عز وجل انه صلى الله عليه وسلم نذير بقوله
عز وجل **انما انت نذير** تنذر بالعقاب لمن خالفك وعصى امرك وتبشر
بالثواب لمن اطاعك وآمن بك وصدقك **والله على كل شي وكيل** يعنى
انه تعالى حافظ يحفظ اقوالهم واعمالهم فيجازيهم عليها يوم القيمة قوله
تعالى **ام يقولون افتراه** يعنى بل يقول كفار مكة اختلقه يعنى ما اوحى
اليه من القران **قل** اى قل لهم يا محمد **فاتوا بعشر سور مثله مفتريات**
لما قالوا له افتريت القران واختلقته من عند نفسه وليس هو من عند الله
تحداهم وارخى لهم العنان فاوصهم على مثل دعواهم فقال صلى الله عليه
وسلم هبوا انى اختلقته من عند نفسى ولم يوح الى شى وان الامر كما قلتم وانتم
عرب مثلى من اهل الفصاحة وفرسان البلاغة واصحاب اللسان فاتوا
انتم بكلام مثل هذا الكلام الذى جيتكم به مختلق من عند انفسكم فانكم
تقدرون على مثل ما اقدر عليه من الكلام فلهذا قال فاتوا بعشر سور
مثله مفتريات فى مقابلة قولهم افتراه **فان قلت** قد تحداهم
بان ياتوا بسورة من مثله فلم يقدروا على ذلك وعجزوا عنه فكيف قال
فاتوا بعشر سور مثله ومن عجز عن سورة واحدة فهو عن العشرة اعجز
قلت قد قال بعضهم ان سورة هود نزلت قبل سورة يونس وانه
تحداهم اولا بعشر سور فلما عجزوا تحداهم بسورة يونس وانكر المبرد هذا
القول وقال ان سورة يونس نزلت اولا قال ومعنى قوله فى سورة يونس
فاتوا بسورة مثله يعنى مثله فى الاخبار عن الغيب والاحكام والوعد
والوعيد وقوله فى سورة هود فاتوا بعشر سور مثله يعنى فى مجرد البلاغة
والفصاحة من غير خبر عن غيب ولا ذكر حكم ولا وعد ولا وعيد ولما تحداهم
بهذا الكلام امره ان يقول لهم **وادعوا من استطعتم من دون الله**
يعنى يعينوكم على ذلك **ان كنتم صادقين** يعنى فى قولكم انه مفترى **فان**
لم يستجيبوا لكم علم انه لما اشتملت الاية المتقدمة على امرين وخطابين

احدهما امر وخطاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله قل فاتوا بعشر
سور مثله والثانى امر وخطاب للكفار وهو قوله وادعوا من استطعتم
من دون الله ثم اتبعه بقوله فان لم يستجيبوا لكم احتمل ان يكون المراد
ان الكفار لم يستجيبوا فى المعارضة لعجزهم عنها واحتمل ان يكون المراد
من يدعون من دون الله لم يستجيبوا للكفار فى المعارضة فلهذا
السبب اختلف المفسرون فى معنى الاية على قولين احدهما انه خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وذلك ان النبي صلى الله عليه
وسلم والمؤمنين معه كانوا يتحدون الكفار بالمعارضة ليتبين عجزهم
فلما عجزوا عن المعارضة قال الله لنبيه والمؤمنين فان لم يستجيبوا لكم
فيما دعوتموهم اليه من المعارضة وعجزوا عنه فاعلموا انما انزل بعلم
الله يعنى فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا وثباتا
لانهم كانوا عالمين انه منزل من عند الله ، وقيل الخطاب فى قوله فان لم
يستجيبوا لكم للنبي صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما
له صلى الله عليه وسلم ، **القول** الثانى ان قوله تعالى فان لم يستجيبوا
لكم خطاب مع الكفار وذلك انه تعالى لما قال فى الاية المتقدمة وادعوا
من استطعتم من دون الله قال الله عز وجل فى هذه الاية فان لم
يستجيبوا لكم ايها الكفار ولم يعينوكم **فاعلموا انما انزل بعلم الله** وانه
ليس مفترى على الله بل هو انزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم
وان لا اله الا هو يعنى ان الذي انزل القران هو الذي لا اله الا هو لا من
تدعون من دونه **فهل انتم مسلمون** فيه معنى الامر اى اسلموا واخلصوا
لله العبادة وان حملنا معنى الاية على انه خطاب مع المومنين كان معنى
قوله فهل انتم مسلمون الترغيب اى دوموا على ما انتم عليه من الاسلام
قوله عز وجل **من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها** يعنى بعمله
الذى يعمله من اعمال البر نزلت فى كل من عمل عملا يبتغى به غير الله عز وجل
نوف اليهم اعمالهم فيها يعنى اجور اعمالهم التى عملوها لطلب الدنيا وذلك
ان الله تعالى يوسع عليهم فى الرزق ويدفع عنهم المكاره فى الدنيا وما
اشبه ذلك **وهم فيها لا يبخسون** يعنى انهم لا ينقصون من اجور اعمالهم
التى عملوها فى الدنيا بل يعطون اجور اعمالهم فى الدنيا كاملة موفرة
اولئك الذين ليس لهم فى الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها
يعنى بطل ما عملوا فى الدنيا من اعمال البر **وباطل ما كانوا يعملون**
لانه لغير الله واختلف المفسرون فى المعنى لهذه الاية فروى قتادة
عن انس انها فى اليهود والنصارى وعن الحسن مثله وقال الضحاك
من عمل عملا صالحا فى غير تقوى يعنى اهل الشرك اعطى على ذلك اجرا

في الدنيا وهو ان يصل رحما او يعطي سائلا او يرحم مضطرا ونحو هذا
من اعمال البر يعجل الله له ثواب عمله في الدنيا يوسع عليه في المعيشة
والرزق ويقر عينه فيما خوله ويدفع عنه المكاره في الدنيا وليس له في
الاخرة نصيب ويدل على صحة هذا القول سياق الاية وهو قوله اولئك
الذين ليس لهم في الاخرة الا النار الاية وهذه حالة الكافر في الاخرة
وقيل نزلت في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الغنائم لانهم كانوا لا يرجون ثواب الاخرة وقيل
ان حمل الاية على العموم اولى فيندرج الكافر والمنافق الذي هذه صفته
والمؤمن الذي ياتي بالطاعات واعمال البر على وجه الريا والسمعة
قال مجاهد في هذه الاية هم اهل الريا وهذا القول مشكل لان قوله
اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار لا يليق بحال المؤمن الا اذا
قلنا ان تلك الاعمال الفاسدة والافعال الباطلة لما كانت لغير
الله استحق فاعلها الوعيد الشديد وهو عذاب النار • ويدل على هذا
ما روي عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك
فيه معي غيري تركته وشركه اخرجه مسلم وعن ابن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما لغير الله او اراد به غير الله
فليتبوا مقعده من النار اخرجه الترمذي عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا
يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيمة
يعني ريحها اخرجه ابو داود وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم تعوذوا من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن
قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم مائة مرة قيل يا رسول الله من
يدخله قال القراء المراؤون باعمالهم اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب • قال البغوي وروينا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك
الاصغر قال الريا اخرجه بغير سند والريا هو ان يظهر الانسان ۵
الاعمال الصالحة ليحمده الناس عليها او ليعتقدوا فيه الصلاح او ۵
ليقصدوه بالعطاء فهذا العمل الذي هو لغير الله نعوذ بالله من الخذلان
قال البغوي وقيل هذا في الكفار يعني قوله من كان يريد الحياة الدنيا
وزينتها اما المؤمن فيريد الدنيا والاخرة وارادته الاخرة غالبة فيجازى
بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الاخرة وروينا عن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق

في

في الدنيا ويجزى بها في الاخرة واما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى
اذا افضى الى الاخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيرا اخرجه البغوي
بغير سند قوله تعالى **افمن كان على بينة من ربه** لما ذكر الله تعالى
في الاية المتقدمة الذين يريدون باعمالهم الحياة الدنيا وزينتها
ذكر في هذه الاية من كان يريد بعمله وجه الله والدار الاخرة فقال
تعالى افمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس
لهم في الاخرة الا النار وانما حذف هذا الجواب لظهوره ودلالة الكلام
عليه وقيل معناه افمن كان على بينة من ربه وهو النبي صلى الله عليه
وسلم والصحابة كمن هو في ضلالة وكفر والمراد بالبينة الدين الذي
امر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالبينة اليقين
يعني انه على يقين من ربه انه على الحق **ويتلوه شاهد منه** يعني
ويتبعه من يشهد له بصدقه واختلفوا في الشاهد من هو فقال ابن
عباس وعلقمة وابراهيم ومجاهد وعكرمة والضحاك واكثر المفسرين
انه جبريل عليه السلام يريد ان جبريل يتبع النبي صلى الله عليه وسلم
ويؤيده ويسدده ويقويه • وقال الحسن وقتادة هو لسان النبي
صلى الله عليه وسلم وروي محمد بن الحنفية قال قلت لابي يعني
علي بن ابي طالب رضي الله عنهما انت التالي قال وما تعني بالتالي
قلت قوله ويتلوه شاهد منه قال وددت اني هو ولكنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم • ووجه هذا القول ان اللسان لما كان يعرب
عما في الجنان ويظهره جعل الشاهد له لان اللسان هو آلة الفصل
والبيان وبه يتلى القران فقال مجاهد الشاهد هو ملك يحفظ
النبي صلى الله عليه وسلم ويسدده • وقال الحسين بن الفضل
الشاهد هو القران لان اعجازه وبلاغته وحسن نظمه يشهد للنبي
صلى الله عليه وسلم بنبوته ولانه اعظم معجزاته الباقية على طول
الدهر وقال الحسين بن علي وابن زيد الشاهد منه هو محمد صلى الله
عليه وسلم • ووجه هذا القول ان من نظر الى النبي صلى
الله عليه وسلم بعين العقل والبصيرة علم انه ليس بكذاب ولا
ساحر ولا كاهن ولا مجنون • وقال جابر بن عبد الله بن يحيى قال
علي بن ابي طالب ما من رجل من قريش الا وقد نزل فيه الاية والايتان
فقال له رجل وانت ايش نزل فيك فقال علي ما تقرا الاية التي في
هود ويتلوه شاهد منه فعلى هذا القول يكون الشاهد علي بن
ابي طالب وقوله منه يعني من النبي صلى الله عليه وسلم والمراد
منه تشريف هذا الشاهد وهو علي لاتصاله بالنبي صلى الله عليه

وسلم وقيل يتلوه شاهد منه يعني الانجيل وهو اختيار الفرا والمعنى
ان الانجيل يتلو القران في التصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم
والامر بالايمان به وان كان قد نزل قبل القران وقوله تعالى **ومن قبله**
يعني ومن قبل نزول القران ارسال محمد صلى الله عليه وسلم **كتاب
موسى** يعني التوراة **اماما ورحمة** يعني اماما لهم يرجعون اليه في
امور الدين والاحكام والشرايع وكونه رحمة لانه الهادي من الضلال
وذلك سبب حصول الرحمة وقوله تعالى **اوليك يومنون به** يعني
ان الذين وصفهم الله بانهم على بينة من ربهم هم المشار اليه بقوله
اوليك يومنون به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل اراد الذين
اسلموا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه **ومن يكفر به**
يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم **من الاحزاب** يعني جميع الكفار واصحاب
الاديان المختلفة فتدخل فيه اليهود والنصارى والمجوس وعبدة
الاصنام وغيرهم والاحزاب الفرق الذين تجمعوا وتحزبوا على مخالفة
الانبيا **فالنار موعده** يعني في الاخرة روي البغوي بسنده عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده
لا يسمع بي احد من هذه الامة لا يهودي ولا نصراني ومات ولم يومن
بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار قال سعيد بن جبير ما بلغني
حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه الا وجدت مصداقه
في كتاب الله عز وجل حتى بلغني هذا الحديث لا يسمع بي احد من هذه
الامة الحديث قال سعيد فقلت اين هذا في كتاب الله حتى اتيت على
هذه الاية ومن قبله كتاب موسى الى قوله ومن يكفر به من الاحزاب فالنار
موعده قال فالاحزاب اهل الملل كلها ثم قال تعالى **فلا تك في مرية
انه الحق من ربك** فيه قولان احدهما فلا تك في شك من صحة هذا
الدين ومن كون القران نازلا من عند الله فعلى هذا القول يكون متعلقا
بما قبله من قوله تعالى ام يقولون افتراه والقول الثاني انه راجع الى قوله
ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في شك من ان النار
موعد من كفر من الاحزاب والخطاب في قوله فلا تك في مرية للنبي صلى الله
عليه وسلم والمراد غيره لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط ويعضد
هذا القول سياق الاية وهو قوله **ولكن اكثر الناس لا يومنون** يعني لا
يصدقون بما اوحينا اليك او من ان موعد الكفار النار **قوله عز وجل**
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا يعني اي الناس اشد تعديا ممن
اختلق على الله كذبا فكذب عليه وزعم ان له شريكا او ولدا وفي الاية
دليل على ان الكذب على الله من اعظم انواع الظلم لان قوله ومن اظلم ممن

افترى

فقد

افترى على الله كذبا يورد في معرض المبالغة **اوليك** يعني المفترين على
الله الكذب **يعرضون على ربهم** يعني يوم القيمة فيسالهم عن اعمالهم
في الدنيا **ويقول الاشهاد** يعني الملايكة الذين يحفظون اعمال بني
آدم قاله مجاهد • وقال ابن عباس هم الانبيا والرسل وبه قال الضحاك
وقال قتادة الاشهاد الخلق كلهم **هولا الذين كذبوا على ربهم** يعني
في الدنيا وهذه الفضيحة تكون في الاخرة لكل من كذب على الله **الا لعنة
الله على الظالمين** يعني يقول الله ذلك يوم القيمة فيلعنهم ويطردهم
من رحمته **ق** عن صفوان بن محرز المازني قال بينما ابن عمر يطوف اذ عرض
له رجل فقال يا ابا عبد الرحمن اخبرني ما سمعت من رسول الله صلى
الله عليه وسلم في النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يدنى المومن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه
تعرف ذنب كذا وكذا فيقول اعرف رب اعرف مرتين فيقول سترتها
عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته وفي رواية
ثم تطوى صحيفة حسناته • واما الكفار والمنافقون فيقول الاشهاد
وفي رواية فينادى بهم على روس الخلايق هولا الذين كذبوا على ربهم
الا لعنة الله على الظالمين • قوله تعالى **الذين يصدون عن سبيل الله**
هذه الاية متصلة بما قبلها والمعنى الا لعنة الله على الظالمين ثم وصفهم
فقال الذين يصدون عن سبيل الله يعني يمنعون الناس من الدخول
في دين الله الذي هو الاسلام **ويبغونها عوجا** يعني ويطلبون القا
الشبهات في قلوب الناس وتعويج الدلايل الدالة على صحة دين الاسلام
وهم بالاخرة هم كافرون يعني وهم مع صدهم عن سبيل الله يجحدون البعث
بعد الموت منكرين له **اوليك** يعني من هذه صفته **لم يكونوا معجزين
في الارض** قال ابن عباس يعني سابقين وقيل هاربين وقيل فايتين في
الارض والمعنى انهم لا يعجزون الله اذا اراد بهم العقاب والانتقام منهم
ولكنهم في قبضته وملكه لا يقدرون على الامتناع منه اذا طلبهم **وما
كان لهم من دون الله من اوليا** يعني وما لهولا المشركين من انصار
يوم القيمة يمنعونهم من دون الله اذا اراد بهم سوا وعذابا **يضاعف لهم
العذاب** يعني في الاخرة يزاد عذابهم بسبب صدهم عن سبيل الله وانكار
البعث بعد الموت **ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون** قال
قتادة صم عن سماع الحق فلا يسمعون خيرا فينتفعوا به ولا يبصروا خيرا
فياخذوا به وقال ابن عباس اخبر الله انه احال بين اهل الشرك وبين
طاعته في الدنيا وفي الاخرة اما في الدنيا فانه قال ما كانوا يستطيعون
السمع وهي طاعته وما كانوا يبصرون • واما في الاخرة فانه قال لا يستطيعون

صم

خاشعة ابصارهم **اولئك الذين خسروا انفسهم** يعني ان هولا الذين هذه
صفتهم هم الذين غبنوا انفسهم حظوظها من رحمة الله **وضل عنهم ما كانوا**
يفترون يعني وبطل كذبهم وافكهم وفريتهم على الله وادعايهم ان الملايكة
والاصنام تشفع **لا جرم** يعني حقا وقال الفرا لا محالة **انهم في الاخرة هم**
الاخسرون لانهم باعوا منازلهم في الجنة واشتروا عوضها منازل في النار
وهذا هو الخسران المبين قوله تعالى **ان الذين امنوا وعملوا الصالحات**
واخبتوا الى ربهم لما ذكر الله عز وجل احوال الكفار في الدنيا وخسرانهم
في الاخرة اتبعه بذكر احوال المومنين في الدنيا وربحهم في الاخرة والاخبات
في اللغة هو الخشوع والخضوع وطمانينة القلب ولفظ الاخبات
يتعدى الى وباللام فاذا قلت اخبت فلان الى كذا فمعناه اطمان اليه
واذا قلت اخبت له فمعناه خشع وخضع له فقوله ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات اشارة الى جميع اعمال الجوارح • وقوله واخبتوا اشارة الى
اعمال القلوب وهي الخشوع والخضوع لله عز وجل وان هذه الاعمال
الصالحة لا تنفع في الاخرة الا بحصول اعمال القلب وهي الخشوع والخضوع
فاذا فسرنا الاخبات بالطمانينة كان معنى الكلام انهم ياتون بالاعمال
الصالحة مطمينين الى صدق وعد الله بالثواب والجزا على تلك الاعمال
ويكونون مطمينين الى ذكره سبحانه وتعالى • واذا فسرنا الاخبات بالخشوع
والخضوع كان معناه انهم ياتون بالاعمال الصالحة خايفين وجلين
ان لا تكون مقبولة وهو الخشوع والخضوع **اولئك** يعني الذين هذه
صفتهم **اصحاب الجنة هم فيها خالدون** اخبر الله عن حالهم في الاخرة بانهم
من اهل الجنة التي لا انقطاع لها نعيم ولا زوال له قوله تعالى **مثل الفريقين**
كالاعمى والاصم والبصير والسميع لما ذكر الله تعالى احوال الكفار وما كانوا
عليه من العمى عن طريق الهدى والحق ومن الصمم عن سماعه وذكر احوال
المومنين وما كانوا عليه من البصيرة وسماع الحق والانقياد للطاعة
ضرب لهم مثلا فقال تعالى مثل الفريقين يعني فريق المومنين وفريق
الكافرين كالاعمى هو الذي لا يهتدي لرشده والاصم وهو الذي لا يسمع شيا
البتة والبصير وهو الذي يسمع الاشيا على ما هيتها والسميع وهو الذي
يسمع الاصوات ويجيب الداعي فهو مثل المومنين كمثل الذي يسمع ويبصر
وهو الكامل في نفسه والكافر كمثل الذي لا يسمع ولا يبصر وهو الناقص في
نفسه فقال **هل يستويان مثلا** قال الفرا لم يقل يستوون لان الاعمى والاصم
في حيز كانهما واحد وهما من وصف الكافر **افلا تذكرون** يعني فتتعظون قوله
عز وجل **ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين** يعني ان نوحا عليه
السلام قال لقومه حين ارسله الله اليهم اني لكم ايها القوم نذير يعني بين النذارة

اخوف بالعقاب لمن خالف امر الله وعبد غيره وهو قوله **الا تعبدوا الا**
الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم يعني مولم موجع قال ابن عباس بعث
نوح بعد الاربعين سنة وعاش بعد الطوفان وكان عمره الف سنة الا خمسين
وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل
وهو ابن مائتين وخمسين سنة مكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين
سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة وكان عمره الف
واربعمائة وخمسون سنة **فقال الملا الذين كفروا من قومه**
يعني الاشراف والروسا من قوم نوح **ما نراك** يا نوح **الا بشرا مثلنا** يعني
ادميا مثلك لا فضل لك علينا لان التفاوت الحاصل بين احاد البشر
يمتنع انتهاره الى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة على جميع العالم
وانما قالوا هذه المقالة وتمسكوا بهذه الشبهة جهلا منهم لان من حق
الرسول ان يباشر الامة بالدعوة الى الله باقامة الدليل والبرهان
على ذلك وان يظهر المعجزة الدالة على صدقه لا بيانا في ذلك الا في احاد
البشر وهو من اختصه الله بكرامته وشرفه بنبوته وارسله الى عباده
ثم قال تعالى اخبارا عن قوم نوح **وما نراك اتبعك الا الذين هم**
اراذلنا يعني هم سفلتنا والاراذل الدون من كل شي قيل هم الحاكة
والاساكفة واصحاب الصنايع الخسيسة وانما قالوا ذلك جهلا منهم
ايضا لان الرفعة في الدين ومتابعة الرسول لا تكون بالشرف ولا بالمال
والمناصب العالية بل للفقرا الخاملين وهم اتباع الرسل ولا تضرهم
خسة صنايعهم اذا احسنت سيرتهم في الدين **بادي الراي** يعني انهم
اتبعوك في اول الراي من غير تثبيت وتفكر في امرك ولو تفكروا ما
اتبعوك وقيل معناه ظاهر الراي يعني اتبعوك ظاهرا من ان يتفكروا
باطنا **وما نرى لكم علينا من فضل** يعني بالمال والشرف والجاه وهذا
القول ايضا جهلا منهم لان الفضيلة المعتبرة عند الله بالايمان والطاعة
لا بالشرف والرياسة **بل نظنكم كاذبين** قيل الخطاب لنوح ومن امن
معه من قومه وقيل هو لنوح وحده فعلى هذا يكون الخطاب بلفظ الجمع
للواحد وهو على سبيل التعظيم **قال** نوح **يا قوم ارايتم ان كنت على**
بينة من ربي يعني على بيان ويقين من ربي بالذي انذرتكم به **واتاني**
رحمة من عنده يعني هدى ومعرفة ونبوة **فعميت عليكم** اي خفيت
والتبست عليكم **انلزمكموها** الهاء عايدة الى الرحمة والمعنى انلزمكم ايها
القوم قبول الرحمة يعني انا لا نقدر ان نلزمكم ذلك من عند انفسنا **وانتم**
لها كارهون يعني وهذا الاستفهام معناه الانكار ولا اقدر على ذلك والذي
اقدر عليه اذا دعوتكم الى الله وليس لي ان اضطركم الى ذلك قال قتادة والله لو

لو استطاع نبي الله لالزمها قومه ولكنه لم يملك ذلك حتى قوله **ويا قوم لا اسالكم**
عليه مالا يعنى لا اسالكم ولا اطلب على تبليغ الرسالة جعلا **ان اجرى الا**
على الله وما انا بطارد الذين امنوا وذلك انهم طلبوا من نوح ان يطرد
الذين امنوا وهم الارذلون فى زعمهم فقال ما يجوز الى ذلك لانهم يعتقدون
انهم ملاقوا ربهم فلا اطردهم **ولكنى اراكم قوما تجهلون** يعنى عظمة
الله ووحدانيته وربوبيته وقيل معناه انكم تجهلون ان هولا المومنين
خير منكم **ويا قوم من ينصرنى من الله ان طردتهم** يعنى من يمنعنى من عذاب
الله ان طردتهم عنى لانهم مومنون مخلصون **افلا تذكرون** يعنى افلا تتعظون
ولا اقول لكم عندى خزاين الله هذا عطف على قوله لا اسالكم عليه
مالا والمعنى لا اسالكم عليه مالا ولا اقول لكم عندى خزاين الله يعنى
التى لا يفنيها شى فادعوكم الى اتباعى عليها لاعطيكم منها وقال ابن
الانبارى الخزاين هنا بمعنى غيوب الله وانما هو منطوي عن الخلق
وانما وجب ان يكون هذا جوابا من نوح عليه السلام لهم لما قالوا
وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادى الراى فادعوا ان هولا
المومنين انما اتبعوه فى ظاهر ما يرى منهم وهم فى الحقيقة غير متبعين
له فقال مجيبا ولا اقول لكم عندى خزاين الله التى يعلم منها ما ينطوي
عليها عباده وما يظهرونه وانما قيل للغيوب خزاين لغموضها على
الناس واستتارها عنهم والقول الاول اولى ليحصل الفرق بين
قوله ولا اقول لكم عندى خزاين الله وبين قوله **ولا اعلم الغيب**
يعنى ولا ادعى علم ما يغيب عنى بما تزوونه فى نفوسكم فسبيلى قبول
ايمانهم فى الظاهر ولا يعلم ما فى ضمايرهم الا الله **ولا اقول انى ملك**
وهذا اوجه جوابه لقولهم ما نراك الا بشرا مثلنا ادعوكم الى الله
وابلغكم ما ارسلت به اليكم

فصل

استدل بعضهم بهذه الاية
فى تفضيل الملايكة على الانبيا قالوا لان نوحا عليه السلام قال ولا
اقول انى ملك لان الانسان اذا قال انا لا ادعى كذا وكذا لا يحسن
الا اذا كان ذلك الشى اشرف وافضل من احوال ذلك القايل فلما
قال نوح هذه المقالة وجب ان يكون الملك افضل منه والجواب
ان نوحا عليه السلام انما قال هذه المقالة فى مقابلة قولهم ما نراك
الا بشرا مثلنا لما كان فى ظنهم ان الرسل لا يكونوا من البشر انما يكونوا
من الملايكة فاعلمهم ان هذا الظن باطل وان الرسل انما يكونوا من
البشر فلهذا قال ولا اقول لكم انى ملك ولم يرد ان درجة الملايكة افضل
من درجة الانبيا والله اعلم وقوله تعالى **ولا اقول للذين تزدرى**
اعينكم يعنى تحتقر وتستصغر اعينكم يعنى المومنين وذلك لما قالوا

انهم اراذلنا من الرذالة وهى الخسة **لن يوتيهم الله خيرا** يعنى توفيقا
وهداية وايمانا واجرا **الله اعلم بما فى انفسهم** يعنى من الخير والشر **انى اذا**
لمن الظالمين قيل يعنى ان طردتهم تكذيبا لظاهرهم ومبطلا لايمانهم
يعنى انى ان فعلت هذا فاكون قد ظلمتهم وانا لا افعله فما انا من الظالمين
قالوا يا نوح قد جادلتنا معناه يعنى خاصمتنا **فاكثرت جدالنا** يعنى
خصومتنا **فاتنا بما تعدنا** يعنى من العذاب **ان كنت من الصادقين**
يعنى فى دعواك انك رسول الله الينا **قال انما ياتيكم به الله ان شا**
اى يعنى قال نوح لقومه حين استعجلوه بانزال العذاب وان ذلك ليس
لهم انما هو الى الله ينزله متى شا وعلى من شا ان اراد انزال ذلك بكم
وما انتم بمعجزين قيل معناه وما انتم بفايتين من العذاب **ولا ينفعكم**
نصحى ان اردت ان انصح لكم يعنى ولا ينفعكم انذارى وتحذيرى اياكم
عقوبته ونزول العذاب **ان كان الله يريد ان يغويكم** يعنى يضلكم
وقيل يهلككم وهذا معنى وليس بتفسير لان الاغوا يودى الى الهلاك
هو ربكم يعنى هو يهلككم فلا تقدرون على الخروج من سلطانه **واليه**
ترجعون يعنى فى الاخرة فيجازيكم باعمالكم **ام يقولون افتراه** اى اختلقه
وجا به من عند نفسه والضمير يعود الى الوحى الذى جاهم به **قل ان افتريته**
اى اختلقته **فعلى اجرامى** اى اثم اجرامى والاجرام بمعنى السية والاكتسا[ب] بها
يقال جرم واجرم بمعنى انه اكتسب الذنب وافتعله **وانا برى مما تجرمون**
يعنى من الكفر والتكذيب واكثر المفسرين على ان هذا من محاورة نوح
عليه السلام على قومه فهى من قصة نوح وقال مقاتل ام يقولون
يعنى المشركين من كفار مكة افتراه يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم
اختلق القران من عند نفسه فعلى هذا القول تكون هذه الاية
معترضة فى قصة نوح ثم رجع الى القصة فقال تعالى **واوحى الى نوح**
انه لن يومن من قومك الا من قد امن قال ابن عباس ان قوم نوح
كانوا يضربون نوحا حتى يسقط فيلفونه فى لبد ويلقونه فى بيت
يظنون انه قد مات فيخرج فى اليوم الثانى ويدعوهم الى الله وروى
ان شيخا منهم جا متوكيا على عصاة ومعه ابنه فقال يا بنى لا يغرنك
هذا الشيخ المجنون فقال يا ابت امكنى من العصاة فاخذها من ابيه
وضرب بها نوحا عليه السلام حتى شج شجة منكرة فاوحى الله اليه
انه لن يومن من قومك الا من قد امن **فلا تبتئس** اى يعنى لا تحزن
عليهم فى مهلكهم **بما كانوا يفعلون** يعنى بسبب كفرهم وافعالهم فحينيذ
دعا نوح عليهم عليه السلام عليهم فقال رب لا تذر وحكى محمد بن
اسحاق بن عبد الله بن عمير الليثى انه بلغه انهم كانوا يبسطون نوحا

فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا افاق قال رب اغفر لقومي فانهم
لا يعلمون حتى تمادوا في المعصية واشتد عليهم البلا وهو ينتظر الى
الجيل بعد الجيل فلا يات قرن الا كانوا اخبث من الذي قبله ولقد
كان ياتي القرن الاخر منهم فيقول قد كان هذا الشيخ مع ابائنا
واجدادنا هكذا مجنونا فلا يقبلون منه شيا فشكا نوح الى الله عز
وجل فقال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الايات حتى بلغ رب
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فاوحى الله اليه **واصنع الفلك**
جمع يطلق على الواحد والجمع **باعيننا** قال ابن عباس بمرا منا وقيل
بحفظنا **ووحينا** وقيل بامرنا **ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم**
مغرقون يعني بالطوفان والمعنى لا تخاطبني في امهال الكفار فاني
قد حكمت باغراقهم وقيل لا تخاطبني في ابنك كنعان وامراتك واعلة
فانهما هالكان مع القوم وقيل ان جبريل اتى نوحا فقال له ان ربك
يامرك ان تصنع الفلك فقال كيف اصنعها ولست بنجار فقال
فان ربك يقول لك اصنع فانك باعيننا فاخذ القدوم وجعل
ينجر فلا يخطي فصنعها مثل جرجر الطاير وهو قوله تعالى **ويصنع**
الفلك يعني كما امره الله تعالى قال اهل السير لما امر الله نوحا
عليه السلام بعمل السفينة اقبل على عملها ولهاه عن قومه وجعل
يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيئ القار وكلما يحتاج اليه في عمل
الفلك وجعل قومه يمرون به وهو في عمله فيسخرون منه ويقولون
يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة واعقم الله ارحام النسا فلا يولد
لهم ولد قال البغوي وزعم اهل التوراة ان الله امره ان يصنع
الفلك من خشب الساج وان يصبغه ازورد وان يطليه بالقار من
داخله وخارجه وان يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين
ذراعا وطوله في السما ثلاثون ذراعا والذراع الى المنكب وان
يجعله ثلاث طباق سفلا ووسطا وعلوا وان يجعل فيه كوى
فصنعه نوح كما امره الله عز وجل وقال ابن عباس اتخذ نوح السفينة
في سنتين وكان طولها ثلاثماية ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها
في السما ثلاثين ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاث
بطون فجعل في البطن السفلى الوحوش والسباع والهوام وفي البطن
الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه البطن وحمل معه
ما يحتاج من الزاد وغيره قال قتادة وكان بابها في عرضها وروى
عن الحسن انه كان طولها الف ذراع ومايتي ذراع وعرضها ستماية
ذراع وعرضها سبعماية ذراع والقول الاول اشهر ان طولها ثلثماية

ذراع

ذراع وقال زيد بن اسلم مكث نوح ماية سنة يغرس الاشجار ويقطعها
وماية سنة يصنع الفلك . وقال كعب الاحبار عمل نوح السفينة
في ثلاثين سنة وروي انها كانت ثلاث طباق الطبقة الاولى للدواب
والطبقة الوسطى للانس والطبقة العليا للطير فلما كثرت ارواث
الدواب اوحى الله تعالى الى نوح ان اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه
خنزير وخنزيرة ومسح على الخنزير فوقع منه الفارة فاقبلوا على
الروث فاكلوه فلما افسد الفار في السفينة فجعل يقرضها ويقرض
حبالها اوحى الله تعالى الى نوح ان اضرب بين عيني الاسد فخرج
من منخره سنور وسنورة وهي القط فاقبلا على الفار فاكلاه قوله
تعالى **وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه** اي جماعة من قومه
سخروا يعني استهزوا به وذلك انهم قالوا ان هذا الذي كان يزعم انه
نبي قد صار نجارا وقيل قالوا يا نوح ما تصنع قال اصنع بيتا يمشي
على الما فيضحكون منه **قال** يعني نوحا لقومه **ان تسخروا منا فانا**
نسخر منكم كما تسخرون يعني ان تستجهلونا في صنعنا فانا نستجهلكم
لتعرضكم ما يوجب سخط الله وعذابه **فان قلت**
السخرية لا تليق بمنصب النبوة فكيف قال نوح عليه السلام ان تسخروا
منا فانا نسخر منكم كما تسخرون **قلت** انما سمى هذا الفعل سخرية
على سبيل الازدواج في مشاكلة الكلام كما في قوله تعالى وجزاء سيئة
سيئة مثلها والمعنى انا نرى غب سخريتكم بنا اذا نزل بكم العذاب
وقوله تعالى **فسوف تعلمون** يعني فسترون **من ياتيه** يعني اينا ياتيه
نحن او انتم **عذاب يخزيه** يعني يهينه **ويحل عليه عذاب مقيم** يعني
في الاخرة فالمراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا في الغرق والمراد بالعذا
الثاني عذاب الاخرة وهو عذاب النار التي لا انقطاع لها قوله تعالى
حتى اذا جا امرنا وفار التنور يعني وغلى والفور الغليان وفارت
القدر اذا غلت والتنور فارسي معرب لا تعرف له العرب اسما غير
هذا فلذلك جا في القران بهذا اللفظ فخوطبوا بما يعرفون وقيل ان
لفظ تنور جا هكذا بكل لسان عربي وعجمي وقيل ان لفظ التنور اصله
عجمي فتكلمت به العرب فصار عربيا مثل الديباج ونحوه واختلفوا في
المراد بهذا التنور فقال عكرمة والزهري هو وجه الارض وذلك
انه قيل لنوح اذا رايت الما قد فار على وجه الارض فاركب السفينة
فعلى هذا يكون الجواب قد جعل فوران التنور علامة لنوح على هذا
الامر العظيم وقال علي فار التنور اي طلع الفجر ونور الصبح شبه نور
التنور يخرج النار من التنور وقال الحسن ومجاهد والشعبي ان التنور

هو الذي يخبز فيه وهو قول اكثر المفسرين ورواية عن ابن عباس ايضا
وهذا القول اصح لان اللفظ اذا دار بين الحقيقة والمجاز كان حمله على
الحقيقة اولى ولفظ التنور حقيقة في اسم الموضع الذي يخبز فيه فوجب
حمل اللفظ عليه **فان قلت** الالف واللام في لفظ التنور للعهد
وليس هنا معهود سابق عند السامع فوجب حمله على غيره وهو شدة
الامر والمعنى اذا رايت الما يشتد نبوعه ويقوى فانج بنفسك ومن
معك **قلت** لا يبعد ان يكون ذلك التنور معلوما عند نوح
عليه السلام قال الحسن كان تنورا من حجارة وكانت حوا تخبز فيه صار
الى نوح وقيل له اذا رايت الما يفور من التنور فاركب انت واصحابك
واختلفوا في موضع التنور فقال مجاهد نبع الما في التنور فعلمت به
امراته فاخبرته وكان ذلك في ناحية الكوفة وكان الشعبي يحلف
بالله ما فار التنور الا من ناحية الكوفة قال الشعبي اتخذ نوح السفينة
في جوف مسجد الكوفة وكان التنور على يمين الداخل مما يلي باب كندة
وكان فوران التنور علامة لنوح عليه السلام • وقال مقاتل كان
ذلك التنور تنور آدم عليه السلام وكان بالشام بموضع يقال له عين
ورده وروي عن ابن عباس انه كان بالهند وقال الفوران الغليان
قلنا احمل فيها يعني قلنا لنوح احمل في السفينة **من كل زوجين
اثنين** الزوجان كل اثنين لا يستغني احدهما عن الاخر كالذكر والانثى
يقال لكل منهما زوج والمعنى من كل صنف زوجين ذكر وانثى فحشر الله
اليه الحيوان من الدواب والسباع والطير فجعل نوح يضرب بيديه
في كل جنس منها فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى في يده اليسرى فيجعلها
في السفينة **واهلك** اي واحمل اهلك وولدك وعيالك **الا من سبق
عليه القول** يعني بالهلاك واراد به امراته واعلة وابنه كنعان **ومن
آمن** يعني واحمل من امن بك معك من قومك **وما امن معه الا قليل**
اختلفوا في عدد من حمل نوح معه في السفينة فقال قتادة وابن جريج
ومحمد بن كعب القرظي لم يكن في السفينة الا ثمانية نفر نوح وامراته
وثلاث بنين له وهم سام وحام ويافث ونساهم وقال الاعمش كانوا
سبعة نوح وبنيه وثلاث كناين له • وقال محمد بن اسحاق كانوا عشرة
سوى نسايهم وهو نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة نفر امنوا
بنوح وازواجهم جميعا • وقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين نفرا رجلا
وامراة • وقال ابن عباس كان في السفينة ثمانون رجلا احدهم جرهم
وقال الطبري والصواب من القول في ذلك ان يقال كما قال الله عز
وجل وما امن معه الا قليل فوصفهم بالقلة ولم يحد عددا بمقدار فلا

ينبغي ان يجاوز في ذلك حد الله تعالى اذا لم يرد ذلك في كتاب الله ولا خبر
صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مقاتل حمل نوح معه
جسد ادم عليه السلام فجعله معترضا بين الرجال والنسا وقصد نوح
جميع الدواب والطيور ليحملها • قال ابن عباس اول ما حمل نوح الدرة
واخر ما حمل الحمار فلما اراد ان يدخل الحمار ادخل صدره فتعلق بذنبه
وجعل نوح يقول له ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال له
ادخل وان كان الشيطان معك كلمة زلت عن لسانه فلما قالها نوح
خلى سبيله فدخل الى الحمار ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما ادخلك
يا عدو الله قال الم تقل ادخل وان كان الشيطان معك قال
اخرج عني يا عدو الله قال ما لك بد ان تحملني معك وكان فيما يزعمون
على ظهر السفينة هكذا نقله البغوي والامام فخر الدين الرازي واما
الذي يروى ان ابليس دخل السفينة فبعيد لانه من الجن وهو جسم
ناري او هوائي فكيف يفر من الغرق • وايضا فان كتاب الله لم يدل
على ذلك ولم يرد فيه خبر صحيح فالاولى ترك الخوض فيه قال البغوي
وروي بعضهم ان الحية والعقرب اتيا نوحا فقالتا احملنا معك فقال
انكما سبب البلا فلا احملكما فقالتا احملنا فنحن نضمن لك ان لا نضر احدا
اذا ذكرك فمن قرا حين يخاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين لم يضراه
وقال الحسن لم يحمل نوح معه في السفينة الا ما يلد ويبيض واما ما
سوى ذلك مما يتولد من الطين من حشرات الارض كالبق والبعوض
فلم يحمل منها شيا **وقال اركبوا فيها** يعني وقال نوح لمن حمل معه اركبوا
فيها اي في السفينة **بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم**
يعني بسم الله اجراوها وارساوها قال الضحاك كان نوح اذا اراد ان
تجري السفينة قال بسم الله فتجري وكان اذا اراد ان ترسي قال بسم الله
فترسي اي تقف وهذا تعليم من الله لعباده انه من اراد امرا فلا ينبغي
له ان يشرع فيه حتى يذكر اسم الله عليه وقت الشروع حتى يكون ذلك سببا
للنجاح والفلاح في ساير الامور **وهي تجري بهم في موج كالجبال** الموج
ما ارتفع من الما اذا اشتدت عليه الريح شبهه بالجبال في عظمه وارتفاعه
على الما قال العلما بالسير ارسل الله المطر اربعين يوما وليلة وخرج الما
من الارض فذلك قوله تعالى ففتحنا ابواب السما بما منهمر وفجرنا
الارض عيونا فالتقى الما على امر قد قدر يعني صار الما نصفين نصف من
السما ونصف من الارض وارتفع الما على اعلى جبل واطوله اربعين ذراعا
وقيل خمسة عشر ذراعا حتى اغرق كل شي • وروى انه لما كثر الما في السكك
خافت ام صبي على ولدها من الغرق وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت

الى الجبل حتى بلغت ثلثه لحقها الما فارتفعت حتى بلغت ثلثيه فلما
لحقها الما ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الما الى رقبتها رفعت
الصبي بيديها حتى ذهب بهما الما فلو رحم الله منهم احدا لرحم ام الصبي
ونادى نوح ابنه يعني كنعان وكان في معزل عن نوح لم يركب معه
يا بني اركب معنا يعني في السفينة ولا تكن مع الكافرين يعني
فتهلك معهم قال يعني كنعان ساوى يعني سالتجي واصير الى جبل
يعصمني يعني يمنعني من الما قال له نوح لا عاصم يعني مانع اليوم من
امر الله يعني من عذابه الا من رحم يعني الا من رحمه الله فينجيه من
الغرق وحال بينهما الموج فكان من المغرقين يعني كنعان وقيل يعني
بعدما تناهى الطوفان واغرق قوم نوح يا ارض ابلعي ماءك اى اشربيه
ويا سما اقلعي اي امسكي وغيض الما اى نقص ونضب يقال غاض اذا
نقص وذهب وقضي الامر يعني وفرغ من الامر وهو هلاك قوم نوح
واستوت يعني واستقرت السفينة على الجودي وهو جبل بالجزيرة
بقرب الموصل وقيل بعدا للقوم الظالمين قال العلما بالسير لما استقرت
السفينة بعث الله نوح الغراب لياتيه بخبر الارض فوقع على جيفة
فلم يرجع اليه فبعث الحمامة فجات بورق الزيتون بمنقارها ولطخت
رجليها بالطين فعلم نوح ان الما قد ذهب فدعا على الغراب بالخوف فلذلك
لا يالف البيوت وطوق الحمامة بالحمرة التي في عنقها ودعا لها بالامان
فمن ثم تالف البيوت وروي ان نوحا عليه السلام ركب السفينة
لعشر بقين من رجب وجرت بهم السفينة ستة اشهر ومرت بالبيت
الحرام وقد رفعه الله من الغرق وبقي موضعه فطافت السفينة به
سبعا واودع الحجر الاسود جبل ابي قبيس وهبط نوح ومن معه في السفينة
يوم عاشورا فصامه نوح عليه السلام وامر جميع من معه بصيامه شكرا
لله تعالى وبنوا قرية بقرب الجبل فسميت سوق ثمانين فهو اول قرية
عمرت على وجه الارض بعد الطوفان وقيل انه لم ينج احد من الكفار من
الغرق غير عوج بن عنق وكان الما يصل الى حجزته وسبب نجاته من الهلاك
ان نوحا عليه السلام احتاج الى خشب ساج فلم يمكنه نقله فحمله عوج
من الشام الى نوح فنجاه الله من الغرق لذلك **فان قلت**
كيف اقتضت الحكمة الالهية والكرم العظيم غرق من لم يبلغ الحلم من
الاطفال ولم يدخلوا تحت التكليف بذنوب غيرهم **قلت**
قد ذكر بعض المفسرين ان الله عز وجل اعقم ارحام نسايهم اربعين سنة
فلم يولد لهم ولد في تلك المدة وهذا الجواب ليس بقوي لانه يرد عليه
اغراق الدواب والهوام والطير وغير ذلك من الحيوان ويرد عليه ذلك

يعني هلاكام

ايضا

ايضا هلاك اطفال الامم الكافرة مع ابايهم غير قوم نوح والجواب
الثاني عن هذا كله ان الله متصرف في خلقه وهو المالك المطلق يفعل
ما يشا ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل وهم يسالون **قوله عز وجل**
ونادى نوح ربه اى دعاه وساله وقال فقال رب ان ابني من اهلي
يعني وقد وعدتني ان تنجيني واهلي وان وعدك الحق يعني الصدق
الذي لا خلف فيه وانت احكم الحاكمين يعني انك حكمت لقوم بالنجاة
وعلى قوم بالهلاك قال يعني قال الله يا نوح هذا الابن الذي سالتني
نجاته انه ليس من اهلك اختلف علما التفسير هل كان هذا الولد
ابن نوح لصلبه ام لا فقال الحسن ومجاهد كان ولد حنث من غير
نوح ولم يعلم به فلذلك قال انه ليس من اهلك • وقال محمد بن جعفر
الباقر كان ابن امراة نوح وكان يعلمه نوح ولذلك قال من اهلي ولم
يقل مني • وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك
واكثر المفسرين انه ابن نوح من صلبه وهذا القول هو الصحيح والقولا
الاولان ضعيفان بل باطلان ويدل على صحة القول الجمهور ما صح عن ابن
عباس انه قال ما بغت امراة نبي قط ولان الله تعالى نص عليه بقوله
ونادى نوح ابنه وكان نوح ايضا نص عليه بقوله يا بني اركب معنا
وهذا نص في الدلالة لتد صرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز من غير
ضرورة لا يجوزوا نما خالف هذا الظاهر من خالفه لانه استبعد ان يكون
ولد نبي كافرا وهذا خطا ممن قال لان الله خلق خلقه فريق في الجنة
وهم المومنون وفريق في السعير وهم الكافرون والله تعالى يخرج الكافر
من المومن والمومن من الكافر ولا فرق في ذلك بين الانبيا وغيرهم
فان الله اخرج قابيل من صلب ادم عليه السلام وهو نبي وكان قابيل
كافرا واخرج ابراهيم وهو نبي من صلب آزر وكان كافرا وكذلك اخرج
كنعان وهو كافر من صلب نوح وهو نبي فهو المتصرف في خلقه كيف شا
فان قلت فعلى هذا كيف ناداه نوح فقال اركب معنا وسال
له النجاة مع قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا **قلت**
قد ذكر بعضهم ان نوحا عليه السلام لم يعلم بكون ابنه كان كافرا فلذلك
ناداه وعلى تقدير انه يعلم كفره انما حمله على ان ناداه رقة الابوة ولعله
اذا راى تلك الاهوال ان يسلم فينجيه الله بذلك من الغرق فاجابه
الله عز وجل بقوله انه ليس من اهلك يعني انه ليس من اهل دينك
لان اهل الرجل من يجمعه واياهم نسب او دين او ما يجري مجراهما ولما حكمت
الشريعة برفع حكم النسب في كثير من الاحكام بين المسلم والكافر قال الله
تعالى لنوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح قرا الكسايي ويعقوب

٥

عمل بكسر الميم وفتح اللام غير بفتح الرا على عود الفعل على الابن ومعناه
انه عمل الشرك والكفر والتكذيب وكان هذا غير صالح وقرا الكسائي
والباقون من القرا عمل بفتح الميم ورفع اللام مع التنوين بضم غير الرا
ومعناه ان سوالك اياي ان انجيه من الغرق عمل غير صالح لان
طلب نجاة الكفر بعد ما حكم عليه بالهلاك بعيد فلهذا قال انه عمل
غير صالح ويجوز ان يعود الضمير في انه على ابن نوح ايضا ويكون
التقدير على هذه القراة انا ابنك ذو عمل او صاحب عمل غير صالح فحذف
المضاف كما قالت الخنسا • فانما هي اقبال وادبار • قال الواحدي
وهذا قول ابي اسحاق يعني الزجاج وابي بكر بن الانباري وابي علي
الفارسي قال ابو علي ويجوز ان يكون ابن نوح عمل عملا غير صالح كما
يجعل الشي الشي نفسه لكثرة ذلك منه كما يقال الشعر زهير والعلم
فلان اذا اكثر منه فعلى هذا الاحذف **فلا تسالني ما ليس لك به علم**
وذلك ان نوحا عليه السلام سال ربه انجا ولده من الغرق وهو
من كمال شفقة الوالد على الولد ولده وهو لا يعلم ان ذلك محظورا
لاصرار ولده على الكفر فنهاه الله عن مثل هذه المسالة واعلمه ان
ذلك لا يجوز فكان المعنى فلا تسالني ما ليس لك به علم بجواز مسئلته
اني اعظك يعني انهاك **ان تكون من الجاهلين** يعني لمثل هذا
السوال **قال** يعني قال نوح **رب اني اعوذ بك** يعني الجا اليك واعتذر
اليك **ان اسالك ما ليس لي به علم** يعني انك انت علام الغيوب
وانا لا اعلم ما غاب عني فاعتذر اليك من مسالتي ما ليس لي به علم
والا تغفر لي يعني جهلي واقدامي على سوال ما ليس لي به علم **وترحمني**
يعني برحمتك التي وسعت كل شي **اكن من الخاسرين**

فصل

وقد استدل بهذه الايات من لا يرى عصمة الانبيا وبيانه ان قوله انه
عمل غير صالح والمراد منه السوال وهو محظور فلهذا انهاه عنه بقوله
فلا تسالني ما ليس لك به علم • وقوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين
وهذا يدل على ان ذلك السوال كان جهلا ففيه زجر وتهديد وطلب
المغفرة والرحمة له يدل على صدور الذنب منه **والجواب** ان الله
عز وجل كان قد وعد نوحا عليه السلام بان ينجيه واهله فاخذ نوح
ظاهرا للفظ واتبع التاويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه
ولم يشك في وعد الله تعالى فاقدم على هذا السوال لهذا السبب فعاتبه
الله عز وجل على سواله ما ليس له به علم وبين له انه ليس من اهله
الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه الله
انه مغرق مع الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاشفق نوح من اقدامه

من

على

على سوال ربه فيما لم يوذن له فيه فخاف نوح من ذلك فلجا الى ربه
عز وجل وخشع له وعاذ به وساله المغفرة والرحمة لان حسنات
الابرار سيات المقربين وليس في الايات ما يقتضي صدور ذنب
ومعصية من نوح عليه السلام سوى تاويله واقدامه على سوال
ما لم يوذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية والله اعلم • قوله
تعالى **قيل يا نوح اهبط** اي انزل من السفينة او من الجبل الى الارض
بسلام منا اي بامن منا وسلامة **وبركات عليك** البركة هي ثبوت
الخير ونماوه وزيادته وقيل المراد بالبركة هنا ان الله تعالى جعل
ذريته هم الباقين الى يوم القيمة فكل العالم من ذرية اولاده الثلاث
ولم يعقب من كان معه في السفينة غيرهم **وعلى امم ممن معك** يعني
وعلى ذرية امم ممن كان معك في السفينة والمعنى وبركات عليك
وعلى قرون تجي من بعدك من ذرية اولادك وهم المومنون قال محمد
ابن كعب القرظي دخل في هذا كل مومن الى يوم القيمة **وامم سنمتعهم**
هذا ابتدا الكلام اي وامم كافرة يحدثون بعدك سنمتعهم يعني في الدنيا
الى منتهى اجالهم **ثم يمسهم منا عذاب اليم** يعني في الاخرة **تلك من
انبا الغيب** هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان هذه القصة
التي اخبرناك يا محمد من قصة نوح وخبره وخبر قومه من انبا الغيب
يعني من اخبار الغيب **نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك
من قبل هذا** يعني من قبل نزول القران عليك **فان قلت**
ان قصة نوح كانت مشهورة معروفة في العالم فكيف قال ما كنت
تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا **قلت** يحتمل ان يكونوا
كانوا يعلمونها مجملا فنزل القران بتفصيلها وبيانها **وجواب** اخر
وهو انه صلى الله عليه وسلم كان اميا لم يقرا الكتب المتقدمة ولم يعلمها
وكذلك كانت امته • قوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل نزول
القران بها **فاصبر** يا محمد على اذى مشركي قومك كما صبر نوح على اذى قومه
ان العاقبة يعني بالنصر والظفر على الاعدا والفوز بالسعادة الاخروية
للمتقين يعني للمومنين **قوله عز وجل** **والى عاد** يعني وارسلنا
الى عاد **اخاهم هودا** يعني انه اخاهم في النسب لا في الدين **قال يا قوم
اعبدوا الله** يعني وحدوا الله ولا تشركوا معه شيا في العبادة **ما لكم من
اله غيره** يعني انه تعالى هو الهكم لا هذه الاصنام التي تعبدونها فانها
حجارة لا تضر ولا تنفع **ان انتم الا مفترون** يعني ما انتم الا كاذبون في
عبادتكم غيره **يا قوم لا اسالكم عليه** يعني على تبليغ الرسالة **اجرا** يعني
جعلا اخذه منكم **ان اجري** يعني ما ثوابي **الا على الذي فطرني** يعني

خلقني فانه هو الذي يرزقني في الدنيا ويثيبني في الاخرة افلا تعقلون
يعني فتتعظون ويا قوم استغفروا ربكم يعني امنوا به فالاستغفار
هنا بمعنى الايمان لانه هو المطلوب اولا ثم توبوا اليه يعني من شرككم ه
وعبادتكم غيره ومن سالف ذنوبكم يرسل السما عليكم مدرارا يعني
ينزل المطر عليكم متتابعا بغامرة بعد ضرة في اوقات الحاجة اليه
وذلك ان بلادهم كانت مخصبة كثيرة الخير والنعم فامسك الله عنهم
المطر مدة ثلاث سنين فاجدبت بلادهم وقحطت بسبب كفرهم
فاخبرهم هود عليه السلام انهم ان امنوا بالله وصدقوه ارسل الله
عليهم المطر فاحيى بلادهم كما كانت اول مرة ويزدكم قوة الى قوتكم
يعني شدة مع شدتكم وقيل انكم ان امنتم يقويكم بالاموال والاولاد
وذلك ان الله تعالى اعقم ارحام نسايهم فلم تلدن فقال لهم هود عليه
السلام ان امنتم ارسل الله المطر فتزدادون مالا ويعيد ارحام
الامهات الى ما كانت عليه فيلدن فتزدادون قوة بالاموال والاولاد
وقيل تزدادون في الدين الى الدنيا والابدان ولا تتولوا مجرمين يعني
ولا تعرضوا عن قبول قولي ونصحي حال كونكم مشركين قالوا يا هود ما
جيتنا ببينة اي ببرهان وحجة واضحة على صحة ما تقول وما نحن
بتاركي الهتنا عن قولك يعني وما نترك عبادة الهتنا لاجل قولك
وما نحن لك بمومنين يعني بمصدقين ان نقول الا اعتراك بعض
الهتنا بسوء يعني انك يا هود لست تتعاطى ما تتعاطاه من مخالفتنا
وسب الهتنا الا ان بعض الهتنا اصابك بخبل او جنون لانك سببتهم
فانتقموا منك بذلك ولا نحمل امرك الا على هذا قال يعني قال هود مجيبا
لهم اني اشهد الله يعني على نفسي واشهدوا يعني انتم اشهدوا ايضا على
اني بري مما تشركون من دونه يعني هذه الاصنام التي كانوا يعبدونها
فكيدوني جميعا يعني احتالوا في كيدي وضري انتم واصنامكم التي تعتقدون
انها تضر وتنفع فانها لا تضر ولا تنفع ثم لا تنظرون يعني ثم لا تمهلون
وهذه فيه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وذلك انه كان وحيدا في
قومه وقال لهم هذه المقالة ولم يهبهم ولم يخف منهم مع ما هم فيه من
الكفر والجبروت الا لثقته بالله عز وجل وتوكله عليه وهو قوله
اني توكلت على الله ربي وربكم يعني انه فوض امره الى الله واعتمد
عليه ما من دابة يعني تدب على الارض ويدخل في هذا جميع بني ادم
والحيوان لانهم يدبون على الارض الا هو اخذ بناصيتها يعني انه تعالى
هو مالكها والقادر عليها ويقهرها لان من اخذت بناصيته فقد قهرته
والناصية مقدم الراس وسمي الشعر الذي عليه ناصية للمجاورة قيل

انما

انما خص الناصية بالذكر لان العرب تستعمل ذلك كثيرا في كلامهم
واذا وصفوا انسانا بالذلة مع غيره فيقولوا ناصية فلان بيد فلان
وكانوا اذا اسروا اسيرا وارادوا اطلاقه جزوا ناصيته ليمنوا عليه
وبعد وابذلك فخرا عليهم فخاطبهم الله بما يعرفون من كلامهم ان ربي
على صراط مستقيم يعني ان ربي وان كان قادرا وانهم في قبضته ه
كالعبد الذليل فانه سبحانه وتعالى لا يظلمكم ولا يعمل الا بالاحسان
والانصاف والعدل فيجازي المحسن باحسانه والمسيء بعصيانه
وقيل معناه ان ربي دين هو الصراط المستقيم وقيل فيه اضمار تقديره
ان ربي يحملكم على صراط مستقيم فان تولوا يعني تعرضوا عن الايمان
بما ارسلت به اليكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم يعني اني لم يقع
مني تقصير في تبليغ ما ارسلت به اليكم انما التقصير منكم في قبول
ذلك ويستخلف ربي قوما غيركم يعني انكم ان اعرضتم عن الايمان
وقبول ما ارسلت به اليكم يهلككم الله ويستبدل بكم قوما غيركم
اطوع منكم يوحدونه ويعبدونه وفيه اشارة الى عذاب الاستيصال
فهو وعيد وتهديد ولا تضرونه شيا يعني بتوليكم انما تضرون انفسكم
بذلك وقيل لا تنقصونه شيا اذا اهلككم لان وجودكم وعدمكم عنده
سوا ان ربي على كل شي حفيظ يعني انه تعالى حافظ لكل شي فيحفظني
من ان تنالوني بسوء قوله تعالى ولما جا امرنا يعني باهلاكهم وعذابهم
نجينا هودا والذين امنوا وكانوا اربعة الاف برحمة منا وذلك
ان العذاب اذا نزل قد يعم المومن والكافر فلما انجى الله المومن من
ذلك العذاب كان برحمته وفضله وكرمه ونجيناهم من عذاب
غليظ يعني الريح التي اهلكت بها عاد وذلك ان الله تعالى ارسل
الى عاد ريحا شديدة غليظة سبع ليال وثمانية ايام حسوما وهي
الايام النحسات فاهلكتهم جميعا وانجى الله المومنين فلم تضرهم شيا
وقيل المراد بالعذاب الغليظ هو عذاب الاخرة وهذا هو الصحيح
ليحصل الفرق بين العذابين والمعنى انه تعالى كما انجاهم من
عذاب الدنيا كذلك نجيهم من عذاب الاخرة ووصف عذاب الاخرة
بكونه غليظا لانه اعظم من عذاب الدنيا وتلك عاد جحدوا بايات
ربهم وعصوا رسله لما فرغ من ذكر قصة عاد خاطب امة محمد صلى
الله عليه وسلم فقال وتلك عاد رده الى القبيلة وفيه اشارة الى
قبورهم واثارهم كانه قال سيروا في الارض فانظروا اليها واعتبروا
بها ثم وصف حالهم بقوله جحدوا بايات ربهم يعني المعجزات التي اتى
بها هود عليه السلام وعصوا رسله يعني هودا وحده وانما اتى بلفظ

الجمع اما للتعظيم او لان من كذب برسول الله فقد كذب كل الرسل ٠
وَاتبعوا امر كل جبار عنيد يعني ان السفلة منهم اتبع الرؤسا والمراد
من الجبار الرفيع في نفسه المتمرد على الله والعنيد المعاند الذي
لا يقبل الحق ولا يتبعه وَاتبعوا في هذه الدنيا لعنة يعني اردفوا
لعنة تلحقهم وتنصرف معهم واللعنة الطرد والابعاد من رحمة
الله ويوم القيمة يعني وفي يوم القيمة ايضا تتبعهم اللعنة كما
تتبعهم في الدنيا ثم ذكر السبب الذي استحقوا به هذه اللعنة
فقال تعالى الا ان عادا كفروا ربهم اى كفروا بربهم الا بعدًا
لعاد يعني هلاكا لهم وقيل بعدا عن الرحمة فان قلت
اللعنة معناها الابعاد والهلاك فما الفايدة في قوله الا بعدًا
لعاد لان الثاني هو الاول بعينه قلت الفايدة فيه ان التكرير
فيه بعبارتين مختلفتين يدل على نهاية التاكيد وانهم كانوا
مستحقين له قوم هود عطف بيان لعاد فان قلت هذا
البيان حاصل مفهوم فما الفايدة في قوله قوم هود قلت
ان عادا كانوا قبيلتين عاد الاولى القديمة التي هي قوم هود وعاد
الثانية وهم ارم ذات العماد وهم العماليق فاتى بقوله قوم هود
ليزول الاشتباه وجواب اخر وهو ان المبالغة في التنصيص
يدل على تقوية التاكيد قوله عز وجل وَالى ثمود اخاهم صالحا
اى وارسلنا الى ثمود وهم سكان الحجر اخاهم صالحا يعني في النسب
لا في الدين قال يا قوم اعبدوا الله اى وحدوا الله وخصوه بالعبا[دة]
ما لكم من اله غيره يعني هو الهكم المستحق للعبادة لا هذه الاصنام
ثم ذكر الدلايل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته فقال هو
انشاكم من الارض يعني انه هو ابتدا خلقكم من الارض وذلك انهم
من بني ادم وادم خلق من الارض واستعمركم فيها يعني وجعلكم
عمارها وسكانها ٠ وقال الضحاك اطال اعماركم فيها حتى كان الواحد
منهم يعيش ثلثمائة سنة الى الف سنة وكذلك كان قوم عاد وقال
مجاهد اعمركم من العمرى اى جعلها لكم ما عشتم فاستغفروه يعني
من ذنوبكم ثم توبوا اليه يعني من الشرك ان ربي قريب يعني من
المؤمنين مجيب لدعائهم قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل
هذا يعني قبل هذا القول الذي جيت به والمعنى انا كنا نرجوا ان
تكون فينا سيدا لانه كان من قبيلتهم وكان يعين ضعيفهم ويغني
فقيرهم وقيل معناه كنا نطمع ان تعود في ديننا فلما اظهر دعاهم
الى الله وعاب الاصنام انقطع رجاوهم منه اتنهانا ان نعبد ما

يعبد اباونا يعني الالهة وَاننا لفي شك مما تدعونا اليه يعني من عبادة
الله مريب يعني انا مرتابين في قولك من ارابه اذا اوقعه في الريبة وهي
قلق النفس ووقوعها في الريبة والتهمة قال يا قوم يعني قال صالح مجيبا
لقومه يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي على يقين وبرهان واتاني
منه رحمة يعني نبوة وحكمة فمن ينصرني من الله اي فمن يمنعني من عذاب
الله ان عصيته يعني ان خالفت امره فما تزيدونني غير تخسير
قال ابن عباس معناه غير بصارة في خسارتكم وقال الحسين بن
الفضل لم يكن صالح في خسارة حتى يقول فما تزيدونني غير تخسير
وانما المعنى فما تزيدونني بما تقولون الا نسبتي اياكم الى الخسارة ويا
قوم هذه ناقة الله لكم اية وذلك ان قومه طلبوا منه ان يخرج لهم
ناقة من صخرة كانت هناك اشاروا اليها فدعا الله عز وجل فاخرج
لهم من تلك الصخرة ناقة عشرا ثم ولدت فصيلا يشبهها وقوله
ناقة الله اضافة تشريف كبيت الله وعبد الله فكانت هذه الناقة
لهم اية ومعجزة دالة على صدق صالح عليه السلام فذروها تاكل يعني
من العشب والنبات في ارض الله يعني فليس عليكم مؤنتها ولا تمسوها
بسوء يعني بعقر فياخذكم يعني ان تتلموها عذاب قريب يعني في
الدنيا فعقروها يعني فخالفوا امر ربهم فعقروها فقال يعني فقال لهم
صالح تمتعوا يعني عيشوا في داركم اي في بلدكم ثلاثة ايام يعني ثم
تهلكون ذلك يعني العذاب الذي وعدهم به بعد ثلاثة ايام وعد
غير مكذوب اي هو غير مكذوب روي انه قال لهم ياتيكم العذاب بعد
ثلاثة ايام فتصبحون في اليوم الاول ووجوهكم مصفرة وفي اليوم الثاني
محمرة وفي اليوم الثالث مسودة فكان كما قال واتاهم العذاب
في اليوم الرابع وهو قوله تعالى فلما جا امرنا يعني بالعذاب نجينا
صالحا والذين امنوا معه برحمة منا اى بنعمة منا بان هديناهم
الى الايمان فامنوا ومن خزي يومئذ يعني ونجيناهم من عذاب
يومئذ سمي خزيا لان فيه خزي الكفار ان ربك الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم يعني ان ربك يا محمد هو القوي يعني هو القادر على انجا المؤمنين
واهلاك الكفار العزيز يعني القاهر الذي لا يغلبه شي ثم اخبر عن عذاب
قوم صالح فقال تعالى واخذ الذين ظلموا يعني انفسهم بالكفر الصيحة
وذلك ان جبريل صاح بهم صيحة واحدة فهلكوا جميعا ٠ وقيل اتاهم
صيحة من السما فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شي في الارض فتقطعت
قلوبهم في صدورهم فماتوا جميعا فاصبحوا في ديارهم جاثمين يعني
صرعى هلكى كان لم يغنوا فيها يعني كان لم يقيموا في تلك الدار ولم يسكنوها

مدة من الدهر يقال غنيت بالمكان اذا اتيته واقمت به الا ان ثمود اكفروا
ربهم الا بعدا لثمود وهذه القصص قد تقدمت مستوفاة في سورة
الاعراف قوله عز وجل ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى اراد
بالرسل الملائكة واختلفوا في عددهم فقال ابن عباس وعطا كانوا ثلاثة
جبريل وميكائيل واسرافيل وقال الضحاك كانوا تسعة وقال مقاتل
كانوا اثني عشر ملكا وقال محمد بن كعب القرظي كان جبريل ومعه سبعة
املاك • وقال السدي كانوا احد عشر ملكا على صورة الغلمان الحسان
الوجوه وقول ابن عباس هو الاولى لان اقل الجمع ثلاثة وقوله رسلنا جمع
فيحمل على الاقل وما بعده غير مقطوع به بالبشرى يعني بالبشارة ٥
باسحق ويعقوب • وقيل باهلاك قوم لوط قالوا سلاما يعني ان
الملائكة سلموا سلاما قال يعني ابراهيم سلام اي عليكم فما لبث
ان جاء بعجل حنيذ يعني مشويا والحنيذ هو المشوي على الحجارة المحماة
في حفرة من الارض وهو من فعل اهل البادية وكان سمينا يسيل منه
الودك قال قتادة كان عامة مال ابراهيم عليه السلام البقر وقيل
مكث ابراهيم خمسة عشر ليلة لم ياته ضيف فاغتم لذلك وكان يحب
الضيف ولا ياكل الا معه فلما جاءه الملائكة راى اضيافا لم ير مثلهم قط
فعجل قراهم وجاءهم بعجل سمين مشوي فلما راى ايديهم يعني ايدي
الاضياف لا تصل اليه يعني الى العجل المشوي نكرهم يعني انكرهم وانكر
حالهم لامتناعهم من الطعام واوجس منهم خيفة يعني ووقع في قلبه
خوف منهم والوجس هو رعب القلب وانما خاف ابراهيم صلى الله عليه
وسلم منهم لانه كان ينزل ناحية من الناس فخاف ان ينزلوا به مكروها
لامتناعهم من طعامه ولم يعرف انهم ملائكة • وقيل ان ابراهيم عرف
انهم ملائكة وانما خاف ان يكونوا نزلوا بعذاب قومه فخاف من ذلك
والاقرب ان ابراهيم عليه السلام لم يعرف انهم ملائكة في اول الامر
ويدل على صحة هذا انه عليه السلام قدم اليهم الطعام ولو عرف انهم
ملائكة ما قدمه اليهم لعلمه ان الملائكة لا ياكلون ولا يشربون ولانه
خافهم ولو عرف انهم ملائكة لما خافهم فلما رات الملائكة خوف ابراهيم
عليه السلام قالوا لا تخف يا ابراهيم انا ملائكة الله ارسلنا الى قوم لوط
وامراته يعني سارة زوجة ابراهيم وهي بنت ابن هارون باحور وهي ابنة
عم ابراهيم قائمة يعني من وراء الستر تسمع كلامهم • وقيل كانت قائمة في
خدمة الرسل وابراهيم جالس معهم فضحكت اصل الضحك انبساط
الوجه من سرور يحصل للنفس ولظهور الاسنان عنده سمي مقدمات
الاسنان الضواحك ويستعمل في السرور المجرد ايضا ثم للعلما في تفسير هذا

الضحك

الضحك قولان • احدهما انه الضحك المعروف وعليه اكثر المفسرين • ثم
اختلفوا في سبب هذا الضحك فقال السدي لما قرب ابراهيم الطعام
الى ضيفه فلم ياكلوا خاف ابراهيم منهم فقال الا تاكلون فقالوا انا لا ناكل
طعاما الا بثمن قال فان له ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله تعالى على اوله
وتحمدونه على اخره فنظر جبريل الى ميكائيل وقال وحق لهذا ان يتخذه ربه
خليلا فلما راى ابراهيم وسارة ايديهم لا تصل اليه ضحكت سارة وقالت
يا عجبا لاضيافنا نخدمهم بانفسنا تكرمة لهم وهم لا ياكلون طعامنا
وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم • وقال
مقاتل والكلبي ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة فيما بين خدمه
وحشمه وخواصه • وقيل ضحكت من زوال الخوف عنها وعن ابراهيم
وذلك انها خافت لخوفه فحين قالوا لا تخف ضحكت سرورا وقيل ضحكت
سرورا بالبشارة • وقال ابن عباس ووهب ضحكت تعجبا من ان يكون
لها ولد على كبر سنها وسن زوجها فعلى هذا القول يكون في الاية
تقديم وتاخير تقديره فبشرناها باسحق فضحكت يعني تعجبا من ذلك
وقيل انها قالت لابراهيم اضمم اليك ابن اخيك لوطا فان العذاب
نازل بقومه فلما جاءت الرسل وبشرت بعذابهم سرت سارة بذلك ٥
وضحكت لموافقتهم ما ظنت • القول الثاني في معنى قوله فضحكت
قال عكرمة ومجاهد اي حاضت في الوقت وانكر بعض اهل اللغة
ذلك قال الراغب وقول من قال حاضت فليس ذلك تفسيرا لقوله
فضحكت كما تصوره بعض المفسرين فقال ضحكت يعني حاضت وانما ذكر
ذلك تقصيصا لحالها فان جعل ذلك امارة لما بشرت به فحاضت في الوقت
لتعلم ان حملها ليس بمنكر اذا كانت المراة ما دامت تحيض فانها تحمل
وقال الفرا ضحكت بمعنى حاضت لم نسمعه من ثقة • وقال الزجاج
ليس بشي ضحكت بمعنى حاضت • قال ابن الانباري قد انكر الفرا •
وابو عبيدة ان تكون ضحكت بمعنى حاضت وقد عرفه غيرهم وانشد

• تضحك الضبع لقتلى هذيل • وترى الذيب بها يستهل •

قال اراد انها تحيض فرحا • وقال الليث في هذه الاية فضحكت اي
طمثت • وحكى الازهري عن بعضهم في قوله ضحكت اي حاضت قال
ويقال اصله من ضحاك الطلعة اذا انشقت • قال وقال الاخطل
فيه بمعنى الحيض • تضحك الضبع من دما سليم • اذا راتها على الحراب تمور •
وقال في المحكم ضحكت المراة حاضت وبه فسر بعضهم قوله تعالى فضحكت
فبشرناها باسحاق وضحكت الارنب ضحكا حاضت • قال وضحك الارنب
فوق الصفا كمثل دم الجوف عند اللقا يعني الحيض فيما زعم بعضهم واجاب

عن هذا من انكره ان يكون الضحك بمعنى الحيض كان ابن دريد يقول
من شاهد الضبع عند حيضها فيعلم انها تحيض وانما اراد الشاعر
انها تكشر لاكل اللحوم وهذا سهو منه لانه جعل كشرها ضحكا وقيل معناه
انها تستبشر بالقتلى اذا اكلتهم تهر بعضها على بعض فجعل هريرها ضحكا
وقيل لانها تسر بهم فجعل سريرها ضحكا **فان قلت** اى القولين اصح
في معنى الضحك **قلت** ان الله عز وجل حكى عنها انها ضحكت وكلا
القولين محتمل في معنى الضحك فالله اعلم اى ذلك كان وقوله تعالى
فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب يعنى ومن بعد اسحاق
يعقوب وهو ولد الولد فبشرت سارة بانها تعيش حتى ترى ولد ولدها
فلما بشرت بالولد صكت وجهها اى ضربت وجهها وهو من صنيع
النساء وعادتهن وانما فعلت ذلك تعجبا **قالت يا ويلتا** نداء ندبة
واصلها يا ويلتاه وهى كلمة يستعملها الانسان عند روية ما يتعجب
منه مثل يا عجبا **االد وانا عجوز** وكانت بنت تسعين سنة في قول
ابن اسحاق • وقال مجاهد كانت بنت تسع وتسعين سنة **وهذا بعلى**
يعنى زوجى والبعل هو المستعلى على غيره ولما كان زوج المراة مستعليا
عليها قايما بامرها سمى بعلا بذلك **شيخا** وكان سن ابراهيم يوميذ مائة
وعشرين سنة في قول محمد بن اسحق وقال مجاهد مائة سنة وكان بين
البشارة والولادة سنة **ان هذا لشىء عجيب** لم تنكر قدرة الله تعالى وانما
تعجبت من كون الشيخ الكبير والعجوزة الكبيرة يولد لهما **قالوا** يعنى قالت
الملايكة لسارة **اتعجبين من امر الله** معناه لا تعجبين من ذلك فان الله
تعالى قادر على كل شىء فاذا اراد شيا كان سريعا **رحمة الله وبركاته
عليكم اهل البيت** يعنى بيت ابراهيم عليه السلام وهذا على معنى الدعا
من الملايكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل على ان ازواج الرجل من اهل
بيته **انه حميد** يعنى هو المحمود الذى يحمد على افعاله كلها وهو المستحق
لان يحمد في السراء والضراء والشدة والرخا فهو محمود على كل حال **مجيد**
ومعناه المنيع الذى لا يرام وقال الخطابى المجيد الواسع الكريم واصل
المجد في كلامهم السعة يقال رجل ماجد اذا كان سخيا كريما واسع العطا
وقيل الماجد هو ذو الشرف والكرم قوله تعالى **فلما ذهب عن ابراهيم
الروع** يعنى الفزع والخوف الذى حصل له عند امتناع الرسل من
الاكل **وجاءته البشرى** يعنى زال عنه الخوف بسبب البشرى التى جاءته
وهى البشارة بالولد **يجادلنا** فيه اضمار تقديره اخذ يجادلنا قيل معناه
يكلمنا ويسالنا **في قوم لوط** لان العبد لا يقدر ان يجادل ربه وقال جمهور
المفسرين معناه يجادل رسلنا في قوم لوط وكانت مجادلة ابراهيم مع

الملايكة

الملايكة انه قال لهم ارايتم لو كان في مداين قوم لوط خمسون رجلا من
المومنين اتهلكونهم قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا
لا قال فما زال كذلك حتى بلغ خمسة قالوا لا قال ارايتم لو كان فيها رجل
واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا قال ابراهيم فان فيها لوطا قالوا نحن اعلم
بمن فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين • وقيل انما طلب
ابراهيم تاخر العذاب عنهم لعلهم يومنوا ويرجعوا عما هم فيه من الكفر
والمعاصى • قال ابن جريج وكان في قرى قوم لوط اربعة الاف الف **ان
ابراهيم لحليم اواه منيب** تقدم تفسيره في سورة التوبة فعند ذلك قالت
الملايكة لابراهيم **يا ابراهيم اعرض عن هذا** يعنى اعرض عن هذا المقال
واترك هذا الجدال **انه قد جا امر ربك** يعنى ان ربك قد حكم بعذابهم
فهو نازل بهم فهو قوله **وانهم اتيهم عذاب غير مردود** يعنى ان الذى
العذاب نزل بهم غير مردود ولا مصروف ولا مدفوع عنهم قال تعالى
ولما جاءت رسلنا لوطا يعنى هولا الملايكة الذين كانوا عند ابراهيم
وكانوا على صورة غلمان مرد حسان الوجوه **سىء بهم** يعنى حزن لوط
بمجيئهم اليه وساءه ذلك بقومه **وضاق بهم ذرعا** قال الازهرى الذرع
يوضع موضع الطاقة والاصل فيه ان البعير يذرع بيديه في سيره
ذرعا على قدر سعة خطوه فاذا احمل عليها اكثر من طاقته ضاق ذرعه
عن ذلك وضعف ومد عنقه فجعل ضيق الذرع عبارة عن ضيق
الوسع والطاقة فمعنى قوله ضاق بهم ذرعا اذ لم يجد من المكروه
في ذلك الامر مخلصا • وقال غيره ضاق بهم قلبا وصدرا ولا يعرف
اصله الا ان يقال ان الذرع كناية عن الوسع والعرب تقول ليس
هذا في وسعى لان الذراع من اليد ويقال ضاق فلان ذرعا بكذا
اذا وقع في مكروه ولا يطيق الخروج منه وذلك ان لوطا عليه السلام
لما نظر الى حسن وجوههم وطيب روايحهم اشفق عليهم من قومه وخاف
ان يقصدوهم بمكروه او فاحشة وعلم انه سيحتاج الى المدافعة عنهم
وقال يعنى لوطا **هذا يوم عصيب** اى شديد كانه قد عصب به الشر
والبلاء اى شد به ماخوذ من العصابة التى يشد بها الراس قال
قتادة وقال السدى خرجت الملايكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط
فاتوا لوطا نصف النهار وهو يعمل في ارض له وقيل انه كان يحطب وقد
قال الله للملايكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات
فاستضافوه فانطلق بهم فلما مشى ساعة قال لهم اما بلغكم امر هذه
القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا
يقول ذلك اربع مرات فمضوا معه حتى دخلوا منزله وقيل انه لما حمل

الحطب ومعه الملايكة مر على جماعة من قومه فتغامزوا فيما بينهم فقال لوط ان قومي شر خلق الله تعالى فقال جبريل هذه واحدة ثم مر على جماعة اخرى ففعلوا ذلك وقال لوط مثل ما قال اولا حتى قال ذلك اربع مرات وكلما قال لوط هذا القول قال جبريل للملايكة اشهدوا وقيل ان الملايكة جاوا الى بيت لوط فوجدوه في داره فدخلوا عليه ولم يعلم احد بمجيئهم الا اهل بيت لوط فخرجت امراته الخبيثة فاخبرت قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رايت مثل وجوههم قط ولا احسن منهم **وجاءه قومه يهرعون اليه** قال ابن عباس وقتادة يسرعون اليه وقال مجاهد يهرولون • وقال الحسن الاهراع هو مشي بين مشيين وقال شمر هو بين الهرولة والخبب **ومن قبل** يعني ومن قبل مجي الرسل عليهم وقيل ومن قبل مجيهم الى لوط **كانوا يعملون السيات** يعني الفعلات الخبيثة والفاحشة القبيحة وهي اتيان الرجال في ادبارهم **قال** يعني قال لوط لقومه حين قصدوا اضيافه وظنوا انهم غلمان من بني آدم **ياقوم هولاء بناتي** يعني ازوجكم اياهن وقي اضيافه ببناته وقيل انه كان في ذلك الوقت وفي تلك الشريعة مباحا تزوج المراة المسلمة بالكافر • وقال الحسن بن الفضل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام • وقال مجاهد وسعيد بن جبير اراد ببناته نساء قومه واضافهن الى نفسه لان كل نبي هو ابو امته وكالوالد لهم وهذا القول هو الصحيح واشبه بالصواب والدليل عليه ان بنات لوط كانتا اثنتين وليستا بكافيتين الجماعة وليس من المروة ان يعرض الرجل بناته على اعدايه ليزوجهن اياهم فكيف يليق ذلك بمنصب الانبيا ان يعرضوا بناتهم على الكفار • وقيل انما قال ذلك لوط على سبيل الدفع لقومه لا على سبيل التحقيق وفي قوله **من اطهر لكم** سوال وهو ان يقال ان قوله هن اطهر لكم من باب افعل التفضيل فيقتضي ان يكون الذي يطلبونه من الرجال طاهرا ومعلوم انه محرم فاسد نجس لا طهارة فيه البتة فكيف قال هن اطهر لكم والجواب عن هذا السوال ان هذا جار مجرى قوله تعالى ان ذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم ومعلوم ان شجرة الزقوم لا خير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قالوا اعل هبل قال الله اعلى واجل اذ لا مماثلة بين الله عز وجل وبين الصنم فانما هو كلام خرج مخرج المقابلة ولهذا نظاير كثيرة وقوله **فاتقوا الله** اي خافوه وراقبوه واتركوا ما انتم عليه من الكفر والعصيان **ولا تخزون في ضيفي** يعني ولا تسوؤني في اضيافي ولا تفضحوني معهم **اليس منكم رجل رشيد** اي صالح سديد عاقل وقال

عكرمة

عكرمة رجل يقول لا اله الا الله • وقال محمد بن اسحق رجل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى ينهى عن هذا الفعل القبيح **قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق** يعني ليس لنا بهن حاجة ولا لنا فيهن شهوة وقيل معناه ليس بناتك لنا بازواج ولا مستحقين نكاحهن وقيل معناه ما لنا في بناتك من حق لانك دعوتنا الى نكاحهن بشرط الايمان ولا نريد ذلك **وانك لتعلم ما نريد** يعني من اتيان الرجال في ادبارهم فعند ذلك **قال** لوط **لو ان لي بكم قوة** اي لو اني اقدر ان اتقوى عليكم **او اوي الى ركن شديد** او انضم الى عشيرة يمنعوني منكم وجواب لو محذوف تقديره لو وجدت قوة لقاتلتكم او لو وجدت عشيرة لانضممت اليها قال ابو هريرة ما بعث الله بعده نبيا الا في منعة من عشيرته **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله لوطا لقد كان ياوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم اتاني الداعي لاجبت • قال الشيخ محيي الدين النووي المراد بالركن الشديد هو الله عز وجل فانه اشد الاركان واقواها وامنعها ومعنى الحديث ان لوطا عليه السلام لما خاف على اضيافه ولم يكن له عشيرة تمنعهم من الظالمين ضاق ذرعه واشتد حزنه عليهم فغلب ذلك عليه فقال في تلك الحال لو ان لي بكم قوة في الدفع بنفسي او آوي الى عشيرة تمنع لمنعتكم وقصد لوط اظهار العذر عند اضيافه وانه لو استطاع لدفع المكروه عنهم ومعنى باقي الحديث فيما يتعلق بيوسف عليه السلام ياتي في موضعه من سورة يوسف ان شا الله • قال ابن عباس واهل التفسير اغلق لوط بابه والملايكة معه في الدار وجعل يناظر قومه ويناشدهم من ورا الباب وقومه يعالجون سور الجدار فلما رات الملايكة ما يلقى لوط بسببهم **قالوا يا لوط** ركنك شديد **انا رسل ربك لن يصلوا اليك** يعني بمكروه فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل ربه عز وجل في عقوبتهم فاذن له فتحول الى صورته التي يكون فيها ونشر جناحيه وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا احلى الجبين وراسه حبك مثل المرجان كانه الثلج بياضا وقدماه الى الخضرة فضرب بجناحيه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم فانصرفوا وهم يقولون النجاه النجاه في بيت لوط اسحر قوم في الارض قد سحرونا وجعلوا يقولون يا لوط كما انت حتى تصبح وسترى ما تلقى منا غدا يوعدونه بذلك **فاسر باهلك** يعني ببيتك **بقطع من الليل** قال ابن عباس بطايفة من الليل وقال

الضحاك بقية من الليل وقال قتادة بعد مضي اوله وقيل انه السحر الاول
ولا يلتفت منكم احد يعني ولا يلتفت منكم احد الى ورايه ولا ينظر الى
خلفه الا امراتك فانها من الملتفتات فتهلك مع من هلك من
قومها وهو قوله فانه مصيبها ما اصابهم فقال لوط متى يكون هذا
العذاب قالوا ان موعدهم الصبح قال انه بعيد يريد اسرع من ذلك
فقال اليس الصبح بقريب فلما خرج لوط من قريته واخذ اهله معه
وامرهم ان لا يلتفت منهم احد فقبلوا منه الا امراته فانها لما سمعت
هدة العذاب وهو نازل التفتت وصاحت واقوماه فاخذتها حجارة
فاهلكتها معهم فلما جا امرنا يعني امرنا بالعذاب جعلنا عاليها
سافلها وذلك ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت قرى
قوم لوط وهي خمس مداين اكبرها سدوم وهي المؤتفكات المذكورة في
سورة براة ويقال كان فيها اربعماية الف وقيل اربعة الاف الف فرفع
جبريل المداين كلها حتى سمع اهل السما صياح الديكة ونباح الكلاب
لم يكفا لهم انا ولم ينتبه نايم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وامطرنا
عليها يعني على شذاذها ومن كان خارجا عنها من مسافريها وقيل بعد
ما قلبها امطر عليهم حجارة من سجيل قال ابن عباس وسعيد بن جبير
معناه سنك وكل فارسي معرب لان العرب اذا تكلمت بشي من الفارسي
صار لغة للعرب ولا يضاف الى الفارسي مثل قولهم استبرق وسندس
ونحو ذلك فكل هذه الالفاظ فارسية تكلمت بها العرب واستعملتها
في الفاظهم فصارت عربية • وقال قتادة وعكرمة السجيل الطين دليله
قوله في موضع اخر حجارة من طين • وقال مجاهد اولها حجر واخرها طين وقال
الحسن اصل الحجارة طينا فشددت وقال الضحاك يعني الاجر وقيل السجيل
اسم سما الدنيا وقيل هو جبال في سما الدنيا منضود قال ابن عباس متتابع
يتبع بعضها بعضا مفعول من النضد وهو وضع الشي بعضه فوق بعض
مسومة عند ربك صفة للحجارة يعني معلمة قال ابن جريج عليها سيما
لا تشاكل حجارة الارض • وقال قتادة وعكرمة عليها خطوط حمر على هيئة
الجزع وقال الحسن والسدي كانت مختومة عليها امثال الخواتيم
وقيل كان مكتوبا على كل حجر اسم صاحبها الذي يرمى بها وما هي يعني
تلك الحجارة من الظالمين يعني مشركي مكة ببعيد قال قتادة وعكرمة
يعني ظالمي هذه الامة والله ما اجار منها ظالما بعده وفي بعض الاثار
ما من ظالم الا وهو بعرض من عليه حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة
وقيل ان الحجارة اتبعت شذاذ قوم لوط حتى ان واحدا منهم دخل الحرم
فبقي الحجر معلقا في السما اربعين يوما حتى خرج ذلك الرجل من الحرم

نسقط الحجر فاهلكه قوله عز وجل والى مدين اي وارسلنا الى مدين
اخاهم شعيبا ومدين اسم لابن ابراهيم الخليل عليه السلام ثم صار اسما
للقبيلة من اولاده • وقيل اسم مدينة بناها مدين ابن ابراهيم فعلى
هذا يكون التقدير وارسلنا الى اهل مدين فحذف المضاف لدلالة
الكلام عليه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره يعني وحدوا
الله ولا تعبدوا معه غيره وهذا كان عادة الانبيا عليهم السلام يبدون
بالاهم فالاهم ولما كانت الدعوة الى توحيد الله وعبادته اهم الاشيا
فلهذا قال شعيب اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ثم بعد الدعوة
الى التوحيد شرع فيما هم فيه ولما كان المعتاد من اهل مدين البخس في
الكيل والوزن دعاهم الى ترك هذه العادة القبيحة وهي تطفيف
الكيل والوزن فقال ولا تنقصوا المكيال والميزان والنقص في الكيل
والوزن على وجهين احدهما ان يكون الاستنقاص من قبلهم فيكيلون
ويزنون للغير ناقصا والوجه الاخر وهو استيفا الكيل والوزن
لانفسهم زايدا عن حقهم فيكون نقصا في مال الغير وكلا الوجهين
مذموم فلهذا نهاهم شعيب عن ذلك بقوله ولا تنقصوا المكيال
والميزان اني اراكم بخير قال ابن عباس كانوا موسرين في نعمة وقال
مجاهد كانوا في خصب وسعة فحذرهم زوال تلك النعمة وغلا السعر
وحلول النقمة ان لم يتوبوا ويومنوا وهو قوله واني اخاف عليكم
عذاب يوم محيط يعني يحيط بكم فيهلككم جميعا وهو عذاب الاستيصال
في الدنيا او حذرهم عذاب الاخرة ومنه قوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين
ويا قوم اوفوا المكيال والميزان اي اتموهما ولا تطففوا فيهما بالقسط
اي بالعدل وقيل بتقويم لسان الميزان وتعديل المكيال ولا تبخسوا الناس
اي ولا تنقصوا الناس اشياهم يعني اموالهم فان قلت
قد وقع التكرار في هذه القصة من ثلاثة اوجه لانه قال ولا تنقصوا
المكيال والميزان ثم قال اوفوا المكيال والميزان وهذا عين الاول ثم
قال ولا تبخسوا الناس اشياهم وهذا عين ما تقدم فما الفايدة في هذا
التكرار قلت ان القوم كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح وهو
تطفيف الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم احتيج في المنع الى المبالغة
في التاكيد والتكرير يفيد شدة الاهتمام والعناية بالتاكيد فلهذا
كرر ذلك ليقوي الزجر والمنع من ذلك الفعل ولان قوله ولا تنقصوا
المكيال والميزان نهي عن التنقيص وقوله اوفوا المكيال والميزان امر
بايفا العدل وهذا غير الاول ومغاير له ولقايل ان يقول النهي ضد
الامر فالتكرار لازم على هذا الوجه قلت الجواب عن هذا قد يجوز

ان ينهى عن التنقيص ولا يامر بايفا الكيل والوزن فلهذا جمع بينهما فهو
كقوله صل رحمك ولا تقطعها فتريد المبالغة في الامر والنهي واما قوله
ثانيا ولا تبخسوا الناس اشياءهم فليس بتكرير ايضا لانه تعالى لما خصص
النهي عن التنقيص والامر بايفا الحق في الكيل والوزن عمم الحكم في جميع
الاشيا التي يجب ايفا الحقوق فيها فيدخل فيه الكيل والوزن والزرع
وغير ذلك فظهر بهذا البيان فايدة هذا التكرار والله اعلم وقوله
ولا تعثوا في الارض مفسدين يعني بتنقيص الكيل والوزن ومنع
الناس حقوقهم بقية الله خير لكم قال ابن عباس يعني ما ابقى الله
لكم من الحلال بعد ايفا الكيل والوزن خير لكم مما تاخذونه بالتطفيف
وقال مجاهد بقية الله يعني طاعة الله خير لكم وقيل بقية الله يعني
ما ابقاه لكم من الثواب في الاخرة خير لكم مما يحصل لكم في الدنيا من المال
الحرام ان كنتم مؤمنين يعني مصدقين بما قلت لكم وامرتكم به ونهيتكم
عنه وما انا عليكم بحفيظ يعني احفظ اعمالكم قال بعضهم انما قال لهم
شعيب ذلك لانه لم يومر بقتالهم قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك
ان نترك ما يعبد اباونا يعني من الاصنام او ان نفعل في اموالنا
ما نشا يعني من الزيادة والنقصان قال ابن عباس كان شعيب كثير
الصلاة فلذلك قالوا هذا وقيل انهم كانوا يمرون به فيرونه يصلي فيستهزون
به ويقولون هذه المقالة وقال الاعمش اقراتك لان الصلاة تطلق على
القراة والدعا وقيل المراد بالصلاة هنا الدين يعني ادينك يامرك ان
نترك ما يعبد اباونا او ان نفعل في اموالنا ما نشا وذلك انهم كانوا
ينقصون الدراهم والدنانير فكان شعيب ينهاهم عن ذلك ويخبرهم
انه محرم عليهم وانما ذكر الصلاة لانها من اعظم شعاير الدين انك لانت
الحليم الرشيد قال ابن عباس ارادوا السفيه الغاوي لان العرب قد
تصف الشي بضده فيقولون للديغ سليم وللفلاة المهلكة مفازة وقيل
هو على حقيقته وانما قالوا ذلك على سبيل الاستهزا والسخرية وقيل
معناه انك لانت الحليم الرشيد في زعمك وقيل هو على بابه في الصحة
ومعناه انك يا شعيب فينا حليم رشيد فلا يجمل بك شق عصى قومك
ومخالفتهم في دينهم قال يعني قال لهم شعيب يا قوم ارايتم ان كنت على
بينة من ربي يعني على بصيرة وهداية وبيان ورزقني منه رزقا
حسنا يعني حلالا وقيل كان شعيب كثير المال والنعمة وقيل الرزق
الحسن ما اتاه الله من العلم والهداية والنبوة والمعرفة وجواب ان
هي الشرطية محذوف تقديره ارايتم ان كنت ببينة من ربي ورزقني المال
الحلال والهداية والمعرفة والنبوة فهل يسعني مع هذه النعم العظيمة ان

اخوف في وحيه او ان اخالف امره واتبع الضلال او ابخس الناس اشياءهم
وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم وذلك انهم قالوا
له انك لانت الحليم الرشيد والمعنى فكيف يليق بالحليم الرشيد ان يخالف
امر ربه وله عليه نعم كثيرة وقوله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه
قال صاحب الكشاف يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مولي
عنه واذا ولي عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الما فتسالة
عن صاحبه فيقول خالفني الى الما يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا
ذاهب عنه صادرا ومنه قوله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني
ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم قال الامام
فخر الدين الرازي وتحقيق الكلام فيه ان القوم اعترفوا بانه حليم رشيد
وذلك يدل على كمال العقل وكمال العقل يحمل صاحبه على اختيار الطريق
الاصوب فكانه عليه السلام قال لما اعترفتم بكمال عقلي فاعلموا ان
الذي اخترته لنفسي هو اصوب الطريق واصلحها وهو الدعوة الى
توحيد الله وترك البخس والنقصان فانا مواظب عليها غير تارك لها
فاعلموا ان هذه الطريقة خير الطرق واشرفها لا ما انتم عليه وقال
الزجاج معناه اني لست انهاكم عن شي وادخل فيه انما اختار لكم ما اختار
لنفسي وقال ابن الانباري بين ان الذي يدعوهم اليه من اتباع
طاعة الله وترك البخس والتطفيف هو ما يرتضيه لنفسه ولا ينطوي
الا عليه فكان هذا محض النصيحة لهم ان اريد يعني ما اريد فيما امركم به
وانهاكم عنه الا الاصلاح يعني فيما بيني وبينكم ما استطعت يعني
ما استطعت الا الاصلاح وهو الابلاغ والانذار فقط ولا استطيع
اجباركم على الطاعة لان ذلك الى الله فانه يهدي من يشا ويضل من
يشا وما توفيقي الا بالله التوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة على
العبد ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى فلذلك قال وما توفيقي الا بالله
عليه توكلت يعني على الله اعتمدت في جميع اموري واليه انيب
يعني واليه ارجع فيما ينزل من النوايب وقيل اليه ارجع في معادي
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا ذكر شعيبا قال ذاك
خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وقوله تعالى ويا قوم لا يجرمنكم
شقاقي اي لا يحملنكم خلافي وعداوتي ان يصيبكم يعني عذاب العاجلة
على كفركم وافعالكم الخبيثة مثل ما اصاب قوم نوح يعني الغرق او قوم
هود يعني الريح التي اهلكتهم او قوم صالح يعني ما اصابهم من الصيحة حتى
هلكوا جميعا وما قوم لوط منكم ببعيد وذلك انهم كانوا حديثي عهد
بهلاكهم وقيل معناه وما ديار قوم لوط منكم ببعيد وذلك انهم كانوا جيران

قوم لوط وبلادهم قريبة من بلادهم **ويا قوم استغفروا ربكم** يعني من عبادة
الاصنام **ثم توبوا اليه** يعني من البخس والنقصان في الكيل والوزن
ان ربي رحيم يعني بعباده اذا تابوا واستغفروا **ودود** قال ابن عباس
الودود المحب لعباده المؤمنين وهو من قولهم وددت الرجل اوده اذا
احببته وقيل يحتمل ان يكون ودود فعول بمعنى مفعول معناه ان عباده
الصالحين يودونه ويحبونه لكثرة افضاله واحسانه اليهم وقال الحليمي
قد يقال هو الواد لاهل طاعته اي الراضي عنهم باعمالهم والمحسن اليهم
لاجلها والمادح لهم بها • وقال ابو سليمان الخطابي وقد يكون معناه
ان يوددهم الى خلقه **قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول** يعني
ما نفهم ما تدعونا اليه وذلك ان الله ختم على قلوبهم فصارت لا تعي
ولا تفهم ما ينفعها وان كانوا في الظاهر يسمعون ويفهمون **وانا لنراك
فينا ضعيفا** قال ابن عباس وقتادة كان اعمى قال الزجاج ويقال
ان حمير يسمون المكفوف ضعيفا • وقال الحسن وابو روق ومقاتل يعني
ذليلا قال ابو روق ان الله تعالى لم يبعث اعمى ولا نبيا به زمانة
وقال كان ضعيف البصر • وقيل المراد بالضعف العجز عن الكسب
والتصرف • وقيل هو الذي يتعذر عليه المنع عن نفسه ويدل
على صحة هذا القول ما بعده وهو قوله **ولولا رهطك** يعني جماعتك
وعشيرتك وقيل الرهط ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى سبعة
لرجمناك يعني لقتلناك بالحجارة والرجم بالحجارة اسوأ القتلات
واشرها وقيل معناه لشتمناك واغلظنا لك القول **وما انت علينا
بعزيز** يعني بكريم وقيل بممتنع منا والمقصود من هذا الكلام وحاصله
انهم بينوا لشعيب عليه السلام انه لا حرمة له عندهم ولا وقع له في
صدورهم وانهم انما لم يقتلوه ولم يسمعوه الكلام الغليظ الفاحش
لاجل احترامهم رهطه وعشيرته وذلك لانهم كانوا على دينهم وملتهم
ولما قالوا لشعيب عليه السلام هذه المقالة اجابهم بقوله **قال
يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله** يعني اهيب عندكم من الله وامنع
حتى تركتم قتلي لمكان رهطي عندكم فالاولى ان تحفظوني في الله ولاجل
الله لا لرهطي لان الله اعز واعظم **واتخذتموه وراءكم ظهريا** يعني ونبذتم
امر الله وراء ظهوركم وتركتم كالشيء الملقى الذي لا يلتفت اليه **ان ربي
بما تعملون محيط** يعني انه عالم باحوالكم جميعا لا يخفى عليه منها شيء
فيجازيكم بها يوم القيمة **ويا قوم اعملوا على مكانتكم** يعني على قوتكم وعلتكم
في عملكم وقيل المكانة الحالة والمعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية
المكنة والقدرة من الشر **اني عامل** يعني ما اقدر عليه بالطاعة والخير

وهذا

وهذا الامر في قوله اعملوا فيه وعيد وتهديد عظيم ويدل على ذلك قوله
سوف تعلمون يعني ايها الجاهل على نفسه المخطي في فعله فان قلت
اي فرق بين ادخال الفاء ونزعها في قوله سوف تعلمون قلت
ادخال الفاء في قوله فسوف تعلمون وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل
ونزعها في قوله سوف تعلمون وصل خفي تقديري بالاستيناف الذي هو
جواب السؤال مقدر كانهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت
انت فقال سوف تعلمون عاقبة ذلك فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستيناف
للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب واقوى الواصلين وابلغهما
الاستيناف وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه والمعنى
سوف تعلمون **من يأتيه عذاب يخزيه** بسبب عمله الشيء او اينا الشقي
الذي يأتيه عذاب يخزيه **ومن هو كاذب** يعني فيما يدعيه **وارتقبوا** يعني
وانتظروا العاقبة وما يؤول اليه امري وامركم **اني معكم رقيب** اي منتظر
والرقيب بمعنى المراقب **ولما جاء امرنا** يعني بعذابهم وهلاكهم **نجينا
شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا** يعني بفضل منا بان هديناهم
للايمان ووفقناهم للطاعة **واخذت الذين ظلموا الصيحة** يعني ظلموا
انفسهم بالشرك والبخس الصيحة وذلك ان جبريل عليه السلام صاح
بهم صيحة من السماء فاهلكتهم جميعا **فاصبحوا في ديارهم جاثمين** يعني
ميتين وهو استعارة من قولهم جثم الطير اذا قعد ولطي بالارض **كان لم
يغنوا فيها** يعني كان لم يقيموا ابدا بها مدة من الدهر مأخوذ من قولهم
غني بالمكان اذا اقام فيه مستغن به عن غيره **الا بعدا** يعني هلاكا
لمدين كما بعدت ثمود قال ابن عباس لم يعذب امتان قط بعذاب واحد
الا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم واما
قوم شعيب فاخذتهم من فوقهم قوله تعالى **ولقد ارسلنا موسى
بآياتنا** يعني بحججنا والبراهين التي اعطيناه الدالة على صدقه ونبوته
وسلطان مبين يعني وحجة ظاهرة دالة على صدقه ايضا قال بعض
المحققين سميت الحجة سلطانا لان صاحب الحجة يقهر من لا حجة له كالسلطان
يقهر غيره • وقال الزجاج السلطان هو الحجة وسمي السلطان سلطانا لانه
حجة الله في الارض **الى فرعون وملائه** يعني اتباعه واشراف قومه •
فاتبعوا امر فرعون يعني ما هو عليه من الكفر وترك الايمان بما جاءهم
به موسى **وما امر فرعون برشيد** يعني وما طريق فرعون وما هو عليه
بسديد ولا حميد العاقبة ولا يدعو الى خير **يقدم قومه يوم القيامة
فاوردهم النار** يعني كما تقدم قومه فادخلهم البحر في الدنيا كذلك يتقدم
قومه فيدخلهم النار ويدخل هو امامهم والمعنى كما كانوا قدوتهم في الضلالة

والكفر في الدنيا وكذلك هو قدومهم وامامهم في النار وبيس الورد
المورود يعني وبيس المدخل المدخول فيه • وقيل شبه فرعون في تقدمه
على قومه الى النار بمن يتقدم على الوارد الى الما وشبه اتباعه بالواردين
لانه يكسر العطش قال في حق فرعون واتباعه واوردهم النار وبيس الورد
المورود لان الاصل فيه قصد الما واستعمل في ورود النار على سبيل الفظاعة
واتبعوا في هذه يعني في هذه الدنيا لعنة يعني طردا وبعدا عن الرحمة
ويوم القيمة يعني واتبعوا لعنة اخرى يوم القيمة مع اللعنة التي حصلت
لهم في الدنيا بيس الرفد المرفود يعني بيس العون المعان وذلك ان
اللعنة في الدنيا رفد اللعنة في الاخرة وقيل معناه بيس العطا المعطى
وذلك انهم ترادفت عليهم لعنتان لعنة في الدنيا ولعنة في الاخرة
قوله تعالى ذلك من انبا القرى يعني من اخبار اهل القرى وهم الامم
السالفة والقرون الماضية نقصه عليك يعني نخبرك به يا محمد لتخبر
قومك اخبارهم لعلهم يعتبروا فيرجعوا عن كفرهم او ينزل بهم مثل
ما نزل بهم من العذاب منها يعني من القرى التي اهلكنا اهلها قايم
وحصيد يعني منها عامر ومنها خراب وقيل منها قايم يعني الحيطان
بغير سقوف ومنها قاعد محي اثره بالكلية شبهها الله بالزرع الذي
بعضه قايم على ساقه وبعضه قد حصد وذهب اثره وحصيد بمعنى
محصود وما ظلمناهم يعني بالعذاب والاهلاك ولكن ظلموا انفسهم
يعني بالكفر والمعاصي فما اغنت عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله
من شي لما جا امر ربك يعني بعذابهم لم تنفعهم اصنامهم ولم تدفع عنهم
العذاب وما زادوهم غير تتبيب يعني غير تخسير وقيل غير تدمير وكذلك
اخذ ربك يعني وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة الضمير
في وهي عايد على القرى والمراد اهلها ان اخذه اليم شديد ق عن ابي
موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم
حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرا وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة
ان اخذه اليم شديد في الاية الكريمة والحديث دليل على ان من اقدم على
ظلم فانه يجب ان يبادر كذلك بالتوبة والانابة ورد الحقوق الى اهلها
ان كان الظلم للغير ليلا يقع في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد
ولا تظن ان هذه الاية حكمها مختص بظالمي الامم الماضية بل عام في كل ظالم
ويعضده الحديث والله اعلم **قوله عز وجل** ان في ذلك لاية يعني
ما ذكر من عذاب الامم الخالية واهلاكهم لعبرة وموعظة لمن خاف عذاب
الاخرة يعني ان في هلاك اوليك عبرة يعتبر بها وموعظة يتعظ بها من
كان يخشى الله ويخاف عذابه في الاخرة لانه اذا نظر ما احل الله باوليك

الكفار في الدنيا من اليم عذابه وعظيم عقابه وهو كالانموذج مما اعد لهم
في الاخرة اعتبر به فيكون زيادة في خوفه وخشيته من الله ذلك يوم
مجموع له الناس يعني يوم القيمة يجمع فيه الخلايق من الاولين والاخرين
للحساب والوقوف بين يدي رب العالمين وذلك يوم مشهود يعني
يشهده اهل السما واهل الارض وما نوخره الا لاجل معدود يعني وما
نوخر ذلك اليوم وهو يوم القيمة الا الى وقت معلوم محدود وذلك الوقت
لا يعلمه احد الا الله تعالى يوم ياتي يعني ذلك اليوم لا تكلم نفس الا باذنه
قيل ان جميع الخلق يسكتون في ذلك فلا يتكلم احد فيه الا باذن الله تعالى
فان قلت كيف وجه الجمع بين هذه الاية وبين قوله تعالى يوم
ياتي كل نفس تجادل عن نفسها وبين قوله اخبارا عن محاجة الكفار
وهو قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين والاخبار بمثل هذا يدل على الكلام في
ذلك اليوم **قلت** يوم القيمة يوم طويل وله احوال مختلفة وفيه
اهوال عظيمة ففي بعض الاحوال لا يقدرون على الكلام لشدة الاهوال
وفي بعض الاحوال يوذن لهم في الكلام فيتكلمون وفي بعضها تخفف عنهم
تلك الاهوال فيحاجون ويجادلون وينكرون • وقيل المراد من قوله
لا تكلم نفس الا باذنه الشفاعة يعني لا تشفع نفس لنفس الا باذن الله
لها في الشفاعة فمنهم يعني فمن اهل الموقف شقي وسعيد الشقاوة
خلاف السعادة والسعادة هي معاونة الامور الالهية للانسان ومساعدته
على فعل الخير والصلاح وتيسيره لها ثم السعادة على ضربين سعادة دنيوية
وسعادة اخروية وهي السعادة القصوى لان نهايتها الجنة وكذلك الشقاوة
القصوى لان نهايتها النار فالشقي من سبقت له الشقاوة في الازل ﻩ
والسعيد من سبقت له السعادة في الازل ق عن علي بن ابي طالب قال
كنا في جنازة في بقيع الغرقد فاتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد
وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس او جعل ينكت بمخصرته ثم قال ما
منكم من احد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة فقالوا
يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له الله
اما من كان من اهل السعادة فسيصير لعمل السعادة واما من كان
من اهل الشقاوة فسيصير لعمل الشقا ثم قرا فاما من اعطى واتقى وصدق
بالحسنى فسنيسره لليسرى الاية بقيع الغرقد هو مقبرة اهل المدينة
الشريفة وقد فهم فيه والمخصرة كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه
بيده الانسان والنكت بالنون والتا المثناة من فوق ضرب الشي بتلك
المخصرة او باليد ونحو ذلك حتى يوثر فيه استدل بعض العلما بهذه الاية
وهذا الحديث على ان اهل الموقف قسمان شقي وسعيد لا ثالث لهما ﻩ

وظاهر الاية والحديث يدل على ذلك لكن بقى قسم اخر مسكوت عنه وهو
من استوت حسناته وسياته وهم اصحاب الاعراف فى قول والاطفال
والمجانين الذين لا حسنات لهم ولا سيات فهولا مسكوت عنهم وهم تحت
مشية الله عز وجل يوم القيمة يحكم فيهم بما يشا وتخصيص هذين القسمين
بالذكر لا يدل على بقية القسم الثالث **فاما الذين شقوا ففى النار لهم**
فيها اى فى النار **زفير وشهيق** اصل الزفير ترديد النفس فى الصدر
حتى تنتفخ منه الضلوع والشهيق رد النفس الى الصدر والزفير مده
واخراجه من الصدر • قال ابن عباس الزفير الصوت الشديد
والشهيق الصوت الضعيف • وقال الضحاك ومقاتل الزفير اول صوت
الحمار والشهيق اخره اذا ردده فى جوفه • وقال ابو العالية الزفير فى
الحلق والشهيق فى الجوف **خالدين فيها** يعنى لابثين مقيمين فى النار •
ما دامت السموات والارض قال الضحاك يعنى ما دامت سموات الجنة
والنار وارضها ولا بد لاهل الجنة واهل النار من سما تظلهم وارض تقلهم فكل
ما علاك فاظلك فهو سما وكل ما استقل عليه قدمك فهو ارض وقال
اهل المعانى هذا عبارة عن التابيد وذلك على عادة العرب فانهم
يقولون لا اتيك ما دامت السموات والارض وما اختلف الليل والنهار
يريد بذلك التابيد • وقوله تعالى **الا ما شا ربك** اختلف العلماء فى
هذين الاستثنائين فقال ابن عباس والضحاك الاستثنا الاول المذكور
فى اهل الشقا يرجع الى قوم من المومنين يدخلهم الله النار بذنوب
اقترفوها ثم يخرجهم منها فيكون استثنا من غير الجنس لان الذين خرجوا من
النار سعدا فى الحقيقة استثناهم الله تعالى من الاستثنا ويدل على
صحة هذا التاويل ما روي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله يخرج قوما من النار فيدخلهم الجنة اخرجه البخاري ومسلم خ
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار قوم بعد
ما مستهم منها سفع فيدخلون الجنة فيسميهم اهل الجنة الجهنميين • وفى
رواية ليصيبن اقواما سفع من النار بذنوب اصابوها عقوبة ثم
يدخلهم الله الجنة بفضله ورحمته فيقال لهم الجهنميون خ عن عمران بن
حصين ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة
محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة فيسمون الجهنميين واما الاستثنا
الثانى المذكور فى اهل السعادة فيرجع الى مدة لبث هولا فى النار قبل
دخولهم الجنة فعلى هذا القول يكون معنى الاية فاما الذين شقوا ففى
النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا
ما شا ربك ان يخرجهم منها فيدخلهم الجنة • واما الذين **ان ربك فعال**

لما يريد واما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات
والارض الا ما شا ربك ان يدخله النار اولا ثم يخرجه منها فيدخله
الجنة فحاصل هذا القول ان الاستثنائين يرجع الى قوم مخصوصين
هم فى الحقيقة سعدا اصابوا ذنوبا استوجبوا بها عقوبة يسيرة
فى النار ثم يخرجون منها فيدخلون الجنة ولان اجماع الامة على
ان من دخل الجنة لا يخرج منها ابدا • وقيل ان الاستثنائين يرجع
الى الفريقين السعدا والاشقيا وهو مدة تعميرهم فى الدنيا واحتباسهم
فى البرزخ وهو ما بين الموت والبعث ومدة وقوفهم للحساب
ثم يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار فيكون المعنى خالدين فى
الجنة والنار الا هذا القدر • وقيل معناه الا ما شا ربك سوى
ما شا ربك فيكون المعنى خالدين فيها ما دامت السموات والارض
سوى ما شا ربك من الزيادة على ذلك وهو قولك لفلان على
الف الا الفين اى سوى الالفين اللتين تقدمتا • وقيل الا بمعنى
الواو يعنى وقد شا ربك خلود هولاء فى النار وخلود هولا فى الجنة
فهو كقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا اى ولا الذين
ظلموا وقيل معناه ولو شا ربك لاخرجهم منها ولكنه لا يشا لانه حكم
لهم بالخلود فيها • قال الفرا هذا الاستثنا استثناه الله ولا
يفعله كقولك والله لاضربنك الا ان ارى غير ذلك وعزمك ان تضربه
فهذه الاقوال فى معنى الاستثنا ترجع الى الفريقين والصحيح هو
القول الاول • ويدل عليه قوله فى اخر الاية ان ربك فعال لما يريد
يعنى اخراج من اراد من النار وادخالهم الجنة فهذا على الاجمال فى
حال الفريقين واما حال على التفصيل فقوله الا ما شا ربك فى
جانب الاشقيا يرجع الى الزفير والشهيق وتقديره ان يفيد حصول
الزفير والشهيق مع الخلود لانه اذا دخل الاستثنا عليه وجب ان
يحصل فيه هذا المجموع والاستثنا فى جانب السعدا يكون بمعنى
الزيادة يعنى الا ما شا ربك من الزيادة لهم من النعيم بعد الخلود
وقيل ان الاستثنا الاول فى جانب الاشقيا معناه الا ما شا ربك من
ان يخرجهم من حر النار الى البرد والزمهرير وفى جانب السعدا معناه
الا ما شا ربك ان يرفع بعضهم الى منازل اعلا المنازل الجنان ودرجاتها
والقول الاول هو المختار • ويدل على خلود اهل الجنة فى الجنة وهو ان
الامة مجمعة على ان من دخل الجنة لا يخرج منها بل هو خالد فيها قوله
تعالى فى جانب السعدا **عطا غير مجذوذ** يعنى غير مقطوع قال
ابن زيد اخبرنا الله تعالى بالذي يشا لاهل الجنة فقال تعالى عطاء

ان صح

غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشا لاهل النار • وروي عن ابن مسعود
انه قال ليأتين على جهنم زمان ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون
فيها احقابا وعن ابي هريرة نحوه وهذا عن ابن مسعود وابي هريرة محمول
عند اهل السنة على خلاء اماكن المومنين الذين استحقوا النار من النار
بعد اخراجهم منها لانه ثبت بالدليل الصحيح القاطع اخراج جميع الموحد ين •
وخلود الكفار فيها او يكون محمولا على اخراج الكفار من حر النار الى برد
الزمهرير ليزدادوا عذابا فوق عذابهم والله اعلم • قوله تعالى فلا تك
في مرية مما يعبد هولاء يعني فلا تك في شك يا محمد في هذه الاصنام
التي يعبدها هولاء الكفار فانها لا تضر ولا تنفع ما يعبدون الا كما يعبد
اباوهم من قبل يعني انه ليس لهم في عبادة هذه الاصنام مستند الا
انهم راوا اباءهم يعبدونها فعبدوها مثلهم وانا لموفوهم نصيبهم غير
منقوص يعني وانا مع عبادتهم هذه الاصنام نرزقهم الرزق الذي
قدرناه لهم من غير نقص فيه ويحتمل ان يكون المراد من توفية نصيبهم
يعني من العذاب الذي قدر لهم في الاخرة كاملا موفا غير منقوص
اي غير ناقص قوله عز وجل ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التورية
فاختلف فيه يعني في الكتاب فمنهم مصدق به ومكذب به كما فعل قومك
يا محمد بالقران ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ولولا كلمة سبقت
من ربك يعني بتاخير العذاب عنهم يوم القيمة فكان الذي يستحقونه
من تعجيل العقوبة في الدنيا على كفرهم وتكذيبهم وقوله لقضي بينهم
يعني يعذبوا في الحال وفرغ من عذابهم واهلاكهم وانهم لفي شك منه
يعني من القران ونزوله عليك يا محمد مريب يعني انهم قد وقعوا في الريب
والتهمة وان كلا يعني من الفريقين المختلفين المصدق والمكذب لما
ليوفينهم ربك اعمالهم اللام لام القسم تقديره والله ليوفينهم جزاء اعمالهم
في القيمة فيجازي المصدق على تصديقه الجنة ويجازي المكذب على
تكذيبه النار انه بما يعملون خبير يعني انه تعالى لا يخفى عليه شي من اعمال
عباده وان دقت ففيه وعد للمحسنين المصدقين ووعيد وتهديد ۞
للمكذبين الكافرين قوله تعالى فاستقم كما امرت الخطاب فيه للنبي
صلى الله عليه وسلم يعني فاستقم يا محمد على دين ربك والعمل به والدعا
اليه كما امرك ربك والامر في واستقم للتاكيد لان النبي صلى الله عليه
وسلم كان على الاستقامة لم يزل عليها فهو كقولك للقايم قم حتى اتيك اي
دم على ما انت عليه من القيام حتى اتيك ومن تاب معك يعني ومن
امن معك من امتك فليستقيموا ايضا على دين الله والعمل بطاعته قال
عمر بن الخطاب الاستقامة ان تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ عنه روغان

الثعلب

الثعلب م عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي
في الاسلام قولا لا اسال عنه احدا بعدك قال قل امنت بالله ثم استقم
ولا تطغوا يعني ولا تجاوزوا امري الى غيري ولا تنقصوني • وقيل معناه
ولا تغلوا في الدين فتجاوزوا ما امرتكم به ونهيتكم عنه انه بما تعملون
بصير يعني انه تعالى عالم باعمالكم ايها الناس لا يخفى عليه شي منها قال
ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم اية هي اشد عليه
من هذه الاية ولذلك قال شيبتني هود واخواتها عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه
فسددوا وقاربوا واستعينوا بالغدوة والروحة وشي من الدلجة قوله
ان الدين يسر اليسر ضد العسر واراد به التسهيل في الدين وترك التشدد
فان هذا الدين مع يسره وسهولته قوي فلن يغالب ولن يقاوى ۞
فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة اي اقصدوا
السداد من الامور وهو الصواب وقاربوا اي اطلبوا المقاربة وهي القصد
الذي لا غلو فيه ولا تقصير والغدو والرواح بكرة والرواح الرجوع
عشيا والمراد منه اعملوا اطراف النهار وقتا ووقتا والدلجة سير الليل
والمراد منه اعملوا بالليل ايضا • وقوله واستعينوا بشي من الدلجة اشارة
الى تقليله وقوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا قال ابن عباس ولا
تميلوا والركون هو المحبة والميل بالقلب وقال ابو العالية لا ترضوا
باعمالهم • وقال السدي لا تداهنوا الظلمة • وعن عكرمة لا تطيعوهم
وقيل معناه ولا تسكنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار اي فتصيبكم النار
بحرها وما لكم من دون الله من اولياء يعني اعوانا وانصارا يمنعونكم من
عذابه ثم لا تنصرون يعني ثم لا تجدوا لكم من ينصركم ويخلصكم من عذاب
الله غدا في القيمة ففيه وعيد لمن ركن الى الظلمة ورضي باعمالهم واحبهم
فكيف حال الظلمة في انفسهم نعوذ بالله من الظلم قوله عز وجل
واقم الصلاة طرفي النهار سبب نزول هذه الاية ما رواه الترمذي
عن ابي اليسر قال اتتني امراة تبتاع مني تمرا فقلت ان في البيت تمرا
هو اطيب منه فدخلت معي البيت فاهويت اليها فقبلتها فاتيت
ابا بكر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر احدا فاتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال اخلفت غازيا
في سبيل الله في اهله بمثل هذا حتى تمنى انه لم يكن اسلم الا تلك الساعة
حتى ظن انه من اهل النار قال واطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم
طويلا حتى اوحى اليه اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الى قوله
ذكرى للذاكرين قال ابو اليسر فاتيته فقراها رسول الله صلى الله عليه

وسلم فقال اصحابه يارسول الله الهذا خاصة ام للناس عامة فقال بل
للناس عامة قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقيس بن الربيع
ضعفه وكيع وغيره وابو اليسر هو كعب بن عمرو ق عن عبد الله بن
مسعود ان رجلا اصاب من امراة قبلة فاتى النبي صلى الله عليه وسلم
فذكر ذلك له فنزلت اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الاية
فقال الرجل يارسول الله الي هذه الاية قال لمن عمل بها من امتي
وفي رواية فقال رجل من القوم يانبي الله هذا له خاصة قال بل للناس
كافة عن معاذ بن جبل قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال
يارسول الله ارايت رجلا لقي امراة ليس بينهما معرفة فليس ياتي
الرجل الى اهله امراته شيا الا وقد اتى هو اليها الا انه لم يجامعها فانزل
الله عز وجل واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات
يذهبن السيات ذلك ذكرى للذاكرين فامره النبي صلى الله عليه وسلم
ان يتوضا ويصلي قال معاذ فقلت يارسول الله اهي له خاصة ام للمومنين
عامة قال بل للمومنين عامة اخرجه الترمذي وقال هذا الحديث
ليس بمتصل عبد الرحمن بن ابي ليلى لم يسمع ابن معاذ اما التفسير فقوله
تعالى اقم الصلاة طرفي النهار يعني صلاة الغداة والعشي قال مجاهد
طرفي النهار يعني صلاة الصبح والظهر والعصر وزلفا من الليل صلاة
المغرب والعشا ● وقال مقاتل صلاة الصبح والظهر طرف وصلاة
العصر والمغرب طرف وزلفا من الليل يعني صلاة العشاء ● وقال
الحسن طرفي النهار الصبح والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشا قال
ابن عباس طرفا النهار الغداة والعشي يعني بعد صلاة الصبح والمغرب
قال الامام فخر الدين الرازي كثرت المذاهب في تفسير طرفي النهار والاشهر
ان الصلاة التي هي طرفي النهار هي الفجر والعصر وذلك لان احد طرفي النهار
وهو طلوع الشمس والثاني هو غروبها فالاول هو صلاة الفجر والطرف
الثاني لا يجوز ان تكون صلاة المغرب لانها داخلة تحت قوله وزلفا من
الليل يعني واقم الصلاة في زلف من الليل هي ساعة واحدتها زلفة
واصل الزلفة المنزلة والمراد بها صلاة المغرب والعشا ان الحسنات
يذهبن السيات ان الصلوات الخمس يذهبن الخطيات ويكفرن بها
م عن ابي هريرة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلاة
الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن زاد في رواية ما لم يغش الكباير
وزاد في رواية اخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا
اجتنبت الكباير ق عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ارايتم لو ان نهرا على باب احدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات

ما تقولون ذلك يبقي من درنه فقالوا لا يبقى من درنه شيا قال فذلك
مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا م عن جابر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار على باب
احدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات قال الحسن وما يبقى من
الدرن قال العلما الصغاير من الذنوب تكفرها الاعمال الصالحات
مثل الصلوات والصدقة والذكر والاستغفار ونحو ذلك من اعمال البر
واما الكباير من الذنوب فلا يكفرها الا التوبة النصوح ولها ثلاث
شرايط الشرط الاول الاقلاع عن الذنب بالكلية ● الثاني الندم على فعله
الثالث العزم التام ان لا يعود اليه في المستقبل فاذا حصلت هذه
الشرايط صحت التوبة وكانت مقبولة ان شا الله تعالى وقال مجاهد
في تفسير الحسنات انها قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر والقول الاول اصح انها الصلوات الخمس وهو قول ابن مسعود
وابن عباس وابن المسيب ومجاهد في احدى الروايتين عنه والقرظي
والضحاك وجمهور المفسرين ذلك اشارة الى ما تقدم من ذكر الاستقامة
والتوبة وقيل هو اشارة الى القران ذكرى للذاكرين يعني موعظة للمومنين
المطيعين واصبر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واصبر يا محمد
على اذى قومك وما تلقه منهم ● وقيل معناه واصبر على الصلاة فان
الله لا يضيع اجر المحسنين يعني اعمالهم وقال ابن عباس يعني المصلين
قوله تعالى فلولا كان من القرون يعني فهل كان من القرون التي اهلكناهم
من قبلكم يا امة محمد اولوا بقية يعني اولوا تمييز وطاعة وخير يقال
فلان ذو بقية اذا كان فيه خير وقيل معناه اولوا بقية من الخير اذا كان
على خصلة محمودة ينهون عن الفساد في الارض والاية للتقريع والتوبيخ
يعني لم يكن فيهم من خصلة خير ينهى عن الفساد في الارض فلذلك
اهلكناهم الا قليلا هذا استثنا منقطع معناه لكن قليلا ممن انجينا
منهم يعني من آمن من الامم الماضية وهم اتباع الانبيا كانوا ينهون عن
الفساد في الارض واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه يعني واتبع الذين
ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي ما تنعموا فيه واكثروا التنعم والمعنى
انهم اتبعوا اما تعودوا به من النعم وايثار اللذات على الاخرة ونعيمها
وكانوا مجرمين يعني كافرين وما كان ربك يعني وما كان ربك يا محمد
ليهلك القرى يعني لا يهلكهم بظلم منه واهلها مصلحون يعني في اعمالهم
ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم السيات وقيل في معنى الاية وما كان ربك
ليهلك القرى بمجرد شركهم اذا كانوا مصلحين يعني يعامل بعضهم بعضا
بالصلاح والسداد والمراد من الهلاك عذاب الاستيصال في الدنيا

اما عذاب الاخرة فهو لازم لهم ولهذا قال بعض الفقها ان حقوق الله مبناها على المسامحة وحقوق العباد مبناها على الضيق والتشديد
قوله عز وجل ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة يعني كلهم على دين واحد وشريعة واحدة ولا يزالون مختلفين يعني اديان شتى ما بين يهودي ونصراني ومجوسي ومشرك ومسلم فكل اهل دين من هذه الاديان اختلفوا في دينهم ايضا اختلافا كثيرا لا ينضبط عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفترق اليهود على احدى وسبعين فرقة او اثنين وسبعين والنصارى مثل ذلك وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة اخرجه ابو داود والترمذي بنحو منه عن معاوية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على اثنين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعين في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة اخرجه ابو داوده قال الخطابي قوله صلى الله عليه وسلم وستفترق امتي فيه دلالة على ان هذه الفرق غير خارجة من الملة والدين اذ جعلهم من امته ٭ وقال غيره المراد بهذه الفرق اهل البدع والاهوا الذين تفرقوا واختلفوا واظهروا بعده كالخوارج والقدرية والمعتزلة والرافضة وغيرهم من اهل البدع والاهوا والمراد بالواحدة هي فرقة السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم في اقواله وافعاله ٭ وقوله تعالى الا من رحم ربك يعني لكن من رحم ربك فمن عليه بالهداية والتوفيق الى الحق وهداه الله الى الدين القويم والصراط المستقيم فهم لا يختلفون ولذلك خلقهم قال الحسن وعطا وللاختلاف خلقهم قال اشهب سالت مالك بن انس عن هذه الاية فقال خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير ٭ وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وللرحمة خلقهم يعني الذين يرحمهم ٭ وقال الفرا خلق اهل الرحمة للرحمة وخلق اهل الاختلاف للاختلاف ٭ وقيل خلق الله عز وجل اهل الرحمة ان لا يختلفوا وخلق اهل العذاب ليلا يختلفوا وخلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا فحاصل الاية ان الله خلق اهل الباطل وجعلهم مختلفين وخلق اهل الحق وجعلهم متفقين فحكم على بعضهم بالاختلاف ومصيرهم الى النار وحكم على بعضهم بالاتفاق ومصيرهم الى الجنة ٭ ويدل على صحة هذا القول سياق الاية وقوله تعالى وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وهذا صريح بان الله تعالى خلق اقواما للجنة والرحمة فهداهم ووفقهم لاعمال اهل الجنة وخلق

للضلالة وانما اقواما فخذلهم ومنعهم من الهداية قوله تعالى وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فوادك لما ذكر الله عز وجل في هذه السورة الشريفة قصص الامم الماضية والقرون الخالية وما جرى لهم مع انبيائهم خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله وكلا نقص عليك يا محمد من انباء الرسل يعني من اخبار الرسل وما جرى لهم مع قومهم ما نثبت به فوادك يعني ما نقوي به قلبك لتصبر على اذى قومك وتتاسى بالرسل الذين خلوا من قبلك وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذه القصص وعلم ان حال جميع الانبيا مع اتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الاذى من قومه وامكنه الصبر عليه وجاءك يا محمد في هذه الحق اختلفوا في هذا الضمير الى ماذا يعود فقيل معناه وجاءك في هذه الدنيا الحق وفيه بعد لانه لم يجر للدنيا ذكر حتى يعود الضمير اليه ٭ وقيل في هذه الاية وقيل في هذه السورة وهو الاقرب وهو قول الاكثرين فان قلت قد جاءه الحق في سور القران فلم خص هذه السورة بالذكر قلت لا يلزم من تخصيص هذه السورة بالذكر ان لا يكون قد جاءه الحق في غيرها من السور بل القران كله حق وصدق وانما خصها بالذكر تشريفا لها وموعظة وذكرى للمومنين اي وهذه السورة موعظة يتعظ بها المومنون اذ تذكروا احوال الامم الماضية وما نزل بهم وقل للذين لا يومنون اعملوا على مكانتكم فيه وعيد وتهديد يعني اعملوا ما انتم عاملون فستعلمون عاقبة ذلك العمل فهو كقوله اعملوا ما شئتم انا عاملون يعني ما امرنا به ربنا وانتظروا يعني ما يعدكم به الشيطان انا منتظرون يعني ما يحل بكم من نقمة الله وعذابه اما في الدنيا واما في الاخرة ولله غيب السموات والارض يعني ما غاب عن العباد فيهما يعني ان علمه سبحانه وتعالى نافذ في جميع الاشيا خفيها وجليها وحاضرها ومعدومها لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السما واليه يرجع الامر كله يعني الى الله يرجع امر الخلق كلهم في الدنيا والاخرة فاعبده يعني ان من كان كذلك كان مستحقا للعبادة لا غيره فاعبده ولا تشتغل بعبادة غيره وتوكل عليه يعني وثق به في جميع امورك فانه يكفيك وما ربك بغافل عما يعملون قال اهل التفسير هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولجميع الخلق مومنهم وكافرهم ٭ والمعنى انه تعالى يحفظ على العباد اعمالهم لا يخفى عليه منها شي ليجزي المحسن باحسانه والمسي باسائته ٭ قال كعب الاحبار خاتمة التورية خاتمة سورة هود ٭ والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

وهذا اخر الجزؤ الاول من تفسير
الخازن ويليه الجزؤ الثاني اول
سورة يوسف بحمد الله وعونه
وحسن توفيقه وصلى الله
على سيدنا محمد
وعلى آله
وصحبه
وسلم
تم